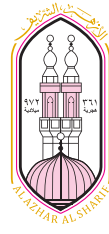


بَيْتُكَتَابُ الْعِلْمِ



مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَزْهَرِ رَفِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي

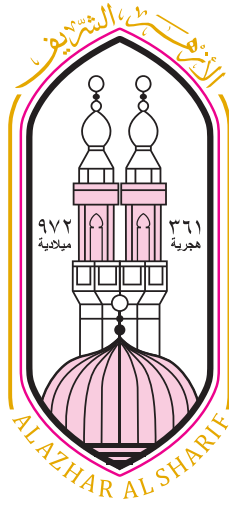
٣٨

المجلد السادس والثلاثون

السنة ١٣٨٤ هـ

بَيْتُكَتَابُ الْعِلْمِ

الأزهر الشريف



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFAT TRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

بقيادة د. محمد حسن الزيات

مدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

لغة وفان

دائرة الجامع الأزهر

بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩١٤

بدل الاشتراك

٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة

٥٠ خارج الجمهورية

واللبنانيين والطلاب

تخفيض خاص

الجزء الأول - السنة السادسة والثلاثون - المحرم سنة ١٣٨٤ هـ - يونيو ١٩٦٤ م

سنة ١٣٨٤ هـ

١٢

الأدب الحرام

دوريات

بقلم : أحمد حسن الزيات

لا أدبا ، وهوى لا عقلا ، وغريزة لا خلقا
وصناعة لا طبيعة ، وحيثما تنزل إلى دنيا
الواقع ، فتصور المباديل بريشة الفنان ،
وتصف الرذائل بقلم الأديب ، ولا يتغنى
الفنان والأديب من وراء ذلك إلا لذة القارىء
لا إفادته ، وإثارة السامع لا إنارته .

هذا الانحراف الأدبي قد فشا في أوروبا
بعد الحربين العالميتين فنشأ عنه نوطان من
الأدب أحدهما أدب اللذة وأمره يسير ،
والآخر أدب المجون وأثره خطير . فأما أدب
اللذة وهو ما يسميه الفرنسيون اليوم :
(اللذة الأدبية) (لاد لكتاسيون ليتير) (

La délectation littéraire

الأدب عطر النفس الزكية وشعاع الروح
اللطيف : ينفخ الحس فيزكيه ، ويضئ العقل
فيهديه ، وهو الجزء الروحي من كل نفس ،
والقلب الإلهي في كل قلب ، والخصيصة التي
تميز بها آدم من كل حي ، بلغت رسالات الله
إلى خلقه بلسانه ، وانجلى عمايات النفوس
بنوره ، وهددت آلام الخليقة بأنعامه ،
ورسمت المثل العليا للناس بوساوس أحلامه .
ولولا خلال منها الشعر ما درى

بناء المعالي كيف تبنى المسكارم
على أن هذه المأسكة اللطيفة قد تنعرف
باختلال العقل أو انحلال الخلق فتصبح فنا

الأفاكيه ، وخير ما في الصحيفة الصور ،
وخير ما في النزهة التهريج .

فإذا كان الناس في أوروبا قد انصرفوا بعد
الحرب من أدب المنفعة إلى أدب اللذة فإن
ذلك وإن طال عرض سيزول ، لأن ثقافة
النفس في الغرب أصيلة وحب المعرفة
في أهله طيبة .

أما عندنا فإن القراء يمكفون على هذا
الأدب لأنه رضا السطحية الغالبة وهوى
العامة العريضة ، فهو الأصل ، وما جاء على
أصله لا يسأل عن علته ولا يتعجب
من وجوده .

وأما أدب المجون فيختلف عن أدب اللذة
في الدواهي التي تدعو إليه ، وفي الدواهي
التي تنجم عنه ، فن دواهي أدب اللذة عامة
الذهن أو سطحية الفكر أو سامة الجسد ،
وهي أمراض طارئة مصيرها إلى الزوال ،
وانحراف عن الطبيعة مآله إلى الاعتدال ، ومن
دواهي أنه يلفظ أهله على ساحل الحياة فلا
يخوضون العباب ولا يفوضون على الجوهر ،
ويدفعهم إلى هاش الوجود فلا يكون لهم في
متمه مكان يرمق ولا شأن يذكر .

ولكن دواعي أدب المجون التنفيس عن
رغبة مكظومة والتعبير عن عاطفة جائشة
والتحرر من التزامات مقيدة .

وهي خواص في طبع الإنسان تلزم لزوم

فهو أدب يلذ ولا يفيد ، ويسوخ ولا يغذى
ويشغل ولا ينبه ، كالقذى تقرأ في أكثر
الصحف وبعض القمص مما يجذبك عرضه
ويلذك تصويره ويلهيك موضوعه فإذا
فرغت من قراءته لا تجد له رجعا في نفسك
ولا حاصلًا في ذهنك

طغى هذا الأدب على الأفلام في أوروبا
بعد الحرب فهزم الكتاب النافع ،
وطرد البحث المفيد ، فثارت نائرة أقطاب
الكتابة وانحوا بالفكر على معالجه
ومروجيه ، وحاولوا أن يفتحوا أعين الناس

على أخطاره بما نشروا وأذاعوا ، ولكن
العلة كانت أفتح مما ظنوا . فإن الأعصاب
التي أوهنتها الحرب بفظائعها وفواجعها
وتواهبها لم تعد قادرة على معاناة الجسد واحتمال
التقصي . فرجعوا يتحاورون ويتشاورون
ويطلب بعضهم إلى بعض أن يدسوا الفائدة
في اللذة ، ويمزجوا المرارة بالحلاوة تهوينًا
على الأعصاب المنهكة وتسكينًا للنفوس القلقة .
ذلك هناك ، أما هنا فالأمر مختلف .

لا أعصابنا موهونة من حرب ولا نفوسنا
قلقة من ضيق ، إنما هي الثقافة الضحلة والامية
القاشية والتربية المهملة والصبر الفارغ والطبع
الستوم والوقت المضيع والحياة الهائلة .

خير ما في المدرسة الألعاب ، وخير
ما في المجلس النكس ، وخير ما في الكتاب

ولا تزال ذراكر المعاصرين تعى ما تلقفته
الآفواه من مجون حافظ والرصافي وإمام العبد
والهراوى عالم تسجله صحيفة أويذونه كتاب.
على أن هؤلاء جميعا كانوا يفتشونه لأنفسهم
لأن الناس ، ويتناقضونه في السر لافي العلن ،
ويتفكسون به في المجالس الخاصة لافي الجماع
العامة ، ولو كان لهم مالنا اليوم من طباعة
تنشر وصحافة تذيب وجههم يقرأ لتخرجوا من
أكثر ما قالوه . فإن الناس منذ بث الله الحياء
في أبويهم آدم وحواء خفصا على جسديهما
العاريين من ورق الجنة شعروا أن للجسم
عورات لا يجوز أن تظهر ، ولما هذبهم
الدين وثقفهم العلم وصقلهم التحضر شعروا
كذلك أن لفكر عورات لا يليق أن تنشر ،
فهم بحكم الحرية والاستقلال والانطلاق
يقولون ويفعلون في خسلواتهم ومبازلهم
ماشاءوا ، ولسكنهم بحكم الدين وأقنانون
والعرف يسترون سوءاتهم ونزواتهم
ما استطاعوا ، فلا يقولون كل حق
ولا يصورون كل حالة ولا يظهرون كل
مضمهر ، مراعاة لعمور الجماعة ومحافظة على
كرامة الإنسان .

أدب المجون يجوز إذن أن يقال ، ولكن
لا يجوز أبدا أن يعلن ، والرقيب على هذا
الآداب ضمير السكاتب وكرامة القاريء . فما
دام للسكاتب ضمير يحيمه الدين القويم والخلق

البكاء والضحك ، وتدوم دوام الهزل والجهد
وأقل دواهمه أن تزول الحدود بين المعروف
والمنكر ، فلا يكون فارق بين حلال وحرام
ولابين فوضى ونظام ولابين إنسان وحيوان.
أدب المجون إذن خاصة تلزم لاعرض
ينفك . ذلك لأن حياة الإنسان من لوزامها
الحياء والوقاحة والعفة والفجور والاحتشام
والتبسط والتصون والتبذل ، والآداب المطلقة
صورة لهذه المتناقضات جميعا فالغنان الشاعر
أو الكاتب أو المصور لابد أن يعبر بطريقته
الخاصة عن كل ما يجول في نفسه أو يقع
تحت حسه . وكلما كان هذا التعبير صادقا كان
أدخل في باب الفن وأوغل في طريق السكالك .
من أجل ذلك كان أدب المجون ثابت الوجود
في أدب العالم كله ، وهو في الأدب العربي عريق
الأصل . ظهر منذ قال العرب الشعر ورووا
منه لامية امرئ القيس ودالية النابغة ورائية
بشار^(١) وغزوات بن أبي ربيعة وفواش
أبي نواس ومنديات ابن إياس ونغازي ابن
سكرة وأحماض ابن حجاج ، وظل الآداب
في كل زمان ومكان ينظمون المجون ويفكرونه

(١) من هذه القصيدة التي قالها بشار في مراعاة
خلا بها هذان البيتان :

ماذا بأبي إذا رأته شفتي
أو كان منك الحديث يتنهر
قول لها بقة لها ظفر
إن كان في البقي ماله ظفر
(والبقى من أسماء البعوض)

بالذكاء البارع والقرمحة النافذة ، ولكنه أفسد بكتابته شباب روما حتى عليه أن يموت في سجن سراسيا .

وكتب فلوير القصص الفونسي قصة (مدام بوفاري) فوجد الناس في أسلوبها خروجاً عن مذهب الحياء فرفعوا أمره إلى القضاء فحكم عليه بالسكف عن معالجة هذا النوع من القصص .

ونظم (بودلير) الشاعر الفرنسي ديوانه (أزهار الشر) فثار على جرأته أهل الحفاظ والنخوة وساقوه إلى القضاء فحكم عليه بغرامة قدرها ثلثمائة فرنك وإعدام ست قصائد من مطولاته .

فلما زلزل الله أركان الأرض بالحربين العالميتين كما قلت انقلبت الأوضاع وتغيرت الطباع واختلت المفاهيم وبرد الدم الحار وبلد الحس المرهف وحفظ الجلد الرقيق فشاع الإغضاء وساخ البذاء وقلت المبالاة وصككت الحجة حتى صار الفجور ديناً له أنبيأؤه ومبشروه . فمن أنبيائه فرويد وجيد وسارتر ، ومن مبشريه لورنس وفكتور مارجريت . أما الاتباع فهم هيبند التقليد ومسوخ الفن ومشوهو الخلق من أمثال فلانة في فرنسا وفلانة في لبنان وفلان في مصر .

ومن كبار الأدباء الذين راعهم هذا الدين فرنسوا مورياك فقد حزه الأمر وأحزته

السكريم فانه يتسكرم عن المهبوط إلى حضيض القوادين الذين يزينون الفحش ، والمهرين الذين يروجون المخدر ، ومادام للقارىء كرامة يقويها الحس الصادق والطبيع السليم فانه يتنزه عن سماع الحجر ودوية المنسكر ، والناس في الشرق والغرب ، وفي القديم والحديث كانوا كذلك قبل أن تقوم قيسامة الحرب العامة التي أهلكت فيما أهلكت تراث الإنسانية والمدنية من كريم الشئائل وحر الحلال .

هتك بشار في بعض شعره ستر الحشمة فنقم الناس منه ذلك وتمنوا موته صونا للعداوى وغيرة على المخدرات حتى قال مالك ابن دينار : د ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأحمى الملحد ، وانتهى المجون بيشار إلى أن أمر به الخليفة المهدي فضرب بالسوط حتى هلك ! واستهتر أبو نواس في الغزل واسترسل في الفجور حتى حبسه الخليفة الأمين ، ولم يكده يخرج من ظلام الحبس حتى دخل في ظلام الرمس !

وألف الشاعر الروماني د أوفيد ، كتابه (فن الحب) فرأى فيه القيصصر أغسطس إفساداً للناس فبنى المؤلف إلى (سراسيا) وقال لطيباريوس حين سأله العفو عنه : لا أنكر أن أوفيد شاعر ميزته الآلهة

يعيش معه ، وحطم المجتمع الذى يضطرب فيه ، والأدب الذى أطلق هذا البهيم بتطبيق غزائره . وتحريض شهوراته سينتهى أمره لا محالة إلى أن يصير آفة تتق وجروثة تحارب ، لأن فى ابن آدم محكمة داخلية نسيمها الضمير إذا تعطلت حيناً فلن تعطل أبداً الدهر .

وأما سؤالاته عن أسبابه فالأمر بيننا وبينهم فى جوابيهما جد مختلف . إن أسبابه عندهم هى المرض وإن أسبابه عندنا هى العدوى . ولا أقصد بالعدوى عدوى حدوث المجون فإن المجون كما قلت أصيل فى كل نفس ، عريق فى كل أدب ، إنما أقصد بالعدوى عدوى نشره فى الصحف والكتب والتثميل بنوعيه المحقق والمصور .

ليس على المرء من حرج أن يماجن صحبه الأذنين فى مجلسه الخاص . وليس عليه من حرج أن يمرى فى غرفة نومه أو فى حمام بيته ، إنما الحرج كله أن يماجن فى ملا أو يمرى فى شارع . والذين يسمعونونه مفتحا ولا يعترضون ، أو يرونه عاريا ولا يعترضون لا يقلون مجونا ولا جنونا عنه .

فالمسألة فى أدب المجون مسألة ضئيلة فى الكاتب والناشر ، وكرامة فى القارئ . والناظر ، فى وجودهما عدمه ، وفى عدمهما وجوده .

أحمد حسن الزيات

الحال حتى أتى ثلاثة أسئلة على صفوة من رجال العلم والأدب فى أوربا يرجو أن يجد فى الأجوبة منها طبا لهذا الداء وكشفا لهذا البلاء ، قال :

١ — هل تجد فى انصراف الأدب إلى التعبير عن شهوات الجسد العارض خطراً على الفرد وعلى الجماعة وعلى الأدب نفسه ؟

٢ — من هم الأدباء الذين تقع عليهم التبعة فى انحطاط الأدب الحديث ؟

٣ — أى المذاهب قد ساعد على هذا الانحطاط ؟

فإذا فرضنا أن هذه الأسئلة ألقىت علينا كما ألقىت عليهم فبماذا نجيب عنها ؟

يسأل موريك ثلاثة أسئلة عن أدب الفحش ، أولها عن نتائجها ، وثانيها وثالثها عن أسبابه . فأما سؤاله عن نتائجها فما أظن جوابنا عنه يختلف عن جواب زملائه الأوربيين فى شئ ، لأن خطر الأدب الفاضح على الفرد والجماعة وعلى الأدب فى نفسه لا يمارى أحده فيه لا منا ولا منه . وهل يمارى أحد فى أن البهيم الذى يسكن الإنسان فى جسده إنما يروضه ويسكبه الأدب القائم على العقل والدين والعلم ، قارة بالفظام واللجام ، وتارة بالسياسة والملاينة فإذا فسدت طبيعة هذا الأدب فانقلب القيد سوطاً يلهب ، والشكيمة مهبأزاً يحث ، أفلت البهيم من ربقة فافترس الإنسان الذى

التطورات التشريعية للطلاق

للاستاذ محمد محمد المدني

— ٢ —

انتهينا فيما سبق إلى أن العالم قبل الإسلام ، كان يتنازع في شأن الطلاق مبدآن :

أحدهما : عدم الاعتراف بمشروعيته إلا في حالة واحدة هي حالة الزنا من أحد الزوجين .

والثاني : الاعتراف بمشروعيته على تفاوت في تقرير هذه المشروعية ، بالنسبة لصاحب الحق فيه ، وللظروف التي يستعمل فيها هذا الحق ، والأسلوب الذي يكون به ، وأن هذا التفاوت قد وصل في بعض المجتمعات إلى حد التعسف من قبل الزوج ، رغبة في اضطهاد المرأة وإهدار كرامتها الإفسانية ، وحقوقها الزوجية ، بل إلى حد التلهي بالطلاق واتخاذ هزواً ولعباً .

ان الزواج إنما هو شركة بين اثنين متحابين متعارفين ، يقصد بها أن يكون كل منهما سعيداً في جوار صاحبه ، مطمئناً لآلته ولذلك وصف الله الزواج بأنه سكن لسكن من الزوجين ومودة ورحمة .

والقد اعترف كثير من علماء الاجتماع في العصر الحاضر ومنهم بعض العلماء الأوربيين بالمصلحة الحقيقية التي تكفلها لإباحة الطلاق ، وقرروا أن كلا من الزوج والزوجة إذا شق بصاحبه وعلم أنه لا سبيل إلى الخلاص منه ، فقد يتجه إلى المخادنة واتباع طرق غير

فلسا أشرقت شمس الإسلام ، وجاءت شريعة الفطرة والعدل والرحمة والتوسط الذي يأبى الإفراط ، ويمتنعه عن التفريط ؛ شرع الله قانوناً يحكم بالطلاق ، يقوم على المبادئ الآتية :

١ - الاعتراف بمبدأ الطلاق كنهائية

بكتاب الله وأنا بين أظهركم ، وذلك توجيه منه صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى في أثناء بيانه لبعض أحكام الطلاق : « ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ، وقوله عز وجل في أثناء بعض أحكام الطلاق أيضا : « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

وقد استنبط كثير من الفقهاء من هذه النصوص قاعدة تقول : « إن الطلاق أصله الحظر والمنع ، ومن ثم لا يجوز الإقدام عليه إلا لسبب مشروع » .

وقال آخرون بل أصله الإباحة واستدلوا بقوله تعالى : « لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة » ، فقد نفى الله الجناح أى الإثم ممن يطلق النساء وقد طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلق أصحابه ، ولو كان محظورا ما فعلوه .

والواقع أنه لا تلاق بين الرأيين على نقطة واحدة ، وأن الذين يقولون بأن أصل الطلاق الحظر لا يمتنعون أنه مباح في الحالات التي تنشأ عن سبب مشروع ، فهم لا يقولون أنه محظور دائما وفي جميع الحالات ، والذين يقولون بأنه مباح لم يبينوا أن الطلاق الذى وقع من رسول الله صلى الله عليه وسلم

مشروعة لمرضى طبيعته في السكون إلى من يبادلُه المحبة والمودة ، أو يبعثه على تلبية رغباته البشرية ومن ثم ؛ تكثر المعاشرات المحرمة ، ويكون الانحلال بين الأمر واضطراب الإنسان ، وفساد المجتمع .

ولذلك كان من حكمة الله ورحمته أن شرع الطلاق لكي يمنح كلا من الزوجين فرصة لاستئناف حياة زوجية أخرى لعلها تكون أكثر توافقا ، « وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما » .

٢ - ولما كان التشريع الإسلامى يلتزم عادة جانب الوسط ، وجادة السبيل في الأمور كلها ؛ أعلن الإسلام مع إباحته للطلاق أن الله يبقضه ، ولا يحب التعجل فيه ولا الإقدام عليه بدون مبرر قوى يستدعيه .

ففي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أبغض الحلال إلى الله الطلاق) و (ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق) و (لا تطلق النساء إلا من رغبة) (إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات) و (أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس غرام عليها راتحة الجنة) و (إن المختلعات من المفافات) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا علم بطلاق لم تراخ فيه السنة - أى الطريقة المشروعة في الإسلام - غضب وقال : أتلعبون

بأن الأصل في الطلاق الخطر والمنع هو
الرأى الراجح الذى ينبغى التعويل عليه
والأخذ به .

ويترتب على ذلك مسلك فقهى فى شأن
الطلاق يتفق وروح التشريع الإسلامى
فى الحد منه ووضع العقوبات دون إنهاؤه
للحياة الزوجية ما دام فى الوسع الإبقاء عليها
وإصلاحها .

ذلك المسلك هو أن يقال : إن الزواج
عقد يجب أن يلتزم به الطرفان كسائر العقود ،
بل إن الشارع يعطيه من العناية والتقدير
قسطا أوفر ، ويرغب فى استمراره ، وقد
ترجح لنا مما تقدم أنه يعتبر إنهاؤه محظورا
فى الأصل ، وليس من المباحات التى يجوز
للرء أن يقدم عليها دون أسباب تدعوه
إليها ، وإذن فيجب أن ينظر إلى الطلاق
على أنه تصرف لا يجوز الإقدام عليه
إلا فى الحدود التى رسمها الشارع له ، وأن
كل تجاوز لهذه الحدود يبطل هذا التصرف ،
وينظر إليه على أنه غير قائم ولا نافذ .

وهذا يتمشى مع القاعدة العامة التى يقررها
الحديث الثابت الصحيح : « من عمل عملا
ليس عليه أمرنا فهو رد » أى مردود ،
والذى يوحى بها فى خصوص الطلاق قوله
تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن
يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

أو على هده كان بدون سبب يقتضيه
أو يليحه .

أما الآية التى استدل بها هؤلاء على الإباحة
فهى فى حالة خاصة لا تعم جميع صور الطلاق
وهى حالة من أراد طلاق امرأته التى لم يدخل
بها ولم يعين لها مهرأ ، وقد قرأه فيها (المتعة)
حقا للزوجة فقال : « ومتعوهن على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على
المحسنين » ثم عطف عليها حالة غير المدخول
بها التى عين لها مهرأ فقال : « وإن طلقتموهن
من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن
فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون
أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » .

فالكلام إنما هو فى تفسير ما تستحقه
الزوجة فى هاتين الحالتين ، ولذلك قالوا : إن
معنى رفع الجناح فى هذه الآية عن الأزواج
هو رفع التبعة المالية التى كان بمقتضى الزواج
أن يحملها الزوج ، وهى المهر ، فبين الله تعالى
أن غير المدخول بها التى لم يسم لها مهر ،
لا مهر لها ولا نصف مهر ، ولكن لها المتعة
حسب حالة الزوج وقدرته المالية .

وإذن فالكلام ليس فى رفع الجناح عن
المطلق من جهة إقدامه على الطلاق ، ولكن
فى رفع تبعة المهر وتقرير المتعة بدله ، حيث
لم يتعين لها مهر .

وبذلك يبين أن الرأى الأول الذى يقول

أو دهي طالق ، ... ويشترط أن تكون الصيغة فصيحة غير ملحونة ولا مصحفة ، وأن تكون مجردة عن كل قيد ، حتى ولو كان معلوم التحقق مثل : إذا طلعت الشمس ونحو ذلك ، ولو خير زوجته ، وقصد : تفويض الطلاق إليها ، فاختارت نفسها بقصد الطلاق لا يقع عند المحقق من الإمامية ، وكذلك لا يقع لو قيل له : هل طلقت زوجتك ؟ فقال : نعم - قاصدا لإنشاء الطلاق - ولو قال - أنت طالق ثلاثا ، أو أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق ، تقع طقة واحدة مع تحقق الشروط ، ولا يقع الطلاق بالكتابة ، ولا بالإشارة ، إلا من الآخرس العاجز عن النطق ، ولا يقع بغير العربية مع القدرة على التلفظ بها ... وكذلك لا يقع الطلاق عند الإمامية بالحلف واليمين ، ولا بالنذر والعهد ، ولا بشيء إلا بلفظ (طالق) مع تحقق الشروط . قال صاحب الجواهر نقلا عن الكافي : « ليس الطلاق إلا كما روى بكير بن أيمن ، وهو أن يقول لها ، وهي طاهر من غير جماع : أنت طالق ، ويشهد شاهدين عدلين ، وكل ماسوى ذلك فهو باطل » ثم نقل صاحب الجواهر عن الانتصار لإجماع الإمامية على ذلك . وبالتالي ، فإن الإمامية يضيئون دائرة طلاق إلى أقصى الحدود . ويفرضون القيود الصارمة

وهذا المسلك الفقهي في شأن الطلاق قد سلكه على الجملة بعض الفقهاء ، واشتهر به الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، وفي ذلك يقول الأستاذ الشيخ محمد جواد مغنية العالم الإمامي اللبناني في كتابه : « الزواج والطلاق على المذاهب الخمسة » - وهو بصدد الكلام عن الطلاق السني والبدعي (١) :

ومهما يكن فإن السنة والشيعة قد اتفقوا على أن الإسلام قد نهى عن طلاق الزوجة البالغة المدخول بها غير الحامل إذا كانت غير طاهر ، أو في طهر واقعها فيه ، ولكن أهل السنة قالوا : إن النهى للتحريم لا للفساد ، وإن من أوقع الطلاق بدون تحقق الشروط يأثم ويعاقب ، ولكن يصح طلاقه ، وقال الشيعة : إن النهى للفساد لا للتحريم ، لأن مجرد التلفظ بالطلاق غير محرم ، وإنما القصد وقوع الطلاق لغو كأن لم يكن ، تماما كالنهي عن بيع الخمر والخنزير ، فإن التلفظ بالبيع لا يحرم ، بل لا يتحقق النقل والانتقال . ويقول : وهو بصدد الكلام على صيغة الطلاق (٢) .

قال الإمامية : لا يقع الطلاق إلا بصيغة خاصة ، وهي « أنت طالق » ، أو « فلانة طالق » ،

(١) ص ١٤٤ من كتاب (الزواج والطلاق) للشارح إليه .

(٢) ١٤٥ ، ١٤٦ من الكتاب نفسه .

أنا كذا فأنت طالق ، وكل امرأة أتزوجها فهي طالق - فيقع الطلاق بمجرد حصول العقد عليهما - وما إلى ذلك مما لا يتسع له المقام وقد أجازت أيضاً المذاهب الطلاق بتفويضه إلى المرأة ، وإلى غيرها ، كما أجازت وقوع الطلاق ثلاثاً بلفظ واحد ... وقد أحسنت الحكومة المصرية بأخذها في كثير من شئون الطلاق بالمذهب الإمامي ، هذا وإن المذاهب الأربعة لم تشترط الإشهاد بصحة الطلاق بخلاف الإمامية ، حيث اعتبروه ركناً من أركانه ، اهـ .

هذا هو مذهب الشيعة الإمامية .

أما المذاهب الأخرى فستحدث عنها في المقال الآتي إن شاء الله تعالى .

محمد محمد المصطفى

على المطلق أو المطلقة وصيغة الطلاق وشهوده كل ذلك لأن الزواج عصمة ومودة ورحمة وميثاق من الله ... فلا يجوز بحال أن تنقص هذه العصمة والمودة والرحمة ، وهذا العهد والميثاق ، إلا بعد أن نعلم علماً قاطعاً لكل شك بأن الشرع قد حل الزواج بعد أن أثبتته وأبرمه .

واسكن المذاهب الأخرى قد أجازت الطلاق بكل ما دل عليه لفظاً وكتابة ، وصراحة وكناية ، مثل : أنت على حرام ، وأنت بتة - من البتل وهو القطع والإبانة - وبرية : واذهي فتزوجي ، وحبلك على غاربك ، والحق بأهلك ، وما إلى ذلك ، كما أجازت أن يكون الطلاق مطلقاً ومقيداً ، مثل : إن خرجت من الدار فأنت طالق ، وإن كلمت أباك فأنت طالق ، وإن فعلت

وصية عبد الملك بن مروان لبنيه عند وفاته

« أوصيكم بتقوى الله ، فإنها عصمة باقية ، وجنة وإقية ، فالتقوى خير زاد ، وأفضل في المعاد ، وهي أحسن كهف . وليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير حق الكبير ، مع سلامة الصدر ، والاختصاص بحمائل الأمور ، وإياكم والبغى والتحاسد ، فهما هلك الملوك الماضون ، وذروا الدن المسكين » .

شهر الله المحرم

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

عند العرب أشهر سلام وهدوء يتفرغون فيها لأموار معاشهم وتنمية مواردهم وشتونهم الأدبية والثقافية والدينية ، وتقرر هذا النظام لديهم من قبل الإسلام بأمد طويل ، وكان لها حظ عظيم فيما وصل إليه العرب من رقي وحضارة قبل الإسلام ، بل يرجع إليها أكبر قسط من الفضل في بقاء الجنس العربي نفسه ، فقد كانت العلاقات بين قبائلهم وبطونهم علاقات متوترة تسودها الإحسان والعداوات ، ولم تتوافر لدى أمة ما أسباب التناحر والتقاتل والتطاحن بمقدار ما توافرت لدى هذه الأمة في جاهليتها ، وما كان أكثر دواعي الحرب ومقتضياتها عندهم ، وكان يكفي أن تنشب حرب بين قبيلتين أو بطنيين لأنفه الأسباب حتى ينضم إلى كليهما حلفاء وأنصار من القبائل والبطون الأخرى ، وتظل الحرب مستمرة عدة سنين ، وتحصد آلافًا من الفريقين المتنازعين ، فلولاً نظام الأشهر الحرم لاستأثرت هذه الحروب بجميع مظاهر نشاطهم ، واستغرقت جميع أيامهم .

يطلق اسم المحرم على الشهر الأول من شهور السنة العربية القمرية ، وقد كان لهذه الشهور في أقدم عهود الجاهلية أسماء أخرى غير الأسماء المعروفة الآن ، وإن اختلف الرواة في تحديد تلك الأسماء ، وأشهر ما ورد في صدد المحرم أنه كان يطلق عليه اسم « المؤتمر » ؛ لأن العرب كانوا يعقدون فيه المؤتمرات للفصل في أقضيتهم ، فيستفتون السنة الجديدة بتصفية خلافاتهم في العام السابق ورسم ما ينبغي أن تسير عليه علاقاتهم في العام الجديد ، وأما الأسماء التي تطلق الآن على الشهور العربية فالمشهور أنها وضعت في عهد كلاب بن مرة أحد أجداد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان ذلك قبل الإسلام بنحو قرنين ، وقد اختلف في تعليل تسميتها بهذه الأسماء وأشهر ما ورد في صدد المحرم أن العرب سموه بهذا الاسم لحرمة القتال فيه .

وقد اشترك مع المحرم في هذا الحكم ثلاثة أشهر أخرى ، وهي رجب ، وذو القعدة وذو الحجة ؛ فكانت هذه الأشهر الأربعة

القتال ، ومن أجل ذلك اضطربت مواقيت حجهم ، فكان يحج حجهم أحيانا في غير ذى الحجة ؛ ويروى أن أبا بكر قد حج بالناس في السنة التاسعة من الهجرة في شهر ذى القعدة ، لأن اضطراب المواقيت عند أهل مكة قد تقدم بالحج في هذا العام من موعده .

وقد أقر الإسلام نظام الأشهر الحرم في وضعه الاصيل ، وقضى على كل ما حدث في هذا الوضع من تلاعب ، فقرر أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا لا يصح نقصها ولا زيادتها وأنه لا يجوز أن يستبدل بشهر المحرم شهر آخر ، فيجعل المحرم من الأشهر الحلال وتنقل حرمة إلى هذا الشهر الآخر ، وأنه لا يجوز أن يفعل ذلك في أى شهر آخر من الأشهر الحرم ، وأن النسيء ضلال وكفر وتغيير اسميات الله . وفي هذا يقول الله تعالى : « إن عدة الشهور

عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ذلك الدين القيم ... » ويقول : « إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، (أى يجعلوا عدد الشهور التي يحرمونها متفقا مع عدد الشهور التي حرمها الله ، فيعتبرون في التحريم مجرد

ولو وقف نموهم الاجتماعى والحضارى ، بل لفنى الجنس العربى نفسه .

وظل العرب أمدا طويلا محافظين كل المحافظة على حرمة هذه الشهور في مواقيتها ، حتى إن الرجل منهم كان يلقي قاتل أبيه فيما فلا يمسه بسوء ، بيد أنه قد شق على بعضهم الكف عن القتال ثلاثة أشهر متواليات وهى القعدة والحجة والمحرم ، فأدخلوا على الأشهر الحرم تعديلا يتيح لهم تقصير هذه المدة ، والاعتداء على حرمة شهر المحرم بالذات ، وهو نظام النسيء (من نسأه إذا أخر أجله) وذلك بأن يراهم حرمة شهرين متتابعين وهما ذو القعدة وذو الحجة ، بدلا من ثلاثة ويحول القتال في شهر المحرم ، على أن يفستوا حرمة (أى يؤخروها) وينقلوها إلى شهر آخر كصفر مثلا ، فإذا جاء صفر واحتاجوا فيه للقتال أحلوه وحرروا ربيع الأول ... وهكذا .

فأصبح المعتبر في التحريم عندم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم ، وكانوا أحيانا يحلون شهرا آخر من الأشهر الحرم غير شهر المحرم ويؤخرون حرمة وينقلونها إلى شهر آخر من غير الأشهر الحرم .

وكانوا أحيانا يزيدون في عدد شهور السنة فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ، ويجعلون أربعة منها حرما ، ليتسع لهم الوقت

غير أنه يظهر أنه لم يكن لدى العرب حينئذ فكرة دقيقة عن مدة الشهر القمري من الناحية الفلكية (وهو الوقت الذي تستغرقه دورة القمر حول الأرض دورة كاملة ، ومقداره تسعة وعشرون يوما واثنان عشرة ساعة وأربع وأربعون دقيقة وثانيتان وتسع ثواني) .

ولذلك كانوا يسرون في الغالب في تقدير هذه المدة على طريقة تقريبية ، فيجعلون شهرا ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالي له تسعة وعشرين يوما ، إلا إذا ثبتت رؤيتهم لجلال الشهر الجديد في ليلة غير الليلة المتفقة مع حسابهم التقريبي ، فيصححون بذلك حسابهم . وفي هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب الشهر هكذا وهكذا) وأشار في الأولى إلى مجموع أصابع يديه ثلاث مرات ، وأشار في الثانية إلى مجموعها مرتين وخمس الإبهام في الثالثة . (أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر) . فقد افتتح الرسول عليه الصلاة والسلام حديثه بقوله : (إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب) ، يقصد بذلك أنهم لا يعرفون قوانين علم الفلك ، وبالتالي لا يعرفون مدة الشهر القمري في صورة دقيقة ، وأنهم لذلك يسرون في عدة أيام الشهر على طريقة تقريبية ، فيجعلون شهرا

العدد لا خصوصية الأشهر الحرم) ، فيجعلوا ما حرم الله ، زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع وهي الخطبة التي لخص فيها كثيرا من أحكام الشريعة الإسلامية وجعلها دستوراً للمسلمين من بعده : أيها الناس ! إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم (أى من الأمور التي تعدونها صغيرة) .

أيها الناس إنما انسى زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا - يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، (وذلك أن الرسول عليه السلام قد أعاد حينئذ الشهور إلى أوضاعها الصحيحة ، فكانت حجة الوداع في مواقيتها في شهر ذي الحجة) وإن هذه الشهور هدى الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان : ألا هل بلغت !؟ اللهم فاشهد ! .

« شهر الله الذى تدعونه المحرم » ، (رواه أحمد ومسلم وأبو داود) . ويظهر أنه كان له كذلك مكانة خاصة في نفوس العرب في الجاهلية ، بدليل أنه اختص من بين الشهور الأربعة المحرم بالاسم الذى يدل صراحة على حرمة ، وذلك قبل أن يعبثوا في مدة الشهور وأوضاعها وابتدعوا نظام النسيء الذى كان يتيح لهم في الغالب انتهاك حرمة هذا الشهر بالذات .

* * *

ويسمى اليوم العاشر من شهر المحرم عاشوراء ، وقد يسمى التاسع كذلك تامسواه . والراجح أن هذه وتلك تسميتان عربيتان قديمتان . وليستا منقولتين من لغة أخرى . ويظهر أنه كان ليوم عاشوراء مكانة دينية خاصة عند قريش في الجاهلية . فقد روى عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن « يوم عاشوراء كان يوما تصومه قريش في الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه . فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه . فلما فرض رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه » .

دكتور على عبد الواحد وافي

ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالى له تسعة وعشرين يوما . ولا نقاء ما هسى أن يكون في الحساب التقريبي من خطأ أوجب الإسلام في الشهور المرتبطة ببعض الشعائر الدينية (كشهر رمضان الذى تؤدى فيه فريضة الصوم وشهر ذى الحجة الذى تؤدى مناسك الحج في أيام معينة منه ، وخاصة أهم ركن من أركانه وهو الوقوف بعرفة ، فإنه لا يصح أدائه إلا في مدة محددة من اليوم التاسع وليلة العاشر) أن يعتمد فيها على رؤية الهلال وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكلوا هدة شعبان ثلاثين يوما) .

* * *

ولشهر المحرم في الإسلام مكانة مقدسة خاصة . ولذلك سماه الرسول عليه الصلاة والسلام : « شهر الله » . ولم يندب عليه الصلاة والسلام إلى صيام شهر كامل على سبيل التطوع غير شهر المحرم ، وجعله أفضل صيام بعد رمضان . فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الصيام أفضل بعد رمضان ، فقال :

هَجَرَات فِي سَبِيلِ الْحَرِّيَّةِ

لِلأُسْتَاذ عَبْدِ الْمُنْعَمِ النَّمَرِ

الذي تبعته الرسالة المحمدية في النفوس ،
وخافوا على مرا كرم التقليدية أن تنهار أمام
دعوة التوحيد ...

وكان عمه أبو لب يعبر عن نفسه وعن
طبقة المسيطرين المنتفعين أمثاله حين قام
ثامرا في نهاية الاجتماع الذي جمعهم الرسول
فيه و عرض عليهم دعوته السمحة وقال لمن
حول : وخذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه
العرب ، وكان ذلك بدء صراع هنيئ بين
هؤلاء وبين الرسول ودعوته الجديدة ؛ فقد
بدءوا ينفذون فكرة أبي لب أو خطته
بكل الوسائل التي يستطيعونها حتى يحولوا
بين الرسول وبين اجتماع العرب على دعوته
واعتناقهم لها فيزول سلطان طبقة المنتفعين
وتتغير أوضاعهم .

استعملوا أساليب الإغراء فلم تفلح معه
واستعملوا أساليب التهديد فانهارت أمام
تصميمه وقوله : (والله يأم لو وضعوا
الشمس في يميني والقمرة في يساري على أن
أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله
أو أهلك دونه) فلم يعد مفر أمامهم من

لم تسكن الهجرات التي هاجرها الرسول
صلى الله عليه وسلم أو أمر بها أصحابه
إلا تعبيراً صادقا وحازما للنزوع إلى الحرية
والجد في طلبها وبذل أغلى التضحيات التي
تتحملها النفوس البشرية في سبيلها .

والنزوع إلى الحرية أمر طبيعي في الإنسان
وقد يكون أيضا في الحيوان ، لكنه
في الإنسان قوى عارم يتناسب مع شعوره
بكيانه وكرامته وقيمه كإنسان كرمه الله
وجعله خليفة له في الأرض . ثم يشتد به
هذا الشعور حين يكون رجلا ذار رسالة يرى
من الضروري أن تتحقق له الحرية التامة
في التعبير عن رأيه وشعوره ومبادئه قولا
وعملا حتى يستطيع أن يحقق للناس الإصلاح
الذي جاء به عن طريق الاقتناع والإيمان .

ولقد حكك رسول الله صلى الله عليه وسلم
سفين عديدة في مكة يدعو المجتمع المسكين
ومن حوله إلى تصديقه والإيمان بما جاء به
من مبادئ التوحيد والعدل والمساواة ،
ولكن أصحاب المصالح الذين قامت
مصالحهم على أساس الوضع الراهن في مكة
خشوا على وضعهم هذا من الضوء الجديد

ذلك عن دينه ، ثم لم يتركه عند هذا الحد الجاد الصارم من القول ، بل أضاف إليه شحنة من أمل في مستقبل مشرق لهذا الدين ، وأحباب الدعوات من المجاهدين لا يعيشون على الخوف والصبر وحده ولا على الأمل المشرق وحده ، ولكن لابد لها معا في نفوسهم حتى لا ييأسوا أو يتهاونوا ولذا أكمل له الرسول جانب الأمل فقال : (وليظهرن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه) .

ونزل القرآن يزيد من تثبيت الرسول للؤمنين المضطهدين ، ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين .

ومع ذلك فقد فكر الرسول صلى الله عليه وسلم في حماية أصحابه القليلين من الفناء .. وقال لهم : تفرقوا في الأرض ، ابتعدوا عن مكة . اتركوا هذا الجو الخاق .. واذهبوا إلى بلد أو بلاد أخرى .. وسألوه إلى أين . فقال : (إلى الحبشة فإن فيها ملكا لا يظلم عند أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم خراجا مما أنتم فيه ، .

لماذا اختار الرسول أرض الحبشة ويظهر بينها البحر ، ولم يكن لهم بها ههد ، وليس

تنفيذ وعيدهم وبدءوا يسلطون أنواع العذاب والتنكيل على الرسول والقلة المؤمنة به ، ودخلت الدعوة والمؤمنون بها في دور من الكفاح النفسى الرهيب كانوا دائما فيه يقاسون العذاب ولا يملكون دفعه بقدر ما يملكون من الصبر عليه والاحتمال له . . كانوا قلة وضعا فلا يملكون وسائل الدفاع عن أنفسهم وحريتهم . . فاحتملوا العذاب صابرين فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . ولكن إلى متى يظنون يتعرضون للعذاب والفناء . . صابرين على السكبت والاضطهاد وقد أصبح ما ينزل بهم شبه حائل بين الدعوة وامتدادها حتى كادت تختنق أو تتجمد ؟ ليس لهم طاقة قد تبلغ حدها ؟ ثم أليسوا كثيرا ؟ من الحكمة أن يدخر ويحفظ به !

جاء خباب مرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فقال له : يا رسول الله : ألا تدعو الله لنا ! وأحس الرسول في هذا القول نفعة شكوى دفينه تم من طاقة بلغت أقصى ما عندها من تحمل فأقلقته هذا القول فقعده وقد احمر وجهه وقال لخباب يعطيه شحنة وطاقة جديدة من الإيمان والصبر والاحتمال : إنه كان من قبلكم ليشط أحدكم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من اللحم وعصب ، ويوضع المنشار على فرق رأس أحدكم فيشق ، ما يصرفه

ويحسن معاملته للمؤمنين حين يلجئون إليه ، ولم يكن عند الرسول مثل ذلك من الثقة في أمير أو ملك في بلاد الروم .

وهذا هو الذي ينبئ عنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بالتوجه للحبشة : (فإن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد . إلخ) ولعل ذلك يرجع إلى الأمرين معا .

ولقد جاءت الحوادث بعد ذلك مصدقة لظن الرسول وتفكيره . فقد حاول سفير أقرش إلى النجاشي أن يشراء على المسلمين حتى يتخلى عنهم ويسلمهم إليهما ولكن بامت محاولتهما بالفشل ، وعاش المسلمون في ظله آمنين ، وصدق الرسول (فإن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد) وإن كانت الغربة عن الوطن والبعد عن الرسول ومن بقي معه من المسلمين كأننا يقضان مضاجعهم ويجعل الحياة مريرة قاسية عليهم .

ما الذي دفع هؤلاء إلى احتمال ما احتملوا من جهد ونصب في ترك الوطن وركوب البحر والاتجاه إلى بلاد لا همد لهم بها ؟ إنها الحرية التي يلمتسونها لهم ولدهوتهم .. الحرية التي دفعوا كل هذا ثمنها لما يؤدون في ظلها شعائهم ويجهرون بمعتقداتهم دون رهبة أو خوف .. هبرت هن ذلك لإحدى المسلمات المهاجرات حين قالت : لما ركبت بعيري أريد أن أتوجه به إلى أرض الحبشة : إذا أنا بامرئ الخطاب

لهم فيها قرابة ولا صديق ؟ . ولم يختار لهم أرضاً عربية يسهل عليهم الوصول إليها ويمكنهم التخابط مع أهلها ؟ .

لقد كانت مكة عاصمة الشرك الذي يحاربه الرسول ، والقبائل العربية كلها تسير في ركاب مكة الدينية وتتخذ لها أصناماً آلهة كالكافرين تماماً فما كان ينتظر في هذه الحالة أن يجد المؤمنين - وهم أعداء الشرك أينما وجد - حماية وأماناً لدى هؤلاء العرب المشركين في أى مكان .. فلا بد من التماس الأمان والحرية عند قوم لا يدينون بأصنام العرب ولا يتخذون مكة عاصمة الشرك والحج ، وليس لمكة نفوذ عليهم أى نفوذ .. حتى يكون المؤمنون بعيدين عن مناطق النفوذ المسكى المشرك . ولا يكون ذلك إلا عند قوم لهم دين سمارى لا يقرون الأصنام .. وكان هؤلاء في بلاد الروم وفي الحبشة ..

ولكن لماذا لم يوجههم الرسول إلى بلاد الروم . وربما كانت أقرب وأسهل مسلكاً لهم من بلاد الحبشة ؟ .

هل كان ذلك راجعاً إلى أنها كانت أكثر اتصالاً بالعرب من الحبشة ، وربما يكون لذلك دخل في التأثير على من يلجئون إليهم فيسلكون مسلكاً عادياً نحو هؤلاء المؤمنين .. أو كان ذلك راجعاً إلى ما يعلمه الرسول عن النجاشي من صفات طيبة جعلته يثق به

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتوها
وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها
أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فقرّبوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي
القوم الفاسقين ، » .

والقرآن بهذا يرتفع بحرية الإنسان
وكرامته وإنسانيته فوق كل ما عداها من
ارتباطات ومصالح تشدد الإنسان وتصلقه
بالبلد الذي ولد وعاش عليه وله فيه مال
وأهل وأحباء ومساكن وذكريات . .
ويهدد كل إنسان يفكر لهذه القيم ويهدد
كرامته وحرريته وإنسانيته في سبيل مصالحه
وعواطفه . .

وما قيمة الأوطان لدى أناس من بنيته ،
ماداموا لا ينعمون بنعمة الحرية فيه ،
ويراد لهم أن يعيشوا في ظله كالسوائم
ترعى وتساق أو تقاد من خطامها إلى حيث
يرادها . .

إن الإنسان يعطى وطنه من حبه وإخلاصه
وتضحياته بقدر ما يعطيه إياه من تكريم ،
ويشدد تعلقه به كلما أحس نعمة الحياة والحرية
في ظله أو توقعها فيه ، فإذا رأى كرامته
مهذرة وحرريته مهددة ، وجهوده في سبيله
مضيعة ، ولم يستطع أن يقاوم تيار الظلم فيه ،
أو يصلح من انحراف بفيه ، كان من الواجب

- وكان من أشد الناس علينا - يقول لى :
إلى أين يا أم عبد الله ؟ فقلت : آذيتونا
في ديننا ، نذهب في أرض الله حيث
لا تؤذى ، فذلك هو التماس الحرية في التعبير
عن العقيدة والقيام بشعائرها ما دام
المؤمنون بها لا يستعملون التعبير عنها
ولا القيام بالتزاماتها في وطنهم الذي نبثوا
فيه وكانت كل تضحياتهم من أجل هذه
الحرية وثمناً لها . .

وهنا تقفز إلى الذهن فكرة الوطن وحبه
والإخلاص له وتقدير مصالح الإنسان فيه
في كفة وحرية التعبير عما يعتقدده الإنسان
في كفة أخرى . . أيهما يخلص الإنسان له
ويضحي في سبيله ويقدمه على غيره ؟

لا شك أن حب الوطن أمر طبيعي في النفس .
ولسكن إلى أى حد يبتغى الإنسان مرتبطاً
بوطنه ؟ هل يبقى كذلك ولو لم يجد فيه حريته ،
وهل يفضل الإقامة فيه ولو لم يستطع أن
يشق فيه الطريق للتعبير عن رأيه وعقيدته ،
ولو وجد من أهله تنكراً له وظلماً وقسوة
عليه أو بعبارة أخرى ولو وجد في هذا
الوطن قتلاً لمعنى الإنسانية فيه ، وإهداراً
لكرامته ، وإرغاماً له على أن يقيم على الضيم
الذي يراد به ؟

إن القرآن يجيب عن هذا في صراحة
قاطعة .

ولم تكن هجرة المسلمين إلى الحبشة هي التجربة أو التوضيحية الوحيدة في سبيل حرية العقيدة ، بل كان للرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك تجربة وتوضيحية تحملها وحده ، ثم كانت له وللقلة المؤمنة به تجربة وتوضيحية ثالثة وأخيرة . .

فحين ضاقت به مكة وضيق عليه الخناق ، واسترسلت في إيذائه وإعذاته بعد وفاة النصيرين : همسه أنى طالب وزوجه خديجة رضى الله عنها . فذكر في أن يجهده لمخرجا وملتمسا في الطائف . . وقوى أماله في هذا ما كان بين ثقيف في الطائف وقريش في مكة من خلاف رجا أن ينفذ من خلاله إلى نفوس الثقيفيين . .

وقد رأى أن يتحمل هذه التجربة وحده . دون أن يزوج بمن معه في مكة لإيما - ولم يكن الطريق إلى الطائف قريباً ولا سهلاً ميسوراً كما قد يظن بعض الناس فقد سلك طريق جبال الهداء وقطع ما يقرب من مائة كيلومتر سيراً على الأقدام في ضوء النهار وفي ظلمة الليل ، يسير حيناً ويريح جسمه المسكدود حيناً آخر ، وهو لا ينفك عن التفكير فيما حساه تسفر عنه هذه التجربة هل تقبل ثقيف على دعوته فيتخذهم أنصاراً له ، ويعيش بينهم في الطائف ، وتنطلق الدعوة منها حرة إلى جميع البقاع حولها ، أم أنهم سيردونه ويغلقون قلوبهم في وجه دعوته ؟

عليه أن يبحث عن متنفس له حيث يجد فيه حريته ويبحث فيه آراءه ويجمع حوله أتباعه وأنصاره ، ولربما خفت حدة النداء له في وطنه وازداد تفكير مواطنيه فيه وفي دعوته بعد رحيله ، فيتهجئون إليه ، ويتنسمون أخباره ، ويقبلون آراءه ، ويحمد منهم ومن غيرهم على مر الزمن أنصاراً يستطيع بهم أن يعود إلى وطنه ويصالح ما فسد فيه .

تلك هي نظرة الإسلام للحرية ، وذلك هو تقديره لها ، ودعوته للبذل في سبيلها . .

ومن أجل هذا وجدنا القرآن يعيب على المستضعفين الذين يؤثرون الذل والإقامة في وطن تهمضم فيه حريتهم وتهدر كرامتهم ويتعللون بأهلهم ومصلحتهم مضحين بالمعنى الكريم في الإنسان وهي حريته فيتموهدهم بالعذاب وسوء المصير : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كتمتم ، قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، وبكفى أن القرآن سماهم ظالمين لأنفسهم وأعد لهم بسبب تغريبهم في حريتهم جهنم وساءت مصيراً . . وما ذلك إلا لأنهم رضوا بالحياة الذليلة واطمأنوا بها وضخوا بحريتهم في إعلان ما يعتقدون أنه الحق . .

الشهامة والإنسانية . ولكنهم لم يقفوا حتى هذا الموقف الإنساني وكانهم اتهموها فرصة للتنكيل به فأغروا به سفاهم وصديانهم فلاحقوه بالطوب والصياح والسباب حتى دميت قدماه . ودعمت عيماه .

فذاك الدنيا كلها يا رسول الله .
يا مصطفاه ..

لقد أفهم قلبه بالحزن وهو يفكر كيف يدخل مكة - يرجع إلى وطنه وماذا سيلقاه من أهلها المشركين العتاة ولم يعد فيها النصيران عمه وزوجه . . فتحرك قلبه قبل أن يتحرك لسانه متوجها إلى الله بهذه المناجاة الحزينة وهذه الشكوى المريرة التي لم يشكها طوال حياته في أى موقف من المواقف الشديدة الكثيرة التي مرت به اللهم لى أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين . . أنت رب المستضعفين وأنت ربي . إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمرى . إلخ .

وحاد إلى مكة حزينا ، وتصور كيف عاد ، وكيف قطع لإيها الطريق ، ومنظر الشامتين به المعتدين عليه لا يفارق خياله ، ثم دخلها ولكن في حماية أحد المشركين .. وما أقسى هذا على النفس .. لا يستطيع الرسول دخول بلده إلا في حماية رجل من أعدائه .. حملته النخوة العربية على حمايته استجابة له :

كان الأمل ينير له طريقه ويمجدد قواه لتحمل المشقات والأعباء ، ويجعله ينسى كل ما حوله من مخاوف حينما ، ثم يراوده الخوف حينما آخر من سوء لقاؤهم له . فتزداد متاعبه وتثقل خطاه ، ولكننه كان يلتمس الحرية له ولدعوته ، وفي سبيل ذلك تهون الشدائد ، وكانت السماء وحدها ترعاه وتتابع وتقدر خطاه ... وهو يتنقل من صخرة إلى صخرة أخرى ، وهو يعلو فوق الجبل وهو يهبط منه في الوديان ، وهو يقظان ، وهو نائم يستريح إن كان النوم قد وجد طريقه إليه وهو مثقل بالتفكير في المستقبل الذي يواجهه بعد ساعات .

حتى بلغ الطائف والتقى مع زعمائها وتحدث إليهم وهو يرجو أن تلين له قلوبهم ، ولكن غاب رجاءه فيهم ، وتلقى الصدمة منهم قاسية ثقيلة . . تلقاها وهو يفكر في الشامتين من ورائه في مكة . بعد أن لجأ إلى أعدائهم يلتمس النصرة فيهم فلم يجيبوه ولو أنه قد وصل إلى غايته لكانت نكبة المكيين وحسرتهم شديدة قاسية ، فإذا يكون موقفهم إذن منه حين يعلون برحلته وغايته منها وما كان من تقيجتها !!

فتقدم الرسول إلى هؤلاء الزعماء يرجوهم في لطف ، أن يكتسوا أمره ما داموا لم يستجيبوا له . وهو يستثير فيهم معاني

ويسفهمون آراءه أعرضوا عنه ، ورفضوا الاستجابة له ..

لكن القدر كان يدخر له أناسا من هؤلاء الحبيج وجدوا في دعوة الرسول إنقاذاً لهم بما يعانونه ، فأقبلوا عليه وآمنوا به وكانوا قليلين . وجاء الموسم الذي بعده ليزداد عدد المؤمنين به زيادة حملت الرسول على أن يفكر في الهجرة إليهم ، وقد صاروا في مدة وجيزة أكثر عدداً ممن آمنوا بمكة في أكثر من عشر سنوات .. إنها إذن أرض خصبة للدعوة .. وإنما الفرصة التي طالما بحث الرسول عنها في وسط هؤلاء يستطیع أن يبشر بدعوته في حرية وأمان بعد أن تعهدوا بحمايته وحماية دعوته .

وتوفرت كل المقدمات لهجرة الرسول وأصحابه المسكين إلى حيث يقدم هؤلاء إلى « يثرب » وكانت هذه الهجرة مفتاح النصر الذي وعد الله رسوله .. وأصبحت هجرة كل مسلم من بلد الشرك والكبت ومصادرة الحريات ضرورة لازمة . وعلامة مميزة لإسلامه ، وبعبارة أخرى أصبح طلب الحرية وإثارتها على الكبت والضغط والمصالح الشخصية عنوان الإسلام في كل شخص يعتنق الإسلام .. حتى إذا أذن الله بفتح مكة ودوت في أرجائها كلمة التوحيد وزال عنها كابوس الاستبداد . ومرى في جوها نسيم الحرية لم

في سبيل الحرية حرية الدعوة والداهي وأتباعه خرج الرسول إلى الطائف وتحمل ما تحمل فيها وفي هودته إلى مكة لم يكن يريد إكراه أحد ولا كان يملك وسائل الإكراه وإنما كان الذي يلتصقه ويبحث عنه هو الجو الحر لدعوته وللمؤمنين بها يؤدون شعائرم دون أن يصادر أحد حريتهم أو يعتدى عليهم . ولكنه مع الأسف لم يجد ما يريد في الطائف وحاد إلى مكة ليشهد عليه الضغط وتدخل الدعوة في هلق الزجاجة كما يقولون ويبدو للشركيين أنهم ناجحون في خفقتها والقضاء على أتباعها .. وقد خلا الجو لهم ليفعلوا ما يشاءون .

ولكن هل يستسلم الرسول لهذا ؟ كلا إنه لم يستسلم وما كان له أن يفعل ذلك وهو صاحب رسالة من الله ، إن الظلام الذي يشتد دائماً حول أصحاب الرسالات يحلمهم على الجسد في التماس النور . والعقبات التي تكثف حياتهم وتوهم الطريق أمامهم تحفزهم للتعلم عليها واجتيازها وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم .

فقد أخذ يتلبس متنفساً حراً في عرض دعوته على رجال القبائل في موسم الحج . لم يثنه عن ذلك تقبع قريش وسفاتها له والناس كلها رأوا أهله وعشيرته يكذبونه

يعد للهجرة مكانها السابق في الإسلام . حيث لم تعد المدينة وحدها قلعة الحرية التي يلجأ إليها الأحرار . . وأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم ألا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه .

* * *

تلك هجرات ثلاث قام بها الرسول وصحباؤه في سبيل البحث عن الحرية وكان لكل هجرة توضيحاتها وآثارها . . ولو ذهبنا نقوم هذه الهجرات بتوضيحاتها ومرارتها وقسوتها لكانت هجرة الحبشة أشدها مرارة على أصحاب الرسول . . وكانت هجرة الطائف أقسامها على رسول الله . . ثم كانت الهجرة إلى المدينة على

ما فيها أخفها مرارة وقسوة عليه وعلى أصحابه فهم قد هاجروا إلى أرض عربية فيها إخوان لهم في العقيدة آمنوا بمجايتهم وقاسمهم حظوظهم في الحياة واستقبلوهم أكرم استقبال . . ومع ذلك كانت أبعد هذه الهجرات أثرا في نشر الإسلام وإعلاء كلمته ؛ ومن أجل هذا كان لها الأثر العظيم في نفوس المسلمين وكانت بدءا للتاريخ الهجري الإسلامي الذي يجب أن يعتز به المسلمون اعتزازهم بدينهم وبأثر هذه الهجرة في انتصاره وانتشاره حتى أصبحوا بفضل الله مسلمين .

عبد المنعم النمر

أدب الحديث والاستماع

قال بعض الحكماء لابنه : قلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث ، ولتعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول ، فاحذر أن تسرع في القول فيما تحب الرجوع عنه بالفعل ، حتى يعلم الناس أنك على فعل ما لم تقل أقرب منك إلى قول ما لم تفعل .

العبرة من الهجرة

للدكتور أحمد فؤاد الالهوانى

ومن الظواهر النفسية أن الصبي إذا شعر بانعدام الحنان في الأسرة ، سواء لأن والده يضربه بغير ذنب واضح ، أو يكون قد تزوج امرأة غير أمه تسومه سوء العذاب ، فإنه يخرج من بيت الأسرة هائماً على وجهه ، يهجر أهله وموطنه . وهذا الفعل من الصبي أشبه أن يكون بغير تدبير أو شعور . وكلما شب الصبي عن الطوق ، ودخل في طور الرجولة ثم السكولة ، يصعب عليه الهجرة وترك الموطن ، بحكم الاحتياج ، وجود العادة مع طول الزمان .

وأبرز الظن أن حب الوطن ، والدفاع عنه ، إنما نشأ عن هذه العاطفة التي صورناها ، والتي تشبه أن تكون من الطباع الثابتة . لذلك كان إخراج شخص من داره ، أو موطنه ، أو ببلده ، أمراً عظيم المشقة على النفس ، يكاد يكون عقوبة من أقصى العقوبات .

ومن أجل ذلك كانت هجرة الرسول والذين معه من أسلوا حدثاً نفسانياً شديد الوقع إذ الطبيعة البشرية تقضى بحب الدار والبلد والوطن . ونحن نعلم أن كثيراً

لهمجرة معنى مادي هو الخروج من بلد إلى آخر أو أرض إلى أخرى . وهذا المعنى هو الأصل ، وليس ما يدعو إلى البعد عنه وأصلنا تأويل غريب ، من مثل ما يقال إن الهجرة ترك الحاصل المذمومة ، أو العزلة عن الخلق والاتصال بالنفس ، أو الهجرة إلى الله .

إن طبائع الحيوان مختلفة ، منها ما يلتصق بالأرض ويألف المكان لا يبرحه . ومنها ما يألف حيواناً آخر أو إنساناً ، ليصحبه أينما ذهب ، أو حل وارتحل . ومنها ما يهاجر مسافات شاسعة مثل بعض الطيور في مواسم معينة ، وبعض الأسماك ، ولكن الإنسان يألف المكان ، ويستقر بالأرض يتخذها له وطناً ، ويشق عليه الارتحال عنها ، فإذا هاجر كان الدافع إلى ذلك الاضطراب ، ويشته به الحنين إلى الأوطان ، وبخاصة إذا ترك موطنه كبيراً . وإنما كان فراق البلد عزيزاً شاقاً لأن المهاجر يبتعد عن الأهل والأصحاب والرفاق والأحباب ، وفي رحابهم يجد الأمن ويلمس في قلوبهم الراحة والحنان .

الظهيرة يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره ،
ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ،
ويقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ،
أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى .
رأه أبو بكر يعذب ، فقال لأمية بن خلف :
ألا تتق الله في هذا المسكين؟ فقال أنت أفصده
فأبعده . قال أبو بكر : عندي هلام على
ديفك أسود ، أجلد من هذا ، أهطيكه به .
قال أمية : قبلت ، فأعطاه أبو بكر غلامه ،
وأخذ بلالا فأعنته ، فهاجر ، وشهد
المشاهد مع الرسول .

ومنهم عمار بن ياسر الذي نزلت فيه
الآية : **د** **إ** **ل** **أ** **م** **ن** **أ** **ك** **ر** **ه** **و** **ق** **ل** **ب** **ه** **م** **ط** **ع** **ن**
بالإيمان ، ، ذلك أن المشركين اشتدوا
في تعذيبه ، وقتلوا امرأته ، ولما شددوا
عليه العذاب ، وقالوا له : لا تترك حتى
تسب محمداً ونقول في اللات والعزى خيراً .
اضطر أن يفعل كما أمره فلما تركه ذهب
إلى النبي يبكي وقص عليه ما وقع له . قال
الرسول : فكيف تعبد قلبك ؟ قال : أجهده
مطمئناً بالإيمان . فقال يا عمار ، إن عادوا
فعد ، فأنزل الله تعالى : **د** **إ** **ل** **أ** **م** **ن** **أ** **ك** **ر** **ه**
وقلبه مطمئن بالإيمان .

والصبر على الأذى أول عبادة مستفاد
من الهجرة .
وهو أقل مشقة من الهجرة . لأن

من الناس إذا واجهوا ظروفاً مثل تلك
الظروف التي واجهها النبي عليه السلام
والذين آمنوا ، يقبلون الضيم ولا يتمسكون
بالمعاقد الصحيحة التي ورثوها ، مؤثرين
البقاء في أرض الوطن على الغربة منه ،
والابتعاد منه ؛ ابتغاء الحرية الصحيحة
للنفس ، وقد صور الشاعر هذه النزعة
المتحررة التي ترجح لإكرام النفس وإعزازها
وإعلاء شأنها بقوله :

د **و** **ف** **ي** **الأرض** **منأى** **للكريم** **هن** **الأذى** . .
ولقي النبي والذين آمنوا من المشركين
ألواناً من الإيذاء والتعذيب . وكان بعض
أوائل الذين أسلموا يحدون في قبائلهم من
يجهريهم ؛ أما المستضعفون ، ممن سبقوا إلى
الإسلام ولا هشائر لهم تمنعهم ، ولا قوة لهم
يمنعون بها ، فإن المشركين جعلوا
يحبسونهم ، ويضربونهم ، ويعذبونهم
بالجوع والعطش ، ورمضاء مكة ، والنار ،
ليفتنهم عن دينهم الجديد ، ففهم من يفتن
من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالإيمان ،
ومنهم من يبقى صامداً صابراً في انتظار
فرج الله ورحمته ، ومنهم من يتراجع
ويتحول بتأثير الخوف والإرهاب .

ومن هؤلاء المستضعفين الأوائل بلال
ابن رباح الحبشي ، كان مولى لأمية
ابن خلف ، فكان إذا حيت الشمس وقت

على رأسه عليه السلام ، وكان بعضهم يطرح عليه ما في أمعاء الشاة وهو يصلي . فلما اشتد عليه الأذى خرج ومعه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف النصر ، فأبى سادتهم وسخروا منه . فلما يئس ، وطال به العذاب ، توجه إلى الله قائلاً : (اللهم إني أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس . اللهم يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهنني ، أو إلى عدو ملكته أمرى ...) .

والمغزى من هذه الشكوى يتفق مع الحقائق النفسية التي أوحىها من قبل ، فهو واقع بين أمرين أحلاهما مر ، إن بقي في أرضه عذبه قومه واعتدوا عليه ، وإن خرج عن أرضه وهاجر إلى قوم غرباء يتجهمون له . فكيف المخرج من هذا المأزق؟ أخذ النبي يعرض نفسه على القبائل ، فيتعقبه أبو لوط ويصدمه عنه . ثم عرض نفسه - لما أراد الله إظهار دينه وإنجاز وعده - على بعض قبائل يثرب في الموسم الذي لقي فيه بضعة نفر من الخزرج ، فأسلبوا ، وعادوا إلى المدينة يدعون قومهم إلى الإسلام ، وزاد عدد المسلمين في الموسم الثاني وفشا الإسلام بين الأنصار . وبذلك مهد الأمر

الهجرة تنزل بالخارجين من ديارهم على قوم لا أحد يدرى أيقبلون هؤلاء النازلين الطارئين عليهم أم لا ، فضلاً عما يحسونه من غربة بين ظهرائهم . وقد رفض كثير من القبائل أن يجيروا المهاجرين .

فلما ضاق أصحاب النبي بما هم فيه من بلاء ، رأى النبي أن يهاجروا إلى الحبشة ، فقد كانت متجر قريش ، يلتمسون فيها سعة في الرزق من التجارة ، ولم بها حرقة ، وكان فيها ملك لا يظلم ، فكانت تلك الهجرة أول هجرة في الإسلام ، غير أنها لم تسكن بده التاريخ ، ولا حدثاً يماثل هجرة الرسول إلى المدينة . ولم يكن هدمهم كثيراً ، قيل عشرة رجال وأربع نسوة ، ومعهم عثمان ابن عفان وزوجه رقيقة ابنة الرسول ، والزبير بن العوام ، وغيرهم .

أخذت دعوة الإسلام تنتشر ، ويزيد عدد المسلمين واحداً بعد واحد ، وازدادت قوة بإسلام رجال من ذوى المكانة والشرف مثل عمر بن الخطاب ، وكان النبي آمناً إلى حد كبير في حياة عمه أبي طالب ، فلما توفي ، كما توفيت زوجته السيدة خديجة قبله ببضعة وثلاثين يوماً ، عظمت المصيبة على النبي ؛ إذ لم يمنع المشركين من إيقاع الأذى به أحد ، حتى لقد بلغ بهم مبلغ نثر التراب

مذكور في كتب السيرة ، ومسجل في كتاب الله من سورة التوبة ، حيث يقول سبحانه وتعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم .

ونستخلص من الهجرة هبرتين حتى الآن ، عبرة من سببها النفسى الذى يقضى بعزة النفس وعدم قبول الضيم ، ولعمري إن الإسلام دين العزة والكرامة . وعبرة ثانية بأنه إذا عقد المرء العزم على الهجرة وصحت نيته فينبغي أن يعد لذلك العدة ، ويتخذ لها الأهبة ، ويدرس الأرض التى سينزلها ، والقوم الذين سيعاشرهم حتى لا يخرج من نكبة إلى نكبة أشد .

والعبرة الثالثة نستخلصها بعد الهجرة . لقد هاجر النبي من جماعة لها تقاليدها إلى جماعة أخرى تختلف تقاليدها وطبائعها عن أهل مكة . والاندماج فى الجماعة الجديدة يحتاج إلى سياسة فطن لها النبي بنفاذ بصيرته وبالغ حكمته وتأيد الله وهدايته له . وفى التاريخ أمثلة كثيرة لجماعات نزالت فى مجتمعات ولم تندمج فيها على الرغم من مرور زمن طويل يبلغ أجيالا وأجيالا ، وتظل كل جماعة محتفظة بمقوماتها وشخصيتها وتقاليدها وروحها ، وذلك كالحال فى الزوج

للحجرة ، وأعدت لها الظروف الملائمة . فلا يكنى أن تكون الهجرة مجرد أمل فى الخيال ، بل ينبغى أن يعرف المهاجر أين ينزل ، وكيف يستقبل ، وهل يجد أهلا بأهل ، ويسكون آمناً مطمئناً ، ومتفقا فى الآراء والمعتقدات مع القوم الذين سيهاجر إليهم . وهذا ما فعله النبي مع الأنصار إذ اجتمع فى بيعة العقبة الثانية أكثر من سبعين من الأنصار ، خرجوا ليلاً مستخفين يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة ، وجاءهم النبي ومعه عمه العباس ، وهو مشرك ولكنه أحب أن يستوثق لابن أخيه ، فسكلم فقال لهم : إن محمداً منا حيث قد علمتم فى عز ومنعة ، وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم ، فإن كنتم ترون أنفسكم تفون بما دعوتوه إليه ، وما نفعوه ، فأتهم وذلك ، وإن كنتم مسلوبوه فن الآن فدهوه ، فإنه فى عز ومنعة .

فهذه هى العبرة الثانية من الهجرة ، أن يكون المهاجر على بينة وبصيرة وتدبير . ثم أمر النبي أصحابه بالهجرة إلى المدينة وتتابعوا واحداً إثر آخر حتى لم يبق إلا النبي وقلة قليلة ، منهم على بن أبى طالب وأبو بكر . وقد حذرت قریش خروج النبي ، فاجتمعوا فى دار الندوة يقشاورون ، وانتهى رأيهم إلى أن يجتمعوا على قتله فيضربوه . وفى ليلة الهجرة نام على بن أبى طالب فى فراش النبي واتشح ببرده ، وخرج النبي مع أبى بكر ، كما هو

وإذابة الجماعات المتنافرة عن طريق الجسد والمادة . ولما كان الإسلام دين مساواة ، لا فرق فيه بين أعجمي ولا عربي إلا بالتقوى ، ولا فرق بين أسود وأبيض ، ولا بين سيد وعبد فلم يكن المسلم يأنف من الزواج بنجمية ، أو حبشية ، أو مولى ، لأن الكل في نظر الله سواء . إن الامتناع عن الزواج يحمل في طياته ضرباً من التعالي والطبقية ، ولقد انتشر الإسلام في ربوع الأرض شرقاً وغرباً حين كان المسلمون الأوائل لا يتحرجون من الاندماج ، مع غيرهم بطريق الزواج ، اتباعاً لما سانه الرسول عليه السلام بعد الهجرة لتأليف بين المهاجرين والأنصار .

وهل قنع النبي والمهاجرون بعد الهجرة إلى المدينة بالاستقرار فيها ، والاطمئنان إلى حياتهم الجديدة ؟ كلا ، فما زال حنينهم إلى ديارهم مشتعلاً في جوانب قلوبهم ، حتى تحقق أملهم بفتح مكة . ولقد فتحت مكة أبوابها تستعيد إليها ابنها البار الذي ارتفع اسمه نبياً ورسولاً في أرجاء شبه الجزيرة العربية لييماناً بالحق لا خضوعاً للسيوف . وطهر النبي مكة من الأصنام ، ونشر فيها ديانة التوحيد ، وأعلى كلمة الله ، ولا تزال عظة الهجرة باقية على مدى التاريخ شاهدة على العزة والكرامة ، والصمود في سبيل الحق ، والاستتانة طلباً لتحرير النفس .

وكنوز أحمد فؤاد الأهواني

بالولايات المتحدة ، أو القبارصة الأتراك واليونانيين ، وغير ذلك .

وقد عالج النبي عليه السلام هذه المشكلة بأمرين أساسيين ، الأول المشاركة في العقيدة ، والثاني الزواج . ذلك أن الإسلام نفسه كان جديداً على أهل مكة وأهل المدينة ، والدعوة إليه هي الدعوة إلى نبذ عبادة الأصنام والشرك بالله والابتعاد عن الرذائل التي كان أهل الجاهلية ينغمسون فيها . وقد أشرك النبي معه المؤمنون من المهاجرين والأنصار في نشر الدعوة لهذا الدين الجديد ، بأن يعلم المسلم غيره مبادئ الإسلام ، ويتلو ما حفظه من آيات الله التي كان يتوالى نزولها على النبي قرآناً ، ويعلم هذا القرآن غيره ، كما يعلمهم الصلاة ، ويلتزم الجميع أداؤها في أوقاتها .

وكان أول ما عمله النبي بالمدينة أن قام ببناء مسجد للصلاة ، تعاون المسلمون ومعهم النبي في بنائه . وكان قبل ذلك يصلى حيث أدركته الصلاة . وأصبح المسجد منذ ذلك الحين مكان العبادة ، وملتقى المسلمين ، وندوة أمور دينهم ودنياهم ، وفيه يتشاور وإياهم في الشؤون التي تهمهم في الدنيا والآخرة . وفيه يتلقى المسلمون الجدد تعاليم الدين . وعلى الجملة أصبح المسجد رابطة العقد ، والبقوة التي ينصهر فيها المهاجرون والأنصار عن طريق الفكر والعقيدة والقلب والروح . أما الزواج فإنه السبيل إلى الاندماج

الموطأ للإمام مالك

للأستاذ الفاضل بن عاشر

- ٢ -

والمستفتين بين المقيمين منهم والعابرين
وبذلك كثرت الرواية عنه واختلفت أوجهها
وكان كتاب الموطأ نظام ذلك العقد ، وقطب
تلك الدائرة فقد كتب مالك الموطأ بيده ، ثم
وكل به كاتباً له اسمه حبيب ، فنسخه له ، وكان
يقرأه حبيب للناس في حلقة بين يديه وهو
على منصته يسمع ورواد الحلقة يكتبون ،
وأحياناً يقرأ من كتب من إملأ حبيب
لتصحيح ما كتب بسماع مالك إياه وإقراره
عليه ، وفي هذه القراءة يعرض التوقف ،
ويتحرك المطلع ، ويشور السؤال وبقتضى
البيان ، فيكون ما اتصل بالقراءة في كل مجلس
من مسائل وبيانات - غير ما اتصل بالقراءة
في مجلس آخر ، فلذلك كان طالبو التخرج
على مالك ، والتمكون الفقهي به يلازمون
بجلسه ويسمعون الموطأ كله عليه في مجالس
متعاقبة بحسب ما يقتضيه الإنياض على
الكتاب كله من عدد مجالس ، ثم يستمرون
ويعيدون سماعه مرات عديدة ، لأنهم زيادة
على متعة ذلك السماع وفائدة رسوخ الرواية

شاع ذكر مالك بن أنس في عصره فلا
العالم الإسلامي ما بين المشرق والمغرب
وتحدث الناس بعلومه وفقهه ، وتذاكروا
تأليفه الموطأ ، وعجيب تصنيفه له وعظيم
تحريره فيه ، وأحل هذا الشناء ،
مالكا منزلة سامية من الإجلال
رفعه إلى قمتها ، فاشتهر بثباته على الحق
الذي يراه ، وقلة أكرائه بما يناله في
سبيل ذلك الثبات ، وأشرقت هذه التزكية
بشريف نسبته إلى الحرم المديني والأنور
فوصف بفقيه الحجاز وعالم المدينة وإمام
دار الهجرة .

وسرطان ما ضربت الناس إليه أكباد
الأبل ، يسألونه الفتيا ، ويطلبون هذه العلم ،
ويتخرجون بين يديه في الفقه وهو في ذلك
المجلس الرهيب المهيب كما قيل فيه :

يا بني الجواب فلا يراجع هيئة

والسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى

فهو المهيب وليس ذا سلطان

كان مجلس مالك غاصا بالمستفتين والراوين

بالتكرار ، يحدون من مثار المسائل وتكرر الاستيضاحات والاستكشافات ، ما يمكن لهم في طريق الدربة والمران ، على النظر الفقهى ما يكملهم في ما يريدون من تحصيل ملكة الفتيا والاجتهاد .

هذا علاوة على أن لمالك مجلسا آخر ، غير مجلس رواية الحديث ، هو مجلس المسائل الذى يهرع فيه إليه المستفتون ، ويقبل بين يديه طالبو التخرج في الفقه على تقرير الصور واستيضاح الأحكام ، وببحث الأدلة ، وطرق الاستنباط ، وإن تصور هذه المجالس على اختلافها ليصور لنا كثرة الراويين عن مالك ، واختلاف صفة روايتهم ، وتفاوت مقدارها ، قرب رجل جلس بين يديه فاستفتاه في مسألة وسمع جوابه فيها ، ثم انصرف ولم يلقه بعد فحدث بما سمع من مالك فعد راويا عنه ، ورب رجل آخر أتى المدينة زائرا قصد مجلس مالك ما اتسع له مقامه في المدينة فحضر أيا ما سمع فيها من الموطأ ، ومن غير الموطأ من الأحاديث والمسائل ما أصبح به من الرواة عن مالك ، بله الذين أتوا قاصدين مالمسكا لسماع الموطأ سماع رواية كاملة متقنة مضبوطة محققة حريصين على استعادة الرواية وتكرارها ، أو الذين أتوه طالبين الفقه متملذين له فيه حريصين على مواصلة العمل بالدربة والمران حتى يأنسوا من أنفسهم

ويأنس هو منهم رسوخ الملكة الفقهية والتأهل لممارسة الاجتهاد ، كما هو الشأن في التخرج العلمى الأعلى بين يدى الأساتيد ، لمن يريد الالتحاق بصنفهم وهذا يوضح لنا ، أن رواية الموطأ عن مالك بن أنس ليسوا عامة الذين سمعوا منه ورووا منه ، ولا خصوص أصحابه ، من أتباع مذهبه المتفقهين بفقهه القائمين بعده بالتفريع الفقهى على طريقته ، فلقد روى الموطأ عن مالك كثير من لم يتقلد مذهبه ، ولا أخذ بأصوله الفقهية لتحصيل ما فى الموطأ من الأثر الصحيح ، والحديث الموثوق به ، فاتحها وراء ذلك الباب للنظر فى ما فى الموطأ من فقه مستنبط وأحكام مجتهد فيها ليوافق ذلك أو يخالفه .

وقد عقد القاضى عياض فى المدارك فصلا طويلا لإحصاء الرواة المشاهير عن مالك من غير الفقهاء على مذهبه ، وغير الذين ترجمهم فى المدارك باعتبارهم مالكية ، اشتمل ذلك الفصل على أكثر من ألف ليس فيهم مالكي ترجم له فى المدارك من بعد ، وقال عقب ذلك تركنا كثيرا ممن لم يشتهر بذلك أو جهل ولم يعرف من هو أو لم يذكر له عنه رواية إلا حكاية حال ، أو وصف قصة ، أو ذكر فى رواية ولم تصح روايته عند أهل المعرفة بالأثر .

هذا علاوة على أن لمالك مجلسا آخر ، غير مجلس رواية الحديث ، هو مجلس المسائل الذى يهرع فيه إليه المستفتون ، ويقبل بين يديه طالبو التخرج في الفقه على تقرير الصور واستيضاح الأحكام ، وببحث الأدلة ، وطرق الاستنباط ، وإن تصور هذه المجالس على اختلافها ليصور لنا كثرة الراويين عن مالك ، واختلاف صفة روايتهم ، وتفاوت مقدارها ، قرب رجل جلس بين يديه فاستفتاه في مسألة وسمع جوابه فيها ، ثم انصرف ولم يلقه بعد فحدث بما سمع من مالك فعد راويا عنه ، ورب رجل آخر أتى المدينة زائرا قصد مجلس مالك ما اتسع له مقامه في المدينة فحضر أيا ما سمع فيها من الموطأ ، ومن غير الموطأ من الأحاديث والمسائل ما أصبح به من الرواة عن مالك ، بله الذين أتوا قاصدين مالمسكا لسماع الموطأ سماع رواية كاملة متقنة مضبوطة محققة حريصين على استعادة الرواية وتكرارها ، أو الذين أتوه طالبين الفقه متملذين له فيه حريصين على مواصلة العمل بالدربة والمران حتى يأنسوا من أنفسهم

والتهميد لها في الموطأ من المعاني والأسانيد ،
 مثل رواية الإمام الشافعي ، ورواية سعيد
 ابن عقيرة ، وأما ما هو موجود من روايات
 الموطأ كلا أو بعضا ، فأقصى ما بلغ إلى علنا
 من ذلك تسع روايات أقدمها وأجلها رواية
 هلي بن زياد التونسي وهو أول من روى الموطأ
 عن مالك بنونس في حياة مالك ولا يعرف
 من هذه الرواية إلا قطعة يسيرة محفوظة
 بالمكتبة العتيقة بجامع عقة بالقيروان ورواية
 عبد الرحمن بن القاسم العتيقي المصري ، وتوجد
 منها قطعة ذات بال برواية الإمام سخون عنه
 هي أيضا ، مما اشتملت عليه مكتبة الجامع
 الأعظم بالقيروان ، واهتم الإمام أبو الحسن
 القاسمي القيرواني في القرن الرابع بتلخيص
 الأحاديث النبوية من هذه الرواية من مرفوع
 وموقوف في كتاب سماه الملتخص يوجد كاملا
 في المخطوطات ، ورواية عبد الله بن وهب وهي
 في كتابه الذي شمل روايته عن مالك وغيرها
 ويعرف بجامع ابن وهب وتوجد منه قطعتان
 بالمكتبة العتيقة بالقيروان وقد كان طبع منه
 جزء أن بالتصوير عن نسخة قديمة جدا وجدت
 بالصعيد المصري ، ورواية أبي مصعب الزهري
 يوجد منها جزء بالقيروان أيضا ، ورواية
 عبد الله بن مسلمة القعنسي توجد قطعة منه ببعض
 المكتبات الخاصة بتونس ، فهذه خمس روايات

وهذا يفصح عن كون رواية الموطأ ليسوا
 من المالكية التزاما ، وأنهم رواية حديث كان
 اختلافهم بين مالكية وغير مالكية ، وبين
 موافقين على ما في الموطأ من فقه ، ومخالفين
 آية ذبوع وانتشار للموطأ ، ما كانت لتتحقق
 لو اقتصر روايته على رجال مذهب فقهي
 واحد ، وقد عني الخطيب البغدادي في القرن
 الخامس بإحصاء رواية الموطأ فبلغوا قريبا
 من الألف ، وقال القاضي أبو بكر بن العربي
 روى الموطأ عن مالك من أصحابه ألف
 أو يزيدون .

وهذه الروايات على كثرتها ، منها - وهو
 الغالب - ما لا يعرف عنه إلا الذكر ، ومنها
 ما بقي أثر الرواية عنده والوقوف عليه ، في
 القرون الماضية ، ولا توجد عينه اليوم ومنها
 - وهو الأقل - ما لم تزل نسخته موجودة إلى الآن
 تامة أو ناقصة ، شهيرة أو خفية ، فمن روايات
 الموطأ التي بقي أثرها بالذكر والرواية فقط
 رواية عبد الله بن يوسف التنيسي الذي يروي
 عنه الإمام البخاري ، والذي أدرج من طريقه
 أكثر أحاديث الموطأ في صحيح البخاري ،
 وهو الذي يقول فيه البخاري . حدثنا عبد الله
 بن يوسف قال حدثنا مالك ، ومن الروايات
 المعروفة ذكرنا فقط أيضا ، ما وقف عليه
 الحافظ أبو عمر بن عبد البر وذكره في كتاب

كان يحيى بن يحيى ، أندلسى صعيديا من سلائل البربر الذين دخلوا شبه الجزيرة ، في الفتح الإسلامى ، مع العرب . وكان ذكر مالك بن أنس وموطأ قد اشتهر ، والرحلة إلى المدينة لرواية الموطأ قد صحت ، ويحيى بن يحيى لم يزل فى مبتدأ طلبه العلم بالأندلس ، فأخذ من علم مالك وفقهه عن الذين كانوا سافروا إليه ، فى المدينة ، من فقهاء الأندلس وخاصة عن زياد بن عبد الرحمن . وروى يحيى الموطأ عن زياد فى قرطبة وكان زياد قد سمعه من مالك بالمدينة . فامتثل يحيى إعظاما لمالك وشغف بعله وفقهه وهديه . وأشار عليه شيخه زياد بالرحيل إلى مالك وأخذ الموطأ منه ، ما دام حيا . فاتبع يحيى بن يحيى مقتضى همته السامية ، وامتثل لإشارة شيخه . فخرج من الأندلس يشد الرحلة إلى المشرق ، وانتهى إلى المدينة فلقى مالكا ، وأقبل على ملازمته إقبالا عجيبا ، على نحو ما كان له من شوق إليه وتعلق به عن ظهر الغيب .

وكان اتصال يحيى بمالك قد تقرر واستمر حتى السنة الأخيرة من حياته وبذلك اجتمع من شدة اهتمام يحيى بالرواية وإتقانها ، وحرصه لإقباله على مالك وكثرة ملازمته له ، إلى كونه آخر الرواة عنه أخذا للوطأ ، بعد كل ما تعاقب على الموطأ من تهذيب وتنقيح

فى الموطأ لا نعرف منها إلا نسخا ناقصة هى على بن زياد وابن القاسم وابن وهب وأبو مصعب والقعنى . وهناك أربع روايات أخرى توجد تامة منها ثلاث طبعت وواحدة بخطوطه لم تطبع أما التى لم تطبع فهى رواية سويد بن سعيد العدناني وهى موجودة بالمكتبة الظاهرية فى دمشق ، وعندنا بقونس نسخة منقولة عنها وأما التى طبعت من روايات الموطأ : فهى رواية يحيى بن يحيى الليثى المسعودى الأندلسى ورواية الإمام محمد بن الحسن الشيبانى صاحب الإمام أبى حنيفة ، ورواية يحيى بن البكير . فرواية الإمام محمد بن هادى أوضح مثل لمن روى عن مالك من غير أتباع مذهبه وفيما يبين محمد ما خالف فيه مالكا من الفقه ويثبه على ما ليس من رأى أهل العراق وهو مطبوع بالهند وأما رواية يحيى بن البكير فقد طبعت بالجرائد عن نسخة أصلية لها نظير بمكتبة القرويين بفاس رواها عبد المؤمن بن على عن المهدي بن تومرت بسنده إلى يحيى بن عمر الحكمانى دفين سوسه عن يحيى بن بكير وقد اتبع المهدي بن تومرت كلام مالك بخلاف وفاق ، واعتبر روايته مسaire للوطأ ، أما رواية يحيى بن يحيى الليثى فهى المشهورة المتداولة التى اتصلت بها الأسانيد وكتبت عليها الشروح .

سماعات وتفرعت أسانيد . وعن كل أصل كتابي من أصول هذه الطرق أخذت نسخ ، وقوبلت وحقت ، واتلقت بالمناولة واشتهرت ثم عورض بعضها ببعض ، وضبط ما بينها من اختلاف وتفاوت ، في نسخ متقنة مدققة ، كتبت بخطوط أهل الرواة ، وأئمة العلماء فأصبحت مرجعاً للناس ومعولاً يطمثون بها إلى النقل الصحيح ، والضبط الصحيح وتدور بها الروايات على محور من التثبت صماده الخط وثقافة الصباح ثم تخلق إلى أنق الفهم ، والبحث والكشف للبعاني والنقد ، والزجيج مما جعل كتاب الموطأ أصلاً لحزارة كاملة جلية من كتب الفقه والحديث تعتمد كلها على رواية يحيى بن يحيى ، إما لإفرادها في الأكثر ، وإما جمعاً لها مع غيرها في الأقل .

وتسكاد هذه العناية بدراسة الموطأ ، وتمحيصه ، وضبط نسخه تشول في معظمها إلى الإمام الفقيه المحدث أبي عمر بن عبد البر القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ فلقد اهتم بضبط رواية يحيى بن يحيى من طريق ولده عبد الله ، وكتب نسختها بخط يده وصححها بالمقابلة فكانت أصلاً عظيماً للروايات الموثوق بها والنسخ المعتمدة ثم كان ابن عبد البر في طليعة الخائفين فصار الشرح والتخريج والمجلى في ذلك الميدان بما كتب على الموطأ من

متواصلين طيلة حياة مالك ورضي الله عنه ، مما جعل رواية يحيى للموطأ أهم الروايات وأجودها بالقبول . فاهتبرت أوثق روايات الموطأ وأثبتها ، وأجلها وأوعها . ورجع يحيى إلى الأندلس بهذا الكنز الفريد من العلم ، وعرف الناس فضل ما فاز به يحيى فعملوا برواية الموطأ عنه ، وطلبوه من طريقه حتى أصبحت أكثر الأسانيد في رواية الموطأ مقتصرة على رواية يحيى بن يحيى ، وأغلب ما كتب على الموطأ مبنياً على رواية يحيى . وبذلك فإن الموطأ ، بعد أن كان مشرقياً مديناً بوضعه ، أصبح أندلسياً مغربياً بما أخذه وانتشاره ؛ إذ علاصيت موطأ يحيى فأقبل الناس عليه حتى انقطعت سلاسل الإسناد بالروايات الأخرى واتصلت برواية يحيى ، إلا ما يرجع إلى موطأ الإمام محمد بن الحسن وموطأ ابن القاسم ، من طرق غير مشهورة ولا منتشرة .

وكانت الطرق التي ترجع بالأسانيد في الموطأ إلى يحيى بن يحيى منتهية كلها إلى قرطبة ؛ لأن الموطأ لم يؤخذ عن يحيى في غيرها .

ومرجع هذه الطرق كلها إلى ثلاث هي :

طريق عبد الله بن يحيى بن يحيى .

وطريق محمد بن وضاح ، وطريق محمد العتيبي .

ومن كل طريق من هذه الطرق تعددت

إلا أن أكثر ما ذكر من ذلك لا تعرف له اليوم عين .

وإن أهم ما يضارع صنيع ابن عبد البر متقدما عنه أو معاصرا له إنما يظهر في تصنيفين جليلين على الموطأ .

الأول في الناحية الحديثية وهو كتاب مسند حديث الموطأ واختلاف لفظه وتغير غويبه وتسمية رجاله وتاريخهم وعدد من فيهم من الصحابة من الرجال والنساء وما لكل من الأحاديث ومن التابعين ، تصنيف أبي القاسم الغافقي المصري من رجال القرن الرابع وهو كتاب عجيب توجد منه نسخة فريدة في استانبول .

والكتاب الثاني كما يذكر إلى جانب كتب ابن عبد البر هو معاصر له في الوضع وهو شرح على الموطأ لمعانيه وأحكامه بالتعليق على لفظ الموطأ صنفه أبو الوليد الباجي الأندلسي المتوفى سنة ٤٧٤ هـ وسماه (المتقى) لأنه لمحه من شرح أوسع سماه الاستيفاء وكتاب المتقى مطبوع في صبع مجلدات .

أما الذين تتابعوا على خدمة الموطأ بعد هذين الإمامين ابن عبد البر والباجي ، فيأتي في مقدمتهم القاضي أبو بكر بن العربي بشرحيه الاثنين اللذين جعل أحدهما إملأ على الأبواب وجما لما فيها من الآثار وسماه (القبس على موطأ مالك بن أنس) وهو موجود في المخطوطات ونسخه متعددة وشرحه الآخر

ناحيته الفقهية والحديثية فقد كتب عليه شرحا للفقه والمعاني سماه (الاستنكار) وألف كتابا في ما في الموطأ من الأحاديث المسندة والمرسلة رتب على أسماء الرواة سماه (التقصى) وألف كتابا جامعا للناحيتين معا سماه (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) فكتاب الاستنكار لا يعرف عنه إلا الذكر وإلا تلخيصا يجمع بينه وبين المنتقى لأبي الوليد الباجي تصنيف ابن زرق الأشبيلي من رجال القرن السادس وتوجد نسخة خطية منه بتونس وكتاب التقصى مطبوع وسمي غلطا باسم التمهيد وكتاب التمهيد هو من الموسوعات الجليلية وتوجد منه نسخة كاملة في أحد عشر مجلدا باستانبول .

على أنه إذا كان فضل ابن عبد البر في خدمة الموطأ نصا ومعنى قد قلد مزبته رقاب أهل القرون التالية له من القرن السادس فما بعده ، فإن هذا لا يغطي على ما للبتقدمين على ابن عبد البر والمعاصرين له من فضل ، تقلده ابن عبد البر وغيره وإن كان غير ابن عبد البر قد قل أن يجمع ما لابن عبد البر من أثر في خدمة الموطأ على اختلاف نواحيه فهذا القاضي عياض في المدارك يذكر شروحا للموطأ وكتبا تفسر غريبه وترتب الرجال المتقدمة على ابن عبد البر بله المعاصرة له .

وباهتمام ابن حجر تهركت هممة رجال الحديث من المصريين والشاميين للاهتمام بالموطأ ، فألف الامام الكبير جلال الدين السيوطي على الموطأ ثلاثة تآليف في القرن التاسع ، شرح سماه (كشف الغطاء) وآخر سماه (تنوير الحوالك) وهو مطبوع وكتاب في رجال الموطأ وضبط أسمائهم ومختصر تراجمهم سماه (إمعاف المبطل) وهو مطبوع أيضا . وألف الشيخ زين الدين الشمام الحلبي في القرن التاسع أيضا شرحا اختصره من المنتقى لأبي الوليد الباجي .

ومع ذلك فإن هذا الاعتناء لم يكتب له الذبوع الكامل حتى إن العلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني الأزهرى في صدر القرن الثامن عشر لاحظ أن الموطأ مهجور بمصر وأن شروحه هزينة فأنصرف إلى تدريسه بالأزهر الشريف وإلى كتابة شرح نفيس عليه طبع مرات متعددة هو الذي أحيا به الموطأ بعد الاندثار . وعليه اعتمدت دراسات الموطأ إلى اليوم وبه زاد استقرار الموطأ على رواية يحيى لأنها الرواية التي بنى عليها الإمام الزرقاني شرحه كما بغيت عليها الشروح السابقة .

الفاضل به هاشور

تونس

الذي جعله تبعا للألفاظ وبيانا لمعانيها وتوضيحا لأحكامها وسماه (ترتيب المسالك على موطأ مالك) وهو من المخطوطات النفيسة النادرة وتوجد منه نسخة - فيما عرفنا - بتونس .

ولعل انصراف الفقهاء إلى التفريع وانصرافهم عن الأصول هو الذي حال بينهم وبين الاهتمام بشرح الموطأ إذ عني فقهاء المالكية بالمدونة والمختصرات وأقبل أهل الحديث على صحيحى البخارى ومسلم وإن بقي ذكر الموطأ شائعا بالرواية والإسناد والرجوع إليه وإلى شروحه في تأصيل المباحث الفقهية .

فكان الشيخ محمد بن هارون الطائى القرطبي ثم التونسي مشهورا برواية الموطأ وعلو الإسناد فيه ، وهو الذى كان يعقد مجلسه لذلك بجامع الزيتونة الأعظم في القرن السابع .

وكان تلميذه الرحالة الشهير محمد بن جابر البادياشى القونسى الذى حدث به عنه في المغرب والمشرق وإليه ترجع معظم أسانيد وأعلامها ، ومن طريقه يرويه الحافظ ابن حجر المصرى في القرن التاسع من بن عرفة وابن خلدون .

نفحات القرآن

موازنات القرآن بين المنافقين وأهل الإيمان للمسند عبد اللطيف البكي

فإنه القرآن ، يهدي التي هي أقوم .
وقد سار بنا القرآن في حديثه عن المنافقين
أشواطاً بعيدة ، وذكر لنا من مخازيهم قدراً
غير ضئيل .

وهو الآن يقول عنهم : المنافقون ،
والمنافقات بعضهم من بعض ، فهم في حكم
شيء واحد ، لا يختلف في جنسه ، ولا في
شكله ، ولا في آثاره الناجمة عنه .

فهم على وضع واحد في تخلفهم عن الخير
كله ، وفي ميزان أعمالهم ، وهم على قدم واحدة
في الوعيد ، وصوء الجزاء عند ربهم .

هم يأمرن بالمنكر الذي يأباه الله ،
ورسوله ، ويخرج منه العقل الراجح
وهم يكذبون ، ويغدرون ، وبفجرون ،
وهم يراءون ، ولا يقنصون بالخير ،
ويمسكون أموالهم عن الإحسان ، ويقبضون
أيديهم عن الجهاد ، وهن كل معروف .

والمنافقون والمنافقات : بعضهم من بعض
يأمرن بالمنكر وينهون عن المعروف ،
٦٧ توبة : والمؤمنون والمؤمنات : بعضهم
أولياء بعض ، يأمرن بالمعروف وينهون
عن المنكر ، ٧١ توبة .

١ - في حديثنا اليوم نجد للقرآن تشخيصاً
غير هين للمنافقين : فيما بينهم من تشابه فيما هم
عليه من النقائص .

ونجد له في مقابلة ذلك تشخيصاً كريماً
للمؤمنين فيما ينتظمهم من الولاء الحميد ،
وما هم عليه من فضائل مشكورة .

ونود أن تكون نظارتنا في الجانبين نظرة
تفقه ، وموازنة ، واعتبار . لا مجرد نظر
قصصى في شئون نزهتها بعيدة عنا ،
أولا لا تتصل بنا .

فإن كتاب الله لا يتجه بنا إلى مجرد الحكاية
بل وجهته في كل ما يبديه هي إفاقتنا بلفت
نظرتنا إلى ما جرى ، أو يجري على غيرنا ،

الذين أخذهم جميعا عذاب الله في الدنيا ،
فضلا عما يستقبلونه في الآخرة ...

هؤلاء جميعا استمتعوا بحظهم في دنياهم
على ما شاءت لهم نفوسهم ، وأهواؤهم
وخاضوا في الباطل بقدر ما كان لهم
من قوة ، ومال ، وأولاد ومع هذا الطول
من أسباب الهوان الذي فاق ما اغترت به قريش
ومنافقو اليهود والنصارى في عصر الإسلام
فقد حاق بهم ما حاق من هلاك ، وتدمير
وذهاب من الدنيا .

وحبطت أعمالهم كلها ، فساكن منها دنياها
فقد باء بالخسارة عليهم ولم يبق له أثر
يتنفعون به كما توهوا بقاءه ، بل كان ضرره
عليهم أكبر من نفعه لهم حيث صرفوا مهمهم
في ملذات ثم كانت وبالاً وعذاباً .

وما كان من عملهم خيراً فقد بطل
ولم يكن قربة لهم ؛ لأنه رياء ، وناقص ،
وتكلف وهذا خسران لا يدرك ،
وحرمان لا يطاق وانتهى به أمر أولئك
الجبارين السالفين .

فمنافقو قريش ومن إلهيا من أهواء
الإسلام لا يكون حالهم عند الله خيراً
من أولئك . دأ كفاركم خيراً من أولئكم ،
أم لكم براءة في الزور - المكتوب - أم يقولون
نحن جميع مقتصر . سيهزم الجميع ... ،
في دنياهم ، وآخرتهم .

كل ذلك لفساد ميولهم ، وإعراضهم
عن جانب الله ، وزهادتهم في مرضاة ربه
حقى كان هذه القربات ونحوها غير مشروعة
أو منسية في حسابهم .

فأله تعالى يتركهم لأنفسهم ، ويعاملهم
بمثل ما فعلوا ، وكأنهم منسيون عنده ،
فلا يفتح لهم باب رحمته ، ولا يمنحهم شيئاً
من ثوابه ، لأنهم جنوا على أنفسهم بالخروج
على دين الله ، فهم الفاسقون باختيارهم ،
وإصرارهم ، وهم خير أهل لمرضاة الله ،
فحقت عليهم لعنة الله ، وهددم بوعيده المزعج
أن يكونوا مع الكفار في نار جهنم خالدين
فيها ، وهي جزاء يليق بهم ، وعذابها كفاية
لهم جميعاً ، بل لهم مع هذا العذاب عذاب
آخر يقيم معهم : كالندم الذي يساورهم
ولا ينفعهم ندمهم هذا لفوات وقته . .
وكالطمع في تخفيف العذاب عنهم ، وهم
لا يظفرون بهذا التخفيف ، فقتشد عليهم
الحسرة .

ولم يكن هذا ، ولا بعضه مفاجئاً لهم ...
بل أخبرهم الله به على لسان رسوله وحذرهم
من النفاق ، ومن الوقوع في مهواته .

وكم ضرب لهم الأمثال بالسابقين في الكفر
وفي النفاق : كقوم نوح ، وعاد ، وثمود ،
وقوم إبراهيم وأصحاب مدين وقوم لوط

فأولئك حزب الشيطان .

وهؤلاء هم حزب الله وفرق بين من وصفهم الله بأنهم هم الفاسقون وهم الخاسرون وهم الظالمون ، وبين من جمع الله من مناقبهم الحسن ما جمع ، حتى أكد أنهم في رعايته ، وأنهم هم المفلحون .

وما ظنك بقوم وصفهم ربهم بأنهم أولياء بعض في جانب الحق ، وأنهم على وجهه رسمها الله لهم ، وأنها الوجهة الهادفة إلى الصلاح والنجاح في الأولى والآخرة ، وذكر الله عنهم من المحاسن ما ينبىء عن فضلهم ، ورفع شأنهم .

فقال فيهم : يأمرؤن بالمعروف ، وينهون عن المنكر ... فهم في جانب الدين ، وفي جانب العقل ، وفي طريق الإنسانية الرشيدة . وهم يقيمون الصلاة في ارتياح إليها وغبطة بالمثابرة عليها : فرضاً ، ونقلاً ، ولا يقومون إليها كسالى كما يفعل المرءون بها نفاقاً وتكلفاً .

وفي الصلاة مناجاة لله ، وتجديد للعهد معه في كل وقت ، وفيها استيقاظ لروح الإخاء الإنساني في اليوم الواحد مرات عديدة ، فتكون الصلاة استعانة على الخير ، وتضامناً في الإخاء ، ومقاومة لوسوس الشيطان عند الفرد ، أو بين الجماعة ... كما علينا الله في قوله :
« واستعينوا بالصبر والصلاة ... » .

وكما فعل الله بمن سلف ، سيفعل مع من خلف من المنافقين والكافرين ، فسنة الله قائمة ، وجارية على مقتضى حكمته .

وهذا كله من جنابة الناس على أنفسهم ، وعدم تبصرهم قبل أن تطويعهم الأيام ، وتذهب آمالهم أدراج الرياح ، وما كان الله ليظلم عباده ، ولكن كانوا هم الظالمين ؛ بسوء اختيارهم ، واستسلامهم لكواذب الأمانى ، أو لعلمهم في طول الحياة حتى تكون لهم فرصة الاختيار على مهل من الأيام .

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ... »

وفي هذه الآيات مقابلة بين المؤمنين والمنافقين ، وهي مقابلة بين الضدين فهذا مقام التزكية للمؤمنين ، وتبشيرهم بالنعيم وذلك موقف التدفيع على المنافقين والخط من شأنهم ، وإزاجهم بما يستقبلونه من غضب الله ، وعذابه .

هذا مقام الحديث عن الأصفياء الذين جمعهم الله في إطار المحبة وربط بينهم بالولاء لا بالتعصب في الباطل .

وفرق بين خبث الشيطان ، وانضواء المفسدين وراءه وبين هداية الله ، واعتصام الأخيار بحبل الله .

النعيم في درجاتها المتفاوتة فإن مقام الرضوان عند الله روحى يفوق تلك المقامات الأولى شأوا ومتاعا ، ولا يدرك كنهه غير الله تعالى .

وبهذا المقام تكمل السعادة في رحاب الله لمن اكتمل إيمانه وصلح عمله في إخلاص . وإن يكن الجزاء على العمل الصالح فضلا وعدلا من جانب الله ، فإن الله قد أبى على نفسه أن يقف بنا عند مجرد الجراء بالمثل فحسب .

بل توسع في فضله حتى بلغ عطاؤه مضاعفة الجزاء الحسن إلى عشرة أمثال بل إلى سبعائة مثل ، بل زاد من ذلك إلى قدر لا يعلمه غيره جل ثناؤه .

كما قال - عز سلطانه - : والله يضاعف لمن يشاء .
وكما قال : : للذين أحسنوا : الحسنى ، وزيادة .

وكما قال : : ورضوان من الله أكبر .
ثم قال : : ذلك هو الفوز العظيم ، نعم : هذا هو الفوز العظيم ١١ .

فذلك كله تدليل حق على أن فضله لا يقف عند حد ، وأنه لا يحجبه عن يستحقه في تقدير الله ، وفي حكمته .

وكفى بهذا بيانا من جانب الله ، وتشجيما على التماس فضله في سعة من فيضه .

والمؤمنون يؤتوا الزكاة ، ويبذلون في سبيل الله فعلا يقبضون أيديهم كما قبضها المنافقون ، ولا يفسون أنفسهم في عمل الخير كما نسيها المنافقون .

والشأن فيمن يصلى ، ويبذل المال عن طيب نفس أن يكون مراعى للأمانة الدينية كلها ، وأن يكون متخلقا بالنزاهة عن الغدبة في شخصيته المعنوية .

وهؤلاء جديرون من الله بالبشرى الحقة في قوله تعالى : : وأولئك سيرحهم الله ، وهذا على النقيض من وعيد الله للمنافقين باللعنة ، والفضب وحبوط العمل ، والخلود في النار ، وفي العذاب الآخر المقيم معهم في جهنم ، ولا يفارقهم ، ولا يخفف عنهم .

وحسب المؤمنين أن يشهد لهم الله بالطاعة وأن يعدم بالرحمة .

وأن يكرر لهم ذلك الوعد تفصيلا فيقول سبحانه : : وعد الله المؤمنين ، والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ، أى في أرفع مكان من الجنة .

ثم يضفى عليهم فوق ذلك شأنا فوق كل شأن ، فيقول : : ورضوان من الله أكبر .

فإن يكن الجزاء فضلا وعدلا من الله على الأعمال الصالحة ، وإن تكن الجنات هي مقر

ويؤمنوا حق الإيمان بما دأبنا به : ليكون عملهم مأجورا في الآخرة إلى جانب نفعه في الدنيا .

ومع وجود الإيمان والقيام بما ، افترض الله من عبادات وهي بحمد الله غير مستحمة يكون عمل الإنسان في حرز من الفسق ، أو الإضرار بالغير ، ويكون خيرا محضا ، وإذا لم يكن إيمان فهو عمل للدنيا وحدها وربما تعرض لعمل الدنيا للخسران كأعمال المنافقين ، فيذهب المهر في طغيانه ، ويخرج من حياته ، ومشاغله ، وأهله وماله وجاهه وسلطانه ، وهو خاسر للدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ، والعياذ بالله .

عبد المظيف البكوى

وهل هذا العطاء كله أو بعضه منوط بالعمل الروحي بما يعتد في المعروف عبادة كالصلاة والصوم والزكاة مثلا .

إن الله لم يحظر علينا أن نأخذ حظنا من الدنيا فيما أباح .. ولم يحتم علينا أن نتعاشاها زهدا فيها ، أو كراهية لها .

ولم يجعل حياتنا كلها ركوبا ، وسجودا وعكوبا على المعابد والمهاريب بل فرض من ذلك كله قدرا محدودا . ثم بسط لنا مجال العمل الدنيوي في كل جانب تعم به الدنيا وتوسع به الأرزاق ، وتجلى به الحضارة الإنسانية ظاهرة في نعم الله على عباده .

بل جعل الله كل عمل يراد به الخير داخلا في نطاق التقدين ، متى صحبته نية الخير . واشترط على خصاله أن ينعقلوا دين الله ،

واجب وأوجب

سئل الإمام الشافعي رضي الله عنه ، عن ثمانية أمور :

واجب وأوجب ، وعجيب وأعجب ، وصعب وأصعب ، وقريب وأقرب :

فأجاب بقوله :

لكن ترك الذنوب أوجب
وغفلة الناس عنه أعجب
لكن فوات الشواب أصعب
والوقت من ذاك أقرب

من واجب الناس أن يتوبوا
والدهر في صرفه عجيب
والصبر في المنائب صعب
وكل ما ترتبى قريب

غزوة أحد

بين القرآن والشعر

للدكتور أحمد عبد بدوي

- ١ -

بالهجرة من فوقهم ، وإن رجعوا وجمعوا
خائبين كما جاءوا ؛ ولكن جماعة من المتحمسين
أخذوا يلحون على الرسول أن يخرج إلى القوم
حتى دخل بيته ، ولبس لأمته ، مستعدا
للمركة ، وخرج ومعه ألف من أصحابه ، فلما
كان ببعض الطريق اتخذل عنه عبد الله بن أبي
إسحق بن سلام ، فقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ، وقال لمن
نصحه بالعودة إلى معسكر الرسول : لو نعلم
أنكم تقاتلون لما أسلماكم ، وكلنا لا نرى أنه
يكون قتال .

ومضى الرسول في سبعائة مقاتل ، حتى نزل
الشعب من أحد ، وجعل ظهره إلى الجبل ،
وقال : (لا يقاتلن أحد منكم ، حتى تأمره
بالقتال) .

ولكى تزيد قریش من روحها المعنوية
ولكى لا يفر المقاتلون من الميدان ،
استصحبوا بعض نساءهم معهم ، يضربن
بالدفوف ، ويحش الرجال ، ويحرضهم
بالشعر على القتال .

لم يهدأ المشركون بعد ما أصابهم في بدر ،
من هزيمة منكرة ، وأخذوا يعدون العدة
لجولة أخرى يشارون فيها لمن قتل منهم ،
فأرسلوا وسلمهم إلى العرب يستغفرونهم ؛
فاستجاب لمجموع من قبائل شتى ، وهيئوا
المال للإنفاق على هذه الحرب ؛ فقد مشى
عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل
وصفوان بن أمية وغيرهم من أصيب آباؤهم
وأبناءؤهم وإخوانهم في غزوة بدر ، وكلوا
أبا سفيان ومن كانت له تجارة في تلك العير
التي كانت سبب هذه الغزوة ، وسألوه أن
يعينهم بذلك المال على حرب الرسول ؛
ففعّلوا ، وأخذ القوم يتجهزون .

واستطاع الأعداء أن يجمعوا ثلاثة آلاف
وجل على رأسهم أبو سفيان ، ومضوا حتى
نزلوا قريباً من المدينة ؛ فلما سمع بهم الرسول
جمع المسلمين يستشيرهم ؛ وكان رأيهم أن يقيم
بالمدينة ، ويتركهم حيث نزلوا فإن أقاموا
أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا المدينة قاتلهم
الرجال في وجعهم ، ورماهم النساء والصبيان

ابن قنثة وجنته ، ودخلت حلقتان من حلق
المغفر (١) في وجنتيه ، ووقع الرسول
في حفرة من الحفر التي صنعها العدو ، ليقع
فيها المسلمون ، وهم لا يعلمون .

ومضى أبي بن خلف يريد قتل الرسول ،
ولكن رسول الله طعنه بحربة في عنقه ،
نكص بعدها على عقبيه ، وكانت سبب موته ،
وهو في الطريق إلى مكة .

ولما رأى المسلمون الرسول ، وكان قد
أذاع بعض أعدائه أنه قتل ، أقبلوا يحيطون
به ، ويقتلون من دونه .

وانجالت المعركة عن خمسة وستين قتيلًا
من المسلمين ، سقطوا في الميدان دفاط عن
دينهم ، كان منهم حمزة عم رسول الله ، وقد
مثلت بجثته هند امرأة أبي سفيان أبشع
تمثيل . ولم يفقد العدو سوى اثنين وعشرين
رجلًا .

وأشرف أبو سفيان بن حرب على الجبل ،
وصرخ بأعلى صوته ، فقال : أنعمت فعال ،
إن الحرب سجال ، يوم بيوم ، أعل هبل ؛
أى أظهر دينك ؛ فقال رسول الله : قم يا عمر
فأجبه ؛ فقل : الله أعلى وأجل ، لا سواء ؛
قتلانا في الجنة ، وقتلاك في النار .

ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاك
مثل ، والله ما رضيت ، وما سخطت ،
(١) ما يجعل على الرأس وقاية لها في الحرب .

وبينا كان في الأعداء سبعمائة دارع ومائتا
فرس ، لم يكن في المسلمين سوى مائة دارع
وفرسين .

وتعيا الفريقان للقتال ، وأمر الرسول على
الرماة الخسین عبد الله بن جبير ، قائلا له :
« أنضح الخيل عنا بالنيل ، لا يأتونا من
خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فائتت
مكانك ، لا تؤتین من قبلك ؟ .

وحمل المسلمون حملة صدق على أعدائهم ،
زلزلوهم من مكانهم ، ودخلوا عسكرهم ينهبون
ما فيه غنيمة لهم ، ومضى المشركون منهزمين
وهربت النساء مصعدات في الجبل لا يحول
شيء دون أسرهن ؛ فلما رأى بعض
الرماة هزيمة عدوهم قالوا : إنه لا معنى لمقامهم
في مكانهم ، وأقبلوا يريدون أن يشاركوا
في نهب المعسكر المهزوم ، فرأى ذلك خالد
ابن الوليد ، وكان على ميمنة خيل القرشيين
ورأى قلة من بقي من الرماة ، فحمل عليهم ،
وقتلهم وحمل على أصحاب الرسول من خلفهم
فلما رأى المشركون خيلهم تقتال تبادروا
فشددوا على المسلمين فمزموهم ، وخلص العدو
إلى رسول الله ، يريدون الفتك به فأصابه
عتبة بن أبي وقاص بالحجارة حتى وقع على
جانبه ، وأصيب رباعيته ، وشجّه عبد الله
ابن شهاب الزهري في وجهه ، فجعل الدم
يسيل منه ، وجرح شفته ، كما جرح

فوجدته يبطن الوادى، قد بقر بطنه من كبده ومثل به فجدح أنفه وأذناه، قال: لئن أظهرنى الله على قریش فى موطن من المواطن لأمثلن، بثلاثين رجلاً منهم؛ ولما رأى المسلمون حزن رسول الله وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظهرنا الله بهم يوماً من الدهر لثمثلن بهم مثله لم يمثلهما أحد من العرب.

قال ابن إسحق: حدثني من لا أتهم عن ابن عباس أن الله عز وجل أنزل في ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه: «وإن طأقتهم فاعقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين». واصر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم، ولا تلك في ضيق مما يهكمرون، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصبر ونهى عن المثلة^(١).

وتناول القرآن أسباب الهزيمة وحكمتها، فلقد كان النصر للؤمنين في أول المعركة، ثم انقلب هذا النصر هزيمة، لاختلافهم وعصيانهم أمر الرسول، ورغبة بعضهم في الظفر من الغنيمة بنصيب، فقال: «ولقد صدقكم الله وهذه، إذ تحسونهم^(٢) بإذنه، حق إذا فسلمت، وتنازعتم في الأمر وعصيتهم

وما نهيت، وما أمرت؛ إن موعدكم بدر للعام القابل.

وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال من السنة الثالثة للهجرة.

وعاد الرسول إلى المدينة، وقفل العدو إلى مكة، ثم بدا للشركيين أن يعودوا ثانية؛ ليستأصلوا شأفة المسلمين في زعمهم، ولكن أباسفيان اتجه إلى مكة ثانية. ولم ينفذ ما عزم عليه، مع أن الرسول عندما سمع نبأ عودته خرج إليه مع صحبه بمثلتين ورغبة في الجهاد.

أما الآيات القرآنية التي تناولت تلك الغزوة فترى كلها إلى أن تزيل عن قلوب المؤمنين مأسها بعد الهزيمة من ألم وما قد يصيبها من وهن، لقد أقرت الآيات الكريمة ما فعله الرسول في تلك الغزوة؛ من مشاورة صحبه، وعدم الانفراد برأيه، وإين الجانب معهم، وعدم التردد بعد التصميم والعزم، وذلك إذ يقول سبحانه: «فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنتم فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمتم فتوكل على الله؛ إن الله يحب المتوكلين».

ولكن القرآن يقوم بعزم الرسول إذا احتاج إلى تقويم، فقد روى أن رسول الله حين التمس عنه: حمزة بن عبد المطلب،

(١) سيرة ابن هشام ١، ١، ١، ١٠٢.

(٢) الحس: الاستئصال.

هذه الهزيمة ، وهى معرفة مدى حق العقيدة فى النفوس ، فى الشدائد تتجلى أغوار القلوب ويبدو هؤلاء الذين اطمأنوا إلى الإيمان ، واستقرت ضمائرهم عليه ، لا تغييرم شدة ، ولا تززع عقيدتهم مصيبة تنزل بهم وهؤلاء هم الذين يمكن الاعتماد عليهم والوثوق بهم . أما أولئك المنافقون الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم فأولى أن ينكشف أمرهم حتى يأمن الناس شرهم .

ويصف القرآن هزيمتهم ، ولكنه يأخذهم بالرفق ، ويدعوهم إلى الثبات فى الشدة ، فإذا كان الغم قد ملأ قلوبهم ، لما نزل بهم ، فقد ملأ الغم من قبل ذلك قلب هدوهم ، ومع ذلك أقبل هذا العدو يريد الأخذ بثأره ، فلا ينبغي إذا الحزن على نصر قد فات ، وهزيمة نزلت .

وكان الله رفيقا هندما أنزل على المؤمنين منهم النعاس تأمن به قلوبهم ، ويفارقها به شبح إخوانهم صرعى فى ميدان القتال . ولكنه يضع طائفة أخرى تسلطى بنار الآلام ، لأنها تظن بالله غير الحق ظن الجاهلية ، فيشتد حزنها على ما فات ، وتخفى فى نفسها الكفر والنفاق ؛ فيقول الله سبحانه : إذ تصمدون ولا تلوون على أحد ، والرسول يدعوكم فى أخراكم ، فأثابكم غما بغم ؛ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ، ولا ما أصابكم ، والله خبير

من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة . ثم صرفكم عنهم ؛ ليتبليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين . ويبدو فى الآية الرفق الذى عوملوا به ، عند ما تؤكد لهم أن الله قد عفا عنهم .

وأشارت الآية إلى حكمة هذه الهزيمة وهى اختبار قوة إيمان المسلمين ، وامتحانهم بتلك الشدة ، ليتبين الصادق الإيمان ويتميز من مزعزع العقيدة ، وتناولت الآيات بيان هذه الحكمة فى غير موضع ؛ مرة تقول : وما أصابكم يوم التقى الجمعان فيأذن الله ، وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم : تعالوا ، قاتلوا فى سبيل الله ، أو ادفعوا ، قالوا : لو نعلم قتالا لاتبعناكم ؛ هم الكفرة يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون .

ومرة تقول : وما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه ، حتى يميز الخبيث من الطيب .

وأخرى تقول : وليمحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ويعلم الصابرين .

فالقرآن يقرئ فى كل هذه المواضع حكمة

بما تعملون . ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة
نحاساً ، يغمى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم
أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ، ظن الجاهلية
يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟ قل : إن
الأمر كله لله ، يخفون من أنفسهم ما لا يبدون
لك .

وهؤلاء الذين تولوا منهمذين ، مع أن
الشیطان هو الذى دفعهم إلى ترك ميدان القتال
یعلم القرآن عفوہ عنهم ، حق لا یسد
الطریق علیهم فی مستقبل الأيام . بل یفتح
لهم مجال العمل ، ویشعرهم بالعطف والرحمة
إذ یقول : **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى
الْجَمْعَانِ ، إِنَّمَا أَسْأَلُكُمْ فِي الشَّيْطَانِ بِبَعْضِ
مَا كَسَبُوا ، وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
حَلِيمٌ ، وَكَذَلِكَ نَرَى الْرِفْقَ الَّذِي يَأْسُو الْكَلِمَ
وَيَفْتَحُ بَابَ الْأَمَلِ .**

و كذلك نرى الرقى في الحديث عن طائفتين
من جيش الرسول همتا بالفشل ، فيقول عنهما
« إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ، والله
وليهما ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

وكان هدف القرآن أن يمحو عن القلوب
أثر تلك الهزيمة، وأن يرفع من ووحهم
المعنوية، وأن يثبت إيمانهم بالله. وكان لذلك
وسائل شتى.

منها أنه لا ينبغي الاستسلام إلى الألم فإنهم

(۱) جعلہم ینحرفون .

لم يغفروا بالهزيمة ، وإذا كانوا قد أصيبوا
اليوم فقد أصيب عدوهم بالأمس : « إن يمسيكم
قرح ^(١) ، فقد مس القوم قرح مثله ، ؛
ولا سيما أنهم هم الذين كانوا سبب هذه الهزيمة
بقناذهم ، وخلافهم أمر رسول الله :
« أولما أصابتكم مصيبة ، قد أصبتم مثلها
قلتم : « أنى هذا ؟ » قل : « هو من عند أنفسكم »
ومنها أن كثيراً ما حدث لأصحاب الرسل
أن أصيبوا في سبيل الله ، ومع ذلك لم
يضعفهم ما نزل بهم ، ولم يجعلهم مستكينين
لذلك ، بل اعتقدوا أن ذلك يعود إلى عيب
في أنفسهم ، فابتلوا إلى الله أن يغفر لهم ذلك
العيب ، وأن يمنحهم من لدنه قوة وثباتاً ،
فاستجاب الله لهم ، ومنحهم خير الدنيا
والآخرة : « وكأين من نبي قاتل معه
ربيون ^(٢) كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في
سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ،
والله يحب الصابرين . وما كان قولهم : « إلا أن
قالوا : ربنا ، اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في
أمرنا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم
الكَافِرِينَ . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين » .
ومنها وعد بالانتصار في قابل المعارك ،
تقول إحدى آيات الغزوة : « ولا تنهوا

(١) الفرح : أثر السلاح في البدن .

(۲) ریون : جماعت .

ولا تعزّزوا وأنتم الآهلون إن كنتم مؤمنين ،
وتقول آية أخرى : « سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطانا ، وما واهم النار ، وبئس مشوى
الظالمين . »

وإذا كان الله سميعاً عليمًا في قلب العدو
فإن قلة عدد المؤمنين ينبغي ألا تحدث وهنا
في نفوسهم ، ولهذا كان المقام مناسباً للحديث
عن غزوة بدر ، ونصر الله لهم فيها ؛ ليرفع
من روحهم المعنوية فيقول : « ولقد نصركم الله
ببدر ، وأنتم أذلة ، فاتقوا الله ، لعلكم
تشكرون . » وتمضي الآيات متحدة عن تلك
الغزوة المباركة ، مؤكدة لهم أنه : ما النصر
إلا من عند الله العزيز الحكيم وإذا فلا دخل
للعدد في النصر ، ومن الواجب الإخلاص لله
وطاعته ؛ لأن النصر بيده : « إن ينصركم
الله فلا غالب لكم ، وإن ينخذلكم فن ذاك
الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل
المؤمنون . »

وتناولت الآيات السريعة حديث الموت
الذي أثار الحزن في النفوس ، وكان منفذاً ،
استطاع منه المنافقون أن ينفثوا سمومهم ،
وقد أخبرنا القرآن عنهم بقوله : الذين
قالوا لإخوانهم وقعدوا : لو أطاعونا
ما قتلوا . .
وقد حالج القرآن ذلك هلاجا حكيما ؛

فصور أن هذا الخاطر مصدر ألم في نفوس
المتأقين ، يؤرقهم ، ويجعل حياتهم بؤسا
وشقاء : « يا أيها الذين آمنوا ، لا تكونوا
كالذين كفروا ، وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا
في الأرض أو كانوا غزى : لو كانوا عندنا
ما ماتوا ، وما قتلوا ؛ ليجعل الله ذلك
حسرة في قلوبهم ، والله يحيي ويميت والله
عما تعملون بصير » .

وقد رد القرآن على هؤلاء بألوان
من الرد:

منها أن الموت محدد بوقت لا سبيل
إلى تقديمه أو تأخيره : وما كان لنفس
أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ، ولهذا
التحديد قال القرآن عندما كانوا يقولون :
« لو كان لنا من الأمر شيء » ، ما قتلنا ههنا
قل : لو كنتم في بيوتكم ، لعز الذين كتب
عليهم القتل إلى مضاجعهم . . ويتحداهم
أن يدفعوا عن أنفسهم الموت إذا كان
في استطاعتهم ، كما زعموا ، أن يؤجلوه :
« قل فادعوا عن أنفسكم الموت ، إن كنتم
صادقين . . »

ولا يقف عند هذا الحد ، بل يؤكد أن القتل في سبيل الله مستدع رحمة الله وغفرانه وذلك أفضل من كل ما تجمعه هذه الحياة : « واثبتتم في سبيل الله أو متهم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » .

وانتقوا ، أجر عظيم . الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ، فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا : حسبنا الله ، ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه ، فلا تخافوهم ، وخافون ، إن كنتم مؤمنين . وتصوير الحرب من ميدان القتال بأنه خـوف من الشيطان يدفع نفس المؤمن إلى أن تبعد هذا الخوف بكل ما تملك من قوة .

ويظهر من التأمل في آيات هذه الغزوة أن بعض ضعاف النفوس قد أصغى واستجاب إلى كلام المنافقين الذين أرادوا أن يزلزلوا عقائد المؤمنين ، وأن يشككوا في أمر الرسول الكريم بسبب هذه الهزيمة ؛ نفهم ذلك من آيات هذه الغزوة التي تقول : « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ؛ لأنهم لن يضروا الله شيئاً ، يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ، ولهم عذاب عظيم . إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً ، ولهم عذاب أليم . ولا يحسن الذين كفروا أن مانعهم خير لأنفسهم ؛ إنما نملئ لهم ليزدادوا إثماً ، ولهم عذاب مهين . » ومن الواضح أن القرآن لا يلتزم جانب الرفق مع هؤلاء المنافقين ، الذين أبدوا

بل يؤكد القرآن أن هؤلاء الشهداء أحياء لا يموتون ويصف حياتهم السعيدة عند ربهم وصفاً يحجب الشهادة إلى النفوس ، ويبعد عنها خوف الموت من الجهاد وذلك إذ يقول : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، ألا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين . »

وهي آيات مشرقة بالأمل في حياة سعيدة يناها الشهيد ، فيقدم المؤمن على القتال بقلب مطمئن ، لا يخشى الموت ، ولا يهرب الجهاد . وهكذا رأينا آيات هذه الغزوة ، وقيمة رحيمة تفتح للمؤمنين باب الأمل والعمل وتبعد عنهم شبح الخوف من موت تنتهي به الحياة .

وسجل القرآن فضل أولئك الذين لم يرههم تهديد المشركين بالعودة لاستئصال أصحاب الرسول بعد معركة أحد . كما سبق أن ذكرنا ؛ وقد بينا أن أصحاب أبي سفيان لم ينفذوا هزمهم ، بل انقلبوا إلى مكة ، وحاد المسلمون لم يمسسهم كلم ، فسجل القرآن ذلك إذ قال : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم ،

إذا اقتنع المرء بما ثبت عليها إذ يقول سبحانه :
وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن
ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ،
وسيجزي الله الشاكرين .

وفي ختم الآية بالحديث عن الشكر وجزائه
دلالة على ما ينبغي أن يقابل به إرسال
الرسول من شكر على هذه النعمة التي
أخرج الله الناس بها من الظلمات إلى النور ،
وقد صرح القرآن بذلك في آيات تلك الغزوة
فقال : « لقد من الله على المؤمنين ، إذ بعث
فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ،
ويزكّيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ،
وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » ؛ وإذا
كان الرسول قد أخرجهم من الضلال المبين ،
وعلمهم الكتاب والحكمة ، فمن خطئ الرأي
أن ينسكبوا على أعقابهم إذا مات ؛ فيرجعوا
إلى ما كانوا فيه من جهالة جهلاء . (يتبع)

وكنور أصمراً أصمراً بهوى

من ضعف العقيدة ما يستحقون من أجله
ذلك التهديد ، وبيان أن ما ناله الكفار
من نصر إنما هو إغواء لهم ، لكي يزدادوا
إثمًا ، ولكن ينتظروا العذاب المهين .

ولذلك يحذر الله من طاعة الكفار ،
ويجعل عقبي هذه الطاعة الخسران : « يا أيها
الذين آمنوا ، إن تطيعوا الذين كفروا
يردوكم على أعقابكم ، فتقلبوا خاسرين .
بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ، ويوازن
بين المطيع والمعاصي « أفمن اتبع رضوان الله
كنى به بسخط من الله ، وماواه جهم ،
وبئس المصير » .

وفي آيات تلك الغزوة مسألة عرضها
القرآن ، وهي أمر الدين الذي جاء به الرسول
الكريم ؛ فقد بينت تلك الآيات أن هذا
الدين لا يرتبط بشخص الرسول ، وإنما
هو دين يجب اعتناقه ، والثبات عليه ،
والدفاع عنه ، سواء أبى محمد أم مات ، لأنه
ليس دعوة شخصية ، وإنما هو شريعة

هي النفس

قال الربيع بن ضيع الغزاري :

ولأن نهلت من لهوها ثم علت
فلم يبق إلا ذكرها حين وات
ولأن فتنسى إن يئست تسلمت

لقد عزفت نفسي عن اللهو جملة
رأيت قرونا من قرون تقدمت
هي النفس ما منيتها تاق شوقها

شعائر الله من تقوى القلوب

للأستاذ على العمري

الإسلامي كله) . وعلى ذلك فهو يرى أن من الواجب على العلماء أن يتكلموا ، ويوضحوا الغموض بأسلوب متطور مقنع حتى لا يكون الحجج - كما قال الكاتب أيضاً - مناسك آلية يؤديها الفرد ، ويعود بحمل لقب (حاج) دون أن تؤثر في معنوياته .

والشعيرة الأولى التي أثارها الكاتبين هي الذبائح التي يقدمها الحاج شكرا لله على ما وفق من أداء الفريضة ، أو جبرا لمساكات من أعمال واجبة حتى يكون الحجج تاما كاملا ويحدثنا أحدهما بأسلوب لا يخلو من سخريه فيقول عن (رجم الشياطين) إن العلماء يؤكدون أنه من المناسك ، وأن الفنى لا يفعله عليه أن يزيد اللحوم المتعفنة بذبيحة جديدة .

أما الآخر فيسهب في هذا المنسك ، ولا ينسى الكلام عن الحالة الاقتصادية التي تحتم أن يقتصد الحاج في الذبائح ، أو أن يوضع بديل من هذه الذبائح ، ولترك الدكتور مصطفى الديواني يحدثنا كما نقل عنه رئيس تحرير صحيفة الأخبار فيقول : « وما زلت أذكر كيف صحتنا فجر ذات يوم لنؤدي فريضة

في أسبوع واحد قرأت مقالين في موضعين مختلفين من صحفنا ومجلاتنا ، وكان المقالان عن (الحج) وكلا الكاتبين أدى فريضة الحج هذا العام ، وأخذ كل منهما يتحدث عن الآثار التي تركتها مشاهدة الأماكن المقدسة في نفسيهما وهما يدور بخاطر كل منهما بما يتعلق بمناسك الحج وغيرها من شعائر الإسلام .

وقد ألمني أشد الألم أن كلا من الكاتبين تعرض لمسائل دينية ، ولمسا لمسائل عنيقا دون أن يكلف نفسه الرجوع إلى المصادر الأساسية ليتزود منها ما يعينه على التحدث في أمور خطيرة . بل إن أحدهما لم يكتب الآيات القرآنية التي جاءت في مقاله كتابة صحيحة ، ومع ذلك سمح لنفسه بأن يصف بعض ما ثبت في السنة الصحيحة بأنه (أساطير) .

وكان السرف في اندفاع الكاتبين إلى ما تناولا به كما قال أحدهما - هو أن (الغموض ، وعدم الاقتناع يحيط بكثير من المناسك ، مناسك الحج طبعاً ، حتى تبدو كأنها طقوس بوزية ، يلزمها في عصرنا الحالي الإقناع ، والتحليل العلمي والمنطقي الذي قام على أساسه الدين

الحمد لله . لقد صحت حجتنا) وأنا أقول
 لنفسي ، وأنا أنأمل بركة الدماء من حولي :
 (ربني ، أما لهذه المآسي من آخر؟ ، وكيف
 يوضع حد لأقسى عملية لإبادة الثروة الحيوانية
 على ظهر البسيطة ؟ وهل تصل هذه اللحوم
 إلى الفقراء حقاً ، أم تترك حتى يتأهبها العفن؟)
 وإنما فقات هذه الفقرات كاملة ليقبين
 القارئ ما يشيع فيها من تعرم وضيق ،
 وسخرية بنسك هو من أعظم مناصك الحج
 فقد كان السكاتب ورفاقه في ضيق شديد حين
 هموا بشراء النسك ، وضائق عليهم الأرض
 بما رحبت ، وضائق عليهم أنفسهم ؛ لأن
 ثمنه فوق ما يحملون من نقود ، فلما وفقوا
 لشراء عجل بثمانية عشر جنيهاً تنفسوا الصعداء
 هكذا ، كأن السكابوس الذي كان يحتم على
 صدورهم قد زال . أو لعله قد خف ؛ لأن
 ثمن العجل لا يزال بالطبع - على ما يستفاد
 من عبارات السكاتب - يحز في نفوسهم ، ثم
 هذا التصوير الدرامي لعملية (الإعدام) التي
 يساق إليها العجل !
 أما سار السكاتب هو ورفاقه في طابور
 جنازتي ؟ أما ساقوا العجل إلى الجلاذ ؟
 أي إلى ساحة الإعدام ، أما آلامهم واستنزاف
 دمعهم هذا العجل المسكين ، وهو يقدم
 رجلاً ، ويؤخر أخرى في طريقه إلى مصيره
 المحنوم ؟

الصلاة بالحرم المكي ، وبعد أن عدت إلى
 الفندق مع الدكتور سعد الدين التاودي قابلنا
 عند الباب المستشار محمود عبد اللطيف ،
 والدكتور عبد الحميد بدوي يتأهبان للذهاب
 إلى المذبح لاختيار الهدى لنتقدم به نتمتعنا
 أي التعلل بعد العمرة بكل تفاصيلها من
 طواف حول الكعبة إلى السعي بين الصفا
 والمروة ، وكان علينا أن نشترى شاة لكل
 منا ، وهنا حالت الأزمة المالية القاسية التي
 كنا نقاسي منها دون ذلك ، فاشترك سبعة منا
 في عجل بلغ ثمنه ثم نية عشر جنيهاً ، وتنفسنا
 الصعداء لهذا الحل السعيد ، فوقف رائدنا
 المستشار محمود عبد اللطيف يسارم ويجادل
 محاولاً الحصول على تنزيل آخر .

ولما لم يوفق سار بنا في طابور جنازتي
 وراء العجل المسكين الذي كان ينظر إلى
 الأرض بعناد ، وخبت ، محاولاً غرس
 حوافره في طينها الممزوج بدماء زملائه
 الذين سبقوه إلى تعس المصير ، وراح ضمني
 نحوه فحسب إلى أنه ثبت نظراته على معانينا
 وأنا لا أملك من أمرى شيئاً ، فقائدنا محمود
 عبد اللطيف طالما أصدر أحكاماً بالإعدام
 على بني البشر ، فما أسهل عليه أن يقود عجلاً
 إلى الجلاذ ، وزملائه يقبلون أيديهم ظاهراً
 وباطناً ، ويهتفون من أعماقهم ، بينما تقطع
 مسكين الجلاذ رقبة العجل قائلين : (الحمد لله .

يتعفن ، ولو كان صحيحا أن أكثر هذه الذبائح يتعفن لسكان المنطق يقتضى أن يتجه السكاتب - كما اتجه غيره - إلى اقتراح حل لهذه المشكلة ، أما أن يسوق الحديث هذا المساق الذى تشييع فيه السخرية والتبرم بهذه الشعيرة فهو ما يتنافى مع أبسط مبادئ الإخلاص لله فى أداء ركن عظيم من أركان الإسلام .

إن الله تعالى يقول فى سورة الحج : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتقر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » .

وقد فسر بعض العلماء (الشعائر) فى قوله تعالى : « ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب . لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ، ثم علفها إلى البيت العتيق ، فسرهما بالبدن التى تقدم قرابين شكراً لله تعالى .

والمأمل فى هذه الآيات مجدكلة (التقوى) مقترنة بكل منها ، وهذا دليل على أن امتثال أوامر الله ، وأداء شعائره على أكمل وجه ناشئ من الإخلاص لله ، وخوف التفريط فى جانبه .

والقضية ليست قضية منطقية ، وإنما هى (من تقوى القلوب) تلك القلوب التى تشعر

إن الذى يقرأ هذا التصوير يظن أن هذا السكاتب لم يعيش فى بلد تذبح فيه العجول ، وأنه رجل نسات لا يتغذى بشيء من لحوم الحيوان ، والطير ، وأن أبا العلاء المعرى بحث من جسد يد فى شخص هذا السكاتب ، واسكنه لم يظهر فى كل بلد حل فيه السكاتب وإنما ظهر فى (منى) فقط حيث تذبح عجول القرية إلى الله تعالى ، أما الجازر التى تنتشر فى كل البلاد ، والتي رأى السكاتب الكثير منها طبعاً - فالعجول فيها ليست مساكين ، والناس لا يسيرون خلفها فى طوابير جنائزية بل يسوقونها وهم فرحون مستبشرون لأنهم سيربحون من وراء ذبحه مالا ، ولأنهم سيأكلون منها لحماً أحله الله .

وخاتمة المطاف عند السكاتب أن هذه الشعيرة من شعائر الله مأساة من المآسى ، وهو يسأل الله تعالى ، ويدعوه ، ويناجيه أن يجعل لها آخراً ، وأن عملية إبادة الثروة الحيوانية الجائزة التى رأها يجب - فى رأيه طبعاً - أن يوضع لها حد ، كإن الثروة الحيوانية لا تعرض لأى نوع من أنواع الإبادة فى مكان آخر غير الحرم ، فالناس يحجون من قديم الزمان ، ويذبحون القرابين ولم يظهر فى عام من الأهمام أزمة فى اللحوم حتى فى مكة نفسها بعد موسم الحج ، وأكثر الذبائح تؤكل لحومها ، ويقل منها ما يترك حتى

القلوب، ونقواها، ومدى تقبلها لأوامر الله ونواهيها .

وإذا كانت الأخلاق والفضائل واضحة الأهداف، فإن بعض العبادة لا يظهر فيه غير هدف واحد هو اختيار المؤمنين لمدى امتثالهم لأوامر الله، وإن قيل ما قيل في سر مشروعيته، وعلى ذلك فلا وجه لما قاله الكاتب الآخر من (رى الجرات) بأنه أمر غامض، بل إنه يجاوز حدود اليقظة والأدب الديني حين يشبه هذه الشعائر بالطقوس البوذية، وقد يصح قوله إن رى الجرات مسألة غير مقنعة للكثيرين لو كان تفسير هذه التكاليف يرجع إلى المغلق وحده ويتحكم فيها العقل دون سواه . ولكن كما قلت - المسألة ترجع إلى (تقوى القلوب) أما المنطق وأما التفسير العقلي فهما أمر بعد ذلك، وما لم تستشعر النفوس الحشية من الله، وما لم يكن فيها ما يحملها - دون اعتراض أو تبرم على امتثال أوامر الله - فإن منطق العقل لا يفرس الإيمان في النفوس . وليس معنى هذا أن الدين الإسلامي جاء بتكاليف تقناض والعقل، ولكن معناه أن العقل إذا لم يتوصل إلى الحسنة الحقيقية لبعض التكاليف، فلا ينبغي أن يحمل ذلك أحداً على أن يرمى هذه التكاليف بمناقضات العقل، وما دام الدين الإسلامي

بجلال الله، وعظمته، وتحس بإلهيته، وروبيته، تتوجه غلصة إلى أداء شعائره، وتجد من تمام أدائها أن تختار أحسن ما يقدم، وألا تساوهم فيها، أو تجادل في ثمنها، فإن الذي يقدم لميز عليه هدية لا يغليه الثمن مهما بلغ، ولا يظل يتردد على حوانيت التجار ليختار منها الأدون والأرخص ولكن ليختار الأعلى والأعلى، وهذا شيء تدركه القلوب المحببة، أوضح إدراك وأنهم، ولن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم .

ومهما قال العلماء من تعليقات مقبولة لهذه المناسك فارجعها جميعاً إلى (تقوى القلوب) في امتثالها لأمر الله؛ ذلك أن العقل البشري لا يمكن أن يصل - بصفة قاطعة - إلى سر بعض التكاليف الدينية، فهو - مثلاً - في أبرز ركن من أركان الإسلام، وهو الصلاة، يقف حائراً أمام تفسير عدد الركعات، وأمام السر في أن هذا العدد لم يذكر في القرآن مع ماله من مكانة في تكاليف الدين وهكذا، في كثير من مناسك الحج .

وقد أوضح العلماء أسرار الشريعة في كثير من التكاليف، ويبنوا، ولا يزالون يبنون - في كل مناسبة - حكمة مشروعيتهما، ولكن الشيء الوحيد الذي لا يمكن إغفاله هو إحساس

والتقوى هي العاصمة من كل شك قد يطوف
بالمؤمن فيجيد به عن سواء السبيل في العمل
أو في الاعتقاد .

ويؤيد ما قلته قول الله تعالى بعد هذه
الآيات : « الحج أشهر معلومات فمن فرض
فمن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال
في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ،
وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون
يا أولى الألباب ، .

نعم ، التقوى هي الباعثة على كل عمل صالح ،
وهي أيضاً نتيجة لكل عمل صالح ، ولكن
كثرة دورانها في آيات الحج يدلنا على أن هذه
الشعائر يفتقها المتقون ، ويقدرونها حق
قدرها ، والتقوى تعصمهم أن يزلوا في فهمها ،
أو في أداؤها .

بقي أن الدكتور الديواني في لحظة من لحظات
الحماس ، والتبرم روى بض ما جاءت به السنة
الصحيحة بأنه من (الأساطير) ، ولنتركه
يتحدث ، فيقول بعد أن يذكر ما قاسوه
من العذاب الشديد في طواف العمرة ،
وأن الناس جميعاً كانوا سواسية حتى السكنان
في هذا اليوم بيوم الحشر الذي تروى الأساطير
أن الشمس سوف تكون فيه دائية من الروس
والجو شديد الحرارة حتى ليمتنى الناس
أن يقضى بينهم على أى شكل ، فإما إلى يمين ،
وإما إلى يسار) ونحن لن نتكلف في الرد
(البقية على صفحة ٦٠)

قد ثبت بكل الطرق المقننة أنه الدين عند الله ،
وما دامت طريقة ثبوت هذه التكاليف صحيحة
لا غبار عليها ، فما على المؤمنين بهذا الدين
إلا الخضوع والامتثال ، والتأدب حين
يتحدثون عن هذه التكاليف .

ثم نعود إلى الدكتور مصطفى الهديواني
ونسأله : لماذا كان ضائق الصدر هو وزملاؤه
بشمن ما يذبحون ؟ إن الدكتور لو كلف
نفسه سؤال أحد العلماء - وقد كانوا بمحمد الله
كثيرين في هذا الموسم - لأفتاه بأن (الدم)
لا يجب إلا على القادر .

وفي القرآن الكريم آية صريحة تحكم
في بعض هذه الدماء ، وهي قوله تعالى
في سورة البقرة ، « وأتموا الحج والعمرة لله
فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ،
ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله ،
فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه
ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ،
فإذا أمنتكم من تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر
من الهدي ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام
في الحج وسبعة إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ،
ذلك لمن يكن أهله حاضري المسجد الحرام ،
واتقوا الله ، واهلبوا أن الله شديد العقاب ، .
وأحب أن ألفت نظر القارىء في هذه
الآية أيضاً إلى جملة : (واتقوا الله) لأؤكد
له أن جميع أعمال الحج مصدرها التقوى ،

معاهد التنصيص

رسالة الكتاب وضربه الأدبي

للأستاذ محمد رجب البيومي

للبلاغة بعد أجيال أن تنهج نهج القويم !
أما كيف برزت هذه الخطوة المبدئية فذلك
ما أخصه بالحديث !

لقد كان عمل السكاكي في عيط البلاغة بالقرن
السادس الهجري وأوائل القرن السابع حداً
فاصلاً بين ازدهار البلاغة وارتدكاسها ،
إذ أنه نظر إليها بعين المنطق والفلسفة ،
وأكثر من التعريفات والتفريعات لكثرتها
سيطرت عليه المصطلحات والحدود ،
وضاعت بموارده فائدة النصوص الأدبية فلم
تعد البلاغة فناً جمالياً يتجه إلى الأسلوب
الجيد والمعنى الرائع ، ولكنها أصبحت
رسوماً وقواعد تحوطها التعليقات الذهبية ،
والاعتراضات المنطقية ، وجاء الخطيب
القزويني فلخص هذه التعريفات والرسوم
تلخيصاً جاقاً أحال البلاغة إلى ألقاز ذهنية
ورسوم منطقية ، وأسعى عمله هذا (من
التلخيص) ومن المؤسف حقاً أن هذا المتن
قد لقي الخطوة والإقبال لدى من عرفوا بين
الناس بعلماؤ البلاغة فيما بعد القرن السادس
فكتبت له الشروح ووضعت منه

يقابل بعض القراء هذا الكتاب بقليل
من الترحيب قبل أن يلجوا به لأن اسمه من
جهة وعصر مؤلفه من جهة أخرى
لا يوحيان بكثير من البشاشة والإقبال ،
فاسم الكتاب « معاهد التنصيص على شواهد
التلخيص » يلقى ظلاً قائماً يشيره ما عرف
عن متن التلخيص من تعقيد وتعقيد ، وظهور
المؤلف في القرن العاشر الهجري - وهو
زمن تدهور فيه الفن الأدبي تدهوراً
لا يؤذن بالإجادة الرائعة والتفوق الناضج -
عاشى بضالة نفعه ، وقلة جدواه ، والحق
أن الكتاب عظيم النفع كثير المحاسن ،
وسأحاول أن أشير إلى مزاياه من قريب .

ونحن نسأل أولاً عن رسالة هذا
الكتاب ؟ فإذا اتضحت على وجهها الصحيح
برزت ميزته بجملاء ، وحسبنا أن نعلم أنه
كان خطوة أولى في طريق النهوض بعلوم
البلاغة ، والخروج بها من دائرتها الضيقة
إلى أفق التذوق والاستمتاع ، وهي خطوة
موفقة سارة ، إذا نظر إليها كعمل مبدئي
تضافرت بعده الجهود المتتابعة حتى كتب

من شواهد التلخيص فيشرح معناه ويذكر مناسبة وجزءاً كبيراً مما قبله وبعده من الآيات الشعرية ، ثم يتجه إلى سرد كثير من الآيات التي تشير من قريب أو بعيد إلى معنى النص ليتسع مجال الموازنة الأدبية على مر العصور بين السابق واللاحق !

وإذا عرفنا أن المؤلف قد عاش في القرن العاشر الهجري فألم بأكثر دواوين العصر العربي من لدن العصر الجاهلي إلى زمنه ثم استخرج منها ما يشابه بيت الشاهد أو يناقضه ، وسرد ذلك كله بمناسبة ؛ إذا عرفنا ذلك أدركنا قيمة هذه الذخيرة الثمينة التي قدمها المؤلف في كتابه ، وقد يكون غيره من المتقدمين قد سبقه إلى ذلك في القرن الرابع أو الخامس أو السادس مثلاً ، فانتفع بآثارهم المدونة ، ولكن تأخره الزماني أتاح له أن يتابع الشعراء المحدثين فيجمع ما قالوه من الشوارد ، ويقدم سجلاً حافلاً متناقضاً حيث يجمع شعر الطبع والصنعة ويقرن الغث بالسمين متيحاً لصاحب الملكة الأدبية أن يستمتع بالجميل الرائع وأن يحكم على الغث المرذول !

هذا العمل وحده في تبسيع معنى النص على مر العصور يحى حاسة التذوق الأدبي ، ويدعو إلى الارتقاء البلاغي صياغة وتفكيراً فإذا أضاف إلى ذلك كله ترجمة حافلة لصاحب

الخواشي والتقارير وأصبح مركز الدائرة في كل ما يقال عن بلاغة الأسلوب وفصاحة التركيب وقوة التشبيه وجودة الاستعارة ، ونقد المحسنات والموازنة بين السركات ، واشتهرت شروح التلخيص اشتهاً جعلها صاحبة الكلمة الأولى في المضمار البلاغي ، وأصبح عالم البلاغة بمنأى عن النصوص الشعرية والآثار الأدبية ، ولكنه يجيد تعريف الفصاحة كما رسمه السكاكي مع ما قيل في الاعتراض عليه ، وبنين في إرجاع الضمائر ، وإخراج المحترزات ، فإذا سألته أن يحكم على نص أدبي على مثال ما كان يصنع هبد القاهر والجرجاني والآمدي ضاق مجال القول أمامه ، وعجز حتى عن فهم ما فاض به مؤلفو دلائل الإعجاز والوساطة والموازنة بل عند ذلك بمنأى نازح عن علم البلاغة الأصيل ، وقد ذكر الأستاذ عبد العزيز البشري أنه يعرف زميلاً يحفظ جميع شروح التلخيص ثم يمجز عن كتابة رسالة أخوية لا تتجاوز ثلاثة أسطر ! وإن كانت هذه نتيجة دراسة التلخيص وشروحه فيا لمول المسألة !

أدرك مؤلف معاهد التنصيص ما تورط فيه البلاغيون من بعد عن النص الأدبي والمقام بحيوات قائله من الشعراء والكتاب ، فألف كتابه ليذكر كل نص

لم يكمل بل لم يخرج عن حيز المسودات قام به الجلال السيوطي ، وليس لدينا الآن بمجهود الجلال حتى نحكم عليه ، ولكننا نعرف نزعة العلمية الفقهية من خلال كتبه الكثيرة ، وبعيد جداً على عالم فقيه مفسر لغوي متكلم محدث مؤرخ أن يبرع في الأدب الخاص براعة صاحب المعاهد ، أو يوفق توفيقه الفنى في دراسة الدواوين الشعرية والتعقيب عن حيوات الشعراء بالذات ! لذلك نعد كتاب المعاهد خطوة بلاغية جديدة كتب لها الفروع والبقاء .

وقد ذكر الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد أن كتاب معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص ، كان من سمار الاستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية الأسبق وأنه كان كبير القراءة فيه والمعاودة له ، وكان رحمه الله إذا أراد أن يختبر طالباً ما يقدّمون إليه لبث شكاية أو رجاء شفاعة قدم إليه هذا الكتاب وطلب أن يسمعه قطعة منه ثم أمره أن يبين ما يقرأ ، فإن أجاد القراءة والفهم والإبانة توسم فيه الخير وقضى حاجاته ، وهذا غير مستغرب من الأستاذ الإمام فقد نشأ في عهد سيطرت فيه حواشى التلخيص على دروس البلاغة بالأزهر وأراد الشيخ أن يسلك بالطلاب وأدياً آخر فأخذ يقرأ عليهم كتابي عبد القاهر ، ولعله حين اطلع على

النص تبين خطوات حياته وترسم يئتمه ومؤثرات إنتاجه وتلم بريدة ما قيل عنه فقد خدم الملكة الأدبية خدمة راقية ، وأعان على التذوق البلاغى إعانة مسعدة مسعدة ، وما ظنك بماتين وخمسة وعشرين من الأبيات هي كل شواهد التلخيص بكتيب المؤلف حولها ألفاً وثلاثمائة وخمسين من الصفحات يخرجها الأستاذ محي الدين عبد الحميد في أربعة أجزاء كبار هي ما يعرف بمعاهد التنصيص ! أى أن النص الواحد قد استغرق أكثر من ست صفحات ! وليس ذلك مطرداً بطبيعة الحال ، ولكننا أحصاه تقريرى يوقف على مدى جهد المؤلف الكبير ! !

أما نصيب البلاغة الرسمية من هذه الموسوعة فلا يتجاوز بضعة أسطر تلحق بكل نص وقد تصل في كثير من الأحيان إلى سطر أو سطرين ! ألا يدرك القارىء مدى مبلغ ضيق المؤلف بمباحكات البلاغيين ونزوهه إلى السمو بهذا الفن إلى أفق — الأوسع بازلاً جهده الأكبر في خدمة النص والتعريف بظروف قائله إذ هما لباب اللباب ! وإن مؤلفاً يخطو هذه الخطوة في القرن العاشر الهجرى حول متن التلخيص مع جبروته العلى إذ ذاك لصاحب رسالة في مضمار البلاغة الأدبية دون نزاع ، وقد أشار الرجل في مقدمة كتابه إلى عمل مشابه

معاهد التنصيص وجده خطوة للتخلص من هذه المناقشات الذهنية الجامدة فأخذ يعرضه بطريقته الخاصة على الطلاب ليذيع أمره ويرقى به الأزهريون إلى مستوى البلاغة الفنية بعد أن هبطت بها الشروح والخواشي الإضافيات .

أما مؤلف المكنز الشيخ عبد الرحيم ابن أحمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ فلم أجد ما يعرفني به أكثر من كتابه ، وأثر المراء دليل عليه ، إذ أن ما كتبه عنه معاصروعهده من أمثال الشهاب الخفاجي قد غرق به في بحر من السجعات الذائعة فهو دحسيب طرزكم المجد وأعاد برقة شمائله نسجات نجد ، وله رايات فضل عليه ، نعمت الأقلام بسواد أنفاسها العباسية ، إلى أمثال ذلك مما يمكن أن يقال لسلك أديب ، وقد عرف عنه أنه من أبناء بني العباس الذين تفرعوا بمصر من شجرة الخلافة العباسية التي أحيها سلاطين المماليك على يد الظاهر بيبرس ، حتى إذا انتهى مجدهم الروحي بدخول مصر تحت حكم الأتراك بنى أحفادهم في وادي النيل وقد اندمجوا في الشعب المصري وأصبحوا بعض أفراد ، ومن بينهم عبد الرحيم مؤلف المكنز ، إذ سلك سبيل أجداده في تحصيل الأدب والعلم فقرأ علوم عصره ، وروى عنه شرح كبير للبخاري ، وحين ألف معاهد

التنصيص رحل به إلى بلاد الروم قاصدا القسطنطينية عاصمة الخلافة العثمانية واتصل بكبرائها وأئمة العلم من رجالها فأتيه له من يقدر كتابه ويذيع في الآفاق حديثه ويشبهه عليه ، والحق أن الشعور العام في مصر والشام كان منحرفا عن الدولة العثمانية حين احتل سليم الأول مصر عدوانا وبنفا فأشعل حربا طاحنة بين ممالك الإسلام خسرت بها مصر مجدها السياسي ونفوذها الحربي وتقدمها العلمي والحضاري ، ولكن زوال سليم وتولية سليمان القانوني من بعده قد استطاع أن يحمدا روح العداء في النفوس قانظفا ما كان يشتمل بها من غيظ نحو أبيه ، إذ استطاع أن يقود الجيوش الإسلامية من نصر إلى نصر في أوروبا ، وقهر ملوك المجر والنمسا وألمانيا وفرنسا والروسيا ، وثار له دوى رنان في بلاد الإسلام وتحدث أنه حامى الشريعة ورجل الملة وعاقل المسلمين وأصبح من عادة العلماء والأدباء أن ينتجعوا حاضرة الخلافة العثمانية ، رغم أنها لا تقاس في مجدها العلمي بالقاهرة ! وكان عبد الرحيم أحد هؤلاء ، ولا ريب أنه كان يسكن في نفسه حمرة كادية حين توجه إلى من استلبوا جلال الخلافة من آبائه وأجداده . . على أنه كان في شظف من العيش كما يلوح من بعض قوله ، وما وجهه إلى زملاؤه الأدباء فهو يقول مثلاً :

أما مؤلف المكنز الشيخ عبد الرحيم ابن أحمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ فلم أجد ما يعرفني به أكثر من كتابه ، وأثر المراء دليل عليه ، إذ أن ما كتبه عنه معاصروعهده من أمثال الشهاب الخفاجي قد غرق به في بحر من السجعات الذائعة فهو دحسيب طرزكم المجد وأعاد برقة شمائله نسجات نجد ، وله رايات فضل عليه ، نعمت الأقلام بسواد أنفاسها العباسية ، إلى أمثال ذلك مما يمكن أن يقال لسلك أديب ، وقد عرف عنه أنه من أبناء بني العباس الذين تفرعوا بمصر من شجرة الخلافة العباسية التي أحيها سلاطين المماليك على يد الظاهر بيبرس ، حتى إذا انتهى مجدهم الروحي بدخول مصر تحت حكم الأتراك بنى أحفادهم في وادي النيل وقد اندمجوا في الشعب المصري وأصبحوا بعض أفراد ، ومن بينهم عبد الرحيم مؤلف المكنز ، إذ سلك سبيل أجداده في تحصيل الأدب والعلم فقرأ علوم عصره ، وروى عنه شرح كبير للبخاري ، وحين ألف معاهد

أرى الدهر يكرم جهاله

وأعظم قدراً به الجاهل
وأظفر حظي به ناقصاً

أحسبني أنتي قاضٍ لـ

ويقول عنه صديقه الشهاب بن محمود النابلسي

«حين قعدت به الأحوال وقامت الأحوال،

كما عبر عن نفسه :

عبد الرحيم أضاموا

بـدولة ضميمته

ما فيه لو ولا

ليت لئلا أدركته

فأرجل كان مسافراً إلى انتجاع القسطنطينية

لظروف عيشه وقد وفته أفه ففضى حاجة في

نفس يعقوب

ومن يقرأ شعره يلمس به ارتفاعاً عن

مستوى عصره فالرجل لا يتكلف الشعر في

المناسبات العامة ولا يحشوه حشواً بهارج

المحسنات ودخارف البديعيات ، بل يعبر عن

ذات صدره ، وما أثر من مقطوعاته ينطق

بتجاربه الذاتية ، ويدل على اهتمامه بالمعنى

على عكس أقرانه من شعراء العصر ومحترفي

الغظم والتشطير والتخميس ! ولي أن أزيد

على ذلك فأزعم أن وحى الخبرة العاقلة يلوح

في خطراته فيأني بما يوقفك على الحقيقة المرة

حين يتحدث عن ضعف الشيخوخة فيقول :

قد كنت أمشي ولست أعيًا

فصرت أعيًا ولست أمشي

وتارة يكشف لك عن الحقيقة النفسية في

قضايا الود والصداقة فيقول قوله الحكيم

عن تجربة :

لست عن ود صديقي سائلاً

غير قلبي فهو يدرى وده

فكما أعلم ما عندي له

فكذا أعلم ما لي عنده

وهما بيتان نفيسان من ناحية المعنى

ومدلولهما العاطفي صحيح إلى حد بعيد ولكن

صياغتهما أقرب إلى المنطق منه إلى الشعر ،

وقد ينجحك إلى الابتسام حين يتهمك ببعض

الناس فيقول في سخرية :

رأيت لثيم قوم في عمر

وبين يديه أشخاص لثام

فلم من جهالة ابتداء

فقلت له متى كسد السلام ؟

ووجود هذا الطراز من الشعر في القرن

العاشر الهجري معجب رائع ، على أن الشاعر

بحكم بيئته وثقافته مهما سما بروحه عن

الإسفاف اللفظي والعبث الزخرفي لا بد أن

يجذبه محيطه إلى مداره ، فينجذب أحياناً إلى

ما تورط فيه سواء بما شاع وعم من أصباغ

البديع ، وهو إذا تورط في ذلك لا يهوى

مهوى الناضب البليد ، ولا كنهه يحافظ

ومنازعه ، لاسيما إذا اتجه النقد إلى أخبار متواترة تروىها الكتبة على مر العصور كاتباً بعد كاتب ، فالرجل يرفض مثلاً ما تعرف من أبيات أبي تمام :

إقدام عمرو في ساحة حاتم
في حلم أحنف في ذكاه إياس
لا تنكروا ضربى له من دونه
مثلاً شرودا في الندى والباس

ويرى أن القصيدة قيلت في أحمد بن المعنص لافي أمير المؤمنين حتى تنسب إليه الأقاويل ، كما ينبغي ما حكاه الرواة من أن العباس بن الأحنف مات مع الكسائي في يوم واحد ، وقد صلى عليهما الخليفة مبتدئاً بالعباس دون الكسائي ، ويسقند في نفيه إلى أرقام التاريخ إذ أن الكسائي قد توفي قبل العباس ببضعة سنين ، وقد ظهرت براعته النقدية في نسبة الشواهد إلى أصحابها ، فهو ينقل آراء كثيرة للعلماء ثم ينقضها أو ينفقها بالدليل ، وقد يرجع إلى ديوان الشاعر فلا يجد الشاهد فينص على ذلك في أكثر من موضع مما يوجب التحري الدقيق ، على أنه رغم شفافيته الأدبية ، واستكمال حاسته النقدية لم يستطع التخلص مما درسه من أقوال السابقين ، فوقع في بعض ما وقعوا فيه من أخطاء فهو مثلاً يروى قول أبي تمام :

إلى حد ما على مكانته الفنية صياغة ومعنى .
فهو مثلاً يسرد بيتاً للبحرقي في الاستخدام البديعي ج ٢ ص ٢٦٩ :

فصق الغضا والساكنيه وإن همو
شبهه بين جوائح وقلوب
ثم يذكر لنفسه من هذا الوادي ص ٢٧٠ :

تمر الصبا عفوا على ساكني الغضا
وفي أضلعي نيرانه تقسم
فتذكرني عهد العقيق وأدمعي
تساقطه والشئ بالشئ يذكر
ويورث عيني السفع حتى ترى به
معالم بالأحباب تزهو وتزهر

فهذه الأبيات الثلاثة تضمنت ثلاثة أمثلة للاستخدام في كلمات الغضا والعقيق والسفع ، ومع سبق الشاعر بما ألم به ، وتورطه في بحارة عصره فقد بدا في نظمه تماسك قوى لا يفقهه الرواق واليهاء ، وقد يضعف قليلاً من هذا المستوى في بعض ما استشهد به لنفسه في صفحات الكتاب ؟ ولكن من الذي يحلق دائماً من خول الشعراء حتى نحاسب أدبياً مثله على بعض الهفوات !

وشخصية العباس تظهر واضحة في مؤلفه فهو لا ينقل نقلاً دون تمحيص ولكن يقف من المنة قول وفتات نافذة قد تقصر وقد تطول ، ونقد الروايات الأدبية يحتاج إلى خبرة ذهنية ونفسية ، ويكشف عن عقلية صاحبه

الفارض على إيجازه أن يبلغ مبلغ أبي تمام ١١
وفي رأي أن نقد ابن الأثير لمثل قول
أبي نواس :

أقنا بها يوما ويوما وثالثا

ويوما له بعد الترحل خامس

ورميه بالتطوير الممل ، وإلحاق من قبله
ومن بعده على تفضيل الإيجاز دون التفات
إلى ظلال الألفاظ وإيجاء الصور .. كل ذلك
قد جار على الصواب وقاد صاحب معاهد
التنصيص وكثير من نظرائه إلى ما نأباه !

ويلحظ من يطالع هذا الكتاب كثرة
أشعار المجون به بدون داع ملح فليس في
أكثر ما ذكره من رائع المعاني وجميل الصور،
وحلاوة الفكاهة ما يشفع في تدوينه ، بل
يرتطم الناظر بالألفاظ نارية صيغت في أبيات
منظومة ، ويدهى قوم أنها من الفن الأدبي
مهما انحدر اتجاهه ، واسننا من نرى هذا
الرأي . لأن ذكر الألفاظ المستهجنة في أبيات
عارية فاضحة لا تعد فنا مادام قد خلا من
الصورة الموحية ، والمعنى البارع ، واللفظة
الساحرة المتسندرة ! وأكثر ما جرى هذا
الجرى في معاهد التنصيص كلام إذا نثرت
أبياته كان حديث الساقطات والساقطين في
ملاهي التهلك والفسوق ! ولا كذلك الفن
الأدبي بحال ، وقد يكون الشعالي في يتيمة
الدهر رائدة السباق إذ أدبى على من قبله

أعوام وصل كاد ينسى طيها
ذكر النوى فمكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أردفت
نجمي أسى فمكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها
فمكأنها وكانهم أحلام
ثم يقول عقب روايتها ، ولابن الفارض
رحمه الله في هذا المعنى مع الاختصار المعجز :
أعوام لإقباله كالأيوم في قصر
ويوم لإعراضه في الطول كاللحجج
وهذا تعقيب من يفضل بيت ابن الفارض
على أبيات أبي تمام لعل واحدة وهي
الاختصار ! وذلك ترديد لما نعرف لدى
بعض الناقدين من أن البلاغة هي الإيجاز
في كل موقف كان ! مع أن الإيجاز بليغ حقا
عند مقتضاه ، أما أبو تمام فيستعرض
ذكريات يروق له أن يفصلها ويطيل الحديث
عنها ليردد كل لفظ منها صدق يحول في
أطوائه ، وليوحى انبساط القول من الظلال
ما يرسم شعوره المختلف في الوصل والهجر
ولن يؤثر في نفس قارئه حين يرى بالعبارة
الموجزة فلا تحمل أصداؤه المتأوجة
فأخذ يستعرض تقلبات ماضيه استعراض
من عانى التجربة وتلذذ بتعظيمها ثم انقبض
لبأساتها ، فأتى هذا الإسهاب الجيد على ما في
نفسه من الشجون ، ولن يستطيع قول ابن

والاشتغال بغيره أولى وأنا أعوذ بالله من هذا القول ، وأستغفره بما جرى به قلبي مما لا يرضاه ولا يليق بجنابه وجناب رسوله وكتابه الحكيم ، ولعل ما يشفع له أن أحال إلى مرجع لابن الجوزي في نقض أمثال هذه السقطات .

لقد جاء كتاب المعاهد سجلا حافلا ، ومرشدا هاديا ، وقرأ مستطابا وقد رأيت أن أسجل خواطري عنه ليجد من الإقبال لدى الجمهور ما وجدته من اهتمام الخاصة من مقدري الكتب وعارفي الرجال .

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلومات بالفيوم

من رواة الأدب في تسجيل هذه المنتديات والغريب أن عبد الرحيم العباس يستشعر بعد الإكثار الممل من هذه الفضائح بعض الخجل فيستغفره ، ويشهد القارئ أنه راوية فقط ، ولو شاء ما ارتكب ذنباً يوجب الاستغفار ، وفي كلامه عن سمام بالملاحدة كابن الراوندي وأشباهه بعض ما كان الأولى طيه ، أو إتباعه بالنقد مع سهولته وقربه ، ولكن الرجل يذكر الآراء الكافرة دون تعقيب نقدي ، وكل ما يختم به الحديث لا يخرج عن مثل قوله (ح ١ ص ١٥٧) د ولو ذهبت أورد ما ذكره هذا الملعون وتفوه به من الكفر والزندقة والإلحاد لطال الأمر ،

(بقية المذثور على صفحة ٥٢)

ومهم من يلجمه العرق إلجاما ، قال : وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه . اللفظ في هذا الحديث للإمام (مسلم) وللبخاري حديث في معناه ، وكتابا البخاري ومسلم هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى .

فالأحاديث التي في هذا المعنى صحيحة ، ثابتة ، وليس لمسلم أن يقول إن ما تضمنته من القضايا هو من رواية الأساطير .

واقه بعصمنا من الخطل والزلل ، ويهدينا إلى الفهم الصحيح لأسرار شريعته .

علي العمري

عليه أكثر من أن نكتب له الحديث الصحيح الذي يروي هذه القضايا التي رماها حضرة من الأساطير :

(روى المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كقنطار ميل ، قال سليم بن عامر : فواقه ما أدري ما يعني بالميل ، أمسافة الأرض ، أم الميل الذي تكتحل به العين ، قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ،

مَاذَا تَعْرِفُ عَنْ "بُودَا" وَفلسفته

لدُّسْتَاذِ محمَّدِ الدِّينِ الأُلُوَائِي

ولمبادئها وتعديدها ، وهذه هي الطريقة الوسطى المركبة من ثمانية مبادئ جوهرية ، أى العقيدة الصحيحة ، والأهداف النبيلة ، والكلام الحق ، والعمل الصالح ، والوسائل الشرعية للحياة ، والسعى الحسن ، والعزيمة الصادقة ، والفكر الصائب ، وهذه هي المبادئ العليا التى تنير الطريق ، وتؤدى إلى المعرفة والبصيرة ، وتبعث على الطمأنينة والنجاة السرمديّة .

وقد وردت عن " بودا " أقوال مأثورة عن معظم العناصر للإنسان وحياته ، ويقول عن النفس الأمانة أى " مارا " : إن النفس لا تنقاد بسهولة لأنها ميالة إلى مختلف الجهات ، وطائرة فى شتى الآفاق ، وأما النفس المفقادة فهى التى تجلب الطمأنينة وسلامة الضمير والسعادة لصاحبها ، ويجب على العاقل أن يراقب أفكاره ويكبح جماح ذهنه ، وأن يذلل له ، وإن أفكارنا مثل سمك أخرج من الماء وألقي على الأرض ، يرتجف ليتخلص منها ، وكذلك الفكر الصحيح يجد ويسعى ليتخلص من إمرة النفس الأمانة بالسوء . إذا كانت الأفكار مركوزة ، والذهن مستقرا ، والقلب غير مشغول بأمور دنيئة فلا ينبغي للإنسان أن يخشى من شيء . والجسد

وجدت الفلسفة البوذية منذ بدايتها أرضا خصبة فى أرض الهند ، وتوطدت أركانها ، وترهرعت أغصانها ، وأثمرت ثمارها فى همد الامبراطور العظيم " أشوكا " ، واستطاع الباحثون أن يكتشفوا مدى انتشار الفلسفة البوذية ونفوذها من الاضواء التى ألقها المنحونات الأثرية والنمايل التاريخية التى يرجع عندها إلى عصر " أشوكا " ، وهوود ملوك " تشولا " فى جنوب الهند . ومن المعلوم أن " بودا " لم يضع كتابا خاصا أو دستورا جامعا واضح المعالم يحتوى على تعاليم دهرته ، ومبادئ فلسفته ، ولكنه بث فلسفته بطريق الخطب التى ألقاها حينما فآخر بين أتباعه وتلاميذه ، فقام عدد منهم بتأليف كتب تضم القواعد والمبادئ الدينية التى بشر بها " بودا " فى مواعظه ، والحكم والكلمات السديدة التى لقننا فى مختلف المناسبات ، وتجلت منها بوضوح الأهداف المنشودة من هذه الفلسفة ومبادئها الجوهرية ، ووصف " بودا " مرة فى إحدى خطبه طريقته بطريق سوى ، مبنى على البصيرة والتعقل والمعرفة ، ويبعد الإنسان عن الدناءة والقوى البهيمية ، والملاذات السخيفة ، وينهى عن إرهاب النفس

الظل صاحبه في جميع الأحوال ، والحب يقضى على العداء والبغضاء ، وأما العداء والبغضاء فلا يجلبان إلا العداء والبغضاء .

وأما الذى يعمل ويسعى بنية سيئة فينال الألم ، وإذا عرف شخص حقيقة الحياة في هذا العالم ، ويعتقد بأن مصيره إلى نهاية محتومة فلا يجرؤ على التكالب والتشاجر والتقاتل ، والذى يفشى ملذات الدنيا ومتعها فقط لضعيف لا يكون له سند قوى من الأخلاق الفاضلة ، وتقتلع نفسه من مستقرها كما تقتلع الشجرة الواهنة بالعاصفة من أصولها ، والذى يعيش قابضا على زمام جهامه ، ومقتصدا في مطعمه ومشربه ، وصادقا في أعماله وأقواله فنفسه مستقرة لا تتزعزع عن سبيلها وتسكون متوطدة في مكانها مثل الجبل الشاخ .

والذى يحمل الأفكار الصالحة يسعد في الدنيا والآخرة ، والذى يحمل الأفكار الفاسدة يشقى فيها ويتعذب كلما يفكر في سوء أعماله وأقواله ، وإذا هجر الكذب والأخلاق الفاسدة ينال المعرفة والضمير السليم ، ويمثلج قلبه كلما يفكر في أعماله الحسنة ويتقدم بنفسه إلى الفضيلة والحصول الخيدة .

ويقول عن العاقل بأنه يجتنب هذه الحياة المظلمة الطائشة ويختار سبيل الزهد والورع والتقى ، ويصير المرء العاقل دائما في احتراس

سريع العطب مثل لئام من الفخار ، والأفكار قوية متينة مثل القلعة الحصينة ، ولذا وجب عليه أن يقاوم النفس (حارا) بصلاح المعرفة والتنور ، ومراقبتها بكل دقة وعناية ، والضرر الذى يلحقه التفكير غير العصاب بصاحبه أدهى وأسر من الذى يبلغه العدو لعدوه والحاسد لمحسوده ، والإيمان المستقيم والعلم بالشرائع الحقة والقلب المطمئن لهُو السبيل الوحيد إلى المعرفة الكاملة .

وفي معرض الكلام عن الفكر يقول بوذا : إن العقل المتدبر لا تنفذ إليه الشهوات البهيمية ، وهو مثل الدار ذات السقف المتين الذى لا تجد الأمطار إليها سبيلا ، وأما العقل العاقل فيتمسك إليه الوهن والحزن مثلما ينفذ المطر إلى داخل البيت غير المسقف ، والذى طهر نفسه من الآثام فيتمسك بالحق ويستقيم في سلوكه له الحق الكامل لارتداء الرداء الأصفر (الذى يدل على الورع والتقى والتنسك) ، وأما الشخص الذى يرى الباطل حقا ، والحق باطلا ، لن يفوز بإدراك الحقيقة أبدا ، ويجر أذياله وراء الأهواء الباطلة حتى يأتيه حق اليقين ، ولسنا لإصنائع أفكارنا ، ونسيج أخيلتنا ، وقلوبنا ينابيع سعادتنا ورفاهيتنا ، والذى يسعى ويعمل بنية حسنة ينال السعادة الأبدية مثل ما يتبع

ويقول بوذا متحدثاً عن الحزن والسرور:
بأن الذي أتم سفره وجدد نفسه من الروابط
الدنيوية التافهة وكسر قيود نفسه وحطم
سلاسلها لا يشعر بألم ولا حزن ولا كآبة ،
وينعم بأفكاره الهادئة ويعيش على الغذاء
المشروع بدون التهرب وراء لقمات العيش ،
ويجعل نفسه منفادة له مثل الفرس الذي
يربت صاحبه يده على زمامه ويتجرد من
الزهو والحيلاء ويتحرر من الجوع ، ويرى
متواضعاً تواقاً إلى النجاة الأبدية ، والمعرفة
الحقة تجلب على صاحبها الهيبة والوقار وهو
مكرم في أعماله وأقواله وحرركاته وسكناته .
والرجل العظيم لا يتسرع بالنصيحة
وينبذ الرغبات النفسية الطائفة والأهواء
ويدرك الحق ولا ينشد لذة مادية بل سعادة
خالدة ، وكلية واحدة من الحكمة خير من
ألف كلية لا تنفع ولا تجدى نفعا ، وقال
بوذا مرة : إن كلمة ينتفع بها الغير خير من
ألف شعر لا ينفع الآخرين ، وأن تقهر
نفسك خير من أن تقهر الناس كافة .

وأما عن الخير والشر فيقول بوذا : يجب
على الإنسان أن يسعى إلى الخير ، ويتنكب
عن أفكار الشر . وإذا وقع منه الإثم مرة
فلا ينبغي له أن يعود إليه مرة أخرى لأن
تراكم الآثام شقاء ، وإذا كان حملك هذا خيراً
فعد إليه دائماً لأن تراكم الخير سعادة وأما
الشر فلا تستخف به أبداً فهو مثل الماء

وحذر في جميع أقواله وأفعاله ، فلا يتحدث
بشيء لا يرضاه لذاته ، ويكون ذا عقل رشيد
معتدل ويصبح وصيلاً ، ويقول بوذا مخاطباً
الشخص العاقل : إن وجدت رجلاً يدلك
على الخير وينهك عن الشر فهو صديق عاقل
يستحق الصحبة ، ومثله كالذي يدلك على
كنوز ثمينة مكنونة ، فاقبل نصائحه ،
واستمع إلى توجيهه ، وأطع أوامره .
ويجب على العاقل أن يصاحب الصالحين ،
ويبتعد عن الأشرار ، وأما الشريعة بنفسها
السعادة ، والذي يعمل بها يحيا حياة
صعيدة مطمئنة ، والعاقل لا يفقد اتزانه
العقلي أمام مدح الممدوح وذم العاتب ،
والمغفل الذي يعرف أنه مغفل فهو شبه
العاقل والذي لا يعترف بحقيقة فهو والاحق
المطابق ، وإن عاش مع العاقل مئات السنين
فلا يحس بلذة العقل ، وأما الذكي فإذا عاش مع
العاقل فيدرك طعم العقل ويشعر بلذة الحق ،
والاحق هو أكبر أعداء نفسه لأنه يأتي
بأعمال تجلب له الأضرار الجسيمة ، وأما
الإثم فربما لا تبدو نتائجه فوراً ويظل خامداً
تحت الرماد مثل الجرة قتلتها مرة بدون
سابق إنذار ، وإذا أظهر يفتضح صاحبه
ويجلب له العار والحزن ويقضى على سروره
وسعادته ، والمغفل المنزور يحاول دائماً
ليكسب الشهرة والسيادة على النجماح ومحافل
الناس بدون طائل .

والذى يتقاعار فى الإثاء فيحتلى به تدريجاً مهما كان كبيراً ؛ لأن قطرات صغيرة من الماء تتجمع فيصبح شيئاً كبيراً . وكذلك الخير فلا تستخف به فإن الأعمال الصادرة من الخير مهما صغرت — عند الاجتماع تكون خيراً كثيراً . فلا يجد الإنسان — لا فى أكناف الأرض ، ولا فى أعماق البحر ولا فى الجبال مكاناً يفر إليه من مغبة الإثم الذى ارتكبه يدهاء فثأنه فى ذلك شأن الموت الذى لا ينجو منه أحد بأية حيلة بشرية ، ويبعث الناس مراراً بعد الممات فالأخار يدخلون الجنة والاشرار يدخلون النار . فإذا حاول شخص إيصال أذى لآخر فيرجع على رأسه هائداً مثل الغبار الذى يعود على من يشهده من الأرض . ويجب على الإنسان أن يجتنب جميع أنواع الشر بكل جسد واجتهاد مثل التاجر الحذر الذى يجتنب طريق الخطر فى تجارته بكل الوسائل الممكنة .

ويعشى الناس كلهم العذاب والعقاب قبل الممات وبعده وعليك أن تعتبر نفسك واحداً منهم فلا تصب أذى أو ألماً للآخر فلا تقتل النفس ، ولا تسفك دم إنسان مهما كان ؛ لأن الجميع يحبون الحياة مثلك ويهدفون إلى التمتع بنعم الحياة . وإن الذى يقتل شخصاً أو يؤذيه لا ينال السعادة بعد موته وكذلك لا تشتم أحداً فيكملك بنفس المسكيات والناس يعاملونك معك كما تعاملهم أنت معهم

وإذا حفظت لسانك من عيب الآخرين فالنجاح مضمون لك . ولا تكن مثل الأحمق الذى لا يعرف مدى الخطايا التى ارتكبها والشرير الذى يلتم قلبه بآثامه والذى يصيب ضرراً أو أذى لفريق من الخلق يتبلى بإحدى هذه البلايا العشرة الكبرى : الآلام الشديدة . والجروح الجسدية ، والخسائر الفادحة ، والأحزان والمهوم المضنية ، والجنون ، وسخط الملك ، والتهم الفظيعة الشنيعة ، وإفلاس الخزان ، وانعدام الأقرباء ، وتنزل الصاعقة على داره فيحترق ثم يدخل جهنم ويبقى فى هذاب جهنم .

وإذا لم يحاول الإنسان أن يسير على جماع نفسه فلا يلومن إلا نفسه ، وعليه أن يرتدع من الآثام والخطايا خوفاً من العار الذى سيلحقه مهما كان معروفاً أو مشهوراً بين الناس وإذا لم يتمكن بنفسه من السيطرة على نفسه الأمارة فلا ينفذه شيء . ولذا يجب عليه أن يكون نقيماً سديداً فى أعماله وأقواله . وقال بوذا هن سبيل النجاة والخلاود المعروف بـ " بثر وإناء " : إن الراهب الذى يجد السعادة والعلمانية فى أفكاره وأعماله ولا يحمي بمقدار حبة من الطريقة المستقيمة ينال الخلاود النفسى والنجاة الأبدية ، وإن الراسخين فى المعرفة والجهد المتواصل مع العلم الصحيح لم يعمقوا العقلاء المفكرين الفاضلون بالخلاود والسعادة المرمدية . وضرب بوذا

بالمريض ألم والوفاة ألم ، واتصال الأمور
المحرزة ألم ، ثم بين الطريقة المفضية إلى إزالة
الألم ، والتحرر من آثاره والابتعاد عن
قبضته ، وهذه الطريقة هي الوسطى المشتملة على
الأمور الثمانية المذكورة من العقيدة السليمة
والأهداف العلية - والسلام الحق والعمل
الصالح والوسائل الشرعية للحياة والسعي
الصالح والعزيمة الصادقة والفكر الصائب .

والآن أرى من المناسب أن نبين القوانين
العشرة التي وضعها بوذا بنفسه لكل مرید
من أتباعه وأوجب عليه دراستها والمحافظة
عليها بكل دقة وإخلاص حتى يدرج في سلك
التلامذة النساك الخالص وهي كما يلي : التزام
الحبيطة في أخذ متاع الدنيا والتصرف فيه ،
والابتعاد عن التقرب إلى غير مسموح به ،
وتجنب الكذب والزنا وشرب الخور وسائر
المسكرات . وأن يقناول الطعام في غير الظلمة
من الأوقات وألا يقرب الملامى والرقصات
والأغاني واستعمال العطور والورود وغيرها
من الأشياء الخلابة التي هي من أدوات الزينة
الظاهرية المحضنة ، وعدم استخدام المرمر
أو المقاعد الفاخرة المارتنعة وتجنب الذهب
والفضة ، وينبغي لكل تلميذ من أتباع بوذا
أن يتدبر جيداً في هذه الآداب الجوهرية .

وإن للبوذية بمحوتها قيمة في تحليل الذات
وعناصرها وهي أولاً تقسمها إلى العناصر

مثلاً للجادين والسكالي إذ قال : إن الذين
يسعون ويجدون لا يموتون وإن تغيبوا
عن أهين الناس في هذه الدار ، وأما السكالي
فصار التفكير في حكم الأموات وإن كانوا
يمشون على الأرض على قيد الحياة .

وإن المفكر أنشط يرفع بنفسه إلى درجة
الكمال فيستمر في رفعة بعد رفعة وعلى كل مغفل
أن يتعظ باعتدال العاقل وصبره وجده .

وأما العاقل فيخلق لنفسه - بفضل مساعيه
القديمة وتفكيره السديد - جزيرة محصنة
لا تصل إليها السيول الجارفة والزوبعة
العنيفة ، ولا العواصف المزعجة لأن دعائمها
متينة وترتبط بقوة وحدودها موطدة المعالم
وأما السفيه المغرور فينخدع بملذات العيش
وسفاهف الأمور بينما يرى العاقل أغلى
المواهب الكامنة في نفسه ويرفع إلى درجات
الكمال وينظر من فوق رتبة العليا إلى الأرض
وأهلها مثل الواقف على قمة جبل شاخ ينظر
إلى السهول الممتدة تحت صفحه . وفي مكانة
العاقل المفكر أن يتحرر بنفسه من الأحزان
والطيش وملذات العيش الدنيء والهوى فينال
السعادة العظمى في أصح معانيها وأكمل
وجوهها .

وقال بوذا العظيم في إحدى خطبه القيمة :
إن الطرق الخمس للتشبهت بالوجود أنواع
من الألم فالولادة ألم والشيوخوخة ألم والإصابة

وتقول البوذية بأن العالم ظل زائل وتغض النظر عن البحث في بداية العالم وفيمن يدير دفتيه ومن هو حلة التغير والتطور .
وأما البراهمة فتقول بمخلود الروح والعالم ثم تفرق بين الاصطلاحين المعروفين لها إذ تقول : فإن الروح التي تطلق عليها بالجوارح الإنسانية مثل العين والأذن والأنف واللسان وسائر عناصر الجسد فهذه غير خالدة وقابلة للتغير ، وأما التي تطلق عليها بالفكر والعقل والشعور دائمة خالدة وغير متغيرة .

وعلى هذا قالوا بمخلود الروح من ناحية ، وعدم خلودها من أخرى . وهذه نظرية عسيرة المنال ، والإدراك ولا يدرك كنهها إلا أولو العلم والبصيرة الوقادة . وطبقا للبوذية بأن العناصر تتولد من الجهل ومنها يتولد الشعور ثم الصورة والجسم والفكر والحواس الخمسة ، ومن الحواس الخمسة العلاقة الوثيقة بين العناصر الجسمية والذهنية ثم يتولد الحس ، ومن الحس الشهوة وهي مصدر التثبث بالوجود والرغبة في الوجود وتجدد الحياة .

وإذا نالت الإنسانية درجة الوجود وتجدد الحياة يأتي بعدها الهم والالم واليأس والشيخوخة والموت . وعلى هذا المبدأ إذا زال الجهل تفتى العناصر المادية فتفتى الحواس الخمسة وتحمى القوى الشهوانية والتثبث بالوجود والرغبة في الوجود وتجدد

الخمس : الأول الجسد ، وهو غير الذات في نظر البوذيين لأنه لو كان هو ذاتا لما كان يتأثر بالمرض ولا يمكن أن يقال بأن جسد فلان كذا وكذا . والثاني الحس وهو غير الروح والذات وهو صالح للتأثر والالم وما إلى ذلك من الآثار الإنسانية ، والثالث الفهم ، والرابع الشعور وهو أيضا غير الذات وإلا لما أمكننا أن نقول : شعورى كذا ولا يكون كذلك ولا يخضع أيضا للأعراض المرضية . والخامس المعرفة ، وكل واحد من هذه العناصر يتغير حسب تقلبات المواقف الذهنية ونظام التركيب في الذات الإنسانية .

ولا نجد للبوذية بحثا متعمقة منصلة عن نظرية خلود العالم وعدمه أو نهايته أو لا نهايته . وتقول الطائفة البوذية بأن هذه من النظريات التي تنتهى فيها العقول ولا يصل التأمل فيها إلى شاطئ قطمأنينة والإقناع . ولكن بوذا يقول في حق الخالق الأكبر بأنه : الأعلى المهيمن . الصانع . الصمد . العليم . البصير . المالك . الرب . وأحسن الخالقين .

والذى يقين من بعض خطب السيد بوذا وبيانات كبار طائفته ، أن البوذية تنسك العقيدة الشائعة لدين الهندوس بأن العالم يدور في دورات من السكون إلى الحركة ثم ينتهى أخيراً إلى السكون ، ويعده إبراهيم خالق السكون طبقا لمعتقداتهم - إلى الدوران ،

الحياة فزول الألم والحزن والقنوط ويتحرر العقل الأول من فساد الشهوة الحسية والروابط الدنيوية الفانية .
والتي بوذا عدة خطب قيمة تدور حول المبادئ عن الحياة والفكر والنجاة وما إلى ذلك فنقلنا فيما سبق مقتطفات منها ولعله من المناسب أن ننقل الآن آخر موعظة ألقاها بوذا بين الناسك قبل أيام لوقاته . ونجد فيها وصايا ومبادئ تتعلق بالفلسفة البوذية وكانت تلك الموعظة الأخيرة - كما قيل - في حضور آخر تلميذ لبوذا « سدهودن » فقال : إن كان منكم أحد لم يعلم قلبه بالإيمان أو في قلبه الشكوك في بوذا أو رسالته أو المبادئ التي دعى إليها فليساألني الآن . ولا تقولوا بعدى بأننا نأسف على عدم الاستفسار لبوذا عن مسألة كذا وكذا وكان بيننا حيا ، ولما ظل الحاضرون جميعا صامتين بعد أن كرر السؤال ثلاث مرات

مقتالية قال :
لعلكم لا تسألون احتراماً لي فليتحدث بعضكم إلى بعض ... وبقى الناسك صامتين وكان على رؤوسهم الطير فقال التلميذ الوقور « آ لندن ، يا سيدي المحترم إني لعلى يقين تام بأنه لا يوجد بيننا أحد يشعر في نفسه رغبة أو شكاً في بوذا أو في مبادئه وتعاليمه . ثم قال بوذا : إن الله يعلم بأن هذه الجماعة لا تحتوي على أحد يساوره الشك في بوذا

أو في مبادئه ، والتفت إلى الحاضرين فقال : إن الأشياء المركبة كلها فانية وجاهدوا بأنفسكم ، وقال بوذا في موضع آخر : إن الحياة لأمر مرتاب ، والموت لواقع محتوم فلا منجى لأحد من لقاء الموت وعليكم أن تذكروا في الموت دائماً واذكروه في جميع الأحوال ، ومن لم يعود نفسه على ذكر الموت فيكون مثله كمن تفاجئه حية سامة فيتولاه الذعر والخوف بهذه المفاجئة الاليمية ، وأن الذي هود نفسه على ذكر الموت دائماً مثل رجل ذى بصيرة عن حقيقة رأى حية بجواره فرفعها بعصاه ورمها إلى الورا بدون خوف ولا مفاجأة ولا يفرح بلقاءه الموت لأنه كان مستعداً له من أعماق قلبه من قبل ، وعليكم أن تذكروا الموت في جميع الأحوال بدون انقطاع .

وتحدث بوذا مرة عن حقيقة العالم وتطوراتاته فقال : سيأتي حين من الدهر حيث يتطور هذا العالم ، وتكون علامة بداية ذلك التطور أن تحيد الموجودات جميعاً إلى عالم إشعاعي فتظفر بنعمة الوجود وتفرح وتمرح في أرجائه في مجد وجلال وتستمر هذه الحالة إلى مدة طويلة ثم ينعدم العالم بأجمعه ويقفر ويسود العدم على السكون ، وجميع المخلوقات في العالم ستزول عنها حالة التشخص ، والمركبات الحادثة كلها فانية تتولد وتموت ، وكل مخلوق خاضع للتتبع فلا بد أن يفارق الدنيا الفانية

وتزيينها بالشجيرات والرايات والأقواس .
 جلست الملكة في هودج ذهبي حمله ألف
 رجل من رجال البلاط الملكي وكانت الطرق
 مزدانة بالأشجار الباسقة والخنازل المتناثرة مع
 أغصانها والطيور تغرد في طرب وسرور
 ولما نظرت الملكة إلى هذا المنظر الخلاب
 أرادت النزول والتنزه في الخنازل . وقربت
 الملكة إلى إحدى الأشجار واشتبهت إلى أخذ
 غصن منها فإذا هو يحنو أمامها ويدنو منها
 من ذات نفسه فدت يدها وتناولته وشمرت
 حينذاك بالمخاض وأسدلوا ستارا حولها
 فوضعت حملها وهي مسكة بذلك الغصن وتقدم
 إليها بعض النساء البراهمة فقالوا حاملين
 للولود : أبرشى أيتها الملكة ! إن طفلك
 سيكون له شأن عظيم في مستقبل حياته .

وأما الملك ففد أن سمع من كبار البراهمة
 بأن ابنه سيكون له شأن عظيم بدأ يهتم به
 كثيرا وشيد ثلاثة قصور نفخة واتخذ كل
 التدابير اللازمة لإبعاده عن آلام الدنيا
 وغناؤها وعاش بوذا الطفل في تلك القصور
 في هدوء وطمأنينة ، وفي يوم من الأيام أراد
 بوذا أن يتنزه في الحديقة الواسعة الأرجاء
 في صرة ملكية مزينة فاخرة مركبة بالجواهر
 والأهلام الملكية وركب فيها وتوجه إلى
 الحديقة المذكورة بكل آية وبهجة . وبينما
 كان يتجول في الحديقة الفاخرة رأى شيخنا

ولا ينبغي لأحد أن يعتمد على الأشياء المركبة
 القابلة للتغير ومصيرها الزوال ، ولا يجوز
 لأحد أن يتمنى الخلود أو البقاء في هذا
 العالم الزائل .

وفي نهاية هذا البحث السريع عن المبادئ
 الجوهريّة للفلسفة البوذية أرى من المستحسن
 أن نلقي نظرة خاطفة حول مولد بوذا الذي
 كان من المفروض أن يجلس على العرش
 الملكي ويحكم الدنيا وهن الظروف التي أدت
 إلى تزهده في الدنيا وانفجاسه في التأمل حتى
 نال مرتبة النكال وأصبح مرشدا روحيا
 وزهيا دينيا للملايين الناس ، وكان أبوه أميراً
 على قبيلة « سكياس » ويرجع تاريخ ولادته
 حسب حساب أهل جزيرة سيلان إلى ستائة
 وأربعة وأربعين قبل الميلاد فكانت وفاته
 عام خمسمائة وأربعة وأربعين قبل الميلاد بعد
 أن عاش ثمانين عاماً وكان اسمه « جوتتم » وقيل
 بأن معنى كلمة « بوذا » هو « العارف » وتطلق
 لفظة « جوتتم » على القبيلة التي انحدر منها بوذا ،
 وقد سمي نفسه أيضاً باسم « صدهارتما » أي
 الذي نال مناه وكانت والدته الملكة « مهامايا »
 وتقول الأساطير البوذية بأنه إذ حان موعده
 وضع طفلها هذا شمرت بمحنين في قلبها إلى أهل
 أبيها ورجت من الملك أن يأذن لها بالذهاب
 إلى موطن أسرتها فقبل الملك طلبها وأصدر
 الأمر بتعبيد الطرق المؤدية إلى مدينتها

فضائل الزهد والتقى ، وتمكنت فكرة الزهد في قلبه ولم يعد إلى القصر بل مضى في سبيله إلى الغابات ونال فيها العرفان .

وهذه إحدى الأساطير الواردة عن زهد بوذا ونيل العرفان . وبعد أن قضى بوذا زمنا طويلا في التفكير في مصير الدنيا والحياة فيها واستكمل عرفانه وتبين له أن الخلق يموت ويبعث ويتجدد في حياته فن صلحت دنياه صلحت أخراه ، ومن فسدت دنياه فسدت آخرته . وهكذا هزم بوذا على بث دعوته المبنية على المبادئ الجوهرية التي سبق ذكرها ، ووصفها بالطريق السرى للنجاة الأبدية .

ورفض بوذا في خطبته الأولى التي ألقاها بين تلامذته فكرتي إرهاب النفس وإيذاها وترك الدنيا تركا كاملا .

والتعبت بملذات الدنيا وشهواتها وأهوائها ودعا إلى طريق البصيرة والمعرفة التامتهن . وبين هذه الطريقة بمبادئ ثمانية ويتجلى مما سبق أن البوذية لا تعترف بنظرية اتحاد الذات والجسد وبقاء الإنسان بعد الموت ، أو بخلود العالم ولذلك لا تبحث في بداية العالم وكونه ، بل في الحلة الأولى للخلق والتطور وتختار طريقا وسطا بين الإفراط في التمسك بالدنيا وملذاتها ، والتفريط في هجرانها والزهد فيها .

هرما طاعنا في السن واهنا هظامه واشتعل رأسه شيئا وكان يمشى مرتعشا متكئا على عصاه وكان المنظر يحزننا يبعث على التدبر في أحوال الدنيا .

وقال بوذا يتفطر قلبه ، حزنا وكآبة : يا للويل للولادة التي تمهد الطريق للشيخوخة الغائية إلى بنى آدم فلا خير في نعم لا تدوم ووجاء يزول في طرفه هين . ثم عاد الأمير فورا إلى القصر ولما علم الملك نبأ هودته قبل الموعد سأل الحاشية عن السبب المؤدى إليها فقالوا : إنه رأى في الطريق شيئا هرما وقد احدوب ظهره ووهن عظمه وسقطت أسنانه ، ونحاف أن يزهد في الدنيا بعد رؤية ذلك المنظر المحزن . وقال الملك : لا ينبغي لأبى أن يفكر الآن في الزهد عن الدنيا مادام موفور الحظ ثم هين الملك المراقبين في أنحاء المدينة ليقوموا بإبعاد كل شيء مزعج عن عين الأمير . وبعد فترة من الزمن خرج بوذا مرة أخرى للتزهد فرأى شخصا مصابا بالداء العضال بحيث يعاناه الناس وفي منظر كربه جدا . وازداد حزنا وتعمقا في التفكير عن آلام الدنيا وتفاهة العيش فيها وفي المرة الثالثة رأى الأمير رجلا أنيقا في ملبسه زاهدا في الدنيا عنه فسأل عنه سائق العربدة الملكية التي كان يتزهد فيها الأمير بوذا فأجاب بقوله : هذا رجل ورع زاهد في الدنيا ووصف

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

٨ — أطيب وجوه الكسب

- ١ — سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الكسب أطيب ؟ قال : عمل الرجل بيده . وكل بيع مبرور ، ويعني بالمبرور من البيع ما يحصل به للبائع بر وخير ، كأن يبيع السلعة التي يمتلكها بشئ معقول مقبول يحقق له فائدة معقولة مقبولة ، ويحقق للشئ مع ذلك مصلحته في اقتناء السلعة والاتفاح بها ، فالكسب عن طريق البيع والتجارة حلال مشروع كما يفهم من هذا الحديث وكما يفهم من قول الله تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » ، وقوله سبحانه : « يأيتها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .
- أما العمل فهو خير وسائل الكسب كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده . وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) .
- ٢ — غير أن العمل الذي يسوغ به الكسب وتطبيب به الحياة . هو كما يفهم من القرآن الكريم « عمل الصالحات » ، ومعناه يسع كل ما يحقق مصلحة عامة ، أو خاصة لا تضر بمصلحة عامة ، ومن ثم قرنه الله بالإيمان وقيده بالوصف الدائم اللازم له وهو الصلاح حتى لا ينشأ عنه شر أو ضرر بالغير ، فقال تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . وقال سبحانه : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » ، فالحياة الطيبة - ومعناها يسع كل ما تطيب به النفس مرهونة بهذين الأمرين كما يفهم من هاتين الآيتين وهما الإيمان والعمل الصالح ، وقد رتب الله عليهما حسن الجزاء وحسن المآب : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » ، « يوم يقوم الناس لرب العالمين » .
- ٣ — فإذا فقد العمل ركنه الأساسي وهو الإيمان كان كما يقول الله فيه : « والذين

كفروا أفعالهم كسراب بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاء لم يجد شيئا ، وكما يقول فيه « مثل الذين كفروا برههم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم حاصف لا يقدرُونَ مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ، فهو كما يفهم من الآية الأولى سراب يتخيله الناظر إليه ماء وهو مجرد خيال لا ينفع غلة ولا يروى ظمأ ، وهو كما يفهم من الآية الثانية رماد تعصف به الريح فإذا هو هباء طائر في الفضاء لا ينفع صاحبه شيء ولا يبقى لصاحبه منه شيء وقد مثل الله حال الذين يبطلون صدقاتهم بالمن والأذى بحال الذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر وذكر أن عمله كتراب على حجر أملس يقع عليه المطر فلا يبقى منه شيئا . وذلك حيث يقول سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا ، »

هـ - على أن طاعة الله وطاعة الرسول إنما هي استجابة للدعوة إلى الحياة الحقيقية العظيمة كما يفهم من قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحْيِيكم ، .

فالإسلام هو الحياة بكل ما تنفع له كلمة الحياة من معاني الحركة واليقظة والعمل والقوة والعزة والكرامة ، بل إن الحياة في نظر الإسلام هي المرحلة الوحيدة الفريدة التي يجب أن يستثمرها الإنسان بالعمل الصالح ،

فالسكانر مهما يكن شأنه ومهما يكن عمله لا وزن له ولا قيمة لعمله عند الله ، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « والذين كفروا فمصالحهم وأضل أعمالهم . ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم . »

فالسكانر مهما يكن شأنه ومهما يكن عمله لا وزن له ولا قيمة لعمله عند الله ، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « والذين كفروا فمصالحهم وأضل أعمالهم . ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم . »

إلى المزيد من الطيبات فهو دائما يأمل ويعمل
ويستخدم عقله في توجيه عمله إلى الغاية
التي يتحقق بها أمله وهو ما دام يحيا ويعيش
يشعر بحاجات تتجدد في نفسه وتزايد أمام
عينيه .

وهذه الحاجات تدفعه إلى العمل وتحفزه
إلى النشاط ، ومن عجيب صنع الله فيه أن
يكون شعوره بمحاجته هو مصدر ما نرى من
مظاهر قوته ، فشعوره بالحاجة إلى الغذاء
والكساء والمأوى دفعه إلى استقار الأرض
وبناء البيوت والقصور ، واختراع أدوات
الزراعة وآلات الصناعة ، وشعوره بالحاجة
إلى السرعة في قطع المسافات البعيدة دفعه إلى
اختراع السيارات والقاطرات والطائرات ،
وشعوره بالحاجة إلى قوة تصونه أو يعظم
بها سلطانه دفعه إلى اختراع الأسلحة الفاتكة
المهلكة ، وكل ما نرى من مظاهر المدنية
ووسائل الحياة يمثل نشاط الإنسان وعمله
حتى لم يكن أن يقال : إن الحياة هي العمل
والعمل هو الحياة .

٨ — ولا شك أن الإسلام - وهو دين
الفطرة - يدعو إلى العمل ويعنه بالشواب
عليه ، بل يجعل العمل هو الثمرة الطبيعية
للإيمان والنتيجة الحتمية له . كما يفهم من
اقتراحه به في كثير من الآيات . ومن قوله تعالى :
« ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من

ويتزود منها بما ينفعه في الدنيا والآخرة
لأنها فترة الامتحان والاختبار كما يفهم
من قوله تعالى : « الذي خلق الموت والحياة
ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور »

٦ — والمتأمل في القرآن يجد في كثير
من الآيات يلفت نظر الإنسان إلى أن
كل ما حوله مستخر له . ميسر لمصلحته . وأنه
هو الذي آثره الله بالخلافة في الأرض وفضله
على كثير من خلق وزوده بكثير من المواعب
والقوى لينتفع بها في تعمير هذه الأرض
واستثمارها ، والاستمتاع بما فيها من أقوات
وخيرات وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى :
« ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير
من خلقنا تفضيلا . » وقوله سبحانه : « هو الذي
جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها
وكلوا من رزقه ، وقوله جل شأنه : « فإذا
قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا
من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون ، وقوله : « هو الذي خلق لكم ما في
الأرض جميعا » ، وقوله : « وفي السماء رزقكم
وما توعدون » .

٧ — ثم إن كل ما نرى من مظاهر
العبرة والحضارة والعلم ينطق بحكمة الله
في الإنسان إذ اصطفاه واجتباها وجعله
في الأرض خليفة ، فقد خلقه نزاهة بفطرته

وهو أفضل من أقلته هذه الأرض وأظلمه هذه السماء ، يرهى الغنم ويسافر للتجارة ، ويعمل مع المسلمين في حفر الخندق فيقطع الصخور ويحمل القرباب ، وكان نوح يصنع السفن ، وداود ينسج الدروع وبأكل من حمل يده وهؤلاء وغيرهم من الأنبياء هم الذين يقول الله فيهم : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، فليس الدين تواكلا وتمكسلا وسلبية وإنما هو إيمان راسخ يعمر القلب ، وعمل متصل بعمر الحياة وثقة تامة بأن الله كما يقول سبحانه : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يحسنه) وقال تبارك وتعالى : إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

عبد الرحمن فوره

يعمل سوءاً يجوز به ولا يجده من دون الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها .

ولا فرق بين عمل يطلق على القائمين به اسم عمال ، وبين عمل يقوم به غيرهم من المواطنين والتجار ومديري المصالح والشركات لأن العمل الصالح يطلق ، ويصدق على عمل هؤلاء وهؤلاء ، بل إن كلمة العمال بمعناها العنصري المعروف في غير بلادنا لم يكن لها وجود في المجتمع العربي والإسلامي ، وإنما كانت على العكس من ذلك تطلق على الولاة والحكام .

٩ — والمؤمن الصادق لا يألف من العمل مهما يكن نوعه مادام يحقق له مصلحة أو يجد فيه خيراً ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم

لا تغلوا في دينكم

تزوج عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكان شاباً تقياً نزاعاً إلى العبادة والصيام والقيام ، فذهب أبوه عمرو يسأل زوجته عن حاله معها ، فقالت في أدب : نعم الرجل عبد الله ، لم يطأ الأرض فراساً منذ جثناه ، فشكا عمرو ابنه إلى الرسول فقال له عليه الصلاة والسلام : ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقال : بلى يا رسول الله . فقال له : إن ليزجرك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً ، ولجسديك عليك حقاً ، صم صوم داود نبي الله فإنه كان أعبد الناس فقد كان يصوم يوماً ويفطر يوماً . (أو كما قال)

العقّار : في الدّراسات اللّغويّة

للدكتور كمال بشر

شخصيته وعقليته ؛ شخصية قوية لا تلين في غير حق ، ولكنها دائماً تنصف في سبيل هذا الحق . وعقلية جبارة تنفذ إلى أعمق النفوس والأشياء ، فتكشف عن أسرار لا يدرك مغزاها أو معناها المتعجلون السطحيون . ومن ثم يسمون أعماله تارة بالصعوبة والتعقيد ، وتارة أخرى بالإغراق في تحليل الجزئيات دون النظر في الكليات ، أو دون القيام بعملية تجريد لهذه الجزئيات ، والوصول منها إلى قضايا كلية .

كل هذه الصعوبات قد وهبناها وتدبرناها منذ شرعنا في التفكير في هذا الموضوع . غير أن هذه الصعوبات لم تمنعنا مطلقاً من تتبع أعمال الرجل ومحاولة تقويمه من وجهة النظر اللغوية الحديثة . وأظنه ليس من الإنصاف في حق العقاد أو في حق نفسه على سواء أن أدعى أنني أت الآن بدراسة تفصيلية أو شبه تفصيلية لآثاره اللغوية . إن الذي أستطيعه في هذا المقام لا يعدو أن يكون تخطيطاً لدراسة أشمل ، ولا يجاوز أن يكون سبباً لإطار عام لبحث أوسع وأكثر استيعاباً .

(١) أظن أن الجانب اللغوي عند العقاد لم يزل ما نالته جوانبه الفكرية الأخرى من البحث والدراسة ؛ بل قد نضيف إلى ذلك أن هذا الجانب لم يحظ حتى الآن بدراسة واعية جادة . ومن ثم كان دورنا في هذا المجال شاقاً هنيئاً . وما يزيد في هذه المشقة وتلك الصعوبة أمران مهمان : أولهما يتعلق بمادة البحث ، وثانيهما يتعلق بالاتجاه الفكري العام عند الراحل الكريم نفسه .

فالمادة اللغوية التي خلفها لنا العقاد كثيرة متنوعة ، تقتضي من الدارسين أناة وصبرا بالغين . وتحتاج في عرضها ومناقشتها إلى وقت أوسع وأفسح مما يحتمله هذا المقام . وهذه المادة - بالإضافة إلى ذلك - موزعة بين آثاره العديدة ، ومتناثرة هنا وهناك في بطون تلك الآثار .

أما الاتجاه الفكري عند العقاد فصعوبته توحده وتفرده ؛ فهو اتجاه أو - بالأحرى - منهج خاص بالرجل وحده ، تلبس فيه بوضوح

(١) حصل بالجزء الذي نشر من هذا المقال خطأ في التصحيح ونعيد نشر المقال بأكمله بدلاً من نشره على مرتين .

بهذا التناقض في أعمال العقاد اللغوية ، بل لا تسمح له طبيعة البحوث ذاتها بهذا الحكم بمجال من الأحوال . ذلك أن العقاد في بحوثه اللغوية يمثل مدرستين منفصلتين وغير متطابقتين ، وقد لاحظ ذلك هو نفسه ؛ فخصص لكل حالة بحوثاً وقضايا لغوية معينة ، تتمشى طابعها وخواصها مع المنهج المعين الذي سلكه . فالعقاد - بوصفه لغوياً - باحث ومعلم معاً . فهو حين يبحث ويناقش القضايا الكلية والمشكلات ذات الصلة الأكاديمية ينحو نحواً وصفيّاً صرفاً أو يكاد ، مهملاً المعيارية وتوابعها من فلسفة ومنطق . أما حين يستلزم الأمر أن يكون معلماً - ومعلماً من طراز القادة المصلحين والرواد المجددين - إنه حين يقف هذا الموقف يهجر على الفلسفة والمنطق قصداً إلى التحليل غير المتعجل وإلى الكشف عن أسرار الحقائق اللغوية ، كي يصل بذلك كله إلى إقناع المتعلمين أو الشاكين أو إلى إقحام المعارضين المعاندين بغير حق أو معرفة .

والعقاد في كلا المنهجين يعد مثلاً للدقة في الشرح والتحليل والتطبيق ، وفي كلا النوعين من بحوثه يؤكد لنا عمقه وسيطرته على المادة وطرائق البحث كذلك ويتمثل الاتجاه الأول (وهو الاتجاه الوصفي) في أعماله كثيرة أهمها بعض ما سجله في كتابه

وعندنا أن قيم البحوث اللغوية تقاس بثلاثة مقاييس مجتمعة غير منفردة . هذه المقاييس هي : —

أولاً : منهج البحث الذي يقبّه الباحث .
ثانياً : مجالات الدراسة .
ثالثاً : الأغراض أو الأهداف التي يرى إليها اللغوي المعين .

أما من حيث المنهج ، فالرأى عندنا أن العقاد يتبع منهجاً معيناً نستطيع أن نسميه بالمنهج المعيارى - الوصفي وهو منهج يسدر متناقضاً لأول وهلة ؛ إذ أن الدراسة اللغوية الوصفية تعنى أولاً وآخرها بوصف الحقائق اللغوية كما هي ، دون فرض أية قاعدة أو قانون على المتكلمين . ولا يهمها بعد ذلك أن يكون كلامهم متمشياً - أو غير متمشٍ - مع قواعد الفلسفة أو المنطق . وإلى العكس من ذلك تماماً تذهب الدراسة اللغوية المعيارية ، تلك الدراسة التي تهتم قبل كل شيء بفرض مجموعة من القوانين والقواعد العامة التي يجب على المتكلم أن يتبعها في كلامه . وأصحاب الدراسة المعيارية يصلون إلى قوانينهم وقواعدهم هذه عن طريق النظر الفلسفى أو المنطقى من قياس وتحليلات فرضية ، أو تأويلات وتعليلات .

على أن الباحث المدقق لا يستطيع أن يحكم

والدقة ، فبعد الفرق بينهما واستوى العقاد عملاقا على قمة الفكر الإنساني الواسع المريض ، واكتفى يسبرسن ببضاعته اللغوية التي لا تمثل إلا جانباً واحداً من جوانب الثقافة الإنسانية .

فإذا ما انتقلنا إلى المقياس الثاني من مقاييس الحكم على أعمال اللغويين (وهو مجالات الدراسة ، ألفينا العقاد يصول ويجول في مجالات البحوث اللغوية الحديثة كلها .

لقد جرى المعروف بيننا نحن اللغويين أن تقسم علم اللغة إلى الفروع التالية .

(١) علم الأصوات ، وهو نوعان أحدهما عام phonetics وثانيهما نسبية نحن بعلم الأصوات التنظيمي phonology .

(٢) الصرف morphology .

(٣) النحو syntax .

(٤) المعجم lexicon .

(٥) السيماتيك semantics أو ما نسميه نحن بعلم المعنى^(١) .

هذا بالإضافة إلى مجالات لغوية أخرى عامة ، كدراسة بعض القضايا اللغوية على

أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، وبعض فصول كتابه الآخر « اللغة الشاعرة » ، أما الاتجاه المعيارى فيتضح بوجه خاص في مناقشة المشكلات الخاصة باللغة العربية . والسر في ذلك واضح ، وهو أن العقاد في هذا المجال يريد أن يقتنع المنحرفين والمتعصبين ضد اللغة العربية بالدليل الهادى الواضح .

وإذا كان لنا أن نربط منهج العقاد بمنهج لغوية أخرى غربية أو شرقية ، انصرف ذهنى إلى العالم اللغوى الجليل أو تويسبرسن وليسبرسن منزلة خاصته ومكانة ممتازة لا يتكرها عليه أحد من اللغويين المحدثين ذلك أن الرجل قد أسهم بنصيب كبير في إرساء قواعد البحث اللغوى ، وإليه يرجع الفضل في تقريب مبادئ هذا البحث وأساسه إلى أذهان الدارسين ، على أن هناك فارقين كبيرين بين الرجلين ، أولهما أن العقاد كان أسعد حظاً من صاحبه فقد نجح في عمله ولم يخلط بين منهجيته في بحوثه ، وإنما أفرد لكل منهج بحوثاً من لون خاص ، أما يسبرسن فكلنا يعلم أنه لم ينبج من هذا الخلط الذى يعد من أكبر هيوبه في الدراسات اللغوية . أما الفرق الثانى بينهما فهو أن يسبرسن لغوى فقط ، أما صاحبنا فهو مفكر وباحث يضرب بفكره الكبير إلى أعماق العلوم الإنسانية كلها وعلى مستوى واحد من حيث الإجابة

(١) علم المعنى يدرس معانى الكلمات والجمل والبارات في الكلام الحى المنطوق على مستوى اجتماعى صرف ، وهو في ذلك يتفق مع المعجم فى شيء ويختلف عنه فى أشياء ، كما أن علم المعنى يخالف ما يسمى بعلم المعانى عند علماء العربية ، فالأول أعم إذ الثانى يمثل جزءاً من بحوث الأول عند بعض المدارس اللغوية ، أما عند البعض الآخر فهما علمان مختلفان ولكل منهما مجالاته الخاصة .

المعجم والصياغيات معاً . ولم يفته أن يفرق بين المنهجين وهو شيء لم يستطعه كثير من اللغويين المحدثين ، ويكفي أن نشير هنا إلى أن العقاد هو صاحب المصطلح السيمية ، الذى اختاره بجمع اللغة العربية ليكون علماً على الدراسة السيمانتيكية .

أما البحوث اللغوية العامة فلم ينس العقاد — رحمه الله — أن يواظب شيئاً من عنايته بالدرس والتحليل ، فكتب في أصل اللغة الإنسانية ، وفصائلها وعلاقتها بعضها ببعض هذا من الناحية التاريخية أى التاريخية الفلسفية ، أما من الناحية الاجتماعية فقد ناقش العقاد قضية قديمة حديثة وحديثة قديمة ، وهى مشكلة الفصحى والعامية كما كتب عن الأبجدية : أصولها وتطورها ومنزلة الأبجدية العربية أو السامية بين أبجديات لغات العالم ، ولنا مع هاتين المسألتين الأخيرتين عودة بعد قليل .

أما عن المقياس الثالث وهو مقياس الأهداف التى يرمى إليها الباحثون من دراساتهم ، فليس شيء أصعب على النفس من الوصول إلى حقيقة أهداف العقاد من بحوثه دون دراسة مستفيضة لآثاره كلها اللغوية وغير اللغوية منها على سواء . ولما كنا مع ذلك نستطيع أن نقف على بعض المعالم الكبرى لهذه الأهداف من أعماله اللغوية

مستوى تاريخى فلسفى ، وكدراسة بعضها الآخر على مستوى اجتماعى .

فإذا ما انتقلنا إلى بحوث العقاد وجدناها تمثل هذه الفروع كلها خير تمثيل ، فقد كتب فى الأصوات وموسيقى الكلام ، على نحو ما يفعله المتخصصون الآن ، وخرج آنذاك على دراسة هى فى المرحلة الوسطى بين الأصوات والمعانى ، ونقصد بذلك دراسة الأصوات وعلاقتها بمعانيها من حيث المواءمة والانسجام أو النفور والنشاز ، على شاكلة تلك الدراسة القيمة التى أبدع فيها علماء العربية القدامى كابن سنان الخفاجى وضياء الدين بن الأثير وغيرهما . ولم يقنع العقاد فى هذا كله بالدرس السطحي أو الإشارة العابرة ، وإنما عكس عقلية الجبارة على هذا المجال الصعب الدقيق .

ولم تقل بحوثه الصرفية والنحوية عن سابقها فى العحق والقوة والوضوح والجلال ونهج فى بعض القضايا النحوية فى اللغة العربية منهجا يشبه ما سار عليه ابن جنى المفكر العربى العريق ، من حيث فلسفة الأمور وتحليل المسائل تحليلاً فلسفياً منطقياً . وفى بعض القضايا الأخرى نلح فيه روح عبد القاهر الجرجاني من حيث الاهتمام بظم الكلام وتأليفه .

ولم يحف قلم الراحل العظيم قبل أن يعرض كذلك لدراسة الألفاظ ومعانيها على مستوى

و من فوقهم ، ويكشف عن فقاquem و خداعهم
و يبين لهم في قوة و عنف خطل هذا الرأى
و ضلال هذا المذهب . يقول رحمه الله :
« العامية قبل كل شىء هى لغة الجهل ، و ليست
بلغة الفاقة أو بلغة اليسار . و بين الأغنياء
كثيرون لا يحسنون الكلام بغير العامية
التي لا جمال لها ولا طلاوة . و بين الفقراء
من يحسنون التعبير بالفصحى أو يعبرون
بالعامية تعبيراً يزينه جمالها و تبدو عليه
طلاوتها .

فاذا عطفنا على العامية فإنما نعطف على
الجهل و نستبقيه و نستزيده ، ولا نخفف وطأة
الفقر ذرة واحدة بتغليب عبارات الجهالة على
العبارات التي تصاغ بها آراء المتعلمين
و المذهبين ، ، و يتسائل العقاد بعد ذلك عن
سر التواضع في الكلام دون التواضع في
مظاهر الحياة الأخرى . فيقول : « لأننا لم
نسمع أن أحداً تواضع حبا للفقير نخلع
حذاءه ليمشى حافياً أو يلبس أرخص النعال .
فأبال أناس يتواضعون فيخلعون لغة المعرفة
و الثقافة لأنها - كما يزعمون - لغة لا يفهمها
الفقراء » .

و يحتم العقاد كلامه بمثل ما أسلفنا من أن
هذه الدعوة « دعوة مغرضة روجها مذهب
عقائدى ملحد ، يحقد على الفصحى لحقده على
كل امتياز و ارتفاع ، و غرام أصحابه بكل

و حدها ، إنه في بحوثه ذات النهج المعيارى
يستهدف التعليم و الشقيف اللغويين لذوى
الجهالة و أشباههم ، أو الإرشاد و المنهج
للمن عميت بصائرهم فلم يدركوا سر ما في العربية
من قوة و عظمة ، و اكتفوا بالثافة السطحي
من قواعدها ، هروبا من دقائقتها
و لطائفها الدفينة فيها ، أما بقية أهدافه
و أغراضه في بحوثه التي ينصب الكلام فيها
على اللغة العربية و مشكلاتها فتتركز في شىء
رئيسى واحد ، تلبسه عن قرب أو بعد في كل
هذه البحوث ، ذلك هو خدمة الثقافة العربية
و عمادها اللغة .

و يتمثل ذلك بوضوح في قضيتين خطيرتين
يشيرهما بعض الناس ، حامدين مضللين
أو مخدوعين واهمين . هاتان القضيتان
هما مشكلة الفصحى و العامية و مشكلة الإجمدية
العربية و صلاحيتها للكتابة .

لقد طلع علينا نفر من يدينون ببعض
المذاهب العقائدية المنحرفة بنادون بوجوب
استخدام العامية في الكتابة و أغراضها
الأدبية المختلفة بدلا من الفصحى ، على أساس
أن الأولى لغة الشعب فيجب اتباعها ،
أو لغة الفقراء فيجب تفضيلها حرصا منا
على كرامتهم . و من الطبيعي أن يعرف
العقاد خبث هذه الدعة الظالمة ، و يعلم
أهداف الداعين إليها ، فمأيتهم من خلفهم

وانما نقول نتيجة لدراسة علمية أعانها
وسجلناها أكثر من مرة منذ زمن طويل .
وينبغي أن يعلم أصحاب هذه الأساطير أن
هاتين الدعوتين تذهبان كلمتهما من مصدر
واحد منحرف وتستهدف هدفا واحدا ، هو
بليلة المحواطر وإثارة الشكوك في تراثنا
والعودة بنا إلى الفوضى التي يفرمون بالعيش
فيها ، حيث تتاح لهم فرصة السكسب الحرام
والانتهازية .

تلك صورة بجملة لمخطط علمي قصدنا به إلى
تهديد المسكانة اللغوية للرجل ، وإلى إلقاء
الضوء على جوانب التفكير اللغوي عنده ،
ونأمل أن تكون لنا عودة إلى شيء من
التفصيل لما أوجزناه وأجملناه هنا في المستقبل
القريب بإذن الله .

دكتور كمال بشر

أستاذ علم اللغة المساعد بكلية دار العلوم

ما يبط إلى مرتبة الصعاليك ، ثم هم لا ينسون
أن القضاء على العربية الفصحى فيه قضاء على
دين المسلمين الذي يحاربونه كما يحاربون كل
دين ، ، ويرى العقاد أن تغليب لغة الجمل
كارثة على الأمة العربية وعلى العقل الإنساني ،
لا تقل عن كارثة الفقر وسوء العيش ، وأن
حلاج مسألة الفقر لن يتوقف في وجهه من
وجوهه على ترك الكلام الفصيح وتقديم
الجمالة الكلامية .

أما عن الأجدية العربية ومدى صلاحيتها
للكتاباة فلم تقل حجج العقاد في هذا الشأن
حما قدمه لنا بشأن القضية السابقة ، والحق أن
الدعوة إلى الكتاباة بالحروف اللاتينية بدلا
من الحروف العربية دعوة لا تقل في خطورتها
عن الدعوة إلى العامية ففي هذا المسلك البغيض
مسخ لقوميتنا وضياح لشخصيتنا ، وإهدار
لمسكانة أمتنا بين أمم العالم ، ولا نقول هذا
الكلام انسياقا وراء عاطفة أو جمالة لمناسبة ،

التيسير في تعليم الشريعة

قال الإمام الشاطبي : إن تعليم الشريعة وبيان أمور الدين يجب أن يكون بما يليق بجمهور
الناس دون اللجوء إلى التعمقات الفلسفية المعوية . فإذا قيل : ما الملك ؟ قيل : خلق من
خلق الله يتصرف بأمره ، أو معنى السكوك ؟ قيل : هذا الذي نشاهده بالليل ، وعلى هذا
وقع البيان في الشريعة ، كما قال عليه السلام : « السكبر بطر الحق وغمط الناس » ففسره
بلازمه الظاهر لكل أحد
(مقدمة كتاب لوافقات)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لأستاذ عبد الله كنون

والإخلال بالآداب العامة . وبالعكس من ذلك نجد العهود التي انتسكت فيها راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هي العهود التي ساد فيها الظلم والظلام ، وسرج أمر الأمة ، ولم تأت من الأعمال ما يرفع لها رأساً أو يعود عليها بنفع .

ولا تلقى صعوبة في أخذ هذا المعنى من قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدهون إلى

الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » . فقد أمرنا الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن نكون ، نحن المسلمين كافة ، أمة تدهو إلى الخير ، والخير اسم جامع لكل الفضائل بحيث يصح القول أن جميع القيم العليا تندرج تحته . وبالضرورة إننا لا ندعو إليه حتى نتصف به وذلك هو سر قرانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فدلّول هذا الخطاب أننا بعد الاتصاف بالخير والهدوء إليه ، نقف بالمرصاد لكل من حاد عن

من الشعارات الإسلامية الخالدة التي نادى بها الكتاب ووردتها السنة وتلقاها الأمة بالقبول ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . واقد كان هذا الشعار وما يزال عنوان الديمقراطية الحق التي جاء بها الإسلام ، ومعيار سلامة المجتمع من الآفات والعلل التي أريد له بمقتضى تعاليم الدين الحنيف أن يتجنبها ولا يقع فيها .

أما كونه عنواناً للديمقراطية الحق فلأنه أشرك الأمة في الحكم بفرض وقابتها على الجهاز الحاكم وتخويلها حق الاعتراض على كل ما يخالف السياسة الشرعية وما ليس فيه مصلحة للعموم . وأما كونه معياراً للمجتمع السليم فلكون القيام عليه والعمل به يسد كل منفذ لقرب المفسدين وانطلاق الأشرار إلى العبث بالأخلاق وتجاوز الحدود . وإن أمثل عصور تاريخنا وأجدها وأعظمها ، لمى تلك التي كانت فيها راية هذا الشعار مرفوعة باليمين ، والحكومة وأهل الحفظ من الأمة ساهرون على إقامة الشعار ونفوذ الشرائع ، وعدم انتهاك الحرم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « بلغوا هنى ولو آية » ، والمجتمع الإسلامى يجب أن يكون قدوة ومثالا فى حسن الأخلاق وصدق المعاملة ليكون دليلا على سمو هذا الدين ويقوم من سلوك أهله داعية إليه ، كما كان عليه الحال فى الصدر الأول ، فدخل الناس فى الإسلام أنواجا ، ولا يتحقق ذلك إلا بالرقابة الصارمة على سلامة هذا المجتمع التى هى المقصود من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فإن بطل ذلك لم يبق وجه للخيرية لأنها ليست ذاتية ، وإنما هى حكم يدور مع علته وجوداً وعدماً .

ونلتفت إلى الحديث الشريف لذى إنما هو وحي يوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليبين للناس ما أنزل إليهم من الكتاب العزيز ، فرى أنه يسير مع مضامين هذه الآيات السكرية جنباً لجنب ، ويؤكد ما اشتملت عليه من حكم وأحكام يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراكم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم) . والتقصير الواقع لهذا الحديث الذى ليست فيه شائبة ميتافيزيقية ، هو أن الأمة مدعوة إلى القيام بهذا الواجب لضمان سلامتها من عوامل الانحلال وأسباب الاضمحلال ، فإن ضيعته فإن الأمراض

سبيله ولم ينته إلى معالجه ، تأمره ونهائه ، لكى يستوى على الصراط المستقيم . فإذا فعلنا ذلك كننا من المفلحين ، لأن الآية السكرية حكمت لمن كان على هذه الصفة بالفلاح وهو فلاح عام فى الدين والدنيا ، بدليل أنها أعقبته بأمرين ، أحدهما : مما يقع فى الحياة الأولى وهو اختلاف الأمة وافتراق كلمتها هند تفريطها فى هذا الواجب الأكيد . وثانيهما : مما يقع فى الآخرة وهو العذاب العظيم لمن ضيع الأمر والنهى ولم يعمل بما كلف به من ذلك . فلا تستقيم أحوال الأمة ويكتسب لها النجاح والفلاح إلا بامتنال أمر الله عز وجل ، والوقوف عند حدوده وعدم غرض الطرف من البدع والآهواء التى تنتشر فيها فتقردها إلى الهلاك والخسران .

ويؤيد ما ذكرناه أن الله تعالى خاطبنا فى الآية التى تأتى بعد هذه مباشرة ، بقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، تأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ، فجعل سبب الخيرية هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع الإيمان . وبذلك يعلم أن الأمة إذا تقاعدت عن هذا الوظيف لم تبق مستحقة لذلك الوصف ولو مع إيمانها ؛ لأن رسالة الإسلام ليست هى الإيمان المجرد بل العمل والتبليغ ، وقد

والنهي فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط
الطلب عن الباقي ، لكن ذلك موقعا في المخرج
الدائم ، لأن المنكرات لا تفقا تنبعث من
كل مكان ، في كل زمان ، وإذا لم تبادر الأمة
بتغييرها وانتظرت حتى ينبري لذلك من
يتعين عليه ، انتشرت انتشاراً عظيماً وأثمت
الأمة كلها بسبب التفريط ، لا سيما إذا انعدم
المحاسب الذي كانت الحكومة تقيمه مقام
النائب عنها في هذا الصدد ، كما هو الحال
اليوم ، فصارت بلاد الإسلام مسرحاً
لارتكاب أنواع الفجور واقتراف ضروب
الآثام .

وأما أن خطاب الأمة على سبيل العموم
بهذا الواجب يوقع في الفوضى ويوجب
اختلال النظام ، فالجواب عنه أن الشارع
الحكيم يهيئ لكل طائفة من الأمة ما يجب عليها
من ذلك ، والزوم القيام به على سبيل الفرض
والتعيين ، فقال كما في الحديث المشهور :

(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن
لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ،
وذلك أضعف الإيمان) . قال العلماء التغيير
باليد لولاية الأمر ، وباللسان للعلماء ، وبالقلب
لعامة الناس . وإنما اضطر العلماء إلى هذا
التفصيل ، لمساعدتهم الجاهل وكثر تجاوز الحد
من العامة وبعض الولاة . فانتظم بذلك الأمر
ووقف كل عند ما حد له .

الاجتماعية مستشرى فيها بسيطرة الأشرار
عليها وتوجهها إلى المصير المظلم الذي تعمدى
فيه فلا تقوم لها قائمة ، ولا تنفعها بعد
دهوة ولا دعاء . وهذا أمر مشاهد - مع
الأسف - لا يمتري فيه أحد . وهو معقول
المعنى إذ أن السكوت عن المنكرات ، بله
تجميعها ، بحجة احترام الحرية الشخصية ،
قد أدى شيئاً فشيئاً إلى انتشارها بكيفية
فظيمة حتى طغت على السنين المعروفة ،
وقامت لها دولة وسلطان ، فلا يقدر أحد
الآن أن يغيرها . والذي يدهو إلى ذلك
يصير هزواً وسخرية بين الناس .

ولعل قائل يقول كيف جعلتم الأمة كلها
مخاطبة بهذا الأمر ، والآية إنما تقول :
« ولتكن منكم أمة يدهون إلى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .
وهلا ترون أن ذلك موقع في الفوضى
موجب لاختلال النظام ؟

ونحن نجيب أن الآية جاءت على أسلوب
التجريد ، وهو أبلغ في الخطاب . والمعنى :
اجعلوا منكم أمة هذه صفاتها . وقال كثير
من المفسرين إن من في قوله « ولتكن منكم »
للبيان ، بمعنى كونوا أمة تأمرون . ألا ترى
أنه تعالى قال في الآية بعدها « كنتم خير أمة
أخرجت للناس تأمرون ، ولو جعلناها
للتبويض كما قد يقوم ، وحكنا بأن الأمر

أن يسكنوا لسان الأمة الناطق ، والحارس
الأمين على تعليم الدين . فيبلغوا إلى الولاية
ما لم يبلغهم من الظلم والخيف الذى يقع
على ضمائم المسلمين ، ويطالبوهم بتغيير
المنكر والضرب على أيدي المفسدين .
والولاية مطالبون حينئذ بإنصاف المظلوم
 وإحقاق الحق ونصرة الدين : ولينصرون
 الله من يضره إن الله لقوى عزيز ، الذين
 إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا
 الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ،
 والله عاقبة الأمور .

وما هنا أمران لا بد من التنبيه عليهما .
الاول : هو أن بعض الناس يقولون المهم
 هو أن تستقيم أنت ولا عليك فى الغير
 ويستدلون بقوله تعالى : ديا أيها الذين
 آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا
 اهتديتم ، وهذا هو ما يعبر عنه بعضهم
 بقوله : ليسكنس كل واحد قنائه داره كي تعم
 النظافة . وليكننا انتظرنا كثيراً فكانت
 النتيجة هى أن هناك من يحمل الأوزال
 ويضعها فى الأفتية المسكنوسة . ولقد أثرت
 هذه الشبهة فى الصدر الاول ، وأجاب عنها
 الصديق رضى الله عنه بالحديث الذى
 أخرجه الترمذى وغيره عن أئمة السنة عن
 قيس بن حازم قال قام أبو بكر خطيباً لحمد
 الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم

وهذا الحديث هو أيضاً يدل على أن
 الخطاب بهذا الواجب يتوجه إلى الأمة
 جمعاء ، ولا يخص طائفة منها دون طائفة .
 وتقييم العلماء له بما ذكر هو بما تقتضيه
 الأصول ، ولا تأباه النصوص . فإنهم
 يتفقون على أن المنكر الذى يجب تغييره
 هو ما علم من الشرع أنه منكر ، وكان تغييره
 لا يؤدي إلى منكر أشد منه . ومن ثم ورد
 الأمر بالسمع والطاعة للأئمة : (فإن هاهم
 ما حملوا وعليكم ما حملتم) . وهذا أمر
 لا يحققة إلا العلماء فإن قام غيرهم بالإفكار
 ربما وقع فى محذور عظيم كمن قتل شخصاً
 من أجل شربه للخمر ، وكالعمامة الذين
 أنكروا على سيدنا عثمان رضى الله عنه
 أموراً لا تستوجب القتل وفتح باب الفتنة
 الذى لم يغلق منذ أن فتح . وهكذا فإن
 الواجب على العموم إذا رأوا منكراً بما
 لا يخفاه به ، أن يرفعوه إلى الوالى وأن
 يقفوا فى ذلك موقف الجسد والصلابة حتى
 يغيره ، فإن تهاونوا وقعوا فى الإثم الذى
 لا يخلص منه . وإن كان المنكر مما يخفى
 أمره ، فمليهم الرفع إلى العلماء ليدينوا حكم
 الله فيه . على أن العلماء يجب عليهم أن
 يسكنوا بالمرصاد لكل المحرمات والبيع التى
 تخالف الدين ، فيبادروا بإفكارها وينهوا
 الأمة على ما فيها من الضرر لتجنبها . وعليهم

أظهرنا - والحمد لله - قائمان حاكمان بالعدل
والنقسط ... فالإعراض عنهما والتمس
الهدى من غيرهما ضلال مبين ، وزينغ عن
الصراط المستقيم . كيف والشعب ما هو
إلا مجموعة من الناس يخطئون كثيراً
ولا يصيبون إلا قليلاً ، ويتبعون الهوى ،
وتتلاهب بهم القيادات المنحرفة ، ولا كذلك
الدستور السماوي المحفوظ بحفظ الله :
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وإنما سرى هذا الرأى القاتل إلى الأمة
الإسلامية من إيغالها في التقليد ، وترك
ما عندها من الهدى والنور إلى المذاهب
والنظم الأجنبية التي شقت شملنا وفرقت
كلمتنا . ولا والله لا نعود إلى ما كنا عليه
من مجسد وسؤدد إلا إذا تمسكنا بديننا
وجعلناه ، هو الحكم في مشاكلنا . والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل ؟

عمر الله كنوه

عضو مجمع البحوث الإسلامية
وأمين عام رابطة علماء المغرب

تقرءون هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا
عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ،
وإنكم تضعونها في غير موضعها ، وإنى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك
أن يعمهم الله بعقابه » .

والأمر الثاني هو ما شاع وذاع على السنة
من يكبرهم الناس يصغون إليهم ، من أنه إذا
وقع خلاف في أمر مما يهم الأمة ويتوقف
عليه مصيرها ، يجب رده إلى الشعب ليقول
رأيه فيه . وهذا أيضاً من أعظم المنكر
الذي يجب تغييره وعدم السكوت عليه ،
وإلا أدى إلى ضياع الدين والوقوع
في المفاسد التي لا إفاقة منها أبداً . والله
سبحانه وتعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر
منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله
والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً » . والرد
إلى الله والرسول يسكون بالرجوع إلى كتاب
الله العزيز وصلة نبيه المطهره ، وهما بين

قال أبو تمام في الحكمة :

ومال عـزاء عن شبابي علمته

سوى أنفى من بعده لا أخلد

رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٤ —

علوم وفنون :

هناك كثير من الناس يظنون أن التعليم في المساجد اقتصر على العلوم الدينية ، وهذا غير صحيح ، فقد كان يتردد بين جنبات المساجد في المشرق والمغرب أصوات المثقفين والمدرسين في شتى العلوم والفنون ، فهذا مسجد الأنبار مثلا كان فيه مجلس للإمام « نفطويه » في تدريس علوم العربية ، وهذا جامع قرطبة كانت تدرس فيه — كما يذكر المقرئ صاحب نفح الطيب — علوم اللغة والنحو ، وفي مساجد البصرة والكوفة ازدهر علم النحو كما نعرف ، وكان هناك مثلا الخليل ابن أحمد القراهيدي النحوي العروضي الموسيقي مدخل الحركات بدل النقط على الكلمات ، وكان يدرس في مسجد البصرة ، وكان سيديوه إمام النحو تلميذا له هناك .

والسكيت وحامد الراوية كانا يجتمعان في مسجد الكوفة لتذاكر الأشعار وأيام العرب والمحاورة في ذلك والمناقشة حوله ، ومسلم ابن الوليد كان يعلئ شعره في مسجد البصرة ، وقد استمع إليه أبو نواس . بل كان الطب وعلم الميقات يدرسان في جامع

ابن طولون بالقاهرة ، كما روى ذلك جلال الدين السيوطي في كتاب « حسن المحاضرة » ، ويروي البغدادى أن الأزهر الشريف كانت تلتقى فيه دروس في الطب ، وقد نقل ذلك ابن أبي أصيبعة في كتاب « عيون الأنباء » . وكان منصور البهادري المتوفى سنة أربع وعشرين وثمانمائة يعقد مجلسا لتدريس الطب بالمسجد الطولوني ، وهب اللطيف البغدادى حضرا إلى مصر في أوائل سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، ويحدثنا عن نفسه أنه في الفترة التي قضاها بمصر كان يدرس الطب وغيره بالجامع الأزهر الشريف من أول النهار إلى نحو الساعة الرابعة ووسط النهار ، حتى إذا جاء الليل حضر للإقراء قوم آخرون وذهب هو للقراءة والمطالعة مع نفسه . وكان محمد ابن عبد الله المصري المتوفى سنة ثنتين وسبعين وسبعمائة أستاذا للطب بجامع ابن طولون كما جاء ذلك في كتاب « الدرر الكامنة » لابن حجر العسقلاني .

وفي سنة ١٨٦٤م أصدرت مشيخة الأزهر الشريف بيانا عن العلوم التي تدرس فيه ، فكان من بينها الحكمة الفلسفية ، والحساب ، والجبر ، والمقالة ، والفلك ، والهيئة ، والهندسة ، والموسيقى .

وهذا مثله هو الشيخ عبد المتعم الدمنهوري
الذي كان أحد شيوخ الجامع الأزهر
الشريف وتوفي سنة ١١٩٢ هـ ، نطالع إجازته
العلية فوجد أنه قد تلقى في الأزهر الشريف
علوم كثيرة ، وصار له فيها مؤلفات كثيرة ،
ومن هذه العلوم : الحساب والميقات والجبر
وأسباب الأمراض والأعمال الرصدية
وعلوم الحيوان والنبات والمعادن ، وعلم
المخرفات ، والهندسة والهيمنة والزيج ، وعلم
الارتعاطيق . وعلم المزاويل ، وعلم استنباط
الحياه ، وعلاج البواسير ، وعلم التشريح ،
وعلاج لسع العقرب ... إلخ .

وكان العروض يدرس في المساجد ،
ودراسة هذا العلم تستتبع دراسة الشعر
أو إنشاده ، ولقد روى الأصمغاني
في « محاضرات الأدباء » أن أعرابيا من
البادية دخل مسجد البصرة ، فرأى فيه حلقة
من الأدباء يتذاكرون الأشعار والأخبار ،
فاستطاب كلامهم ، فجلس إليهم وسمع منهم ،
ثم أخذوا بعد ذلك في دراسة العروض
وترديد التفاعيل وذكر بحور الشعر ، فحسب
الأعرابي أن هذه رموز فيما بينهم ، وأنهم
قد يأترون به ، فخاف على نفسه ، وبادر
إلى الخروج من المسجد وهو يقول :

قد كان أخدم في الشعر يعجبنى
حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلاما لست أعرفه
كأنه زجل الغربان والبوم

وليع منفلتا وافه يعصني
من التقمع في تلك الجرائيم ١
كما يروى التاريخ أن النيل المبارك كان فيما
مضى يمر قريبا من جامع عمرو بن العاص
في القسطنطينية ، وكان الصعود إلى سطح المسجد
متعة في ليالي الصيف ، ولذلك كان العلماء
والأدباء والشعراء يعقدون في هذه الليالي
ندوات علمية وأدبية فوق سطح الجامع ،
وتدور بينهم مناقشات ومحاورات
ومعارضات شعرية ، ومن أمثلة ذلك أن
الشاعرين ابن المنجم وابن قلاص جلسا على
السطح يوما وقد غربت الشمس ، وظهر
عقبها هلال وليد ، فأراد كل منهما أن يصور
هذا المظهر بلغة الشعر ، فقال ابن المنجم :

وعشاء كأنما الأفق فيه
لازورد مرصع بنضار
قلت لما دنت لمغربها الشمس
ولاح الهلال للنظار :
أقرض الشرق ضوء الغرب دينا
رأ ، فأعطاه الرمان نصف سوار
وقال ابن قلاص :

لا تظن الظلام قد أخذ الشمس
وأعطى النهار هذا الهلالا
إنما الشرق أقرض الغرب دينا
رأ ، فأعطاه رهنه خلخالا
ولم تتسع ساحة المسجد الثقافية للشعر في
العصور المتأخرة فقط ، بل اتسعت له في صدر

قال ابن عباس : لا ولكن كذلك ينبغي .
وهذا نوفل ابن مساحق يقبل على سعيد
ابن المسيب وهو في مسجد الرسول فيسلم
ويرد سعيد التحية ويقول : يا أبا سعيد :
من أشعر : صاحبنا أم صاحبكم ؟ يريد
عبد الله بن قيس وعمر بن أبي ربيعة فيسأله
نوفل : حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟
فقال له : حين يقول صاحبنا عمر :

خليلى ما بال المطايا كأنما
نراها على الأدبار بالقوم تنكص
وقد قطعت أعناقهم صباية
فأنفستنا مما يلاقين شخص
وقد أنعب الحادى سراهن واتحنى
هن ، فما يألو عجول مقاص
يزدن بنا قربا ، فيزداد شوقنا

إذا زاد طول العهد والبعد ينقص
ثم قال : حين يقول صاحبكم ما تشاء :
فقال له نوفل : صاحبكم أشعر في الغزل ،
وصاحبنا أفانين شعر ، قال سعيد : صدقت .
ثم أخذ سعيد يستغفر الله ويمقد بيده
حتى أتم المائة ، فقال قاتل لنوفل ، أترأه
استغفر من إنشاد الشعر في مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم ؟ فأجاب نوفل : كلا ،
بل هو كثير الإنشاد والاستغفار للشعر فيه ،
ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه .

ولقد كان اتساع نطاق العلوم المدروسة
في المساجد يخضع للحاجة والظروف ومطالب

الإسلام أيضا ، فقد سمع الرسول عليه الصلاة
والسلام من شعر حسان وهو في المسجد ،
وكان حبر الأمة وعالمها عبد الله بن عباس
يُنشد الشعر في المسجد ويستمتع لآله ، ولقد
دخل عمر بن أبي ربيعة المسجد يوما فأقبل
عليه ابن عباس فيه يستنشه شعرا ، فأنشد
ابن أبي ربيعة قصيدته التي أولها :

أمن آل نعم أنت غاد فبكر
غداة غد أم رائج فهجر
فلما أتمها التفت نافع بن الأزرق إلى
ابن عباس يقول له : الله يا ابن عباس ،
إنما نضرب إليك أكباد الإبل من أقصى
البلاد ، نسألك عن الحلال والحرام ،
فتتناقل هنا ، ويأتيناك غلام مترف ، فينشدك :
رأت رجلا ، أما إذا الشمس عارضت

فيخزى ، وأما بالعشى فيخسر
فقال له ابن عباس مصححا : ليس هكذا
قال ، إنما قال :

رأت رجلا ، أما إذا الشمس عارضت
فيخزى ، وأما بالعشى فيخسر
ولما تعجب ابن الأزرق من يقظة
ابن عباس أسمعه ابن عباس القصيدة كلها
من حفظه . وعاد ابن عباس إلى ابن أبي ربيعة
يستزيده من شعره ، فأنشد عمر :

وتشط غدا دار جيراننا ، وصكت ، فقال
ابن عباس : وللدار بعد غد أبعد . فقال
عمر : كذلك قلت أحملك الله ، أسمعته ؟

المسجدي أو الجامعات العامة ، فقد كان لما وصل إليه المسلمون من الرقي الفكري في هذه الحقبة من تاريخ الإسلام في شتى نواحي الفكر، وما صاروا إليه من التقدم الاقتصادي والاجتماعي والعمراني بعد الانقلاب العباسي أثر كبير في إذكائه وتنشيط الحركة التعليمية بالمساجد .

وإن نظرة فاحصة إلى حلقات العلم في المساجد الكبرى المشهورة في ذلك الوقت ، وتلك المجموعات الممتازة من رجال الفكر الإسلامي المتصدرين للتعليم بها لكيفية بيان مدى ما اتصفت به حركة التعليم إذ ذاك من النشاط والحياة والإنتاج الممتاز . ففي المسجد النبوي بالمدينة إمام دار الهجرة مالك ابن أنس الأصبحي صاحب (الموطأ) ، وهؤسس المذهب (٩٥ - ١٧٩ هـ) .

وفي جامع الفسطاط عالم قریش أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي تلميذ مالك وصاحب المذهب المعروف باسمه (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) . وفي الكوفة ثم بغداد أبو حنيفة النعمان ابن ثابت (ت ١٥٠ هـ) إمام أهل القياس في الفقه . وفي بغداد شيخ السنة الإمام الجليل أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤ - ٢٤١ هـ) .

ومن رجال الحديث إمام الحديثين إسحاق بن راهويه أول من جرد كتب الحديث من مسائل الفقه والتفسير ، وكانت قبل تخرجه ،

الاجتماع ، فنحن نرى مثلاً أن نطاق المسجد الثقافي بدأ يتسع منذ طليعة القرن الثاني الهجري ، لأن أسباباً طرأت على الاجتماع ، فدعت إلى هذا التوسع الثقافي والعلمي ، فاللغة العربية الفصحى عرض لها مثلاً اللاحق والخطأ ، بسبب الاختلاط بين العرب والعجم ، فعنى المسجد بتقويم اللغة وتصنيفها وبيان قواعدها وضوابطها ، فجاءت من وراء ذلك علوم اللغة والنحو والصرف .

والعقيدة تطاول عليها مشككون ومعتزضون فعنى المسجد بالدفاع عنها وتوطيد قواعدها ومبادئها وأصولها ، فجاءت من وراء ذلك علوم التوحيد والتفسير والفقه والحديث .

وعادات الجاهلية كالعصبية والعائنية والحمية حاولت العودة والسيطرة على الاجتماع ، فعنى المسجد بمقاومتها ، كما عنى بالدعوة إلى عادات الإسلام وآدابه وأخلاقه لتسكون حاجزاً عاصماً من هذه النزعة الجاهلية .

وهكذا أخذت العلوم تزيد بازدياد حاجات الاجتماع ومطالبه وظروفه التي تقتضى هذا الازدياد .

واقدر جاء في كتاب " تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى " تحت عنوان " ازدهار التعليم بالمساجد " هذه العبارة :

يمكننا أن نعتبر الفقرة الواقعة فيما بين مطالع القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الثالث على وجه التقريب أزهى عصور التعليم

قد منا ، إذ غابتنا من ذكرنا التعميل لا الإحصاء
وفي هذا بلاغ .

ونستطيع أن نقول إن المساجد قد
أسهمت بطريق غير مباشر في تعليم اللغات ،
فقد تحدث الجاحظ عن القصاص ،
في المساجد ، وذكر فيما ذكر أن موسى
الأسواري كان رجلاً فصيحاً بارعاً في العربية
والفارسية ، وكان يعقد مجلسه المشهور في
مسجد البصرة ، ويقعد العرب عن يمينه ،
ويقعد الفرس عن يساره ، ثم يقرأ موسى
الآية من القرآن الكريم ، ويفسرها أولاً
بالعربية للعرب متجنباً للإيهام ، ثم يتحول
جهة الفرس ويفسر الآية نفسها بالفارسية ،
فلا يدرى بأى لسان هو أبين ، وكان موسى
حافظاً للسيرة ، يقص في فنون كثيرة من
القصص ، ويجعل القرآن الكريم نصيباً
من ذلك .

ولا شك أن تكرار الكلمات العربية
في هذا المجلس على أسماع الفرس كان يجعلهم
يلتقطون منها بعض الأيام ومرور الزمن ،
فيقربهم هذا من تعلم العربية ويصلهم بها ،
ونستطيع أن نقول مثل هذا عن العرب
بالنسبة إلى اللغة الفارسية التي تتكرر ألفاظها
على مسامع هؤلاء العرب .

وهم في مجلس موسى الأسواري ! .

أحمد الشرباصي

وتوفي سنة ٢٣٨ هـ ، وتلميذه الإمام محمد
ابن إسماعيل البخاري صاحب الجامع
الصحيح ، جمع فيه الأحاديث الصحيحة فقط
(١٩٤ - ٢٥٩ هـ) ، وتلميذه مسلم بن الحجاج
النيسابوري صاحب ثاني الصحيحين ، وتوفي
بنيسابور سنة ٢٦١ هـ .

والإمام أبو عيسى الترمذي صاحب الجامع
في الحديث (ت ٢٧٨ هـ) ، والإمام أبو داود
سليمان الأشعث السجستاني صاحب (السنن)
المنسوبة إليه (ت ٢٧٥ هـ) ، والإمام الفسائي
صاحب (السنن) أيضاً ، توفي بالرملة
سنة ٣٠٣ هـ . والإمام محمد بن يزيد بن ماجة
(ت ٢١٣ هـ) ، وكلهم كما نرى من أهل
القرنين الثاني والثالث .

وفي اللغة والنحو الخليل بن أحمد الفراهيدي
واضع علم العروض وفن المعاجم في العربية ،
بقي طوال حياته با بصرة مترجماً متعففاً حتى
مات بها سنة ١٧٤ هـ . وتلميذه سيديويه الفارسي
الأصل الذي تصدر للتعليم بعد وفاة شيخه
الخليل ، فكان إمام البصريين في النحو ،
وتوفي سنة ١٨٠ هـ .

وفي الأدب سيد كتاب العربية أبو عثمان
الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وهو غني بشهرته عن
التعريف ، وكان من أهل البصرة والمقيمين بها .
وهناك غير هؤلاء كثيرون ، وكلهم
امتازوا بالتبوع والتفوق ، وخدمة العلم
والتعليم ، ولسكننا لم نذكرهم اكتفاء بمن

الملاحم والمطولات الإسلامية

في الشعر العربي

للككتور سعد الدين الجيزاوي

- ٦ -

الرابع : في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وغزواته .

الخامس . في حياته عليه الصلاة والسلام بالمدينة بعد الفتح ، ثم الوفود وحجة الوداع ثم مرض الرسول الكريم ، وانتقاله إلى الرفيق الأعلى . وقد سار في نسج الملحمة جميعها على بحر واحد هو « الوافر » ، ولكن على قواف عديدة إذ جعل لكل عشرة أبيات رويًا واحدًا ، وقد يتكرر هذا الروي في عشرة أبيات أخرى مرة أو عدة مرات لأنه جعل ملحمة مقسمة عشرة عشرة من الأبيات .

وأعرض هنا بعض نماذج من هذه الملحمة لنرى كيف عالج الشاعر هذا الموضوع الدقيق بأسلوب الشعر .

قال في الفصل الثاني يصف بدء إعلان الدهوة ، وموقف قريش منها :

فقام على الصفا بين الصحاب
ليدعوم بآيات الكتاب
وجاءه القبائل مسرعات

أسمع عنده فصل الخطاب
فقال : « أئن ذكرت بأن خيلا
هذا الصفح موشكة اقتراب

لقد ظهرت ملاحم شعرية بعد محرم ، بعضها في نفس الاتجاه الذي سار فيه تسجل السيرة النبوية السكريمة ، وبعضها في اتجاهات أخرى ، منها ذات الصبغة الدينية ، ومنها ذات الصبغة التاريخية أو الاجتماعية ... ومن هذه الملاحم : ملحمة « أمير الأنبياء » :

للأستاذ عامر محمد بحيري ^(١) ، وقد أنشأها عام ١٩٥٢ ، وهي تتألف من مائتين وألف بيت ، تتضمن حياة النبي عليه الصلاة والسلام من مولده ، إلى انتقاله إلى الرفيق الأهل ، وقد قسمها خمسة فصول :

الأول : عن الميلاد النبوي الكريم وما سبقه من مقدمات ، ثم نشأة النبي الكريم وما تقدم الغيبة من إرهابات .

الثاني : في نزول الوحي ، وإعلان الدهوة ، وما لقى الرسول الكريم في ذلك من عناء ، ثم الإسراء والمعراج ، وشرق القمر .
الثالث : في الهجرة وأحداثها .

(١) مطبعة العلوم نشر مكتبة وهبة . الطبعة الأولى مايو سنة ١٩٥٤ — والأستاذ عامر محمد بحيري شاعر معاصر وهو الآن رئيس قسم مراجعة التراث القديم بوزارة الثقافة والإرشاد .

أكنتم في الحديث تصدقوني ؟ ،
فقالوا : «لست معهود الكذاب ،
فقال : « فإنتي لست نذير
مبين القول بين يدي عذاب
أجيبوني إلى التوحيد صدقا
ضمنت لخيركم يوم النصاب ،
فقال له أبو لهب : « قنبا
لما تدعو به كل التباب ،
فناوأ ، وسار القوم منه
ولم يعطوه صالحة الجواب
وأغروا ساقط الشعراء منهم
فجأوا بالهجاء وبالسباب
فكان صنيعهم هذا نذيراً
بتجريد الأئمة والحراب
وزناه هنا يصور الموقف مع المحافظة
النامة على المعاني بل على أكثر الألفاظ .
وهو في المعرض التاريخي لم يستقص
كل الدقائق كما فعل محرم فثلا في الغزوات
لم يذكر غير : بدر ، وأحد ، والخندق ،
وفتح مكة ، وتناول بدرأ في ستين بيتاً
في حين أن محرم ، تناولها في ثلاثة وخمسين
وماتى بيت في تفصيل واف ، والأستاذ
بحيرى قد لخصها تلخيصاً جمع كل النقط
تقريباً ولكن دون تفصيل ...
وهذا وصفه لقتلى القلب :
وقد سار النبي لهم بليل
فنادى القوم من خلف الكشيبي :
بأن الله يلغنا الأمانى

ولم يك ذاك بالأمر العجيب
وأيدنا وأظهرنا عليكم
ظهور الحق للفظن اللبيب
هى الفئة القليلة قد حباها
بتأييد على العدد الرهيب
لتشهد هذه الدنيا جميعا
بنصر الله والفتح القريب
وجدنا وعده حقاً ، فإذا
وجدتم منه يا أهل القلب ؟ ؟
وعندما ننظر إلى هذه الملحة من حيث
موضوعها ، وطريقة عرضه نجد أن الشاعر
قد أدى رسالة عظيمة للإسلام وتاريخ
الإسلام ، وللشعر العربى ، إذ يسر تناول
السيرة النبوية في شعر سهل ، ووزن خفيف
وأسلوب بعيد عن التعقيد .
ولا يعزير الشاعر أن يضمن بعض أبياته
تعابير مأثورة بل إن ذلك يعد براعة فنية
بالنسبة لطبيعة الموضوع .
فشوقى فعل ذلك في أرجوزة العرب
الكبرى ، ومحرم فعل ذلك في الإلياذة ،
وبحيرى فعل ذلك أيضاً ، وينبغى أن نفرق
بين الشعر الذى يطرق موضوعات معينة
تضطر الشاعر إلى المحافظة على الهيكل التاريخي
والمعلومات الخاصة ، ثم البعد عن الجنوح
بالخيال جنوحاً يمس العقائد ... وبين
الموضوعات العامة التى يمكن أن يطلق فيها الخيال .
ومن الغريب أن النقاد (١) الذين تناولوا

(١) فى كتاب « محمد » فى الأدب للماصر للأستاذ
فاروق خورشيد والدكتور أحمد كمال زكى .

ربما كان من العسير حقا أن نرفع هذه الملحمة وأمثالها إلى مرتبة الشعر الرفيع ، لأن الشعراء يعجزون عن ذلك ، ولكن تمشيا مع طبيعة الموضوع ، ولكن نعتقد أن ذلك لا ينزل هذا الشعر ، إلى مجرد نظم أو شعر تعليمي ، كما يقول الدكتور ضيف عن إلياذة محرم ولا إلى «جل ثرية معقدة» ، كما يقول الدكتور أحمد كمال عن إلياذة عامر ولا سيما ونحن نعلم أن «الموضوعية» هي طبيعة شعر الملحم القصصى .

ولذا قد اتفق ثلاثة من الشعراء الكبار المعاصرين : شوقي ومحرم و عامر بحميرى في التزام الحدود التاريخية في موضوعات بعضها هلى ما لم من منزله فى ميدان الشعر الرفيع فذلك دليل على أن سلوك الشعراء هذه السبيل هو مراعاة طبيعة الموضوع ، لا عجزم عن التحليق فى أجواء الخيال .

أما ملحمة عامر ، كانت محدودة الطاقات ، ينقصها خيال هو ميروس ، أو شطحات ذاتى أو تصوير المعرى ، فإن ذلك لا يضرها لاختلاف طبيعة الموضوعات .

وربما كان من الإنصاف أن يسجل الدكتور زكى - بعد أن هدم - أن هذه الملحمة لا تعوزها مهارة الفنان ، ولا القدرة على الصياغة بل ربما تسمو فى كثير من أجزائها إلى مستوى شوقي إن لم تعده ، (١) .

(١) ينطبق هذا على شعر شوقي فى أرجوزة العرب . .

هذه الإلياذة بالتعليق قد ساروا فى نفس الاتجاه الذى سار فيه الدكتور شوقي ضيف (١) عند ما نقد إلياذة محرم .

فإن إلياذة بحميرى لا تدانى «صنيع هو ميروس فى إلياذته» ، لقد كان هو ميروس يجعل آلهة الأولمب تحارب فى صفوف الطرواديين ، ثم تنتقل إلى عون أعدائهم ، وبين قلاتهم من هنا إلى هناك معارك رهيبية ومشاهد عجيبية ، وإثارات وغاطات ، ومفاجئات تثير الدهش وتمسك الأنفاس .

يا سبحان الله !! هل كان الناقد يرجو أن يتخيل الأستاذ بحميرى أن الملائكة كانت فى غروة بدر تقف إلى جانب المسلمين ، ثم إلى جانب الكفار أو أن الملائكة تقف إلى جانب المسلمين والشياطين تقف إلى جانب الكفار مثلا ؟ أو أن يقول إن الصراع كان بين إله الخير وإله الشر ، وتغلب أهوان إله الخير ؟ هذا مستحيل !!

وهل حقيقة أن من يقرأ إلياذة بحميرى يحس أنها قد استجالت بين يديه إلى جمل ثرية مضغوطة ... معقدة ؟ .

(١) لم ينقد الدكتور ضيف هذه الملحمة لأنها صدرت بعد كتابه «دراسات فى الأدب المعاصر» ولكن الغريب أن المنهج الذى نقد عليه إلياذة محرم هو نفس منهج النقد الذى سار عليه الدكتور أحمد كمال فى كتاب محمد فى الأدب المعاصر . من حيث اعتبار إلياذة هو ميروس هى للبرازن الذى يجب أن يقاس عليه وحسب .

(ج) مسرحية خالد بن الوليد في حوالى سبعمائة بيت (١) .

(د) وفي مستهل عام ١٩٦٣ ظهرت الأستاذ عامر « ملحة الجلاء » في ثوب قشيب تصور الأحداث السياسية التي مرت بها مصر من ثورات الشباب في عام ١٩٣٥ إلى انتصار مصر على العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ .

ولحدثة هذه الملحة الضخمة لم يقتاولها النقاد بعد بالدراسة ولا صيا وأن الشاعر قد نهج في نظمها نهجاً جديداً ، يجمع بين أم ما ينادى به المجددون وبين المحافظة على عمود الشعر العربي من حيث مراعاة الأوزان والقوافي .

وأهم ما يلفت النظر في طريقة نظمها الجديدة أنه جعل البيت خمس تفعيلات بدلاً من ست كما هو مألوف في بحر الكامل ، وبذلك تخلص من تجزئة البيت دون إنقال على السامع ولم يلتزم قافية واحدة في القصيدة كلها بل جعل لكل بيتين أو ثلاثة قافية حسب إيماء المعنى .

والملحة تبلغ حوالى (٢٤٠٠) ألفين وأربعمائة بيت سارت جميعها على بحر واحد هو الكامل (خمس تفعيلات) وهذه قواف وموضوعها شائق طريف ويكفى أنه يرسم صورة لكفاح الأمة المصرية بمثابة في شبابها الوثاب في فترة من أهم فترات حياتها في العصر الحديث ويسجل صوراً كريمة من أجداد ثورتنا المباركة .

(١) طبع دار القومية يناير سنة ١٩٦٣ .

ولست أدري كيف حكم الناقد بأن لعامر فضل السبق في حين أن لإلياذة محرم ظهرت قبلها بنحو حوالى خمسة عشر عاماً ، (١) .

والذى لا نشك فيه أن عمل عامر بحيرى هذا عمل مجيد ، وقد وضع لبنة إلى جانب اللبنة التي وضعها محرم في الملاحم الإسلامية التي اتجهت نحو إحياء سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإبراز أجداد الإسلام .

ونرجو أن يتجه في استكمال أحداث التاريخ الإسلامى ، ليدرك في هذا المضمار ما لم يتمكن محرم من استكمال .

والأستاذ عامر بحيرى ملاحم أخرى منها :

أ - « ملحة آدم وحواء » ، « ملحة شعرية في نيف وألف بيت » ، « تصور بدء الخليقة وقصة الحب والمعصية ، والفردوس المفقود والفردوس المستعاد الخ .. وهو لم تطبع بعد .

ب - « إيزيس وأوزيرس » وهي أيضاً في نيف وألف بيت تصور ملكة أوزيرس ، وبخت إيزيس عنها ، وإعادته للحياة ، ومظالم تيفون ، واتقام حوريس .

وهي ملحة تاريخية ، وقد طبعت أخيراً .

(١) ذكر عامر في مقدمة الإلياذة أنه غير متيقن ، وقد تحدث معه في ذلك فعلمت منه أنه سمع عن إلياذة محرم ولكنه لم يطلع عليها ، وقد ذكر أنه أنشأ هذه الملحة عام ١٩٥١ وقدمها للمجمع القومى في حين أن الأستاذ ذكرى غان أنها أنشئت عام ١٩٥٤ مع أن تاريخ إنشائها مذكور في مقدمتها .

ملحمة الحرب المقدسة

في فلسطين :

للشاعر محمود محمد صادق (١) .

لهذا الشاعر الكبير ميدان متسع الجوانب
في شعر الحماسة ، فقد عرف في عام ١٩١٩ بأنه
شاعر الثورة لما كان يثبته من أشعار تسجل
غظائع الانجليز وتطلب حمية الوطنية المصرية .
وكان من أوائل الذين هنر بوضع الأناشيد
الوطنية منذ أن كان طالبا بالحقوق ، وله شعر
كثير في أحداث مصر والعالم العربي في خلال
ما يزيد على ثلث قرن .

وعندما احتدم أوار المعارك في فلسطين
وقف هذا الشاعر يسجل ويعصور ، ويستحث
النفوس ، ويدعو إلى الوحدة والتضامن مينا
آثار الفرقة والتخاذل وقد سجل ذلك في ملحمة
كبرى نشر جزء منها صبيحة إعلان القرار
الجائر بتقسيم فلسطين ، ومطلعه :

خطب السيف ، أسكنوا دسجباناً ،

يا لقوى ، ودعوا حسنا

وخذوها من الطريق المؤدى

لا تظيلوا للبيان والتبنا

ساعة الفصل آونت ، والمنايا

دق ناقوسها ، ودوت أذاناً

وهكذا يسير في قوة وتدق وحاسة ثم

يقنتل إلى مخاطبة فلسطين الجريحة :

(١) مطبعة المعارف سنة ١٩٥٠ .

ويا فلسطين بعد ، أندلس ماذا

يريب الزمان بما دهانا ؟

درة الشرق ، مهبط الوحى ، مهوى

مهيج العرب ، ملتقى أنبيانا :

إيه ياعار . ما كهولك حار

إن فقدنا ديارنا وحنانا

لأحلنا جبالها بركانا

وأسلنا أنهارها طوفانا

أما القسم الآخرة قد نشره في عام ١٩٤٩ بعد

أن قامت إسرائيل واعتبرت نفسها بين الدول ،

وقد أبت الأمة العربية جميعها أن تعترف بها .

وقد سعى الشاعر هذا القسم : مرثية المراتى :

أحزان وإيمان ، ويقول في أوله

فضى الأمر أيها المشرقان

جللا بالسواد بيض الاماني

واغربي يا شموس من كل أفق

فغرام يحفنا النيران

ثم يأخذ في بيان أثر هذه المسكبة التي تشبه

نكبة الأندلس ، وينعى على العرب باللائمة

لثناؤهم وتفرق كلمتهم وعدم تماسكهم بمبادئ

أسلافهم ، ويذكرهم بماضى صلاح الدين

وما كان للعرب من أجداد ، ثم يدعو إلى

مواجهة الأمر الواقع بحزم وقوة ونكتفى

بمرض أليات قليلة من ذلك الفيض الغزير

الذى تناول موضوعات شتى من بينها

ضرورة الإيمان بشرقيتنا قال :

الفترة وما شهدته البلاد من تطاحن الأحزاب
والتهاون في حقوق الوطن جرياً وراء المنافع
الشخصية ثم رسم ما ينبغي أن تكون عليه
حال البلاد وأشاد بما كانت عليه الروح
العامة في عام ١٩١٩ ثم لحص نتائج تنكب
الطريق وما أصاب البلاد بسبب تفرق الكلمة
ثم ختم القصيدة بما كان يجيش في صدره
عن آمال وضاء في مستقبل باسم ، ونكتفي
بذكر الأبيات التي ختم بها هذه القصيدة
التاريخية الكبرى :

والحق أهون ما يكون لحاجة
قارباً بحمك أن يطول جداله
ولتضحك الدنيا بشدقها فما
حكم الزمان الجليل ، بل أجياله
لا بد من صنعا وإن طال المدى
وبدا بعين الشوط منك مناله
أو ليس في الإيمان ما يغني الفتى
إن كان هذا دهره وفعله

أضرب بصدرك في السماء ولا تدع
رجا إذا استعصى عليك نواله
الله يقسم والعقيدة موئل
إن التقي سحر ، رقاك حلاله
من هام بالرحمن جل جلاله
لأن الوجود له ، ودان محاله

سهم المرحم الجيزاوي

هي حرب الدهاء والعلم والمال
وحشد العقول والأذهان
وانطلاق القوى الكمية
سنة في الشرق وإشراق جذوة الإيمان
وحددوا عالم المشرق صفا
مثلبا اصطف عالم المعدوان
لك عين باندونيسيا وأخرى
جمعت مغربا بباكستان
صاعد طرفها لترك وفرس
هابط لحظها إلى السودان

وصلوا الروح والعقول فلن تكد
في صلات الوريد والشريان
ولولا خوف الإطالة لنقلت الكثير
من أبيات هذه الملحمة التي بلغت أبياتها
سنة وستين وخمسة مائة بيت من أجود ما أنشد
في ميادين الحماة وفي عصرنا الحديث ،
وهي جديرة بالدراسة والإذاعة .

ولهذا الشاعر الكريم ملحمة أخرى
بلغت أبياتها عشرة ومائتي بيت نشرها
أيضا عام ١٩٤٩ بمناسبة مرور ثلاثين عاما
على ثورة ١٩١٩ بعنوان «أرواح وأشباح»
بين أشعة الذكرى الثلاثينية للثورة المصرية .

وقد صور في هذه الملحمة الأحداث
السياسية التي مرت بها مصر خلال تلك

العقائد والفكر الإسلامي

للأستاذ رشاد محمد خليل

وكان لها من عبقريته الخلافة ، وقود معركة ونضال ، ومصباح هداية ورشد ، ودليل حركة وسعى ...

ثم مضى إلى ربه تاركا من ورائه سيرة نادرة أشبه بسير الأبطال في الأساطير تشع للأجيال المقبلة على مدى الطريق من صلابتها في الحق ، واستقامتها في التفكير ، وإيمانها بكرامة الإنسان وحرية أضواء تهدي خطاها في الطريق الطويل .

كما استودع الأجيال من بعده ؛ من فكره الأصيل ، وثقافته العميقة ، وتجاربه الناضجة ، تراثا غاليا تعززه الأمة العربية في لغتها وثقافتها ؛ والأمة الإسلامية في عقيدتها وإيمانها ؛ ليس ذلك فقط بل تعززه الإنسانية كلها في ثقافتها وحضارتها ومثلها العليا ! فقد عرف العقاد كرامة الفكر الإنساني أينما كان من شكسبير وفرانسيس بيكون إلى ابن الرومي وابن سينا .

ووفى للعبقرية الخلافة والخلق الإنساني الرفيع حقهما من الكرامة والتقدير في شخص محمد نبي المسلمين عليه السلام كما في شخص غاندي زعيم الهندوس . فقد كان هدى العقاد في كل ما كتب سواء في تراجمه لأعظم الرجال أو في دفاعه عن قيم الإنسانية ، وعقائدها ومبادئها - كرامة الإنسان وحرية حيثما كان الإنسان ... وكان في ذلك كله خير شارح في عصرنا

يندر من الرجال أو من الأحداث ما يكون علامة تحول ، أو بداية تاريخ أو نقطة انطلاق ؛ ذلك لأن عمليات التحول والتطور والانطلاق في حياة الأمم والمجتمعات تحتاج إلى نوع نادر من الطاقات الإنسانية التي تستطيع أن تضع روح الانطلاق في الحدث ، وأن تعطي التحول التاريخي مضمونه الإنساني والفلسفي .

وقد كان العقاد - رحمه الله - طاقة من هذه الطاقات الإنسانية النادرة التي استطاعت بعبقريتها وإرادتها أن تكون علامة من علامات التحول ، وبداية من بدايات الانطلاق في تاريخنا المعاصر .

ولم يكن العقاد طاقة ذات امتداد واحد ، أو نقطة انطلاق في اتجاه واحد ، وإنما كان قوة انفجار مشعة تنطلق من مركزها إلى دائرة المحيط بقوة متساوية في جميع الاتجاهات .

كان كذلك في السياسة عملا وفكرا ؛ وكان كذلك في الأدب والنقد همدًا وبناء ، وكان كذلك في الفكر الإنساني عامة والفكر الإسلامي خاصة ، منهجا ودراسة ، منطلقا وعقيدة . لقد كان العقاد جزءا من نسيج هذه الأمة الحى ، وعلامة بارزة من علامات تكوينه وتلاحمه ، عايش أزمته وكفاحها ونهضتها معايشة الفعل والتدبير والفكر والتقدير ،

والتمنيات الطيبة ؛ وإنما يتأتى من استقناص السير فى الطريق الطويل الشاق الذى سار فيه العقاد خطوات موفقة ناجحة .

إن علينا أولاً أن نتفهم منهج العقاد فى دراساته الإسلامية وأدوات هذا المنهج ونتائج .

وعلينا ثانياً أن ننتم بالجانب الإسلامى من تراث العقاد فى نطاق الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر والمعاهد الدينية الأزهرية فلا أظن أننا نستغنى فى مجال تطوير الدراسة الإسلامية عن التعرف على التجربة الرائدة الأصيلة التى قدمها العقاد فى هذا الباب لقد استطاع العقاد أن يرسى دعائم منهج واضح فى دراساته الإسلامية التى شملت مجالات العقيدة والسياسة والاجتماع والأخلاق والفلسفة ونماذج الرجال ؛ ويمكن أن نطلق على ذلك المنهج اسم المنهج التكاملى لأنه يقوم أولاً على أساس النص فى مجال الفلسفة والعقيدة والتشريع فهو يحترم المادة التاريخية فى هذا المجال ويضعها فى مكانها ثم يسلط عليها الأضواء بالدراسة التحليلية فى ظل الاعتبار اللغوية والاجتماعية والسياسية التى تحيط بالنص وتحدد دلالاته ؛ ثم يأخذ هذا النص فى إطاره التاريخى ليعرضه على عقل العصر الحديث وينظر إليه فى ضوء ثقافة العصر وظروفه التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية دون أن يفقد النص فى ميزانه دلالاته أو ينزل به

لقوله تعالى : « واعد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ، . رحمة الله ، فما رأينا من عبقرى يفهم فرية فى تاريخنا القريب ...

لقد تناولت الأقلام العقاد من جوانبه المختلفة - سياسياً وأديباً وناقداً ومفكراً وإنساناً - والتقى الانصار والخصوم على تكريمه وتقديره ، وما أشك فى أن دراسة العقاد من جوانبه المختلفة سوف تستوى الكثير من الدارسين والباحثين ، وما أشك فى أن تراث العقاد الفكرى سوف يعضى عاملاً فى ضمير الأمة ووعياً إلى أمد طويل . ولكن الذى أخشاه حقاً هو أن يزحف النسيان على الجانب الإسلامى من تراث العقاد الفكرى ، على الرغم من أن العقاد صرف إلى هذا الجانب الكثير من جهده ودراسته ، وترك لنا فيه ثروة حية خصبة ، وما كان العقاد ليضع فكره وقلبه فى خدمة الإسلام إلا لأن وجدانه كان يمتلئ بيقين راسخ فى أن الإسلام نقطة انطلاق أساسية فى حياة الأمة العربية والإسلامية ؛ وبر أمن وسلام للإنسانية الحائرة فى ضلالها البعيد .

إن هذا الجانب من فكر العقاد يجب أن يصان ، وأن يتخذ كبداية انطلاق رشيدة فى بناء الثقافة الإسلامية وتربية الضمير المسلم ؛ ولن يتأتى ذلك قط بالدهوات

والقديم لا يستمد حقه في الوجود والاستمرار من مجرد السرمدية والقدم .

ولنما الجديد يلغى القديم إذا توافر له من عناصر الصلاحية والجدارة ما يسلب القديم كل ميزة ويفقد وجوده كل معنى ثم يتفوق عليه في مدى وفائه بمحاجات الحياة المتجددة ، واستجابته للظروف المتغيرة ؛ كما حلت الأدوات المعدنية محل الأدوات الحجرية في العصور القديمة ، وكما يلغى النموذج الجديد النموذج القديم في الصناعات الحديثة .

ولنما يحتفظ القديم باستمراره على مدى العصور فلا يقال فيه قديم أو جديد ولنما يقال فيه فقط أنه موجود ، لأنه سنة من سنن الكون التي لا تتغير . مثل شروق الشمس وغروبها . ونمو الحياة وفنائها ، واختلاف الليل والنهار وانتظام الأفلاك .

أولاً لأنه سنة من سنن الهداية والتدبير ، كالحاجة إلى الإيمان والهداية والإعداد والتوجيه .

أو لأنه سنة من سنن البقاء كالحاجة إلى الطعام والشراب والتناسل .

أو لأنه سنة من سنن البناء وال عمران كالحاجة إلى التعاون والتنظيم ... ، سنة الله في الكون والحياة : د فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً .

يقول الأستاذ العقاد : د لا يطلب من كتب العقيدة أن تطابق مسائل العلم كلها ظهرت مسألة منها لجيل من أجيال البشر . . ويخطئ : د أولئك الذين زعموا أن

على مقتضى الظروف المتغيرة التي تتغير وتبدل بتغير وتبدل الزمان والمكان غير متجاهل في نفس الوقت طبيعة المشاكل المعاصرة ، واختلاف الحاجات الإنسانية باختلاف الظروف ، فإن أخطر المشاكل الذي يواجهها الإسلام في العصر الحديث هي أن يقبده أو يشوه أو يتوه بين عناصر المحافظة التي تريد أن تحافظ على الإسلام في إطار الوقائع والمشكلات والمفاهيم الخاصة بأجيال مضت وأزمة انقضت ولن تعود ؛ وبين نزعة التحرر التي تريد أن تضع الإسلام في خدمة الظروف والوقائع والمشكلات والمفاهيم التي تعيش في واقع المسلمين المعاصر لا لكي يقوم الإسلام بدور الدليل ، ولكن بدور التعبير ؛ واختلاف المآذير للواقع كما هو عليه .

لقد كانت أهم ميزة في منهج العقاد هي أنه استطاع بكثير من النجاح أن يضع عناصر الثبات والتغير في الإسلام في مواضعها الطبيعية ؛ وقد أعانه على ذلك النجاح بجانب عبقرية التحليلية درايته الواسعة بتراث الإسلام القديم وظروفه التاريخية ، وإحاطته الوافية بالثقافة المعاصرة ، ومنهجها الحديثة . وهو يقيم منهجه على أساس من الإدراك البصير للطبيعة الإنسانية ومن شمول النظرة إلى الحياة والكون والإنسان ؛ وإدراك الفارق بين الثبات والتغير ، وبين التغير والتطور ؛ فالجديد لا يلغى القديم لأنه جديد

التفكير الإنسانى هو الخط الأساسى الأول فى منهجه ودراسته وحياته كلها ؛ فالعقل هو المرجع الأول فى قضايا المعرفة وقضايا العلم وقضايا الإيمان ، ولكن الميزة التى تفرد بها العقاد بين مفكرينا المحدثين هى إيمانه بالعقل الإنسانى أى بالعقل فى حدوده الإنسانية إنه يؤمن بأن للعقل الإنسانى حدوداً فى مجال المعرفة ، ومجال العلم ، ومجال التجربة ؛ وأنه لا حرج عليه من التسليم خارج الحدود التى تنقطع وراءها كل وسيلة للعلم والمعرفة والتجربة ؛ والإيمان بالغيب المستور إيماناً يفرضه العقل نفسه : « وفرق بين أن يعرف العقل حدوده وبين أن يبطل عمله فإن العقل ليستطيع التفرقة بين عقيدة الشرك وعقيدة التوحيد ويستطيع التفرقة بين أدلة الإيمان وأدلة التعطيل ويستطيع التفرقة بين ضمير مؤمن وضمير عطل من الإيمان ويستطيع أن يبلغ غاية حدوده ثم لا ينكر ما وراءها لأنه وراء تلك الحدود ... » (١) .

إن العقاد لم يلتق بالإسلام التفاء المقلد أو المتحمس ولم يقف منه موقف المدافع المتعصب ، وإنما اتقى بالإسلام خلال رحلة الشك والتزق التى يقطعها كل مفكر وفيلسوف يريد أن يختار لنفسه بفسكره وإرادته معتقده ومبدأه وأسلوب حياته ؛ ومن خلال رحلة الشك الطويلة ، ووقفة

هذه التطور والارتقاء ثابت من بعض آيات القرآن كقوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ، أو قوله تعالى : « فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

لأن الآيتين تؤيدان تنازع البقاء ، وبقاء الأصلح ، ولكن مذهب التطور والارتقاء لا يزال بعد ذلك عرضة لكثير من الشكوك والتصحيحات بل عرضة لسنة التطور والارتقاء التى تنتقل به من تفسير إلى تفسير .

« كلا لا حاجة بالقرآن إلى مثل هذا الإدعاء ، لأنه كتاب عقيدة يخاطب الضمير ، وخير ما يطلب من كتاب العقيدة فى مجال العلم أن يبحث على التفكير ولا يتضمن حكماً من الأحكام يشل حركة العقل فى تفكيره ، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ، ما استطاع حيثما استطاع وكل هذا مكفول للمسلم فى كتابه ، كما لم يكفل قط فى كتاب من كتب الأديان .

فهو يجعل التفكير السليم ، والنظر الصحيح إلى آيات ما فى خلقه وسيلة من وسائل الإيمان بالله ... » (١) .

ولقد آمن العقاد بالعقل ، وآمن بأن الإسلام هو دين العقل والتفكير ، وكان آخر كتبه « التفكير فريضة إسلامية » .

إن إيمان العقاد بالعقل الإنسانى ، وكرامة

المستأنى أمام كل فكر وفلسفة في القديم والحديث في الشرق والغرب على السواء ، رجع العقاد من تجربته الثقافية والفكرية ليقول بأن إنسان القرآن هو إنسان القرن العشرين وأن القرن العشرين ، منذ مطلعته ، يعرض العقيدة بعد العقيدة على الإنسان وعلى الإنسانية ، ولا نعلم أنه عرض عليها حتى اليوم قديماً معاداً أو جديداً مبتدعاً هو أوفق من عقيدة القرآن . وأوفق ما فيها أنها غنيت من الاختراع والامتحان ، وأنها على شرط العقيدة الدينية من بنية حية ، شملت ملايين الخلق وثبتت معهم وحدتها في كل معترك زبون . يوم خذلهم كل قوة يعتصم بها الناس .

ومن أجل هذا وذاك نقترح أن تكون دراسات العقاد في صلب مناهج الدراسة بالاعاهد الدينية والجامعة الأزهرية ، كما نقترح على مجمع البحوث الإسلامية أن يستهل نشاطه بترجمة دراسات العقاد إلى مختلف اللغات العالمية الحية في مجال التعريف بالإسلام .

ولما نلرجو أن تطلق جامعة الأزهر اسم العقاد على مدرج من مدرجاتها فالعقاد إمام من أئمة مدرسة الإصلاح والتجديد التي أرسى دعائمها السيد جمال الدين الأفغاني وحمل رسالتها تلميذه الشيخ محمد عبده ليسلمها من بعده إلى جيل المجتدين والمصلحين الذين لجع العالم الإسلامي بالأمس القريب في هلمين من أعلامها الشيخ محمود شلتوت ثم عباس محمود العقاد ...

وفي هذا وفاء بحق الرجل الذي وفي للعظمة الإنسانية بكل صورها في كل ما كتب ... رحمه الله ؟

رشاد محمد خليل

المستأنى أمام كل فكر وفلسفة في القديم والحديث في الشرق والغرب على السواء ، رجع العقاد من تجربته الثقافية والفكرية ليقول بأن إنسان القرآن هو إنسان القرن العشرين وأن القرن العشرين ، منذ مطلعته ، يعرض العقيدة بعد العقيدة على الإنسان وعلى الإنسانية ، ولا نعلم أنه عرض عليها حتى اليوم قديماً معاداً أو جديداً مبتدعاً هو أوفق من عقيدة القرآن . وأوفق ما فيها أنها غنيت من الاختراع والامتحان ، وأنها على شرط العقيدة الدينية من بنية حية ، شملت ملايين الخلق وثبتت معهم وحدتها في كل معترك زبون . يوم خذلهم كل قوة يعتصم بها الناس .

ومن أجل هذا وذاك نقترح أن تكون دراسات العقاد في صلب مناهج الدراسة بالاعاهد الدينية والجامعة الأزهرية ، كما نقترح على مجمع البحوث الإسلامية أن يستهل نشاطه بترجمة دراسات العقاد إلى مختلف اللغات العالمية الحية في مجال التعريف بالإسلام .

(١) الإنسان في القرآن الكريم ، عباس محمود العقاد .

الأدب الصوفي

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشى

ابن أبى سفيان تحدّثه نفسه بالفرار ،
فيجيش خاطره بأبيات من الشعر تدفعه إلى
الصبر وتحمل المشاق حتى ينال النصر ، وكان
كلما طغى عليه موجة الضعف ، وغلبته
طبيعة الحرص على البقاء استعاد هذه الأبيات
فتعيده ألياً شجاعاً جلدأ صبوراً :

ولمساكى على المسكروه نفسى
وضربى هامة البطل الشيخ

وقولى كلما جشأت وجاشت

مكانك تحمدى أو تستريحي

لأدفع عن مآثر ضالحات

وأحى بعد عن عرض صحيح

هذه هى الوظيفة الأولى للأدب ،

ولا يفض من ذلك أن يذهب بعض الناس

بالأدب إلى ناحية منحرفة عن هدفه الأسمى ،

من وصف للصبوات وتصوير لشرات

الجهالة .

ولننظر فى الآثار الصوفية على ضوء هذه

الخطوط التى قدمناها لرى ، هل أوفت

بما اشترط الأدباء فى الأدب الحى ؟ وهل

كان لها هدف معين تسمى إليه ؟ أم أنها

الأدب فى أصل إطلاقه صفة من صفات
النفس ، ثم تطور مع الزمن حتى صار
معارفاً بما ينتجه الأديب والشاعر من شعر
أو نثر يترجم به عن أحاسيسه وعواطفه .

والأدب الحى هو الذى يعطى صورة

صادقة عن نفس الكاتب أو الشاعر ويترجم

عن أحاسيسه وعواطفه بدقة وأمانة ، ولا بد

للنص الأدبى حتى يكون فى درجة عالية ، أن

يستكمل عناصر أربعة : الفكرة ، والعاطفة ،

والخيال ، والاصلوب : وهذه العناصر هى

التي تحقق للنص مكاناً فنياً ممتازاً .

وطبيعى أن النص الذى يصور فكرة

سامية ، ويهدف إلى غرض نبيل يكون أجمل

وقعاً ، وأحسن تأتياً ، وأقوى أثراً ،

وأدخل إلى النفوس وألصق بالقلوب .

والمهمة الأولى للأدب العمل على بث

الصفات السكرية والرقى بالافكار ، والاخذ

بأيدي الناشئة حتى يبلغوا مبلغاً خليفاً

بالرجولة والمروءة .

وكم حفظ الشعر الحى من مواقف كتمت

أصحابها فى سجل الخالدين ، فهذا معاوية

فلذلك انصرفت عنها أنظار الباحثين في الأدب والمؤرخين لرجاله ، فكان هذا الإغفال ، واندفعوا يختارون ويدرسون الأدب الذي اتجه إلى الحدود والشفاء ، واستمدت ينابيعه من الكشوس والعيدان ، ولم يلتفتوا ناحية الأدب الصوفي ، على الرغم مما يحفل به من آثار قيمة لا تقل روعة ، إن لم تفتق ما أثر هن خول البيان والصبر كالجاحظ وابن العميد وبشار والبحترى والمثنبي .

ولنقرأ معا هذه المناجاة لدى النون المصرى ، ليتجلى لنا بما لا يدع مجالاً للشك ، أن الأدب الصوفي في القمة من الجودة : « إلهى من ذا الذى ذاق طعم مناجائك ، فألهاء شئ من طاعتك ومرضاتك ؟ .

من ذا الذى ضمن له النصر في دنياه وآخرته ، فاستنصر بمن هو مثله في عجزه وفاقته ؟ .

أم من ذا الذى تكفلت له بالرزق في سقمه وصحته ، فاسترزق غيرك بمعصيتك في طاعته ؟ أم من ذا الذى عرفته بأثامه ، فلم يحتمل منك مثونة فطامه ؟ ،

وهذا دعاء آخر له من الصالحين : « اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوى عليه بدنى بعافيتك ، ونالته يدى بفضل نعمتك ، وانبطت إليه بسعة رزقك ، واحتجبت فيه عن الناس بسترك ، واتسكت فيه على

كانت شطحات لا تجمعها فكرة ، ولا تنديها عاطفة ، ولا يحلق بها خيال .

إن نظرة بلقيها الباحث على النتاج الصوفي في الشعر والنثر ، وسياحة في رياضه العبية ، تجعله يقرر ، وهو مطمئن ، أن الصوفي أدب حتى قد أوفى على الغاية من الجودة ، وبلغ الذروة في الإتقان ، لما يحفل به من أخيلة بديعة ، وما يتوالت فيه من عواطف صادقة ، يكاد يحسها ويلبسها . ثم هو بعد ذلك يصور ما امتاز به الصوفية أنفسهم من خصوبة في الخيال نادرة ، ونفوس مشرقة وأرواح شفافة ، جعلتهم يحسون إحساساً قوياً بما يقع في قلوبهم من معان ، وما يلهمونه من أفكار ، حتى فاضت قرائحهم بأرقى الصور الشعرية وأبدعها .

ذلك لأن الأدب الصوفي جزء من النصوص كما أن الأدب الماجن لون من المجون وبعض منه .

وقد يقسم سائل : إذا كان للصوفية هذا الأدب الذى تغالى في قيمته ، فلماذا لم يحظ من كتاب علماء الأدب ومؤرخيه بكلمة ترسل ، أو رأى يقرر ؟ وهذا أمر يدهو إلى العجب حقاً .

ولعل السرب في ذلك أنه قد وقر في أذهان الناس منذ القدم أنه لا صلة بين الأدب والدين ، والتصوف دعوى دينية متطرفة

المعنى والغرض ، ولستكنهم لانصرافهم عنه لم نجد في مؤلفاتهم النقدية غير شواهد من كلام الشعراء والكتّاب الذين سبقوا في غير ميادين القلوب والأرواح ، (١)

والأدب الذى أثر عن الصوفية ، منه ما انفردوا بأغراضه ولم يسبقوا إلى طرق أبوابه ، ومنه ما شاركوا فيه غيرهم ، وانفقوا مع سواهم من الأدباء الآخرين .

وكلا النوعين قوى السبك ، مشرق الديباجة ، غزير المادة ، جيد المعنى وهذا موقف فى الرثاء ، قل نظيره فى الأدب العربى عامة لابن السماك يوثى داود الطائى ، يقول عنه الدكتور زكى مبارك ، وهو رثاء فريد ، عرف قائله كيف يحدد خصائص من بكاه ، قال ابن السماك :

« إن داود رحمه الله نظر بقلبه إلى ما بين يديه من آخرته ، فأغشى بهر القلب بصر العين ، فسكان كأنه لا ينظر إلى ما إليه تنظرون ، وكأنكم لا تنظرون إلى ما إليه ينظر ، فأنتم منه تعجبون ، وهو منكم يعجب ، فلما رأيكم راغبين مذهولين مغرورين ، قد أذهلت الدنيا عقولكم ، وأماتت بحبها قلوبكم ، استوحش منكم ، فسكنت إذا نظرت إليه نظرت إلى حى وسط أموات . »

أناك وحلك ، وعولت فيه على كريم عفوك . فهل ترى هذه النماذج تقل خطراً من أروع ما أثر عن أعلام الكتّاب فى أسمى عصور الأدب ؟

والغريب مع هذا أنه لم يحظ بقصجيل مؤرخى الأدب وناقديه ، ويقول الدكتور زكى مبارك مشيراً إلى هذا الإغفال . . لعل السرفى لإغفال مؤرخى الأدب لهذا النتاج الرفيع ، مع ما يحفل به من أخيلة وصور ومعان أنهم لم يضعوا البلاغة الصوفية فى الميزان ، وذلك يرجع من ناحية إلى الصوفية أنفسهم ، وهو انحيازهم عن صحبة الأدباء وانقطاعهم إلى خلواتهم .

ومن ناحية أخرى إلى الأدباء أنفسهم ، ذلك أنهم أقبلوا على الصور الحسية إقبالا مشغولهم عن الأدب الذى يصور أحوال الأرواح والقلوب ، فحسبوا أدب الصوفية بعيداً عن مجال سبقهم : مجال الوصف والتشبيب والحماة والعتاب ، ولو أن رجال الأدب وهلماء البلاغة والنقد نظروا إلى الأدب الصوفى نظرة مدققة لرأوا فيه ما يطالبونه من الشواهد الحية لما يتغنون من تشبيه ومجاز ، وكناية تبلغ الذروة ، وتجاوز حد الإتقان ، لما اشتعلت هليته من طرافة الخيال وقوة الصور الشعرية .

ولوجدوا فيه نماذج حية تصلح لإصابة

ذلك الأدب الفنى أغفله الناس من قبل .
وصفوة القول: إن الكتب الصوفية تفيض
بالأخيلة، والصور والتعابير في روعة وقوة،
ويزيد في جمال الأدب الصوفى أنه وثيق الصلة
بعلم النفس، وأن له غاية نبيلة، هي غرس
الخلق الشريف في نفوس الرجال .
ذلك لأنه أدب أناس عرفوا الدنيا وأهلها،
ثم ملوا المجتمع وانقلبوا عليه يصفون عيوبه،
وتقاتله بأقلام تنضج باسم الزعاف .

وقد تقدم أن الصوفية انفردوا بأبواب
خاصة سلكوا دروبها الأدبية وحدهم،
ولم يطرقت سواهم من الأدباء وساروا
في مسالك جديدة لم يتبعهم فيها غيرهم .
وربما سبق إلى الأذهان سؤال عن المظاهر
الفنية الجديدة التي هدوا إليها .

والدارس لآثارهم يراها تدور حول
ما يدينون به من مذاهب وما يعتنقونه
من آراء، وما يأخذون به أنفسهم من سلوك
في حياتهم التي انهمجروا، ويمكن تلخيص
هذه المظاهر في الأغراض الآتية :

(أ) وصف الدنيا . (ب) المفاجأة .

(ج) العشق الإلهي .

(د) المواقف والمخاطبات .

(هـ) الأحزاب والأوراد .

(و) وحدة الوجود والمدائح النبوية .

محمد إبراهيم الجبوسى

يا داود، ما أعجب شأنك بين أهل زمانك !
أهنت نفسك وإنما تريد إكرامها، وأتعبتها
وإنما تريد راحتها، أخشنت المطعم وإنما
تريد لينه، ثم أمت نفسك قبل أن تموت،
وقبرتها قبل أن تقبر، وعذبها ولما تعذب،
وأغفيتها عن الدنيا لكيلا تذكر، ورغبت
نفسك عن الدنيا - فلم ترها لك قدراً -
إلى الآخرة، فما أظنك إلا وقد ظفرت
بها طالبت ...

سجنت نفسك في بيتك، فلا تحدث لك،
ولا تجلس معك، ولا فراش تحتك، ولا ستر
على بابك، ولا قلة يبرد فيها مأوك، ولا صحفة
يكون فيها غذاؤك وعشاؤك، مطهرتك قلبك .

داود : ما كنت تشتهي من المساء بارده،
ولا من الطعام طيبه، ولا من اللباس لينه،
بلى، ولكن زهدت فيه لما بين يديك،
فما أصغر ما بذلك، وما أحقر ما تركت
في جنب ما أملت، فلما مت شهرك ربك
بموتك، وألبسك داء همك، وأكثر
تبعك، فلو رأيت من حضرك هرفت
أن ربك قد أكرمك، وشرفك، فلتتكلم
اليوم عهيدتك بكل ألسنتها، فقد أوضح
وبك فضلها بك .

فهذا رثاء في درجة عالية من الجودة،
جرى على لسان صوفى من هؤلاء الذين نحاول
أن نكشف عن مدى أثرهم في الأدب،

مِنْ نَحْوِ ثَمَانِ مِائَةِ أَلْفٍ

الملكيّة الفردية وتحدّيها في الإسلام

للأستاذ أذ على الخفيف

— 7 —

أما هذا النزوح من الحى المبنى على السلطان والغلبة فقد حظره الإسلام ولم يجعله لشخص من الأشخاص وإنما جعله حقاً لأمرأ المسلمين ليحرموا به أرضاً لمنفعة عامة للمسلمين .

روى الصعب ابن جثامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا حى إلا لله ورسوله) والمعنى الظاهر لهذا الحديث أن الحى إنما لمنفعة عامة لا تخص أحداً وذلك ما عبر عنه بأن الحى لله ورسوله لأن ما لله هو للمسلمين وإنما نسب إليه سبحانه وتعالى لأنه أمر به ورتب عليه الجزاء وإلى هذا التأويل ذهب أبو حنيفة فى كتابه : الأموال إذ قال : للإمام أن يحبس ما كان لله مثل حى النبى صلى الله عليه وسلم وحى عمر فمذا كله داخل فى الحى وقد روى نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حى النقيع لحيل المسلمين والنقيع موضع معروف بقرب المدينة ، وروى أن عمر رضى الله عنه حى الربرة

الحی :

أشرفنا فيما مضى إلى أن الحى من الأرض
كان معروفا عند العرب قبل ظهور الإسلام
وكان منه ما هو قاصر على منافع شخص معين
ومنه ما كان لمنافع جماعة من الناس مجتمعها
صلة أو وحدة كأسرة أو قبيلة - ولم يكن
هذا النوع من حيازة الأرض والاختصاص
بأئامها وكلئها إلا مظهراً من مظاهر ملكيتها
إذ لم تكن للملكية هندم يومئذ حدود
معلومة مرسومة ولا معنى متميز إلا ما كان
لهم من حق الاقتسار بها ومنع غيرهم من
الرعى فيها بالقوة والغلب وما بقي فيها كلاً
وماء فإذا انضب الماء ونفذ الكلاً تركوها
أرضاً مباحة لا اختصاص عليها إلى أرض
غيرها فيها الماء والكلاً .

وحين جاء الإسلام لم يقر هذه الحيازة
وتلك الأثرة مستندا إلى القوة والجاه وإنما
جعل ملك الأرض نتجة لعمارتها وإحسانها

والشرف لهذا الغرض وهما موضعان بين مكة والمدينة ، كما روى عن أسلم مولى عمر أن عمر استعمل مولى له يدعى هنيئا على الخي فقال له : يا هني اضم جناحك على المسلمين واتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصريمة ورب الغنيمة وإياي ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان فإنهما إن تهلك ماشيتهما رجعا إلى نخل وزرع ، ورب الصريمة ، ورب الغنيمة إن تهلك ماشيتهما يأتیان يقولان : يا أمير المؤمنين أفتأركم أنا لا أبالك - فالماء والسكلاء أيسر على من هزم الذهب والورق ، وأيم الله أنهم ليرون أنى قد ظلمتهم إنها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام . والذي نفسى بيده لولا المال الذى أحمل عليه في سبيل الله ما حيت عليهم من بلادهم شيئا - رواه البلاذرى وقال أسلم : سمعت رجلا من بنى ثعلبة يقول لعمر : يا أمير المؤمنين حيت بلادنا قاتلنا عليها في الجاهلية وأسلمنا عليها في الإسلام يرددها عليه مرارا وعمر واضع رأسه ثم رفع رأسه فقال له : البلاد بلاد الله ونحى نعم الله بحمل عليها في سبيل الله :

وظاهر من هذا الاثر أن حمى عمر كان في أرض لأهلها فيها منافع ومرافق بسبب الجوار ولم يمنعه ذلك من حمايتها على أهلها

حين دعت إلى ذلك مصلحة عامة . وهذه الحماية من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حمى النقيع لحيل المسلمين لا تعدو أن تكون إقرارا للسلوكية الجماعية وإنشاء لها في الإسلام إذ تصير الأرض بها ملصقا لجماعة المسلمين في صيقل منفعة عامة لهم مى جعلها مرعى لحيلهم التى يحملون عليها حين يجاهدون في سبيل الله تعالى وفيها إلى ذلك دلالة على أن لإمام المسلمين أن يأخذ من أموالهم وأملاكهم ما تدعو إلى أخذه مصلحة عامة ذلك لأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة ، وفي هذا يقول الشافعى في الأم جزء (٣) صفحة (٢٧٠) : إن حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه صلاح لعامة المسلمين وإن الخيل المعدة لسبيل الله وما فضل من سهمان أهل الصدقات وما فضل من النعم التى تؤخذ من أهل الجزية ترعى فيه ، فأما الخيل فقوة لجميع المسلمين وأمانهم الجزية فقوة لأهل الفء من المسلمين ومساك سبيل الخير أنها لأهل الفء المجاهدين وأما الإبل التى تفضل عن سهمان أهل الصدقة فيعاد بها على أهل سهمان الصدقة فلا يبقى مسلم إلا دخل عليه من هذا صلاح في دينه وفى نفسه ومن يلزمه أمره من قريب أو عامة من مستحق المسلمين إلى آخر ما قال

العموان ومقتضيات الاجتماع ، وذلك ما يدل على أن الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما دل الدليل على أنه محظور . وقد استند كثير من العلماء إلى هذه الآية حين رأوا هذا الرأي وذهبوا هذا المذهب ومنهم الحنفية والشافعية وأكثر المعتزلة ووجهه الإمام في المحصول والبيضاوى في المنهاج وقالوا : إن اللام في الآية لام الملك والاختصاص ، وإن العموم فيها البادى في ضمير الخطاب وفي د ما ، يدل على أن ما في الأرض جميعاً خلق للناس جميعاً فلا اختصاص لأحد منهم د تفسير البيان ج ١ (١٩٨) ، وقد كان هذا الوضع فيما هو على ظهر الأرض في الابتداء إلى أن وجه التزام وظهرت غريزة الإنسان في حب الاستيلاء والادخار والاستثمار — وتلك هي عناصر الملكية — فظهرت الملكية بمعناها الواضح وتبلورت وتميزت .

والملكية كما قدمنا ملكية جماعية وملكية فردية ، فإذا كان الانتفاع بآثارها لجماعة من الناس على أن يكون انتفاع الفرد بها قائماً على أنه فرد من تلك الجماعة دون أن يكون له به اختصاص كانت الملكية جماعية — وقد تكون عامة كملكية الدولة لأموالها ومرافقها العامة من طرقات وقناطر وأنهار ونحو ذلك ، وقد تكون خاصة بهيئة من الهيئات المتشعبة

الإباحة والملكية الجماعية والملكية الفردية جميع ما في الكون ملك لله تعالى في الكتاب العزيز : د وله ما في السموات والأرض ، النحل ٥٢ د قل لمن ما في السموات والأرض قل لله ، الأنعام ١٢ د لله ملك السموات والأرض وما بينهما ، المائدة ١٦ د ألا إن لله ما في السموات والأرض ، يونس ٥٥ د ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ، البقرة ١٠٦ وهذه الملكية ملكية تقوم على الخلق والتسلط والتسخير — وهي ملكية لاحقة بجميع الأشياء لا تنتهى ولا يغير من وضعها أية حيازة أو تصرف من الإنسان .

وقد خلق الله سبحانه وتعالى ما على سطح الأرض للإنسان ليكون له منه منافع وثمراته فكانت منافع وثمراته مباحة لجميع الأشخاص لكل إنسان منها حاجته . وفي قوله تعالى : د خلق لكم ما في الأرض جميعاً ، د البقرة ٢٩ ، دلالة على ذلك فهي تفيد أن جميع ما في الأرض أو ما هو على ظهرها قد خلق للإنسان بمعنى ذلك : أن للإنسان منافع وثمراته وأن له أن ينتفع بكل ما يستطيع أن يحصل عليه أو يصل إليه من منافع فكان الانتفاع به مباحاً لكل منه حظه الذي يسد حاجته ويقوم به حياته في النطاق الذي تقره العدالة وتحدده نوااميس

الإلزام من شدة ذلك . فلم تواجهه من الاشتراكيين على اختلافهم إنكاراً بل اتفقوا جميعاً على إقرارها في الأموال المنقولة التي لم تتخذ مصدراً للإنتاج .

أما الملكية الجماعية فإن حياة المجتمعات المتطورة قد اقتضت أن تكون في الأرض وقد تجاوزتها في كثير من الأحوال إلى الأنعام كما وجدت كذلك في الأموال المنقولة المخصصة لغرض عام ويرى الاشتراكيون وجوبها في جميع وسائل الإنتاج ولذا يقولون بوجوب تأميمها .

وعلى أية حال فالملكية بنوعها لا ينسكها مذهب من المذاهب الاجتماعية أو الاقتصادية المعتمدة لأنها كما علمت ظاهرة من ظواهر الحياة الإنسانية غير أن الاشتراكيين يذهبون إلى وجوب تحديد الملكية الفردية إذ وجدوا أنها في حال إطلاقها قد أدت إلى تمزيق المجتمع وجعله طبقات متصارعة متعادبة وذلك ما يودي بسلامته . فالاشتراكية المعتدلة تقتصر على تأميم وسائل الإنتاج من المصانع والمزارع وروس الأموال ، والمواد اللازمة للإنتاج ومن الاشتراكيين من يرى الاقتصار على تأميم العقار من مزارع ومنازل . (يتبع)

على التفتيش

من الأمة إذا كانت لها باعتبارها هيئة . وأما إذا كان الانتفاع بآثارها لشخص من الأشخاص على وجه الاختصاص والتعيين فإن ملكيته تكون ملكية فردية سواء أكان ملكه متميزاً أم شائعاً في ملك غيره من الأشخاص . وقد ذكرنا فيما سبق أن أسبق النوعين وجوداً هو الملكية الفردية إذ أنها أثر من آثار غريزة من غرائز الإنسان وهو سابق في الوجود على اجتماعه بفسيره وارتباطه به ارتباطاً يحمل منهما ومن غيرهما جماعة ذات شخصية وتميز بسبب ما يجمعهم ويضمهم من الصلات والروابط .

مجال الملكية الجماعية والملكية الفردية :

وإذ تبين أن أساس الملكية الفردية هو ما طبع عليه الإنسان من حب وميل إلى الاختصاص بما يسد حاجته الخاصة من طعام ولباس ودفاع عن نفسه وما إلى ذلك ، كان مجالها منذ وجدت في هذا النطاق وما يتصل به من الأموال المنقولة وكانت لذلك أكثر شيوعاً وظهوراً فيها على مر السنين ثم تجاوزتها بعد حين إلى جميع الأموال من حيوان وعقار . ولم تستهدف في بدايتها قبل أن تشيع في العقار لكثير من الإنكار والاعتراض فظلت في الأموال المنقولة متمتعة بإقرار أرباب المذاهب والآراء على اختلاف نحلهم وأنظارهم

الحرية السياسية والقيادة الجماعية في الإسلام

د. ساذن فتح الباب

فالحرية السياسية تدور مع السلطة السياسية التي تشكل أهم عناصر الدولة وجوداً وهدماً ولا يتصور قيامها في ظل جماعة من الناس كالعيلة أو العشيرة لتكوين دولة بالمفهوم الحديث .

فإذا كانت الحرية السياسية - وفقاً لما أثبت التاريخ - لإحدى الأصول الأولى التي قام عليه الإسلام منذ نشأته الأولى التي تورخ بالبعثة النبوية ، فإن معنى ذلك أن هذه الحرية قد نشأت قبل قيام السلطة السياسية في الإسلام إذ تكونت أول دولة في التاريخ الإسلامي بالمدينة برياسة النبي صلى الله عليه وسلم منذ هاجر إليها . فكيف يستقيم في المنطق أن توجد حرية سياسية بغير سلطة سياسية ؟ .

إن التناقض الذي يبدو بين هاتين الحقيقتين المشار إليهما سرعان ما يتماهى إذا علمنا أن الإسلام ينفرد بين الديانات السماوية بأنه دين ودولة معاً ، بمعنى أنه يضع بين يدي إمام المسلمين زمام السلطينة الدينية والسياسية معاً ، إذ يتناول شئون الدين فينظم العبادات التي تصل المرء بخالقه ، كما يتناول شئون الدنيا فينظم أحكام المعاملات التي تربط الناس

نمبر ١ :

استقر الرأي عند علماء السياسة وفقهاء القانون الدستوري على أن الحرية السياسية هي أهم المبادئ التي تقوم عليها الجماعة السياسية الحديثة ، وأنها - بعبارة أخرى - حجر الزاوية في بناء الدولة على أساس من ديمقراطية الحكم بمعنى أن يحكم الشعب نفسه بنفسه ، فلا تتمثل الحكومة في فرد واحد يملك بين يديه جميع السلطات ويتصرف كيف يشاء دون معقب ، أو تتمثل العاطية الحاكمة في قلة من الممتازين أو غيرهم تعمل وفقاً لمصالحها الخاصة ولا تعنى بتحقيق مطالب الشعب جميعاً .

وتبدأ السلطة الحاكمة بمجرد نشأتها واستكمالها مقومات الدولة في تنظيم الحقوق والواجبات بين الأفراد والجماعات على هدى الفلاسفة التي تضعها لنفسها وتريد أن تنفذ عليها المجتمع في سبيل تحقيق مقاصدها وبلوغ أهدافها . فإذا توافرت روح الديمقراطية في القيادات العليا التي تستحوذ على هذه السلطة كانت الحرية السياسية إحدى الدعائم الرئيسية التي ينهض عليها نظام الحكم .

بين الناس في الحقوق والواجبات ، مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وأسمائهم ، ومعتقداتهم . ومن ثم جاء الإسلام ليؤكد السلام على الأرض عن طريق الإيمان بالمثل الإنسانية العليا وهي الحق والخير والعدل . والحرية هي المحور الذي تركز عليه هذه القيم ، فلا تقوم فضائل في ظل العبودية ، بل تعصب للباطل ، وهزة بالإثم ، وعدوان على مقدسات الإنسان .

والعقيدة الإسلامية أساسها التوحيد ، وهو يحمل المعنى الحقيقي للحرية ، فسادام الله وحده هو الغنى ، وهو القوى الدير ، فليس لإنسان أن يستعلى أو يتجبر على آخر ، أو يسلبه حقاً من حقوقه ، ولا إله إلا الله ، فلا سيطرة لفرد أو جماعة أو طبقة أو طائفة أو جنس على غيره ، فالناس سواسية ، وهم إخوة فيما بينهم وعباد الله وحده .

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :
(لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لفرشي على حبشي إلا بالتقوى) .

وفي حجة الوداع يقول :
(أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن

بعضهم ببعض . فلا غرو أن يدعو الإسلام إلى الحرية السياسية منذ مهبط الوحي تحقيقاً لرسالته في تنظيم الجماعة وتوحيدها ، وأن يؤكد دعوته تلك بعد قيام دولته الأولى في يثرب لدعم بنائها وتثبيت قواعدها على أسس سليمة دائمة لا يتطرق إليها الوهن على اختلاف الزمان والمكان .

ومن ثم كانت هذه الحرية من المبادئ الجوهرية التي أرساها التشريع الإسلامي وجعلها في خدمة العقيدة والدولة ، بل الإنسانية جمعاء ؛ ذلك أن سيادة البشرية هي العليا الغايات في الدعوة الإسلامية .

ولقد حرص الإسلام على تنظيم الحرية السياسية على نهج يكفل سلامتها ويمنع المفرضين من استغلالها والانحراف بها عن المعاني الحكيمة التي شرعت من أجلها وهي صلاح الفرد وصلاح المجتمع .

الحرية أساس القيم الإنسانية :

والحرية السياسية من الحقوق الطبيعية المقررة في الإسلام وهي تنبع من جوهر عقيدته السمحة التي تدعو إلى السلام بين الناس أجمعين ، فالسلام هو الهدف الأكبر لهذه العقيدة ، وهو في الوقت ذاته المنهاج القويم لفضائل القيم الإنسانية الفاضلة وما يترتب عليها من طمأنينة الخلق وسعادتهم ولا يتحقق الأمن والسلام إلا في ظل المساواة والتكافؤ

الجماعة ، بلاخلاف ، أو اتفاقها على القدر الذي يرجح به الاختيار وتمتع به الفتنة ، وتلك عليها مراتب الديموقراطية التي ارتضتها روح الإسلام ومبادئه ، وسار عليها المسلمون في تاريخهم ، فقد تم اختيار أبي بكر رضي الله عنه رئيسا للدولة الإسلامية بأمر بايعه المهاجرون والانصار بيعتهم الأولى التي تسمى في التاريخ الإسلامي بيعة السقيفة ، وبعدها بايعوه البيعة العامة ، فكانت تلك أول ممارسة عملية لحق اختيار رئيس الدولة الإسلامية ، أو بمعنى آخر للحرية السياسية في الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم تعقد الخلافة لأبي بكر بحكم الجاه أو المنصب أو النسب ، وإنما لأنه اختار قام على قدم المساواة بمن يملك هذا الحق من عامة المسلمين ، وعلى هذا النهج كانت مبايعة سائر الخلفاء الراشدين ، أما تولى الخلافة بالوراثة ، وقد جاء به معاوية بن أبي سفيان لأول مرة في الإسلام ، فهو أمر تأباه روح الإسلام وتعاليمه ، إذ أنه مثار خلاف بين المسلمين ، ويتنافى مع مبدأ الحرية السياسية مما دال عليه تاريخ التنازع على الحكم منذ عهد يزيد الذي عهد إليه أبوه معاوية بالخلافة من بعده تنفيذاً لأغراض سياسية . (يتبع)

من فتح الباب

أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض فضل إلا بالتقوى .
وعلى هدى هذه المساواة قرر الإسلام الحقوق القانونية والسياسية والاجتماعية للفرد والجماعة ، وألزم الدولة مسئولية صونها وضمانها ، وتهيئة السبيل للوطنين كي يمارسوها .

صور الحرية السياسية :

١ - نظام البيعة :

لا شك في أن أهم الصور التي تتجلى فيها الحرية السياسية في الإسلام هي نظام البيعة فلا يتم تنصيب خلف لرسول الله وإمام على المسلمين إلا من هذا الطريق ، فلا تعيين لرئيس الدولة ، بل اختيار له ممن يملكون حق الاختيار ، وهؤلاء هم الصفوة المختارة من الأمة ممن يطلق عليهم أهل الحل والعقد ، فإذا أجمعوا على ترشيح أحد المسلمين للخلافة بايعوه على السمع والطاعة والنصرة ، ثم يقبضهم الجمهور في المبايعة ، أما إذا تعذر شرط الإجماع ، فيؤخذ بما ينعقد عليه رأى الأغلبية في اختيار الرئيس الشرعي للدولة ، ويجوز أن يرشحه واحد أو يشترط في ترشيحه اتفاق عدد من المسلمين يجوز لهم صلاة الجماعة ، إلا أن الاتفاق على عدد المرشحين لا يغني عن المرجع الأخير ، وهو اتفاق

يُسْرَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَسِمَايَتِهِ

لِلْمُسْتَاذِ عِيَّاسِ ط

ولعل قائل يقول: إن هذا الحديث وأمثاله إنما يناسب حال المؤمنين الأولين الذين كانوا يضحون بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله ، ويعبدون الله تعالى آباء الليل وأطراف النهار بدون تودة أو هوادة ، فاحتاجوا إلى تنبيه بأن دينهم يأمر بالرفق والتوسط في كل الأمور أما الآن فنحن في زمن قد هجر فيه كثير من الناس قواعد دينهم الأساسية ، وأخلاقه الفاضلة ، التي سعد بالاستمسك بها من كان قبلهم من المؤمنين حقاً ، فها هؤلاء وما للعظة التي تأمر بالتوسط في أعمال البر وتنهى عن المبالغة فيها خوفاً من السامة والملل أو العجز عن الاستمرار في أديانهم . فترى الآن كثيراً من الناس يجاهرون بالفسوق والعصيان والإمعان في الشهوات الفاسدة الضارة بالأنفس والأموال ، على عكس أسلافهم من المؤمنين الذين كانوا يرهقون أنفسهم في سبيل الله ومن أجل الله . والجواب أن هذا الكلام حق لا ريب فيه وأن الفساد الذي طرأ على الأخلاق أصبح داء عضالاً ، ولكن النظر في هذا الحديث وأمثاله فيه عظات وهجر لأولئك الذين هجروا العمل بقواعد دينهم الحكيمة . فليعل هؤلاء ينجلون من أنفسهم

تضمن الدين الإسلامي نهياً عن التشدد في تطبيق أحكامه تشدداً يوجب السامة والملل ، أو العجز عن أداء الواجبات ، وحشاً على القصد والتوسط في أداء التكاليف الشرعية بدون إفراط أو تفريط . والتشدد في الدين في مفهومه العام هو التعمق في تطبيق قواعده الحكيمة السليمة ، والإفراط في الأعمال والأقوال الدينية إفراطاً ضاراً . وذلك شمر وبيل تجب بحافاتهما والفرار منه . فوجب على المؤمنين العاملين أن يزونا قدرتهم على الاستمرار في أعمال الخير والبر بميزان الدين الصادق ، فلا يرهقوا أنفسهم في حمل من الأعمال الدينية بدون حساب للقدرة على الاستمرار في أديانهم بدون انقطاع ، سواء كان ذلك العمل صلاة أو صياماً أو صدقة أو جهاداً أو غير ذلك من الأعمال التي لا بد منها لإصلاح الأفراد والجماعات . وروى البخاري في كتاب الإيمان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، ولا تستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » .

هذه الحالة ، أو يضره الصيام فيصوم مع ان
الشارع نهى عن الصيام في هذه الحالة .

وقد وردت أحاديث كثيرة فى الدلالة
على هذا المعنى ، منها ما رواه مسلم : . كان
أحب الأعمال إلى الله أروحها وإن قل ، .
وروى البخارى ما معناه أن بعض المسلمين
نزل ضيفا على صديق له فرأى إمرأته رثة ،
فسألها عن سبب ذلك فقالت له : إن أعاك
منصرف إلى عبادة الله ، فلما جن الليل وناما
قام صاحب المنزل للصلاة فنهضه الضيف ،
ولم يزل به حتى قرب الفجر فقاما معا للعبادة
ثم بعد ذلك نهض عن مواصلة العبادة وقال له :
إن لبدنك عليك حقا وإن لزوجك عليك
حقا ، فيفبغى مراعاة هذه الحقوق كلها
مع عبادة الله ، وهذه هى قواعد الإسلام
الذى جاء باليسر فى كل شأن من شئونه .

لم تكن سماحة الدين الإسلامى وسهولته
مقصورة على رفع الحرج والمشقة فى العبادات
والمعاملات المتعلقة بأهل هذا الدين فحسب
بل سماحة الدين الإسلامى تتجلى فى معاملة
أعدائه وخصومه بصورة لا مثيل لها فى
الديان الأخرى ، حتى مع المشركين الذين
كانوا يحاربون الله ورسوله بكل ما يستطيعون
من قوة وبأس ، فإنه قد اتسع صدره لهم
فى إبان قوته ، مع شدة خصومتهم ،
وحاولتهم القضاء عليه بكل ما يستطيعون .

ومن حسابهم فى عداد المسلمين المؤمنين حقا
إذا علموا أن أسلافهم الأولين كانوا يجهدون
أنفسهم فى أعمال البر ويباغون فى طاعة ربهم
مباغة قد تضر بأنفسهم وأموالهم وأهليهم ،
فاحتاجوا إلى نهى عن الزيادة الضارة التى قد
تكون سبباً فى العجز عن العمل عاجلا أو
آجلا . لعل هؤلاء تؤثر فيهم الموعظة الحسنة
ويدركون أن القدوة الصالحة تنفذهم وتنقذ
أمتهم من فوضى الشهوات الضارة ، وذل
المعاصى المخزى ، فيكفون عن الموبقات ،
ويعملون الصالحات التى تسعدهم فى دنياهم
وآخرتهم .

ومع هذا فإنه يوجد فى زماننا كثير من
الجهلة يرهقون أنفسهم بالقيام بالأعمال
المندوبة ، من أذكار وأوراد ونحو ذلك
فتشغلهم عن أداء الفرائض التى لابد منها
لصالحهم وصلاح المجتمع . ومنهم من
يستمسك بعبادات فاسدة فيرهق نفسه فى سبيل
إحيائها باسم الدين ويترك ما هو واجب عليه
اكتفاء بها . فترى بعض الجهلة يتهاككون
على الإنفاق فى إحياء الموالد المبتدعة التى
نهى عنها الدين ويتركون زكاة المال وصلة
الأرحام وإغاثة الملهوف . ومن هؤلاء الجهلة
يتشدد فيما لا فائدة فيه أو فى عفا الشارب
الحكيم عنه ، كمن يضره الوضوء أو الغسل
فيفتسل ، مع أن الشارع شرع له التيمم فى

الدالة على أن الروم ستظهر بالفرس وقد تحقق ما أخبر به القرآن وغلبت الروم الفرس بعد ذلك في المدة التي ذكرها القرآن في هذه الآية فهذا مثل واضح يدل على ما كان في نفوس المسلمين من المؤدة لأهل الكتاب الذين لم يناصرهم العداء ، ورضوا بأن يخضعوا للنظم الإسلامية .

ولم تقتصر معاملة المسلمين لأهل الكتاب على ما ذكرنا ، بل نص القرآن الكريم على أكثر من ذلك ، فأباح للمسلمين طعام أهل الكتاب الذي لا يختلف مع نصوصه القاطعة كما أباح أن يتزوج الرجل من فساتهم ، وإنما لم يسمح للمرأة المسلمة أن تتزوج كتابيا حرصا على الولد لأن الشريعة جعلت للرجل سلطة التربية ، فلو أباح للسبلة أن تتزوج كتابيا لارتب على ذلك أن يكون الولد كتابيا وليس مسلما .

أما المشركون فإن الإسلام كخيره من الأديان الأخرى كان شديدا عليهم ، فلم يقبل منهم جزية لأنهم كانوا يعبدون غير الله وكانوا لا ينفكون عن محاربة ما يقتضيه العقل من عبادة إله واحد منزه عن كل ما يليق به . ومع ذلك فقد قال بعض الأئمة : إنهم إذا دفعوا الجزية يعاملون معاملة أهل الكتاب . فهذه المعاملة لا نظير (البقية على صفحة ١١٩)

عامل الدين الإسلامي السكتايين الذين جنحوا للسلم ورضوا بأن يدفعوا ما فرضه عليهم من ضرائب هينة معاملة أهلهم من المؤمنين حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) من الحقوق والواجبات المتعلقة بأمر الحياة ، وأباح لهم التمتع بعقائدهم وعبادتهم التي لا يقرها بدون حرج ، وكان يقتصر للضعيف منهم كما يقتصر للضعيف من المؤمنين بدون فوق . وكان صلى الله عليه وسلم يضرب للمسلمين أعظم الأمثال على هذه الساحة بنفسه فكان يعامل يهود المدينة ويشترى منهم ما يحتاج إليه من السلع الموجود مثلها عنده إلى حد أنه رهن درعه عند أحدهم مع سلطانه الواسع على جميع نفوس مواطنيه يومئذ ليكون هو نفسه مثالا لجميع المسلمين ، وليس أدل على شعور المسلمين نحو أهل الكتاب من قوله تعالى دألم ، غلبت الروم ، في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيفعلون . في بضع سنين ، وذلك أن الفرس حاربوا الرومان في ذلك العهد في أطراف الشام ، وهي أدنى أرض العرب فانهمزمت الروم وهم مسيحيون وهلبت فارس وهي يومئذ وثنية تعبد النار فخرن المسلمون لذلك ، وفرح المشركون وقالوا : إن هزيمة الروم السكتايين وظهور الوثنيين عليهم فال حسن للوثنيين . فنزلت هذه الآية

الكتاب

١ - تخریج الفروع علی الأصول : للإمام الزنجانی

قام بتحقیق هذا الكتاب والتعلیق علیه
الدكتور محمد أديب صالح الأستاذ بكلية
الشريعة فی جامعة دمشق ، وقدم له الدكتور
محمد سلام مدكور رئيس قسم الشريعة بكلية
الحقوق فی جامعة القاهرة .

أما المؤلف فهو الإمام أبو المناقب شهاب
الدين محمود بن أحمد الزنجاني ، أحد أئمة
علماء القرن السابع الهجري ، ولد بزنجان
بالقرب من أذربيجان ، ثم استوطن فيما بعد
بغداد ونشأ بها ، حيث درس علوم اللغة
والدين ، كما درس بالمدرسة النظامية ، ثم
المستنصرية ، وبرع فی الأصول واللغة وقد
صنف فی تفسير القرآن واختصر الصحاح
للجوهری .

والإمام الزنجاني ولی القضاء ببغداد ووصل
إلى نائب قاضي القضاء ، وقد استشهد أيام
نسكبة بغداد بالفول ودخول هولاكو عام
٥٠٠ وخمسين وسبعمائة من الهجرة .

وأما الكتاب فهو - كما يذكر المحقق :
محاولة منهجية ناجحة ، ونموذج رائع لمخطط
يرسم علاقة الفروع والجزئيات من أحكام
الفقه ، بأصولها وضوابطها ، من القواعد
والكليات ضمن إطار لتقييد الاختلاف بين
المذاهب الشافعي والحنفي ، وبين الأصل
الذي ترد إليه كل مسألة خلافية ، وفي رد
الجزئيات إلى الكليات ، وبين الأصول التي
ينتمي إليها الاختلاف ليعرف بأن الاختلاف
فی جملة لم يكن من الاختلاف المحرم ، لأنه
لم ينشأ عن عبث أو هوى ، وإنما كان فی
حدود ما يحل الاختلاف فيه .

لم يستوعب الكتاب كل أبواب الفقه ،
وإن كان قد استوعب معظمها ، فقد عرض
بعد أبواب العبادات للبيوع والغصب والمكاح
والجراح ، والحدود ، والسير ، كما لوحظ أن
الكتاب قد اقتصر على مذهبي أبي حنيفة
والشافعي .

ويذكر المحقق أن المؤلف لم يقصد إلى أن
يكون كتابه مصنفًا في أصول الفقه أو كتابًا

ومن الإنصاف أن نذكر أن المحقق بذل جهدا مشكورا في إخراج هذا الكتاب النادر من تراثنا الفكري الإسلامي ، وأن كلية الشريعة بجامعة دمشق كان لها السبق في الفضل عندما يسرت نشره لأول مرة ، فأضافت إلى المكتبة الإسلامية كتابا سدا فراغا واسعا .

* * *

٢ - في الأهمية والاهتمام

الأستاذ أحمد حسين المحامى

يقع كتاب الأستاذ أحمد حسين في مائتي صفحة ، وقد قسمه إلى سبعة فصول تتناول في الفصل الأول الإيمان وأثره كغريزة أولا ، وكصدر من مصادر الرقى والحضارة ثانيا ، ثم كينبوع للعظمة الشخصية ثالثا .

وتتناول في الفصل الثاني الإيمان ومحوره : تحدث عن الشك كسبيل إلى اليقين ، وعن وجود الله كبدية عقلية ، وعن الحياة كدليل الله الحى ، وعن العقل ومن أين جاء .

وتتناول في الفصل الثالث الإيمان في صورة الأولى فعرض لتطور العقيدة من عبادة الأمهات إلى عبادة الحيوانات والنباتات والجمادات والكواكب إلى عبادة الخالق في خلقته .

وتتناول في الفصل الرابع الحقيقة ، فعرض لنظرية الحلول حيث غمرت هذه

في القواعد أو الفروع وإنما أرادته كتابا يجمع بين الأصول والفروع في مسلك متميز .

ومنهج المؤلف يوضحه في مقدمته وهو يقول : « فبدأت بالمسألة الأصولية التي ترد إليها الفروع في كل قاعدة ، وضمنتها ذكر الحجة الأصولية من الجانبين ، ثم رددت الفروع الناشئة منها إليها ، فتحرر الكتاب مع صغر حجمه حاويا لقواعد الأصول جامعاً لقوانين الفروع » .

وكان من الإنصاف أن أشار المحقق إلى أن أبا زيد هبيل الله بن محمد بن عيسى الدبوسى من أئمة الحنفية المتوفى عام ثلاثين وأربعمائة من السنة الهجرية قد سبق الإمام الزنجاني في هذا الطريق ، فوضع كتابا في اختلاف الفقهاء ، أسماه « تأسيس النظر » وإن كان الزنجاني لم يكن على علم بهذا الكتاب ، ثم عقد المحقق بعد ذلك مقارنة على جانب من الأهمية بين عمل الإمامين الجليلين .

كما كان من الأمانة العلمية أن أخذ الدكتور محمد سلام مذكور على المؤلف ، أنه خالف في نقله المذهب الحنفى في عدد من الأحكام الفقهية ، كما خالف في النقل بالفسحة لبعض المسائل العلمية ، وذكر من هذا اثني عشر مثلاً .

ذكر المؤلف في مقدمته أن هذا الكتاب كتبه على شكل رسالة منذ نيف وعشرين سنة ، ولم ينكر من محورثا إلا القليل وهو يدفعها إلى المطبعة منذ شهر ، ثم يقرر في هذه المقدمة أن حديثه وتفكيره موجه دائماً نحو الإنسانية في مجموعها على اختلاف أديانها وأجناسها وألوانها وقومياتها ، كما يقرر أن المادة هي الخطر المشترك ، وقد حان الوقت ليدرك كل صاحب عقيدة دينية أيا كان موضوعها ومحورها ، أن الخطر الذي أصبح يهدد عقيدته ليس ما يقول به دين آخر ، وإنما الخطر الذي أوشك أن يهدد العقائد كلها هو هذه المادة الطاغية المسعورة .

وبعد - فالحق الذي لا جدال فيه أن الأستاذ أحمد حسين - وهو أشهر من أن يعرف به في صدق عقيدته ، وسعة أفقه واعتزازه بمبادئه - قد قدم دراسة منهجية في كتابه اتسمت بالعمق والدقة ، وإن كان لابد من الوقوف في بعض أفكار الكتاب ، فإن هناك بعضاً من الملاحظات لا تنقص البحث شيئاً من قدره .

فقله عن الأنبياء : هؤلاء الأئمة الهداة هم الذين أطلق عليهم البشر بعد أن أطلقوا على أنفسهم لقب الأنبياء والمرسلين ، والحقيقة أن الله هو الذي لقبهم بهذا اللقب فيما أوحى إليهم ، وما ورد على ألسنتهم فإنما

النظرية العالم في مرحلته العقلية الثانية ، فلم تعد الكائنات المعبودة آلهة بذواتها ، بل مسكنها للآلهة وصوراً لها على الأرض ، كما عرض لفكرة التوحيد في مصر الفرعونية والمجتمع الإغريقي وعند الفرس والهنود . وتناول في الفصل الخامس الأنبياء والمرسلين ، وما مروا به من امتحانات قاسية ، كما تناول الوحي المحمدي والانقلاب الذي أنشأه .

وتناول في الفصل السادس العرب والوحي فعرض لعجز العرب عن حكاية القرآن ، ولوقوف القرآن من العلم ، وللوحي كذروة للإلهام ، ولنبوة محمد وأن ثبوتها ثبوت لكافة النبوات .

أما في الفصل السابع والآخر فقد قدم المؤلف دراسة مقارنة بين الإسلام وسائر الأديان في نطاق التوحيد ، ونطاق الانتشار ، وخرج من هذه الدراسة المقارنة بمميزات الإسلام على غيره ، منها التوحيد المطلق بما يتفق والتفكير السليم الناضج في ذات الله الخالق ، ومنها أنه دين الأخوة العالمية ومقتضى التكافل الاجتماعي .

وقد ختم المؤلف دراسته القيمة ببحث عرض فيه آراء وشهادات بعض علماء الغرب للحضارة الإسلامية ، من أمثال غوستوف لوبون ، وويلز ، ولوترب ستوارد الأمريكي ودراير الأمريكي أيضاً .

في مجال التبليغ عن الله عز وجل ، وبذلك
تزيل لبسا ، فربما يتراءى للبعض أن النبوات
مكتسبة وليست منحة من الله ، وحتى حديث
المؤلف من مراحل العقل البشري ، يكاد
يوهم القارىء بأن العقل وصل بإمكانياته
إلى التوحيد المطلق ، والواقع أنه وصل
فقط باستعداده إلى قبول هذا التوحيد المطلق
الذي جعلته رسالات السماء .

وذكر المؤلف أن حجة الإسلام الكبرى
ومعجزته التي لا تفوقها معجزة هو أنه استطاع
أن يوطد سلطان عقيدته سواء في حياة
الرسول أم بعده ، والحق أن المعجزة
الكبرى الخالدة هي القرآن وبقاء الإسلام
ليس وثيقا إلا بخلود القرآن .

وبينا يؤكد المؤلف أنه من المستطاع أن
يفسر القرآن على ضوء العلم الحديث ، ينسئ
قوله قبل ذلك أن القرآن ليس كتابا علميا
بالمعنى الفني ، والحق معه ، فالنظريات العلمية
قابلة للأخذ والرد والمد والجزر وما أحرانا
أن نسمو بالقرآن عن كل هذا ، وحسبه أن
يكون كتاب هداية إلى خير الإنسانية في شتى
المجالات ومنها العلم .

إذا كان للاستاذ أحمد حسين قبل هذا
الكتاب كتاب « الطاقة الإنسانية » ، فإن
كتابه الجديد « هو الطاقة الدينية » ، وكلا
الكتابين سدا فراغا في مجال الفكر .

٣ - أحمد زكى الملقب بشيخ العروبة :
للاستاذ أنور الجندى

هذا الكتاب أحد أعداد سلسلة أعلام
العرب التي تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد
القوى ، وهو ترجمة وافية عن حياة شيخ
العروبة وآرائه وآثاره .

أبرز الاستاذ أنور الجندى معالم حياة
أحمد زكى وجعلها تتمثل في :

١ - عمله من أجل إحياء الآداب العربية
وتكوين « الخزانة الزكية » ،

٢ - رحلاته .

٣ - تحقيقاته ومراجعاته في الأدب
والتاريخ والجغرافيا .

٤ - معاركه ومساجلاته .

٥ - عمله من أجل الكشف عن أبعاد
العرب والإسلام .

٦ - اهتمامه البارز بالاندلس .

وبعد أن سرد وقائع حياة شيخ العروبة
في سطور وأشار إلى عمله الفكرى الذى بدأه
بالترجمة وإحياء التراث ، والتأليف فيما يتعلق
بالتحقيق التاريخى واللغوى للأعلام والمدن
وغير ذلك ، وكان أبرز أعماله في هذه الفترة
اختصاره حروف الطباعة وإدخال نظام
الترقيم الغربى إلى الكتابة العربية .

وأشار المؤلف إلى أنه قد أتيح لأحمد زكى

المؤتمرات في لندن عام ١٨٩٢ ، وفي جنيف ١٨٩٤ ، وفي هامبورج بألمانيا عام ١٩٠٢ ، ثم في أثينا ١٩١٢ ، وفي كل هذه المؤتمرات كان حركة دائبة وموضع تقدير العلماء والباحثين من اشتركوا فيها .

والحق أن اختيار الأديب الأستاذ أنور الجندي المرحوم أحمد زكي شيخ العروبة لتقدمه ضمن سلسلة أعلام العرب لمسة وقام نحو أحد أعلام العروبة قضى حياته كلها متفانيا في خدمة العروبة والإسلام ؟

محمد عبد الله السمانه

أن يطوف بالعالم العربي في رحلات متعددة إلى الشام شمالا ، وإلى اليمن والحجاز جنوبا وكان بعض هذه الرحلات من أجل البحث والامتصاص العلمي والبحث عن المخطوطات والبعض الآخر من أجل العمل السياسي . كما أتيج له أن يرحل إلى الفردوس الإسلامي المفقود لزيارة آثار العرب في الأندلس ، وكانت رحلاته هذه ذات أثر بعيد بلغ أعماق نفسه .

كما أشار المؤلف إلى أن شيخ العروبة حضر أربعة مؤتمرات للمستشرقين ، كان فيها علما تسلط عليهم الأضواء ، عقدت هذه

(بقية المنشور على صفحة ١١٤)

كرامتهم وأضاعوا استقلالهم ، وأصبحوا أذلة بعد عزة ومنعة . فعليهم أن يذنبوا عما هم فيه من شهوات فاسدة ، وعليهم أن يذكروا أن الله أمرهم بالاقتصاد في أموالهم والحفاظ على أبدانهم من الإفراط في الشهوات وأمرهم بأن يعدوا لأعدائهم كل ما استطاعوا من قوة وبأس . فعليهم أن يذكروا كل هذا وأن يستمسكوا به لعلمهم يفلحون ؟

عباس طه

لها في الأديان الأخرى لأن التوراة صرحت لموسى بإعدام المشركين على بكرة أبيهم ، ونصت على استرقاق بعضهم واعتبرتهم كالأنعام التي لا حرمة لها .

من هذا يدرك القارىء الحصيف أن مخافة الدين الإسلامى الذى جاء بكل الفضائل ونهى عن كل الرذائل شر مطلق ، وأن المسلمين الذين هجروا دينهم ، واستهانوا بآياته الحكيمة وبقواعده الصالحة لكل زمان ومكان ، قد أضاعوا أنفسهم وأضاعوا

انبثاء وآراء

بين الدين والحياة

رد على تعليق

كتب الأستاذ محمد عبد الله السمان تقديمًا لكتابي « بين الدين والحياة » في عدد ذي الحجة ١٣٨٣ هـ أشكره عليه . ولكن لفت نظري ما جاء في آخر كلمته حيث قال : « ولكن إذا حاولنا من جانب آخر أن نناقش الكتاب في بجملة فلن نجد ارتباطًا كاملاً بين بين العنوان والأبحاث الداخلية فيه فبحوث : الدين والدنيا ، والإسلام وزينة الحياة الدنيا ، كيف نفهم الإسلام ، سنة الله في رقي الأمم . هذه البحوث لها ارتباط وثيق بالعنوان . أما بحوث رمضان ونزول القرآن ، الصيام ، ذكرى بدر ، أعيادنا ، الحج بين الأمس واليوم الدهوة إلى الله بالحسن ، الوعد الحق ، الهجرة . فهذه كلها لا ارتباط لها بموضوع الكتاب وإن كان كل منها يقوم دراسة مستفيضة جديدة بالاستيعاب ... إلخ » .

والأستاذ السمان يقدم الكتاب هنا منذ مدة كما أن له كتباً إسلامية حديثة ولم أكن أظن أدنى ظن أن تبقى نظراته للإسلام والحياة

نظرة الانفصاليين الذين يفصلون بعض تعاليم الإسلام عن الحياة مع أن كل تعاليم الإسلام للحياة وخدمتها حتى العبادات من الصلاة والصوم والزكاة والحج لها أوثق الصلات بالحياة بل إن غايتها تنظيم السلوك وتهذيبه فيها ، وإيجاد المسلم المهنذ المتعاون . وأمامه نصوص كثيرة من القرآن والسنة لا أدري كيف غابت عنه « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) إلى غير ذلك من النصوص وكل فاهم الإسلام دارس له ولو أدنى دراسة يفهم جيداً حقيقة الصلاة بين الصيام ، والحج ، وبين الحياة وإلا فما قيمة هذه العبادات في تهذيب سلوك الإنسان في الحياة وإيجاد الروح التعاونية فيه ، وما معنى أن الحج مؤتمر عام للمسلمين وفرصة لتعارفهم وتعاونهم ، وما معنى أن الصيام يعلم المسلم العطف على أخيه ومساعدته كما يعلم الصبر على شدائد الحياة !!!

ثم غرورة بدر : واتخاذها درساً من الحياة يلقى المسلمون الأول على من بعدهم ، وإبراز مواطن القوة التي تم بها النصر للمسلمين ولقت

وتتشرب بها نفوس كثير من ينتسبون للإسلام . أتساءل هل عرف هؤلاء موقفهم من الإسلام .

ثم إذا تحدثت عن أسلوب الدعوة التي سلكها الرسل حسب إرشاد الله لهم ثم قلت : فهل نفعل في هذا كله نحن الدعوة إلى الله الآن ورجوت أن تتخذ من آداب الرسل في دعوتهم منهاجاً لنا في دعوتنا الناس للخير أكون قد بعدت عن الحياة . . وهل مشكلة الدعوة الآن إلا من سوء أسلوب الدعوة ؟ !

والوعد الحق . الذي جعلته عنواناً لمشكلة شور في كثير من النفوس حين تقرأ د وإن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ، وغيرها من آيات تعد المؤمنين بالنصر ، ثم ترى واقعنا الآن ؟ وهم يظنون أننا مؤمنون وأردت تصحيح أفكار الناس وإزالة الشك من نفوسهم ووضع أيديهم على مواطن الضعف في إيمانهم وتصرفاتهم ثم أدلهم على أسس العزة التي كتبها الله للمسلمين وأقوله لهم : إن العزة ليست عطاء ولا مائدة تنزل عليهم من السماء ولكنها ثمرة مجهود شاق من الأعمال التي تركز على الإخلاص وتنبعث من الإيمان .. الخ .

إذا قلت هذا لأدفع المسلمين إلى طرق الكفاح والعمل اللذين يحققان لهم العزة

نظر القارئ المسلم في الظروف التي تمر بنا الآن - إلى موقف رائع لسلفه الصالح في موقعة من المواقف الحربية تغير بسببها مجرى التاريخ الإسلامي - ليأخذ من هذا الدرس شحنة من الإيمان والقوة يحاكي بها الأحداث التي تحيط به والتي ينتظر أن يخوضها ليصحح مجرى تاريخه . هل يعتبر هذا بعيداً عن الحياة ولماذا يقصها القرآن إذن ؟ ولماذا يدرسها العسكريون . . ولماذا . .

من الذي يقول إن لفت النظر إلى العبرة في موقعة حربية انتصر فيها المسلمون مع قتلهم أمر بعيد عن الحياة ! يا سبحان الله . . وأعيادنا : وهي مظهر من مظاهر الشخصية الاستقلالية للأمة ، ولماذا جعل الرسول لنا أعياداً خاصة ولم يرض لأمته أن تكون تابعة لغيرها في أعيادها ، ثم كيف نحتفل بأعيادنا ، وكيف نتخذها فرصة للترويج عن النفس والأعياد وصلتها بالناحية الاجتماعية للأمة عامة . وإلى أي حد يجوز لنا أن نحتفل بأعياد غيرنا هل يعتبر مثل هذا بعيداً عن الحياة !!

وبين الأمس واليوم : الذي جعلته عنواناً عن المنافقين في الماضي والحاضر وأثرهم الحي في الحياة وقلت كلنا وجدت تصرفات المنافقين بالأمس تغفل اليوم في أوساطنا الإسلامية

والأمر بعد ما بنيت لا يعدو واحدا من
اثنين : إما أن الأستاذ الناقد لا تزال تشده
إلى الفهم ، الضيق العجائزى ، أو الفهم
الاستعماري للإسلام رواسب أو روابط
تشده إليه برغم ما يظهر به بيننا من فهم
واع للإسلام .

واستيعابه لكل مناحي الحياة وهلاجه
لكل مشاكلها ومظاهرها حتى عباداته جاءت
للمعالجة مشاكلا والسلوك فيها ، وإما أن يكون
حبه للظهور بمظهر الناقد قد أوقعه فيما وقع
فيه . .

وكلا الأمرين لانهجه لأخيما الأستاذ
السمان . . وقد قلت من قبل إننى لازلت
أحسن الظن به ولذلك لا أقترض أمرا ثالثا
قد يفترضه الكثيرون . وهو سوء النية . .

فليقل لى الأخ الناقد : كيف يفهم الإسلام
وصلته بالحياة . . مادام الصيام والحج لاصلة
لها بالحياة وما دامت المعركة الحربية في بدر
والأحياد والنفاق والمناهقون ، والدعوة
إلى الله وآدابها وكيفية لاصلة لهذا كله
بشئون الحياة ١١٩

كم أحب له ألا يكتفى بقراءة العناوين
إذا أراد أن ينقد أو يطلق وكما أحب له
كذلك أن يقدر مسؤولية الكلمة التي يكتبها . .

عبد المنعم النمر

والمجد في هذه الحياة يكون هذا القول
والهدف منه بعيدين عن الحياة ١

والهجرة . . التي جعلت عنوانها أيضا
« أو الصراع بين العاطفة والعقيدة » ، واتخذت
من هجرات الرسول وصحابته درسا عميقا يعلم
المسلمين كيف يؤثرون عقيدتهم ومبادئهم
دائما على عواطفهم ومصالحهم ، وما أكثر
ما يتعرض كل واحد منا سواء أ كان رجلا
عاديا أم قائدا وداعيا - إلى الصراع بين عاطفته
ومبادئه ، وما أحوج كل واحد منا كذلك
إلى أن يتلقن في حياته درسا عمليا من واقع
حياة الرسول وصحابته في هذه الناحية المهمة
الحساسة في الحياة هل يعتبر هذا بعيدا عن
الحياة ١١٩

ومن العجب - ولا أقول أكثر من هذا
لأنى لازلت أحسن الظن بالأستاذ الناقد من
العجب أنه يذكر أربعة موضوعات لمصاحفة
بالكتاب ثم يذكر تسعة موضوعات يقول
« هما لأنها لا ارتباط لها بموضوع الكتاب » ،
ويجمل هذا ذكر موضوعات أخرى مثل ،
المترفون ودعوات الرسل والمصلحين الذي
أخذ من الكتاب من ص ١٤ إلى ص ٤٣
وعلاقة المسلمين بغيرهم الذي أخذ عشر
صفحات وحتى لو عد هذا وغيره لكان
أكثر الكتاب في رأيه بعيدا عن عنوانه ١١

فتاوى سحنات

نصديم : ابراهيم محمد الزصيل

الجواب :

خطبة العيرين والجمعة وهل نصح

بغير العربية ؟

السؤال :

في بلدتنا بومباي بالهند مسجداً كبير يصلي
الناس فيه الجمعة والعيرين خلف إمام شافعي
يخطب بالعربية فقط . وقد جرى التقليد
في صلاة العيرين بعد تمام الخطبة أن يقوم
مترجم فيترجم الخطبة إلى اللغة الأردية (اللغة
المعتمدة بالهند) ليدرك المصلون معناها .

فهل يجوز هذا في مذهب الإمام الشافعي
أم لا ؟ ولا بأس من بيان المذاهب
الأخرى .

وهل يجوز للخطيب يوم الجمعة أن يخطب
بالعربية ثم يترجمها إلى لغة أخرى (كالأردية
مثلاً) قبل الصلاة أم لا ؟

عبد القادر لملي
بومباي - الهند

يجوز في صلاة العيرين ترجمة الخطبة لفهم
العربية بعد أدائها بالعربية ، والمعلوم أن
سماع الخطبة في العيرين ليس واجباً وإنما
هو سنة .

أما خطبة الجمعة فيجب أن تكون باللغة
العربية في المشهور من مذهب الشافعي .

واتباعاً لمذهب مالك خلافاً للحنفية إذ
يجوز عندهم بغير العربية مطلقاً ، ويجوز
هند الخابلة لغير القادر الخطبة بغير
العربية .

فيذا على المشهور من مذهب الشافعي يجب
أن تكون خطبة الجمعة بالعربية ، كما يجب
أن يسمعا أربعون وإن لم يعرفوا لغة
الخطيب أو لم يفهموا معنى الخطبة إذ
لا يشترط فهم معناها .

وعليه : فيقتصر على إلقائها بالعربية وإن
شاء الخطيب - أو غيره - ترجمها للصليين

أما إذا ذكى للاتفاح بجلده فلا يطهر
لحمه ، وإذا يكون عظمه نجسا ، ومتى
كانت المسبحة مأخوذة من عظم حيوان
محرم الأكل مطلقا ، أو مكروه الأكل
إلا أنه لم يذك ، أو ذكى لأخذ جلده ، فهي
نجسة ، والصلاة بها باطلة .

أما مذهب الشافعى فهو أن المسبحة
المأخوذة من عظم الحيوان الذى يحرم أكله
سواء ذكى أم لا نجسة ، ومن هذه الحيوانات
المحرم أكلها الفيل . وإذا فتكون الصلاة
بهذه المسبحة باطلة ، ولا يجوز الدخول فيها
شرعا بالمسبحة .

ومذهب الحنفية فى هذا أكثر تيسيرا
فباستثناء عظم الخنزير يكون عظم الحيوان
غير المأكول وكذا سن الفيل طاهرا ؛ لأنه
لا يحمله الدم . وعلى ذلك - عملا بمذهبهم -
تكون المسبحة المأخوذة من سن الفيل
أو عظم الحيوان غير المأكول طاهرة
والصلاة معها صحيحة .

تهنئ المسيحي للطفل المسلم :

السؤال :

رجل يونانى مسيحى الديانة عثر على طفل
حديث الولادة ، وفى قبضة يد الطفل ورقة

بلغتهم بعد الصلاة لا قبلها ؛ عافضة على
الموالاتة بين الخطبة والصلاة .

فيعيد حينئذ ترجمة نصها أو يشرحها
ويبين ما جاء فيها باللغة التى يفهمها
الحضور .

المسبحة من عظم الفيل :

السؤال :

ما حكم المسبحة المصنوعة من سن الفيل
أو من عظم الحيوانات غير مأكولة اللحم
وذلك من حيث طهارتها من عدمه وهل
يؤثر حملها - إن قلنا بنجاستها - فى صحة
الصلاة ؟

آدم زوزور هبد الله
أريستريا

الجواب :

مذهب المالكية أن المسبحة المصنوعة
من عظم الحيوان الذى يحرم أكله
كالبنغال - نجسة ، ولو ذكى الحيوان الذى
أخذ منه العظم ؛ لأن الذكاة لا تفيد فى محرم
الأكل . أما الفيل فيكره أكله . فإن ذكى
لا كل لحمه طهر بالذكاة بجميع أجزائه
ومنها العظم .

لا يجوز في نظر الإسلام ، ولا تثبت به بنوة
الولد المتبنى ابن تبناه ، بل لا يزال هذا الولد
أجنبياً منه ليس عليه ما يجب على الولد
لأبيه من الحقوق ، وليس له على ما تبناه
شيء من حقوق الأبناء على الآباء .

قال الله تعالى : وما جعل أديانكم أبناءكم ،
ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل . أدهوهم لآبائهم هو أقسط
عند الله ، فإن لم تعملوا آباءهم فإخوانكم
في الدين ، والخطاب هنا لعامة المسلمين أى فهم
إخوانكم في الدين ، فادهوهم إخواناً لكم مادام
لم يعرف لهم آباء ، والولد في نظر الإسلام
مسلم من حيث نشأته ، وعليه أن يتقدم إلى
المحكمة ليُسجل إسلامه في سجلاتها حتى
لا يسكون لمن تبناه سلطان عليه ، وعلى
المسيحي الذي تبناه أن يخلى سبيله .

صغيرة مكتوب بها أن اسمه محمد جمعه ،
فتقدم الرجل للشرطة وأخطرها بالحادث
وأظهر رغبته في تربية الطفل فأجيب إلى
طلبه ، ثم تقدم بعد ذلك للقنصلية اليونانية
بعد بلوغ الغلام خمسة عشر عاماً بإقرار يثبت
به أنه تبني الغلام ، وأنه منحه اسم العائلة
التي ينسب إليها نظراً لعدم إنجابها وأنه قد
جرده من الاسم الأصلي .

فهل هذا التبني صحيح ، وهل للفق المتبنى
أن يطلب زوجه للإسلام ، الذي هو ميثال بطبعه
إليه ، وخلاصه من التبني ؟

زاهر سعيد
لبنان

الجواب :

التبني على الوجه المفهوم من السؤال

بَيْنَ الصَّحْفِ وَالْكِتَابِ

جماعة المسلمين السود بأمریکا

نحن المسلمين نؤمن بأن الإسلام دين البشر جميعاً ، وأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو بنص القرآن رحمة للعالمين ، ولذلك ففرح كلنا رأينا هداية الله تشمل فريقاً من الناس فتخرجهم من ظلام الكفر إلى نور الإسلام .

ولقد زار بلادنا في هذه الأيام الملاك العالمى دكلای ، الذى أعلن إسلامه ، وسى نفسه باسم محمد على ، ونحن نرجو له التوفيق والرشاد والتمكن من مبادئ الإسلام فهما وعلماء وعملاً ولكننا قد سمعنا أن جماعة المسلمين السود بأمریکا التى يقتسب إليها هذا الملاك تفهم الإسلام فهما يحتاج إلى تصحيح وتوضيح ، حتى لا يكون هذا الفهم حجة علينا عند غير المسلمين في أمريكا وغيرها ، فالإسلام لا يعرف نبياً بعد خاتم المرسلين محمد ، والإسلام لا يفرق بين الأسود والأبيض ، فإذا اهتمى الأسود بهداية الله دخل الجنة ، وإذا اهتمى الأبيض بهداية الله دخل الجنة والإسلام لا يعرف عصبية اللون ولا عصبية الجنس .

ونحن نرجو من المختصين في بلادنا وبخاصة في الأزهر الشريف — حصن الدين ومقل الشريعة — أن يصححوا جماعة المسلمين السود المفاهيم الإسلامية والأحكام الدينية حتى لا ينحرفوا عن سواء الصراط .

موجة لواء الإسلام

التعليق : يظهر أن كلمة النبي في حاجة إلى توضيح وتصحيح عند هؤلاء السود وغيرهم ، وقد سألت أحد هؤلاء السود من الأمريكيين الذين هرقهم بالأزهر فأيد ما قيل من أن هناك مصلحا اجتماعياً يطلقون عليه اسم د نبي ، ويؤمنون به ويلتفون حوله وأنه وهم معه يؤمنون بالقرآن ، ويؤدون صلاتهم به وقوا ودون ركوع وسجود ، وقد سمعت الملاك دكلای ، في جمعية الشبان المسلمين يقول إنه سيحمل إلى إخوانه في أمريكا صور الاحتفالات التى أقيمت له هنا والحفاوة التى قبل بها في بلاد المسلمين ليعلموا أن إخوانهم هنا يعترفون بإسلامهم هناك ويؤيدونهم في مواقفهم من البيض وفى مطالبهم الإنسانية المشروعة ، ومن ثم

مصدقاً لها ومهيئاً عليها فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة زائدا عليها بما شاء الله زيادته، وكان سادا مسدها ولم يكن شيء منها ليسد مسده .

سادسا . أن الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه بل هو المسيحية واليهودية قبل أن تمتد إليهما يد التحريف والتزييف وإن نسبة المسيحية إلى فرد وهو المسيح عليه السلام، ونسبة اليهودية إلى جنس وهم اليهود يدل على الانحراف بالدين عن صراط الله المستقيم، وذلك بعض ما يفهم من قول الله : « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما، وقوله تعالى : « ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » .

وهذه الحياة

الشيخ : وهذه الحياة يا حيران، وما أدراك ما الحياة التي خلقها الله في الصخرة الموات الصماء، فأصبحت حياة ساعية . مدركة واعية غاضبة راضية، شاكرة شاكية ضاحكة باكية ليت شعره ما هو خط المصادفة في خلقها من القرب والمساء يا حيران .

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما وجعلنا من المساء كل شيء حيا أفلا يؤمنون . »

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . »

كانت الحاجة ماسة إلى تصحيح بعض المفاهيم عنده هؤلاء .

فأولا : كلمة النبي معناها المنجي من الله أو المنبأ من الله فيها معنى النبأ المنزل من السماء ومن زعم أنه ينبأ من السماء، ويوحى إليه فهو مارق من الإسلام بخلاف لصريح القرآن فقد قال الله فيه : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين، ثانياً : الصلاة المفروضة على المسلمين يجب أن تؤدي كما كان يؤديها رسول الله، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ...

ثالثاً : أن الإسلام كما يعمقت عصبية البيض لجنسهم يعمقت عصبية السود لجنسهم إلا أن يكون في التعصب قوة تمنع عنهم الظلم وتدفع عنهم العدران .

رابعا : أن الإسلام يفرض على المسلم أن يؤمن بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبل من الكتب السماوية، كصحف إبراهيم، والتوراة والإنجيل والزيور، وليس بعد القرآن كتاب منزل ولا بعد محمد نبي مرسل وذلك يفهم من قول الله في أول سورة بعد الفاتحة : « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، وبالآخرة هم يوقنون . »

خامسا : أن سائر الكتب السماوية جىء بها على التوقيت لا التأييد وأن القرآن جىء به

معها صدورهما من الجساد مباشرة ، بل إن ظهورهما من الجساد ليعد في نظر العلم معجزة ليست أقل بعدا عن العقل من ظهور الأحياء العليا من الجساد مباشرة .

حيران - كيف لا أذكره ... ؟

الشيخ - ألا تذكر قول توماس اكونياس ما من عالم عرف حتى اليوم خلق ذبابة ؟

حيران - كيف لا أذكره ... ؟

الشيخ - ألا تذكر قول روجر باكون : أنه لا يوجد عالم من علماء الطبيعة يستطيع أن يعرف كل شيء عن طبيعة ذبابة واحدة ؟ حيران - كيف لا أذكره ... ؟

الشيخ - ولكن هذا القرآن الذي يقول للناس « يأيتها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله إن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ... » قد سبقهم جميعا يا حيران ...

حيران - أترام قد اقتسموا قول القرآن يا مولاي ... ؟

الشيخ - إن العقول السليمة تتلاقى على الحق يا حيران ، وكلما ازدادت علما كان تلاقيها على الحق أيسر وأقرب .

د من كتاب قصة الإيمان ،

للأستاذ نديم الجسر - مفتي طرابلس

د سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يقين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد . . قرآن كريم

د هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تخمرون ، .

د يأيتها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله إن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه . منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز . فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا أخلقناهم من طين لازب . بل عجبت ويسخرون ، وإذا ذكروا لا يذكرون ، وإذا رأوا آية يستمشقون .

هذا ما يقوله القرآن في خلق الحياة من (الطين اللازب) وهو نفس ما يقوله العلم ، فها هي هذه الحياة التي أجمع العلماء مع القرآن على أنها تتكونت من الماء والطين ، ثم وقفوا على هبة الخفاء من سرها حائرين ؟

إنهم عرفوا الشيء الكثير من فروعها وأصولها ، وعناصرها وطبائعها ، ونظمها ونواميسها وعلوا أن جميع الأحياء تتألف من خلايا ، وأن الخلية تتكون من النطفة الأولى (بروتوبلازما) وعلوا أن هذه النطفة الأولى مكونة من السكربون والأكسجين والهيدروجين والبيتروجين . وجربوا أن يخلقوا الحياة في شيء ففجزوا ، ثم اعترفوا مع القرآن باستحالة خلق ذبابة . ألا تذكر يا حيران قول بنجر (إن السكرية ذاتها ، على بساطتها ذات بناء وتركيب يتمتع

مَجَلَّةُ الْإِنْشَاءِ

مجلة شهرية جامعية

تُصَدَّرُ عَنْ مَشْرِئَةِ الْإِنْشَاءِ فِي زَوَاكِلِ شَهْرِ رَجَبٍ

مُدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

للكل نواف

إدارة الجامع الأزهر

بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩١٤

بدل الاشتراك

٤ في الجمهورية العربية المتحدة

٥٠ خراج الجمهورية

وللندرسين والطلاب

تخفيض خاص

الجزء الثاني - السنة السادسة والثلاثون - صفر سنة ١٣٨٤ هـ - يوليو ١٩٦٤ م

لِسَمَاءِ الْمَعَانِي وَالْإِيجَازِ

البلاغة بين الإيجاز والأطناب

بقلم : أحمد حسن الزيات

بين اللغات السامية واللغات الآرية أن الأولى إجمالية والآخرى تفصيلية. تجد ذلك واضحاً في هذه الجملة التعجبية : قتل الإنسان ! فإن الفعل في هذه الجملة دل بصيغته المفعولة وقربته المفعولة على الزمن والمعنى والتعجب والدعاء وحذف الفاعل ، وهي معان لا تستطيع أن تعبر عنها في اللغات الأوروبية وهي آرية ، إلا بأربع كلمات أو خمس . وطبيعة اللغات الإجمالية الاعتماد على التركيب والاقصار على الجوهر والتعبير بالكلمة الجامعة والاكتفاء باللمحة الدالة . أما طبيعة اللغات التفصيلية فهي العناية بالدقائق والإحاطة بالفروع والاهتمام بالملاسات

جری حرف البلاغیین علی أن یجعلوا الأسلوب الوسط الذی تساوت فیہ ألفاظہ ومعانیہ أصل الأسالیب . فإذا زادت الألفاظ علی المعانی کان الإطناب ، وإذا زادت المعانی علی الألفاظ کان الإيجاز ، فالطرق المستقيمة ههنا ثلاث : مساواة وإيجاز وإطناب . وأنا أرى أن البليغ الحق لا يكون من طبعه الطول ولا الفضول وإنما يسلك إلى تأدية معانيه إلى ذهن القارئ أو السامع أحد طريقين : طريق المساواة والتقدير ، أو طريق القصر والحذف . أما الإطناب أو الإسهاب فليس من طبيعة اللغة العربية ؛ لأنها لغة سامية وأول الفروق

لأن طول القول الأول قد أطال في معناه ، وقصر القول الثاني قد قصر به عن مداه ... والإيجاز بقسميه أصل في اللغة العربية لأنها لغة أمة صافية الذهن دقيقة الحس سبعة الفهم تشعر بقوة وتعبر بقوة وتفهم بقوة . وقوة الروح والقلب ، وقوة العقل والإدراك تلازمهما قوة اللسان والقلم أى البلاغة ، والبلاغة الإيجاز . والإيجاز امتلاء في اللفظ وشدة في التماسك . ولا ترى التيسع والتفكك والانتشار الا حيث ترى الضعف في شيء من أولئك . وملاك الإيجاز غزارة المعاني ووضوحها في الذهن ، وطواعية الالفاظ ومرونتها في اللسان . وإنما يكون المعنى والثروة ومضغ الكلام من جذب القريحة أو قلة العلم أو سقم الذوق ، وقديما قالوا : « من ضاق عقله اتسع لسانه » . لذلك كان الإسهاب أول ما يصاب به ناشئة الكاتب ؛ لأن جهدهم القليل يضيق عن شرح الفكرة فيدورون حولها بجميعهم بالكلم الفواخج والجلل الجوف . وهو اليوم فاش في أساليب الصحف لأن أكثر كتابها يؤثرون الحكم على السكيف فيسكبون الصغير ويطولون القصير وينشئون من المعنى القليل مقالة ، ويعملون من الخبر العادى قصة ... وقد كان أحد شيوخ الصحافة يكتب مقالا في عمودين كل صباح ، فإذا نظرت فيه على أن تقرأ سطرين وتترك أربعة بلغت آخره وقد حصلت من ثلثه على ما كان في ثلثيه ،

والاستطراد إلى المناسبات والميل إلى الشرح . ولم تعرف العربية التفصيل والتطويل والمط وتماقب اللفظ كلها أو جملا على المعنى الواحد إلا بعد اتصالها بالآرية الفارسية في العراق والآرية الأوروبية في الأندلس . نشأ ذلك في أسلوب عبد الحميد ، ثم زاد في أسلوب ابن المقفع ، ثم فاض في أسلوب الجاحظ ، ثم طغى في أساليب من خلفهم من ضففة الكتتاب وعبدة المصنعة في عهود الوهن والانحلال حتى ليدعشك أن تجد في كتب الدواوين ، وعهود السلاطين ، كتاباً أو عهداً يبلغ به كاتبه مائة صفحة يحشوها بالفقر والابحاج ولا يعنى بها شيئاً ١١ . وهذا هو الإسهاب الذى تنسكبه العربية ولا يسيغه العرب . وهذه الزيادة اللفظية التى يسميها البلاغيون إطناباً قد اشترطوا في بلاغتها أن تسلم من الحشو والتطويل وأن تدل على معنى جديد في الجملة تفتضيه الحال كتفصيل المجلل أو توضيح المجهول أو تأكيد الإسناد أو دفع الإيهام أو تقوية الأسلوب وتوشيته بضروب التبيين وألوان البديع ليؤثر في الذهن والنفس من طريق الامتاع والإقناع . وما دامت هذه الزيادة قد جاءت لمعنى وسبقت لغرض فلا تخرج الكلام عن حدود المساواة . فقول زكريا عليه السلام في مقام الاسترحام : « رب إني وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً » . أبلغ من قول القائل في المقام نفسه : « رب إني كبرت وشبت » .

مثل هذا كله تطويل لا حاجة إليه والمعنى المقصود يفهم بدونه .

وأعود إلى الإيجاز لأسوق إليك بعض الأمثلة على قسميه ، فمن الأمثلة على إيجاز المساواة والتقدير قول الله تعالى في آخرة طوفان نوح : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء ألقى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » . وقول الرسول الكريم في تقييد الحربة : « إن قوما ركبوا سفينة فافتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع فقصر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكاني أصنع فيه ما أشاء . فإن أخذوا على يده نجوا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا » .

* * *

كان أمراء النفر العربي من أمثال جعفر ابن يحيى وسهل بن هارون يتوخون جانب القصد ويؤثرون طريق الإيجاز حتى قال جعفر للسكرتار : إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا . ويريد بالتوقيعات ما يعلقه الوزير أو الرئيس على ما يقدم إليه من الكتب في شكوى حال أو طلب نوال وكانت تجري بحرى الأمثال في الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة كتمليقه على كتاب رجل شكاً إليه عاملاً من عماله : « لقد كثر شاكوك وقل شاكروك فإما اعتدلت وإما اعتزلت » .

وقيل لإيأس لا عيب فيك إلا أنك تطيل قال : أخيراً تسمعون أم شراً ؟ قالوا خيراً . قال : فالزيادة في الخير خير ، روى ذلك

وكأنك لم تحذف شيئاً ١١ وأكثر رواة الأخبار في الصحف لا يكادون يختلفون من ذلك الرجل الذي تحدث عنه ابن الأثير في كتابه (المثل السائر) إذ يقول :

« جلس إلى في بعض الأيام جماعة من الإخوان وأخذوا في مقاضاة الأحاديث وانساق ذلك إلى ذكر غرائب الوقائع التي تقع في العالم فذكر كل من الجماعة شيئاً ، فقال شخص منهم : إني كنت في الجزيرة العمرية زمن الملك فلان وكنت إذ ذاك صبياً صغيراً فاجتمعت أنا ونقر من الصبيان بالحارة الفلانية وصعدنا إلى سطح طاحون ابني فلان وأخذنا نلعب على السطح فوق صبي منا على أرض الطاحون فوطئه بغل من بغال الطاحون ففطنا أن يكون آذاه ، فأسررنا النزول إليه فوجدناه قد وطئه البغل فخنقه خنقة حسنة لا يستطيع الصانع الحاذق أن يفعل خيراً منها » .

« فقال له أحد الحاضرين : والله إن هذا صبي فاحش وتطويل كثير لا حاجة إليه ، فإنك بهدد أن تقول إنك كنت صبياً تلعب مع الصبيان على سطح طاحون فوق صبي منك إلى أرضها فوطئه بغل من بغالها فخنقه ولم يؤذه . ولا فرق بين أن تكون هذه الواقعة في بلد نعرفه أو لا نعرفه . ولو كانت بأقصى المشرق أو بأقصى المغرب لم يقدح ذلك في غرابتها . وأما أن تذكر أنها كانت في الجزيرة العمرية في الحارة الفلانية في طاحون بني فلان فإن

وتصعيد وتركيز. وذلك لا يتم إلا بدوام النظر وطول التعهد، ومهما تقلب الجمل على وجوه البيان فإنك لا محالة واجد فيها عوجا تعدله أو تقوم أو تسويه أو فضولا تشذبه.

قيل للرئيس الأمريكي ولسون وكان من رجال الخطابة: كم تنفق من الزمن في إعداد خطبة تلقى في حشردقائق؟ فقال: أسبوعين فقليل له: فكم تنفق إذن في إعداد خطبة تلقى في ساعة؟ فقال: أسبوعا. فقليل له: فإذا طلب اليك أن تلقى في ساعتين؟ فقال: ألقها على الفور!

والمزية الظاهرة للإيجاز أنه يزيد في دلالة الكلام من طريق الإيجاز. ذلك لأنه يترك على أطراف المعاني ظلالا خفيفة يشغل بها الفهم ويعمل فيها الخيال حتى تبرز وتتلون وتوسع، ثم تشعب إلى معانٍ أخرى يتحملها اللفظ بالانفسير أو بالتأويل. والقرآن الكريم معجزة الدهر في هذا الصدد.

وليس بسبيل الإيجاز البلاغى من يقص أطراف الخيال ويطبق ألوان الحس ويترك أسلوبه كأسلوب البرق شديد الاقتضاب والجفاف، فإنه للكلمة الموجزة سحرا يأخذ بالقلوب وشعرا يجرى في الشعور. وقد قال فيها سيد البلغاء محمد بن عبد الله: (إن من البيان لسحرا) وسماها الكلمة الجامعة وقال في مقام الفخر والشكر: أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا.

أحمد حسن الزيات

الجاحظ وخلق عليه بقوله: وليس الأمر كما قال إياس، فإن للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال، ودعا إلى الاستئصال والملا، فذلك الفاضل هو الحذر، وهو الخطأ، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه.

كذلك كان أقطاب النثر الفرنسي من أمثال (شاتوبريان) و(فلوير) يتشددون في الإيجاز ولا يسمعون في التكرار حتى حرموه على أنفسهم استعمال اللفظ مرتين في صفحة واحدة. وقد أخذ

فلوير في إحدى رسائله على شاتوبريان أنه كرر لفظ مرتين في وصفه قدوم (أودور) إلى روما في كتابه (الشهداء). ومن كلام (بوالو): يجب أن تعرف كيف توجز لتعرف كيف تكتب.

ونفود فواغ الكتاب من الإطناب منشؤه فيهم تلك القوة البلاغية التي تحدد الغاية وتريد أن تبلغها من أقصر طريق. فهم لا يلغون لأنهم يعلمون المعنى الذي يفيد، ولا يحشون لأنهم يعرفون اللفظ الذي يدل، ولا يخبطون لأنهم يبصرون الأمد الذي يرام. أما الذين لا يقدرون ما يقولون ولا يدرون أن يقصدون، فهم كالماء الهائم على وجه المنحدَر قصاراه زيد وجرجرة، أو كاللسان الخجول نطقه لفظ وثثرة، وثثرة اللسان كثرقة البطن، أصوات تذهب مع الريح!!

والإيجاز في البليغ قوة وروية وجه؛ لأن الإيجاز غربة ونخل، وقصية وتفقية،

التطورات التشريعية للطلاق

للأستاذ محمد محمد المدني

- ٣ -

وأفتى به بعض الحنفية - حكاه أبو بكر الرازي عن محمد بن مقاتل ، وأفتى به بعض أصحاب أحمد - حكاه ابن تيمية عنه ... وجاء في نيل (الأوطار للشوكاني) أن ابن مغيث نقله في كتاب الوثائق عن محمد بن وضاح ، ونقل الفتوى به عن جماعة من مشايخ قرطبة ، كمحمد بن علي ، ومحمد بن عبد السلام ، وحكاه أيضا عن علي وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، ونقله ابن المنذر عن أصحاب ابن عباس كهطاء وطاوس وعمر بن دينار ، كما حكاه صاحب البحر عن أبي موسى (١) .

وهناك أيضا من علماء السنة من يقول بعدم وقوع الطلاق في الحيض ، جريا مع القاعدة التي ذكرناها ، واستدلوا ببعض الأحاديث الثابتة ، وفي مقدمتهم أيضا ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ورجحه الشوكاني في كتابه (نيل الأوطار) (٢) .

وقد سلك المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر

(١) راجع البحوث التي كتبها المنفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي عن أسانيد قانون الزواج والطلاق رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ص ٧٤ .
(٢) ص ٢٢٦ ج ٦ من كتاب نيل الأوطار للطبوع بالمطبعة الثمانية في سنة ١٣٥٧ هـ .

نكلمنا في المقال السابق عن مذهب الشيعة الإمامية في الطلاق ، وبيننا أنهم يحكمون بعدم وقوع الطلاق الذي لم يتحقق فيه الشروط التي اشترطها الشارع ، وبأن للطلاق صيغة خاصة يشترط أن تكون فصيحة غير ملحونة ، وأن تكون مجردة من كل قيد ، حتى ولو كان معلوم التحقق ، وأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، أو بتكرار الصيغة متتابعة ، لا يقع به مع تحقق الشروط إلا طلقة واحدة ، وأن الطلاق بالسكناية لا يقع ، وكذلك الطلاق بالإشارة إلا من الآخرس العاجز عن النطق ، ولا يقع بغير العربية مع القدرة على التلفظ بها ، ولا بالخلف واليمين ، ولا بالنذر والعهد ... إلخ

هذا هو مذهب الشيعة الإمامية ، وهناك من العلماء المجتهدين من اتجه بهذا الاتجاه على الجملة - أي في بعض هذه الأحكام التي ذكرها الإمامية ، وفي مقدمتهم من فقهاء الحنابلة ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، فقد قرروا أن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة لا يقع به إلا واحدة ، قال ابن القيم : «وأفتى به بعض أصحاب مالك ، حكاه التبرساني قولاً لبعض المالكية في شرح تقرير ابن الجلاب ،

المصري، في كتابه (نظام الطلاق في الإسلام) مصلك ابن تيمية وابن القيم في ذلك، حيث يقول (١):

١ — الزواج عقد بين الزوجين، وهما طرفا العقد، والقاعدة العامة في العقود أنها تلزم كل طرف من طرفيها بما التزم به من حقوق في العقد وأنه لا يملك أحد منهما الإخلال بشيء من حقوق التعاقد، وأنه لا يملك أحدهما فسخ العقد أو إلغاءه أو إنهائه وحده، إلا أن يرضى الطرف الآخر، وهذا بين بالاستقراء التام لا يحتاج إلى دليل.

٢ — وكان العرب في الجاهلية يتزوجون كما كانوا يتعاقدون بأنواع أخرى من العقود في المعاملة، وكان العرب أيضا يطلقون الزوجات ما شاءوا من غير قيد ولا حصر، وجاء الإسلام فأقر كثيرا من عقودهم ومعاملاتهم مع تشريع جديد دقيق، هذب به طقائهم من طرق التعاقد بينهم، وأقر فيما أقر عقود الزواج، وشرط فيها شروطا تهذيبها، وجعلها مطابقة للعدالة التامة.

٣ — ثم شرع في تهذيب الطلاق، وهو حل لعقدة النكاح، يقوم به أحد طرفي العقد وحده، وكان القياس — أو طبيعة التعاقد يقضى بالأيامك حل هذا التعاقد إلا طرفاه مما، واقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يشرع لعباده الإذن للرجل بالنفraz بالطلاق دون المرأة، لما في ذلك من المصلحة الظاهرة

فلو لم يأذن الله بذلك، لكان الطلاق باطلا كله، إلا أن يرضى الطرفان، كما هو في سائر العقود، فمن طلق كما أذنه الله فقد صح طلاقه ووقع، ومن طلق على غير ما أذن الله كان طلاقه باطلا غير صحيح؛ لأنه لا يملكه وحده بطبيعة التعاقد، وإنما يملك ما أذنه الله به وما ملكه أمه، وكان عمله هذا داخلا تحت عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من حمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) وهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد، ومسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها.

٤ — وهذا المعنى قد أشار إلى ما يقرب منه حجة الإسلام أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن (ج ١ ص ٣٨٥) بعد أن ذكر أن آية (الطلاق مرتان) تضمنت الأمر بإيقاع الاثنتين في مرتين، فمن أوقع الاثنتين في مرة فهو مخالف لحكمها، ثم فسر بعض الآيات الأخرى في أحكام الطلاق ثم قال: (وحكم الطلاق مأخوذ من هذه الآيات، لولاها لم يكن الطلاق من أحكام الشرع، فلم يجوز لنا إثباته، مسنونا إلا على هذه الشريطة وبهذا الوصف، وهو كلام جيد لولا قوله (لم يجوز لنا إثباته مسنونا...) إلخ) لأن الآيات والأحاديث لم تدل على طلاق مسنون وطلاق غير مسنون وإنما دلت على طلاق بأوصاف خاصة وشروط معينة أذن به الشارع، فمن أوقعه على غير هذه الشرائط والأوصاف كان قد تجاوز ما أذن له

من نوع كذا ، وهكذا من الإيمان التي تجري بين الناس وهم في أسواقهم ومجتمعاتهم دون أن يكون لزوجاتهم شأن بها .

وكذلك رسم أن يكون الطلاق في طهر لم يمسه فيه ، فإذا طلقها في طهر مسمها فيه ، فإنه يكون لغواً ولا تأثير له على الحياة الزوجية ، وكذلك إذا طلقها في غير طهر ، وهكذا وضع الإسلام للطلاق الذي يقع قيوداً بالنظر إلى لفظه ، وبالنظر إلى أهلية الزوج وبالنظر إلى حالة الزوجة ، وبذلك ضاقت الدائرة التي يقع فيها الطلاق ويكون له تأثير على الحياة الزوجية التي استقرت وأخذت حظها من الوجود . . . ونريد بهذا العرض أمرين : أحدهما أن الطلاق في جميع صورته التي يقع فيها ليس إلا نوعاً من إعطاء فسحة للزوجين يتدبران فيها أمرهما ...

أما ثاني الأمرين فهو تحديد ما يقع به الطلاق وما لا يقع تحديداً بيننا وأضحاً عن طريق الفقه المأثور عن أئمتنا ، وفيه من اليسر ورفع الحرج ما يحقق سباحة الدين ، ويسر الشريعة وسيمجد المصلحون فيه متى حسن النظر والاختيار الوقاية الكافية من ظاهرة كثرة الطلاق التي يزهيم بعض الناس بحسب ما يذكرون من أرقام — أنها كثرة تهدد حياة الأسر ، وليس للأمر ما يهددها في ظل الفقه الإسلامي الواسع إلا التزم والجلود على مذاهب معينة ، نتخذ ديننا يلتزم ، وقانوننا يتعاكم إليه الناس فيما بينهم .

فيه ، وأتى بعمل لا يملكه إذ لم يؤذن به من الشارع ، فكان لغواً ، فلم يحز لنا إثباته أصلاً إلا على هذه الشريعة ، وبهذا الوصف « اهـ . ومن الذين سلكوا هذا المسلك الفقهي في شأن الطلاق ، المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، وله في ذلك بحوث جيدة ، طبعت بعنوان « بحوث في التشريع الإسلامي وأسبابه وأسانيده قانون الزواج والطلاق رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ » ، وقد تكلم فيها عن كثير من مسائل الطلاق مؤيداً هذا الاتجاه .

وكذلك تكلم في هذا الشأن تأييداً لهذا المسلك فضيلة المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر السابق ، كما نرى في كتابه « الإسلام عقيدة وشريعة » ، وبما قاله في هذا الكتاب (١) :

« وإذن فالطلاق الثلاث في كلمة واحدة ، لا يقع إلا واحدة ، وكما رسم الإسلام في الطلاق التفريق .. وجعل الجمع لغواً لا يقع به شيء — أي فوق الواحدة — كذلك رسم فيه أن يكون منجزاً ، أي موقفاً بالفعل ، ليس معلقاً على شيء يفعل منه أو منها ، كأن يقول إن فعلت كذا ، فأنت طالق ، وكذلك رسم فيه ألا يتخذنه يميناً على شيء يفعله أولاً يفعله كأن يقول : على الطلاق أن هذه السلعة بكذا ، أو امرأتى طالق إذا لم تكن السلعة

ويبين عما سبق أن الفقهاء في مختلف العصور كان لهم اتجاهان مبعضهما أساسا هو النظر إلى حكم الطلاق في الأصل على أنه هو الحظر أو الإباحة .
وقد ترتب على الاتجاه الأول إلى حد بعيد كل ما يؤدي إلى التضييق في اعتبار صحة الطلاق ونفاذه ، كما ترتب على الاتجاه الثاني إلى حد بعيد أيضا كل ما يؤدي إلى اعتبار صحة الطلاق ووقوعه .
ونقول في كل منهما : « إلى حد بعيد ، لأن كلا من الاتجاهين لم يغم على مجرد كون الأصل في الطلاق هو الحظر أو هو الإباحة ولكن على دراسة النصوص الواردة في الكتاب والسنة وشرحها وتفسيرها على ضوء روح التشريع الإسلامي والمصالح التي يرميها والتطبيق العمل الذي كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين من بعدهم .

وإذا أردنا أن نتابع هذا النظام الدقيق الذي وضعه الإسلام للطلاق ، ونتابع التطورات التشريعية التي مرت بأحكامه ومبادئه ، على وجه التفصيل ، فإن ذلك يقتضي منا إعداد مؤلف ضخم ، ولكننا نسكتني بعرض بعض الموضوعات التي دار حولها الخلاف ، وأصل بها الفسري الحديث في قوانين الأحوال الشخصية ، لنبين كيف تناولها البحث وما الذي انتهى إليها التجميع وقام عليه العمل قضاء وفتوى :
وموعدنا للبدا في ذلك هو العدد القادم إن شاء الله تعالى .
محمد محمد المرنى

وواقع أن مجموع ذلك كله قد كون نظاما دقيقا للطلاق يضمن تمسكين الزوجين من الترتيب في شأنه وعدم الإصرار في الوصول إلى مرحلته النهائية التي بها تنفصم هري الزوجية ، وذلك بإيجاد عدة فرص للتدبر وتقدير الأمر على ضوء المصلحة الحقيقية البعيدة عن التأثير بالمؤثرات الوقتية ، ومن هنا كان تشريع الرجعة في الطلاق مرة بعد مرة ، وكان تشريع الطلاق الموافق السنة

رسالة الأصول للإمام الشافعي

للأستاذ الفاضل بن عاشور

- ٣ -

في منتصف القرن الثاني من الهجرة تماماً ، سنة ١٥٠ هـ ، لما كان فقه العراق قد بلغ شأوه الأقصى ، واستقرت أصوله على نحو ما أقرها عليه الإمام أبو حنيفة ، رضى الله عنه ، فانهى دوو التماصيل ، وابتدى دور التفريع على يد أصحاب الإمام أبي حنيفة .

وكان الفقه المجازى يشتد نحو غاية كاله ، قد سلك الناس فيه طريق الموطأ الذى شاع ذكره في الآفاق ، وجلب إلى مجلس مالك روادا ، وأصدر عنه أدلة .

يومئذ استهلكت البلاد الشامية في إقليم فلسطين ، من وليد كريم ، من سلافة قرشية ولد بمدينة غزة سنة ١٥٠ هـ هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي .

ورجع الوليد المغترب ، بعد أن أتم الحولين ، إلى موطن آبائه من بني عبد مناف ببطاح مكة حول المسجد الحرام .

وكان في مكة ، كما في غيرها من الأمصار ، بيئة فقهية تكونت بالنهاة المتسلسلة لفقهاء عن أسلافهم جيلا فجيلا في مكة ، من عهد فقيها في العصر النبوى ، هب الله بن عباس رضى الله عنهما ، وتلك البيئة الفقهية ،

المسكية ، مثل ما اغيرها من البيئات الفقهية في الأمصار ، من الخصائص الأصلية والمناهج التخريجية ، ما يعطى الفقه المستنبط فيها مظاهر مختلفة عن الفقه المستنبط في غيرها ، بما يشعر به الفقهاء يومئذ ، من اختلاف طرائق التفقه باختلاف فقهاء الأمصار ، فنشأ الإمام الشافعي بالضرورة على منهج بيئته ، سالكا مذهبها ، منطبعا عليها ، حتى تخرج على ذلك المنهج تخرجه الكامل ، فأصبح فقيه مكة ومفتيها ، واشتهرت نسبه إليها حتى قيل فيه « المسكى » وعظم صيته على شبابه ، وعلا نجمه ، وأصبح علم بيئة فقهية : هى البيئة المسكية ، وكان الحرم الآخر وهو المدينة داراً للمنهج فقهي ، وبيئة اجتماعية هى التى يقوم عليها مالك بن أنس صاعداً بسلسلتها إلى فقهاء المدينة من الصحابة وخاصة عبد الله بن عمر ، فلم يلبث الشافعي أن نهض بعبء الطريقة المسكية حتى اجتذبت إليه في الحرم المسكى بتلقيه الموطأ وروايته وحفظه ، من قبل أن يتصل بمالك ويعرفه ،

للدنيا وكالعافية للبدن ، ، واشتد تلازم
الإمامين الشافعي وابن حنبل في بغداد حتى
يروى أن الشافعي قال في ذلك :

قالوا يزورك أحمد وتزوره
قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زرتَه فلفضله أو زارني
فبفضله فالفضل في الحالتين له

هذه الاتصالات الثلاثة بمالك ومحمد بن الحسن

وأحمد بن حنبل ترينا أن الشافعي ، وإن يكن
بمذهبه أحد أئمة المذاهب الأربعة المقتدى
بهم من جمهور المسلمين ، فإنه كان محور
المذاهب الأربعة جميعها . باتصاله المتين ،
تخرجاً وتخرجياً بأئمتها ، وبما جمع بينه وبينهم
من ود واختصاص ، على الاختلاف
في الأصول والفتاوى في المذاهب .

وفي ذلك ما يوضح أن الشافعي بمجرد هذه
الصلات ، بله ما تكون له بعدها من صلات
أخرى ، ذات شأن في هذا المقام ، قد كان
على موقف من الاتصال بالمذاهب المختلفة ،
والممارسة للأصول المتباعدة في البيئات الفقهاء
المتعددة ، مكسبه من أن ينظر ويقارن
ويناقش ، حتى ينتهي إلى ما لا يمكن أن ينتهي
إليه غيره من استنباط أوجه الترابط بين تلك
الأصول ، وشعب التفرق في ما بينها ، فيخلص
من استنباطه ذلك ، إلى طريقة من البحث
تستولد السكليات من الجزئيات ، وتستخرج
القواعد من المسائل ، وتسمو بالمراس العملي

وخرج الشافعي من مكة إلى المدينة فلقى مالكا
وتخرج بفقهه تخرجاً جديداً ، وروى عنه
الموطأ مباشرة واختص به ، حتى هد أحد
أصحابه ، وأقام في ملازمته حتى توفي مالك
سنة ١٧٩ ، وبعد عودة إلى مكة ورحلة
إلى اليمن ، دخل الشافعي إلى بغداد ، فاتصل
بالبيئة الفقهية الثالثة ، التي اتضح نهجها ،
واستقرت أصولها بالإمام أبي حنيفة ، ثم قام
عليها أصحابه من بعده ، وهناك ، في بغداد ،
اتصل الشافعي بالإمام محمد بن الحسن الشيباني
صاحب الإمام أبي حنيفة ، ومدون مذهبه ،
فامتزج كل منهما بالآخر امتزاجاً وثيقاً ،
قرب به الشافعي من مذهب أهل العراق ،
وازداد فيه محمد بن الحسن قرباً من مذاهب
أهل الحجاز ، فنشأت من هذا الامتزاج
السكرام مناظرات عالية ، سما بها الفقه ،
وتحاكت فيها مذاهب أهل النظر ، ومذاهب
أهل الأمر ، ولقد طفحت كتب كل من الإمامين
الشافعي ومحمد بآثار تلك المناظرات .

وهناك في بغداد أيضاً اتصل بالشافعي
شاب فیر من أهل الفقه ، والحديث ، والزهد :
هو الإمام أحمد بن حنبل ، فاخص أحمد
بالشافعي ، وتخرج عليه ، وتفقه به ، وهد
أول تلاميذه ، وأخص أصحابه ، واتصل
بينهما حب الوداد ، موثقاً صلة الأستاذية ،
وحق كان أحمد يقول : الشافعي كاشمس

وبهذا الاتصال الجديد زاد احتكاك الشافعي بالمذهب المالكي ، في أصوله وفروعه ، كما اتسعت دائرة اختلاطه بالمذاهب بما خلص إليه من المذهب المصري : مذهب الليث الذي توزع تراثه بينه وبين السابقين إليه . من إخوانه الأقدمين أصحاب مالك .

وعلى رأس القرن الثالث استقر الشافعي بمصر ، وقد صنف في نفسه نظرياته الفقهية ومحورها ، فثبت على شيء . مما كان يقول به في الأدوار السابقة من حياته ، لاسيما الدور العراقي البغدادي ، ورجع عن أشياء كثيرة من مذاهبه الأولى إلى أقوال جديدة أطمان إليها في الأربع سنين الأخيرة من حياته التي قضاه بمصر ، وهناك دون مذهبه الذي أصبح يمثل البيئته الفقهية المصرية ، بعد انقضاء مثلها الأصلي ، بوفاة الليث بن سعد ، ودروس مذهبه وليس الذي يتصل بموضوعنا من حياة الإمام الشافعي أقواله الفقهية لا العراقية منها ولا المصرية ، ولكن الذي يتصل بموضوعنا من ذلك هو مراسه للمذاهب الفقهية المختلفة واحتكاكها بها بما مكنه ميزته البارزة في أنه بسبب ذلك الاحتكاك ، كان أول من تكلم في أصول الفقه وهو الذي استنبط ذلك العلم برسائله التي تعد من روافد الثقافة الإسلامية .

الفاضل بهم هاشور

(تونس)

إلى البرهان النظري ، وتلك هي طريقة وضع العلوم : بجميع جزئياتها العملية ، ووضع القواعد الجامعة لها ، فلقد قرب الشافعي بين المناهج المتباعدة في الفقه ، بجمعه بينها في نطاق معرفته إلى الحد الذي قال فيه أحمد بن حنبل : « كنا فلن أصحاب الرأي ، ويلعنوننا ، حتى جاء الشافعي فزج بيننا » .

وفي هذه الاتصالات البغدادية التي قطعت برجة قصيرة إلى مكة ، أنهى الشافعي عمر القرن الثاني ، وخرج في مستهل القرن الثالث إلى مصر ، وكانت مصر كما كانت المدينة ومكة والعراق ، بيئة فقهية ، لها أصولها الاجتهادية ، وطرائقها الفقهية ، التي تتعمل في فقيه مصر وإمامها الليث بن سعد . وكان الليث قد توفى قبل دخول الشافعي مصر ، بخمس سنين .

وقد بدأ فقهه يتضام لما كان يقوله الشافعي نفسه ، في ما ذكر ابن خلكان ، من أن أصحابه لم يقوموا به ، وكانت مصر قد أصبحت مركزا ذا بال من مراكز انتشار المذهب المالكي باستقرار طائفة عظيمة من أصحاب مالك هناك وبشهم مذهبه ، وانتصابهم للتفريع على طريقته ، فيهم ابن القاسم وأشهب وابن وهب وعبد الله ابن هب الحكيم ، وقد اتصلوا كلهم بالليث ابن سعد ، وجمعوا ما أفادوا من علمه وفقهه ، إلى ما أفادوا قبل من علم مالك وفقهه .

نَفَاحَةُ الْقُرْآنِ

تفاوت المنازل عند الله

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

- (أ) د والعابقون الأولون : من المهاجرين ، والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، . آية ١٠٠ توبة
(ب) د وعن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة ، . آية ١٠١ توبة
(ج) د وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، . آية ١٠٢ توبة

فهذه طبقات ثلاث ... هي مجموع الاختيار من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم .

١ - طبقة أولى : سبقت إلى الإيمان من مطلع صبحه ، ثم إلى الهجرة نحو المدينة بعد هجرات إلى الحبشة ، يوم كان الكفار ذوي بطش على المؤمنين ، وكانوا يحاولون مجبروتهم أن يحاصروهم في مكة ، يستذلوم بها ، ولا يمكنهم من تكسبهم سوادهم ، وتكوين جماعتهم بعيدين عن حوزة قریش .

وقد تحمل بوصف الهجرة من خرج إلى المدينة ، قبل النبي مستأذناً ، أو بعد هجرته - عليه السلام - ... وتعتبر الهجرة شرعاً منذ بدايتها قبيل خروج النبي ... أي منذ بايعه أهل المدينة ، ثانياً ، عند العقبة سنة

هذا مقام من مقامات الدعوة إلى جانب الله ، والتوجيه إلى خير المسالك في الدنيا .. وأنت لا ترى في هذا السياق أمراً ، ولا نهياً ، بل فيه قصص حق عن صنيع الله بشأن عباده الأولين ، والآخرين .

وربما كانت القصص أقوى تأثيراً في النفس ، وأشد إيقاظاً للوعي ؛ لأنه حكاية لما نفذ به القضاء في شأن من سلف ، ومن خلف ، وفيه أن هذه عدالة الله في خلقه ، سيقت فيهم أزلاً ، وهي جارية عليهم أبداً . فلتكن لنا عبرة من هذا الواقع ... والسعيد من وعظ بغيره .

(١)

د والسابقون الأولون : من المهاجرين ، والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، .

وهؤلاء هم الذين أضنى عليهم ربهم لقب
الانصار. فكان امتدادهم بذلك مكافئاً لامتداد
الطبقة الأولى: بالمهاجرين، وصار ذكرهم جميعاً
عرفاً مشهوراً ومشهوداً بالمهاجرين والانصار.

هاتان الطبقتان هم الذين ربط بينهم
الإسلام برابطه الوثيق، وامتزج بأرواحهم
ودماهم على السواء، فحملوا رايته،
وجاهدوا في سبيله، ثم بايعوا النبي تحت
الشجرة عام الحديبية، ومهدوا بهذه البسالة
لفتح مكة بعد.

ولقد سجل الله فضلهم هذا، فوصفهم جميعاً
بالإيمان، وأثبت لهم كريم هذه بالرضوان،
فقال: «لقد رضى عن المؤمنين، إذ
بايعوك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم
فأنزل السكينة عليهم، وأثابهم فتحاً قريباً».

٣ — وطبقة ثالثة، لم يكونوا مهاجرين،
ولا أنصار، ولكنهم كانوا على تمام القدوة
بهؤلاء في طريق العقيدة، وصلاح العمل،
والتنزه عن لوثة النفاق حتى شهد الله بقوله:
«والذين اتبعوهم بإحسان، ثم أضنى عليهم
جميعاً فضلاً يسعهم، ورفع منزلتهم عنده
إلى قصة المنازل بعد مقام النبوة رضى الله
عنهم بالجزاء الكريم» - ورضوا عنه بالغبطة
لما منحهم، والتسكّر على ما هدام - وأعد
لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين

اثني عشرة من البعثة، إلى فتح مكة في السنة
الثامنة بعد هجرته عليه السلام.

أما ما بعد فتح مكة فلا تعتبر هجرة؛ لأن
السكفار لم يعد لهم بأس في أم القرى،
وأصبحت الشوكة للمسلمين فيها، فلا حاجة
إلى انصرافهم عنها، وهم الآن في بيئة
إسلامية... ولذلك يقول النبي - صلى الله
عليه وسلم - لا هجرة بعد الفتح، ولكن
جهاد، وعمل.

هؤلاء المهاجرون هم الذين جاهدوا
بأموالهم وأنفسهم في اعتناق الإسلام، وفي
نصرته وهم الذين يشيد بهم القرآن في كثير
من آياته، وهم الصحابة الخالصاء، ومنهم
الخلفاء الراشدون ومنهم المبشرون بالجنة.

٢ — وطبقة ثانية من أولئك التابعين
إلى الاستجابة للدعوة... وهم أبناء المدينة
الذين وفدوا على مكة في موسم الحج، والتقى
بهم النبي، وبلغهم رسالته، وتلا عليهم
قرآناً، وصدقوه، ثم بلغوا قومهم بالمدينة،
وعادوا إليه في كثرة من الرجال بلغت سبعين
رجلاً، وفيهم امرأتان فأسلوا جميعاً وبايعوه
على النصرة وإفقدائه بالتضحيات التي يفتدون
بها أنفسهم وأهلهم، بل بما هو أحر
عليهم من كل ذلك إن كان، ثم كان من
ورائهم في الإسلام أهل المدينة من الأوس،
والخزرج.

(ب)

٤ — ذكر القرآن في مقابلة السابقين
الاولين طائفة أخرى على النقيض مما عرفنا .
فقال تعالى : « ومن حولكم من الأعراب
منافقون ، ومن أهل المدينة » .

يعنى أن هناك منافقين ينتشرون في البوادي
من الأعراب الجفافة ، وفي المدينة نفسها من
أهل الحضر ، وهؤلاء مردوا على النفاق ،
منذ ظهر الإسلام بجانبهم ، وصار نفاقهم
متغلغلا في طباعهم ، ومسالكهم حتى لم يعد
ميسورا للنبي — صلى الله عليه وسلم — أن
يعلم شأنهم ، كما يعلم شأن منافقين آخرين ،
ولأنما يعلم الله شأن هؤلاء المفرقين في النفاق
المتأصل فيهم .

والله — سبحانه — لا يدهمهم دون ابتلاء
بالنقم . . فهم في هم ناصب ، يساورهم دائما
من خوف الفضيحة لهم ، وخوف ما يلاحقهم
من ممانات لو تكشف حالهم بين المسلمين .

وهذا الهم عذاب في الدنيا ، ويتصل به
هوانهم عند الموت حينما تضرب الملائكة
وجوههم ، وأدبارهم ويدفعون بأرواحهم
إلى عذاب الآخرة في جهنم ، وبئس المصير .

وهذا نفاق في الدين : عرف سابقا هن
قوم لم يتجهوا نحو الاهتداء بدعوة الرسول
وما تزال الدنيا مشغولة بمثل هذا ، وبغيره

فيها ، وذلك الفوز العظيم ، فهنا تزكية من
الله للسابقين ، ولمن تابعهم بإحسان في الدين
والعمل .

وبهذه الزكية رفع الله شأن أصحاب محمد ،
ولم يعد هناك مسأخ لتجاهل فضلهم ،
أو التشكيك في مقامهم عند الله ، ولا في
سورتهم يوم كانوا ، فضلا عما يحفل به كتاب
الله من الثناء والتنويه . . . وليس على الله
حرج في أن يرفع شأن عبده إلى حيث يشاء .
ولا ينقص هذا القدر ، ولا يغض من إيماننا
به أن المنافقين ملئوا دينسهم بالغمز فيمن
زكاهم الله ، وكذلك لا ينتقص من هذا القدر
ولا يغض من إيماننا به أن طوائف أخرى
صحيت عن هذا الحق الأبلج ، واصطنعت
لنفسها عصبية ضالة ، فأنكرت هذا الفضل ،
أو كثيرا منه على جماعة من السابقين الاولين .
وما ينبغي لمن يزعم الإسلام أن يقحم نفسه
في هذا المضمار الرهيب ، ويحسب أنه فيحصل
في حكمه الجائر بين صحابة محمد ، وهم الذين
تكفل الله بالثناء عليهم في كتابه ، وعلى
لسان رسوله الصادق ، المصدوق .

فلنترك هؤلاء المتشبعين في تورطهم للعصبية
المضطلة ، وانحصر على توجيه القرآن نحو
القدوة بأولئك السابقين الاولين ، لنسكون
عن تبعهم بإحسان ، وعسى أن يتسع لنا فضل
الله معهم فيما أعد لهم هذه من الفوز العظيم .

واقه يقول في هؤلاء ، وآخرون اعترفوا
بذنوبهم ، خلطوا عملا صالحا ، وآخر سيئا ،
فهؤلاء بين صلاح ، وصلاح .. وهم على أهبة
النجاح ، أو الخسار ، والبوار .

والله — سبحانه — يطعمهم في عفوه ،
فقد يتوبون ، ويقبل الله توبتهم ، والله تعالى
غفور رحيم ، وهو يفرح بتوبة عبده ، ويحب
أن يفسح له فضلا بالإجابة إلى الله ، وليس له
حاجة في تعذيب عبده ، وإنما هي عدالة
تجرى على من أواد لنفسه سوءا ..

وهذا القدر كله جانب من القصص الواظفة
قبل أن تضيق الفرصة بالموت المفاجيء .
هـب اللطيف السكبي

من ألوان النفاق الباهتة ، وما يزال الناس
يحمسون بهذه الخسائس شائعة فيهم .. حتى
في المثقفين الذين يميزون بين الخبيث والطيب
تراهم يعيرون النفاق ، وأكثرهم مغرور به ،
أو مغرور فيه .

وإذا كان الحديث عن النفاق شغل جانباً
فسيحاً في سياق القرآن فالمسلم بحاجة إلى تطهير
نفسه من تلك الشوائب ، والابتعاد عن سخط الله
جاهداً ما استطاع ، فلن ينفع المرء منا مجرد
إسلامه مع تلوثه بلوثة النفاق في قوله أو في عمله .

(جـ)

هـ - ولدينا طائفة ثالثة ، تعتبر دون الأولى ،
وخير آمن الثانية . وهي طائفة مسلمة ، ولكنها
في قصور عن القدوة ، والحق بالاولين .

وصية عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده

قال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده :

« ليسكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنى إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ،
فالحسن عندهم ما استحسنتم ، والقبیح عندهم ما استقبحت ، وعليهم كتاب الله ،
ولا تسكرهم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيمجرؤه ، ثم روم من الشعر أعفوه ، ومن
الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يهكوه ؛ فإن ازدحام الكلام في السمع
مضلة للفهم ، وتهدهم بي ، وأدبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل
معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروم سير الحكماء ، واستزدني بزيادتك إياهم
أزدهم ، ولما بك أن تسلك على عذر مني لك ، فقد اتسكت على كفاية منك ، وزد في تأديهم
أزذك في برى إن شاء الله تعالى . »

موقف الإسلام من نظامي التبني والاعتراف بالولد

للمؤستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

في سوق عكاظ يبيع الرقيق لحكيم بن حزام ، وكان السبي رافداً من روافد الرق في الجاهلية ، ووجهه حكيم لعنته خديجة ، ثم وهبته خديجة لزوجها محمد بن عبد الله ، فأعتقه وتبناه قبل رسالته . ولذلك كان يدهى زيد بن محمد ، ثم زوجه بعد الإسلام بنت عمته (بنت عمه الرسول عليه السلام) زينب بنت جحش (فإن أمها أميمة بنت عبد المطلب عمه الرسول عليه السلام) .

ولا يخفى ما يؤدي إليه نظام التبني من اختلاط في الأنساب ، وتوهين لحرمة القرابة ، وإضعاف لوشائج الدم ، وإفساد لمقومات الأسرة ، وإثارة لمواهل الفسنة والضعيفة ، وإضرار لنار الحقائق والنزاع بين العشائر والأمرات .

ولذلك حرمه الإسلام تحريماً قاطعاً ، وأنكره القرآن في عبارات قوية تنم على شدة تعارضه مع الدعائم السليمة التي ينبغي أن يقوم عليها نظام الأسرة الإنسانية . وفي هذا يقول الله تعالى : وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ... وما جعل أدهيائكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول

يقصد بالتبني أن يتخذ الإنسان فرداً غير منجدر من صلبه ولداً له ، فيعامل هذا الغريب معاملة أولاده أمام القانون والمجتمع وينعم بحقوقهم ، وتقنع عليه أعباؤهم وواجباتهم .

وقد عمل بهذا النظام كثير من الأمم في العصور القديمة والوسطى بشروط وأوضاع تختلف باختلاف الأمم التي أخذت به ، وكان العرب في الجاهلية يطبقونه في نطاق واسع ، حتى لقد كان يندر أن يوجد من بين سرااتهم وأوساطهم من ليس له ولد أو أولاد بطريق التبني . ولقد تبني الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه قبل رسالته - جرياً - على عادة العرب زيد بن حارثة مع أنه كان حينئذ معروف الأب والأم (فأبوه حارثة ابن شراحيل كما في دأسد الغابة ، وابن شراحيل كما في حيرة ابن هشام ، وينتهي نسبه إلى بكر وأمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن) . وأصل قصته أن أمه كانت قد خرجت به وهو طفل لم يتجاوز الثامنة من عمره لزيارة قومها بني معن فأغارت عليها خيل بني القين بن جسر ، وسبوا ابنها وباعوه

تعالى : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكم بها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا » (وعبارة « قضى زيد منها وطرا » الواردة في الآية هي كناية عن طلاقه إياها) . ويقول في آية المحرمات مؤكدا هذا المعنى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم ... وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم » . أى أن الأبناء الذين يحرم على الآباء الزواج بمطلقاتهم أو بمن توفوا عنهم هم الذين يحميئون من أصلابهم لا الذين يحميئون عن طريق الادعاء والتبني الذى ألغاه الإسلام .

هذا ، ويلاحظ أن ثمة فرقا جوهريا بين « التبني » الذى نتحدث عنه و « الإقرار بالأبوة » الذى يعتمد عليه الفقه الإسلامى ويعتبره دليلا على ثبوت الأبوة للقر والبنت المقر له . وذلك أن « الإقرار بالأبوة » معناه أن يعترف شخص بأبوة لشخص آخر أى بأن هذا الشخص الآخر قد جاء من صلبه . ففى هذه الحالة تثبت القرابة بينهما على الوجه الذى أقرب به ويترتب عليها ما يرتبه الشرع على هذه القرابة من حقوق وواجبات ، على شرط ألا يقوم دليل على بطلان إقراره ، ولا يلقى اعتراضا من المقر له ولا من غيره ، وأن يكون الفرق بين سفيهما يجعل أبوة المقر للمقر له ممكنة من الناحية الطبيعية

الحق وهو يهدى السبيل . ادعواهم لآبائهم هو أفسط عند الله ، فإن لم تعملوا آباءهم فأخوانكم فى الدين ومواليكم ، هـ ، من سورة الأحزاب ، والمقصود بالأدعياء فى الآية الذين كان الناس يتخذونهم أولادا بطريق التبني) .

ولحرص الإسلام على القضاء على هذا النظام وإزالة جميع آثاره ، ولقوة تأصله فى نفوس العرب ، لم يكتف بإلغائه بالقول بل رأى أن يحوه كذلك بطريق عملى وبفعل الرسول نفسه ، فأوحى الله تعالى إلى نبيه أن يتزوج مطلقة زيد بن حارثة الذى كان قد تبناه قبل الرسالة (وهى زينب بنت جحش) ليبين للناس بطريق عملى أنه لا تبني فى الإسلام ، وأن الدين الجديد قد قضى على هذه القرابة المصطنعة وحل جميع آثارها ، وأحل ما كانت تحرمه ، ومن ذلك زواج الرجل بمطلقة من تبناه .

وذلك أن العرب فى الجاهلية ، لإنزالهم لدى منزلة الابن من جميع الوجوه ، كانوا يحرمون على من تبناه أن يتزوج بمطلقة وبمن توفى عنها ، كما يحرم على الأب الزواج بمطلقة ابنه من صلبه وبمن توفى ابنه عنها . فجاء زواج الرسول عليه السلام بمطلقة زيد تقريرا عمليا لإلغاء هذا النظام وما كان يترتب عليه . وفى هذا يقول الله

المدينة ، مالا يمكن أن يتحقق لامثالهم بدون هذا الإجراء .

* * *

وأما نظام الاعتراف بالولد ، فيقتضى ألا يلتحق نسب الولد بأبيه الشرعى إلا إذا اعترف به اعترافا صريحا ورضى أن يلتحق نسبه به . وكان هذا النظام سائدا عند كثير من الأمم في العصور القديمة والوسطى فعند قدماء الرومان مثلا كان إذا ولد لعميد الأسرة أولاد أبنائه ولد من زوجه الشرعية وجب تقديمه للعميد ، وذلك بأن يوضع على عتبة حجرته ، فإن قام وضمه إلى صدره كان ذلك اعترافا منه ببنته ، وإذا تركه ملقى على العتبة اعتبر أجنبيا عنه وعن أسرته ، وكذلك كان شأن العرب في الجاهلية ، فكانت البتوة في كثير من عشائهم لا تثب لمن يحبى من الزوجة الشرعية إلا باعتراف صريح من الأب .

ولا يخفى ما ينطوى عليه هذا النظام من استهانة بحرمة الزواج ، واستخفاف بميثاقه ، واستبداد بشئون الأسرة ، وإخضاعها لأهواء الأزواج ونزواتهم ، ونيل من كرامة الزوجات ، وتمريض الأولاد للضياع ، وحرمانهم من أعز حقوق الإنسان وألزمها للحياة وتفرقة ظالمة بين الإخوة والأخوات

أو كما يقول الفقهاء ، أن يكون ممن يولد مثله لمثله ، وأن يكون المقر له غير معروف له نسب آخر (انظر بدائع الصنائع للكاساني الجزء السادس صفحة ١٩٨ وتوابها والسابع ص ٢٢٨ وتوابها) . على حين أن التبنى معناه أن يتخذ الإنسان فردا غير منحدر من صلبه ولدا له مع اعترافه بأنه غير منحدر من صلبه . ويذلل الإسلام وسائل الإقرار بالأبوة في حالة اللقيط بوجه خاص ، فيقرر أن نسبه يلتحق بمن التقطه إذا أقر بأبوته له أى اعترف أنه ولده جاء من صلبه ، أو يلتحق بأى شخص آخر يعترف بذلك إذا لم يدعه الملتقط نفسه (وإذا اعترف ببنته الملتقط وشخص آخر غيره فإن الملتقط يكون أولى به) وذلك على شرط أن يكون اللقيط غير معروف النسب ، وأن يكون ممن يولد مثله لمثل من اعترف بأبوته له .

فيصبح اللقيط بعد هذا الاعتراف من أولاد المعترف ويعامل معاملتهم من جميع الوجوه — ويلحق باللقيط كل شخص غير معروف النسب ، فإن الإسلام يذلل كذلك وسائل الاعتراف ببنته ، ويقرها بالشروط السابق بيانها - وقد قصد الإسلام بذلك أن يشجع الناس على حماية اللقطاء ومجهولى النسب وأن يحقق لهؤلاء وأولئك من رعاية الأسرة وألفة القرابة والتنشئة الصالحة ، والحقوق

إجراءاتها وصيغتها في أول سورة النور .
(آيات ٦ - ٩ من سورة النور) فيطلب إليه أن يقسم أربعة أيمان يقول في كل يمين منها : « أشهد بالله أني لمن الصادقين فيما وميتها به ، » ويقول في الخامسة : « لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به ، » ثم تشهد المرأة بعده على نفسها أربع مرات كذلك تقول في كل مرة منها : « أشهد بالله أنه لمن الكاذبين فيما رماها به ، » وتقول في الخامسة : « غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، » وبعد أن يحلف كلاهما هذه الأيمان المغلظة ، وتجرى بينهما الملاءمة على هذا الوجه ، يفرق القاضي بينهما ويعتبر الولد الذي أجريت بسببه هذه الخصومة أجنبيا عن الزوج ويلحق بأمه وحدها .

وإن تأملا يسيرا في هذا الإجراء ، وما يحيط به من مراسم وطقوس ، وفي صيغ الإيمان المغلظة التي يحلفها الزوج ، وتكرارها عدة مرات ، إن تأملا يسيرا في كل هذا لكاف في الدلالة على أن الإسلام ينظر إلى هذه الحالة على أنها حالة استثنائية شاذة لا يجوز للزوج أن يلجأ إليها إلا عند الضرورة القصوى حينما يقوم لديه الدليل القاطع على صدق دعواه ، ومن ثم يمكن اعتبار هذا الإجراء نفسه من بعض وجوه وسيلة لحماية

وزلولة عفيفة لدعائم النظام العائلي ومقوماته على العموم .

ولذلك حارب الإسلام هذا النظام في جميع مظاهره ، ولم يأل جهداً في القضاء عليه ، وقرر أن « الولد للفراس » ، (وهذا نص حديث نبوي شريف) ، أى أن من ينجى من الأولاد ثمرة لفراس شرعى يلتحق نصبه بالزوج من غير حاجة إلى اعترافه به اعترافاً صريحاً ، وأخذت الشريعة الإسلامية بهذا المبدأ حتى في الحالات التي يبدو فيها تعذر اتصال الزوج بزوجه ، كما إذا عقد مشرقى على مغربية ، وظل كل منهما مقيماً في بلده ، ولم يعرف بين الناس اتصاله بها ، ثم جاءت الزوجة بولد ، فإنه يثبت نسبه من الزوج بدون حاجة إلى اعترافه به اعترافاً صريحاً . (انظر بدائع الصنائع للكاساني ، الجزء الثاني ص ٣٣٢) .

ولم تستثن الشريعة الإسلامية من ذلك إلا حالتين :

(الحالة الأولى) : إذا ثبت لدى الزوج أن زوجته قد خانت أمانته وهلقت من غيره أو جاءت بولد من غيره ، ووجه إليها هذا الاتهام صراحة ، ورفعت الزوجة أمرها للقضاء اقتذفه إليها ، أو وقع هو أمره للقضاء ولم يكن له شهداء على ادعائه ، ففي هذه الحالة يجرى القاضي بينهما « الملاءمة » المبينة

آية ٣٢ من سورة النور . والفعل في الآية من الرباعي أى زوجهم . ويقول : د ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيما منكم من فتيانكم المؤمنات ، واقه أهل ييمانكم بعضهم بعض ، فأنكحوهن بإذن أهلن وآتوهن أجورهن بالمعروف آية ٢٥ من سورة النساء . والمراد بأهلن في الآية أسيادهن) :

فكان من العدالة إذن ألا يلتحق نسب ولدها به إلا بأدعائه أى باعترافه اعترافا صريحا بمعاشرته إياها وبأن الولد من صلبه وقد كان السيد ملزما بديانة ، أى فيما بينه وبين ربه ، أن يعترف بالولد الذى يجىء من معاشرته لجاريته . هل أنه إذا اعترف مرة بولدها فإن من تجبىء به بعد ذلك يثبت نسبه منه بدون حاجة إلى اعترافه به اعترافا صريحا لأن الاعتراف الاول يعد دليلا على أنه قد اختار هذه الجارية لفراسه . هذا إلى أن ما ذكرناه هو مذهب أبى حنيفة ؛ وفي مذاهب أخرى لا يشترط الاعتراف الصريح في المرة الأولى ، وإنما يكفي أن يكون السيد قد اتخذها فراسا له وسكت من الولد الذى جاءت به .

دكتور على عبد الواحد وافي

الأنساب من الاختلاط وتخليصها من شوائب الريبة .

هذا إلى أن الإسلام قد أعطى الزوجة في هذه الحالة فرصة لتبرئة نفسها إن كانت تعتقد براءتها ، ولتنكيز زوجها فيما اتهمها به ، ودرء العقوبة عنها ، وذلك بأن تقسم الأيمان الخمسة المبيغة فيما سبق ، فيقضى الأمر في نتائج العملية إلى اعتبار كل منهما صادقا فيما يتعلق بمسئولياته والتزاماته : فلا يلحق الولد بالزوج ، ولكن لا تعد الزوجة آثمة ولا توقع عليها عقوبة ما .

(والحالة الثانية) هى حالة الولد الذى تجبىء به الجارية غير المتزوجة في بيت سيدها ، فإن نسب هذا الولد لا يلحق بسيدها إلا إذا اعترف به اعترافا صريحا ، والسبب في ذلك أن صلة الجارية بمولاه ليست صلة زوجة بزوجها ، بل صلة بمملوكه بمالكها ، وأن هذه الصلة ليست قائمة على ميثاق وتعاقد بل قائمة على ملك التبعية ، وأنه ليس مفروضا دائما أن يعاشر السيد جاريته ويستمتع بها كما هو شأنه حيال زوجته ، بل يجوز له ذلك ويجوز له أن يقصرها على شئون الخدمة والعمل ، ويجوز له أن يزوجها لرقيق مثلها أو لحر .

(وفي هذا يقول الله تعالى : د وأنكحوا الأيما منكم والمصالحين من عبادكم وإمائكم ،

صداقة الفكرة بين شلتوت والرسالة

للأستاذ محمد رجب البيومي

الرسالة لا تنفك تذكر الأزهر في معرض الإصلاح والنهضة ، وما الأزهر في رأى أكثر الناس إلا متحف آثار ومقبرة أفكار وطلال مذاهب ، وقولى فيما تقول : إن الشرق لا ينهض إلا بالدين وأن الدين لا ينهض إلا بالأزهر وأريد الأزهر الجديد الذى يضع لثقافة الشعب أساساً من الدين يقوى بقوة الله ، وبثبت بثبوت الحق ، ويدوم بدوام الدنيا ثم يقيم عليه من القواعد والنظم والاوزاع ما يقره العقل ويؤيده العلم ، ويتقبله العصر ، الرسالة (٤٤) . وهذا الكلام الواضح تحديد مركزها تبغى الرسالة من دعوتها الأزهرية ، وهو يؤكد ما ذكره الدكتور الهبى من اتمام هذه الدعوة إلى مدرسة الإمام ، وستحدث الآن من دور الأستاذ شلتوت فى الإصلاح الأزهرى على صفحات الرسالة ، لفرى كيف جمعت صداقة الفكرة الخاصة بين إمام كبير هو الشيخ الراحل وكاتب هادف هو الأستاذ الزيات !!

كانت الرسالة فى مبدأ حياتها متبصرة بمحمود شيخ الأزهر وعفاده ، فلما تهيأ الأمر للأستاذ المرافق استقبلته فرحة مسرورة ، ونشرت صورته مع ترجمة موجزة لحياته ،

يقول الدكتور الهبى وزير الأوقاف السابق فى خطاب للأستاذ الزيات نشر بمجلة الأزهر جمادى الآخرة سنة ٨٣ :

« وإن مدرسة الرسالة للثقل فى تاريخنا المعاصر تجديداً أدبياً فكرياً وروحياً قومياً تلمس جذوره وأصوله فى مدرسة الأستاذ الإمام . »

وهذه العبارة الموجزة تحدد لنا سر الصداقة العميقة التى نشأت بين الرسالة ، وزعماء الإصلاح الدينى فى مصر ، بل تفسر لنا سر الاهتمام المخلص المشاير بالأزهر على صفحات الرسالة حيث لا يكاد يخلو مجلد من مجلداتها الأربعين من نقاش متصل متتابع يدور حول الأزهر ، يبدوه الزيات ثم تنفرج شقته إلى أبعاد مترامية ، حتى نشأ بين كتاب الرسالة رهط يصدق أن نسميه رهط الإصلاح الأزهرى ، وفى مقدمته الاساتذة محمود شلتوت ومحمد الهبى ومحمد المدنى ومحمود الشرقاوى ومحمد يوسف موسى من رجال الأزهر ، عدا الآخرين من غير أبنائه وكثير ما هم ! وقد تحدث الأستاذ الزيات عن سر هذا الاهتمام البالغ بالإصلاح الأزهرى فقال : لعلك تقول لنفسك ما بال

الوثام في الداخل حالت بين الشيخ وبين ما يريد، الرسالة (٦٣٤) .

لذلك كله نرى الرسالة تتجه إلى الأستاذ شلتوت، وتدفع به مع جماعة الشيخ عبدالمجيد سليم إلى أداء الدور الهام في معركة الإصلاح وإن الأستاذ الزيات ليعلم ذلك صريحاً حين يقول بالعدد ٤٠٦ ص ٥٣٣ ما نصه : « نعتقد الرسالة أن الأستاذ شلتوت لسان صادق من ألسنة الإصلاح الديني في هذا العصر فإذا أيد الرسالة في دعوتها الإصلاحية بقلبه ولسانه كسبت منه ما كسبته الدعوة الكبرى من عمره ، ومنفذ هذه الكلمة والأستاذ شلتوت يتسم مكانه في أوج الرسالة والزيات يتابع جهوده الإصلاحية بالتزكية والتعظيم وكان يجهد لمقالاته الأولى بالرسالة تمهيد الصديق المؤيد ، على قلة احتفاء الزيات بتقديم الكاتبين ، مما ربط بين شلتوت وصاحبه بأقوى رباط في معركة الإصلاح والتجديد ، ومن السهل الميسور لمن يريد أن يؤرخ كفاح شلتوت في نهضة الأزهر أن يرجع إلى أعداد الرسالة ، فقد سارته في دعوته مسيرة نشيطة ، وقسمت صفحاتها لمن يحلون مواقفهم ، ويباركون حركته ، والحق أن الأستاذ محمد المدني كان في طليعة هؤلاء توفد حماسه ، وإذكاء غيرة ، إذ كان العضد الأول للشيخ في دعوته يبسطها على صفحات الرسالة شارحاً ، ومهاجم خصومها ناقداً ، مما تسجله له حركة الإصلاح بإعجاب وتقدير .

وما زالت توليه المودة والتقدير ، وتخصه بكتابة اقتراحات الأعداد الهجرية الممتازة واثقة أنه سيواصل جهوده في معركة الإصلاح ، إذ أن المراسي في رأى الزيات إذ ذاك « إمام هذا العصر بأعداد من الله تجل في فهمه الدقيق لرسالة دينه وإدراكه الصحيح لحاجة عصره وعلوه الراسخ بطبيعة قومه ، وملكمته السليمة في أدب لغته وأفق الرجيب لاقران المشكلات الاجتماعية فيه تحت ضوء من الفكر الثاقب يمدد بها ظلام الإشكال فتراجع إلى طريقها الواضح من الدنيا أو الدين ، الرسالة (٣٥٦) .

وقد دافعت عنه بحماسة حين قدم بعض المغرضين عريضة شاكية إلى الدوائر المسئولة ، فسكتب الأستاذ ابن عبد الملك بالعدد ٢٩٥ كلمة تؤيد الرجل في مهب المعاصرة وكان المظنون بالشيخ أن يعضى بالإصلاح إلى وجهته ولكن أموراً شائكة اهترضته وقد تحدث عنها الأستاذ الزيات في معناه إذ قال :

« وكان الظن بالفقيد الكريم وقد ورث أكثر خصائص الأستاذ الإمام أن يؤدي رسالة الإصلاح على الوجه الذي يرتضيه العلم ، وبقضية العصر ، ويرتجيه الناس ولكن الأسباب المعوقة من مهادنة السياسة وممانعة المعارضة ، ومما طلة الحسزم ، واضطراب السلام في الخارج ، وانقطاع

لدى المسؤولين ، نرى بعض من يحرفون الحكم عن مواضعه يفسرون اقتراح الأستاذ شلتوت بأنه مهاجمة للشيخ المراغى ، وتدور الدسائس المغرضة مداراً يدعو الشيخ الأكبر إلى الإغضاء عنه فلا يمهّد الأسباب لتنفيذه على ضرورته الملحة وخطره الكبير .

وكان من أثر مقالات الرسالة المتتابعة ، وجهود جماعة الشيخ عبد المجيد سليم على صفحاتها ما أوهم الأستاذ المراغى بأن الزيات يشير عليه الثوائر ، وبخاصة حين ظهرت الرسالة تحمل مذكرة شهيرة كان الإمام المراغى قد أهداها أثناء ولايته الأولى على الأزهر بسط بها وجوه الإصلاح كما يرتئيه .

ثم تولى الأمر بعد ذلك ففسى ما اقترح أو تناساه ، وقد مهد لها الأستاذ الزيات بمقدمة جريئة قال فيها الرسالة ١٢٤ «والأستاذ المراغى قد وضع هذه المذكرة لتكون برنامجاً في سياسة الأزهر ثم أقرتها الحكومة وارتضتها الأمة فلم يبق عليه إلا أن ينفذ ما وضع ، ويطبق ما شرح ، ولكن أزهري المراغى لا يزال كأزهري الظواهرى يغير في الشكل ولا يغير في الموضوع ، ويستعير هيكل الجامعة الحديثة ، ويحفظ بروح الجامع القديم فهل يستطيع كاتب من الكتاب أن يبين الحوائل ويشرح الأسباب ؟

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة

فإن فساد الرأى أن تترددا

لقد تقدم الأستاذ شلتوت باقتراح إلى هيئة كبار العلماء بجلته الرسالة بالعدد (٤٣٧) وهو يدعو إلى إنشاء مكتب على دائم للجماعة تكون مهمته ما يأتى :

(أ) معرفة ما تهاجم به الأديان عامة والدين الإسلامى بخاصة فى عصرنا الحاضر مع الرد عليه .

(ب) بحث ما يحصل فيه الاختلاف بين علماء العصر من جهة أنه بدعة يجب تركها أو ليس كذلك ووضع الأصول الكفيلة بتمييز ما هو بدعة مما ليس بدعة .

(ج) العمل على وضع مؤلف يحتوى على بيان ما فى كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات التى دسّت على التفسير وأخذها الناس على أنها من معانى القرآن .

(د) بحث المعاملات التى جسدت وتجدد فى العصر الحاضر من جهة حكم الشريعة فيها .

(هـ) تنظيم طرق الوعظ والإرشاد والاتصال بالهيئات المعدة لذلك .

(و) إحياء الكتب النافعة فى مختلف العلوم والإشراف على مجلة الأزهر وإصدار الفتاوى فى ما يطلب من الاستفتاءات .

هذا ملخص الاقتراح ، وقد بسطته الأقسام بالرسالة بسطاً واضحاً ، حتى كتب عنه الأستاذ المدنى كبتين مسهبتين والأستاذ السبكى مقالا جيداً ، وأشار الزيات إلى جسدواه فى مقال افتتاحى ، وبدل أن يكون لذلك تأثيره النفاذ

« لم نحاول أن نقرب للناس ولا لأنفسنا هذه الكتب ، ولم نحاول أن نأخذ النافع منها لعرضه عرضاً يروج عند أهل العصر . »
 « لم نزل نتفق أوقاتنا في المناقشة اللفظية وفي خدمة نصوص المتون وعبارات المؤلفين ، ونحن لا نقرأ من المقررات إلا نسباً ضئيلة تافهة لا تكون ملزمة ولا تعد تحصيلاً . »
 وإن العامل الذي وقف بالأزهر هذا الموقف لا يرجع إلى الطلاب ولا إلى الأساتذة ولا إلى المناهج وإنما يرجع إلى أن الإصلاح لم ينفذ بالروح التي وضع بها ، ولم يتعهد حتى يؤتى ثماره وإلى أن تحدث هذه الخطوة الجريئة سيبيق الأزهر في عزائه عن الأمة لا يسعها بحاجتها ولا تقدره في وجوده ولو سن له ألف قانون (تلك نقاط من هذه المحاضرة التي أيدتها الرسالة ونشرت مقالات هامة في تحليلها ، فنهبت القراء إلى ما يزال الأزهر يعامله من المماحكات والقشور وأصبح الشيخ شلتوت من يومها في الإصلاح المارغب تمتد نحوه الأعناق في تطالع حتى أتيح له فيما بعد أن يتولى مشيخة الأزهر ويتم التطوير التجديدي على يده فيستريح .

وقراء الرسالة يذكرون للإمام الراحل — غير محاضراته السابقة — مقالتي « رناتين دوى صداهما دويّاً شديداً ، أو لاهما مقالته من رفع هيسى إذ نشر بالعدد (٤٦٢) فتواه السديدة بهذا الشأن مؤيدة بالحجج

ومن ذلك الحين والرسالة سافرة الحطة تخمضن أنصار الإصلاح ، وتقيم بينهم علائق المودة على نهج واضح ومذهب مبين . فلا غرو أن وقفت مع شلتوت وجماعته لا تحيد ! لقد كان أبرز مواقف الأستاذ شلتوت في هذه الحقبة المجاهدة ، محاضراته الشهيرة عن السياسة التوجيهية العلمية في الأزهر ، إذ كانت ثورة قوية على تردد الأستاذ الأكبر في تنفيذ برنامج الإصلاح وقد احتشد لها من السامعين صفوة ممتازة يحفلون مراکز هامة في الدولة من الأزهريين وغيرهم وفي مقدمتهم وكيل الأزهر ومفتى الديار المصرية وكان المحاضر الثائر يقاطع بالتصفيق الحاد والهمات المسدوى كما ذكر الأستاذ المدني بالرسالة (٥١٢) إذ قال : « ولما انتهى منها هنا فضيلة الأستاذ الكبير مفتى الديار المصرية وعاقبه فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر مقبلاً بين عينيه على ملاء من الناس أجمعين ، وهلا التصفيق والهمات لهذا المظهر الرائع وأبى الطلاب إلا أن يحملوا فضيلة المحاضر على أعناقهم إلى فناء الكلية ، فتم لهم ما أرادوا وكان يوماً في الأزهر عظيماً !

أما عناصر المحاضرة فنشير إليها من نقاط سجلها الأستاذ المدني بالرسالة (٥١٥) وأهمها « لم نزل كتبنا هي الكتب المعقدة التي لها طريقة خاصة في التأليف ، لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية . »

مسجل في كتبه الهادمة !! وما حاج هائج هؤلاء المفسرين أن عالماً قاديانياً أفتى بما أفتى به الشيخ شلتوت ، فتوهما هذه الموافقة مدعاة للريب الآفك والظن الاتيم ! وفاتهم - وهم العلماء - أن صاحب الإفتاء يصدر عن اجتماعه دون نظر إلى موافق أو مخالف ،

وقد اضطر الأستاذ شلتوت أن يدافع عن رأيه في سلسلة من المقالات الفقهية الأصولية بالسنة الحادية عشرة من الرسالة فتحدث في بحوث ضافية عن آيات الكتاب في المسيح ، وعن الإجماع ومعناه وحقيقته وثبوته وعن السنة والاستدلال بها وعن آراء ابن حزم ومحمد عبده ورشيد رضا والمرأى في هذا الموضوع ! وجاءت سلسلة بحوثه آية في استواء المنطق ، وصحة الاستدلال وقوة التعليل ، وقد جمعها فيما بعد في بعض كتبه التي طبعت أثناء مشيخته الأزهر ! بعد أن نشرها الزيات في بضعة أعداد .

أما المقالة الثانية فبحثه الهام بها عن الهجرة وشخصيات الرسول بالعدد ٤٤٩ من الرسالة إذ ذهب فيه إلى أن للرسول شخصيات متعددة شخصية الرسول وشخصية الإمام العام وشخصية المفتي وشخصية القاضي وأعطى لكل شخصية حكمها في منطق التشريع ! ومع استناد الرجل إلى أدلته الواضحة فإن خصومه المغرضين قد ملئوا المجلات الدورية بمهاجمته دون أن يفهموا كلامه على وجهه الصحيح ، ولغظ

والأسانيد وخلصتها الموجزة تشير إلى أنه ليس في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء وأنه حي إلى الآن فيها وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض .

إن كل ما تفيد الآيات الواردة في هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه متوفى ولم يصلبوه ولسكن وفاء الله أجله ورفعته إليه . إن من أنكر أن هيمى قد رفع بجسمه إلى السماء وأنه حي فيها إلى الآن وأنه سينزل منها آخر الزمان لا يكون بذلك منكرًا لما ثبت بدليل قطعي فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه بل هو مسلم مؤمن .

هذه الفتوى الجريئة لم تسكد تظهر بالرسالة حتى حاج عليها من يدافعون عن الإسلام بالسباب والشتائم ، ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى ، وقد تورط بعضهم فاتصل بعضهم في مجلس النواب ليثير المسألة في البرلمان ! ووجه آخر خطاباً مفتوحاً إلى رئيس الوزراء لمحاكمة الأستاذ ! وقام شيخ الإسلام تركيا السابق بما عرف عنه من تهجم وتهميش حتى حكم بالكفر والزيف على الإمام المجتهد ! وأذكر من باب الفكاهة أيضاً أنه حكم على شخصي الضعيف بالكفر أيضاً لمقال نشرته بالرسالة عن الرصافي وزاد فألقى الأستاذ الزيات بي في حكمه ، وذلك مفشور

الاستاذ الزيات لأنى كتبت عنه مقالا مسهباً بالعدد (١٠٢٠) من مجلة الرسالة ١٩٥٢/١/١٩ ومن أراد أن يقف عليه فليرجع إليه :
أولى مقالات الزيات نفسها فى الرسالة متقبعا مادار حولها من نقاش طويل اشترك فيه الاساتذة العقاد والمذنى والغمراوى وغيرهم بما يصيه قراء الرسالة ولا يزالون يتحدثون عنه ذاكرين .

ولم ينقطع الاستاذ شلتوت عن التحرير فى الرسالة حتى توقفت ، بل إن الاستاذ الزيات قد دعى إلى تحرير مجلة الأزهر حين أسند الأمر إلى الشيخ عبد المجيد سليم فقام بواجبه ، وظهرت الرسالة إذ ذاك تبشر بالإصلاح وتنفال بالبعث ، وأخذ اهتمام السكانيين بتجديد الأزهر يتزايد على صفحاتها أنعام ذلك ، لولا أن الشيخ الأكبر قد انسحب من الميدان فجأة على غير إرادته ، وترك الاستاذ الزيات مجلة الأزهر ، ليعود إليها من جديد وقد انقضت السحب المتسكيفة ، وتمهد السبيل الواضح وأصبح الاستاذ محمود شلتوت شيخ الأزهر وداعية الإصلاح ورجل البعث الجديد ...

أما جهاد الاستاذ الزيات فى مجلة الأزهر فيبعد عن عنوان هذا المقال وإن دعا إليه أطراد الحديث .

بعض خطباء المساجد منه بما زينته له الجهل والغرور والادعاء ، ولو كان لدى هؤلاء مسكة من عقل لعرفوا أن الشيخ مجتهد وله أن يبدى رأى ولغيره أن يحصه بالجدل السديد ، ولا أذكر من مجادلته فى هذا الموضوع عالما بمحاجة ناقش الرأى بالرأى غير الاستاذ الأكبر محمد الحضر حسين فقد أفرد لفظة الرسالة وحدها مؤلفا بمفرده وكان من النزاهة والحيدة مضرب المثل فى حجاج الراسخين من أولى العلم ، ولست أنا من القوة المقهية بحيث أحكم لأحد الرجلين على صاحبه وكلاهما إمام كبير ، إنما أريد أن أقول إن الاستاذ شلتوت قد تقبل نقد صاحبه ببشر وارتياح ، وظن الصغار من الضعفاء أنه يحمل له حزاة حارة فى صدره ، وتوقعوا أن يقف فى وجهه حين تقدم لجماعة كبار العلماء ولكن الشيخ شلتوت قد أبدى ترحيبه العار وقال قولته الشهيرة : من أسقط الحضر فقد أسقط نفسه ، وباله مثلاً رائماً فى النزاهة والإنصاف ، لو اقتدى به العلماء !.

حضت الرسالة بعد ذلك فى دعواتها المخلصة للإصلاح الدينى ، وقد اتجهت إلى حل حاسم لمسكلة الأزهر نشر على صفحاتها بتاريخ ٨ أبريل سنة ١٩٤٦ وهو فى لبا به يقترب كثيراً من قانون الأزهر الجديد الذى تم به التطوير التقدمى أخيراً على يد الإمام الراحل ولا أريد هنا أن أوجز الحل الحاسم كما رسمه

شاعر الإسلام والقوة والتصوف

للأستاذ محمود الشرقاوى

على أبيه ، ثم دخل د الكتاب ، حفظ القرآن وبعد ذلك دخل مدرسة أجنبية تبسيع الإرسالية الأسكتلندية في سيلاكون ، وكان يرعاه في هذه المدرسة أستاذ قدير في اللغتين العربية والفارسية وآدابهما ، وهو في نفس الوقت صديق أبيه ، هو السيد / أمير حسن . وأتم إقبال دراسته في هذه المدرسة الخاصة حتى تخرج منها بدرجة د ممتاز ، والتحق بعدها بجامعة لاهور وكان من أساتذته فيها مستشرق كبير هو السير : د توماس أرنولد . ومن هذه الجامعة حصل على درجتين علميتين وانتقل بعد ذلك مدرساً للتاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية بـ لاهور ، ثم لتدريس الفلسفة واللغة الانجليزية في الجامعة التي تخرج منها ، وفي سنة ١٩٠٥ انتقل إقبال إلى بيئة جديدة ودراسات جديدة مكّلة لدراساته في الهند : سافر إلى إنجلترا فالتحق بجامعة كمبريدج ، ثم إلى ألمانيا فالتحق بجامعة هيدلبرج ، وقال منها الدكتوراه في الفلسفة من :

في ليلة من ليالى الربيع - ربيع القاهرة
ذى النسيم الرقيق المنعش - اجتمع في نادى
خوريى الجامعات المصرية صفوة من المثقفين
لإحياء ذكرى عظيم من هطء الإسلام
والشرق ، كانت صفوة قليلة العدد ولكنها
كبيرة القيمة . وكان من أسماء الخطباء الذين
دهينا لسماهم اسم رجل من رجال الأزهر
- الغير الرسميين - ولكنه لم يتكلم ولم
يجئ . فافتقدنا بذلك عنصراً كان يجب أن
يشارك في تحية شاعر ظل طول عمره يتغنى
بأجاء الإسلام ويسعى لتجديد قوته والبعد
بمعتقديه عن الحرافات وعن المذلة والهووان .
وقد كان سعادة سفير باكستان من شهود
الحفل ، تقديراً لشاعر الإسلام العظيم .

* * *

حياة إقبال وثقافته :

في سنة ١٨٧٣ ولد محمد إقبال لأسرة
تعمل بالزراعة في مدينة د سيلاكون ،
بولاية البنجاب في الهند ، وكانت الأسرة
تقيم قبل ذلك في كشمير . وتلقى أول دروسه

الدراسات الدينية الجادة ، والدراسات المدنية الجامعية .

نشاطه في الإصلاح والسياسة :

كان لإقبال نشاط مزدوج ولكنه يمكنه بشكل بعضه بعضا : نجد من تنوع نشاطه السياسي أنه كان أول داعية لفصل مسلمي الهند عن غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى في دولة مستقلة ، وهى الفكرة السياسية الدينية التى دعا إليها بإيمان تام وناضل في سبيلها نضال الأبطال ، وتلقفها من بعده الزعيم محمد علي جناح حتى انتهت ، كما فعلم ، بتأسيس دولة « باكستان » مستقلة منفصلة عن الهند فى أغسطس سنة ١٩٤٧ ، وكان هذا أبرز عمل سياسى قام به ، وأعظم مشاركته السياسية الناجحة ، بل هو من أعظم الأعمال السياسية التى تمت فى عالمنا الحديث .

ومن نشاطه السياسى أنه كان عضواً فى المجلس النيابى لولاية « البنجاب » ورئيسا لحزب مسلمي الهند - قبل إنشاء باكستان - ومراقباً لمؤتمر « الله آباد » ، ورئيساً لجمعية « حماية الإسلام » ، التى كانت تشرف على طائفة من المؤسسات ، وأنه اشترك فى مؤتمر « المائدة المستديرة » الذى عقد فى لندن سنة ١٩٣١ و ١٩٣٢ .

وكان نشاطه الإصلاحى قائماً على تجديد الفكر الدينى وإيجاد « المسلم » الواعى القوى

« تطور الفكرة العقلية فى إيران » كما وضع رسالة فى القانون .

ثم دعى بعد ذلك لإلقاء محاضرات فى مدن الهند الكبرى : « مدراس » و « والله آباد » و « هليكرة » فتكون من هذه المحاضرات فكرته ودعوته لإصلاح أحوال المسلمين وتقويم المناهج لدراسة الإسلام وفلسفته . وهى المحاضرات التى نقلها إلى العربية المرحوم الأستاذ عباس محمود بعنوان : « تجديد التفكير الدينى فى الإسلام » .

ومن ذلك نعرف أن محمد إقبال ، مزيج رائع من ثقافات مختلفة متباينة ، ووراثات مختلفة أيضاً أما الوراثات المختلفة التى شاركت فى تكوين شخصيته المفكرة القوية الشاعرة فقد جاءت من أصله السلالى الذى يرد إليه بعض دأوسى حياته ، هذا البعض الذى يقول إن أجداده كانوا من البرامنة ، وإن بعض أجداده اتصل بصوفى مسلم صادق الإيمان فتلقى عنه الإسلام وأسلم على يديه ، فأقبال بأصله البرهمى ، ودينه الإسلامى ، ونزعة أسرته الصوفية ، ثم بدراساته المتنوعة بعد ذلك - كان حقاً خصباً مفكراً وقلباً شاعراً ذا نزعة إصلاحية خاصة ، كانت أبرز سماتها الجرأة والحذر معا . ولكنها ، فى كل حال ، عميقة الإخلاص .

وكانت ثقافته - كما رأينا - تجمع بين

بل كانت صوفيته صوفية التطلع والاندماج
وصدق الإدراك وسعة الشمول وعمقه .
وهذا كله مزاج ليس غريباً عن الهند ،
حيث ولد وحاش ، وطن الفلسفات القديمة
والصوفية الشاملة والاندماج بالحس والروح
في الكائنات والحياة المتجددة . كما أنه ليس
غريباً عن الإسلام : دين التطلع والبحث
عن الإدراك والفهم والعمق .

وعلى هذا الأساس أقام دعوته الإصلاحية
وفكرته لتجديد الفكر الديني ، لم تكن
دعوته تلك ولا فكرته هذه صوفية مطلقة
ولا عملية مطلقة . بل كانت مزيجاً من الاتجاهين
حتى يبدو أحياناً - لبداية النظرة الأولى -
أن في دعوته شيئاً من التناقض ، ولكنه
عند التعمق لم يكن كذلك .

كان له في فهم القرآن إدراك صوفي يختلف
عن تفاسيره التي نعرفها للتصوفة . امتزج
فيها إحساسه الصوفي الرقيق الخاص وشفافية
روحه بعقل العالم العصري . وفي بعض هذه
الآراء جرأة يسترها ذلك الثوب الشعري
الرقيق الذي صيغت فيه ، كما يسترها الإخلاص
الواضح للفكرة والعقيدة .

كان يرى تخلف الحياة الإسلامية المعاصرة
عن مسيرة العصر والحياة العامة في العالم ،
ويرى تخلف المسلمين في الهند وغيرها
عن الحاق بغيرهم من الذين سيطروا - بقوة

المعارف بحقائق عصره وأهدافه . وكان
في ذلك يدعو إلى صوفية، بعيدة عن التراخي
والتواكل والسلبية قائمة على « قوة النفس »
وصلابة الإيمان وإقرار حرية الفرد وكرامته
كما أمر القرآن ، وعدم الخضوع لمغريات
الحياة : المال والشهوة والمجد .

كان تجديد الفكر الديني هند إقبال
- كما يقول الأستاذ الزيات في الرسالة « العدد
١٠٦٣ » : قائماً على (فهم الإسلام على حقيقته
التي أنزلها الله ، وعلى رسالته التي بلغها
الرسول ، وعلى سياسته التي طبقها الصحابة ...
فهمه على أنه حمارة الدارين بالعمل الصالح ،
وسعادة الحياتين بالإيمان الحق ، وقوة
المشرقين بالوحدة الجامعة) فقد كان إقبال
من دعاة الوحدة الإسلامية الشاملة .

ومن هذا النشاط المزدوج ندرك أن الشاعر
الفيلسوف محمد إقبال كان يمزج بين أهدافه
السياسية لمسلمي الهند وبين الدعوة الدينية لهم
ولبقية إخوانهم المسلمين جميعاً . شأنه في الجمع
بين الدين والسياسة شأن الشيخ جمال الدين
الأفغانى في الشرق .

مزاجه الصوفي :

كان إقبال ذا مزاج صوفي ، ولكنه لم يكن
صوفياً من المعتزلين الخارجيين المستعبرين
للحياة القانعين منها بالنصيب الأقل والمنزل
الدون .

من الزيوف التي لا يقول بها الإسلام ، بل دو
يشكرها ويحاربها . وقد كان إقبال يحاربها
بمثل هذا الصدق وهذه الحرارة وهذا
الإخلاص ، كان - كما يقول أستاذنا الزيات - :
(... يقطع الشعر حشرات على دين أحاله
الجهل والضعف في نفوس أهله إلى شعائر
من غير شعور ، وهناسك من غير نسيك ،
وينعى على المصلين الاتهام الصلاة عن الفحشاء
والمفكر ، وعلى المازكين ألا تطهرهم الزكاة
عن الأثرة والشح ، ويقول لأولئك الألوف
الذين يذهبون كل عام إلى الحجاز وهم
لا يدركون سر الحج ولا معنى الجماعه في بيت
من شعره الثائر الساخر :

أما يسأل أحد أولئك العائدين من حج
البيت المحرم : ألم يجدوا هناك ما يهدونه إلينا
غير قارورة من ماء زمزم ... ؟

فقد كان إقبال يحارب الأشكال والمراسم
والطقوس التي لا توصل إلى نتيجة ولا ثمرة
وكان يفهم الإسلام على أنه حقيقة وجوه .
الفرد والمجتمع :

ودعوة إقبال لتجديد الفكر الديني وتصحيح
المفاهيم عن العقيدة والشريعة ، وفكرته
لإصلاح المجتمع الإسلامي عن طريق هذا
التجديد للتفكير والتصحيح للمفاهيم ، وهذه
الدعوة لإصلاح المجتمع تقابلها - أو تساورها
وتسبقها وتكملها دعوة أخرى لنهذيب الفرد

العالم ، وقوة الخلق ، وصلابة العزيمة -
على الحياة الإنسانية المحاصرة كلها . فيجده
أسباب هذا التخلف كلها أساسها سوء الفهم
العقيدة ، ليس في العقيدة نفسها ما يمكن
أن يكون سبباً لتخلف أصحابها عن غيرهم .
ومع أنه معجب بالحياة الأوروبية وما فيها
من نشاط وجرأة وتفوق ، لا يرضى لأهل
دينه أن ينتقلوا إلى هذه الحياة ، أو ينتقلوا
إلى مجتمعهم هذه الحياة التي يدرك - كما يدرك
كثير من الأوروبيين أنفسهم - ما فيها من شر
وفساد وخطر على الحياة الإنسانية كلها .
وما فيها كذلك من إهدار قيمة الفرد وكيانه
ومثله التي يحرص عليها ، والتي تقوم - أو يجب
أن تقوم - على التصافي بين البشر جميعاً ،
والمودة بين الأجناد جميعاً ، والحرص
على الحياة الروحية التي تدعو لها كل الأديان ،
والتي هي العاصم والملاذ للبشرية من نزوات
الحضارة الأوروبية ومفاسدها . (وخاصة
تلك التجربة التي تجرى وتستقر على مقربة
من مسلمي آسيا) .

ويحذر من أخطارها على الدين والحضارة
والقيم الإنسانية جميعاً .
الحقيقة والجوهر :

ولكن هذا الدفاع الحار الصادق عن التدين
والعقيدة لم يكن إقبال ينكر معه أن في تفكير
المسلمين الآن - وعقولهم وقلوبهم كثيراً

وأن الدولة الإسلامية الكبرى يجب أن تكون قوة بين قوى العالم العظمى التي يقام لها حساب ووزن . وكان شاعر التصوف : يرى أن الصوفية التي يدعو لها الإسلام هي - كما أشرنا - صوفية الاستعلاء عن المغريات والافتحاح لتحقيق مثل أعلى والكفاح ، والصبر في سبيل هدف كريم . صوفية إيجابية قائمة على خلق متماصك شجاع ، لا صوفية سلبية خائفة قانعة .

ثلاثة رجال :

ولا نستطيع أن ننهي هذا الحديث عن إقبال ودعوته دون أن نذكر ثلاثة رجال كان لهم فضل تقديمه والتعريف بدعوته في المشرق العربي ، ولولا جهدهم المشكور لظل إقبال ودعوته محجوبين عنا نحن أبناء هذا الشرق : أول الثلاثة المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام الذي كان له فضل السبق والريادة في تقديم إقبال وترجمة كتبه إلى العربية ، وبخاصة كتابيه : « رسالة الفرق » و « ضرب التكليم » وثانيهما المرحوم الأستاذ عباس محمود الذي ترجم له كتاباً من أجود كتبه هو : « تجديد التفكير الديني في الإسلام » . والثالث الأستاذ الشيخ الصاوي شعلان ، الذي نقل إلى اللغة العربية شعراً كثيراً من قصائد إقبال وتأملاته الصوفية .

وتربته . وهنصر هذه الدعوة الأساسية هما : الشجاعة الذاتية في مواجهة الحياة ، وحرية الفكر والاختيار والعمل . والمجتمع والفرد أساس حياتهما - كما يرى إقبال - يجب أن يكون قائماً على الدين والعقيدة ، كما يفهمهما هو .

وحرية الفرد من أعظم ما يدعو إليه إقبال ويجعله أساساً لإصلاح المجتمع الإسلامي ، والحرية قريبة للاختيار رهينة به ملازمة له . ومن أجل ما نقرأ لإقبال في حرية الاختيار هذه الكلمات : (... وعمل الخير لا يمكن أن يكون قسراً ، بل هو خضوع عن طواعية للمثل الأخلاقي الأعلى خضوعاً يفضأ عن تعاون الذات الحرة المختارة عن رغبة ورضى . والكائن الذي قدرت عليه حركات كلها كما قدرت حركات الآلة لا يقدر على فعل الخير . وعلى هذا فإن الحرية شرط في عمل الخير) .^(١)

* * *

كان إقبال شاعر الإسلام : يرى أن فهمها سلباً عميقاً جريئاً للإسلام - كما فهمه هو - يمكن ، بل يجب ، أن يحقق للفرد حياة سوية ، وللمجتمع حياة سعيدة متماسكة قوية . وكان شاعر القوة : يرى أن المسلم الحق يجب أن يكون قوياً في خلقه ، وجسده ، وروحه ،

(١) الترجمة للمرحوم الأستاذ عباس محمود في كتاب : « تجديد التفكير الديني في الإسلام »

التفسير الباطني : نشأته وأسبابه

للأستاذ عبد الجليل شبل

في المذهب والعقيدة يسوغ لنا الظن بأنهم لم يغلوا في تأويل المعاني الباطنة كما فعل الشيعة الآخرون ، وليس من السهل علينا أن نستخرج من كتب التفسير الشيعية ما قال به الفاطميون دون غيرهم وما شاركوا فيه إخوانهم ووافقهم عليه - وعمدة التفسير الشيعي الآن هو التفسير الذي كتبه القمي والناظر فيه وفي المجالس المستنصرية التي يحوى آراء داعي الدعاة يجد تباينا بعيدا في الآراء والمعتقدات .

ومن المعروف أن الشيعة جميعاً يشترطون الإيمان بإمام موجود ظاهر أو مستور ويرون أن العمل بالشريعة وحدها لا يمدى ما لم يصحبه الإيمان بهذا الإمام كالإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام ولا يشذ عن هذا اسماعيلية أو إمامية وكل ما هناك أن الفاطميين يتفوقون انتقال الإمامة على الأبناء دون الإخوة والإمام يعين خليفة من أبنائه قبل أن يموت واتخذوا جميعاً من الآية دوجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ، مستفاد لهم أن الله لا يخل الأرض من إمام عادل من نسل علي وقد يكون ظاهراً مكشوفاً وقد يكون

ظاهر هذا اللون من التفسير في مصر في عهد الفاطميين - وكان غربياً على المصريين فلم يلبوا عليه وقام الدعاة الفاطميون بنشره ولكنهم مات في مصر بموت الدولة الفاطمية .

هذا المذهب الغريب بعيد عن ذوق المصريين ناب عن طبيعتهم - فهو يحمل اللفظ معنى خفياً غير الذي يدل عليه تركيبه ومعناه الوضعي ، ويسمى ذلك هدم المعنى الخفي أو المعنى الباطن فالمعنى الذي يفهم من ظاهر النص معنى قريب يناسب العامة أما الخاصة فهم الذين يطلعون على المعنى الباطن ويدركونه .

ليس من شك أن هذا المذهب نشأ ونضج قبل أن يظهر على يد الفاطميين في مصر وهو أيضاً ظل حياً نامياً في أماكن أخرى وعلى يد شيعة آخرين بعد أن انتهى هدمهم وهدمه بها وأكبر الظن أيضاً أنه ناله بعض التهذيب في العهد الفاطمي - فالفاطميون أكثر اعتدالاً في تشييعهم لم يؤهلوا علياً والأئمة كما فعل غلاة الشيعة ولم يقولوا بغيبة الإمام المنتظر الذي سيعود إلى الأرض ليملأها عدلاً بعد أن مائت جوراً وظلماً ... هذا الاعتدال

أم نجعل المتقين كالغجار ، فسروا الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمتقين ، بأنهم على وأصحابه أما المفسدون في الأرض والغجار فهم أعداء على : أبو بكر وعمر وعثمان .. ومن القادر أن يذكرها بأسمائهم وإنما يكونون عنهم فيقولون حبر وزريق ونعثل - وحبر هو أبو بكر لقهره وزريق هو عمر لزورقة عينيه ونعثل هو عثمان لطول لحيمته .

وفي الآية د والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ... إلخ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه .. إلخ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .. فسروا الظلمات بأنها معاوية وقتلته التي أثارها ضد على ، وفسروا النور بأنه الإمام من نسل فاطمة ومن لم يجعل الله نوراً يعنى إماماً في الدنيا فما له من نور أى ليس له إمام يهديه للجنة يوم القيامة .

وهناك آيات كثيرة جعلوا المراد منها تعظيم آل البيت وبيان مناقبهم وهي بعيدة كل البعد عما يقصدون ، وقد عفى ابن حجر بتفنيد رأيهم في هذا كما رد باطنيتهم هذه كل من الغزالي وابن تيمية على ما بين الغزالي الصوفي وابن تيمية السني من خلاف بعيد .

هذا التفسير ككل جوانب العقيدة الشيعية التي بنى عليها ليس وأيد خرافة خالصة وإن كان يبدو فيه كثير من الخرافات . وإنما هو يرجع في الأصل إلى ديانات وفلسفات وقديمة تغذى بها واستفاد منها ولكن الشيعة

خفياً مستترا - ومعروف أيضاً أنهم جعلوا علياً شبيهاً بالنبي وشريكاً له في الدعة وأنهم قالوا بعصمة الأنبياء والأوصياء والأئمة ويخسون علياً بأنه صاحب تأويل القرآن فإن الله تعالى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه الظاهر للناس ولكن عرّفه بجانها أسراراً باطنية وهذه خص النبي بها علياً وحده ثم خص بها علياً أبناءه وخص أبناءه بها ذريتهم وهكذا وعلى هذا الأساس حملوا الآية : وكذلك يحنّيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك . إلخ ، معنى يخص علياً وذريته أما الآية د هو الذي أنزل عليك الحكمة منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر مقشاهات إلى قوله تعالى : وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ، فقد فسروا فيها الراسخين في العلم بأنهم الأنبياء والأوصياء والأئمة .

هذه الأسس من قواعد العقيدة الشيعية تهدينا إلى الطريق التي يؤولون بها آى القرآن ويضمنونها معاني تناسب هذه العقيدة - يضاف إلى ذلك أن كراهيتهم أبا بكر وعثمان وعمر وعائشة ومعاوية والأمويين بوجه عام وجهتهم إلى جعل هؤلاء هم المعنيين بألفاظ كثيرة جاءت وصفاً للكفار في القرآن الكريم - مثل الظالمين والمفسدين والغجار وما إليها .. في الآية د أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض

فمن قديم جداً فسر البراهمة وعلماء البوذيين نصوص الفيدا تفسيراً باطنياً يعطى معنى غير المعنى الظاهر من الألفاظ - وفي مدرسة الإسكندرية ، وعمادها الفلاسفات التي قام عليها مذهب الفاطميين - فسرت الكتب المقدسة هذا التفسير .

فقولون اليهودى وكان وثنياً قبل أن يهود فسر التوراة تفسيراً باطنياً وعلماء المسيحية أمثال أوغسطين وأرجينوس - فسروا الأنجيل تفسيراً باطنياً وذهب الكليمنطس فى هذا مذهباً أوسع فقد وضع شروطاً للتفسير منها أن كل لفظ من الإنجيل لا بد أن يكون له معنى مجازى بجانب معناه الحقيقى . وهؤلاء جميعاً كانوا من مدرسة الإسكندرية ومن هنوا بالفلسفة اليونانية بوجه عام وبفلسفة أفلاطون بوجه خاص وعملهم هذا إنما هو تطبيق لنظرية المثل . وليس بعيداً عن هذه النظرية ما تمسكت به الكنيسة المصرية من أن المسيح هو كلمة الله المتجسدة وأن له طبيعة واحدة هى الطبيعة اللاهوتية - وقد سببت هذه النظرية العداء المعروف بين الكنائس وبين اليعاقبة وبين اليعاقبة والنساطرة ولقى المصريون بسببها مروع العذاب - وهى تعنى أن المسيح مع مظهره البشرى وتجسده أمام الناس هو فى واقع روح الله وأذن فبشريته مثل وراه تمثول . وقد استغادت الفاطمية من المسيحية ،

جعلوا عليها وآل البيت مركزاً لتبلور فلسفاتهم ومحوراً لكل ما استفادوا من الديانات السابقة ولما انتقلت نظرياتهم الفلسفية من الخاصة المفكرين إلى العامة السذج سادتها الخرافة وطغت عليها المبالغات .

وأشد أنواع الفلسفة تأثيراً فى المذهب الباطنى والعقيدة الشيعية هو فلسفة أفلاطون والأفلاطونية الحديثة والفيثاغورية ولهذا نجد نظريات المثل والقبض والإشراق والعدد تحتل جانباً واسعاً من عقيدتهم وتفسيرهم . ونظرية المثل ... وإن كانت تنسب دائماً لأفلاطون . أقدم منه بكثير ولكنه هو الذى وضحها وأشاعها فنسبت إليه .

يجعل أفلاطون هذه المخلوقات التى نفسها جميعاً مثلاً لحقائق أخرى لا يصل إليها حسناً ويجعل الباطنيون لكل شئ ظاهراً وباطناً وهذه المخلوقات كلها إنما هى ظواهر لآخرى خفية تدل هذه عليها الظواهر ولا قيمة لها بدونها وكما أن أجسام الحيوانات لا قيمة لها بغير أرواحها كذلك هذه الظواهر لا قيمة لها بغير بواطنها . والسذج العوام يعنون بهذه الظواهر ويمهلون ما وراءها كما يعنون بأجسامهم ويففلون تربية أرواحهم - أما خواص الناس ومفكرهم فهم الذين يعنون بما وراء الظواهر والقرآن كذلك بطبيعة الحال له ظاهره وباطنه . إذا نحن رجعنا إلى الورا وجدنا هذه الفكرة فى كثير من الديانات السابقة .

وهذه كلها ترد إلى نظرية المثل التي نادى بها أفلاطون ونجد لهذه النظرية ظلالاً في فلسفات الهند والصين وليس أفلاطون أول من نادى بها ولكنه هو الذي وضحها ووسع دائرتها وأشاعها حتى نسبت إليه .

وإلى وجود هذه النظرية في بلاد شرقية قبل أفلاطون نجد أن بعض البراهمة والبوذيين فسروا الفيدا بمثل هذا التفسير فجعلوها ذات معاني ظاهرة وأخرى باطنة ، وقد حاول هذه المحاولة قيلول اليهودي وتلاميذه في تفسير نصوص التوراة وليس من شك أن هذا نتيجة لدراستهم الفلسفية في مدرسة الإسكندرية وكانت تقوم على الفلسفة الأفلاطونية والأفلاطونية الحديثة بنوع خاص .

وهذه الفكرة تبدو في المسيحية بوجهه أظهر في جعل المسيح كلمة الله المتجسدة وقد أصرت كنيسة الإسكندرية على أن له طبيعة واحدة هي الطبيعية اللاهوتية فهو في مظهره البشري ليس إلا مظهراً - مجرد مظهر لسر لاهوتي ، أو بعبارة أخرى إنه مثال الممثل غير مرئي وهي نفسها نظرية أفلاطون .

وقد شاع عند الفاطمية والشيعة بوجه عام تطبيق الممثل والمثل . ولكننا لا نجد هذه الفكرة تظهر إلا في وقت متأخر وتوضيحها بوجه خاص كتب داعي الدعاة . ومال المرحوم الدكتور محمد كامل حسين إلى أنها لم تظهر إلا بعد عصر الترجمة في عصر المأمون

من غير شك ، بل أن عقيدة الفاطميين بمجموع من الديانات والفلسفات القديمة مزجت كلها ودارت حول محور معين كما قلنا ، وقد ذكر المرحوم الدكتور محمد كامل حسين أمثلة مما استفادته من ديانات المصريين القدماء وهولم اليونان وفلسفاتهم ومن الزرادشتية والعبرية والبابلية وغيرها .

ومن الأفكار المشتركة بينهم وبين اليهود والمسيحيين فكرة المنفذ المخلص من الشرور . فاليهود ينتظرون المخلص من ذرية موسى أو طائفة اللاويين ، والمسيحيون يؤمنون برجعة المسيح ليلاً الأرض سلاماً وعدلاً والشيعة يؤمنون بالمهدي المنتظر .

وإذن فهذا اللون من التفسير سر لتلك الفلسفة والفاطميون ليسوا بدعاً في هذا - فالفكر الفلسفي في كل مكان لون الأديان وترك فيها أثراً باقياً في عقائدها وقوانينها ، وإنما الغريب لدى الفاطميين والشيعة أيما كانوا هو الغلو في الفكرة وتحميل النص معاني بعيدة كل البعد عن ألفاظه ولا يمكن أن يحتمله تركيبها بوجه من الوجوه فالسير في هذا الطريق يجعل القرآن غير عربي الأسلوب ويسمح لكل مفسر أن يضمن النصوص ما يشاء من المعاني من غير قانون ولا حساب . ويبدو أن هذا التفسير ، شأن كل المذاهب الأخرى ، بدأ مبسطاً ساذجاً خالياً من الغلو .

غير قانون ولا حساب . ويبدو أن شأن هذا التفسير كشأن كثير من الأفكار تبدأ ساذجة مبسطة ثم يدخلها الغلو والتعقيد فهو فيما يظهر قام في أول أمره على فكرة تضمين النص . ثم زاد غلوه وكثرت خرافاته . فالمذهب العمي نفسه كان أول أمره بسيطاً يقف عند حد المطالبة بحق علي في الخلافة ورعى الخلفاء الآخرين بالكفر لا يخرج المذهب إلى جانب بعيد عن الفكر الإسلامى وقد عفت طائفة الكيلسانية المتفقة على رميهم بالتكفير .

ومنذ عصر الترجمة وبعد أن نقلت للمسلمين ألوان من التراث العقلى والدينى لم يكونوا قد اطلعوا عليها من قبل بدأ المذهب الشيعى يتعقد وتدخله آراء ونظريات بعيدة عن تفكير السنيين وغير السنيين من المسلمين . ولعل دعاة الفاطمية تقبلوا خرافات العامة استكشاراً للاتباع وتأبيداً للحكام وأغضوا عما في هذه الخرافات من بعد عن سنة المسلمين . وقد انتقل الفكر الفاطمى إلى اليمن وأسكنه تحور هناك وبعد كثير أعما كان عليه دعاة الفاطميين .

وأهم مسند نعتهم عليه في هذا هو محاضرات داعى الدعاة الباقية في المجالس المؤيدية والمجالس المستنصرية وهى تبين ما عليه الزيداني من الزينيين

عبد الجليل شلى

عضو المكتب الفنى بمجمع البحوث الإسلامية

فقد القرن الثالث الهجرى اطلع المسلمون على ثقافات وديانات كانت شائعة قبل الإسلام وكانت لا تزال لها بقايا في البقاع التى فتحها المسلمون من ناحية ونقلتها اليهم الترجمة من ناحية أخرى ومع أن الإسماعيلية اتخذوا طريقه التأويل مذهبا لهم إمعانا في شرف على وآل البيت لم يستطيعوا أن يخلصوا عقيدتهم من نظريات الفلسفات الأخرى فاعتمدوا عليها في التأويل جعلها تدخل ضمن عقيدتهم ولهذا كانت عقيدة الفاطميين مزيجاً من ديانات ومذاهب متعددة - ففجأ أقباس من ديانات المصريين القدماء وفيها من علوم اليونان وفلسفاتهم أفلاطونية وأفلاطونية حديثة وفيثاغورية ورواقية كما نجد فيها زراد شقية وعبرية وبابلية وهكذا ... وقد ذكر الدكتور كامل أمثلة لهذا كله تؤيد فكرته وتوضح كلامه .

وإذن فهذا اللون من التفسير ظل لهذه الفلسفة - والفاطميون ليسوا بدعا في هذا فالفكر الفلسفى في كل مكان لون الأفكار الدينية وترك أثراً في قوانينها وعقائدها ولكن الغريب لدى الشيعة هو الغلو في الفسكرة وتحميل النص معاني لا يمكن أن نجد بينها وبين الالفاظ أية صلة أو ارتباط . فالسير في هذا الطريق يجعل القرآن غير عربى ويسمح لكل مفسر أن يضمن النصوص ما يريد من

غزوة أحد بين القرآن والشعر

للمؤلف الدكتور أحمد عبد ربه

- ٢ -

يصيبن ما أصابن من عسر ويسر ، فخرج
أبو هزة يسير في تهامة ، ويدعو بني كنانة ،
ويقول :

إيها ، بني عبد مناة الرزام
أنتم حماة ، وأبوكم حام (١)
لا تعدوني نصركم بعد العام
لا تسلبوني ، لا يحل لإسلام
ومضى مسافع بن عبد مناف إلى بني مالك
ابن كنانة يحرضهم على حرب الرسول ويقول:

يا مال ، مال الحسب المقدم
أنشد ذا القربي ، وذا التذم (٢)
من كان ذا رحم ومن لم يرحم
الحلف وسط البلد المحرم
عند حطيم الكعبة المعظم
وكان لهذا الشعر أثره ؛ فاستجاب له
كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا مع قريش
إلى أحد .

(١) الرزام : جمع رازم ، وهو : من يثبت ،
ولا يرح مكانه وحام : أى الحامي .
(٢) مال : مرخم مالك . وذو التذم : من له
ذمة وعهد .

أما الشعر فقد اشترك في معركته من الفريقين
زهة عشرين شاهراً ، وكثيراً ما كان الشاعر
يتحدث عما يحول بنفسه إزاء تلك الغزوة ،
ثم ينهض شاعر يرد عليه من الفريق الثانى ،
وأكثر ما كان ذلك من ناحية المشركين ،
يفخرون بما أوتوه من نصر على المؤمنين ،
فينهض من هؤلاء شعراء يردون على أولئك .
وقد لعب الشعر فى هذه المعركة كثيراً
من الأدوار .

فهو مرة يقوم بدور المحرض على حرب
الرسول ، فهذا أبو عزة عمرو بن عبد الله
البحلى قد من عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ،
وكان فى الأسارى ؛ فقال للرسول : دلى
فقير ذو عيال وحاجة قد هرقتما ؛ فامتن على
فن عليه الرسول ؛ فقال له صفوان بن أمية
يا أبا هزة إنك اسرق شاهراً ؛ فأعنا بلسانك
فأخرج معنا ؛ فقال : إن محمداً قد من على ،
فلا أريد أن أظاهر عليه ؛ قال : بلى ، فأهنا
بنفسك ؛ فلك الله على إن رجعت أن أغنيك
وإن أحببت أن أجعل بناتك مع بناتى ،

عن قصة هذا اللواء وما كان له من أثر في شعر هذه المعركة .

وإذا كانت قد أغرت بني عبد الدار فإنها قد عادت تغري جنود المشركين جميعا ، وتصفهم بأنهم حماة قومهم ، وتحثهم على الزحف ، حتى يصلوا إلى هدوهم ، ويضربوه بسيوفهم الباترة .

ومى في الرجز الثاني تغريمهم بالقتال وتهدم إن صدقوا فيه ، بهمة القلوب والأجسام ، أما إن فروا فلن يكون نصيبهم إلا البغض والفراق .

وكما كان الشعر يحرض المحاربين على القتال اتخذ الشعراء وسيلة لتحريض أنفسهم عليه ويتخذون من نغماته وموسيقاه ، ومن معانيه الخماسية مشجعا لهم على استقبال الموت لا يهابون ، فهذا أبو دجانة يخرج إلى القتال وهو يقول :

أنا الذي طاهدني خليل
ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول^(١)

أضرب بسيف الله والرسول
ولعل الخليل الذي طاهدته هو سيفه ، ولعله ذكر النخيل هنا كأنه يجعله شاهدا على هذا العهد حق لا يخفى به ، ولا ينقضه ، ولعل الفعل

(١) الكيول : آخر صفوف الجيش في الحرب .

ودعوة صفوان بن أمية لأبي عزة أن يساعد قريشا بشعره يدل على ما كان للشعر من قوة آسرة في هذا المجال .

فلما التقى الفريقان كان الشعر أثره في التحريض على القتال والاستماتة فيه ، فهذه هند بنت عتبة مع النسوة اللاتي معها يأخذن الدفوف ، ويضربن بها خلف الرجال وتنشئ هند الشعر تحرض به ؛ فكانت :
وما قالت :

ويها ، بني عبد الدار
ويها ، حماة الأدبار
ضرباً بكل بثار^(١)

وكان مما قالتها أيضا :

إن تقبلوا نعاقي
ونفسوش النمارق^(٢)
أو تدبروا نفارق
فراق غدير وامق^(٣)

وإذا كانت في الرجز الأول قد خصت بني عبد الدار ، فلأنهم كانوا حملة لواء المشركين يوم أحد ، ولشباب حامل اللواء أثر كبير في نفوس الجنود ، وسوف نتحدث

(١) حماة الأدبار : من يمدون الجيش من الخلف والبتار : القاطع .

(٢) النمارق : جمع نمرقة ، ومى : الوسادة الصغيرة .

(٣) الوامق : الحب .

المضارع جاء هنا مجزوما ساكن الآخر دلالة على ما في قلبه من الجزم والتصميم .

وهذا أبو زهنة بن عبد الله يقول يوم أحد:
أنا أبو زهنة يعدو به الهزم (١)

لم تمنع المخزاة إلا بالآلم (٢)
يحمي الدمار خزرجي من جشم (٣)

وهذا الجندي شاهر بمرارة القتال ،
ولكنه يقدم عليه ، ليدفع عن نفسه العار
والخزي ؛ وإذا كان قد نسب نفسه إلى قومه
وقبيلته فكأنه بذلك يجعل حماية الدمار
ديدن هؤلاء القوم وشيمة تلك القبيلة .

وهذا لدرجز امر آخر من المسلمين
أيضاً يتحدث عن إقباله من بعيد يقطع
المهامه والغفار ، بين السيوف والرماح ،
يريد أن يحمي رسول الله ، فيقول :

لا م ، إن الحارث بن الصمة
كان وفيّاً ، وبنا ذا ذمة
أقبل في مهامه مهمة
كليلة ظلمات مدلهمة (٤)

(١) الهزم : الذي يسمع صوت جريه

(٢) يريد أن العار لا يرد إلا بذل المرء جهوداً

مؤلمة

(٣) الدمار : كل ما يلزم المرء حمايته .

(٤) المهامة : جمع مهمة ، وهو : القفر ، وكليلة :

لا يستطيع البصر أن يحقق ما يراه فيها ،
ومدلهمة : شديدة الظلام .

بين سيوف ورماح جمّة (١)

يبني رسول الله فيما ثمة
وحديثه عن المهامة المظلمة المدلهمة ربما
فهم منه أنه أقبل من بعيد ، ولم يكن من
أبناء المدينة .

وكذلك يقول هكرمة بن أبي جهل ، من
جنود المشركين في ذلك اليوم ، يحث جواده
على الإقدام ، ويصف نفسه بالرئيس العظيم ،
وكأنه بهذا الوصف يشمر نفسه بما ينبغي
أن يكون للرئيس من صفات الشجاعة
والبساطة ، فيقول :

كلهم يزجره ، أرحب هلا (٢)

ولن يروه اليوم إلا مقبلاً
يحمل رماً ورئيساً جحفلاً (٣)

وهشام بن أبي طلحة يحمل لواء المشركين ويقول:
إن على أهل اللواء حقاً

أن يخضبوا الصعدة (٤) أو تقدفا
فهو يرى من واجب قومه أن يحاربوا
حرب المستميت ، حتى يخضبوا الرماح بدماء
أعدائهم ، أو يحطموها في صدرهم .

وشداد بن الأسود يرى حنظلة بن أبي عامر
يعطو أبا سفيان بسيفه يريد قتله ، فقتل شداد
حنظلة ، وهو يقول :

(١) جمّة : كثيرة

(٢) مما يزجر به الخيل .

(٣) رئيس جحفّل : عظيم القدر

(٤) الصعدة : القناة المستوية المستقيمة .

لاحقين صاحبي ونفسي

بطعنة مثل شعاع الشمس

ولا بد أن يكون هناك رجز كثير غير
هذا الذي حفظه التاريخ ، قاله كثير من
الجنود ، يقولون به روحهم المعنوية ،
ويدفعهم إلى القتال دفعا .

* * *

وكان نصر المشركين في هذه المعركة إجمالا
نخر شعرائهم ، يسجلونه ضمن ما يسجلون من
مآثرهم ؛ فنرى هبيرة بن أبي وهب يعد بين
ما يعد لقومه من المآثر أن كان لهم دور كبير
في معركة أحد ، إذ يقول :

نحن الفوارس يوم الجر (١) من أحد

هابت معد ، فقلنا : نحن نأنيها

هابوا ضرابا وطلعا صادقا خدنا (٢)

بما يرون ، وقد ضمت قواصمها (٣)

ثمت رحنا كأننا طارض برد (٤)

وقام هام بنى النجار يبيكها

وضرار بن الخطاب يفخر بشجاعة قومه

يوم أحد ، فيقول :

(١) الجر : أصل الجبل .

(٢) خدنا الشيء : قطعه بسرعة .

(٣) قواصمها : جمع أقصى ، وهو الأبعد . أى
اجتمع في الحرب ما تفرق .

(٤) العارض : السحاب . والبرد : ما فيه برد .

وما انتميت إلى خور ولا كشف

ولا لثام غداة البأس أو راع (١)

بل ضاربين جميعك البيض إذ لحقوا

شم العرائين عند الموت لذاع (٢)

شم بهاليل ، مسترخ حائلهم

يسعون للوث سمياً غير دعداع (٣)

وقد نثر عمرو بن العاص بانتصاره على

أهل المدينة ، وتحطيم آمالهم :

تمت بنو النجار جهلا لقاءنا

لدى جنب سلع (٤) ، والأمان تصدق

فزارعهم بالشر إلا فجاة

كراديس (٥) خيل في الازقة تمرق

أرادوا لكيما يستقيموا قبائنا

ودون القباب اليوم ضرب محرق

وكانت قبايا أومنت قبل ما ترى

إذا رامها قوم أبيحوا ، وأحقوا (٦)

وظهر في نخر المشركين القشقي والفرح

(١) الخور : الضعفاء ، والكشف : جمع

أكشف ، وهو من ينهزم في الحرب .

(٢) البيض : السيوف والحبيك : طرائفها .

وشم : مرتفعة . والعرائين : جمع عرائن . وهو

الأنف . ولذاع : يضربون ضربا لاذعا .

(٣) البهائيل : جمع بهلول ، وهو : السيد .

والاسترخاء : حائل السيف كناية عن طولهم

ودعدع : لإركض متباطئا .

(٤) سلع : اسم جبل .

(٥) كراديس : جمع كردوسة ، وهى : الطائفة

للمظيعة من الخيل

(٦) أحقوا : أغضبوا .

ويقول ضرار بن الخطاب الغمري :
 فياليت عمراً وأشباعه
 وعتبة في جمعنا السورج (١)
 فيشفوا النفوس بأوتارها (٢)
 بقتلى أصيبت من الخزرج
 وقتلى من الأوس في معرك
 أصيدوا جميعاً بذى الأضوج (٣)
 ومقتل حمزة تحت اللواء
 بمطرد مارن مخرج (٤)
 بأحد ، وأسيافنا فيهم
 تلهب كاللهب المريج (٥)
 ويقول أبو سفيان :
 وسلى الذي قد كان في النفس أننى
 قتلت من النجار كل نجيب
 ومن هاشم قرماً كريماً ومصعباً
 وكان لدى الهيجاء غير هيب (٦)
 ولو أننى لم أشف نفسي منهم
 لكانت شجاً في القلب ذات ندوب (٧)

بالانتقام ، والأخذ بشار الذين قتلوا يوم
 بدر ، بل ظهر التشفي بالتمثيل بجثمان حمزة ،
 يقول عبد الله بن الزبيرى :
 فسل المهراس من ساكنه
 بين أقباف وهام كالحجل (١)
 ليت أسيأخى يبدر شهدوا
 جزع الخزرج من وقع الأسل (٢)
 حين حكمت بقاء بركاها
 واستحر القتل في عبد الأسل (٣)
 ثم خفوا عند ذاككم رقصاً
 رقص الحفان يعلو في الجبل (٤)
 فقتلنا الضعف من أشرافهم
 وعدلنا ميل بدر ، فاعتدل
 وابن الزبيرى في هذا الشعر يفتخر بكثرة
 من قتلوا من المسلمين ، ويشير إلى المهراس ،
 وما فيه من هام بترت عن الأجسام ، ويتمنى
 أن لو استطاع أشباعه الذين قتلوا يبدر أن
 يروا كيف أخذ بشارهم في تلك المعركة التي
 قتل فيها الكثير من أشراف المدينة ، حتى
 انتقموا المعركة بدر التي هزموا فيها ، وكان
 عليهم ، أن يغسلوا عن أنفسهم بأحد طار
 هزيمتهم في بدر .

(١) المهراس : اسم موضع والأقباف : جمع
 قحف ، وهو : المعظم القدى فوق الدماغ ، والهام :
 جمع هامة ، وهى : الرأس والحجل : طائر .
 (٢) الأسل : الرماح
 (٣) البرك : الصدر . واستحجر القتل : اشتد .
 (٤) رقص : اضطرب والحفان : صفار النعام .

(١) السورج : المنقذ .
 (٢) الوتر : الانتقام .
 (٣) ذو الأضوج : موضع .
 (٤) المطرد : الرمح المستقيم . والمارن : الابن
 في صلابة ومخرج : ضارب .
 (٥) أريج : آثار الغبار .
 (٦) الثرم : السيد العظيم ، والمصعب : الفحل .
 والهيجاء : الحرب .
 (٧) الشجاء : الحزن ، والندوب : جمع ندب ،
 وهو أثر الجرح .

ويريد بالقرم الكريم من بنى هاشم حمزة
عم الرسول .

أما هند بنت عتبة وزوج أبي سفيان
فقد اتخذت من آذان الرجال وأنا فهم خلخالاً
وقلائد ، وأهطت خلخالها وقلائدها وقرطها
وحشياً قاتل حمزة ، وبقرت عن كبده فضغتها
فلم تستطع أن تسينها فلفظتها ؛ ثم علت على
صخرة مشرفة فقالت :

نحن جزيناكم يسوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سمر (١)
ما كان هن عتبة لى من صبر
ولا أخى ، وعمه ، وبكرى
شفيت نفسى ، وقضيت نذرى
شفيت وحشى ، غليل صدرى (٢)
فشكر وحشى على عمى
حتى ترم (٣) أعظمى فى قبرى
ويحس الفارى بأن شكرها الوحشى نابع
من صميم فؤادها ؛ لأنها أدركت ثأرها على
يديه ، فثبى نفسها ، وقضى نذرها .
وتحدثت عن تمثيلها بحمزة فتقول :
شفيت من حمزة نفسى بأحد
حتى بقرت (٤) بطنه عن الكبد

أذهبت هنى ذاك ما كنت أجد
من لذة الحزن الشديد المعتمد (١)

والحرب تعلوكم بشؤبوب برد (٢)
تقدم لإقداماً عليكم كالأسد
وهذا شعر يصورها مهتاجة للعواطف ،
متأججة الحزن ، حتى كأنما خرجت من
طبيعة الإنسان إلى طبيعة الوحوش الكاسرة .
ماذا كان موقف شعراء المسلمين لإزاء هذا
الفخر والتشفي ؟

لقد حاول بعض شعراء المسلمين أن يقلل
من قيمة ما يدعيه المشركون من المفاخر ؛
وأظهر ما كان ذلك فى أمر لواء المشركين ؛
فإن التاريخ يروى أن أبا سفيان قائد جيش
المشركين قال لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار
وكان لهم اللواء والحجابه ودار الندوة يحرضهم
على القتال : يا بنى عبد الدار ، لأنكم قد وليتم
لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم وإنما
يؤتى الناس من قبل رأياتهم ، إذا زلزل
زالوا ، فإما أن تسكفونا لواءنا ، وإما أن
تخلو بيننا وبينه فسكفكموه ، فغضبوا ،
وقالوا : ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع ؛
وهكذا نجح أبو سفيان فيما أراد .
(يتبع)

دكتور أحمد أحمد بروى

(١) لذت النار الشيء : أحرقته . والمعتمد :
الذى يعتمد إليه القلب .
(٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر . والبرد :
ذو البرد (بتفتح الراء) .

(١) السمر : الجنون .
(٢) الغليل : الحقد وحرارة الحزن .
(٣) ترم : تبلى .
(٤) بقرت : شقت .

مِنْ نَحْوِ تَجْمَعِ الْبَحْثِ

ملكية الأفراد للأرض ومنافعها في الإسلام

د. استاذ محمد السائس

الشخص وما يملكه كثيرا ما يطلق على الشيء المملوك .

وحصر ما يملك من الأشياء في ثلاثة :
١ — الأعيان وهي الأشياء المحسة من عقار أو منقول .

٢ — المنافع وهي ما يقصد من الأعيان .

٣ — الحقوق المتعلقة بالمال كحق المرور

مثلا أو بغيره كحق الحضانة . وقسم الأعيان بالنسبة لقابلية التملك إلى ما لا يقبل التملك أو التملك بحال وهو ما كان خاصا بالمنافع العامة ما بقيت له صفة العموم وما يقبله بمسوخ شرعي كالعين الموقوفة إذا زادت نفقاتها على ما تغله . وما يقبله بلا قيد وهو ما عدا النوعين ثم قسم الملك إلى : تام : وهو ما يقع على الشيء ومنافعه جميعا : وإلى ناقص : وهو ما يقع على أحدهما العين أو المنفعة ووضح خصائص النوع الأخير من كونه يقبل التغيير بالزمان والمكان والصفة . ولا يقبل التوارث الخ هذه

موضوع البحث الذي تقدم به فضيلته الدكتور في دورته الأولى . وقد مهد له ببيان الحكمة من اختلاف الله الإنسان على الأرض وهي تعميره لها . الأمر الذي كان لا يمكن أن تقوم له قائمة بغير تعاون أفراد الجماعة الإنسانية على النحوض بأعبائه الثقيلة مع ما بين هؤلاء الأفراد من اختلاف في القوى والميول والمشارب قضى ألا تسقط حياة هذه الجماعة بغير دستور يحدد حقوق أفرادها وواجباتهم . فكان الدستور الإنساني العام بمبادئه الخمسة . حفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال : الذي أقرته جميع الشرائع السماوية والوضعية . والذي من المبدأ الأخير فيه تولدت نظرية الملكية

ثم بين الملكية في عرف اللغويين والقانونيين والفقهاء بما لا يخرجها عن كونها اختصاصا لإنسان بشيء على وجه يمكنه من التصرف فيه دون غيره إذا لم يوجد مانع من ذلك : وهذا الملك كما يطلق على العلاقة النسبية بين

الأرض ومنافعها مع بعض ما أورده من الأحاديث والآثار التي تؤيد هذه الملكية .

الملك التام خصائصه وأسبابه :

١ — من تعريف الملك التام السابق يثبت للمالك مطلق التصرف في العين ومنافعها بكافة التصرفات المشروعة من بيع وإجارة وإعارة وغيرها . وهذه الحرية المطلقة للمالك لا تقتيد إلا بأمرين : الأول عدم الإضرار بغيره فردا كان ذلك الغير أو جماعة ، الثاني أن يكون تصرفه في نطاق الأوامر والقرارات التي تصدرها السلطات الحاكمة تحقيقا للصحة العامة ويشمل ذلك نزح الملكية للمنفعة العامة والاستيلاء المؤقت على العقار في حالة حصول غزو أو قطع جسر وتقيود المفروضة لصالح الأمن أو الصحة العمومية كالقيود المختصة بالتنظيم وإنشاء العزب والزرائب والمحلات المعلقة للراحة والمضرة بالصحة والخطرة وإقامة الآلات الرافعة وتركيب الآلات البخارية والقيود المفروضة لصالح الزراعة الملزم باتباعها مالكو الأرض المجاورة للترع والمصارف ونحوها .

والقيود الموضوعة لحفظ وإنماء الثروة الأهلية كالقيود الخاصة بالمناجم وحماية الآثار التاريخية وتحرير بعض المزروعات .

الخصائص كما وضع الأسباب التي بها ينتمي هذا النوع من الملك وذكر أن من الملك الناقص حق الارتفاق : وهو الحق المقرر على عقار لمنفعة عقار آخر يملكه لغير مالك العقار الأول : كحق الشرب والمرور وبين أيضا ما يثبت به هذا الحق . من الشركة العامة كما في الطرق والأنهار . ومن النقص عليه في عقد المعاوضة إلى غير ذلك .

وختم هذا التمهيد ببيان خصائص الملك التام وأسبابه . وموقف الإسلام من حرية الملك عامة .

ثم انتقل بعد ذلك إلى بحث ملكية الأفراد للأرض ومنافعها في الإسلام . فأورد النصوص القرآنية التي تثبت أن ملكية الأرض كانت موزعة بين الأفراد في جميع العصور ولدى جميع الدول وفي الديانات المتعاقبة ، يقبضون ملكيتها ويتوارثونها حسبما تقضى به شرائعهم ونظمهم . وأتبعه بإيراد بعض الأحاديث والآثار الدالة على أن الأرض كانت مملوكة للأفراد يفتقون بها بكل وجوه الانتفاع . ثم ساق بعض نصوص فقهاء المذاهب الأربعة المتعلقة بهذا الموضوع .

* * *

وإليك جزء هذا البحث الخاص . بأسباب الملك التام وخصائصه . وموقف الإسلام من حرية الملكية عامة وملكية الأفراد

والوصية تحصل الخلافة من الميت حتى كأنه حتى لا الانتقال حتى ملك الوارث الرد بالعيب دون المشتري أى المشتري من المورث الذى مات . فالأسباب ثلاثة مثبت للملك وهو الاستيلاء وناقل للملك وهو البيع ونحوه وخلافه وهو الميراث والوصية ومن هنا نعلم أن أسباب الملك التام ثلاثة :

- ١ — الاستيلاء على المال المباح .
- ٢ — العقود الناقلة للملكية من بيع وهبة مثلاً .

٣ — الخلافة : أن يقوم شخص مقام شخص فيا كان يملكه ويخلفه فيه كما فى الإرث ولا تعتبر الشفعة وهى حق تملك العقار جبرا على المشتري بما قام عليه لانهاهى حق التملك وليست هى التملك .

وحقيقة التملك إنما تكون بالتراضى أو بقضاء القاضى ومرده إلى العقد بإقامة القاضى مقام الممتنع المحجر وكذلك لا يعتبر التولد من المال المملوك سببا جديدا لإفادة الملك فى التولد أو المستفاد من المملوك لأن من خصائص الملك التام كما قدمنا أن يكون المال بمنافعه وثمراته المتصلة والمنفصلة ملكا لصاحبه مقصورا عليه لا يشاركه فيها أحد فيكون ملك ما تولد ثابتا بالسبب الأول الذى ثبت به الملك فى أصله فن ملك حيوانا بعقد أو يارث فإنه يملك ذاته وما ينتج منه

٢ — للمالك حق الانتفاع بالشيء المملوك بأى وجه من وجوه الانتفاع غير متقيد بزمان ولا مكان ولا بشكل معين ما لم يكن ذلك محرما شرعا كأن يجعل دائره ناديا للعقار .

٣ — أن هذا الملك غير مؤقت ؛ فلا ينهى إلا بهلاك العين المملوكة أو بانتقاله إلى غيره بالوراثه إذا مات المالك أو بتصرف شرعى ناقل للملكية كالبيع والهبة .

٤ — أن ملكية الأعيان لا تقبل الإسقاط لأنه لا سائبة فى الإسلام .

أسباب الملك التام :

من المفيد هنا أن ننقل ما جاء فى البحر نقلا من كتاب الحاوى للبقدسى ونصه :

الملك : الاختصاص الحاجز وأنه حكم الاستيلاء لأنه به ثبت لا غير إذ المملوك لا يملك لأن اجتماع المالكين فى محل واحد محال فلا بد وأن يكون المحل الذى ثبت فيه الملك خاليا عن الملك والخالى عن الملك هو المباح والثبت للملك فى المباح الاستيلاء لا غير وهو طريق الملك فى جميع الأموال لأن الأصل الإباحة فيها وبالبيع والهبة ونحوها ينتقل الملك الحاصل بالاستيلاء إليه فمن شرط البيع شغل المبيع بالملك حالة البيع حتى لم يصح فى مباح قبل الاستيلاء ومن شرط الاستيلاء خلو المحل عن الملك وقته وبالإرث

يدخل في ملك يحترمه الشارع ولم يوجد ما يمنع شرعا من تملكه ومال هؤلاء غير محترم في نظر الإسلام في حالة الحرابة .

والناقل للملكية هي العقود والخلفية فإن هذين لا يثبت بهما ملك الشخص إلا إذا كان المال الفنى ورد عليه العقد أو الميراث مملوكا من قبل فالملك المباح لا يكون محلا لعقد من العقود كما لا يكون ميراثا لأحد .

وبهذا يظهر أن أول أسباب الملك وجود الاستيلاء على المباح ثم بعد ذلك يحى النقل بالعقد أو الإرث . وتنقسم ثالثا إلى فعلية وقولية واعتبارية شرعية — والاستيلاء سبب فعلى لا يتحقق إلا بالفعل ولهذا يصح من ناقص الأهلية كالصبيان والمجنون عليه فإذا استولى صبي ولو غير بمنزلة أو مجنون عليه أو مجنون على مباح استيلاء حقيقيا صحيحا ملكه مع أن العقود الصادرة من هؤلاء قد تكون باطلة أو موقوفة على إذن الولي .

والعقد سبب قولى في غالب صوره لأن الأصل فيه أن يكون بالقول وقد يتحقق بالفعل نيابة عن القول كما في الكتابة أو الإشارة وشرط إثباته الملك أهلية العاقد الكاملة .

والإرث يثبت الملك من غير فعل ولا قول من الوارث أو المورث فهو سبب

في المستقبل لأن النتائج حين وجوده يكون كالجزء المنفصل فلا يحتاج إلى سبب جديد . ثم إن لهذه الأسباب أوصافا مختلفة تنقسم باعتبارها ثلاثة تقسيات ، فتقسم أولا إلى اختيارية وجبرية أما الاختيارية فهي الاستيلاء على المال المباح والعقود ، والجبرية هي الخلفية التي تتحقق بالميراث فإن هذا السبب يثبت الملك فيه جبرا على كل من المورث المالك السالف والوارث الخليفة عن المورث فإن الشارع جعل الوارث يحمل محل المورث في ملكه المنتهى فالملك الجديد امتداد للملك القديم ولهذا لا يشترط قبوله ولو رده لا يرتد بالرد والذي يثبت فيه الملك بهذا السبب هو المال الباقي بعد تجهيز الميت وسداد ديونه وتنفيذ وصاياه وهلى هذا تكون الخلافة في ملك الباقي فقط وليست خلافة في كل شئ ؛ فلا يلزم الوارث بسداد دين الميت في ماله الخاص إذا لم تف تركته بديونه .

وتنقسم ثانيا إلى ما هو منشى للملكية وناقل لها من شخص إلى شخص آخر فالمشئ للملكية هو الاستيلاء على المال المباح فإن المال المباح لا يوصف قبل الاستيلاء عليه بالملوكية ويدخل في هذا السبب الاستيلاء على الغنائم الحربية ؛ لأن أموال الحربيين تعتبر مباحة لأن المال المباح هو الذى لم

لأحد مباحة والمباح لا يحتاج في تملكه إلى إذن من الإمام . ولأن الحديث الذي بين الطريق التي تملك بها الأرض المباحة لم يقيد ذلك بالإذن . ولفظه كما جاء في صحيح البخارى عن عائدة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أحرر أرضا ليست لأحد فهي له) . ويرى أبو حنيفة أن الملك لا يثبت بمجرد الإحياء بل لابد من إذن الإمام أو نائبه . لأن الأرض وإن كانت مباحة إلا أنه قد يتزاحم الناس عليها فتقع الشجنا بينهم . فمنعنا لهذا يشترط إذن الإمام ؛ لأنه بما له من الولاية العامة يستطيع قطع أسباب الخصام فلا يأذن إلا بما ليس فيه ضرر . ويشهد له حديث : ليس للبر إلا ما طابت به نفس الإمام . والخلاصة أن الاستيلاء على الأرض المباحة كاف لتملك إن لم تكن هناك مظنة تنازع أو تزاحم ولم يكن هناك منع عام من الإمام وأنه لابد من إذن الإمام إن خيف التنازع والخصام . وعلى ذلك فليس في مصر الآن أرض موات بالمعنى الذى عنها الفقهاء ؛ لأن أراضيها غير المملوكة للأفراد أو الشركات والموقوفة لمملوكة للدولة ولها وحدها حق تملكها لمن تشاء بعوض أو بغير عوض . ونسوق بعد ذلك كلمة في احترام الشارع للملكية بوجه عام وتقريره لحريتها وحرمتها .

اعتبارى جعله الشارع موجبا للملك من غير أن يكون لأحد دخل فيه ؛ ولذلك يثبت للصغير والكبير والمميز وغير المميز بل يثبت للجنين في بطن أمه .

هذا وموضوع البحث وهو ملكية الأفراد للأرض ومنافعها يقتضينا أن نخص السبب الأول وهو المثلث للملكية بالبحث لأن نشأة الملكية الأرض منذ بدء الخليقة ترتبت عليه فإن الله سبحانه وتعالى امتن على عباده بأن جعل لهم الأرض جميعاً أى الأرض وما فيها بأن يراد بالأرض ناحية السفلى بدليل المقابلة بالسماء دشم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، واللام للملك والاختصاص وقال تعالى : ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون .

وقد استدل العلماء بالآية الأولى على إباحة الأشياء قبل ورود الشرع والملك في الحقيقة لله سبحانه وسكن الله الغنى تفضل على عباده المحتاجين للائتماع بمخلوقاته من الأرض وغيرها بإباحتها لهم وتمليكها لهم إن أحيوها واستولوا عليها على ما يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم : (الأرض أرض الله والعباد عباد الله من أحياء أرضا مواتا فهي له) والإحياء يكفى أن يكون وحده حبيبا لذلك بدون حاجة إلى إذن السلطة الحاكمة ؛ لأن الأرض الغير مملوكة

حرية الملكية :

من الضروريات الخمس التي أجمعت الشرائع السماوية على وجوب حفظها وقررت احترامها وحرمتها المال ، ففي الحديث : كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه - لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه .

وقد كفل الإسلام حرية الملكية بأحكام شرعها :

فأولا : جعل التراضي والرضا أساسا للبياعات المالية فكل ما شرعه الله من التصرفات التي تفيد نقل ملكية العين أو منفعتها من بيع وإجارة وإعارة جعل أساس صحته ونفاذه حرية المتصرف ورضاه واختياره قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم .

ثانيا : نهى الله ورسوله في مواضع هذة عن التعدي على مال الغير وأخذه من ماله بغير حق قال تعالى : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون . وقال : إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا .

ثالثا : ضمانا لحرية الملكية وتأمينا للناس

على أموالهم قررت الشريعة عقوبة السارق وتضمن الغاصبين . قال تعالى : د والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم .

وفي الحديث (لا يحل لأحد أن يأخذ متاع أخيه لاعبا ولا جادا فإن أخذه فبرده عليه) وفي حديث آخر على اليد التي أخذت أن ترد .

ومما يؤكد حرمة الملكية قوله صلى الله عليه وسلم لمن كان يغبن في البياعات إذا بايعت فقل : لا خلافة ولي الخيار ثلاثة أيام . ونهى صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر ، فإن في شرعية الخيار والنهي عن بيع الغرر ضمنا لتحقيق رضا المالك بالتبادل وعدم خروج المالك من ماله وفي نفسه شبهة قهراً أو خداع له وكذلك تقرير حق الشفعة دفعا للضرر عن الجار أو الشريك ، مما يؤكد احترام حق الملكية وإحاطة المالك بما يدفع عنه الضرر ، وتقرير حقه في الانتفاع بملكه على أحسن الوجوه ، وصيانتها مما يتوقع من إضرار .

وقد آن لنا أن ننتقل بعد هذا التمهيد إلى بحث ملكية الأفراد للأرض ومناقبها في الإسلام .

(للبحث بقية)

محمد السائس

الملكية الفردية وتحديدها في الإسلام

للأستاذ علي الخفيف

- ٣ -

موقف الشريعة الإسلامية من النوعين :
لعلنا فيما مضى من بيان قد تبيننا أن
الإسلام حين ظهر بجزيرة العرب أقر الملكية
بنوعها الفردية منها والجماعية فأما لإقراره
الفردية منها فهو مما يصح أن يقال فيه إنه مما
يعلم من الدين بالضرورة ومعنى ذلك أن إقراره
أيهاا يتجلى فيما نزل من آيات وفيما فرض
من فرائض وفيما نذب إليه من صدقات
ومسكنا على وضع يزول معه كل شبهة وريبة
وأما إقراره الملكية الجماعية فهو ظاهر في
المساجد إذ جعلها لله تعالى وليس معنى ذلك
إلا أنها لجماعة المسلمين يؤدون فيها عبادتهم
وشعائهم وظاهر في الوقف حين شرعه
لتوجه غلاته ومنافعه إلى سبل الخير العام
أى إلى مصلحة عامة لجماعة المسلمين ، وظاهر
فيما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من قسمته
غنائم خيبر نصفين جعل أحدهما للزواجب
والوفود التي تفد على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلى المسلمين كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق .
وظاهر فيما حماه صلى الله عليه وسلم من
الأرض لخييل المسلمين التي يحملون عليها حين
يغزون في سبيل الله . وقد أشرنا فيما مضى

إلى أنه صلى الله عليه وسلم قد حمى النقيع لهذا
الغرض فكان للمسلمين عامة وكذلك أشرنا إلى
أن هذا الأمر يدل على أنه كان لجماعة المسلمين
من الخييل التي يحملون عليها ما اقتضت المصلحة
أن يحمى لها من الأرض . وكذلك كان شأن
الملكية في الفئ والغنائم قبل قسمتها في الناس
إذ كان الملك فيها حينئذ لجماعة المسلمين بما كان
يسوغ لبعض الصحابة أن ينعت به بأنه مال الله
وليس يريد إلا أنه مال المسلمين جميعا وهذا
هو المعنى الذي تمسك به أبو ذر رضي الله عنه
وحمل معاوية بن أبي سفيان وهو أمير الشام
يومئذ من قبل عثمان رضي الله عنه على إظهاره
وذلك حين سمعه يقول : إن المال مال الله
فقال له : لا تقل ذلك وما الذي يدعوك إلى
أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ فقال له
معاوية يرحمك الله يا أبا ذر أسأنا عباد الله
والمال ما له ؟ فقال أبو ذر : لا تقل ذلك (١)
وأصر على رأيه مخافة أن يتخذ قول معاوية
ذريعة إلى احتجاز هذا المال عن أصحاب
الحقوق فيه من المقاتلة والجند وإلى استبداد
ولى الأمر بالتصرف والتدبير فيه بحسب

(١) الطبري ج ٣ (٢٢٠) .

من أن تكون رعايتهم لهذا المال قائمة على أنه مال الجماعة أو مال الله دون ملاحظة حق لكل فرد فيه - وهذا ما يحل معنى الملكية الجماعية في نظر الإسلام وأنها للأفراد مشتركين لا للهيئة بوصف أنها هيئة لها شخصية اعتبارية ولها ملك هذا المال ولها حقوقه . ولم تجعل الشريعة الإسلامية لكل من هذين النوعين نطاقا لا تتجاوزه بل كان كل مال في نظرها صالحا لأن يكون ملكا لفرد أو ملكا لجماعة وذلك ما تدل عليه الآثار التي أوردناها فيما سبق وقد استثنى من ذلك الماء والكلاء والنار وكذلك الملح وذلك لحديث أبي خراش أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المسلمون شركاء في ثلاثة في الماء والكلاء والنار) رواه أحمد وأبو داود ورواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وفي رواية (الناس شركاء في ثلاثة في الماء والكلاء والنار) وقد دل على أن الناس شركاء في جميع أنواع الماء من غير فرق بين المحرز وغيره ولكن هذا العموم مخصوص بالإجماع إذ قد قام الإجماع على أن الماء المحرز لمحززه وكذلك دل على شركة الناس في الكلاء وهو النباتات رطبه ويابس وشركاء في الاستضاءة بالنار والالتفاف بلهجا وأما الشركة في الملح فلحديث بهية عن أبيها أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيء الذي لا يحل منعه فأجابته : (الملح) رواه أحمد وأبو داود (١)

(١) نيل الأوطار ٥ (٢٥٧) ، (٢٥٨) .

رأيه دون مساءلته في ذلك من أحد وليس الأمر كذلك بل المال مال المسلمين لسلك منهم فيه حق وله أن يسأل الخليفة أو ولي الأمر عنه بناء على هذا الحق . وذلك ما كان عمر رضي الله عنه يقرره إذ كان يقول : ما أحد من المسلمين إلا وله في هذا المال حق أعطيته أو منعه (٢) . ويقول من أراد أن يسأل عن ذلك المال فليأتني فإن الله تبارك وتعالى جعلني له خازنا وقاسما (٣) .

وهذا ما يدل على أن الإسلام حين أقر هذه الملكية الجماعية إنما أقرها على أساس أنها ملكية لجماعة مكونة من أفراد تتعلق بمال لكل منهم حق فيه يخول له ضربا من القيام عليه يظهر في طلب المحاسبة عليه قسمة ورعاية وحفظ كما يفرض عليه أن يقوم على رعايته وحفظه ما وجد إلى ذلك سبيلا . ولذا كان عمر رضي الله عنه يوصي رجاله الذين أقامهم على حفظ هذا المال أن يلاحظوا أنه مال للمسلمين لسلك منهم فيه حق ويقول فيما رواه زيد بن أسلم عن أبيه : لا يترخص أحدكم في البرذعة أو الحبل أو القتب فإن ذلك للمسلمين ليس أحد منهم إلا وله فيه نصيب فإن كان لإنسان واحد وآه عظيما وإن كان لجماعة المسلمين ارتخص فيه (٤) بهذا يحذرهم

(١) الأموال لأبي عبيد (٢٢٣) .

(٢) الأموال لأبي عبيد (٢١٣) .

(٣) الأموال لأبي عبيد (٢٦٨) .

ليس لمثل هذا طلبت الأرض أو ملكك وعلى ذلك يكون أمرها إلى الإمام يستغلها بعالمه لمصلحة المسلمين إن رأى المصلحة في ذلك أو يقطعها من شاء إقطاع انتفاع مؤقت بمدة أو بحياة من أقطعها نظير مال يصرف في مصالح المسلمين فإذا انتهت المدة رد الأمر فيها إلى الإمام لا فرق في ذلك بين ما يوجد في أرض مملوكة وما يوجد في أرض غير مملوكة ولا بين نوع ونوع وجاء في منح الجليل الشيخ عايش أن أساس هذا الحكم هو المصلحة العامة إذ أنها تقتضي ذلك .

أما ما يحتاج إلى عمل ومثونة في إظهاره واستخراجه فإن منفعته تكون لمن كان ذلك منه بما استحدثه من ماله د الأم ٣ (٢٦٥) . ومن هذا يتبين أن مجال الملكية الجماعية في الأموال لا تحده حدود في الشريعة الإسلامية وأن مجال الملكية الفردية بناء على ما ذكره الشافعي رضي الله عنه لا يتناول من الأموال ما كان قائما في محله باديا لكل من قصد إليه بحيث لا يتطلب في الحصول عليه نفقة ولا جمدا ولا عملا ومنفعة عامة تتطلبها مصالح المسلمين . ويجب أن يلاحظ مع هذا أن عدوان إحدى المملكتين على الأخرى محظور محرم فلا يجوز أن يملك الفرد ما كان ملكا للجماعة مخصصا للنافع العامة إلا إذا خرج عن ذلك بالاستغناء عنه فعند ذلك يجوز تملكه بعوضه على أن يقوم بهذه المبادلة ولي الأمر متحريرا

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال : (الملح والماء والنار) ، رواء ابن ماجه وألحق الشافعي رضي الله عنه بذلك ما يوجد في الأرض مما ترى منفعة بادية وفي متناول من يطلبها دون جهد منه أو عمل من كل معدن ظاهر كالذهب والتبر وغيرهما والنبات والماء مما لا يملكه شخص معين ولا يحتاج في إظهاره وإدراكه إلى مثونة فإن الناس جميعا يكونون في ذلك سواء لا يختص به واحد من الناس بإحياء أو إقطاع من ولي الأمر بل يكون شأنه شأن الماء والكلا والنار والغايد إليه شريك فيه كشرκτη في الماء والكلا الذي ليس في ملك أحد - قال الشافعي ومثل هذا كل عين ظاهرة كنفط أو قار أو كبريت أو حجارة ظاهرة في غير ملك لأحد فليس لأحد أن يحتجزها دون غيره ولا لسلطان أن يمنعه لنفسه ولا لخاص من الناس (١) .

ويرى المالكية في أشهر أقوالهم أن ليس شيء من الماعدان في محالها د مناجها ، مالا مباحا حتى يتملكها من يستولى عليها وإن كان استيلاؤه عليها لم يحدث إلا بعمل قام به أو بنفقة أنفقها في سبيله وإنما هي ملك للمسلمين جميعاً نتيجة قيامهم على ما وجد فيها من الأرض قيام ولاية وحماية ولا تعد تابعة لأرضها مملوكة لصاحبها نتيجة تملك أرضها إذ (١) الأم ٣ (٢٦٥) وما بعدها إلى (٢٦٦) .

على بعضهم وبذلك يشترك كل قادو في دفع ما ألم بالامة بما يجب دفعه .

الملكية وظيفه اجتماعية:

جاء القرآن الكريم بما يدل على أن لله ما في السموات وما في الأرض له ملك ما فيها وأنص على ذلك في آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى : **وَالأَرْضُ لِلَّهِ أَتَى أَنْ لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ، (يونس ٥٥) وقوله : **وَقُلْ لِمَنْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ قُلْ لله** ، (الأنعام ١٢) وقوله : **وَأَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ لله لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ، البقرة (١٠٧) فدل بذلك على أنه سبحانه وتعالى مالك لجميع مصادر الثروة ومالك للثروة نفسها ومالك لها على ظهر الأرض من مال أيا كان نوعه . ولم يخلقه ويملكه لحاجته إليه فاقه هو الغنى عما سواه وإنما خلقه وجعله للإنسان قال تعالى : **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا** ، (البقرة ٢٩) وقال : **وَأَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ يَجْعَلُ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ** ، (الحج ٦٥) وقال : **وَأَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ، (لقمان ٢٠) فكان للناس جميعهم كل منفعه وكان فيهم سداد هوزهم وقياسهم وكان اختصاص الإنسان به وانتفاعه بشمراته صورة تمثل الملكية العامة الشائعة التي أسس عليها عمل الفرد فيه وانتفاعه به

ألا يكون فيه غبن كما لا يجوز لولى الأمر أن يعتدى على ملك فرد من الأفراد فليس له أن يجمعه في منفعة عامة يملكها لجماعة المسلمين إلا إذا تطلبت مصلحة المسلمين ذلك فيأخذه الإمام عن رضا أو عن قهر يبده دون غبن على صاحبه وذلك لأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة وذلك ما حدث في توسعة المسجد الحرام حين ضاق على الناس في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد كانت دور الناس محدقة به من كل جانب عدا فتحات يدخل منها الناس إليه فاشترى عمر دورا منها وأبى عليه أصحاب الدور الأخرى فأخذها منهم قسرا ووضع قيمتها بخزانة السكة وأدخل الجميع المسجد وظلت القيمة بالخزانة إلى أن أخذها أصحابها ثم كثر الناس في عهد عثمان وضاق عليهم المسجد مرة أخرى فأراد توسعته فاشترى من قوم وأبى عليه آخرون فأخذ دورهم جبرا وعزروهم ؛ لأنه ليس للمالك أن يأبى حين يدعو إلى بيع مملكته داعى المصلحة العامة فإذا أبى كان إياؤه ظلما فيدفع . وليس يجوز أن يؤخذ ملك لإنسان بلا عوض لمصلحة عامة بل يجب تعويضه من بيت مال المسلمين فإن لم يكن فيه ما يقوم بذلك كان لولى الأمر أن يفرض على القادرين من الوظائف المالية ما يقوم بحاجة الدولة ويدفع ما نزل بها بالقسط المستقيم فيعم بذلك جميع القادرين كلا بقسطه ولا يقصره

فانتفع الناس به جميعاً في البداية بلا اختصاص
وكان انتفاع الفردية على هذا الوضع . ثم
ظهرت بعد ذلك الملكيات الفردية فأقرها
المجتمع ولم يعارضها إذ كانت أمراً شائعاً في
الناس دعت إليه حاجتهم وغريزتهم وكان
قيام أصحابها بها بعد الإباحة العامة برضا
الناس وإقرارهم قيام خلافة ونيابة عن المجتمع
بهذا الاعتبار وكان الفرد على هذا الأساس
عاملاً في مال الجماعة نيابة عنها وقد كلفه الله
سبحانه وتعالى بالعمل فيه قال تعالى : « وقل
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم
بما كنتم تعملون » (التوبة ١٠٥) ولهذا
التكليف وجب عليه أن يعمل في نطاق
إرادته ومواهبه وقوته وكان سلطانه في عمله
هذا وولايته فيه يمتدأ بامتداد مواهبه
وقدرته وكانت ثمرة عمله بحكم ذلك ثمرة
استخرجها من مال الجماعة فكان له فيها حق
كما أن تلك الثمرة من ناحية أخرى هي لله
تعالى آتاه إياها واستخلفه فيها بدليل قوله
تعالى : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ،
(الحديد ٧) وفي بيان معناها يقول الزحشرى :

يعنى أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال
الله بخلقه وإنشائه لها وإنما مواهبكم إياها
وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاءه في
التصرف فيها فليست هي بأموالكم في الحقيقة
وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب

ومن ذلك يتبين أن الملكية وبخاصة
الفردية وظيفه اجتماعية : المالك فيها أمين
وخازن فيما يحوزه من مال الله تعالى أو من
مال مجتمعه . فإذا ما تجاوز ما وضع له
في القيام عليه من حدود فتلجأ جرثومة الفساد
ومصدر ما يأتيه الناس في أموالهم من مظالم

لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون، (البقرة ١٨٨) وقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم، (الفساء ٢٩) وقوله تعالى: د وأكلهم أموال الناس (النساء ١٦١) وقوله: د وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى، (سبا ٣٧) وقوله: د واهلوا أنما أموالكم وأولادكم فتنة، (الأنفال ٢٨) وغير هذه كثير وعلى هذا الأساس حاج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من حاجه في الحى قائلا: حيث بلادنا قاتلنا عليها في الجاهلية وأسلمنا عليها في الإسلام فقال عمر: د البلاد بلادا لله ونعمى لنعم الله ويحمل عليها في سبيل الله، الأموال لأبي عبيد ٢٩٩- لإقرار الملكية الفردية وحمايتها:

المواطن مختلفة للسان متغيرة في العادات والتقاليد منقطعة الصلة فيما بينها في بعض الأحوال مما يدل على أنها كانت أثرا لطبيعة من طبائع الإنسان وغريزة من غرائزه وأنها نظام قد واهم فطارته وسائر تطوره واتسق مع ما انتهت إليه مجتمعاته من أوضاع ونظام وتقاليد.

واقصد استمرار قيام هذا النظام وانتشاره وشموله إلى أن ظهر الإسلام فكان له من نظره ما كان لغيره من الأنظمة والعادات والتقاليد التي واجهها الإسلام عند ظهوره وهو نظر

وطفيان وفساد - وأن هذا المعنى ليسمو هند بعض الأفراد ويستولى على النفس حتى يرون حرجا في تخير ما ينفقون وفي تقدير ما يبذلون كما حدث ذلك لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فظفّقوا يسألونه ماذا ينفقون، مما أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من موضع مثل قوله تعالى: ويسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير ففلو الذين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل، البقرة (٢١٥) وقوله تعالى: د ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو، البقرة (٢١٩) -

ونبابة الفرد في هذا القيام على ماله نيابة تقوم على أهليته لذلك العمل بما منحه الله فيه من عقل ونظر كما قدمنا، فوجب أن يكون عمله فيه موجها إلى الخير ووضع موضعه وإتقائه في وجوهه وإتمامه بالطرق المشروعة، ولذا جاءت الشريعة بإخراجه من هذه الولاية وغل يده إذا أساء التصرف فيها لسفه أو غفلة أو أصابته آفة أعجزته أن يقوم بذلك. وفي ذلك بزل قوله تعالى: د ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما، (سورة النساء ٥) ولهذا المعنى أضاف القرآن الأموال في حديثه عنها إلى الله سبحانه وتعالى وإلى جماعة المخاطبين كما يرى فيما ذكرنا من الآيات سابقا، وكما يرى في قوله تعالى: د ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام

الإسلام إلى إقرارها مع الإصلاح لأنها كانت هي النظام العام الذي قامت عليه حياة المجتمعات على تعددها واستقرت عليه نظمها الاقتصادية على اختلافها . ولم يكن من إقرارها بدخلى يستمر للحياة الإنسانية سيرها ويستقر لها وضئها واتجاهها إلى غايتها وحتى يحصل الناس منها على ما يرغبون من منافعها ويسعون إليه من ثمراتها وحتى تظمن نفوسهم ويمضون بحماس إلى أهدافهم بجميع ما لهم من قوة .

من هذه الناحية كانت الملكية الفردية ضرورة اجتماعية أقرها الإسلام لذلك وأضنى عليها حمايته ثم كان في غنى عن أن يأمر بها وأن يحض على التزامها وعلى الاستمسك بنظامها وأن يجعلها واجبا دينيا يجب إليه السعى قصداً فتركها على ما هي عليه أمراً مباحاً تهدي إليه الطبائع البشرية ولا بد أن يوجد ويقوم نتيجة للفرائض التي فطر الإنسان عليها فعنها يحصل الإنسان على ما يقيم به حياته والحصول عليه واجبا تجنياً لله ولكه وبعداً عن الفناء . ولقد أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه بالعمل فقال : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » التوبة ١٠٥ ، وأمر بالسعى فقال : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » (الجمعة ١٠) ، وقال : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها

يهدف في واقعه العام وفي غرضه الأساسي إلى الإصلاح والتهديب لا إلى الهدم والنقض إلا أن يكون الشر خالصا والخبث غائر الجذور والفساد لا يشوبه صلاح فعند ذلك يعود إلى النقض والهدم والتجريم والمنع .

ولم تكن الملكية الفردية مع كفاليتها بتوفير الحاجات وموافقتها لسلم الطباع ومع تأسيس النظام القائم عليها وبقائها على مرور الزمن وانقضاء العصور دعامة من دعائم الحياة الاجتماعية بالأمر الخير الذي لا يخالطه شر ولا بالشر المحض الذي لا يرى فيه خير بل كانت كغيرها من النظم نظاما فيه النفع وفيه الإصلاح وفيه الشر والإثم إذ قد يؤدي في أحوال إلى تمزيق المجتمع بقسمته إلى طبقات متصادمة كما قد يتخذ ذريعة إلى شرور وفساد وتآكل واستعباد وإهدار الحقوق واكتناز للأموال .

لذلك حمد الإسلام إلى أن أقرها مع الإصلاح والتهديب بما يحول دون أن تتخذ مصدر لاضطراب وفساد وتنازع وصدام ، وسبيلا إلى جعل المجتمع طبقات متنازعة متنافرة ودون أن تتخذ ذريعة إلى إشباع الشهوات والانغماس في الترف والملاذات وطريقا إلى التسلط والظفیان . وذلك بما سنه لها من نظام وشرعه لها من أحكام ودعا إليه فيها من فضائل وحض عليه من بذل ومواساة ، وعمد

٦٥) وقوله تعالى: «وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم. وظل من يحموم. لا بارد ولا كريم. إنهم كانوا قبل ذلك مترفين، (الواقعة ٤١ إلى ٤٥) كما جعله باعنا على الظلم والإجرام فجاء فيه قوله تعالى: «واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين» (هود ١١٦).

وفي سبيل تحريم التمييز والإسراف جاء قوله تعالى: «ولا تبذر تبذيراً. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً» (الإسراء ٢٦، ٢٧).

وفي تحريم الاعتداء جاء قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض معلن» (النساء ٢٩) وقوله تعالى: «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم» (البقرة ١٨٨) وأمر بقطع يد السارق فقال: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا تنكلاً من الله» (المائدة ٣٨) وبذلك وأمثاله صيغت الملكية الفردية من أن تمس إلا بحق فيها أو بواجب فرضته الشريعة الإسلامية في أموال الناس لتطهرهم وتزكهم وتدفع عنهم وتقويهم بما يهرب أعداءهم.

(للبحث بقية)

على التخييف

وكلوا من رزقه وإليه النشور» (تبارك ١٥) والأمر يتجنب الهلكة أمر بما به تجتنب ولا طريق إلى تجنبها في مجال الافتيات، إلا بالملكية الفردية فكان ذلك أسراً بها في هذا النطاق أى في سبيل المحافظة على الحياة وضرورتها — عليه تسكون هذه الملكية واجباً بقدر ما به يدفع الضرر وهو ما يعرف في الإسلام بمراعاة الضروريات ووجوب المحافظة عليها لأن الوسيلة إلى الواجب تعد واجبة بوجوبه أما الوسيلة إلى غيره فلها حكم ما تقضى إليه من مندوب أو مكروه أو محرم. وعلى ذلك تسكون الملكية الفردية بالنظر إلى ما سبق مما يعتريه الأحكام الشرعية وهي الوجوب والندب والإباحة والكراهة والتحريم وذلك بحسب ما تقضى إليه من ذلك شأن كل مباح يفضى إلى شيء من ذلك.

واقعد أضفى عليها الإسلام حمايته كما أشرنا إلى ذلك آنفاً فصانها من العبث بها إذ حرم اتخاذها وسيلة للترف الممقوت والفسق البغيض والميلذات الرخيصة والإسراف المرذول والاعتداء الظالم والأكل بالباطل. ففي سبيل تحريم الترف جعله القرآن سبباً لنزول العذاب بأصحابه وحرمانهم من نصر الله فجاء فيه قوله تعالى: «حتى إذا أخذنا مترفينهم بالعذاب إذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم لأنكم منا لا تنصرون» (المؤمنون ٦٤)،

الحرية السياسية والقيادة الجماعية في الإسلام

لدستازن فتح الباب

— ٢ —

٢ — نظام الشورى :

وهو الصورة الثانية التي تجسدت فيها الحرية السياسية في الإسلام ، ويقصد به مشاوره رئيس الدولة ذوى الرأى والثقة في كل مايجل أو يدعو إلى السؤال .

ولقد نص على هذا النظام الديموقراطى في قوله تعالى :

« وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله » .

« وأمرهم شورى بينهم » .

وهذه الشورى هى ما يعبر عنه فى مصطلحنا الحديث بالقيادة الجماعية ، وهى أسنى مدارج الديمقراطية التى انتهى إليها المشرعون المعاصرون لما تحققه من حرية سياسية للأفراد فى ظل المساواة ، وما يترتب عليها من تقدم ورخاء للجتمع ، وصلاح للعالم بأسره .

شواهد وبيّنات .

ويجفل الكتاب الكريم والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامى بأروع الآيات والصفحات فى تطبيق هذا النظام ، الذى جاء به الإسلام ليعمل به قاده وأئمة ضمانا لسلامة العقيدة

وسياجا للأمة يحمها من شر أفراد الحاكم بالسلطة ، وإساءة استعمالها أو تجاوزه الحدود التى يثبتها الشريعة ، فتصان حرية الشعب وينطلق فى تحقيق آماله فى الحياة الحرة الكريمة .

وترتكز تلك القيادة الجماعية على روح الوحدة والجماعة التى بها الدين الخفيف فى نفوس المؤمنين - قادة ومواطنين - حملا بقوله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا » .

« هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يد الله مع الجماعة) .

(عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو مع الاثنين أبعد من أراد بحبوة الجنة فعليه بالجماعة) .
والهدف الذى يتوخاه الإسلام من حث

(إذا أراد الله بالأمير الحاكم ، خيرا جعل له وزير صدق ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ، إن نسي لم يذكره ، وإن ذكر لم يعمه) .

روح الجماعة في العبادات :

كما تتجلى روح الوحدة والجماعة في الفرائض الإسلامية ، فمن المسكروه في الصلاة أن يؤم المصلين رجل لا يحبونه ، فإذا أمهم رجل مختار وجب عليه أن يلتزم بالشروط المتفق عليها للصلاة ، والى يؤمن بها الكفاية ، ولو زاد الإمام في الصلاة أو نقص ذكره المصلون قاتلين له :

« سبحان الله ... »

وإذا توقف الإمام في تلاوة التنزيل الحكيم فتح عليه أحد المصلين بالآية التي توقف فيها ، وإذا نسي آية ذكره بها أحدهم ، وإذا أخطأ في آية صححت له ، وإذا اضطرب الإمام إلى ترك الصلاة أضعف عنها استخلف في الإمامة من ينوب عنه من المصلين ، وهكذا كما شرعه الله . والحج إلى بيت الله ، هو المؤتمر الذي تقبلور فيه الروح الجماعية في الإسلام ، إذ يتشاور فيه أبنائه فيما بينهم في مسائل الدين والدنيا . كذلك تبدو تلك الروح في فريضة الصوم والزكاة ، فيلتقي المسلمون في مواقيت واحدة في صيامهم وإفطارهم وتوزيع الزكاة على المستحقين كما يجمع عليهم أهل الشورى . ومن ثم يتجلى الدور الرئيسى الذى تقوم

أبنائه على التمسك بروح الجماعة هو كبح جماح الانانية البغيضة ، وتربية عادة التشاور الجميدة ، ذلك أن تبادل رأى هو الطريق إلى المعرفة الصحيحة من خلال استعراض وجهات النظر المختلفة وتحليلها ، واختيار الأصلح منها للعمل به ، وهو الضمان الحقيقي من خطأ الفرد عن قصد أو حسن نية والأمان من الزيف والانحراف .

« والعصر إن الإنسان لثى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . »

ويقول النبي الكريم :

(الدين النصيحة .. قالوا : لمن يا رسول الله ، قال : لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم) .

ولقد اتبع الأنبياء قبل محمد - صلى الله عليه وسلم - مبدأ المشاورة ، فاستعانوا في إبلاغ رسالتهم بمن توسموا فيهم الحكمة وصواب الرأى ، ومنهم موسى عليه السلام إذ يقول كما جاء في القرآن الكريم : « واجعل لى وزيرا من أهلى . هارون أخى ، أشد به أزرى ، وأشركه فى أمرى ، كى نصبحك كثيرا ، ونذكرك كثيرا أنك كنت بنا بصيرا . » واستجاب الله سبحانه لهذه الدعوة . « قال قدأوتيت سؤلك يا موسى . »

وفى فضل المشاورة الصادقة والمناخبة الآمنة يقول الرسول :

- على ما حباه الله من رجاحة الفكر -
أن يأخذ برأى الحباب بن المنذر في غزوة بدر حين أشار إلى مكان غير الذي نزلوا فيه أول الأمر ، ثم بتغيير الآبار وبناء حوض للشرب لا يصل إليه المشركون ، فقد قبل الرسول هذه المشورة ، وكذلك الأمر حينما فصح سلمان الفارسي بحفر الخندق عند المفخذ الذي خيف أن يهجم منه الأعداء على المدينة ، فأمر النبي بحفر الخندق وشارك المسلمين في ذلك .
والأخذ بمشورة الاتباع المخلصين من الرعية من أسس القيادة الحكيمة ، مما يطلق عليه في ميثاقنا الوطني العودة إلى القواعد الشعبية لاستطلاع رأيها . وبفضل هذا المبدأ تتحقق ديمقراطية الحكم وتنشأ قيادة من التفكير الجماعي القادر على صد نزعات التحكم الفردي واستبداده .

وقد اقتدى بالرسول الكريم في هذه السياسة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فجرت خطتهما على الإصغاء إلى النصيح والعمل بالقويم من الآراء ، وآية ذلك أنه استشهد كثير من حفاظ القرآن في حروب الردة وخيف على من بقي منهم أن تأتي عليهم حروب أخرى ، فأشار عمر رضي الله عنه على الخليفة أبي بكر أن يجمع القرآن ، فتردد في بادئ الأمر وهو يقول : كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ؟ ثم انشرح صدره لما أشار به عمر ، وأمر بجمع القرآن وتدوينه في المصاحف .

به العبادات في إرساء القيادة على أساس التخطيط الجماعي الذي يصهر الأفراد والجماعات معاً في قالب واحد ويجمعهم على شعار واحد وغاية مشتركة ، فلا سمعة ، ولا رياء ، ولا جاه ، ولا سلطان . بل الواحد للكل والكل للواحد .
ولقد أرشد النبي المسلمين بالقول والعمل في حياته إلى أصول الحكم الصالح الذي يقوم على جماعية القيادة ، حتى تتأصل فيهم الديمقراطية السليمة ، وتكون لهم نبراساً في مستقبل تاريخهم يرسون في ضوئه قواعد حضارتهم الإنسانية السامية ، بل إن اختيار الله سبحانه وتعالى لرسالاته الخالدة ، رجلاً من أبناء الشعب عرف اليتيم وذاق مرارة الفقر ، لمو أروع مثل يضربه للناس أجمعين كي يقتدوا به في تصريف شئون حياتهم ، وليست سياسة الحكم إلا منجى من مناحي الحياة المختلفة ، وفي ذلك يقول النبي لرجل أصابه وجل عند لقائه :

(رويدك يا هذا ، إنما أنا بشر : أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد) .

وكانت الامثلة التي ضربها المعلم الأعظم في الأخذ بالمشورة الصالحة آية في عظمة القيادة ونضج السياسة ، فمن الحكمة أن يقتنع القائد الرشيد مهما بلغ من قدرة على رسم الخطط بتجارب الخبراء من أتباعه ، وأن يشهد لرسالاته ما استطاع من سداد الرأي وكال الإدراك . ومن ذلك أنه عليه السلام ، لم يأنف

(٣) مبدأ الإجماع :

ومن خلال الممارسة العملية انظام الشورى
نشأ مبدأ الإجماع في الإسلام ، وقد توطن
هذا الركن الأساسي من أركان السياسة الإسلامية
في عهد الخلفاء الراشدين .

فقد كان أبو بكر إذا احتكم إليه المتخاصمون
نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه ما يقضى
به بينهم قضى به ، وإن لم يجد في الكتاب
وهلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك سنة قضى بها ، فإن أعياء خرج فسأل
المسلمين وقال : أتأني كذا وكذا ، فهل هلتم
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك
بقضاء ؟ ، فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر
فيه عن رسول الله قضاء ... فإن أعياء
أن يحد فيه سنة عن رسول الله جمع رموس
الناس وخيارهم فاستشارهم ، فإن أجمع رأيهم
على شيء قضى به .

وكذلك كان يفعل عمر رضي الله عنه ،
فإن أعياء أن يحد في القرآن أو السنة نظر
هل كان فيه لأبي بكر قضاء ، فإن وجد بأبكر
قضى فيه بقضاء قضى به ، وإلا دعا رموس
الناس فإذا اجتمعوا على أمر قضى به .

وفي قول آخر : إن عمر كان يستشير
الصحابة على فقهه ، حتى كان إذا رفعت إليه
حادثة قال : ادعوا لي علياً ، وادعوا لي زيداً ...
فكان يستشيرهم ثم يفصل بما اتفقوا عليه .
كما روى عنه أنه كانت ترفع إليه القضية

على أن مبدأ الشورى - كسائر المبادئ -
ليس مبدأ مطلقاً في الإسلام ، فللخليفة حق
الاستقلال بالرأى حين تكون التبعية فيه
تبعته هو دون غيره ، وحين تختلف وجهات
النظر فيطالب منه الرأي الفصل ، ومثال ذلك
استقلال أبي بكر برأيه في اختيار الخليفة
من بعده بعد أن شاور الصفوة من المسلمين
فقوضوه في الأمر ، وذلك أنه جمع إليه نخبة
من أهل الرأي ايتخاروا من يشاءون ،
وقال لهم فيما قال : (... وقد أطلق الله إيمانكم
من بيعتي ، وحل عنكم عقدتي ، ورد عليكم
أمركم ، فأسروا عليكم من أحببتهم ، فإنكم
إن أمرتهم في حياة منى كان أجدر ألا تختلفوا
من بعدى) . فلم يجمعوا على رأى وعادوا
إليه يقولون : (إن الرأى يا خليفة رسول الله
رأىك) فاستمهلهم حتى (ينظر الله وليدته
ولعباده) ، ثم استقر رأيه على استخلاف
عمر بعد مشاورة عبد الرحمن بن عوف وعثمان
ابن عفان وسعيد بن زيد وأسيد ابن الحضير .
وأمل أبو بكر كتاب العهد على عثمان
ابن عفان فكتبه وختمه وخرج به محتوماً
ونادى في الناس : أتبايعون لمن في هذا الكتاب ؟
وقيل إن أبا بكر أشرف من كوته فقال :
يا أيها الناس إنى قد عهدت عهداً أفترضونه ؟ .
فقالوا : وضيئنا يا خليفة رسول الله . فكانت
البيعة التي أجمع عليها المسلمون .

وصواب ورشد في العاجلة والعاقبة ، فهون ذلك على ما كان دخلني من الكراهية قبل ذلك لتحواسكم ، وقد سألت رسولكم المدد لكم ، وإنى بمدكم قبل أن يقرأ عليكم كتابي هذا

وقد روى عن الخليفة علي بن أبي طالب قوله : دقلت يا رسول الله ، الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه القرآن ولم تمض فيه عنك سنة ، قال : اجمعوا له العالمين أو قال العابدين من المسلمين فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأى واحد .

صفوف القادة :

وبفضل هذه الآيات البينات والمثل الرفيعة ثبت مبدأ القيادة الجماعية في نفوس المسلمين ، فنفروا من الفردية والاستبداد ، وتمرسوا بالتفكير الجماعي فألفوا وأقادوا منه في دينهم ودنياهم ، وتكون في ظل هذا التفكير صف ثان من القادة ، ثم صف ثالث ، وهكذا توالى الصفوف مؤمنة بعقيدتها معبدة عن إرادة الأمة الإسلامية مناضلة في سبيل سيادتها وتحقيق أهدافها الإنسانية .

وكان الصف الأول من قادة الإسلام - في عهد الرسول وبعده - يتألف من مجموعة من وجوه الصحابة وصفوة المسلمين الذين أطلق عليهم أهل الحل والعقد ، وهم الذين صاروا موضع الثقة ومبعث الخبرة بما قدموه

فربما تأمل في ذلك شهراً ويستشير أصحابه . وفي ذلك يقول عمر لأحد ولاته : (أن أقض بما استبان لك من أئمة المسلمين ، فإن لم تعلمه فاجتهد برأيك ، واستشر أهل العلم والصلاح) . وليس أدل على أعمال الخليفة الثاني لمبدأ الإجماع رغم ما اتصف به من الفطنة والحكمة ، من أنه كان يعارض الرأي في بعض الأمور ، واسكنه حين يعلم أن مصدره الإجماع يعدل عن معارضته ، اعتقاداً منه أن الخير في رأى الجماعة ، وآية ذلك أنه علم أن جيش المسلمين بالشام قرر الانتقال من حمص إلى دمشق فكتب إلى قائده أبي عبيدة الجراح يقول :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وإلى الذين معه من المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان ، والمجاهدين في سبيل الله ، سلام عليكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد : فإنه بلغنى توجهكم من أرض حمص إلى أرض دمشق وترككم بلاد قد فتحها الله عليكم ، وخليتموها أعدوكم وخرجتم منها طائعين ، فكركم هذا عن رأيكم وفعلكم ، وسألت رسولكم : أعن رأى من جميعكم كان ذلك ؟ فزعم (قال) إن ذلك كان من رأى خياركم وأولى النهى (العقل) منكم وجماعتكم ، فعلمت أن الله عز وجل لم يكن ليجمع رأيكم إلا على توفيق

(أقام النبي صلى الله عليه وسلم هذا الركن في زمنه بحسب مقتضى الحال ، من حيث قلة المسلمين واجتماعهم معه في مسجد واحد في زمن وجوب الهجرة التي انتهت بفتح مكة فكان يستشير السواد الأعظم منهم ، وهم الذين يكونون معه ، ويخص أهل الرأي والمكانة من الراشدين بالأمور التي يضر إفشاؤها .
وقد جاء في كتاب « عبقرية الصديق » الأستاذ عباس العقاد في شأن هذه الصفوة من أولى الرأي : (وقد آثر أبو بكر أن يبقى عنده نخبة الصحابة في المدينة ، فلا يقسمهم في الولايات ولا يفرقهم بين الأفطار ؛ لأنهم أحق الناس أن يستشيرهم ويرجع إليهم ويشركهم معه في رقابة العمال والولاة ، وسئل في أهل بدو لم لا يوليهم حملا فقال : أكره أن أدنسهم بالدنيا ، ولعله يريد بالتدنيس تعرضهم لفتنة الدنيا وشهوة الحكم وغواية المال والمتاع .

ولا ندرى على التحقيق أى الصاحبين - أبو بكر وعمر - كان صاحب الفكرة الأولى في هذه السياسة التي اتفقا عليها ولم ينحرفا عنها قط في عهديهما ، إلا اضرورة نادرة . ونعني بها سياسة الإقلال من إسناد الأعمال إلى كبار الصحابة .

جماعية القيادة في الميثاق :

ينص الميثاق على القيادة الجماعية كبداً

من آيات الصدق والوفاء والتفاني في سبيل الصالح العام وما تحملوا به من مناقب الذكاء والسداد .
وبما يجدر بالذكر في هذا المقام قول الباحث الإسلامى الهندى أبو الأعلى المودودى عن هؤلاء القادة :

فما كان أهل الحل والعقد في عهد الخلافة الراشدة منقسمين إلى أحزاب متفرقة ، وما كانوا متقين من الضوابط البرلمانية يمثل ما تكون المجالس التشريعية متقدمة في هذا الزمان ، وما كانوا يحضرون مجالس الشورى بعد أن يعتقدوا مؤتمراتهم الحزبية ويضعوا لها خطة العمل والسياسة ، بل كانوا كلما دعوا للشاورة يأتون المجلس بقلوب ملؤها الإخلاص ، وكان الخليفة بينهم يعرض عليهم الأمر ، ويدلى كل واحد منهم برأيه ، إما مؤيداً أو معارضاً له ، حتى تصير جميع نواحي المسألة متجلية واضحة . ثم يوازن الخليفة بين الحجج الموافقة والمعارضة ، ويعرض عليهم ما عنده من الدلائل ويبين رأيه ، وكان هذا الرأي في عامة الأحوال رأياً يسلم به أعضاء المجلس كلهم .

وكان الرسول يقصر مشورته على هذه الصفوة من المسلمين ، أو يوسع الدائرة حتى تشمل السواد الأعظم وفقاً لمقتضى الحال وفي هذا المعنى جاء في (تفسير المنار) عن ركن الشورى في الإسلام :

ما يمكن أن توفر لهذه الجماهير من قدرة على فرض إرادتها على الحياة . و يقول :
« إن الديمقراطية هي تأكيد السيادة للشعب ووضع السلطة كلها في يده ، وتكريسها لتحقيق أهدافه » .

وفي سبيل خلق صفوف من القاعدة ينشقون من القاعدة الشعبية ليلتفوا حول قيادة القمة في سبيل العمل الوطني المشترك عن طريق القيادة الجماهيرية يؤكد الميثاق .

إن حركة النضال الثوري قد استوجبت من العمل الثوري أن يمتد فطاق القيادات الشعبية من القاعدة إلى القمة حول القيادة الطليعية .

وبقرر في فصل (الديمقراطية) أيضا :
« إن الديمقراطية السياسية إذ تقوم على مبدأ سيادة مجموع الشعب لا يمكن أن تتحقق في ظل سيطرة طبقة بذاتها من بين طبقات المجتمع » .

ويقول أيضا :

« وتمثل القيادة الجماهيرية الشعبية - على جميع مستوياتها ، ضمانا آخر لدعم الديمقراطية السليمة ، فهي إذ تعصم من الانحرافات الفردية ، تؤكد التفاعل الديمقراطي بحكم قيامها على المناقشة وتبادل الرأي » .

مسح ففتح الباب

ماجستير في العلوم السياسية

أساسي للديموقراطية ، لا غنى عنه في تثبيتها والانطلاق بها لتحقيق أهداف الشعب في ظل الدفع الثوري ، وضمان وطيد يحول دون إساءة استعمال السلطة أو استغلالها لتحقيق أهواء ذاتية أو أغراض قفسية أو الانحراف بها نحو الحكم المطلق والاستبداد بمقدرات الأمة .

وقد جاء في الباب الخامس من الميثاق - الخاص بالديموقراطية السليمة :

(إن جماعية القيادة أمر لا بد من ضمانه في مرحلة الانطلاق الثوري . إن جماعية القيادة ليست عاصما من جموح الفرد فحسب وإنما هي تأكيد للديموقراطية على أعلى المستويات ، كما أنها في الوقت ذاته ضمان للاستمرار الدائم المتجدد ، .

وفي تحليل حتمية القيادة الجماعية بوصفها تجسيدا لروح الثورة واستجابة لشعبيتها ، وعاصما من الجموح ، وسبيلا لتحقيق إرادة الجماهير في بناء الاشتراكية ، يقول الميثاق :
« إن الثورة ليست عمل فرد ، وإلا كانت انفعالا شخصيا يائسا ضد مجتمع بأكمله ، والثورة ليست عمل فئة واحدة ، وإلا كانت تصادما مع الأغلبية ، وإنما قيمة الثورة الحقيقية بمدى شعبيتها ومدى ما تعبر به عن الجماهير الواسعة ، ومدى ما تعبته من قوى هذه الجماهير لإعادة صنع المستقبل ، ومدى

الذوق الأدبي

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

لك الصراف إنه ردىء ، هل ينفعك استحسنائك له ؟

ومعنى ذلك أن الحكم الأدبي مرجعه إلى ذوق الناقد الخبير البصير بأساليب الكلام ، ولغة ، والنقد ، توحى إلى ذلك كله ... وفى ذلك يقول ابن سلام أيضاً : الشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات (١) . ويؤكد ابن سلام ضرورة المراتب والدربة فى تكوين الذوق فيقول (٢) : « إن كثرة المداورة

لتعدى على العلم ، . والذى قرره ابن سلام هو ما انتهى إليه الغربيون فى حقيقة النقد الأدبي ، يقول « لانسون » عميد النقد الموضوعى فى فرنسا : « إذا كان النص الأدبي يختلف عن الوثيقة التاريخية ، بما يشهد لدينا من استجابات فنية وعاطفية ، فإنه يكون من الغرابة والتناقض أن ندل على هذا الفارق فى تعريف الأدب ، ثم لا نحسب له

ما أكثر ما يرجع الأدب والناقد إلى حكم الذوق الأدبي ، أو يستدل به فى قضايا الأدب والنقد ؛ أو يجادل به حكم المخالفين لرايه وقضائه فى مشكلات الفن والنقد ... إن مرجع الأحكام فى الأدب إنما هو إلى ذوق الناقد ، فالنقد هو فن دراسة الموضوع الأدبية ، والتمييز بين الأساليب المختلفة ، وأداة التمييز هو الذوق الأدبي الذى يميز بين نص ونص ، وأسلوب وأسلوب ، ولفظة ولفظة ...

فما هو هذا الذوق الأدبي ؟

لقد رجع النقاد العرب إلى هذا الذوق فى الحكم على النصوص وعلى الأدباء ؛ وإن كانوا لم يستطيعوا تحديده . يقول ابن سلام الجعفى البصرى الناقد المتوفى عام ٢٣١ هـ فى مقدمة كتابه « طبقات الشعراء » : قال قائل لخلف الأحمر (توفى عام ١٨١ هـ) : « إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته ، فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك ، فقال له خلف : إذا أخذت أنت درهما واستحسنته فقال

(١) مقدمة كتاب « طبقات الشعراء »

لابن سلام ص ٥٠ .

(٢) المرجع السابق .

ولانسون ، فإن صيغ النقد بالأحكام العلمية باقتباس النظريات المختلفة له من علم الجمال وعلم النفس والاجتماع أمر لا يمكن أن يؤدي إلى هناية ، وفي ذلك يقول « لانسون ، أيضا : إن التجربة قد حكمت بفشل تلك المحاولات (١) وإذا فكرنا في مناهج العلوم فيجب أن يكون ذلك لإثارة ضمايرنا أكثر من أن يكون لبناء معارفنا (٢) فالنقد إذن شيء مستقل عن كل علم آخر لأن قوامه الذوق ومنهجه هو التأثرية ، وليس شيئا موضوعيا على الراجح يكون مرجعة نظريات العلوم المختلفة وأقدر الناس على النقد هم الأدباء والشعراء لا العلماء ولقد سأل عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (توفي عام ٣٠٠ هـ) الشاعر البحتري (توفي عام ٢٨٤ هـ) : مسلم أشعر أم أبو نواس ؟ فقال : بل أبو نواس ، فقال له عبيد الله : إن أبا العباس (أي ثعلبا المتوفى عام ٢٩١ هـ) لا يوافقك هلى هذا ، فقال البحتري : ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ، ممن يحيط بالشعر ولا يقوله وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقة (٣)

حساباً في المنهج ، ففي الأدب لا يمكن أن يحل شيء محل التدقيق ، (١) .

وسار الآمدى (المتوفى عام ٣٧١ هـ) في كتابه « الموازنة إلى ما ذهب إليه بن سلام ، فقرر أن مرجع الأمر في الأدب إلى الذوق وهذا الذوق يتكون بالقدرة ودائم التجربة وطول الملاحظة ، وبهذا يفضل أهل الحذافة بكل علم وصناعة من سوام ممن تقصت قريحته ، وقلت دربته ؛ وحكى إسحاق الموصلى ، قال ، قال لى المعتصم : أخبرني عن معرفة النظم ويدها لى ، فقلت له : إن من الأشياء أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة (٢) ، ويذكر الآمدى أن الناقد لا يستطيع أن يأتيك في النقد بعلة قاطعة ولا حجة باهرة (٣) وهذا هو رأى لانسون أيضا حيث يقرر أننا نكون أكثر تمشيا مع الروح العلمية بإقرارنا بوجود التأثرية في دراستنا ، وما دامت التأثرية هى المنهج الوحيد الذى يمكننا من الإحساس بقوة المؤلفات وجمالها فلتستخدمه في ذلك صراحة (٤) ، وهو يعنى استخدام الذوق الأدبي فى أحكامنا على الأدب ؛ وإذا كان حكم الذوق أو النقد التأثرى هو المنهج الوحيد فى الحكم الأدبي كما يرى الآمدى

(١) ١٣٢ المرجع السابق

(٢) ١٣٣ للرجع نفسه

(٣) ٤ وه رسالة الكشف عن مساوىء شعر

اللقبي لصاحب بن مباد

(١) ١٣٠ فى الليزان الجديد للدكتور مندور .

(٢) ١٧٦ الموازنة للآمدى

(٣) ١٣١ فى الميزان الجديد

والمعرفة ، وحتى يكون بمن تحده نفسه بأن لما يوصى إليه من الحسن والطف أصلا ، وحتى يختلف السلام عليه عند تأمل الكلام ، فيجد الأريحية تارة ، ويعرى منها تارة أخرى ^(١) ، فعبد القاهر يرى أن النقد يجب أن يكون فنا طليقا ، لا يخضع إلا لحكم الذوق الأدبي السليم والمسلكات الفنية الخاصة ، وقد سبق عبد القاهر بمذهبه في النقد مدرسة الرومانتيكيين في فرنسا التي حاربت نظرة الكلاسيكيين إلى النقد كعلم له أصوله ومناهجه وقواعده ، ورجعت إلى الشعور والعاطفة والنفس في أحكام النقد ، وإلى هذا نادى د سانت بيغ ، في قوله : « ليس هناك قواعد تخلق الكاتب الكلاسيكي » ، وقوله : « النقد لا يمكن أن يصبح علما موضوعيا وسيلقى فنا دقيقا في يد من يحاولونه استخدامه » ؛ ويقول جول ليمر : « إننا نحكم بالجوادة على ما نحب ، أى أننا نرى حسنا ما نحب » ، أما تين الناقد الفرنسى فكان يعتبر النقد الأدبي علما يسير على مناهج مدروسة ، وهو في ذلك يشبه قدامة من بين النقاد العرب . . ويقول عبد القاهر أيضا في ذلك وفي الذوق الأدبي وأهميته في الحكم على الأدب والأدباء ^(٢) : إن المزايا

ورأى ابن سلام والآمدى في الذوق هو رأى القاضى أبى الحسن هلى بن عبد العزيز الجرجاني صاحب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » (المتوفى عام ٣٩٢ هـ على أرجح الآراء) حيث يرى أن الذوق هو مرد الحكم في الأدب وأنه يكتسب بصمة الطبع وإدمان الرياضة ^(٣) ، وكذلك صنع ابن طباطبا (المتوفى عام ٣٢٢ هـ) في كتابه (هيار الشعر) فذهب إلى أن الذوق إذا استحسن أو استهجن فلا سبب في نفس السلام والشعر ^(٤) .

ويقول الموزوقى (م ٤٢١ هـ) في شرحه على الحماسة : « إن ما يختاره الناقد قد يتفق فيه ما لو سئل عن سبب اختياره إياه وعن الدلالة عليه لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول :

هذا يوافق طبعى ، أو أرجح إلى غيرى
من له الهدية والعلم بمثله فإنه يحكم بمثل حكمى ^(٥)
ومثل ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني (م ٤٧١ هـ) : « د أعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ، ولا يجد لديه قبولا ، حتى يكون من أهل الذوق

(١) ع ٣١٠ الوساطة بين المتنبي وخصومه .

(٢) ع ١٤ هيار الشعر .

(٣) ع ١١٥ شرح ديوان الحماسة للموزوقى .

(١) ٢٢٥ دلائل الإعجاز .

(٢) ٣٤٢ و ٣٤٤ دلائل الإعجاز .

٢ — هذا هو رأى القدماء فى الذوق وتحديد معناه أما المعاصرون فيذهبون إلى أن الذوق قوة يقدر بها الأثر الفنى وهو ذلك الاستعداد الفطرى المكسب الذى تقدر به على تقدير الجمال والاستمتاع به ومحاكاته (١). ويذهب أحمد ضيف إلى تحكيم الذوق العام واطراح الذوق الخاص فى الحكم الأدبى (٢) ويقسم طه حسين (٣). الذوق إلى خاص وعام ويقول: إن هذين الذوقين هما اللذان يقضيان فى المسائل الأدبية، وإن الحياة الفنية مزاج من هذين الذوقين.

والذوق ملكة هى مزيج من العاطفة والعقل والحس (٤) والدرس ينميه.

٣ — ويختلف الذوق باختلاف البيئة والثقافة والعصر ومقدار التمرس بكلام العرب وبلاغتهم، وبالموهبة الأدبية عند الناقد.

وقصة على بن الجهم الشاعر العباسى (٢٤٩ م) مع المتوكل معروفة، حين جاء من البادية يمدح الخليفة بمثل قوله:

أنت كاسكلب فى حفاظك للود
وكالتيس فى قراع الخطوب

التي تحتاج أن تعلمهم مكانها، وتصور لهم شأنها أمور خفية، ومعان روحانية، أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها، وتحدث له عالماً بها؛ حتى يكون مهتماً لإدراكها، وتسكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق وقريحة، يجد لها فى نفسه إحساساً بأن من شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة، ومن إذا تصفح الكلام وتدير الشعر، فرق بين موقع شيء منها وشيء...

وعبد القاهر يبدأ بنظرية فلسفية فى اللغة ثم ينتهى إلى الذوق الشخصى الذى هو المرجع الأخير فى دراسة الأدب (١) وكذلك يعتمد ابن الأثير صاحب كتاب المثل السائر (المتوفى عام ٦٣٧ هـ) على الذوق، حتى يرى أن مدار علم البيان على حكمة، الذى هو أنفع من ذوق التعليم (٢).

أما ابن خلدون فيفسر الذوق بمحصول ملكة البلاغة للسان، ويقول إنه قد استعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق (٣). ويؤكد ابن خلدون (المتوفى عام ٨٠٨ هـ) أن هذه الملكة إنما تحصل بالممارسة والاهتمام والتكرير لكلام العرب.

(١) ٣٤٧ فى علم النفس لحامد عبد القادر.

(٢) ص ٩٢ مقدمة لدراسة بلاغة العرب.

(٣) حافظ وشوقى طه حسين.

(٤) ١٢١ أهول النقد الأدبى للشايب.

(١) ١٦١ فى الميزان الجديد لمندور.

(٢) ص ٣ للنيل السائر.

(٣) ص ٦٤٣ المقدمة لأبن خلدون مطبعة التقدم.

عام ٢٧٦ هـ) يعيب في كتابه الشعر والشعراء أبيات كثير:

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالآركان من هو حاسم
وشدت على دم المطايا وحالنا
ولم ينظر الغادى الذى هو رانح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالت بأعناق المطى الأباطح
وكذلك صنع أبو هلال العسكري أما ابن
جنى فى الخصائص وهجد القاهر فى أسرار
البلاغة فيرفعان من منزلتها فى البلاغة .

ومن مثل الاختلاف فى الحكم على الشعر
قول الشاعر المصرى إبراهيم ناجى (توفى
فى ٢٥ مارس ١٩٥٣) وذلك من قصيدة له
بعنوان «قلب راقصة» (١).

أمسيت أشكو الضيق والأيما
مستغرقا فى الفكر والسأم
فضيت لا أدري إلى أين

ومشيت حيث تجرني قدسي
فقد أعجب أبو شادى والسعرقى بالقصيدة
وبالآبيات إجماعا بشديدا (٢)، ولكن الدكتور
طه حسين يرى أنها من الكلام المألوف الذى
شبع منه الناس (٣)، وينقد البيت الثانى لأنه

ولما عاش فى بغداد وتأثر بحضارتها عاد
إليه ينشده قصيدته :

عيون المهابين الرصافة فالجسر
جلين الهوى من حيث أدوى ولا أدوى
وبتأثير العصر قدر الناس الصفة البديعية
فى القرن الثالث الهجرى ، كما قدرها بعضهم
الجانب الفكركى فى الشعر فى هذا القرن
أيضا ، حتى انبرى البحرى للرد عليهم فقال :
كلفتونا حدود منطقكم

فى الشعر يغنى عن صدقه كذبه
وبما يدل على أثر النمرس بكلام العرب
وبلاغاتهم فى الذوق وأحكامه النقدية قصة
بشار ، حين أنشد بيته :

بكرأ صاحبي قبل الهجير
إن ذاك النجاح فى التبكير
فقال له خلف الأحمر : لو قلت مكان
«إن ذاك النجاح بكرأ فالنجاح» كان أحسن
وأليق بصنعة المحدثين .

فأجابه بشار : إنما بغيتهما إعرابية وحشية
فقلت ما قلت ، ولو قالت : بكرأ فالنجاح ،
كان هذا من كلام المولدين ، ولا يشبه ذلك
الكلام ، ولا يدخل فى معنى القصيدة (١) .

٤ — وباختلاف الذوق تختلف أحكام
النقد اختلافا كثيرا ، فترى ابن قتيبة (المتوفى

(١) ٣٦ ديوان وراء الغمام لناجى .

(٢) ٢٠٤ الشعر المعاصر للسعرقى .

(٣) ١٧١ حديث الأربعا .

(١) ٤٥ الإيضاح للقرظوبى .

أذواق النقاد تباينا شديدا في منازلهم الأدبية أمر ظاهر الواضح . . ومن مثل اختلاف العقاد حول أدبائنا وشعرائنا اختلافهم في شوقي وحافظ اختلافا كثيرا ، فطه حسين يقول ههما : لأنها لم يبلغا من التفوق ما كنت أحب لهما ، وأتمنى للشعر العربي الحديث ، ولكن لا ينبغي أن تلومهما في ذلك فلم يكونا إلا مرآتين صادقتين للعصر الذي عاشا فيه ، وقد أديا ما ألهمهما هذا العصر فأحسننا الأداء ، وكان بفضل (مطران) عليهما . . والعقاد يرى أن الشعر يقاس بمقاييس ثلاثة : أولها أن الشعر قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية أو صناعية ، فيحتفظ الشعر بقيمته الكبرى إذا ترجم إلى جميع اللغات ؛ وثانيها أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه ؛ فالشاعر الذي لا يعبر عن نفسه صانع وليس ذا شخصية أدبية ،

وثالثها أن القصيدة بنية حية وليست أجزاء متناثرة يجمعها الوزن والقافية . وحكم العقائد هذه المقاييس الثلاثة في شاعرية حافظ وشوقي ، وتقي عن شوقي الشاعرية ، ورأى أن حافظا أشعر ولكن شوقياً أقدر (١) .

وذهب بعض النقاد إلى أن شوقي في العصر الحديث مثل المتنبي في القرن الرابع : وفضله

لا يعجبه أسلوب دجرجي قديم ، لأن المرء لا يجر قدمه وهي لا تجره ، ويرد السحرتي على هذا بأن العبارة تصوير شعري بديع للسأمان المتحير الذي تجره قدمه لشروء عقله حتى تصبح قدمه هي المسيرة له ، ويتابع عبد الوهاب حمودة طه حسين في نقد العبارة ويرد على دفاع السحرتي السابق بأنه كيف يستقيم الاستغراق في الفكر مع السأم ، ويقول : أول ما يصادفك من هذه الألفاظ الابتذال والسوقية ، ثم انظر إلى هذه الصورة التي لا تلائم شعرا ولا لغة ، فالقدم لا تجر صاحبها وإنما تحمله ، وإنما يجر صاحب القدم قدمه (١) ، ويدافع السحرتي عن القصيدة بأنها رائعة في عواطفها وانفعالاتها المتنوعة وفي جمال صياغتها وخفة أسلوبها ، ويقول : إن الدكتور طه تجاهل ما يشع في هذا الشعر من عاطفة رائعة وانفعالات وثابة وأسلوب فني وموسيقى ارتكازية (٢) .

والخلاف الأدبي حول مذاهب الكلاسيكيين والرومانتيكيين ومناهجهم في التعبير والأساليب والتصوير كثيرة ومتناقضة .

هـ — واختلاف أحكام النقد التي كتبت حول الشعراء المحدثين والمعاصرين ، وتباين

(١) ١٣٥ التجديد في الأدب لمصرى الحديث .

(٢) ٢٠٤ و ٢٠٥ الشعر المعاصر على ضوء النقد

الحديث للسحرتي .

(١) ٢٨ : ٣ قصة الأدب المعاصر .

والشعور بالجمال يعمله علماء النفس بعزل كثيرة ، فبعضهم يرجعه إلى التأثير النفسى السيكولوجى الذى تحدته ألوان الجمال فيها ، وعبد القاهر الجرجاني فى الأسرار والدلائل يميل إلى ذلك ؛ والبعض الآخر يرجعه إلى ما تحدته ألوان الجمال من الأثر فى النفس من ذكريات ومسرات وأشجان حقيقة من تدهى المعانى فى العقل ؛ وآخرون منهم ينفون ارتباط الفن بالجمال لأنه مرتبط بالتعبير عن الانفعالات ، وآخرون ينفون نحو ألوان الجمال موقفا عقليا نقديا أكثر منه انفعاليا (١) .

وبعد فإن الذوق منحة إلهية فى نفس الأديب وموهبة متحيزة فى وجدانه ، وبه يستطيع التمييز والتفضيل والتقييم ، وهو وحده القاضى فى مسائل الأدب ومشكلاته ، وبدونه يتعسر الفهم ، بل يتعذر الحكم .

وحتى اليوم لا نستطيع أن نحدد هذا الذوق الأدبى تحديداً دقيقاً متميزاً ، لأن أثر الله فى الإنسان طالما يعجز الإنسان عن فهمه وتصوره وإدراكه .

محمد عبد المنعم صفاجى

بعضهم على جميع الشعراء المعاصرين .
٦ — ويصر أهل كل فن على أنه هناك حاسة سادسة تولد مع الطفل بها يدرك ما فى الصورة من جمال ، وما فى الموسيقى من سحر ، كما يتذوق بها ما فى الشعر من حسن الحيال ، وجودة التصوير وهم مع هذا يرون أن التجارب الخاصة وتأثيرات البيئة ، بما قد يساعد على نمو هذه الحاسة وإرهاقها ، وللمسألة فى رأيهم ناحيتان ؛ الأولى فطرية نشترك فيها جميعا إلى حد كبير ، والناحية الثانية مكتسبة وهى تلك التى تتكون فيها كإثر مباشر لتجاربنا الخاصة فى البيئة .

وهناك فريق آخر من أهل الفن يرون أن الإحساس بالجمال أمر اعتبارى شخصى يختلف فيه اختلافاً بينا ، ولا نمكاد نصل فيه إلى مقاييس مشتركة ، وجعل الأمر فى الإحساس الفنى بالجمال راجعاً إلى القدرة والذكاء العام أكثر من أى شئ آخر ، لا إلى ما يسمونه بالقرينة والفطرة أوجح (١) .
وأحكام النقد على الجمال تختلف ، ولا بد أن تختلف كما يقول د برك ، مادامت الأذواق والثقافات مختلفة (٢) .

(١) ص ٥ وما بعدها . موسيقى الشعر لابراهيم أنيس

(٢) فيض الحاطر لأحمد أمين ٧ : ٢٥٩ —

٢٦٢ ، مجلة الثقافة السنة السابقة (١٩٤٥)

العدد ٣٤٥ .

(١) ص ٦ التجديد فى الأدب المصرى الحديث
عبد الوهاب حمودة :

الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي للدكتور سعد الدين الجحيز لوى

- ٧ -

ملحمة « نبي الحرية »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل (١) وقد
تضمنت عدة قصائد ذات صبغة دينية قصة
ظلام ، جفازة الشرك ، العنكبوت ، الفارس
المفدحمر ، نشيد الغار ، النور المهاجر ،
وقد لخص في الأولى تاريخ العقائد السابقة
إلى أن انبثق النور المهدى فأضاء السكون ،
وأدار في الثانية حديثاً طريفاً بين الأوثان
ثم صور في الثالثة نسج العنكبوت على فم الغار
وتعشيش الخمامتين ، وفي الرابعة صور خيبة
سراقه في إدراك النبي صلى الله عليه وسلم ،
وفي الخامسة نصيد على لسان غار حراء .
أما السادسة فقد صور فيها قصة الهجرة .

ومما جاء في هذه القصيدة الأخيرة : —

سار على البيد ، هن السكون ممره
صلى عليه ، وحييا نوره الله
شق الصحارى ، خيته مباسها
وأوشكت برياض الخلد تلقاه

سرى محمد تطوى الشمس رايته
في هوكب ، قبل هذا ما سمعناه
يمشى وصاحبه الصديق وحدهما
في مهمه تفزع الأيام لقياه
عقيدة جنبها الإيمان يملؤها
صفواً ، وتملأ بالبشرى حفاياه
ويخطفان الثرى رطباً إلى بلد
لا خيب الله من يسعى لمغناه
ثم يختمها بما يدور في نفسه من أمان
في تحقيق آمال الشرق :

بحق من جاء يا رباه يبلغه
للخافقين ، ومن للحق أداه :

ترعى خطانا ، وتحذو القوم في سفر
للشمس ينشد فيه المجد شطاه
وتنفخ الشرق هدياً في مسالكه

فصيحة الحق دوت في حناياه
وبجوهه هذه القصائد متسلسلة في فكرتها ،
ولذلك تعتبر عملاً أدبياً واحداً بعنوان واحد
هو : « نبي الحرية » كما فعل محرم في إلباذته
الكبرى وطامر بحيرى ، وقد أنشئت هذه
القصائد بعد عام ١٩٥٢ ماعدا الأولى منها :

النفسية التي يحس بها حيال المجتمع وما يلقاه
من هناء وعدم تقدير بدأها بقوله :
الله . باسم الله جل جلاله
نور على نور أرود سماءى
باسم السماء فشرت قصتها وباسم
م الله سرت بها على الغبراء
إنى سأكتب قصة فى هذه السه
ب التى كالأصفحة البيضاء
وأقول - أول ما أقول - وفى يدي

قللى ، وفى تلك الدواة دماى :
ما خطه قلم السماء على الثرى
لن يمحى أبداً من الأحياء
ثم يقول :

ما حيلتى إن لم أجد لسفينتى
ويحاً لتدفعها برغم كفاحى
وقفت سفينتى رغم نشر قلوها
كركود جسمى رغم نشر جناحى
إن كان للملاح قلع سفينة
فالريح ليست فى يد الملاح
حقاً لقد ملككت دفة زورقى
لكن رياح الجو لن رياحى
وأنا امرؤ حاولت فهم طبيعتى
فعمزت عجز فى عن الإفصاح
ورأيت نفسى رغم أنى كائن
ما زدن عن شبح من الأشباح ..

وفى ديوان الشاعر مدحة نبوية أخرى
كبيرة بعنوان « هادى الظلم » وقد علمت منه
أن له ملحمة جديدة ذات اتجاه صوفى بعنوان
« رياح المغيب » ، ما تزال تحت الطبع أيضاً
وله ملحمتان أخريان لإحدهما بعنوان
« العودة إلى الله » ، وأخرى بعنوان « شاطئ
التوبة » ، وقد حدث للشاعر هذا الاتجاه
ورجوت أن تتاح الفرصة للانتفاع بمثل
هذه الأشعار ..

ملحمة السموات السبع :

للاستاذ كامل أمين (١) وهى ملحمة
من نوع آخر جمعت قصة خلق الإنسان
الأول ، وصراعه فى الحياة وتدرج البشرية
بين الحرب والسلام والخير والشر ، وتروى
قصتها كفاح - الأنبياء من أجل الخير
والسلام ، وكفاح الأبطال من أجل خير
وطنهم ، وتقف وقفة طويلة عند حروب
« صلاح الدين » مع الصليبيين ، وحروب
الظاهر بيبرس مع التتار والصليبيين معاً (٢) .
وقد اشتملت على افتتاحية وأربعة فصول :
وتناولت الافتتاحية تصوير حالات الشاعر

(١) مطبعة الشعب - كشي بالأزهر سنة ١٩٥٨
فى ١٦٠ صفحة والأستاذ كامل أمين شاعر معاصر
وأكثر شعره ذو صبغة إسلامية - وهو الآن
موظف بوزارة الأشغال .

(٢) ص « د » من المقدمة .

وتناول الفصل الرابع تفصيل حروب
التيارات وبطولة الظاهر بيبرس ...

وقد استغرق الفصلان الأخيران أكثر
من نصف الملحمة التي بلغت أبياتها ألفان
وثمانمائة بيت .

وقد نسجت هذه الملحمة جميعها على بحر
واحد هو د السكامل ، وجعل لكل مجموعة
من أبياتها حرف روى يختلف من مجموعة
لأخرى ، وقد يشكر حرف الروى في بعض
المجموعات ، كما فعل عامر بحيرى في ملحمة
أمير الأنبياء غير أنه لم يقسم الأبيات مثل
عامر عشرات عشرات .

وقد بدأ الفصل الأول بتصوير خلق آدم
في صورة شعرية رائعة^(١) :

كانت قديماً خلف أسوار السما
من قبل أن يحيا التراب ويعلمها
من قبل أن يرد الوجود خطيئة
ويرى بعينيه مدامع والدما
نفس أراد الله أن تحيا لأمر ما
لتسعد فيه أو تتألم

* * *

حتى إذا قضت المشيئة ما قضت
فيه ، وشاء الله . أصبح آدم
ثم يأخذ في تصوير الجنة وما فيها من نعم ،
وملائكة ، ثم خلق حواء وفرح آدم بها ،

أوتاد من خلف الجسوم تقوشها
وأضل حول سواحل الأرواح ..

من شاء يدرك روح لإنسان يحيا
ول نزع ماء البحر بالأنفادح
وبعد أن يسير في انفعال يصور هزة
نفسه ، وكيف أنه لو احترق حرفه ، أو سمح
لنفسه بأن يكون ذبلاً للكبراء .. لاثرى
ولكنه يؤثر الكرامة مع الفقر ويقول :

يا من يراع من الذباب إذا علا
ويعيب قلة حيلة العنقاء
ما عاقني إلا جناحاً باسقى
لم تنسح لها الثرى كفضائى

فطواهما ضيق الدروب ، وهكذا
يعلو البغاث على قتي الغبراء
كل له أجواؤه ، وأنا القذى

فعدت بي الأفادح عن أجوائى
وقد تناول الفصل الأول (النور القديم) :
قصة خلق آدم ، وما صار من أمره هو وحواء
في الجنة حتى خرجا إلى الأرض .

وتناول الفصل الثانى (معبر الأجيال) :
قصة بدء الخليقة على الأرض ومولد التاريخ ،
وصراع الأنبياء مع أمهم عبر التاريخ ،
وتوالى الأحداث إلى الحروب الصليبية
ولكن في اختصار وإشارات ملخصة .

وتناول الفصل الثالث تفصيل الحروب
الصليبية وبطولة صلاح الدين ...

ثم إغواء الشيطان لهما حتى خالفا أمر الله ، وكان ما كان من خروجهما .

والذى لفت نظرى فى هذا التصوير دقة الشاعر ، وسعة إطلاعه . . عندما عالج نقطة المخالفة ، وكيف أن المسئول هو الإنسان ، ولا ينبغي أن يحتج بالقضاء والقدر فى الخطيئة وهى من مسائل التوحيد ، الدقيقة .

فبعد أن صور تأثير الشيطان على حواء ، ومحاولتها أخذ موافقة آدم على أكل التفاحتين أدار بينهما هذا الحوار^(١) :

قالت : أرى الدنيا تضيق ، فقال : كيف

ف تضيق ، ماذا جدد فى دنياك ؟

الجنة الخضراء حولينا وهين الله

ـ ترعافى كما ترعاك

عجبا أتنسك عينك الدنيا وكل

سمائمها ونجومها عينك

قالت له : يوم يكرر نفسه

فى عمرنا قال : اشكرى مولاك ...

ما كنت شيئاً ما ، فصرت بفضله

شيئاً وأعطاك الذى أعطاك

قالت : ولكنى أخاف من الفناء

ـ ، فقال : هذا شأن من أحياء

إن شاء أحيانا هنا ، أو شاء أحيانا هناك

ـ ، أو شاء أغلق فاك

فإن شاء أغلق فاك

فإن شاء أغلق فاك

فإن شاء أغلق فاك

إن كان حقاً ما تقول ، فكيف تملك

قدرة التقدير ، قال : كفاك

الله قدر ما أراد لأنه

قد كان يعلم قبل أن ألقاك

ما سوف يحدث منك أو منى ،

خذونا من الشيطان والإشراك

واختص هذا الفرع من شجر الخطيئة

ـ ، حيث تختارين سبل خطاك

فإذا أطمعنا أو هصينا كان ذا

ما قدمته يدان لى ويداك

ولذلك كان الله يعلم ما ورا

ـ الغيب سوف يكون حين نهاك

ما كان من خير فنه ، وكل شركا

ن هنا ليس من مولاك

إن اختيار المرء بين الخير والشر

اختيار العقل والإدراك ...

وبقدر ما تغوى وتسمدى العقول

تجىء بالفساق والفساك

ثم يأخذ تصوير تدخل إبليس فى إقناع

آدم إلى أن يقول على لسان آدم الذى يعصر

على مخالفة إبليس :

فالشئ كان ، وكان قبل وجودنا

فى علمه الأزل كالموجود

يدرى متى سيكون وقت حدوثه

فينا ، وكيف تكون فيه جهودى

فينا ، وكيف تكون فيه جهودى

فينا ، وكيف تكون فيه جهودى

وتمكمت ضحكاته في القضية الأولى
 و قال : الأرض تحتكما انزلا
 ثم اختفى ، وكأنه لما اختفى
 قال : الشقاء دعا كما فتنه فضلا
 ومضى اللعين إلى الظلام مباحدا
 من بعد ما أغراها وتسلا
 ثم يصور الشاعر الهبوط إلى الأرض في
 صورة شعرية موسيقية بديعة ، وما كان
 من حوار الجن في عالم الأرض عند استقبال
 آدم ، ثم تصوير قواعد الشر ، ووصايا
 إبليس لجنوده في طرق إغراء بني آدم .

وبدأ الفصل الثاني بقوله :

قف بي ، فهذا مولد التاريخ في
 أرض الفناء ، ومذود الأزمان
 اليليسل هل تعلم العباب كأنه
 شط الظلام على الوجود الثاني
 والهدر يبدأ في طفولة عمره
 شيخنا يمد يدا لكل زمان
 يضع البرايا في ضمير الغيب (لث
 وراة) و (الإنجيل) و (القرآن)
 ويكسد الأيام في (أوشيفه)
 لمعارك الإنسان والشیطان

فإذا الزمان يقول - أول ما يقو
 ل من الحياة بصوته الرنان
 بدأت حياة الأرض باسم الله إنني استعيع
 نذ به من الشيطان

ومنى سيفنى ، شأنه شأنى وشأ
 نك في وجودى هاهنا ووجودى
 ولكى يحدد خبره من شرنا
 مستقبلا فينا ، أنى بقيود
 فأباح أشياء وحرم غيرها
 بالحق ، والناموس ، والتأييد
 حتى إذا ما حان يوم خطيئة
 وقعت حيال الشرح ، دون سدود
 فإذا اجترأت هلى حدود الله كما
 ن على حق جزائه الموعود
 * * *

فالاختيار هنا اختيار في حدود
 د الحق بين العبد والمعبود
 ليس اختيار وغائب الإنسان مطلقة
 ة ، ولكن أطلقت بقيود
 من شاء أن يختار ، فليختر ولكن ليد
 س يوم حسابه يبعيد
 واسكن قوة آدم هذه سرطان ما تنهار بعد
 حوار وتفكير وإغراء من الشيطان حتى
 وافقاء ، وظنا الخلود في تناول هذا المحرم :
 وتناول الشيطان من أثمارها
 تفاعين اليهما متهللا
 وتلفنا حولهما كالسارقي
 ن الخائفين ، وقال إبليس : كلا
 الخلد بين يديكما ، فتأهبنا
 والسكون في فكيمكما ، فتقبلا

دعوته وهجرته ... ثم ينتقل إلى الإشارة إلى
فتنة مقتل عثمان ، وقيام دولة بنى أمية ثم
العباسيين ، إلى عهد صلاح الدين .

ثم يبدأ قصة الحروب الصليبية في الباب
الثالث وموقف صلاح الدين وبطولته
في تفصيل شامل ، ويصور هزيمة دريكارد ،
قلب الأسد ملك الانجليز ، وهنا نراه يربط
بين الماضي والحاضر ، ويصور موقف
حكام الاردن من القضية العربية ، ثم يحدد
بطولة جمال عبد الناصر فيقول :

هذه الرسالة من (صلاح الدين) ما
ذالت تمهد لنا الشعاع الهادي
(بجمال عبد الناصر) انطلقت فها

د به (صلاح الدين) فينا ثانياً
لن نستطيع قوى الصليبيين أن
تثنية عن أن يستعيد الماضيا

إن الخرائط بين أيدينا تر
بنا كيف ظل الغرب فينا باقياً
فلتجمع العرب الصفوف وراءه

وليترفع علم العروبة عالياً
أرقى الشعوب هي التي إن رددت
تاريخها مهتت عليه الغايبا
واستلهمت أحداث ماضيا لتأ

خذ منه عبرتها وتسعد ثانياً

وينتقل إلى الفصل الرابع حيث يذكر

وتناول القلم العتيق وخطاً أول صفح

ة ، ويداه ترتعشان

كتمت يده : إن هذى قصة الدنيا

وتلك إرادة الرحمن

كانت حياة الناس أول مرة

إنسانا تبسكى هلى لإنسان

بدأ الحياة بغربة ، وتلاقيا

فى غربة ، فوق التراب الفانى

وهكذا يسير فى تصوير استقبال الأرض

الناس ، ثم رحيلهم إلى باطنها جيلا بعد

جيل ، وقصة قابيل وهابيل ، ثم انتشار

بنى آدم وحياتهم الأولى ، وكيف بدأ الإنسان

يتخذ الأوثان باغواء إبليس الذى أغوى

آدم من قبل . ثم يصور ظهور الديانات

ومادار حول المسيحية من خلاقات بتفصيل

يختمه بقوله :

وإذا يكون المنطق المعقول : أن الله ،

قل : سبحانه وتعالى صمد ، وفرد لم يلد

أحدا ، ولم يولد ، ولم يخلق له أمثالا .

وبعد أن ينتقل إلى وصف حياة العرب فى

الجاهلية وصور الفوضى التى كانوا يعيشون

فيها يقول مشيراً إلى بعثة محمد عليه الصلاة

والسلام :

هذا محمد بن عبد الله ، يعبد فى حراء

ودونه جبريل .

ثم يأخذ فى تصوير موقف قريش من

عليها في جميع أجزائها وللشاعر مقدرة عجيبة
على تطويع المسائل الدقيقة وبسطها كما رأينا
في عرض مسألة القضاء والقدر والمسئولية
الشخصية ، وكذلك على قوة التصوير ،
وربما اضطرته السهولة التي تتوخاها أن
يضمن أبياته كلمات عامية مثل :

وإذا (بأسطى) قال في أذن الأمم

سير : نخاف من عثمان حين يشور
أنظر إليه تجده يفتل شعر شا
ربه (وزقلته) هناك تشـير

يا قوم هذا ما جرى من أمر يـ

حبرس ، ويبقى بعده عثمان
عثمان سار بأهل (بولاق) و (طو
لون) وما حشدت له (الجذعان)

كانت قيادتهم تمثل كل ما
في الشعب من فوضى ، فهم ألوان
الشيخ ، والترن ، والنجار ، والحجة
سار ، والقروى ، والعجان
هذا بسكين وذاك (بيلطة)

وأشد ما ادرهوا به الإيمان
وموت جموع الشعب في خمسين ألف
سار من رعاي قادم عثمان
ربما اضطر الشاعر إلى هذا النزول
(البقية على صفحة ٢٠٨)

حروب التتار وبطولة الظاهر بيبرس
ويسجل معركة عين جالوت وأثرها ...

وهو هنا مصور بارع لبعض ألوان الحياة
المصرية في تلك الفترة وما يدور في الموالد
من حلقات المتصوفة ومناظر الباعة ...
ويصور كذلك موقف بيبرس من الصليبيين
وهزيمة لويس التاسع وأسرهم بالمنصورة .

وبعد فهذا عرض سريع لهذه الملحمة ،
ونلاحظ أن الروح الصوفية يثبغ في كثير
من أجزائها كما أنها تدل على معلومات الشاعر
وفهمه للتاريخ فهما واعيا ، وحرص شديد
على إبراز الشخصية الإسلامية والدعوة إلى
القيم الإنسانية .

ونجده في ختام الملحمة يشير إلى أن صور
البطولة تتكرر في أشخاص وصور الحياة
تتكرر في أشخاص عبر التاريخ وأن هذا
التغير ظاهري في الأجسام أما الأرواح فهي
متناسخة ، فالبطولة التي مثلها « صلاح الدين »
« وبيبرس » يمثلها اليوم « جمال عبد الناصر » .
وطفيان قبصر يمثلها اليوم « لادن » ،
« ونوري السعيد » :

تناسخ الأرواح ، والأجسام كالآش
سباح ، لا تخفى ولا تتسحر
فهل كان الشاعر يؤمن بعقيدة التناسخ أو أنه
يذكر التناسخ على أنه يريد « التشابه » ؟ .
أما من حيل الصياغة فإن السهولة بادية

ليلى الأخيلىة الشاعرة

المثل الأعلى فى الوفاء

د. سنان أحمد أبو الخضر منسى

فى صدرها وطاع بها ، أسمعك منه الرائع
المثنين ، والناصح الرفيع .

كانت ذات بعل وأحبا . توبه بن الخير
(بضم ففتح وياء مشددة) شاعر إسلامي
أحمد عشاق العرب المدحمين المشهورين
بذلك . أحبا حباً كان له بين جوانحه اشتغال .
فنظم فيها الشعر الرقيق العذب كنظم الدر
وتغريد البلابل ، فما بلغ منها وطراً ،
ولا ظفر أحدهما من صاحبه بمطمع
أو منال ، ولكنه كان الحب العف الخالص
بين الروحين . فى معتصمه بالإخلاص
لزوجها ، مارت وفاؤها له لحظة عين ؛
وتوبة العاشق العبد المستهام لم يخضع فى هواه
هذارة ولا رام منها قرباً ووصالاً .
وهو القائل فيها :

ولو أن ليلى الأخيلىة سلت
على ودوني جنس دل وصفائح

لسلت تسليم البشاشة أوزقا
لأليها صدى من جانب القبر صائح
وأغبط من ليلى بما لا أناله
ألا كل ما قرت به العين صالح

لم توث المرأة نظم القريض . ما كان الشعر
سليقة لها وفطرة الشعراء من الرجال جم
عديدهم ، ومن النساء أقل من القليل هذا ،
ولاسيما المشهورات النابتات . ومن فلتات
الطبيعة وشذوذها ما أذاقنا طعم حلاوته
أدب العرب من منظوم شعراء الجاهلية
والإسلام ، إذ نحن نتلو فيه شعراً كعقود
الأكلى ، ونفيس الجوهر لشاعرتين عربيتين
مطلقتين قد أبرمنا شعراً ، وجاءتا بالمطرب
المعجب ، والجزل الرصين هما الخنساء
وليلى الأخيلىة .

وهن ليلى نحن محدثوك . إنها المرأة التى
امتازت بخيلتين ، وطار ذكرها بوصفين :
النبوغ فى الشعر ، والوفاء ما مثله وفاء ،
للزوج الذى تعاشره ، وللرجل الآخر الذى
استهان بحبها وفاء العفة والطهر ما مستها فيه
ريبة ، ولا لحقتها لائمة .

هى ليلى الأخيلىة بنت عبد الله بن الرحال
من بنى الأخيل ، من المتقدمات فى الشعر ،
جواله فيه صواله تبذ الرجال ، لا يتقدم عليها
فى نظم إلا الخنساء . فإذا ما تلجلج الشعر

وهو القائل :

يقول أناس لا يضيرك نأياها

بلى كل ما شفى النفوس يضيرها

أليس يضير العين أن تكثر البكا

ويمنع منها نومها وسرورها

وكانت ليلي قدمت على الحجاج وقد

أحنت ، فذكرت ما كان بينها وبين توبة ،

وكيف كان حبه لها طاهراً نزيها . ثم قالت :

غير أنه قال مرة قولاً ظنفت أنه قد خضع

لبعض الأمر فقلت :

وذى حاجة قلنا له لا تبج بها

فليس ليلي ما حيت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه

وأنت لاخرى صاحب و خليل

فذلك كان وفاءها لزوجها .

وكان توبة فارساً صنديداً . وكان قتل من

بنى عوف فارساً وابنه فقتلوه . فقالت ثريته

بقصائد من مختار الشعر الجليل يدل على

إخلاصها ووفائها بعهده . ففى ذلك قولها :

وتوبة أحيا من فتاة حبيبة

واجراً من ليث بخفان خادر

ونعم ففى الدنيا إذا كان فاجراً

وفوق الفتى إن كان ليس بفاجر

فتى كان للولى سناء ورفعة

والطارق السارى قرى غير قاتر

ومن قولها فيه من قصيده طويلة :

أيا عين بكى توبة من حير

يسبح كفيض الجدول المتفجر

لتبك عليه من خفاجة نسوة

بماء شمون للعبرة المتحدر

ومرت ليلي وقد أسنت بفتية حضريين

يتعاطون الراح فعاجت عليهم التماساً للراحة ،

فسقوها من خمرهم ، فلما نال منها الشراب

وتمشت حميا الكأس فى أعطافها قالت

أيشرب نساؤكم هذا الشراب ؟ قالوا : نعم .

قالت : لقد زنين لإذن ورب الكعبة .

وقدمت ليلي على الحجاج فأنشدته :

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضه

تقبح أقصى دأئها فشفها

شفها من الداء العضال الذى بها

فسلام إذا هز القنات سقاها

فقال لها : لا تقولى غلام . قولى مهمام .

ثم قال لها : أى نساى أحب إليك أن أنزلك

ههنا الليلى ؟ فقالت : ومن نساؤك أيها

الأمير ؟ قال : أم الجلاس بنت سعيد

ابن العاص الأموية ، وهند بنت أسماء

ابن خارجة الغزاوية ، وهند بنت المطلب

ابن أبى صقره العتيكية . فقالت : القيصية

أحب لى ، تريد هند بنت أسماء ، وإنما

اخترتها لأنها على ما رواه الأصفهاني

فى أغانيه ، ابنة عمها .

وكما رأيت كانت آية في الأمانة والإخلاص
لزوجها ، لقد لجأت إلى ركن ، وثيق من
فضلها وعفتها حتى تنجو من المأثم ، ويسلم
الشرف والعرض ، كما زانها الوفاء لتوبة الذي
تيمته بحبها ولعج قلبه بها ، فبقيت تلهج
بذكره ولا تنسى حبه بعد أن أمسى جثة
هامة ولا تبوح تمر بقبوره وتقول : السلام
عليك يا توبة حتى ماتت : تحقيقا لما قاله
توبه في شعره فيها :

ولو أن ليلى الأخيلىة سلبت

هلى ودونى جندل وصفائح
لسلت تسليم البشاشة أوزقا
إليها صدى من جانب القبر صائح
أحمد أبو القحضر مفسر

فلما كان الغد دخلت عليه فقال : سلى
يا ليلى تعطى . قالت : أعط فثلك أعطى
فأحسن . قال لك عشرون . قالت : زد فثلك
زاد فأجمل . قال : أربعون . قالت : زد
فثلك زاد فأكمل . قال : ثمانون . قالت : زد
فثلك زاد فتمم . قال : مائة : وأعطى أنها غم .
قالت : معاذ الله أيها الأمير ، أنت أجود
جوداً ، وأجود مجدداً ، وأورى زنداً من أن
تجعلها غنيا . قال : فسامى وبحك يا ليلى ؟
قالت : مائة من الإبل برعاتها . فأمر لها بها .
ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : تدفع
إلى النابغة الجعدي . فإنه كان يهاجها .

وكانت ليلى طويلة حسنة القوام دجاء
العينين ، حسنة المشية ، حسنة الشعر ،

(بقية المنشور على صفحة ٢٠٥)

الوطنية المصرية في صورة قوية واضحة ،
ثم هذه الروح المرحية في تصوير المجتمع
المصرى في عصر المماليك . كل ذلك يستهوى
قارىء هذه الملحة ويجعله يحس فيها بحيوية
وتجاوب مع نفسه .

ولولا خوف الإطالة لنقلنا الكثير
من النماذج فإنها مقسمة الجوانب .

دكتور سعد الدين الجبازى

بالأسلوب لأنه يصور ثورة حينما استعد
لقتال الصليبيين ، ولكى تكون الصورة
صادقة فلا بد أن تلون بالألوان الطبيعية
المناسبة ، ولكن مقاييس الشعر الرفيع
لا تعترف بهذا .

ولئن كانت الملحة تنقصها قوة السبك
أحياناً ، أو يؤخذ عليها هذا التساهل في بعض
الألفاظ والتعبيرات ... فإن قوة العاطفة ،
ودقة التصوير وشيوع روح الإيمان وإبراز

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

٩ — طرق السكسب والتملك

منهما بالقدر الذي فرضه الله له فيما دل الرجال نصيب مما ترك الوالدين والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ، ولا شك أن الميراث بالوضع الذي نراه في الإسلام حق وعدل ، إذ ليس مما يستقيم مع المنطق السليم أن يعمل الإنسان ما رآه الله الجهد ليعول أهله وأبناءه ، ويهيئ لهم عيشاً رغداً وحياة طيبة ، ثم يكون مآل ما له إلى غير أهله وأبنائه بعد موته ، بل إن ذلك - إذا حدث - يعطل النشاط ، ويضعف العمل ، ويغري بالسكسب اليائس والخنول البليد ، أما إذا وثق الإنسان بأن عمله لنفسه ولأهله وللمجتمع من حوله . فإنه يضاعف نشاطه ، ويعبى قواه ، وتقويه الآمال بعظام الأهمال ، ومن ثم يكثُر الخير ويعظم الإنتاج ويعم الرعاء وإذا كان الولد يرث عن أبيه بعض ذاته وصفاته الجسمية والعقلية والنفسية ، وكان الأولاد كما يقول الشاعر :

ولمّا أولادنا يفتنا

أكبادنا تمشي على الأرض

١ — أشرنا في مقال سابق إلى أن أطيّب وجوه السكسب هي عمل الرجل بيده والبيع الذي يعود على البائع والمشتري بالبر والخير ويدخل في معنى العمل اكتساب الخبرة واستخدامها فيما ينفع الفرد وينفع المجتمع ، ولا شك أن مستوى الدخل يتفاوت بتفاوت الخبرات ويختلف باختلافها ، لأن تقدير الأجور يتوقف إلى حد كبير على قيمة ما يبذل في الأشياء المخترعة أو المصنوعة من حنق ومهارة ، فالدخل أو الربح الذي يحصل من وراء ذلك حلال مشروع مالم يصطدم بمصلحة عامة أو يؤدي إلى ضرر محقق . أو يكون ثمرة لعمل محرم ، وهناك إلى ذلك طرق أخرى للسكسب الحلال ، يلاحظ فيها مظهر احترام الملكية من جانب ، ومظهر الاشتراكية العادلة الفاضلة من جانب آخر .

٢ — فالميراث إذا نظرنا إليه من جانب نجده عبارة عن نقل ملكية المتوفى إلى أقرب الناس إليه ، وإذا نظرنا إليه من جانب آخر وجدنا فيه اشتراكية لاسبيل إلى إنكارها ، لأن التركة فيه شركة بين الأقربين يأخذ كل

الا ابنة لى واحدة ، أفأتصدق بشئى مالى . ١
قال : لا قلت : أفأتصدق بشئى مالى ؟
قال : لا ، (الثلث والثلث كثير ، إنك أن تذر
ورثتك أغنيا . خير من أن تذرهم عالة
يتكففون الناس) .

هذا إذا كان المالك غنيا بملك الكثير ،
فإذا كان فقيرا لا يملك إلا القليل كان عليه أن
يدع ماله لآدمه وورثته دون سواهم ، وقد
فهم هذا من قوله تعالى : (إن ترك خيرا ،
وروى عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا
أراد الوصية وله عيال وأربعائة دينار
فقال : ما أرى فيه فضلا .

٤ — والجهة كالوصية فى أنها طريق من
طرق الكسب والملك المشروع وتختلف
عنها فى أن الملكية تم الموهوب له فى حياة
الواهب بخلاف الوصية فإن الملكية فيها تنتقل
للموصى له بعد وفاة الموصى ، ولا يشترط
فى الجهة ما اشترط فى الوصية من أنها لا تكون
لوارث ولا تتجاوز ثلث المال ، لأن للمالك
حرية ، التصرف فيما يملك مادام رشيدا سليما
متمتعا بقواه العقلية ، فله أن يهب لغيره ماله
كله أو بعضه ، سواء كان وارثا أو غير
وارث ، ولا يحق له أن يرجع فى هبته ، لأن
ذلك يثير الشعور بالمرارة فى نفس الموهوب
له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : (العائد فى هبته
كالعائد فى قبته) وما يرى من مظهر احترام
الملكية ومظهر الاشتراكية فى الوصية
يرى فى الجهة فإن فيها هذين الجانبين كذلك .

فكيف يستقيم مع منطق الفطرة ومنطق
الحق ، ومنطق المصلحة حرمانهم من ثمرات
جهود آبائهم . لهذا كانت الملكية عن طريق
الإرث مبدأ مقروا تمليه شريعة الله ، وطبيعة
خلق الله .

٣ — والوصية كذلك طريق من طرق
الكسب والملك ، ومعناها نقل ملكية عين
أو منفعتها إلى الموصى له بعد موت الموصى
بها ، فهم من جانب مظهر من مظاهر احترام
الملكية . ومن جانب آخر لون من ألوان
الاشتراكية التى تقوم على دعائم البر والخير ،
أما مظهر احترام الملكية فيها فلأنها تتيح
للمالك حرية التصرف فى بعض ما يملك ، ثم
هى إلى ذلك نقل ملكية لا إلغاء ملكية ، وأما
مظهر الاشتراكية فيها فلأنها تدخل مع الورثة
شركاء فى التركة ، وقد اشترط لصحتها ألا تكون
لوارث حتى لا يشعر أحد الورثة بظلم أو غبن
وذلك لأن إبطار بعضهم على بعض بشئ من
التركة يثير بينهم الشعور بالحسد والعداوة
والبغضاء ، وذلك مما يكدر صفاء جو الأسرة
ويوهن هراها ، ثم إن الوصية مع ذلك
لا تصح فى أكثر من ثلث المال أو التركة ،
وإلا كان فى ذلك جور على حق الأقربين ،
فقد روى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله
عنه أنه قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعودنى عام حجة الوداع من وجمع
اشتدبى ، فقلت يا رسول الله : قد بلغنى
الوجع ما ترى ، وأنا ذو مال ، ولا يرثنى

٥ - ومن طرق الكسب والتملك المشروع الإقطاع : ومعناه في العرف الإسلامي لا فيما عرف الناس من الإقطاع الظالم الآثم في أوروبا وغيرها - تملك الإمام أو ولي الأمر أرضاً لا مالك لها لإنسان يقوم بتعميرها واستغلالها ، والغرض من ذلك هو التشجيع على العمل والتعمير واستثمار الأرض لحير الفرد والمجتمع ، فإذا أهمل المالك في ذلك ، فأغفل استثمارها وتعميرها نزعت منه وأعطيت لغيره ، ولا شك أن هذا الإقطاع على طرف النقيض من الإقطاع الذي عرفه الغرب في القرون الوسطى وعرفته مصر وبعض الشعوب الشرقية في العصور الحديثة القريبة ، فإن الإقطاع الغربي كان لوناً من ألوان استعباد الإنسان لأخيه الإنسان ، إذ كان السيد يملك الأرض الواسعة ومن عليها من الفلاحين وما عليها من الحيوان ، وكان يباح له مطلق التصرف فيها وفي من فيها وما فيها دون قيد أو شرط ، أما الإقطاع الذي عرفته مصر وبعض الشعوب الشرقية فظهر الانحراف فيه سوء الاستغلال ، وطمعاً في رأس المال ، والتحالف مع الاحتلال الأجنبي على مصلحة أكثرية الكادحة الشعبية ، ولا شك أن هذا الانحراف يجب أن يقاوم ويقوم لقسم البلاد من شروره وشرور القوى التي تحميها وتطغى . وهذا ما كان في الجمهورية العربية وما سيكون بإذن الله في جميع الشعوب التي تدين بالإسلام .

٦ - بقي بعد ذلك أحياء الأرض الموات فإنه كذلك طريق من طرق الكسب والتملك والأصل في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من أحيأ أرضاً ميتة فهي له وما أكلت العافية منها فهي له صدقة) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (من حر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها) ، وقد اشترط أبو حنيفة لذلك إذن الإمام ، ومعنى إحياء الأرض جلب الماء إليها إن كانت خالية منه . وتخفيفها إن كانت مغمورة به ، وزراعتها أو البناء عليها . أو العمل فيها بما يجعلها صالحة للاستثمار ، ولا يتسع المقام لتفصيل كل ما قيل في صفتها وصحة ملكيتها ووسائل إحيائها ، وشروط تملكها ، فليرجع إليه من شاء في كتب الفقه .

وهناك إلى ذلك وسائل أخرى من وسائل الكسب والتملك كالقرض واستثماره فيما يحقق كسباً ومنفعة . وكالقراض . والعارية . وهي كلها مع دلالتها على احترام مبدأ الملكية تقوم على نزعات إشتراكية أصيلة في نفوس المؤمنين وفي المجتمع المؤمن المقدين الذي يتعاون أعضاؤه على البر والتقوى ويبدو كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (المؤمن المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ، وقوله : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالمرء والحى ،

الذوق الأدبي

كما يراه ابن خلدون

للأستاذ على العمّار

- ١ -

فها له أن يتحدث العلماء عن صعوبة إدراك أسرار الإعجاز ، وأن يستقيموا إلى حكم الذوق وحده ، فوضع كتابه (دلائل الإعجاز) ليخلص الصفة حتى يزداد السامع ثقة بالحجة ، واستظهارا على الشبهة ، واستبانة للدليل - كما يقول - .

ولكنه - كغيره - صفا إلى حكم الذوق ، وصعب عليه في بعض الأحيان أن يدرك سر حسن الكلمة الواحدة في موضع ، وقبحها في موضع آخر ، وكان يدل ويعمل ، ولكنه أخيرا يستنجد بالذوق ، ويحيل عليه ، وقد جاءت آخر عبارات في كتابه هكذا : (ومن الباب قول النابغة) :

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته السكر والإقداما

لا يخفى على من له ذوق حسن هذا الإظهار ، وأن له موقعا في النفس ، وباعثا للأريحية ، لا يكون إذا قيل : نفس عصام سودته : شيء منه ألبنة . فقرأ يحيل على الذوق ، والأريحية ، والموقع في النفس .

وتلقف ابن خلدون أقوال العلماء السابقين ، ونسج على منوالها ، وكتب في الذوق الأدبي ،

تسكاد تتفق كلمة علماء البلاغة ، وعلماء النقد الأدبي على أن الحكم الفصيل في جودة الكلام ورداقتة ، والعامل الأول على تأليف كلام بليغ ، إنما هو الذوق السليم ، بل لقد ذهب كثير منهم إلى أن إعجاز القرآن لا يدرك حق الإدراك إلا عن طريق الذوق ، حتى لقد قال أبو يعقوب السكاكي - وهو الذي قيد مسائل البلاغة في قوانين جافة - حين كان يتحدث عن وجوه الإعجاز في القرآن ، فذكر أربعة أوجه هقب عليها بقوله : يخمسها ما يجده صاحب الذوق السليم ، ثم قال : ولا استبعاد في إنكار هذا الوجه من ليس معه ما يطلع عليه ، فسكن سبحانه الذيل في إنكاره ، ثم ضمنا الذيل ما إن نذكره . ويقول في موضع آخر : ومدر ك الإعجاز هندي هو الذوق ليس إلا .

وحق قال الإمام الخطابي : ذهب الأكثرون من علماء النظر إلى أن أوجه الإعجاز في القرآن من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها ، وصغوا فيه إلى حكم الذوق (١) . ثم جاء عبد القاهر الجرجاني لإمام البلاغيين

(١) انظر رسالة صغيرة عنوائها (حول إعجاز القرآن) من وضع صاحب هذا الحديث .

لا يرد حكمه في فهم بعض وجوه الإعجاز فردد ما قيل من أن ثمرة علم البيان إنما هي في فهم الإعجاز في القرآن وهذا الإعجاز — كما يقول — تقصر الأفهام عن إدراكه، وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق، فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه، ولهذا — كما يقول أيضا — كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقامًا في ذلك، لأنهم فرسان الكلام وجهابذته، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصح.

ورأى أن صاحب الذوق السليم لا يكاد يخرج في أسلوبه عن طريق البلاغة العربية، ومتى سمع كلامًا مخالفًا لسلك العرب أهرض عنه، ولم يستفسره، وربما فكر في رفض هذا الكلام، بل ربما رفضه بمجرد أن يسمعه دون فكر أو روية، بل رأى أن صاحب الذوق العربي يحكم بهذا الذوق، فلو أراد أن يحيد عن بلاغة العرب، وطريقة نظم كلامهم أهوزه ذلك، وصعب عليه، وغناه لسانه، وقلبه، لأنه لم يتعود أن ينحو غير منحنى العرب، وقد ذكرني كلام ابن خلدون هذا بيت لأحد شعراء العصر:

من ساد ساد — لأنه لم يستطع ألا يسود — وهو دائم الاحتكام إلى الذوق حين يفصل في قضية أدبية، ولكن:

ما الذوق؟ وكيف يتسكون؟ وماذا رتب ابن خلدون من نتائج على آرائه في الذوق؟

ولكنه فصل حديث الملكة، ووصل إلى بعض النتائج التي ستكون محل نظر في حديثنا هذا.

وابن خلدون لم يذكر لنا في مقدمته، ولا في كتابه (التعريف) ثبتًا بالكتابة التي درسها في البلاغة والنقد والأدب، ولكن يبدو واضحًا في مقدمته أنه أعجب بكتابين عظيمين، فأثنى عليهما، وأشاد بهما، أولهما كتاب (العمدة) لابن رشيق القيرواني، ومن قوله فيه، وهو يتحدث عن صناعة الشعر: وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة، وإعطاء حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله، ولا بعده مثله.

وثانيهما كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني، فقد ذكر في كتاب (التعريف) أنه حفظ طائفة من أشعار هذا الكتاب، ثم أشاد به في المقدمة فقال: إنه كتاب العرب، وديوانهم، وفيه لغتهم، وأخبارهم، وأيامهم، وملتهم العربية، وسيرتهم، وآثار خلفائهم وملوكهم، وأشعارهم وغناؤهم، وسائر معانيهم، فلا كتاب أوعب منه لأحوال العرب. وفي كل ما كتب ابن خلدون في هذا البحث نجد أثر ابن رشيق، وأثر العلماء السابقين، كما نجد ذهنية الرجل الفلسفية، ونظراته العقلية، ومنطقه العلمي.

رأى ابن خلدون — كما رأى غيره من السابقين — أن الذوق هو الحاكم الذي

وأيضاً فهو - أى الذوق - وجداني للسان كما أن الطعوم محسوسة له ، فقيل له ذوق^(١) .
ويعضى ابن خلدون يتحدث طويلاً عن الملكة التي تنتهى هذه ما تستقر وترسخ إلى الذوق :

وأول ما نلاحظه أنه جعل لكل فن ملكة ولكل صناعة ملكة ، للبلاغة ملكة ، واللغة ملكة ، وللنجارة ملكة وللخياطة ملكة ، وهكذا بل جعل لكل فرع من فروع الكلام ملكة ، فلا شعر ملكة ، ولا نثر ملكة .

وثانى ما نلاحظه أنه تنبه إلى أن الملكات لا تزدحم ، فعنده أنه لا تتفق الإجابة في فنى المنظوم والمشور معاً إلا الأقل ، والسبب فى ذلك عدم ازدحام المكات وذلك أن اللسان إذا سبقت إليه ملكة قصرت به عن تمام الملكة اللاحقة ، لأن تمام الملكات وحصولها للطبائع التي على الفطرة الأولى أسهل وأيسر فإذا تقدمت ملكته كانت منازعة للملكة الجديدة فى المادة القابلة ، وعائقه عن سرعة القبول فتقع المنافسة بين الملكتين ، وهذا مشاهد فى الملكات الصناعية كما هو مشاهد فى ملكات اللغات .

ويرتب على ذلك أن الأعمى الذى سبقت له لغة لا تتحقق له ملكة كاملة باللسان العربى عن طريق التعليم ، وذلك هو السبب فى أن من طلب العلم من أهل هذه الألسن يقتصر فى معارفه عن الغاية والتحصيل ، وكل

هذه أسئلة نجيب عنها فى هذا البحث مع التعقيب ببعض ما يعين لنا ، مؤمنين سلفاً بفضل هذا العالم الكبير على العالم^(٢) .

* * *

يعرف ابن خلدون الذوق بأنه حصول ملكة البلاغة للسان ، ويشرح هذا التعريف فيقول :

فالتسليم بلسان العرب ، والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب ، وأنحاء مخاطباتهم ، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده ، فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة فى نظم الكلام على ذلك الوجه ، وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحنى البلاغة التي للعرب^(٣) .

ويعود فيقول : إن ملكة البلاغة عندما تستقر وترسخ تسمى ذوقاً ، فإن الملكات إذا استقرت ورسخت فى محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ، ويعمل تسمية ملكة البلاغة هذه باسم الذوق فيقول : .

ولمّا هو - يعنى الذوق - موضوع لإدراك الطعوم ، ولكن لما كان محل هذه الملكة فى اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لإدراك الطعوم استعير لها اسمه

(١) كنت نشرت مقالاً فى العدد (١٠٤٩) من الرسالة عرضت فيه لبعض آراء ابن خلدون فى الذوق الأدبى ، وهذا البحث تكملة لذلك .

(٢) المقدمة ص ٥٦٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٦٣ ط التجارية :

وأما أهل المنزل السكّاب من أمر الشين ، فقد كذبوا هذا باطلا ليس من هذا حرفا واحدا ، وكتابتى إليك وأنا مشتاق إليك إن شاء الله .

ووجه الغرابة في هذا الكتاب أنه من بعض الكتب ، ومن كتاب مدينة هي من الحواضر . ثم إنه لا بد أن يكون كتابا مشهورا معروفا حتى يتصل خبره بابن خلدون وليس العيب في الكتاب في الخطأ المعنوي فحسب ، ولكنه أيضا في هذه الركة ، واضطراب التراكيب .

ولوعاش ابن خلدون إلى أوائل القرن التاسع عشر ، ورأى بنفسه لغة الكتابة في مصر ، والرسائل الديوانية التي كانت تصدر عن قصر الوالى لأضاف كثيرا من الكتب والرسائل والمقالات إلى هذا الكتاب الذى ذكر ، فهل كان السبب في ذلك هو أن المصريين في ذلك التاريخ كانوا (أدرق في العجمة) ؟

وكذلك ينبغي حصول ملكة البلاغة عن الأعاجم الداخلين في اللسان العربى ، الطارئين عليه ، المضطرين إلى النطق به لمخالطة أهله كالفرس والروم والترك بالشرق ، وكالبربر بالمغرب ، وقصارهم بعد طائفة من العمر أن يعتنوا بما يتداوله أهل مصر بينهم في المحاوره من مفرد ومركب .

على العمارة

الذى قاله ابن خلدون مشاهد معروف ، وقد زاد هو تعليقه تعليلا علميا ، فنحن لا نعرف في العربية - مثلا - أدبا كانت إجادته في الشعر كفاء إجادته في النثر ، وهذا ما عبر عنه سهل بن هارون قديما في قوله : اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان في واحد ، وأحسر من ذلك أن تجمع بلاغة الشعر وبلاغة الكلام .

كما أننا نشاهد كل يوم الطلاب الوافدين من البلاد التي لا تتسكّم العربية فلا ترى فيهم واحدا نبغ في اللسان العربى ، ولا في علومه كمثل زميل له من الأعاجم نشأ وربى بين أهل اللسان العربى .

ولا يفوت ابن خلدون أن يستدل على حكمه بالواقع المشاهد فأهل إفريقية والمغرب - على عهده - لما كانوا أدرق في العجمة ، وأبعد عن اللسان الاول قصرُوا في حصول ملكة اللسان العربى بالتعليم ، وكانت أشعارهم نازلة عن الطبقة ، ولهذا ما كان بإفريقية من مشاهير الشعراء إلا ابن رشيق ، وابن شرف وأكثروا ما يكون الشعراء طارئين عليها

ويسجل ابن خلدون في هذا الفصل كتابا لطيفا يستدل به على قصور ملكات أهل المغرب في الكتابة ، وهو من بعض كتاب القيروان إلى صاحب له ، ونفسه : ديا أخى ، ومن لا عدمت فقد ، أعلمنى أبو سعيد كلاما أنك كفت ذكرت أنك تكون مع الذين تاتى ، وعاقنا اليوم فلم يتهيا لنا الخروج ،

رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة

الأستاذ أحمد الشرباصي

- ٥ -

مراحل الثقافة وطرقها :

نحن نعرف للتعليم والتثقيف ثلاث مراحل أساسية ، هي المرحلة الأولى الابتدائية ، والمرحلة الثانية الثانوية ، والمرحلة الثالثة الجامعية ؛ والمسجد عرف خلال تاريخه الطويل هذه المراحل الثلاث ، فقد كان للصبيان معلون في بعض المساجد ، وهذا التعليم للصبيان يقابل المرحلة الابتدائية ، وكان الطالب بعد أن يشتدوا جانباً من التعليم ، بأن يوصف القراءة والكتابة ، ويحفظ ما يستطيع من القرآن الكريم ، يحضر حلقة تدرس بعض الكتب السهلة مع شيء من التوسع في الإقحام أو الشرح ، وهذه المرحلة تقابل المرحلة الثانوية في الدراسة النظامية . وبعد هذه المرحلة ينقل الطالب إلى دراسة كتب واسعة مبسولة ، فيها تحليل وتفصيل واعتراضات ومناقشات ، ويدرس كل كتاب منها عالم متخصص في مادته ، ومتخصص أحياناً في دراسة كتاب بعينه ، وهذه المرحلة تقابل المرحلة الجامعية في الدراسة النظامية . ونستطيع أن نقول بتعبير آخر : إن

التلميذ في المسجد كان يحفظ استون في المرحلة الابتدائية ، ويطلع الشروح في المرحلة الثانوية ، ويدرس الحواشي والامهات في المرحلة الثالثة الجامعية .

* * *

وقد عرف المسجد أنماطاً عدة من طرق التدريس ، ومنها طريقة « الحلقة » ، أي تحاق الطلاب أو التلاميذ حول شيخهم ومدرسهم ، ونظام الحلقة كان معروفاً على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد روت لنا كتب الحديث الامهات عن أبي واقد الليثي أن النبي صلى الله عليه وسلم يفيئهم وجالس في المسجد ، والناس معه ، إذ أقبل ثلاثة نفر (رجال) فأقبل لإثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب واحد .

فوقف الإثنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما أحدهما فرأى فرجة (مكاناً خالياً) في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً ، أي رجع ولم يجلس معهم ، فلما فرغ الرسول من حديثه قال : (ألا أخبركم من النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم نأوى إلى الله (لجأ إليه)

كان الطلاب ينتظمون في الحلقة قبل بحى الشيخ ، فإذا أقبل بدا عليهم سرورهم بمجيئته وألقى عليهم السلام فردوا التحية بأحسن منها ، ثم أخذ في درسه ، فهو إما أن يملئ ويلقى ، وإما أن يشرح ويفسر ، وإما أن يصحح ويقوم ، وإما أن يجيب على الأسئلة وإما أن يسأل ويناقش ، وإما أن يطالع الكتاب بعد الشرح وإما أن يطالع فقرة فقرة ويشرحها ، وإما أن يسمع من طلابه يطالعون .

والطالب يعرف الدرس الذى يتلقاه اليوم ولذلك هو يطالعه في الكتاب قبل بمجيئته إلى الحلقة ، ويحاول بمفرده أو مع بعض زملائه أن يفهم منه ما يستطيع وقد يطالع الطالب كتاباً آخر في الموضوع فوق الكتاب المقرؤ أو المدروس ، والشيخ المدرس يعلم هذا ، ويعلم أن من طلابه أذكياء ، وأنهم طالعوا الدرس قبل بمجيئهم ، وأخذوا عنه فكرة عامة ومنهم من يكون قد فهم فيه أشياء كثيرة ، ومنهم من يكون قد طالع أكثر من كتاب .

فلا بد للشيخ إذن من الاحتياط والاستعداد وكثرة التحصيل ، ولا بد له أن يرجع إلى كتب أكثر من الكتب التى رجع إليها الطلاب قبل سعيهم إلى الدرس ، أو إلى الكتب التى رجعوا إليها على أقل تقدير ، ولا بد له أن يتذكر جيداً

فأواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه) ، ورواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

ولقد اشتهر نظام الحلقة ، في المساجد ، وهو نظام ثقافى ديمقراطى عميق ، فالحلقة تضم الجميع بلا تفرقة ، وكل مكان منها صالح لأن يجلس فيه أى طالب دون أن يصد عنه ، وفي الحلقة معنى البساطة والتواضع ، فالكل جلوس على الأرض ، والأستاذ على مقعد أو مكان مرتفع قليلاً ، أو يجلس مثلهم على الأرض ، وهو يمثل واسطة العقد بينهم ، فالأنظار متجهة إليه ، والاسماع مصغية نحوه ، والقلوب معاقة به ، والعقول تفكر فيما يقول .

وإذا كان نظام الحلقة مشهوراً في مختلف المساجد التعليمية الكبرى في تاريخ الإسلام فإنه أكثر شهرة وذبوع صيت في تاريخ الجامع الأزهر الشريف ، حتى كان المسلم يتمنى أن يولد له ولد ، وأن يتعلم ثقافة الإسلام حتى يصير عالماً ، ويغدو صاحب د عمود ، وصاحب د حلقة ، في الأزهر الشريف ، أى يصير مستحقاً لأن يستند إلى عمود من أعمدة الأزهر الشريف ، وتلتف حوله حلقة الطلاب ليدرس لهم ، فذلك مجد هريق ومكان ملحوظ .

التالى ، ثم ينهى مجلسه بالكلمة العظيمة :
« والله أعلم ، ! » .

وفى نظام الحلقة كان بعض الشيوخ يختص ببعض الأعمدة المعينة ، حتى يشتهر به ،
فقال : « هذا عمود فلان » ، أو
« فلان صاحب العمود الفلانى فى الجامع »
وقد يجلس الشيخ إلى عمود واحد طيلة
حياته لا ينتقل عنه ، كما حدث من إبراهيم
ابن نفلويه الذى جلس فى مسجد الأنباريين
إلى عمود معين فيه طيلة خمسين سنة !! .

وإذا تعود شيخ الجلوس إلى عمود معين
كان أولى به من غيره . ولذلك يورد الماوردى
فى « الأحكام السلطانية » هذه العبارة :
« وإذا ارتسم بموضع بجامع أو مسجد
فقد جعله مالك أحق بالوضع إذا عرف به ،
والذى عليه جمهور الفقهاء أن هذا يستعمل
فى حرف الاستحسان ، وليس بحق مشروع ،
وإذا قام عنه زال حقه منه ، وكان السابق
إليه أحق » . .

وجاء فى الجزء الثانى من كتاب « تاريخ
التمدن الإسلامى » هذه الجملة : « كانوا يسمون
التلامذة المجتمعين حول أستاذ يتلقون علما
من علوم (حلقة) ، وتفرعت العلوم بتوالى
الاعوام ، واتسعت دوائرها ، حتى أصبح
للعلم الواحد هذة حلقات .
والغالب أن تنسب الحلقة إلى أستاذها ،

أن الطلاب سيسألون وسيناقشون وسيوجهون
اعتراضاتهم بحسن نية غالبا ، وبسوء نية
فى بعض الأحيان ، كأن يريد أحدهم أن يتعالم
أو يعاند ، أو يعاكس ... الخ

ويمضى الشيخ فى درسه ، ويشرح النقطة
الأولى أو العنصر الأول منه ، فإذا اطمان
إلى أنه قد بلغ من هذا الشرح مبلغا يحسن
السكوت عليه والانتقال منه إلى عنصر آخر
يقول للطلاب مستفهما أو متأكدا :
« مفهوم ، ؟ » فإذا ردوا قائلين : « مفهوم ،
جاز للشيخ الانتقال والاكتفاء بما قال ،
وإذا قيل من قليل منهم أو كثير : « غير
مفهوم » عاد الشيخ إلى شرح المسألة مرة
ثانية وثالثة حتى يفهم الجميع ! . .

وهذا نمط فى التدريس والتعليم والتثقيف
وتوسيع الأفق وتمحيص المسائل نادر المثل !
وكان الأستاذ فى الحلقة يستند عادة إلى أحد
أعمدة المسجد ، وهو على وضوء ، ويستقبل
القبلة ، ويتطيب تكريما لمجلس العلم ،
وقد يسبق الدرس تلاوة جانب من آيات
القرآن الكريم ، ويبدأ الشيخ درسه بالبسملة
والحمدلة والصلاة والسلام على الرسول والآل
والصحابة والتابعين ، ويدعو لشيخوخه
وظلابة ونفسه ، وإذا انتهى من الدرس
ختمه بمثل هذا الدعاء ، وقد يقرأ فاتحة
الكتاب ، ويعين لطلابه موطن الدرس

د الإسناد ، ، وهو تبيان نسبة الأقوال إلى أصحابها بدقة وأمانة ، ولذلك يقول الإمام السيوطي في كتابه التدريب ، هذه العبارة :

« حقيقة الرواية نقل السنة ونحوها ، وإسناد ذلك إلى من عزى إليه بتحديث وإخبار وغير ذلك ، وشروطها تحمل راويها لما يرويه بنوع من أنواع التحمل : من سماع أو عرض أو إجازة ونحوها ، وأنواعها الاتصال والاقطاع ونحوهما ، وأحكامها القبول والرد ، وحال الرواة العدالة والجرح ... إلخ .

وبعد أن كانت الرواية شبه مقصورة على الحديث النبوي والمصنوع الدينية امتد سلطانها إلى اللغة وبقية الكلام ، ولعل السبب في ذلك أنهم كانوا ينظرون إلى هذه العلوم على أنها غادمة للدين ، فيجب أن تحظى بمزيد من العناية والتحقيق

ومن طرق التدريس في المساجد السماع ، ، وكان السماع في الماضي طريقاً أساسياً من طرق التشقيف لقلة الكتابة ، وندرة الورق ، وصعوبة التقييم ، وهدم الطباعة ، فكان المؤلف إذا أراد نشر مؤلفه بين مجموعة من الناس أسمعههم إياه ، وإذا حدث وسجل السامع شيئاً من كلام الشيخ دون على ما يسجله اسم الشيخ وتاريخ السماع ، ويسمى ما يكتبه « سماعاً »

فيقولون مثلاً : حلقة أبي إسحاق الشيرازي في جامع المنصور ، أو نحو ذلك .

ومن طرق التدريس في المساجد الرواية ، وهي إلغاء المدرس أو الأستاذ لما يحفظه من ذاكرته ، سواء أكان هذا المحفوظ حديثاً أو فقهاً أو أدباً أو شمرًا ، والرواية لها شأنها الجليل في تاريخ الإسلام عامة وتاريخ المساجد خاصة ؛ ولا ننسى أن العرب هم أمة الإسلام الأولى ، وهي أمة تعتمد في أول تاريخها على الحفظ والرواية ، لا على التقييم والمطالعة ، حتى إنه كان لكل شاعر مشهور رواية ، ثم كان للحديث النبوي رواية ورواة ، وكان لأيام العرب وقصص السابقين رواية ، وهكذا وشهدت ساحات المساجد ألواناً وأصنافاً من روايات دولاء الرواة .

ووضعوا للرواية قيوداً وشروطاً وأظلاماً ، ويروى أن محمد بن شهاب الزهري المتوفى سنة أربع وعشرين ومائة للهجرة ، والذي جمع حديث النبي بأمر خامس الراشدين الحاكم المعادل عمر بن عبد العزيز - كان أول من قرر شروط الرواية ، وتبعه شعبة ابن الحجاج المتوفى سنة ستين ومائة ، إذ كان أول من تحدث عن الجرح والتعديل ، في الرواية .

وكذلك صار من لوازم الرواية

بعد ، أما من لم يسمع إلا المبلغ فلا يجوز له روايته عن العبد إلا أن يبين الحال ...

ويستنصت المستمعي الناس بعد قراءة قارى حسن الصوت شيئاً من القرآن ، ثم يبسم ويحمد الله تعالى ، ويصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتحرى الأبلغ فيه ، ثم يقول للمحدث من : (أو ما ذكرت رحمة الله ، أو وصى عنك) ، وما أشبهه .

وكذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الخطيب : ويرفع به صوته ، وإذا ذكر صحابياً رضى عليه ، فإن كان ابن صحابي قال : رضى الله عنهم ، ويحسن بالمحدث الثناء على شيخه حال الرواية بما هو أهله ، كما فعله جماعات من السلف ، وليعتن بالدعاء له فهو أهم ولا بأس بذكر من يروى عنه بقلب أو وصف أو حرقة أو أم عرف بها .

ويستحب أن يجمع في إملاته جماعة من شيوخه مقدماً أرجحهم ، ويروى عن كل شيخ حديثاً ، ويختار ما علا سندُه وقصر متنه ، والمستفاد منه ، وينبه على صحته ، وما فيه من هلو وفائدة وضبط مشكل ، ولتجنب ما لا تحتمله عقولهم وما لا يفهمونه . ويحتم الإملاء بحكايات ونوراد وإنشادات بأسانيد ، وأولاهما ما في الزهد والآداب ومكارم الأخلاق ، وإذا قصر المحدث أو اشتغل عن التخريج للإملاء استعان

وأول ما حدث نظام السماع خاف الآخر ، إذا سمى إلى حماد الراوية وطلب منه أن يسمعه - وكان حماد ضئيلاً بأدبه - ففعل حماد ، واستمع إليه خلف .

ومن طرق التدريس في المساجد الإملاء ، والإملاء نتيجة طبيعية للإسماع ، لأن من سمع شيئاً وأعجبه عنى بتسجيله ، والتسجيل يكون عن طريق الإملاء . ويختلف الإملاء عن السماع ، بأن المدرس في أثناء إسماعه تلاميذه لا يحرص على أن يكتبوا ما يسمعه لهم ، ولكنه عند الإملاء يحرص على تقييدهم ما يملئ ، ولذلك يضبط المدرس كل كلمة يملأها والتلميذ يقيد كل كلمة يسمها .

وإذا رجعنا إلى تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى وجدناه يعنى ببيان طرق التدريس في هذا المجال ، وينقل أوصافاً لمجالس إملاء مختلفة فالنوروى مثلاً في كتابه « التقريب » يقدم إلينا صورة لمجلس من مجالس إملاء الحديث النبوى وآداب هذا المجلس فيقول :

يستحب للمحدث العارف عقد مجلس الإملاء للحديث ، فإنه أعلى مراتب الرواية ويتخذ مستملياً محصلاً متيقظاً ، يبلغ عنه إذا كثر الجمع على عادة الحفاظ ، ويستعمل مرتفعاً وإلا قائماً ، وعليه تبليغ لفظه على وجهه ، وفائدة المستملي تفهيم السامع على

يطالعهما الطلاب في مراحل دراستهم المتوالية ، وهذا نظام فيه فوائد من جهة ، ولكن فيه مضرة الاقتصاد على كتب بعضها ، كما أن الكتب المقررة كانت في أول الأمر واسعة مبسطة ، فتقاصرت عنها همم البعض فعمدوا إلى تلخيصها في ملخصات وتختصرات فيها بقر حيناً ، وغموض حيناً آخر .

وهذه الملخصات والتختصرات تذكرنا بأمر آخر يتصل بمادة الدروس في المساجد ، فقد كانت هذه المادة تنقل في مراحل تبدأ من الصغير وتنتهي إلى الأكبر ، وقد تعود فتنتهي من الأكبر إلى الأصغر .

قد تكون مادة الدرس أحد المتون ، التي تمتاز بالاختصار والتركيز ، ثم يأتي شخص فيفسر هذا المتن ، ويفك عبارته ، ويوضح معانيه ، فيسمى هذا الإيضاح « شرحاً » ، ثم يقبل شخص ثالث فيزيد في هذا الإيضاح ، ويوسع في ذلك الشرح ، ويسمى هذا التوسيع « الحاشية » ، وقد يقبل رابع فيكتب زيادات على هذه الحاشية بالموافقة أو المراجعة أو التمهيج ، فتسمى هذه الزيادات « تقريراً » ، وقد يقبل خامس فيتناول هذا « التقرير » بشيء من النظر أو البحث ، ويسمى ذلك « تعليقاً » ١ ...

أرأيتم ؟ ... لقد بدأت السلسلة من أقل شيء وهو المتن ، ثم جاء الشرح لل متن ،

بعض الحفاظ ، وإذا فرغ الإملاء قابله وأتقنه .

وهذا هو السيوطي في كتاب « المزهرة في علوم اللغة » ، يصف لنا طريقة إملاء اللغة ، فيقول :

« يكتب المستملي أول القائمة : مجلس أملاء شيخنا فلان في جامع كذا في يوم كذا . ويذكر التاريخ ، ثم يورد المعلى باسمه كلاماً عن العرب والفصحاء فيه غريب يحتاج إلى التفسير ، ثم يفسره ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيده ، ومن الفوائد بإسناد وغير إسناد ما يختاره .

ويجوع ما يمليه الأستاذ يسمى « الأمل » ، أو « المجالس » ، وتاريخنا الأدنى يعرف « الأمل » ، لأبي علي القالي التي أملاها بمسجد الزهراء بقرطبة ، و « الأمل » ، للشريف المرتضى ، كما يعرف « مجالس ثعلب » في اللغة وغيرها .

ومن طرق التدريس « القراءة » ، وهي أن يطالع الأستاذ أو المدرس شيئاً علمياً من عمل غيره ، وهي الطريقة التي تسمى عند المحدثين بطريقة « العرض » ، وقد يقرأ الأستاذ وقد يقرأ الطالب ، وقد أدت هذه الطريقة إلى ذبوع الهيت لبعض الكتب التي نالت رواجاً عند قراءتها ، حتى بلغ الأمر بالمرين أن يعدوا قوائم بأسماء الكتب التي

أطريقة « الرواية » ، في التدريس ، فإذا اعتمدت « الرواية » ، على الحفظ ، فإن « الدراية » ، أساسها الفهم والإدراك ولذلك كانوا يعدون الجمع بينهما غاية سامية لا يبلغها إلا همالة الرجال ، فإذا بلغها أحدهم قالوا في تمجيده إنه « يجمع بين الرواية والدراية » . ولقد قال الزخشرى المفسر المشهور : « العلم مدينة أحد بابيها الدراية ، والثاني الرواية » ، وأشاد أبو حيان التوحيدي بمسألة القاضى أبى حامد المروذى فقال عنه : « كان غزير الرواية لطيف الدراية » . ولقد قال أبو بكر الحافظ لأبى زكريا بن الخطيب : « أنت تريد معنى الرواية ، وأنا أريد منك الدراية » . ومن وسائل التحصيل التى عرفتها المساجد وسيلة السؤال والمنساقنة لأن الحقيقة بنت البحث ، ولأن السؤال مفتاح لباب أسامى من أبواب العلم .

ومن الوسائل أيضاً « المناظرة » ، لأن كلا من المتناظرين يحرص على الانتصار ، ولذلك لا يدخر وسعاً فى إقامة الدليل وتبيان الحجة ، مما يؤدى إلى غرازة العلم وسعة المعرفة .

أحمد السرابسى

ثم جاء « شرح الشرح » ، وهو الحاشية ، ثم جاء « شرح شرح الشرح » ، وهو التقرير ، ثم جاء « شرح شرح شرح الشرح » ، وهو التطبيق .

وقد يقبل شخص على الكتاب الواسع الضخم فيلخصه ، وقد يقبل بعده ثاب فيختصره ، وقد يقبل ثالث فيزيده اختصاراً وقد يقبل رابع فيزيده الاختصار ، وهكذا حتى يبلغ الكتاب الكبير الضخم بعد توالى الاختصار والتلخيص مرتبة « المكنى » .

قد يكون فى هذه التقلات عيوب ولكنها مهما قيل فيها — تقتضى حركة ذهنية ومرانا عقليا ، وتعرض الطالب لآلوان من مواد الدراسة تثير فيه نزعة الحفظ حيناً ونزعة الشرح حيناً ثانياً ، ونزعة الاعتراض حيناً ثالثاً ، ونزعة التعليق والحكم حيناً رابعاً ... الخ

ولقد شهدت المساجد كذلك وسائل مختلفة لتحصيل العلوم والمعارف ، فكانت هناك طريقة « الحفظ » ، التى تعتمد على اختزان النصوص فى الذاكرة ، وطريقة « الدراية » ، أى الفهم ، وهى الطريقة المقابلة

الحقيقة الضائعة

للأستاذ محمد محمد خليفة

ولا تتوانى عن الكدح في توطيد جوانبه حين يدعوها العمل .

كانت حقيقة المسلم تزحف مع الفائد عقلا يفكر ، ورأيا يدبر ، وحكمة تسيطر ، وقوة تقاوم الشر لثمنه الخير وهي لا تطفئ حين تظفر ، ولا تستغل حين تغتم ، ولا تتذأب حين تحكم ، واسكنها تنشر شريعة الإنسانية ، وتشد في ظلها خير تلك الإنسانية فلا يلبث الذين كانوا يشكرون الإسلام حين يعرفون حقيقته إلا أن ينسلخوا من باطلهم وباطل دنياهم لينعموا في ظلال الإسلام بحقيقته التي تربط أرواحهم وأسرهم ويجمعهم كله برباط تعجز يد الشيطان عن حل عروته أو صدع وحدته .

وكانت تلك الحقيقة تعيش في قلوب المحاربين قوة وعزة ونكرانا لذات الفرد وحسبه ونسبه ، وعصبية القبلية ، وبأسه في الجلال ، وسبقه في الإسلام ، ومكاته من الرسول .

فكبار المهاجرين والأنصار جنود يعملون تحت إمرة أسامة بن زيد لا تضجرهم أماراة الاسود ، ولا تزعزع نفوسهم حداثة سنه .

لأنها حقيقة النفس المسلمة التي كانت تخرج بروح الإسلام فتتكشف لها أسرارها ، ثم تتفاعل بتلك الروح مع مجتمعها ، وتعتمد فيه مناسبة بغضائها كما تناسب الغدران الرقاقة في الوديان المجدبة فتعمل فيها وتنفي عنها عاشاب تربتها حتى تبدلها بعد حين إلى جنات أكلها دائم وظلها .

تلك هي حقيقة النفس المسلمة حقيقة هادية للمجتمع تبث فيه من إشراق فضائلها إشعاعات تبدد ظلمات الرذائل التي تضطرب في المجتمع أمواجه .

وهي مع ذلك حقيقة محاربة تحارب في المجتمع ما كان يعيش فيه ويعيش له من مادية كانت تستذله ، وغرائز كانت تستبد به وأطباع كانت تنهب ضعافه .

حقيقة النفس المسلمة التي عرفها فجر الإسلام كانت تعيش في قلب الراعي إيمانا بكل حقوق الرعية وإحساسا بمشاهرها فإن عض الجوع فقيرا في بادية العراق انتفضت خوفا من الله روح الراعي في المدينة ، وكانت تعيش في قلوب الرعايا قوى خلافة بناء لا تخمد هزمتها عن التفاني في بناء المجتمع ،

يؤثرون بعضهم على نفوسهم ولو كان بهم
عري أو خصاصة .

فإذا دوى النفسير تراحوا على الموت
بالحناكب يتمنون الشهادة في ظلال السيوف ،
وهم حين تضمهم جوائح البيت قلوب مؤلفة
ونفوس فظلمها الحب والوفاء والاحترام .

وكانت حقيقة النفس المسلمة في الأسواق
لا تعرف الاحتكار ولا يطغها الشره
في ساعة العسر بل هي حينذاك أكثر
ما تكون جودا تؤدي الزكاة المفروضة
من خير ما تملك ، وتخرج غير المفروضة
من طيبات ما كسبت ، لا تصيخ إلى ما بعدها به
الشیطان من الفقر وإنما تصيخ إلى ما بعدها
الله به من الفضل ، وهي تخرج عن نصف
ما مئسكت أو كل ما مئسكت للدولة في الحرب
تعي به الجيوش وتشتري به السلاح والحمل
والرواحل ، فليس للنفس المسلمة مال حين
تفتح لهاها رحي القتال ، وإنما كل ما تملك
فه وفي سبيل الله .

وكانت حقيقة النفس المسلمة في المجتمع
أخوة تبقسم لأخوة وحبا في الله يمانق حبا
لوجه الله وصدقا في الصداقة يقابل الاخلاء
بوجه ليس كجلد الحرباء .

ولم تكن حقيقة تلك النفس فردا يعيش
لنفسه أو لاسرته الصغيرة بل إنسانا سميت

وخالد بن الوليد يتلقى هزله من إمارة
الجيش وهو يقود المعركة العاتية فيتحول
راضيا إلى جنسدى يحارب بالروح التي كان
يقود بها المعركة دون أن يمس هوى السلطان
قلبه الكبير فينشئ أو يتوانى عن الكفاح
في سبيل المجد الذي يعمل له كل مسلم .

وكانت حقيقة النفس المسلمة في قلوب الحكام
وقه تتجاوب دموها مع دموج اليتامى
والأرامل ، وتدرا عن المظلوم بطش الظالم
وكانت أملا يلبي البائس في هدأة الليل ،
وخوفامن الله يتدفق دموها في الاستنار ، وقضاء
يقم موازين العدالة في الضحى ، وهذا يهدي
إلى الحق وإلى صراط العزيز الحميد في الأصائل
وهي بين كل هذا للناس ومع الناس لا تهجها
هنم الاستتار ، ولا تصدم عن لقائها
الأسوار .

وكانت حقيقة النفس المسلمة في البيت رحمة
حكيمة ينشرها الأب ، وحنانا صادقا تبثه
الأم بالقسطاس بين فيها فشاعرها نخوم
تتدفق ولا تفرق حتى لا يحقد كبير على
صغير ، ولا يشمخ صغير بنصيبه من الحنان
على كبير ، وهم جميعا يعملون حين يقدرون ،
يؤلف بينهم حب لا تكدرصفوه الانانية ،
وكفاح في سبيل العيش لا يعرف التواكل
ولا الإهياء بالأهواء ، ولا يفسد قلوبهم
الاستئثار بما هيء من المهود أو المضاجع

إنسانيته عن الذاتية الفردية والعصبية الإقليمية ، وانطلقت تعمل في مجال الإنسانية الواسع لتحقيق لها الكمال الذي آمنت بهما فيه في نفوس الرسل والأنبياء .

ولم تكن تلك الحقيقة مظهرا وصورا تعيش بين الميائيم واللعنات أو تسبيح وتمنايل ترتعش لها الشفاه ولا تأخذ طريقها إلى القلوب لتربطها بخالقها فاطر السموات والأرض ، وإنما حقيقة النفس المسلمة فسكر يسبح في ملك الله وإيمان يصل الأرواح برب الأرواح .

أين المصلحون وأين رجال الدين والتربية والاجتماع والأخلاق والصوفية ينشدون في هذا الوجود حقيقة النفس المسلمة التي ضاعت في متاهات الزمن ، واجتاحها هوانف الهوى والشيطان فعاش المسلمون في وجودهم هياكل إسلامية جوفاء رسورا تتحرك بين المحاريب في وكوها وسجودها وليس فيها روح الحقيقة المؤمنة العامة ؟

أين هؤلاء وأولئك تتضافر عقولهم وأقلامهم وأسنتهم ، لينعتقوا للناس تلك الحقيقة ويوجههم إلى السبل التي تنهى إليهما لعل بين الناس من لم قطع هل بصيرته غشاوة المادة ، فيراها في نفسه إشراقا وتفاعلا وامتزاجا ، وزاها نحن فيه مرآة تعكس إلينا الماضي البعيد الحبيب ، وقوة فيها معنى الشمس في الهداية والانتشار ، والحاررة التي تقفع وتحرق ؟ ليتنا نجد في دنيانا بين المحاريب أو الأكواخ أو ضجيج المصانع ، أو أزيز النواحر أو بين المعاهد والمدارس أو أباين إلى الله ، يعيشون بحقيقة المسلمة فوق حقيقة دنيانا الزائفة ، ويجذبون إلى عالمهم الطاهر السامى عالمنا المتحلل من القيم الروحية .

وليس هل الله بعزير أن يعيد تلك الحقيقة الضائعة إلى وجودنا في نفوس ملايين من المسلمين ليقودوا الدنيا كما قادها أسلافهم إلى خير الإنسانية والسلام ؟

محمد محمد خليفة

النقود التاريخية

في عهد حكم المسلمين في الهند

للأستاذ محي الدين الألواي

والتنقيب في هواصم الأمم السالفة مثل أنينا ،
ومصر ، وبابل ، والهند وغيرها .
أما النقود التي عثر عليها في مصر ،
في منتصف القرن الثامن عشر فأصبحت
نقوشها وصورها وثائق تدل على كيفيات
وأشكال حكومات قدماء المصريين . واستطاع
المؤرخون الوقوف على مجريات العصور
الوسطى لتاريخ البشرى والتطورات العالمية
بفضل النقود الأثرية .

وأما النقود التي عثر عليها الباحثون
في « يورشليم » فهي التي ساعدت علماء الآثار
على معرفة لهجات ولغات الفينيقيين وكذلك
العادات والعقوس المنتشرة في عهد استيلاء
الآريين على اليونان . وكما أن النقود الأثرية
التي وجدت في حفريات هارباموهنجودارو
قد فتحت دورة جديدة في تاريخ الهند الحديثة
ومنها النقود التي تدل على ثقافات « سيندوا »
التي كانت لها أدوار هامة في خلق تاريخ الهند
وأصبحت هذه المتحف التاريخية نبراسا
للباحثين عن الثقافة الآرية ودورها في صفحات
تاريخ العالم عامة وتاريخ الهند خاصة . والأستاذ

النقود التاريخية لها قيمة عظيمة ، ومكانة
كبيرة في البحث التاريخي والوصول إلى أنباء
الماضى وأخبار الأمم السالفة كالتماثيل ،
والمنحوتات ، والنخطوط سواء بسواء .
ونرى من خلالها أنباء الأباطوريات
المنهارة وآثارها الثقافية . وتبين الطريق
إلى اكتشاف بقايا الآثار القديمة والعثور
على تراث الأمم الماضية والمعالم التاريخية
للحوادث الكبرى التي غيرت مجرى التاريخ
البشرى وأول من بدأ سك النقود واستعمالها
هم القدماء اليونانيون . وكان ملك بابل
المعروف باسم نابانيسيس يحتفظ في مكتبته
بنقود الملوك القدماء . وكان من هواة جمع
النقود الأثرية فوق أن كان مؤرخا كبيرا .
وهو الذي اكتشف تاريخ اعتلاء الملك
اليوناني المشهور « سارغون » على عرشه بعد
أن كان مثار مناقشات هديدة واختلافات
شديدة بين المؤرخين والباحثين . وكان ذلك
الاكتشاف بطريق النقود التاريخية التي كان
يحتفظها في مكتبة قصره . ويتمكن علماء الآثار
أن يعمروا على نقود تاريخية بطريق الحفر

المشهور في جنوب الهند منذ القرن الثالث للميلاد . ونقشت عليها الحروف البرهمية . واستطاع المؤرخون بفضل هذه النقود أن يكتشفوا عدة أمور عن الثقافتين : والآرية ، و الدراويدة ، اللتين لهما صفحات مليئة بالأحداث العظام والتطورات الهامة في تاريخ الهند القديمة . واكتشفوا أيضا كيفيات الحكم وأنواع الحكومات القائمة في شتى أنحاء الهند خلال الفترات الماضية بين القرن الرابع قبل الميلاد والثالث بعده ، هذا بواسطة حوالي ثلثائة حملة تاريخية عثروا عليها في مختلف أنحاء الهند .

وبدأ الهنود البحث عن النقود الأثرية في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي . وكان من ضمن الآثار التاريخية التي اكتشفت في حاصمة كيرله القديمة أى مدينة كدغلور قبل سبعة قرون هذه من النقود السائرة في أنحاء البلاد في العصور الغابرة . وأهدى ملك كدغلور نقودا أثرية نقشت عليها الحروف الرومية إلى الأجانب الكبار على سبيل التكريم . وساعدت المؤرخين مساعدة كبيرة على التمكن عن جهود الملوك الهنود تلك النقود الأثرية المكتشفة في راجبوتانا التي يبلغ عددها أكثر من ألفي قطعة ذهبية . وإنما عرفت العظمة المدفونة تحت التراب والهبة الخفية تحت الانقاض

د كيرل هون ، الذي بذل مجهودات جبارة في سبيل اكتشاف تاريخ الهند بطريق النقود التاريخية والمنحوتات الأثرية والصفائح النحاسية يقول : إن النقود القديمة لمراة الماضي . ويحتوى شعارها وتاريخها وأوقافها على أنباء الماضي . وأنها لسان حال الأمم القديمة وحكوماتها الغابرة . وتخطب هذه النقود أبناء المستقبل عن أجيال العهد البائد بلسان طلق لا غموض فيه ولا خفاء . وتحمل هذه النقود الصغيرة الأحجام في طياتها صورا لثقافات عظيمة وحكومات جبارة وأمم قرية التي طوتها الأزمان في زواياها . وهذه النقود الأثرية لنعمة كبرى للعصر الحديث لأنها تعطينا فكرة عامة عن الحروب والعلم والزراع والنضال في مختلف الأزمنة والأمكنة بين الأمم والشعوب . ولا يجد الباحث العلمى شيئا أقوى وأحسن من هذه النقود لتحقيق أمنيته والوصول إلى مآربه الخاص . ويجب أن يجد علم النقود مكائمه اللاتقة في علم التأريخ ولدى المؤرخين .

ويقول د كرnl ناد ، العلامة في تاريخ النقود : د إن النقود العشرية المصنوعة من النحاس كانت منتشرة في الهند قبل عهد الإمبراطور د أشوكا . وقد عثر علماء الآثار على النقود التاريخية الجارية في عهدى أشوكا وجمندركبتا . وكذلك عثروا على النقود

وخاصيتها بينما انهمك د واسن أسمت ،
 في دراسة طبيعة نقوشها وحروفها . وقضى
 العالم الأثرى سبونر عدة سنوات في وضع
 قائمة خاصة منظمة للنقود التاريخية التي هفر
 عليها في نواحي رجبوتانا وتكشيل . والشئ
 الذي أتعب جميع المؤرخين الباحثين هو
 تحديد التواريخ بدقة ووضوح . وأما العثور
 على بضعة نقود فألقى النور على عدة قرون
 في تاريخ الهند بعد أن كانت في غياهب الظلام
 وقام دركا برشاد وردى بمساعي جلييلة
 في سبيل اكتشاف تواريخ ملوك بلوا
 وحكوماتهم وعادتهم ونقوشهم من هواش
 النقود الأثرية . ولهم صفحات مجيدة في هذا
 المضمار الخطير ، ولا يزال العلماء الأثريون
 يحاولون أن يكتشفوا مزيداً من المعلومات
 من تلك المجموعة القيمة من النقود التي عثرت
 عليها في تكشيل ، وليفهموا تلك الحروف
 والنقوش التي عليها . ومن ضمن تلك المجموعة
 نقود على شكل مربع وعلى جانب منها حروف
 رومية قديمة وعلى الآخر حروف اللغة
 الدراويدية السائدة في جنوب الهند من الزمن
 القديم . ومنها اسقنبط بعض المؤرخين بأنه
 كانت في الهند حضارة مزدوجة وثقافة مخلوطة
 في تلك الأيام ثم تطورت وتقلبت حسب
 تقلبات الزمن . وقال المؤرخون السكبار :
 كوديليان ، وأغسطين ، وبانتى في كتبهم :

بعد نبش القبور لعظماء الملوك ونحس القلاح
 لجبايرة الحكام في بنغال ، وراجبوتانا ،
 وبانتا وغيرها من المدن التي كانت هواشم
 الأباطرة العظام . وتنبه كثير من الحكام
 الانجليز إلى أهمية النقود التاريخية وبدءوا
 يدرسونها بدقة وتعنى للوصول إلى ما أخفته
 الأيام من عبر وعظاات وسير وحكم تنير
 الطريق إلى بناء مستقبل موطن الأركان
 ومدمم الأساس . وأدرك المؤرخون السكبار
 مثل كنفنهام بأن النقود الأثرية لمى مفتاح
 البحث التاريخي ونبراس علماء التاريخ ا

وانهمك آر . دى . بانرجى في بحث النقود
 التاريخية ، واكتشف عظمة الهند التي حكمها
 موهن جودارو وتكشيل . وقدم أمام العالم
 كله ثقافات الهند القديمة وحضاراتها العريقة
 وتقاليدها القيمة في مختلف الميادين مستدلا
 بنقوش تلك النقود الأثرية ومستنيرا بقلك
 التوقيعات والحروف المسجلة في جنبااتها ،
 وقال : « إن بلادنا الهند بلاد الساسة المهرة
 والعلماء المفكرين . وفيها حضارة تفوق
 حضارات جاراتها وشقيقاتها من البلدان
 والأمم . »

وبذل القائمون بالإشراف على الهيئسة
 الاسوية بمجهودات جبارة في النهوض
 بقسم النقود الأثرية الهندية . وقام د تيوبولد ،
 بدراسة المعادن التي ضربت بها النقود ومزايها

وكانت القبيلة شاخن و قبيلة هونن يد طولى
فى نشر النقود العديدة .

ومن أهم المراكز لضرب النقود ، مدينتا
مكدها وبتالى بتر . وتسربت تطورات
بسيطة إلى هيئات النقود وأشكالها بعد الفتح
البوذى . وكذلك أدخل الأمبراطور أشوكا
عدة تعديلات فى النقود لتسهيل التبادل
الخارجى مع البلاد التى كانت تتاجر
مع الهند .

وانتشرت الدنانير فى جنوب الهند منذ
قدوم الفرس إليه والتجارة فيه ، كما انتشرت
النقود الرومية مع بحرى التجار الروم إليه .
فيختلف ختم الدولة على النقود باختلاف
صور الحكم فيها وعقلية الحكم وتقاليدهم .
ومعظم النقود فى ذلك الزمن كان ممزجا
من عدة معادن . وكانت للوزن قيمة تذكر
أكثر من جمال الشكل وحسن المنظر .
وأصبح كل هذا وذاك منذ الدخول إلى خفايا
تلك الدول وخباياها ، كما أنه معيار قيم
للقوف على مدى حضارتها ، ومدنياتها ،
وعصورها ، وبيئتها . ويوافق المؤرخ
الأثرى الكبير بهناركر على رأى الدكتور
سوكار فى هذه المسألة موافقة كاملة .

ويوجد نقش التاريخ فى ناحية ، وشعار
الدولة فى الناحية الأخرى فى جميع النقود
الشائعة فى عهد كنفك . وكانت لجان خاصة

أن النقود الرسمية كانت شائعة فى الهند منذ
عهد ديجورويد ، وقد حاول الحكماء نقش
صور ثلاثة وثلاثين من الآلهة التى جاء ذكرها
فى رجويد على صفحاتها . وكذلك جاء ذكر
علم النقود وفنها فى الملاحم الهندية القديمة مثل
أرتشاسترم ، روبشادام ، وراجترمكى ،
وأشتدهام وغيرها من الملاحم الهندية
المشورة . ويتضح من الكتب العلمية بأن
ضرب النقود كان شائعا فى الهند منذ عهد
بالغة فى القدم .

ويعرف فى اللغة البالية نوع من النقود
باسم كاشى بنم . ويستعمل الباحثون الجدد
النقود المعروفة باسم دنج ماركى ، فى بحوثهم
التاريخية . ويتم الأثريون فى جميع بقاع
الأرض بهذا الصنف من النقود وكان الملوك
فى جنوب الهند يهتمون جداً بضرب النقود
الحكومية فى هذه أشكال . واستعملوا الفضة
والنحاس لهذا الغرض بتوسيع بالغ وتحديث
الدكتور ج . ن . سوكار عن مساهمة نقود
جنوب الهند فى فن النقود والبحث التاريخى
حديثا مستوعبا فى محاضرات ألقاها فى دراسة
النقود الهندية القديمة .

وأما النقود الجديدة فكانت تأتى
إلى الأسواق العامة فى المناسبات الخاصة
وفى عهد الملوك د بلوا ، خصوصا بمناسبة
الاعتلاء على العرش والتتويج لملك جديد .

نقودها على ذلك الطراز . وتقدمت الهند تقدماً ملحوظاً في هذا الميدان في عهد السلطنة رضية . وعثر الأثريون على عدة أنواع من النقود الرضية ، ومن ضمنها نقود ذهبية خالصة . وكانوا يستعملون النقود في نشر دعوة التوحيد ، وفي ناحية منها كتبت وصايا السلطنة . ووزع السلطان محمود غزنوي حوالي أربعة عشر نوعاً من النقود الرسمية ، وكتبت في ناحية منها ألفاظ ما معناها : الله أحد ، والذين لا يذكرون الله القوى المتين هم الخاسرون . واتبع الأباطور همايون ، والأباطور شاهجهان النظم الفارسية في ضرب النقود وتحديد أشكالها واختيار كيفياتها ونمط الأباطور أكبر شعار مذهبه الجديد « دين إلهي ، أي الدين الإلهي على نقود دولته . وكان الأباطور جهانكير يهدي نقوده التي تحمل توقيعها الخاص إلى الأمراء وأعيان المملكة . وقام كل واحد من الحكام المغول بالنهوض بمصلحة النقود الحكومية ، وأدخلوا تعديلات خاصة في هيئاتها وطرزها إن النقود التي ضربت في عهد المغول لمن أغلى النقود قيمة ، وأحسنها شكلاً ، وأروعها منظرأ في تاريخ النقود الهندية . واكتشفت عدة أنواع من النقود المغولية ويبلغ تعدادها أكثر من ألف نوع .

في عهود ملوك كبتا تقوم بمهمة ضرب النقود وتحديد أشكالها . وتحتوي تلك اللجان على أشخاص بارزين من الساسة والادباء والفنانين ، لأنها أخطر اللجان في تقرير مصير اقتصاديات البلاد .

وكانت النقود التي شاعت في عصر فلكامترن من المعادن التي لا تتكسر أبداً ولا يملوها البلى والتلف بطول الأمد وقدم الأزمان . وتوجد صور الثور والأشجار في النقود المكتشفة في مقاطعة بنجاب وشمال الولايات الحدودية . ويظهر من النقود الأثرية أن أيام حكم جندر كبتا كانت أيام الفنى والرخاء في البلاد كلها . وضرب ستمون نوعاً من النقود الذهبية في ذلك العهد في أشكال مختلفة ومقاييس متعددة ونقشت في إحدى نواحي تلك النقود علامات أخرى والهاء . وأشاع وشنو كبتا نقوداً تحمل صورة قريبته المحبوبة وإسمها . ودخلت تغيرات عديدة في النقود الهندية أيام حروب جنكيز خان . وضربت النقود بقطع من الحديد الخفيفة . ونقشت مناظر الأنهار الجارية وحروب الفرسان على النقود التي ضربت في عهد هونس مع أنها كانت خفيفة الأوزان .

وفي عهد حكم المسلمين انتشرت في الهند نقود ضربت على الأشكال المعروفة في بلاد الشرق الأوسط ثم بدأت الهند نفسها تضرب

أما النقود الأجنبية فلها انتشار واسع في بلاد الهند منذ القدم لأن العملة الأجنبية كانت تستعمل للتبادل التجاري بينها وبين البلاد الخارجية ، فطارقت النقود الرومية ، والصينية ، والتونسية ، والفارسية إلى المراكز التجارية في الهند ، ويتضح هذا جيدا من كتابات السواح الصينيين والمؤرخين البرتغاليين .

وسجل المؤرخ المشهور الإيطالي بينرود بلاولى (١٦٢٧-١٦١٤) في مذكرات رحلاته بأن النقود الرومية ، والعربية ، والصينية كانت شائعة ومستعملة بتوسع كبير في سواحل الهند الغربية .

أما السلطان لارى الذى كان يحكم بلاد الشرق الأوسط سنة ١٥٣٣ م ، أرسل النقود اللارية للأغراض التجارية إلى جنوب الهند وجزيرة سيلان وحاول نشرها في تلك البقاع . والنقود اللارية هي التى كانت تقود الحركات التجارية في ذلك الزمن . وفى أيام غارات البرتغاليين كانت النقود اللارية تستعمل بكثرة في موانئ كاليكوت وكوتشين وفى الأسواق التجارية الكبيرة . وكثر استعمالها أيضا في التبادل التجاري .

وأما النقود التى كانت شائعة في ولاية ترافنسكور بجنوب الهند إلى عهد قريب باسم جكرم فهى صورة مشوهة لنقود لارى

والمستر كستغهام ، بيان رائع في كتابه (الهند المغولية) عن ذلك العهد المغولى الذى له دور خطير في تغيير مجرى التاريخ الهندى فيقول : ابتداء العصر الذهبى في الهند بعد أشوكا في أيام حكم المغول . ونرى قوة خيال المغول ومقدرتهم الفنية من خلال الأحجار الأثرية والمعادن المنقوشة والأبنية التى تهر العقول ، وتبهج التلوب ، ولذا استغنينا بعض الأخطاء الشخصية من بعض السلاطين المغول فنجد أن عصرهم في الهند هو العصر الذهبى في تاريخها المجيد ، وحكمهم لمن أهدل الأحكام وأنصفها وأخلدها أثرا في صفحات التاريخ الهندى ، وتدل شعائر نقودهم والمنقوش المنحوتة فيها على مظاهر الحب الخالص والمودة الصادقة والإخلاص المتين ، كما أن المجلس العلى لأمبراطور أكبر ومجلس الدولة لجها نكير كان يهتم اهتماما بالغا بمسألة نقود الدولة ورسومها وأشكالها وأهدافها ، وتتجلى من صفحات هذه النقود موهبة المغول الفنية وشغفهم بالفنون الجميلة وجمال الطبيعة ، ونحتوا وصايا الحق والعدل والصدق في النقود باللغة الفارسية والسانسكرتية وأثبتوا شعار المحبة والمساواة في جنباتها في هاتين اللغتين ، ونرى الآن قلوب سلاطين المغول الصافية ، وصدورهم الواسعة وعقولهم المتسورة من خلال هذه النقود الأثرية .

وأُنزل أمراء الولايات نقوداً خاصة خفيفة الأوزان لمبالغ صغيرة إلى جانب النقود الانجليزية، واستطاع الانجليز توحيد النقود نوعاً ما، ولكن لم يدخلوا تعديلات تذكر في تلك النقود.

وبعد أن تحررت الهند من نير الاستعمار الأجنبي، تطرقت تعديلات خاصة إلى النقود الحكومية وما هي الآن نفذت الهند النظام العشري في النقود الرسمية أسوة بالنقود السائرة في البلدان الأخرى، وتسهيلاً للعاملات الاقتصادية وفوق هذا وذاك أن هذا النظام العشري ليزيل عن طامة الشعب التكاليف التي يتحملها في الحسابات وفي التبادل التجاري خصوصاً مع البلاد الخارجية والعملة الأجنبية؟

نحي المربى اللواتي

إذ هي لا تختلف منها إلا اختلافاً بسيطاً يتعلق بالرموز والحروف. والعائلات المالكة في جنوب الهند مثل جولاً، وبانقيا نقود خاصة. وفيها الفيل، والسمك والفنر، والقوس، والقرس، وغيرها. ووصلت إلى مليبار نقود سنهالية خفيفة الوزن خلال أهوام ما بين ٨٥٠ - ٩٦٠، وفي نفس الوقت كانت تجري في ترافنسكور نقود خاصة مثل جندرا كتش، وايزوركاش وغيرها. وفي ولاية مليبار كانت تلسكن بن، وسلطان ولي، وروماشلي وغيرها من النقود الشائعة — (مليبار للذكور شمس الله قادري) وجاء ذكر هذه النقود في الأغاني الشعبية والنقص المحلية.

وبدأت النقود الانجليزية تنقشر في الهند شيئاً فشيئاً منذ تأسيس شركة الهند الشرقية،

« لا تتعجل بالحكم »

قال الشعبي : كنت جالسا عند شريح القاضي ، إذ دخلت امرأة تبكي بكاء شديداً وتشكو زوجها ، وكان غائبا ، فقلت أصلحك الله ، ما أراها إلا مظلومة ، قال : وما أهلك ؟ قلت : لبكائها ، قال : لا تقطع بظلمها ، فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون ، وهم ظالمون ...

تصنيف العلوم عند الغزالي

للأستاذ فوزي عرفة

يعد موضوع تصنيف العلوم من الأمور الهامة في كل فكر إنساني إذ بحسب قدرة العقل على جمع شتات الموضوعات يتحدد منهجه لدراستها وطريقته للتحدث عنها ، وقد عرف عن المسلمين شديد عناية بإحصاء العلوم ويشتهر لديهم في هذا المجال كتاب « إحصاء العلوم » للغاربي ، والفهرست لابن النديم ، ومقدمة ابن خلدون وغير ذلك من المجلدات الضخمة التي تستوعب بطون الحسكة وتجمع بين دفتيها فنون المعارف وشتى العلوم .

وقد لجأ الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » إلى مثل هذا الضرب من التصنيف للعلوم إلا أن ما يعطى لتصنيفه أهمية في تاريخ الفكر أنه مشتق من روح التصوف وينبوع الباطن . الأمر الذي يجعل لتصنيفه طعما خاصا ومذاقا يختلف عن غيره من التصنيفات ، ونحسب أن الحديث فيه يطالع القراء على لون إسلامي طريف مبدع ، ويفتح عيونهم على منحنى جديد من مناحي التصنيف والإحصاء .

يقدم الغزالي لتصنيفه بمقدمة يراها ضرورية لتوضيح المذهب الذي سيسلكه فيقول :

« مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال : الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه في قوة الجمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة ، والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فإنه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء ، على أن القاعدة « العلم فضيلة » لا تدل على تفاضل بين العلوم فقط ، وإنما مفهومها الصحيح أن يوجد ذلك التفاضل الذي يترقى في مدارج حتى يصل إلى ما هو أرفع وأشرف ، ودليل ذلك نظرة الغزالي إلى الفضيلة إذ يقول : « الفضيلة نسبية واستحقاقنا للسيارة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيروا بالكناسيين فلا تظن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر ، ومعنى هذا أن العلوم يمكن أن تتدرج من أدنى إلى أعلى مع اشتراكها جميعا في الفضل إلا أن هناك ما هو أكثر فضلا من غيره ، ودليل ذلك - فيما يرى -

أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى :

(١) ما يطلب لغيره .
(٢) ما يطلب لذاته .
(٣) وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعا .
وما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره .

٣ — سياسة العلماء بدين الله : وهم ورثة الأنبياء ولهم الحكم على الباطن فقط وهذه الخاصة .
٤ — سياسة الوعاظ : وحكمهم على بواطن العوام فقط .

هذه المقدمات أساسية في النظر إلى العلوم فالعلوم - على هذه التقسيمات - تنقسم إلى نوعين : علوم محدودة ومضمومة ، وعلى الرغم من تواتر الآراء بين عشرين رأياً حول معنى العلم إلا أنه يرى أن العلم ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة ، والعلم المفروض على المسلمين في قول الرسول (طلب العلم فريضة على كل مسلم) : هو علم المعاملة الذي ينقسم إلى ثلاثة : اعتقاد ، وفعل ، وترك .

والاعتقاد يبدأ بإقرار الشهادتين ، والفعل بأن يتعلم الطهارة والصلاة والزكاة والحج . والترك . فيكون بحسب ما يتجدد من الحال .

والعلم الذي هو فرض كفاية : هو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب والحساب وما إلى ذلك ، والمضموم منه هو علم السحر والطلسمات والشعوذة والتلبسات والمباح هو علم الأشعار التي لا تنفع فيها ، أما العلوم الشرعية فكلها محدودة إلا ما يتلبس بها ويظن أنها شرعية ، والعلوم المحدودة منها هي : أولاً : الأصول . وهي كتاب الله وسنة الرسول وإجماع الأمة وآثار الصحابة .

ثانياً : الفروع . وتنقسم إلى :

(١) ما يتعلق بمصالح الدنيا وبحقوقه كتب الفقهاء والمتكفل به الفقهاء .

ثم ينظر الغزالي في مقاصد الخلق ليرتبها في درجات يعلو بعضها على بعض وتتفاوت في الأهمية وإجابة المطالب حتى يربط بينها وبين تصنيف العلوم فيرى أن هذه المقاصد مجموعة في الدين والدنيا ، ولا ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين التي تنقسم إلى ثلاثة أقسام : (١) قوام العالم : وهي الزراعة والحياكة والبناء والسياسة .

(٢) حزم السابقة : كالحدادة التي تستخدم الزراعة والحلاجة والغزل ... الخ .

(٣) تنعيم الأصول : كالطحن والتخيز والعصارة والخياطة وهي التي تتم بها سابقةها . هذا بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي وهي ثلاثة أيضاً :

(١) الأصول : كالقلب والكبد والدماغ من الإنسان .

(٢) والخادمة : كالعمدة والعروق والشرابين والأعصاب والأوردة .

(٣) والمتنمة للأصول : كالأظافر والأصابع والحاجبين .

وأشرف هذه الموضوعات السياسة التي تنقسم إلى أربع مراتب وهي :

١ — السياسة العليا : وهي سياسة الأنبياء في حكمهم على ظاهر العامة والخاصة وباطنها .

٢ — سياسة الخلفاء والملوك والسلاطين : وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم .

(ب) ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم
أحوال القلب .

ثالثاً : المقدمات . مثل علم اللغة والنحو
وهي تسهل فهم الأصول .

رابعاً : المتهمات . وهي :

(١) القراءات وغارح الحروف في القرآن
من حيث اللفظ .

(ب) ما يتعلق بالمعنى كالتفسير .

ونستطيع أن نلاحظ على هذه القسمة
للعلوم ما يأتي :-

١ - ألحق الغزالي الفقه بعلم الدنيا
لأن الفقه يقوم الدنيا بما فيها من شهوات
ويقتضى على كبريات السلطان دافقيه هو العالم
بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق
إذا تنازعوا بحكم الشهوات - ولعمري أنه
متعلق أيضاً بالدين - ولكن لا بنفسه
بل بواسطة الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة
ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين
توأمين فالدين وأصل السلطان حارس .
ولكن ليس معنى هذا أن علم الفقه يشبه
أى علم آخر يتعلق بالدنيا وإنما هو يمتاز
عليها جميعاً لثلاثة أمور . أولاً : أنه علم
شرعى . وثانياً : لا يستغنى عنه أحد
من سلكى الطريق إلى الآخرة . وثالثاً :
أنه يجاور علم طريق الآخرة أى علم المكاشفة .

٢ - أنه يبنى على الفقهاء إسهامهم لعلم
الباطن على الرغم من تواتر الأحاديث بفضل
علماء الباطن ويصح ذلك عند ترتيبه للعلوم
بأنها علوم الأبدان والأديان ثم الباطن ،
والأولان مقدمة ومدخل تدريجى لعلم الباطن .

٣ - أنه يجعل العلم مقدمة للتصوف
ويستدل على ذلك بقول الجنيدي رحمه الله :
قال لى السرى شيخى يوماً : إذا قت من هدى
فن تجالس ؟ قلت : المحاسبي ، فقال : نعم
خذ من علمه وأدبه ودع هناك تشقيقه الكلام
ورده على المتكلمين ، ثم لما وليت سمعته
يقول : جعلك الله صاحب حديث صوفيا
ولاجعلك صوفيا صاحب حديث . أشار إلى
أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ،
ومن تصوف قبل العلم غاطر بنفسه .

٤ - أنه لم يذكر من هذه العلوم - علم
الكلام والفلسفة لأن ما يشتمل عليه علم الكلام
مذكور في القرآن والأخبار مشتملة عليه
وما عدا ذلك فهو مشاغبة وبدع مذمومة
وأما الفلسفة فليست علماً برأسها وإنما هي :

١ - الحساب والهندسة وهما مباحان .
٢ - المنطق وهو داخل في علم الكلام .
٣ - الإلهيات وهو داخل في علم الكلام
أيضاً .

٤ - الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع
والدين الحق .
فوزى عرفة

التكبير عند ختم القرآن

للأستاذ أحمد علي منصور

نزول الوحي بعد انقطاعه عنه حينما من الدهر وردا على ادعاءات المشركين، واغتباطا بنعم مولاه عليه، وسرورا بهذا الوعد العظيم، الذي تضمنه قول الله تبارك وتعالى في هذه السورة الجليلة : واسوف يعطيك ربك فترضى، وصدر عنه، صلى الله عليه وسلم، الأمر بالتكبير من الضحى مع نهاية كل سورة، حتى يختم التنزيل الحكيم تعظيما للعلو القدير، وقيامًا بشكر أنعمه، وفرحًا بختم كتابه الحكيم.

ولقد روى هذا التكبير عن الرسول الأعظم، صلوات الله وسلامه عليه، وعن الصحابة والتابعين، وذهب رجال الحديث إلى أن حديث التكبير رفعه البرزى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ورواه غيره موقوفًا على ابن عباس ومجاهد. وهذا التكبير عام داخل الصلاة وخارجها، قال البرزى قال لى الإمام الشافعى رضى الله عنه : إن تركه التكبير فقد تركت سنة من سنن رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

وروى البخاوى عن أبى محمد القرشى، أنه صلى بالناس التراويح خلف المقام بالمسجد

أرسل الله الصادق الأمين، بالهدى ودين الحق، بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا، وأنزل عليه القرآن العظيم من فوق سبع سموات، بلسان عربى مبين، فى صورة بلاغية يعجز عنها الخلق، وأقوى حجة تخضع لها العقول النيرة، وضمنه من القواعد والأحكام ما يكفل سعادة الناس فى الدنيا والآخرة. يهدى به الله من اتباع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بأذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم. وفى صدر الإسلام تأخر الوحي عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مدة من الزمان فكان لذلك أثر بالغ فى نفسه، وقال قاتل من كفار مكة زورا وبهتاناً : إن رب محمد ودهه وقلاه فدحض الله مفترياتهم، وكذب قولهم، وأنزل على رسوله الكريم قوله عز هلاه والضحى والليل إذا سبحا ما ودهك ربك وما قلى. وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى، وما أن أتم أمين الوحي جبريل هذه السورة الشريفة، أمام خير الورى ورحمة الله العالمين، حتى قال د الله أكبر، شكر الله على ما أولاه، من

جبريل عليه السلام من قراءة سورة والضحي عليه ، كما مر في صدر مقالنا هذا ، ثم قرأها صلوات الله وسلامه عليه ، ولا يعلم إلا الله سبحانه ، هل كان تكبير نبيه لقراءة نفسه ، أو لحتم قراءة أمين الوحي جبريل ؟ والذي عليه الأكثرون أن تكبيره عليه الصلاة والسلام كان لحتم قراءة جبريل ، فذهبوا إلى أن بدئه من ختام الضحي إلى ختام الناس . ويرى هذا الفريق أن تكبير الرسول صلى الله عليه وسلم كان لقراءة نفسه ، فبدئ التكبير عندهم من أول الضحي ونهايته أول الناس .

وبعد : فينبغي العمل بهذه السنة المأثورة عن أشرف الودى ، وتلاوة التنزيل الحكيم بترييل وخشوع ، والتدبر في آياته ، والعمل بأحكامه ، وتسريح النظر طويلا في رياضه ، والإلمام التام بالمقابلة من آيه ، حتى لا ينسى شيء منه ، ولا يلحق في بعض سورة ، والرغبة إلى الله جل جلاله ، أن يوفقنا لما يرضيه ، ويهدنا مما يفتننا ، ويهدينا الصراط المستقيم .

اصحح على منصور

الحرام ، فلما كانت ليلة الحتم كبر من خاتمة والضحي إلى آخر القرآن في الصلاة فلما سلم إذا بالإمام محمد بن إدريس الشافعي قد صلى وراءه ، وقال للقرشي لقد أحسنت وأصبت السنة . والأفضل أن يكون التكبير في الصلاة سرا ، سواء أكانت الصلاة سرية أم جهرية ، حتى لا يسبق إلى أذهان العوام في الجهرية أن التكبير من القرآن العظيم .

وصيغة التكبير عند الجمهور : الله أكبر ، ويرى بعض العلماء زيادة التهليل قبله والتهميد بعده ، فتصير صيغته على هذا لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد ، وجرى عمل الشيوخ والقراء قديما وحديثا ، على الأخذ بذلك ، لأن المقام مقام إطالة وتلذذ بذكر الله جل جلالته ، عند ختم قرآنه الكريم . وابتداء التكبير عند الأكثرين من أول سورة والضحي ، وانتهاءه على رأيهم عند أول سورة الناس . وذهب فريق إلى أن ابتداءه من آخر والضحي ، وانتهاءه عند آخر الناس .

وسبب هذين الرأيين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « الله أكبر ، عند فراغ

العوامل الضرورية في بناء الجماعات وإقامة المدن للأستاذ عباس طه

الاقتصادية الكلاسيكية والحديثة مسترشدين بهدى الفرقان الذى أنزل هدى للإنسان حق لا يندوهؤلاء الذين يعلنون المنابر في المساجد والجماعات فاصحين بما يخالف الدين ويخرج عن سنن النظريات الاقتصادية والاجتماعية في إنهاض الشعوب من ربة الأفكار البالية .

العوامل الباهتة لحركات الجماعات :

(القوى الديناميكية)

الحاجة الحيوية التى يشعر بها الإنسان هي العامل الوحيد الباهت للحركة المعاشية في العالم وهي بهذا الوصف أساس علم الاقتصاد السياسى .

كل كائن حي لاجل أن يصل إلى كماله الشخصى مضطر لأن يستعين بالعالم الخارجى وأن يستمد منه عناصر يحيا بها حياته المقدرة له . وهو مضطر لبذل مجهود للحصول على حاجاته لأن حصوله عليها يدفع عنه أهما والحرمان منها يوقعه في أذى .

ولحاجات الإنسان طبائع مختلفة عظيمة الخطر ، ولكل طائفة منها قوانين اقتصادية خاصة بها تلخص فيما يلى : —

يخيل لمن لا بصرية له في العلوم الاجتماعية أن تقليل الحاجات المادية في الأمم يحفظ عليها ما لها ويكفل لها استقلالها ويجعلها أقل احتياجاً إلى سواها ، فترى كل ممة متجهاً إلى مكافئة ما لا فائدة له في نظره من الكماليات رجاء أن ينشئ شعباً لا تتعدى مطامعه ما يقيم صلبه ، ويكسو جسمه ، لينصرف بكليته إلى الكمالات الروحية ، والترقيات المعنوية . وهذا خطأ بين يقع فيه كل من يتصدر صفوف الجماعات ويعلم مناير التوجيه والإرشاد . لقد تسميت هذه النظرة العابرة التى لم تبين على قواعد علمية اقتصادية واجتماعية خلال العصور في إهلاك جماعات دانت لهذه النظرة الخاطئة والرأى الفطرين فلم تلبث أن انحلت ورايتها وفنيت في أجساد أمم أخرى ومنها جماعات لم تصادف مزاحماً لها في الحياة بقيت على ما كانت عليه قروناً كثيرة في حالة تخلف وجود .

لذلك - حفزنا أن نكتب في هذا الموضوع عن الحاجات الإنسانية وأمرها في بناء الجماعات وإقامة المدن نقتبسه من صميم النظريات

بجدار يقها لفح لشمس ، فبشرها بالجلد العاجل غن هذه الأرض التي لم تستطع الاستفادة منها مع ما منعت به من القوى والقدره التي تبلغ بها أوقى مراتب الوجود المسادى والمعنوى .

ههنا يمكن أن يقول قائل : هل ترقى الإنسان فى الاحتياج خير له أو شر عليه ؟ الجواب : إن الحاجات التي تنشأ للإنسان هى عوامل تحفزه للعمل ، وتظهره للابتكار والاختراع وهذا يدفعه للترقى فى العلم فإذا أردنا أن نعمل على تقليل هذه الحاجات كئنا دافعين إلى خوف هذه العوامل فقتل الجهود العقلية ويهبط مستوى الثروة العامة وهذه الحاجات الاقتصادية ليست مجردة من نتائج أدبية عالية وذلك أن كل حاجة منها هى بمثابة رابطة جديدة تزيد انضمام الناس بعضهم إلى بعض لأن نيلها لا يتأتى إلا باشتراك مجموعهم فى إيجادها .

ومن هنا ينمو فى البشرية الشعور بالتضامن والقرافد ، فالرجل القليل الحاجات لا يحتاج لغيره ، ولكن يكتبى بنفسه ، وهو ما لا يجب أن يكون بين النوع الإنسانى الذى عليه ترقى أفراده على التعاون الاجتماعى .

ثانيا : الحاجات الإنسانية محدودة فى مقاديرها . وهذه من الأصول الهامة التي تركز

أولا : الحاجات الإنسانية غير محدودة العدد . وهذا مما يميز الإنسان عن الحيوان ، وهو فى الوقت ذاته الباعث على المدنية بأوسع معانيها .

وحاجات النوع الإنسانى تتدرج فى نوعها وقيمتها بقدر تقدمه فى الحضارة . وحياته من هذه الناحية كحياة الطفل من نوعه . فإنه فى المهد لا يتطلب أكثر من الغذاء المناسب ثم يتدرج فى توفير حاجاته من الأغذية المختلفة والملابس والألعاب المروضة ، ولا تكاد تمضى عليه سنة حتى تنشأ له حاجات جديدة . كذلك الحال فى الجماعات البشرية ، فإننا اليوم وقد قطعنا أشواطا فى المدنية نجد أنفسنا فى حاجة ماسة إلى كل ما يتعلق بالصحة والنظافة والتعلم والسياحة وذلك لم تكن معروفة لأصولنا . وبما لا مشاحة فيه أن أحفادنا سيشفرون باحتياجهم لأكثر منها ، ولو أتيج لنا أن نقف على خبر كائن فى بعض السكواكب لأنسنا عنده احتياجات جمة لأمور لم نتخيلها نحن الآن ولا تمر فى خاطرنا .

لكن ما الحكم على الأمم التي تقنع بالقليل من الحاجات ولا تمد مطامعها إلى ما يبعد عن الدائرة التي حصرت نفسها فيها ؟ هذه الأمم إذا بقيت مكنتية من الغذاء بشيء من الفاكة والحضر واللبن ، ومن المأوى

حاجة الإنسان للتغذية من الأغذية تتعاضد وحاجته لنوع آخر منها ، ولكنها تألف مع حاجته للنعيم والكسوة والمنشقة والصكين الخ .

خاصا : ميل الحاجات الإنسانية إلى عادات راسخة ، وكما يقال طبيعة ثانية . وهذا له أثر كبير بالنسبة للأجور — ذلك أن الإنسان متى ارتفع إلى مستوى من العادات صعب عليه أن ينحدر فجأة عنه . فقلد مضى ذلك الزمن الذى كان لا يلبس منه العامل الملابس البيضاء ولا ينتمل حذاء ، ويتعاطى القهوة والتبغ ولا يأكل اللحم وخبز القمح ، ولكنه الآن أصبح أسير هذه الحاجات بحيث يهلك إذا لم يستطع توفيتها . ففعلا أن العادة متى مر عليها فى الأمة أجيالا متعاقبة رسخت فى العقاب ففجرت الحواس بضرورتها الأمر الذى لا يمكن الاستغناء عنها أو التقليل منها .

سادسا : زوال العادات وظهور عادات على أنقاضها أرفع أو أخطر منها . هذا فاموس طبعى فى ترقية الأمم بإنشاء حاجات جديدة لها خصال سامية وأغراض شريفة وتقويتها بحيث تصبح فيها عادة أو طبيعة ثانية ومتى تم ذلك سارت الأمة إلى أوج السكال والشرف مدفوعة بعوامل وبواعث ذاتية لا أثر للتصنع فيها وكان حظ الجماعة من ورائها عظيم للغاية .

عليها النظريات الحديثة فى علم الاقتصاد السياسى . ومقدارها أن لكل حاجة يعجز بها الإنسان مقدارا خاصا لا تتجاوزه الرغبة مثال ذلك أن الإنسان يحتاج إلى المواد الغذائية ولكن احتياجه إليها يقف منها عند حد لا تتجاوزه خلافا لحاجاته الصناعيه أى الإجتماعية ، فلا تكاد تجد لها حدا تقف عنده فإنك لا تستطيع أن تدرك مقدار المال الذى يشبع نهمة الرجل المتمدن .

ثالثا : الحاجات الإنسانية متعارضة ، ومعنى ذلك أن الحاجة من الحاجات لا تحصل إلا بملامشة حاجة أخرى أو امتصاصها ، وهذا مبدأ اقتصادى يقوم عليه إمكان إصلاح الأمة عن طريقه وذلك بأخذ احتياجات مالية للأمة لتبديد احتياجاتها المنحطة الرديئة . وقد شوهد أنه يمكن الإستعاضة عن عادة مادية بعادة عقلية ، فيمكن إحلال التردد على النوادى محل التردد على الملاهى العامة ،

رابعا : الحاجات الإنسانية متآلفة . هذا فاموس يبدأ بآدى ذى بدء منافع التقدم وليس هو كذلك فالناس من ناحية العمل ألبسوا متراحين ومتآلفين فى وقت واحد ؟ فالتخالف يوجد بين الحاجات التى تطلب لغرض واحد ، لا بين الحاجات التى تطلب لحاجات متعددة وأغراض شتى .

يعلمون ، . وفي الحديث (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) .

وقد آتسنا اعتراضا من بعض الجماعات على هذه الرخصة زاعمة أن مهمة الدين الحث على الزهادة والاخشيشان ، وتكريمه الناس في متع الحياة ولذاتها فكيف يبيحها الإسلام إلى حد أن ينزل فيها قرآنا وإلى لاظن أن القراء قد فقها الآن بعد ذكرنا المكان الحاجات من شئون الاجتماع أن هذا التنويه ورواه حكمة ما لا يستطيع أن يسكره إلا متعنت ، فلو كان الإسلام قد سام أهله الاخشيشان في المعيشة والقتاعة من المصنوعات بما يسد الحاجة منها وزهدهم في الدنيا حتى كرهوا كل متعها ولذتها لما قامت لهم جماعة ولا انقظمت لهم حياة ولا ازدهر لهم علم ولا فلاقات لهم مدنية ، ولكنهم كانوا يملون من الأرض بعد جيل أو جيلين من قيامهم غه تاركين وراهم إلا ما تركه كل جماعة لم تنتفع بوجودها ولم يستفد من مواهبها .

لذلك علم الله ما سيقال في ترخيصه في نعم الحياة وزخرفها وزينتها من الاعتراضات التي مشارها قصر النظر فذيل الآية بما يشعر بأن هذا الأمر سوف يدركه الذين يعلمون الحقائق ويذيعونها بين الناس مضية بين به إلى معجزات القرآن معجزة جديدة فقال تعالى :
وكذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، ٩

عباس ط

بسطنا هذه البدهيات التي يغفل عنها هؤلاء الذين يخلعون على أنفسهم ألقابا في التوجيه والإرشاد فلا يقدررون مدى العلاقة الوثيقة بين الحاجات الاقتصادية وبين الشئون الاجتماعية ، فالذي يتعذب لترقية نفسية آمنة لا يجوز له أن يقوم بهذه المهمة إلا إذا ألم بأطراف هذه الأصول المقررة لئلا تكون تعاليمه ضارة بالمجتمع الذي يعيش فيه فالملاحظ على أكثر دعاة الإصلاح في هذه الأيام كما تسعيهم المصحف أنهم يسعون لتقليل حاجات الأفراد وتبسيط معيشتهم توهمها منهم أن ذلك يحفظ على الشعب صحته وأبدانه ويحصر همته في وجهة واحدة هي الترقى ماديا وأديا ، فلو قدرنا هؤلاء المصلحين نجاحا رأينا أنه قد إبتنى عليه فساد اجتماعي كبير تظهر آثاره في تدهور الصناعات والمنحطاط الفنون والنتيجة الطبيعية لهذا قلة الأعمال وانتشار البطالة واشتداد الفاقة على الطبقة الأخيرة من الأمة ومتى جاءت انصرفت إلى التلصص والسلب وارتكاب الجرائم .

من هنا يدرك الناس حكمة الإسلام في إباحته منع الحياة ما دامت في حدود الاعتدال بعيدة عن المآثم والعدوان ، قال تعالى : د قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم

مِنْ وَحْيِ الْهَيْدَى "قَصِيدَةً"

لِلْمُسْتَاذِ هَسَنٍ فَتَحَ الْبَابَ

فَأَنْتَ إِذَا هَرَّ الْعِزَاءُ عِزَائِيَا	أَلَا لَيْتَنِي يَوْمًا شَدَدْتَ رَحَابِيَا
وَلَا تَكُ نُورٌ فَوْقَ أَفْقِ حَيَاتِيَا	وَوَفَيْتَ نَذْرِي أَنْ أَزُورَكَ جَانِيَا
***	فَأَقْضِ حَقَّوَمَا نَدَعْنِي قَضَاؤَهَا
أَحْنِ إِلَى آلِ الْفَنِي وَصَحْبِهِ	وَأَرْخُصْ دَمْعًا فِي رَحَابِكَ غَالِيَا
وَلْيَسْبِقْ تَحَنُّنِي إِلَيْهِمْ دُعَائِيَا	وَأُرْوِي غُلِيلًا مِنْ حَنِينٍ وَلَهْفَةٍ
أَغْنِي بِهِمْ هِجَانٌ مَسْتَلْتُهُمَا هَوِي	إِلَيْكَ وَأَشْفِي مِنْ شَجْوَنِي مَا يَمِيَا
عَفِيفًا شَرِيفًا صَادِقَ الْعَهْدِ وَاقِيَا	وَاسْتَشْفِعَ الذَّاتَ الْكَرِيمَةَ خَاشِعَا
وَيَنْصَرِّمُ بَيْنَ الْوَرَى لِي مَقُولِ	لِغَفْرَانٍ ذَنْبٌ قَدْ تَجَفَّاهُ ذَانِيَا
لَعَلَّهُمْ أَنْ يَرْتَضَوْنِي مَوَالِيَا	أَفَى كُلِّ يَوْمٍ أُرْتَجِيكَ لَزُورَةٍ
أَغْنِي بِهِمْ ذِكْرُهُمْ وَأَشْدُو بِذِكْرِهِمْ	أَعُودُ وَأَشْوَاقِي إِلَيْكَ كَمَا هِيَا ؟
وَأَسْتَلْهُمْ الْمَعْنَى الرَّفِيعَ الْقَوَافِيَا	وَكَيْفَ وَإِنِّي فِي رَحَابِكَ آمِنٌ
وَأَجْهَدُ أَنْ أَزْجِي إِلَيْهِمْ رَوَائِعَا	وَفِي ظِلِّكَ الْمَدُودُ أَحَدُو رَجَائِيَا ؟
لَعَلِّي مُلَاقٍ بَعْضَ مَا كُنْتُ رَاجِيَا	عَفْوَتِ عَنِ الْجَانِي وَإِنِّي مُوَحَّدُ
رَوَائِعَ مِنْ ذَرْبِ الْفُؤَادِ بَدِيعَا	أَدِينُ بِإِيْمَانِي وَمَا كُنْتُ جَانِيَا
أَمِينٌ بِمَا يَوْحِي إِلَيْهِ فُؤَادِيَا	وَقَفْتُ عَلَى التَّوْحِيدِ عَلِيًّا قَصَائِدِي
صَنَاعَ إِذَا صَاغَ الْمَعَانِي أُبْيَا	وَأَرْسَلْتَهَا فِي الْعَالَمَيْنِ سَوَارِيَا
مَطَاعَ إِذَا رَاضَ الْقَوَائِي عَوَاصِيَا	فَهَلْ لِي فِي الْغَفْرَانِ آمَالٌ ضَارِعُ
بِحَبْهِمْ فِي الْكَوْنِ هَامٌ مَغْرَدَا	وَهَلْ أُرْتَجِي لِي مَقْعَدًا مِنْكَ دَانِيَا ؟
وَأُطْلِقَ آيَاتِ الْمَدَاحِ شَادِيَا	

نضت من قتام الشجر عنها غلايلا
 كما غيض الشاجي دموعا هواميا
 أفادت عليها طلعة البشر رونقا
 فرفت جبينها واستضاءت حواسيا
 وأقبلت الأيام غمرا حميدة
 على الدهر تزمي ضحوة ولياليا
 لها - ماسرت في الكون - خفقة ملهم
 يحن إلى الآتي ويذكر ماضيا
 بشائر من فيض السماء تتابعت
 فصورت الدنيا عيونا روانيا
 وأشرق في الأكون يدعو إلى الهدى
 رسول قلبت كلهن المناديا
 إذا خير اختار الجهاد رسالة
 فقد رجعت شمسا وبدرا تصاميا
 إذا وضعا في راحتيه لينثني
 عن العزم منه كان للنور قاليا
 فقد وهب للنور الذي هو ساطع
 على النور فأنجى الدجى منه عانيا

* * *

رسول الهدى ما أطيب الذكر مسعداً
 وما أروع الإيمان للشعر هاديا
 (البقية على صفحة ٢٤٨)

شفي من سقام النفس ووحا مريرة
 ونضر قلبا كان بالأمس ذاريا
 وقوم معقولا وسدد نهية
 وناصر غزولا وأيقظ غافيا
 فسكانت ترانيم أجدت مباهجي
 وكان نعيم رد عنى شقائيا
 نبي الهدى عمت بشائرك الدنى
 رياضات جنميات ويبدأ فيافيا
 طلعت على الأيام كالنور غامرا
 وأشرقت في الليال كالأبر هاديا
 فهلت على وجه الوجود أمتلاقة
 كما غمرت شمس الوجود الروابيا
 ورفت على ثغر البرية بسمه
 تفيض شعاعات حسانا زواها
 تفرق كالأمواه في كل جدول
 تدفق من قلب الروابي هواميا
 وتهفو على الآفاق أجنح نشوة
 توامى شجيا أو تصامر خاليا
 وشاهت بأعطاف الطبيعة هوة
 ترد الحزين الجهم جذلان ساليا
 وشعت بأرجاء السماء كواكب
 تقبل بالنور العيون الجواريا
 وأقبلت الغبراء أنضر ما بدت
 تضاحك في الزرقاء شهابا دراريا

الكتاب

بكتاب الله ، وبهي كنهه الوقوف
على موارده .

كان الباب الأول ، نظرة في كلام الله
وكلام الناس ، وكان الباب الثاني ، المعجزة ،
مامي ؟ لماذا تعددت واختلفت ؟ وهل
المعجزة لازمة للرسول ؟ موقف الناس
من المعجزات ، المعجزة الخالدة ، زمان المعجزة
ومكانها ، ثم وقفة مع الشعر الجاهلي ،
وموقف الإسلام منه ، وكان الباب الثالث
« مباحث وآراء في الإعجاز » ، استعرض آراء
الجاحظ والخطابي والباقلاني وعبد الجبار ،
والجرجاني ، والقاضي عياض وابن عطية والرافعي
وأبي حيان التوحيدي ، والرافع الأصفهاني
والسكاكي ، والفخر الرازي وفريد وجدى .
أما الباب الرابع فكان « شجاعت ودعوى
ومفريات » ، ناقشها المؤلف ، منها خلق القرآن ،
والنسخ في القرآن ، ومعارضة القرآن .

الحق أن هذا الموضوع شائك للغاية ،
وليس في حاجة - وحسب - إلى سعة اطلاع ،
ودقة تفكير ودرجة كبرى ، من الاستيعاب ،
بل إنه في حاجة أيضا إلى جرأة في الرأي ،

١ - إجماع القراء :

للاستاذ عبد الكريم الخطيب
هذا الكتاب الأول في الموضوع الذي
اختاره المؤلف لدراسة من إعجاز القرآن ،
ويقع في زهاء خمسمائة صفحة من القطع
الكبير ، وقد قصر البحث فيه على الإعجاز
في دراسات السابقين . المؤلف في مقدمته
يكشف عن منهجه في البحث ، فهو يذكر
أن بحثه لا يعمد أن يكون نظرات في كتاب الله
تتمثل فيها مفاهيم المسلمين للقرآن على اختلاف
وجاهات نظرهم وتغاير أزمانهم وثقافتهم ..
كما يذكر أنه ربما كان من هيوب هذا البحث
أو من حسنه ، أنه لم يواجه الموضوع
مواجهة مباشرة ، بل جعل يطوف حوله ،
- مدانيا ومباهدا - تطاوا طويلا ، استنفذ
كثيراً من الوقت ، وكثيراً من الجهد ،
الأمر الذي ربما يكون قد تحيف الموضوع
الأصلي وأدخل الضيق عليه .

وقد قسم المؤلف البحث أربعة أقسام ،
بعد أن قدم بمدخل كان بمثابة طرقات خفيفة
استفتح بها الباب الذي يصل القارئ

ولا يرى التعارض بين الآيات التي تختلف أحكامها في الأمر الواحد، إذ كل حكم له حال تخصصه، وهلة تدور معه وجوداً وهدماً، فكل أمر يجب امتثاله في وقت ما لعله توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ، إذ أن النسخ معناه الإزالة، حتى لا يجوز امتثاله أبداً. الواقع أن الأستاذ عبد الكريم الخطيب كتب دراسة على جانب من الأهمية والخطورة معا، فجاءت جديرة بما تليق به من تقدير.

٢ — مختصر رسالة الحروب :

للهرثي صاحب المأمون
هذا الكتاب من التراث الإسلامي، حققه
الأستاذ عبد الرؤوف هون، وراجعه الدكتور
محمد مصطفى زيادة، وقد اعتمد المحقق
على نسخة مخطوطة فريدة، حصل عليها من
معهد إحياء المخطوطات بالجامعة العربية من
مكتبة د. كوبريللي، بالأسكندرية.

ووضح أن الكتاب مختصر لكتاب آخر،
أما هذا الكتاب الآخر فهو الحيل في الحروب،
للهرثي أيضاً ألفه للخليفة المأمون، ولا وجود
له الآن، ويرى المحقق أنه ربما فقد فيما فقد
من الكتب أيام فلكية بغداد بالغزو التركي
المعروف.

وقد أعجبنى رأى المؤلف مثلاً في المعجزة،
فبعد أن أورد كلام السيوطي في الإتيان
وملخصه أن أكثر معجزات بني إسرائيل
كانت حسية لبلادهم وقلة بصيرتهم، وأكثر
معجزات هذه الأمة الإسلامية عقلية لفرط
ذكائهم وكال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة
لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم
القيامة، خصت بالمعجزة العقلية الباقية
ليراها ذوو البصائر. بعد أن أورد المؤلف
رأى السيوطي هذا عقب بقوله: ونحن نقول:
إن معجزة الرسول هي القرآن، وليست
له معجزة غيرها، وإن كان كل آية من آيات
القرآن معجزة، بل معجزات..

هذا رأى المؤلف، ولكن القليلين من
المثقفين من يقنعهم هذا الرأى، وما أجدره
لو أنه قال رأيه في المعجزات المادية المنسوبة
إلى الرسول في الأحاديث الصحيحة التي ارتبطت
بأذهان العامة من المسلمين عقيدة في صدورهم،
وناقشها مناقشة علمية، ولا أظن أن قوله
فيما بعد أنها لو صححت لا تكون شيئاً إلى منزلة
الرسول ولا تقاس إلى القرآن الكريم،
لا أظن أن مثل هذا القول وحده يحدد
موقفه من القضية.

وعلى العكس فرأى المؤلف في قضية النسخ
واضح وقائم على استيهاب لشهاب القضية،
فهو ينفى أن يكون قد وقع نسخ في القرآن،

أنه كان يتمثل كل هذه وهو يسجل أفكاره التي هي على جانب من الأهمية .

٣ — قاهر التتار

للأستاذ لبيب البوهي .

هذا الكتاب الجديد للؤاف نشرته الدار القومية ضمن سلسلة الكتاب الماس وصفحاته تزيد على ثلثائة صفحة من القطع الكبير .

والمؤلف من أحرزت مؤلفاتهم القصصية وغيرها كشمرا من الجوائز في وزارة التربية ووزارة الثقافة والمجلس الأعلى للفنون . وكتابه هذا قصة طويلة من التاريخ في أسلوب قصصي يمثل جزءا ذا أهمية في تاريخ العروبة والإسلام ، مليئا بالآلام والمفاخر ، ويقصد المؤلف بقاهر التتار الأمير قطز في معركة هين جالوت ويذكر في مدخل بحته أن القصة تصور فترة حاسمة من الفترات التاريخية التي تمت فيها الوحدة في تاريخ النضال العربي فغارات التتار التي حطمت بغداد وأحرقتها بقيادة هولاكو ، ثم احتلت الشام وأخذت تهدد مصر ، لم يودها على أعقابها ناكسة ، ولم يوهنها ويحطم قواها ، ويكسر شوكة غرورها إلا وحدة بين شعوب العالم العربي بنزع إشعاعها يومذاك من القاهرة .

القصة في ثلاثين فصلا ، بدأت منذ أن

كما يذكر الخفقي في مقدمته أن الهرثمي هو أبو سعيد الشعراfi كما في فهرست ابن النديم وليس بالمراجع التي رجح إليها شيء من ترجمة للؤاف ، ولكن يبدو أن الهرثمي قد يكون منسوباً بالولاء إلى هرثمة بن أعين الحليل الذي كان من أبرز قادة الرشيد وقائد جيوش المأمون بعد ذلك ، وكانت وفاته في عصر الخليفة المتوكل .

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب صغير في حجمه ، إلا أنه تضمن أربعين بابا ، استوعبت على وجه التقريب كل ما يتصل بسياسة الحروب على ضوء الإسلام وتعاليمه ، فنظام الأمر في الحرب تقوى الله والعمل بطاعته ، ومقتضيات الحرب تتطلب حسن سياسة الرئيس أصحابه ، والحذر وسوء الظن ، والأناة والرفق ، والاستشارة وترك الاستبداد بالرأى ، والمتبعة عند وقوع الخوف في المسير ، والتحرز عند النزول والمقام ، وهكذا يقناول الكتاب أصاليب الحرب وفنونها وجسدارتها ، وأمورا شتى من أحوالها في عبارات موجزة أشبه ما تكون بالاصطلاحات والمواد القانونية أو الدستورية . وإذا كان المؤلف - منعا للإسهاب - كثيراً ما يتجنب الاستشهاد بالآية القرآنية أو بالحديث النبوي ، أو بالكلمة المأثورة عن السلف ، إلا أنه من الواضح

إنما دعا إليها علماء الدين باسم الإسلام .
واعتمد المؤلف في مدخله قصته على الرؤيا
والنبوءة ، وهما عنصران يجب أن لا يعول
عليهما في أحداث التاريخ .

ويمكن أن نقول بعد ذلك : إن المؤلف
كتب قصة تاريخية قيمة ، تمت من خلال
صفحاتها الحياة في كل شخصياتها ، وجعلنا
نعيش مع كل أحداثها .

* * *

٤ - مول الفاطم والفصح على السنة

الكتاب :

الأستاذ أحمد أبو الخضر منسى

هذا الكتاب - على صغر حجمه - بعيد
الأثر ، وعلى الرغم من أنه بضعة بحوث
نشرت في الصحف منذ عام ١٩١٥ م
إلى عام ١٩٥٠ ، إلا أن لضم هذه البحوث
في كتاب له قيمته ، فنحن محتاجون دائماً
إلى أن نستذكر أخطاءنا اللغوية في حياتنا
الأدبية على الأقل .

المؤلف يذكر في مقدمته أنه يسلك مسلك
العلامة اللغوي الشيخ إبراهيم اليازجي الذي
أنفأ إذ استوطن مصر عام ٨٩٤ م مجلة
البيان ، ثم أخرج بعدها مجلة الضياء
عام ٨٩٨ م ، فسكتب بحوثاً متتالية تحت
عنوان « لغة الجرائد » .

تولى الأمير قطر مهام منصبه الجديد - منصب
قائب السلطان في القاهرة والسلطان يؤمّن
صبي لم يتخط الخامسة عشرة من عمره . إنه
المنصور هلى بن عز الدين أيبك التركمانى ،
الذى تولى السلطة بعد مقتل أبيه وانتهت هذه
الفصول بعودة قاهر التتار إلى القاهرة بعد
اقتضاره في مسوقة عين جالوت ، ولكن
البطل المنتصر لم يقدر له أن يصل إلى القاهرة
لأن بعضاً من المماليك هاجموا في مدينة
الصالحية وأرادوه على الاعتراف بالملك
لبيرس ، ولم ينته الجدل إلا بقتله ليعود
بيبرس إلى القاهرة ملكاً متوجاً على مصر .

الحق أن القصة بفصولها الثلاثين تصوير
دقيق لفترة حاسمة من تاريخنا ، نجح المؤلف
في إبراز صور الخيانة التي تسلك إلى كثير
من أحداثها ، وفي إبراز الشجاعة الأدبية
لبعض العلماء في مقدمتهم العزيز بن عبد السلام
وقد حرص المؤلف على أن يتنقل بنا من
بغداد إلى الشام إلى القاهرة حيث تقع أماكن
القصة ، ولكن دون مراعاة لترتيب الزمن
للأحداث نفسها ، حتى لتكاد القصة تبدو
في الفصول العشرين الأولى منها مفسكة
الأوصال .

كما أن المؤلف أهمل قليلاً الدين كأقوى
عامل من عوامل الانتصار ، وهذه الوحدة
التي حققتها الحاجة بقيادة قطر الرشيدة ؛

عضو في مجلس كذا - على الرغم من أو على
رغبة - تخرج في جامعة كذا - جاء في الشرط
الأول - مهازل أو مقابح .

وبعد - فإن القضية أكبر من أن نستبين بها
مادعنا نرى أن لغتنا العربية من أبرز مقومات
عروبنا ، وإذا كانت الصحافة أصبحت
مصدر هذه الاستهانة بلغتنا العربية اليوم ،
فمن عن طريقها يمكن أن تستقيم لغتنا ،
ولكن حين يوكل أمرها إلى كتاب أدباء ،
وليسوا من عتري الكتابة الصحفية ،
أو من المشتغلين بهرفة الأدب دون اهتمام
باللغة الفصحى وهي عصب الأدب
نفسه ؟

محمد عبد الله السواه

كما يذكر المؤلف أن منهجه في كتابه
هو تعقب الأخطاء الواردة على السنة الكتاب
لما جهلا ولما سهوا ، وتقييد شاردها
وواردها وتمييزه شعارين : منها ما هو خطأ
لا ريب فيه ، ومنها ما ذكره بعض النقاد
على خطأ وليس بخطأ .

الحق أن تصويب أخطائنا اللغوية أمر
ليس بالعسير ، لو صدقت نياتنا ، كما أورد
كتاب الأستاذ مفسى مثلاً من الأخطاء
المشهورة :

تعرفت بفلان - عضوة في مجلس كذا -
بالرغم عن - تخرج من جامعة كذا - جاء
في البند الأول - مهازل .
ولا نطق أن تصويب مثل هذه الأخطاء
ما يشق علينا قلنا : تعرفت إلى فلان -

(بقية المنشور على صفحة ٢٤٣)

طلعت على الصجره أظلال وحه	بسطت على الأكوان كف سماحة
فقرت قفاراً واستكانت بواديا	ففضرت مجرودا وزينت حاليا
وآسيت محروما وأغبت معدما	تأليت أن تجشو لأصنام مكة
وبجدت مغموراً وأوشدت غاوباً	وكنيت لمن شاد العموات جائياً
جلوت عن المكروب آثار كربه	وكنيت عن الإقضاء والفكر قاصياً
ورويت صديان الجوانح ظامياً	فأصبحت من ورش المهيمن دانيا

من فتح الباب

انْبِشَاءُ وَآرَاءُ

حروب الإسلام حروب فتح

ولمّا كانت حروباً لتحرير الشعوب من ظلم المستعمرين وطفغيانهم ، وضرب مثلاً لذلك . بحروب الإسلام في مصر والشام وشمالي أفريقيا ، وقال : إن كل هذه الحروب كانت لتحرير هذه الشعوب من طغيان الرومان الذين استعمروا هذه البلاد زهاء ستة قرون . وهذا كلام قد يستوى العامة ، وأشباه العامة ، ولكنه لا يرضى الحقيقة ، ولا يرفع من قدر الإسلام .

الإسلام حارب في كل بلد دخلة لغاية نبيلة هي نشر دعوته في هذا البلد ، فحارب في مصر ليفسر الإسلام في مصر وحارب في فارس ليفسر الإسلام في فارس .

ولا عيب على الإسلام ، ولا تلحقه أية مذمة أن يكون قصده نشر دعوته ، فالسؤال كلها ترجع إلى حقيقة واحدة ، متى سلم بها كل ذي عقل كان كل ما يأتي تبعاً لها طبيعياً : « إن الدين عند الله الإسلام » ، هذه هي القضية ، فإذا كانت صحيحة - وهي لا شك صحيحة نتيجة الأدلة الحاسمة التي قامت على صحتها - كان كل تصرف بعد ذلك يهدف

ليقبل من شاء ما شاء فإن الإسلام سيظل دين الإنسانية الخالدة ولن ينال منه الطاعنون في أصوله ، أو في سلوكه حيال الأمم التي أنعم الله عليها بنشر تعاليمه فيها ، إلا ما ينال النمل من أركان ثلثان على حد قول الشاعر . ومن واجبتنا أن ندفع عن الإسلام كل طعن يوجه إليه ، وأن نكشف كل شبهة تحوم حوله ، وأن نرشد كل قلب يريد أن يهتدى إلى الحق . ولكن علينا أن نحذر مجازاة أحد أو تخلق الأفهام والعقول القاصرة ، فإن شريعتنا ليست في حاجة أكثر من بيان تعاليمها على وجهها الصحيح . ربما تجذبنا بهارج المعاصرين ، وتحملنا اصطلاحاتهم التي يقشدقون بها على أن بخاري تفكيرهم القاصر رغبة في ردح من عداوتهم للإسلام ، أو طمعاً في أن تقرر في نفوسهم المزعزعة تعاليم الإسلام ، ولكن ذلك التهاون لن يجيئ بخير لا للإسلام ، لا لمؤلاّه . ذكرت كل ذلك حين سمعت فضيلة الشيخ محمد الغزالي يذيع في التليفزيون فيقول في حديثه المعروفة ، وفي إخلاصه المعهود ، إن حروب الإسلام لم تكن حروب فتوح ،

فتحا ميينا ، ، وقد وردت كلمة (الفتح) في آيات من القرآن بمعنى الإلتصار في الحرب والإستيلاء على البلد المحارب : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ، . » الذين يقربون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نسكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ، . » إذا جاء نصر الله والفتح ... ، إلى غير ذلك من الآيات .

وجاءت كلمة الفتح في وصايا كبار رجالات الإسلام ، وهم يودعون جيوشهم ويوصونهم أو يكتبون لهم ، كما جاءت على السنة الرسل الذين كانوا يجيئون من لدن الجيوش يبشرون المسلمين في عاصمة الخلافة بفتح قطر من الأقطار ، أو بلد من البلاد ، ولا أذكر - على قدر ما قرأت في كتب التاريخ الإسلامي أن كلمة التحرير جاءت في وصية أو كتاب . ونحن نفخر بشريعتنا التي كان من أهم أهدافها أن تنشر دهرتها السليمة الصحيحة النافعة في كل أقطار الأرض ؛ فهي لم تحارب لتكسب مالا أو جاها ، أو لتستعبد شعوبا وإنما حاربت لتسكون كلمة الله هي العليا .

على العمري

إلى سيادة الإسلام تصرفا صحيحا وواجبا . وإذا قلنا : إن الإسلام حارب في البلاد التي كان يستعمرها الرومان لتحريرها من طغيانهم ، فسادا نقول عن حروبه في الأندلس وفي فارس وفي غيرهما من البلاد التي لم تكن مستعمرة لأحد ؟ .

هل أراد أن يحرر الفرس من حكم القياصرة مثلا ؟ لو كان غرض الإسلام هذا كان عليه أن يرحل من هذا القطر بمجرد القضاء على نفوذ هؤلاء الحكام ، ولكن الإسلام لم يفعل ذلك - كما هو معروف - بل أقام في كل بلد فتحه ، وعمل على نشر تعاليمه ، ونشر لغته ، وظل فيها إلى يومنا هذا .

وليس معنى ما أقول أن الإسلام انتشر بالسيف ، وأن العرب المسلمين أكرهوا الناس على قبول دينهم ، لأن الإسلام كان يفتح البلاد ، ويترك أهلا على دينهم إذا أرادوا ، ويدعوهم إلى الإسلام ، ولا يرغمهم على قبوله ، بل كان يحصى كثرانهم ويبعهم ، ويعاملهم في عامة شئونهم كما يعامل المؤمنين به ، وإنما معناه أن السيف كان ضروريا لحماية الدعوة الإسلامية ، ولتبليغها ، والتبشير بها ، ورد كيد أعدائها .

وكيف ننفي كلمة الفتح عن حروب الإسلام والله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله الكريم في سورة من سور القرآن : « إنا فتحنا لك

فتاوى مختارة

نقدم : ابراهيم محمد الرضوي

(الجواب مقارنا بأجوبة مماثلة للأستاذين الراحلين الشيخ محمود شلتوت ، ويوسف الدجوى)

والصلاة لا تشعر ثمرتها من النهي من
الفحشاء والمنكر ، واقتلاع بذور الشر من
النفوس إلا إذا كانت ذات خشوع
وتوجه كامل .

والله العظيم بطبائع ما خلق ، علم عصر
الخشوع القلبي على الإنسان ، وعلم أن شرود
الفكر عنده ، غالب عليه ، فاجتزأ منه
في صحة الصلاة ، وخروجه من عهدها ، أن
يؤديها تامة الشروط والأركان ، وأن يتجه
إليه بالتكبير قاصداً وجهه ، مستشعراً
عظمته . ثم رغب إليه أن يحارب ما يغلب
عليه من الشواغل القلبية والخطرات النفسية
التي تحول بينه وبين الشعور بلذة الصلاة
الروحية ، وأعلمه على لسان رسوله بأن
اشتغال الفكر أثناء الصلاة بغير جلال الله ،
من وسوسة الشيطان وزعزعة النفس ، وعدم
الصبر في مكافحة هذه الخطرات .

وقد صور الرسول هذا المعنى أبلغ
تصوير ليس في الصلاة فقط ، بل فيها
وفي تلبية دعائها ، والإسراع إليها وذلك فيما

طرد الأقطار والوسوس على
المصل أثناء الصلاة :

السؤال :

تطراً على في الصلاة وسوس وأفكار
في شئون الدنيا ويتنابى بعد هذا الهم والحزن
خشية أن يذهب هذا بثواب الصلاة ؟ فأرجو
توضيح حكم هذا على صفحات المجلة .

عبد العزيز هيد

كلية طب القصر العيني

الجواب :

طلب الله من المؤمنين الصلاة ، وحث فيها
على الخشوع ، وكال التوجه إليه سبحانه :
« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
وقوموا لله قانتين » .

وفسرت الصلاة الوسطى بالصلاة الفضلى ،
وهي ذات الخشوع والتوجه الكامل إليه
سبحانه ، وربط الله بالصلاة ذات الخشوع
فلاح المؤمنين : « قد أفلح المؤمنون ،
الذين هم في صلاتهم خاشعون » .

هذا وقد علم أن من خواص النفس البشرية أنها لا تتجه في وقت واحد إلا إلى شيء واحد ، وأنها إذا حصرت في دائرته لا يصل إليها غيره ، وأن الحواس متى ربطت بمواقع معينة تبعها التفكير وانحصر في دائرتها .

ومن هنا قال العلماء الذين حاربوا الوسوسة فقلبوها : ينبغي المصلي أن ينظر إلى موضع سجوده وهو قائم وإلى قدمه وهو راکع ، وإلى أرنبة أنفه وهو ساجد ، فيربط حواسه بهذه المواقع ، ويحصر فكره في تدبر ما ينطق به من تكبير وتسبيح وقراءة ، وبذلك تسكن للسلم صلاته ويحظى فيها بلذة السمو الروحي ، وقرة العين التي كان يجدها الرسول في الصلاة .

حكم إمامنا من بزاوِل مهنة تلوث
ملابسه ، وعن هناك منه هو أعلم
منه ، ومنه ينفخ الناس :

السؤال :

ما حكم : إمامة من يعمل في مهنة تلوث
ملابسه كالديباغة ؟

عبد الوارث أحمد

الوردبان — اسكندرية

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله خصاص - كناية عن النفرة التي تصم الآذان - حتى لا يسمع الآذان ، فإذا قضى الآذان أقبل ، فإذا ثوب بالصلاة ، أقيمت ، أدبر ، فإذا قضى التشويب أقبل حتى يخطو بين المراء ونفسه ، يقول : أذكر كذا ، أذكر كذا ، لمسلم يكن يذكر حتى يضل الرجل أن يدري كم صلى ، فإذا لم يدر أحدكم أنلاثا صلى أم أربعا فليسجد سجدتين وهو جالس يريد سجدة السهو ، .

وقد أرشدنا الحديث إلى أن حديث النفس في الصلاة بما يصرف القلب عن الموقف عمل من عمل الشيطان مما يجب على المسلم مكافئته في صلاته وفي حياته . وأرشدنا رحمة بنا ، نظراً لعمرة الموقف إلى صحة الصلاة التي استوعب التفكير جزءاً منها . فعلى المسلم إذن أن يذكر إذا وقف بين يدي الله وكبر للصلاة أن الشيطان واقف له بالمرصاد فليعتصم بذكر الله ، وليتدبر ما يحمله على لسانه من تكبير إذا قام أو ركع وتسبيح وحمد إذا رفع أو سجد ، وقراءة إذا قرأ . عليه أن يروض نفسه على ذلك . المرة بعد الأخرى حتى يسد على نفسه مسالك تلك الوسوسة التي تسلبه إذا استمرت روح الصلاة ، وتجعلها صورة جافة لا تصعد بالنفس ، ولا تزكي الروح .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : (لا ضرر ولا ضرار) .

وعن الثانى لإمامة الجاهل فيها تفصيل :
فإن كان جهله يؤثر فى صحة صلاته بأن كان لا يحسن قراءة الفاتحة أو لا يحسن الوضوء أو الاغتسال من الجنابة ، أو ترك فرضا من فروض الصلاة كالعلماء نيفة فصلاته باطلة فضلا عن إمامته ، وإن كان جهله لا يؤثر فى صحة الصلاة فصلاته وإمامته صحيحتان ولو لم يميز الفرائض من السنن إذا كان يعتقد أن فى الصلاة فرائض وغير فرائض ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (صلوا كما رأيتمونى أصلى) فتى كانت الصلاة مستوفية بجميع ما يعتبر فى صحتها شرعا فهى صحيحة والاقتداء أيضا صحيح نعم الفقيه أحق بالإمامة من الجاهل الذى تصح إمامته .

وهن الثالث . إمامة من يكرهه أهل بلده فيها تفصيل أيضا : فإن كانت الكراهة لأمر دينى قيامته مسكروة حيث كرهه الغير اليسير الذين ليسوا من ذوى الفضل والعلم فإن كرهه أهل البلد كلهم أو أكثرهم أو كرهه أهل الفضل وإن قلوا حرمت إمامته لقوله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله من أم قوما وهم له كارهون) .

تقدم للإمامة رجل وفى القوم من هو أعلم منه فما حكم الصلاة وراءه ؟

متولى لإسماعيل - سواهج
فى قريبنا شخص ذو لجااجة بغضت فيه الناس فهل تصح الصلاة وراءه وفى نفسى منه شىء ؟
غانم أحمد غانم - درشابة

الجواب :

عن الاول أن الدباغ ونحوه من أصحاب المهن التى لا تخلو عن مباشرة النجاسة يعنى مما يصيب ثيابهم منها متى كانوا يجتهدون فى دورها لعسر التحرز ، وقد يشهد لذلك قوله تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وقوله عليه الصلاة والسلام : (بعثت بالحفيفية السمحة) ويستحب لهم لإعداد ثوب خاص للصلاة به . وعلى ذلك فعلا الدباغ بثيابه التى يباشر فيها المهنة صحيحة والنجاسة معفو عنها . وأما إمامته فمسكروة لمن ليس مثله ، أما مثله من ذوى الأعذار المقضية للعفو عن النجاسة فلا يكره أن يكون إماما له ، وأما رائحة ثيابه فهى مانعة من حضوره الجماعة متى كانت تؤذى غيره . فعليه أن يخلعها قبل الذهاب إلى المسجد وإلا حرم عليه دخوله فضلا عن أن يكون إماما للناس ،

بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْكِتَابِ

للأستاذ عبد الرحيم فودة

مكانة النبي

صلى الله عليه وسلم

١ — أو المنبأ من الله وإن كانت من النبوة أو النبوة - وهي المسكان العالي - كان معنى النبي ، الرفيع المسكان العظيم الشأن . ولا شك أن وضع النبي بين قومه كوضع الربوة العالية الحليمة بالذهب والشجر والزهر والثمر فهم يتلقون من الله فيوض الوصي كما تلقى الربوة فيوض الغيث فتتهز وتنبت وتزهر وتثمر .

٢ — والنبوة كما قيل : (هبة الله لا تنال بالكسب) ، لكن حكمة الله وعلوه قاضيان بأن تمنح للمستعد لها القادر على حملها : ، الله أعلم حين يحمل رسالته ، ومحمد صلى الله عليه وسلم أهد لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه ، أحرره وأسوده لإنه وجنه ، وأعد لأن يحمل أكمل رسالة وأكمل دين ، ولأن يختم به الأنبياء والرسل ، وليكون شمس الهداية وحده إلى أن تنفطر السماء ، وتنكسر النجوم ، وتبدل الأرض غير الأرض

١ — لا شك أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - هم القمم العالية في المجتمع والمنابر الهادية إلى الحق والخير ، وقد جعلهم الله في مقدمة الذين أنعم عليهم كما يفهم من قوله تعالى : « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » (١) ، وكما يفهم من قوله سبحانه بعد أن ذكر زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسماعيل وإدريس : « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبنينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » (٢) ، ثم إن كلمة النبي في أصل وضعها تشير إلى شرف وضع الأنبياء فإن كانت من النبأ - وهو الخبر المفيد لما له شأن مهم - كان معنى النبي ... المنبأ عن الله

الرسول عليكم شهيداً ،^(١) يدل على أن مكاتبة
بين الأنبياء كما يقول فيه القائل :

كيف ترقى رقيق الأنبياء

يا سماء ما طساواتها سماء

فإن معنى قوله تعالى : د أمة وسطا ، أن

أتمه خير أمة ، لأن خير الأمور الوسط ،

وذلك يفهم صراحة من قوله تعالى : د كنتم

خير أمة أخرجت للناس ،^(٢) وقوله سبحانه :

د هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من

حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين

من قبل ، وفي هذا ليسكون الرسول شهيداً

عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، ، فإذا

كان المسلمون شهداء الأنبياء على الناس ،

وكان صلى الله عليه وسلم شهيداً على هؤلاء .

كانت منزلته بمثابة السماء التي لا تطاولها

سما ، وأعل ذلك بعض ما يفهم من عهد الله

إلى الأنبياء حيث يقول الله : د وإذا أخذ الله

ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة

ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به

ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم

إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم

من الشاهدين ،^(٣) .

٤ — هذا إلى أن عموم رسالته للناس ،

وبقاء معجزته على الزمن وسعة الدين الذي

بعث به لكل نواحي الحياة ، واستجابته

والسموات ،^(١) ، وتظهر عناية الله بإعداد

وتربية استعداد له لرحل رسالته العظمى فيما

يفهم من قوله له : د ألم يجدك يتيماً فآوى ،

ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً

فأغى ،^(٢) ، فإنه يفهم منه أنه سبحانه

هو الذي آواه وهداه وأغناه كما يفهم

من قوله له : د وأنزل الله عليك الكتاب

والحكمة وعليك ما لم تكن تعلم وكان فضل

الله عليك عظيماً ،^(٣) ، أنه كما قال فيه القائل :

كفأك بالعلم في الأسمى معجزة

في الجاهل والتأديب في اليتيم

٣ — أما مكاتبة صلى الله عليه وسلم بين

الأنبياء فتبدو واضحة جليلة في قول الله فيهم

وقوله فيه : د فكيف إذا جئنا من كل أمة

بشاهد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ،

يومئذ يود الذين كفروا وحصوا الرسول

لو تسوى بهم الأرض ولا يسكتمون الله

حديثاً ،^(٤) ، فإنه مع ما يفهم من قوله :

د ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من

أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ،^(٥) ،

وقوله فيه وفي أتمه : وكذلك جعلناكم أمة

وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون

(١) الشيخ للراغب في مقدمة كتاب محمد .

(٢) ٨٤٧ ، ٦ الضحى .

(٣) ١١٣ النساء .

(٤) ٤٢ ، ٤١ النساء .

(٥) ٨٩ النحل .

(١) ١٤٣ البقرة .

(٢) ١١٠ آل عمران (٣) ٨١ آل عمران .

« هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة (١) يشعر أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان استجابة الله لهذه الدعوة المباركة ، وأن مولده كان نجرا يرتقب الوجوه ظهوره ونوره .

٦ — أما مكانته اللاتقة به بين المؤمنين فلا يرقى إلى تصورهما غير قول الله فيه : النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وقوله تعالى « إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » ، وقوله سبحانه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ، وقوله جل شأنه « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وارحم محمد وآل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت ورحمت وباركت على إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

عبر الرحيم فوره

من مجلة لواء الإسلام

لكل حاجات البشر فى كل زمان ومكان ، بما يفسر به قول الله فيه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وقوله فيه « إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله يأذنه وسراجا منيرا » (١) وقد بشرت التوراة والإنجيل به وبالنور الذى أنزل معه كما يفهم من قول الله : « ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » الذين يتبعون الرسول النبى الأسمى الذى يمدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ، (٢) .

٥ — بل أن المتأمل فى دعاء إبراهيم وابنه اسماعيل حين كان يرفعان قواعد البيت ويقولان ما يحكيه القرآن « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وقب علينا إنك أنت التوب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » (٣) ثم قول الله فيه

(١) ٤٥ ، ٤٦ الأحزاب .

(٢) ١٥٧ الأعراف .

(١) ٣ الجمعة .

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
للفنون
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

بدل الاشتراك

٤ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللندسين والطلاب
تخفيض خاص

الجزء الثالث - السنة السادسة والثلاثون - جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ هـ - أكتوبر ١٩٦٤ م

السلامة العامة

المذاهب الأدبية المنحرفة

بقلم : أحمد حسن الزيات

فرضت الطبيعة التطوير ، ويدلون بركب
الخليقة في طريق الحياة المبهم إلى الغاية التي
حددها الفن والأدب والعلم بالجمال والخير
والحق .

كان الأدباء العالميون ينهجون هذا النهج
القويم حتى أصاب العالم في النصف الأول
من هذا القرن حربان عامتان زلزلتا الأرض
وبلبلتا الأنفس ودمرتا الحضارة وخلفتا
الشك والتهمة في القيم والمبادئ ، وأشاعنا
الخوف والقلق في الفرد والجماعة ، وكان
من أثر ذلك في الأدب أن ظهرت فئة
من الكتاب ضلوا السبيل فأنكروا العقل
وجافوا البيان وطارضوا الواقع وزعموا

مادام المخطط قانونا للهـكر ، واللغة أداة
للبيان ، والوضوح طبيعة للأسلوب ، والذوق
حكما على الفن ، فإن الكتاب يكتب ليصيب
والقارئ يقرأ ليفهم ، والناقد يبحث ليجد ،
ولا يجرى الأمر على خلاف ذلك إلا إذا
فسدت الطبع وانقلبت الأوضاع فيصبح
المخطط خطلا وفهاة ، واللغة لغوا وثوثة ،
والكتابة معاياة وشعوذة ، والفن كله هبثا
ومهزلة

ولقد كان الأدباء : كتابهم وشعراؤهم على
سواء الطريق حين كانوا يسبرون في ضوء
العقل ، ويهتدون بأعلام الحق ، فيجددون
إذا اقتضت الحال التجديد ، ويطورون إذا

أطراف الدولة وبدو ثمار الحضارة ودنو العربية من الفارسية ، ومذهب ابن المقفع الذى ظهر فى فجر الحضارة العربية كان طوره الثانى دعا لآليه اتساع الخلافة وتنوع الثقافة وشدة اختلاط العرب بالفرس .

ثم كان طوره الثالث مذهب الجاحظ الذى اقتضاه نقل العلوم الأجنبية وازدهار المدنية العباسية وانتشار المقالات الإسلامية وتعمق الحياة الاجتماعية واقتباس الآراء الفلسفية . ثم أترف المسلمون وتقلبوا فى أعطاف النعمة وتأفقوا فى مظاهر العيش فظهر طوره الرابع فى مذهب ابن العميد المسجوع المنق .

ولم هنا كان التطور فى النثر الفنى تطوراً طردياً يسير من الضيق إلى السعة ومن الجزالة إلى الرقة ومن الترسل المتوازن إلى الصنعة المطبوعة ، فلما ضعفت الخلافة وصار الأمر إلى غير أهله جرت على الكتابة أعراض الفساد والوهن ، فكثرت الزيف وانتشرت الصنعة وكان من ذلك مذهب القاضى الفاضل وهو الطور الخامس من أطوار الأسلوب العربى غلب فيه أصحابه حتى أفسدوا الفكرة وشوهوا الصورة ، ومن هنا كان رد الفعل بظهور مذهب ابن خلدون إذ رغب عن السجع وزهد فى البديع وسار باللفظ وراء المعنى ، ثم تطور هذا المذهب بتأثير الحضارة الأوروبية ونقل الآداب الأجنبية إلى الأسلوب الذى يكتب به الكتاب الموهوبون اليوم .

* * *

أن الحياة المجردة سخف وعبث ، وأن القيم المقررة إفك وزور ، وأن محاولة فهم الحياة أو تفسيرها عناء وباطل ، فما عليهم إلا أن يعيشوها على علاقتها ، ولا عليهم أن يعالجوها بإصلاح فاسدها وحل مشكلاتها . ثم جعلوا مسرحياتهم صوراً لهذه الحياة التى تخيلوها ، فلا عقل يقيد ولا منطق يعصم ولا علم ينير ولا خلق يربط ولا دين يهدى ولا حق يقبع ولا شرف يراعى ولا غرض يرمى ، ولا أمل يحفز ولا مطعم ينال ولا لغة تعبر ، حطموا كل أوائك فطعموا معه الإنسان نفسه .

بدأ ذلك الانحراف بعد الحرب الأولى الفوضويون والداديون والسراليون ، وتبعهم بعد الحرب الثانية اللامعقويون ؛ فبلغ ديبكت ، ود أونسكوا ، ود آدموف ، بالعبث المسرحى الغاية التى يحتلظ عندها حوار الممثلين بهذيان المحموم وكلام النائم ، وإذا شئت مثلاً على ذلك فاقراء لعبة النهاية ، لصمويل بيكت ، ود الكراسى ، لأوجين أونسكو ، ود يباطالغ الشجرة ، لتوفيق الحكيم .

نشأت المذاهب الأدبية القويمة عند العرب والفرنج إما مرحلة لتطور مذهب تقدم به مبتدعوه ، وإما رد فعل لمذهب غلب فيه متبعوه ، فذهب عبد الحميد بن يحيى كان الطور الأول للأسلوب العربى الضيق الموجز دعت إليه مقتضيات المجتمع الجديد من تشعب

الكتاب في الحرية واتحد الفن بالطبيعة وهبط الفنان إلى الشعب حتى كان من أثر الاستخفاف بالقواعد والإسراف في معاداة الواقع والانتكاس إلى عمل الخيلة والالتجاء إلى أثر الحساسة أن قل الوضوح وأهوزت الدقة وأبعد الخيال وطفى الشعور ، ومن ثم كان للاتباعية رد فعل من جهتين : جهة الإفراط في الخيال نشأ عنه المذهب الواقعي وجهة الإفراط في الحس نشأ عنه المذهب البرناسي وهو رجعة إلى الاتباعية من بعض نواحيها ، ولكنه لا يعنى عنايتها بالخواج النفسية ، ولا يصطبغ صبغتها بالألوان الارستقراطية ، وإنما يلاحظ الطبيعة وينقلها نقلا موضوعيا محايدا أميناً لا يتدخل الفنان بشعوره الشخصي فيه ، ولا يحفل بإظهار السمات الجمالية به ، ولا يقصد إلى استنباط المغزى الخلقى منه . فهو بهذا الاعتبار مذهب علمي يعتمد على الحقائق والوثائق لا على الفروض والأخيلة .

وأما المذهب البرناسي فيبغض الشعر العاطفي ويحب الجمال المصنوع ، وينفي الصورة على حساب الفكرة ، ويؤثر جانب الصنعة على جانب الطبيعة ، ويشدد في طلب الثقافة المحسنة والفقرة الموقعة والتعبير الفخم والتركيب الجزل والوصف التنادر والوشى العجيب ، فشعره أشبه شيء بالتمثيل المنحوتة من جميل المرمر ، فها الصقل والعروز وتبين الملاح وتعيين الحدود ولكن فيها كذلك الصلابة والجفاف والعى والبرود .

كذلك كانت نشأة المذاهب الأدبية في أوروبا ففي فرنسا مثلاً كانت اللغة وآدابها خاضعة لسلطان الإغريقية واللاتينية على أثر انبعث الروائع اليونانية والرومانية في إيطاليا ، فالألفاظ يكثر فيها العامى والدخيل ، والتراكيب يعطى عليها هوميروس وأفرجيل والنظم والثر يجرى على المحاكاة الشكسية ، والموضوعات تؤخذ من الأساطير الوثنية ، فكان لا بد لهذه العبودية الأدبية من محور يكفكف شرتها وينظم فوضاها ، فظهر المذهب الاتباعي في أوائل القرن السابع عشر وهو يقوم على تقليد اليونان والرومان تقليد التليذ لمعلله لا تقليد المصور لمثاله ، ثم طهروا اللغة من الدخيل والعامى ، ووسعوا دائرتها بالوضع والاشتقاق ، وجعلوا للعقل السلطان المطلق على الأدب ، فلا يكادون يلقون بالهم إلى الخيال والعاطفة ، ثم قيدوا الفنون الشعرية والقصصية بقيود من القواعد الصلبة وأخذوا أنفسهم بها حتى انفرجت الحال بينهم وبين العامة ، وانقطع السبب بينهم وبين الطبيعة ، وكان رد الفعل الطبيعي لذلك ظهور المذهب الابتداعي الذى عزف عن المحاكاة الأجنبية ، واستمد موضوعاته من أسرار المسيحية وهود الفروسية ، وقدم الخيال على العقل والشعور على المنطق والفردية على الجمعية والذاتية على الموضوعية . ثم أطلق الفن من القيود التى كبله بها الاتباعيون فأمعن الشعراء في الخيال وأوغل

فأنت ترى أن المذاهب الأدبية الأوروبية كانت سلسلة متصلة الحلقات من ردود الفعل ، كما رأيت أن المذاهب الأدبية العربية نشأ أكثرها من أثر التطور وأقلها من رد الفعل . ولذلك لا نجد في منطق الأشياء ولا في واقع الأمر ما يسوغ لأحد أن يسمى هذا الانحراف الفنى أصاب الأدب في الغرب والشرق مذهبا جديدا من مذاهب الكتابة ؛ لأنه لا يكون كذلك إلا إذا كان نتيجة لتطور أو أثراً لرد فعل ؛ ومن المحال أن تكون السريالية أو اللامعقولية وأمثالها من أهداء العقل واحداً من هذين ؛ لأن التطور يقتضى أن يكون هناك تخلف وهذه استعجاله ، أو نقص وهذه استحالة ، ورد الفعل يستلزم أن يكون هناك جور وهذه قصده ، أو فساد وهذه صلاحه ؛ وهذا لا فسلم به إلا إذا سلخوا أن العلة خير من الصحة ، والخطأ أولى من المنطق ، والسلب أجدى من الإيجاب ، والهدم أنفع من البناء والعدم أصلح من الوجود ، والقبح أحسن من الجمال ، والعجمة أفصح من البيان ، والعامية أبلغ من الفصحى ، والثروة أفضل من الفن ، وهم لن يسلبوا ببعض ذلك إلا إذا سلخوا ملائكة التمييز وحرموا نعمة العقل ، فأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

أحمد محمد الزيات

ومن إسراف البرناسيين في الوضوح والصراحة والتعيين والتبيين حدث رد الفعل الذى نشأ منه المذهب الرمزي وهو يدهو إلى التعبير بالإيماء والإيحاء والتكنية والمحسن والميوعة ليدع للقارى نصيبا إيجابيا في تسكيل الصورة وتوسيع الفكرة وتقوية العاطفة بما يضيفه إلى المعاني من توليد فكره وتحديد شعوره . قال الشاعر د. حارميه ، زعيم الرمزية الثانى : د إن البرناسيين يتناولون الشيء كله ويظهرونه كله فيفقدون بذلك سحر الخفاء ويسلبون الذهن نشوة الطرب التى ينشأ فيها اعتقاده بأنه يخلق . إن الشاعر إذا سمى الشيء باسمه فقد أفقد القصيدة ثلاثة أرباع المتعة ، وما هذه المتعة إلا أثر السمادة التى يشعر بها القارى وهو يضرب رويدا ورويدا فى أودية الحدى ، وذلك هو الحلم ؛ فالشعر الرمزي يذكر الواضح وينفى من المحدد ويطلب المتخيل ويبحث عن المشقة ويحملك على أن تحمل لا على أن تفكر ، فالألفاظ عند الرمزية لم تعد تدل على الأفكار أو الصور التى وضعت لها وإنما تدل كما تدل الرموز على مناسبات بعيدة ومشابهات مهمة .

وقد وقع الرمزيون فيما وقع فيه البرناسيون فأخذوا من الموسيقى الغموض والاختلاط ، كما أخذوا أولئك من النحت الوضوح والتحديد .

التطورات التشريعية للطلاق

للاستاذ محمد محمد المديني

— ٤ —

تعالى : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا ممّا أتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » .

(الآيتان ٢٣٩ ، ٢٤٠ من سورة البقرة)
قالوا : دلت الآية على أن الطلاق المشروع بعد الدخول نوحان :

١ — الطلاق الذي لا يملك الرجل فيه الرجعة ، وهو ما دل عليه قوله تعالى : « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » .

٢ — والطلاق الذي يملك الرجل فيه حق الرجعة ، وهو ما سبق هذه الطلقة ، وقد شرعه الله مرتين ، ولا يفهم العرب من كلمة (مرتين) ونحوها إلا الحصول متعاقباً دفعة بعد دفعة (١) .

وقال ابن القيم بعد أن ذكر أن الله تعالى جعل الطلاق مرة بعد مرة :

(١) ص ١١١ من مقارنة المذهب للأستاذين : شلتوت والإيس

موضوع هذه المسألة قول الفاضل لزوجته : أنت طالق ثلاثاً ، وفي حكمه أيضاً من قال لها : أنت طالق اثنتين أو أربعاً أو أكثر ، ولذلك يعبر عنه بعضهم بقوله : « الطلاق المحترن بعدد » .

وقد اختلف العلماء فيه من قديم :

١ — فمنهم من يقول : لا يقع به شيئاً أصلاً (١) ، وذلك تمشياً مع القاعدة التي تقرر أن كل طلاق خالف ما رسمه الشارع لا ينعقد ولا يقع به شيء ، وهذا قد خالف قوله تعالى : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، كما أنه ينطبق عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من هل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » .

٢ — ومنهم من يقول : « لا يقع به إلا واحدة رجعية » (٢) ، واستدلوا بقوله

(١) ذهب إلى ذلك بعض الإمامية ، وحكى عن بعض التابعين وجهاً ابن عليه ، وهشام بن الحكم ، وبه قال أبو عبيدة ، وبعض أهل الظاهر .

(٢) ذهب إلى ذلك الزيدية من الشيعة ، وابن تيمية وتلميذه ابن القيم من الحنابلة وغيرهم من فقهاء المذاهب والمصنابة والتابعين — انظر كتاب مقارنة المذاهب للأستاذين الشيخ محمود شلتوت ، والشيخ محمد السائيس ص ١٠٦ .

وقد كرر ابن القيم هذا المعنى في كتبه الأخرى مستدلًا به على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع به إلا واحدة (١).

واستدلوا أيضاً بما رواه طائوس عن ابن عباس قال : « كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر : طلاق الثلاث واحدة » ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم فأمضاء عليهم .

قالوا : « إن عمر رضي الله عنه فعل ذلك اجتهداً منه وقد وافقه عليه كثير من الصحابة منهم ابن عباس - على رواية - وسبب هذا هو ما وجدتم عليه من مخالفة الكتاب ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب لهذه المخالفة ويقول : « أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم » ، فخرم عليهم الرجعة إلا بعد زوج آخر ، والرجعة مباح من المباحات ، وليست بواجبة ، فهو لم ينه الناس عن واجب ، وإنما ينههم عن مباح للصلحة ، وهي ردهم إلى ما كان عليه الناس زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي ألزمهم بالثلاث حتى يردم إلى ما كان عليه الناس في عهد رسول الله

« وما كان مرة بعد مرة لم يملك المكلف إيقاع مراته جملة واحدة كالعمان (٢) » ، فإنه لو قال : أشهد بالله أربع شهادات أفى من الصادقين ، كان مرة واحدة ، ولو حلف في القسامة (٣) وقال : أقسم بالله خمسين يمينا أن هذا قاتله كان ذلك يمينا واحدة ، ولو قال المقر بالزنا : أنا أقر أربع مرات أفى زني ، كان مرة واحدة ، فمن يعتبر الأربع لا يجعل ذلك إلا فرأوا واحداً ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياهم ولو كانت مثل زبد البحر . فلو قال : سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يحصل له هذا الثواب حتى يقولها مرة بعد مرة ، وكذلك قوله : من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحده ثلاثاً وثلاثين ، وكبره ثلاثاً وثلاثين ، الحديث لا يكون عاملاً به حتى يقول : « ذلك مرة بعد مرة ، لا يجمع السكك بلفظ واحد ... » (٤) .

(١) هو ما يحدث حين يتهم الزوج زوجته بالزنا وليس له بيئة على دعواه ، ولا تصدقه الزوجة باعترافها على نفسها ، وهو المقر بقوله تعالى : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين » الآيات ٦ - ٩ سورة النور .

(٢) هي الإيمان التي تتوجه على لائمهم بالقتل في حالات خاصة المذكورة في الفقه .

(٣) أملاهم الموقنين لابن القيم ص ٢٧ ج ٢ .

(١) انظر (زاد للماد - لابن القيم ص ٥٥

ج ٤) و (إغائة القماني) له أيضا ص ١٥٥ .

قالوا : فلو أنه لم يقع أصلا ، أو وقع واحدة رجعية لمأحرمتها السكنى والنفقة ، الى غير ذلك .

وقد جرت بين الفريقين مناقشات كثيرة ، ومن أشهر الكتب التي هُتبت بذكرها وتفصيلها كتب ابن القيم : (أعلام الموقعين) و (زاد المعاد) و (إغاثة الملهان) وإلى هذه الكتب غالبا يرجع كل من كتب في هذا الموضوع من ألفوا حديثا .

وقد استعان بها واضعوا د القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، بتعديل بعض أحكام الأحوال الشخصية في مصر ، والقوانين المماثلة التي شرعت في البلاد العربية الأخرى .

ما أُنشئت به القوانين الحديثة لعروال الشخصية في مصر وغيرها من البلاد العربية في طيوس السموت :

كانت المحاكم الشرعية بمقتضى القوانين السابقة على القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المشار إليه ، تحكم في مسألة الطلاق الثلاث في لفظ واحد ، بمذهب الجمهور ، أى بإيقاعه ثلاثا ، وكذلك فيمن قيد الطلاق باثنتين فإنها تحكم فيه بوقوع اثنتين .

وذلك أن القضاء كان يجرى على الراجح من مذهب الحنفية إلا فيما نص فيه بمقتضى القوانين على غير ذلك .

نعم إنه صدرت قبل قانون سنة ١٩٢٩

صل الله عليه وسلم من تحاشى الإقدام على هذه الصيغة غالباً (١) .

وهناك أدلة أخرى استدلت بها أصحاب هذا الرأي واستنبطوا الاستقصاء .

٣ — وجهه هو الفقهاء يقول بوقوع الطلاق ثلاثا في لفظ واحد ثلاث طلاقات ، فتبين الزوجة به بينونة كبرى ، ولا يحل لها أن تعود إلى زوجها إلا بعد أن تسكح زوجها غيره . وعلى هذا الرأي أئمة المذاهب الأربعة المشهورة وغيرهم في مختلف العصور ولم أدلتهم على ما رأوه :

ومنها من القرآن أن آيات الطلاق وردت مطلقة لم تفرق بين الواحدة وغيرها ، وأن غاية ما تدل عليه آية «الطلاق مرتان» أن الطلاق الذى يكون الرجل فيه أحق برد زوجته ما كان مرتين ، فإن طلقها اثنا لثة فليس أحق بها ، وهذا لا يقتضى أن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة لا يقع أصلا أو يقع به واحدة ، وإنما يرجع في ذلك إلى السنة .

وتسكلموا في حديث ابن عباس : واستدلوا بعدة أحاديث منها حديث فاطمة بنت قيس ، طلقنى زوجى ثلاثا ، فلم يعمل لى رسول الله سكنى ولا نفقة .

(١) س ٨٣ من «بحوث في التشريع الإسلامى وأساسيه قانون الزواج والطلاق» للدكتور الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى .

لتخلف شرط من شروط العقد، وإذن فالطلاق الثلاث الذى نطق به هذا الزوج قد ورد على نكاح فاسد، فلا عبرة به، وهذه حيلة للتخاوض من إيقاع الثلاث والتفريق بين الزوجين) - ومنهم من يلجأ إلى المحلل، وهما امرأتان أحلاماً، ومفاسد التحليل لا تخفى على أحد، وقد كتب فيها ابن القيم وشيخه فصولاً طويلاً، فإذا رد الناس إلى ما كان عليه الأمر زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما يفيد حديث ابن عباس نزول هذه المفاسد أو نقل، وقد راعت الشريعة الإسلامية منتهى الحكمة في جعل الطلاق على ثلاث دفعات، وذلك ليحرج الرجل نفسه بعد المرة الأولى والثانية، ويروضاها على احتمال الصبر والأذى، حتى إذا لم تقده التجارب ووقعت الثالثة علم أنه ليس في البقاء خير، وأن الانفصال البات بينهما أحق وأولى، والقول بوقوع الثلاث دفعة واحدة مبطل لهذه الحكمة. (١)

ولهذا جاء في المادة الثالثة من القانون المصرى رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ما يأتى :

(الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة لا يقع إلا واحدة) .

قوانين تعتمل على أحكام كثيرة عدل فيها عن مذهب أبى حنيفة، مثل قانون (يوليو سنة ١٩٢٠) الذى أخذ كثيراً من مذهب مالك، وقانون ١٩٢٣ الذى يحدد سن الزواج بشماتى عشرة سنة، بالنسبة للزوج وست عشرة سنة بالنسبة للزوجة، وقد أخذ فيه برأى ابن شبرمة، وهثمان البتي وأبى بكر الأصم من غير فقهاء المذاهب الأربعة .

ولكن موضوعات الطلاق ظلت في هذه القوانين خاضعة لأحكام الفقه السائد على مذاهب الجمهور، ثم جاء القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ فأخذ في الطلاق الثلاث برأى الشيعة الإمامية وابن تيمية وابن القيم ولم ير الإبقاء على ما حكمت به المذاهب الأربعة في هذا الشأن .

وفي ذلك يقول المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى :

ولقد كثرت المفاسد في هذا الزمان من القول بوقوع الثلاث بكلمة واحدة، فمن الناس من يلجأ إلى القول بفساد العقد (أى فيتحايل لمن ينطق بالطلاق ثلاثاً بكلمة واحدة، حتى لا يفارق زوجته وأولاده، بأن ينظر إلى العقد الذى تم بين الزوجين فلعلمه يرى أنه لم يكن عقداً صحيحاً، وبذلك يقول : إن الزواج الذى وقع بين هذا الرجل وهذه المرأة لم يقع صحيحاً، وإنما وقع فاسداً

ويرى بعض العلماء المعاصرين أن هذه المادة وإن كانت فتحاً جديداً ، وقد رفعت من الناس كابوس الطلاق الثلاث ، لكنها لم تمنع حيل المحتاين المحتالين من المأذونين في إثبات الطلاق الثلاث بالإشهادات التي يكتبونها ، فيتحيل المأذون بأن يكتب على لسان المطلق أنه اعترف بأن هذا الطلاق مسبق بطلقتين قبله ، ثم يكتب وبذلك بانت منه بينونة كبرى ، ؛ لأن بعض المأذونين لا يقتنع بصحة هذه المادة من القانون ، ويعتقد أن الطلاق وقع ثلاثاً باللفظ الواحد ويثدين بوجوب التحيل لإثباته ، ويقدم بذلك على جريمة التزوير ، ثقة منه بأن إثباتها عليه غير يسير (١) .

ويقترح لإصلاح ذلك أن ينص على ما يأتي :

(المعتبرة لا يلحقها الطلاق) .

(وذلك لأن الأدلة الشرعية قائمة على بطلان الطلقتين التاليتين للطلقة الأولى في العدة) .

محمد محمد المرنى

(١) راجع ص ١١٤ وما بعدها من كتاب (نظام الطلاق في الإسلام للمرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر)

وجاء في مدونة الأحوال الشخصية المراكش ما يأتي :

(الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة أو كتابة لا يقع إلا واحداً) .

وجاء في المادة الثانية والسبعين من قانون حقوق العائلة الأردني ما يأتي :

(الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة لا يقع إلا واحدة) .

وجاء في الفقرة رقم (١) من المادة السابعة والثلاثين من القانون العراقي للأحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ مثل هذا النص أيضاً .

وكذلك الأمر في قانون الأحوال الشخصية السوري .

وبذلك نرى أن القانون المصري حمى الخلاف في هذا الأمر ، منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، وأن أكثر البلاد العربية قد أخذت بما أخذ القانون المصري في ذلك ، بل ذكر الأستاذ علاء الدين خروقة قاضي مدينة البصرة في كتابه (شرح قانون الأحوال الشخصية العراقي) : أن كافة القوانين العربية قد أخذت بما أخذ به القانون المصري ، ولم يخالف منها أحد (انظر ص ٤٥٥ من الجزء الأول من الكتاب المشار إليه) .

حول أزمة الإيمان

للأستاذ محمد الغزالي

أما المؤمن ، فالصدق عنده طاعة لله الذي قال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وكونوا مع الصادقين » .

فهو يصدق أولاً إيماناً بالله ، ثم هو يرتفع بإيمانه هذا إلى فضيلة الصدق ...

إن الأعمال الصالحة كلها ، نفسية كانت أو اجتماعية عند ما تكون جزءاً من تعاليم الدين ، أو جزءاً من سلوك المؤمنين ، تأخذ طريقها في الحياة مقترنة بهذا اليقين السماوي ، أو مصطبغة بهذه الصبغة الإلهية ، فيسكون الإيمان بالله هو الباعث على العمل ، وتكون تقواه جل شأنه إحساساً دائماً مصاحباً .

ونحن بهذا الكلام نلفت الأنظار إلى خطورة ما شاع من مسالك بشرية مجردة تجعل الناس يتواضعون على أهراف وتقاليد قد تكون حسنة أو لا تكون ، ثم يرون في الوفاء لهذه الأعراف والتقاليد الخير والفضيلة .

مع أن صلتها بالإيمان مقطوعة ، بل ربما لم يفكر صاحبها في الله لحظة ...

وهذا الفريق من الناس قسم الدين قسمين : فما كان من عقائد وعبادات طرحه جانباً وأزورعه .

وما كان من معاملات ونظم احتفى به وروجه وأكثر من الحديث عن قيمته !!

معرفة الله والخضوع له ، والإهداء لقائه والرهب من عقابه ، هي لباب الدين وروح شرائعه .

نعم ؛ في تعاليم الدين نظم خلقية واجتماعية كثيرة ، تتناول الحياة الخاصة والعامة من القاع إلى القمة .

لكن هذه التعاليم كلها بناء دعائمه العقيدة . أو هي أعمال غايتها وجه الله ؛ فإذا انهارت الدعامة ، أو اختفت الغاية فقدت هذه النظم الخلقية والاجتماعية طابعها المميز ، وقيمتها النفسية وصارت شيئاً آخر له قيمة أخرى . كما تفقد الأوراق المالية قيمتها إذا فقدت رصيدها الذهبي .

الدين قبل كل شيء : « شعور بوجود الله .

واعتراف بحقه في حكم عبادته ، ووضع المبادئ التي بنطلقون منها ، والحدود التي يفتنون إليها .

ومقتضى هذا الشعور الباطن ، والاعتراف الظاهر ، أن نفعل ما يوصينا الله به ، لا على أنه خير فقط ، بل على أنه « انقياد لله - وقيام بحقه ... إلى جانب ما فيه من خير ذاتي ، ...

إن الوجودي قد يرى الصدق فضيلة في المعاملات التجارية وغيرها ...

ولكنه لا يعبد الله حين يصدق مع غيره ؛ فهو لا يعرف الله ، ولا يؤمل فيما عنده !!

ولكنه لا يعبد الله حين يصدق مع غيره ؛ فهو لا يعرف الله ، ولا يؤمل فيما عنده !!

المعروف في دراستنا النظرية أن الدين عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات ، وأن الصلة بالله هي القائد الأول لبقية الشرائع . وأن صحة هذه الصلة ضمان للنجاة وإن قلت حظوظ المرء من بقية التكاليف الشرعية ... ونريد أن نتوقف قليلا لنناقش هذا التفكير ، فلا نجور على أصل الإيمان ، ولا نجور على مجموعة الأعمال المرتبطة به ، والناشئة عنه .

من حق علينا أن نقدم أن يهدروا كل خير يصنعه الكافر ، وأن ينوهوا بثقل كلمة التوحيد في ميزان الصالحات .

لأن وجهة نظرهم واضحة فإن الذي يرتكب في عصرنا جريمة الحياة العظمى ، تعصف جريمته بكل خير فله من قبل .

ويوم يقال : فلان خان وطنه وباعه للأعداء فلن نرى إلا الازدراء والمقت والإجماع على استحقاق أقصى العقاب .

ولو قيل : إن هذا الشقي كان براً بأمه ، أو كريماً مع خدمه ، أو لطيفاً مع أصدقائه ؛ فإن هذه الخصال جميعاً تطوى في صفته ، وتزيم دونها الشقاء !! ولا تغنى عن حكم الموت المبادئ والأدبي الذي يستحقه هذا الخائن . والواقع أن سلفنا نظروا إلى الكافر بأنه نظرة العصر الحاضر إلى الخائن لآمته ، ورفضوا الاعتراف أى خير يفعله ، أو الإقرار بأى ميزة له .

والكافر - في نظرنا - أهل لهذا الهوان .

وقد علمت أن أى عمل أمراه به ، فإنما لجدوى من فعله ابتداء طاعة الله والقيام بحقه . أما إتيانه دون نظر إلى وجه الله فلا قيمة له ، وإن صلحت به إلى حين بعض شئون الدنيا . إن الإيمان بالله ليس نافذة قط في المجتمع المؤمن . إن تسديحه وتهميده جل جلاله ، يجب أن يكونا شغلا للناس ، وشارة لحياتهم بالغدو والآصال .

وقد يضحك البعض من الحديث هن الآخرة ، والجنة والنار ، ويظن ذلك كلاماً فات أو انه ، أو كلاماً يتهامس به بعض الوعاظ في مواكب الموت .

والحق أن الدين يذوب ويتلاشى يوم يكون الحديث عن الآخرة مجوناً أو لغواً

إن قوافل الأحياء يجب أن تمشى بلباقة وجسد ، أن عقيدة الجزاء الأخير ليست هزلاً ، وأن البعد بنشاط الحياة عن الإيمان بالله واليوم الآخر ، بعد هن الصراط المستقيم . وجرى وراء سراب خداع ...

ونحن المسلمين ، يجب أن نشوب نشاطنا كله بمعالم هذا الإيمان الحق ، وألا تجرفنا تيارات الحضارة المادية التي تسود الشرق والغرب ، تلك الحضارة التي ذهلت عن الله ، وتجاهلت وحيه ، وآثرت أن تحيا وفق هواها ، وأن تأخذ من دينه ما لا يصادم هذه الأهواء ... ثم تطرح جانباً أهم شعب الإيمان .

قائمة على الخشوع والإخبات ، وهو صلة
بالنفس قائمة على التأديب وال ضبط . وهو
صلة بالاجتماع قائمة على العدل والرحمة . وهو
صلة بالكون قائمة على السيادة والارتفاق .
ذلكم هو الإيمان الجدير بالإعظام وحسن
المساب وهو إيمان غلاب منتصر لا يثب
الإلحاد أمامه في معركة ولا يقاس به في مفاضلة .
إنما يرى بالإيمان أن يكون علاقة
مفتعلة برب العالمين لا تبعث على كمال
ولا تصون من نقص تدارى هو أنها بصور
العبادات المفروضة ، ولا تحقق في صاحبها
ولا فيما حوله خلقا عظيما ، أو سلوكا ناضرا .
ومثل هذا الإيمان الصوري - وما أشيعه
بين الناس - لا يرفع رأسا ولا يكسب نصرا .
وهل انتفع الإلحاد ، وتحركت وساوسه
إلا في ميدان لقي فيه هذا الإيمان الزائف ؟
وهل رفع رأيه وفرض شأته إلا بين
مؤمنين من هذا الطراز المميين ؟ ..
إننا نرفض رفضا باتا أن تعيش الحقيقة
بغير دين يصلح بالها ، ويركز أحوالها ؛
ونرفض كذلك أن تعيش الحقيقة بدين تأوى
إليه الخرافة وتمزم فيه الخصائص الإنسانية
المليا ، وتتأخر في ظله الحياة الدنيا ، وتذبل
ملكات الابتكار والإبداع والتجمل .
إن المعنيين بالتربية الدينية قد يسيئون
إلى الإيمان حين يتصورونه منديلا يسمح فيه
الخطأون صوبهم ، فهم يعثرون والإيمان
يفقر ، ويكسرون والإيمان يحجر .

والجاءد لوجود الله ، الخائن لنعمته ،
المذكر لقائه ؛ يرتكب بهذه الخلال أشنع
جرائم الحياة العظي ، وليس له ما يدفع عنه ،
مهما صنع : « ومن بين الله فإله من مكرم » .
إلا أن هذه الحقيقة تولد عنها خطأ شائع ،
الحق بالإيمان وأهله ضرراً بليغا .
فقد فهم السامة أن حسن الصلة بالله -
وهو فضيلة ييقين - قد يجبر النقص في بقية
الواجبات المفروضة .
ثم تدرج هذا فهم إلى أن هذه الواجبات
يمكن أن تتلاشى ويغنى الإيمان المجرد عنها .
وانضم إلى هذا الوضع أن الذين انخرقوا
عن الإيمان الحق ، ونسوا الله ، أتقنوا
طائفة من الأعمال الإنسانية ، والفنون
الحيوية وسبقوا بها سبقا بعيدا .
وعندما قام في العالم هذا التناقض ، اهتزت
قضايا الدين ، وتحاذلت صفوف المؤمنين
ونجمت في أرجاء الدنيا فتن عاصفة .
والامر بحاجة إلى أولى الأبواب يتداركونه
بصدق الفهم ؛ ولطف العلاج .
وعلى معشر المؤمنين أن يصلح شأننا
قبل أن نطالب غيرنا بتغيير نفسه وفكره
إن الإيمان أعظم الفضائل في هذا الوجود ،
وهو عنصر غال ، ما دخل في شيء إلا زانه ،
ولا نزع من شيء إلا شانه ...
بيد أن الإيمان الذي يستحق هذه
النعوت له نواحي عديدة ، فهو صلة بالله

فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول : يارب ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ! فقال : فإنك لا تظلم . فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شيء) ...

هذا حديث مشير الدلالة ، وهو لو أخذ على ظاهره يضع عن الناس شق التكاليف الإلهية ويبطل قوله تعالى : (إن الله لا يصلح عمل المفسدين . ويحیی الله الحق بسكاته ، ولو كره المجرمون ، .

وعندى أن هذا الحديث - إن استقام سنده - إنما يصح في شخص مشرك ، قضى حياته في الفساد ، ثم آمن قبل أن يمحن أجله بقليل ، فلم يستطع بعد إسلامه أن يبقى مدة يصلح فيها ما مضى ، والحديث بهذا ينوء بما لحاقمة الإيمان من قيمة ، ومالتوحيد الله من منزلة . أما إطلاق هذا الحديث وأشباهه بين العوام أو بين الناشئة دون وعى فهو هدم للدين كله ، وهو الأساس لتكوين طوائف من المتدينين ، تحط من قدر الإيمان وأثره . .

إن العالم اليوم فقير إلى الإيمان الذي يصله بربه صلة وفاء وبر ، ويربطه بالحياة رباط إنتاج ووجد ، والا فال مستقبل حافل بالندر .

محمد الغزالي

وكثير من أتباع الأديان السماوية ظنوا التصك بأصل الدين كافياً في النجاة مما صنعوا . وقالوا : (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، تلك أمانتهم ...) .

وقد فند القرآن التكریم هذه المزاعم ، ورسم طريق النجاة الحقيقي ، وهو مزيج من الإيمان الحی ، والإحسان فی العمل والإخلاص لله . (قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى ؛ من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، .

وبعض الوعاظ القصار النظر قد يعمون على آثار دينية محدودة المعنى والجمال ، فيسيئون فهمها وتطبيقها ، ويتجاهلون بها جملة الكتاب والسنة ، بل طبيعة الإيمان نفسه . تلك الطبيعة التي تتخلق من الموات حياة ومن الغوضى نظاما .

خذ مثلاً ، حديث البطاقة الذي رواه الترمذی عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله تعالى سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فيشرله تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل مثل مد البصر . ثم يقول : أتتذكر من هذا شيئاً ؟ أظلك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب) .

فيقول تعالى : بلى ؛ إن لك عندنا حسنة ،

رسالة الأصول للإمام الشافعي

للأستاذ الفاضل بن عاشور

— ٤ —

من الاستقراء والتنظير أن يتبين صوره الأدلة وأصنافها ومراتبها ، وأن يتعرف إلى اختلاف طرق سلوك الفقهاء للاستدلال بسبب اختلاف مراتب الأدلة وأصنافها ، ثم بحسب اختلاف مذاهب المجتهدين ، وهذا الوصف الموضوعي هو الذي كان تقيده المراس القوي للشافعي ، بالمذاهب المختلفة والبيئات الفقهية العديدة ، وهو العمل الذي ما كان ليصدر عن غير الشافعي في عميق دراسته للمذاهب ، وشديد اتصاله بأئمتها السابقين والتالين ، وبذلك كانت رسالته في أصول الفقه وضعا لعلم أصول الفقه ؛ لأنه وجد عملا في الاستدلال والاستنباط ، يأخذ به الفقهاء ومنهجهم يسرون عليه بدون أن يبحثوا عن ماهيته ، ولأن يضبطوا اختلاف عوارضه ، وتعدد صوره وأصنافه فجاء هو يبحث عن ماهية العمل ويضبط اختلاف صوره ، وتعدد أصنافه وتفاوت مراتبه فكان بذلك واضع علم جديد ، لا مكونا للواقع الذي يتعلق ذلك العلم بوصف جواهره وأعراضه ، فكما أن واضع النحو لم يعلم أهل اللغة كيف يركبون كلامهم ، ولكنه وصف ذلك الكيف ، وعدد أعراضه

كانوا قبل الإمام الشافعي يتسكمون في مسالك أصول الفقه ، ويستدلون ويعترضون ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة ، وفي كيفية معارضتها وترجيحاتها فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه ووضع للخلق قانونا كليا ، يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع ، فثبت أن نسبة الشافعي ، إلى علم الشرع ، كنسبة أرسطاطاليس ، إلى علم العقل .

بهذا الوصف الدقيق الضابط كشف الإمام غر الدين الرازي في كتابه مناقب الشافعي عن ماهية العمل الذي قام به الإمام محمد بن إدريس في وضع علم أصول الفقه . فلم يكن الشافعي في رسالته معلما للفقهاء قواعدا الاجتهاد ولا موجههم إلى مسالك الاستدلال ولكنه وجدهم يتفقون ، ويجهلون ويستدلون ، فتبصعهم ، واستقرأ مناحي نظرم ومسالك اجتهادهم ، وفطر بين بعض تلك المناحي والمسالك وبعض ، حتى خلاصه له من الاستقراء والتنظير ، تتناجى علمية موضوعية صورت له ، في وضوح معنى عمل المجتهد ، في استنباط الحكم من دليله ، فتوصل بذلك التصور الواضح الذي حصل له

فلقد كانوا يعرفون الأفراد من الفقهاء خصوصياتهم في المناهج الاجتهادية ، ويعرفونهم بها ، حتى لقب ربيعة ابن أبي عبد الرحمن فقيه المدينة ربيعة الرأي ، وكانوا يعلمون حتى العلم أن ما يقوم دليلا عند واحد من المجتهدين على إثبات حكم شرعي ، لا يقوم دليلا عند غيره ، حتى تناظروا في حجية أنواع من الأدلة ، كما تناظر مالك والليث بن سعد في حجية حمل أهل المدينة على ما يرى مالك ، وهدم حجيته على ما يرى الليث بن سعد ، في الرسالتين اللتين دارتا بينهما وأثبت نصهما العلامة ابن القيم في كتاب أهلام الموقعين .

وأمام هذا العمل العميق الغور ، البعيد المدى ، الذي يضطلع به الفقهاء ، كانت طائفة من أهل الأثر الذين عرفوا بالعلم ولم يعرفوا بالفقه تقف حائرة مهتومة من سبب اختلاف هؤلاء الفقهاء ودرجة تصرفهم في ما يستخرجون وما لا يستخرجون من الأدلة وما يقبلون وما يردون من الأخبار ، وكان الشافعي قد نشأ بين هؤلاء العلماء ، ثم فارقه فاقصم برجال الفقه ومارس أساليبهم وتخرج باجتهاداتهم وتميز بالفقه بعد أن تميز قبل بالأثر . فكان من الضروري أن هذه الطائفة من أهل العلم والحفاظ التي كانت مستشفرة إلى ما يفعل هؤلاء الفقهاء ، حريصة على فهم

وضبط صوره ، وأن واضع علم الاجتماع لم يكون في البشروح المدنية الذي به يترابطون ، ولكنه كشف بالتعبير عن حقيقة ، ما كان الناس يعيشون به ولا يجدون للتعبير عن وصفه طريقا ، وكذلك واضع كل علم ، ليس إلا واصفا لواقع ، وم سجلا لظواهر ومعمما بالحكم السكلي ، صور الجزئيات الداخلة تحت الاستقراء حتى قيل في شأن واضع علم العروض قد كان شعر الوري صحيحا من قبل أن يخلق الخليل ، وكذلك كان الفقهاء قبل الشافعي في أمصار الإسلام ، يسير كل منهم على طريقة في الاجتهاد تتفق مع الطريقة التي يسير عليها غيره في أشياء ، وتختلف في أشياء أخرى ، وكانت الأحكام الفقهية الناشئة عن تلك الطرائق تتفق وتختلف وتتقارب وتتباعده ، والفقهاء يدركون ما بين الأحكام التي تقررت باجتهاد هذا ، والتي تقررت باجتهاد ذاك ، ويشعرون بأن مرجع ذلك الاختلاف إلى اختلاف في الطرائق ، فكان أهل الأثر يشعرون بما بينهم وبين أهل الرأي من اختلاف منهجي ، وأهل الحجاز يشعرون بما بينهم وبين أهل العراق من اختلاف ليس حاصلًا في الأحكام الفرعية فحسب ، ولكنه راجع إلى اختلافهم في ما تنفرع عنه تلك الأحكام في أصول إجمالية

فيها . . ويقول : « وكل ما أنزل الله في كتابه جل ثناؤه ، رحمة وحجة ، علمه من علم وجهه من جهله ، لا يعلم من جهله ولا يعلم من علمه ، والناس في العلم طبقات موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به . »

ومن هنالك ابتداء يقسم أصناف معاني البيان للأحكام في القرآن العظيم بما يرجع إلى ما هو مسمى الآن عند علماء الأصول بأقسام الدلالة ، ثم أفاض في الكلام على نسبة الأدلة بعضها من بعض بين القرآن والسنة بما يرجع إلى المجموع والمبين ، والناسخ والمنسوخ ، سالكاً في ذلك مسلك العرض التعليلي والوصف الموضوعي ، متشكياً طريق النقاش والجدال .

أقبل الشافعي ، في رسالته إلى عبد الرحمن بن مهدي يبين أن مرجع استفادة الأحكام الشرعية إلى القرآن ، من طريقتين : هما طريق النص ، وطريق الاستنباط ، قائلاً . « إن من أدرك علم أحكام الله في كتابه ، نصاً واستدلالاً ، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه ، فاز بالفضلية في دينه ودنياه ، وانتفت عنه الريب ، ونورت في قلبه الحكمة ، واستوجب في الدين موضع الإمامة . »

ثم أخذ يشرح اختلاف طرق الاستفادة من القرآن : نصاً واستدلالاً فسمى إفادة القرآن ذلك « البيان » ، وابتدأ بعنوان : « باب

ما يتصرفون به في الأحكام وأداتها » تجد في ريبها الذي انتقل من حبر العلم إلى حبر الفقه ، مرجعاً تستكشف دخيلة هذا العمل الذي يستغرق فيه الفقهاء ويسمون « اجتهاداً » . وعلى ذلك نجد أن علماء من أعلام رجال الحديث ، وحافظاً من مشاهير الحفاظ ، هو عبد الرحمن بن مهدي ، اتجه إلى الشافعي بعد أن اتصل الشافعي بالمذهبين الحجازي والعراقي وخبرهما ، فكتب إليه من بغداد ، وكان الشافعي في مكة ، على ما يظهر في هودته إليها قبل سفره عنها إلى مصر ، يرجوه أن يضع له كتاباً في معاني القرآن وقبول الأخبار وحجة الإجماع والناسخ والمنسوخ ، فأجابه العافمي بكتاب يتضمن ما يريد ، وجهه إليه من مكة إلى العراق ، ولذلك سمي هذا الكتاب « رسالة » ، لأنه صنف جواباً ، عن سؤال ورد بالمراسلة ، وصدر من مكان إلى مكان موجهاً ومرسلاً به .

ومن هنا يدرك الناظر في رسالة الشافعي وجه ما ابتدأها به من التنويه بشأن رجوع الأحكام الشرعية كلها إلى كتاب الله ، وأن الانتباه إلى ما هو راجع إليه مما يظن أنه غير راجع إليه على حسب تفاوت طبقات الناس في العلم به ، والغوص على معانيه ، إذ يقول : « فليست تنزل بأحد من أهل دين الله ، نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على صلب الهدى

بالسؤال عن الوجه والتطلب للدليل ، إيجازاً واقتضاباً ، يتبعه ببيان طويل للكشف عن وجه السؤال . ثم لما وصلت نوبة الكلام إلى مثل الأحاديث ووجه الأخذ ببعضها وترك بعض ، واعتبار بعضها راجعاً وبعضها مرجوحاً ، هنالك أصبح يذكر الأسئلة على وجه الوقوع والثبوت ، لا على وجه التقدير والافتراض ، فيقول : قال لي قائل ، ولا يقول كما كان يفعل في أول الكتاب ، فإن قال قائل ، . ثم يفيض في بيان ذلك القول مطبياً في أدلته ووجوه توقعه ، ثم يجيب عنه مبتدئاً بقوله : قال الشافعي ، ويتردد في البيان والتفصيل والتعليل وضرب الأمثال ثم لا يقطع سياق المحاوره فيستمر مودداً أسئلة المعترض واستكشافاته من قوله : وما هو ، وقوله : فمثل لي كل صنف مما وصفت مثلاً تجمع لي فيه الإتيان على ما سألت عنه ، وقوله : فهل عن النبي رواية بما قطعتم ، وهكذا يستمر في هذه الطريقة من الحوار الجدلي المسترسل ، يورده أولاً بين طرفين ، ثم كأنه يصف دخوله ثالث في الحوار ، إذ ينصرف عن قوله : قلت فقال ، أثناء الموضوع بعينه ، فيقول فقال لي قائل ويستمر يجيب القائل الثاني : ثم يعيد أسئلة القائل الأولى مبتدئاً استئنافاً بقوله قال الشافعي : قال ، يعني السائل

كيف البيان ، فقال : إن البيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول ، متشعبة الفروع ، وبين أن وجوه البيان عديدة ، وعقد لكل وجه منها باباً : مما جاء بيناً بنص القرآن فلم يحتاج إلى بيان ، وما احتاج فيه بيان القرآن إلى ما يكمله من السنة ، أو ما يبينه ، أو ما انفردت ببيانه السنة ، وما فتح فيه القرآن باب الاجتهاد والقياس بما يتوقف عليه ذلك من معرفة ، وعلى الأخص بفنون اللغة العربية ، فقد بعد ذلك أبواباً متتابعة لاختلاف الدلالة بالعموم والخصوص ، وضماً واستعمالاً وأصالة ولحوقاً ، منتهياً إلى أن السنة تخصص ما جاء في القرآن عام الدلالة ، ومتخلصاً من هنالك إلى ما للسنة من أثر في تبيان الأحكام ، مفيضاً في هذا المعنى بياناً واستدلالاً وبسطاً لمسألة علاقة السنة بالقرآن ، من حيث النسخ والمنسوخ والمجمل والمبني ، والمخصص ، يضرب الأمثال لذلك من جديد أبواب الفقه . وبعد أن بلغ الشافعي هذا المبلغ من البيان ، على طريقة من البسط ، والبيان المطرد ، بدون استحضار نقاش ، ولا افتراض جدال ، ولا إجراء للكلام يجري الجواب والسؤال ، ابتداء بعد ذلك يتعرض للسؤال والاعتراض والاستكشاف على طريقة الافتراض والتقدير : بقوله : فإن قال قائل وابتدأ هذا الأسلوب أولاً

الأول. حتى ينتهي إلى منقطع الحديث ليستأنف
 جمدلاً آخر حول استدلال آخر . وهكذا
 يستعرض على هذا النحو مباحث النسخ ،
 والتخصيص والأمر ، والنهي ، وأخبار
 الآحاد ، على منهج يتجه إلى بيان أن السنة
 أمراً في وضع الحكم الشرعي بالاستدلال ، على
 نسبة من القرآن ، يختلف باختلاف الصور
 والأما كن . ثم لما أفضت نوبة الكلام إلى
 الأصول الأخرى ، غير الكتاب والسنة :
 وهي الإجماع والقياس جعل المحتاج دائراً
 على أن دلالة الكتاب والسنة هي المثبتة على
 الإجمال لحجية الأصلين (الإجماع والقياس)
 مع كونهما أصليين منفصلين عن المسموع
 من الكتاب والسنة ، لكن في الكتاب
 والسنة ما يشهد للإجماع والقياس : بأن كلا
 منهما عامل في استنباط الأحكام الشرعية .
 ولما أثار البحث في القياس بحثاً في أنه يخطئ
 ويصيب ، وقد يكون حقاً في الظاهر والباطن
 وقد يكون حقاً في الظاهر فقط ، فيكون حقه
 مقصوراً على قائله دون غيره وبفناً من ذلك
 الاختلاف بين القائلين ، مع سقوط المخرج
 والاثم عن كل منهم ، أثار البحث على ذلك
 الوجه في حجية القياس ، مسألة الاجتهاد .
 فإذا المحاور يسأل عن أصل تجويز الاجتهاد
 والشافعي يجيب بالإثبات متمسكاً بما جاء في
 القرآن العظيم . مما يقتضي لأعمال الدلائل

لأداء أصناف من العبادات ، مع أن تلك
 الدلائل قد تصيب وقد تخطئ . ، وقد يعرف
 بها إنسان غير ما يعرفه غيره ، فيبني كل منهما
 على ما عرف وإن اختلف ما أتى به كل منهما
 عما أتى به الآخر . ويلج المحاور في طلب
 الدليل على جواز الاجتهاد من الحديث ،
 فيروى الشافعي له حديث : « إذا حكم الحاكم
 فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد
 ثم أخطأ فله أجر » ، فيجري الحوار حول
 الصواب والخطأ وتنهض حجة الشافعي على
 ما أراد بأن الأجر على الخطأ يقتضي على الأقل
 أنه يسع الإنسان أن يخطئ في الاجتهاد غير
 آثم ، ويلخص حجته في الاجتهاد ، بقوله :
 « إن الله جل ثناؤه من على العباد بمقول
 فدلهم بها على الفرق بين المختلف وهذا
 السبيل إلى الحق : نصاً ودلالة ولما سأله
 صاحبه مثلاً على ذلك ، ضرب له المثل
 باستقبال القبلة وما خلق الله للناس من
 أدلة كونية يهتدون بها إلى جهة البيت
 الحرام قائلاً : « وكان عليهم تمكف الدلالات
 بما خلق لهم من العقول : الله ركبها فيهم
 ليقصدوا قصد التوجه للعين التي فرض عليهم
 استقبالها . فإذا طلبوها مجتهدين بعقولهم
 وعلمهم بالدلائل ، بعد استعانة الله والرغبة
 إليه في توفيقه ، فقد أدوا ما عليهم » .

الفاضل بن عاصم

تونس

(للبحث بقية)

فَتْحَاتُ الْقُرْآنِ

العهد : مسئولية دينية والوفاء به : غاية حمية للأستاذ عبد اللطيف السبكي

- (أ) « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ، ولنكونن من الصالحين .
(ب) فلما آتاهم من فضله بخلوا به ، وتولوا ، وهم معرضون .
(ج) فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه ، بما أخلفوا الله ما وعده . وبما كانوا يكذبون . »

لأنى أراك تعمل عمل أهل النفاق !! فقال :
يا رسول الله : إن لى ثوبا واحدا يصلح
للصلاة ، وأنا أسرع إلى زوجتي لتلبسه ،
وتدرك به الصلاة فى أول وقتها .. فادع الله لى
أن يرزقنى مالا ...

فاستشف النبى ببعيرة النبوة أن العسر خير
لهذا الرجل من اليسر ، وقال له : يا حاطب
قليل يكفيك خير من كثير يطغيك .

فأعاد الرجل سؤاله مرة ، ومرة : وفى
كل منهما يسمع نفس الجواب ، ثم قال معا هذا
ربه أمام رسول الله وأصحابه : لئن آتانى الله
مالا لأعطين كل ذى حق حقه .

وكان فى هذا العهد جاهلا بحقيقة نفسه ،
وظانا أنه يظلم الدنيا ، فلا تنال من دينه ،
ولا تفتنه عن هده .

(أ) وردت هذه الآيات فى رجل من
المسلمين ، كان فى طليعة الصحابة ظاهرا
وكان يلزم الرسول فى حضور الجماعات
بالمسجد ، ثم فتته الدنيا فخرج من الإسلام
كما خرج إبليس من الجنة ... وتبين للناس
من قصة حاطب بن ثعلبة هذا أن الوفاء
بالعهد شعبة من شعب الإيمان الحق ،
فالأخذ بعهده وأصل إلى جنات ربه ،
والناكث بعهده فإنما ينكث على نفسه .

كان حاطب هذا يخرج من صلاة الجماعة
خلف الرسول مهرولا إلى بيته ، كالكاره
للبقاء فى موضع الصلاة ، أو فى معية الرسول
عليه السلام .

فقال له صلى الله عليه وسلم : يا حاطب !!

في وجه الوافد عليه من جانب الرسول ،
صلوات الله عليه وسلامه .
تزعزع يقينه بإغراء المال له واستعبده
دنياه ، فقطعته عن صحبة الرسول ، وأصحابه
إلى حشرة الأغنام ، والإبل ، والأبقار .

ثم نفث من حقه على الدين ما كان خافيا
عليه من أمر نفسه ، حينما تعلق بالمال ، وألح
بؤاله للرسول أن يدهوله باليسر بدل العسر .
وكأن طغيان دنياه أنساه أن الله الذي
أعطاه قادر على أن يسلبه هذا العطاء ،
أو يسلبه ما هو فيه من هذا العطاء ، وإن
تضاعف حظه .

وقد كان في هذا شقاؤه ، وكانت نعمته تقمة
عليه . . إذ نزل فيه قول الله سبحانه : « ومنهم
من عاهد الله ، الآيات السابقة .
وحين نزولها أخبر بها الرسول أصحابه ،
وقال لهم : أتدرون فيمن نزلت هذه الآيات ؟
نزلت في حاطب بن ثعلبة التميمي .

ففرغ الصحابة لذلك الحدث ، ولما أصاب
حاطبا من مروقته من الدين ، وبغيه على نفسه
وفزع إليه أخوه ، وأخبره بما نزل في شأنه
من نذير القرآن .

وهناك تقشعت ضلالتة ، وعظمت ندامته
وبادر إلى الرسول يعتذر ، ويستعتب ،
ويستأذن في تقديم زكاته التي ضمن بها على العامل
وتسكرك له طاعنا في تشريع الله .

ومن شأن النبي صلى الله عليه وسلم —
أن يحكم بالظاهر ، ولا يتعلق بالغيب في شأن
كهذا لا يعتبر حكما تشريعا ينتظر فيه
الوحي ، أو يجتهد فيه .

فدعا ربه لحاطب أن يرزقه مالا ...
ومن هنا جرى على حاطب قدر من الله
لم يكن يتخيله ، ذلك أن ماله كثر وكثر .
حتى ضاقت المدينة ، وضاق ربضها
بالأغنام ، والأبقار ، والإبل لحاطب صاحب
الشوب الواحد .

وكان كلما كثر ماله يتخلف عن الرسول
وعن الصلاة معه شيئا فشيئا ، حتى انقطع
لماله دواما .

ولما اقتدعه النبي ، وسأل عنه أخبروه
بشأنه ، وانقطعه لما شئته بعيدا في جنبات
الوادي ، فأرسل إليه الرسول عامل الصدقات
يحيى . منه بركة أمواله التي كانت مصداق
عهده ، وكانت دعوة الرسول إلى ربه .

فاستبدت به الدنيا ، وغلبته على عهده ،
ونسى ما كان يدهو إليه من قبل ، وراوغ
مع عامل الصدقات مرة وأخرى . ثم قال له
أخيرا : ما هذه إلا جباية . . يريد أن الزكاة
تحصيل للمال بالإكراه ودون استحقاق
مشروع .

فا نظر إلى الرجل : ما بين عشية وضحاها ،
يتعذر على دينه ، ويكفر بنعمة ربه ، ويتبعج

زكاة أمواله ، فلم يقبلها منه ، وقال له : ما كان لى أن أقبل شيئا لم يقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم حاول كذلك فى عهد عمر ، فقال له مثل ما قال أبو بكر ... وانتهت حياة حاطب ابن ثعلبة ، وخلف دنياه لغيره ، وخرج منها على نفاق أرداه فى جهنم خالدا فيها مع الخالدين المعذبين .

ولو أن الرجل كان وفيا بعهده لله لكان فى مقام غير هذا .

ولكن الله أعقبه نفاقا فى قلبه إلى يوم يلتقى ربه بسبب ما كان من خلفه لو عهد الله ، ومن كذبه على رسول الله ، فيما طهده عليه ! فانظر إلى قيمة الوفاء بالعهد ، وإلى خطر الغدر فيه !!

* * *

هذا - وقديما عرف التاريخ عن العرب أكثر مما عرف عن سواهم فى صيانة العهد من الخيس فيه ، حتى لو اقتضاهم الوفاء بالعهد تضحية بالأموال ، والأنفس .

غير أن العرب فى جاهليتهم أسرفوا فى تشبثهم بالوفاء ، إذ توسعوا فى مفهومه ، حتى جعلوا منه عصبية للقبيلة ، أو للحليف فى غير اعتدال ، واستباحوا إراقة الدماء ، وفاء بالعهد كما - زعموا - ولو دون سبب للقتال .

(ج) ولكن النبي أبى أن يقبل منه شيئا ، بعد أن حكم الله فى قضية هذا المارق ، والله يحكم لا معقب لحكمه .

ولماذا لم يقبل الله توبة هذا الخاطيء ؟ ولم يقبل الرسول منه معذرتة وزكاته ؟ مع أن الله غافر الذنب ، وقابل التوب .

يبدو أن طوية هذا الرجل من أول أمره كانت غير مظهره ، وشاء الله أن يكشف له حقيقة نفسه ويكشف للرسول وللؤمنين ماخفي عليهم فى واحد من أقرب الناس إليهم . وليضرب الله المثل به فى فضيحة المتصنعين للإسلام ، وأن فى الناس من يعبد الله على حرف ، حتى إذا أصابته فتنة انقلب على وجهه وخسر دنياه وآخرته .

ولعل من حكمة الله فى رفض المعذرة ، والإهراض عن توبته لدى الرسول أنها لم تكن توبة من قلبه ، وإنما هى كذلك مخادعة أمام القوم ، حتى تخفف عنه اللائمة والمذمة نوعا ، ولا يكون معرفة لذويه ، كما يكون الحال فى شأن من لم يحاول تدارك خطيئته ، ولو رياء .

وفى هذا عبرة للؤمنين الصادقين ليتحاشوا غرور الدنيا ، ويكونوا على شكر الله أحرص من التعلق بالمال ، والرضى به فى سبيل الله ، الذى يهب لمن يشاء ، ويمنعه من يشاء .

حاول الرجل فى عهد أبى بكر أن يقدم

بلى ، شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين ، ١١

فيكون من مقتضى الفطرة الإنسانية المعتدلة أن نستجيب لما ذكرنا الله به ، وأن نقى به حُبا في الله ، وتقديراً لفضله ، وخشية منه ، والتماساً لرضوانه ، ومؤازرة لدعوة رسله .

٢ - ولكن الإنسان ظلم لنفسه ، جهول بمسئوليته ، إنا عرضنا الأمانة ، تكاليف الدين ، على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، .

لم تنهياً تلك المخلوقات العظيمة لقبول التكاليف ، وقصرت طبيعتها مع ضخامتها عن الصلاحية لتحمل أمانة الدين .

وكان هذا إباء وخوف من التقصير فيما عهد الله به إليها ، وحملها الإنسان ، بفطرته المتهيئة ، ومواهبه المستعدة ، وبما عرفه من طريق الرسالات النبوية ، ثم تخلف عن تمام الوفاء بهذا العهد ، فكان ظلوماً لنفسه ، جهولاً بمسئوليته .

٣ - وصمد ثالث - قطع الله على نفسه للجهادين في سبيل الله - بأموالهم وأنفسهم : ما استطاعوا - أن يكون جزاءهم الجنة في سعة من محبة ربهم ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين . الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح - هناء الجهاد -

وكانوا يفاخرون بذلك في ندواتهم ، وفي قصيدهم ، وخطبهم .

ولما جاء الإسلام متكفلاً بصلاح دنيانا ، وتهذيب أخلاقنا كان طبيعياً أن يختار من معاني الوفاء ما يلائم وجهته ، ويندج في منهجه وأن يعتبر هذا الوفاء المعتدل بالعهد النافع أصلاً من أصول الأخلاق .

بل وكنا من أركان العقيدة ، ينهض عليه قوام الدين الحق .

فإن إيمان المرء بالله ، وبما أنزل على رسله لا يمدوا أن يكون وفاء بما عهد الله إلى عباده من توحيدده ، والأخذ بأحكامه ، وأخلاقه ، وسائر توجيهاته في حياتنا الدنيا . وتركوا لمبدأ الوفاء بالعهد بين شعب الإيمان .

عنى القرآن كثيراً بذكر العهد ، وبالدعوة إلى صيافته من الغدر به ، وبالثناء المستطاب على المؤمنين بعدهم إذا عاهدوا .

وانظر تجدد للقرآن بسطة في بيان العهد التي يعنيها ، وبقراها في تشريعه .

١ - فهد أزل ، أخذه الله عباده ، حين كانت الإنسانية في عالم الأرواح ، أن يدينوا له وحده بالربوبية ، ويذكرهم به بعد وجودهم ليكونوا على علم بما سلف ، وعلى وفاء بما علموا وهم في عالم الأشباح . وإذا أخذ ربك من بني آدم : من ظهورهم ، ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا :

أن الناكث للعهد لا يعتبر من أهل العهود ،
يريد أهل الإيمان .

وقد تعهد الله في تشريعه لنا أن يأخذ
كل ناقض للعهد بحججه ، كما صنع مع اليهود
فيما صرف عنهم كثيرا حتى يحمل عليهم لعنته ،
وكرر تهديدهم بغضبه ، فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية .

إلى كثير من آياته التي تثير الرعب لدى
كل ذى قلب يمي ، فمن نسكت فإنما يضكت
على نفسه . . ولا يحقيق المكر السيئ
إلا بأهله .

ومع ما تبين من شأن العهد وخطره عند الله
فإن بعض الأنمة يفرق بين العهد ، والوعد
وينظر إلى ما في العهد من توثيق والتزام
كمعقود المعاملات مثلا وإلى ما في الوعد
من هوادة لا تبلغ مبلغ التوثيق والاستيثاق ،
وجعلوا إنجاز الوعد مستحبا لا واجبا ،
وخلف الوعد مكروها لا محرما .

فإذا وعدت صديقك بالزيارة فالوفاء بمثل
هذا مروءة تليق بالمسلم ، والخلف دسین
لا يبلغ مبلغ الإثم ... وهذا كلام مقبول
فيما يكون نادرا وغير متعمد .

أما إذا كان دأبا للرد أن يخلف وعده
فهذه هي نقيصة المنافق التي حذرنا منها الرسول
في قوله - وإذا وعد أخلف .

وليس من العهد المطلوب وفاؤه ، ولا من

ومتاهب الطاعة - للذين أحسنوا منهم ،
واتقوا ، أجر عظيم ، . إن الله اشترى
من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ،
يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ،
وهذا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن
ومن أوفى بعده من الله ، فاستبشروا بينكم
الذي بايعتم به - بعهدكم ، ووفائكم مع الله
بما عهد إليكم - وذلك هو الفوز العظيم . .
د لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك
تحت الشجرة - في بيعة الرضوان يوم
الحديبية سنة ست من الهجرة - فعلم
ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم
فتحا قريبا .

فذلك عهد بين الله وهباده ، والله يتعهد
لخالقه فيها بالوفاء ، جزاء على وفائهم .

وفي مجموعها يقول الله تعالى : د وأوفوا
بعهدي ، أوف بعهدكم ، وإياي ، فارهبون . .

وقد اتسع مفهوم العهد المنشود في
تشريع الله حتى جعل منه كل عهد صالح
نلتزمه فيما بيننا د وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم
ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، د وأوفوا
بالعهد ، إن العهد كان مسئولا . .

وكذلك تقرر سنة النبي صلى الله عليه وسلم
أن من علامات الإيمان في المؤمن إذا وعد
أوفى وأن من علامات النفاق في المرء أنه إذا
وعد أخلف . وأنه لا عهد لمن لا وفاء له : أى

الإسلام ... وما يُفتَى عليه

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

هناك ظاهرة تكاد تكون حقيقة واقعة ، وهي أن القضايا التي تتحرك بالدين ، وتتمسح بشريعته وأحكامه ، يدخل عليها كثير من الضعف والوهن ، على حين يقدر أولئك الذين يذهبون بها هذا المذهب ، فيلقون عليها ظلالاً من الدين ، ويضعون بين يديها دجواز مرور ، مختمون بخاتم الدين ،

موسوم بأحكامه وتعاليمه - هؤلاء يقدرون أن ذلك شفيع لا يرد عند الناس ، وأنها بهذا الشفيع ستغزو القلوب ، وتمسك الناس من مقاديرهم ! ولكن الأمر يحىء أبداً بعيداً عن هذا التقدير ، بل وآخذاً ابجهاها مضاداً له في أغلب الأحوال ... وذلك أن للنفس البشرية نفرة بطبيعتها من كل أمر يلقاها

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

له بالشدّة ، وحرماناً من قبول الرجل في عداد المسلمين ، وتسجيلاً لبشاعة موقفه وتلاعبه بما وعده ورسوله ليكون الوفاء بالعهد وبالخير دائماً نصب أعيننا وسياجاً لحياتنا ومظهراً لإنسانيتنا لجماعة المسلمين أكثر من سواهم ، فهم أولى بذلك الكمال ، كما قرر الرسول في قوله إنا قوم لا يصلح في ديننا الغدر .

له بالشدّة ، وحرماناً من قبول الرجل في عداد المسلمين ، وتسجيلاً لبشاعة موقفه وتلاعبه بما وعده ورسوله ليكون الوفاء بالعهد وبالخير دائماً نصب أعيننا وسياجاً لحياتنا ومظهراً لإنسانيتنا لجماعة المسلمين أكثر من سواهم ، فهم أولى بذلك الكمال ، كما قرر الرسول في قوله إنا قوم لا يصلح في ديننا الغدر .

والأردلون من الناس يحسبون التعااهد على شيء من هذه المنكرات يقتضيه الوفاء به في حرف الإبطال والرجولة ، والصدقة . وهذا خلط كخلط أهل الجاهلية فيما سلف وهي خصائص دينية ، يأبأها الإسلام على أهله وغير أهله ... كما يحرص على الوفاء الجدى بين أهله ، ومع غير أهله وأنت ترى في قصة حاطب التي تعلقت بها آيات الموضوع أخذاً

حقاً لو شئت لنقض عهد مع غير المسلمين وجب أن نخبرهم من قبل وألا نأخذهم على غرة ، فإن ذلك من تمام الوفاء واحترام العهد ، حتى في ساعة نقضه لسبب ما ، ولما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء - فاطرح لهم هدمهم على علم - إن الله لا يحب الخائنين .

عبد المظيف العتيبي

عقلك وقلبك .. حتى إذا طرقتك أمرضل معه عقلك ، أو حار فيه رأيك ، طلبت الرأي والنصيحة همد من تتوسم فيه الرأي والنصيحة ؟ فأى الحالين حالك ؟ وأى الواقعين واقعك ؟ وانظر أى الرجلين أنت .. وتفقد وجودك ، وتعرف على ذاتيتك فى كلا الحالين هذين . وليست بك حاجة إلى من يذك على أنك تنظر فى الرجل الأول إلى إنسان آلى ، مزروع الإرادة ، مسلوب التفكير ، ضائع الشخصية ، يعيش فى ظل غيره ، ويتحرك بإرادة سواء .. وهيات أن يكون فى الناس إنسان على تلك الصفة ، وإن يكن هناك كثير من الناس على اللون الغالب فيها .. فإن أدنى الناس شأنًا ، وأقلهم عقلًا ، له رأى ، وله إرادة ، على أية صورة من صور الرأى والإرادة .. فإن يكمنه فهو إنسان فقد وجوده ، وأهدر آدميته ، ودخل فى عداد المجانين والمعتوهين !

أما مع الرجل الآخر فإنك منه فى حضرة إنسان يحمل مسؤولية الحياة كإنسان ، ويتحمل تبعاتها كرجل .. إنسان جدير بأن يؤثر أثره فى الحياة ، وأن يكون أهلاً لإرث هذا القاب الكريم : خليفة الله ، فى هذا الكوكب الأرضى ! ثم إنه لا فرق بين أن يكون ذلك السلطان الذى يملك وجود الإنسان ، ويشل إرادته - سلطاناً مادنياً ، أو اجتماعياً ،

على غير الوجه الذى ، وترقبه منه .. فهى مثلاً .. تنفر من الهزل فى مواقف الجدى ، وتنفذ من الجدى لبقاها فى مواطن الهزل .. ! وليس كالهزل بالدين - وأمره كله جد - حين تجمرى بين يديه تفاهات الحياة كلها ، وحين يتحرك على مسرحه صغير الأمور وسفاسفها . صنيع أولئك الذين يعرضون الدين فى كل سوق ، ويبيعونه بكل عرض ، وبأى ثمن ! وحسن أن يلتفت الناس إلى الدين ، وأن تعلق أبصارهم وقلوبهم به ، وأن يعرضوا أنفسهم وأعمالهم عليه ، وأن يردوا موارد أمورهم ومصادرها عليه .. فهذا من شأنه أن يقيم فى النفوس وازعاً ، وأن يجعل للدين فيها سلطاناً ، فتمتعهم به من أن تفضل ، أو تضعف ، أو تسقط .. إذا نازعتها شهوة ، أو تسلطت عليها فتنة ! ولكن ماذا يرد إلى الدين من أمور الناس ؟ وماذا يستقى فيه الدين من مشونهم ؟

ولك أن تأخذ الجواب على هذا من نفسك حين تسألها هذا السؤال : ماذا ترد من أمورك أو تعرض من شئونك على ذوى الرأى والنصيحة من ثقاتك وخلصائك ؟

أتراك تجىء إليهم فى صغير أمرك وكبيره ؟ وأطلب الرأى عندهم فى ظاهر شئونك وخفيها ، وفى جليلها وحقيرها ؟ أم تراك تواجه الحياة برأىك ، وتصحبها بما يدلك عليه

وإذا ذكرنا أن الديانات - والديانات
الساوية خاصة - إنما جاءت لتفك الإنسان
من أسر العبودية بجميع صورها وأشكالها
عبودية - الأوهام والخرافات - عبودية الجهل
والهوى - عبودية الجبارة والطفاة من ملوك
وسلاطين - عبودية الفقر والحاجة - وذلك
لتقيم في الحياة إنسانا سوى الإنساقية - حر
الإرادة ، مستنير العقل ، سليم الوجدان ،
صحيح العقيدة ، مستقيم الطريقة - إذا ذكرنا
ذلك من أمر الدين ، ومن رسالته في الحياة ،
ومقامه في الناس - كان لنا أن نذكر كل ما يحمل
إلى الناس باسم الدين ، ليسوقهم سوق الانعام
إلى مغارات وكهوف ، وطبة مظلمة ، لا يرون
فيها إلا قطع الظلام ، تتحرك في أحشائها
المفزعات من الأشباح والحيلالات !

وإذا صح ما يقال من أن القانون للإنسان ،
وليس الإنسان للقانون . . أو كما يقول
السيد المسيح : « إنما السبب للإنسان ،
وليس الإنسان للسبب » - فإنه يصح -
بل يجب - أن يقال : إن الدين للإنسان ،
وليس الإنسان للدين . . فما الدين - في صميمه -
إلا قانون سماوى ، لا يأتىه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه . . تنزيل من حكيم حميد . .
غايتة حماية الناس من أنفسهم ، ومن عدوان
بعضهم على بعض . . فهو الرحمة الراحمة

أو سياسيا ، ما دامت آثارها واحدة ،
في ضمور الشخصية ، وفي اغتيال ذاتية الإنسان ،
وقتل المعالم الأصيلة فيه .

وليس هناك من سلطان أقوى وأقدر
من سلطان الدين في أخذ النفوس إليه
وحملها على الولاء له ، والانقياد لحكمه ،
والاستسلام لسلطانه . . ومن هنا كان الدين ،
رسالة الأنبياء ، الذين تخبرهم الله من عباده ،
واصطفاهم لأداء هذه الرسالة الكريمة الخطيرة ،
التي لو لم تمسك بها يد حكيمة موجهة بحكمة الله
وقدرته لتحول نورها الوضئ إلى نار ،
لا تبقى ، ولا تذر . . فما أكثر ما أحرقت
الديانات الساوية - بله غير الساوية - أهلها ،
بعد أن ذهب رسولها ، وقام عليها من بعده
أقوام لا تتسع نفوسهم لحقيقة الدين ،
ولا ترتفع مداركهم إلى مطالع جلاله ، وبهائمه
وحكمته ، حيث تتمثل حقائق الدين
في خواطرم ، وتنشك في حقولهم ، أمساخا
شائمة من القوى المستبددة المتألهة ، مضروبة
بالجهل والهوى ، أو مدموغة بالكيد
والتمثيل ، وبهذه الحبال المفقولة باسم الدين ،
والمضنوعة على حسابهم يمسكون بخناق الناس ،
ويفرضون عليهم باسم الدين سلطانا قاهرا
مستبدا ، يحصى عليهم أنفاسهم ، ويسلبهم
إرادتهم ، ويشل حركات حقولهم ، فلا يملكون
- مع الدين - من أمرهم قتيلا ، ولا قطميرا !

أو سهو ، أو إكراه ، وما أهدر آثارها إلا لأنها وقعت على غير إرادة الإنسان ، وإلا لأنها جاءت بعيدة عن مشيئته ، وعلى غير تقديره وتفكيره !!

وسيرة نبي الإسلام كلها قائمة على بناء المجتمع الإسلامى على هذين الأمرين : العقل والإرادة ... العقل السليم ، المصنف من شوائب الهوى والضلال ، والإرادة الحرة المنطلقة من هذا العقل السليم المدرك ... فلقد عاش الرسول الكريم حياته كلها بين أصحابه بإنسانيته كلها ، وببشريته جميعها ، يستشير ويشار عليه ، وليس ذلك إلا ليقيم في المجتمع الإسلامى هذه الحقيقة ، وهى أن يعيش الناس بعقولهم ، ويأرادتهم ، ولا يتخلوا عنهما لأحد . حتى ولا نبي . فإن المسلم لمطالب حين ينزل على أمر النبي أن يصحب معه عقله وإرادته ، ليكون لتسليمه بما سلم به - مفهوم عنده ، وأثر عامل في كيانه ، ليقوم لهذا الأمر بما ينبغي له من احتفاء ووفاء . وموقف حمير بن الخطاب رضى الله عنه في صلح الحديبية ، أشهر من أن نذكره .

نقول هذا القول في وجه تلك الوجوه التى تقف بساحة الدين ، مستجدية ، ملحة في الاستجداء ، لتحمل عليه كل أمر من أمور الحياة ولتضع د بصماته ، على كل شأن من شئون الناس ... !

التي تنزل من السماء كما ينزل الغيث على الجديب فيهتر ويربو ، وينبت من كل زوج بهيج . والإسلام - بحق - هو دين الإنسان ... الإنسان في أكمل كلالته ، وأكرم منازلته .. والإنسان عقل وإرادة . وتعاليم الإسلام كلها قائمة على العقل والإرادة معاً ... عقل الإنسان العاقل ، وإرادة الإنسان المريد ... فعلى مقاييس العقل السليم ، وعلى منطقته جاءت أحكام الإسلام ، وأحكمت تعاليمه ، وعلى الإرادة الحرة ، والاختيار المطلق قدرت أوامره ونواهيه ...

ومن أجل هذا كانت النية ، مقطع كل قول أو عمل ، يصدر من الإنسان المسلم ... وفى هذا يقول النبي الكريم : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى) .. فلا حساب في الإسلام عن قول أو عمل إلا بالنية التى تصحبه ... وليس للنية منطلق إلا من إرادة حرة مختارة ... وليست الإرادة إلا عن عقل يدرك ، ويقدر ... ولهذا يقول النبي صلوات الله وسلامه عليه : رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه ، ... وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى ، وقد دعانا - سبحانه - إلى أن ندعوه به : ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ... فما أسقط الإسلام هذه الأعمال والأقوال التى تقع عن خطأ

له من الدين بشاهد ودليل ... وإذا بالدين ينطلق من بين أيديهم في كل اتجاه ويندفع في كل سبيل ... وإذا به يلهم رواد الفضاء من روس وأمريكان ، وإذا به يتعلق بأذيال المراكب المصعدة إلى الكواكب ، يفنى سكانها فيما أحل الله وما حرم ... وكان الأرض قد ضاقت فلم تتسع لعلهم فراحوا يبدلون - بلا مقابل - لسكان السماء .

* * *

وبلية ليس يعد لها بلية أن يزج بالدين في هذه الشئون التي هي من خاصة شأن الناس ، وخاصة أمورهم ، والتي هي داخلية في اختصاص « الوظيفة » الإنسانية ، بل في صميم هذا الاختصاص ، الفنى لا يسمح الدين لنفسه أن يتدخل فيه ، أو يقتصب شيئاً منه . فلقد خلى الدين - والإسلام بصفة خاصة - بين الناس وبين الحياة ، يعالجون شئونهم بما عندهم من ذكاء واستعداد ، وليس للدين في هذا المجال الفسيح الذى يسع الحياة كلها إلا قولة واحدة : هي أن يتحرك نشاط الناس في غير بنى ولا هدوان .

وعن هذا الإيمان بحق الإنسان في الاستقلال بوجوده ، والحياة مع ذاته ، وفي الارتفاع السكامل بعقله ، وخبراته ، وتجاربه - هن هذا الإيمان كان قول الرسول الكريم لصحابته من أهل المدينة : (أنتم أعلم بشئون دنياكم) :

فلقد استهوى هذا البدع كثير من النفوس الصغيرة ، التي تحسب أنها بهذه « الوظيفة » تكون شيئاً ، وأنهم بهذا التطفل تجعل لها سلطاناً على الناس ، وتقيم لها وزناً في الحياة ، وحتى كأن الناس لا يتحركون إلا بإشارتهم ، ولا يأخذون أو يدعون إلا من أمرهم ... وهؤلاء لو علموا حقيقة وجودهم ، وواقع حالهم لراوا أنهم أهون هواناً من « تيم » .. تلك القبيلة التي رماها الشاعر بقوله :

وبقضى الأمر حين تغيب تيم
ولا يستأذنون وهم شهود
فما كانت الحياة تنتظر إشاداتهم ،
أو تسمع أقولهم !

ولا تحسبن أن هذه الظاهرة هي وليدة هذا العصر أو أنها من دعوة من الأحداث الكثيرة التي نجمت فيه ، بل هي قائمة في كل عصر وفي كل أمة ، وفي محيط كل دين ... فلكل عصر أحداثه وجديده ، ولكل عصر علماءه وأدعيائه وطفيليوه ١١ .

ولكن الذى يلفتنا من هذه الظاهرة اليوم هو أنها قد اتسعت دائراتها ، وكثر المتنافسون فيها ، والمتمنوا لكون عليها ... من كل جماعة ومن كل قبيل ١ فما يبرز في أفق الحياة شيء إلا تدأى له الأدهياء ، وإلا تلقاه مهم بالقيم وبالدين - من يحسن ومن لا يحسن ... كل يحاول أن يجره إلى الدين جراً ، وأن يجي .

ولها قسراً ، ويقحم فيها إقحاما ، دون أن يكون له في كثير منها ناقة ولا جمل - كما يقولون :
وقل أن كان الدين يدخل معركة من تلك المعارك ثم يخرج منها صليبا معافا ، بل كان دائما أبدا يخرج مشخنا بكثير من الجراح ، فلا يراه الناس - في غبار تلك الفتن ، لإلشائه الوجه ، مغبر الأديم . . إذ يرون ما بينيه الدين بأيدي رجاله المحسوبين عليه ، يهدمه الدين بأيدي رجاله والمضافين إليه أيضاً !
حيث يتجه به بعضهم يمينا ، على حين يتجه به آخرون شمالا ، وبينما يذهب به بعضهم شرقا ، يذهب به آخرون غربا ، أو شمالا ، أو جنوبا .
وبين هذه الاتجاهات المختلفة يمشي المسلم زائغ البصر ، كثير التفتت ، لا يدري أى اتجاه هو الصحيح . . القائم على سمات الشريعة ، المستقيم مع وجهة الدين !

وتعظم المصيبة ، ويتضاعف البلاء حين ينجلي غبار هذه المعركة ، بعد زمن - طويل أو قصير - ثم يتلفت الناس فلا يجدون للدين مكانا فيما نشب فيه الخلاف ، ودار حوله القتال . . إذ لم يكن للدين موقف تقضيته طبيعته ، وتستدعيه شريعته فيما اختلف فيه المختلفون ، وتقاتل عليه المتقاتلون ، وإنما هي أمور من حساب الحياة خاصة ، ومن شئون الناس خالصة لهم !

ولمن لا يعرف حقيقة الدين ، ولا يعلم

وكان صلوات الله وسلامه عليه قد أشار عليهم بتأبير النخل على صورة رآها ، فامتشلوا أمره فيه ، وكان ذلك جاريا على غير عادتهم ، وكانت نتيجة هذا أن جاء الثمردون ما اعتادوا وفرة ، وجودة

وما نحسب هذا الحدث إلا عن تدير من السماء ، ليتأكد حق الناس في ضروب من الاستقلال في التفكير والعمل ، لينخطوا حينما ويصيبوا أحيانا ، وهم في خطتهم وصوابهم يمسكون بزمام الحياة ، ماثون أيديهم منها ، ومن وجودهم فيها .

وفي كل مرة كان يدخل الدين فيها على الناس من غير باب ، وفيما ليس له كان يقع البلاء ، وتمظم الفتنة ، وتحول أحوال الناس ، وتقلب أوضاعهم ، ويضطرب تفكيرهم ، وإذا هم في وجه عاصفة هوجاء ، وعلى ظهر حيرة لا يدرون معها ما يأتون وما يذرون .

وتاريخ الإسلام يحدثنا حديثا طويلا حزينا عن تلك المعارك التي أشعل فتيلها أصحاب الأسماء والفتن ، باسم الدين ، وشبوا ضرامها تحت رايته ، فأكلت ما أكلت من قوى المسلمين ، المادية والمعنوية ، وخلفت وراءها دخانا كثيفاً ، ظل منعقداً في سماء الإسلام قرونا هداً ولا تزال بعض آثاره قائمة إلى اليوم .

وفي هذه المعارك جميعها كان يساق الدين

هذه جزئية صغيرة من جزئيات الحياة .
كان لها هذا الأثر المزلزل المدمر في الحياة
الروحية للجمع الإسلامي ، ولا زال كثير
من الناس وفي قلوبهم مرض منها إلى اليوم !
إنها - على صغرها - أشبه بالجرثومة الخبيثة
تتدس في جسم سليم فتقدمه هدما ، وتأتى
على بنيانه بين عشية وضحاها .

وهل تفعل هذه الجرثومة فعلها في هذا
السكان العظيم إلا لأنها غريبة عنه ، مناقضة
لطبيعته ؟ كذلك تلك الهنات الصغيرة من
هوارض الحياة حين تندس على الدين ،
وتتحرك في كيانه . إنها أشد فتكا به ،
وتضييعا له من تلك الجرائم الخبيثة ،
التي تقلسط على الأجسام الحية القوية ،
فتفسد نظامها ، وتبطل عملها .

وانظر قضية السفور التي اضطرب المفتون
فيها كثيرا وأمر الدين فيها لا يخرج عن الدهوة
إلى العفة ، وعدم التبذل ، والظهور في مظهر
الفطنة والإغراء . . .

وليست قضية السفور وحدها هي التي
صدعت رءوس المسلمين زمانا ، وأصابهم
منها ما أصابهم من دوار ، وذهول عن الدين
وتخوف منه ، بل إن لهذه القضية أخوات
كثيرات ، ولدت في هذا العصر ، حيث
كثرت واردات أوروبا وأمريكا من مخترعات
العلوم ، ومحدثات الفنون . . . فكان هناك

حدوده ، وهو يحسن الظن بحملة « البخور »
في محارب الدين ، وينظر إلى هذه القضية
من جميع أطرافها - له أن يدهش ويعجب
ثم لا عليه إذا هو اخفق بهذه المقولات
المتناقضة في أمر واحد ، وضاق بها صدره
ثم لا عليه إذا هو جعل يسأل نفسه أو يسأل
الناس : أى دين هذا الذى تقوم فيه
المتناقضات ، وتعيش في ظله المتضادات ؟

ما هذا ؟ وماذا يفعل المتدين في مثل هذا
الموقف إذا هو أراد أن يأخذ بأمر دينه ،
ويستقيم على شريعته . . في أهله وولده . . ؟
إنها حيرة . أو قل كانت حيرة في يومها ،
انتهت بكثير من الناس إلى أن يفضوا
البصر عن الدين في هذه القضية لا يأخذون
بجلاله أو حرامه فيها . لا استخفافا به ،
وإنما هو إسقاط لتلك الحجج المتضاربة ،
وعدم التحويل على أى منها بل لقد اندفع
بعض الناس إلى أكثر من هذا فصرفوا
النظر عن الدين في كل أمر ، وفي كل شأن ،
ولو كان من صميم الدين إذ تزعمت عقيدتهم
فيه ، وساء رأيهم في موازين أحكامه ،
حين امتحنوه في هذا الأمر لجاء إليهم
« المفتون » بهذه المتناقضات المتدافعات
من الآراء . . .

الدين من هذه الدنيا ، ويعيشون مع دنياهم
بلا دين !

وإما أن يكون الدين - كما قلنا - إشارة
مضيئة من السماء تكشف للناس معالم الطريق
وتقيمهم على الجادة ، فلا يتصادم الناس
في موكب الحياة ، ولا يتقاتلون ! وفي هذه
الحال يمكن أن يجتمع الدين والدنيا على
وفاق ، وأن تهتف الحياة بالدين حين تعمى
على الناس السبل ، فتجد في أضوائه الهدى
والنجاة !

ثم ماذا ؟

لا شيء إلا كلة التي بها في آذان أولئك
المتهاقين المتهاككين على التحكك بالدين ،
الضاربين في وجهه بكل شيء - أن دعوا الناس
والحياة ، فهم أعلم بشئونهم ، ولا تزحوا
طريقهم إلى دين الله الخالض وإلى حقائقه
المشرقة الصافية بهذا الغشاء الذي تسوقونه
إليهم باسم الدين ، وتحملونه على ظهوره ...
فهم بفطرتهم أهدى سبيلا ، وأقوم طريقا
إلى دين الله ، وإن يكن منكم في هذا المقام
خير تقدمونه لهم فهو الصمت ، والصمت
الطويل ... ورحم الله امرأ قال فغتم ،
أو سكت فسلم ؟

عبد الكريم الخطيب

في دائرة الدين أحاديث كثيرة مقشعة عن
كل جديد .. في « السينما ، و « الراديو ،
وفي التصوير والنحت والتمثيل وغيرها حتى
ما يتصل بألوان الطعام والشراب وأدواته ،
والزى وأشكاله .. ففي كل شيء من هذه
الأشياء وأمثالها كان لأصحاب « الفتيا ، وقفة
حادة صارمة ، تدفع الناس دفعا عن هذا
البداع الجديد .. ثم لا يلبث التيار الجارف
أن يكسر هذا السد الوهمي ، ويفغر السهول
والوديان ، ويجرف فيما يجرف هؤلاء
« المفتون ، بغير علم ، ويدخل عليهم ديارهم
من كل باب ونافذة !

وتصور المسألة على أن معارك قد كانت
بين الدين وبين هذه الأمور .. ثم قدر بعد
هذا ما يبق في قلوب الناس وفي مشاعرهم
من جلال الدين وهيبته ، بعد أن يشهدوا
ريائته تسقط واحدة بعد أخرى في كل معركة
ينحوضها مع الحياة !

أمران لا ثالث لهما يمكن يفسر عليهما
هذا الوضع بين الدين وبين الحياة !

إما أن يكون الدين شيء ، والحياة شيء
آخر .. كل منهما يسير في اتجاه ، لا يلتقيان
فيه أبدا .. وإذن فلا بد من أن يستمر بينهما
هذا الصراع إلى أن يقتصر أحدهما ، فيبتلع
الدين الناس ودنياهم معا ، أو أن يجلي الناس

المرونة في اللغة العربية

للأستاذ عبد الحميد حسن

باسم (رد الابنية بعضها إلى بعض) أى تغيير ضبط الكلمة كما فى عنق وشعير ووعيف بكسر الراء ، ونجد غير ذلك من مظاهر المرونة اللفظية .

ولمى جانب ذلك نجد مرونة معنوية كالتضمين والتغليب ونياحة حروف الجر بعضها عن بعض والجاز والاستعارة وغير ذلك .

وهناك ظاهرة أخرى فى اللغة نشأت عن اختلاف لهجات القبائل ، فقد تفاعلت هذه اللهجات وامتزجت ونشأت عنها مرونة لغوية تقسم بألوان من النطق وأنواع من الضبط الإعرابى وتحديد صيغ السكلمات وضبط حروفها فى الفعل الثلاثى ومضارعه ومصدره ، وفى جموع التذكير ، ويشيع فيها أن يكون للكلمة الواحدة ألوان من المعانى التى قد تتباعد إلى حد واضح . والذى ساعد على كل ذلك هو اختلاط القبائل بعضها ببعض وتجمعها فى مواسمها وأسواقها الخاصة والعامة . وقد نشأ عن هذا التجمع امتزاج اللهجات واستقرار أسسها نطقاً

سأعرض فى هذا الموضوع بإيجاز لخصائص اللغة العربية وما فيها من مرونة ومسايرة للتجديد . وأتابع فى هذا العرض مراحل اللغة العربية فى نشأتها ونموها واتساع نطاقها وتسجيل قواعدها وتدوين كتابتها .

(المرحلة الأولى) فى العصر الجاهلى :

وقد نشأت اللغة العربية ، فى هذه المرحلة ، فى كنف الفطرة وفى رحاب الصحراء الممتدة الآفاق ، وتابعت الخطا فى النمو والتهديب والاستقرار فى حرية وبعد عن القيود التى تحدد من حركة الفكر ، أو تقييد الجهاز الصوتى فى انطلاقه ، مع تجنب ما عسى أن يعترض النطق من عورة الحروف أو تراحمها بسبب تقاربها أو تباعدتها ، فقد أرسل العرب منطقهم على سجيته فتغلب على هذه الصعاب بشئى الظواهر اللغوية . ولذا نجد فى اللغة العربية الإدغام والإعلال والإمالة وامتزاج الحروف المتماثلة أو المتقاربة والنحت والتقريب بين الحركات فى مثل (الحمد لله) بضم الدال أو كسرهما ، ونجد أيضاً ذلك البحث المعروف فى علم الصرف

فقد نزل القرآن الكريم مسيراً لما شاع في هذه اللهجات من مظاهر ، وذلك تيسيراً على الناطقين حتى تجد كل قبيلة ما يطاوع لسانها . وفي الحديث الشريف (أن القرآن أنزل على سبعة أحرف) والمراد بالأحرف أوجه مختلفة من الأداء تساهل ما درج عليه العرب ، وتجتلي فيها خصائص اللغة العربية ولهجات العرب وأصاليهم في النطق وفي طرائق التعبير ، وهي التي نجدها في وجوه القراءات التي سجلتها الروايات الصحيحة المتواترة عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي مطابقة لقواعد اللغة العربية ، فإن هناك شروطاً ثلاثة يجب أن تتحقق في القراءات القرآنية وهي :

- ١ — أن توافق اللغة العربية ولو من وجه .
- ٢ — وأن توافق رسم أحد المصاحف العثمانية .
- ٣ — وأن يصح سندها .

فالقراءات إذن سجل للغة العربية الصحيحة التي يمكن أن نحتذيها . وهنا يبرز سؤال وهو : هل لنا أن نقيس على وجوه القراءات القرآنية في أي وجه من شيوعها ؟ وسنرى الرأي في هذا حيناً ننظر فيها وصل إليه علماء اللغة من أصول القياس وقواعده حيناً يسجلوا للغة وقواعدها ومفرداتها وطرائق الاشتقاق

وأصلها مأخذاً وأخفها على . الألسنة والاسماع . ونجمل من ذلك ما يشبه اللغة المشتركة التي حوت كثيراً من خصائص اللهجات مما اتخذ منه العلماء فيما بعد معايير اتسمت بالمرونة في ضبط الكلمات والعبارات ضبطاً نحوياً وصرفياً وفي تحديد معانيها لغوياً .

ونجد في إطار هذه المرونة مرونة أخرى تختلف درجاتها في الشيوع والكثرة والقلة ، ولسكنها جميعاً مما ارتضاه العرب أو فريق منهم ، أو ما ورد على لسان أحدهم . ولقد كان للعلماء الذين دونوا اللغة وقعدوا لها القواعد في هذه الناحية ، مواقف تشعبت فيها آراؤهم واختلف موازينهم وتباينت طرائقهم .

ولإن الخصائص التي نراها في هذه المرحلة هي المرونة والتنوع في الكلمات والعبارات لفظاً ومعنى ، ولسكنها تلتقي جميعاً عند غاية واحدة هي التي تتحكم في كل ذلك ، وهي المعنى والوصول إليه ، فالعربي يقصد إلى المعنى أولاً ، ولا يضيره أن يختلف النطق أو تتنوع الوسائل أو تفسح الطرائق في الضبط والتعبير .

(المرحلة الثانية) بعد الإسلام ونزول القرآن الكريم :

وفي هذه المرحلة نجد استقرار الأوضاع اللغوية وإقرار الصافي من لهجات العرب ،

بضبط كتاباته وعباراته وتفسيرها . وقد دعاهم هذا إلى أن يتبعوا كلام العرب في شعرهم ونثرهم وأن يتبينوا خصائصه وما يمكن أن تخضع له من قواعد وأصول صرفية ونحوية ولغوية .

وحين نظروا في هذا التراث اللغوي وجدوا أنه يختلف في خصائصه كثرة وقلة : فنه المطرد والغالب والكثير والقليل والآخر ، والناذر والناشأ . وقد وقفوا أمام كل هذا يقبلون وجوه الرأي ، وكانوا في ذلك طوائف ، فمنهم :

١ - البصريون الذين يقشدون في القياس ولا يجيزون قاعدة إلا إذا توافرت الشواهد التي تدعها ، وكانوا لهذا يؤولون الشواهد التي تحيد عما اطرده أو كثر ، أو يخطئون .

٢ - ومنهم الكوفيون الذين كانوا يكتفون بالشاهد الواحد فيستنبطون منه القاعدة ، ويجيزون اتباعها والقياس عليها . وكان بعض رجال هاتين الطبقتين البصرية والكوفية يؤيدون رجال الطبقة الأخرى في آرائهم في كثير من المسائل .

وقد استمرت هذه الطبقات تستكمل القواعد النحوية والصرفية واللغوية ، ويضيف اللاحق إلى ما جاء به السابق ، حتى أتمت الطبقتان مباحث علمي النحو والصرف ، وكان ذلك في نهاية القرن الثالث الهجري ، والذين

وتفرع الكلمة إلى صيغ مختلفة . وحسبنا هنا أن نقول : إن قراءات القرآن الكريم هي صورة صادقة من لهجات العرب ومن مظاهر المرونة التي نستطيع أن نتخذ منها أساساً للتيسير التطبيقي في اللغة ، وسنداً لها ننشد من سعة في الذخر اللغوي ومرونة في التعبير .

وهناك حقيقة ثابتة ولها دلالتها في استعداد اللغة العربية لسكل جديد يوافق ما وصل إليه العلماء من آراء ، وهي أن الإسلام قد امتدت رقعته ، وشملت أقطاراً واسعة ، وأن العرب بعد الإسلام قد خرجوا من جزيرتهم إلى آفاق فسيحة واختلطوا بشعوب لها طرائقها في التفكير وفي مظاهر الحياة ، ومع ذلك كله لم تقف اللغة جامدة أمام هذا الجديد ، بل سارت الحياة مسيرة طبيعية ، واتسعت للمعاني الجديدة الشرعية والفقهية وللأصطلاحات اللغوية والنحوية وغيرها ، ونظرة عابرة في اللغة بعد الإسلام توضح هذا .

* * *

(المرحلة الثالثة) وهي مرحلة التعليل والقياس والاستنباط والتسجيل :

وقد بدأت هذه المرحلة حين اهتم الباحثون بدراسة القرآن وتعرف أساليبه والعناية

المكتبات في أنحاء العالم ، ومنها ما تقبه الباحثون والعلماء في نهضتنا الحاضرة إلى قيمته ومكانة مؤلفيه فشرعوا في إعداد العدة لتحقيقه ونشره ، وسيكون لهذه المكتب شأن في التحقيق والتحصيل ، وربما كان لها أثر في التغيير والتعديل .

والذي أريد أن أبزره في ميدان البحث هو أن هذه السكينة من آراء علماء اللغة هي سند قوى لما فنشد من مرونة تساعد على التوسع والتجديد ، ولما تطلع إليه من تيسير يعين على فك الأغلال عن كثير من الكلمات والعبارات ، وعلى رد الاعتبار لطائفة من مفردات اللغة تعيش على حافة الحياة اللغوية أو بمعنى عنها وهي تلتبس القول وتترقب أن يطلق سراحها ويرخص لها بالدخول في الإطار اللغوي ، لكي تأخذ طريقها في خدمة الفسك والثقافة ، وتسكون دليلاً على مرونة لغتنا العربية التي أثبتت على توالي الأحقاب وتباين الأطقم بها ، أنها وسعت صدرها للتجديد الذي يوافق ذوقها وتعززه الأشباه والنظائر من كلام العرب ، وتسانده خصائص اللغة وآراء علمائها ولهجات قبائلها ؟

(للبحث بقية)

عبد الحميد حسن

جاءوا بعد ذلك لم يضيفوا إلى هذا التراث جديداً في أصوله الأساسية .

وفي خلال تدرج هذه الطبقات البصرية والكوفية ظهر المذهب البغدادي حين أنشئت بغداد في صدر الدولة العباسية ، وأصبحت مقراً لحلفائها ، وعكف رجال هذا المذهب على البحث في اللغة وقواعدها ، وعلى النظر في آراء البصريين والكوفيين وترجيح بعضها على الآخر ، وكانت لهم في ذلك آراء كونوا منها مذهباً أخذ مكانه بين غيره من المذاهب . وفي خلال ذلك أيضاً نشأ مذهب رابع في ذلك القطر العربي الجديد في الأندلس وإلى جانبه المغرب ، وكان لعلماء هذين القطرين كذلك آراء في اللغة وقواعدها لها وزنها والاعتداد بها .

وبهذا كان التراث اللغوي الذي خلفه علماء هذه المذاهب اللغوية تراثاً حافلاً بأنواع كثيرة من الآراء التي تنطق بالمرونة وتثبت دعائمها ، وقد سجل الباحثون فيه كل صغيرة وكبيرة ، ولم يتركوا رأياً إلا سردوه مفصلاً تفصيلاً دقيقاً وذكروا منه ما اتفق فيه العلماء وما اختلفوا فيه وما انفرد به أحدهم وما يعارض بين القول والرفض أو بين الإجازة والمنع . والمكتب التي بحثت في اللغة وقواعدها لا حصر لها ، ومنها ما أتت عليه أحداث الزمن ومسته أيدي الضياع ومنها ما لا يزال في زوايا

جماعة الإخوان الصفا

للأستاذ محمد غفراني الخراساني

أثرهم في تطوير القصة على لسان الحيوان

تمهيد :

أولاً : قبل أن نتحدث عن الدور الذي لعبه إخوان الصفا في تطوير القصة على لسان الحيوان في اللغة العربية وإخراجها من المضامين الأخلاقية والاجتماعية التي تتمثل في حكايات كتاب «كلیلة ودمنه» إلى مضامين فلسفية في كتابهم «رسالة الحيوان» ، نقف برهة للتلقي نظرة عابرة على تاريخ نشأة هذه الجماعة والأهداف التي كانت تدعو إليها من طريق نشر رسائلها في البيئة الإسلامية في القرن الرابع الهجري تلك الرسائل التي أحدثت دوياً هائلاً في توجيه التيار الفكري الإسلامي مدة هذه الحقيقة من التاريخ .

١ — أصل اسم «إخوان الصفا» وهل اقتبس من «كلیلة ودمنه» :

وقد وردت لفظة إخوان الصفا في اللغة العربية من قديم في شعرها ونثرها ، فن العصر الجاهلي ورد شعراً قول أوس بن حجر يذم طفيل بن مالك الملقب بملاحب الأسنة :

لعمرك ما آمي طفيل بنفسه

بني حامر إذ ثابت الخيل تدعى

وودع إخوان الصفا بقرزل

يمر كمرخ الوليد المفزع

ومن ذلك أيضاً قول أبي حنك البراء بن

ربعي الفقسي :

أبعد بني أمي الذين تتابعوا

أوجي الحياة أم من الموت أجزع

بثمانية كانوا ذؤابة قومهم

بهم كنت أعطى ما أشاء وأمنع

أولئك إخوان الصفا رزتهم

وما الكف الا لمصبع ثم لمصبع

وقد روى أبو حيان في كتابه «الادب

والإنشاء» في الصداقة والهدى ، البيت الأخير

وجعله ثالثاً لبيتين آخرين لم يذكرهما أبو تمام

ولم يذكر أبو حيان كذلك اسم الشاعر فقال :

وقال شاعر :

لعمرك إني بالخليل الذي له

على دلال واجب لمجتمع

في قصة الجماعة المطبوعة سبباً في تسمية جماعة
إخوان الصفا فإن إخوان الصفا جرت عادتهم
على أن يأتوا بالمثل لكل فكرة يعالجونها
ويعرضون لها بالبحث في رسائلهم ويفسر
هذا سرائرهم بقصة الجماعة المطبوعة التي
سردوها في الرسالة الثامنة من القسم الثاني
من رسائلهم ، وإن أريد هذا الفهم إذ أن
التركيب (إخوان الصفا) قديم وقد سبق
الشهراء الجاهليون ابن المقفع إلى استعمال
التركيب (إخوان الصفا) كما أسلفنا وكل
ما هنالك أن جماعة إخوان الصفا حينما نقلوا
قصة الجماعة المطبوعة في رسائلهم وتصرفوا
في مغزاها أستاذنا هذا التعبير الذي ورد
في هذه القصة فاتخذوه رمزاً للاتحاد
والتعاون والاتفاق .

تلك المفاهيم التي كانت تربط بعضهم
ببعض برابط وثيق من المحبة والإخاء
وتحوطهم بسيلاج متين من السرية والسكران
وإذا قلنا إن تركيب إخوان الصفا في قصة
الجماعة المطبوعة هو الذي أوحى لهم باختياره
اسماً لجماعتهم فعلياً إذن أن نلتزم لكل
تركيب يرادف هذا التركيب في المعنى أصلاً
اقتبس منه كلمات إخوان الصدق وإخوان
الوفاء وإخوان الحفاظ وكلها وردت في اللغة
العربية ثمرًا وشعراً غير أنهم يقل أحد بذلك
ومهما كان من أمر فإن ما ذكرته في هذا

وإن بالمولي الذي ليس نافع
ولا ضار ففقدانه لمحتسح
أولئك إخوان الصفاء رزقهم
وما الكف إلا لصبح ثم لصبح
وجاءت كلمة إخوان الصفا أيضاً في نصوص
غير جاهلية شعراً ونثراً فن الشعر ما أنشده
الزبيدي :

إلا أن إخوان الصفاء قليل
فهل لي إلى ذلك القليل سبيل
فمن الناس تعرف غشهم من سمينهم

فشكل عليه شاهد ودليل
وورد نثراً قول عبد الله بن المقفع في باب
الجماعة المطبوعة من كتاب كلياته ودمنه : قال
دبشليم الملك لبديبا الفليسوف حدثني أن
رأيت إخوان الصفا كيف يبتدئ تواصلهم
ويستمتع بعضهم بعضاً ، قال الفليسوف :
إن العاقل لا يعدل بالإخوان شيئاً فالإخوان
هم الأهل على الخمر كله والمؤاسون عند
ما يغوب من المسكروه ومن هنا اختلف
الباحثون في صلة هذه التسمية بكلياته
ودمنه ، لابن المقفع فذهب فريق ومنهم
المستشرق الانجليزى د جولد زيهر ، إلى أن
هذا الاسم قد اقتبس مما جاء في قصة
الجماعة المطبوعة .

وفريق آخر ومنهم الباحث العربي أديب
هباسي ينفي أن يكون ورود هذه الكلمة

وهو « فيلو »، وكلية « صفا »، تقابل الشطر الثاني من الكلمة وهو « سوفيا »، وعلى ذلك يكون معنى الاسم (محبو الحكمة) وهو رأى يقوم على الحسد والخيال ويقول الباحث العربى أديب عباسى معلقا على رأى المستشرق دى فور : « إن هناك رأيا آخر لإخوان الصفا أنفسهم فى أصل التسمية فقد جاء فى الجزء الرابع من رسائلهم ما يأتى :

« ولما سمينا رسالتنا هذه رسالة السحر ليستدل إخواننا على الأسرار الخفية وليكونوا إذا بلغوا معالى العلوم ذوى غنى عن الحاجة إلى من سواهم فى جميع ما يحتاجون إليه من أمر معيشة الدنيا فإذا وصلوا إلى هذه المرتبة صح لنا أن نسميهم بإخوان الصفا ». ويقول أديب عباسى « إخوان الصفا كما يعرفون أنفسهم فى رسائلهم هم جماعة حدقوا علوم الدين والدنيا معا واستغنوا بها عن الحاجة إلى من سواهم، وهذا الرأى قد يكون أقرب إلى الحقيقة وتؤيده نصوص كثيرة وردت فى رسائل إخوان الصفا فنما قولهم « ينبغى أن نبين كيف يكون تواصل إخوان الصفا وكيف تكون معاونة بعضهم بعضا فى طلب معيشة الدنيا ومنها أيضا قولهم فهكذا ينبغى أن يكون تعاون إخوان الصفا فى طلب صلاح الدين والدنيا وذلك أن معاونة الأخ ذى المال للأخ ذى العلم

المجال ما هو إلا مجرد فروض علمية على دراستى لرسائل إخوان الصفا وخلاصة ذلك كله أن التركيب (إخوان الصفا) معروف فى اللغة العربية من العصر الجاهلى ولكن اتخذ هذا التركيب اسما لجماعة معينة لها أهداف خاصة هو الجديد فى الأمر وهذا لا يبنى أنه غير مألوف فى التعبير اللغوى ولا أنه مقبوس من مصدر معين مثل كيلة ودمنه .

٢ - سر تسمية إخوان الصفا :

لفظ الصفا فى اللغة العربية يدل على التصافى والمودة والمحبة وجاء فى لسان العرب الصفو والصفاء بالمد فقيض السكندر وصفوة كل شيء خالسه من صفوة المال وصفوة الإخاء والصفوة بالكسر خيار الشيء وخلاصته وما صفا منه وعلى ضوء التخريج اللغوى يكون إخوان الصفا هم الأصداقاء الذين تجمعهم المودة والإخاء ويقول المستشرق الانجليزى « جولد زيهر » : (إن أخا الصفا حسب الاصطلاح العربى تعنى الذى صفت نفسه وخلاصت سريره كقولهم « يا أخا المروءة وهو رأى محمل وإن كان ليس قاطعا ويقول المستشرق الفرنسى « دى فوهما » لهذه التسمية صلة بكلمة « فيلسوف » التى ترد فى اصطلاح الفيلسوف غروبيين فى كلمه « أخ »، تقابل الشطر الأول من كلمة « فيلسوف »،

لفظ البناء فتوهم أنه بمعنى المسكن في حين أن ابن تيمية يقصد من قوله «قريبا من بناء القاهرة» «قرب الزمان لا قرب المسكن» إذ من المعروف أن مدينة القاهرة قد بدأ في بنائها جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي في عام ٣٥٨ هـ «فتكون جماعة إخوان الصفا قد قامت قبل ذلك أو بعد ذلك بقليل» .
٤ — زعماء إخوان الصفا .

اختلف المؤرخون في أسماء مؤسسي هذه الجماعة . وقد ذكر أبو حيان التوحيدي في كتابه «الإمتاع والمؤانسة» أسماء خمسة منهم وذلك في معرض الحديث عن سيرة زيد بن الرقاعة وهو أحد زعماء هذه الجماعة فيقول : «وقد أقام بالبصرة زمانا طويلا وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة منهم أبو سليمان محمد بن معسر البستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن هلي بن هارون الزنجاني وأبو أحمد المهرجاني والعوفي وغيرهم فصحبهم وخدمهم» .

وعلى الرغم من ذلك فإن الغموض لا يزال يستتف شخصية زعماء «إخوان الصفا» بحيث كان من الصعب الوصول إلى معرفة أسمائهم والالتقاء إلى معرفتهم .

٥ — طبقات جماعة إخوان الصفا :

تتكون جماعة إخوان الصفا من أربع طبقات وهي في ذلك ذات صبغة صوفية واضحة

بما له ومعاونة الأخ ذي العلم للأخ ذي المال بعلمه في صلاح الدين والدنيا جميعا كمثل رجلين اصطحبا في الطريق في مفارقة أحدهما بصير ضعيف البدن معه زاد ثقيل لا يطيق حمله والآخر أحمى قوى البدن وليس معه زاد فأخذ البصير بيد الأعمى يقوده خلفه وأخذ الأعمى ثقل البصير فحمله على كتفه وتواصيا بذلك الزاد وقطعا الطريق ونجحوا وخو هذا الرأي أن إصفا من صفاء السريرة ونفوذها إلى دقائق العلوم والحكم والآداب ومختلف ألوان الثقافات ونستنتج من هذه النصوص أيضا أن مذهب جماعة إخوان الصفا كما يدل عليه اسمهم بنى على المواساة والأخوة وتعاون بعضهم مع بعض في أمر المعاش والمعاد .

٣ — «نشأة إخوان الصفا»

أجمع المؤرخون على أن جماعة إخوان الصفا قد نشأت في أواخر القرن الرابع الهجري في مدينة البصرة ويقول أديب عباسي «الغريب أن ابن تيمية دون باقي المؤرخين الذين وقفنا عليهم يذكر أن رسائل إخوان الصفا صنفت قريبا من بناء القاهرة فإذا صح هذا الزعم فإنه يرجح أن يكون مركز هذه الجماعة القاهرة وتكون جماعة البصرة فرعاً منها» .

ويبدو أن الباحث العربي قد التبس عليه

الطبقة الأولى :

وهي تتألف من شبان تتراوح أعمارهم ما بين خمسة عشرة سنة وثلاثين سنة تنشأ نفوسهم على الفطرة وهم الذين يدهون في الرسائل بالإخوان الأبرار حيث منهم في مرحلة النشأة والتعليم ويجب عليهم الانقياد لأساتذتهم والانصياع لأوامرهم دون مناقشة أو جدل .

الطبقة الثانية :

وهي تتألف من رجال أعمارهم بين الثلاثين والأربعين يتلقون الحكمة ومهنتهم رعاية الإخوان ومساعدتهم وهم الذين يطبق عليهم في الرسائل بالإخوان الأخيار الفضلاء .

الطبقة الثالثة :

وهي تتألف من أفراد يتراوح سنهم بين الأربعين والخمسين ويسمح لهم بمعرفة النواميس الإلهية وشرائع العالم المقدسة معرفة تطابق درجاتهم وأنهم أصحاب الأمر والنهي وهم الذين يسمون في الرسائل بالإخوان الفضلاء الكرام وكان لهم الدور الرئيسي في تأليف الرسائل والعمل على نشرها .

الطبقة الرابعة :

وهي الذين تزيد أعمارهم على الخمسين وهي أعلى مراتب السلوك التي يمكن الوصول إليها إذ يعتقد إخوان الصفا أن الرجل إذا

نيف على الخمسين من عمره يتخرط في سلك الموجودات المجردة ، ويرتقى إلى مقام العلين وعالم الشهود فيرى حقائق الأشياء على ما هي عليه كالملائكة المقربين وفي هذا المقام يكون الإنسان في رأى جماعة إخوان الصفا قد بلغ فوق الطبيعة والشرعية والناموس .

٦ - نظام جماعة إخوان الصفا

في مجالسهم :

كان إخوان الصفا يعتقدون اجتماعاتهم سرا لا يعرف مكان انعقادها ولا زمانه إلا أعضاء الجماعة فقط ويقولون في ذلك ، ينبغى لإخواننا أيدهم الله حيث كانوا من البلاد أن يسكنوا لهم مجلس خاص يجتمعون فيه أوقات معلومة ، لا يداخلهم فيه غيرهم يتذاكرون فيه علومهم ويتحاورون فيه أسرارهم وينبغي أن تكون مذاكرتهم أكثرها في علم النفس والحس والمحسوس والعقل والمعقول والنظر والبحث في الكتب الإلهية ويستفاد من كلام إخوان الصفا أنهم كانوا لا يسمحون للغير بالدخول في محافلهم إلا بعد التأكد من أحواله وسيرته وذلك عن طريق الاختبار ويقولون في ذلك ما نصه :

د ينبغى لإخواننا أيدهم الله حيث كانوا في البلاد إذا أراد أحدهم أن يتخذ صديقا

وسموا رسائله «إخوان الصفا وخلان الوفاء» وكتبوا أسماءهم وبشواها في الوراقين وذهب قوم إلى أن إخوان الصفا ينحدرون من نسل علي بن أبي طالب عليه السلام وكانوا يدعون إلى مذهب التشيع وقال آخرون إنهم من متكلمي المعتزلة في العصر الأول إلى غير ذلك من الأقوال التي لا تزال ماثراً للبحث

والنقد لدى الباحثين ولكل دليل يؤيد وجهة نظره على ضوء ما استنبطه من آراء إخوان الصفا في رسائلهم ويقول المستشرق بارتولد في وصف هذه الجماعة : إن إخوان الصفا جماعة من المفكرين الأحرار ظهوروا في البصرة في القرن الرابع الهجري وأن اتحادهم يشبه بالجمعية الماسونية .

وقد قوبلت دعوة إخوان الصفا بهجوم عنيف من قبل مخالفيهم من المفكرين المسلمين من أمثال أبي سليمان محمد بن بهرام المنطقي الهجستاني من معاصريهم الذي يصفهم بقوله : « تعبوا وما أغنوا ونصبوا وما أجدوا وحاموا وما وردوا وغنوا وما أطربوا ونسجوا فهللوا ومشطوا ففللوا ... ومن أمثال الإمام الغزالي الذي جاء بعدهم وطعن في مذهبهم ، وغيره من الفلاسفة والعلماء ؟

محمد غفراني خراساني

المدرس بجامعة الأزهر والإسكندرية

مجدداً مستأنفاً أن يختبر أحواله ويتعرف أخباره ويجرب أخلاقه ويسأله عن مذهبه واعتقاده ليعلم هل يصلح للصدقة وصفاء المودة وحقيقة الأخوة أم لا ؛ لأن الناس أقوام طبائعهم متغايرة خارجة عن الاعتدال وعاداتهم رديئة مفسدة ومذاهبهم مختلفة حائرة .

٧ — أهداف إخوان الصفا :

اختلفت الآراء وتضاربت الأقوال حول مذهب إخوان الصفا والهدف الذي كانوا يرون إليه من دعوتهم بين قاصد ومادح وليس هنا مجال استعراض تلك الآراء ومناقشتها وإنما نشير إلى بعضها لنعطي للقارئ صورة إجمالية عن جماعة إخوان الصفا وأهدافهم والغاية التي أنشأوا جماعتهم من أجلها .

وقد كشف أبو حيان التوحيدي عن غاية إخوان الصفا بقوله : « كانت هذه العصاية قد تألفت بال عشرة وتصافت بالصدقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز بروضان الله والمصير إلى جنته . وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علمياً وعملياً وأفردوا لها فهرستا

مِنْ نَحْوِ تَجْمَعِ الْجَوَاشِدِ

مَلَكَيةُ الْأَفْرَادِ لِلْأَرْضِ وَمَنَافِعُهَا فِي الْإِسْلَامِ

لِلْمُؤَسَّسِ مُحَمَّدِ السَّائِسِ

وفي سورة الدخان في شأن فرعون وقومه:
«كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ . وَزُرُوعٍ
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِينِ .
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ .

فلما كان الفتح الإسلامي ودخل الناس في
دين الله أفواجا لأنهم وجدوا شريعة سمحة
مصدقة لما بين يديها من الشرائع السبوية
بانية لا هادمة فأقرت نظام الملكية وضمنتها
واحقرمتها بما شرع من الأحكام التي جاءت
لحفظ الأموال وحماية الملكية وأصبحت
الأرض بعد الإسلام بخصلة من خصال .

لما أرض أسلم عليها أهلها فهي مبقاة على
ملكهم الأول لا ينازعهم فيها أحد وإما
أرض فتحت صلحا فهي على ملك أهلها
وعليهم دفع ما تقضى به شروط الصلح
في رقابهم وأرضهم .

ولما أرض فتحت عنوة ومن على أهلها بها
في أرض مكة فهي باقية على ملكهم .

ولما أرض فتحت عنوة وقسمت بين
الفاحين فهي ملك لهم خاصة بهم وبذريتهم
من بعدهم كأرض خيبر .

وما لا يمتري فيه أحد أن الأرض كانت
ملكيتها موزعة بين الأفراد ، في جميع
العصور ، مع اختلاف الدول والديانات ،
يتوارثونها ويتبادلون الملك فيها ، حسبما
تقضى بذلك شرعهم وفضلمهم التي يسرون
عليها .

ففي سورة الكهف : واضرب لهم مثلا
رجلين : جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب
وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً .

وفي سورة نون : «لَا بَلْوَانَهُمَا كَمَا بَلَوْنَا
أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ» .

وفي سورة الأحزاب : «وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ» .

وفي سورة سبأ : «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ
آيَةٌ : جَنَّاتُ مِنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ» .

وفي سورة الشعراء في شأن عاد : «وَاتَّقُوا
الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ
وَجَنَّاتٍ وَعَيْونَ» .

وفي شأن ثمود : «أَتَرَكُونَ فِيهَا هَهنا
أَمْثِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعَيْونَ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ
طَلْعُهَا هَضِيمٌ» .

وعمر وعثمان على الثلث والرابع فهو يعمل به إلى يومك هذا رواه بن ماجه قال البخارى وقال قيس بن مسلم عن أبى جعفر قال ما بالمدينة أهل بيت هجرة الا يزعمون على الثلث والرابع وزارع على عليه السلام وسعد بن مالك وابن مسعود وعمر بن عبد العزيز والقاسم وعروة وآل أبى بكر وآل عمر قال وطائل عمر الناس على أنه إن جاء عمر بالبذر من هذه فله الشطر وإن جاءوا بالبذر فلم يملكوا قال الشوكاني وقد ساق البخارى في صحيحه عن السلف غير هذه الآثار ولعله أراد بذكرها الإشارة إلى أن الصحابة لم ينقل عنهم الخلاف في الجواز خصوصاً أهل المدينة ثم قال واجابوا عن الأحاديث القاضية بانتهى عن المزارعة بأنها محمولة على ما إذا اشترط صاحب الأرض ناحية منها معينة - وهو ما يدل عليه الحديث الآتى :-

ص ٢٣٣ منه عن رافع بن خديج قال : (كننا أكثر الأنصار حقلاً فكنا نكوى الأرض هل أن لنا هذه ولهم هذه فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه فنحننا من ذلك فأما الورق فلم ينهنا أخرجاه) وفى لفظ كنا أكثر أهل الأرض مزدوجاً كنا نكوى الأرض بالناحية منها تسمى اسيد الأرض قال فربما يصاب ذلك وتسلم الأرض وربما تصاب الأرض ويسلم ذلك فنحننا فأما الذهب والورق

ولما أرض فتحت عنوة ولم يقسمها الإمام بين الفاتحين بل استبقاها ملكاً للدولة أو لبيت المال كما فعل عمر بسواد العراق فى رأى أئمة من الفقهاء .

ولما أرض فتحت عنوة وتركت بأيدي أهلها ملكاً لهم كما كانت من قبل على أن يدفعوا خراجها لبيت المال كسواد العراق على رأى الحنفية .

ولما أرض بقيت بأيدي ملاكها من المشركين الذين هم فى ديارهم لم يظهر المسلمون عليهم فهى على ما تقضى به نظمهم وقوانين دولهم التى تحكمهم والمتبع للأحاديث والآثار وما دونه الفقهاء على اختلاف مذاهبهم تسعفه النصوص الكثيرة التى تشهد بأن الأرض ومنافعها مملوكة للأفراد ويخرج منها باجماع عملى وقولى لم يشذ عنه أحد على مر العصور واختلاف الأمم والديانات وسنجزئ به بعض ذلك حتى لا يطول بنا المقام ونخرج عن القصد .

الأحاديث والآثار الواردة فى هذا العدد : نسكتفى هنا بالنقل من كتاب منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار لأنه محبوب على أبواب الفقه فيسهل الرجوع إليه .

جاء فى كتاب المساقاة والمزارعة ص ٢٣١ جزء خامس من نيل الأوطار : وعن طاوس أن معاذ بن جبل أكرى الأرض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر

لم يته هنا وقال لأن يمدح أحدكم أخاه خير له من أن يأخذ عليها خراجا معلوما رواه أحمد والبخاري وابن ماجه وأبو داود وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحرم المزارعة ولكن أمر بأن يرفق بعضهم ببعض رواه الترمذي وصححه - وعن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كانت له أرض فليزرعها أو ليحرقها أخاه فان أبي فليمسك أرضه) أخرجاه وبالإجماع تجوز الإجارة ولا تجب الإعارة فعلم أنه أواد التذب .

ومن باب الإجارة ص ٢٤٨ من الجزء الخامس من نيل الأوطار :

وعن أنس لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء فكانت الأنصار أهل الأرض والعقار فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم نصف ثمار أموالهم كل عام ويكفونهم العمل والمؤونة - أخرجاه - قال البخاري وقال ابن عمر أعطى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر بالشرط فكان ذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وصدر من خلافه عمر ولم يذكر أن أبا بكر وعمر جددا الإجارة بعد ما قبض النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الشوكاني وحديث أنس فيه دليل على جواز إجارة الأرض التي هي مملوكة لأفراد

فلم يكن يومئذ . رواه البخاري . وفي لفظ قال إنما كان الناس يؤاجرون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما على المأذونات وإقبال الجدول وأشياء من الإرع فيهلك هذا ويسلم هذا ويهلك هذا ولم يكن للناس كرى إلا هذا فلذلك زجر عنه فأما شيء معلوم مضمون فلا بأس - وفي نيل الأوطار (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحاقلة والمزايعة وقال إنما يزرع ثلاثة : رجل له أرض ورجل منح أرضاً ورجل أكثرى أرضاً بذهب أو فضة) أخرجه النسائي وأبو داود بإسناد صحيح عن أبي وافع في ص ٢٢٦ منه عن سعد بن أبي وقاص بأن اصحاب المزارع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسكرون مزارعهم بما يكون على السواقي وما سدد بالماء مما حول النبت فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختصموا في بعض ذلك فنهاهم أن يسكروا بذلك وقال اكروا بالذهب والفضة رواه أحمد وأبو داود والنسائي وما ورد من النهي المطلق عن الخبارة والمزارعة يحمل على ما فيه مفسدة كما بينته هذه الأحاديث أو يحمل على اجتنابها ندبا واستحبابا فقد جاء ما يدل على ذلك فروى عمر بن دينار قال قلت لو تركت الخبارة فانهم يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها فقال أن أعلمهم يعني ابن عباس أخبرني أن النبي صلى الله عليه وسلم

أبو حنيفة لا بد من إذن الإمام وعن مالك يحتاج إلى إذن الإمام فيما قرب مما لأهل القرية إليه حاجة من مرعى ونحوه ويمثله قالت الهادية .

ومن باب الغاس شركاء في ثلاث وشرب الأرض العليا قبل السفلى إذا قل الماء أو اختلفوا فيه ص ٢٥٨ وما بعدها من نيل الأوطار . جزء خامس .

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يمنع الماء والنار والكلأ) رواه ابن ماجه وعن أبي خراش عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المسلمون شركاء في ثلاثة الماء والكلأ والنار) رواه أحمد وأبو داود ورواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وزاد فيه وثمنه حرام .

وما سقناه من الأحاديث والآثار يدل أبلغ الدلالة على أن الأرض ومنافعها مملوكة للأفراد ينتفعون بها بكل وجوه الانتفاع يزروعونها أو يزارعون أو يعيرون حتى كان لهم أن يعطلوها وإن كان ذلك مكروها لما ورد من النهي عن إضاعة المال . كان ذلك في عصر النبوة ووقع عليه لإجماع الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار في جميع العصور .

محمد الحاييس

لأنصار كما هو نص الحديث) بنصف الثمرة الخارجة منها في كل عام .

ومن كتاب إحياء الموات ص ٢٥٥ وما بعدها من نيل الأوطار جزء خامس :

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أحيا أرضاً ميتة فهي له) رواه أحمد والترمذي وصححه وفي لفظ : (أحاط حائطاً على أرض فهي له) رواه أحمد وأبو داود ولاحد مثله من رواية سمرة وعن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق) رواه أحمد وأبو داود والترمذي - قال العلماء - (والعرق الظالم من غرس ، أو زرع أو بنى أو حفر في أرض غيره بغير حق ولا شبهة) وعن أسير بن مغرس قال أنيت النبي فبايعته فقال : (من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له) قال : فخرج الناس يتعادون يتخاطلون رواه أبو داود قال الشوكاني الأرض الميتة هي التي لم تعمر شبت عمارتها بالحياة وتعطيلها بالموت والإحياء أن يعمد شخص إلى أرض لم يتقدم ملك عليها لأحد فيحياها بالسقي أو الزرع أو الغرس ، أو البناء فتصير بذلك ملكة كما يدل عليه أحاديث الباب وبه قال الجمهور وظاهر الأحاديث أنه يجوز الإحياء سواء كان بإذن الإمام أو بغير إذنه وقال

حق الفقراء في أموال الأغنياء

للاستاذ الدكتور إبراهيم اللبّان

هذا البحث تقدم به سيادته لمؤتمر المجمع في دورته الأولى، وضح فيه موقف الإسلام من مشكلة الفقر والطريق الذي سلكه في علاجها، ومدى ما كان لذلك من تأثير على تفكير الأمم الأخرى بالنسبة لعلاج هذه المشكلة في العصور التي تلت ظهور الإسلام إلى عصرنا الحاضر.

استهل بديان نشأة مشكلة الفقر كنتيجة طبيعية لوجود طبقتين في المجتمع الإنساني، إحداهما تحيا في بحبوحة النعيم، والأخرى يكاد يقضى عليها شظف العيش، الأمر الذي دفع الناس منذ أقدم العصور إلى التفكير في حل لهذه المشكلة كانت بعض صوره قاسية أما أغابها فكان يحمل طابعا إنسانيا قوامه شعور الرحمة الذي لم يخجل ذمة الغنى من التطوع لانتشال الفقير من موة البؤس والفاقة، إلى أن جاء الإسلام فطور هذا الحل بحيث جعل له من المقومات والاسس ما يكفل له النجاح في علاج هذه المشكلة.

وما ذكره في توضيح ذلك قوله: إذا كانت كلمة التطور تعني الانتقال من حال إلى حال، فلكي نتصور تطوير الإسلام لعلاج مشكلة الفقر، نبدأ من فكرة الإحسان

التي استخدمتها الأديان السماوية كملاج لهذه المشكلة عصورا طويلة قبل ظهور الإسلام فهي على سبيل المثال لم تستطع استئصال الفقر من جذوره بل لم تنهض بمجموع المعوزين إلى مستوى الحياة الإنسانية الكريمة، نظراً لأن فكرة الإحسان لم ترتفع في عصر من عصورها إلى درجة الإلزام، بل بقي الأمر فيها موكولا إلى شعور الأغنياء في أداء ما يقضى به هذا الشعور حيال الفقراء وهو شعور يعارضه الحب الطبيعي للبال والنفور من بذله، مما كان سببا في عجز الإحسان عن النهوض بحل مشكلة الفقر، فلما جاء الإسلام وفرض الزكاة، حقا ثابتا لازم الأداء من أموال الأغنياء للفقراء اعتبر ذلك تطورا في علاج مشكلة الفقر، لوحظ فيه تلافى أسباب النقص التي قعدت بالإحسان عن حلها، فقد غدت الزكاة في المجتمع الإسلامي حقا مطالبا به لأصحابه، وأصبحت الدولة مسؤولة عن تحصيله وتوزيعه، وأصبح هذا الحق محمدا معلوما. آثاره في علاج مشكلة الفقر ليست وقفا على المسلمين بل تتعدى إلى من يستظلون براية الحكم الإسلامي من غير المسلمين.

رأس المال قلة وكثرة والدولة لا تملك رفع مقاديرها حتى تظل كما كانت على كفايتها في سد حاجات الفقراء المتطورة . كأن لا بد من التفكير في مورد آخر يساند الزكاة في مهمتها الاجتماعية . وخاصة بعد تدفق الأموال على كبريات المدن الإسلامية على أثر اتساع نطاق الفتح وظهور طبقة الأغنياء أصحاب الملايين في الوقت الذي لم يخل فيه المجتمع الإسلامي من طبقة أخرى لا يغطي دخلها كل حاجاتها . وتوجهت أنظار كثير من مفكرى المسلمين إلى أموال الأغنياء للأخذ منها زيادة على الزكاة القدر الذي يساعد على دفع غائلة الجوع والحرمان من الفقراء . بل رأى فريق منهم بزعامة أبى ذر الغفارى أن يؤخذ من هذا المال الزائد عن حاجة أصحابه لكي ينفق هذا القدر في سد حاجات الفقراء والمعوزين . وصدح أبو ذر بالدعوة لهذه الفكرة في خلافة عثمان بن عفان ، وبذل كل ما يملك من جهد في سبيل نشرها ، فاعتبرت دعوته لها أول حركة اشتراكية إسلامية . ثم جاء من بعده ابن حزم ، فحدد فكرتها تحديداً واضحاً بحيث جعلها صالحة لأن تكون تشريعاً منظماً قادراً على البقاء . واعتبر ذلك منه تشريعاً لضريبة الدخل في الإسلام

ثم عرض في كلامه لشخصية ابن حزم ومنهجه في البحث المتميز عن منهج الفقهاء

ثم يبين أثر الزكاة في تطور التشريع الاشتراكي في الغرب ، فذكر أن الغربيين أدركوا عدم كفاية الإحسان في حل مشكلة الفقر وجرم التشريع الإسلامى للزكاة في مواردها ومصارفها ، فلجأوا إلى محاكاته ، بفرض ضريبة اجتماعية مقدرة على حسب المستويات تقوم الدولة على جبايتها وتوزيعها على المستحقين وتقوم هذه الضريبة على أساس الاعتراف بحق الفقراء في أموال الأغنياء ، وبمرور الزمن طورت فكرتها بظهور ضريبة الدخل بمعناها الواسع وقدرتها على مجابهة جرثومة الفقر ، فهذا التشريع الضريبي الذي ظهر في بريطانيا وتجاوز حدودها حتى وصل إلى أمريكا والذي يبدو في أساسه الاقتباس من تشريع الزكاة الإسلامى ، يمكننا القول بأن فرض الزكاة في الإسلام لم يكن تشريعاً خاصاً وإنما كان تشريعاً لتطوير الأوضاع الاجتماعية التي تتصل بالفقر في محيط الإنسانية ، ظهر في البيئة الإسلامية ثم لم يلبث أن تخطاها إلى العالم بأسره فأضاء نوره للمفكرين الطريق إلى الأوضاع الاشتراكية الحديثة ، وبذا يكون الإسلام قد أحدث ثورة اشتراكية كبرى تأسى بها كثير من أمم الأرض في علاج مشكلة الفقر .

وتسلك عن ضريبة الدخل في الإسلام . فذكر أن الزكاة لما كانت محدودة ترتبط بمقدار

ولذلك نصوص هذه الأدلة من الكتاب والسنة والآثار مع تعقيب السيد الباحث عليها ورأيه في التجديد الذي أتى به ابن حزم وأثر هذا التجديد في العصر الحاضر . ثم النتيجة التي انتهى إليها في بحثه من أن الضريبة التي تلجأ إليها الدولة لمكافحة الفقر وتوفير المال اللازم للخدمات الاجتماعية ، تعتبر ضريبة إسلامية ، مكملة للزكاة في سد حاجات الفقراء المتوقعة . وفرض هذه الضريبة وتحصيلها من صميم دعوة ابن حزم التجديدية .

المعروف :

ويمكن أن تنقسم الأدلة التي استند إليها ابن حزم إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول : الأدلة المستمدة من الكتاب والسنة .

والثاني : الآثار المروية عن كبار الصحابة والتابعين الذين يرون هذا الرأي .

الكتاب الكريم :

يقول ابن حزم مستنداً على صحته رأيه السابق الذكر : (رمان ذلك قول الله تعالى : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ») . وقال تعالى : « وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجبار ذي القربى والجبار الجنب والمساكين والجانب وابن السبيل » .

فأوجب الله حق المساكين وابن السبيل وما ملكك العيين مع ذي القربى .

الآخرين بفهمه للنصوص في حدود الطاقات الإنسانية لأنه يرى أن هذه النصوص ما جاءت إلا لتنظيم الحياة الإنسانية ، وهو حين يقرأ النص لاستخلاص حكمه تكون عينه مفتوحة على ما تعج به البيئة الإنسانية من فقر وبؤس أو غنى ويسر وغير ذلك مما له ارتباط بهذا النص . وفي ضوء هذا المنهج كانت محاولته إيجاد حل إسلامي يقضى هائياً على مشكلة الفقر . فعمد إلى تحديد مظاهر هذه المشكلة وحصرها في الجوع والعري وفقد المأوى (والسكنى) .

ثم استخلص من النصوص تشريعاً يجبي بمقتضاه من أموال الأغنياء فوق الزكاة ما يساعد على اختفاء هذه المظاهر من حياة المجتمع . وجعل تنفيذ هذا من الواجبات التي تضطلع بها الدولة بحيث يصبح من مهمتها في الإسلام :

- ١ — توفير الغذاء الكافي للفقير .
- ٢ — تحقيق المسكن الضروري له .
- ٣ — ضمان حصوله على اللباس الذي يقيه برد الشتاء وحرارة الصيف . وقد أحاط هذا التشريع بكل ما يكفل له النجاح من إلقاء تبعة تنفيذه على الدولة ومن تحديد موارده المالى وأبواب إنفاقه . ثم تقدم به في شجاعة لا تبالي بما كان متوارثاً من أنه لا يجب في مال الأغنياء حق سوى ما أوجبه الزكاة . وأيده بالأدلة التي تثبت صحته ، فهو قبل كل شيء فقيه ومحدث .

ثم يروى مرة أخرى عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) .

قال أبو سعيد الخدري فذكر من أضاف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منافي فضل .

ويعقب ابن حزم على هذا بقوله : (وهذا إجماع من الصحابة يخبر بذلك أبو سعيد) . ثم يردف مطلقاً فيقول : (وبكل ما في هذا الخبر نقول) .

ولا بد لنا هنا أن نذكر أنفسنا بحقيقة هامة لا بد منها لفهم روح ابن حزم لم يميل الجو العام الذي تولده الأحاديث والآيات القرآنية ، بل ربما كان هذا الجو العام هو المؤثر الأول في تفكيره والعالم الآسئ فيه . فالواقع أن مجموع الآيات والأحاديث إذا ضم بعضها إلى بعض تلقى في روح من يقبها أن واجب المسلم أن يساهم بكل ما يستطيع في تقديم ما لا بد منه لإفقاذ أخيه من حياة الفقر والعوز وتمكينه من الحياة الإنسانية الكريمة .

الآثار :

لهذا النوع من الأدلة قيمة خاصة بالنسبة لنظرية ابن حزم فهو يدل على أن ابن حزم

وافترض الإحسان إلى الآخرين وذى القربى والمساكين والجار وما ملكك اليمين - والإحسان يفترض كل ما ذكرناه . ومنعه إساءة بلا شك .

وقال تعالى : « ما سلكتكم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين » . فقرن تعالى طعام المسكين بوجوب الصلاة .

وينبغي أن تنبه إلى أسلوب ابن حزم في فهم الكتاب والسنة فهو لا يقبل الفهم الضيق ويصر على أن نفهم الكتاب والسنة فهما متحرراً غير مثقل بالقيود والشروط التي قد تضيق الأفق وتخفى روح الشريعة أو تحول دون تحقيق مقاصدها

وبهذه الروح يتجه ابن حزم إلى الحديث يستخلص منه الأدلة التي تظاهر دلالة الكتاب الكريم .

السنة :

يروى ابن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من لا يرحم لا يرحم) ويعقب على هذا بقوله : (ومن كان على فضلة من المال ورأى أخاه جائعاً هريان ضائعاً فلم يفقهه فراحه بلا شك) .

ويروى أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسله) ، ويقول معلقاً على هذا : (من تركه يجوع ويعرى - وهو قادر على إطعامه وكسوته - فقد أسله) .

ابن حزم يورد بعدهما رأياً مفصلاً يحدد المقدار الواجب والغاية التي يستخدم فيها وصاحب الرأي هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد روى عنه ابن حزم أنه قال : (إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يسكني الفقراء فإن جاعوا أو هسروا فبمنع الأغنياء حق علي الله أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه) .

المال المفروض إذن هو ما يكتفي الفقراء لا الزكاة وحدها والذي يكتفي الفقراء يتناول ما يسد حاجة الجوع والعري ويوفر لهم الغذاء والكساء .

هذا هو الرأي الذي يقرره ابن حزم وابن حزم في الواقع لم يقرر إلا ما قرره علي بن أبي طالب ولم يزد علي بن أبي طالب عما روى عن غيره إلا التفصيلات التي لم تظهر في كلامهم ، أما المبدأ العام فاشترك بين الجميع .

قيمة هذا التجديد :

وتظهر قيمة هذا التجديد إذا فكرنا في الهدف الذي ترمى إليه شريعة الزكاة وفي مدى ما تستطيع أن تحققه الزكاة من هذا الهدف .

ولعل من الواضح أن الزكاة شريعة اجتماعية يقصد بها القضاء على الفقر وشروعه في المجتمع الإسلامي .

لم ينفرد برأيه أن في حق الفقراء في أموال الأغنياء يتجاوز حدود الزكاة وأنه (بعد استنفاد الزكاة) يشمل كل المال الضروري لدعائية الفقر عن المسلمين بل الواقع أن ابن حزم إنما بنى على أساس وضع في عهد الصحابة والتابعين وأثره في الأمر لا يعدو التفريع والتحديد والتدعيم .

ولن نورد هذه الآثار كلها وإنما نجتزئ منها بما له أثر بين تدعيم هذه النظرية وتوضيح معالمها .

وأول ما ينبغي أن نلاحظه أن بعض هذه الآثار يقرر المبدأ في صورة مجملة فقد روى ابن حزم عن ابن عمر أنه قال : (في مالك حق سوى الزكاة) ، ثم قال (وصح عن الشعبي ومجاهد وطاوس وغيرهم كلهم يقول في المال حق سوى الزكاة) ثم أردف هذا بقوله : (ما نعلم عن أحد منهم خلاف هذا إلا عن الضحاک ابن مزاحم فإنه قال : (فسخت الزكاة كل حق في المال) .

ثم أعرب ابن حزم عن رأيه في الضحاک فقال : وما رواية الضحاک بحجة فكيف رأيه) .

ولا ينبغي أن يفوتنا أن نلاحظ أن بين هذه الأسماء صحابياً جليلاً وهو ابن عمر وبقية من التابعين .

وهذه الآراء كلها مجملة كما قلنا من قبل فهي تقرر المبدأ في صورته العامة ولكن

والنقص حتى يستطيع أن يواجه جميع الظروف ويكفل للفقراء سد حاجاتهم الضرورية ولا يعجز عن الوفاء بها إذا ما زاد عدد الفقراء في المجتمع . يجب في الواقع أن تقدر هذه الضريبة الجديدة على أساس إحصاء الفقراء وتحديد احتياجاتهم وتقدير قيمتها المالية حتى تستطيع الضريبة الجديدة منضمة إلى حصة الزكاة أن تسد حاجات جميع الفقراء في المجتمع كله .

وهذا في الواقع هو أساس هذه الفكرة التي ظهرت في عهد الصحابة والتابعين ثم تبناها بعد ذلك ابن حزم فالقعود تأسيس ضريبة مرنة تنضم إلى الزكاة وتعاون معها على تحقيق الهدف الإسلامي العظيم وهو محو الفقر من المجتمع .

مغزى هذه الفكرة في العصر الحاضر .

يجب أن نلاحظ أن ابن حزم لم يزد على أن قرر أن الحاكم بل عليه أن يضرب ضريبة أخرى غير الزكاة تتعاون وإياها على محو الفقر . ولكن ابن حزم لم يبين لنا كيف تضرب هذه الضريبة فهل تضرب على رأس المال كالزكاة أم تضرب على نحو آخر .

والذي يبدو لنا أن المهم هو ضرب الضريبة لتحقيق الهدف أما طريقة فرضها على الأغنياء فأمر ثانوي وليس ثمة ما يمنع من ضربها على الأرباح ما دامت حصيلتها كافية لتحقيق الغرض . وطبيعى أن تتدرج صاعدة مع مقدار الربح .

ولكن هل تستطيع الزكاة وحدها في كل الظروف والأحوال أن تقضى على الفقر . وهل في طبيعتها ما يكفل ذلك . وإذا كانت تعجز في بعض الظروف عن الوفاء بهذه المهمة فهل في الشريعة الإسلامية وسيلة أخرى تساعد على ذلك وتتم عمل الزكاة في هذا الميدان ؟

والحقيقة الواضحة أن الزكاة وإن كانت تهدف إلى مكافحة الفقر فإن مقاديرها لم تقم على هذا الأساس مباشرة . فالزكاة الواجبة لا تحدد على أساس حصر الفقراء وتقدير احتياجاتهم ثم تحصيل ما يسد هذه الحاجات ولكنها وضعت على أساس آخر . فهي نسبة معينة من رأس المال تزيد إذا زاد رأس المال الذي يجب عليه الزكاة وتنقص إذا نقص . دون اتجاه مباشر إلى توفير المقدار الدقيق الذي قد يحتاج إليه الفقراء ، ومن ثم كان من المتوقع أن تجد أحوال لا تفي فيها الزكاة بكل حاجات الفقراء . وإذا تذكرنا أن هدف الشريعة في هذا الميدان هو محو الفقر والعوز من المجتمع كان من الطبيعي أن تتوقع أن الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تقف فيما تفرضه للفقراء عند حد الزكاة . فمصلحة الفقر تحتاج إلى مورد آخر متمم للزكاة وهمين لها على أداء مهمتها .

وواضح أن هذا المورد الذي يخطى حدود الزكاة يجب أن يكون مرنا قابلا للزيادة

وفي هذه الحالة تتكون هذه الضريبة المتحدة
الغرض من قسمين .

القسم الأول الزكاة :

والقسم الثاني ضريبة الدخل المتحمة لها .
وغنى عن البيان أن هذا يتطلب العودة
إلى الوضع الأساسى الأصلى وهو أن تبجى
الدولة الزكاة وتقوم بتوزيعها على المستحقين .
ابن حزم والعصر الحاضر

ونحب أن نفهم كليتنا هذه بملاحظة خاصة
عن مستوى الحياة الذى اقترحه ابن حزم
فقد وضعه تحت تأثير الجو الفكرى للعصر
الذى كان يعيش فيه ، وقد تغيرت الأفكار
الآن بالنسبة لمستوى الحياة الضرورى الذى
يجب أن يبلغه كل فرد فى المجتمع فأتسع مداه
وانفصح بحاله ، وأصبح يشمل عناصر أخرى
كانت من قبل تعد من الكماليات فصارت
تحسب الآن من الضروريات ، وذلك كالتعليم
والعلاج وغيرهما فمن الخير أن ندخل كل
ذلك فى نطاق مستوى الحياة الذى تطلبه للفقير
فى العصر الحاضر ، وأن نقدر ضريبة الدخل
الإسلامية على أساس هذا المستوى الجديد ،
وبهذا نصل إلى حل إسلامى لمعضلة الفقر
أسمى مما وصل إليه التفكير للحلها فى أمريكا
وأوروبا فى الوقت الحاضر .

ابراهيم اللباني

عضو بجمع البحوث

وقد آن لنا هذا أن نكشف الستار عن
طبيعة النتيجة التى انتهى إليها البحث . وهذه
النتيجة هى أن الطريقة الحديثة التى تلجأ إلى
ضريبة الدخل لمكافحة الفقر والقيام بالخدمات
الاجتماعية المختلفة هى طريقة إسلامية . فإنها
هى الطريقة التى نادى بها ابن حزم منذ عهد
بعيد ومرة أخرى ضريبة الدخل التى تعرض
لمكافحة الفقر والقيام بالخدمات الاجتماعية هى
صميم دعوة ابن حزم ودعوته التجديدية .

تبقى بعد ذلك نقطة هامة تتصل بطريقة
تقدير هذه الضريبة ليست ضريبة مستقلة
ولكنها ضريبة تكيلية تسد النقص الذى
يتخلف عن ضريبة الزكاة ، ومن ثم كان من
الطبيعى أن ندسال كيف تقدر ؟ .
والذى يبدو أن الوضع الإسلامى
والمعقول هو :

١ — أن نبداً فنقدر تقديرًا إجماعياً عدد
الفقراء وحاجاتهم .

٢ — ثم نقدر قيمة الزكاة الواجبة على
المسلمين فى المجتمع ونوازن بينها وبين قيمة
احتياجات الطبقة الفقيرة .

٣ — تحدد ضريبة الدخل الإسلامية
على أساس الفرق بين قيمة الزكاة وقيمة
احتياجات الطبقة الفقيرة .

وربما كان من الخير أن توضع ضريبة
واحدة للقيام بحاجات الفقراء وخدماتهم .

الملكية الفردية وتحديداتها في الإسلام

للأستاذ علي الخفيف

تقرير الملكية الفردية ومحدداتها :

إن حب التملك والرغبة فيه غريزة فطر الإنسان عليها وهي في قوتها واندفاعها تفوق غيرها من الغرائز إلا غريزة حب البقاء والحياة وسر الحركة الدائبة في هذه الحياة ومصدر النشاط الذي تتمثل فيه صورة الوجود وبه قيامه وهي القوة الدافعة في كل ميدان من ميادين الفسك والعمل إلى حيث الأمل المرجو والغاية المطلوبة والإنسان مطبوع على الاستجابة لغرائزه وإشباعها بالعمل لها والحصول على ما يرغب فيه ولذلك يرى كادحا ساعيا إلى جمع المال والاستكثار منه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كان لابن آدم واديان من المال لا بقى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم ، إلا التراب) رواه مسلم ج ٣ ص ٩٩ ويقول: (يهرم ابن آدم وتشب معه اثنتان : الحرص على المال والحرص على العمر) رواه مسلم ج ٣ ص ٩٩ وإلى هذا لا يرى في كتاب الله ولا في سنة رسوله ما يدل على تقييد الملكية الفردية بمحد تنهى إليه فلا تتجاوز بل أباح

للناس أن يملكوا ما وسعهم أن يملكوا وأن يمتنعوا في تملكهم الأموال إلى حيث يشاءون ما دام ذلك في غير ما حرم الله لأن ذلك هو ما يتفق مع ميولهم التي يجب أن يحسب لها حسابها في إقامة نظام المجتمع ومع مصلحة الجماعة في إغراء أفرادها على بذل أقصى جهودهم لتحسين أحوالهم وتنمية أموالهم وفي ذلك صلاح المجتمع وثراؤه — ولذا كان لهم الخيرة في مقدار ما يملكون — ولقد كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان واسع الثراء إلى درجة تجاوزت ثراء غيرهم من الصحابة بمسافات بعيدة ومقادير كبيرة ولم تكن ثرواتهم هذه مع عظمتها مثارا لإنكار عليهم من الرسول صلى الله عليه وسلم أو من أصحابه ولا مصدرا لاتهامهم بأنهم قد خالفوا عن أمر الله تعالى ومن هؤلاء : عبد الرحمن بن عوف والزبير ابن العوام وعثمان بن عفان وغيرهم — ولقد يرى في حديث القرآن الحكيم عن المهر في قوله تعالى : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم أحدا من قنطارا

فلا تأخذوا منه شيئا تأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً، (النساء ٢٠) إشارة إلى إباحة التملك لا إلى حد لانه إذا جاز أن يكون المهر يصدق الزوج لزوجته فنتظراً فكيف يكون مقدار ثروته وقد كانت هذه الإباحة متسقة مع النظام القائم المنتشر في المجتمعات يوم ظهور الإسلام ولا تعارض والإصلاح المأمول والتطور المنتظر .

هذا والبال مفاعله التي لا تخفى في إقامة حياة الإنسان وحياة أسرته وتوثير هذه سعادتهم وإنفاقه في سبل الخير المتعددة المختلفة وله آثامه في اكتنازه مع الشح به وفي إنفاقه في مطالب الهوى والشهوات ومجالي الترف والفسوق ومظاهر العلو والتفاخر والطغيان وهو مع ذلك أداة طيعة خاضعة لمشية الإنسان إن شاء كان له نعمة وفضلاً ينال به الطيبات ويبغى به الدار الآخرة دون أن ينسى نصيبه من الدنيا وإن شاء كان نعمة يبغى بها الفساد في الأرض ويبغى فيها على قومه وعلى نفسه غير أن ميل النفوس إلى رغائبها ولذاتها أشد وتوليها إلى هذه الوجهة أقوى فكانت كثرة الأموال أقرب أن تتخذ وسيلة إلى الآثام منها إلى المنفعة والخير العام يقول الله تعالى :
« كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ،
سورة اقرأ ويقول : « اعلوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينهم

وتكثر في الأموال والأولاد ، الحديد ،
ويقول : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن الخاب ، (آل عمران) ، ويقول : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، (التغابن ١٥) ،
وتسكاد تكون غريزة حب التملك وراء كل بغي وعدوان فيما بين الأفراد والأمم فما رأينا أكثر الخصومات بين الأفراد إلا نتيجة خلاف على مال أو نزاع فيه وما كانت الحروب هذه القدم في غالب الأحوال إلا طلباً لزيادة التملك وسعة الملك والثراء .

هذا وليست الحاجات العارضة من مطالب الإنسان في نطاق ما يقيم به حياته من طعام ونحوه هي التي تغري الإنسان وحدها بطلب المال والاستكثار منه بل وراء ذلك آمال وأحلام تجيش بها الصدور وتتبعه إليها الأنظار ويدفع إليها حب التنافس والتفاخر تلك أحلام التعالي وأمانى السيادة والسلطان ومطالبها لا تنتهى وفي سبيلها تهون الصعاب ، وللحكمة الفردية سيئات عديدة تنظمها الأحوال الآتية :

الحال الأولي : أن تجمع الأموال لا لإنفاقها في سبيلها المشروعة ، بل تضن بها النفوس وبعض أربابها أيديهم أن ينفقوا منها في سبيل

الخير فلا يكون فيها مواساة فقير ولا سد حاجة محتاج ولا صلة لقريب ولا تفريج لكربة ولا مساهمة في عمل بر فيتحلوا بها على الناس أو عليهم وعلى أنفسهم وفي مثل هذه الحال يقول الله تعالى : «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» (التوبة ص ٣٥) .

وأرباب هذه الأموال هم البغيضون الممقوتون تسلبهم الناس بالسنة حداد فبذت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر . وربما أدى ذلك إلى الثورة عليهم فسلبهم الناس أموالهم وأذاقوهم حتفهم .

الحال الثانية : — أن يكون المال وسيلة إلى تلويث صاحبه وتدنيس نفسه إذا ما مدله في مله فاستكفر منه واتخذ وسيلة لنيل مآربه وملاذاته وشهواته ومظاهر ترفه ولهوهِ وشيوع مثل هذا في الأمة يمزق وحدتها ويوهن قوتها وفي ذلك يقول الله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » (الإسراء ص ١٦) .

الحالة الثالثة — أن يسمى المالك استعمال حقوقه فيما يملك فيجاوز فيها الاستعمال

المشروع تجاوزاً يضر بغيره أو يكون من نتائج استعماله ضرر ظاهر بغيره حين يكون له من ذلك منجاة وسعة إذ لم يكن استعماله لحقه بالأمر الضروري له الذي ليس له منه بد في سبيل منفعة مشروعة مطلوبة له في تركها ضرر يفوق ما يلحق بغيره من ضرر .

الحال الرابعة — أن يسوء توزيع الثروة العامة فتحثاز الأموال ويختص بوافر الثراء فئة قليلة من الأمة دون باقي فئاتها فتتنقم الأمة طبقات متباغضة متنافرة متحاسدة يسمع فيها الاضطراب والتفرق والفساد فتشتعل نيران الفتن والثورات فيها ولقد راعى الإسلام ما للملكية الفردية من هذه المساوئ والأضرار إذا لم يكن للخلق الوشيد والضمير الحاصل عليها قيام يخفف من سيئاتها وحد من غلواتها بما شرع لها من تنظيم ووضع لها من قواعد وأسباب تقوم عليها نشأتها واستقرارها واستثمارها واستعمالها وتوجيهها وجهة صالحة تنفي خبثها وتزكي آثارها وينعم الناس بشراتها — وبما قيدها به من قيود ووضع لها من أغلال تحول بينها وبين سوء استعمال وآثارها وحقوقها فنفضى إلى الحد من تضخمها وبما حملها من حقوق لتسكين النفوس الماثرة وكبت الرغبات الحاقدة وتوجيهها وجهة الخير والمصلحة الجماعية .

منفعة يستغل بها غيره ضرب الشارع على يديه وبناء على ذلك منع احتكار الطعام وما في معناه ومنع رفع أثمان الضروريات إلى حد إرهاق الناس فلا يجوز مجاوزتها حدود الاعتدال في الربح وذلك بتسعيرها بالسعر الذي لا يضر ويحقق الربح المعتدل المعروف بين الناس على ما يراه كثير من العقهاء كما منع مالك العقار أن يتصرف فيه تصرفاً يؤدي جاره ويضره ضرراً قاحشاً وأن يأبى عليه أن ينتفع بعقاره بما جرى به عرف الناس من غير ضرر به وكذلك منع مالك السلاح أن يبيعه لأهل البغي والفساد والفتنة ومنع الموصى في ماله أن يضر بوصية ورثته وهكذا وبناء على ذلك قرر المبدأ القاضي بمنع صاحب الحق من إساءة استعمال حقه .

ومن أدل الآثار على ذلك ما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره) رواه أحمد وابن ماجه وما روى من قضاء عمر للضحاك بن خليفة الأنصاري بإمداد الخنيج في أرض محمد بن مسلمة وذلك حين أراد الضحاك أن يشرع خليجاً من القريص « واد بالمدينة » إلى أرضه ليرى منه فلم يقدر إلا أن يمره في أرض محمد بن مسلمة فأبى عليه محمد ذلك فقال له الضحاك لا تمنعني وهو لك منهمة تشرب منه

في سبيل نشأتها واستقرارها واستثمارها بين أسباب اكتسابها واستثمارها واستسها على التراضي ومنها أن تقوم على باطل أو خداع أو غرر أو تدليس وأن يكون منها اعتصاب أو سلب أو أكل مال بلا عوض لاعتن طيب نفس حتى لا يكون منها ما كان عن إكراه أو استغلال لضرورة محتاج أو ضعف عقل وتميز وفي قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه » البقرة ٢٦٧ ، دلالة على وجوب تجنب الملكية كل ما فيه خبث يرجع إلى طريقة تملكه أو إلى فساد فيه إذ أن غايتها الاتفاق منها وإذا امتنعت الغاية وحرمت لم يكن للوسيلة محل ولا اعتبار .

هذا وفي تحديد وسائل اكتسابها وسلامتها على الوضع الذي شرعه الإسلام حائل دون تضخم الثروات عادة إلا ببطء فلا تقسع الفوارق فيها بين الأفراد إلا قليلاً وفي سبيل الحيلولة دون إساءة استعمالها قيدها بعدم الإضرار بالناس كافة وهدم الإضرار بالأفراد كالجار وغيره إلا إذا كان الضرر أقل مما يصيب المالك من منعه وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) رواه أحمد وابن ماجه وعلى ذلك إذا ابتغى المالك بملكيته

أولا وأخرا ولا يضرك فأصر على إباته فرفع الضحاك أمره إلى عمر رضى الله عنه فدعا محمد ابن مسلمة فسكلمه وأمره أن ينخل سبيل ابن عمه يجر الماء فأبى فقال له عمر: لم تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافع تسقى أولا وأخرا وهو لا يضرك؟ فقال محمد لا والله فقال عمر والله ليمرن ولو هلى بطنك وأمر عمر الضحاك أن يمر به ففعل (الموطأ ج ٦ ص ٤٧) والخراج ليعحي بن آدم (١١١) وبمثل ذلك قضى عمر أيضا لعبد الرحمن ابن هوف فقد روى عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه أنه كان في حائط جده ويبيع «ساقية» لعبد الرحمن بن عوف فأراد عبد الرحمن بن عوف أن يحوله إلى ناحية من الحائط هي أقرب إلى أرضه فنهض صاحب الحائط فسكلم عبد الرحمن بن عوف عمر في ذلك فقضى لعبد الرحمن بتحويله غير أنه بمنع صاحب الحائط ، للبدستان ، إذ لم يرد بمنعه إلا الضرر (الموطأ ج ٦ ص ٤٧) .

وفي سبيل الحد من ضخامتها وتسكين النفوس الحاقدة الشائرة لحرمانها والرغبات الطامعة المتطلعة إليها أوجب الصدقات والصلوات فجعل منها ما هو واجب في المال ومنها ما هو أمر مرغوب حص عليه ولم يصل به إلى مستوى الأمر الواجب المفروض - ففرض الزكاة وجعلها ركنا من أركان الدين وأوجبها في النعم السائمة وفي الذهب والفضة وفي أموال التجارة على اختلاف أنواعها عقارا كانت

أم منقولا وفي الثمار والزرع وأوجب الخمس في الغنائم والإنفاق على الأهل والولد وذوى القربى وأوجب الخراج على الأرض الخراجية وأوجب المساهمة في نفقات ما يعرض للأمة من ضرورات وما ينزل بها من نوازل وما تتطلبه من مصالح وما يجب لها من عده للدفاع أو لحفظ الأمن والنظام والمساهمة في إطفاء الجائع وإغاثة الملهوف وفك الأسير وعلاج المرضى من الفقراء المعوزين إذا لم يكن في بيت المال ما يمكن لذلك وقد أشهر إلى هذا في قوله تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة) «البقرة ١٧٧» وكذلك أوجب قرى الضيف عند الحجة على ما ذهب إليه بعض الفقهاء لأنار وردت في ذلك (المحلى ج ٩ ص ١٧٤) وإلى ذلك كله - حص على التصديق والإنفاق في سبيل الله وكانت آيات القرآن في هذه الفضيلة كثيرة العدد مختلفة الأساليب فمنها آيات آمرة مثل قوله تعالى: (أو نفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا أن الله يحب المحسنين) «البقرة ١٩٥» وآيات مرغبة مثل قوله تعالى: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) «التوبة ٣٦» ومثل قوله: (قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين)

(المسند ٤٤) إلى غير ذلك من الأساليب .
 ذلك ما يرجع إلى ما جاء به الكتاب العزيز
 أما ما جاء في السنة فهو من الكثرة بحيث
 أن نشير إلى مثل قوله صلى الله عليه وسلم
 (يقول العبد مالى مالى وإنما له من ماله ما أكل
 فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأفنى وما سوى
 ذلك فذهب وقاركة للناس) رواه مسلم .
 وعلى الجملة فتوجيه الإسلام في ذلك يرى إلى
 عدم ترغيب الناس في اكتناز المال وحبسه
 وإلى أن الحثير لم في إنفاقه في سبيل الله
 وفي ذلك ما رواه أبو ذر إذ يقول (خرج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً نحو أحد
 وأنا معه فقال : يا أبا ذر قلت : لبيك
 يا رسول الله فقال : ألا كثرون هم الأقلون
 يوم القيامة إلا من قال كذا وكذا عن يمينه
 وعن شماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال
 يا أبا ذر ، قلت : نعم يا رسول الله بأبي
 أنت وأمي ، فقال : ما يسرنى أن لي مثل أحد
 ذهباً أنفقته في سبيل الله ، أموت وأترك
 منه قيراطين قلت : أو قنطارين يا رسول الله
 قال : بل قيراطين . ثم قال : يا أبا ذر أنت
 تريد الأكل وأنا أريد الأقل) . رواه
 الشيخان : وهذا عندما يكون الانفاق حال
 الحياة . أما فيما يوصى به الإنسان بعد الوفاة
 فإن الخير له أن يبقى من أمواله لورثته ما يدفع
 عنهم أن يكونوا عالة على غيرهم . وفي ذلك
 يقول صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص

وهو مريض يريد الوصية : (الثلث والثلث
 كثير . إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير
 من أن تتركهم عالة يتكففون الناس) رواه
 الشيخان وما تقدم يرى أن الشارع حين أقر
 الملكية الفردية لم يقرها مطلقة في آثارها
 بل أقرها مقيدة بقيود عديدة أريد
 بها تخليصها من شرورها وأخطائها وتوجيهها
 الوجهة السليمة التي تعطيها معها فتكون خيراً
 محضاً لصاحبها وصالحاً لمجتمعها . وذلك
 ما يتسق مع ما قدمناه من أنها نوع من
 الخلافة يقوم فيها الفرد خليفة عن مجتمعه
 أو عن الله سبحانه وتعالى وذلك ما يستوجب
 مساءلته مساءلة الوكيل أمام موكله وإلزامه
 بالأبجدية مما قيد به وما أوجبه عليه من
 واجبات أراد بها الخير لخلق الله والصالح لم
 وذلك هدف الشريعة وغايتها كما يدل على ذلك
 مثل قوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد
 بكم العسر » (البقرة ١٧٥) وقوله تعالى :
 « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن
 يريد ليطهركم . وليتم نعمته عليكم ولعلكم
 تشكرون ، المائدة ١ وقوله تعالى قل إنما حرم
 ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم
 والبغى بغير الحق ، (الأعراف ٣٣) ولهذا
 الغرض قيدت الملكية الفردية لتخلص من
 آثارها وسيئاتها وينعم الناس بخيرها .
 (للبحث بقية)

على التحفيف

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

الاستغلال الحلال للمال

- ١٠ -

بيان ذلك في مقال سابق ، وهذا يستتبع أن تكون حرية التصرف فيه بالقدر المناسب الذي لا ينشأ عنه ضرر أو ضرار ، فقد قال صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار ، وقامت أحكام الإسلام كلها على هذه القاعدة الشرعية العامة المارعية ، ومن ثم كان حق الشفعة وحق الارتفاق ، وحق الفقراء في أموال الأغنياء ، وحق ولي الأمر في أن يفرض من الضرائب ما شاء ليحقق بها مصلحة عامة ، أو يسد بها حاجة مهمة للأمة كان ذلك كله ، وما إليه من مظاهر النسبية في الملكية الفردية ، والنسبية في حرية تصرف المالك ، ومعنى ذلك بعبارة أصرح وأوضح أن الملكية الفردية ليست مطلقة ، وأن حرية تصرف المالك فيما يملك ليست مطلقة ، وعلى هذا الأساس كان استغلال المال محدودا بالحلال ، ومعناه أن يكون بالطرق التي أحلها الله وبينها كتابه وسنة رسوله :

معنى استغلال المال استخدامه فيما يعود على صاحبه بالفضلة ، وهي المنفعة أو الثمرة أو الأجرة ، وحق المالك أن يستغل ماله وينمي به بالطرق التي يرى فيها مصلحته مادامت لا تتعارض مع المصالح العامة ، ولا تؤدي إلى ضرر يحيق بغيره ، ولا تنحرف به أو ينحرف بها إلى مآثم أو محرم ، لأن حرية تصرف المالك فيما يملك هي معنى الملكية أو النتيجة الطبيعية لمعنى الملكية ، ولكن الحرية لا يقصد بها السفه أو البله أو إطلاق العنان لنزوات الشيطان ، أو تعدى حدود التقصد إلى البغي والطمع ، ولهذا أمر الله بالحجر على السفهاء كما يفهم من قوله تعالى : « ولا توتروا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ، وذكر أن المبذرين كما يقول سبحانه » إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا .

١ - فالتجارة طريق مشروع من طرق الاستغلال الحلال كما يفهم من قول النبي

ثم إن ملكية الإنسان للمال إنما هي ملكية نسبية ناقصة لا ملكية حقيقية تامة كما سبق

كل منهما في الربح والخسارة ، النصف أو الثلث أو الربع أو أقل من ذلك أو أكثر أما الاتفاق على نصيب محدد مضمون لصاحب المال لا يزيد بزيادة الربح ولا ينقص بنقصه ولا يتحمل المال نصيبه في الخسارة إن أصيب المشروع بخسارة ، فهذا مما لا يبيحه الإسلام بل يجعل هذا النوع من الاستغلال الحرام ولا شك أن استغلال المال في هذا النوع السليم من المعاملة يفتح له مجالات واسعة ، في شركات الأسهم المتنوعة .

٣ — وإذا كان المال أرضا زراعية فلصاحبه أن يستغله بعدة طرق ، كأن يتعهدها بنفسه فيصلحها ويحلب الماء إليها ، ويتولى زرعها وسقيها ورعايتها حتى تحصد وتؤتى أكلها ، وله أن يعطيها لمن يزرعها بآلته وبذره وحيوانه على أن يكون له نسبة مما يخرج منها كالنصف أو الثلث أو الربع حسبما ينمقد عليه اتفاقهما ، وهذا النوع من الاستغلال يسمى مزارعة أو مساقاة أو مخابرة ، والأصل فيه عمل النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في الصحيحين ، فقد عامل أهل خيبر بشرط ما يخرج منها من زرع وثمر ثم عمل به الخلفاء الراشدون من بعده وعمل به أهل المدينة حتى قيل إنه لم يبق من المدينة أهل يبيع إلا حمله به ، أما إجارة الأرض بنقد معين معلوم فقد أجازها كثير

صلى الله عليه وسلم : الجانب مرزوق ، والمحتكر ملعون ، ولسكن التجارة في الإسلام مشروطة بالتراضى بين البائع والمشتري ، فإذا خرجت من ذلك إلى استغلال الحاجة واختزان السلع ليشهد الطلب عليها ويرتفع سعرها ، وتباع بثمان مرتفع ، دخلت فيما يفهم من قوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ودخل أصحابها في مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم : « والمحتكر ملعون » وقوله عليه السلام : لا يحتكر إلا خاطيء ، وقد بين صلى الله عليه وسلم حال المحتكر بقوله : (بئس العبد المحتكر إن سمع برخص ساءه وإن سمع بغلاء فرح) ومن ثم كان على الدولة أو ولي الأمر أن يتدخل لمنع الاحتكار والتلاعب بالأسعار ، تطبيقا لقاعدة لا ضرر ولا ضرار وتحقيقا لمصلحة المجموع التي تقدم على مصلحة الأفراد .

٢ — والقراض أو المضاربة من طرق الاستغلال الحلال ، وهو نوع من التعاون على أساس عادل بين العمل ورأس المال ومغناه أن يشترك صاحب المال بماله مع العامل بعمله أو بحجزه من ماله وعمله في مشروع من المشروعات الصناعية أو الزراعية أو التجارية ، فإذا ربح المشروع الذي تعاقدوا عليه اشتركا في الربح وإذا خسر اشتركا في الخسارة حسبما اتفقا عليه من نسبة

لها والخسارة عليهما ، وقد أجاز هذا النوع من الشراكة بطريق القياس على الشيء المرهون فقد روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الظاهر يركب بنفقته إذا كان مرهونا ، وابن الدار يشرب بنفقته إذا كان مرهونا ، وعلى الذي يركب ويشرب النفقة ، وقد علق الأستاذ يوسف القرضاوى على هذا الحديث في كتابه القيم « الحلال والحرام » فقال : في هذا الحديث جعل النبي صلى الله عليه وسلم النفقة على الحيوان مقابل ركوبه إذا كان ذا ظهر يركب أو مقابل لبنه إذا كان ذا در يحمل ، وإذا جاز هذا في الرهن لحاجة التعامل واستيثاق الناس بعضهم من بعض — مع أن قيمة النفقة على الحيوان قد تكون أقل أو أكثر من قيمة ما ينتفع به من ركوبها أو درها — فلا بأس أن نجيز مثل ذلك في شركة الحيوانات التي ذكرناها لحاجة الناس إليها وهذا الذي استفتجناه من هذا الحديث رأى خاص لنا ، أرجو أن يكون سداداً .

وأما الاشتراك في العجول الصغيرة التي لا ينتفع فيها بعمل ولا لبن على أساس أن يكون الثمن من جانب . والنفقة من جانب . فإن قواعد الإسلام تأبى إباحتها ذلك . لأن الطرف المنفق يغرم وحده دون مقابل يعود عليه من عمل أو لبن ، والطرف

من الفقهاء ، ومنعها آخرون ولكل وجهة لا يتسع المقال للحديث عنها وتفصيل القول فيها ، ولا شك أن أفضل الطرق التي تتبع في استغلال الأرض بصفة عامة هي منحها لمن يزرعها ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : من كانت له أرض فليزرعها أو لينحها أخاه وعن جابر رضى الله عنه قال : كننا نخبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنصيب من القصري (١) ومن كذا ، وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كانت له أرض فليزرعها أو ليحرثها أخاه وإلا فليدعها .
٤ — وإذا كان المال حيواناً . فاستغلاله بالتربية والتغذية لاقتاج اللبن أو الصوف أو التسمين أو إنسال العجول حلال مشروع ويحرم كراء الدواب في مختلف الأعمال التي يحتاج فيها إلى الدواب من حرث أرض ونقل أمتعة وإدارة آلة كاساقية ونحوها ، وقد قيل كلام كثير حول الشركة في تربية الحيوان والمواشي ، ولم يجد بعض العلماء بأساً في هذه الشركة ، إذا دفع أحد الطرفين ثمن الحيوان أو الماشية على أن يقوم الطرف الثاني بالنفقة عليها ورعايتها ويقتنع في مقابل ذلك بلبنها أو عملها في حرثه ثم يكون الربح

(١) القصري يضم القاف أو كسرهما بمدودا ما يبقى من الحب في نشره أو شبابه بعد ادرس أو الدوس .

في الاستغلال - أن يتدخل لمنعه ورده إلى حده الذي يجب أن يقف عنده ولا يتعداه وهكذا نرى استغلال المال بالطرق التي ذكرناها حلالات لا إثم فيه ، وليس معنى ذلك حصر الاستغلال في هذه الطرق ، فشراء الآلات الزراعية والصناعية والسيارات وما إليها واستخدامها فيما يحقق لأصحابها الخير والمنفعة ويجلب لهم مزيداً من الربح والعكس كل هذا حلال مشروع ما لم يخرج إلى أكل أموال الناس بالباطل واستغلال حاجتهم ، والثراء على حسابهم .

ويلاحظ مع كل هذا أن استغلال المال واستثماره في الوجوه المشروعة النافعة قد ردد الأمر به حق لا تأكله الزكاة ، ثم هو إلى ذلك سبيل إلى أداء ما فرضه الله علينا من العبادات المالية ، وما أكثرها في شريعة الإسلام وما أجدرها بأن تشرف بها القيم الفاضلة للاشتراكية العادلة ؟

عبد الرحمن فودة

الآخر هو المستفيد الغائم على حساب هذا ، وليس ذلك من العدل الذي يتحراه الإسلام في كل صور المعاملات .

ويظهر أن الأستاذ غفل عن جانب من الصورة الأخيرة كان ينبغي ألا يغفله أو يهمله ، فإن صاحب المال قد يفرم المال كله إذا نفق المعجل والمجول التي اشتراها ولا يتحمل الطرف الثاني من الغرم إلا ما أنفق أو بذل من عمل في التربيعة والتغذية ، وقد تكون خسارته في هذه الحال ضئيلة قليلة بالنسبة إلى خسارة صاحب المال ، ومع هذا فإن لا أسمح لنفسي بالحكم على هذا النوع من الشركة . وقد يكون حكم الأستاذ الفاضل أقرب إلى الورع منه إلى العدل والإنصاف ، ولعلنا نسمع كلمة مجمع البحوث في هذا الموضوع .

أما استغلال المال في بناء المساكن والانتفاع بتأجيرها فلم يقل أحد بمنعه ، ولكن لولى الأمر - متى رأى جوراً

وما المال والأهلون إلا ودائع

ولا بد يوماً أن ترد الودائع

« لبيد »

الذوق الأدبي

كما يراه ابن خلدون

لأستاذ على العماري

- ٢ -

به الملسكة من شعر على الطبقة ، وجميع متساو في الاجادة ... حق مسائل اللغة والنحو ، وأيام العرب ، وأنسابهم ، وأخبارهم العامة ، كل ذلك قصد بدراسته الاستعانة على فهم كلام العرب ، وأساليبهم ومفاحي بلاغتهم ؛ لأن الملسكة - كما يقول ويردد - لا تحصل من حفظه إلا بعد فهمه ، فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه .^(١)

والملسكة تنبع نوع المحفوظ ؛ لأن النفس وإن كانت واحدة في حيلتها - تختلف في الناس بالقوة والضعف في الإدراكات ، واختلافها إنما هو باختلاف ما يرد عليها من الإدراكات ، فالملسكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر ، وملسكة الكتابة بحفظ الأسجاع والكلام المرسل ، والملسكة العلمية تنشأ من مخاطبة العلوم والإدراكات والأبحاث ، والفقهية من مخاطبة الفقهاء ، وتنظيم المسائل ، وتخرج الفروع على الأصول ... وهكذا .

ولطرق تعليم الناشئة أثره في تربية الملسكة أو تعطيلها ، وعند ابن خلدون أن حفظ القرآن وحده لا ينشأ عنه - في الغالب - ملسكة

ويمضي ابن خلدون في حديثه عن الملسكة فيرى أن كل ملسكة تحتاج إلى أمور : ممارسة العمل ، وتكرار هذه الممارسة ، ثم طبع سليم يساعد على تكوين الملسكة .

فلا بد لتكوين ملسكة البلاغة من حفظ كثير من جيد الكلام العربي ، شمره وخطابته ، ورسائله ، وتفهم هذا الكثير ، ثم لا بد أن ينصرف المتأدب - بعد ذلك - في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم ، وتأليف كلامهم ، وما وطاه وحفظه من أساليبهم ، وترتيب ألفاظهم ، وكلما ازداد حفظه واستعماله ازدادت الملسكة رسوخاً وقوة ، هل أنه يحتاج - مع ذلك - إلى سلامة الطبع ، والتفهم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التراكيب ، ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال .

وعندما يتحدث ابن خلدون عن علم الأدب لا يرى له ثمرة إلا تربية الذوق ، ذلك الذوق الذي به يدرك إعجاز القرآن ، وفهمته عند أهل اللسان الإجابة في فني المنظوم والمنثور فهم يجمعون من كلام العرب ما عساه تحصل

وليس ذلك لانه كان يلزمهم أن يحتذوا
فصرفوا عنه ، وإنما ذلك لأن الاحتذاء
لكل أثر أدبي احتذاء تاما يجعل عمل المحتذى
ساقطا .

وابن خلدون يرى أن الذى يقتصر فى
حفظه على القرآن لا أنشأ عنده ملكة ،
وبذلك يعزل قصور أهل أفريقيا والمغرب
عن ملكة اللسان جملة باقتصارهم على دراسة
القرآن ، ويقول إن أهل أفريقية أخف فى
ذلك من أهل المغرب ، لأن هؤلاء يخلطون
فى تعليمهم القرآن بعبارات العلوم ، وأما
أهل الأندلس فقد أفادهم التفنن فى التعليم ،
وكثرة رواية الشعر والترسل ، ومدارسة
العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا
بها أعرف فى اللسان العربى ، وقصروا فى سائر
العلوم لبعدهم عن مدارسة القرآن والحديث .

وقد وقفت طويلا ضد هذه العبارات
لابن خلدون ، فقد سبق هذا الكلام بقليل
قوله : « وأما أهل الأندلس فذهبهم تعليم
القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو
الذى يراعونه فى التعليم ، إلا أنه لما كان
القرآن أصل ذلك وأساسه ، وضيع الدين
والعلوم جعلوه أصلا فى التعليم ، فلا يقتصرون
لذلك عليه ، بل يخلطون فى تعليمهم للولدان
رواية الشعر فى الغالب ، والترسل وأخذهم
بقوانين العربية ، وحفظها ، .

وعلى ذلك بأن البشر مصروفون عن الإتيان
بمثله ، فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال
على أساليبه ، والاحتذاء بها .

هذا رأيه ، وهذا تعليله . ولو أننا
تغاضينا عن رأيه فى صرف العرب عن
الإتيان بمثل القرآن لأن هذا موضوع طويل
الذيول لكان لنا أن نقول إنه ليس معنى
الملكة الاحتذاء الكامل لأسلوب من
الأساليب ، وإن أسرف ابن خلدون فى
التمسك بهذه النظرية ، وأكثر من ترديدها
حتى هدأ المتنبى وأبا العلاء خارجين عن
أصول الشعر العربى لأنهما لا يجران على
أساليب العرب فى نظمهم ، وإنما معنى الملكة
أن دراسة الكلام الجيد تمكن الكاتب
صاحب الطبع الموهوب أن ينشئ كلاما
جيدا ، ولا نلزمه أن يحتذى فى كل خصائص
الكلام ما درسه ، وتخرج عليه ، فليس يحتم
— مثلا — لمن أطال النظر فى كلام الجاحظ
أن يكون أسلوبه كأسلوب الجاحظ حذو
القذة بالقذة ، وإنما قد يساعده هذا على
تكوين ملكة ، فيكتب بأسلوب لعله ما كان
فى العربية إلى عهد الجاحظ ، كما تشاهد ذلك
فى كثير من كتابنا الذين استقرت لهم
أساليب عرفوا بها .

والذين حفظوا القرآن من شعراء العربية
وخطبائها وكتابها لم يحتذوا أسلوب القرآن ،

أو العباد الإصحاح - انى لزول طبقة هؤلاء من أولئك (١) .

وعنده أنه تنبأ الإسلاميين من حفظ الكلام الجيد بالم تنبأ للجاهليين، فالإسلاميون حفظوا من القرآن والحديث ومن كلام أهل الجاهلية في حين أن هؤلاء لم يحفظوا هذا كله ، ورتب على ذلك أن الشعراء الإسلاميين من أمثال عمر بن أبي ربيعة والحطيئة وجريير والاحوص وحسان بن ثابت وبشار أرفع طبقة في البلاغة من الشعراء الجاهليين أمثال النابغة وعنترة وزهير ؛ وكلام الإسلاميين في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة ، وأصنى رونقا ، وأرصف مبنى ، وأهدل تثقيفاً من كلام الجاهليين ، ثم يحتكم أخيراً إلى الطبع والذوق فيقول : والطبع السليم ، والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة ، ويعود فيقول : وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والبصر بالبلاغة ، ويذكر أنه حدث بذلك شيخه أبا القاسم قاضي غرناطة لهده ، وكان - كما يقول - شيخ هذه الصناعة ، استبحر في علم اللسان ، وجاء من وراء الغاية فيه ، قال : سألته يوماً ، ما بال العرب الإسلاميين أهل طبقة في البلاغة من الجاهليين ؟ ولم يكن ليستنكر ذلك بذوقه ، فسكت طويلاً ، ثم قال لى : واقع ، ما أدري ،

فرايته - فيما بدا لى - يرجع عما قاله ، ثم رجعت إلى نفسى فقلت لعله أراد - أولاً - من جعل القرآن أصلاً ، ومن تعلم القرآن من حيث هو تحفيظه للولدان دون دراسة شيء من علومه كالتفسير والبلاغة والنحو ، وهو ما أراده في عبادته الثانية ، وأيا ما كان فأهل الاندلس - في الحقيقة ، وكما يرى ابن خلدون - أهل أدب بارع ، أو مقصر ، على حسب اختلاف الدراسة والطبع .

ويظهر من كلامه أن هناك تعليمياً أولاً ، وهو تعليم العصبى ، وتعليمياً ثانياً ، وهو تعليم الولدان في عصر الشيبية ، وربما فسر لنا ذلك بعض ما يقرأى من التناقض بين بعض عباراته .

ويسلمه المنطق ، والتحديد العلى . والمخضوع إلى التعليلات النظرية البحتة إلى قضية أبدى رأيه فيها بكل صراحة ووضوح .

فقد أصل هذا الأصل ، وهو أن جودة الملسكة بجودة المحفوظ ارتفاعاً وانخفاضاً ، فهو يرى - مثلاً - أن من كان محفوظه شعر حبيب أو العتابى ومن في طبقتها ، أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هارون ومن في طبقتها تكون ملسكته أجود وأعلى مقاماً ورتبة في البلاغة بمن يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين أو ابن النبية أو ترسل البيهاتى

فالمعاني موجودة عند كل واحد ، وفي طوع
كل فكر منها ما يشاء ويرضى) وهو بالطبع
تابع في ذلك للفظيين من أمثال الجاحظ وأبي
هلال وابن رشيقي ، وقد ردد كلمة الجاحظ ،
المعاني مطروحة في الطريق ، ومرفها المعجمي
والعربي وإنما الشأن في إقامة الوزن . . إلخ .

وثاني هذه الملاحظات أن آخر عباراته
يدلنا على هذا الخلق الذي كان يسيطر على
ابن خلدون ، والذي ظهر في كثير من
كتابات عن نفسه ، وخاصة في كتابه
(التعريف) وهو خلق الإعجاب بالنفس ،
فشيخه قاضي غرناطة أثنى ثناء مستطابا على
رأيه هذا ، وكان بعد ذلك يؤثر محله ، وهو
يلقى أول درس في مصر بالمدرسة القمحجية ،
ويصف هذا الدرس ويقول في ختام وصفه :
وانفض ذلك المجلس ، وقد سبقتني العيون
بالتجلة والوقار .

وكذلك يقول حين يتولى كرمي الحديث
في مدرسة صرغتمش ، ويلقى أول درس
فيها ، ويختم حديثه قائلا : وانفض ذلك
المجلس وقد لاحظتني بالتجلة والوقار
العيون ، واستشعرت أهليتي للناصب
القلوب ، وأخلص في ذلك الخاصة
والجمهور .

وكان لهذا الخلق مظهر آخر تحدث عنه
ابن حجر فقال : كان ابن خلدون يتمسك

فقلت : أعرض عليك شيئا ظهر لي في ذلك ،
وله السبب فيه ، وذكرت له هذا الذي
كتبت ، فسكت معجبا ، ثم قال لي : يا فقيه^(١) ،
هذا كلام من حقه أن يكتب بالذهب ، وكان
من بعدها يؤثر محلي ، ويصيخ في مجالس العلم
إلى قولي ، ويشهد لي بالنباهة في العلوم .

وقبل أن تناقش هذا الرأي نجب أن
نفسر إل بعض ملاحظتنا على كلام ابن
خلدون هذا .

فأول ما نلاحظه أن مدار البلاغة عند
ابن خلدون على اللفظ ، فمقد جعل وجه
التفصيل بين الجاهليين والإسلاميين الديباجة
الحسنة ، والرواق الصافي ، ويدخل في هذا
ما يشير به إلى الصنعة من مثل المبني المرصوف ،
والمتقيد المعتدل ، وهذه الكلمة الأخيرة
واضحة الدلالة على أن ابن خلدون يؤثر الصنعة
على الطبع ، فالتعقيد والتعذيب للشعر أعدل
هذه الإسلاميين .

وهو يصرح في موضع آخر بأن فضيلة
الكلام ترجع إلى اللفظ حيث يقول في أول
الفصل السابع والأربعين : (اعلم أن صناعة
الكلام نظما ونثرا إنما هي في الألفاظ لا في
المعاني ، وإنما المعاني تتبع لها) ويقول بعد
أن يسير قليلا في هذا الفصل : (وأيضا

(١) كان لقب الفقيه عند أهل الأندلس أعلى
الألقاب العلمية .

خدش وجه ملكيته ، تلك التي استعد لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب .

ولعل ذوق شيخه أبي القاسم لا يسمو كثيراً من ذوقه .

وليس يقف المحفوظ مهما جاد وكثر أمام الطبع الصافي ، وقد انفقت كلمة النقاد على أن أحسن أشعار الأمم ما قالته أيام بدائها ، وأن السر في ذلك هو صفاء الطبع وسلامته ، وقد قالها النقاد العربي الأصيل واضحة قوية ، ذكر الأموي في كتابه (الموازنة بين الطائيين) أن (الذي يورده الأعرابي ، وهو محتذ على غير مثال أحلى في النفوس ، وأشهى إلى الاستماع ، وأحق بالزيادة ، والاستزادة مما يورده المحتذون على الأمثلة) . . وقد أخذ هذا الكلام من الجاحظ حيث يقول : ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنقى ، ولا ألد في الأسماع ، ولا أشد اتصالاً بالقول السليمة من حديث الأعراب العقلاء الفصحاء والعلماء البالغاء ^١ .

ومن عجب أن ابن رشيق - ولعل ابن خلدون نظر إليه - يفضل الصنعة على الطبع ، فيرى أن البيت المصنوع إذا كان في جودة المطبوع كان أفضل ، ويقول : واستأندفع أن البيت إذا وقع مطبوعاً في غاية الجودة ، ثم وقع في

بزيه المغربي ، ويأبى أن يرتدى زى القضاة لا لشيء سوى حبه المخالفة في كل شيء .

قلت : ولعل رأيه في الجاهليين والإسلاميين من هذا ، من حبه المخالفة في كل شيء .

ونأت هذه الملاحظات أنه فضل الإسلاميين جملة ، هؤلاء الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين ، والذين عاصروا الدولة الأموية ، وصعدوا من الدولة العباسية ، على الجاهليين جملة ، فكل واحد من أولئك يفضل كل واحد من هؤلاء . فبشار - مثلاً - أعلى طبقة في البلاغة من أي شاعر جاهلي ... وهكذا .

ورابع هذه الملاحظات أن ابن خلدون اعتمد - في حكمه - على شيئين ، طبقة الجودة في المحفوظ وكثرته ، ثم الذوق السليم .

ثم نعود بعد هذه الملاحظات إلى مناقشة رأي ابن خلدون فنرى أنه وقع في أخطاء .

أولها : اعتياده على ذوقه ، وهو ذوق أدبي متهم لأن الرجل خلط محفوظه من الشعر والنثر بكثير من قوانين العلوم ، فقد حفظ - كما حدث عن نفسه - قصيدتي الشاطبي السكري والصغرى في القراءات ، وتدارس كتابي ابن الحاجب في الفقه والأصول ، وجمل الحرنجي في المنطق ، وبعض كتاب التسهيل ، وشهد هو بأن ذلك المحفوظ من قوانين التعليم الذي امتلأت به ذاكرته قد

ابن رشيق وحلى باباً من أبواب كتابه -
كما يقول :

ولنأخذ على سبيل المثال بعض أبيات من
قصيدة الصمة بن عبد الله القشيري :

قفا ودعا نجدا ومن حلّ بالحي
وقل لنجد عندنا أن يودعا
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا
وما أحسن المصطاف والمترعا

بسكت عيني اليسرى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثى
على كبدي من خشية أن تصدعا

فأين أبيات مولى ابن رشيق الساذجة من
هذا الشعر الرائع المطبوع ، كبده بجروحة
من فراق الأحبة ، وقد تمنّتهم شوقاً إليهم
وصبوة ، عسى الله أن يحقق لها أمنيتها ،
وعينه جفاها النوم ، واعتادها البكا ، وإذا
حضر ذكر الوطن استملت ، إن كل هذه
المعاني البسيطة الساذجة لا تعدل كلمة واحدة
من شعر الصمة ، وأين استهلال العين بالبكاء
إذا ذكر القيروان بما أبدع به الصمة في البيت
الآخر ؟

أنا لا أنهم ابن رشيق بالتعصب لذلك
المولى ، ولكني أنهم ذوق ابن رشيق نفسه
في هذا الموضع على الأقل .

معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر
فيه السكفة ، ولا ظهر عليه التعمّل كان
المصنوع أفضلهما (١) .

وهو كلام غريب ، ولا يعتده - في رأيي -
إلا الأدباء الذين غلبت الناحية العلمية على
أذهانهم ، أما أصحاب الأذواق الأدبية
الخالصة فلا يؤثرون على الطبع شيئاً ، في أي
فن من الفنون المسموعة أو المنظورة .

ويؤيد اتجاه ابن رشيق هذا أنه أورد ثلاثة
أبيات لبعض الرؤساء يتشوق فيها إلى أهله ،
وقال إن أحداً لن يزيد عليها شيئاً ولو كان
أعرابياً يتشوق إلى نجد ، وكأنه شعر بأنه
منهم في حكمه ، وليكنه - أي ابن رشيق -
رأى الحق فعرفه ، وهذه هي الأبيات :

ولى كبدي مسكومة من فراقكم
أطامتها صبراً على ما أجنّت
تمنّيتكم شوقاً إليكم وصبوة
عسى الله أن يدني لها ما تمنّت
وعين جفاها النوم واعتادها البكا
إذا هن ذكر القيروان استملت

وقد أكثر شعراء العرب من الحنين إلى
نجد ، وجاءوا في ذلك بأشعار غاية في الرقة
والطبع ، ولن يسع صاحب الذوق السليم
إلا أن تطربه هذه الأبيات التي زين بها

على أن المعاني الجاهلية في دقتها ووضوحها لا تقل روعة عن المعاني اللاحقة بها ، ولأوائك فضل سبق حين يشترك المعنيان أو يتقاربان ، ولا نقول - في المحدثين - كما كان يقول أبو عمرو بن العلاء : (ما كان من حسن فقد سبقوا إليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ، ليس النمط واحدا ، ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسح ، وقطعة نطع ...) (١) .

بل نقول : إن للشعراء في كل عصر من المعاني الجديدة ما لا يخطر لمن سبقهم على بال . وقد وقف الشاعر هند معنى لأبي نواس ، وأشاد بشعر هذا الشاعر ، ووصفه بمجودة السبك ، وجودة الطبع ، والحدق في الصنعة ، وقال : إن الذي لا يخضع لعصبية يفضل أبا نواس ، فإن اعترضته العصبية لا يبصر الحق من الباطل .

والمعنى الذي وقف عنده الجاحظ هو وصف أبي نواس لكلام الصيد بأنهن (يرفعن ما لم يقع ، وهو معنى جميل - ولا شك - ولكن الذي أعجب الجاحظ - كما هو واضح من كلامه - إنما هي الناحية اللفظية ، ولا اعتراض لنا على ما قاله في أبي نواس ، ولكن ، أليس وصف امرئ القيس أفرسه بأنه (مكر ، مفر ، مقبل ،

وثاني أخطاء ابن خلدون أنه لم يعر المعنى أية حناية ، وجعل الشأن كله للفظ في حين أنه لو نظر إلى المعاني ، وفاضل بين الجاهليين والإسلاميين فيما لوجد مجال القول أمامه مقسعا ، فقد كان يمكن أن يقول - مثلا - إن الإسلاميين وجدوا من اتساع الحياة أمامهم ، ومن تغير نظام المعيشة ، ونظام الحياة السياسية والاجتماعية ما يسر لهم من المعاني ما لم يعرفه الجاهليون ، كان يمكن أن يقول شيئا مثل هذا فيجد من يصيخ إلى قوله ، ويؤمن على حكمه .

لكنه وقف عند اللفظ ، وجاء بقشبيه غير سليم حين شبه المعاني بالماء والألغاز بالأواني التي منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ، فالجودة تختلف في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء ، لأنه واحد ، وقاس على ذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال فإنها تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه ، والمعاني واحدة في نفسها .

وأنا - واقع - ما أدري ، كيف يذهب عن هذا العبقرى النابغة أن المعاني تختلف أيضا ، وأن الذي يوضع في الأواني ليس نوعا واحدا من السوائل ، وإنما يوضع فيها الماء والخمر والزيت والنفط ، وما إلى ذلك .

(١) العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٥٧ . ط الأولى .

أصدق طبعاً ، والطبع مقدم على الصنعة
في كل فن ، وأن المعانيهم وقفاً في القلب ،
ولم فضل السبق بها ، وأن من جاءوا بعدهم
ربما فضلوهم باتساع المعاني وجدتها ،
وبذلك يبدو لنا ضعف الحسب الذي ذهب
إليه ابن خلدون .

وسواء التفتنا إلى المعاني أم لم نلتفت
إليها فإن هذه المدرسة التي أنشأها الجاحظ ،
وكان من تلامذتها العسكري ، وابن رشيق ،
وابن خلدون يرون أن المولد (أرق حوكا ،
وأحسن ديباجة) .

وثالث أخطاء ابن خلدون أنه ذكر في
الشعراء الإسلاميين الذين فضّلهم على الجاهليين
سيدنا حسان بن ثابت ، والنقاد يكادون
يجمعون على أن شعر حسان نفسه كان في
الإسلام أضف منه في الجاهلية ، فكيف
يفوق حسان من سبقوه ، وهو لم يفق - وهو
مسلم - نفسه ، وهو جاهلي .

رابع هذه الأخطاء أن ابن خلدون
لم يجعل لغير المحفوظ دخلاً في المفاضلة ،
وهو تحجير واسع ، لأن لتبوغ الشاعر
وتقدمه أسباباً كثيرة غير نوع المحفوظ لعل
في مقدمتها ما منحه الشاعر من طبع ،
وما يفاض عليه من أسرار ؟

مدبر ، معاً) لا يقل روعة ودقة ، وحسن
أداء عن معنى أبي نواس ، وإن كانت كلمة
أبي نواس - عندي - أحلى .

نعم ، للحدثين معان كثيرة لا ترى لها
شبهاً في الشعر الجاهلي ، ويحضرني منها الآن
وأنا أكتب هذا البحث معنى جميل لإبراهيم
ابن العباس الصولي في وصف قصر ليلة من
من ليالي السرور :

وأيلة من الليالي الزهر
قابلت فيما بدرها بيدري
لم تك غير شفق وجفر

حق تولت وهي بكر الدهر

فقد تفنن الذين سبقوه في وصف أيام
السرور ولياليه بالقصر ، ولكن واحداً منهم
- فيما أعلم - لم يقع على هذا المعنى (لم تك
غير شفق وجفر) .

وقد يكون هذا وجهاً من وجوه تفضيلهم
على الجاهليين ، ولكن ابن خلدون وسلفه
ومشايعه لا يرون لأحد فضلاً عن طريق
المعاني ، مع أن ابن خلدون انساق مع
الطبقة حين حكم على شعر الربانيات
والنبويات بأنه قليل الجودة لأن معانيها
متداولة (١) .

والذي أريد أن أؤكد هنا أن الجاهليين

عنزوة أحد بين القرآن والشعر

لدرستاز الدكتور أحمد أحمد بدوي

- ٣ -

وخر اللواء صريماً حتى أخذته عمرة بنت
علقمة الحارثية ، فرفعت له قریش ، فالتفوا به
واجتمعوا حوله .

كان ذلك ، بدون ريب ، مجال نشر المشركين
لجاء حسان ، وحاول أن يجد منفذاً يقلل به
من شأن هذا الفخر ؛ فرة يعترف لبني
عبد الدار بالشجاعة والشهامة والصبر على
القتال حتى ماتوا ، ولسكنه يعبر قريشا
بأنها لم تستطع حماية اللواء ولا حمله بعد أن
سقط من يدي بني عبد الدار ، بل مضوا
من الميدان يفرون في خفاء ؛ وقد كان ذلك
في أول المعركة عند ما كان النصر في جانب
المسلمين ، واستمع إليه يقول متحدثاً
عن صبر بني عبد الدار ، وانهمزام بني غزوم :
ولى البأس منكم إذ حضرتم

أسرة من بني قصي صميم
تسعة تحمل اللواء ، وطارت

في رعاك من القنا مخزوم
لم يولوا حتى أبعدوا جميعاً
في مقام ؛ وكلهم مدموم

حمل بنو عبد الدار اللواء ، وقد رأينا
هند امرأة أبي سفيان تحرضهم على الثبات
في الميدان ، ورأينا أحدهم يرتجز موطناً
نفسه على صدق القتال .

وحافظ بنو عبد الدار على اللواء ، إذا
سقط في المعركة قتيل ، قام مقامه آخر يحمل
اللواء ، حتى قتل تسعة منهم ، قتل حزة
واحداً ، وقتل على آخر ، ويظهر أنهم كانوا
مثال الثبات ؛ لدرجة أن قتل على لواحد منهم
هو طلحة بن أبي طلحة دفع أحد الشعراء
إلى مدح على بقوله :

فه أي مذهب عن حرمة
أعفى ابن فاطمة المعمر الخولا
سبقت يداك له بعاجل طعنة
تركت طليحة للجبين مجدلاً
وشددت شدة بأسل ، فتركتمهم

بالجر إذ يهون أجدل أجدلاً
وكان آخر من حمل اللواء صواب ، وهو
غلام لبني عبد الدار حبشي ، أخذ اللواء ،
وقاتل به حتى قطعت يده ، ثم برك عليه ،
فأخذ اللواء بصدوره وعنه حتى قتل عليه ،

وكان قتل أصحاب اللواء بحال نخر السكع
ابن مالك ؛ لأن حملة اللواء يكونون سادة
الناس وأشراقهم ، إذ يقول :
أبلغ قريشاً ، وخير القول أصدقه
والصدق عند ذوى الألباب مقبول

أن قد قتلنا بقتلنا صراتكم
أهل اللواء ، ففينا يكدر القيل
أما نخر المشركين بمن قتلوا من المسلمين
يوم أحد فقد قابله شعراء المسلمين ؛ بنخر مثله
بمن أصابوا من المشركين يوم بدر ، فالحرب
دول ، ويوم بيوم ، وإذا كانوا قد أصابوا
يوم أحد من المسلمين ، فقد أصاب المسلمون
منهم كذلك في تلك المعركة ؛ فتسمع حسان
يرد على نخر ابن الزبيرى ، ويقول له :
إن هذا الفخر مصدره ما ذهب بلبه من وقعة
بدر التى تفضل هذه المعركة ، وتدل على بسالة
المسلمين وشجاعتهم ، ولقد كان النصر لنا
في أول المعركة ، حيث فررتهم أمام قوة بأسنا
قال حسان :

ذهبت بابن الزبيرى وقعة
كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتهم ، ونظنا منكم
وكذلك الحرب أحيانا دول
نضع الأسياف في أكتافكم
حيث نهوى عللا بعد نهل
إذ تولون على أهقابكم
هربا في الشعب أشباه الرسل

بدم عاتك ، وكان حفاظاً
أن يقيموا ، إن الكريم كريم
وأقاموا حتى أزيروا شعوباً
والقنا في نحورهم محطوم
وقريش تلوذ منا لوأذاً
لم يقيموا ، وخف منها الحلوم
لم تطلق حملة العواتق منهم
إنما يحمل اللواء النجوم
وهكذا وجد حسان في ترك اللواء ملقى
لم يحمله رجل من قريش بعد أن سقط من يدي
بنى عبد الدار بجالا للغض من قريش ، كما وجد
في حربهم في أول المعركة بجالا للحط من شأنهم
ولضعاف ما افتخروا به من الثبات
حول اللواء .

وحينا يجد حسان في حمل « صواب » اللواء
بجالا للذم لا للفخر ، إذ يقول :
نخرتم باللواء ، وشر نخر
لواء حين رد إلى صواب
جعلتم نخركم فيه لعبد
من الأم من يطا هفر التراب
أقر العين أن عصبت يدها
وما إن تعصبان على خضاب
أما الحارثية التى رفعت اللواء بعد
« صواب » ففضلها عليهم لا ينكر ، فلولاها
لأصبحوا أرقاء يباعون عبيداً في الأسواق .
فلولا لواء الحارثية أصبحوا
يباعون في الأسواق يبيع الجلائب

قريش يفتخرون على حزة فها هو ذا كعب يعدد
 بعض من أصابوه يوم بدر ، كما فعل حسان
 أيضا ، وهو يرد على أبي سفيان ، ويقول :
 ذكرت القروم الصيد من آل هاشم
 ولست لزور قلته بمصيب
 أتعجب أن أقصدت حزة منهم
 نجيبا ، وقد سميته بنجيب
 ألم يقتلوا همرا ، وعتبة وابنه
 وشيبة ، والحجاج ، وابن حبيب
 غداة دعا العاصي عليا ، فراه
 بضربة هضب بله بخضيب
 ويفخر كعب بن مالك بأنهم قد انتصروا
 بالملائكة في يوم بدر :

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد
 فيه مع النصر ميكال وجبريل
 ويذكر حسان أنهم في معركة أحد أيضا
 قد قتلوا بعض صناديد الشرك ، كما قتل بعض
 صناديد المسلمين ، إذ يصف جند الرسول
 قائلا :

بأيديهم بيض إذا حشش الوغى
 فلا بد أن يردى لمن صريع
 كما غادرت في النقع عتبة ثاويا
 وسعداً صريعا ، والوشيج شروع
 وقد غادرت تحت العجاجة مسندا
 أيما وقد بل القميص نجيع
 بكف رسول الله حيث تنصبت
 على القوم بما قد يثرون تقوع

إذ شددنا شدة صادقة
 فأجأناكم إلى صفح الجبل
 رجال لستم أمثالهم
 أيدوا جبريل نصراً فنزل
 وعلونا يوم بدر بالتقى
 طاعة الله ، وتصديق الرسل
 وقتلنا كل رأس منهم
 وقتلنا كل حجاج رفل
 وتركنا في قريش هورة
 يوم بدر ، وأحاديث المثل
 ويتحدث عبد الله بن رواحة عن بدر ،
 وعن سقط صريعا من رؤساء المشركين
 فيقول :

وقبل اليوم ما عرفوا ، وذاقوا
 وقائعنا بها يثني الغليل
 نسيتم ضربنا بقليب بدر
 غداة أتاكم الموت العجيل
 غداة ثوى أبو جهل صريعا
 عليه الطير جاثمة تبحول
 وعتبة وابنه خيراً جميعاً
 وشيبة عنه السيف الصقيل
 ومركنا أمية مجلعبا
 وفي حيزومه لدن نبيل
 وهام بنى ربيعة سائلوها
 فني أسياننا منها فلول
 فاذا كان أبو سفيان وغيره من شعراء

رمام بها المشركون ، فهذا ضرار بن الخطاب
يتحدث عن مصرع حمزة ، وأنه كان عند ما
سقط في الميدان كأنه :

حوار ناب ، وقد ولى صحابته

كما تولى النعمان الهارب الشرذ
وحسان يرد على ذلك بأن الحق سوف
يتضح ، فتتهار أمامه هذه الدهوى الكاذبة ؟
لأن الأوس والخزرج ثقبوا في الميدان ،
ودافعوا دفاعا مجيدا ، وما كان منهم جبان
ولا هيباب ، وذلك إذ يقول :

وقل : إن يكن يوم بأحد بعده

سفيه فإن الحق سوف يفيح
فقد صارت فيه بنو الأوس كلهم
وكان لهم ذكر هناك وبيع

وحامى بنو النجار فيه ، وصابروا

وما كان منهم في اللقاء جزوع
ولذلك أكثر شعراء المسلمين من وصف
شجاعتهم التي ورثوها عن آبائهم ، وسيورثونها
أبنائهم من بعدهم ، يقول كعب بن مالك :

فإن كنت عن شأنا جاهلا

فسل عنه ذا العلم بمن يلينا
بنا ، كيف نفعل إن قلصت

عوانا ، ضروسا ، عضوضا ، حجونا
ألسنا نشد عليها العصا
ب ، حتى تدر ، وحتى تلينا

أولئك قوم سادة من فروعكم
وفي كل قوم سادة وفروع
فكأنه يقول لهم : إن أصبتم منا في معركة
أحد فقد أصبنا منكم فيها .

وافتنخر شعراء الإسلام بالصبر في الحرب
وبأنهم يتحملون تناهجا في شجاعة وثبات ،
فلا يستطيع شئ أن يفت في عضدهم ، يقول
كعب بن مالك جيباً هبيرة بن أبي وهب :

ونحن أناس لا نرى القتل سبة
على كل من يحمى الغمار ويمنع

جلاد على ريب الحوادث لا نرى
على هالك عينا لنا الدهر تدمع
بنو الحرب ، لا نعيأ بشئ نقوله

ولا نحن مما جرت الحرب نخرج
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش

ولا نحن من أظفارها نتوجع
والشاعر بذلك يؤكد الأعداء أنهم
يستقبلون الهزيمة من غير أن ينهار لهم هزم ،
أو تتضعض لهم إرادة ، بل لأنهم يستعدون
لجولة جديدة ، مطمئنين إلى النصر فيما ،
يقول عبد الله بن رواحة :

ألا من مبلغ عنا لؤيا
فبعد اليوم دائلة تدول

وقبل اليوم ما هرفوا وذاقوا
وقائنا بها يشفى الغليل
وعنى شعراء المسلمين برد تهمة الحرب التي

وقتلناكم في النار أفضل رزقهم
 حيم معاً في جوفها وضريع
 ويقول كعب بن مالك :
 وأشياح أحمد إذ شابهوا
 على الحق ذى النور والمنهج
 فما برحوا يضربون الحكمة
 ويمضون في التسطل المرهج
 كذلك حتى دعاهم مليك
 إلى جنة دوحة الموج
 أولئك ، لا من ثوى منكم
 من النار في الدرك المرتج
 بل ظهر أثر العقيدة الجديدة في الترحيب
 بالموت في سبيل الله ، يقول :
 إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا
 والقتل في الحق عند الله تفضيل
 ويقول أيضاً مخاطباً المشركين :
 نخرتم بقتلى أصابتهم
 فواضل من نعم المفضل
 خلوا جنائنا ، وأبقوا لكم
 أسوداً تحامى عن الأشبل
 فهو يرى القتل فضلاً يمنحه الله من يستشهد
 في سبيل دينه ، وذلك أثر العقيدة الجديدة
 التي جاء بها القرآن الكريم ؟
 للبحث بقية ،

دكتور أحمد أحمد بدوي

ويوم له رهج دائم
 شديد التهاول حامى الأرينا
 تحال الحكمة بأهراضه
 ثملاً على لذة منزفينا
 تعاور أيمانهم بينهم
 كشوس المنايا بحمد الظبينا
 شهدنا ، فكنا أولى بأسه
 وتحت الحماية والمعلمينا
 وعلنا الضرب آباؤنا
 وسوف نعلم أيضاً بنينا
 حديث شعراء المسلمين عن الشجاعة
 يدفعون به تهمة الفرار من ميدان القتال .
 وظهر الفخر بالعقيدة الجديدة عند شعراء
 المسلمين ؛ فرأينا حسان بن ثابت يعترف
 بنصرة رسول الله ، ويعير قريشاً بكفرهم ،
 ويعلن أن الكافر والمسلم ليسا سواء ،
 فيتحدث عن الأوس والخزرج ، وأنهم .
 أمام رسول الله ، لا يخذلونه
 لهم ناصر من ربهم وشفيع
 وفوا إذ كفرتم يا سخي بربكم
 ولا يستوى هبد وفي ومضيع
 كما يذكر لهم أن قتلى المسلمين في الجنة ،
 وقتلهم في النار :
 فلا تذكروا قتلى ، وحمزة فيهم
 قتيل ثوى لله ، وهو مطيع
 فإن جنان الخلد منزلة له
 وأمر الذي يقضى الأمور سريع

رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة

للأستاذ أحمد الشرباصي

(تكملة البحث)

بين المسجد والمدرسة :

تنقل التعليم في المجتمع الإسلامي في أماكن متعددة ، فهناك المكتاب ، أو المكتب ، الذي بدأ منذ عهد بعيد لتعليم القراءة والكتابة ، وتحفيظ القرآن الكريم ، وهناك قصور الخلفاء والأمراء ومنازل العلماء ، وهناك حوانيت الوراقين ، وهناك المساجد والجوامع والزوايا والخلاوي ، ثم كانت هناك المدرسة .

وقد بدأ التعليم في المسجد ، ثم انتقل إلى المدرسة ، وذلك لمنع الضجيج الذي يحدث في أثناء التدريس ، وللحفاظ على وقار المسجد وإبعاده عن حدة المحاورة والمناقشة ولكي يحسن المعلمون في المدارس وظائف يحترفونها ويرتقون منها ؛ لأن التعليم في المساجد يقوم على التطوع والاحتراب ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يهتم حين يعلم ويشقف الناس في المساجد ، والصحابة اقتدوا به في ذلك ، وكذلك التابعون وكان الصحابة يرون أن أخذ الأجر على تعليم القرآن أمر مكروه .

ومع أن تعليم الجموع والكبيرة من الصبية أو الفتية قد انتقل من المسجد إلى المدرسة ، فقد ظل الارتباط بين المسجد والمدرسة قائما ، بحيث نجد العادة تجري بأن تلحق بالمسجد مدرسة ، وظل التشابه بين المسجد والمدرسة قويا ، فهناك مدرسون يعينون في المساجد ، وهناك أئمة أو مؤذنون يعينون في المدارس ، فكانت المدرسة مسجد وكان المسجد مدرسة .

يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في كتاب الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، هذه العبارة :

« إن التعليم عند المسلمين كان غريبا أمره بكان يكون خفيا سره : مسجد أو مدرسة تابعة لمسجد ، يجلس فيها للتدريس الفقيه والمتكلم والمحدث والنحوي والمتأدب والفيلسوف والفلكي والمهندس ، ينتقل الطالاب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ، ومن مجلس الحديث إلى مجلس الأدب ، وإذا وقعت هذا كره بينهم في مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها في الإقناع

وهناك المدرسة القمحية التي أنشأها صلاح الدين سنة ست وستين وخمسة بجوار جامع عمرو . ومسجد الإمام الشافعي كان أصله مدرسة تسمى بالمدرسة الصالحية ، بناها صلاح الدين سنة خمس وسبعين وخمسة بجوار قبر الإمام الشافعي .

وهناك المدرسة الأقباقوية الملحقة بالجامع الأزهر الشريف ، وقد أنشأها الأمير علاء الدين أقباقا سنة أربعين وسبعائة ، وهناك المدرسة الطبرسية الملحقة أيضاً بالجامع الأزهر الشريف ، أنشأها الأمير علاء الدين طبرس الحانزداري سنة تسع وسبعائة . وهاتان المدرستان تشغلها الآن المكتبة الأزهرية ، الموجودة على يسار الداخل من باب الجامع الأزهر الشريف ، وبقية ولكتاب تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، ههما :

د وهاتان المدرستان تمثلان تطوراً في حياة المسجد والمدرسة معاً ، فقد أصبحت المدرسة هي المعهد العلمي المفضل ، وهي تمثل أيضاً نوعاً جديداً من الجامعات يتحد فيها المسجد بالمدرسة ، وقد أكد هذا من صفة الأزهر العلمية ، وأصبح مسجداً تعليمياً دائماً ، تعاونه في عمله كليتان ملحقتان به ، وهو أمر لم يكن معروفاً في المسجد من قبل .

ويحدثنا التاريخ عن المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق في مصر ، وكذلك المدرسة القمحية وكانت خاصة بفقهاء المالكية والمدرسة الصغرى غميشية الملاصقة للجامع ابن طولون بناها

والإيزام ، وسقطت قيمة الغسل في التعبير ، وأخذ التسامح بينهم مأخذه .

وينبغي أن نلاحظ هنا أن المدارس بصورتها النظامية قد تأخر إنشاؤها في المجتمع الإسلامي ، وأول مدرسة منظمة - وهي المدرسة النظامية ببغداد المنسوبة إلى الوزير نظام الملك من السلاجقة - أنشئت وتمت سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، فكان المسجد ظل هذه القرون السابقة لهذا التاريخ يقوم بواجب التشييف والتعليم .

ولقد قلت : إن المدرسة كانت تقوم بجوار المسجد في العادة ، وعلى ذلك عشرات من الأدلة والأمثلة فهناك المدرسة المستنصرية ببغداد التي أنشئت بين عامي ٦٢٥/٦٣١ كان فيها إيوان لكل مذهب يوجد به المسجد وموضع التدريس ، وهناك مسجد ديوريكي ، ومدرسته في تركيا ، تم سنة ست وعشرين وستائة ، ومعه مدرسة وتعلو جميع أروقة الجامع والمدرسة قبوات . وتقع المدرسة خلف جدار المحراب ، وبناؤها من طراز بناء الجامع . وهناك مدرسة صيرت جالي بقونية ، بتركية ، أسست سنة أربعين وستائة ، وتماثل هذه المدرسة من إيوان البيوت الصلاة ، به محراب تحف به قاعتان لكل منهما قبة . وهناك مسجد إينجه ، ومدرسته بقونية في تركيا ، وهناك مدرسة وجامع قرامين ، من العصر السلجوقي في إيران ، تمها سنة ثلاث وعشرين وسبعائة .

بنائها أن الأمير حسن الظاهري من أمراء الماليك كان قد بنى المدرسة القديمة للملك الظاهر خشقدم ، ثم بعد وفاته سأل الملك الأشرف قايتباي قبولها ، فقبلها منه ونسبت إليه ، ورتب لها شيخا وصوفية وفقهاء ، وصرف لها المعاليم .

ثم حضر الملك الأشرف قايتباي إلى القدس في سنة ٨٨٠ هـ فلم تعجبه ، وهدمها وأنشأ أخرى مكانها أوسع مساحة وأغنى بناء .

وبما أنشئ حول المساجد من المدارس المدرسة الناصرية التي سميت فيما بعد بالغزالية لإقامة الإمام أبي حامد الغزالي بها . وقد أعاد إنشاءها الملك المعظم عيسى الأيوبي ، وجعلها زاوية لقراءة القرآن ، ووقف عليها كتباً من جملتها إصلاح المنطق لابن السكيت ، وذلك سنة ٦١٠ هـ . قال مجير الدين المقدسي : « وقد دثرت الزاوية المذكورة في عصرنا ولم يبق لها نظام ، وتوفي المقدسي هذا سنة ٩٢٨ هـ - فملك إذن حالها في مطالع القرن العاشر الهجري .

والمدرسة المنحوية على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة إلى الغرب ، بانها الملك المعظم عيسى الأنف الذكر ، وكان بناؤها سنة ٦٠٤ هـ . والمدرسة التنكزية ، واقفها الأمير تنكز الناصري نائب الشام في العصر المملوكي ، وهي مدرسة عظيمة ليس في المدارس أتقن من بقائها - كذا يقول المقدسي .

والمدرسة السكرية ، بناها كريم الدين

الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري سنة صبع وخمسين وصبعائة ، ومدرسة السلطان حسن كانت مدرسة وجامعا ، وهي التي تسمى الآن جامع السلطان حسن ، ومدرسة الظاهر برقوق ، كانت تستخدم كمدرسة وخانقاه ، ثم صارت تستخدم مسجدا للصلاة .

وهناك مدرسة الصمريج بفاس ، بناها الأمير أبو الحسن بن أبي سعيد ، وموضعها غربي جامع الأندلس من حضرة فاس ، والمدرسة العظمى أو مدرسة العطارين بفاس ، بإزاء جامع القرويين ، أشرف على إنشائها الشيخ أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار ، والمدرسة العظمى بمراكش قبل جامع ابن يوسف .

وهناك المدرسة المصباحية بفاس ، التي أنشأها السلطان أبو الحسن سنة ثنتين وأربعين وصبعائة ، وموضعها جوف جامع القرويين وسميت بهذا الاسم نسبة للفقير أبي العلاء مصباح بن عبد الله الياسوق الذي كان يتولى التدريس بها ، وتسمى أيضا مدرسة الرخام . ويتحدث كتاب « تاريخ الجامعات

الإسلامية » عن المسجد الأقصى وتاريخه ، ثم يسرد المدارس التي أنشئت حوله بقوله : « وفي العصرين الأيوبي ثم المملوكي أنشئت بداخله وحوله عدة مدارس أكدت صبغته العلمية ، وجعلت منه جامعة إسلامية كبرى ، أهمها المدرسة الشريفة السلطانية الأشرفية داخله ، بالقرب من باب السلسلة ، وسبب

عرفت نظام المكتبات منذ عهد بعيد ،
والمكتبة منبع ثرار عظيم للثقافة والحضارة
وقد جاء في الجزء الثالث من كتاب تاريخ التدن
الإسلامي ، ما نصه : « وكانوا يجعلون في كل
جامع خزانة كتب للطلالة أو الاستنساخ » .
ولو أردنا أن نأخذ صورة متكاملة عن
رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة لكان
من واجبنا أن نتتبع الجهود التعليمية التي
صدرت عن المساجد الكبيرة المشهورة التي
يعد كل منها جامعة وهي : المسجد الحرام ،
والمسجد الأقصى ، والمسجد النبوي بالمدينة
والمسجد الأموي بدمشق ، والمسجد الجامع
بالبصرة ، والمسجد الجامع بالكوفة ،
والمسجد الجامع بالفسطاط (جامع عمرو)
و جامع الزيتونة بتونس ، والمسجد الجامع
بالقروان ، و جامع المنصور ببغداد ، والجامع
الاعظم بقرطبة ، و جامع القرويين ، و جامع
ابن طولون ، والجامع الأزهر الشريف ،
وقبة علي بالنجف بالعراق ، وغيره مما غاب
عن الذاكرة .

إن هذا الموضوع طريف وواسع ونافع
حين نقبعه وتجميع كل ما يتعلق به ، وإذا
كنس وضعف على طريقه قنديلا متواضعا ،
فاني آمل أن تتابع من خلفه قناديل وثريرات
تضيء وتنير ، وتمتع وتفيد ، وعلى الله
قصده السبيل .
أصممه الصمير بالصمير

عبد الكريم من رجال الدولة المملوكية بالقرب
من باب يسمى باب حطة .

ولا شك أن ارتباط المساجد بالمدارس ،
على هذا النحو الذي قدمنا له عشرات من
الأمثلة ، يدل على ارتباط رسالة المساجد
برسالة المدارس ، كما يدل على أن كلا من
المسجد والمدرسة كان يؤثر في الآخر ويتعاون
معه ويكمل رسالته ، وبخاصة في مجال التوعية
والتوجيه والتثقيف الديني والديني .

ولقد كان للمسجد تأثير آخر في لون من
ألوان الحضارة وهو المعمار ، فإن المساجد
قد اتخذت أشكالا وأنماطا من الهندسة والبناء
والزخرفة والتصميم والتزيين ، وهذه الأشكال
صارت قدوة عند الكثيرين في الأبنية المختلفة
وفي القرن التاسع للهجرة - كما يبين بعض
المؤرخين - غلب تصميم المدرسة على المسجد
فأنشئ على طرازها مساجد كثيرة ، ولكن
تصميم المسجد ظل سائدا جنباً إلى جنب مع
المدرسة ، وزيد على المسجد إلحاق « السبيل »
و « الكتاب » به .

ونستفيد من هذا فائدتين : الأولى أن
المسجد كان له تأثير حضاري من ناحية المعمار
والزخرفة ، والأخرى أن المسجد كان يرتبط
بالمدرسة حتى في هذه الناحية ، مما يدل على أن
المسجد كان يسير جنباً إلى جنب مع المدرسة
ينشران الثقافة ويبثان ألوان الحضارة .

ويتصل بالموضوع الذي نعالجه أن المساجد

نظرات في الأدب والتصوّف :

مناجاة الخائف

للأستاذ محمد إبراهيم الجبوشي

من تقدير ، وما تتمتع به من أثر فعال
في ترقية الأحاسيس ودفع النفوس إلى السمو
والصفاء في الخلق والروح .

وهذه هي الوظيفة الأصيلة الأولى للأدب ،
وهل كان الأدب في يوم ما إلا حاملاً
من عوامل سمو الخلق وعلو النفس ، وهذا
هو الذي دفع هر بن الخطّاب رضى الله عنه
إلى أن يقول : (ووا أبناءكم ما حسن
من الشعر ، فإنه يعلم مكارم الأخلاق)
وما روى عن خلفاء الأمويين في هذا المعنى .

وقد يتبادر إلى الظن أن في هذا تغاليا بقيمة
الأدب الصوفي ، وإلباسه ثوبا فضفاضاً ،
ويكفى لدفع هذا الظن أن نقف على آثارهم ،
ونرقب معاهدته النماذج العالية ، حين نلقى
بأسماعنا إلى هذه التريمة السباوية الرائعة ،
ثم نتحسس نفوسنا حين تتلى لئلا نرى إن كانت
لا زالت على الأرض أو ارتقت إلى السماء ،
يقول ابن عطاء الله في حكمه مناجياً مستغنياً .

إلهي : أنا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون
فقيراً في فقرى ؟

المناجاة من الأغراض التي انفرد
الصوفية بها ، فلم يطرقها غيرهم ، ولم يهج
صليبها سواهم ، فهم فرسان حليتها ، وآباء
هذرتها وأبناء بجدتها ، لأنها تعبر
عن إحساساتهم الرقيقة ، ومشاعرهم السامية ،
وعواطفهم الراقية ، وأرواحهم الصافية ،
وقلوبهم المتصلة بنور الله ، ترى عظمتها في كل
موجود ، وتحس قدرته في كل ما يقع
بين أيديهم ، وتحت أبصارهم .

والأدب الحى وليد الإحساس المرفف ،
وصدى الانفعالات النفسية الصادقة ، وبقدرة
ما يهبها لهذه المشاعر والأحاسيس من صدق
وتجارب مع ما تحس به ، بقدر ما يكون رقى
الأثر الأدبي الذي يعبر عنها ، وما يمتاز به
من علو ، وما يجعل به من رؤى شعرية
سامية ، ونماذج فنية تكون قدوة تحمى ،
وأمثلة تراعى .

ومن أبدع ما أثر عن الصوفية من هذه
الألوان مناجاتهم لخالقهم وتوسلاتهم لبارئهم ،
فهى غنية بالقوى الجبارة ، والذخائر الحية ،
وإن قوبلت بالإهمال ، ولم تحظ بما تستحق

إلهي : أنا الجاهل في علمي ، فكيف
لا أكون جهولا في جهلي ؟

إلهي : وصفت نفسك باللطف والرفقة بي
قبل وجود ضعفي ، أتمتعني منهما بعد
وجود ضعفي ؟

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق
بكرمك .

إلهي : إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ،
ولك المنة على ، وإن ظهرت المساوي
فبعد إلى ولك الحجة على .

إلهي : كيف يستدل عليك بما هو
في وجوده مفتقر إليك ؟ أبكون لفهمك
من الظهور ما ليس لك ، حتى يكون هو
المظهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل
يدل عليك ؟

و متى بعدت حتى تكون الآثار هي التي
توصل إليك ؟

إلهي : أمرت بالرجوع إلى الآثار ،
فارجعني إليها بالأنوار ، وهداية الاستبصار ،
حتى أرجع إليك منها كما دخات إليك مصون
السر عن النظر إليها ، مرفوع الهامة عن
الاعتماد عليها ، إنك على كل شيء قدير .

إلهي : منك أطلب الوصول إليك ، وبك
أستدل عليك ، فاهدني بفورك إليك ،
وأقني بصدق العبودية بين يديك .

تراء في هذه الفقرات يتلوه على الوصول
إلى الله ، ثم يتحاور متفلسفا فيقول :

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق
بكرمك .

إلهي : إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ،
ولك المنة على ، وإن ظهرت المساوي
فبعد إلى ولك الحجة على .

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق
بكرمك .

إلهي : إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ،
ولك المنة على ، وإن ظهرت المساوي
فبعد إلى ولك الحجة على .

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق
بكرمك .

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق
بكرمك .

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق
بكرمك .

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق
بكرمك .

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق
بكرمك .

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق
بكرمك .

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق
بكرمك .

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق
بكرمك .

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق
بكرمك .

بعدلك فلم تدع لى رجاء ، فليت شعري كيف أرى إحسانى مع إحسانك ؟ أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك (١) .

إخالك بعد قراءة هذا الدعاء قد وثب إلى ذمك الأثر النبوى الشريف ، المؤمن بين مخافتين ، وقد سبج فكرك كيف استطاع الصوفية أن يتغلغلوا إلى أحقاد هذه الجوامع النبوية فيحللوها تحليللا فلسفيا أدبيا دقيقا رائعا يأخذ بالألباب ويستوى الأفئدة .

وهذا توسل آخر لى النون المصرى :
(إلهى : وسيلتى إليك نعمك ، لى ، وشفيى
إليك إحسانك لى) .

(إلهى : أدعوك فى الملا كما تدهى الأرباب ،
وأدهوك فى الخلا كما تدهى الأحباب) .

(أقول فى الملا : يا إلهى ، وأقول فى الخلا
يا حبيبى ، أرغب إليك ، وأشهدك بالربوبية
مقرا بأنك ربى ، وإليك مردى ، ابتدأتى
برحمتك من قبل أن أكون شيئا مذكورا ،
وخلقتنى من تراب) .

وقوله : (إلهى ، ما أصغى إلى صوت حيوان
ولا حفيف شجر ، ولا خرير ماء ، ولا ترنم
طائر ، ولا تنم ظل ، ولا دوى ريح ، ولا
قعقة رعد ، إلا وجدتها شاهدة بوحدايتك
دالة على أنه ليس كشكك شيء ، وأنت غالب

إلهى : تقدس رضاك عن أن يكون له علة
منك ، فكيف يكون له علة منى ؟

أنت الغنى بذاتك عن أن يصل إليك
التفح منك ، فكيف لا تكون غنيا عنى ؟
إلهى : إن رجائى لا ينقطع عنك ، وإن
حصيتك ، كما إن خوفى لا يزالنى وإن
أطعتك .

(إلهى : هذا ذلى ظاهر بين يديك ، وهذا
حالى لا يخفى عليك ، بك أستنصر فأنصرنى ،
وعليك أتوكل فلا تنكلى ، وإياك أسأل فلا
تخيبنى ، وفى فضلك أرغب فلا تحرمنى ،
ولجنا بك أنتسب فلا تبعدنى ، ويبابك
أقف فلا تطردنى) .

خبرنى بربك ، ماذا أنت شاعر به من
المعاني والأحاسيس والانفعالات بعد أن
تتلو هذا التوسل الفريد ؟ هل كنت ترى
بعد هذا مجالا لإبداع ؟ أو تجد قولاً لقائل ؟
اللهم لا . غير هؤلاء الصنف من الناس الذين
سمت أرواحهم فأت بهذا الضرب من الإعجاز
فى البيان .

وإليك توسلا آخر لى العباس المرسى :
(إلهى : معصيتك نادتنى بالطاعة ، وطاعتك
نادتنى بالمعصية ، ففى أيهما أخافك ؟ وفى أيهما
أرجوك ؟ إن قلت بالمعصية قابلتنى بفضلك
فلم تدع لى خوفا ، وإن قلت بالطاعة قابلتنى

لا تقلب ، وعالم لا تجهل ، وحليم لا تسفه ،
وعادل لا تهوّر ، وصادق لا تكذب .

إلهي ، فإنني أعترف لك اللهم ، بما دل
عليه صنعك ، وشهد لك فعلك ، فهب اللهم
طلب رضاك برضائي ، ومسرة الوالد لولده ،
ووقار الطمأنينة ، وقطب العزيمة إليك ،
لأن من يشبهه الولوع باسمك ، ولم يروه من
ظلمته ورود غدران ذكرك ، ولم ينسه جميع
المهموم وضاء غفك ، ولم يلبه عن جميع
الملاهي تعدد آلائك ، ولم يقطعه عن الأنس
بغيرك مكانه منك كانت حياته ميتة . وميقته
حسرة ، وسروره غصة ، وأنسه وحشة .

إلهي ، عرفني عيوب نفسي ، وافضحها
هندي ، لاتضرع إليك في التوفيق للتزهد
عنها ، وأبتهل إليك بين يديك خاضعا ذليلا
في أن تغسلني منها ، واجعلني من عبادك الذين
شهدت أبدانهم ، وغابت قلوبهم بحسول في
ملكوتك ، وتفتكر في صنعك ، ترجع
بفوائد معرفتك ، وعوائد إحسانك ، وقد

ألبسهم خلع محبتك ، وخلعت عنهم لباس
الترزين لغيرك .

إلهي ، لا تفرك بيني وبين أقصى مرادك
حجابا إلا هتكته ، ولا حاجزا إلا رفعته ،
ولا وعرا إلا سهلته ، ولا بابا إلا فتحته ،
حتى تقيم قلبي بين ضياء معرفتك ، وتذيقني
طعم محبتك ، وتبرد بالرضى منك فؤادي ،
وجميع أحوالي حتى لا أختار غير ما تختاره
وتجعل لي مقاما بين مقامات أهل ولايتك ،
ومضطربا فسيحا في ميدان طاعتك .

إلهي ، كيف أسترزق من لا يرزقني إلا
من فضلك ، أم كيف أستطيك في رضى من
لا يقدر على ضرى إلا بتمكينك ، فيا من
أسأله أيناسا به ، ولما يحاشا من خلقه ، ويأمن
إليه التجأ في شدتي ورجائي ، ارحم غربتي
وهب لي من المعرفة ما أزداد به يقينا ، ولا
تسكنني إلى نفسي الامارة بالسوء طرفة عين .

ابراهيم الجبوشي

يظلمني وأرحمه

قال أحد الشعراء :

إني وهبت لظالمي ظلي وغزرت ذاك له هلي على
ورأيت أسدى إلى يداي لما أبان بجهله حلي
ما زال يظلمني وأرحمه حتى رثيت له من الظلم

الهندوكية

للاستاذ محيي الدين الألواني

هو ما سمي به الركفيدا^(١) ، وهو أقدم
السكتب من الآريين الذين نزحوا إلى الهند
منذ أكثر من خمسة آلاف سنة ، وحاربوا
سكانها الأصليين من الجنس الدرافيدى ،
وقد غزروهم من الشمال ، واستقروا على مقربة
من كشمير ، وأفغانستان أولاً ثم أتوا
إلى الجنوب ثم استمروا فى الانتشار
حتى بلغوا مقاطعات الهند الوسطى ، واستطاع
بعضهم أن يعبروا الجبال والأنهار ويهبطوا
إلى الجنوب ، أما أكثرهم فلم تستطع ذلك ،
ولهذا بقى الجنوب فى الغالب موطناً للدرافيدين ،
سما فى منطقة مدراس .

بعد انتهاء العصر الفيدي بالهند ظهر
ما يسمى بعصر الملاحم لأن الملحميين
الكبيرين الهنديين رامايانا والمهاباراتا
اللتين تقصان علينا وقائع الأبطال العظيم
والحرب العظيم قد كتبتا فيه ، وتفرع
من الركفيدا ثلاث من الفيدات وهى ساما ،
وديجر ، ودأثر ، والتحقيق العلمى يدل
على أن أطوار الركفيدا من مراحل الابتدائية
إلى دور تكمله ، بعد أن توطدت أركان

الديانة الهندوكية ، أو الهندوسية ، أقدم
ديانات الهند ويدين بها الآن ٨٠ ٪ .
من مجموع سكانها ، والهندوكية لا ترجع
بأصلها إلى نبي معين ، ولا إلى كتاب واحد ،
بل نمت على مر السنين ، واستندت إلى عدد
من السكتب التى تجعل وتجمع فلسفة الحكماء
القداى ومعرفتهم وتعاليمهم ، التى تحتوى
على أنكار عالية وقصص ذات عظات وعبر ،
استلهموها خلال تأملاتهم العميقة المصحوبة
بانكار الذات والتفانى فى سبيل معرفة الحق .
وأقدم السكتب التى تضم المبادئ الهندوكية
وفلسفتها ونظامها الركفيدا^(١) ، وربما
هو أقدم السكتب فى الدنيا ، ومعنى كلمة
ركفيدا ، المعرفة لأنها تتضمن المعرفة
التي نالها حكماء العصور القديمة والذين كانوا
يسمون ريشيس^(٢) ، ودونيس^(٣) ،
وقد كتبت فى لغة سنسكريتية بالاناشيد والأغاني
التي اعتاد الآريون القدماء أن يتغنوا بها ،
ويعرف العصر الذى دونت فيه الركفيدا ،
بالعصر الفيدي ، وأولها أو أسبقها وجوداً

VEDA (١)

RISHIS (٢)

MUNIS (٣)

إلى الآلهة مع ترتيب الأناشيد الدينية ،
والأدعية ، وربما تصحبها الرقصات ،
والطقوس المعينة المبينة في الركفيدا ،
وتتحدث الفيدا عن نظام التشكيلات الإدارية ،
والسياسية ، في البلاد كما يلي :

- ١ — كرها (الأسرة) .
- ٢ — كرام (القرية) .
- ٣ — ديش (المقاطعة) .
- ٤ — جننا (الشعب) .
- ٥ — راشترا (الدولة) .

وأما الأسرة فوحدة تتألف من بضعة نفر
يعيشون تحت رئيس حائلي ، إما هو الأب
أو الأخ الأكبر ، في مكان تحيط به مزارع
الأسرة ومرعى مواشها . والقرية عبارة
عن مجموع عائلات تقطن في منطقة معينة
مع ما فيها من المزارع والبيوت والمواشي ،
ويكون على رأسها كبير يشرف على شئونها .
وأما المقاطعة فتشكل عدة قرى مجاورة
مع حدود معينة تفصلها عن شقيقتها
الأنهر أو الجبال أو الخطوط الوهمية المعلقة
بعلامات ظاهرة .

وذكر الركفيدا بأن الدولة التي يحكمها
ملك في بلاد معينة ذات حدود ودفاع تدهي
راشترا . وإذا لم يكن فيها ملك أو محافظ
فيضطر الشعب لانتخابه من بينهم لمواجهة
العدو تحت قيادة منظمة ، وعليه أن يقود

الفيدات الأربعة كانت تتطلب قرونا عديدة ،
وقد أكد كثير من العلماء الباحثين أن تاريخ
الفيدا ، الذي يسبق البوذية بآلاف السنين ،
لمن أقدم التواريخ المتعلقة بالجنس البشري .

يحتوي الركفيدا على ثمانين ألف بيت
مع أن خمسة آلاف منها مكررة ، ويقول
الزهم الهندى الراحل جواهر لال نهرو
في إحدى رسائله عن الهند القديمة : د لعل
هذه السكتب لم تدون في أول الأمر ،
ولمّا حفظت عن ظهر قلب ، وبقيت
محفوظة في صدور الحفاظ من حكماء تلك
العصور ، يتداولونها باللسان والمشافهة جيلا
بعد جيل ، وبعد انتشار نظام السكتابة
كتبت الفيدا الأربعة في اللغة السنسكريتية
الكلاسيكية وسمى المجموع د ستهتا ، أى
د الديوان المجموع ، .

والفلسفة الهندوكية الفيدية تثبت وحدة
العالم في النهاية ، كخلق الخالق الواحد الذي
يقضى إليه جميع المظاهر المختلفة ، وإليه
مصير السكون كله ، ويدعوه الروح الأعظم ،
أو الله الأولى . وتهتم كثيراً بالتقدم
الفكرى والروحى ، ويبدو من الأدعية
الواردة في الركفيدا مثل الدعاء المسمى باسم
د كيائرى متغرام ، أنها تحتل عبادة الآلهة
العديدة التي يرجى منها البركة والإحسان ،
وتدعو إلى تقديم القرابين والتضحيات

البلاد إلى أقصاها ، وورد في بعض الكتب المقدسة الهندوكيين أن الهند أى بهارت بمثابة اللجنة على الأرض بسبب بيئتها المحركة للروح . وتقول تلك المصادر أيضاً بأن الأم والوطن يفوقان اللجنة في العظمة .

والديانة الهندوكية تقسم حياة الفرد إلى مراحل مختلفة :

- ١ — براهما جارى : أى مرحلة طلب العلم .
- ٢ — كراهستا : أى الحياة المنزلية .
- ٣ — بايراستا : أى دور العبادة .
- ٤ — سنياسى : أى مرحلة ينصرف فيها المرء إلى التأمل والزهد في الدنيا .

وعندهم أعمار خاصة لكل من المراحل المذكورة . فرحلة العبادة مثلاً تبدأ والمرء في الخمسين من عمره وهو العمر اللائق — في نظر الهندوكية — لصاحب الأهل والبيت أن يعزل قليلاً عن متاعب الدنيا ، وينصرف للعبادة ، والمراد بالمرحلة السنياسية الاستعداد للانتهاء من علائق الدنيا الفانية

وكما يكون نظام المراحل في حياة الفرد مطلوباً في الطريقة الهندوكية ، أصبح المجتمع الهندوسى مقسماً إلى أربع طبقات بحكم الولادة في الحياة الاجتماعية وهى : البراهمة ، وتشترين وويسيان ، وشودران وفى كل منها توجد طبقات وطوائف عديدة .

جيش الدفاع بنفسه في وجه الأعداء ، معرضاً نفسه للخطر . وكان يلقى بمقابل خدماته طاعة الرعية والحراج والهدايا والتحف من القبائل ، وأعيان البلد ، مكافأة على إشرافه على كرامة الدولة .

وحسب تعاليم الفيدا يرث الولد أباه ولا ترثه بنته إلا إذا كانت وحيدته ، وتعترف بحق الملكية ، وتبيح التملك في الممتلكات المتنقلة كالماشى والخيول والذهب والحلى ، وينص دعاء من الأدعية المرووفة الهندوكية على أنه يجب لكل هندوسى أن يتذكر صورة وطنه دائماً ، بل ويعبدها بصفة كونها مجموعة من الأنهر السبعة المقدسة ، وهى :

جنجا ، ويمنا ، وكوداورى ، وسراسوتى ، وزمدا ، وسند ، وكاويرى ، وبمجموع مساحة الأراضي الهندية مقسمة فيما بين هذه الأنهر السبعة الكبيرة . وكما أن دعاء آخر يفرض على الهندوكى أن يتصور موطنه بمجموعاً للندن السبع المشهورة وهى :

أيودها ، ومتهرا ، ومايا ، وكاش ، وكنجى بورام ، وأوجين ، ودوداكا ، والمطلوب من كل هندوسى أن يزور ولو مرة في حياته ، هذه المدن المقدسة التى هى جزء من معتقداته . وما يزيد هذه الزيارة نفعا أن هذه الأماكن واقعة في مختلف أنحاء البلاد ، فالذى يقوم بها يتنقل من أقصى

الطبقى قد بالغ إلى درجة أن بعض الناس يخافون من لمس غيرهم أو مزاكلتهم ، ولأنه لمن دواعى الغبطة أن هذه الزعة قد بدأت تقل وتخف حدتها شيئا فشيئا فى عصرنا الحاضر .

وله أيضا بيان طريف عن فكرة تقديس الأماكن فى الهند القديمة فىقول : « كان الآريون مغمين بهلال القمر ولهذا اعتبروا كل الأماكن التى على شكل هلال أماكن مقدسة . وكثير من مدنها الكبرى مثل مدينة (بنارس) كانت على شكل هلال وأن نهر « الجنج » المعروف يبدو عند مدينة آله آباد على شكل هلال حيث تلتقى الأنهر الثلاثة المقدسة لدى الهندوكيين وهى الجنج ، ويمنا وسراسوتى .

وكانت الهند الآرية تمتد من جبال الهالايا إلى سلسلة جبال فيندهيا بشكل هلال ، ومن ثم سموها فى كتبهم القديمة (آريا فارتا) أى أرض القمر ، فلفظة الهند تعنى القمر ، وهكذا كانت آريا فارتا أرض الهند .

ويقول الفيدا فى معرض بيان طريقة أداء القرابين للآلهة التى يرجى منها البركة والإحسان إن الحق واحد يتحقق بطرق شتى ، فلا مانع من عبادة آلهة كثيرة ، وتقديم التضحيات لها ، بقصد التقرب إلى الروح الأعظم ولو اختلفت مظاهره ، وأما أنواع القرابين التى يحث عليها الركفيدا المذكور فتقديم اللبن

ويقول نهرو - ومن المعلوم أنه ينتمى إلى طبقة البراهمة من الهندوكية - فى معرض الكلام عن معتقدات الآريين فى الهند : « ولفظة الآرى تعنى الرجل الشريف أو إنسانا من نوع أرقى وأهل ، وكان الآريون يحبون الحرية والعزة ، وعلقوا أهمية عظمى على الزراعة ومن ثم قدروا كل شئ من شأنه أن ينهض بالزراعة .

وقد رأوا أن الأنهار الكبرى أمدهم بالماء ولهذا أحبوا ونظروا إليها نظرهم إلى الأصدقاء والمحسنين الكبار ، والثور والبقرة ساعدهم أيضا مساعدة كبيرة فى الزراعة وفى حياتهم اليومية ، كما أعطتهم البقرة كذلك من لبنها غذاء ، وقد اعتنوا بهذه الحيوانات وتغنوا ببركاتنا عليهم .

ثم مر على ذلك العهد زمن طويل أنسى فيه الناس فى الهند السبب الحقيقى فى نهاية قدمائهم بالبقرة ، ولهذا بدأوا يعبدونها كأن فى ذلك نفعا لهم .

ولعجاب الآريين بأنفسهم واعتزازهم بعنصرهم دفعهم إلى التخوف من الاختلاط بغيرهم من سكان الهند ، ومن ثم سنوا من القوانين والقواعد ما يحول دون هذا الاختلاط وما يجعل زواج الآرى من غير عنصره أمرا متعذرا ، وقد تطور ذلك فيما بعد إلى ما يسمى الآن بنظام الطبقات . وما يضحك أن الاعتزاز

البالغة بدرجة لا تفسدها أى صلة مادية .
تقول السكتب المقدسة الهندوسية عن خلق
العالم : إنه كان من قبل أن يوجد شيء ما ،
بيضة كونية تسميها الأساطير « براكرتي » ،
أى العنابية ، وتطورت هذه البيضة تطورات
كثيرة فختلف الدهور حتى تحولت إلى بيضة
ذهبية ، واستكن سيد الكون فيها ، وكانت
البيضة عائمة فوق سطح البحر المحيط ، ومن
تلك البيضة خلق العالم الحاضر ، وجاء في
أسطورة « تاراين » ، عن خلق الكون : أن
الخليقة أنبعثت من دموع (براباتي) .
فلما جاء (براباتي) إلى الوجود من العدم
بكى ، فلما سالت دموعه تحولت إلى الأرض
وما مسها منها تحول إلى السماء . . وجاء
في ترنيمة تاراين المشهورة في وصف إله
الكون وحده وثلاثة :

يا روح الأرواح ! أنت الذى بسطت
المسكان فى جميع الجهات .

وبسطت الزمان الذى لا نهاية له ، فأنت
الموجود قبل وجود السماء والأرض ، فأنت
استويت على الأرض . إلى أن قالت :
ولكن لا أرى الآن شمساً ، ولا هوام ،
فأنى أرى الله فقط ، وأحمد فقط ! .

وترد الأساطير الهندوكية وحدة الكون
إلى (كلبا) أى إلى يوم من زمن (براهما)
الحالق فكان براهما يخلق فى الصباح العوالم

والحبوب والسمن واللحوم ، وكذلك أنواعا
من المرطبات الممزوجة من عصير الفواكه
والنباتات ، إلى جانب ترتيل الاناشيد الدينية
والأدعية الفيدية ، تصحبها رقصات وحركات
تعبدية .

والرقص جزء أساسى من الشعائر الدينية
يستمد وحيه من التعبيرات والابتهالات التى
تلازم الحفلات الدينية المقامة حسب التعاليم
الفيدية والموسيقى الهندية شأنها فى ذلك شأن
الرقص مصحوبة بحركات تعبيرية ، من ثم كان
الرقص الهندى الكلاسيكى خليطاً من الفن
والدين والفلسفة ، بل وكانت نشأته الأولى
فى المعابد الهندوكية ، حيث يعتمد على حركات
رمزية تعبيرية أمام الآلهة ، ثم تدرج منها
الرقص الهندى إلى الأسلوب القصصى والرمزى ،
يقص الحوادث والوقائع ، ويرمز إلى مظاهر
الحياة ، ولذا نرى الهندوكية تنظر إلى الرقص
الكلاسيكى الهندى نظرة تقدير وتقديس .

وتمتد الفلسفة الهندوكية فى حياة بعد المات
فى عالم يسيطر عليه (ياما) ، وتقول بضرورة
انتهاء جميع العلائق بالمادة لتحقيق النجاة
الأبدية ، وبعبارة أخرى تقول الهندوكية :
إن النجاة الأبدية . . . لا تتحقق إلا بالفناء
الكلى ، ولهذا تدعو الأفراد إلى القيام برياضات
شاقة ، مثل رياضة اليوجا والإمعان فى ترويض
النفس على التقشف والزهد ، والروحانية

وأما نظرية الفيديا عن العالم فتقول بوجود الأرض والسماء ، ولكن لها آراء مختلفة عن هيئة الأرض الأصلية فترى قول إن الأرض إذا اتحدت بالسماء تكونان هيئة كأسين وضعا وجهها لوجه . ومرة أخرى شبهت الأرض والسماء بدولابين على طرفي محور ، وتقول لمحمدى الأساطير الهندوكية : إن الأرض يحملها أربعة من العفاريت فوق اكتافهم ، وأن الزلازل تقع في الأرض حينما يعترضهم التعب وينقلونها من كتف إلى آخر .

وإذا ثبت من التاريخ أن البوذية ترعرعت في الهند في القرن السادس قبل الميلاد ، فلا بد أن تكون الحضارة البرهمية ، والثقافة الهندوكية قد وطلعت أقدامها فيها قبل البوذية ؛ لأن الكتب القديمة البوذية تذكر عنها ، وكما أن الحضارة البرهمية قد اكتملت بعد مدة طويلة بعد العهد الفيدي ، لأن الأدب البرهمي المتشكل من أربعة مصادر رئيسية : سوترا ، وأرنياكا ، وأبانيشد ، وبرهمنيا قد تم ترتيبه بعد الركفيدا بزمان طويل ، يمكن أن يقال بصورة قاطعة إن تاريخ الثقافة الهندوكية المبني على الفلسفة الفيدي يرجع إلى قرون عديدة قبل الميلاد .

فى الدين الهنودى

الثلاثة الأرض والجنة والنار ، وتنتشر في الليل هذه العوالم الثلاثة ففسير الأيام والليالي بأحداثها وتطوراتها ، وتدل النظرية الهندوكية نحو الحياة على أنها نظرية الارتقاء التدريجى ثم إلى الانحطاط ، وقد أوردت كتب بوراناس ، الهندوسية صورة أخرى عن كيفية انتهاء السكون فتقول : إن الإله « وشنو » سيظهر على صورة إله كالى ، بطلا مسلحاً وراكباً على حصان أبيض له جناحان مجليان بالمجوهرات محمكا بيده من فوق رأسه حسام الدمار والخراب ، حاملا في يده الأخرى قرصاً ضخمًا ، ويرفع حصانه قدمه اليمنى الأمامية ، والدنيا واقفة على رأس أفعى جالسة على ظهر سلحفاة وعندما يضرب الحصان بقدمه على الأرض تسقط السلحفاة في الهاوية ، وتتخلص من الثقل العظيم ، وبذلك جميع خبثاء العالم ، وورد في كتاب كيتا عن نهاية العالم : الغيوم تمنع عن المطر لمدة مائة عام ، فلا يجد الناس طاماً يأكلونه ، فلما يشتد الجوع بهم يضطرون لأكل بعضهم بعضاً ، وهكذا يلقون بأيديهم إلى التهلكة والفناء .

ومناك وصف آخر عن نهاية العالم : طوفان مخيف يحيط بالأرض ، وشموس ملتهبة في السماء تمتص مياه الطوفان ، ثم تهب على الأرض ريح من نار تأكل جميع الأشياء وهكذا يحترق العالم بأسره .

سوق وتاريخ العرب والإسلام

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

— ٢ —

وهنا نتحدث عن آراء شوقي وآياته الخوالد ، في كتابه دول العرب وعظماء الإسلام ، ، الذي نظم في منغاه بالاندلس ، إبان الحرب العالمية الأولى ، والذي قصره على الحديث عن تاريخ الإسلام وبطولات أعلامه الخالدين ، وقد طبع الكتاب لأول مرة في القاهرة عام ١٩٣٣ بعد وفاة شوقي بعام ... وكله من بحر الرجز العذب المستساغ يقول شوقي في مقدمة هذا الكتاب أو الديوان على حد سواء ، مشيراً إلى الحرب العالمية الأولى ، ويذكر تأليفه لهذا الديوان في منغاه :

لما رمى الله بهذي الحرب
على بني الشرق وأهل الغرب
تحركت سواكن الأقدار
واطردت عوامل الأكدار
وحكم الله بهجرة الوطن
وطالما ابتلى بها أهل الفطن
فكنت أستعدي على الموم
بنات فكر ليس بالمعلوم

— ١ —

كان شوقي صاحب بيان ، نصّر الله به صفحة الأدب ، ولغة العرب ؛ وحفظ به تراث الإسلام والمسلمين . كان صوتاً قوياً من أصوات العروبة ، وسيفاً مجلوا ينتضى للزيادة عن العرب ، والدفاع عن الإسلام . كان حبه كله لبلاده ، وإخلاصه كله لدينه . وقصائد شوقي وفرائده ، في الإسلام وتاريخه ومآثره ومفاخره ، وفي الاعتزاز بكتابه الخالد ، وبلغته المبدنة الفصيحة ، ورسائله في القديم والحديث ؛ ظلمه وستظل منهلاً عذبا ينهل منه الواردون والظامئون ، ويأخذ الحكمة منه السابقون بمن أتوا بعده واللاحقون ...

إن أمير الشعراء سبق جيلنا في الدعوة إلى بناء الحاضر الممتد لشعوب الإسلام على أساس قوى من تراث العربية وثقافتها وماضيا ؛ وفي المناداة بوحدة الشعوب الإسلامية والعربية وإخائها ؛ وفي تعظيم شأن العرب وقوميتهم ؛ وفي الدعوة إلى اشتراكية الإسلام السمحة ، بما تحتوى عليه من حب وهدل ومساواة وإخاء ومثل عالية رفيعة .

شوقي واللغة العربية :

يحتوى الديوان على قصيدة عن العربية
 عنوانها « لغة العرب » ، يجد فيها شوقي لغة
 القرآن وعذوبتها وفصاحتها ، وأشار إلى
 أطوار تهذيبها ، ونزول القرآن بها ، وحملها
 لرسائله وثقافته وحضارته ، واستعارتها
 من فارس واليونان ما استعارته من معرب
 منقول ؛ ودعا الشباب العربى منها إلى التزود
 من ثقافات العرب والعربية بكل جليل ومفيد
 داعياً إلى ترك الزيف من دعوات الداهيين
 لهدم تراثنا ، والانقضاء على قديمنا ؛ وإلى
 الأخذ بطرف من كل جديد مفيد ، وإلى
 الإقبال على القرآن والحديث إقبال المستفيد
 المسترشد لما فيها من حكمة وأدب وبلاغة .

يقول شوقي - فيما يقول - من هذه القصيدة :

اسانك الأول فى الكفاب

ولغة الصبوة والعتاب

نفض عباب فقهه وسره

وغص على صحيحه وحره

لا ترض منه مبلغ الرعاع

وحصة الاهى من الشعاع

واقرا علوم السلف الاعلام

فانها معالم الكلام

وب قديم كشعاع الشمس

ابن غد واليوم وابن أمس

حتى أراد الله أن نظمت
 من سير الرجال ما استعظمت
 واخترت بهراً واسعاً من الوز
 قد زعموه مركباً لمن عجز
 يرون رأياً وأرى خلافة
 الكاس لا تقوم السلافة
 وقيمة اللؤلؤ فى النحور
 بنفسه وليس بالبحرود
 شعر لزمت فيه ما لا يلزم
 وتركه أليق بى وأحزم
 وهو هنا يشير إلى بجمال منهجه فى هذا
 الديوان من حيث الموضوع والشكل ؛ وإن
 كان لم يستطع الإفصاح كل الإفصاح عن قيمة
 أعماله الفكرية أو الأدبية ، أو الفنية على
 السواء ، وقد يكون مبعث ذلك أن الشاعر
 غير الناقذ ، وأن حديث الشاعر عن شعره
 قلما يكون ذا قيمة نقدية كبيرة وعلى الجلة
 فطلاوة ديباجة شوقي ، وعذوبة أسلوبه هنا
 أكبر من مغزى كلامه ومعناه .

- ٣ -

ولسوف نتناول بعض آراء شوقي فى هذا
 الديوان بالدراسة والتحليل والنقد ، لأهميتها
 ولأهمية الديوان مما ؛ إذ أنه من أروع
 ما يمكن أن يكتبه شاعر ليقترب التاويخ
 إلى عقول الناس ، وليتخذ منه مادة لأدبه ،
 وموضوعاً لشعره .

وأمنوا الأمصار فاتحينها
وعدلوا في العالمين حينها
واتخذوا كل القرى أوطانا
وحاسنوا الأهلين والقطانا
فحيث حل العربي حيا
من الملا قبيلة وحييا
وشاطر الأرض على المتساوي
عاسن الأقوام والمساوي
حق انقضى سلطانهم وزالا
وفصلهم باق ولن يزالا
وذلك اللسان باق لم يزل
يمضي عليه من جلا ومن نزل
لم يبق منهم سوى الأصوات
وعجب تسكلم الأموات

البيت المحرام :

وقصيدة شوق في الديوان عن البيت المحرام
تنبي بحبه للعرب والعربية وللإسلام وكتابته
وأفتمه ويثمه العتيق ، وقد تحدث فيها عن
قداسة البيت وعظمته وتاريخه وسدنته من
قريش أبناء إسماعيل ، ومن العرب
الميامين الذين انتشروا في كل صقيع .

انتشروا قبائلا على الزمن

ملء الحجاز والشآم واليمن
ويختم القصيدة ببيان أهمية البيت المحرام
وجلالته حتى في الجاهلية ، حيث يقول :

وخل ما زيفت الليالي
وما نفت مصارف الأجيال
ولا تضع من الجديد كله
يفتك وضع الشيء في عمله
وب جديد عنده الممول
ورب كنز لم يثره الأول
إن طريق العقل لا يسد
ومذهب الأفكار لا يجد

وما أعظم ما رسم شوقي هنا من منهج
قوى يحافظ على العربية ، وإن كان لا يتذكر
للتجديد المقبول الذي يقره أئمتها سواء
في مفرداتها أو قواعدهما ، إن شوقي في هذه
القصيدة كان يصدر عن عقل حصيف ،
وتجربة حكيمة ، وفكر مضى ... وقد دعا
شوقي إلى تسجيل تاريخ العرب بالشعر ،
وفضل الشعر التاريخي والنثر التاريخي
على كتابات المؤرخين ، الذين يسجلون
الأحداث فحسب ؛ وذلك في قصيدة له في هذا
الديوان ، عنوانها « التاريخ » ، ويشير
شوقي في قصيدته الوطن إلى سيادة العرب
والعربية بعد الإسلام ، فيقول :

وأنجز الله النبي وعده

وساد قومه الزمان بعده

فودثوا قيصر في المشارق
وأخذوا الغرب بسيف طارق

يتحدث عن بطولات المسلمين وتاريخهم وسير أعلامهم .

وهنا نشير إلى أن اتخاذ شوقي القصيدة العربية موضوعاً لتسجيل التاريخ كما يبدو في همزيته في الجزء الأول من ديوانه ، وفي هذا الديوان ، كان عملاً كبيراً في تجديد الشعر وفتح الأبواب أمام الشعراء ، وإمداد الشاعر بطاقات كبيرة من المعاني والأفكار والأخيلة والحكم الأصيلة ، ولا شك أن ذلك كان خطوة من خطوات التجديد الشعرى عند شوقي ، وكان مقدمة لكتابة شوقي رواياته التاريخية التي عدت فتحاً كبيراً في الشعر العربي الحديث .

ونحن لا ننكر أن شعراء العربية القدامى سبقوا (شوقياً) في هذا المضمار ، من مثل ابن المعتز (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ) الذي نظم تاريخ الخليفة المعتضد العباسي (٢٧٩ - ٢٨٩) وكما فعل ابن عبد ربّه (٣٢٨ هـ) في نظم تاريخ الناصر الخليفة الأموي الذي حكم الأندلس خمسين عاماً (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) ولكننا لا نتجاهل أن شوقياً قد جدد الشعر العربي بنظمه لأحداث التاريخ الإسلامي وبطولاته وسير أعلامه ووجدد طريقة الأقدمين في كتابة السيرة ، وتسجيل تاريخ الإسلام منذ بدأ جره بضيء في آفاق الدنيا وأرجائها .

رحمك الله يا شوقي في الخالدين ؟

محمد هبة المنعم خفاجة

لا ينطق الهجر به والإفك
ولا يحمل للدماء سفك
وما أروع ما قال شوقي في البيت الحرام .

شوقي والسيرة :

وإذا كان شوقي قد حلق في قصيدته النبوية « البردة » ، فقد حلق هنا في هذا الديوان في مطولته الرائعة « السيرة النبوية » ، التي تحدث فيها عن الرسول حديثاً عجيباً جامعاً ، في طفولته وشبابه ورجولته ، وفي بعثته ورسالته ودعوته وهجرته وغزواته ... صلوات الله عليه .

تاريخ العرب - مرم في العربيات :

ويمضي شوقي في الديوان في تسجيل تاريخ الإسلام تسجيلاً رائعاً في قصائده : الخلفاء الراشدون ، خلافة أبي بكر ، خلافة عمر ، عمر وخالد بن الوليد ، مقتل عمر ، خلافة عثمان ، الخصبان ، أمير المؤمنين علي ، معاوية ، عمرو بن العاص ، خالد بن الوليد ، دولة بني أمية ، خلافة عبد الله بن الزبير ، البيعة للسفاح ، أبو مسلم الخراساني ، الدولة العباسية ، أبو جعفر المنصور ، صقر قریش ، دولة الفاطميين .

ففي هذه القصائد يسجل تاريخ الإسلام وملوكه وخلفاء المسلمين ، تسجيلاً صادقاً واعيًا ، ويصور الأحداث تصويراً قنياً عاليًا ، وينطق الزمن حتى لكان الزمن

توضيح وتصحيح لتفسير آية

للأستاذ عباس طه

لذلك ، فنزلت ، وما أرسلنا من قبلك من رسول ، الآية ، ويكون معناها على هذا : ما من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألا يكون من الوحي ما ينفر منه قومه ألقى الشيطان في أمنيته : أى أجرى الشيطان على لسانه كلاماً من تأليف الشيطان كالذى أجراه على لسان الرسول من قوله : تلك الغرائيق إلخ . هذا ما يقوله المفسرون في سبب نزولها ، وفي تفسيرها .

ولما قبل أن تناقشهم فيما يحسم صميم الدين وأصوله من جراء هذا التأويل ، تناقشهم في أمور دون ذلك .

وأول ما تناقشهم فيه من هذا هو أن ذلك التأويل يقتضى أن كل نبي قد تمنى ألا يكون فيما يوحى إليه من ربه ما ينفر قومه كما يقتضى أن كل نبي أجرى الشيطان على لسانه غير ما أنزل إليه من الله ، فهل يمكن لأحد من الناس أن يثبت ذلك إثباتاً صحيحاً أو قريباً من الصحيح ؟ إنما موقنون أن لاجواب لذلك سوى النفي البات . وثانى ما تناقشهم فيه : أنه بناء على هذا التأويل فإن النسبة تنقطع كل الانقطاع بين الآية وبين ما سبقها من آيات ، إذ الآيات السابقة كلها عزاء للرسول صلى الله عليه وسلم بذكر ما كان من تكذيب الأمم السابقة لرسولهم ، وكما ترى ليس بين (أن كل رسول

يقول الله تعالى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم ، يذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية وجهين :

أحدهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهوى في نفسه شئونا أخروية فيخطر الشيطان بنفسه خواطر دنيوية ، ويسوقون للاستشهاد على ذلك حديث (إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرة) فنزلت الآية تعزية للرسول ، ويكون معناها على هذا : أنه ما من نبي ولا رسول إلا كان إذا اتجه بنفسه إلى شئون الآخرة أثار الشيطان في نفسه خواطر الدنيا .

وثانى الوجهين : أن الرسول كان قد تمنى ألا ينزل عليه من الوحي ما ينفر قومه من تحقير معبوداتهم ، وتسفيه أحلامهم ، ثم كان أول ما نزل بعد تردد هذه الأمنية بنفس الرسول سورة : والجم إذا هوى ، فلما بلغ في قراءتها : أفرايتم اللات والعزى وصناتة الثالثة الأخرى ، أجرى الشيطان على لسانه : تلك الغرائيق العلاء ، وإن شفاعتهم الزعجى . فنزل جبريل فأخبره الخبر ، فأغتم

ما ينكره الدين وينكره الواقع ، فإنه ليس للشياطين من صلة بالناس إلا أن يوسوسوا لهم بالكفر والعسوق والعصيان ، وحق هذا أيضا نرى الله قد اسقى منه عباده المخلصين ، وليس من ريب في أن الأنبياء الرسل هم صفوة المخلصين .

وثالث ذلك : ما يستلزمه حديث الغرائيق من اقتلاع الثقة من النفوس بسكل ما جاء به رسول الله من أصول وأحكام ، فإما من أصل ولا حكم إلا ويحيز بحيز أن يكون مما أجراه الشيطان على لسان النبي إن كان قولا ، وعلى جوارحه إن كان فعلا .

من هذا يتبين للقارىء أنه يجب وجوبا لا مراعاة فيه أن يسلك في تفسير الآية الكريمة وجهار غير هذا الوجه ، وسبيلا غير هذا السبيل . وإليك ذلك :

لأننا نعلم أنه ليس للرسل والأنبياء من غاية في هذه الحياة يحاولون تحقيقها ولا من أمل منها يتحملون من أجله أهول المشاق وأعظمها ، إلا شيء واحد هو : أن يستجيب لهم قومهم ويؤمنوا برسالتهم فتلك مهمتهم في هذه الحياة وأمنيتهم التي لا يرجون سواها ، ولا يمكن أن يخطر ببالهم غيرها . ندلم إلى ذلك أيضا أنه ما من أمة دعيت على لسان رسول إلى خير ورشاد ، وإصلاح ونظام إلا صدمه الشيطان ووسوس إليهم وزين لهم الشر والكفر ، وقبح في نظرهم الخير والإيمان ، وأثار حول أدلة الرسول وإرشاداته شبهات

قد سلط عليه الشيطان . وملك عليه لسانه فأجرى به ما شاء لا ما شاء الله ، وبين تكذيب الأمم (رسلهم) مناسبة ما .

وثالث ذلك : أنه إذا كانت أمنية رسولنا الكريم هي ألا يكون في الوحي ما ينفر قومه لا يكون لإجراء (تلك الغرائيق العلاء) على لسان الرسول من قبيل الإلقاء في الأممية بل هو تيسير أصيغها ، ومحاولة لتحقيقها .

أما ما نريد أن نقاشهم فيه مما يمس صميم الدين ويهدم أسسه وأصوله فأول ذلك : أننا نعلم أن أساس الرسالة هو دعوة الناس إلى توحيد الله بالإعظام والتقديس والرجاء ، وإفراذه بالعبادة والهدى ، فلا مناص - والأمر كذلك - عن حجاجهم في معبوداتهم وبناء الأدلة والبراهين على بطلان عبادة غير الله ليخلصوا دينهم لله ، فلو جاز أن يكون مثل هذا المتحنى نبيا أو رسولا لكان معناه أننا نجيز على الأنبياء أن يجاملوا في دينهم ويلابثوا في رسالتهم ، وذلك الذي طالما هبناه على العادي من الناس فضلا عن الرسل والأنبياء .

وثاني ذلك : ما يستلزمه حديث الغرائيق من أن يكون للشياطين من السلطان المادي ما يصل في قوته وهيمته إلى حد أن يملكوا على الأنبياء ألسنتهم ، فيجروا عليها الكفر والصرح والشرك الهادم ، واللازم البين لذلك أن يكون ما يملكون على الناس من غير الرسل والأنبياء أكبر من هذا وأفظع ، وذلك

وبذلك ترى بين الآية وبين الآيات السابقة صلة تامة واضحة .

وثالثا : ماتراه من العدول عن سلوك سبيل الحقيقة فيما أسنده إلى الشيطان ، إذ لم يقل بدل (ألقى الشيطان في أمنيته) طاق الشيطان أمانهم بالوسوسة إلى قومهم ، بل سلك سبيل المجاز فكان ماترى من إيجاز هو أكثر شمولا وفائدة عما في أسلوب الحقيقة من تفصيل ، ثم هو إلى ذلك الإيجاز قد أبرز وساوس الشيطان وما يوحى من شبهات في صورة الأشواك والصخور تلتقى في الطريق المعبدة فتقف بالسائرين عن مواصلة السير إلى غاياتهم : ذلك أن الإلقاء من خصائص الماديات ، فلما أسند الإلقاء إلى الشيطان والشيطان لا يكون منه الا الوسوسة والتخييل ، كان ذلك تصويرا للوساوس إلى السامعين بالأشواك والصخور والسدود مما يزيد في نفور الناس من الشياطين ويضاعف الحذر منهم .

وهنا يقف في بين مواكب الجلال والجلال ما يتجلى من روائع القرآن ، ويلتصع في ثنايا الأسلوب من دقائق تختلب القلوب ، وتملك النفوس . فإنه تعالى لما أراد تعزية رسوله بما قص عليه من تفصيل ما كان للأنبياء والرسل من أقوامهم ، وكان مهما أطال بذكر رسل وأنبياء . فإنه يبقى احتمال أن يكون هناك رسل وأنبياء لم تذكر أسماءهم تكون قد تحققت لهم أمانيتهم واستجابت لهم أمهم دون أن يعوقهم الشيطان عن سرعة تحققها فلا تتم التعزية مع

وشكوكا مختلفة الألوان والاتجاهات ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وهذا الصد وتلك الوسوسة هو إلقاء الشيطان في أمان الرسل ، فإنه بالصد والوسوسة وإثارة الشبه والشكوك كأنما يلتقي الأشواك والصخور (في طريق الأنبياء إلى غايتهم التي هي استجابة قومهم لهم ، وإيمانهم بهم . فيكون معنى الآية على هذا : إنه ما من رسول ولا نبي إلا إذا تمى إيمان قومه واستجابتهم للخير والرشد ، صدم الشيطان عن الإيمان وعاق الرسل عن أمانهم بما يشير من شبه وشكوك حول آيات الرسل وحججهم وحول ما جاء به من أصول وأحكام ، ثم ما هو إلا قليل حتى تنطفئ شغشة الباطل ، وينفشع ودخان الشكوك والشبه التي أوحى بها الشياطين إلى نفوس المدعويين ، ثم يبدوا الحق بحكم البنيان ، راسخ الأركان ، باسق الفروع .

هذا هو التأويل الصحيح ، والمعنى الحق الذي يجب أن تحمل عليه الآية .

أما أولا : فلأننا نتعاضد به باطلا لا يدانيه باطل ، وفسادا لا يساويه فساد ، ألا وهو بجملة الأنبياء في دينهم ، وهيمنة الشيطان على ألسنتهم .

وأما ثانيا : فلأن الآيات السابقة قد ذكر فيها تسكذيب الأمم الماضية لأنبيائهم بما يدل على أنهم جميعا قد عاقهم الشيطان عن غاياتهم بما زين للقوم ، وأوحى إليهم من شبهات ،

أن الشيطان يصح أن يلقي غير الشر الذي هو الشبهات والوساوس ، وعليه فيمكن هدم ذكر المتعلق بالإيدان بانحصار ما تلقبه الشياطين في الشر وأنه لا يكون عن طريقهم خير فجرد ذكر الإلقاء مسنداً إليهم مفهم نوع ما يلحقون إلى الناس ، وفي ذلك من تقييح أمر الشيطان ما فيه .

وإلى هنا أستطيع القارىء عذراً في أن شغلت بروائع القرآن عما أنا بصددہ والآن سأعود ثانية إلى موضوعنا الأصلي فأقول . إنى بعد أن اهتمت في تأويل الآية إلى ذلك المعنى راجعت تفسير الإمام الألوسى فوجدته بحمد الله قد أغفل حديث الغرائق إغفالاً ولم يعرض له غير أنه فسر قوله تعالى (تمنى) بقرأ وفسر ما يلقيه الشيطان بما يشبه المغالطات ، ولكنى على أى حال قد سرتى كثيراً سلوك الأستاذ الألوسى هذا المسلك المشعر بأنه يرى بطلان حديث الغرائق ، والمشعر بوجوب صيانة القرآن الكريم عن الغرہات والأباطيل وما يخذش قدس الرسل والأنبياء ، ولقد أيدلنى ما اهتمت به إليه من تأويل في الآية ما أخبرنى به أحد شيوخنا الأجلاء الذين ضربوا في علوم التفسير بهم أسداً ورأى أشد وقد نحا هذا النحو إمام المحققين وقطب الواصلين سيدى عبد العزيز الداغ أكرم الله مشواه ورضى عنه وأرضاه ؟ عباسى ط

هذا الاحتمال ، لما كان كذلك تراه قد أجل التسلية في أسلوب شامل مستقص في الأفراد ومستقص في الأزمان ، حتى إذا أفلت واحد من عموم الأفراد في قوله (من رسول ولانى) لا يفلت من عموم في الأزمان قوله (من قبلك) لأن (من) الأولى في الآية لا استقصاء الأزمان ، والثانية لاستقصاء الأفراد ، وبذلك لا يبقى هذا الاحتمال ، فتم تسلية الرسول حين يعلم أنه لم يشذ عما بينه وبين قومه نبي من الأنبياء .

وتراه ثانياً لم يذكر مفعول (تمنى) فلم يقل : إلا إذا تمنى هداية قومه ، لأن المفعول يشعر دائماً بأنه قيد في فعله وأن الفعل متعلق به هودون غيره بما يصلح أن يتعلق به ذلك الفعل ، فذكره مفهم لا محالة أنه للاحتياط عما عداه من المفعولات ، فلو ذكر مفعول (تمنى) الذى هو هداية القوم ، لأشعر أن الرسل متمنيات غير هداية قومهم . وعلى هذا يكون إنما ترك للإيدان بانحصار تمهينهم في ذلك المطلب العالى وتلك الغاية النبيلة ، وفي ذلك من لتنويه بشأن الأنبياء ما فيه : وكذلك الشأن في (قوله ألقى الشيطان في أمنيته) إذ لم يذكر المتعلق ، فلم يقل : ألقى للشيطان في أمنيته العوائق من شبهات ووساوس ، لأن ذكر المفعول وهو - كما قلنا قيد في فعله - ، يفهم أنه للاحتياط عن مفعول آخر ، وهذا يشعر بصحة تعلقه بذلك الآخر ، فيفيد

الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي للدكتور سعد الدين الحيزاوي

المعلقة الإسلامية : أو معلقة الكعبة ،

للاستاذ اليماني محمد محمد توفيق ، وشرح
الأستاذ محمد أمين التيمي وقد ذكر في المقدمة
فكرة هذه المعلقة :

وقبل أن أفكر جدياً في طبع هذه المعلقة
هرضتها على كثير من شعراء العالم العربي
وأدبائه ، فكان الإجماع على الإعجاب بها ،
والطرب لها ، ووصفها بأنها ألياذة
إسلامية ، وكانت الرغبة في طبعها حفظاً لها
من الضياع ، وكان السعي الحثيث لذلك ،
حتى تم التوفيق بإخراجها إلى العالم الإسلامي
بهذا الثوب القشيب .

فإلى أنصار المدرسة القديمة ، وإلى متذوقي
اللغة العربية ، وإلى عشاق الأدب العربي
وإلى كل مسلم يهيم الإسلام بتاريخ الكعبة ،
والمسجد الحرام ، حيث يولى وجهه خمس
مرات كل يوم : أقدم هذه المعلقة الإسلامية .

وهي طراز آخر من الملاحم الشعرية
الحديثة ، إذ اتجه الشاعر فيها إلى التاريخ
لناحية هامة ، وعرض هذا التاريخ في شعر

رصين يطرب له عشاق الأدب الكلاسيكي
وتتطلع إليه قلوب المشغولين بالتاريخ
الإسلامي في مختلف مناحيه .

وهو لم يقتصر على سرد التاريخ بل أنه ضمن
هذه المعلقة كثيراً من أحكام الحج ، وفضل
العرب على غيرهم ، ومزايا الإسلام ...
وقد تضمنت هذه المعلقة :

١ - مقدمة :

وقد قدر لها أن تبقى ألفين من السنين ،
وعلى لماذا سلك سبيل « المدرسة القديمة » ،
على جاهلي اللفظ بمرت آمنة
ومن لهجات العرب سقت الأحاسنا

أيمدح بيت الله بالغث إن يكن
سمين ؟ وقد بز المسكن الأماكنا

وفي جاهلي من زمان ومسلم
حياة له تروى قديما وراونا

وقال في « رنمة الحج » :

حجاج بيت الله

لا ثروة لا جاه

الكل في أخواء

طوبى لكم حج

وقد نظمت جميعها على بحر واحد هو
 « الطويل » ، وقد استطاع الشاعر أن يجعل لها
 جميعاً قافية واحدة جعل لها « الدال » ، رويها
 وقد بلغت مجموع أبياتها ثمانمائة وخمسين بيتاً
 ما عدا الأخيرة « خادم البيت » ، فقد جعل لها
 رويها آخر هو « الزاء » ، وأبياتها خمسة عشر
 ومائة بيت .

ولعل الذي يسر للشاعر ذلك هو اختلاف
 الموضوعات ، فهي وإن كانت متسلسلة
 في أحداثها إلا أن كل عنوان منها يمكن
 أن يعتبر موضوعاً مستقلاً ولكن كيفما كان
 الأمر فإن التزام قافية واحدة في هذا العدد
 من الأبيات قد اضطر الشاعر إلى التكرار
 والتكلف .

ونعرض هنا نماذج قليلة منها :
 يقول عند « ظهور الإسلام وتحطيم
 الأصنام » :

ولما أراد الله إظهار دينه
 تنزل فرقان على قلب أحد

في الوري طه القرشي محتداً

وسيد أهل الأرض من سبط سيد

ثم يأخذ في وصف النبي الكريم وقيلته ،

ويبين عجزه عند إيفائه حقه مهما أوتي

من فصاحة وبلاغة . ثم يبين كيف حطم النبي

الأصنام . وينتقل بعد ذلك إلى معالجة

موضوع دقيق وهو تحويل قبلة الصلاة

في ملبس الأحرام

دنيا من الأقوام

سام يؤاخي سام

والطريق ترجح

ذنب الوري مغفور

والنفس فيها نور

بيت هنا معمور

يصلو به العج

يا أيها الأبرار

صلوا على المختار

في جنة لا نار

يمضي بنا فج

٢ - المعلقة : وقد تضمنت العناوين
 الآتية :

لهام الكعبة - هجرة الخليل بهاجر

ولسماعيل - زمزم - رفع القواعد من البيت -

أصنام إبليس ، عبد المطلب وإعادة حفر

بئر زمزم - ذهب الكعبة والندى - العروبة

في جاهليتها - المملكات على الكعبة - البيت

رب يحميه - إعادة بناء الكعبة - ظهور

الإسلام وتحطيم الأصنام - تحويل القبلة -

مناسك الحج - أحكام عاة وحرقات البيت -

خاتمة . خادم البيت .

وقد تضمنت هذه العناوين قصائد تختلف

طولا وقصراً بحسب طبيعة موضوعها

من بيت المقدس إلى الكعبة وما كان من موقف
اليهود منها .

لقبلة دين الله خبء فصاحق

وما هذر ما قيل في نعت ومجد

وأرجو بها طبعاً لدى الخلد حالياً

فقد مر من دنياى هيشى الممدد

تماجدت لما صغت فيما ، ولم أزل

أصوغ حديث الشاعر المتمدد

وفي جهمة ، والليل بالصبح حالم

بكيت ، ومن يشهد من الحب يكبد

إلى أن يقول :

وقه شرق من جهات ومغرب

ولكننا وجه الهدى في التزود

بمسكة صلى الناس ، ثم يثرّب

إلى القدس في ساكوته المتمود

بميدانه أنجحاد دين وحكمة

أطلت عليه في هلا متأبد

ومن سبل ما حوله من محافل

ويرفل في زيتونه المتعمد

إليه سرى فوق العراق محمد

بعزم نبى وانبثاقة مؤجد

وبعد أن يصف بيت المقدس وأفضاله

يقول :

على أن بيت الله أول بأحمد

وإن يفس بيت الله في الذسك يأمد

لدياء نور ، والثواب عطاؤه

ويقبس مد نوره المتفرد

وفي نهر مد النهار بأفقه

وثم غمام كالقطيع المنفرد

إلى أم بشر سار طه وصحبه

وكانت أعدت من ثمار ومعقد

وحانت صلاة الظهر والشمس جذوة

وأطرافهم بلس بماء ممد

فنص أمين الله جبريل آية

إلى المصطفى في لفقة المتفشد

بها ضاء بيت الله في الدين قبلة

لحلك قريب في الصلاة وأبعد

وآخر صف صار للناس أولاً

ومن يك ذا حرص على الوحي يأفد

وأطلق نعت القبليتين تيمنا

على مسجد في ثرب الخير مفرد

فما إجمود ، والآلى ضل وبهم

وقبلتنا ؟ بل وبهم في التنقذ

يقولون : ما ولاهم عن سبيلهم

وفهم من البشرى وجيفة أكبد

ألا فليكن فيهم لها با وغصة

تثوب وإن يستقرخ عنها تزيد

١ - وقد حرص الشاعر في هذه المعلاقة

على اختيار الألفاظ القصوى وإن كانت

غريبة غير متداولة مثل : ميداء ، متأبد ،

ناحية من أجداد تاريخ العرب والمسلمين ،
وأضافت إلى الدراسات الإسلامية سفرا
جليلا ...

ملحمة عيد الغدير :

القاهر اللبناني بولس سلامة نشرها
عام ١٩٤٨ ، متضمنة خلاصة لتاريخ العرب
في الجاهلية وبرز قريش بين قبائلها وظهور
النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم تاريخ الإمام
علي بن أبي طالب وتصوير المآسي التي وقعت
لآل البيت على يد الأمويين .

وهذه الملحمة في حوالي خمسة آلاف
وخمسمائة بيت ، وكلها من بحر واحد هو
الخفيف ولكنها قصائد متعددة القوافي ...
وقد ذكر في التصدير أن اختلاف الدين
لا يمنع أن يتناول ناحية تاريخية تصور
جزءاً من تاريخ العروبة ويتحدث عن بطل
من رجالات العرب .

ومما جاء في التصدير عن منهجه في نظم
هذه الملحمة قوله : « ومع الانطلاق الشعري
الذي حاولته ، فائدة بقيت مغلول الجناحين ،
لا أستطيع أن أخلع على الوقائع من الفن
إلا بمقدار ، ذلك لأن الملاحم تدور على
الأساطير حيث يصبح الشاعر ولا رقيب
عليه إلا ذوقه . وكتابي هذا محوره التاريخ ،
والتاريخ حرام على الخيال حتى في الحوادث

مؤجد ، يأمد ، ليداه ، يأفد ، وبه ، أكبد
في هذه الأبيات القلائل .

٢ — والتزم قافية واحدة في ثمانمائة
وخمسين بيتاً ، وهذا قد اضطره إلى صوغ
معانيه صياغة خاصة تغلب فيها الحرص على
اختيار الألفاظ على السبك الشعري الذي
يحتاج إلى رنين الشعر المنبثق من الاهتمام
بالمعاني ، فالرفين الموسيقي للفظ « قريب »
يقابله لفظ « بعيد » لا « أبعد » كما قال :
« لكل قريب في الصلاة وأبعد ، ولسكنه
حكم القافية .

ومن ثم فقد كان الشاعر مقيداً بأمرين
يحولان دون انطلاقه في ترقيق هذا الشعر
وهما : وحدة القافية وما يتبع ذلك من الحرص
على ألفاظ بعينها ، ثم إشاعة الكلمات العربية
المهجورة .

وهو أمر يحمد عليه الشاعر إذا قصد تسجيل
الألفاظ لإحيائها كما فعل المرحوم الشيخ محمد
عبد المطلب ، وكما فعل من قبله السيد البكري
وغيره ، وكما دعا إلى ذلك الأستاذ أحمد حسن
الزيات في كتابه « دفاع عن البلاغة » .

ولكن هذا الأمر يقرب هذه المعلقة إلى
الشعر التعليمي ، ويجعل الإفادة منها مقصورة
على الدراسة التاريخية واللغوية .

وكيفما كان الأمر فإنها عرضت لموضوع
شائق ، يتصل بالعقائد الإسلامية ويسجل

العادية فكيف به عند ما يستند معظمه إلى الأحاديث الغبوية :

ونكتفى هذا بذكر نموذج من شعر هذه الملحمة .

عما جاء في وصف شجاعة علي يوم الخندق وقتله عمرو بن ود :

ومضى حيدر يروم مصوراً يلتوى الأخشبان قبل التوائه أيها الفسر ، دونه كل نسر ليس غير النجوم في أجوائه

ملحمة الذكريات الإسلامية ، :
والرسالة النبوية المحمدية ، :
لمفتشها محمد البدرى محمد بن .

وأبيات هذه الملحمة خمسون وأربعائة بيت ، وقد نظمها الشاعر على طريقة المربعات واختار لها بحراً واحداً هو الرمل ، وقافية موحدة للربيع هي الحمزة .

وقد تضمنت صورة لحياة الجاهلية ثم ذكرى مولد الرسول الكريم وبعثته والإسراء والهجرة ثم الغزوات وانتشار الإسلام في أكثر بقاع العالمين :

وقد جعلها فصائد لكل منها عنوان ، وختم كل موضوع هذا المقطع : جددوا الذكرى لخير الأنبياء . ماعدا آخر بيت فقد ختمه بقوله : د خلدوا الذكرى لخير الأنبياء . قال في المطالع :

جددوا الذكرى لخير الأنبياء من لداء الشرك وافي بالدواء وبدا في ظلمات فأضاء وبه الأرض استنارت والسماء وبما جاء في قصيدة انتشار دعوة الإسلام : شمل الله البرايا بهداه

أيقنوا أن ليس معبوداً سواه خضعوا للدين والسكل اقتفاء لم يعد في العقل هن رشد غباء

* * *

وابتنى الدنيا بناء من جديد فعلا الصرح ، وحاشا أن يميد لبنات الحق أقوى من حديد وبناء الله يعلم عن فناء وتعتبر الملحمة تلخيصاً للسيرة الغبوية وآثار الإسلام بأسلوب شعري بعيد عن التعقيد اللفظي ، وطبيعي أن الشاعر مقيد في خياله بالعقيدة الإسلامية كغيره من شعراء المطولات .

ملحمة الثورة :
للأستاذ علي زهران وقد رأيت الإشارة إلى هذه الملحمة لأهمية موضوعها وطولها إذا تقع في تسعين صفحة تسجل أعمال ثورتنا المجيدة من يوم قيامها إلى نهاية ١٩٥٧ .

وهي صورة لادبنا الشعبي الجاد الذي ينبغي أن تعنى بشوشة الاذاعة والتليفزيون لأنه

وقد نظمها على بحر واحد هو البسيط
وقافية واحدة في شعر رصين يفيض حماسة
بعيد عن غريب الألفاظ .

وما جاء فيها من وثبة الجيش بعد تصوير
العهد الغابر :

وما دروا أن في مصر أشارسة
هم معقل الأصل الباقي بواديها
هم الجنود : جنود الجيش قد نهضت
بالليل في غسق الأسرار تحميها

والعدل ، والرفق ، والإحسان ديدنها
ورفع شأن الحمى أسمى مرامها

ومما جاء في استنهاض همم العرب :

كم بالعروبة من أهوال أندلس
وكم مآسى تنالت في أراضيها

فيا بني العرب : ودوا العار واقتحموا
عرائن الأسد إن بانت عوادها

في مسمع النجم عنكم كل صالحة
وفي يمين الملا منكم هوادها

وكم لكم يا حمة الضاد من نعم
على العباد تسامت في مبانها

سودوا البرايا كما سادت أوائلكم
فأنتم الأمن للدنيا ومن فيها

سهر الدين الجبرائلي

أجدى من كثير مما يذاع من الأغاني العاطفية
الرخيصة .

وقد نظمها مقطوعات زجلية ، ولذلك
لم أرداعيا لعارض نماذج منها لأنها لا تدخل
في باب الشعر الفنى من حيث نسجها ولغتها .
أما موضوعها وأفكارها فغاية في الأهمية
ونحن الآن قد اتجهنا إلى الاعتزاز بغفونتنا
الشعبية المختلفة ، ومن الإنصاف ألا ننفل
منها الفاحية الأدبية .

ملحمة الشعر التاريخية في ثورة الجيش
التحريرية :

للأستاذ محمد البندارى

وهل الرغم من أن هذه « الملحمة » ،
هبة عن قصيدة واحدة من مائة وعشرين
يدنا إلا أنها صورت فترة دقيقة من مراحل
نهضة مصر الحديثة وأثبتت لرجال الجيش
فضلهم .

وقد تضمنت ملحمة من أجداد مصر السالفة
وعظمتها في التاريخ ثم تصويرا لما كانت
عليه أحوال البلاد قبل الثورة ثم وثبة الجيش
وهزل الملك ثم زوال عهد الأقطاع وتحديد
الملكية والانفجار إلى النهضة الكبرى ،
واستنهاض همم أبناء العروبة .

مَا يَقَالُ عَنِ الْأَسِيْلَاهِرْ

مستشرق من اليابان

يكتب عن الله والانسان فى القرآن

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

وكان بعضها الآخر يخفى أغراضا خبيثة ،
ويستهدف غايات استعمارية .

وقد أسهم اليابانيون أخيراً فى هذه
الدراسات ، قام بها أصحابها باللغة اليابانية ،
ولا سبيل لنا إلى معرفة حقيقة هذه الدراسات
لأننا لا نعرف اللغة اليابانية ، كما أنها ليست
لغة عالمية وقد تعلم فى مصر كثير من اليابانيين
وبخاصة فى الأزهر ، والتحق قلة قليلة منهم
بالجامعة ، وقد عرفت أحدهم وهو الأستاذ
د أوداكا ، الذى نقل مقدمة ابن خلدون
إلى اليابانية .

وكتب بعض اليابانيين باللغة الإنجليزية ،
فأصبحت آراؤهم معروفة ومنشرة ، وهذا
ما فصله الدكتور د طوشيهيكو إيزوتسو ،
Toshihiko izutsu من اليابان ، ومن
طاصتها طوكيو ، والأستاذ بجامعة كيو ،
وكانت رسالته التى تقدم بها لنيل درجة
الدكتوراه عن : « المصطلحات الأخلاقية
فى القرآن » ، طبعت الرسالة بالإنجليزية
وصدرت فى طوكيو سنة ١٩٥٩ ، وقد أتمسح

كان مهتدا بالمستشرقين أنهم من أبناء
الدول الغربية ، مثل ألمانيا وفرنسا وإنجلترا
وهولندا وإيطاليا وأسبانيا ، وأقصى ما بلغه
هؤلاء المستشرقون فى أوروبا هو روسيا ،
ولم يكن عددهم فيها كثيراً ، ولا بحجم غزير
أما أن يبلغ الاستشراق أقصى الشرق البعيد ،
أو الشرق الأقصى حيث اليابان ، فهذا شىء
جديد فعلا على دولة الاستشراق .

واليابان دولة عظمى ، ولها مصالح كثيرة
مع الدول العربية بدأت قبل الحرب العالمية
الآخيرة بزمان ، واستمرت بعدها حتى الآن
وهى مصالح تجارية تبلغ الملايين من الجنيهات
وقد كان الاستشراق فى الدول الغربية تابعا
لهذه المصالح ، ثم انقلب إلى استعمار سياسى
لم يكن يقدر له النجاح لولا المعرفة الوثيقة
بتاريخ هذه الشعوب وجغرافيتها وآدابها
وديانها ، وهذا ما فعله المستشرقون حين
دوسوا كل هذه النواحي دراسة منهجية
حقيقية ، وكان بعض هذه الدراسات علميا
محضا ليس وراءه أغراض سياسية خفية .

وأن يطلع على أحدث ما أخرجته المطابع بالعربية، وأن يقتنى لنفسه مكتبة غزيرة من نواذر الكتب في شتى فروع العلوم الإسلامية، والتقى بكثير من رجال الفكر واتصل بيننا حبل المودة ونعمت بصحبته وصداقته، ورأيت أنه على خلق عظيم، ولا غرو فهو يمت بصلة إلى الأسرة المالكة في اليابان، ثم هو إلى ذلك يجيد عدة لغات أوربية وشرقية خلاف الانجليزية التي يؤلف بها كتبه، وهو الآن منتدب للتدريس بمعهد الدراسات الإسلامية بمونتريال في كندا، وقد عين عضواً لرابطة جمع اللغة العربية بالقاهرة.

* * *

المنهج الذي يتبعه الأستاذ إيزوتسو في أبحاثه هو: «السمنعية»، أي علم المعاني أو تطور الدلالات، ذلك أننا نعبر عن أفكارنا بألفاظ، والألفاظ تدل على معان، ويتغير المعنى بحسب السياق وبحسب التطور التاريخي. وقد اكتسب هذا المنهج في العصر الحاضر أهمية خاصة، وألف كثير من الكتب في علم المعاني، وفي تحليل المعاني بغية النفاذ إلى أعماق الفكر الذي تعبر عنه وقد حدد الأستاذ إيزوتسو هذا المنهج بقوله: «إنه دراسة تحليلية للمصطلحات الأساسية في لغة ما الوصول إلى معرفة نظرة قوم من الأقوام عن العالم الذي يعيشون فيه حين يستخدمون هذه اللغة أداة لا للحدث

فرصة أخرى للتعريف برسالتهم، أما حديثنا الآن فيتناول آخر ما نشره وهو كتاب: «الله والإنسان في القرآن - دراسة سمنعية»، وقد صدر هذا العام، ونشر في طوكيو أيضاً. ولا سبيل إلى القيام بمثل هذه الدراسات على الوجه الأكمل إلا بعد تعلم اللغة العربية، ولذلك أنشأت اليابان معهداً في طوكيو لتعليم اللغة العربية وما يتصل بها من دين وأدب وتاريخ، وفي هذا المعهد تعلم الأستاذ إيزوتسو العربية وقام بتقديم رسالته عن (الأخلاق في القرآن) غير أن تعلم العربية وآدابها في اليابان شيء، وتعلمها في مملكتها شيء آخر، ومهد العربية وقلبها النابض منذ القرن التاسع عشر بل قبل ذلك كان ولا يزال في القاهرة، حيث الأزهر الشريف أكبر جامعة إسلامية، وحيث جامعة القاهرة، وحيث المجتمع الذي يتحدث بلغة الضاد آناء الليل وأطراف النهار، ولذلك نجد أن معظم النابغين المشهورين من المستشرقين كانوا يتخذون من القاهرة قبلتهم، يتمون فيها تعليمهم، ويفصحون لسانهم، ويطلعون على أسرار العربية.

فعل الأستاذ إيزوتسو كما فعل كبار المستشرقين من قبل، وفد إلى القاهرة حيث أمضى بها طاماً أو نحو ذلك سنة ١٩٦٠، وقضى له في هذه الفترة التي قضاها أن يتصل بالثقافة الإسلامية والعربية في منابعها،

الفصل الثالث في التركيب الأساسي للقرآن ، تحدث فيه عن الله والإنسان ، الجماعة الإسلامية ، عالم الغيب وعالم الشهادة ، الدنيا والآخرة ، بعض السميات .

الفصل الرابع من د الله ، لفظة الله ، معنى هذا اللفظ في الجاهلية ، وعند اليهود والنصارى ، وعند الخنفاء .

الفصل الخامس في العلاقة الانطولوجية (الوجودية) بين الله والإنسان ، وتقتل على مفهوم الخلق ، ومفهوم البعث .

الفصل السادس في العلاقة الاتصالية بين الله والإنسان ، وفي هذا الفصل يبحث الاتصال بغير طريق اللغة ، أى آيات الله ، والهدى ، والعبادة سبيلا إلى الاتصال بالله .

وفي الفصل السابع يبحث الاتصال عن طريق اللغة ، كلام الله ، والوحى ، والصلاة .

الفصل الثامن عن الجاهلية والإسلام ، ويبحث عن الإسلام ومفهوم الطاعة والخضوع ثم الحلم الذى كان شعار الجاهلية فانتقل إلى الإسلام ، ثم مفهوم الدين باعتباره أنه الطاعة .

و فى الفصل التاسع يبحث عن العلاقة الاخلاقية بين الله والإنسان ، وعن إله الرحمة ، والوعد والوعيد .

وقبل أن تقدم نماذج لهذا البحث السمنى نقول : إن المصطلحات القرآنية أو الدينية بوجه عام ، ليس من اليسير تعديدها تعديداً

والتفكير فقط بل لتصور العالم الذى يعيشون فيه وفهمه . . إن السمنية على هذا النحو نظرة إلى العالم ، وعلى إلى حد ما نظرة فلسفية والكتاب الذى تقدمه الآن وهو د الله والإنسان فى القرآن ، يحمل عنواناً فرعياً آخر هو : دراسة سمنية للقرآن ، أو بالضبط ، دراسة سمنية للنظرة القرآنية نحو العالم ، يريد بذلك أنه سيدرس المصطلحات الأساسية التى وودت فى القرآن واتى يتألف من مجموعها نظرة معينة إلى العالم .

هذه المصطلحات التى نجد لها تحليلاً فى الكتاب هى : عبد ، عبادة ، أجل ، الآخرة ، الله ، عقل ، عرب ، عجم ، آية وآيات ، بعث ، باطل وحق ، ضلال ، دهر دين ، دعاء ، الدنيا ، غيب ، حبة ، حنيف ، حشر ، هوى وأهواء ، حلم وحليم ، هدى لإفك ، إله ، إلهام ، علم ، إيمان وإسلام ، جهنم ، جنة ، جهل وجاهلية ، الجن السكعبة ، كلام الله ، الكفر ، الخلق ، الكتاب ، نبى نجاة ، نعمة ، نزل وتنزيل ، قضاء وقدر ، رب ، رسول ، رأى ، صلاة ، شكر ، صراط ، سجد ، طاعة ، تقوى ، تصديق ، أمة ، وعد ، وحى ، وهيد ... الخ .

وقد وتب الكتاب على مقدمة وتسعة فصول ، الأول والثانى فى السمنية بوجه عام ، وتطبيقها على المعانى الواردة فى القرآن .

تلتخيصها بإيجاز بأن الله والإنسان يكونان طرفين متقابلين أحدهما في أقصى اليمين والآخر في أقصى الشمال . وكان الإنسان في الجاهلية هو المحور الذي تدور عليه جميع المعاني الأخيرة ، فهو مركز العالم ، حتى الأرباب التي كان يعبدها فهي تابعة له . حتى إذا جاء الإسلام انعكست الآية . فأصبح الله هو مركز العالم ، وكل شيء آخر يتصل به . وهذه الصلة إما أن تكون وجودية ، فالله هو الخالق ، ووجود الإنسان مستقمد منه . وإما أن تكون صلة ارتباط متبادل ، فهي من جهة الله وحى ، ومن جهة الإنسان دعاء ، ومعرفة الله أتم بالنظر إلى الآيات أو بالتجلى في الصلاة . وإما أن تكون صلة ربوبية وهبودية ، فالله هو الرب والإنسان هو العبد . وإما أن تكون صلة أخلاقية ، من جهة الله الرحمة والعدل ، ومن جهة الإنسان التقوى والشكر ، والتقوى والشكر تابعان للإيمان ، وهما بقا بلان الكفر . ومن الطبيعي أن يكون بدء الحديث عن المجتمع الإسلامى ما هو ، وكيف نفاد ، وما وجه اختلافه عن المجتمعات السابقة عليه والمعاصرة له والمتأخرة عنه ، وما تركيب هذا المجتمع حقوقه وواجباته ؟

يرى المؤلف أن المجتمع الإسلامى لم يكن يسمى بهذا الاسم ، أو هذا المصطلح نعتي المجتمع أو الجماعة ، وإنما المصطلح

دقيقاً كالحال في المصطلحات العلمية . ذلك أن أى دين ، مثله في ذلك مثل الفن يختلف عن العلم ، الذى يبحث في الواقع ويمكن تحديد وقائعه بدقة وقياسها قياساً كيميا .

أما الدين - وكذلك الفن - فإنه يعتمد على معان تعتمد من قبيل « القيم » . والقيم إنسانية أساساً ، تشيع حولها جواً يحس به المرء ولكن يصعب تحديده وقياسه . ولذلك يصعب القول مثلاً بأن هذا الشخص أكثر إيماناً من ذاك ، بل يصعب القول عن الشخص الواحد إن إيمانه الآن أكثر منه قبل ذلك بوقت قليل . وإذا نحن أردنا تحليل مصطلح كالأصالة مثلاً ، فننسير ووصف الحركات الظاهرة ، ولكن يصعب إن لم يكن من المستحيل تحديد الإحساس الباطن الذى يضر قلب المصلى وهو يقف بين يدي الله . فهذا الشعور أمر لا سبيل إلى تحديده بالألفاظ . ومع ذلك فلا بد من اتخاذ طريقة للقياس ، أى طريقة ، وإلا تعذر البحث ، ولا بأس بطريقة تحليل المصطلحات الأساسية القرآنية ، فإن هذه الطريقة ليست جديدة مبتكرة ، وقد اتبعها كثير من علمائنا قديماً ، كل ما في الأمر أن الأستاذ إيزوتسو أضاف عند التطبيق ما وصل إليه علم السمنية بعد تطور المنطق الحديث .

النظرية التي يذهب إليها المؤلف يمكن

ويقابل بينهما ، كما نرى في سورة آل عمران حيث جاء : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأمينين ، والمقصود من الأمينين في هذه الآية عبدة الأصنام ، وهم الذين لم ينزل عليهم كتاب سماوى .

فإذا مضينا في تحليل مصطلح الأمين أكثر من ذلك ، رأينا أنه يشمل ثلاثة أفكار متصلة به ، أنهم بغير كتاب ، وأن الله يرسل إليهم رسولا يحمل إليهم ما يوحى إليه ، وأنهم قبل نزول الكتاب عليهم كانوا في ضلال ، كما جاء في الآية الثانية من سورة الجمعة : « هو الذى بعث في الأمين رسولا منهم ينقل عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

فالعرب الذين كانوا أميين ، أى غير ذوى كتاب سماوى ، أصبحوا بعد الرسالة دأمة مسلمة ، وهذه الأمة المسلمة تتصف بالصفة لأصحاب الديانات الأخرى بصفتين ، أنها خير أمة ، وأنها دأمة وسط ، كما جاء في القرآن : « كفتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . وفى قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس .

الواقع كان أهل الكتاب في الجاهلية قد انحرفوا وضلوا بحسب ما يحكيه عنهم القرآن .

القرآن والذى يعد حجر الزاوية في نظره هو د الأمة ، وما يتفرع عنه من : أمى ، وأميون ، وأمم .

والخلاف بطبيعة الحال يرجع إلى القرآن لتأييد وجهة نظره . ففي سورة البقرة آية ١٢٨ يقول الله : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك . فالأمة المسلمة هى الجماعة المسلمة . هذه الجماعة تختلف في مبادئها وأسسها عن الجماعة في الجاهلية التى تقوم على أواصر الدم والقربة ، أما الجماعة الإسلامية - أو الأمة الإسلامية - فإن الروابط التى تفصل بين أفرادها هى الإيمان الدينى المشترك لا علاقة القربة والدم . فالأصل في معنى د الأمة ، أنها الجماعة ، وفى الآية السابقة يخاطب إبراهيم ربه يطلب أن تكون أمته مسلمة لله ، وكذلك أن يكون من ذريته د أمة مسلمة ، لله .

ولما استقر الإسلام بعض الثبوت ، واستقرت فكرة الأمة الإسلامية رأى المسلمون أنهم يحاطون بجماعات أخرى دينية كانت موجودة من قبل ظهور الإسلام في جزيرة العرب ، كاليهود والنصارى والصابئة ، وهذه الجماعات يسميها القرآن د أهل الكتاب ، وهكذا نرى أن القرآن يقسم عرب الجاهلية قسمين أساسيين هم :

١ - أهل الكتاب .

٢ - الأميون .

إلى آخر الآية، يقول بعد ذلك : « ثم أوحينا إليك - (أى يا محمد) - أن اتبع ملة إبراهيم ... » .

ولكن المستشرقين ، والأستاذ ايزنسون يتابع دراساتهم أو يلخصها عنهم ، فاتهم ذلك المعنى الذى أشرنا إليه وراحوا يتلبسون اقراض وجود جماعة من الحنفاء فى الجاهلية قبل الإسلام مباشرة ، وأن محمدا كان على صلة بهم ، وتعلم عنهم هذا الدين ، وذكروا من هؤلاء الحنفاء عدد من العرب فى الجاهلية منهم أو أشهرهم أمية بن أبى الصلت شاعر ثقيف فى الطائف . وتدور حول هذا الشاعر قصص كثيرة أقرب إلى الوضع منها إلى الحقيقة . فلما أعلن محمد النبوة غضب أمية لأنه كان يطمع أن يكون هو هذا النبي .

وهذه كلها مباحث طريفة ، ولكننا نقول إذا تعارضت الروايات التى نقلت ودونت عن الجاهلية مع ما جاء فى القرآن ، فلا شك أن النص القرآنى أثبت وأيقن ، لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والقرآن إلى ذلك مرآة صادقة للعصر الذى نزل فيه على محمد عليه السلام ، فهو إلى جانب أنه وثيقة دينية أى كتاب منزل سماوى ، فإنه وثيقة تاريخية أصدق من سائر الوثائق الموجودة بين أيدينا .

محمد فؤاد العنبرانى

كانوا فى البداية متدينين بالدين الصحيح ، ويسعون على الطريق المستقيم ، وأصل الدين كله هو « الحنيفية » ، التى كان يدين بها إبراهيم ، ثم انحرفت هذه الحنيفية كذلك . وليس الإسلام إلا الرجوع إلى الدين الأصلى المستقيم ، وتخليص الدين القائم من الشوائب التى أفسدته . ولفظ « حنيف » من الالفاظ التى يصعب تحديدها ، وكشف الستار عنها تماماً . واللفظ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإبراهيم ، فى سورة آل عمران يقول القرآن : « ما كان لإبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وقد وردت عبارة « ملة إبراهيم حنيفاً » فى أكثر من آية . وهناك تقابل واضح بين الحنيفية التى تمثل الوحدةانية وبين الشرك فى الآيات القرآنية .

ولا نزاع أن العهد كان قد بعد بين إبراهيم وديانته الحنيفية وبين الديانات التى ظهرت على مر التاريخ بعد ذلك من يهودية ونصرانية ولذلك يلوح - وهذا هو الأغلب - أن الحنيفية كانت قد انقرضت . ولو أن هذه الديانة كانت باقية فى الوقت الذى ظهر فيه محمد عليه السلام ، لسجل القرآن هذه الظاهرة ، والواقع أن القرآن ينص على عكس ذلك ، نعى على أن الله « أوحى » إلى محمد باتباع ملة إبراهيم . فى سورة النحل بعد قوله تعالى : « إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ،

مَنْ وَحَى الْقُرْآنَ "قَصِيدَةً"

لِلأستاذ حسن جاد

يا ساقى الأرواح من كساته السحر كالسحر في ألفاظه
روحي فداك فهاك جامك هاته والجرس أحلى الجرس في نبراته
واسكب غناك في مسامع مهجتي أعياء العقول معانياً ورامياً
يشد الفؤاد على صدى رناته ورمي فحول القول عن صهواته
رتله يا غرد السماء مفصلاً حسب النبي به دلائل حجة
تغنو النفوس إلى بليغ عظاته دكت صروح الشرك فوق مناته
يا من ندماه القلوب وراحه من كل بالغ حكمة أصغى لها
من كرمه الباري ومن جنته سمع الزمان وزنها لرواته
عطر به الدنيا ، فأية نعمة أو كل ذكر من جلالة قدسه
أندى من القرآن في نفحاته ؟ وجعل الفؤاد ولج في دقاته
وأشج القلوب به ، فأية نعمة أو كل رائع قصة تأثيرها
أشجى من القرآن في نفحاته ؟ راع الجحود وهز صلب قناته
واجل النفوس به فأية جلوة أو كل موعظة بكى من وقعها
أبهى من القرآن في آياته طرف العصي وتاه في هبراته
إن تسقى من كرمه تفتح لها اسمع لشدر الفش في ترتيبه
حجب السماء من الإله وذاته ينساب قدسياً على لهواته
* * * تحسب عصفير الربيع ترنمت
هين من الفصحى ونبع هداية في الروض واجتمعت على دوحاته
يشقى غليل الروح عذب فراته * * *

قفس من الرحمن يهذى من سرى دنيا من الجشع البغيض ، وعالم
 فى ظلمة الدنيا سنا مشكاته قد ضل بالاهواء فى غمراته
 يحيا به ميت القلوب بشاشته لو أنه أصغى إلى القرآن لم
 كالجذب أحيا الغيث ميت نباته ير ما يطب لدائه كأساته
 تغنى دسانير العباد ، وإنما هو طهر هذى الأرض من أضرارها
 دستورده ماض إلى غاياته وخلاص هذا الكون من آفاته
 يا باهنا روح السلام بهديه وزكاة ما فى النفس من أزارها
 ضل الانام عن السلام فهاته وشفاء ما فى الصدر من علاته
 الكون مضطرب الخواطر حائر ومشارع للحق والأخلاق فى
 تتعثر الآمال فى خطواته آدابه تحميه من عثراته
 صدفت عن النور الهى عيونه هودوا إليه لتستقيم حياتكم
 فتخبط فى الوم من ظلماته وخذوا الحقيقة من لسان دعائه
 يعدو القوى على الضعيف كأنه فأقل ما يدعو إليه سعادته
 ذئب ترصد فى الخفاء لثاته للعالم الملتاع من ويلاته
 من جاد حسن



الكتاب

عرض وتقديم : للأستاذ محمد عبد الله السمان

الجديد فيه ، وأشاد بالعلماء والمحققين
أن يتعاونوا على إخراج أكبر أثر للفراء ،
وهو كتاب ومعاني القرآن ، كما دعا إلى إصلاح
النحو العربي لتيسيره .

والباب الأول ثلاثة فصول : في الفصل
الأول عرض لعصر الفراء ، تناول الحياة
السياسية حيث نشأ العصر الذهبي وقامت
الدولة العباسية على أكتاف الفرس
وازدهرت الفنون والاضطرابات وتناول
الحياة العقلية حيث حدث احتكاك الأفكار
وامتزاج الثقافات ، وأخيراً تناول الحياة
الاجتماعية ، حيث أطل عليها ترف وسرف
وثرء ورخاء ، وامتزج الدم العربي بالدم
الفارسي ، كما امتزج الصلاح والفساد والهدى
والضلال ، وفي الفصل الثاني عرض المؤلف
للفارابي حياة ومكانا ، لحقق اسمه ولقبه
ونسبه ومولده ، ووفاته ، الموجود منها
والمفقود ، جملة وتفصيلاً ، كما عرض منهج

١ - أبو زكريا الفراء :

للدكتور أحمد مكي الأنصاري

أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة
هو موضوع الرسالة التي نال بها الدكتور
أحمد مكي الأنصاري من كلية الآداب جامعة
القاهرة درجة الدكتوراة في الآداب بتقدير
ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية
بطبع الرسالة على نفقة الدولة تمجيذا وتقديراً
وقد اهتم المجلس الأعلى لرعاية الفنون
والآداب والعلوم الاجتماعية بنشرها ، وقام
بطبعها في ستائة وخمسين صفحة

قسم المؤلف دراسته عن الفراء إلى بابين ،
تناول في الأول منها عصر الفراء وحياته
وآثاره ، كما تناول في الباب الآخر مذهب
في النحو واللغة ، وفي المقدمة الموجزة
للدراصة ، أشار المؤلف إلى موضوع البحث
رأهدافه ، ودوافعه ، ومهمته ، ومصادره ،
وفي الخاتمة ، لخص معالم البحث وأوضح

٢ — الغزو الفكري :

تأليف : محمد جلال كشك

نشرت هذا الكتاب الجاد الهادف مكتبة دار العرب بالقاهرة للأستاذ محمد جلال كشك .

والكتاب يقع في أكثر من مائة وأربعين صفحة من القطع المتوسط . وهو في إيجاز يناقش علاقة الإسلام بالثورة العربية ، ويفند المفاهيم المعادية للإسلام ، ويرى أن إسلامية الثورة الجزائرية هي الوضع الطبيعي للثورة العربية الشاملة ، ويتصدى لبعض النماذج المتأثرة بالغزو الفكري الاستعماري ، كما يكشف الستار عن الحملة الجديدة في الحرب الصليبية الأبدية بين الغرب والشرق والغرب هو قائد هذه الحملة ، ومن بين الأساطير لم يفت الكتاب أن يهتمك ستر حزب البعث ويعرى مفاهيمه التي لا مفهوم فيها .

في مدخل الكتاب يشير المؤلف قضيتين مهمتين . الأولى ، قضية وجودنا ، فيرى أن خروجنا للوطن العربي لم يكن رد فعل - حتى وإن بدا كذلك - بل حتمية تاريخية نابعة من وجودنا ، جاءت في توقيتها الطبيعي ، فنحن وبالتالي ثورتنا - ما دامت تعبر عنا - مصريون - عرب - مسلمون ، والعدوان الغربي على بلاد العرب منذ الحروب الصليبية ليس إلا امتدادا لهذه الحروب الطائشة ،

الفراء في التأليف وعوامل تأثره بالمنهج ، الفلسفي .

أما الباب الثاني فقد كان فصلين ، عرض المؤلف في الفصل الأول مذهب الفراء في النحو ، باعتبار المؤسس الحقيقي للمذهب البغدادي ، وكشف عن مظاهر النزعتين السكونية والبصرية عنده ، وأوضح آراءه في النحو ، وأثره في تيسيره ، وعرض في الفصل الثاني مذهب الفراء في اللغة ، مظاهر النزعة البصرية في مذهبه اللغوي ، ومظاهر استقلاله وجموده فيه ، ولا سيما الثروة اللغوية التي رواها .

وفي الخاتمة لخص المؤلف المعالم الكبرى لنتائج البحث وبيان الجديد فيه ، كما دعا إلى ضرورة مواصلة الجهود لإخراج أكبر أثر للفراء إخراجا كاملا إلى حيز الوجود ، وهو كتاب (معاني القرآن) وإلى التفكير الجاد في إصلاح النحو العربي وتيسيره .

وبعد — فإن الجهد الذي بذله المؤلف الدكتور الأنصاري في رسالته هذه ، استحق بحق تقدير اللجنة التي ناقشتها حين قالت : لقد أظفرنا هذا البحث بصورة واضحة المعالم عن حياة الفراء ، وتحقيق مفصل لطائفة من آثاره العلمية ، وقد أعانه استعداد أصيل عنده ومقدرة فائقة ، ثم صبر وثقوب فكير ومثابرة وجلد وغرام يوشك أن يكون هيأما .

الأرض - ليست لإعمال جميعها معاديا للثورة ثم مسرحيته جميلة التي لم يرد لها مأساة إسلامية مأساة اضطرهاد صليبي استمر مائة وثلاثين عاما ومارسه كأثوليك وملاحدة وشيوعيون ، ولم يرد لها مأساة عربية مأساة شعب عربي يحرم عليه التطور بلسانه ، لكي تمنح قوميته وهيمته . ما ، بل أرادها مأساة جواررية وكئي ...

أما الدكتور لويس عوض ، فقد سلط عليه المؤلف أضواء مشتعلة حين ناقشه في مسرحيته (الراهب) وكتابه (المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي) وفي رأيه أن المسرحية والكتاب ترفضان كل قيم الأدب العربي أو الفكر الإسلامي ، لأنهما يمثلان أوضح صور الغزو الفكري الاستعماري .

الحق أن في الكتاب جرأة وعظما وتحديا وربما لجأ المؤلف أحيانا إلى السرعة في مناقشة بعض القضايا ، ولكنه على كل حال استطاع أن يترك قناع كتاب يتقايأون في كتاباتهم أحقادهم على العروبة والإسلام ، باستثناء عبد الرحمن الشرقاوي وقد أصابه من المؤلف ما يشتم منه رائحة الغلو والإسراف .

والعجيب أن الأستاذ أنيس منصور تناول هذا الكتاب بقسوة واتهم المؤلف بأنه قاض ينطق بالأحكام وليس تحت يديه مستندات ، بينما مستندات الكتاب واضحة في كل قضاياها

وكيف ننسى ما قاله السوردي إنبي في عقب الحرب العالمية الأولى (لقد انتهت الحروب الصليبية الآن) بعد أن اطمأن إلى الفضاء على آخر معقل للإسلام ، وهو الخلافة الإسلامية ؟ بل وكيف ننسى أن وكالات الأنباء الاستعمارية خلال فضال الجزائر كانت تشير إلى أنه قتل من الجيش الفرنسي كذا ، ومن المسلمين كذا ، وأكثر من هذا - كما يذكر المؤلف - أن مقبرة خلال فضال بور سعيد عام ١٩٥٦ كتب عليها الفرنسيون (عشرون مسلما) . أما القضية الأخرى فهي الخلاف الحضاري ، وهو في رأى المؤلف خلاف حتى بين حضارتنا والحضارة الغربية أساسه الخلاف العقيدى .

وأبرز ما في الكتاب وأعنفه معا مناقشة المؤلف لبعض النماذج التي رآها متأثرة بالغزو الفكري الاستعماري ، ومن هذه النماذج الدكتور مصطفى محمود لدأبه على النيل من الدين والدين ، وعقده شغفه بإغالة المسلمين من جانب ، ومن جانب آخر لكي يبدو أمام القراء بمظهر الكاتب التقدمي ، ثم غالى شكركى الذى لا يسلك الإسلام في عداد التراث الإنسانى ، ولا يعتبر المسلمين عنصرا لا بد من إضافته في وضع قوانين عامة للجنس البشرى ، ثم عبد الرحمن الشرقاوي الذى أن أهم ادعاء له بالثورية - وهي قصة

وهيب الكتاب بعد ذلك عنايته بأمثال غالى شكوى ، وهو أضعف وأهون من أن يكون الرد عليه موضوعا فى كتاب ، إلا إذا جاز لنا قد أن يصوب مدفعا رشاشا على ذبابة قطن فى مجالاتها ، وعيب آخر فى الكتاب كثرة الأخطاء اللغوية ، ولو أن هذا وذلك لم يفقد الكتاب قيمته الأدبية ، وهو يمثل وجهة نظر إسلامية وعربية معا .

* * *

فى صحبة العقاد

للأستاذ محمد طاهر الجبلاوى

هذا الكتاب الذى أصدرته مكتبة الانجولو المصرية - يقع فى مائتين وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف أقدر أصدقاء العقاد على الكتابة عنه . فقد صحبه كاتبنا قوى الحجة ناصع البيان ، وشاعرا رقيق الحس رفيع الخيال ، وصحبه صديقا حميا ، ولازمه فى الغدوات والروحوات نيفا وأربعين سنة ، وهو يقرر فى تمهيدته للكتاب بأن كتابه لن يكون تعريفا بالعقاد كما قد يقادر إلى الذهن ولا درسا لأدبه وحكمته ، ولكنه صفحات مطوية لعلها تنشر لأول مرة ، يسجل فيها ذكريات غاليات عن الحقبة التى لازم فيها العقاد .

يحدثنا الأستاذ الجبلاوى عن أول لقاء له مع العقاد وكان ذلك فى عام ١٩٢٢ ، بدار

صحيفة الاخبار اليومية ، لينشر بها أبياتا نظمها الشاعر حافظ ابرهيم فى تقرير ديوان صغير نظمه ، وقلب المرحوم المازنى بعض صفحات الديوان فزم شفته وهز رأسه ، ولم يكتف بأن الشعر لم يعجبه بل قال لا يستحق النقد ، وسنحت الفرصة مرة أخرى ليلقى العقاد فى قهوة متاتيا بالأزبكية ويعرض عليه نماذج من شعوه المخطوط ، وكانت نصيحته له : إن الشعر شيء آخر غير الديباجة الحسنة ، الشعر أن تحس وتعبر تعبيراً جميلاً عما تحس - وكان مما أشار به عليه أن يقرأ كثيراً من الكتب ، ويعقب الأستاذ الجبلاوى بقوله : كان المازنى على حق ، ولكنه كان حقا سلبيا ممتا ، وكان العقاد على حق ، ولكنه كان حقا إيجابيا مفيداً . حدثنا المؤلف عن العقاد فى نشأته ، وفى المدرسة حيث كان فى حياته مدرستان : مدرسة التعليم الابتدائى ليمتلىق التعليم على أيدي أساتذة مفروضين ، والمدرسة الأخرى مدرسة الكتاب وقد اختار أساتذتها بنفسه ، وقد كانوا جميعا من جلة المؤلفين المشهود لهم بالسمو وحدثنا عن العقاد فى الوظائف ، حيث اشتغل بوظائف الحكومة وبألة ريس ، فى المدارس الأهلية ، ولكن لم يطل أمد اشتغاله بأى منها ، فكان يرى فى وظائف الحكومة قيذا وخضوعا ،

كلية واحدة أريد أن أقولها : ذكريات العقاد مع الجبلاوى أكبر عشرات المرات من هذا الكتاب ، وربما كان عذر المؤلف أنه ليس من اليسير أن يسكتب كل أسرار العقاد ، ولكن أسرار العقاد أصبحت جزءا من تاريخ العقاد ، بل جزءا من تاريخ الأدب والسياسة في مصر في أكثر من نصف قرن .

كتب جديدة

رجال مول الرسول

للاستاذ خالد محمد خالد

دار الكتب الحديثة - القاهرة

اختار المؤلف عشرة من أصحاب الرسول السابقين إلى الإسلام ، وعرض شخصياتهم عرضا تحليليا في أسلوب أدبي رفيع ، مسلطا الاضواء على مركز العظمة في كل شخصية ، منهم مصعب بن عمير أول سفراء الإسلام ، وسلمان الفارسي الباحث عن الحقيقة ، وأبو ذر زعيم المعارضة ، وعبد الله بن عمر المثار بالأواب ، ومعاذ بن جبل أعلمهم بالحلال والحرام .

مسى أديبة الشرق والغروب

للاستاذ محمد عبد الغنى حسن

عالم الكتب - القاهرة

يقع الكتاب في حوالى ثلثائة وأربعين صفحة ، وهو دراسات عن مسى زيادة الأديبة المعروفة ، ودورها في ميدان الأدب ، وقد (البقية على صفحة ٣٨١)

وفي وظائف التدريس فوضى وخفوطا ، كما حدثنا عن العقاد رافع راية التجديد في عصر اعتمد الشعر فيه على المحاكاة وتقليد المتقدمين في استعراض الديباجة الحسنة والقوالب الرصينة قبل أن يستعرض المعاني والاحاسيس ، وعن العقاد الصديق ، ثم قدم نماذج من أشعار وأزجال تبودلت بين المؤلف والعقاد في رسائل .

كما حدثنا المؤلف عن العقاد السياسى الذى اشتغل بالصحافة لأنها عمل وطنى يقيح لصاحبه أن يدافع عن وطنه ميدان السياسة ويزود منها أعداء الحرية والاستقلال ، وعن العقاد في بيته حيث عاش المؤلف معه في بيته لاهيا وبرما صاخيا ، وراضيا عن أناس تارة وساخطا على أناس تارة أخرى ، أما المرأة في حياة العقاد فيذكر الأستاذ الجبلاوى أنه حين سأل العقاد لماذا لم تزوج ؟ فأجاب بأنه لا يكره الزواج ولا يباه ، ولكنه طبع على أنه لا يشارك أحد في حياته لأنه لا يطيق هذه المشاركة . ومع ذلك فلم يخل قلبه من حب المرأة فقد شغل بالحب في صباه الباكر وذاق عذوبة القرب ومرارة الحرمان ، وفي الفصل الأخير حدثنا المؤلف عن أخلاق العقاد عن شعره الذى ارتسمت فيه شخصيته وتبينت صفاته ، ومن أبرزها قوة شخصيته وصلابتها واحتمالها للشدائد .

انبثاء وآراء

الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

صدر قرار جمهوري في الأسبوع الأخير من شهر يوليو الماضي بتعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخاً للأزهر، ويعتبر فضيلته الشيخ التاسع والثلاثين في تعداد شيوخ الأزهر، ومن الجدير بالذكر أن منصب شيخ الأزهر شاغر منذ ١٣ ديسمبر الماضي إثر وفاة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت.

وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون من مواليد عام ١٨٩٤ بحى الخليفة بالقاهرة، وظل يعمل في مناصب القضاء بمصر والسودان خمسة وأربعين عاماً، وفي عام ١٩٤١ عين قاضياً لقضاة السودان وظل في منصبه ست سنوات عاد بعدها إلى القاهرة - بعد موقفه الوطني المعروف - رئيساً لمحكمة مصر الابتدائية الشرعية، ثم عضواً في المحكمة الشرعية العليا ثم نائباً لها ثم رئيساً، وفي عام ١٩٥٥ عين مفتياً للديار المصرية خلفاً لصاحب الفضيلة الشيخ حسنين مخلوف إلى أن أُحيل إلى الاستിاداع. وكان أن صدر القرار الجمهوري في أواخر شهر يوليو الماضي

بتعيينه إماماً أكبر وشيخاً للجامع الأزهر. وينص قانون تطوير الأزهر الذي صدر في يونيو ١٩٦١ على أن شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشؤون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام، وله الرئاسة والتوجيه في كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية، ويرأس المجلس الأعلى للأزهر.

هذا وبجدة الأزهر إذ تهيئ الإمام الأكبر بهذا المنصب الكبير تسأل الله عز وجل أن يكتب له التوفيق في رسالته الإسلامية الكبرى، فلم تزل الشعوب الإسلامية قاطبة تنظر إلى الأزهر الشريف باعتباره مناراً للإسلام ورافعاً لواءه وذامداً عن حماه، والذي يجب أن يناط به وبعلائه الأجلاء الوقوف ضد تيارات الإلحاد وموجات التشهير في معظم بلاد المسلمين، ولإثبات وجوده للإسهام في إقرار السلام العالمي إزاء هذه القلاقل الموزعة بين أركان العالم تهدد السلام وتندثر بشرر حرب عالمية ثالثة. أمد الله في حياة الإمام الأكبر وكتب للأزهر في عهده ما يرجوه من نهوض وتقديم يليقان بمكاته ٩.

مدير جامعة الأزهر

كان لصدور القرار الجمهوري في ١٤ يوليو الماضي بتعيين العالم الأديب فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري مديراً لجامعة الأزهر هزة سرور غمرت الأوساط الأزهرية وغير الأزهرية .

والذي لا شك فيه أن الجامعة الأزهرية في تطورها الجديد - حيث أريد لها أن تدخل معترك الحياة في شتى ميادين المعرفة ، كانت في حاجة إلى عالم أديب كالشيخ الباقوري ، عرف عنه بالإضافة إلى علمه ، سعة أفقه ، ومرونة تفكيره ، وتمتعه بطاقة كبرى من الحيوية والنشاط .

ومجلة الأزهر إذ تهنئ الشيخ الباقوري بهذا المنصب الرفيع ، تهني جامعة الأزهر بابن من أبنائها ، سيب لها كل يملك من طاقات وجهود في سبيل النهوض بها .

* * *

مدير مجله الأزهر

سافر في الأسبوع الأول من شهر سبتمبر الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات مدير مجلة الأزهر إلى أسبانيا حيث يجري له طبيب العيون العالمي الدكتور باراكهر عملية جراحية في عينه في مستشفى بيرشلونة .

والمجلة تسأل الله سبحانه أن توافقه السلامة في ذهابه وإيابه ، وأن يكمل العملية بالنجاح .

أهم رم للدريج أسم نجم بره ؟

بمناسبة ما ينشره الدكتور محمد أحمد خلف الله مدير إدارة المجلات التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد تحت عنوان : « التجديد الديني » ، أبعث بهذا إلى قادة الفكر الإسلامي مستفسراً عن مدلول عبارة « التجديد في الدين » ، لأنها أصبحت تذهب اليوم تفكير عدد من الناس .

وهل يفهم من هذا التجديد تجديد رسوم الدين الذي أبلاه المتبدهون والمصابون بالتحول الذهني في عصور الانحطاط ، كما فعل حجة الإسلام الإمام الغزالي في إحيائه المتدفق بالروح والريحان ، ومحمد إقبال في محاولاته التجديدية ، أم هو محاولة لتفتيت الأحكام الشرعية ، المبنية على أسرار عظيمة لا يدركها إلا الذين امتزج إيمانهم بالإخلاص ؟

أظن - وليس كل الظن إثمًا - أن الحقيقة المصعبة لا ترتبط بالآخر ، الذي يتناول به المتناولون على الإسلام :

فانظر إلى الآخرين من أديانها شياً بوالده فذاك المساجد

أين الحدود من العيون نفاسة
ورياسة لولا القياس للفاصد

ومهما يكن من أمر فإنني أهيب بقيادة الفكر الإسلامي أن يواجهوا هذا التطاول

والأسبوعية على الأخص تعيش في راد بعيد
عن حاضرنا ومستقبلنا ، فلم تزل تواصل نشر
الآداب المكشوف ، وتشجع الانحلال الخلقي
باسم المدنية والحرية الشخصية ... ومثل هذا
الآداب الحرام - كما أسماه أستاذنا الزيات -
ينخر في كيان شبابنا الذي نحن في أمس
الحاجة إلى رجولته وإيمانه إن لم يكن
اليوم ، فلا بد أن يكون في الغد القريب ...
محمد ربيع عبد المجيد
مدرس بأسوان

* * *
* انقذ مؤتمر القمة العربي الثاني بقصر
المنزة بالإسكندرية من ٥ - ١١ من شهر
سبتمبر ١٩٦٤ ، وقد تحققت هذه الدورة
إنجازات جديدة في دهم التضامن والعمل
العربي المشترك .

هذا وقد اتخذ المؤتمر القرارات الكفيلة
بتنفيذ المخططات العربية ، وخاصة في المجادين
العسكري والفني ، بداية العمل الشورى
في المشروعات العربية باستغلال مياه نهر
الأردن وروافده ، ومنها قيام منظمة
التحرير الفلسطينية دعماً للكيان الفلسطيني ،
ومنها تصفية الجو العربي ، وتأبيد كفاح
الشعوب ضد الاستعمار ، وفي مقدمتها شعب
الجنوب العربي ، ومن هذه القرارات أيضاً
تأليف مجلس عربي مشترك للبحوث الذرية
للأغراض السلمية في نطاق الجامعة العربية
وإنشاء محكمة الدول العربية .

على شريعة الإسلام ، وقد بدرت بوادر طيبة
نرجوها لها المزمدة .

صالح بن أحمد السنغالي
بالدراسات العليا - الأزهر الشريف
* * *

هاجتنا إلى شباب حاد :
كما أن الأمة في حاجة إلى حكمة الشيوخ ،
هي في حاجة أيضاً إلى فتوة الشباب ، ولقد
كانت الأمة الإسلامية بشبابها الجاد مهيبة
الجانب ، منذ فجر انطلاقتها لنشر دعوة
الحق ، والوقوف إلى جانب الشعوب المغلوبة
على أمرها في فارس وغيرها ، ولو شئت أن
تقاسم : ما السر وراء هذه الانتصارات
المذهلة مع الفائق بين القوتين ، لايقنت بأن
من وراء هذه الانتصارات شباباً جاداً لم
يعرف العيب في حياته ، شباباً وهب كل
حياته ووجوده لمقيدته وإيمانه ...

والعروبة اليوم تقف في مفترق الطرق ،
تتحدى قوى الاستعمار غير وجلة ولا هيابة ،
وتصر على أن يحمل هذا الاستعمار عصاه
ويرحل من كل شبر في أرض عربية ، وربما
اضطرت العروبة إلى مواجهة الاستعمار مرة
أخرى كما سبق لها أن واجهته في بورسعيد ،
والواجب يحتم علينا أن نكون على أهبة
الاستعداد ، وأن نهيم شبابنا إلى خوض
المعركة ومعه رجولته وإيمانه .

ولكن المؤسف أن بعض صحفنا

بمستوى تدريس مادة الدين في المدارس بتخصيص ٢٥ ٪ من النهاية الكبرى لدرجة الدين من النسبة المخصصة لأعمال السنة اسلوك الطلاب في المجالات المدرسية المختلفة يقدرها رائد الفصل وتوفير مكان لائق في كل مدرسة لإقامة الشعائر الدينية وتزويد المكتبات المدرسية بما يحتاج إليه من كتب في شق النواحي الدينية وتنظيم مسابقات بين الطلاب في الموضوعات الإسلامية .

* * *

* من الأخبار العلمية أن البحرية الأمريكية استطاعت أن تصمم منزلا كاملا لأربعة من العلماء يعيشون داخله في أحماق المحيط حيث اتجهت الأبحاث التي تجرى الآن إلى استقلال المساحات الشاسعة ، ومن الجدير بالذكر أن المحيطات في العالم تشغل ما يقرب من ثلثي المساحة الكلية للكرة الأرضية .

* أصدرت الأمم المتحدة منذ أسابيع كتاب التعداد السنوي ، وذكر أن تعداد سكان العالم يتزايد بمحوالى ٦٣ مليون نسمة سنويا على الأقل نتيجة ارتفاع المواليد عن الوفيات ، هذا ويقدر عدد سكان العالم في الوقت الحاضر بمحوالى ثلاثة آلاف وربع مليون نسمة وسكان الصين الشعبية وحدها يمثلون ٢٠ ٪ من سكان العالم .

السحر

هذا وقد ووفق أن ينعقد مؤتمر القمة العربى في شهر سبتمبر من كل عام ، وسيكون انعاده في العام القادم في المغرب العربى إن شاء الله .

* بدأ الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر دراسة المشروعات الجديدة في الخطة الخمسية الثانية مع كبار المسئولين في إدارة الأزهر وتبلغ تكاليف هذه المشروعات حوالى خمسة ملايين جنيه ، وفي مقدمة هذه المشروعات : إنشاء مجمع جديد للأزهر على مساحة خمسة عشرين ألفا بالدراسة يضم جميع الأجهزة الفنية والإدارية وإدخال التعليم الفنى الأول مرة في الأزهر ، وإقامة مبنى جديد للمعهد النموذجى للبنين ، ومبنى آخر لمعهد القاهرة ، ولأول مرة كذلك تقرر إنشاء خمسة وعشرين مدرسة ابتدائية لقبول الأطفال من سن السادسة .

* * *

* تدرس وزارة الأوقاف حاليا مشروعا يهدف إلى مساعدة الطلبة على التقدم العلمى عن طريق تنظيم دروس إضافية لطلبة الكليات العلمية بالجامعات وطلبة الثانوية العامة تبلغ ، تكاليف المشروع نحو ٨٧ ألف جنيه ويستفيد منه ٣٠٠ طالب جامعى و ٢٠٠ طالب ثانوى .

* * *

* قررت وزارة التربية والتعليم النهوض

فتاوى مخنثة

نقدم : ابراهيم محمد الرصيل

(الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر)

- قراءة القرآن لدى القبر - الوليمة - الأدعية -
 هل للصلاة سورة خاصة - البيع بالمسجد -
 كتابة القرآن والحديث بالحروف اللاتينية -
 التصوير - الاشتغال في حانات الخمر ،
 وزراعة موادها الأولية .

الأسئلة :

- ١ - هل يجوز قراءة القرآن حول القبر ،
 ما حقيقة تدفين الميت بمدفنه ؟
 - ٢ - أيجوز للمسلم أن يولم كالأفريقي ،
 أم أن اتباع نظامهم في حفلات الرفاق ؟
 - ٣ - هل توجد أدعية خاصة للشهور
 الأخرى كما في نصف شعبان ورمضان ؟
 - ٤ - أجعل الله سوراً من القرآن خاصة
 للصلاة من الصلوات الخمس ؟
 - ٥ - أصبح من المؤلف أن نرى بعض
 الباعة يزاولون عملهم في بيوت الله ، ما الحكم
 في هذا ؟ ولدينا الآن أوراق اليانصيب تباع
 في كل مكان فما حكم الإسلام فيها ؟
 - ٦ - هل يجوز قراءة القرآن في المآتم
- كما يفعل الناس الآن ، وهل ورد من السنة
 شيء في هذا ، وهل يثاب الميت بالقراءة ؟
- ٧ - هل للصلاة التراويح دعاء خاص
 يدعو المصلي بعدها ؟
- ٨ - هل يجوز كتابة القرآن أو الحديث
 النبوي بالحروف اللاتينية ؟
- ٩ - ما حكم التصوير ، والمصور في الإسلام
 أحرام أم حلال ؟
- ١٠ - في حياتنا الراهنة نرى بعض
 المسيحيين يساهمون في بناء المساجد ويبادلهم
 المسلمون نفس الشعور ويساهمون في إقامة
 الكنائس فما حكم الدين في هذا ؟
- ١١ - المسلمون غزوا ميدان العمل
 واشتغلوا في كل شيء حتى حانات الخمر
 ما الحكم لها أو عاملين فيها وتجاوزها البعض
 إلى زراعة مواد إنتاجها فما حكم الدين
 في هذا ؟
- إسحاق أجاكسوزي الأوغندي
 (الرابطة الإفريقية بالزمالك)

والأوقات لا مانع من استعمالها والأخذ بها متى ثبتت .

عن الرابع : نفيده بأن المطلوب قراءة السورة أو بعضها بعد الفاتحة أية سورة كانت من القرآن وتحصل بذلك السنة والأكل أن يقرأ في الصبح والظهر بطوال المفصل الذي أوله سورة الحجرات وآخره آخر النازعات وفي العصر والعشاء أو اسط المفصل وأوله سورة هبس وآخره آخر الليل ، وفي المغرب قصاره وأوله والضحي إلى آخر القرآن كما أن الأفضل أن يقرأ في صبح الجمعة بألم تنزيل وهل أتى ...

عن الخامس : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك وإذا رأيتم من يشتد فيه ضالة فقولوا لا ردّها الله عليك ، وحسنه الترمذى ، من هذا يعلم أن البيع والشراء وطلب الضالة في المسجد حرام) قال تعالى : **وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، فالماجد بنيت للعبادة .**

أما أوراق اليانصيب فإن بيعها من باب اللعب بالميسر يمنع مطلقا فإن حصل ذلك في المسجد كان أغلظ ، فإن الله تعالى حرم الميسر بنص القرآن حيث قال : **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب**

المجواب :

عن الأول : نفيده بأن قراءة القرآن للبيت جائزة شرعا ويكون ثوابها له متى كان القارى قد وهبها له ، ويكون للقارى ثوابه على ذلك .

وسواء أكانت القراءة عند القبر أو بعيداً عنه ، وهذا عند كثير من الأئمة ، كما تنفعه الصدقة والدعاء له بإجماع العلماء .

ويجوز كذلك تلقين المريض في حالة الاحتضار وتلقين الميت بعد دفنه كلمة الشهادتين وعقيدة الإيمان ويكون التلقين في حالة الاحتضار برفق ، وتلطّف حتى لا يسأم المريض في هذه الحالة العصبية .

عن الثاني : نفيده بأن الوليمة في العرس مستحبة شرعا ويدعى إليها بلا تفرقة بين الأغنياء والفقراء ويجب ألا تشتمل الوليمة على شيء محرم كشراب ما يسكر أو اختلاط الرجال بالنساء أو الرقص أو نحو ذلك وإلا كانت حراما .

عن الثالث : نفيده بأن الدعاء مطلقا مشروع قال تعالى : **و قال ربكم ادعوني استجب لكم ، وقال تعالى : و إذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، وفي الحديث الدعاء مخ العبادة .** وقد وردت أدهية مأثورة في بعض المراسم

ومساهمة الكافر في بنائها لا مانع منه ويخفف عنه بها من عذاب غير الكافر ، أما بناء الكنائس فخرام وأفظح في الحرمة أن يسلم المسلم في بنائها .

وعن الأخير : نفيد بأن صنع الخمر والاتجار بها بيعا أو شراء حرام شرعا يأثم عليه مرتكبه أما زراعة المواد التي يتخذ منها المسكر أو المخدر فإذا كانت لا تصلح إلا لذلك فزراعتها بمنوعة فإن صلحت لغير الإسكار كالغلب مثلا يتخذ الأكل كانت الزراعة مباحة .

حكم الزواج العرفي المستوفى لشروط

العقد الصحيح

السؤال :

تزوج رجل بامرأة بعقد عرفي مستوفى بجميع شروط عقد الزواج الشرعية فما حكم هذا الزواج ؟

عبد اللطيف حلیم

الجواب :

حيث تم عقد الزواج بإيجاب وقبول شرعيين وبحضور شاهدين شهدا على ذلك فقد صح العقد شرعا ووجب الصداق وترتبت عليه آثاره من لزوم النفقة والحق النسب والتوارث بينهما - إذا مات أحدهما - إذا لم يقرن

والإلزام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .

وعن السادس : نفيد بأن قراءة القرآن مطلقا عبادة يثاب عليها القارئ والمستمع فإذا كان ذلك في المأثم كما يفعل الآن فلا مانع منه ويستفح الميت بالقراءة إذا قرأ بقصده أو قرأ عنده أو وهب ثواب القراءة له .

وعن السابع : نفيد بأن صلاة التراويح كغيرها من الصلوات يدهو الله تعالى بعدها بما يدعو به بعد غيرها من الصلوات .

وعن الثامن : نفيد بأنه لا تجوز كتابة القرآن بالحروف اللاتينية وكذا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، صيانة للنصوص الشرعية عما لا يؤمن معه الخطأ في مدلولها المقصود ولا مانع من تفسير القرآن والحديث وترجمة التفسير بغير اللغة العربية للاستفادة .

وعن التاسع : نفيد بأن التصوير لغير ذي الروح من الأشجار والأزهار والمباني وغيرها جائز وكذا لغير الروح إذا كان بهيمة لا يعيش بها وإذا كان لغرض التثقيف كان أولى بالجواز فإن كان بهيمة يعيش بها كان حراما .

وعن العاشر : نفيد بأن بناء المساجد مشروع قال تعالى : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ... الآية »

عداء وبغضا مستحكين بينهما من الصغر ،
فأسقط في يده .

وأخيرا امتنعت عن تسليم نفسها لابن عمها
كما أصر هو من جانبه على ألا يطلقها فالحكم
لإختلاف آراء العلماء في جنوب الجزيرة
الروبية .

أبو بكر أحمد حسين الريدوسي

الجواب :

العقد المستول عنه في هذا الاستفتاء صحيح
فإن والد الفتاة له الحق في تزويجها من غير
استئذنها باعتباره والدها المجر لها ، دون

توقف على رأيها كما هو في مذهب مالك والشافعي
وأحمد رضي الله عنهم وفوق هذا فالدها
تابع السنة النبوية وأخبرها ، واستأذنها
في تزويجها من هذا الحاطب فأذنت بقولها
« الرأي في ذلك لوالدي ، وذلك صريح
في الإذن والتوكيل كما هو المطلوب في مذهب
أبي حنيفة .

وبهذا صارت موافقة ، وصار العقد سليما
من كل شعة وعليها أن تسلم نفسها للزوج .
وأما ما يقال بعد ذلك من أنها على خلاف
سابق منذ الصغر مع هذا الزوج فهو غير
مانع من صحة العقد السالف لأن هذا كلام
غير جدي فيما يظهر .

وهي فرض صدقها فيه فقد أذنت ،
وأذنها سابقا يسقط حقها في الاعتراض بعد
فوات أوانه .

ذلك بمانع شرعى غير أن عدم توثيق هذا
العقد رسميا أمام المأذون أو في محكمة الأحوال
الشخصية يجعله عرضة للإنكار إن لم يكن
عن الزوجين فيها بينهما فقد يكون ممن يطلق
على ذلك من غيرهما وإن كان قد كتب بذلك
ورقة عرفية فهذه الورقة عرضة للضياع
وهرضة لعدم الاعتراف بها أمام القضاء
خاصة إذا مات الشاهدان اللذان وقعا
على هذه الورقة هذا فضلا عما قد يقترن بذلك
من احتمال إنكار الولد وضياع نسبه إن حصل
لإنجاب ولد بينهما .

حكم عفر زواج البكر إذا استؤذنت
وأفادت بما يفهم منه القبول وظهور
العكس .

القول :

بفت تبلغ العشرين من عمرها أراد والدها
أن يزوجه لابن عم لها فأرسل إليها والدتها
وبعض أقاربها النسوة ليخبرنها عن ذلك
فكان ردها « الرأي في ذلك لوالدي ، غير
أنها أبدت بعد ذلك انكاشا وأصبحت
تبسكي ليل نهار ، وقد حمل أهلها ذلك على
أنها عادة تعودت البنات العذارى عليها عند
ما يبلغن من مثل هذا الخبر .

ومضى الوالد وعقد لها على ابن عمها هذا ،
وبعد انقضاء مراسم الزواج بعدة أيام ظهر
لوالدها ما لم يكن يعلمه من قبل ، ظهر أن هذا

نعملي :

أما إذا تأكد لديه استحالة ذلك فدفعاً للضرر وتجنباً لما قد يؤدي إليه مثل هذا الزواج من غالفات دينية أنصح بعدم إتمامه ودين الله يسر وما جعل عليكم في الدين من حرج والحشية مما يصاحب فهم العقد من أقاويل تمس الزوج وتعقد حياته - الأمر الدافع على إصراره كما يبدو - هذه الحشية تدفعها خشية أشد من مصائب أنكى يأتي بها إصراره على التمسك بحياة زوجية لا تجاوب فيها والله الموفق .

ابراهيم محمد الأصيل

العقد - من وجهة نظر الدين بالتفصيل الذي ذكرته لجنة الفتوى الموقرة - صحيح ما في ذلك شك ، غير أنه يجدر القول هنا إن حكمة الأب عليها معول كبير ؛ إذ واجبه يدهوه لأن يدرس - مباشرة أو بشبب - ميول ابنته بتمعق ، فإذا وجد أن أسباب السكرامية مما يزول مع الأيام فليتطف معها بالقول الهادئ والنصيحة الأبوية الرقيقة حتى قلبها أن يتفتح لزوجها فتشاركه حياة لا تقصها السعادة .

(بقية المنشور على صفحة ٣٧٢)

هذه هي الطبعة الثانية من الكتاب الذي احتاز بعرضه ألواناً من الخطب العصرية المتصلة بحياتنا السياسية والاجتماعية ، ثم بتقديمه نماذج لدروس الوعظ من التفسير والحديث .

الحب عمر العرب :

للعلامة أحمد تيمور

لجنة نشر المؤلفات التيمورية

هذا الكتاب يفشر لأول مرة ، وهو من المخطوطات القيمة التي تقناول الحب في أرفع معانيه وأسنى اتجاهاته ، من حقل الأدب العربي شعراً ونثراً وقصة .

محمد عبد الله السمره

سبق للؤائف أن أصدر كتاباً عن (م) عام ١٩٤٢م إلا أن الزيادات الكثيرة التي أضافها للطبعة الأولى جعلت كتابه الأخير هذا جديداً بحق .

يوم العرب :

للأستاذ مصطفى نعمان البدرى

مكتبة دار العروبة - القاهرة

محاكاة شعرية في تمثيلية تقع في ثلاثة فصول قصيرة ، وهي تصوير لمهرجان الوحدة العربية ، وقد راجعها الأستاذ عادل غضبان .

ومى النهضة الوطنية :

في الخطب المنبرية

للأستاذ الشيخ على رفاعى

مكتبة صبيح بميدان الأزهر

في محيط العالم الإسلامي

بغداد : محمد عبد الله السامح

بين باكستان والهند :

سافرت في الأسبوع الأول من شهر سبتمبر إلى باكستان بعثة هندية غير رسمية برئاسة نارايان ، وهو زعيم سياسي مستقل عن الأحزاب ، للعمل على تحسين العلاقات بين البلدين ، وقد اجتمعت البعثة مع الرئيس الباكستاني أيوب خان .

ومن المعروف أن مشكلة المشكلات بين الهند وباكستان هي مشكلة كشمير .

قضية عمان :

بدأت لجنة التحقيق في تطورات عمان في أول سبتمبر مهمتها في الاستماع لأراء ممثلي عمان في الشرق الأوسط وهذه اللجنة الخاسية تابعة للأمم المتحدة برئاسة عبد الرحمن بازواك مندوب أفغانستان ، وقد تنقلت من الدمام إلى الكويت إلى القاهرة هذا وقد رفضت بريطانيا السماح لأعضاء اللجنة بزيارة إمارة عمان نفسها ، مما اضطرها إلى عقد مؤتمرات في لندن .

بين أندونيسيا وماليزيا :

لم يزل النزاع بين أندونيسيا واتحاد ماليزيا على أشده ، حتى أوشك أن يهدد باندلاع السنة الحرب بينهما ، ولا سيما بعد تسلل فدائيين أندونيسيين إلى سنغافورة والملايو وهما عضوان في الاتحاد ...

وعلى الرغم من أن أمريكا نصحت بريطانيا بعدم العمل على إشعال حرب ، إلا أنه قد تحركت منذ أيام قوات وسفن وأسلحة بريطانية لمواجهة الفدائيين الأندونيسيين التي أصبحت تمتد الآن من بورنيو إلى قلب الملايو .

إن حوكانو رئيس جمهورية أندونيسيا يتهم الملايو بأنها كانت تشجع الثوار ضده في سوماترة عام ١٩٥٨ . ومن الجدير بالذكر أن اتحاد ماليزيا يضم ١٠ ملايين ، ويعتبره زعماءه محاولة للوقوف في وجه الشيوعية ، وقد تعهدت بريطانيا في اتفاقيتها بالدفاع عن ماليزيا .

شكل مارد جبار يعتقد أنه ذو أهمية دفاعية .

كشمير :

اعتقل باكش غلام محمد رئيس وزراء كشمير السابق بتهمة تأييد المنشقين على الحكومة ، كما اعتقل خمسة من كبار أعضاء البرلمان بمقتضى قانون الدفاع عن الهند .

وتواجه حكومة كشمير الحالية تهديدا بهزيمتها في المجلس التشريعى للولاية ، بعد أن اتخذ اثنان وأربعون من حزب المؤتمر القومى الحاكم قرارا بعدم تأييدها وقد اتخذوا هذا القرار — على حد قولهم — لأن حكومة غلام محمد صادق لا تستطيع إدارة البلاد بطريقة مناسبة .

ورئيس الوزراء المعتقل تولى رئاسة وزارة كشمير لمدة عشر سنوات خلفا للشيخ عبد الله الذى اعتقل عشر سنوات لمناهضة سياسة الهند فى كشمير ، ومن الجدير بالذكر أن كشمير ولاية يمثل المسلمون فيها ٨٠ ٪ .

المملكة العربية السعودية :

قررت وزارة المعارف السعودية فتح ٨٠ مدرسة لمحو الأمية بالإضافة إلى المدارس الموجودة حالياً .

وقد صرح وزير المعارف أن الوزارة حريصة على رفع مستوى جميع المعاهد والكتليات بالمملكة ، وتطورها بحيث

ومن الجدير بالذكر أن مشكلة عمان عرضت لأول مرة على الأمم المتحدة عام ١٩٥٧ عندما دعا مجلس الأمن لبحث العدوان المسلح الذى شنته بريطانيا ضد استقلال إمارة عمان ووحدة أراضيها ، وقد صرح بازواك رئيس اللجنة ، بأنه يجرى الآن إعداد دراسة كاملة لجميع المسائل المتعلقة بالقضية ، حتى يمكن اللجنة أن تستعرض الحقائق أمام الجمعية العامة فى ١٠ نوفمبر القادم . أما هذه اللجنة الخاصة فتتألف من أفغانستان والسنگال ونيجيريا ونيبال وكوستاريكا .

الجمهورية العراقية :

عثر فريق بريطانى أمريكى للآثار على أنقاض مدينة حصينة فى العراق يعود تاريخها إلى عام ١٨٠٠ قبل الميلاد ، وذكر الدكتور فروليقيش ريتى رئيس متحف جامعة بنسلفانيا أن هذه المدينة تعرف باسم « تل الرماح » وتقع إلى الشرق من الموصل بشمال العراق . هذا وقد ترأس فريق الآثار المشترك المستر دافيد أوتس من مدرسة الآثار البريطانية فى العراق والدكتور كارثر من متحف جامعة بنسلفانيا .

وقد ذكر الدكتور ديبى أن الفريق عثر على قلاع مرتفعة ودهاليز داخل المدينة المبنية من الطوب ، كما عثر فى الجانب المكشوف من مدخل المدرسة على تمثال له

الأمم المتحدة أن الجمهورية العربية المتحدة والمملكة السعودية قد أسهمت كل منها بـ ٢٨٥ ألف جنيه .

* قال سوكارنورئيس جمهورية أندونيسيا الإسلامية التي يمثل الإسلام بها أكثر من ٩٥ ٪ .

• أنا شيوعي ومتدين ووطفي ، :

وذلك في أثناء الاحتفال بضم وزيرين شيوعيين إلى حكومته التي يبلغ عدد أعضائها ٧٧ وزيرا .

يبلغ تعداد الحزب الشيوعي في أندونيسيا مليونين .

* قررت وزارة الأوقاف إنشاء أول مؤسسة عربية إسلامية لنشر الإسلام وتعليم العربية في آسيا وأفريقيا ، وسوف تبدأ هذه المؤسسة مهمتها بإنشاء عشرة مراكز في عشر بلاد آسيوية وأفريقية ، واعتمد لهذه المراكز مبلغ ٨٠٠ ألف جنيه ، وسيضم كل مركز مسجدا ومدرسة ووحدة صحية علاجية .

* عثر طالب ألماني يدعى هرمان تايزر في جزيرة رويجين في بحر البلطيق على قطعة من العملة العربية التي كانت مستعملة في عهد هارون الرشيد .

* تساهم الكويت بمبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه استرليني في بناء مركز إسلامي بلندن .

محمد عبد الله السامح

تساير منهاجها التطورات العلمية الحديثة ، وأن الوزارة ستواصل الاستعانة بالمدرسين من الاقطار العربية الإسلامية والأجنبية .

أصبح من المنتظر أيضا أن تنتهى جميع أعمال الهدم القائمة بمكة المكرمة لإنشاء الميادين الخمسة حول المسجد الحرام .

أخبار سرية :

* بدأ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، محاولة ترجمة تفسير القرآن إلى اللغة الفلبينية ، وأسندت هذه المهمة إلى مجموعة من العلماء مع الشيخ أحمد بطير أحد زعماء المسلمين في الفلبين ، وسوف يطبع من النسخة المترجمة عشرة آلاف ، في الفلبين ثلاثة ملايين مسلم .

هذا وقد قرر المجلس منح المسلمين الزوج بأمریکا عشرين منحة دراسية للطلاب المسلمين للتعليم بالأزهر الشريف خلال العام الدراسي الحالي .

* هاجت بعض صحف نيجيريا السيد أحمد بللو رئيس وزراء نيجيريا الشمالية بسبب تأييده للعرب ضد إسرائيل ، لأنه خلال زيارته للشرق الأوسط دعا إلى إنشاء جبهة إسلامية تشترك مع العرب في تحرير فلسطين .

* تمكفت بعثة الأمم المتحدة في اليمن ٧٠٠ ألف جنيه ، وأعلن يوثانت سكرتير

choses d'Islam en Particulier nous trouverons que de essais ont été faits au cours du xixe Siècle pour extraire les Préceptes moraux du Koran. Mais le cadre de ces essais est souvent très restreint, et le contenu en est loin de répondre rigoureusement à la vraie doctrine Koranique.

Pour ce qui est du cadre, non seulement on a omis le côté théorique de la question : aucun savant Européen n'a encore essayé de dégager du Koran ses principes éthiques généraux. Mais en outre, nul d'entre eux n'a eu le souci de formuler ses règles pratiques et de les présenter sous la forme d'une loi complète. Tout leur effort réside dans ce fait qu'ils ont groupé et traduit littéralement un nombre plus ou moins grand de versets Koraniques relatifs au culte et à la conduite.

C'est Garcin de Tassy qui nous semble avoir ouvert cette série des Extraits thématiques du Koran par un opuscule intitulé : "Le Korân : Doctrines et devoirs" (Paris 1840). Il fut suivi par le fèvre qui publia

en (1850) des morceaux choisis de la traduction de Savary sous le titre : "Mahomet, lois morale, Civiles et Religieuses" puis par Barthélemy Saint-Hilaire dans "Mahomet et le koran" (Paris Didier 1865).

Quant aux défauts de fond, ce la tient soit à une traduction incorrecte, soit à un mauvais compte-rendu, soit aux deux facteurs réunis. ceci se rencontre surtout chez Jules La Beaume dans son "Koran Analysé" (Paris maison-neuve 1878), qui est d'ailleurs l'œuvre analytique la moins incomplète.

Il nous a paru donc indispensable de reprendre le sujet et de le traiter suivant une méthode plus saine, en vue de rectifier ces erreurs, de combler cette lacune dans la bibliothèque Européenne et de montrer aux savants occidentaux le véritable visage de la morale Koranique. et ce fut en réalité notre lut essentiel dans le présent travail.

(Suit)

INTRODUCTION

“ Un ouvrage nouveau doit traiter exclusivement d'une des sept questions : une chose insolite à créer, incomplète à achever, confuse à éclaircir prolixie à resumer désordonnée à mettre un ordre, dispersée à réunir ou erronée à rectifier ” (1)

Ce sage précepte d'un savant azharien du XVII^e siècle garde toujours sa valeur et requièrr de chaque écrivain qu'il se conforme à sa chate.

Notre lecteur attentif aura l'occasion d'apprécier jusqu'à quel poir l'ouvrage que nous lui présentor aujourd'hui remplit ces conditions. Ce n'était pas pour perdre notre temps. Importuner nos l'ecteurs, charger nos bibliothèques, que nous avons entrepris ce nouvel ouvrage sur Le Korân ; et c'eût été le cas si notre œuvre n'apportait rien de neuf dans le monde oriental ou occidental.

I Etat an'érieur de la question.

Un regard rapide sur les traités de morale générale, écrits par des savants occidentaux suffit pour y apercevoir un vide bien large et bien profond, dû à leur silence

absolu sur la morale koranique ces traités nous entretiennent en effet plus ou moins longuement des principes moraux, tels qu'ils ont vus par le paganisme grec, puis par les religions suive et chrétienne mais une fois ces trois périodes parcourues, les voilà qui nous transmettent par un saut brusque aux temps modernes en Europe, laissant de côté tout ce qui touche la loi morale de l'Islam.

Et pourant l'apport koranique en ces matières est d'une valeur inestimable. l'histoire des doctrines éthiques y gagnera en étendue, en profondeur et en harmonie ; et le problème moral lui-même n'en oura que des profits. Pour résoudre ses difficultés, tant nouvelles qu'éternelles.

N'est-ce pas une perte immense qu'une telle doctrine soit ainsi omise et passée sous silence ?

Il est vrai que si, au lieu de chercher dans ces troites de morale générale, nous consultons les ouvrages européens qui traitent des

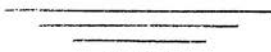
(1) Chams Ed-Dine ell Bâbili mort en 1077 de l'hégire, cité par moulla El-Mohbbi, Khoulassat el-Athr, fi Agâne el Karn El Hâdi achar T.IV.P. 41 (éd caire 1284 H)

Pourrais-je, après tout, broser, par ce rapide aperçu, la biographie d'un homme dont les inoubliables vertus vaudraient d'être rapportées dans un livre plus détaillé où serait mis en lumière un passe glorieux d'efforts et de luttes ? Je sollicite de Dieu tout puissant l'aide dans la mise en œuvre d'un pariel projet afin que ce livre puisse voir le jour très prochainement. C'est une dette dont je veux m'acquitter et

message que je me dois de repmlir.

C'est un grand honneur pour moi de présenter aux lecteurs de la revue "AL AZHAR", un ouvrage du grand maître et camarade, le regretté Dr. Mohamed Abdullah Draz. "La morale du Korân".

J'espère avoir l'occasion d'en faire un aperçu analytique, rendant ainsi d'hommage à l'oeuvre et à l'écrivain.



Il ne se laissa jamais décourager par les lourdes charges de sa famille dont chaque membre rêvait, un avenir digne et heureux. Il n'oublia point ses obligations envers son pays et envers l'Azhar, malgré les violentes cannonades et les vrombissements des bombardiers pendant toute la durée de la guerre mondiale.

Rien de tout cela ne l'empêchait de recevoir chez lui les membres des communautés musulmanes ou les visiteurs de passage venant des diverses parties du monde islamique. Il les accueillait avec aménité, les complait de prévenances et leur réservait la plus généreuse hospitalité.

Le jour où il obtint la licence, je me rappelle lui avoir posé cette question : "Quel profit avez-vous tiré de vos études à la Sorbonne?" "De la méthode dans l'enseignement et certains aspects de morale", répondit-il. "Quel serait le sujet de votre thèse?" repris-je. "La morale, fit-il, et plus précisément la morale du Korân".

Ce fut alors que j'appris que notre moniteur s'était attelé à sa thèse dès le premier jour de son arrivée à Paris. Il ne cessait de réciter le Korân, en ma présence, et je le voyais s'arrêter à chaque verset comportant un point de morale. On eût dit qu'il le confrontait avec toute théorie ou tout

système philosophique présentant une analogie en la matière.

Il croyait en la perplexité de la conscience morale dans la démonstration des diverses civilisations. Il assurait que le malheur de toutes les civilisations c'était l'absence de l'élément fondamental et véritable de cette conscience, c'est à dire de la source dont elle puise sa raison d'être, son essence et son efficience. Car, que serviraient toutes les idéologies de l'histoire et tout le génie des historiens si le monde continuait à danser sur un volcan? Et s'il était dangereux et effrayant de parler du destin, où donc trouverions-nous la sécurité morale, la tranquillité de l'esprit, la confiance en l'existence et l'optimiste foi dans la marche de l'univers?

Il affirmait que le Korân est la source de toute éducation humaine et de toute morale pratique et théorique, et que nous devrions inéluctablement y puiser le système morale auquel aspire l'humanité pour réaliser ses idéaux et parfaire son bonheur durable.

Que les peuples égarés soient donc orientés vers les principes de morale contenus dans le Korân et que les mécréants se plient à la parole révélée, toute de vérité et de justice.

Dr. MOHAMAD ABDULLAH DRAZ

Par : Dr. AFIFI ABDEL FATTAH

Directeur des Recherches Islamiques

Descendant d'une lignée d'hommes lettrés connus par leur attachement aux préceptes de la morale, Mohamad Abdullah Draz fut, dans son enfance, entouré par les soins paternels les plus tendres et les plus attentifs, dans une famille dont le riche patrimoine de vertus s'était transmis de génération en génération.

Je l'ai d'abord connu par ouï-dire, grâce aux nombreux éloges dont le comblaient les érudits de son temps. Ensuite, j'ai eu l'occasion de le rencontrer, de temps en temps, au cours de ses leçons qui révélaient en lui un professeur modeste, indulgent, doux, d'esprit large, d'expression élégante et de pensée profonde, abordant avec tact et sagesse les problèmes les plus ardu, pour les clarifier, par la suite, sous la forme la plus nette et la plus agréable.

Rendant gloire à ces dons qui étaient le témoignage d'une faveur divine, je nourrissais alors un seul vœu : c'était de pouvoir, avec l'aide de Dieu, entrer en rapport plus étroit avec ce grand homme.

Repondant à mon désir, le destin voulut que nous fussions choisis

tous deux comme membres de la mission de l'Azhar à Paris. Nous restâmes dans cette capitale une dizaine d'années au cours desquelles, Mohamad Draz fut pour moi et pour tous les membres de la mission, le dirigeant, le guide, le contrôleur et le protecteur. Les travaux de la mission furent, grâce à Dieu couronnés de succès et tous ses objectifs réalisés.

Avant son voyage en France, Mohamad Draz avait déjà une connaissance assez profonde de la langue française et de sa littérature. Il lui fut ainsi facile d'obtenir les titres universitaires. Cependant, animé par une curiosité pressante d'apprendre, il tint à entreprendre des études plus vastes et plus approfondies. Il se fit inscrire à la Faculté des Lettres où il suivit avec la plus grande persévérance les cours de philosophie. Il réussit à décrocher toutes les licences requises dans cette discipline, malgré les circonstances difficiles que traversaient alors les citoyens français eux-mêmes et, à plus forte raison, les étrangers vivant en France.

who would at times demand his assent to terms that were derogatory to his personal honour, even then He would accept them and act on them under all circumstances. Even before He had received the messengership, his integrity and impartiality had become proverbial. He was referred to by all, friends and foes, as "AL-AMIN", the Trust worthy. People would bring their disputes to him to be settled.

The Prophet was a living example for the spread of Justice and equality. Muslims or non-Muslims, friends or foes, high or low, all were, alike to him. Even in the treatment of his servants, everywhere he observed the same principles of equality and justice. It is reported that Anas was in the service of the Prophet Muhammad for about ten years. He said that during this long period he was not once reprimanded by him.

The Prophet of Islam enjoined the acquisition of knowledge upon all Muslims, both males and females. The Holy Qur'an says: "Whose ever is given knowledge is given in reality, much goodness." The prophet says: "Acquire knowledge even if you must go to China to find it" He is reported to have said that the pen is mightier than the sword,

and a drop of ink from the writer's quill is more sacred than the blood trickling from the wounds of a martyr." While the achievements of every great man are limited to a definite sphere, those of the Holy prophet cover the entire field of human life. He gathered to gether a people like the Arabs, split up into warring tribes, severed by generations of blood feuds. He lifted up a nation sunk low, as were the Arabs, and made of them torch-bearers of a living culture and a great civilization. His greatness is to be found in a mighty and comprehensive personality. His words inspired and His personality radiated the hearts of His companions, who were not persons of inferior standing or mental calibre, but men of high rank, wealth culture and Position. His life was the assemblage of all the virtues, human and divine. Sincerity, generosity, broadmindedness firmness and tenacity of purpose, His calmness in adversity. His meakness in prosperity, His humility in greatness, His modesty of character, His love for people, His care for animals, His bravery and magnanimity of spirit, His unbending sense of justice are the manifestations of his practical life. It would need volumes to describe the unique qualities of His Unique Personality.

PROPHET MUHAMMAD

THE PERFECT EXAMPLE FOR HUMANITY

Prophet Muhammad (Allah's choicest blessings on him) belived in teaching his message by example more than by speeches and percepts. There is not a single order or rule from God that did not find complete manifestation in his own action. The Holy Prophet practised rather than preached. His actions were the virtual translation of the teachings of Quran. How can the percepts and principls, that are not practised by their own teachers, infuse into others any enthusiasm of any acceptance ? The people are not to be guided by those who only preach.

The actions of teachers far more than words should entitle them to our allegiance. Muhammad was the perfect and complete example of Quranic Principles and rules. In His own life every phase of human morals and human values found complete manifestation. His whole life was an eloquent and practical commentary on the Holy Quran. Both the records and experiences satisfy all that could be demanded of a real great leader, who came to guide the humanity to the right path, that is the path of Allah.

From childhood, Muhammad climbed to the summit of glory.

The most furious storm of hardship and calamities failed to move him an inch from his position and the mission which He prized above all things. He held fast to the verse of Quran: "Surely with difficulty Surely is ease." His spirits remained unmoved by the turns of fortune's wheel. The followings are Some of his great characters and noble qualities.

Sincerity and Simplicity were the key-notes of the character of the Prophet Muhammad. High morals were ingrained in his very nature. They were something which grew in him from his very child hood and they became the compelling feature of his character. He was not only peace-lover by nature but also a peace-maker. War was alien to his nature, He was by sheer force of circumstances, driven to take up arms. It was due to this intrinsic virtue in him that he preferred the "Peace of Hudaibiyya" to continued blood-shed, though according to terms of that Truce, the concessions obtained by Muslims were almost nil, and they were treated as conquered.

As a ruler also Muhammad entered into treaties with enemies,

it and adorned it, and there are no gaps in it. And the earth We have spread it out, and set thereon mountains standing firm, and produced therein every kind of beautiful things in pairs. To be observed and commemorated by every servant turning to God. And We send down from the sky rain charged with blessing, and We produce therewith gardens and grain for harvests. And tall palm-trees with shoots of fruit-stalks, piled one over another. As sustenance for God's servants ; and We give new life therewith to land that is dead : thus will be the Resurrection. ”

The Holy Qur'an blames those who do not think and mind when it says :

“ And how many Signs in the heavens and the earth do they pass by ? Yet they turn their faces away from them.”

It is reported, also, that Bilal, the companion of the Prophet, went to call out for the Morning Prayer when he saw the Prophet crying. Upon asking him about the matter, the Prophet said :

“ What, should not I cry ? God revealed to me this night this verse : Behold ! In the creation of the heavens and the earth, and the alternation of night and day-there are indeed signs for men of understanding.” Then the Prophet added : “ Woe to those who read this verse and do not think deeply about it ”.

“ Those who divided their religion, and turned into sects and groups, you have nothing to do with them, their matter is to God, Who will bring them to requital ”.

QUESITON :

What is the meaning of the word “Faith” ?

ANSWER :

“Faith” is the belief in somthing with all yours heart with no dout or hesitation.

People are different in their faith according to whether the evidences of their faith are clear or ambiguous. Suppose, for example, that a person has heard from another truthful one that there is a country in the world called “Nigeria”, the first will believe the latter, especially if he has heard about the same fact from other truthful men. If it happened that he saw the picture of the capital of that country, his belief about the existance of that country will be stronger. And if he went actually to Nigeria, his certainty will be quite aboslute, and he will harbor no doubt at all about that fact.

In this way, people are different in the grades of their religious faith. Some believe by imitation and inheritance, just because they were born to Muslim parents. Such faith is liable to doubt and suspicion.

Some other acquire their faith through thinking and deliberation which make their faith stronger. Still some others combine their thought with their obedience to God in their search after truth until its light shines in their heart. Those are described in this Holy Verse :

“To those who recieve guidance, God increases the light of guidance, an bestows on them their piety and restraint from evil.”

QUESTION :

What are the basic sources of faith in Islam ?

ANSWER :

Islamic faith is based upon the Holy Book of God and the Traditions or “Sunna” of the Prophet (peace be upon him). This faith is in complete harmony with reason and scientific facts.

Therefore, God, the Almighty, honoured the reason and directed His speech to it, made it the criterion of responsibility, and called it to think and search after truth. The Holy Qur’an says :

“Say : Behold all that is in the heavens and on earth...”

And :

“ Do they not look at the sky above them ? How We have made

ANSWER :

The origin of all divine religions, as revealed from God, is one. Islam declared the unity of all these religions in their basic teachings. It has established, also, that the divine laws are based upon definite rules of faith and good work, that all the Messengers of God are inspired by Him; and that all divine books are revealed from Him. Islam announced moreover that the true believers of all nations are those sincere and faithful people, and that dissension in religion is a great sin. The Holy Qur'an laid down all these facts when it says :

“He prescribed for you of the Religion what He commanded to Noah and what We revealed to you, and what We commanded to Abraham, Moses, and Jesus : that you establish the Religion, and not be divided therein”.

The Prophet Muhammed (peace be upon him) illustrated those meaning in his Tradition :

“My parable and that of other prophets before me is like one who built a good and beautiful house except that he did not lay one brick in one of its corners. People, when looking at his house admiring its architecture, would say : Could you not complete such wonderful house

by just laying down one single brick in this empty place ? Thus I am this brick, and I am the seal of all prophets.”

A Muslim should believe in all prophets and all revelations, and should obey all divine legislation. The Holy Verse says :

“ Say : We believe in God and what was revealed to us, and what was revealed to Abraham, Moses, Jesus, and what was revealed to prophets from their Lord; We do not make any distinction between any of them; and to Him we submit ourselves in Islam.”

God, the Almighty, laid a great stress upon the belief in all His messengers, in order to establish the unity of religions upon a strong basis, as He, the Almighty, says :

“Those who do not believe in God, and His messengers, and make a distinction between God and His messengers and say : we believe in some messengers and do not believe in others, wishing to make a midway in between, are the real disbelievers. We have prepared for them an humiliating punishment ”.

So, if people divide in the religion and act according to their emotional desires, then, Islam has nothing to do with them, as the Holy Verse put it in clear words :

because it is a complete obedience to God and His orders. In this meaning it is the religion of humankind since Adam till the end of this world.

Everything in this universe is subject to divine and immutable law. Man, animal, plant, inanimate objects, and stars—all are working according to definite laws made by God. Therefore, all people and nations, and even all beings in the universe other than man, may be considered “Muslims” or “submitting” to God’s laws and orders. The Qur’an declares this fact when it says :

“... All creatures in the heavens and on earth have, willing or unwilling bowed to His will, accepted Islam, and to Him shall they all be brought back.”

QUESTION :

If all things and all men are subject to God’s laws, why people are divided into Muslims and non-Muslims ?

ANSWER :

Man has two aspects in his life:

First : He is subject to the natural law, and created by his own nature to follow that law.

Second : Man on the other hand is endowed with mind, thought and free will.

According to the first aspect, man is created by necessity submitting to God’s laws, and due to the other aspect he is at liberty to be a Muslim or non-Muslim. This free choice divides men to two kinds :

a - A man who knows his creator, believes in him, and obeys His orders willingly, after having been submitted to Him unwillingly.

b - A man who denies his natural powers, and neglects his human endowments, and, thus, lives in darkness and ignorance. Such one does not believe in God and denies his existence as the Holy Qur’an says:

“And when it is said to them : Come to what God has revealed, come to Apostle, they say : Enough for us are the ways we found our fathers following, What even though their fathers were void of knowledge and guidance ? ”

This type of men who denies God and the mission of His messenger Muhammad can not be considered as Muslims or followers of the religion of Islam.

QUESTION :

We knew that Islam is the religion of humanity from eternity. What, then, is the difference between Islam and other previous divine religions ?

faith in the Angels, the Books of God, His messengers, the Day of Judgment, and the divine laws. The Quran says :

“The Apostle believes in what has been revealed to him from his Lord, as do the men of faith. Each one of them believes in God, His Angels, His Books, and His Apostles.”

And :

“It is not righteousness that you turn your faces towards east or west; but it is righteousness to believe in God, the Last Day, and the Angels, and the Book, and the Messengers”.

No one is considered a Muslim if he does not believe in the existence of God, His oneness, His being exalted above similarity to, or dis-cendancy in, others, His being distinguished by disposal and management of the Universe, and His being the only one deserving worship. He will not be counted among Muslims who does not believe in the messages of God to His servants through His messengers and Books, or does not believe in what is implied in these books, or makes a distinction between any of God's messengers and believes in some of them and disbelieves in some others. Nor is he a Muslim who does not believe in the life hereafter, and that the other life is

the life of requital and eternity, or who denies the laws of God, His orders and His prohibitions.

QUESTION :

Why was Islam named by this word ?

ANSWER :

All other religions are named after a certain man or a certain nation. Christianity and Buddhism were named after their founders “Christ” and Buddha.

Zoroastrianism is ascribed to Zarathushta, and so on.

Islam, however, is not ascribed to any person or nation. The word Islam, however, is not ascribed to any person or nation. The word “Islam” indicates that nobody or no nation established Islam.

It is the natural religion of all people from eternity, as the Holy verse says :

“... The pattern on which He has made mankind; no change in the creation of God. That is the standard religion. But most among mankind understand not”.

QUESTION :

What is the meaning of the word “Islam” ?

ANSWER :

“Islam ” means “submission”,

Principles of Islam

By : Abdul Wadood Shalaby

What are the basic creeds of Islam ?

ANSWER :

The basic creeds which should be believed in by Muslims are : First : the existence of God, His oneness, His being distinguished by the disposal and management of the universe, His being exalted over partnership of others with Him in power and glory or His similarity to anything else in being or attributes, and His deserving of worship solely. No creator but He, no partner to Him, and nobody is asked for help or mercy save Him. The Holy Quran says :

“ Say : He is God, the One and the Only. God, the Eternal, the Absolute. He begets not, nor is He begotten. And there is none like Him.”

Second : to believe that God chooses from among His servants some messengers to convey His messages, through divine revelation, to His servants, and to call them to right faith and good action. Therefore, a Muslim should believe in all the prophets and Messengers of God from Noah down to Muhammad (peace be upon them all).

Third : to believe in the Angels who are the agents of God to carry His revelation to His messengers. And to believe in the divine Books of God.

Fourth : to believe in what is called for in the different missions of the messengers of God, such as the belief in the Day of Judgment, and the divine laws and legislation.

QUESTION :

How are these creeds realized by the one who wishes to be a Muslim ?

ANSWER :

These creeds are realized by the “shahada” or the witness that God is One and that Muhammad is His servant and His messenger. To witness that “There is no god but God and Muhammad is the Messenger of God” is the key of Islam.

The belief in the oneness of God demands complete faith in Him as the Only diety, and the sole Cherisher of humankind. Thus He is the Only One Who is distinguished by worship.

The belief in the messengership of Muhammad calls for complete

the female, and made you nations and tribes so that you may know each other, but the most righteous of you is the most respected before God."

"The members of the human family are similar to the teeth of a comb and there is no superiority for the Arabs over the non-Arabs except on the basis of piety."

"All of you from Adam, and Adam was from dust."

Islam declared a non-stop war against slavery which prevailed all over the world in those days and it gave equal statues to men and women in rights and duties.

Then Islam declared the freedom of belief. The Qur'an says: "There is no compulsion in religion the right has become evident from the wrong. If thy lord willed all those on earth would believe. Would you then compel the people to believe?" It Shows full respect to all religions and guarantees freedom of worship, peaceful life and justice.

Islam also declared the freedom of thinking and expression. It rejected blind faith, and despotic rule. Islam calls its followers to ponder the kingdom of the heaven and the earth and to adopt way of generosity

liberality and forgiving. The law of Muhammad guarantees freedom to all minority communities for preaching their faith and ideas and teach them in schools temples etc. without any kind of interference. It also approves the right of ownership with some suitable conditions in the general interest of the community and the state. These are the main natural rights which Islam guaranteed to all people without any Consideration of colour, race, language or religion. The prophet Muhammad declared these rights fourteen hundred years ago, at a time when everywhere ignorance, error and tyranny reigned supreme. Then Muhammad lit the torch of truth before the erring humanity and showed mankind right path. And he freed them from the bonds of Fanaticism, selfishness and Materialism. Through this way he promised the world prosperity, peace and happiness

Alas ! what a pity for the mankind of to-day who are misled by these hypocrites who are to-day preaching these human rights and at the same time they are continuing the colour war against the black skinned people and practicing the law of discrimination.

colour has its own value and every religion has its own place. But the test of weight and value depends on man's ability and his disability not on his humanity and dignity. While knowledge, wealth and power are the means of sovereignty, ignorance poverty and weakness will lead to slavery. Sovereignty is a fundamental unconditioned right. Incontrary slavery is a duty without any right.

Muslims alone can understand "man" in its true sense because they are followers of Muhammed. Muhammed declared human rights in its true form clearly and openly by the inspiration of God who sent him as the messenger of peace and mercy to the whole world.

God send him as the messenger of mercy to the persecuted people who face suppression, or weakness and poverty in this world. He removed class distinction, established social justice, freed the slaves and declared the law of equality, and brotherhood between man and man

The message of Muhammed was not directed to a particular race, nation or country, but God sent him as His messenger of peace and mercy to the whole of humanity. In the law of Muhammad there is no distinction or preference between man and man on the basis of colour,

language, race, religion, Social or political Considerations. This universal message brings together the people who dwell on the surface of this earth, under one law that is the law of God and one banner that is the banner of truth. Arabs, Romans, Turks, Indians, Chinese, Africans, Europeans and Negros stand side by side with equal statues before the law of Muhammad.

Islam honours no one on the basis of colour or Social position and it does not allow the sons of Adam, to bow their heads before any one save God Almighty as the Quran Says : "Indeed we have honoured mankind".

The Jews pretended that they were the sons of God and His select people ; the Romans Said that they were his servants ; the Arabs were claiming that they were the masters of eloquence ; and the Hindus believe that God created the Brahmans from His head, Rajput from His hand and the untouchablar from His feet.

In one way or the other, the Social Statues of man was counted on the basis of race, creed, wealth or power, and this state of affairs continued until Muhammad came and declared before the world that "the believers are brethren". "O people ! God created you from the male and

MAN IN THE LAW OF MOHAMMAD

(in the context of Racial discrimination)

BY : A. H. EL-Zayyat

EDITOR - IN - CHIEF

The Leaders of Europe and America pretended that they had proclaimed in December 1949, the charter of human rights in the United Nations Organisation and they promised to the people prosperity, happiness and peace.

Before that the leaders of French Revolution also had proclaimed these rights in 1789 and they made it a preface to their constitution consisting of 17 articles. The policy of discrimination prevailing in certain parts of America and Africa, the inhuman treatment which the coloured people are facing at the hands of the white men who have pretended that they are the pioneers of human rights has left one to ask himself what the Europeans and Americans mean by the word "human" and to whom they have proclaimed these rights ?

Whether he is some man whom God created from different races, lands, and colours or he is the

white man who Comes from the Latins, Saxons or Tutons ? It appears from their present policy and behaviour that they mean only the white man, because black and red people have all duties but no rights.

The deprived existence of the people in the land of liberal democrats is the worst fib in the constitution of democracy in Washington and the biggest mockery of the statue of liberty in Newyork. But the coloured people of Asia and Africa in the eyes of Europeans are like the animals which are born to be trained to work or like the raw materials to be used in the industrial production. They are usually a matter of dispute during the time of peace and a bone of contention in war time among the big powers. Because of this fault in the interpretation of the word "man" the basis of rule and law has been disturbed and the principles of democracy and freedom are contradicted. Every race of the human family has its own weight, and every

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

بِصَدْرِهِ عَنْ مَشِيخَتِهِ الْأَزْهَرِيَّةِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِيٍّ

مُدِيرُ الْمَجَلَّةِ وَرئيسُ التحرير
أحمد حسن الزيات
للتعاون
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

بدل الاشتراك

٤. في الجمهورية العربية المتحدة
٥. خارج الجمهورية
والتسلسل والطلاب
تخفيض خاص

الجزء الرابع - السنة السادسة والثلاثون - جمادى الآخرة سنة ١٣٨٤ هـ - نوفمبر ١٩٦٤ م

سما الله العليم

تمنى التبنى

بقلم : عبد الرحيم فودة

تحرم على الآباء . وكل ذلك وما إليه بما يتجافى
عن طبيعة الذوق والحق ويتنافى مع شريعة
الإسلام . وللتبني قصتان مشيرتان في القرآن :
الأولى قصة يوسف مع امرأة العزيز ،
إذ قال لها زوجها : « أكرمي مثواه عني
أن ينفعنا أو نتخذه ولدا » ، فإنه لما بلغ أشده
فتنت به ، وكان ما يحكيه القرآن إذ يقول
الله فيه : « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله
إنه ربى أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون .
ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه
كذلك أنصرفت عنه سوء والفحشاء

التبني عادة قديمة . ومعناه أن يتخذ
الإنسان إنساناً آخر ابناً له ، ينفق عليه
في حياته ويشركه في الميراث بعد مماته ،
ويخلطه ببنيه وبناته ، ويجعل له من الحرمة
والحقوق والواجبات ما للابن الحقيقي
من حقوق وما عليه من واجبات ، فله أن يخلو
بزوجه وبنته ، لأن زوجته أمه . وبنته
أخته ، ويحرم عليه أن يتزوجها في حياة
أبيه المدعى أو بعد مماته ، لأنه يحرم
على الإنسان أن يتزوج أخته أو أمه ، ويحرم
على أبيه المدعى أن يتزوج امرأته إذا طلقها
أو مات عنها ، لأنها من حلال الأب بناءً على

صلى الله عليه وسلم . ولما خير زيد أبى أن يعود مع أبيه وعمه . وآثر البقاء مع رسول الله فأعتقه ، وكان صلى الله عليه وسلم يغمره بعطفه وحبه ، فكان لذلك يدعى زيد ابن محمد ، وينادى بهذا الاسم والنصب قبل النبوة ، ثم نزل قوله تعالى : ما جعل الله لرجل من قبلين في جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباهم فإخوانكم في الدين وهو إليكم .

وبهذا القول الفصل ظهر حكم الله في هذا الأمر ، وكان ظهوره بهذه الصورة التي لا يرقى إليها الريب ، فكان لا يكون للرجل قلبان في جوفه ، لا تكون الزوجة أما بقول زوجها أنت على كظهر أمي . ولا يكون الدهى ولداً لمن ادعاه وتبناه ، لأنه ابن لرجل واحد إذا عرف يجب أن يلحق به وينسب إليه ؛ لأنه هو أبوه الذي انحدر من صلبه . كما يفهم من قوله تعالى : ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ، فإذا لم يعرف لم ينبذ من المجتمع ولم تنقطع صلته بمن يعيشون فيه ، بل هو لهم أخ وهم له إخوة كما يفهم من قوله تعالى : فإن لم تعلموا آباهم فإخوانكم في الدين ، وقوله جل شأنه : إنما المؤمنون إخوة .

لأنه من عبادنا المخلصين . واستبقا الباب وقدت قيصره من دبر والقياسيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هي راودتني هن نفسى وشهد شاهد من أهلها إن كان قيصره قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قيصره قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قيصره قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم . يوسف أهرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين .

والجانب الذى يجب ألا يغفل أو يهمل في هذه القصة ، هو ما كان من امرأة العزيز نحو يوسف فإنها على الرغم من طول عهدها به وحدها عليه لم تشعر نحوه بعاطفة الأمومة ، بل حاولت إغراءه وإغواءه ، وغفلت الأبواب وقالت هيت لك ، ولولا العصمة التي تعهد الله بها أنبياءه لوقع يوسف فيما كانت ترجوه وكان يخشاه كما يفهم من قوله تعالى : ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء .

أما القصة الثانية فهي قصة زيد بن حارثة ، فقد سبي وهو صغير . ثم اشتراه حكيم ابن حزام لعمته خديجة ، فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوجته ، ثم هلم أبوه به ، فطلبه هو وأخوه من النبي

الصحف من حديث كان عنوانه بالخط العريض
وزيرة الشؤون تطالب بإباحة تبني الأطفال
وكان ختامه : إن أمنيتها أن تسمح الدولة
بالتبني على أن يحمل الطفل اسم الأسرة
التي تتبناه ويكون له الحق في الميراث ...

إن ذلك إذا صح لا يمكن أن يكون تعبيراً
عن إرادة هذه الأمة التي تدين بالإسلام ،
ولا عن روح هذه الثورة التي تستلهم هدى
الإسلام وتقيم بناء الأسرة على أساس الدين
والأخلاق ، ولو تذكر الذين يتصدون
للكتابة أو الحديث في هذا الموضوع مذكروه
الرئيس في مؤتمر القوى الشعبية ، وفي الجوع
التي احتشدت حوله في اليمن ، وفي الميثاق
الوطني والتقرير الذي جعل مذكرة مفسرة له
لو تذكروا الجوع الذي يعيشون فيه ، والبيئة
التي تحيط بهم لترثشوا في إعلان هذه الأمنية
الباطلة ولكننا نذكرهم جميعاً بقول الله
في هذه العادة القديمة المذمومة : « ادعواهم
لآبائهم هو أقسط عند الله ، وقوله جل شأنه :
« وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم
بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهتدى
السبيل » .

هم امرئهم فوره

وقد مضى الإسلام في استئصال هذه العادة
المستحكمة إلى مدى أبعد من الكلام ، فكان
بده التجربة القاسية مع النبي صلى الله عليه وسلم
إذ أمره الله أن يتزوج بزَيْنَب بنت جحش
بعد طلاقها من زيد الذي كان يدعى باسم
(زيد بن محمد) ليتأكد الحكم بأهمل بعد
بيانه بالقول ، ولكيلا يكون على المؤمنين
حرج في الزواج بمطلقات الأعداء الذين
ادعوا أنهم أبناء ، وذلك بعض ما يفهم
من قوله : « فلما غنى زيد عنها وطرا
زوجنا كها لكيلا يكون على المؤمنين حرج
في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا
وكان أسرا الله مفعولا » .

هكذا هو حكم الله وأمره ، وهو صريح
في أن التبنى عمل غير مشروع ، ثم هو
- مع ما فيه من الاستهتار بحرمة الأسرة
في أغلب الأحوال - يدخل ما لاحق
له في الميراث شريكاً للمستحقين فيه . فيرث
الغريب كالقريب ، وتختلط الأنساب الصحيحة
بالأنساب الزائفة ، ويعد الشيطان بحال
الإغراء والإفواء واسماً فسيحاً فيعمل
على إفساد الأسرة وإفساد المجتمع تبعاً لفساد
الأسرة ، ومن ثم لم أصدق ما نسبته بعض
الصحف أو إحدى المحررات في إحدى

حديث هام

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر

- ١ - الخلافة الإسلامية .
 - ٢ - الإسلام والتطور .
 - ٣ - دور المرأة المسلمة في المجتمع المتطور .
 - ٤ - موقف الإسلام من المسيحية واليهودية .
- تقابل الصحفي الألماني مانفرد فون يوتر تشيفسكا مندوب إذاعة « دويتش لاندفونك » في ألمانيا الغربية بفضيلة الأستاذ الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الأزهر . . وسأل فضيلته هذه الأسئلة :

- ١ - فضيلة الإمام الأكبر : توليتكم فضيلتكم منصب الإمام الأكبر للجامع الأزهر العريق وهو منصب كان يتولاه الخلفاء فيما مضى . ويعتبر قوة في التشريع الإسلامي ، وبمحكم منصبتكم هذا نود أن نسأل سيادتكم : هل هناك تفسير في هودة الخلافة في المستقبل في العالم العربي ؟
- ٢ - يقال إن الإسلام لم يكن وكيف نفسه في الماضي مع التغيرات التي تطرأ على المجتمع فهو وثيق الصلة بالماضي . هل هذا صحيح ؟ كيف يكون من الممكن - في رأى فضيلتكم - أن يأخذ الإسلام بأسلوب التطور الحديث ؟ هل هناك اتجاه نحو هذا ؟ وما الذي تم إنجازه في هذا الشأن ؟
- ٣ - هل سيتأثر دور المرأة المسلمة في المجتمع بهذا التطور ؟
- ٤ - كم يبلغ عدد طلبة الجامعة الأزهرية في الوقت الحاضر ؟ وكم عدد الفتيات منهم ؟
- ٥ - هل تعتقدون أن أخذ الإسلام بأسلوب التطور الحديث سيجد تربة خصبة في جميع البلدان العربية ؟ وهل سيكون هناك أسقفنة محتمل ؟
- ٦ - ماهو موقف الإسلام من المسيحية بمقاسبة زيارة البابا بول السادس للأردن ؟ . في بداية هذا العام دار الحديث حول إيجاد علاقات أكثر قوة ووثوقا بين الإسلام والمسيحية : علاقات التعايش القائم على التسامح والمودة - ما رأى فضيلتكم ؟ وما رأيكم

الأديان وكدين عام في الزمان والمكان تقتضيه أن يكون صالحا لكل عصر ، ملائما لكل بيئة ، وقد مر الإسلام زمن العباسيين في عصور حضارية وأجناس متعددة فانتسج صدره لكل تطور صالح ، وأرضت تعاليمه كل الأجناس التي حكمت به حتى لأنهم تعشقوها وعرفوا بها النور بعد الظلام ، والإنسانية بعد الوحشية .

ولذا كان في أصول الإسلام ما لا يتغير أبدا ، فإن في فروعه ما يفسح الرأي أمام المجتهدين الذين يراعون ملابسات الحياة ومستجد الظروف وفي أبوابه - باب المصالح المرسله - الذي لا يضيق بتطور معقول أو ارتقاء مزن ما دام لا يصادم حكما ورد في الكتاب أو السنة .

المراة المسلمة :

المراة المسلمة أعطاهما الإسلام ما لم تكن تحلم به في عصور ما قبل الإسلام فقد أعطاهما حق التملك والتعاقد والحب والإوث ، ورأيها معتد به في كل الشؤون الخاصة بها وأهمها وضاهها بالزوج ، وأعطاهما حق التعلم وجعلها تسهم في كل أمر لا يخرجها عن طبيعتها التي فطرها الله عليها .

ولذا كانت المراة المسلمة قد منيت في بعض العصور بمن يحرمها هذه الحقوق فإن ذلك راجع إلى جهود لا يعترف به الإسلام ولا

في اليهودية كدين ؟ هل من الممكن التعايش بين العرب واليهود في العالم العربي ؟

٧ - ما دور الإسلام في الجهود التي تبذل من أجل الوحدة العربية كما تراه سيادتكم ؟

٨ - ما هي علاقة السنة بالشيعية ؟ هل الخلافات (التناقضات) بينهما تقل تدريجيا ؟ وهل تبذل الجهود لإيجاد تقارب أشمل بينهما مثل ما حدث في المجلس الديني بروما بين الرومان الكاثوليك والأرثوذكس المسيحيين ؟
٩ - كيف ترون مجالات الإسلام للانتشار ؟ هل هناك اتجاه لهذا ؟ وأين سيكون مجاله ؟
وقد أجاب فضيلة الأستاذ الإمام بما يلي :

الخلافة :

الخلافة التي يعرفها التاريخ لم تكن خلافة في العالم العربي ، ولكنها كانت خلافة في العالم الإسلامي ، وهذه الخلافة ليست مما يشغل المسلمين الآن ، وإذا كانت الخلافة تعني توحيد الأوطان الإسلامية تحت راية واحدة ، فإن في مبادئ الإسلام ما يغني عنها وإن تعددت الشعوب ، فقد ترك فينا الرسول صلى الله عليه وسلم ما إن تمسكنا به قلن فضل بعده كتاب الله وسنة رسوله ، فهما إذن الجامعان لكلمة المسلمين وعلى مبادئهما تتحد الصفوف والأهداف في خدمة الإنسانية كلها .

المرم والتطور :

طبيعة الإسلام كدين سماوي ختم الله به

جود ضار بالمصلحة العامة فيجب على كل مسلم أن يوعىها ويبصرها حتى تعرف أن الإسلام جاء لخير الدنيا والآخرة ، ومن فهم حقيقة الإسلام أن يعرف العالم كله أن الاستقامة على مبادئه تفتح على الناس بركات من السماء والأرض ، قال تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » .

سواء الأسماء :

موقف الإسلام من الأديان الكتابية موقف واضح صريح يعتمد على القساح الكويم فقد دعاهم إلى كلمة سواء « ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، وإذا كان الإسلام قد أحل لنا طعامهم ولم طعامنا ، وأحل لنا أن نتزوج منهم وأمرنا إذا لم يقاتلونا في الدين ولم يتعرضوا لنا في ديارنا أن نبرهم ونقسط لآلهم وجعل ذلك إحساناً يستوجب حب الله . إن الله يحب المحسنين فإن ذلك كله وغيره من الأحكام يولد معنى التسامح في الإسلام .

وهذا يشمل المسيحية واليهودية التي تقف هند الحد المرسوم في ذلك فإذا آثرت اليهودية طريق العدوان واستمرت في سياستها الصهيونية التي تبيح إخراج الأميين من ديارهم والاعتداء على حرماتهم ومقدساتهم ، فإن

يقره ، ولهذا كان حظ المرأة من التطور الحديث أن تعطى هذه الحقوق في حيلة تمنع من التحلل المحقوت وحسوم يعوق عن الانطلاق القديم .

إحصاء طلبة الأزهر :

آخر إحصاء لطلاب الأزهر في أقسامه المختلفة كما يأتي :

القسم الابتدائي جملة ٢٨٩٩٧ ، منه ٢٥٣٦٣ من البنين ، ٣٦٣٤ من البنات ، والقسم الإعدادي جملة ٢٢٧١٤ منهم ٢٢٤٨٩ من البنين ، ٢٢٥ من البنات ، والتعليم الثانوي جملة ١٢٣٥٧ منه ١٢٢٨٧ من البنين ، ٧٠ من البنات .

وفي الجامعة جملة الطلاب ٦٨٥١ منهم ٦٦٤٩ من البنين ، ٢٠٢ من البنات فيكون عدد البنين ٦٦٧٨٨ ، والبنات ٤١٣١ ، وبمجموعهما ٧٠٩١٩ .

التطور الحديث :

التطور الحديث في صورته الفاضلة التي تعمل على ترقية الحياة ، والسمو بالقيم ، واكتشاف أسرار الله في الكون الذي ينزهه الله خلقه - من صميم معالم الإسلام ، ولا أعتقد أن أمة إسلامية فاهمة لدينها تستطيع أن تتخلف عن التسابق في هذا الميدان ، وعلى فرض أن أمة وقفت عند

مرفوق السنة بالسيرة :

علاقة السنة بالشيعه - علاقة الفرعين
عن أصل واحد والخلاف أو التناقضات
كما جاء في سؤالكم هو في الواقع خلاف
المتطرفين من الفريقين والذي يجمع بين الشيعة
والسنة هو الاعتدال في الأخذ من مفهومات
المتشابهات وقد زال والحمد لله في هذا العصر
هذا التطرف المتعصب وأصبح التفاهم
على ما اختلفا فيه هدف العلماء من الجانبين
وبذلك تصفى الخلافات القديمة ويرجع الجميع
إلى فهم ملتبس مع الأصول الإسلامية الثابتة .

مجال انتشار الإسلام :

إن مجالات الإسلام للانتشار مجالات
واسعة تتمثل في الشعوب التي لا تعرف
عن الإسلام شيئاً أو تعرف شيئاً بائناً لا يمثل
مبادئ الإسلام على حقيقتها . والمسلمون
الفاهمون الواعون لا يقصرون إن شاء الله
في عرض دينهم على هذه الشعوب عرضاً
سجماً لا يحمل في طيه التواء ولا يتخذ
له وسائل لإكراه حتى تقبل هذه الشعوب
على الإسلام لإقبال رضا وحب حين يتبين
الرشد من الغي .

ممن مأمون

شيخ الجامع الأزهر

الإسلام يطلب منا ألا نتولاهم ويطلب ردم
عن غوايتهم والعمل على إفساد مخططات
سياستهم حتى يرجعوا إلى الحق ويشوبوا
إلى الرشد ويردوا فعلاً الأرض المقتضية
لأهلها أصحاب الحق الشرعي دون غيرهم فيها .

الوحدة العربية :

رأى الإسلام في الجهود التي تبذل من أجل
الوحدة العربية رأى صريح يفصح عنه
القرآن الكريم في أكثر من موضوع فقد
بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بلسان
قومه ليقتنعهم بدهوته وجعل الله سبحانه
رسوله صلى الله عليه وسلم شهيداً عليهم
وطلب من العرب أن يكونوا بعده شهداء
على الناس فهم متحملون عنه العمل على نشر
دهوته وإظهار كلمة الله وهذا أمر يقتضي
أن يكونوا جميعاً لا أشتاتاً حتى يحققوا قول الله
تعالى : **واعتصموا بحبل الله جميعاً**
ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم
أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته
إخواناً ، فالدعوة إلى الوحدة إذن والعمل
على إحقاقها من صميم تنفيذ ما أمر الله به
من الاعتصام بحبله لنكون إخواناً تألفت
قلوبهم وتوحدت صفوفهم على نهج حق
إلى هدف صدق .

وحدة الوجود

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

قال بذلك هيراقليطس في العهد اليوناني :
واقعه عنده نهار وليل ، صيف وشتاء ،
وفرقة وقلة ، جامد وسائل ؛ لأنه - على حد
تعبيره - كالنار المعطرة ، تسمى باسم العطر
الذي يفوح منها ، تقدر سبحانه وتنزه
عما يقول .

والله سبحانه وتعالى ، في رأى شلى ،
في المصور الحديثة هذه البسمة الجميلة على
شفق طفل جميل باسم ، وهو هذه النسائم
العليلة التي تمنعنا ساعة الاصيل ، وهو هذه
الإشراق المألقة بالنجم الهادي في ظلمات
الليل ، وهو هذه الورود اليازمة تتفتح
وكأنها اقسامات شفاء جميلة ؛ لأنه الجمال أينما
وجد ، ولكنه أيضاً - سبحانه وتعالى -
القبح أينما كان : وكما يكون طفلاً فيه نضرة ،
وفيه وسامة ، يكون جثة ميت ، ويكون
دودة تغتذى من جسد ميت ، ويكون قبراً
يضم بين جدرانها هذه الجثة وهذا الدود ،
أستغفرك ربى وأتوب إليك .

ولوحدة الوجود أنصار في كل زمان .
ولما قال الصوفية : بالوجود الواحد ،
شرح خصومهم الوجود الواحد بالفكرة

١ - نريد أن نبدأ مباشرة بملاحظة
تزيل - بصرة غير متوقعة - حدة المناقشة
في هذا الموضوع ؛ وذلك أننا بصدد وحدة
الوجود ، ولستنا بصدد وحدة الموجود .
والموجود متعدد : سماء وأرض ، جبال ،
وبحار ، أشجار وأفاقي إلخ ، وهو يختلف
صلابة وهشاشة ، لونا ورائحة وطعماً ،
متفاوت ثقلاً وخفة إلخ .

ولم يقل أحد من الصوفيين الحقيقيين
- ومنهم ابن عربي والحلاج - بوحدة
الموجود .

وما كان لمؤمن ، ولا يتأتى لمؤمن ، أن
يقول بوحدة الموجود - وما كان للصوفية
وهم في الغدوة من المؤمنين أن يقولوا -
وحاشاهم - بوحدة الموجود .

وقد تساءل : من أين إذن أتت الفكرة
الخاطئة التي يعتقدها كثير من الناس : من
أن الصوفية يقولون بوحدة الموجود ؟

وتفسير ذلك لا عسر فيه : إن فريقاً من
الفلاسفة في الأزمنة القديمة وفي الأزمنة
الحديثة يقولون بوحدة الوجود ، بمعنى أن
الله - سبحانه وتعالى - هو إفسكهم - هو
والمخلوقات شيء واحد .

التفات ؛ لأنه أتفه - في منطق البحث - من أن نعيره التفاتا ، وهو هذه الكلمات التي تناثرت هنا وهناك ، غزرة ملفة ، مزيفة ضالة ، في معناها ، تافهة في قيمتها الفلسفية ، غريبة على الجو الإسلامي ، تنادى بصورتها ومعناها : أنها اخترعت تضايلا واقتاتا .

إنها هذه الكلمات التي يعزونها إلى الخلاج ، رضوان الله عليه ، أو إلى غيره ، لا توجد في كتاب من كتبه ، ولم يخطها قلبه ... لقد اخترعوها ، ثم وضعوها أساسا تدور عليه أحكامهم بالكفر والضلال .

ويستفي أن يقشبت بها إنسان فيكون في منطق البحث غير أهل للثقة .

٢ - الوجود الواحد :

وهل في الوجود الواحد من شك . إنه وجود الله المستغنى بذاته عن غيره ، وهو الوجود الحق الذي أعطى ومنح الوجود لكل كائن . وليس لكائن غيره ، سبحانه الوجود من نفسه : إنه سبحانه الخالق وهو الباري وهو المصور : هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء .

ومن بعض معاني هذا التصوير قوله تعالى : ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا

الفلسفية عن وحدة الوجود ، وفرق كبير بينهما ، ولكن الخصومة كثيرا ما ترضى عن التزييف وعن الكذب في سبيل الوصول إلى هدم الخصم ، والغاية تبرر الوسيلة كما يقولون .

وشيء آخر في غاية الأهمية كان له أثر كبير في الخطأ في فهم فكرة الصوفية عن الوجود الواحد وهو أن الإمام الأشعري رضى الله عنه رأى في فلسفته الكلامية أن الوجود هو عين الوجود ، ولم يوافق الصوفية على هذه الفكرة الفلسفية ، ولم يوافق الكثير من مفكرى الإسلام وفلاسفته على رأيه . وهو رأى فلسفى يخطئ فيه أبو الحسن الأشعري أو يصيب ، وما مثله في آرائه الفلسفية إلا مثل غيره في هذا الميدان يخطئ تارة ويصيب أخرى .

ورأى مخالفوه : أن الوجود غير الموجود ، وأنه ما به يكون وجود الموجود ولما قال الصوفية بالوجود الواحد ، شرح خصومهم فكرتهم في ضوء رأى الأشعري ، دون أن يراهوا مذهبهم ، ولا رأيهم : ففسروا قولهم بالوجود الواحد على أنه قول بالموجود الواحد .

وهذا التفسير على هذه الطريقة يسحب الثقة في آراء هؤلاء الخصوم .

وأمر ثالث ، يجب ألا نصيره أدنى

في عبودية خالصة له ، وفي إخلاص لا يشوبه
شرك من هوى ، أو شرك من سيطرة المادة
أو الغرائز .

٣ — ونريد الآن أن نصور بعض
مواقف القرآن في هذا الصدد :

إن الله سبحانه وتعالى : يوجه نظرنا
في سورة الواقعة إلى مسائل نحن عنها في العادة
غافلون .

« أفرايتم ما تمنون ؟ » أأنتم تخلقونه
أم نحن الخالقون ؟ ، ... « أفرايتم
ما تحرثون ؟ » أأنتم تزرعونه أم نحن
الزارعون ؟ ، ... « أفرايتم الماء الذي
تشربون ؟ » أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن
المنزلون ؟ ، ... « أفرايتم النار التي تورون
أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ؟ ...
وعلى العكس من ذلك : لو شاء الله لما وجد
هذا الفرد ولجعل الزرع حطاما ، ولما أنزل
الماء من المزن ، ولما أنشأ شجرة الفار ،
إنه سبحانه ، بيده الأمر سلبي وإيجابيا ،
وبيده الخلق إيجاداً وإعداماً ...

أرأيت إلى هذه الرمية ترميها : إنك
مارميت ، إذ رميت ، ولكن الله رمى ...
أرأيت إلى الانتصار في الجهاد ؟ إن هذا
الانتصار من عند الله ، أما القتل : فلم
تقتلوه ولكن الله قتلهم .
ورزق الإنسان هذا وطعامه ، فلينظر

المضفة عظاما . فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه
خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وصلة الله بالإنسان إذن : هي أنه سبحانه
يمنحه الوجود الذي يريده له في كل لحظة من
اللحظات المتتابعة ، فتتشكل حياته في كل لحظة
بصورة أمده الله سبحانه وتعالى بها .

وصلة الله بكل كائن : إنما هي على هذا
النمط : إنه سبحانه مثلاً : « يمسك السموات
والأرض أن تزولا ، وإن زالتا إن أمسكهما
من أحد من بعده ، إنه يمسكهما وجودا ،
ويمسكهما تدبيراً ، ويمسكهما تماسكا
وتناسقا ... » إنه يمسك فيهما السكيف والسك ،
وإذا ما سحب إمداده عنهما تلاشتا كما وكيفاً .
إن الله سبحانه وتعالى : محيط بالسكون ،
مهيمن عليه ، قيوم السموات والأرض قائم
على كل نفس بما كسبت ، وقائم على كل ذرة
من كل خلية ، وقائم على كل ما هو أصغر
من ذلك وما هو أكبر بحيث لا يعزب
عن هيمنته وعن قيوميته مثقال ذرة في الأرض
ولا في السماء .

هذه القيومية : أخذ القرآن والسنة يتحدثان
عنها في استفاضة مستفيضة لهنز الإنسان
هزة عفيفة تجعله لا يخلد إلى الأرض ولا يقبع
هواه ، وإنما يرفع ببصره أو يستشرف
بكيانه إلى الملاء الأعلى مستخلصا نفسه من
عبودية المادة : ليوحد الله سبحانه وتعالى

الله إلى صراطه المستقيم ، ونصرهم على أنفسهم
وعلى أعدائهم ، وأخذوا شيئاً فشيئاً ،
يحاولون تحقيق التوحيد : قولاً ، وعقيدة ،
وتدوياً ، وتحققاً ؛ وأخذوا يرون في « أشهد
ألا إله إلا الله ، معان لا يتطلع إليها غيرهم .
وبدأ معنى الشرك يتضح لهم في صورة
لا تختلج على بال اللاهين الذين شغلهم أموالهم
وأهلوم ، وبدءوا يحطمون الشرك : يحطمون
أصنامهم ، وأوثانهم : من النفس ، والهوى ،
والشيطان ، ومن الغرائز الحيوانية ،
والغرائز الإنسانية ؛ انهار الشرك حتى من
همسات الغوادر : لقد انهار الشرك الواضح
والشرك الخفي وثبت في أذواقهم ، واستقر
في أحوالهم ومقاماتهم : أن « لا إله إلا الله ،
فأينما تولوا فثم وجه الله » .

وأينما كانوا فاقه معهم ، وهو أقرب إليهم
من جبل الوريد ، وهو أقرب إليهم من
جلسائهم ومعاشرتهم : إنه يغمر كياناتهم :
فلا يرون غيره سبحانه ، لا يرون غيره قيوم
السموات والأرض ، ولا يرون غيره مصرفاً
للثافه من الأمور وللعظيم منها ، ولا يرون
غيره مالكاً للملك : يؤتى الملك من يشاء ،
وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ،
ويذل من يشاء .

لقد أصبحوا ربانين ، وأصبح الله
في بصرهم وسمعهم وجوارحهم وفي قلبهم ،

الإنسان إلى طعامه أنا صبينا الماء صبا .
ثم شققنا الأرض شقاً . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا
وقضبا . وزيتونا ونخللا . وحدائق غلبا .
وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم ... » .
٤ — هذه الهيمنة ، وهذه القيومية : يمر بها
قوم فلا يعيرونها التفاتا ، لأنهم يمرّون بها مرور
الحيوانات بما لا تدرك ولا تعقل : إن الله
سبحانه وتعالى : لا يحتمل من شعورهم درجة
أيا كانت ، وهمهم كل همهم مصبحين مسعين ،
إنما هو . ملء البطن ، أو كنز الذهب والفضة ،
أو النزاع على جاه ، أو العمل لتثبيت سلطان :
لأنهم يمرّون بآيات الله فلا يشهدونها ، وتحيط
بهم آثاره ، فلا ينظرون إليها ، وتعمرهم نعمائه
وآلاؤه فلا يوجههم ذلك إلى الحمد ولا إلى
الشكر ، إن الله سبحانه وتعالى : لا يحتمل
في قلوبهم ولا في تفكيرهم ، ولا في بشئهم ،
ولا في حياتهم ، قليلاً ولا كثيراً
والطرف الآخر المقابل لهذا : هو هؤلاء
الذين انغمسوا حقاً في محيط الإلهية : سبحوا
في بحارها ، واستنشقوا نسائمها الندية ،
وغمرهم لآلؤها وضياؤها ، اقد بدوا بحمد
الله وشكره على نعمائه وآلائه التي تحيط بهم
من جميع أنظارهم ، فزادهم الله نعماً وآلاء :
« لأن شكرتم لازيدنكم ... » .

لقد اتقوا الله حق تقاته فعلمهم الله :
لقد اكتفوا بالله هادياً ونصيراً ، فهداهم

موجود : إنه يمد القائم بالقيام ، ويمد الماشى بالمشى ، والمتحرك بالحركة . . .

إنه - على حدة تعبير أهل السنة والاشاعرة : الذى يقطع ، وليست السكين هى التى تقطع ، وهو الذى يحرق ، وليست للفاهى التى تحرق ، وهو الذى حينما يريد ، يقول للنار كونى بردا وسلاما ، فتكون بردا وسلاما . . .

ومهما هب الصوفية ، فى هذا الميدان ، عن الوجود الواحد ، فقلوا فى ذلك ، وأسرفوا ، واشتطوا ، فإنهم : سوف لا يبلغون المدى الذى بلغته الآية القرآنية الكريمة :

« هو الأول والآخر والظاهر والباطن » . وهذه الآيات القرآنية التى ذكرناها إنما هدفها أن تدفعنا دفعا إلى الشعور بقيومية الله ، سبحانه وتعالى مهممته ، وهيئته مسيطرة ، والشعور بتوجيهه سبحانه وتعالى للإنسان أن يفر إلى الله فى كل أمر من أموره وأن يسمو بنفسه حتى يتحقق بأن :

« لا إله إلا الله » .

وما فعل الصوفية أكثر من ذلك إنهم مهتدون بهدى القرآن والسنة - يريدون الإنسان : أن يكون ربانيا ، فإذا ما استمر السكث من الناس يخلدون إلى الأرض ، وينظرون دائما إلى أسفل ، فليس ذلك ذنب الصوفية ، فقد أدوا واجبه نحو التوجيه إلى الله تعالى ، خير أداء .

من قبل ذلك ومن بعده : يشغله كله فلا يدع فيه مكانا للأغيار .

ه - وأخذ هؤلاء الصوفية يوجهون أفراد القطيع من البشر إلى الله تعالى ، : أخذوا فى محاولة جاهدة مستمرة - لانتزاع الإنسان من الإخلاق إلى المادة ليتطلع إلى السماء :

لقد حاولوا أن يوجهوا نظر الناس إلى الله ، عن طريق آلائه التى تغمرهم وعن طريق صنعه ، رآه أتقن كل شيء صنعا ، سبحانه : أخذوا يوجهون نظر الناس إلى الله تعالى : فى الزهرة تتفتح ، وفى الزرع ينبت متجها إلى السماء . وفى الشمس تشرق ، وفى القمر يتألق ، وفى مواقع النجوم ومداراتها . . .

وفى كل هذا الإبداع السارى فى الكون أخذوا يشرحون معنى تلك الآيات الكريمة « تبارك الذى بيده الملك ، وهو على كل شيء قدير . الذى خلق الموت والحياة لبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير » .

وكانت تعبيراتهم تعبيرات متذوقين ، وليست التعبيرات الجافة لعلماء الكلام أو الفلاسفة وهم - فى تعبيراتهم - : يشرحون : أن الله سبحانه وتعالى ، هو الممد الوجود لكل

أما إذا لم يكتف بعض الأفراد بالإخلاص إلى الأرض وبالنظر إلى أسفل ، وإنما أخذوا يهاجمون من يدعوهم لتطلع إلى السماء ، ويوجههم إلى الله ، تعالى ، فهو لاء : إنما يحاربون الله ورسوله ، وجزاؤهم معروف .
٦ - وقد نتساءل : فيم إذن حوكم الحلاج وقضى عليه بالقتل ؟

إن أمر هذه القضية : قضية الحلاج : معروف سرها وما كان سرها خافيا في يوم من الأيام :

لقد كان الحلاج قوة جارفة : كان مركز للجاذبية لا يضارع ، يلتف حوله الناس أينما حل ، ويسرون معه أينما ارتحل .

وكان - ككل صوفي - : يحب آل البيت لأنه كان يحب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وكان آل البيت إذ ذاك : يطمحون في أن تكون الدولة لهم ، وما كان بنو العباس يطمحون إلى شخصية كشخصية الحلاج المحبة لآل البيت .

نسل رسول الله ، صلوات الله عليه ، وما دام الحلاج دعاية قوية تسير في كل مكان ، وتتجه إلى كل بلد ، فيجب ، حفظا على أمن الدولة وتحصينا لاستقرارها : أن يتمك بالحلاج . وما كان مقتل الحلاج دينيا قط ، كلا ، وإنما كان سياسيا بحتا . ومن السهل على الملوك المستبدين أن يزيفوا القضايا ، وأن يأتوا

بشهود الزور ، وأن يعدوا القضاة بالمال والترقية وأن ينفذوا أهواءهم ...
فكان ما كان من قضية ومن قتل ... والدين من كل ذلك براء والألفاظ التي ينسبونها إلى الحلاج ليست في كتاب من كتبه ، وكتبه : وبعضها موجود - لا تسند خصومه ولا تؤيدهم . هذا ما كان من أمر الحلاج . وبقيت كلمة :

إن المنطق الصحيح : ألا يفتي المهندس في أبحاث الأطباء ، وألا يحكم الأديب - باعتباره أدبيا - في أعمال المهندسين ...
ومن العدالة - على هذا الوضع - : ألا يحكم على هذه القمم الشاخنة : ابن عربي ، الحلاج ، ابن الفارض . من لم يبلغ مداهم أو يقاربه ، لقد قيل مرة لأحد شيوخنا الصالحين الأجلاء : إن فلانا : ينتقد ابن عربي في المجلات ، فقال ، رضوان الله عليه : وهل من حق الخنافس أن تحكم على أعمال الأسد إن الخنافس لا تحكم على أعمال السباع وليس من حقها أن تتحدث فيما تفعله السباع ومنطقها دائما منطق الخنافس

لا بد أن يبلغ الإنسان المستوى ، أو ما يقارب المستوى ، وحينئذ سيقول كما قال أسلافنا الذين بلغوا المستوى أو قاربوه رضی الله عن سيدنا محي الدين ، ورضی الله عن الحلاج ، وعن ابن الفارض ونفعنا به كتبهم هذا وبالله التوفيق :

عبد الحليم محمود
عميد كلية أصول الدين

بعد نجاح مؤتمر القمة العربي هذا واجب العرب فأين واجب المسلمين؟ للاستاذ حسن جاد

السكريم ما لم ينالوا بحلم الحليم ، وهم يتمثلون
قول الشاعر :

من الحلم أن تستعمل الجهل درنة
إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم
وهكذا يبرز كيان فلسطين ، ويظهر لها
جيش ، وتنظم لها جبهة تحرير ؛ وهكذا
ينتفض الأسد العربي الراض بعد جمام ،
ويتحفز للوثوب بعد لبد ، ويزار زارته
الغاضبة المجاجلة ، فيصم آذان إسرائيل ،
ويذوب في ضجته بغامها الحالم ، ومواقها
الضعيف .

وهكذا تتحرك الهمم الابية الأخذ على يد
العابئين بالنهر العربي ، فلا يعيشون في مائه
الطاهر ، ولا ينتفعون بورده النقي .

لقد تحول الأمل الواحد الحالم إلى حمل
حازم حاسم ، وصفح العرب بالحقيقة خيال
الكلام ؛ وقاموا بواجبهم المقدس ،
وهم يعلمون أن فلسطين قلب العالم العربي ؛
فهى بين القاهرة ودمشق ، وهى الجسر
الذى يصل آسيا العربية بإفريقيا العربية ،
وهى منفذ جزيرة العرب إلى البحر المتوسط ،

أكد نجاح مؤتمر القمة العربي الثانى بعد
المؤتمر الأول أن العرب مهما غامت سماؤهم
بالسحب العارضة ، أو وهت هلاقتهم
بالدسائس الواغلة ، لا يتغير طبعهم العريق
بعوارض الفتن ، ولا يتأثر جوهرهم الأصيل
بغبار الأهواء ؛ يكشف الخطر الداهم
عن أصالته ، وينم الليل الداجى عن لمعانه .
فهم - كما عرفهم التاريخ - أنف أباة ،
لا يقيمون على ضم ، ولا ينامون على مذلة ،
ولا يغضون على هوان .

هائم أولاء وقدجد الجدد ، بعد أن استفحل
الخطب ، واستشرى الظلم ، وبلغت المأساة
ذروتها فى فلسطين ، وطال الأمد على قضيتها
الإنسانية ، التى هزت العوالم ، ووخزت
الضامير ، وفطرت القلوب ؛ يتسامون
عن الجراح الصغيرة ، ويتلاقون على الآمال
الكبار ، ويجتمعون على الخطب المشترك ،
ويجمعون على الهدف الموحد ، ويقررون
بالعزم الواثق ، والحزم المصمم ، أن يأخذوا
بالعمل ما لم يأخذوا بالكلام ، وأن يستردوا
بالقوة ما ضاع بالسلام ، وأن ينالوا بغضبة

الذي شجع اليهود على شراء الأرض المقدسة ،
ومكنهم من التأثير على كثير من غير
الفلسطينيين ، وقليل من الاسر العربية ،
بالأثمان المغرية ، والعروض السخية ،
ليبيعوا ما يملكون من الأرض لهذه الفلول
الشتية من العصابات اليهودية :

باعوا البلاد إلى أعدائهم طمعاً
بالمال ، لكننا أوطانهم باعوا
قد يعذرون لو ان الجوع أرغمهم
واقه ما عطشوا يوماً ولا جاعوا
يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة
ولا تعلمت أن الخصم خدام
لقد جذبت على الأحفاد والهفي
وم عبيد وخدام وأنباع
وغرك الذهب اللعاب تسكنه
إن السراب كما تدره لماع
فكر بموتك في أرض نشأت بها

واترك أقبرك أرضاً طوطها باع
وظلت بريطانيا تعمل على تحقيق وعد
بلفورها الذي جاد بمالاً يملك ، حتى
اقترحت قرار التقسيم ، وعملت هي ومثيلاتها
من الدول الاستعمارية التي ترتبط مصالحها
بالصهيونية على إحكام الحائمة للأساة في عام
١٩٤٨ م والجيش العربي — إذ ذاك —
تعصف بها رياح الخيانة ، وتفتك بها أسلحة
الغدر ، فلا راية تجمعهم ، ولا قائد يوحداه ،

وشعب فلسطين شعب عريق في العروبة ؛
تحدو من أصلاب القبائل العربية قبل الفتح
الإسلامي وبعده ؛ فالخنجر المسموم الذي
أصاب هذا القلب خليق أن يشير الألم
في نفس كل عربي ، ويستثير مشاعره ،
ويقض مضجعه ، ويقاق وجدانه .

إن الصهيونية الآثمة ليست إلا حركة
عدوانية مدسرة ضد العرب ، بل ضد البشرية
كلها . فهي إلى ما استهدفته من اتخاذ فلسطين
وطناً للدولة اليهودية التي فكرت أول
ما فكرت في إنشائها ، تستهدف تدمير
الحكومات التي لا توالي اليهود ، وتريد
السيطرة على الحكومات العالمية ، وتتوخى
التأثير على الدول القوية مثل أمريكا .

وقد استطاعت بقتلها الخفي ، ووسائلها
الدينية أن تحقق كثيراً مما تريد حتى رأينا
استهلال الغدر البريطاني بوعده بلفور المشؤم
عام ١٩١٧ م ذلك الوعد الذي قطعه لليونين
اليهودي (روتشيلد) بتأسيس وطن قومي
للإهود ، والذي تردد صداه في شعربنا العربي
فندد بهذا الذي يجود من جيب غيره :

ألا ليت بلفور أعطاكمو
بلاداً له لا بلاداً لنا
فلندن أرحب من قدسنا
وأنتم أحب إلى لئدنا
ثم توات حلفات الغدر في ظل الانتداب

تحاول جاهدة أن تنافق الدين بالتدليس الصريح ، وأن تمتلق المسيحية بتهويد المسيح لتبرر وجودها الزائف وتدعم كيائها المزهوم فما بال المسلمين - ودينهم بتاريخه وذكرياته وقبلته ومناسكه يربطهم بهذه الأرض المقدسة ويشدهم إليها - لا ينمضون باسم الإسلام لنجدتها واستنقاذها ١٩

إن الحقيقة التي تهزم الباطل اتمهيب بالمسلمين في شتى بقاع الأرض أن يهوامع العرب لاسترجاع تلك البقعة السليبية من وطنهم الإسلامى .

وإن دينهم الذى شرع الله لهم ليفرض عليهم الجهاد المقدس لإفقاذ هذه الأرض المعضوبة ، فليكن منهم جيش إسلامى يقف مع جيش العروبة ، ولتكن لهم منظمة إسلامية تشد أزر منظمة التحرير العربية ، وليعلموا أنهم فى حق دينهم آثمون ، إن استنأموا للضم ، واستكانوا للذلة ، وأصموا آذانهم عن صيحات إخوة لهم مشردين ، أخرجوا من ديارهم بغير حق ، وغضوا أبصارهم عن أرض ترتبط بها مشاعرهم وفيها مقدساتهم ، تعيش فيها ذئاب اليهودية ونموج بها كلاب الصهيونية ؛ وليذكروا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ؟

حسن حامد حسن

مدرس بكلية الدراسات العربية
جامعة الأزهر

ولا إخلاص من ورائها . فهى تقايل بلا سلاح ، وتحارب فى غير ميدان والشاعر العربى يتفجع لهذا المصير ويهاجم المقصرين والخائنين :

أيحرب يدرى أن غد يتم أذلة
لعمرى لقد سودتمو وجه يمرى
بنى العرب قد برأت منكم محمداً
فما كان إلا ثابت الجأش أغلبا
لقد تدارك أبطال العروبة اليوم ما فاتهم
بالأمس ، وتعلموا من هذه المحنة القاسية
أعظم درس فهم يتلافون ما شجر عن الخلاف
ويطوبون لما جنته الفرقة ، وينتفضون
انتفاضة عملاقة تمسح عن جباههم الكريمة
تراب المذلة ، وتحمل كواهلهم الشائخة واجب
الشرف والكرامة ، وتثير فى نفوسهم
العربية نخوة الإباء ، وحمية الأنفة ، لإفقاذ
العروبة فى فلسطين .

ذلك واجب العرب نحو فلسطين العربية ، فأين واجب المسلمين نحو فلسطين المسلمة ؟ على تراها الطاهر - راج موسى والمسيح ، وفوق روابيها الخضر اتصت الأرض بالسماء وإلى مسجدها الذى بارك الله حوله سرى خاتم الأنبياء ، وهو ثالث المساجد التى تشد إليها الرحال ، وتعلق بها الآمال ، وتهفو المشاعر وتصوب القلوب

إن لإسرائيل التى تحالف الاستعمار لتحقيق أغراضها ، وتستغل السياسة بسط سلطانها ،

الكيمان الفلسطيني

للاستاذ محمد محمد خليفه

وإن واجب الفلسطينيين الذين يعيشون في البلاد العربية في ظلال الجنسيات الممنوحة أن يتخلوا عن تلك الجنسيات ، وأن يهرعوا إلى حيث يخفف لواء فلسطين ليعتصموا في ظلاله ويحسوا بالعزة التي غاب عنهم سلطانها والوطنية التي تاه عنهم مكانها .

وإن عشرات الألوف من المهاجرين والمهاجرات ليس مكانهم بعد ميلاد الكيمان الفلسطيني في الأسواق والمتاجر ، ولا بين المدارس والمعاهد والجامعات ولا بين المزارع والحقول في فلسطين وفي غير فلسطين ، وإنما مكانهم معسكرات التدريب فيها وفي جاراتها ، وفي المصانع التي تصنع الموت لمن اغتصبوا منها الحياة .

وواجب كل ملك أو رئيس عربي أن يرغم على العودة إلى فلسطين كل من أنكر جديته الفلسطينية واستمرأ الضيافة ، أو استطاب الحياة في كنف الجنسية الموهوبة .

وإن منهج المعسكرات كما سيعين بالتدريب يجب أن يعنى بالخلق والتربية والتأديب خلق الإيمان بهذا الكيمان ، وخلق الاستعداد لبذل الطاقات التي اختزننت ستة عشر عاماً ، ثم تربية النفوس تربية صادقة يكون قوامها حب العمل

ولد الكيمان الفلسطيني بعد ستة عشر عاماً قضاه أحرار هذا الشعب في سجون الحسرة والالم تشويهم نار الغيظ ، وقضاه غير الأحرار ممن استعبدتهم حب الحياة الودعة غرباء . هن قضيتهم ، منهم من نزع وراء العيش ومتاع الحياة إلى أرض عربية أو غير عربية ، وأكثر هؤلاء لا تربطهم بفلسطين غير أطياف من الذكريات البعيدة التي تعبر خواطرهم كلما ذكرت فلسطين ، وقد يعاودهم الحنين إليها في المنأى ، ولكن حنينهم لا يلبث أن تخمد جذوته أمام العيش الناعم والحياة المطمنة في المهجر .

ومنهم من يعيش على أرضها وقد شغلته دنيا أمرته الصغيرة عن كيان شعبه الممزق ، أو استسلم لليأس فانطوى معه لايهزه ضجيج الأحداث التي ترعد من حوله ومن أجله .

لقد ولد الكيمان الفلسطيني ولكنه لن يقوى على مجابهة الأهوال والأنواء التي تواجهه إلا إذا أحس كل فلسطيني نازح أو مقيم بواجبه نحو هذا الكيمان ، وآمن بأنه قوة تتفاهل وتتسائد وتتفانى في دعم هذا الكيمان وفي خلق جيش يحمل أعباء الأمانة التي ألقاها على كاهله مؤتمر القمة العربي .

وآتاه مع كل ذلك روح الطبيب الحاذق
يشخص ويداوى بعد أن يلبس الداء .

ومن ثم يجب أن يختار إلى تلك المعسكرات
صفوة مننتة من الهداة والمصلحين الذين
يؤمنون برسالتهم ويؤمنون بالعمل وبذل
كل الطاقات لخير هذه الرسالة ، فحين ترسم
القيادة وتخطط يجب أن يوضع في حسابها
أن الموقف يستدعي قيادات روحية دينية
 واجتماعية تصلح النفوس ، وتهي الأرواح
وتخلق فيها روح الفداية والتضحية التي حملها
الآباء العرب في الماضي الأبعد والبعيد ،
فخطمت كبرياء الفرس وإباء الروم ، وردت
هن الشرق وحشية القتل .

تلك الروح المؤمنة العاملة الباذلة هي التي
ترتقها فلسطين الجريحة في هدها الجديد .
وتلك الروح هي التي يجب أن يقسح بها
الفلسطيني قبل أن يخوض المعركة وقبل أن
يأخذ مكانه فيها .

وليس مكان الفلسطيني على الحدود بفنظر
صيحة الانطلاق ، وإنما مكانه قلب يافا
وحيفا وتل أبيب حيث ينقض صاعقة تحرق
قبل أن تحترق وتدمر قبل أن تدمر ، وتقضى
على الأخضر واليابس قبل أن تتحول إلى
رماد وتحمل الغناء لمن حرمها البقاء ، وتمدى
الموت لمن نزع منها الحياة ، وكل ذلك حين
تدوى على الحدود صيحات الزحف ، فكانه

في كل مجال يدهوهم إليه بناء الدولة الجديدة
وفسيان الفردية التي كانت تعمل من قبل
في ظل الموى الفردى ، ولا تلقى لها وجودا
في مجال العمل الشعبي وتكوين الأخوة الشعبية
التي أضعف التقسيم عراها فوهت على الزمن
أقوى رابطة لا ينكر أثرها في الخلق والقوة
حتى ليكاد يحس ابن جليل أنه لا يرتبط
بالعربي الحبي أو الرثى برباط شعبي .

وأخيرا يجب أن يعنى بهذيب تلك الطباع
التي جعل منها القشريد والحرماني في رأى
الدعائيات المفسدة طباعا حاقدة على الأصدقاء
والأعداء على السواء إن طباع المغترين
والمقيمين أحوج ما تكون إلى الصقل والتثقيف
وإزالة الرواسب التي غيرتها وربطها بالكيان
العربي الكبير ، وخلق الإيمان بمستقبل الأمة
العربية الكبيرة قبل أن تزحف تلك القوى
إلى المعركة الفاصلة .

وهنا يبرز دور الهداة والمصلحين إلى جانب
دور القادة والمدربين ، وقد يكون جهد المصلح
أشق وأعنى من جهد المدرب لأن الوصول إلى
طوايا النفوس واكتشاف خفاياها ، وإزالة
ما فيها من شذوذ قد ينحرف بها عن صراط
الحق وغرس الحب والوفاء والصدق والأمانة ،
وقصد كل ذلك بالإيناء في ظل الأخوة العربية
قد لا يتيسر كل ذلك أو بعض ذلك إلا لمن
آتاه الله الحزم والعزم والإيمان والصبر

ليجعلوه عيداً من أعيادهم القومية .
وإن أنصار الحق والحرية في كل شهر من
العالم سيقتضون للقضية التي مل الرأي العام
الأممي شهودها .

وإن تستطيع الصهيونية العالمية التي تتجر
بمصائر الشعوب أن تخرج من المعركة
منقصرة لأن ما لها الذي تشتري به العروش ،
وتقيم به العروش لن يهدى شيئاً حين يذهب
أنصار الحق للحق ، وحين تنكشف للدنيا
الأصابع العابثة بالحكومات المتلاعبة
بالرياسات . أيها الملوك والرؤساء العرب .

لئن عشرات الملايين التي عاشت معكم
أرواحها أيام مؤتمر القعة فترجت ملاح
في وجوهكم وغيونكم من المعاني ، ثم رأت
في الجلسة الأخيرة لإشراقات الأمل ، وابقسامات
المنى تشع على الوجوه وترسم على الشفاه .
هذه الملايين التي سرها اجتماعكم يسرها أبداً
أن تراكم قلباً واحداً ورأياً واحداً وعزماً واحداً
وصفاً واحداً تقف وراءه شعوبكم تنتظر
إشارة الانطلاق إلى بناء مجد عربي موحد
تلتقي بغائه الأبدى والقلوب والعقول والآمال
وتعمل طاقات العرب جميعاً لحيد العرب
جميعاً وإن السكان الفلسطينيين هو أول عمل
في صرح المجد العربي الموحد فتى ترى ملايين
العرب ذلك الصرح المنشود يطاول السماء .

محمد محمد خليفة

في معركة العودة قلبها لأن الأرض التي باعها
أبوه بضمن بخص ، والأرض التي اغتصبت من
أبيه ، والأرض التي قدم لها أبوه روحه
ودمه ثم طرد منها بنوه ، كل تلك الأرض
خليق بالفلسطيني أن يستردها بكل ما يملك
ليعرف ما بفعل فيها حتى يكون حرصه عليها
أشد مما لو أهدتها إليه الجيوش العربية بعد
أن تشترىها بالمال والدم والأرواح .

وجيوش الأمة العربية كلها حين ترى
الفلسطيني في قلب المعركة لن تعن عليه بالمال
ولا بالدم ولن تمن عليه يوماً بما بذلت لأن
الأخوة الصارخة في الدم تستحقها أبداً للعمل
لحق العربي ويسعدها البذل في رد هذا الحق
وإن كان غالياً ، ويسعدها أن تصون له ودمه
هذا الحق ، وإن عادت في سبيل ذلك الدنيا
وإن عرضت اقتصادها للاضطراب فكل
غال حين بذله في سبيل الأخوة .

وإن أسلحة الشعوب العربية في معركة
السكان الفلسطينيين مختلفة الألوان ولاكنها
متضافرة القوى ، ستحارب إسرائيل في أرض
فلسطين بالمال والرجاء والعتاد ، وتحارب
الشعوب التي تقف وراء إسرائيل بسلاح
الحرمان من البترول الذي تغله الأرض العربية
ولهذا السلاح خطره على العرب ، وإن العرب
لم يرتقبون اليوم الذي يعلن فيه تنفيذ قرار
حرمان الدول المنتصرة لإسرائيل من البترول

وثنية بني إسرائيل للأستاذ على الخطيب

أن يسألوا أجراً أو يطلبوا نفعا يقول تعالى :
« لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا
إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون »
- المائدة - ٧٠ .

فلم يكن المولى جل وعلا مطاعا فيهم ،
ولا كانت شريعته - وهي هدى ونور -
بسارية في أوساعهم . خرجوا على الرب ،
وفسقوا على شريعته فالتمسوا لها غير ربهم ،
ودينا يخالف شرعته وانحرفوا مبكرين إلى
الوثنية ، وموسى وهرون بين ظرانيهم .

وحسبنا أن نمر بالعهد القديم ، ونطلع
على وثنيته وتخطيطها حتى ندين في جلاء
أن القوم لم تكن لهم فلسفة في وثنيته .
وذلك لسبب بسيط هو أنهم تلبسوا بالوثنية
من غيرهم ، وطلبوا خارج حدودهم . فلم
تكن للقوم وثنية تخصهم لذلك كان نزوعهم
إلى هذه الوثنية يسجل عليهم فحولة الفكر ،
ونضوب الروح ، وضيق الأفق الذي يستبدل
بجلال الوحدةانية ، وسوء تكريمها للخلق
عبادة بشر أو حجر لا يسمع ولا يبصر
ولا يغنى عنهم شيئا . في نفس الوقت الذي

لم يكن يبدو أن الاكثية من بني إسرائيل
راضية بحال عن موسى صلوات الله وسلامه
عليه ، ولم تكن - في الوقت نفسه - تحترم
في شخصه جلال النبوة ، أو ترمي لها أدبا .
فكانت تصرح بسخطها منه وتقول لموسى :
« ... أودينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد
ما جئتنا - الإعراف ١٢٩ ، وكان هرون
عليه السلام يشعر بعداوة فريق منهم له .
وهذه الروح المتمردة فيهم لا ينكرها العهد
القديم المتداول فقد سجل موقف هذا الفريق
من موسى وهرون في قولهم : « ليتنا متنا
بيد الرب في أرض مصر . إذ كنا جالسين
عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع ، فإننا
أخرجتنا إلى هذا القفر لكي تميتنا كل هذا
الجمهر بالجوع - خروج ١٦ - ٢ ، ٣ . »

وتاريخ بني إسرائيل مع أنبيائهم ناطق
بهذا الجحود والنكران حتى أسفروا في النهاية
عن مقت شديد للنبوة فأعملوا في أنبيائهم قتلا
وتذبيحا . وفي القرآن الكريم أكثر من
آية تصممهم بهذه الجريمة النكراء ضد قوم
هزل لا يرفعون سلاحا ، ولا يملكون
إلا الكلمة الطيبة ، والدعوة المخلصة دون

إليينا موسى ، - ٩٠ ، ٩١ - ، واستضعفوا
هرون وهموا أن يقتلوه ، فخشي أن تتفرق
كلتهم ، وتذهب وحدتهم ، ويأتي موسى
فيراهم بمزقين فانتظر بعد أن ذهب جموده
سدى . ولذا رجع موسى ورأى ما فعلوه
أخذ الغضب فألقى بالألواح وأخذ برأس
أخيه يجره إليه وصاح فيه : يا هرون
ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني أفعصيت
أمرى قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسى
إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل
ولم ترقب قولى ، - طه ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ - .
« إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى
فلا تشمت بنى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم
الظالمين ، - الإعراف ١٥٠ - ، فتأجى موسى
ربه قائلا : « رب اغفرلى ولاخى وأدخلنا
فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين ، - الإعراف
١٥١ ، وقال تعالى فى أصحاب العجل : « إن
الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من
ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزي
المفترين . - الإعراف ١٥٣ .

٢ — ولما قضى موسى وهرون تهادى
بنو إسرائيل فى العصيان ، وأمعنوا فى التردد ،
وجلبوا الأصنام من أحاط بهم من أمم ،
وأقاموها فى أنحاء شتى بمدنهم : فى المرتفعات ،
وعلى الطريق وأقاموا لبعضها كهنة ،
وعكفوا عليها رجالا ونساء متناسين كل نعم

أعجبت بشريعتهم فيه أمم ودانت لها
مختارة ^(١) . فما كانت هذه الوثنية فيهم
إلا حبا للخروج على ربهم والضيق بشريعته ،
ومخالفة أمره حتى لقبوا فى العهد القديم
بالبيت المتمرد (حزقيال ٣ - ٩) .
وقد توردنا من عهد موسى حتى ظهر فيهم
المسيح عليهما السلام .

١ — فبعد أن هرب بهم موسى البحر ،
ورأوا بأعينهم قدرة الله الخارقة ، وإعجازه
المحيط ، مروا على قوم يعكفون على أصنام
لهم : « فقالوا : يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم
آلهة . قال : إنكم قوم تجهلون : إن هؤلاء
متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال
أغير الله أبغيتكم إلها وهو فضلكم على العالمين ،
- الإعراف ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - .

وحين تركهم للقاء ربه الذى استغرق
أروبهين يوما ليتلقى ألواح الشريعة استخلف
فيهم هرون أخاه ، فاتخذ لهم السامرى عجلا
جسدا له خوار ونادوا فيما بينهم : « هذا
إلهكم وإله موسى ، ولم يعبأوا بنصح هرون
ولا بقوله : « يا قوم إنما فتنتم به ، وإن
ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى .
قالوا لن نبرح عليه ما كافرين حتى يرجع

(١) انظر « للآلهة الصهيونية فى نظر العلم »
للككتور محمد عوض محمد - من رسالات
الجامعة العربية .

أعطوا ظهورهم للقبلة ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس حزقيال ٨ - ١٦ ، ٠
٣ - وقد ختمت فرقة منهم وثنياتها بعبادة البشر فعبدت هزيراً - عزراً - كاتب الشريعة التي الذي كان يحفظ التوراة عن ظهر قلب . في القرآن الكريم : د وقالت اليهود هزير بن الله . التوبة ٣٠ ، وكان عزيز في أسرى بابل . وخرج بكثير منهم إلى بيت المقدس حين سقطت بابل تحت الحكم الفارسي . وقد تذل العزيز لربه أن يقبل توبتهم ويصفح عنهم ، فساكن من فرقة منهم إلا أن عبده بنظرية الحلول . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وعبدوا كوشان ملك آرام ، وعجلون ملك موآب (قضاة ٣) .

تلك صورة سريعة لوثنية بني إسرائيل يسدو فيها قليل من كثير مما حواه العهد وصدقه القرآن ، وهي وثنية واسعة النطاق تمثل الصابئية في عبادة الكواكب ، والتوتمية في تقديس الحيوانات . والمجوسية في عبادة النار . وبذلك ضاع بينهم منهج التوراة ، ونقضوا عهد الله وحرفوا شرعته فغضب الله عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضبه : د لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون .

على الخطيب

بجمع البحوث الإسلامية

الله وأفضاله عليهم . وقام النسوة بحرق البخور لها ، وقدم الكثير منهم لها نذوراً ، وصرخ فيهم أنبياءهم وهددوا بالإبادة دون جدوى وفي سفر حزقيال ورد الإنذار : د وأضع جثث بني إسرائيل قدام أصنامهم ، وأذرى عظامكم حول مذبحكم ٦ - ٥ ، لكنهم استمروا الزيادة والتوسع في ألوان الوثنية فعبدوا النار : د وبنوا المرتفعات التي في وادي ابن هنوم ليجزوا بنهم وبناتهم في النار لمولك - إرميا ٣٣ - ٣٥ ، ومولك - كما يبدو - هو من أوثان الفينيقيين الذي تقلوه معهم إلى قرطاجنة - تونس ، وكانت له ذراعان ممدودتان ذوا محور . وقد تحت نصبه النار . ويوضع الطفل فوق ذراعيه فتهبطان به فيها . فقتل بنو إسرائيل كثيراً من أطفالهم صفها وفيهم من ينذرم بحرم ما يفعلون .

ولم يسكتوا بما نصبوا من أوثان فوق الجبال ، وبين الطرق فنقلوا رجسهم داخل بيت المقدس وملأوا بها مقاصده . يره حتى كان ببعض حجراته ... د كل شكل دبابات ، وحيوان بحس ، وكل أصنام بيت إسرائيل مرسومة على دائرة ، وواقف قدامها سبعون رجلاً من شيوخ بيت إسرائيل - حزقيال ٨ - ١٠ ، وفي مكان آخر بالبيت كان : د هناك نسوة يركن على تموز حزقيال ٨ - ١٥ ، وفي أحد أماكن الصلاة

بمناسبة افتتاح العام الدراسي مشاكل التربية الدينية والخلقية والاحتلاط للدكتور على عبدالواحد وافي

بكثير الحديث في هاتين المشكلتين في فاتحة كل عام دراسي ، ويذهب الناس في شأنهما مذاهب شتى ، ولكنهم يكادون يجمعون على أننا لم نصل بشأنهما إلى حل سليم يرضى عنه نظامنا الديني ، ويوائم تقاليدنا وعرفنا الخلقى وأوضاعنا الاجتماعية العامة . بل يكاد يجمع علمائنا على أننا لم نصل في صدرهما إلى حل يتفق مع ما تقرره علوم التربية .

١ — أما فيما يتعلق بالناحية الدينية والخلقية فقد قامت النظم التي وضعت للدارس الابتدائية والثانوية في عهد الاحتلال ، وهي التي وضعها دنلوب المستشار الإنجليزي لوزارة المعارف حينئذ وتعبدها خلفاؤه من الإنجليز والمصريين ، قامت هذه النظم على إغفال ناحية الدين من التربية في المدرسة بل على محاربته من وراء ستار ومحاربة ما يتصل به من شئون التربية الخلقية والاجتماعية ، وجربا على طريقها المساكرة في سائر مساوئها وذر الرماد في العيون ، فسحت السياسة الدنلوبية في هذا العدد مجالا يسيرا لبعض دروس في الديانة ، ولكنها أمعنت في التووين من شأن هذه الدروس ، فوضعتها في هامش المنهج الدراسي ، وأعفت التلاميذ من الامتحان فيها ، أو قررت فيها

امتحانا رفيعا لا يترتب عليه أثر ما في نجاح التلميذ ورسوبه ، أو يترتب عليه أثر ضئيل . وما كان يفتظر من السياسة الدنلوبية أن تعنى بنواحي التربية الدينية والخلقية في مصر ، وقد كان كل همها العمل على انحلال الشعب المصري ! ثم أخذت المدرسة المصرية بعد أن تحررت من سيطرة الإنجليز توجه قسطاً من عنايتها إلى هذه النواحي ، ولكنها لا تزال إلى الوقت الحاضر مقصورة في جنبها تقصيرا كبيرا ، ولا تزال بعيدة كل البعد عما ينبغي أن تكون عليه .

ففي أحد خطط للدارس الثانوية التي يجتاز طلبتها مرحلة المراهقة والبلوغ ، وهي أدق مراحل الحياة جميعاً ، وأشد ما حاجة إلى التربية الدينية والخلقية ، لا نجد إلا نحو ساعة واحدة فقط في الأسبوع للدين والتهديب ، بينما نحن فيها أكثر من ثلاثين ساعة أسبوعياً لمواد كسب الحقائق وحشو الذهن بالمعلومات .

والمدرسة المصرية إذ تقصر في شئون التربية الدينية والخلقية إلى هذا الحد تعمل على إضعاف أهم دعامة من مقومات الحياة الإنسانية على العموم ومقومات الشعب المصري بوجه خاص ، وتفسح المجال لعوامل القلق والاضطراب والانحراف في التفكير والسلوك هذا إلى أن دروس الديانة والتهديب

وبالصورة التي تدرس بها في مدارسنا لا تقوى وحدها على تحقيق الغرض من التربية الدينية والخلقية مهما كثر عددها ، حتى لو وضعت في صلب المنهج الدراسي ، وقرر فيما امتحان دقيق نترقب على نتائجه آثار ذات بال في نجاح التلميذ ورسوبه . فمهما بولغ في شأنها فإنها لا تعدو أن تكون مجرد مادة من مواد كسب المعلومات وحقائق تحشى بها أذهان التلاميذ ، وليست التربية الدينية والخلقية بمواد تدرس ، ولا حقائق تحفظ ، وإنما هي منهاج للسلوك يؤخذ بها الطالب في مدرسته بوسائل تربوية سليمة حتى يألفها وتصبح محبة إليه وجزءاً من طبيعته ، هي طرق عملية تنشؤه على الفضيلة وتزنيها في قلبه ، وتفره من الرذيلة وتبغضه فيها ، وتكون لديه الحسن الخلقى السوى الذى يستطيع بفضلها أن يميز بالبداية الخير من الشر والحيث من العليب وفقاً للنظم التي يرضيها دين أمته ويقرها عرفها الخلقى ؛ هي قوالب يدرّب الطالب في مدرسته تدريجياً عليها متواصلاً على أن يصب فيها أعماله وأفكاره المتعلقة بشئون الأخلاق وبواجب الإنسان نحو ربه ونفسه وأسرته ووطنه والإنسانية جمعاء .

فبناءً مسجد مثلاً في فناء المدرسة ، وإشراك التلاميذ في تشييده وتأثيثه وأخذهم بإقامة الصلاة فيه في مواقيتها ، وتوزيع الأعمال اللازمة له عليهم من أذان وإمامة وخطابة وتمهيد مرافق ، وما إلى ذلك ، وتمرسهم بهذه الأمور تمرساً عملياً تحت إشراف أساتذتهم ، كل ذلك خير من ألف درس وموعظة تلقى عليهم في أهمية الصلاة وثواب فاعلها وعقاب تاركها يوم القيامة ، وتكوين جمعيات من بين الطلبة لشئون الخدمة الاجتماعية والإصلاح الاجتماعى والإسعاف والتجدة وأمر بالفقراء وشؤون التعاون بمختلف فروعها ، ومزاواتهم لهذه الأمور مزاولة عملية تحت إشراف أساتذتهم خير من ألف درس يلقى عليهم في فوائد التعاون والتواصى بالخير والتكافل الاجتماعى وواجب الإنسان نحو أخيه الإنسان .

وقد هفى الإسلام وعنى مفكره الإسلام أكبر عناية بتكوين العادات الصالحة عن طريق القدوة الحسنة وعن طريق أخذ النشء بمزاولة الفضائل والواجبات الدينية مزاولة عملية . قال تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » ، وفى الأثر الشريف : (مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، أى وهم في سن السابعة) واضربوهم عليها لعشر) أى اضربوهم على تركها إذا بلغوا العاشرة ، ويقول مروبن عتبة لمعلم ولده : « ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك » ، فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت ؛ والتقيح لديهم ما تركت ، ويرى الغزالي وجوب أخذ الطفل بمزاولة الفضائل والواجبات الدينية مزاولة عملية متى بلغ سن التمييز ، وفى هذا يقول : « متى بلغ الطفل سن التمييز وجب

بالصورة التي تدرس بها في مدارسنا لا تقوى وحدها على تحقيق الغرض من التربية الدينية والخلقية مهما كثر عددها ، حتى لو وضعت في صلب المنهج الدراسي ، وقرر فيما امتحان دقيق نترقب على نتائجه آثار ذات بال في نجاح التلميذ ورسوبه . فمهما بولغ في شأنها فإنها لا تعدو أن تكون مجرد مادة من مواد كسب المعلومات وحقائق تحشى بها أذهان التلاميذ ، وليست التربية الدينية والخلقية بمواد تدرس ، ولا حقائق تحفظ ، وإنما هي منهاج للسلوك يؤخذ بها الطالب في مدرسته بوسائل تربوية سليمة حتى يألفها وتصبح محبة إليه وجزءاً من طبيعته ، هي طرق عملية تنشؤه على الفضيلة وتزنيها في قلبه ، وتفره من الرذيلة وتبغضه فيها ، وتكون لديه الحسن الخلقى السوى الذى يستطيع بفضلها أن يميز بالبداية الخير من الشر والحيث من العليب وفقاً للنظم التي يرضيها دين أمته ويقرها عرفها الخلقى ؛ هي قوالب يدرّب الطالب في مدرسته تدريجياً عليها متواصلاً على أن يصب فيها أعماله وأفكاره المتعلقة بشئون الأخلاق وبواجب الإنسان نحو ربه ونفسه وأسرته ووطنه والإنسانية جمعاء .

فبناءً مسجد مثلاً في فناء المدرسة ، وإشراك التلاميذ في تشييده وتأثيثه وأخذهم بإقامة الصلاة فيه في مواقيتها ، وتوزيع الأعمال اللازمة له عليهم من أذان وإمامة وخطابة وتمهيد مرافق ، وما إلى ذلك ،

الاختلاط في مرحلة التعليم الجامعي :
 فبعضهم يرى أنه ضرورية من ضرورات
 الحياة الجديدة ، وأن من شأنه أن ينمي من
 شخصية الفتاة ويشعرها بذاتيتها وكرامتها ،
 ويزيد من تجاربها ، ويغير من نظرتها إلى
 الجنس الآخر ، كما أن من شأنه أن يكسب
 الفتیان شيئاً غير قليل من الحذر والحيلة
 والصقل والوداعة في أخلاقهم وسلوكهم
 ومظهرهم وحديثهم . ويذهب هذا الفريق
 إلى أن العثرات والانحرافات التي تحدث
 بسبب هذا الاختلاط هي من الندرة والتفاهة
 بحيث لا تستحق أن تثير في نفوسنا أقل
 قلق ، كما يدل على ذلك سجل الحوادث
 والعقوبات في كثير من السكليات .
 ويذهب الفريق الآخر إلى أن هذا
 الاختلاط قد أدى إلى أضرار خلقية بالغة ،
 وأخذ يهدد البيت العربي الإسلامي ويتهدد
 تقاليده ومبادئه بشر مستطير ، وأن
 ما يصل من عثرات هذا الاختلاط ومخالفاته
 وانحرافات إلى علم العمدة ورؤساء الأقسام
 وما يدون منها في سجل الحوادث لا يعد شيئاً
 مذكوراً بالقياس إلى ما يحدث بالفعل
 ولا يصل شيء من أخباره إلى علم الرؤساء
 ولا إلى أوراق الملفات . بل إن ما يصل منها
 إلى علم الرؤساء وأوراق الملفات يتمثل
 معظمه في أمور ملفقة كيدية يقصد بها إلى
 الفكاكة بالأبرياء لإشباع الأحقاد أو تحقيق

الأياساخ في ترك الطهارة والصلاة وأن يؤمر
 بالصوم في بعض أيام رمضان .
 ويوسفنا أن نقول إن المدرسة المصرية
 في الوقت الحاضر قد أضافت إلى تفصيلها في
 تدريس الدين والتهديب تقصيراً آخر في أخذ
 تلاميذها بشئون السلوك الديني والخلق فهي
 لا توجه إلى هذه الناحية العملية من الدين
 والأخلاق ما ينبغي أن يوجه إياها من عناية
 بل إن جوداً لا يساعد كثيراً على بث العادات
 الصالحة في النفوس .

٢ - وأما فيما يتعلق بالاختلاط بين الجنسين
 في معاهد التعليم ، فإنه يحدث لدينا في مرحلتين :
 أحدهما مرحلة التعليم الابتدائي والآخرى
 مرحلة التعليم الجامعي ، وكلا هذين النوعين
 من الاختلاط دخيل في الشعوب العربية قد
 انتقل إياها من نظم التعليم في أمم الغرب .
 ويكاد الباحثون من العرب يجمعون على
 أنه لا خوف مطلقاً من اختلاط الجنسين في
 المرحلة الأولى من التعليم ، بل لا خوف أن
 يمتد هذا الاختلاط إلى بعض سنى المرحلة
 الإعدادية مادام الأطمال دون الثالثة عشرة ،
 أي قبل أن يبلغوا سن المراهقة وتبدل لديهم
 مظاهر الغريزة الجنسية بل يكادون يجمعون
 على أن للاختلاط في هذه المرحلة آثاره
 الطيبة في حياة الجنسين واثلاثهم ومحور النظرة
 الجنسية من نفوسهم
 ولكنهم يختلفون في نظرتهم إلى

في الوقت الحاضر ، وأخذ كثير منها يصالح ما أفسده الاتجاه الأحق نحو المساواة المطلقة بين الجنسين ، فأنشأت كليات خاصة للبنات يتلقين فيها مناهج تلائم طبايعهن ووظائفهن في الحياة ، وبطرق تتفق مع إدراكهن وما زودن به من استعداد .

وإذا كان للاختلاط بمعناه الحسى فوائد في حياة الجنسين كما يذهب المتعصبون له ، فإن ثمة مواطن أخرى كثيرة غير معاهد التعليم يمكن أن يتحقق فيها هذا الاختلاط ويؤتى ما ينتظره منه من ثمرات . وفي ميادين الحياة العامة وحياة الأسرة متسع كبير لذلك

ولكن عيبنا أننا نقلد الغرب تقليدا أعمى في كل شيء ، حتى في الأمور التي يقوم الدليل العلمى القاطع على فسادها والتي يظهر للغرب نفسه خطؤه في السور طليها ، ويحاول أن يهدى من اندفاعه في سبيلها

ويسعدنا أن نسجل أن مصر ، بعد أن قطعت في سبيل الاختلاط الجامعى شوطاً كبيراً ، قد قطعت الآن لهذه الحقائق وأخذت تتدارك بعض أخطائها ، فأنشأت كليات خاصة للبنات ملحقة بجامعة عين شمس وبجامعة الأزهر ، وإن كانت المناهج في هذه الكليات الخاصة لا تسكك تختلف في معظم ما أحياها عن نظائرها في الكليات الأخرى .

دكتور محمد عبد الوارث

بعض المآرب . وإن نظرة إلى مظاهر التبرج والخلاعة والابتذال والميوعة التي تحيط بهذا الاختلاط اسكافية في الدلالة على مدى مخالفته لتعاليم الإسلام ومبلغ ما يمكن وراه من ضرور .

وكلا الفريقين قد حصر انتباهه في الاختلاط بمعناه الحسى الجسمى ، وفيما يترتب عليه من نتائج من النواحي الجنسية والخلقية . وهذه ناحية تستأهل البحث بدون شك . وما يقوله الفريق الثانى بشأنها خليق بأن يستوقف نظر المشرفين على سياسة التربية الجامعية .

ولكن ثمة وجه آخر للوضوع أهم كثيراً وأجدر بالبحث ، وهو المتعلق بالاختلاط في مناهج التربية والتعليم وفيما يترتب على ذلك من النواحي العقلية ونواحي الإعداد للحياة . فإذا كان من المقرر أن كلا الجنسين يختلف عن الآخر في استعداداته الفطرية وقواه الجسمية والنفسية واتجاهات إدراكه ووجدانه ونزوعه ، وفي وظائفه الأساسية في الحياة ، أفلا يكون من خطئ الرأي أن نعز الطرف هما بينهما من هذه الفروق ، ونوحد منهجهما في التربية والتعليم ، ونجمعهما في معاهد واحدة يؤخذان فيها بطرق وأساليب موحدة ، ويمدان لمستقبل واحد ؟ ! هذه هى أهم مشكلة في الموضوع . وقد أخذت الآن تشغل أذهان العلماء والباحثين والناطقة في شعوب أوروبا وأمريكا ، وأخذت هذه الشعوب تهتم لها أكبر وزن

عناية الإسلام بالشباب

للدكتور محمد محمد أبو شنبه

وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - يحرصون على أن يحضروا أبناءهم بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم من صغرهم ليلتقوا عنه الإيمان والعلم والحكمة ، ويتخلقوا بخلقه ،

ويتأدبوا بإرشاداته ، وكان النبي يداهم ويلطفهم ، ويحاول ما استطاع أن يزيل أى حرج من نفوسهم ، فهذا هو محمود بن الربيع

وهو من أحداث الصحابة يقول : دخلت من النبي صلى الله عليه وسلم بحجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين ، وكان

الكثيرون من صفار الصحابة وشبابهم كالعبادة الأربعة يحرصون على حضور مجلس الرسول مع الكبار من المهاجرين

والأنصار ، روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من الشجر شجرة

لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم - حدثني ما هي ؟ فوق العنبر في شجر البادية ، ووقع في نفسي أنها النخلة قال عبد الله فاستحييه

فقالوا : يا رسول الله ، أخبرنا بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي النخلة . قال عبد الله : لحدثت أبي بما وقع في نفسي

فقال : لأن تكون قلبها أحب إلى من أن

الشباب هم عمل نهاية الأمم في حاضرها ، وأملها المأمول في غدها ، وهدنها وحسنها يوم يحمد الجسد ، ويدهو داعي الجهاد ، فيسارعون إلى تلبية النداء .

وعلى قدر إعداد الشباب وترقيته في كل أمة على قدر ما يكون مستقبلها ، وتحقيق ما تصبو إليه من تقدم ورقى ، ورفاهية ورخاء .

وقد شغرت الأمم في العصور الحديثة بأهمية الشباب ، وإعدادهم إعداداً حسناً ، وتوجيههم توجيهاً سليماً حتى لقد أنشئت

في معظم الدول وزارة تختص بشئون الشباب وهو اعتراف صريح بما للشباب من أثر فعال في تقدم الأمم أو تأخرها ، وقوتها

أو ضعفها ، ورخائها أو فقرها ، وشتان ما بين شباب قنع لا خير فيه ، وشباب طموح إلى المجد ومعالى الأمور ، لا يعرف

الخنا والفجور ، والميوعة والانحلال .

وقد نهى الإسلام بإعداد الشباب إعداداً دينياً وخلقياً ونفسياً ورياضياً كما عني بغيرهم من الكبار وإذا كان أول من آمن من الرجال

الصدق - رضي الله عنه - فأول من آمن من الصبيان في الفتيان على - رضي الله عنه - وكان يحضر مجلس النبي الكبار والصغار ،

وجعله في المنزلة بعد الإمام العادل ، وفي الحديث الآخر ، يعجب ربك من شاب ليس له صبوة ، يعني ميلا إلى الأهواء والانحرافات التي يقع فيها كثير من الشباب وفي الحديث الثالث أن الله سبحانه يباهي ملائكته بعبد الشاب الصائم فيقول : دأيها الشاب المفني شبابه ، التارك شهوته لأجل أن أنت عندي كبعض ملائكتي ، ولأنه لتكريم عظيم للشباب الذين امتلأت قلوبهم بالإيمان ، وانشرحت صدورهم للإسلام ، واستقامت جوارحهم على العمل به ، وثقفت عقولهم بمعرفة أصوله وفروعه ، وليس هذا التكريم بكثير على الشباب ، والشباب - كما قال الرسول - شعبة من الجنون .

ومن توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم السديدة للشباب وإرشادهم إلى ما يصرفون به أنفسهم عن الوقوع في الآثام مارواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ديا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة - مؤن النكاح - فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أي عاصم له من الوقوع في الآثام ، والانسحاق في تيار الشهوات .

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم بالصوم على العبادات التي من شأنها وصل القلوب

يكون لي كذا وكذا ، ، وقد فسرناها رواية ابن حبان في صحيحه : دأحب من أن يكون لي حمر النعم ، ، وإنما استجيبا لأنه كان أصغر القوم ولا سيما أنه كان بالجلوس الشيطان أبو بكر وعمر ولم يتسكلا بالجواب .

وقد كان بعضهم كابن عباس يذهب إلى بيت خالته ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وبيت عندها فيقتدى بالنبي في وضوئه وصلاته وتهجدته ، روى ذلك البخاري في صحيحه ، وهكذا كان شباب الصحابة يحرصون على الاقتداء بالرسول في قوله وفعله ، ويجدون في التربية المحمدية الغذاء الروحي والنفسى .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلهب الخماس في نفوس الشباب إلى حب الخير والاستزادة منه بما يليقهم عليهم من الهدى والوحى ، ويحيي فيهم التدين الصادق الأصيل والغيرة على الفضيلة والترفع عن الدنایا والأهواء والشهوات وقد وردت عنه صلى الله عليه وسلم لفتات كريمة في ثنایا حديثه في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : دسبعة يظاهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، الحديث .. فقد أشاد بمنزلة الشاب الذي نشأ وترعرع في أحضان التدين ،

الله أن نخالفك فاصنع ما بدالك ، وما كان لنا أن نستكرهك ، والأمر إلى الله ثم إليك . وهو أدب عال من أدب صحابة رسول الله الذين ضرب الله بهم الأمثال في التوراة والإنجيل وأشاد به ضلهم في القرآن يدل على أنهم ما أرادوا إلا الخير وحب الجهاد والاستشهاد في سبيل الله لا الاتصاف بالفكرة ولا الاستعداد بالرأى وكان جواب النبي صلى الله وسلم لهم أن قال : « ما كان لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه » . وبذلك طيب خاطرهم وأزال الحرج من نفوسهم .

كذلك لم تمنع حداثة السن عند الشباب الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يكل إليهم بعض مهام الأمور وأخطرها ليعملوا كيف يتحملون المسؤولية ، ويضطلعون بشئون القيادة والرياسة حتى ولو اعترض على ذلك بعض المعارضين فقد حدث الثقات من الرواة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بعد عودته من حجة الوداع بتجهيز جيش عزم إلى بلاد الشام كي يهرب أعداء الإسلام من أن ينقصوا أرضه من أطرافها وأمر على هذا الجيش أسامة بن زيد بن حارثة مولاه ، وكان في الجيش كبار المهاجرين والأنصار من أمثال الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكان أسامة يومئذ شابا حدثا لا يكاد يعدو العشرين عاما

بالله وملء الفراغ بالأعمال النافعة التي من شأنها صرف الشباب عن التفكير السيئ ، والسلوك المشين وفي معنى الصيام ملء الفراغ النفسى والزهدى بقراءة القرآن والأحاديث النبوية ، وقراءة النافع من الكتب أو الاشتغال بالرياضات المفيدة ، لاملء الفراغ باللهو والمجون ، وقراءة القصص والروايات المأجنة والاستماع إلى الأفلام المثيرة للفران الحيوانية السكامة في الإنسان ، والمنبهة لبواعث الشر والجريمة في النفوس .

ولم تمنع حداثة سن الشباب رسول الله عليه وسلم من اتباع مشورتهم وتنفيذ رغباتهم الشريفة في الحروب حتى ولو كان ذلك على خلاف رأيه فقبيل غزوة أحد كان المسلمون على فريقين . فريق يرى المقام بالمدينة والدفاع عنها وكان يميل إلى هذا الرأي الرسول وكبار المهاجرين والأنصار وفريق يرى الخروج إلى المشركين خارج المدينة ولقاتهم منازلهم وكان يمثل هذا الرأي غالب الشباب من الذين لم يحضروا بدرأ والذين حضروا وأشوقوا إلى النصر في غيرها وقد رجح النبي صلى الله عليه وسلم آخر هذا الرأي ، ودخل بيته فلبس درعه وبيضته وتقلد سيفه وخرج متيها للقتال حتى لقد خشي الذين كان رأيهم الخروج للقتال أن يكونوا قد استكروا النبي صلى الله عليه وسلم على الخروج فقالوا : « ما كان لنا يا رسول

بالانساب والألوان وإنما التفاضل بالتقوى
« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

كما ضرب أسمى ألوان العدالة والزاهة ،
والحزم والعزم ، والسياسة والكياسة وقد
عرف الفاروق - رضى الله عنه - بعض
الشباب المؤمنين العاقلين العالمين منزلتهم فكان
يدينهم منه ويستشيرهم ويجعلهم في منزلة كبار
المهاجرين والأنصار ومن هؤلاء عبد الله
ابن العباس رضى الله عنهما روى البخارى
في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال : « كان
عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكان بعضهم
وجد فى نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا
أبناء مثله ؟ - أى فى مثل سنه - فقال : إنه
من حيث علمت ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم
فما رويت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهما قال
ما تقولون فى قول الله تعالى « إذا جاء نصر
الله والفتح ، فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد
الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت
بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لى : أكذاك تقول
يا ابن عباس . فقلت : لا . قال : فما تقول
قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه
وسلم أعلمه له قال : « إذا جاء نصر الله
والفتح ، وذلك علامة أجلك فسبح بحمد
ربك واستغفره إنه كان تواباً ، فقال عمر :
ما أعلم منها إلا ما تقول » .

وروى عبد الرزاق عن معمر بن الزهرى

وقد فتح النبي - وهو المشرع الذى لا يصدر
فى تصرفاته عن هوى - بهذا العمل الجليل
الآفاق الواسعة أمام الشباب الصالح لمهام
القيادة والرياسة ، وأهم قد يكون عند بعضهم
من الاستعداد الدينى والخلقى والنفسى والعقل
ما يجعله أهلاً للتوجيه والقيادة حتى ولو وجد
غيره من الكبار يغنى غناؤه ، ويسد مسده .

وقد سار الصديق رضى الله عنه على منهج
الرسول الكريم فى تكريم الشباب الصالحين
الطامحين فكان أول عمل قام به أن أنفذ جيش
أسامه لغزو الروم وأبى الصديق أن يستمع
إلى مشورة من أشاروا بعدم إرسال الجيش
فى هذه الظروف ، كما أبى أن يستمع إلى
اعتراض بعض الصحابة الذين أشاروا عليه
أيضاً بتعين قائد أسن من أسامه وأكثر منه
حنكة ودربة فى الحروب ، وبالنسبة للصديق
فى تكريم القائد الشاب فخرج يودعه ما شيا
على قدميه وأسامة راكب فرسه فقال له أسامة :
يا خليفة رسول الله لتركبن أو لآنزلن ، فقال
الصديق : والله لآنزلن ولا أركب !! وما
على أن أغبر قدمى ساحة فى سبيل الله ثم يبالغ
فى تكريم القائد الشاب فيطلب منه أن يعفى
الفاروق عمر بن الخطاب من الذهاب معه
فى الجيش ليبقى فى المدينة وزير صدق له .

وبذلك ضرب الصديق رضى الله عنه أروع
الأمثال للنسابة فى الإسلام وأن لا تفضل

وأعمالهم وسلوكهم وفق الشريعة وأخلاقهم من أخلاق القرآن ، وأدب النبوة فلا عجب أن عزهم الإسلام وأن حققوا خيرية هذه الأمة الإسلامية ، وأن كانوا مثلاً صادقة للشباب المسلم المتناضل المكافح ، وأن فل يذنبهم الفراغ للنفس وتحصنوا ضد الانحرافات والأهواء المضلة ، والآراء الفاسدة .

وبعد : أدامت هذه الحال ؟ أم أصيب الشباب بالفراغ النفسى حتى أضحوا كالريشة المعلقة فى الهواء ؟ ذلك ما سأحدثك عنه فى المقال الآتى إن شاء الله .

أ. ت. محمد محمد أبو حنيفة

قال : قال المهاجرون لعمر : ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس فقال : : ذاكم فى السكحول لأن له لساناً ستولاً ، وقلوباً عقولاً .

وقد كان العباس هم النبي يعلم ذلك من مهر فقال له : : إن هذا الرجل يريد عمر - يدنيك فلا تفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا يسمع منك كذبا . ولا تبتدعه بشئ حتى يسألك عنه ، وإنها أوصية كريمة من أب عاقل كريم .

أدكان الشباب فى صدر الإسلام ، وفى عصوره الأولى قلوبهم عامرة بالإيمان وعقولهم زاكية بالعلم : علم الدين والدنيا ،

من عهد طاهر بن الحسين لابنه عبد الله

كتب طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد الله لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما عهداً طويلاً حكماً . ضمنه كثيراً من درر النصائح الغالية منها :

تفقد أمور الجند ، وأدرر عليهم أرزاقهم ، ووسع عليهم فى معاشهم ، ليذهب بذلك الله فاقهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم فى طاعتك وأمرك خلوصاً وانسراحاً ، وأقم العدل فى القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتأمين السبل ، وينتصف المظلوم ، واشتد فى أمر الله ، وتورع عن النطف (أى العيب والشر والفساد) وامض لإقامة الحدود ، وأقل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، وانزع بالقسم ، ولتسكن ريحك ، وبقر حدك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه فى صمتك ، واسدد فى منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ فى الحجة ، ولا يأخذك فى أحد من الرعية محاباة ولا محاماة ولا لوم لائم ، وثبت وثباتاً وراقب ، وانظر وتدبر ، وتفكر واعتبر .

نفحات القرآن

البذل في سبيل الله ببيع رابع للأستاذ عبد اللطيف السبكي

نفسه وماله ، أو يذل أحدهما في مقاتلة أعداء الله فكأنه باع ذلك المبذول لله بشئ مضمون ، مريح ، تتعلق به الرغبة .

ومن نوازح الفطرة أن البائع دائماً يطمح إلى عوض تطيب له نفسه غاية ما يمكن .

والله تعالى يمثل هذه التضحية من جانب عباده في صورة المبادلات المالية التي يقرن فيها المثلث بثمنه .

ويسوق ذلك في صيغة مؤكدة ، ويبادونا فيها بذكر الثراء من جانبه ، ليشعرنا بأن الرغبة في هذه المعاوضة من ناحيته هو - سبحانه -

فهو يتطلب من عبده أن يستجيب لرغبة علوية أبدية له ، ويعلم أن عبده على استحقاقه للعرض ، دون امتنان عليه بما هو حق يستوجهه عند ربه كاملاً غير منقوص .

وصورة هذا فيما يجري بيننا أن يتقدم الراغب في شيء ، ويبتدر صاحبه بقوله :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » .

مر أعرابي مسلم على النبي صلى الله عليه وسلم - والنبي يتلو قول الله تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - الآية » .

فقال الأعرابي : هذا بيع مريح - راجح - والله لا أقبله ، ولا أستهمله .. أى لا أرضى برفضه هليفاً من جانب الله ، ولا نعرض عن التمسك به والحرص على إنفاذه من ناحيتنا !!

ثم نشط الأعرابي من ساعته إلى الجهاد غازياً مع الجيش حيث كان .

وقد صدق الله أمنية الأعرابي ، فاستشهد في جهاده كما أحب ، وذهب من أهل الجنة كما وعد الله .

فطن الإعرابي إلى أن في هذه الآية عهداً من جانب الله لعباده المؤمنين : أن من يذل

وقبس من نفحها ، ورمز تذكاري لما هناك في عالم الرضوان والخلود .

أليس يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، صدق رسول الله . هذه الجنة : هي مصداق عهد الله الذي رضى البيوع والشراء مع المجاهدين من عباده المؤمنين الذين نهضوا إلى دعوة الله ، ووقفوا في مصاف جنوده ، يقاتلون في سبيل الله ، فيمقتلون العدو ، أو يقتلهم العدو .

فإذا كانت لهم الغلبة فقد نكحوا بمن كان يتبعجج لله ، وينادي دعوته ، ويتطاول على جبروت ربه القادر .

وإذا ما كانت عليهم الغلبة من العدو فهذا بلاء من الله لإيمان المؤمنين : ثم ذلك في حقيقته تنبيه وإشعار للعدو بأن قه جنوداً من عباده يرخصون أرواحهم ، ودماءهم في نصره دين الله ، مؤثرين الموت على الحياة في نصره حق الله على باطل أعدائه ، وفي سبيل تعبيد الطريق أمام كلمة التوحيد ، ليمتد صداها في الآفاق .

فهؤلاء المجاهدون أنصار قه على كلتا الحالتين : حياة ، أو موتاً .

ومن أجل هذا كان اقتناهم عن الدنيا إلى حياة أخرى عند ربهم . لا إلى خلود وقناء كغير المجاهدين ... ولا إلى عذاب

أنا اشتريت منك هذا بكذا . يتفأل صاحب الشيء بالرغبة فيما عنده قبل أن يعرضه للبيع ، وتهش نفسه لرواج سلعته وارتفاع ثمنها .

فكذلك العبد المؤمن : حينما يسمع هذا التعبير من كتاب ربه يطمئن إلى التقدم بتضحيته ، ثم يستحق الجزاء الذي وعد به . وهذا أسلوب من أساليب المعاهدة بين الله وعباده ... والله يوفى الجزاء بغير حساب .

وهل يكون عهد الله مجازفة : وهو القادر على كل شيء ؟ ؟

أو يكون تفضله على عبده بما يشاء من جزيل العطاء أمراً مريباً ؟ ومن أوفى بعهد من الله ؟

إن الله خلق الناس ، وهو مالكهم ، ومالك أموالهم التي منحهم إياها .

وهو مع ذلك يدعوم إلى ترضيته ببذل ما منحهم ... ويعدهم حقاً بحسن العوض على هذه الترضية ، حتى كأنهم متفضلون : لا مدينون قه ..

فأى إشادة فوق ذلك الثناء ؟ وما عسى أن يكون الجزاء بعد هذا ؟ .

هو الجنة . والجنة غاية الغايات للطامحين . وكل نعمة ترمقها العين في الدنيا ، أو تهفو إليها النفس في الحياة ، أو يسبح وراءها الخيال فهي وميض من ملاح الجنة ،

والعجب لهذه المفاجأة ، وظلوا في ارتعاب
لشأن صاحبهم هذا .

ثم وقعت غزوة ، واشترك فيها البطل ،
وأصيب ذراعه ، وتبدلت معاقبة بجانبه ،
فلم يطق ألمه ، وبادر بالتخلص من الحياة ،
ففرس حربته في الأرض على قبضتها ،
وتحامل على شفرتها ببطنه فنهذت من ظهره ،
ومات لساعته .

فكان أسف الصحابة ثانياً من قسوة لرجل
على نفسه .

وذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأخبروه خبره ، فصاح الرسول في نشطة ،
وقال : (أشهد أننى رسول الله ، إن أحكم
ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه
وبينها إلا ذراع ، فيعمل بعمل أهل النار
فيدخلها .

وإن أحكم ليعمل بعمل أهل النار حتى
حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل
بعمل أهل الجنة فيدخلها)

ومن أول الحديث ظهر للصحابة
أن صاحبهم كان مرآئياً في جهاده ، ولم يكن
صادق الإيمان كما ظنوا ولو كان صادق النية
ومحسباً جهاده لله لصبر على بلائه ، كما صبر
ويصبر غيره من المجاهدين .

وبسبب ذلك حبط عمله ، وصدقت نبوءة
رسول الله فيه .

وجهم كقتال الكافرين « ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم
يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ،
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ذلك مقام الشهداء عند ربهم ، وهو عهد
سجله الله على نفسه : في التوراة ، والإنجيل
والفرقان ... وليس أحد أصدق حديثاً
من الله ... ولا أوفى بعهد من الله !

وهذا — هو قول الله تعالى : « فاستبشروا
ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز
العظيم » ...

غير أن البذل في الجهاد قد يشوبه رياء
أو مخالطة تردد ، فيكون جهاداً في ظاهره ،
دون حقيقته ولا يكون الباذل لنفسه ،
أو ماله ، معدوداً في حساب المجاهدين عند الله
كما ناس أخذهم الفرور بالشجاعة ، أو استبد
بهم الرياء أو كان همهم لإدراك الغنائم فحسب
فلم يكن لهم من فضل الجهاد نصيب .

ولقد كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
رجل مخوار ، عرف بين الصحابة بالبطولة
النادرة ، إذا نزل إلى ساحة الجهاد أزعج
الابطال ، وقتك بالكثيرين .

وحينما بلغ النبي ما بلغه من شجاعة هذا
المجاهد قال : إنه من أهل النار .

فزع الصحابة لهذا النبأ ، وأخذهم الأسف

هو خصوص القتال دفاعاً عن الدين ، وكفا لأعداء الإسلام عن مقاومة الدعوة إلى الله ، وذلك هو قول الله « يقاتلون في سبيل الله » ولكن كلبه - سبيل الله - تذكر في القرآن وعلى لسان الرسول كثيراً .

فهو معناها قاصر على خصوص القتال دائماً ؟؟

سبق إلى بعض الأذهان تخصيصها بالقتال حتى جعلوا هذا المعنى هو المراد في كل مقام ، ومن ذلك صرف الزكاة في سبيل الله ، أى في الجهاد ، وما ذكر معه في آية الصدقات من المصارف الأخرى كالفقراء ، والغارمين ، وابن السبيل . الخ .

واستشهدوا لذلك بما أثر لديهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم في بيان هذا المصرف بأنه خصوص القتال ولكن تفسير سبيل الله عند جمهرة من العلماء يقسع لأكثر من هذا الحصر .

وإذا ترجح أن الزكاة الواجبة - خاصة - يجوز صرفها أو صرف بعضها في الجهاد كبقية مصارفها المذكورة في الآية ، فإن سبيل الله على لسان الشرع تصدق على كل عمل من أعمال الخير التي يرتضيها الدين ، ويصلح عليها شأن الأفراد والجماعة .

فإذا قرأنا مثلاً « ومن يهاجر في سبيل الله يجهد في الأرض مراغماً كثيراً وسهواً ، كان

وعلى عكس هذا : من يكون بعيداً عن الطاعة ، ثم يزداد يقينه ويخلص في عمله ، فإنه يكون مقبولاً ، ولو كان في خاتمة المطاف من دنياه ، ولكل درجات مما عملوا ، .

لذلك بين الله لنا أن المجاهد الموهود بما سلف هو من كان مقسماً بسمات الإيمان الحق وهم المذكورون في قوله تعالى : « التائبون العابدون - الحامدون - السائحون - الراكعون - الساجدون - الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر - والحافظون لحدود الله ، ... »

فحينما يكون المرء على هذه المناقب : من توبة مستمرة ، وعبادة خالصة ، وسياسة في أفق العلم ، والتفكير في صلته بربه وما بقى من المحامد المذكورة يكون جهاده - إن جاهد بنفسه وماله - جهاداً حقاً ، ويكون هو المعنى بوجه الله على أكمل ما يتعلق أمه ...

ويزيدنا طمئناناً إلى ما فهمنا : أن الله تعالى يختم هذه الآية كلها بتأكيد وعده ، ويحمله ثنائه فيقول : « وبشر المؤمنين ، . » فإذا بقي من تأكيد وعده الله أكثر من ذلك .

وماذا بقي من ترغيب في هطاء الله فوق ما حفلت به آية البيع المريح كما قال الأعرابي ؟ وبعد :

فقد تبين لنا أن سبيل الله في هذه الآية

السواء ولكننا نحطأ ، ولا تنفق الصدقات الواجبة إلا في مصارفها المذكورة ونعتبر من بين المصارف خصوص القتال للكفار . وقد أثر عن الصحابة كثير من العبارات يريدون فيها التعميم في معنى سبيل الله ...

ومن ذلك أن أبا بكر رضى الله عنه حينما لدغته العقرب في الغار يوم الهجرة - وكان يتحسس يديه على أرض الغار وقاية للرسول من الحشرات - كان يحمده الله على أنها لدغته هو ، ولم تلدغ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول راجزا في خطاب لإصبعه .

ما أنت إلا لإصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت
يريد أبو بكر أنها تضحية هينة في سبيل وقاية النبي من أذى الحشرات .

وهذا تعميم تقسع له اللغة ، والشريعة . فليكن عملنا للخير كله على أنه جهاد وبذل وبناء للعالم المجرد في سبيل الله بمعناها الواسع ؟

عبد اللطيف السبكى

القصد أن المهاجر من بلد المعصية إلى بلاد متدينة والمهاجر في تحصيل العلم ، والمهاجر في طلب الرزق ، وفي نشر الثقافة النافعة ، أو بذل النفع لقوم آخرين : كل أولئك مجاهدون في سبيل الله .

وإذا ذكر القرآن من مخازى الأخبار ، والرهبان أنهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ؛ فالقصد أنهم يمنعون الناس من إتفاق مالم في وجوه الخير عامة : لا خصوص القتال .

وإذا أنكر القرآن على الناس أن يكنزوا الذهب والفضة ولا ينفقوها في سبيل الله كان القصد أنهم يبخلون بمالم من الزكاة ، وعن وجوه الخير عامة ؛ لا خصوص القتال . وإذا أمرنا الله أن تنفق من أموالنا في سبيل الله كان ذلك توجيها إلى كل ناحية من نواحي البر بالنفس ، وبالأهل ، وبالوطن وبكل ما يجلب نفعا أو يدفع ضررا .

وهذا هو سبيل الله - في غير باب الصدقات الواجبة - على لسان الشريعة .

بل ذهب أكثر الفقهاء إلى أن سبيل الله في باب الصدقات تشمل القتال وغيره على

من أجل ما قيل في وصف السخاء قول زهير بن أبي سلمى :
تراء إذا ما جئتته مهلا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١١ - استغلال المال الحرام

المأمون يزيد به وعاؤه وثراؤه . ولا يحمله قدراً من الخسارة إذا أصيب المشروع بخسارة ، فإذا كان القرض بفائدة للاستهلاك لا للإنتاج كان الإثم أعظم ، لأن فيه - مع ذلك - استغلال الحاجة وانتهاز فرص الضائقات المالية التي تلم بالمعسرين لزيادة عسر الموسرين وعسر المعسرين ، وتلك وحشية لا تقرها إنسانية ، ولا تتفق مع ما يجب على الإنسان نحو أخيه الإنسان ، فإن عليه أن ينفس عنه كرباً إذا نزل به كرب ، وأن يهون عليه خطابه إذا حل به خطب وأن يكون في هونه ليكون الله في هونه ، كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يعسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) .

١ - فالرباط طريق من طرق استغلال

ذكرنا في المقال السابق الطرق المشروعة لاستغلال المال الحلال ، ورأينا من خلالها أنها كلها أو جلها يبدو فيها التعاون والتضامن بين العمل ورأس المال ، كما يلاحظ في القراض والمزارعة والمساواة وشركات الأسهم ، وما إليها من المشروعات الاقتصادية النافعة ، غير أنه يجب أن نذكر أن المال الذي يحق له ولصاحبه أن يسهم في هذه المشروعات هو المال الحلال ، وهو الذي ينشأ من أصل صحيح وبوسائل صحيحة يعترف بها الإسلام ويقرها أساساً للتملك ، وهذه الوسائل في جملتها ترجع إلى العمل ، فإنه السبب المباشر وغير المباشر في الحصول على المال ، وعلى هذا يكون المال في الأهم الأغلب حملاً أو قيمة عمل يشترك مع عمل آخر في الإنتاج ويتقاسمان الربح والخسارة بالنسبة التي ينعقد عليها الاتفاق ويتم بها التراضي بين صاحب العمل وصاحب رأس المال .. ومن ثم كان الربا حراماً لأنه يهيئ لصاحب المال قدراً من الربح المضمون

وكل ذلك وما إليه بعض ما يفهم من قوله تعالى :
 « وما آتيتكم من ربا ليروا في أموال الناس
 فلا يروا عند الله ، وما آتيتكم من زكاة تريدون
 وجه الله فأولئك هم المضعفون ، وقوله سبحانه :
 « يحق الله الربا ويربى الصدقات ،

٢ — والرشوة كذلك من طرق الاستغلال
 الحرام ؛ لأنها طريق إلى أكل أموال الناس
 أو التجمع بالباطل ، ثم هي السبيل إلى شراء
 الذمم . فساد الضمائر وشيوع الفساد .
 وخراب الأخلاق .

وليس بعاصر بنيان قوم
 إذا أخسأهم كانت خرابا
 وكل من الراشئ والمرتشئ آثم ظالم .
 كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم :
 (لعن الله لراشئ والمرتشئ) فإنهما قد اشتركا
 في الجرم والظلم ، وقد قيل في تفسير قوله تعالى
 « ولا تأكلوا أموالكم يديكم بالباطل وتدلوا بها
 إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس
 بالإثم وأنتم تعلمون » ، لا يأكل بعضكم
 مال بعض بالوجه الذي لم يبيحه الله ولم يشرعه
 كالسرقة ، والغصب ، والغش ولا تلقوا
 أمرها والحكم فيما إلى الحكام لتأكلوا
 عن طريق التحاكم إليهم بعض أموال الناس
 بما يستوجب الإثم كشهادة الزور وكاليمين
 الكاذبة وكالصلح أمامهم مع العلم بما ينطوي
 عليه من ظلم ، وفسر كذلك قوله تعالى :

المال الحرام ، وهو - قليله وكثيره - مما نهى
 الله عنه وحذر منه ، وقد توعد الذين
 يصرون عليه بحرب لا قبل لهم باحتيالها ،
 فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
 وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين .
 فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله
 وإن تبتم فلكم ردوس أموالكم لا تظلمون
 ولا تظلمون . وإن كان ذر عسرة فظفرة
 إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم
 تعلمون ، وقد بلغ اهتمام الإسلام بمحاربة
 هذا الاستغلال الحرام إلى حد لعنة
 كل من يشارك فيه حتى الغارم المحتاج إليه ،
 وحتى كاتبه وشاهده فقال صلى الله عليه وسلم :
 (لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه)
 وطبيعى أن يكون هذا موقف الإسلام
 من الربا ، لأن هذا النوع من الكسب الحرام
 يتجافى مع ما يدعو إليه من اشتراكية عادة
 فاضلة تقوم على الزكاة ، وتجعل للفقراء حقا
 معلوما في أموال الأغنياء ؛ فالربا زيادة يدفعها
 الفقير المعسر للغنى الموسر ، والزكاة زيادة
 يدفعها الغنى الموسر للفقير المعسر ، والفرق
 بينهما هو الفرق بين الرذيلة والفضيلة .
 والشر والخير ، بل هو الفرق بين مجتمع
 فاضل متكافل ومجتمع منحل مختل فإن الربا
 من العوامل التي تقسم المجتمع إلى طبقات
 يستغل بعضها بعضا ويستذل بعضها بعضا

سعرها مما يدخل في مفهوم قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من احتكر فهو خاطيء) وقوله عليه السلام : (يحشر الحاكرون وقتلة الانفس في درجة واحدة ، ومن دخل في شيء من سعر المسلمين يغلبه عليهم كان حقا على الله تعالى أن يعذبهم في النار) .

٤ — أما الغش في المعاملة فهو أسوأ أنواع الاستغلال ، والمستغل عن طريق الغش يدخل في عهداء اللصوص وفاقدى الشعور والضمير ، بل هو بمن برى منهم النبي صلى الله عليه وسلم كما يفهم من قوله : (من غش فليس منا) والغش كما يكون من البائع في السلعة يكون من المشتري في الثمن ، فإن صدقا وبيننا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما ، كما يقول عليه الصلاة والسلام .

ويدخل في معنى الغش أو يلحق به النجش وهو أن يتظاهر إنسان بالرغبة في شراء السلعة المعروضة للبيع . ويعرض لها ثمنا أكثر من قيمتها ليغري آخر بشرائها ودفع ثمن أكثر أو أكبر من ثمنها الطبيعي العادل ، و- قال صلى الله عليه وسلم : (لا تناجشوا) فالكسب من هذا الطريق حرام يدخل في معنى أكل أموال الناس بالباطل ، وقد احتكم خصمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما قبل أن يحكم بينهما : (إنما أنا بشر ،

وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم ، على معنى لا تلقوا بأموالكم إلى حكام السوء لرشوتهم وشراء ذممهم وضمايرهم لتصلوا عن طريق ذلك إلى أكل أموال الناس بالإثم .

٣ — ومن طريق الاستغلال الحرام الاحتكار ، وقد أجملنا الحديث عنه في المقال السابق ، وقلنا إن على الدولة أو ولى الأمر أن يتدخل لمنع الاحتكار والتلاعب بالأسعار تطبيقا لقاعدة لا ضرر ولا ضرار . وتحقيقا لمصلحة المجموع التي تقدم على مصلحة الأفراد ، وسواء كان الاحتكار من أفراد أو شركات فإن على الدولة أن تضع يدها على المواد المحتكرة لتخرجها إلى الناس بسعرها المناسب أو تتولى الإشراف على إنتاجها أو استيرادها لتيسر للناس ما تعسر عليهم في ظل الاحتكار الآثم الظالم ، ولا عبء بما قيل أو يقال في المواد التي يحرم احتكارها هل هي الأطعمة دون غيرها أو هي الأطعمة وغيرها من السلع الضرورية اللازمة كالادوية والأكسية ، فإن باب المصالح المرسلة واسع يفسح لولى الأمر أن يتدخل لمنع الضرر أيا كان شأنه ولونه وتحقيق المصلحة متى تحقق أنها مصلحة عامة ، صحيح أنه يجوز احتكار ما لا يضر الناس كأدوات الزينة وما إليها ولكن احتكار الضروريات وكل ما يحتاج إليه الناس ليرتفع

إنهم كما يقول الله : إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا .

هـ - والتجارة في الحرام من سوء استغلال المال كالتجارة في الخمر . والخنازير . والمخدرات وكل ما حرمه الله - لقد أحل الله لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث - ففسر الطيب بالحلال والخبث بالحرام - وبذلك يكون كل كسب حرام خبيثا . وكل كسب حلال طيبا ، وصدق الله إذ يقول : « قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » .

وصدق الشاعر الحكيم إذ يقول :

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث

عبد الرحيم فوره

وأنتم تختصمون إلى ، ولعل بعضكم لبعض ألقين بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإن ما ألقى له قطعة من نار . فبكيا . وقال كل واحد منهما حتى لصاحبه . فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم اذهبا فتوخيا . ثم استهما . ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه) وقد أنكر الله على الذين يكتزون الذهب والفضة أنهم لا ينفقونها في سبيل الله ، وأخبر أنهم سيعذبون بسبب ذلك عذابا ألينا : « يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، ويقال لهم : « هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ، فكيف بمن يمتالون على أكل أموال الناس ؟

والمال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا . .

قرآن كريم

« ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغنى عنه ويذم ،
زهير بن أبي سلمى

إلى أي مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

ولبيان هذه الحدود والمعالم لابد أن
تقسم الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام
إلى أحكام عقائدية وأخرى عملية .

فأما الأحكام العقائدية فليست محلا للتطور
والتغير ؟ كما أنها ليست محلا لاختلاف
الآراء ؛ وإذا كان في علم الكلام - وهو الذي
يبحث عن العقائد - مسائل خلافية فليست من
صلب العقيدة ؛ ولا يكفر فيها من أخذ بأي
رأى متى كان لوجه نظره حجة يعتمد عليها
مهما يكن ولو كانت ضعيفة ؛ ولكن يخطأ
رأيه بالحجة والبرهان .

وأما الأحكام العملية سواء كانت راجعة
إلى العبادات أو المعاملات أو العادات
فليست كلها قابلة للتطور والتغير بتغير
الأزمان والأحوال كما أنها ليست كلها ثابتة
على مر الدهور ؛ ولابد من النظر إلى الدليل
الذي استنبطت منه ؛ فالأحكام التي اعتمدت
على دليل قطعي في ثبوته كالقرآن والأحاديث
المتواترة والإجماع الذي توفرت شروطه
ونقل إلينا تواترا ، وقطعي في دلالاته على
معناه بمعنى أن النص لا يحتمل إلا هذا المعنى

بما لا شك فيه أن بعض الأحكام الشرعية
تغيرت بتغير الأزمان والأحوال ؛ وذلك
واضح في الأحكام المبنية على العرف ، فإنها
تختلف باختلاف العرف في كل زمان ومكان ،
والمطلوب هو بيان الحدود التي ينبغي أن
تراعى عند الفتيا أو عند وضع تشريع يلزم
الامة العمل به أو عند القضاء بين المتخاصمين
حتى لا تكون الأحكام الشرعية تابعة
للأهواء والنزوات .

وقبل الدخول في صميم الموضوع ينبغي أن
نعلم أن الأهواء مختلفة ومقاييس العقول
متباينة ؛ وليست هناك معايير ثابتة للحسن
والقبح الموجبين للشواب والعقاب فلا بد إذن
من مخرج منزه عن الأهواء والأغراض التي
تحسن التيسير وتقبح الحسن ؛ وليس ذلك
المشرع إلا الله سبحانه - ولو تركنا أمر تغيير
الأحكام لعوامل الزمن من غير أن تكون
هناك حدود ومعالم ينتهي إليها المفتون
والقضاء والواضعون للتشريعات لكان الدين
تبعاً للهوى يتلاعب به المفرضون ولزالت
من النفوس قداسة التشريع الإلهي .

وكل ما يمكن أن يرد من هذه الأحكام إلى سنة التطور هو الأخذ ببعض الآراء التي قد تكون ضعيفة من حيث الدليل . ولكن فيها تيسيراً على الناس أو أقرب إلى ما انفوه ، على ألا يكون رأياً ساقطاً لا اعتبار له في نظر الشرع ؛ أو أن يكون في الأخذ به إبطال لقاعدة شرعية مقررة ، وقد اتجه التشريع أخيراً إلى الأخذ بهذا المبدأ في كثير من الأحكام . وعدم التقيد بآراء الأئمة الأربعة الذين التزم أكثر المسلمين منذ أعصار طوبلة التقيد بآرائهم ، وذلك كعدم وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد وعدم وقوع الطلاق المعلق الذي أجرى مجرى العيمين ، كما ترك المذهب الحنفي الذي كان ملتزماً بالعمل به في القضاء أمدأ طويلاً في مسائل كثيرة كما تطابق للإسهار والتطليق للإضرار إلى غير ذلك .

هذا ومن النصوص التي قد تخضع لقانون التطور تلك النصوص التي تدل على أحكام معلة بعلة منصوصة وجاء زمن لم توجد فيه هذه العلة فإن هذا الحكم لا يطبق في ذلك الزمن حتى توجد العلة وذلك كآية مصارف الزكاة وهي قوله تعالى : « إنما الصدقات للمقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل » .

الواحد ؛ الأحكام التي اعتمدت على هذا الدليل أحكام ثابتة لا تقبل التغيير ولا التبديل .هما تعاقبت الأزمان وتغيرت الأحوال كقوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً » ، وكقوله جل شأنه : « وأحل الله البيع وحرم الربا » فهذه الآية قاطعة في حل البيع وحرمة الربا ؛ ولكن ما هي البيوع التي أحلها الله وما هو الربا الذي حرمه الله فهذا يجمل تكفلت السنة ببيانه بما أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم من حق البيان ، ومثل ذلك ما أجمع عليه علماء الإسلام من أحكام كحرمة زواج المسلمة بغير المسلم وإن كان كتابياً وكتوديث الجدة والجد عند عدم الأب والأم إلى كثير من الأحكام التي أجمع عليها ونقل إلينا هذا الإجماع نقلاً متواتراً .

وأما الأحكام التي استمدت من أدلة ظنية سواء في ثبوتها كالأحاديث التي رويت آحاداً وكالقياس فإنه ظني في حجته ، أو كانت ظنية في دلالتها كبعض آيات الأحكام ؛ فإن هذه الأحكام هي محل اختلاف أنظار العلماء منذ الصدر الأول إلى اليوم ؛ ولا حرج على مسلم أن يأخذ بأي رأى من الآراء ولكنه لا أسمي هذا الاختلاف تطوراً أو تغييراً لاختلاف الزمن واختلاف الأحوال ولكنه اختلاف ناشئ من تفاوت الأفهام والأنظار ؛

ظروف بيئتهم ومتطلبات زمانهم تلك النصوص التي وودت عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه بوصفه إماماً لهذه الأمة وحاكماً يرعى مصالحها ولم ترد عنه بوصفه رسولاً ومبلغاً عن ربه وذلك كتكظيم الجيوش واختيار الولاة واستقبال الوفود وهقد المعاهدات وتوزيع الجوائز على من أدى للدولة خدمة وإنشاء الوظائف التي تحتاج إليها الدولة ؛ فلهذا الأحكام قابلة للتطور بما يتفق مع صالح الأمة في كل عصر ومكان ؛ على أنه ينبغي الاحتياط كل الاحتياط في التفرقة بين ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه رسولاً وما ورد عنه بوصف آخر غير الرسالة والتبليغ والقرائن والملازمات هي الفصيل بين هذين النوعين من الأخبار والآثار ؛ وشتان بين أن ينهى الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن أمر بما تقع فيه العامة ؛ وبين أن يضع خطة حرية أو يقابل وفداً على هيئة خاصة أو يعقد مع قوم عهداً خاصاً .

وأما الأحكام التي مردها إلى القياس فهي - كذلك - مجال اختلاف العلماء على مدى العصور ؛ بل منهم من منع القياس ورده ، وأياما كان ، فالذي أدين الله عليه أن القياس - متى تحققت شروطه - باب واسع من أبواب معرفة الأحكام الشرعية ؛ ولا أسى اختلاف

فإن هذه الآية علفت إعطاء الصدقات على وصف فقر والمسكنة والعمل على جمع الزكاة وتأليف القلوب وفك الرقاب والغرم إلخ ، فإذا وجد وقت لم توجد فيه بعض هذه العلل لا يطبق هذا النص في هذا الزمن ؛ إذ المقرر عند الأصوليين أن الحكم المتعلق بمشقة يؤخذ بعلمية ما منه الاشتقاق ، وهو المصدر ؛ وقد سبق عمر رضي الله عنه إلى تطبيق هذا الأصل حينما منع أولفة قلوبهم من أخذ شيء من أموال الصدقات ؛ فإنه رضي الله عنه لم يعطل هذا النص برأيه وهو بل طبقه أحسن تطبيق ، فإن علة التأليف لم تكن موجودة يومئذ ، فإن الدولة التي كانت تضرب كسرى وقيصر - وهما يومئذ سيدا عصرهما - لم تكن في حاجة إلى تأليف أمثال الزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس وأضرابهما ؛ وليس هذا تعطيلاً للنص بالاجتهاد ولكن تطبيقاً للنص بمفهومه ودلالته ؛ ومثل هذا يقال في زماننا بعدم دفع الزكاة إلى العاملين عليها ولا في فك الرقاب لعدم وجود هذين المصرفين ؛ ولو عادت الحاجة إلى التأليف أو وجد العاملون على الصدقات أو وجدت الرقاب لعاد استحقاقهم في الصدقات .

ومن النصوص التي تخضع لسنة التطور ولا حرج على المسلمين أن يراعوا فيها

تصرف في خالص الملك وأنه لا ضرر يذكر يعود على الغير ومنعوا بعض التصرفات بحجة أنها ضارة بالغير ، فشل هذه الأحكام قابلة للنظر وينبغي أن تخضع لأموس التطور فغالبا خيره على شره فهو جائز وما غالب شره على خيره فهو محظور ؛ والذي يقدر هذا قوم ذوو خبرة وأمانة يطمئن إليهم ولي الأمر ؛ وهو مسئول أمام الله عن حسن اختيارهم وهم مسئولون أمام الله عن حسن نصيحتهم الأمة ؛ فإن ظهر عليهم أو على بعضهم انحراف أو تحكيم الحوى فعلى ولي الأمر أن يعزلهم ويستبدل بهم قوما غيرهم ثم لا يكونوا أمثالهم .

وأوسع الأحكام الشرعية قبولاً لسنة التطور هي الأحكام المبنية على العرف أو المصالح المرسلة ؛ وتفصيل ذلك يحتاج إلى مقال آخر ؛ والله نسأل أن يكون هوأنا تبعاً لديننا وألا يكون ديفناً تبعاً لهـوأننا والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ؟

برر المحمدي عبد الباقط

الاستاذ المساعد لفقته المقارن

بكلية الشريعة

العلماء فيه تطورا في التشريع بالمعنى الذي يتبادر إلى الأذهان ؛ ولكنني أسميه اختلاف نظر في معرفة علة الحكم ؛ ويسع كل مسلم أن يأخذ من هذه الأحكام ما يتفق وظروفه ومتطلبات حياته .

ومما يمكن رده إلى القياس وهو قابل للتطور تطبيق بعض الحوادث والنوازل على قواعد شرعية ثم يتبين أن هذا التطبيق خطأ في عصر دون عصر وذلك كقواعد لا ضرر ولا ضرار فإن الفقهاء الأقدمين طبقوها على مسائل كثيرة فأفتوا بحرمها أو كراهيتها ، ثم قامت الشواهد على أنه لا ضرر يعتد به أولا ضرر أصلا فينبغي أن لا يقال بالخطر أو الكراهية وذلك كراى بعض الفقهاء في التوضؤ أو الاغتسال بالماء المشمس وقد ثبت الآن أن الطاقة الشمسية يمكن أن تستغل في غلى الماء أو طهى الطعام من غير أن يكون هناك ضرر على الصحة وكراى بعض الفقهاء في تصرف الملاك في ملكهم وما قد يصيب الغير من أضرار فأجازوا بعض التصرفات بحجة أنه

« من وصية عبد الله بن الحسن لابنه »

كف الأذى ، وادفع البذا ، واستغن عن الكلام بطول الفسك ، في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام .

رسالة الأصول للإمام الشافعي

للأستاذ الفاضل بن عاشور

د تمة البحث ،

لما لموافقة الكتاب أو السنة أو الإجماع
ولما لمكوننا نوجع ما بنى عليه قول الصحابي
من القياس جاعلا مسقنقه في ذلك اطراد
وجود مخالف من أقوال الصحابة لكل
ما أخذ به الفقهاء من قول واحد منهم .
فالحجية حينئذ فيما عضده ورجحه لا في ذاته .
وفي الرد على حجية عمل أهل المدينة يسلك
الشافعي مسلك إلزام محاوره بأن مالكاً يريد
أن يجعل عمل أهل المدينة آيلاً إلى الإجماع مع
أنه لا إجماع في ما يحكيه في ذلك بقوله « الأمر
ههنا ، والأمر المجتمع عليه عندنا ، لأن في
كل ذلك مخالفين حتى من فقهاء المدينة . وهو
يعبر عن مالك في هذا الحوار بقوله « صاحبنا ،
وهو حين يطرد في مخالفته الأئمة في تلك الأدلة
يعود به محاوره إلى الاختلاف هل يجوز بين
الفقهاء ؟ فيجيب بأنه جائز في غير المنصوص
البين وهو يرد أمثالا كثيرة من الاختلاف
القديم ، في عصر الصحابة وعصر التابعين

بدأ محاور الإمام الشافعي يستكشفه
عن الأصول المختلف فيها بين الشافعي ،
وبين غيره من أئمة المذاهب الفقهية ، فبحث
عن ثلاثة من الأصول المختلف فيها هي :
الاستحسان ، وعمل أهل المدينة ، وقول
الصحابي . أما الاستحسان وقول الصحابي ،
فهما من أدلة المذهب الحنفي ، وأما عمل أهل
المدينة ، فهو من أدلة المذهب المالكي . وقد
أفصح الشافعي بأنه لا يرى حجية واحد من
هذه الثلاثة ، وأنه إذا كان يرى الاجتهاد ،
ويرى حجية القياس ، فإنه إنما يحصر ذلك
في الرجوع إلى أصل مسموع يجتهد المجتهد
في القياس عليه ، بالشروط المقررة لذلك .
وأخذ يورد مثلاً من الأفيصة ليرى أن ما تأتي
للمجتهد فيها من الرجوع إلى أصل يقيس عليه ،
لم يأت له في الاستحسان : قياساً على غير
أصل . ويرد الشافعي على حجية قول الصحابي
بأن حجيته ليست في ذاته وإنما نأخذ به

بين أيدينا ، من الرسالة ، لأنها هو تصنيفها المصري ، لأن المرجع فيها إلى أصليين خطيين أحدهما أهم بكثير من الآخر . فأحد هذين الأصليين هو أصل الربيع بن سليمان . من القرن الثالث ، وثانيهما نسخة حديثة نسبيا ، من القرن التاسع ، ترجع إلى الأصل الأول أصل الربيع بن سليمان ، وأصل آخر مما روى عن الشافعي ، بمصر أيضا ، هو أصل حرمة بن يحيى التجيبي ، من أصحاب الشافعي في القرن الثالث .

أما أصل الرسالة التي وجهها الشافعي إلى بغداد ، وتلقاها عبد الرحمن بن مهدي فلم يصل إلينا ، ومن هنا يتعمد لنا طريق البحث عن سر الاختلاف في الأسلوب ، الذي وجدنا عليه نص الرسالة الذي بين أيدينا . فإذا كان الشافعي قد أعاد تصنيف الرسالة في مصر . حيث تلقاها عنه صاحبه الربيع ابن سليمان ، وغيره ، فإن معنى ذلك أنه بعد أن كان أصدر رسالة إلى عبد الرحمن بن مهدي جاء مصر وقد تكون عنده مدارك وأنظار جديدة فيما يرجع إلى ما اشتملت الرسالة عليه ، فأقبل عليه أصحابه بمصر ، يجعلون الرسالة ، السابق صدورها عن إمامهم ، مطلبا هليا ، يحيطونه بالبحوث والأسئلة والاستكشافات فجاء بذلك ما عبر عنه بالتصنيف الجديد ، المصري ، للرسالة ، فهو إعادة لما كان كتب

ومناشئته من الأمور النظرية ، وفتى إلى أن تعدد الأصول واختلافها من طبيعته أن يحدث اختلاف الأقوال في الأحكام .

إن ما سبق عرضه وتعليقه ، من رسالة الإمام الشافعي ، في أصل الفقه ، ليوضح أن أسلوب هذه الرسالة قد اختلف : بين بيان مبتدأ منسق ، في غير حوار ولا جسدال ، وبين نقاش مبني على البحث والاستكشاف دثر على السؤال والجواب بقصد الاحتجاج للأنظار ، والبرهان على المذاهب ، وفي ذلك الأسلوب المختلف ، ما يوضح ظروف تحرير تلك الرسالة وتأليفها ، وما دخل عليها ، في تحريرها وتأليفها : من أطوار .

فلقد كانت الرسالة ، على حسب ما كنا رجحناه ، محررة في مكة ، في سنة ١٩٧ لما عاد الشافعي إلى مكة قبل سفره إلى مصر ، وكانت موجّهة إلى عبد الرحمن بن مهدي في العراق ، جوابا لطلبه .

ولكن كثيرا من الذين ترجوا حياة الإمام الشافعي . وأثبتوا ذكر كتبه يعدون هذه الرسالة رسالتين : الرسالة القديمة والرسالة الجديدة ، وقد ذكر الإمام خنفر الدين الرازي : في كتاب مناقب الشافعي : دأن الشافعي ، رضى الله عنه ، صنف كتاب الرسالة قبل استقراره بمصر ، ثم أعاد تصنيفه في مصر ، والذي وصل إلينا ، وهو اليوم

مصر ، ولما أعاد الشافعي ذلك الكتاب ، استتبع لإرادته إياه ، استحضار ما سمع أو توقع أو جاش في نفسه ، من أوجه توقف موارده على ما تضمنته رسالته ، فطفق يبحث ذلك ويرده من قوله ، فإن قال قائل ، وبفتح باب البحث في رسالته ، والتعليق عليها ، انفتح باب البحث لأصحابه ، بما أثار من مباحث جديدة ، ومواضيع لم تطرق في الرسالة من قبل هي المتعلقة بمحل الاختلاف بين الشافعي والمذاهب الأخرى ، مما جاء تحت عنوان « العلل في الأحاديث » ، والعناوين التي نلتها مثل « خبر الواحد » ، و « الاستحسان » ، و « أقويل الصحابة » ، وذلك من مجموع سابقه ولاحقه ، هو الذي تلقاه الربيع ابن سليمان ، وغيره من أصحاب الشافعي المصريين ، وكتبوه عنه ، شاملا لما كان كتبه ، في الرسالة الأولى إلى عبد الرحمن ابن مهدي ، وما تفرع عن ذلك وتبعه : من نظر وبحث ، ويزيد هذا التقدير رجحانا ، أن الأبواب التي ذكر الحطاب : في تاريخ بغداد ، اشتمال رسالة الشافعي إلى عبد الرحمن ابن مهدي عليها ، هي الأبواب التي اشتمل عليها المقدار الذي فرضنا ذلك فيه . من نص الرسالة الذي بين أيدينا : وهي أبواب معاني القرآن ، وقبول الأخبار فيه ، وحجة الإجماع ، وبيان الناسخ والمنسوخ .

الشافعي إلى عبد الرحمن بن مهدي : إما باملأته من ذكره ، حكاية المعاني لا للألفاظ ، وإما بإيراد نفسه عن أصل مكتوب ، وذلك هو الجزء الأول من الرسالة التي عندنا الآن أعنى الجزء المسترسل المتناسك ، الذي يسير فيه البيان متسلسلا ملتصقا ، موحد الموضوع وإن تعددت العناصر ، وإن كان فقيدنا العزيز ، الأستاذ المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر ، يرجح أن تقرير الرسالة في مصر ، إنما كان إملأه عن ذكر ، لاستحضار الكتاب ، ويستدل على ذلك بما ورد في أثنائها ، عند سرد أحاديث وإسنادها من الاعتذار بأن بعض كتبه غائب عنه . فإننا لا نرى وجها للترجيح الذي أخذ به الشيخ شاكر ، رحمه الله ، ولا نرى في ما استدلل به ما يثبت مدطاه في الترجيح ، لأن الكتب التي اعتذر الشافعي بغيابها عنه ، لا يتعين كونها كتاب الرسالة . بل يرجح أنها كتبه الأولى : التي هي دواوين الأحاديث التي سمعها بدليل أنه لا يورد ذلك الاعتذار إلا في مقام الرواية والإسناد .

وكيفما كان الأمر ، فإن أصحاب الشافعي الجدد الآخرين ، وهم أصحابه بمصر ، وأولهم الربيع بن سليمان المرادى . قد تلقوا عن الشافعي ما كان كتب به الشافعي إلى عبد الرحمن بن مهدي من مكة ، قبل مقدمه

وقد خرجت هذه الفسخة من مصر إلى الشام وأقامت في الشام قروناً ثم رجعت إلى مصر في القرن الماضي، وهي الآن درة في تاج دار الكتب المصرية. وتقع هذه الفسخة في ثلاثة أجزاء ينتهي ثالثها بإجازة الربيع بن سليمان بخطه ولذلك قلنا إن النسخة الأخرى وهي نسخة ابن جهاة، لا تذكر إلى جنب هذه حتى تعادها، وإن كانت ذات قيمة بما عليها من إسماعات ومقالات وبخطوط وإجازات الأعلام الذين تعاقبوا عليها. وقد طبعت الرسالة بمصر ثلاث مرات سابقة طبعا هادية، ثم أعيد طبعها رابعة منذ خمسة وعشرين سنة بشرح وتحقيق العلامة الشيخ أحمد شاكر طيب الله ذكراه. فجاءت بحسن تحقيقه وإتقان تعليقه، واعتماده مباشرة على أصل الأصول، وهي نسخة الربيع. آية يصدق فيها قول المثل: «أتى الوادى فطم على القرى».

محمد الفاضل بن عاشر

فيكون الجزء الأول من الرسالة، وهو الذى ليس فيه بحث ولا سؤال، رسالة عبد الرحمن بن مهدي، والذى تلاه هو ما خلق بها في مصر من بحث وتوسع، وكذلك جاءت تجزئة الكتاب في نسخته العتيقة، التي هي أم الأصلين المشار إليهما آنفاً، وهي نسخة الربيع بن سليمان. فإن من أئمن الذخائر، في تراثنا العربى الإسلامى ومن أم الأصول الخطية وأنفسها بلا نزاع: ذلك المخطوط الذى كتب في منتصف القرن الثالث، من رسالة الإمام الشافعى، بمصر برواية الربيع بن سليمان المرادى عن الشافعى، وسواء أصبح أن النسخة بخط الربيع نفسه كما يذهب إليه الشيخ أحمد شاكر أو لم يثبت ذلك، فإن على النسخة سطورين بخط الربيع، في الإجازة بنفسها بتاريخ سنة ٢٦٥ وبذلك يظهر ما لهذه النسخة من القيمة العديمة النظير. بل لأنها تكون أقدم مخطوط لكتاب كامل باللغة العربية اليوم.

قال تعالى: «يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً. فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً».

الناحية العلمية من إعجاز القرآن للأستاذ أحمد محمد الغمراوي

طعونهم في الدين ، من أمثال (جلد تسيهر)
و (مرجليوث) و (ماسينيون) ، بعد
أن كانت عقاربهم محبوسة في لغاتهم الأصلية
لا تدب ولا تصل إلى جمهرة الشباب الذي
ليس له من التربية الإسلامية والتبصير بالدين
وقاية تحميه .

أما غير المسلمين من غير العرب فلن تغنى
الناحية البيانية من إعجاز القرآن شيئاً
في إقناعهم بأنه كتاب الله الذي عليهم قبوله
والإيمان به لينجوا من عذاب الله ، وليدخلوا
في رحمته . وناحية الإعجاز القرآني
أو النفساني أو التاريخي لم تلق بعد من الاهتمام
ما يجليها ويظهرها بحيث تصبح منها حجة لله
على الناس . ولو جليت وظهرت فإن الإقناع
بها أصعب وأعسر من الإقناع بالناحية
العلمية من إعجاز القرآن إذا جليت وأظهرت
في عصر العلم هذا بما يقضى لها من الحيلة
والدقة في البحث والاستدلال

والحيلة والدقة لازمان في كل بحث ،
لكنهما في البحوث القرآنية ألزم وأوجب .

إعجاز القرآن متعدد النواحي والجوانب .
لكن أهم نواحيه في عصرنا هذا لمن يريد
أن يدهو به إلى دين الله هي الناحية العلمية .

أما الناحية البيانية فقد حملت عملها وحقق
الغرض منها بإسلام العرب أهل الفصاحة
والبيان الذين أنزل فيهم القرآن . فلما زالوا
لم يقدر هذه الناحية قدرها إلا أهل البصر
باللغة والبصيرة في الدين ، حتى إذا قل هؤلاء
بتطاول الزمن وضعف الدين في نفوس أهله
ابتلى المسلمون بمن اغتر بفصاحة ابتلاه الله
بها فأنكر حتى الثابت الواضح من الإعجاز
البياني ، مثل إبراهيم النظام في القديم الذي
ابتدع القول بالصرقة ، وبعض أهل الأدب
في الحديث الذين توفاهم الله إلى حسابه ،
فأصبحت الناحية البيانية من إعجاز القرآن
محل نظر حتى بين المشتغلين بالأدب من شباب
المسلمين ، فكيف بغيرهم من مثقفي الشباب
الإسلامي الذين ابتلوا في هذا العصر بدعوة
الإلحاد تدعوهم إليه الشيوعية ، وبالشبهات
ينقلها إليهم من ترجم عن خبثاء المفسرين

من عند الله فهما أيضا سواء في وجوب الحسيطة والدقة في تفهمهما ، والبحث عن أسرارهما . وليس وراء دقة الطريقة العلمية وحيطه علمائها في دراسة الفطرة ، وراء . ومن حيطتهم أنهم لا يقبلون فرضا ولا حدسا لا يمكن اختباره عن طريق التجربة العلمية واختبار الفروض والآراء عن هذا الطريق إن هو إلا احتكام إلى الفطرة وسنن الله فيها لينظر هل يتفق الفرض والرأى معها أرى خالفها .

والفرض يفقد ويرفض من باب أولى إذا ظهر من الأول أنه يناقض حقيقة ثابتة أو قانونا عاما في علم من العلوم المتعددة في ميدان العلم الحديث . فمن الثابت مثلا استحالة توليد حركة دائمة بأي اختراع يخترعه الإنسان . فلو تقدم باحث يبحث يزعم أنه توصل إلى طريقة لتوليد تلك الحركة لحكم ببطلان البحث من عنوانه ، ولرفض من غير نظر فيه ، فهل هناك ياترى طريق لمثل هذه الحيطه في دراسة القرآن ، كتاب الله المنزل ، لاكتناء أسرارهِ والناس غرائبهِ وعجائبهِ التي لا تنقضى كما جاء في الأثر الصحيح ؟ .

إن أول الطريق - ولعله آخره أيضا - العمل ببدئية استحالة التناقض بين بعض آى القرآن وبعض ، أو بينها وبين اليقيني

فالقرآن كلام الله سبحانه ، خاطب الله فيه البشرية على لسان رسوله النبي الأمي . فضمير المتكلم فيه هو ضمير الجلالة ، وضمير المخاطب فيه هو ضمير الرسالة . وتجد الضميرين كليهما مائلين في الآيات الأولى من أول سورة فيه بعد الفاتحة :

بسم الله الرحمن الرحيم . ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للبتقين . الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، وبالأخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون .

آيات ست ذكر الله كتابه الكريم في ثاليتها بأوصاف ثلاثة أو بالأحرى بأوصاف أربعة بالسمو والرفعة في اسم الإشارة للبعيد ، وبأنه الكتاب لا كتاب غيره ، وبأنه لا يعلق به ريبة ولا موضع فيه للشك ، وبأنه هدى لمن يتقى . ومن التقوى الإيمان بالغيب ومن الغيب ما أودع الله في كتابه في آياته الكونية من أسرار الخلق وحقايقه التي كان يحجبها الناس حين أنزل القرآن ، والتي كشف العلم الحديث عن بعضها فكان كل كشف منها معجزة علمية ودليلا لاشك فيه على أن القرآن من عند الله فاطر الفطرة وخالق الكون . وكما استوى القرآن والفطرة في أنهما

ولا نقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً . وسؤاله سبحانه إيانا عن السمع والبصر والفؤاد يوجب علينا استعمالها جميعاً ، وإحسان استعمالها ، وتجنب إهمال ما يؤدي إليه ذلك الإحسان من نتائج . وهو نفس الطريق الذي هدى الله إليه أهل العلم الحديث في ميادينهم المختلفة ، فأظهر على أيديهم من أسرار الفطرة ما أظهر ، ليعتلي الإنسانية بها كيف تستعملها وليبين أهل القرآن على إظهار جانب عظيم من جوانب إعجاز كتابه ، بإحسان المطابقة بين ما أنزل فيه من آيات كونية ، وبين ما يتصل بكل منها ، أو بمجموعات منها من تلك الأسرار . وليس من تلك الأسرار ما في العلم من نظريات لا تزال محل النظر والاختبار ، فهذه لا ينبغي المطابقة بينها وبين ما يتصل بها من آيات القرآن ، اللهم إلا للحكم عليها مقدماً : أصححها هي أم باطلة ، حسب ما يظهر للبحث من موافقتها القرآن أو مخالفتها إياه .

لكن البحث القرآني له أخطاره التي ينبغي توقيها . وأول تلك الأخطار الخطأ فيه ولو عن حسن نية واجتهاد . إن حسن النية يشفع للجهل عند الله فلا يؤاخذ بخطئه في الآخرة بل يثيبه على نيته . ولو كان المجتهد يؤاخذ في الآخرة بخطئه في اجتهاده لوقف

الثابت من قضايا العلوم الكونية التي جرى العرف بتسميتها بالعلوم الطبيعية ، هذه البديهة آتية من أن التناقض مستحيل على الله فاطر الكون ومنزل القرآن . فكل فهم في القرآن أو تفسير يؤدي إلى تناقض بين آياته ، أو بينها وبين شيء من الحقائق الثابتة في العلم ، فهو فهم خاطئ ، وتفسير باطل . ومعرفة الباطل والخطأ نصف الطريق إلى معرفة الحق والصواب . وهي على أي حال تقينا شر قبول شيء من الباطل على أنه حق ، وهو شر مستطير . لأن القضية الخاطئة التي نتقبلها على أنها صواب تفسد علينا كل الحقائق المتصلة بموضوع القضية والتي لا بد أن تتناقض أو تتخالف معها ، ثم هي تؤدي بنا حتماً إلى نتائج فاسدة في كل قياس تكون تلك القضية إحدى مقدماته . فشرها لا يقف عند إفساد ما يتصل بموضوعها من الحقائق بل يستشري فيفسد من الحقائق الأخرى ما يمكن أن يدخل معها في قياس . ثم يتفقم الشر بنفس الصورة عن طريق كل نتيجة نشأت عنها وقبلت طبعاً على أنها صواب . من أجل ذلك حذرنا الله في كتابه من اتباع الظن فإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ، ومن أن نقفو ما ليس لنا به علم ، وتفضل سبحانه فأرشدنا إلى الطريق الذي يمكن أن نعلم به ما نجمل ، طريق إحسان استعمال السمع والبصر والفؤاد

صواباً كما سبق التنبيه إليه . ولا بد من التماس قواعد تعين ما أمكن على الإصالة في البحوث القرآنية ، وتوقى الخطأ فيما نحن بصده من تحقيق الناحية العلمية من إعجاز القرآن . وأول تلك القواعد - بعد بديهية بطلان كل فهم وتفسير يؤدي إلى التناقض بين بعض الآي وبعض أو بينه وبين الثابت من الحق - هي قاعدة تحرى المنطق الصارم في الفهم والاستنباط ، بالاضبط كما يفعل العالم الطبيعي في ميدان بحثه . لكن مهمة الباحث القرآنى أشق من مهمة أخيه الباحث العلمى الذى قلما يتأثر بالعاطفة في بحثه ، وإن تأثر فسترغمه التجارب العملية على النزول على حكمها مهما خالف ميله وهواه لكن احتمال التأثر بالعاطفة عند المطابقة بين الآيات الكونية في القرآن والحقائق التى كشف عنها العلم بعد نزول القرآن أمره عظيم قد يحمل الباحث على التراخي والتساهل في النظر والاستدلال . رغبة في إثبات التطابق التام بين العلم الحديث والقرآن . والعاصم من هذا بعد الاستعانة بآية هو التزام المنطق الصارم في الفهم والاستنباط ، أى اتباع ما أمر الله به في كتابه من مخالفة الهوى ، وتطلب البرهان .

والقرآن الكريم مادته لغوية بيانية لها خصائصها وميزاتها ولا بد في تفهم آياته وتلخيص أسرارها من مراعاة تلك الخصائص

الاجتهاد خوفاً من عذاب الله ، وظلت عجائب القرآن في التفسير وغير التفسير مدفونة ، لا يعتبر بها أحد ولا ينتفع بها الناس لكن الخطأ معناه مخالفة حكم من أحكام الله أو سنة من سنته ، ولذلك عاقبته السيفنة في الدنيا قبل الآخرة . فالحياة الدنيا مبنية على سنن لا تتخلف ، وأحكام الله في الدين الذى أنزل ، على نبيه الذى أرسل ، هى تطبيق حكم تلك السنن التى فطر الله عليها الإنسان ، وفطر عليها السكون . فخالفتها ولو عن حسن نية لا يمكن أن تؤدي إلا إلى الضرر ، سواء في ذلك السنن النفسية في الفرد والمجتمع ، أو السنن الكونية فيما حول الإنسان . وحادث تأبير النخل وحديث أتم أعلم بأمور دينكم ليس إخراجاً لأمور الدنيا من الدين ولكن تشريع من الله وتعيين أن على الناس في أمور الدنيا ، من زرع وغير زرع ، العمل بسنن الله في تلك الأمور كما تبينها وتكشف عنها التجربة . ولو شاء الله لصدق ظن نبيه ولجعل النخل يشمر من غير تلقيح . فهذا أوضح مثل للإخلاص في الاجتهاد لا يدفع عاقبة الخطأ فيه .

هاتان عاقبتان للخطأ لأن توجبان بذل الوسع لتوقيه خصوصاً في البحث القرآنى لما للقرآن من قداسة : سوء العاقبة عملياً ، وفساد التفكير المترتب على اعتبار الخطأ

التي توصل إليها أئمة النحو عن طريق الاستقراء .

ولا بد في التعابير القرآنية من مراعاة القواعد والأصول التي أصلها وقمدها أئمة البلاغة والبيان عن طريق الاستقراء أيضا .
خصوصاً تلك القاعدة الأساسية التي تقرر أن الألفاظ والتعابير لا تنزل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت قرائن كافية في نفس الكلام تدل على أن المعنى المجازي هو المراد .

هذا هو التمهيد . والله المستعان على بيان ما وراه من الإعجاز العلمي في القرآن .

محمد أحمد النمرودي

والمميزات التي جملها علماء اللغة والبيان فيما قاموا به من دراسات لتبيين وجوه إعجازه البياني من ناحية ، ولتفقه أحكامه التشريعية من ناحية أخرى . ومن أجل تلك الدراسات قعدت قواعد اللغة العربية من نحوية وصرفية وبيانية ، وجمعت مادتها اللغوية ، وكل ذلك على أوسع نطاق وأدق . فلا بد من مراعاة ذلك كله عند دراسة إعجاز القرآن من الناحية العلمية .

لا بد في الألفاظ القرآنية من مراعاة معناها حين أنزل القرآن ، لا معناها الذي قد تكون اكتسبته بتطور اللغة في الاستعمال .

ولا بد في الجمل القرآنية من مراعاة القواعد

جاء النديون بالآيات فانصرف

وجئنا بحكيم غير منصرم

آيات كلما طال المدى جدد

يزين جلال العتق والقدم

شوقي ،

نحو حضارة مؤمنة رائدة مع الفكر المومن^١ للأستاذ محمد الغزالي

فالمعرفة المادية ... لا سبيل لها إلا النظر
الصائب في الكون وأسراره وقواه .
وصلة الإنسان بربه أو بأخيه الإنسان
لا سبيل لها إلا توقيف الشارع الحكيم .

ومعنى هذا أن علوم الطبيعة والكيمياء
والفلك والنبات والحيوان والطب والهندسة
وما إلى ذلك تقوم على استقصاء الحقائق من
الواقع وحده ، ولا مكان لفروض وهمية
أو أوصاف شاعرية ، أو حدود تقليدية ،
أو سلطات استبدادية .

المجال للعقل الحر الدوب ، يداوم النظر
ويتابع الجهد حتى يصل إلى ما ينبغي دون
ما قيد . وإني لأقرر في غدير تهرج : أني
كنت أطلع بعض البحوث العلمية التي هديت
إليها الحضارة الحديثة ، فأشعر كأن مؤلفي
هذه البحوث ، كانوا يستجيبون - سواء
شعروا أو لم يشعروا - لقوله تعالى :
« أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض
وما خلق الله من شيء » .

إنه نداء الفطرة الإنسانية على كل حال .
وقد صم عن هذا النداء من فتحوا عيونهم

في الحضارة الحديثة جوانب لا أجد بداً
من احترامها وتزكيتها ، بل أجد في مسوقا
بدوافع من دینی إلى الإعجاب بها ،
والتقلي منها .

وأبرز هذه الجوانب إدمان النظر في الكون
والبحت عن خواص الأشياء ، والتعرف
على القوانين الدقيقة التي تسير عليها الحياة ،
وانتاج خطة بعيدة عن الحدس والتخمين
في تقويم شتى الحقائق .

إن أي حضارة تقرب من الفطرة في بعض
نواحيها ، أشعر باقترابها من طبيعة الإسلام
في هذا البعض ... ولو كانت غريبة عني .

وإن أي حضارة تنجح إلى التكلف
أو التخرص أشعر بانحرافها عن طبيعة ديني
ولو كانت قريبة مني .

وفي ترائنا المثقاني كتابات عن عالم الغيب
لم تعتمد على الوحي .

وكتابات عن عالم الشهادة لم تعتمد على
التجربة والاستقراء .

كلتا السكتين واهية العلاقة بخطة القرآن
في تكوين المعرفة الصحيحة .

في إحدى الحدائق وقد علفت عيني بزهرة
لما يكمل تفتحها .

كانت دقيقة من أسفلها ، مستعرضة
من أعلاها ، والغلاف الأخضر منهحسر
عن أغلامها .

إنها توشك - لو بقيت على ساقها يومين -
أن تبرز بأوراقها وألوانها جميعا .

لكنني تعجلت فض الملفوف من كها ،
لألقف مشدوها أمام ما بدا لي منها .

كانت الأصباغ زاهية كأنما وضع المصور
ريشته الآن من رسمها ، وكانت هذه الأصباغ
موزعة في نقوش تبرق جدتها ، ويستغرب
المرء من أن الألوان المتناقضة المتجاورة
لم يسح شيء منها على الآخر .

ونظرت إلى الأرض السبخة الهامدة ،
وإلى الفلاح الساذج فوقها ، وقلت : من أبداع
هذه الزخارف الرائقة واستخرجها من بين
هذه الأكوام ؟ من ؟ .

وانساب إلى قلبي شعور بالجمال الإلهي
المتألق في ألوف مؤلفة من الازهار
والأثمار تزحم القارات الخمس ، والأرض
مددناها ، وألقينا فيها روائعنا وأنبثنا فيها
من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل
عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا ،
فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل
باسقات لها طلع نضيد . .

دون تدبر ، أو من استعملوا ذكاهم في بحوث
ما وراء المادة ، فعادوا منها بقبض الريح ،
أو من كتبوا في المادة نفسها فشطحوها مع
الخرافات ونظروا في كل شيء إلا في الكون
وآفاه والعناصر وخصائصها .

إن القرآن الكريم جعل مجال الطبيعة
مدارس الإيمان ، وكلما استكثر المرء من
حصيلة المعرفة الكونية وبأيقينه ، وزادت
بآله معرفته .

وإنك لتعرف الشخص الذكي بآثاره
العملية ، ولا تفكر في معرفة ذكائه بالكشف
على تلافيف مخه .

فإذا كان التعرف على قدر إنسان نبصره
لا يتم إلا بهذا الأسلوب . فكيف بالتعرف
على من (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك
الأبصار وهو أظلم من الخبير ؟) .

إن ذلك لا يتم إلا بالتأمل في آثاره ،
ومطالعة صفاته في أرجاء خلقه الواسع .

وأمل درسا في وظائف الأعضاء ، أو في
دوران الأفلاك ، يكون أنجح في غرس الإيمان
وأدنى إلى التعريف بعظمة الله من بعض
القراءات النظرية ، أو المقدمات الجدلية .

في الأيام الماضية مرت بي لحظتان مضيئتان :
أولاهما :

في طريقه ، يقتبه اليه بين الحين والحين أولو
الآل باب ليسبحوا بحمد الله الكبير .

* * *

قد يقال : إن حضارة الغرب التفتت بالفعل
إلى التكون الكبير ، واستكشفت من
أسرارها ما فات القرون الأولى .

ولكن اهتمامها بالتكون كان لارتفاعها منه
وانتفاعها به ، لتزود منه باليقين الواجب
والإيمان المبرور . ١١

وفي هذا الكلام قدر من الصحة غير منكور
فإن عبادة الحياة هي الدين الشائع في الحضارة
الحديثة ، تستوى في ذلك أحزاب الميسرة
الجمهرة بإلحادها ، وأحزاب الميمنة المخافتة به .
والغرض من البحث السكوني الذي طلبه
القرآن الانتقال من السكون إلى المسكون ومن
المخلوق إلى الخالق .

وشتان بين منجهين : أحدهما يتعرف إلى
الله في أرجاء العالم الذي أبدعه ، والآخر
يتعرف على أسرار العالم ، ويمتسك داخلها
فلا يعرف ربه . .

والحضارة الحديثة يمكن أن تدان من
هذا الجانب ، بيد أن الأمر يحتاج إلى قليل
من التفصيل ومن يدري ؟ لعل أهل الإيمان
يدانون قبل غيرهم عندما تحدد التبعات
وتنصب موازين العدالة . ١٢

أما اللحظة الأخرى :

فعل شاطئ البحر الأبيض في ليلة
من ليالي العمل .

أرسلت طرفي إلى البحر الهادر ، وكنت
أسمع ثوران الموج ولا أرى مده ، والماء
في لون الجبر ، والافق معتكر في أبعاد
غير متناهية .

ولم يجر في خاطري قول العقاد الشاعر :
ولهذا الظلام خير من النور

إذا كنت لا ترى وجه حر
ذلك لأنني لم أك مهتما بأحوال البشر وقتئذ ،
فإن طنين الموج المستمر بقوى لا تهد مع
مضى الوقت جعلني أتساءل : أما لهذا الحراك
من توقف ؟ .

وكان الجواب مزيداً من الهدير القادم
من بعيد كلما تلاشي على رمال الشط حل محله
آخر ، وهكذا دواليك .

إن البحر أضعاف اليابس على ظهر
الأرض ، وهذا الخلق العجيب عالم وحده .
وغلبنى السكرى قليلاً ثم عاودتني اليقظة ،
أو الأرق والموج الموار لا يزال يزار .

إن الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وكل إلى
شعاع من قدرته أن يهز هذا الزكام الهائل من
المياه هزاً يشمل المشارق والمغارب . في الرقعة
المهندسة التي نسميها نحن بحاراً ومحيطات . .
وسواء غفونا أم صحونا فعمل القدرة ماض

ومن الغفلة أيضاً ترك الأتاجم يتعلمون الإسلام عن طريق تراجم لم يشرف عليها الدعاة العرب .

والمعروف أن العرب لا يزيدون عن خمس المسلمين ، وأن المسلمين جميعاً لا يبلغون خمس سكان الأرض .

فماذا صنع الجهاز الإسلامي الذي يعرف عموم الرسالة الإسلامية ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ؟

ماذا صنع ليربط المسلمين بدينهم وليعطى عن المسلمين فكرة صحيحة عن الإسلام ؟

* * *

لأننا لا نقول هذا الكلام اعتذاراً عن شروء الحضارة الحديثة ، وإنما نقوله اعترافاً بتصورتنا ، ووخزاً للضمائر التي راحت في نوم طويل .

على أن حقائق الإيمان ألصق بالفتنة ، وأقرب إلى التناول من أن يتسذر عنها بتقصير الدعاة ، خصوصاً بالذبة إلى مدنية بلغت مكانة مرموقة من التقدم كدنية العصر الحديث .

والواقع أن شيوع الإلحاد ، وانتشار التحلل يرجعان إلى أسباب أخرى غير تفريط أصحاب الدين .

من بين هذه الأسباب . الغرور بالقليل من المعرفة ، والتذرع به إلى الزينج .

هذه تذكير أن السبب الأكبر في شيوع الإلحاد ، وهجر الدين ، هو تصرف جمهور المذنبين وتفكيرهم .

ما الذي يجعل الحضارة الحديثة تغالى بالإيمان وتمحس الرحمن ؟

إذا نظرنا المسيحية التي تعود الغرب وجدناها قبلت من الإضافات والبدع ما يستحيل على العقل البشري قبوله .

ومن حق هذا العقل أن يرفض النقائص ويعتزل دعائها ويحيا بعيداً عنها ، والحضارة الحديثة في خصوصيتها للمسيحية معذورة .

وإذا نظرنا للإسلام وجدنا أهله أبعد الناس عنه ، ومن حق الأحياء أن يطرحوا ديناً زهد فيه أهله أنفسهم .

إن المسلمين مع تقصيرهم في جنب الإسلام علماً وعملاً يلاحظ عليهم من قديم الزمان تناقض غريب فهم مؤمنون - دون خلاف - بعموم الرسالة الإسلامية ، وأن محمداً رحمة للعالمين ، وأن عوته تحيط بالقارات الخمس ومع ذلك فإن سياستهم العلمية جعلت الإسلام رسالة هربية وحسب .

فهم لم يحسنوا تمكين الروابط الثقافية بين الأجناس الداخلة في الإسلام ، ولا بين الأجناس التي لم تدخل فيه .

ومن الغفلة تعريب البشر كلهم ليسلبوا إسلاماً كاملاً .

لقد شق الفكر الإسلامى الأول طريقه
إلى الحياة والسيادة بقوة رامة أمكنته أن
يتشعب مع النشاط الإنسانى دون كلال .
ونستطيع القول بأنه ترك فى الحضارة
العالمية آثاراً خالدة .

بل إننا - من غير تعصب - نقرر : أن
الحرية العقلية ولدت أولاً فى القاهرة ودمشق
والقدس وبغداد ، قبل أن تولد فى لندن
وباريس وبرلين وروما .

وأن الصليبيين الأقدمين عادوا إلى بلادهم
بهذه الحرية العقلية المحبوبة من الشرق ،
ليفسلوا بها أوضاعهم ، ويحددوا حياتهم ،
ويتخلصوا من قيود هائلة ، لو بقوا بها
مانالوا قط قسطاً من تقدم أو رخاء .

إن التفكير الغير الحسير تألق فى بلادنا
دهراً طويلاً . واستطاع فى ميدان القشريع
والقريبة وفى آفاق الحياة العامة أن يصنع
العجائب .

ومن المؤسف أن هذا التفكير الحصب
قد احقبس تياره مع إغلاق باب الاجتهاد
وفى الفقه ومع الانحصراف الذى وفدت
به علينا فلسفة اليونان وغيرها .

لكن هذه العوائق العارضة لا تبخسه حقه
الأصيل ولا قدرته على صنع مستقبل زاهر
كيف وهو مرتكز على الفطرة الراشدة
والعقل الحر . . .

وجمهرة المنكرين للدين من هذا القبيل ،
فهم يعرفون أبواباً معينة من العلوم المادية
أو النظرية يبنون عليها كفرهم .
ويجهلون أبواباً أخرى أكثر وأخطر
لو أدركوها لردتهم إلى الله تائبين .

ومعظم الذين قابلناهم أقرأنا لهم من
أوائك الشاكين نعتبرهم أنصاف متعلمين
مهما بلغت دعاوهم .

ومن بين هذه الأسباب غلبة الشهوات
العاجلة من نفسية ومدنية .

فإن سيطرة الشهوات على أصحابها تجعلهم
يحبون بالهوى لا بالعقل ، وبالجهل
لا بالعدل ،

وقديما كفر بنو إسرائيل بمحمد تمشياً
مع هذه النزعة ، لانغموض الدليل أو خفاء
الدهوى .

« أقتطمعون أن يؤمنوا لكم ؟ وقد كان
فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرفونه
من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » .

وقد أشبه اليهود بهذا مدرهم فرعون الذى
كفر بموسى هو وعلموه ووجهدوا بها ،
واستيقظتها أنفسهم ظالماً وهلوا فانظر . كيف
كان عاقبة المفسدين .

والبشر هم البشر فى كل زمان ومكان ،
لا يزال فيهم من يحارب الحق وهو يعرفه
لشوات تحسكت فيه واستبدت به .

تقوم على العلوم والحرية - وهي التي أودت الحضارة المعاصرة بالكشوف العلمية والروح العلمي الذي استمرت به في كشف أسرار الطبيعة . ولم تكف تظهر رسالة الإسلام ، حتى تفردت العلوم الإسلامية بالوجود الإنساني نحو من ألف عام تهذيبه وتهذيبه ...

ويقول : د وانطلق العرب بأفكارهم في مهاب الرياح الأربع حتى أصبحوا كما يقول د راندال ، يمثلون الطراز الفكري العلمي في الحياة العملية الصناعية ، التي تضمني مثلها الآن على ألمانيا الحديثة . وعلى عكس الإغريق ، لم ينصرفوا عن الاختبار المعلى والسير عليه في الطب وعلم الآليات ، . وفي التحقيقات الفنية يلوح أنهم أخضعوا العلم لخدمة الحياة الإنسانية مباشرة .

لقد ورثت عنها أوروبا روح (يكون) التي ترمى إلى عدسطة الإنسان على الطبيعة وتداولت العلوم العربية جامعات مونيخ وباريس وأكسفورد وفينسيا وبادوا ، وفهرارا ، وباري ، وأنشأ الامبراطور فردريك الثاني في القرن الثالث عشر جامعة في نابولي لتقل العلوم العربية واليوم تشهد باريس صورتي الرازي وابن سينا على حوائط كلية الطب وأثر المساهمة التي شارك بها المهندسون العرب في بناء كنيسة نوتردام

إن عظمة التفكير الإسلامي تقوم على أنه يقدم للعالم إيماناً بصر الدنيا ، ويمهد للآخرى وبعد الوجود الأول والآخر وحدة كاملة .

ولا يزيد في هذه المعجالة ... التحدث في فكر المعقدة والشريعة الذي ألفه الناس بل يزيد الإشارة السريعة إلى فكر الحياة نفسها ، الذي يظن البعض أن المسلمين تخافوا فيه ، لأنه ينظر إلى أحوال المسلمين اليوم فيظنهم الصورة المثل لتعاليم الإسلام .

يقول الأستاذ المستشار / عبد الحليم الجندى ، في كتابه (توحيد الأمة العربية) تحت عنوان د ألف عام من العلوم التطبيقية والفنية ... والرفاهية د واصفاً المجتمع الإسلامي القديم .

في هذا المجتمع ازدهرت حضارة علمية أساسها العلوم التطبيقية البحتة والهندسة المعمارية والصناعات والعلوم الاجتماعية ، تعتبر الأولى من نوعها في التاريخ ، صبغت المدينة العربية بصيغة علمية وتجريبية تقوم على العلوم والفلك والطب والهندسة البحرية وما إليها ...

وفي حين كانت حضارة اليونان حضارة فلسفية ، وكانت حضارة الرومان حضارة مادية تقوم على القوة العسكرية أو على النظم الشكلية كانت الحضارة العربية أول حضارة

(الصالح) وكرستوف كولومبس (مكتشف أمريكا) من اتياد المحيطات والوصول إلى أطراف العالم وعمر دى بات ، في قرطبة على النسخة الوحيدة في العالم من مخطوط (أوسيليد) الذى ظل يلقن للطلبة في مدارس أوروبا حتى سنة ١٥٣٣ ، وطاف كل من أفلاطون ولوبيزون وفيبارناس أرجاء أسبانيا ليتزود بالعلوم الرياضية لاسيا الجبر والتقويم والوغارتم .

بل إن الكنفيسة نفسها التجأت إلى العرب لتجد عندهم ما يمينها على إقاة صرح الفكر المدرسى وبحث كل من « البير الأكبر » و « توماس الأكوينى » عن فلسفة العقيدة الكاثوليكية ندها في بلفسية هند الفارابى وفي الوقت الذى أنشد فيه الشعراء القروبادور شعرهم على عتبة أسبانيا الربية صرح - روجير بيكون - في اكسفورد (انجلترا) بأن وجود الفكر الأوربى والعلم الأوربى كان مستحيلا لولا وجود المعارف العربية - لقد دعيت أوروبا لجأة إلى الحياة بعد أن ظلمت في ظلمات الجهل طوال خمسة قرون . وهى مدينة للعرب بكل تقدمها .

نرى ... أيعرف المسلمون قدرهم ؟ ... ويستأنفون أداء رسالتهم ؟ .

إن ذلك ما نرجوه ... وما يفتقر إليه العالم الآن ... ؟ محمد الغزالي

(في باريس) كما تشهد المكتابة الكوفية والعربية في النقوش الانجليزية وأبواب الزخرفة والمعمار والنقوش العربية في مناطق كثيرة في أوروبا .

الصيدلة علم عربى ، والكيمياء علم عربى ، والفلك والطب والميكانيكا والرياضيات والطبيعة والجغرافيا ، ما تزال تحمل الأسماء العربية المصحى ، هكذا اساد الروح الهلى الأمة العربية وقال « ديورانت » : (ربما ملك العالم احب بن هباد من المكتبة في القرن العاشر ما يقدر حينئذ بما كان في مكتبات أوروبا مجتمعة . وكنت تجد في ألف مسجد منتشرة من قرطبة إلى سمرقند ، علماء لا يحصيهم العدد ، كانت تدوى أركانها بفصاحتهم) .

ويقول المؤرخ الفرنسى (روبرير ريفو) : (كانت أوروبا في القرنين الحادى عشر والثانى عشر تتجه إلى العرب باحثة عما استجد عندهم من صناعات وعلوم وفنون خاصة بالملاحة ، منقبة عن كشوفهم في علوم الرياضة والفلك والطب والكيمياء ، وكانت تبحث عندهم عن آثار أرسطو وابن سينا وابن رشد ، وكان علوؤها من أمثال ...) يلتهمون عند العرب حصاد عالم جديد من الفكر والعلم . ووجد ريجيومو وتانوس ، عندهم المعارف التى مكنت هفرى المسلاح وفاسكودى جاما (مكتشف طريق رأس الرجاء

الليلة المباركة

للأستاذ أحمد حنفى نصار

فقليل إنما سميت بذلك من القدر بمعنى الضيق لأن الأرض تضيق بسكثرة الملائكة الذين ينزلون فيها أو لأن الله يقدر فيها ما يشاء من أمره في العباد إلى مثلها من السنة القابلة من الموت والحياة والمطر والرزق وغير ذلك. أو أن اسمها من القدر بمعنى الشرف لما لها من عظيم المنزلة أو لأن للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا . أو لأن من لم يكن له قدر وخطر يصير في هذه الليلة ذا قدر إذا ما أحيها بالعبادة لما ينزل الله فيها من الخير وما يهب من بركة وما يتفضل به من مغفرة أو لأنه ينزل فيها ملائكة ذوو قدر وخطر أو لأن الله أنزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذى قدر على أمة ذات قدر .

ويرجع هذا القول لقول الله تعالى عند ذكرها في أول سورة الدخان «حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل امر حكيم . أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم .

إن من خير ما تفضل الله به على عباده المتقين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . الليلة المباركة ، كما سماها رب العالمين في القرآن الكريم . والبركة النماء والزيادة . وذلك إشارة إلى ما يضاهف للؤمنين فيها من الثواب وما يقدر لهم من خير كثير ولا أدل على ذلك من إنزال القرآن فيها وهو المنار الأعظم القائم والهدى الأقوم الدائم سعد به من أقبل من البشر عليه منذ أشرق نوره وفاح عبيره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إذ لا كتاب بعده ولا هدى إلا هداة .

وذكر الله هذه الليلة المباركة في سورة خاصة من القرآن هي سورة القدر ، فقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر ، كما ذكرها في أول سورة الدخان .

وقد تشعب القول في هلة تسميتها ليلة القدر

هذا ولم يفت المتصوفة أن يدلوا بدلوهم في تحديد ليلة القدر ونكتفى هنا بما ورد عن الشيخ أبي الحسن الحرالي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ فقد أرجع تحديد ليلة القدر إلى ابتداء شهر رمضان وقال إنها ليلة التاسع والعشرين إن بدأ رمضان بيوم الأحد وليلة الحادى والعشرين إن بدأ يوم الاثنين وليلة الرابع والعشرين إن بدأ يوم الثلاثاء والسابع والعشرين إن بدأ يوم الأربعاء وليلة الخامس والعشرين إن بدأ يوم الخميس وليلة التاسع عشر إن بدأ يوم الجمعة وليلة الثالث والعشرين إن بدأ يوم السبت . أى أنها تدور فى الليالى الأوتار من ليلة التاسع عشر لآخر الشهر مضافا إلى ذلك ليلة الرابع والعشرين ليلة ابتداء نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقل فى غير هذه الليلة هلى أى أساس استند فى هذا التحديد . وقد قيل إنه كان صاحب أحوال غريبة وحكايات عجيبة وله مؤلفات فى علوم الأسرار وهو شيخ أبى العباس البونى المعروف بمؤلفاته فى هذه العلوم فلعل سندَه فى هذا التحديد خاص به كما هو الشأن فى حال رجال التصوف أصحاب الأحوال والشطحات .

والمستصطفى بعد هذا الاستمرار للأقوال الكثيرة الواردة فى ليلة القدر أنها باقية لم ترفع وأنها تدور مع الليالى الخمس الأوتار

وكما تشعبت الأقوال فى علة تسميتها كذلك تعددت فى تحديدها فقليل إنها فى الليالى الأوتار من العشر الأواخر من شهر رمضان إما ابتداء من أولها وإما ابتداء من آخر الشهر فتكون الأولى ليلة الثلاثين ثم ليلة ثمان وعشرين لأنها الثالثة وهكذا إلى ليلة اثنين وعشرين لأنها التاسعة ، وقيل أنها تدور فى العشر الأواخر ولا تثبت فى ليلة واحدة منه أى أنها تتغير من ليلة إلى أخرى فى كل عام ، وقيل إنها مخفية فى رمضان كله أو فى العام كله ، وقيل إنها ليلة النصف من شعبان وهذا بعيد لأن الله تعالى يقول : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » ويقول د شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، فدل ذلك على أن ليلة القدر محصورة فى رمضان قطعا .

وذهب قوم إلى أنها رفعت وهذا قول لا يصح فإن الرفع كان خاصا بتعيين مواعدها لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إني خرجت لأخبركم بليلة القدر وأنه تلاحى فلان وفلان فرفعت عسى أن يكون خيرا لكم » .

وقيل إنها ليلة سبعة عشر من رمضان لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة وكان أصحاب هذا القول استندوا إلى آية « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » وهموا فيها أن الإنزال للقرآن وليس لللائكة .

وقد قيل كل ما جاء في القرآن مصدرا بما أدراك فقد علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء مصدرا بما يدريك فإنه لا يعلمه وعلى هذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم على علم بليلة القدر على التحديد .

ثم عرفها الله فقال : ليلة القدر خير من ألف شهر ، والمعنى الواضح المتبادر لهذه الآية أن من قامها كتب الله له مثل أجر العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ، وقيل في سبب النزول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا ممن تقدم عبد الله ألف شهر فمجب المسلون وروا أن أعمارهم تنقص عن ذلك القدر فأعطاهم الله ليلة القدر وجعل ثواب العبادة فيها خيرا من عبادة ألف شهر .

وقال الإمام مالك رضى الله عنه سمعت من أثق به يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أعمار الأمم قبله فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر .

وهذا وما قبله في معنى واحد وهو أصح ما ذكر في هذا الصدد .

وروى (أن الحسن بن علي رضى الله عنهما

من العشر الأواخر من شهر رمضان من ليلة الواحد والعشرين إلى التاسع والعشرين .

وبعد هذا فالأحوط للؤمن الحريص على ثوابها الضخم وبركانها العظيمة أن يقوم ليالي العشر كلها ويضم إليها ليلة السابع عشر والتاسع عشر وبذلك يضمن أن يصادفها فيرجع بما لا يخطر من الخير على بال .

وإن ميزة هذه الليلة الكبرى التي جعلتها بحق أعظم الليالي وأفضل الاوقات هو اختصاصها بإنزال القرآن فيها وقد قال بعض العلماء ان فيها ابتداء إنزاله على الرسول صلى الله عليه وسلم : وهذا بعيد لقول الرسول صلى الله عليه وسلم و أنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان .

فابتداء نزول الوحي بالقرآن على الرسول حتمين بهذا الحديث وليلة القدر لم يمينها الرسول للؤمنين كما هو معلوم ، وقال البعض الآخر إن القرآن أنزل فيها جملة واحدة من الوحي المحفوظ إلى سماء الدنيا ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام بعد ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما وهذا أقرب إلى الحق قاله تعالى أسند إنزاله إلى نفسه في الموضعين اللذين ذكرت فيهما ليلة القدر في القرآن الكريم .

ويقول الله تعالى : وما أدراك ما ليلة القدر ، وهذا تضخيم لقدرها وتعظيم شأنها ،

وقيل الروح الرحمة ينزل بها جبريل عليه السلام ومعه الملائكة في هذه الليلة على أهل الأرض بدليل قول الله تعالى : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ، أى بالرحمة .

وأيا ما كان القول المختار من هذه الأقوال فإنه يدل على عظم قدر ليلة القدر وكثرة ما يجرى على المؤمنين فيها من رحمة وتكريم وإن المستفاد المقطوع به أن أهل السماء تنزل بإذن الله على المؤمنين من أهل الأرض يسلمون عليهم ويؤمنون على دعائهم فتشملهم بركات الله في تلك الليلة المشهودة المباركة التي هي سلام وخير كلها حتى مطلع الفجر .

أما علاماتها فقد قال الحسن بن علي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر : « إن من أماراتها أنها ليلة سمحة بلجة لاحارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع ، كما أن من علاماتها فيما ذكر من المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير هذا أن الكلاب لا تنبح فيها ونذكر في الختام ما روى من أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أقول قال : قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني ، والعفو حظ الذنوب ومن تركت له ذنوبه فقد فاز فوزاً عظيماً .

أحمد منفي نهار القوصي

هو تب حين بايع معاوية رضى الله عنه بالخلافة فقال : « إن رسول الله عليه وسلم رأى في المنام بنى أمية يزون (أى يثبون) على منبره نزوال القردة وأهله الله أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر فامتم لذلك فأعطاء الله ليلة القدر وهي خير من ملك بنى أمية . ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى مقتل مروان بن الجعدى آخر ملوك بنى أمية بالشرق ألف شهر) وهذا كلام غريب عليه طابع الوضع لركا كته وفساد معناه ولا يعقل أن يكون هذا من منطق النبوة وآل البيت رضى الله عنهم لا يطلبون ملكاً ولا يرغبون في عوض عنه وإن كانوا قد قاتلوا على الخلافة فلأنهم كانوا يعتقدون أن ذلك لصالح الإسلام والمسلمين لا لحساب مجدهم لذائق ورغباتهم النفسية . هذا وإن ليلة القدر ليست خاصة لآل البيت وخدم حتى تكون لهم مقابل ملك بنى أمية وإنما هي للمسلمين كافة كما أنه ليس صحيحاً عند الحساب أن مدة ملك بنى أمية ألف شهر . ثم قال تعالى : « تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، والروح جبريل عليه السلام وقيل الروح صنف من الملائكة جعلوا حفظه على سائرهم وإن الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة وهم أشرف الملائكة يقومون صفا والملائكة كلهم صفا

إنسانية الحضارة العربية وإبداعها

الأستاذ يوسف بن نوفل

في أفواه المتعصبين الذين حرصوا على إغفال دور حضارة الإسلام في عصر الإحياء الأوربي وإنارة العصور الوسطى ، وإذا ما بدت الحقيقة الناصعة تجلو الدور الإنساني الخالد ، الذي حملته حضارة الإسلام في الأندلس على كاهلها ثمانية قرون ، حطمت فيها الجهل والجهود ، وبددت سحيف الظلة وعروش الاستبداد ... إذا ما بدا لم ذلك ردوا المؤثرات إلى الحضارة الرومانية .

والأقبح من ذلك أن يعتبروا العرب ضمن الأجناس المتأخرة البربرية التي شوهت مدينة الرومان !!

وكان الزمن كفيلا أن يقنع هؤلاء أن الحضارة التي بددت ظلمات العصور الوسطى بنفث أرواح وهقول ارتفعت فوق العصور والمجتمعات ، تقديراً منها للحقيقة التي تقر أن ثمرات التفكير البشري ملك للإنسانية ، وتكفل الزمن - أيضاً - بإقناعهم أن عصر الإحياء الأوربي - وإن كان حركة عقلية كبيرة - فقد سبقته نهضة عليية في أوربا هلى يد الرهبان النصارى الذين استمدوا النور من علماء الإسلام في الأندلس .

وبعد ... فكيف كان ذلك الاتفاق الواسع بحالاً لانطلاق شمس المعرفة الإسلامية ،

تعددت الجوانب المشرقة في تاريخ المسلمين بالأندلس ، واستحققت بذلك أن تعد أروع ما يحفل به تاريخ الإنسانية بأثرها ، لا تاريخ الإسلام فحسب .

فقد اجتاز الإسلام ساحة واسعة المدى ، مخضبة التربة من ساحات التاريخ ، وطبعها بطابع متأق وهاج ملاجوانب الدنيا .

وحق لنا أن نقول إن التاريخ قد رسا على ضفاف الأندلس ، ليبصر مجداً ، ويبارك حضارة أسس دعائمها المسلمون إيماناً منهم بامتداد روابط الحياة ، وبأن من أقدس واجبات الأجيال أن يورث كل منها من يليه أعمالاً نابضة بالحق والخير والجمال ... ولهذا فقد غدت الحضارة العربية يومئذ مدرسة الدنيا بأثرها وملتقى حضارات حمة : شرقية وغربية ، ومزدهم ألوان شتى من الفنون ، فحققت بذلك شيئاً مما طمحت إليه الأمم والشعوب في ميدان التقدم ، وبلغت الحد الذي تفوقت فيه على نفسها ... وكل شئ صدر عنها كان مثلاً لخصيصة من الخصائص الإنسانية ، ومنمياً لصيد الحضارة البشرية ، فذلت أغنية صديبة في أفواه المنصف من المؤرخين ، وغصة محرقة

من ذوى الدخل الضئيل من كان يحرم نفسه الطعام وجيد الثياب في سبيل تكوين مكتبة. ووجد من النساء من اشهرت بذلك أيضاً ... منهن طائفة بنت أحمد بن قادم ... يقول الطبيب المؤرخ الأمريكى : « فيكتور روبنس » ، في كتاب له يعرض قصة الطب : « كان رهبان أوربا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة » .

وتبعاً لذلك كانت معرفة القراءة والكتابة أمراً عادياً في الوقت الذى كان فيه أرفع الناس في أوربا فيما عدا رجال الدين لا يعرفها وغزت المكتبات الحدائق العامة في قرطبة حيث توسطت رفوف الكتب صفوف المقاعد. وكان في قرطبة دكان نسخ يستخدم مائة وسبعين وراقاً في نقل المؤلفات .

وفي ميدان التأليف والبحث العلمى تحولت قرطبة إلى « أكاديمية » عظيمة . . وانتشرت الجامعات العلمية والأدبية التى تشبه مجامع اليوم. وحدد الخلفاء والملوك جوائز للباحثين فظهر من بين العلماء من ألف العديد من الكتب أمثال : أبو محمد هلى بن حزم الذى بلغت مؤلفاته نحو أربع مائة كتاب ، والمظفر الأنطس الذى ألف كتاباً في الأدب في نحو مائة مجلد ، ومؤرخ الأندلس أبو حيان الذى ألف كتابه في ستين مجلداً .

ومدرسة تخرج فيها حملة مشعل الإحياء الأوربى ... مع الملاح القادمة ... أرجو أن أفصح في جلاء حركة ذلك الانطلاق العملاق . لقد كانت المعرفة هى الأجنحة التى ارتقت بها تلك الحضارة فلم تقتصر هواية جمع الكتب الثقافية على الخلفاء فقط بل شغف بها عامة الشعب .

ومن أخبار الوفود في عهد « عبد الرحمن الناصر » ، يخبرنا « ابن جابل » ، أن في مقدمة هدايا « أرمانيوس » ، ملك الروم إلى « الناصر » سفران قديمان أحدهما نسخة مصورة من كتاب « ديسقوريدس » ، عن الحشائش والأعشاب الطبية ، والأخرى نسخة من تاريخ العالم القديم « لأورسيوس » ، باللاتينية .

وكانت مكتبات قصور الخلفاء نواة المكتبة الأموية العظيمة التى ضمت أربع مائة ألف مجلد والتي كانت من أعظم مكتبات العصور الوسطى ، والتي كانت تحتضن نفائس الكتب من كل قطر وفي كل فن .

وعرفت النسخ الأولى من المؤلفات طريقها إلى الأندلس وكوفى عليها أصحابها ... من ذلك مكافأة الأصفهاني على « الأغاني » ، بألف دينار . وقد انتشر الوراقون في بغداد والقاهرة ودمشق يجمعون وينسخون .

ولست أدري هل وغب الذهب في منافسة حكاهم في تلك الميزة أم أنها هواية طبيعية دفعتهم إلى اقتناء المكتبات الخاصة حتى وجد

وكان ثمرة تلك الحفاوة البالغة وتلك الخطوات الفسيحة أن برز علماء هديدون واشتهروا بالتبوع في تخصصهم أمثال : المتصوف الكبير : ابن عربي ، والفيلسوف ابن حزم ، وصاحب الألفية ابن مالك ، وصاحب العقد الفريد : ابن عبد ربّه ، وصاحب قلائد العقيان : ابن خاقان ، وصاحب النخوص : ابن سيده ...

ومن الشعراء : ابن خفاجة ، وابن هاني ، وابن زيدون . ومن الفلاسفة : ابن رشد ، وابن طفيل ، وإمام القراء أبو القاسم الشاطبي ومن النساء : حمدونة التي لقيت بمخمساء المغرب وعائشة بنت أحمد ، وولادة بنت المستكفي .

ولعل خير مثال نستطيع أن نستشف من خلاله الصورة المالية التي كانت عليها الأندلس هو خبر الهدايا المتبادلة بين الوزراء والملوك من ذلك هدية ابن شهيد المقدمة للناصر حيث وصلت إلى خمسمائة ألف مثقال من الذهب وحوالي مائتي أوقية من المسك والعنبر وثلاثين شقة من الحرير المرقوم بالذهب ومائة فرس مسرجة ... الخ .

والذي يمكن استنتاجه من هذا هو اطمئنان الناس هناك إلى ميزان المادة ، واستمتاعهم بالنعيم .

أما بحالهم فقد اتسمت بالطابع العلمي .. وحفلت المتهزات والبساتين بمجالس الشعر والزجل والغناء والموسيقى ، والفكاهة .

وعرفت تلك المؤلفات وغيرها طريقها إلى كل عقل متفتح فهو إلى توسيع دائرته وزيادة رحابة أفقه ، فانتفع المسلمون ، ومدروا يد النور إلى الأوربيين الذين وجدوا في تلك المنابع سبل هداية ، وطرق تقدم . . يقول «لأوست رينان» : إن الآثار والأسفار المحتوية على شيء من الفنون والعلوم التي أضفها علماء الإسلام على الكون والتي نقلتها الحملات الصليبية إلى جميع بلاد الفرنجة وما تقدمها من احتكاك بين العرب وأوروبا عن طريق الأندلس . . أدى كل ذلك إلى إغناء المكتبات الأوربية الحاوية الفقهية بكنوز لا تفي من العلم الذي أنتجته قرائح العرب ، وكان من نتائج انتشار الثقافة والترعرع العلمي في البيئة الأوربية بأسرها كإرفع مستوى شعوبها إلى أفق التمدن الذي نشاهدها عليه اليوم .

وفي هذا الميدان تتجلى ظاهرة تشهد بالنزعة الإنسانية التي اقسمت بها الحضارة العربية ، فقد وقف العلماء على اختلاف عقائدهم صفا واحدا . ولم يعرف الخلفاء التفرقة بينهم فرأينا بالحكم ، لايبالي باختلاف الدين ويؤثر الأسقف العالم (ريشوند الإلبيري) .

(وبيع بن زيد) ؛ لسعة علمه بالفلك والفلسفة وتمكنه من آداب العرب واللاتين . وتعددت مجالس البحث والمناظرة ، وحرص (محمد بن أبي عامر) على عقدها أسبوعيا .

جديد، فلم يفكر أن يبطلش أو ينظر نظرة متعالية ... هي نظرة الحاكم والمختصر، ولكنه مارس حقوقه محترماً حقوقي الآخرين، فأكد احترام الإسلام لقيم الإنسانية، وحرصه على الكرامة وإزالة الفوارق بين الطبقات، فرحب العبيد، ورقيق الأرض بذلك، ولم يعد من المبالغة في شيء ما يشهد به الأستاذ هاريسون، في كتابه «العرب في وطنهم»، إذ يقول:

«لحيث حل الإسلام تأكدت قيمة الفرد ونهض الناس معترين بكرامة لا تقهر»^(١).

وغدا موقفهم إزاء اليهود والنصارى موقف المحترم المقساح رغم سيطرته على كل شيء، فعلمهم كيف يكون القساح الذي هو أغلى ما يمكن أن تعزبه الإنسانية في تاريخها الطويل فأباحوا للأساقفة النصارى أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية كؤتمر لشبيلية الذي عقد في سنة ٧٨٢ م، ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عقد سنة ٨٥٢ م ... وسمحوا لهم أن يبنوا البيسج فواسوا معتقداتهم بحرية ولم يتدخل المسلمون أبداً في التزامهم إزاء دينهم الذي يقضى باحترام العقائد والحرية الشخصية.

أما اليهود فقد كانت الأندلس المسكن الوحيد في أوروبا الذي يتمتعون فيه بحماية الدولة، ورعايتها فزاد عددهم، وأسلم كثير

وقد كان من أشهر تلك المجالس ذلك الاجتماع الذي انعقد بمناسبة قدوم سفراء ملك الروم يحملين بالهدايا، وأمر الناصر العلماء أن يخطبوا ولحول المجلس أغلق عليهم القول، ولم ينج من ذلك «أبو علي القالي» نفسه.

يقول «منذر بن سعيد» في هذا الحفل:

وقد حدثت حول عيون أخاها
كمثل سهام أثبتت في المقاتل
لخير إمام كان أو هو كائن
لمقتبل أو في العصور الأوائل
ترى الناس أفواجا يؤمون بابه

وكلهم ما بين راج وآمل
وفود ملوك الروم وسط فنائه
مخافة بأس أو رجاء لنائل

ولم يتدخل المسلم عما التزم به إزاء دينه، ولم ينس أن دستور الوحي (القرآن الكريم) يشرع له في تنظيم حياته بما فيها من سلوك نحو الآخرين، فنشأت لديه تلك النزعة الإنسانية التي لا تفرق بين الناس:

«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ... وحين تطلع بنظره إلى ما وراء أفق الصحراء ... بل حين توطدت أقدامه في أنحالم يكن يحلم بارتياحها ... حينذاك أيقن أنه ليس فاتحاً ولا غزياً بقدر ما هو داع ومبشر بعهد

(١) عن مجلة المجلة. العدد ٦٨ (١٩١٢) ص ٤٤.

كل هذا منهم ، وذلك شيء لا يحتاج إلى برهنة ، فمن المسلمين في إسبانيا تعلم الأوربيون قوانين الفروسية . وحدث أن حاصروا في قرطبة (سنة ١١٣٩) مدينة طليطلة ، وكانت بيد النصارى ، فأرسلت إليه ملكتها د بيرانجر ، تبليغه أنه ليس من الشجاعة أن يحاصر فارس د امرأة ، فما كان منه إلا أن ارتد عنها .

وهذا هو السكاتب الأسباني د أبانيز ، يؤكد أن الغرب لم يكن يعرف الفروسية ولا يدين بأدائها المرعية وحماستها إلا بعد وفود المسلمين إلى الأندلس ، وانتشار فرسانهم وأطالهم .

ويتحدث المستشرق د رينو ، عن ذلك فيرى أن قصص الفروسية ثبتت في العصور الوسطى أثراً باقياً جعل الاسم العربي يتبوأ في أوروبا وفي أذهان المجتمع الأوروبي مكانة عظيمة .

ويضيف د ول ديورانت ، رآه إلى رأى د ستانلي آين بول ، الذى يقول لأنه : د لم تنعم الأندلس طوال تاريخها بحكم رحيم عادل كما نعمت به في أيام الفاتحين العرب ، (١) .

وبعد أن خرج المسلمون من الأندلس عاشت تلك اللغات الإنسانية في النفوس الخيرة بل لم يجد الجميع معدى من الاعتراف بأحقية تلك الحضارة الإنسانية في أن تعيش مدى الدهر ، وحين فكر الإسبان والبرتغال

من النصارى واليهود عن رغبة خالية من الإكراه فأكدوا أن الإسلام ليس دين قوة وسيف بل دين حرية ، وإلا فما بالك بخليفة كالخسك يعرف أن أحد عماله ظلم واحداً من أهل الذمة فيأتى به ويصلبه ... أية ضمانات أكثر من ذلك يمكن أن تمنح لتحفظ حقاً أو لتحمى كرامة ١١١ .

وشرح الجميع يعملون جنباً إلى جنب بلا أضغان ، ولا كراهية وجمعهم لغة واحدة وتقاسموا دراسات مشتركة فبدأ : د أن كل المحاجز التي تفرق بين بنى الإنسان قد انهارت ، وأن الجميع كانوا يسهمون متفقين في تشييد الحضارة المشتركة ، (١) .

ورغم حرص الإسلام على بسط روح الصفاء بين الجميع فقد حدث أن ثار بعض متعصبى النصارى ، ومع هذا فقد أعاد المسلمون الصفاء ليرفرف من جديد وكان لم يحدث شيء ، والعجيب في الأمر أن هؤلاء الثائرين كان يغيبهم مايرون من المسلمين من تسامح ، وحسن معاملة ، فكانوا يتشوقون للتعذيب في سبيل دعوتهم .

ولا تصاف المسلمين بفيل الأخلاق جوانات مضئنة كثيرة ، أهمها وفهم بالمغلوب ، واحترامهم لكلماتهم والتزامهم الصدق ، واحترامهم للرأى ، وقد اقتبس الأوربيون

وقد ضم بلاط الخليفة - بالاندلس - من النساء العالمات باللغة والأدب ، والرياضة والعلوم ، فهذه ولادة بنت المستكفي ، حميد الناصر ، ولها في الأدب والشعر شأن كبير حيث كانت تدير ما يشبه الصالونات الأدبية في العصر الحديث وهذه «ابني» ، يعتمد الخليفة الحكم بن عبد الرحمن ، عليها في كتابة رسائله الخاصة وكانت دقيقة التفكير وقامت «مريم بنت يعقوب الأنصاري» بتعليم بنات الأسر الراقية في أشبيلية ، وتخرج على يديها نساء رعات ، أما عائشة بنت أحمد القرطبية فقد كانت من عجائب زمانها ، وكانت جيدة الخط تكتب المصاحف وشاعرة ، وكانت خزانة كتبها من أثرى المكتبات الخاصة ، ولقيت حمدونه بخفساء المغرب ، وحرر الخليفة «عبد الرحمن الناصر» ، «راضية» ، ثم تنازل عنها لابنه الحكم ، ولها مات ساحت في الشرق ، وقدرها العلماء .

وهكذا كان للمرأة منزلتها الاجتماعية التي تحترمها أولا : ككائن اجتماعي يضطلع بدور كبير في بناء الأمة ، وثانيا كإنسانة تتمتع بمواهب فذة ، وكفاية حية ينبغي أن تأخذ حقها من الاحترام . ٢

يوسف حسن نوفل
خريج كلية دار العلوم

في التوسع ، ورغبوا في أمريكا الوسطى واللاتينية ... هناك تذكروا تعاليم العرب ، وعدم اتخاذهم حواجز مصطنعة بين الغالب والمغلوب ، فاختلطوا وتزوجوا بسكان البلاد الأصليين .

وقد رفع الإسلام من شأن المرأة وكفل لها مكانة اجتماعية ممتازة تحمدها عليها أختها الأوربية إبان العصور الوسطى التي لم تنل حظها من العناية تبعاً لاجتياح المذهب الكاثوليكي الذي كان يعد المرأة مخلوقاً في المرتبة الثانية ، ولهذا فإن المرأة لم تمنح هناك في تلك الفترة شيئاً من حقوقها ووصل حرمانها إلى درجة أن حرمت من أى لون من ألوان النفوذ بما عدا المجال الضيق الذي تقطن فيه ، وهو المنزل ، كما عاملها أمراء النصارى الإقطاعيون في القرون الوسطى معاملة سيئة ، فلم تنل منهم احتراماً بل كانت ترضخ لغلاظتهم حتى تعلم هؤلاء النصارى من المسلمين كيفية معاملة المرأة ، وهرقوا عنهم حقوق معاملتها من بين مبادئ الفروسية التي انتقلت إليهم ، ومن بينها احترام المرأة والحفاظ على عليها .

فالإسلام بحق هو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه ، وكل من أرخ لتلك الناحية من الأوربيين لم يجد معدى من الاعتراف بذلك أمثال دغوستاف لوبون ، وسيفر دكوسان ديورسنال ، ومسيو بارتلي سان هيلر ، وغيرهم .

مفهوم التجديد الديني

للأستاذ د. عوف شلبي

ومن أمثاله تلك القضايا - في شرعنا المسلم - أصحاب دهوة التجديد الديني في الإسلام ، الذين يتعبون أنفسهم ، وأقلامهم ، في شرح مفاهيم فكرتهم بحجة سماحة الإسلام وبسره .
واقصد كان ينبغي لأصحاب هذه الدعوة أن يستعرضوا كتاب الله الكريم ، يروا مقدار ما يكون لدعوتهم من البوار ، أو الرواج ، عندما تحدد مفاهيم التجديد الديني ، تلك القصاصة التي نقلوا عنوانها من أحداث أوروبا في هدمها المظلم القاسي إلى حياتنا المعاصرة في ظل الإسلام الخفيف .
وبوضوح فإن القرآن يحدد :

- ١ - « وما كان أو من ولا مؤمنة إذا نطق الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .
- ٢ - « وأنه لا مجال للتشريع بال رأى ما دام هناك نص من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقضى بذلك القرآن الكريم : « ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .
- ٣ - « وأن الجهة الخاصة بالتشريع للأمة هي ما توضحها الآية السكرية : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعله الذين يستنبطونه منهم » .

منذ الحركة اللارثوية التي دعت إلى الإصلاح الديني - المسيحي - في أوروبا ليتقبل العقل الغربي تعاليم كنيسسته التي تفرقت واختفت في :
* تعاليمها الرئسية .

* وتشريعاتها السلوكية .

* ومناسباتها الدينية .

منذ ذلك الحين ، والمفاهيم الدينية يحوطها ضباب كثيف ... حتى صارت فسكرة التجديد الديني « مودة » ، يتعشقها المارقون على الدين ، ويقبها السذج في العاطفة و« ثقافة » والعقيدة .
ومن غير تردد ، فإن كل فكرة تدعو إلى التجديد في الدين في الشرق الإسلامي أو يكون فيها تطاول على سلالته ، وعلمائه ، هي دعوة قديمة للعمل الأوروبي القديم الذي حطم كبرياء الكنيسة في ظل الثورات الدينية ، والعسكرية ، للدوافع الاجتماعية والسياسية والنفسية ، التي ربما كانت تقتضي ذلك .

وليس أدل على تفاعله موضوع ما ، يدعو به لإنسان ما ، مهم كانت قيمته العلمية من أنه يفتحل أسلوباً لغيره في زمن لا يسعفه الوضع الاجتماعي ، ولا التهيئة النفسية المستقيمة لقبول منطقته .
ويدعى - مغالطة - إمالة دعوته ، وباربما استقر في عقله الباطل إشراك بها يتوهم عقله الظاهر المقلد .

ومقوم الأمة العربية ، هو الإسلام :
بأصوله ، وفقهه ، وأئمنه .

ولهذا فقد أراد المخطط الاستعماري أن يزواج
بين وسيلتي الاستعمار العسكرية والثقافية ، ذلك
أن أمر الاستعمار العسكري قريب الأجل ،
أما الغزو الثقافي فإنه يستقر في الدم ويملك
زمام العقل ، ويسيطر على الوجدان والسلوك .
ومن هنا فقد ربي له مدارس خاصة تناهض الأمة
الإسلامية مع زحمة الحديد ، وضغط الجيوش
والمتابعون لهذا المخطط يستطلعون هذا المكر
في تيارات الهدم من أبناء الشرق في حركات .
١ — الشعر الجاهلي :

٢ — أصول الحكم في الإسلام :

٣ — ولدينا دعوة جديدة هي التوأم الثالث
وهي فكرة التجديد الديني وتسفند كل ما تسفند
هذه القضية إلى مفهوم خاص في معنى الإجماع ...
وعلى أية حالة فإن دراساتها المكتتب أصول
الفقه هي دراسة الميفض المتلبس وشيجة - في
زعمه - واهية ليقطع بقية الأواصر والأوشاج .
والحق أن مفهوم الاجماع هو تنظيم الحياة
الإسلامية للأمة في حادثة جديدة ليس لحكمها
نص من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم بروح الشريعة الإسلامية . بحيث
لا يكون هذا الحكم مفرغا لمشكلات أخرى
لا تتفق مع أحكام الشريعة أو تصطدم
مع العقائد الأساسية في الدين ، أو لا تتفق
مع أهداف الإسلام وأخلاقه .

لجنة التشريع ، والفتوى خصصها القرآن
بظائفة محددة : —

إنها الجماعة التي هيأ الله لها :

- ١ — وضوح المعرفة الدينية .
- ٢ — والفقهاء اللغويين للعربية الفصحى ،
وإدراك سر المعاني .
- ٣ — والأمانة العلمية الدقيقة .
- ٤ — والسلوك الديني الرفيع .
- ٥ — والفة — مرة على ربط الحياة
في مجرياتها ، للفرد ، والجماعة ، والأمة
بقواعد الإسلام : نصوصه ، وروحه .

وهذا النمط الأصولي للتشريع الإسلامي
مراده ربط حياة المسلمين في كل زمان ومكان
بثقافتهم التي افتتحها الله تعالى لهم بالقرآن
الكريم ، وغذاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالسنة الإسلامية المظهرية .

ولذا: فكل تناول على مفاهيم التشريع الإسلامي
وأصوله ، وأئمنه ، هو اعتداء على الثقافة
الإسلامية الأصيلة في مجال تطبيقها على أمتها .
والمعركة دائمة منذ التوسع الإسلامية
في الأندلس ، ومناهضة البرغال لهذه الحركة
الإنسانية ، بالاستيلاء على الموانئ الإسلامية
في بحار الشرق الأقصى - المعركة دائمة منذ ذلك
الحين - حول تحطيم الامبراطورية الإسلامية ،
ومن المفهوم جيداً أن أية أمة عظيمة لا تدك
حصونها إلا يوم أن تتلاشى شخصيتها ومقوماتها .

الفضول والشوايب التي رماها بها الاستعمار
الفكري الأوروبي القديم . والحديث .
٤ — ولينشط العمل الإسلامي في حياة
الشعوب المسلمة على نظام من قواعد الإسلام
ولتوضع له الحلول في كل ما يعنى لمجتمعاتهم
من مشكلات .

ومعنى هذا : إن مجلس الأمة قد أهني
نفسه من النظر في التشريعات الدينية وأنشأ
لها جهازاً جامع فيه جهات العلوم الإسلامية
والقانونية والحضارة ليحقق ما انعقد عليه
من آمال .

وأخيراً نقول لأصحاب فكرة التجديد إن
الدولة في تخطيطها الشامل لمبادئ الإصلاح
قد ربطت العلماء وأصحاب الفكر بأجهزة
يتوجهون إليها في كل اختصاصه .

لولا أن سنة الأجساد لا تزال تتعب
سلوك الأحفاد إذا ما سطع نور الحق ،
ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

إن هذا الشرق قد ولد على يد العقيدة
وانتشر في نهضة واسعة بعزة الإسلام وليس
لتاريخه وحضارته سند إلا هذا الدين ، فابرجع
عنه تلاميذ المخطط الاستشرافي المعجوز
وليعلموا ثيابهم الخادعة بكلمة الإسلام ،
لتظهر رسوالة الإلهاء فإنه لا عاصم لهم من أمركه .
وبالله التوفيق ؟

د. دوف شلبي

ومعنى هذا : أن الإجماع الأول مفهومه
حرص دقيق على استمرار الحياة الإسلامية
مرتبطة بمفاهيم ثقافة الإسلام الأولى ، وإذن
فدهوى لإحلال مجالس التشريع المعاصرة محل
هذا الإجماع الشريف دعوة للتحلل من انتظام
حياتنا المعاصرة مع الحياة الإسلامية الأولى
ويظهر هذا التحلل ما يذكر من علة ، أن الإجماع
المعاصر شاهد مجدداً من الحضارة والقانون
والعلوم ... الخ لم يشهدا الإجماع الأول ، .
ومعنى هذا : انتصار للثقافة الغربية في ميدان
التطبيق على الثقافة الإسلامية في عقرباها .

ومن جانب آخر : لو كان لأصحاب دعوة
التجديد الديني في الإسلام وضوح في إخلاص
النية ، لاتبهوا من فورهم بهذه الفكرة
إلى الجهاز الذي أقره إجماعهم ، الذي
يؤمنون به في دعوته ، ويعرضون عليه
تفاصيل ما يدعون إليه .

فإن الدولة في نهضتها العربية المسلمة
قد أنشأت بالقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١
بجميع البحوث الإسلامية .

١ — لتستمر شعوب العالم الإسلامي
والأمم العربية متجهة نحو قيادة الأزهر
في مجال الدعوة الإسلامية .

٢ — ولتبعث من جديد موارثنا
الثقافية القديمة .

٣ — ولتهدب الثقافة الإسلامية من

في التجديد الديني

للاستاذ منشاوي عبود الخولي

والإجماع لا بد له من سند فيجب أن يكون لأهل الإجماع سند يستخرجون منه الحكم ويحكمون عليه لأن الاستقلال بإثبات الأحكام ليس للبشر - ولو جاز الإجماع بلا دليل انقلبت الأباطيل صواباً بالإجماع لأن الإجماع قول كل من المجتمعين وقول كل منهم بلا دليل محرم فكونه بلا سند باطل .

والسند قد يكون نصاً من الكتاب أو السنة فإذا كان الإجماع على تحريم شيء . يكون التحريم في الحقيقة ثابتاً بهذا النص من الكتاب أو السنة .

وعمل المجتهدين بإجماعهم هو الاتفاق على أمر وهذا التحريم الذي دل عليه النص .

غاية الأمر أنه بعد اشتراط الإجماع محتج بهذا الإجماع على ثبوت الحكم الشرعي .

ولا يلزم غير المجتهدين البحث عن سنده لأنه يكفي أن يكون السند معروفاً بالمجتهدين عند إجماعهم .

لذا كان من المقرر عند علماء الأصول كون الإجماع حجة شرعية يثبت الحكم قطعا .

ومن هذا يتبين أن تفرقة الكاتب في العمل

قرأت مقال التجديد الديني المنشور بمجلة الرسالة عدد ٥٩ فلاحظت عليه ملاحظات أجملها فيما يأتي :

١ - يرى الكاتب أن التحريم إذا كان بنص من الكتاب والسنة يجب الإذعان له والعمل به .

وأما إذا كان التحريم عن طريق الإجماع فلا تقرب عليه النتيجة السابقة ويعمل رآيه هذا بقوله :

(لأن الإجماع ليس إلا لونا من ألوان القشريات المدنية التي تسود الجماعة في وقت من الأوقات والتي تحرص عليها الجماعة ما دامت محقة للمصلحة العامة وملبية لحاجة الناس) .

وهذا يدل على نقص الإدراك للحقيقة الإجماع الشرعية فإن الإجماع الذي اعتبر من أدلة الأحكام الشرعية هو :

اتفاق جميع المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته في عصر من الأعصار على حكم شرعي : والاجتهاد شروط كثرة تكفلت كتب الأصول ببيانها ، ولا تتوفر هذه الشروط إلا للصفوة الممتازة من أعلام الشريعة الإسلامية .

وحديث عائشة (١) في دخول « أفلع » ،
عليها فيه دليل على ثبوت حكم الرضاع
في حق زوج المرضعة وأقاربه كالرضعة .
وقد ذهب إلى هذا جمهور أهل العلم من
الصحابة والتابعين وصائر العلماء . وقد وقع
التصريح بالمطلوب في رواية لأبي داود بلفظ
قالت عائشة : (دخل على أفلع فاستمرت
منه . فقال : أتستترين في وأنا عمك .
قلت : من أين . قال : أرضعتك امرأة
أخى . قلت : إنما أوضعتني المرأة ولم
يرضعني الرجل . فدخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : لأنه عمك
فليلج عليك) .

وروى عن عائشة وابن عمرو بن الزبير .
ورافع بن خديج . وزيد بن أم سلمة .
وسعيد بن المسيب ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ،
والقاسم بن محمد ، وسالم وسليمان بن يسار ،
وعطاء بن يسار ، وشعبي ، والنخعي ،
وأبي قلابة ، وإياس بن معاوية القاضي أنه
لا يلبث حكم الرضاع للزوج حكى ذلك عنهم
ابن أبي شيبة ، وسعيد بن منصور ،
وهبة الزاقي ، وابن المنذر .

(١) نص هذا الحديث : (عن عائشة أن أفلع
أخا أبي القيس جاء يستأذن عليها وهو معها من الرضاعة
بعد أن نزل الحجاب . قالت : فأبيت أن آذن له .
فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته
بالذي صنعت فأمرني أن آذن له : رواه الجماعة .

بين حكم التحريم الذي ثبت بنص من الكتاب
أو السنة وبين حكم التحريم الذي ثبت
بالإجماع تفرقة لا تقوم على أساس بل تدل
على تجرد من فقه الإجماع ودواسة
مباحته .

٢ — قال الكاتب :

(إن من المجتهدين المسلمين من خالف إجماع
الفقهاء ولم ير في مخالفته بأساً) .

واستدل الكاتب على فهمه هذا بقوله :

(لقد أجمع الفقهاء على أنه يحرم بالرضاع
ما يحرم بالمصاهرة . ولكن ابن تيمية لم يذهب
إلى هذا الرأي) .

وهذه المسألة التي يتحدث عنها الكاتب
قد بينها العوكان في كتابه نيل الاوطار
فقال :

قد وقع الخلاف هل يحرم بالرضاع ما يحرم
من الصهار .

وقد ذهب الأئمة الأربعة إلى أنه يحرم
نظير المصاهرة بالرضاع . فيحرم عليه
أم امرأته من الرضاعة وامرأة أبيه
من الرضاعة - ويحرم الجمع بين الاختين
مع الرضاعة - وبين المرأة وعمتها وبينها
وبين خالتها من الرضاعة .

وقد نازعهم في ذلك ابن تيمية كما حكاه
صاحب الهدى .

أن غزالة الصحابي لما رواه لا تقدر
في الرواية .

وقد صح عن علي القول بثبوت حكم
الرضاع للرجل - وثبت أيضا عن ابن عباس
كما في البخاري (١) .

من هذا يتضح أن المسألة خلافية ، وأن
القول بأنه يحرم بالرضاع ما يحرم من الصهار
رأى الأئمة الأربعة وجمهور الفقهاء وقد
ظاهر رجحان دليلهم

فليست هذه المسألة من مسائل الإجماع
- كما فهم الكتائب - لأنها لو كانت من مسائل
الإجماع لما ساغ لواحد مخالفة حكم الإجماع .
فصنيع الكتائب الذي أراد به أن يجعل من
هذه المسألة أساسا يبنى عليه ما أراد يعتبر
عملا مهذرا ، وأساسا منهارا لا يحقق له
ما يهدف إليه من محاولة طائشة .

٣ - قال الكتائب : فجميع مشروطاتنا
المستحدثة كغزو الفضاء . واستخدام الطاقة
الذرية في السلم تدخل في باب الإباحة
من حيث إنه لا نص في الكتاب أو السنة
على تحريمها .

ونقول له . من الذي قال بحرمه غزو
الفضاء واستخدام الطاقة الذرية في السلم ؟
إن نصوص القرآن الكريم تأمر بالنظر
في ملكوت السموات والأرض . وتعرف
سنن الله في الكون وما أودع فيه من

وروى أيضا هذا القول عن ابن سيرين ،
وابن علية ، والظاهرية ، وابن بنت الشافعي .
وقد روى مما يدل على أنه قول جمهور
الصحابة فأخرج الشافعي عن زينب
بنت أبي سلمة أنها قالت :

كان الزبير يدخل علي وأنا أمتشط أرى
أنه أبي وأن ولده إخوتي لأن امرأته أسماء
أرضعتني فلما كان بعد الحرة أرسل إلى عبد الله
ابن الزبير يطلب ابنتي أم كلثوم على أخيه
حمزة بن الزبير وكان للكلبية . فقلت : وهل
تحمل له فقال : إنه ليس لك بأخ ، إنما إخوتك
من ولدت أسماء دون من ولد الزبير من
غيرها . قالت : فأرحلت فسألت والصحابة
متوافرون . وأمهات المؤمنين . فقالوا : إن
الرضاع لا يحرم شيئا من قبل الرجل ،
فأنكحتم إياه .

وأجيب بأن الاجتهاد من بعض الصحابة
والتابعين لا يعارض النص - ولا يصح
دعوى الإجماع لسكوت الباقيين - لأننا نقول
نعم نمنع :

أولا : أن هذه الواقعة بلغت كل
المجتهدين منهم .

وثانيا : أن السكوت في المسائل الاجتهادية
لا يكون دليلا على الرضا .

وأما عمل طائشة بخلاف ما روت فالهجة
روايتها لا رأيها ، وقد تقرر في الأصول

حكم الحادثة الجديدة ثابتا بالنص الذي أثبت حكم الحادثة السابقة - فعندما يسأل رجال الدين عن حكم مسألة لا يجيبون عنها بالهوى وإنما يبحثون عن الحكم الثابت بالنص في نظيرها .

وبعد أن يطمئنوا إلى المساواة في حلة الحكم بين المسألة السابقة والجديدة ينقلون الحكم الثابت بالنص إلى المسألة الجديدة ما دامت حلة الأصل متحققة في الفرع .

فللجهد أن يدرج الحادثة الجديدة في عمومات النصوص - أو عمومات العلل حتى يكون حكم الحادثة الجديدة ثابتا بالنص أو القياس . ه - يقول المكاتب (يذهب أبو يوسف إلى أن الحكم الشرعي المبني على العادة يعطل إذا تغيرت العادة ، ولا ضير من مخالفة النصوص) .

لم يذكر لنا المكاتب المصدر الذي نقل عنه هذه القاعدة - ونستبعد أن تصح نسبة القول إلى أبي يوسف أو غيره من أئمة الإسلام بتعطيل نصوص الشريعة تبعا لعادة الناس ، فإن ذلك يؤدي إلى وقوع النسخ في الشريعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ووقوع النسخ بعد عصره عليه الصلاة والسلام لا يجوز إجماعا .

وأیضاً يجعل شريعة الله خاضعة لعادة الناس ، وذلك سبيل للتخلص من هذه الشريعة

خصائص وأسرار للاقتناع بها وأخذ العبرة منها ، والاستدلال بها على عظمة الخالق وإبداعه في خلقه قال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) .

٤ - قال المكاتب : (بل نستطيع أن نذهب إلى أن جميع المشروعات المستحدثة لا تحتاج إلى فتوى من رجال الدين . إذ من المسلم به أن الكتاب والسنة لم يتعرضا لها لأنها لم تكن موجودة) .

وهذا يدل على أن المكاتب لم يفقه شريعة الإسلام . فإنه لا ريب أن شريعة الإسلام شريعة خالدة وأنها الدين الذي رضي الله لعباده . وأنها تكفلت بأحكام المكلفين في جميع الحالات والأزمنة .

ولا يقبل من أحد اتباع سواها ، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، فإذا وجدت حادثة مصينة نص القرآن أو الحديث على حكمها . وجدت حادثة أخرى بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم فإن المجتهد بواسطة القياس ينظر في حلة الحكم للحادثة السابقة فإذا وجد هذه الحلة متحققة في الحادثة الجديدة حكم بأن النص الوارد في الحادثة الماضية وارد في الحادثة الجديدة أيضاً . ويكون حكمها ثابتاً بهذا النص - ولذا كان معروفاً بين علماء الأصول أن القياس مظهر للحكم لا مثبت له - فيكون

لقد دعا الإسلام إلى الاستعداد للأعداء بكل قوة تقسح لها طاقتنا وإمكانياتنا فقال جل شأنه : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . ولم يحدد القرآن نوع القوة التي نعدّها لتفسر في كل زمان بما يرهّب أعداء الإسلام فإذا كانت الرهبة بالسيف ، كان الإعداد بالسيف ، وإذا كانت الرهبة بالقنبلة والصاروخ كان الإعداد بهما وهكذا ... فكل ما يجد من آلات حربية تخيف الأعداء مأثور به في قوله تعالى : د وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .

وهذا من الأدلة على عموم الشريعة - وصلاحيّتها لكل زمان ومكان .

على أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال في تعليقه على هذا الآية (ألا إن القوة الرمي) وذكرها ثلاثاً وذلك يشمل كل ما يرمى به . وهذا من معجزات النبوة الباهرة فليس في الآية إذن خصوص الإعداد بالسيف حتى يتخذ الكاتب مطية إلى ما يريد من بغي وضلال .

٧ - يوجه الكاتب إلى رجال الدين وعلماء الأزهر كلفة تتعلق بملكية الأراضي فيقول متحدّثاً عنهم .

د إنهم من غير شك أولى الناس بتطبيق أحكام الشرع الشريف - وأحكام هذا تفيد أن أرضنا المفتوحة عنوة ملك للدولة

والقضاء عليها ، فإنه لا وجود لها إلا بأن تكون مهيمنة على أحوال الناس ، وأن يخضعوا لها تقاليدهم ورغباتهم قال صلوات الله وسلامه عليه (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) .

٦ - بعد أن ذكر الكاتب أحكام الشريعة في الغنائم دعا إلى عدم العمل بها لأن عادات الناس تغيرت ، والأسلحة التي يحاربون بها في هذا العصر تختلف عن الأسلحة السابقة فقال ما نصه (هذه الأحكام الشرعية وجدت يوم كانت الدنيا كلها تجري تقريباً على هذه القواعد أو على تلك العادات .

ونحن اليوم نمضي في الحرب على أسس لم تكن معروفة للسابقين من مدفعية ودبابات ثم قال : لقد تغيرت العادات وتغيرت القوانين تبعاً لها . وقال أيضاً إن تغير كل هذا قد عطّل نصوص الشرع الشريف الخاصة بالغنائم ولا ضير في ذلك ولا ضرر) .

ولا ريب أن هذا قول بالغ الخطورة ، ودهوة جريئة آثمة ، ومحاولة باغية لإلغاء نصوص القرآن والسنة في باب من أبرز أبواب شريعة الإسلام ، ومن أجل أي شيء يقرّف هذا الفساد والدمار ؟ من أجل اختلاف الأسلحة في عصرنا عن العصر الماضي أي منطلق هذا ؟ وأي عقل يسميّه ؟ وأي حلٍ يصبر على هذا المراء ؟

(والسواد ^(١) أرض خراج) لأنه يجوز إقرارهم على الكفر فقد وجد شرط الخراج ولأن عمر رضى الله عنه فتح سواد العراق ووضع عليه الخراج بمحض من الصحابة - وأجمع الصحابة على وضع الخراج على الشام . وكذلك وضع عمر رضى الله عنه على مصر الخراج حين فتحها عمرو بن العاص ثم قال : (وأرض السواد مملوكة لأهلها يجوز تصرفهم فيها) لما بينا أن الإمام إذا فتح بلدة قهرأه أن يقر أهلها عليها ويضع عليهم الخراج - فإذا أقرهم عليها بقيت مملوكة لهم فيجوز تصرفهم فيها بيعاً وإجارة وغير ذلك كسائر الملاك والأموال . ١٠

لهذا بقيت كلمة أتوجه بها إلى هذا الكاتب وأمثاله : إنه ينبغي ألا يتطاول الإنسان إلى مقام على إلا بعد أن يعد له هذه دراسة شاملة . وبحسب مستنير . ونظرة فاحصة أمثالاً لقول العليم الحكيم : ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً . ٩

مناوئى عبور

(١) قال صاحب الأسباب في تفسير السواد (أى سواد العراق سمي - واداً خضرة أشجاره وزروعه وهو الذى فتح على عهد سيدنا عمر فأقر أهله عليه . ووضع على رعايهم الجزية . وظل أراضهم الخراج) . ١٠

ورق على المسلمين فهل لم أن يعلنوا أن أراضهم التى تحت أيديهم ليست ملكاً لهم وإنما هى ملك للدولة وأنها تحت أيديهم على أنها أرض عشيرة وأن ما دفعوه فيها من أموال اللبائعين كانت من قبيل خلو الرجل ، وهذا كلام يعترض عليه من وجوه .

الأول - إنه يناقض رأى الكاتب فى أول المقال فإنه يرى أن التحريم لا يثبت إلا بنص من القرآن أو السنة ، وكلامه هذا يتضمن تحريم انتفاع هؤلاء بأراضهم فأين النص من القرآن أو السنة على هذا التحريم ؟

الثانى : قوله : إن ما دفعوه فيها من أموال اللبائعين كانت من قبيل خلو الرجل : يفيد هذا القول أن خلو الرجل مشروع مع أنه أمر غير مشروع إذ المال المأخوذ فيه ليس له عوض ولا مقابل فيكون من باب أكل أموال الناس بالباطل ، وقدم حرم الله ذلك بقوله « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » .

الثالث : الحكم بأن أرض مصر غير مملوكة لأهلها حكم غير سديد لأن أرض مصر فتحت عنوة حين فتحها عمرو بن العاص . وأقر عمر رضى الله عنه أهلها عليها - ووضع الخراج على أرضها فتسكون أرضاً خراجية - والأرض الخراجية مملوكة لأهلها يجوز تصرفهم فيها بيعاً وإجارة وغير ذلك : قال فى المختار وشرحه الاختيار :

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العمّاري

تنقصهم الدراسة الواعية ، ويشملهم الغرور المتعالي ، وتسيطر على أفلامهم ، وعقولهم (اللامبالاة) فيهرفون بما لا يعرفون ، ويعتسفون في مجاهل ليست لهم أية خبرة بشعابها ووديانها ، وقديما قال العرب : قتل أرضا عالمها وقتلت أرض جاهلها .

هل سمعت (حلاق القرية) في ساحة الحى حيث يجلس متعالياً متطاولاً ، وحوله أهله وعشيرته متعلقون ، يحاضر في أدق شئون الطب ، ويشخص أكثر الأمراض تعقيداً ، ويصف لها من الأدوية ما كانت تصفه العجايز منذ قرون ١٩

إذا كشفت رأيت هذا المشهد الرائع العجيب ، أو سمعت به ، فاعلم أنه مثل واضح صادق لبعض أصحابنا الذين يحاضرون ، أو يكتبون ، أو يذيعون آراء يزعمون أنها لتجديد الدين ، أو لتفسيره ، أو لحل مشاكل الناس من الناحية الدينية ، وهم فيما يبدو لم يقرأوا كتاباً واحداً في أصول التشريع ، أو على الأقل لم يفهموا هذا الكتاب إذا كانت كبرياؤهم سمحت لهم لمحاولوا أن يمروا بصفحاته مرور العجالي المجتهدين .

لا يكاد يمر يوم دون أن يسجل الراصد للتيارات الفكرية في أيامنا هذه تياراً منحرفاً في التفكير الديني .

فقد كثرت وسائل الإعلام ، واتسع مجالها ، من صحف ومجلات ، وإذاعة مسموعة ، وأخرى مشاهدة منظورة ، و (سينما) ومسرح ، وأندية ثقافية ... إلى أنماط أخرى تليق للناس أن يعبروا عن آرائهم . وقد يسكون من الخير أن يتذكروا الناس شئون دينهم ، وأن يعبر كل ذي رأى عن رأيه ؛ فإن الحقيقة بنت البحث - كما يقال - وأن المذاكرة تعدى على العلم - كما يقال أيضاً - .

ولكن الذى لا يبشر بخير ، أن يقول كل من أراد ما أراد دون أن يرجع إلى فقهه في موضوعه ، ودون أن يتعمق الدراسة ليحضر رأيه ، وأن يتقحم السكائب كل موضوع دون أن يسكون من أهله ، فإن أضرار هذا التقحم كثيرة ، وأولها يعود على السكائب نفسه ، لأنه يظهره في ثوب الجاهل المتعالم ، أو الأجني المتطفل .

ولعلك أيها القارئ لاحظت كما لاحظت أن كثيرين ممن يتسكون في الإصلاح الديني

ويحطب حباله ، وكان أكثر ما يقبج به حرية الرأي ، ولست أذكر أنه سمح مرة واحدة لكلمة حق أن تنشر في (يومياته) على الرغم من السكبات الجادة ، الواضحة المحجة ، البينة المحجة التي أرسلت إليه .

* * *

ذكرت كل ذلك حين رأيتني في الأيام الأخيرة أطلع كل يوم على عجيب في مهاجمة الدين ، أو في تحريف نصوصه ، أو في تفسير قواعده وأصوله ، على طريقة (حلاق قريبنا) العالم بالطب والجراحة ، وهو لا يعرف إلا الحجامة والسكي بالنار ، ونزع الأضراس (بكاشته العتيقة) .

وآخر ما قرأت من هذا مقالات في (التجديد الديني) للدكتور محمد أحمد خليف الله ، أثر بها مجلة الرسالة .

وعلى الرغم من معرفتي القديمة للدكتور من يوم أن فعل فعلته بكتابه (القصص الفنى فى القرآن) فقد تابعت قراءة هذه المقالات على أمل أن أجده فيها جديداً ينفع أمتنا ، وينفع المسلمين في وقتهم الحاضر ، ولكن وجدته بعد أن أتم الدكتور مقالته أذكر هذه القصة القصيرة :

لقي رجل صديقا له فسأله : آحسن والحسين بنتا معاوية بن أبى طالب ؟ فقال له صاحبه : والله ، ما أدري أى أخطائك الأصح !

ولعل أخطر هذه الآراء تلك التي يذيعها أناس يملكون حق النشر والطبى ، فهم في الوقت الذي يعلنون فيه أنهم يقدسون حرية الرأي ، ويقدرون قيمة الكلمة ، لا تسمعهم الشجاعة النفسية أن ينشروا كلمة واحدة تعاسرهم الحساب ، أو تبين لهم مدى الخطأ الذي يقعون فيه ، في الوقت الذي يذيعون فيه كل كلمة منحرفة ما دامت تسير في الطريق الذي يسرون فيه ، وتهدف إلى الغاية التي يقصدونها .

ولسنا نطلب من الدولة أن تضرب على أيدى هؤلاء ، ولا من المسؤولين الحقيقيين عن أجهزة الإعلام أن يظهر بها عن يقولون بغير علم ، ويحترثون على الحقائق بفهم اكتمرات ، ويعتمدون على مقدساتنا لغير صالح أمتنا ، لسنا نطلب شيئا من ذلك ، ولسنا نطلب منهم أن تكون لهم رقابة على سير هذه الأجهزة حتى يدركوا أن اتجاهات خاصة تسيطر على بعضها ، ولا أثر لاتجاهات أخرى تحد من غلواء تلك الاتجاهات ، وتقلل من خطرهما على عقائد الناس ، وعلى أخلاقهم . لقد كان منذ سنوات كاتب كان حوزيوه يصفونه بأنه من أعمدة الفكر في هذا العصر ، وكان يكتب (يومياته) في صحيفة يومية ، وكثيراً ما تناول قضايا دينية وحشد لها من المنحرفين ، وطلاب الشهرة من يؤيد آراءه

وهكذا في غفلة من العقل ، وذهول من المنطق ، وفي جرأة على الحق حكم السكاتب على (التكاليف والأحكام) في شريعتنا الإسلامية الثابتة الخالدة ، بأنها غير ثابتة ، ولا خالدة .

فالصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، يناهها التفسير والتبديل أصولاً وفروعاً في رأى السكاتب .

وإذا كانت الصلاة - مثلاً - تختلف في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم عن شريعة إبراهيم ، ونوح ، فينبغي - كما يزعم السكاتب - أن تختلف في القرن العشرين عنها في حياة الرسول ، وهكذا يقال في كل التكاليف . ولا أعتقد أن هذا جهل من السكاتب ، فهذا لا يكاد يحفل الحق فيه مسلم ، ولا غير مسلم ، فبقى أن يرجع القارئ إلى حديثه وتخمينه ليعرف ما الذي حمل كاتباً يشرف على مجلات وزارة الثقافة أن يثبت مثل هذا الكلام .

ونعني مع المكاتب فنراه يصر على هذا الذي ارتآه ، ولكنه يبدأ يتراجع شيئاً فشيئاً ، فيرى أن نصوص الشرائع السماوية نصوص مقدسة لا يمكن أن تكون محل تغيير ، ولكنه في الوقت نفسه يرى أن آيات الأحكام أو بعضها يمكن أن تتأثر بفعل الزمن ، هكذا (آيات) فهو لم يقل : الأحكام التي استنبطها الفقهاء من بعض

وقد مست هذه المقالات أصولاً وفروعاً في التشريع الإسلامى مساً عنيفاً .

وسأترك للبتعمقين في دراسة الفقه والأصول الرد على ما أثاره من مسائل جزئية ، وأراجعه في القضايا الكبرى التي أثارها ، والتي أظن أنها لا تخفى على من له المهام ما بالتشريع الإسلامى ، وسيتبين من هذه المراجعة أن السكاتب لم يكن يعتقد ما يقول .

١ - ابتدأ السكاتب فوضع (أصلاً) ليفنى عليه كل ما أتى به بعد ، ذلك الأصل هو أن في التشريعات الدينية عناصر ثابتة خالدة لا تتأثر بزمان أو بمكان وعناصر أخرى غير ثابتة .

ومثل الأولى بالمعتقدات الدينية الخاصة بالإيمان بالله وملائكه وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهى التي وصى الله بها جميع الأنبياء - كما ورد في هذه الآية التي ساقها السكاتب في هذا الموضع - : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . واعتمد - هنا - على تفسير الرازى لهذه الآية ، وخلص إلى العناصر غير الثابتة ورأى أنها (التكاليف والأحكام) فهى - كما يقول - خاضعة للتغيير والتبديل .

الآيات، وإنما قال (الآيات) كأنه يرى أن بعض النصوص المقدسة يمكن أن يتأثر بفضل الزمن.

ويضرب في هيماء مظلمة، في خبط وخاط، راجعاً مرة إلى ابن خلدون، وأخرى إلى ابن قيم الجوزية، وثالثاً إلى بعض الآيات ليصل أخيراً في إحياء وإجهاض إلى بعض الفقهاء الذي يرى أن مخالفة الأحكام المأخوذة من النصوص الدينية تجوز في غير الضرورة وذلك إذا زالت علة الحكم الشرعي، أو تغير العرف والعادة، ويعلن هنا عن قاعدة ذهبية وآها في بعض الكتب دون أن يتعمق في دراستها، ويفسبها إلى (الفقهاء المسلمين) هكذا بصيغة التعميم، وهي:

«إن الحكم الشرعي المبنى على علة يدور مع علقته وجوداً وعدماً».

وأنا أترك شرح هذه القاعدة، وبيان ما فيها لمن يناقشونه من فقهاءنا، أو أحيله على أي كتاب من كتب أصول الفقه ليتفهم هذه القاعدة جيداً.

ويذكر هنا - مثلاً - وهو - كما يقول - تعطيل سيدنا عمر بن الخطاب لبعض النصوص القرآنية الخاصة بالمؤلفة قلوبهم، وأحيله على أحد الشيوخ ليشرح له صنيع عمر، فإن مثل هذا الكاتب لا يحتاج فقط إلى كتاب يقرأ فيه، وإنما يحتاج إلى معلم يرشده ومن هذا القبيل ما نسب إلى الإمام

أبي يوسف في جراءة غريبة، وتعميم عجيب من جواز ترك النص واتباع العادة.

٢ - وينسب إلى الفقهاء أنهم يقولون إن الإجماع إنما يكون حين لا يوجد نص من كتاب، أو سنة صحيحة، ومعنى ذلك - عنده - أن الحكم الشرعي الذي يحى عن طريق الإجماع يكون حكماً شرعياً مستحدثاً.

وهذه غلظة سببها أن الكاتب لم يحاول أن يطلع حتى ولا على (تعريف) الإجماع. ويستطرد الكاتب فيبني على أصله هذا أن طبيعة الإجماع هي بعينها طبيعة التشريعات المدنية، أي أنها وضع القوانين والقواعد المنظمة للعلاقات بين الناس، وإن كانت القوانين المدنية - فيما يرى - أدق، وأكمل تنظيمًا. وما دام سبيل الإجماع، والتشريعات المدنية واحداً فلابد أن نعتبر التشريعات المدنية الحديثة الخاصة بالمعاملات، والصادرة عن الهيئات التشريعية الحديثة من قبيل الإجماع، أنه يعتبرها كذلك، ولا عبرة في هذا الموقف بمخالفتها لإجماع سابق، ولو كان هذا الإجماع إجماعاً للصحابة - رضي الله عنهم - كما قال.

ونقول له:

أولاً: اعلم - وفقك الله - أن الإجماع لابد أن يعتمد على نص، من كتاب أو سنة (فإذا لم يكن في نازلة كتاب ولا سنة وأتى

ألا يعتد بهذه الأحكام ، وهو - في هذا -
يجهل لباب علم الأصول .

ونقول له ثانيا : إن الإجماع في كل مسألة
لا يعتد به إلا إذا كان من (المتخصصين)
في هذا العلم ، وإيسر أحكام الدين بأقل
حرمة من قضايا الهندسة والطب والجغرافيا ،
فإذا كنا لا نقبل من أعلام الهندسة أن يفتونا
في أدق الشئون الطبية ولا في أوضحها فكيف
نقبل من رجال لم يتخصصوا في الدراسات
الدينية أن يفتونا في شئون ديننا ، وأن نعتبر
إجماعهم ملزما لنا ، بل نأخذ لإجماع الصحابة .
كيف نقبل من لجنة فيها كوهين ،
ومرخص والمستهترق فلان من أعمد
الإسلام أن يكون حكمهم ملزما لنا في شريعتنا ،
بل ومعتلا للحكم الذي أجمع عليه صحابة
رسول الله .

لائق مرة أخرى أجهل الغاية الحقيقية التي
يجري الكاتب خلفها ليدركها بمثل هذا الهراء .
٣ - وقريب من الإجماع اجتهاد المجتهدين .
والكاتب يرى فيه ما رآه في الإجماع ،
لأنه يرى أن الاجتهاد منفصل عن الكتاب
والسنة ، ويجعل هذا الاجتهاد قسما لها ،
فصادر التشريع عنده ثلاثة : الكتاب ،
والسنة ، والاجتهاد - ونسى هنا الإجماع -
ثم إن أقوال المجتهدين غير ملزمة لنا ؛ لأن
لنا من الحق مثل ما لهم .

ولو أن الكاتب مال على طالب أزهرى

فيما السلف بهتوى ، ولم يعلم من أحد منهم
خلاف في تلك الفتوى ؛ فإن جمهور الفقهاء
يرى ذلك حجة في الدين وذلك إن اجتماعهم
لا يكون عن رأى ، إذ الرأى إذا كان
تفرق فيه .

وذلك - في الحقيقة - راجع إلى العمل
بالسنة ، واعتبار ما كان من عدم الخلاف
دليلا على وجود سنة رجعت إليها تلك
الفتوى ، وهذا قليل الوجود جداً ، فيما
اجتهد فيه العلماء (١) .

وأظن أن هذا كلام واضح لا يحتاج إلى
شرح ، فالإجماع ليس عن رأى محض ، وإنما
هو مستمد من النصوص

والاتفاق على فتوى دون أن يعلم مصدرها
من الكتاب والسنة قليل جداً .

ولعل من هذا القبيل تقسيم الكاتب
الأحكام الشرعية إلى ما كان عن آية قرآنية ،
أو سنة متواترة ، وما كان عن رأى الفقهاء ،
كأن الفقهاء يقولون من عند أنفسهم دون
أن يكون لأرائهم مستند من كتاب أو سنة ،
ووضع كلمة (متواترة) هنا بجانب السنة
يهدف إلى غاية منكرة ، إذ من المعلوم أن
المتواتر من الأحاديث قليل ، وأن الأحكام
الشرعية المسأخوذة من الأحاديث غير
المتواترة كثيرة ، وكان الكاتب يريد

(١) تاريخ التشريع للمبيخ الحضري ص ٢٠٦
ط أول .

الصغير ، وسأله أن يعرف له الاجتهاد فقال له :
إنه استفادة المسكف الحكم من كلام الوحي
هكذا (كلام الوحي) . ولو ظفر بطالب
آخر لعرف له الاجتهاد تعريفا آخر فقال له :
هو بذل أقصى الوسع لتحقيق حكم شرعي
عملي بطريق الاستنباط من الأدلة الشرعية .
وربما أسعده الحسب فلقى عالما أزهريا
يقول له إن الاجتهاد هو الفقه ، وإن الفقه
هو العلم بالأحكام الشرعية العمالية المسكفة
من أدلتها التفصيلية ، وإذن فليست أقوال
الوحي هي الأحكام وإنما هي (أدلة الأحكام)
والعالم إذا وجه همه ، وبذل جهده واستخرج
حكما من هذه الأدلة سمي (مجتهدا) .

٤ - ويبدو أن السكاتب (عجن ما عجن)
ليصل إلى الرأي في المعاملات الحديثة ،
فهو يطالعنا - أولا - بأن السنة العملية
كانت تدور أكثر ما تدور حول العبادات ،
أما المعاملات فكانت عبارة الرسول عليه
السلام : أنتم أعلم بأمر دنياكم .
لقد ذكرني هذا الكلام بموقف أبي حنيفة
رضي الله عنه من ذلك الرجل الذي أحترمه ،
ثم تبين له .

قالوا إن أبا حنيفة كان يدرس في المسجد ،
وبينما هو جالس دخل رجل له هيئة وشارة
حسنة ، وكان أبو حنيفة ماداً رجله - لعل
ذلك من وجع - فلما رأى الرجل ضمها ،
ثم قال أبو حنيفة : إذا أدبر النهار من هنا ،

فالاقتصاد - أيها السيد الجليل - ليس
منفصلا عن الكتاب والسنة ، وإنما هو
معتمد عليهما ، آخذ منهما .
ويخبط السكاتب - كمادته - في موضوع
الاجتهاد ، فيرى أن شروطه معجزة ، وأنه
الآن أيسر منه فيما مضى للتقدم العلمي والرقى
الفكري اللذين يساهدان على المضى
في الاجتهاد دون خشية من الانحراف أو
الخطأ ، ولتعدد الدراسات الذي يجعل ثقافة
من يريد أن يجتهد أدق وأعمق من ثقافات
السابقين .

ولا غرو ، فما دام يريد أن يقول في الدين
كل (من هب) وكل (من دب) نشروط

تجمع وتدون، كأن الفقهاء لم يكونوا يرجعون إلى هذه السنة إلا حين يجدونها في كتاب .
ومرة أخرى أقول للكتاب أرجع إلى كتاب من كتب الفقه لتعرف أن السنة كانت مصدرا مهما لكل التشريعات ، ومنها المعاملات .

ويخطو الكتاب خطوة أخرى في شأن المعاملات فيرى : أن ما وافق مصلحتنا قلنا به ، وما لم يوافق أهرضنا عنه . فالأساس في ميدان المعاملات - كما يقول - هو رعاية حاجات الناس ، والمصلحة العامة

وهذا كلام سبق به الكتاب لإسماعيل مظهر ، ورددنا عليه في حينه ، ونريد أن نوجز له القول هنا . فنقول : إن معنى هذا أن المصلحة هي التي توجه النصوص ، وتفسر الآيات ، وليس الشرع هو الذي ينظم هذه المصلحة ، ويبين ما هو مصلحة في الحقيقة ، وما ليس مصلحة ، إنما حين نخضع التشريع للمصلحة نختلف اختلافا كبيرا لأن بعض ما يراه الرأسماليون مصلحة لا يراه الشيوعيون . . . وهكذا .

ثم يخطو الخطوة الأخيرة - ولعلها الهدف الأصيل - فيرى أن جميع مشروطاتنا المستعجدة لا تحتاج إلى فتوى من رجال الدين إذ من المسلم به أن الكتاب والسنة لم يتعرضا لها ، لأنها لم تكن موجودة .

وأقبل الليل من هنا أفطر الصائم ، فقال الرجل : يا هذا ، إذا أدبر النهار من هنا ، وأقبل الليل من هنا ولا تزال الشمس طالعة ، فاذا فصنع ، فقال الإمام : إذن ، أبو حنيفة يمد رجله .

هل يصدق أحدلو لم يكن إمامه الدكتور خلف الله مذيلًا لمقاله أن مثله يقول هذا الكلام .
والمعاملات ، ليست في كتاب . ولا سنة ، المعاملات فصل فيها النبي بقوله : أنتم أهل بشئون دنياكم ، ومن عجب أن الكاتب ذكر أن كلام النبي هذا جاء في حادثة أبر النخل .

فأولا من المعاملات البيوع والرهن ، والحجر ، والشفعة والوكالة والحوالة والسكفالة وكثير غير هذه ولو قرأ الكاتب كتابا صغيرا في الفقه الإسلامي لوجد في أول كل باب من هذه الأبواب : دليل وشروعيته الكتاب والسنة .

وثانيا من قال ، ومن يعقل أن (أبر النخل) من المعاملات ؟

إن الكاتب في سبيل مدفه يغفل عن أوضح الأمور ، وأبينها ، وهذا ليس شأن من يدعو إلى (التجديد الديني) إلا إذا كان الدين عندنا أهون من كلمة تكتب في صحيفة .

ومن هذا الخطب - أيضا - قول الكاتب إن الرجوع إلى السنة النظرية وبخاصة في باب المعاملات كان قليلا ، يوم أن كانت

من حقنا أن نسي النساء والأطفال ونسرقهم ،
وليس للجندى نصيب في الغنائم ، وليذهب
قول النبي صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلا
فله سلبه ، أدراج الرياح .

لماذا ؟ لأن قوانين الحرب قد تغيرت ،
كما تغيرت العادات ، وكل ذلك قد عطل
نصوص الشرع الشريف الخاصة بالغنائم ،
ولا ضير في ذلك ، ولا ضرر .

وهذا - أولا - اجتهاد من الكاتب ، وهو
ليس أهلا لهذا الاجتهاد ، لأنه فيما أعرف ،
وفيا يبدو من مقالاته لم يدرس أية دراسة
جادة لكتيب التشريع الإسلامى .

و - ثانيا - إن الحكم على شرهنا بالقوانين
الدوائية رفع لهذه القوانين فوق نصوص
الشرع ، ولا يرضى بذلك مسلم .

و - ثالثا - على الكاتب أن يقرأ (باب الجهاد
والسير) في كتب الفقه ليعرف أنه لا ضير
في أن نسترق الجندى المقاتل لنا إذ توفرت
الشروط التي كان يسترق بها الجندى في حروب
الإسلام ، وأن أخذ المقاتل سلب القتيل
لا يمنعه مانع ، ولا يعترض على هذا بأننا
لا نستطيع اليوم أن نقبض من قتل القتيل
فهذه ليست صورة مستحدثة ، وإنما كانت
في العهود الإسلامية الأولى ، وكان لها حكمها
الإسلامى .

و - رابعا - من قال إن بلاد الإسلام تطابق

ما شاء الله . هل يعتقد الكاتب هذا الكلام
حقا ؟ ألا يعرف الكاتب أن كثيرا
من مشروطتنا كان في كل زمان ومكان ؟
ألا يعرف الكاتب أن في التشريع الإسلامى
قواعد كلية ، يرجع إليها للحكم في المسائل
الجزئية ؟ .

إن الكاتب نفسه يعنى فيذكر
أن من القواعد أن الأصل في الأشياء الإباحة ،
وما دامت معاملتنا الحديثة لم تكن
موجودة فلم يرد فيها نص بالتحريم فهى
مباحة .

أليس ذلك رجوع إلى قاعدة من قواعد
التشريع ؟ يؤكدنا من يذكر أن يكون
للتشريع الإسلامى رأى في هذه المستحدثات ،
وليس بين الإثبات والإنكار فاصل يجعله
ينفى . .

ه - وبلغ الكاتب في رأى أبى يوسف
فيما يتعلق بحكم العادة ، فينسب إليه مرة أخرى
القول بأن الحكم الشرعى المبني على العادة
يعطل إذا تغيرت العادة ، ولا ضير من مخالفة
النصوص .

وأنا لا أناقش الكاتب في مدى صحة
نسبة هذا القول إلى الإمام أبى يوسف ،
ولكننى أناقشه في المثال الذى أراد أن يطبق
الحكم فيه بناء على هذا القول :

قال الكاتب : إنه ليس من حقنا اليوم
أن نقتل الجندى المقاتل ، أو نسترقه ، وليس

فما هذه الأحكام حتى ترضى أو لا ترضى . المتوازن ، وما هذا ذلك فأقول فقهاء لنا أن نأخذ بها ، ولنا أن نلغيها .

فأين وجد في القرآن ، أو في الحديث المتوازن أن الأرض التي فتحت عنوة ملك للدولة ؟

الثاني : هل يعرف السكاتب الرقعة التي كانت مزروعة في مصر أيام فتح العرب لها ؟ إن بعض العارفين يقدر هذه الرقعة بعشر

المساحة المزروعة الآن أما التسعة الأعشار الباقية فهي مما أصلحها الناس أو أصلحتها الدولة وباعتها للناس ، والنص الشرعي يقول : (من أحيا مواتا فهو له) . لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها ، وحتى سأمها كل منلس ٦ - وأخيراً - وقد قلت إنى لا أريد أن أراجع السكاتب في شيء من التفاصيل - أحب أن أقف معه رقعة قصيرة في دهوته التي ختم بها مقالاته :

لقد توجه إلى رجال الدين ، وإلى علماء الأزهر الشريف أن يطبقوا أحكام الشرع الشريف فيملنوا تنازلهم عن أراضيهم التي تحت أيديهم ، لأن مصر فتحت عنوة ، والأرض المفتوحة عنوة ملك للدولة - كما تفيد نصوص الشرع فيما يرى السكاتب - .

ولست أريد أن أبين (نفاذه) هذا الكلام ، وما يحمل من سوء قصد كما أنى لا أريد أن أبين له أقوال الفقهاء في أرض مصر . وإنما أريد أن أوجه نظره إلى أمرين : الأول : أنه في كل ما سبق من مقالاته يرى أن المعتبر هو نص القرآن ، والحديث

مِنْ نَحْوِ تَجَمُّعِ الْحَوَثِ

الملكيّة الفردية وتحدّيها في الإسلام

للأستاذ علي الخفيف

- ٥ -

نحرم الملكية الفردية في مقررنا :
إن الإسلام حين أقر الملكية الفردية مقيدة في آثارها على ما بينا إنما أراد تجنبها أن يساء استعمالها فتتخذ وسيلة للإضرار بالناس أو بصاحبها وكثيراً ما تجعلها النفوس طريقاً إلى الزحف أو المفاخرة والمسكارة والتعالي والطفیان وغير ذلك مما ترغب فيه النفوس عادة لمتعتها وهي الأمانة بالسوء إلا من رحم الله - والنفوس هي النفوس في كل زمن وكل جيل ولذا كانت الداعية إلى العلاج قائمة في كل عصر وزمن وكان إقرار الإسلام لها على هذا الوضع استجابة لتلك الداعية الإصلاحية التهذيبية .

واقعد قامت الدولة الإسلامية الأولى في يثرب عقب الهجرة النبوية فابتدأ بقيامها عصر التشريع المالي والاجتماعي وقام الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ هذه الشريعة على فترات زمنية تبعاً لما وقع في عهده من الحوادث ونزل من التوازل وحدثت من الحاجات فكان تبليغه للفصل فيما حدث وعلى وفق ما يتطلبه الفصل فيه

استجابة لداعي الحاجة وعلى ذلك كانت الشريعة بقدر الحاجة وعلى وفق ما تتطلبه وكانت الثروة العامة يومئذ للمسلمين ضيقة الحدود قليلة المقدار في جملتها بالنسبة إلى ثراء غيرها من الأمم الأخرى المعاصرة لها وكانت أهم مصادرها ضعيفة هزيلة إذ لم تتجاوز الزراعة في مساحات ضيقة ينقصها ما تحتاجه من وفر الماء فقد كانت الزراعة في حوائط معدودات لا يزال مظهرها الضئيل ماثلاً إلى اليوم وكانت التجارة بقدر حاجتهم البدائية أما الصناعة والمصانع فلا تكاد يرى لها وجود وكان توزيع الثروة بينهم أيضاً لها قريباً إلى أن يكون متعادلاً إذ كانت موارد رزقهم لا تعدو في الغالب أن تكون عطاء من غنائم أو من زكاة تقسم بينهم وقد كانوا فيه متساوين أما ما هذا ذلك فعمل قليل لبعضهم في زراعة الأرض وأكثرهم من الأنصار أصحاب الأرض وعمل بعض الآخرين من المهاجرين والأنصار في الأسواق ولم يعرف منهم بالثراء الواسع إلا عدد قليل منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف

أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، الحشر .

من هذا يرى أنه لم يكن في عهد رسول الله من داعية عن مصلحة أو ضرورة تدعو إلى النظر في دفعها بتحديد الملكية في مقدارها بل كانت الحال يومئذ إلى حفز القوى وإشاعة العمل والنشاط في سبيل تنمية الثروة ، ولذا نرى في السنة كثيرا من الآثار تدعو إلى العمل والسعى في كسب المال وتنميته ، ولذا ظلت الملكية الفردية معلقة في مقدارها الإنسان أن يتملك من المال ما يستطيع كسبه ، غير أن الإنسان قد فطر على حب المال والاضن به وعلى حب ادخاره والاستكثار منه ، وفي ذلك يقول الله تعالى : وإنه لحب الخير لشديد ، (العاديات) ويقول : دقل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكنم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا ، (الإسراء ١٠٠) ويقول : د وأحضرت الأنفس الشح ، ، (النساء ١٢٨) ، وذلك ما قد ينتهى به إلى الاستكثار من المال والاضن به ، وقد يفشو ذلك وينتشر في بعض طوائف من الأمة لسبب من الأسباب كالانغماس في التجارة والمضاربة في الأموال أو الإيقال في زراعة الأرض وتملكها أو نحو ذلك ، فإذا أدى ذلك إلى التفاوت بين أفراد الأمة في الثراء تفاوتا عظيما تباعدت معه الفروق بينهم ،

والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وهم الذين أكبوا على التجارة والعمل فيها ومع هذا فقد كانت استجابة لهم لدواعي البذل والإنفاق في سبيل الله على اختلاف وجوهه وتعددتها استجابة سريعة قوية كريمة فكانوا يسارعون إلى الخروج عن جزء عظيم من أموالهم ثلثا أو نصفها بل قد يبذلونها جميعها وذلك على حسب الحاجة ومقتضى الداعية وليس لإنفاقهم في هذه الوجوه بالامر المجهول فعثمان رضى الله عنه يقوم بتجهيز جيش العسرة ، ويقطع أهل المدينة في زمن أبى بكر فيصدق عليهم بألف راحة تجميعه من الشام محملة بالبر والطعام فيدفعها في سبيل الله بما تحمل وعلى مثال ذلك تروى لنا صدقات عديدة تصدق بها عبد الرحمن ابن عوف والزبير بن العوام وطلحة - ابن عبيد الله حتى إنهم كانوا يبرمون من كثرة أموالهم ويخشون أن يكون الله سبحانه وتعالى قد عجل لهم جزاءهم في الحياة الدنيا وكذلك نرى في الآثار المروية عن أصحاب رسول الله الكثير مما يشبه ذلك مما يدل على أن المسارعة إلى الإنفاق والبذل في سبيل الخير لم يكن من شأن المكثرين وحدهم بل كان ذلك أيضا من المقالين منهم حتى كان منهم من يؤثر على نفسه ولو كان بهم خصاصة وفيهم نزل قوله تعالى : د ويؤثرون على

من أسمى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء وهذا إن صح أن عمر رضى الله عنه قد قاله فليس يدل إلا على أنه وجد في هذه فقراء وأغنياء ضنوا بالفاضل عليهم وهي حال توجد في كل زمن ولم يكن لها من علاج سوى ما شرهه الله من زكاة وإنفاق وإيسر لعمر ولا لغيره أن يشرع ولا أن يأخذ ما لا من ماله إلا بحق ولكن له أن يجتهد ويستنبط فإذا ساءت أخلاق الناس وضعف دينهم فتركوا ما طلبه منهم خلفا وأدبا من رعاية الفقراء ومعوثة المحتاجين كان من الجائز حملهم على ذلك بقوة السلطان فيفرض عليهم في أموالهم ما يقوم بسد هذه الحاجات ودفع هذه الضرورات .

إن الأمر الذى لا تصل إليه رتبة ولا شك هو كراهية الإسلام لأن يحتبس المال لدى فئة خاصة من الأمة فيمتدول بينهم دون غيرهم ممن لا يجدونه ويدل على ذلك ن الله سبحانه وتعالى قد جعل ذلك حلة لقسمة ما يقيمه على رسوله من أهل القرى بين أرباب الحاجات من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وذلك في قوله تعالى « ما آفأ الله على رسوله من أهل القرى قلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » الحشر ٧

واتسعت حتى ساء بذلك توزيع الثروة العامة بينهم وانتهى الأمر بسبب ذلك إلى أن أصبحت الثروة العامة في أيدي طائفة أو طوائف معينة محدودة العدد ومالقة في الأمة ، أما الكثرة فقد فقدت كل شيء إلا الفقر والحاجة والاستكانة والخضوع لأرباب الثراء العريض ، الذين طفقوا يستخذمونهم بأبخس الأجر ، ويستذلونهم ويغلبونهم على إرادتهم تحت تأثير هوزم واضطرارهم إلى ما يقيتهم وإلا الحقد والبغضاء لأصحاب هذا الثراء العريض الذين يرونهم دونهم دما وخلقا ومنزلة حتى اضطغنت بسبب ذلك نفوسهم فأنطوت على الثورة عليهم - إذا وصل الأمر إلى مثل هذا كان من الواجب شرعا علاج هذه الحال بما يرفع هذا الضرر العام الماحق وذلك بما يراهولى الأمر من وسائل لا يتجاوز فيها حدود ما يقتضيه دفع هذه الضرورة .

لم يحدث مثل هذه الحال ولا ما هو قريب منها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كانت تستوجب منه علاجاً بالتشريع كما لم يحدث في عهد الخلفاء الراشدين وكل ما لوحظ أنه قد جاء ما يدل على أنه قد حدث في عهد عمر رضى الله عنه ما استدعى تفكيره فيه والنظر في أمر علاجه وهو وجود فقراء ووجود أغنياء ضنوا بالمال عليهم فأمسكوا أن يتصدقوا بالفاضل منه في سداد هوزم بمادعاه إلى أن يقول بعد أن طعن تلك الطعنة التي قضى بها : لو استقبلت

المهاجرون عن بعض ما تركوه من أموال
بمسكة عند هجرتهم وفي هذا نزلت الآيات
من أول سورة الحشر ولقد وصلت هذه
الكرامية فيما يرى أبو ذر رضى الله عنه
إلى درجة الخطر والتحريم إذ كان يرى أنه
يجب على المسالك أن ينفق ما فضل عن قوته
وقوت أهله في سنة فيجعل ذلك الفاضل
في سبيل الله ويحرم هابه ادخاره ويستقند
في ذلك إلى قوله : « والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم
فتسكوى بها جبابهم وجنوبهم وظهورهم هذا
ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون،
« التوبة ٣٤، ٣٥، كما يروى عن رسول الله
الحديث الذي ذكرناه في كلامنا على تقييد
الملكية ولكن هل يرى أبو ذر في ذلك
ما يدل على أن لانفاق جميع ما يفضل
عن قوت سنة أمر واجب فلا يجوز
أن يستبقى من المال ما يستثمر في التجارة
أو العمل مثلاً ؟ ذلك ما أسقبعده ولا أراه
فأبو ذر هو ذلك الصحابي الجليل الذي عاصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاصر أصحابه
ورأى منهم من كان يستثمر أمواله في التجارة
على مشهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم
دون إنكار منه واعتراض مثل أبي بكر
وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان .

لذا المعنى أن ما يفيتسه الله على رسوله من أموال
أهل القرى بلا إيجاف من خيل أو ركاب
بل كان هن مفاوضة وصلاح هو لله ولرسوله
ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل مقسوما بينهم حتى لا يسكون متداولاً
بين الأغنياء خاصة يتعاورونه فلا يصيب
أحداً من الفقراء منه شيء وذلك ما يدل على
أن تداول المال بين الأغنياء خاصة أمر كره
بغض يحتجب ويحتجب كل ما يؤدي إليه .
وأظهر ما يبدو فيه هذا الأمر الكرهية أن
تكون الثروة العامة في أيدي طائفة من الأمة
تحتازها وتمنعها فلا يصل إلى فقرائها منها شيء .
إلا ما يترك لهم وهم الأكثرون في الأمة .
وقد يكون فيما فعله رسول الله صلى الله
عليه وسلم أيضاً فيما أفاء الله عليه من أموال
بني النضير دليل على ذلك فقد روى أنه
صلى الله عليه وسلم قسم تلك الأموال
التي تركها بنو النضير بعد إجلائهم وإخراجهم
من ديارهم بين المهاجرين الذين أخرجوا
من ديارهم وأموالهم إذ هاجروا بدينهم
إلى المدينة وذلك لما كانوا عليه من فقر بعد
هجرتهم بما اضطروه إلى أن يؤاخى بينهم وبين
الأنصار ليحملهم الأنصار إلى أن يرزقوا
بكدوم وعملهم ولم يحمل الأنصار من ذلك
المال حظاً ما عدا اثنين ظهر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقرهما وبهذا اعتاض

فنهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك) ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نهى عن كراء المزارع والأرض فقال: (من كانت له أرض فليزرها أو ليعملها أعمه وإن أبي فليمسك أرضه) ووردت في هذا المعنى روايات أخرى صحيحة. كما روى عنه كذلك أنه أجاز كراءها بالذهب والفضة أو بالشيء المعلوم المضمون وأنه عامل أهل خيبر على الشطر مما يخرج من أرضهم ونخلهم وأن ذلك ظل باقياً إلى أن أجلاهم عمر في خلافته كما أن الناس لم يزالوا يتعاملون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على كراء الأرض دون نكير عليهم وذلك دليل على رفع ما ورد من الحظر على كرائها وعلى ذلك جمهور السلف والفقهاء.

وقد يبدو من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة كانت الثروة العامة فيها بمثابة في الأرض وزراعتها وكانت يومئذ في يد الأنصار ومنهم من كان يملك منها فوق حاجته ومن يعيا عن زراعة جميع ما كان يملك منها فيؤجره لغيره فرأى أن المصلحة تقتضى بالنهي عن كرائها وأن يشير على من عنده فوق طاقته وحاجته منها أن يمنح الزائد أعمه ليعتد على زراعتها لنفسه دون أجر يؤخذ منه نظير ذلك وذلك توسعة على الفقراء من المهاجرين بإيجاد عمل لهم يرزقون منه

وما كان لأبي ذر وقد شاهد ذلك ليرى رأياً يخالفه فالعمل في التجارة لا يكون إلا برأس مال يستثمر فيها وهو من غير شك مال فاضل عن قوت سنة ولم يعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كنزاً مع ما كان يقوم به هؤلاء من الإنفاق في سبيل الله. ولم يكن مثل هذا ليخفى على أبي ذر. وعليه فشكل ما في الأمر أن رأى أبي ذر لم ينقل إلينا ما يكشف عن حقيقته ويفصل لنا اتجاهاته ومداه. ولا نظنه إلا أن يكون رأياً ينكر على الأشخاص شحهم وضمنهم بأموالهم عندما تدعوهم الداعية إلى النفقة في سبيل الله. ويرى ذلك مع كثرة المال أمراً محرماً وإن رآه الجمهور بعد أداء قريضته أمراً مكرهاً. وقد يرى أيضاً فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن زراعة الأرض وكرائها ما يعمل على هذه الكراهية وعلى استحباب بذل الفاضل لمن هو في حاجة إليه وعلى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كره أن تزيد ثروة أناس عن حاجتهم بينما يوجد فيهم من لا يجدون حاجتهم فقد كانت المزارع قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكرى كما يدل على ذلك حديث ابن خديج إذ يقول (كننا من أكثر الأنصار حقلاً فكنا نكرى الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه

خلافاً عنه وفي مثل هذا يرى الفقهاء أن لولى الأمر أن ينهى هذه الإباحة بحظر يصدر منه لمصلحة تقتضيه فيصبح ما تجاوزته أمراً محظوراً فإن طاعة ولى الأمر واجبة بقوله تعالى : **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ، وأنساء ٥٩ ، ومن نتائج نفاذ أمر هذا عدم ثبوت ملكية المستزيد لما زاده على الحد المرسوم . والمراد بأولى الأمر الأمراء والولاة وهذا مروى عن ابن عباس وأبي هريرة ويقول الطبرى إنه أولى الأقوال بالصواب لكثرة ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من إيجاب طاعتهم إلا فى معصية وهذا الإيجاب يقتضى ما يأمرون به من إيجاب مباح أو تحريمه لمصلحة تقتضى ذلك .

وقد اشترط العلماء لذلك أن يكون من يصدر منه ذلك من الأمراء والولاة مجتهداً أو قد رجح فيه إلى رأى مجتهد حتى يكون أمره هذا مستنداً إلى دليل شرعى . ومن الأدلة الشرعية المصلحة المعتبرة شرعاً . وتقدير هذه المصلحة وضرورتها مرجعه إلى ولى الأمر لأنه المنوط به إقامة الحدود وتأمين السبل وجهاد العدو وتنفيذ الأحكام والإشراف على شئون الرعية وتوفير المصلحة لهم وفى هذه الحال يكون ما أمر به حكماً شرعياً يجب اتباعه شرعاً .

إلى أن تستقر أمورهم وهذا نوع من العلاج أريد به الحض على رد ما يفضل عن الحاجة إلى من هو فى حاجة إليه . فلما استقرت الأمور ووجد الفقراء من المهاجرين لهم مرتزقاً أباح لأصحاب هذه الأرض كراها لغيرهم كما كان الحال قبل مقدمه ، وبناء على ما تقدم إذا ما تجمعت الثروة العامة فى أيدي فئة من الأمة إلى درجة أفقرت كثرتها فلم يجدوا حاجتهم فاستلزم عزمهم وألصقهم بالترب عدمهم وساءت لذلك أحوالهم ولم يجدوا من ذوى الثراء يداؤلاً ومعونة واشتدت بذلك المضرة وتحققت الضرورة فأن على ولى الأمر حينئذ أن يعمد إلى علاج هذه الحال دفعاً للضرر وإذا لم يكن لعلاج هذه الحال من وسيلة سوى أن يهد للملكية الفردية حداً لا تتجاوز به ذلك بما له من ولاية شرعية تخول له إيجاب ما فيه صالح الأمة وأن يجعل هذا حداً مطلقاً يتناول جميع أنواعها أو خاصاً فى نوع منها كملكىة الأرض مثلاً إذا ما رأى أن الضرر يرتفع بذلك وقد بينا أن الشارع قد حدد لها حدوداً فى آثارها وحقوقها حين اقتضت المصلحة ذلك فإذا ما اقتضت كذلك أن تحد فى مقدارها وجب أن يحدد لها حداً كما حدد آثارها ، وقد بينا أن زيادة الملكية من المباحات قبل الإسلام وبعده ولم يرد فيها نص يجعل الحسد منها

الكتابات مع حل ذلك بنهر الكتاب
وقال لافي لا أحرمه ولكني أخشى الإعراض
عن الزواج بالمسلات . د القرطبي ص ٣
سنة ٦٨٠ .

وبناء على ذلك فليس ما يمنع من تحديد
الملكية تحديدا عاما أو خاصا في نوع
من الأنواع إذا ما اقتضت المصلحة والضرورة
ذلك ولا شك أن تحديدها في مقدارها
كتحديددها في آثارها بل ربما كان تحديدها
في آثارها أقرب سبيلا لأن تحديد الآثار
يستلزم أن يسلب السبب الشرعية أثره
فلا يصير سببا .

وإذا ما أقدم على الأمر على هذا التحديد
للضرورة التي اقتضته فهل تنتهي عند الحد
الذي رسمه كل ملكية قائمة بتجاوزته فيؤخذ
منها ما زاد عليه ويعود إلى ملك الأمة ؟
وإذا أخذ منها فهل يؤخذ منها ببدل ؟

لأنه لا سبيل إلى ترك هذه الزيادة لأصحابها
لأن تحديد الملكية إنما كان واجبا شرعيا
اقتضاه رفع ضرر مائل في تجميع الثروة
في أيدي فئة قليلة وفي تفارقت الفروق فيها
بين أفراد الأمة إلى درجة أدت إلى الاضطراب
والفتن وفي ترك هذه الزيادة في أيدي أصحابها
إبقاء على ثروتهم وفيه إهمال وترك لهذا
الواجب ونقض لمقتضى الحد منها وعدم
ثبوت ملكية صاحب الزيادة لها في يديه

أما إذا لم يكن يجتهد ولم يرجع في أمره
إلى رأى مجتهد فإن طاعته حينئذ يجب باعتبار
أمره أمرا يقوم عليه النظام وتضطرب بمخالفته
الأحوال ويعرض مخالفته للعقاب .

ولقد كان من أعمال الخلفاء الراشدين ما يؤيد
ذلك نذكر منها ما يأتي :

١ — اقتضت المصلحة في عهد عمر
رضي الله عنه أن يمنع الناس من أكل اللحوم
يومين متتاليين من كل أسبوع لقلّة في اللحوم
وأما فلم تكن تكفي جميع الناس في المدينة
فعمد إلى هذا المنع فأوجبه وكان يأتي مجزرة
الوبر بن العوام بالبيع ولم يكن بالمدينة
سواها فإن رأى من خرج عن هذا المنع
ضربه بالدرّة وقال له هلا طويت بطنك يومين
وقد فعل ذلك ليتداول اللحم بين الناس وكان
منعه هذا في أمر مباح ترجمة عمر لأبي الفرج
الجزري .

٢ — حمل عثمان رضي الله عنه الناس
حين قام بجمع القرآن على قراءته على حرف
واحد بعد أن كان لهم أن يقرؤوه على سبعة
أحرف كانت مباحة لهم وذلك لما رأى
من اختلاف الناس في قراءته وما أدى إليه
اختلافهم هذا من نزاع وخلاف بينهم خاف
تفاقم شره .

٣ — منع عمر رضي الله عنه أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تزوج

وإذا كان بحق لم يكن اعتداء إذ لا قيام للملكية ولا لحمايتها أمام حق يطلب ولذا أخذ للجائع المشرف على الهلاك من مال غيره ما يقيم من حياته دفعا للهلاك عنه دون أن يمنع من ذلك ما للملك صاحب المال من حماية، ألا ترى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بقلع نخل سيرة بن جندب دون مراعاة لحقه في حماية مملكته حين اتخذها وسيلة إلى الإضرار بغيره وأبى بيعه أو هبته لصاحب البستان الذي يقوم فيه ذلك النخل. وقد ذكرنا ذلك فيما مضى وعلى أساس ذلك كان قضاء عمر رضى الله عنه للضحاك بن خليفة الأنصارى إذ قضى له بإمرار خليج من أرض محمد بن مسلمة رغم إباته ذلك ولعبد الرحمن بن عوف إذ قضى له بتحويله ساقية في بستان إلى جهة قريبة من أرضه على الرغم من إباء صاحب البستان وقد ذكرنا ذلك فيما سبق فهذا وأمثاله مما يروى يدل على أنه لا حماية للملكية عند تحقق الضرر .

ولقد شاطر عمر رضى الله عنه بعض ولائه الذين وردوا عليه من ولاياتهم بأموال لم تكن لهم استجابة لمصلحة عامة تمس الولاية وهو البعد بها عن الكهبات وعن اتخاذها مغنا ووسيلة للاستكثار من الأموال ففعل ذلك مع عتبة بن أبي سفيان إذ ولاء على كنانة فقدم عليه بمال فقال له : يا عتبة ما هذا ؟

من زيادة وعلى ذلك يجب أخذ هذه الزيادة وانتقاص ملكية صاحبها بأخذها . ولا يتم هذا الانتقاص إلا إذا أخذت بلا بدل ذلك لأن في أخذها بالبدل إبقاء على مقدار ثروة صاحبها وليس فيه إلا تغيير عناصرها وذلك بأن يستبدل بعضها منها آخر يضم إليها وليس يعد هذا اعتداء على ملك محترم لأنه لا ملك بعد الحمد منها وجوب ونفاذ ذلك شرعا ومثل ذلك مثل المال يؤخذ في تجهيز الجيوش وإعداد العدة للدفاع عن البلاد ضد المعتدين عليها وذلك إذا لم يكن في بيت المال ما يقوم بذلك من الأموال فقد ذهب العلماء والفقهاء إلى أن ذلك يؤخذ كما تؤخذ الوظائف والضرائب بلا عوض والاخذ في الحالين سواء فهو مما تقضى به الضرورة في كل منهما .

وعلى ذلك يكون ما يؤخذ لهذا الغرض ملكا للأمة شأنه شأن ما يجبي من الأموال العامة كالخراج فيصرفه إلى الأمر في دفع هذا الضرر بالطرق التي يراها دافعة له .

وإذا لاحظنا أن مال المالك من حق في حماية ملكيته وعدم المساس بها إنما هو من حق مقيد كغيره من الحقوق التي منحها الشارع مقيدة بعدم الضرر وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) تبيننا أن ليس في أخذ الزيادة اعتداء على هذه الحماية لأنه أخذ بحق

فقال : مال خرجت به واتجرت فيه فقال له :
لم تخرج هذا المال منك في هذا الوجه
ثم صيره في بيت المال وكذلك فعل مع أبي
هريرة وقد ولاء على البحرين . وإذا قيل :
إن مرجع ذلك إلى الشك في طريق تملكهم
هذا المال لا المصلحة التي قضت بالأخذ
منهم فالشك في طريق تملكهم لا يرقى إلى إبطال
ملكية تقوم على اليد والمشاهدة .
وعلى ذلك يرى أن أخذ هذه الزيادة
إذا ما دعت مصلحة عامة إلى أخذها بغرض

إنقاص ملكية صاحبها إنما يكون بلا بدل
يعطى له وعندئذ تكون هذه الزيادة ملكا
لكافة المسلمين يوجهها ولي الأمر الوجهة
التي من أجلها أخذت لا لوجهة أخرى وإلا كان
أخذها اعتداء لا يستند إلى حق .
ذلك ما انتهى إليه النظر في هذا الموضوع
وهو رأى رأيته فإن كان صوابا فن الله
وإن كان خطأ فلا عصمة إلا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما يشرع للناس .
على الخفيف

متاع الغرور

إعصوا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال
والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما
وفي الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

هذه الرسالة صرب جديد على اللغة والدين للاستاذ عبد الكريم الخطيب

عليها ، وذهب الناس مذاهب شتى في التعليل
لهذه الجهود الضائعة المضنية ، التي يبذلها
أنصار هذا البدع المنكود من القول ، وكان
أحسنهم ظنا من قدر أن هؤلاء الذين يناخون
عن الشعر الجديد إنما ينزهون عن رغبة طيبة
في الإصلاح والتجديد وأن يكونوا قد أخطأوا
الطريق وضلوا السبيل ، وأنه لا بأس من أن
يتركوا وما يحاولون حتى تنقطع بهم الحيل ،
ويومها يدركون أن العود أحمد ، وأن السلامة
في الإياب !

* * *

هذه حال كنا فيها مع الشعر الجديد إلى يوم
قريب .. قد غفل الناس عنه ، وعن أصحابه
وأنصاره ، وتركوه لهم ، وتركوه لهم ، يمضون
إلى حيث ينتهي بهم وبه المطاف ، ولكن
الذي حدث في هذه الأيام يجعلنا نحمل الأمر
على غير هذا المحمل ، ونقدره على غير هذا
التقدير ، فلقد تكشفت الحال عن خبايا
وخفايا ، كانت تكمن وراء هذه الدهوة
الملاحاة إلى التجديد في الشعر ، وظهر أن لهذه
الدهوة مرامي بعيدة ، ومقاصد معينة تريدها

ظهرت في السنوات الأخيرة بدعة الشعر
الجمديد ، الذي خرج على أصول الشعر
في صورة مزججة ، فتلقاه الناس غير ملتفتين
إليه ، أو آبهين له ، إذ كان مبهم المعاني ،
مضطرب الأصايب ، لا تستريح إليه الأذن ،
ولا يتجاوب معه العقل ، وكان أن ترك الناس
هذا الشعر يمضي لقدره المقدر له ، من الموات
والضياع لأول أيامه في الحياة ، إذ ما كان
لمثل هذا المخلوق الشائه أن يحيا ، وأن يمتد
عمره في الحياة . !

ومع ما يقوم بين يدي هذا الشعر
من دلالات قوية قاصمة على المصير المحتوم له ،
فإن هناك أشتاتا من الناس قد تظاهروا
على التشبث المستميت به ، وبذلوا له في سقاء
ماء وجوههم ليجدوا له أنصارا من الكتاب
والنقاد ، وليأخذوا له مكانا في الصحف
والجلات والإذاعة ، متوسلين لذلك بكل وسيلة
من وسائل الإغراء والاستجداء . !

وقد عجب للناس لهذا الإصرار العنيد
على التشبث بهذا الشعر أشد من عجبهم لهذا
الشعر نفسه ، وللصورة المسوخة التي ولد

ودعوة الغيرة على اللغة ، وحمايتها من الزحف
الأجنبي عليها ، على حين أنها تريد أن تقتلع
هذه اللغة من جذورها ، وأن تذهب بها
في مذاهب التيه والضياع !

وقد آن لنا أن نخرج من هذا التلييح إلى
التصريح ، وأن نواجه الامر بما ينبغي أن
نلقاه به من الدع والردع !

ولقد أشرنا من قبل إلى المشاعر التي استقبل
بها الناس هذا الشعر الحديث أول عهدهم به ،
وأنتهم لم يلتفتوا إليه ، ولم يقفوا عنده ،
وعدوه ضرباً من اللهو ، وبجلاً للعبث
ويشغل أوقات الفراغ عند العاشقين
والفارغين .

ونقول إن هذا الوقت قد أغرى أصحاب
هذه الدعوة بالكشف عن وجهها والإفصاح
عن مضمونها ، والمعالجة بالغاية التي تنفيهاها ،
فرأينا دعوة جديدة تقوم وراء هذه الدعوة ،
وهي أن هذا الشعر ليس كما يراه الناس ،
ألفاظاً مفككة ، وهبارات مهلهلة ومعاني
هزيلة تافهة ... وإنما هو عوالم فسيحة
تموج بالصور والمعاني التي تنفس في كيان
الحروف والكلمات التي يتشكل منها هذا
الشعر المخترع !

ومن هنا بدأت نقطة انطلاق جديدة لدعاة
هذه الحركة ، وشهد الناس لهؤلاء الدعاة نشاطاً
مركزاً على إقامة مفاهيم لهذا الشعر تعتمد

وتعمل لها ، لتنال من اللغة العربية مثلاً
يصيبها في صميمها ، ويذهب بوجودها الذي
إن ذهب ضاع بذهابه كيان الأمة العربية ،
وانطمست معالم الدين الذي يدين به العرب ،
وتدين به شعوب كثيرة تتلقى مصادره
من اللسان العربي الذي لا مصدر لها غيره .

ولأنه ليحق لنا - وقد داخلنا هذا الشعور
من جهة الشعر الجديد وأنصاره - يحق لنا
أن نعيد النظر في موقفنا من هذا الشعر
ودعائه ، وأن نقف من هذه الحركة موقفاً
يدفع الخطر الذي يمكن أن ينال
اللغة والعقيدة لو قدر لهذه الدعوة
أن تمضي إلى الغاية التي تريدها ، وتعمل
جاهدة بلوغها !

وليس هذا التأكيد الذي يكاد للإسلام
وللغة الإسلام أول رمية يرمى بها أعداء
هذا الدين في وجهه للقضاء عليه ، أو لتعويق
حركته ، أو لتضليل الناس عنه ..

ففي كل دورة من دورات الحياة كان الإسلام
في مواجهة عداوات ظاهرة ومستترة ،
وفي مجال رميات مسعورة مسمومة .
« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ،
والله متم نوره ، ولو كره الكافرون » .

وهذا البدع الجديد لدعاة حركة التجديد
في اللغة هو - فيما نعتقد - رمية من تلك
الرميات الحبيثة الماكدة التي تتخفى تحت

للناس منها أنها آيات معجزات ، وروائع لا يوجد للزمان بمثلها أبداً .

إن بدعة « الرمزية » هذه قد جاءت لتغطي هوار هذا الشعر الذى أراد به أصحابه لإفساد اللغة العربية ، وتضييع معالمها ، وقطع الصلات التى بين الناطقين بها ... فلما أن عرف الناس وجهه هذا الشعر ، ورموه بالازدراء والمقت ، مد إليه أصحابه حبال هذه « الرمزية » لينقذوه من الغرق ، ولينشلوه من الهاوية التى يهوى إليها .

ثم كان من كيد أصحاب هذا البدع أن دخلوا « بالرمزية » على الأدب العربى فى مجال القصة ، خرفوا فيها الحكم عن مواضعه ، وولفوا من الألفاظ والعبارات مواليد عجيبة لم تقع فى خيال كاتب القصة نفسه ، ولم تدر بخاطره !

ومن يدري ؟ فلعل أصحاب هذه الرمزية - إن مد لهم فى هذا الطريق الذى سلكوه - أن يجعلوا الرمزية هى الحكم الذى يحتكم إليه فى لغة العلم ، كما احتكموا إليه فى لغة الفن ، ثم لا يقف الأمر عند هذا ، بل يمتد إلى لغة التخاطب أيضاً ... وبومها تفقد اللغة وظيفتها من الإفهام والفهم ، ويكون على الناس أن يتعلموا التنجيم والسحر ، ليفسكوا هذه الطلائع وتلك المعميات ، ثم لا يكون على أحد

على « الرمزية » التى بها يمكن أن تحمل طلائع ، وتكشف معمياته ، وتفتح مغالقه .

ومذ وقع لأنصار هذا الشعر المسيح عايتها ، حسبوا أنهم قد وجدوا لهذا الشعر ما يضمن له وجوده ، ويحفظ عليه حياته ، ويرد منه كل ما يمكن أن يتم به من ضحالة المعانى ، واضطراب الأساليب ، وركاكة العبارات ... فى حى الرمزية تحقنى كل هذه العيوب ، ومن حاسها تنطلق المعانى ، والاختلة ، والرؤى التى يمكن العثور عليها من كل أفق ، وانتهابها من كل فن ... ثم ادعوا لها هذه الكلمات الخرساء الميتة التى يتشكل منها جسد الشعر الجديد ، والتى كان استغلالها وصمتها آذنا بقبول كل قول يقال عنها !

ولقد استطاع دعاة الشعر الجديد أن يضعوا كلماته الخالية الخاملة أمام الناس ، ثم يطلقون من حولها المباخر ، ويرصلون فى وجهها التعاويذ والرقى ، كما يفعل السحرة وانشعوزون ، حتى إذا خيل إليهم أن الناس قد أصابهم خدر مما ترسله هذه المباخر من أدخنة ، وقد غشيهم صداع مما يلقي إليهم من تهاويل وتخريفات - أطلقوا لهم من تلك التماغم أشباحا ، تتبدى فى صور شائبة لا يعرف الناس لها رأساً ولا ذنباً ، يخيلون

دلالات معهودة بين المتخاطبين ، لا يفهمها منه غيرهما ... قال الشاعر :

منطق صائب ، وتلحن أحيا
نا وخير الكلام ما كان لحنا
وقال أيضا :

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا
ووحيت وحيا ليس بالمرتاب
ولقد جاء في القرآن الكريم : « الرمز ،
و « الوحي ، و « اللحن ، بهذا المفهوم ،
فقال تعالى : « قال رب اجعل لي آية قال آيتك
ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ، ..
وقال سبحانه : « نخرج على قومه فأوحى
إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ، وقال :
« ولتعرفنهم في لحن القول ، ..

وهذا كله يدل على أن اللغة العربية تعرف
« الرمز ، الذى هو إيماءات وإشارات
يزداد بها المعنى ثراء ، وقوة ، ووضوحا ،
لا هذه « الرمزية ، التى يروج لها اليوم أخلاط
من الناس قد اختلفت ثقافتهم ، وتباينت
مشاربهم وعقائدهم ، وجمعهم هذا البدع
الذى سعى إليه كل منهم لحاجة فى نفسه ،
لذ بينما أراد بعض لهدم اللغة وتضييعها ،
تعلق به بعض آخر ليلحق - كما قدر - بركب
المجددين المتعربين - فهذه « الرمزية ،
لا تأخذ معطياتها من إيماء العمل الفنى ،
ولإنما هى وسوس وخطرات تموج فى صدور

منهم حرج إذا فهم غير ما سمع ، أو فهم
منه غير ما أسمع !

« والرمز ، بلا شك له مكانة فى الأدب ،
وفى الفنون الجميلة كلها ... ذلك أن الفن
إنما يختلف عن العلم فى أنه يمرض الحقائق
التى يعترف بها العلم فى أسلوب يزاوج بين
التبليغ والتضريح ، ويجمع بين الغموض
والوضوح ، وهذا لا يعطى العمل الفنى كل
ما اشتمل عليه من حقائق مرة واحدة ،
وفى نظرة واحدة ، وإنما يكون الفن على
حظ من الإصالة والجمال حين ينظر الناظرون
فيه نيا أخذ كل بحظه منه ، قطرة قطرة ،
وحالا حالا ، وهذا هو الذى يضمن للأعمال
الفنية حياة متجددة مع كل نظرة ، وعند
كل ناظر !

واللغة العربية تعرف « الرمز ، بهذا
المفهوم فى شعرها ونثرها ، لأنها لغة قوم
هرفوا بالذكاء ، وسرعة الخاطر ، وحضور
البديهة ، واكتفوا فى كثير من المواقف بالبدعة
الدالة ، والإشارة الموحية ، وقالوا : رب
إشارة أبلغ من عبارة !

وقال شاعرهم :

يرمون بالخطب الطوال وتارة
وحى اللواحظ خفية الرقباء
كما هرفوا اللحن ، وهو تحميل الكلام

معامله ، كما نرى ذلك في تعاليم الباطنية ، ومعتقداتهم ، وتأويلاتهم لنصوص الكتاب والسنة ، ونكتفي هنا بمثل صغير في فهمهم لقوله تعالى : « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها . » فقالوا عن الشمس إنها على وعن ضحاها أنه « قاطمة » وعن القمر إنه « الحسن » ، وعن النهار إنه « الحسين » ، وعن الليل إنه دولة « بنى أمية » .

وهكذا يذهب الباطنية ومن إليهم هذه المذاهب الملتوية المضللة في تأويل آيات الكتاب ، ومقولات السنة ، يلوونها ليلاً إلى ما يتفق وأهواءهم ، دون أن يقيموا وزناً لدلالات اللغة ومفاهيمها التي يتعامل بها أهلها .

والرمزية التي قطل برأسها اليوم أشد خطراً ، وأكثر تدميراً وفسكاً بالشرعية الإسلامية ولسانها من جميع ما عرف من أسلحة تهددت اللغة العربية والشرعية الإسلامية إلى اليوم ...

ذلكم أن تلك القوى المحاربة للغة أو العقيدة كانت تلتقي بهذه أو تلك في مجال محدود ، وفي قضايا واضحة ظاهرة قد استقرت في ضمير المجتمع العربي والإسلامي ، ومن هنا كان مصير هذه المحاولات كلها الاندحار ، والضعف والزوال .

أصحابها ، وتنطلق على أقلامهم بلا وعى ، وبغير حساب .

ونود أن ننبه إلى أن هذه « الرمزية » المخلفة العمياء إنما هما الأول هو التزويج لإذاعة الفوضى في اللغة ، بالتمثل من أصولها وقواعدها ، والخروج على مقررات نحوها وصرفها ، والإهدار لمدلولات كلماتها ، ولأنماط أساليبها وأوزان شعرها ، فذلك هو الذي يتيح لتلك « الرمزية » مجال العمل في هذه الصور الشائنة المعتمدة من صور القول ، حيث يستوى العالم والجاهل في النظر إليها ، والفهم عنها ، فكل قول يقال منها ليس غيره أولى منه بالدلالة عليها ، والتعريف لها .. إذ كل الأقوال عنها رجوم وظنون

ونود أن ننبه أيضاً إلى أن هذه « الرمزية » قد كانت سلاحاً من أسلحة أصحاب الدهوات المنحرفة ، سواء في مجال العقيدة أو السياسة ، إذ كثيراً ما شبر هذا السلاح المدمر في وجه النصوص الواضحة الصريحة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فخير صوحتها ، وشوه حقيقتها ، وجاء بمفاهيم ومقولات ما أنزل الله بها من سلطان ، وحسبنا أن نذكر هنا ما أثمر هذا المسكر بآيات الله وسنة الرسول من ثمر نكده ، وما أخرج من مذاهب ومعتقدات أفسدت تعاليم الإسلام ، وشوهت

ومقولاتها عنه ، وتخريجاتها له ، وإما موات هذا التراث وإحالاته إلى مخلفات القرون البائدة ، لا ينظر الناس إليه ، إلا كما ينظرون إلى ما في قبور الفراعنة من جثث ، وما عليها من نقوش .

إن التجديد في اللغة - أي لغة - ينبغي أن يكون موافقا لطبيعة هذه اللغة ، نابعا من أصولها ، مستلهما من روحها .

وفي اللغة العربية طبيعة سخرية معطاة لسلك من ورد مواردها ، ودخل عليها من بابها .

أما هذا التجديد الذي يجيئها من مترجمات باردة غير فاضحة من الغرب والشرق فهي رقع غريبة إن قلت كانت تشويها ولا شيء وراءه غير هذا ، وإن كثرت غلبت على اللغة العربية وذهبت بسمائها وكانت أشبه بطيلسان ابن حرب الذي يقال إنه كان كلبا وجد رقعة ألصقها به حتى ذهب الطيلسان ، وبقى المرقعات !

وبعد ، فهل يقنعه ، ذووالخيرة على العروبة والإسلام لهذا الكيد الذي يكاد للغرب ، وللإسلام ؟ ذلك ما نرجوه ونلح في الرجاء له ؟

عبد الكريم الخطيب

أما هذه « البدعة » - بدعة الرمزية - فإنها تحمل الطابع التدميري لهذا العصر ، وتعمل بأسلحته القذرية التي لا تبقى على شيء .

فلقد جاءت هذه الرمزية مخلقة في أغلفة التجديد ، والدعوة إلى احقةقاذ اللغة العربية وحمايتها من أن تطغى عليها اللغات الأوروبية ، بحجة أن الرمزية هي القادرة على أن تحمي اللغة العربية من ظهور هذا النقص فيها ، بما تستخرج من نتائجها - أيا كان - كل معنى مبتكر ، وكل خيال محقق يحمله الأدب الأوربي ، ثم تخرج به على الناس منسوباً إلى هذه الأمساخ الشائنة من القول وبمثل هذا الحداق والتضليل تنحدر أعصاب كثير من الناس فيقبلون أو لا نسخ اللغة ، والخروج على أصولها وقواعدها لينفصح مجال العمل للرمزية فيها ، ثم يقبلون ثانيا أن تتولى هذه الرمزية إعطاء مفاهيم لهذه النصوص التي يقدمها الشعراء والكتاب الذين أطلقهم هذه الرمزية طلائع لها ...

ثم ينتهي الأمر باللغة العربية وآدابها ، وشريعتها التي تحملها - ينتهي الأمر إلى أحد احتمالين لا ثالث لهما :

إما قبول التراث العربي كله ، ومن بينه نصوص الكتاب والسنة لحكم الرمزية فيه ،

مجموعه الإخوان الصفا

للأستاذ محمد غفراني الخراساني

- ٢ -

٦ - يقول المسقشوق «دى بور» ، فى موضوع رسائل إخوان الصفا ، وأما رسائلهم فهى أشبه ما تكون بدائرة معارف مرتبة تضم علوم ذلك العصر وتدل على أنهم أصابوا من الرقى الفكرى حظا وافرا ، ويقول أيضا « لا نعرف على وجه اليقين مدى نجاح هؤلاء الإخوان فى تحقيق المثل الأعلى الذى كانوا يرمون إليه » . (١) ويقول القفطى فى وصف رسائلهم « هؤلاء - إخوان الصفا - جماعة اجتمعوا على تصنيف كتاب فى أنواع الحكمة الأولى ورتبوه مقالات هدتها لإحدى وخمسون مقالة ؛ خمسون منها فى خمسين نوعا من الحكمة ومقالة حادية وخمسون جامعة لأنواع المقالات على طريق الاختصار والإيجاز وهى مقالات مشوقات غير مستهضة ولا ظاهرة الأدلة والاحتجاج وكأنها للتنبيه والإيحاء إلى المقصود الذى يحصل عليه الطالب لنوع من أنواع الحكمة (٢) فنرى أن القفطى يصف الرسالة الحادية والخمسين بأنها جامعة

فى حين أن رسالة الجامعة رسالة مستقلة تختلف عن مجموعة الرسائل وكلها كما يصرح بذلك إخوان الصفا أنفسهم فى رسائلهم فيقولون « اعلم أيها الأخ البار الرحيم ... أننا قد جعلنا فى كل رسالة من رسائلنا فصلا جعلناه من لها وغالبها إذا وفق له من فهمه ، وعمل به نال السعادة فى الدنيا والآخرة . وقد لحصنا ما أوردناه فى رسائلنا الإحدى والخمسين فى رسالة مفردة عن الرسائل سميناهم « الجامعة » وهى خارجة عن جملة الرسائل ، (٣) ويقولون فى موضع آخر من رسائلهم : « هذه فهرست إخوان الصفا ... وهى اثنتان وخمسون رسالة فى فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الآداب وحقائق المعانى عن كلام خلاصاء الصوفية صانقة قدرهم وحرصهم حيث كانوا فى البلاد (٤) . وكلام إخوان الصفا هذا ينص على أن الرسالة الجامعة تلخيص عن مجموعة الرسائل ومفتاح لكشف غوامضها وإذن يكون من الخطأ أن يقول قائل إن رسالة الجامعة تعد

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ٢٩٠ .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٣ .

(٣) تاريخ الفلسفة لدى بور نرجة أبو . يدة ص ٩٨ .

(٤) أخبار الحكماء للقفطى ص ٥٨ .

هذه الرسالة على غرار كتاب كلية ودمنه من مجموعة رسائلهم وتتألف من خمسة وستين فصلا (١) وكان له هذه الرسالة أثر كبير في موضوع القصة في اللغة العربية إذ قطورت القصة على لسان الحيوان بعد تأليف إخوان الصفا رسائلهم هذه إلى صورة أخرى ذات مظهر خطير من ناحية الفكرة الفلسفية في البيئة الإسلامية فقد نقلوها من مغزاها الاجتماعي والأخلاقي إلى الميدان الفلسفي .

وتتضمن هذه الرسالة محاكمة طويلة بين

— وكتاب ضنى الإسلام ج ١ الأحمديين والمفالات التي نشرها أديب عباس في مجلة الرسالة (لأعداد ٣٤ و ٣٥ و ٤٤ عام ١٩٣٤ م في القاهرة) ، والمقدمتين العلمية والتاريخية الأولى للدكتور حـ حسين والثانية لأحمد زكي باشا لرسائل إخوان الصفا تحقيق خير الدين الزركلي طبعه القاهرة . والحضارة الإسلامية لبارتولد ترجمة حمزة طاهر وكتاب إخوان الصفا لعمر الدسوقي وكتاب إخوان الصفا لكل من عمر فروخ وعبد الطيف الطيباري والبولس طبعه بيروت والآخر نشر في مجموعة فلاسفة العرب وكذلك كتاب رسائل إخوان الصفا للرحوم الدكتور حسين الهمداني يسكون المهم نسبة إلى قبيلة همدان اليمنية — أستاذ الأدب الفارسي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة وكتاب تاريخ فلاسفة العرب لمحمد لطفي جمعة غيرهما من المصادر العربية والفارسية والأوربية التي عرضت لإخوان الصفا

(١) انظر الرسالة الثامنة من القسم الثاني من رسائل إخوان الصفا

من ضمن مجموعة الإحدى والخمسين رسالة بل هي زائدة عليها ، اللهم إلا أن يقال أن معنى جامعة هو شاملة فهذه اللفظة ليست اسما بل وصفا (١) .

ولقد نالت هذه الرسائل إقبالا عظيما من الناس وحملها أحد رياضي أسبانيا إلى بلاده في أواخر القرن الرابع الهجري وفي نهاية القرن الثامن الهجري ترجمت إلى الفارسية لأحد وزراء تيمورلنك (٢) .

هذا عرض موجز لتاريخ إخوان الصفا ونشأتهم ورسائلهم (٣)

ثالثا

١ — رسالة الحيوان : ألف إخوان الصفا

(١) وتوجد نسخة مخطوطة بعنوان « رسالة الجامعة » في مكتبة المرحوم الدكتور كامل حسين أستاذ كرسى الأدب المصرى بجامعة القاهرة وهي كبيرة الحجم والكنى لم أنأكد من صحة نسبتها إلى إخوان الصفا وتحتاج إلى دراسة لمعرفة هل هي نفس رسالة الجامعة التي يشير إليها إخوان الصفا في رسائلهم .

(٢) الحضارة الإسلامية لبارتولد ترجمة حمزة طاهر ص ٤٥ .

(٣) ومن يطلب الاستزادة ذلك فعليه بالرجوع إلى المصادر الفارسية التي نتحدث عن هذه الجامعة بشئ من التفصيل ، ومن تلك المصادر كتاب الامتاع وللاولاسة ج ٢ لأبى حيان التوحيدي ، وكتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين القفطى وكتاب تاريخ الفلاسفة لدى بور ، ترجمة أبو ردة .

جارية على أن نكسوا الحقائق والمفاظا وعبارات
واشارات كيلا يخرج بنا عما نحن فيه (١)
وهذا نفس الغرض الذي كان يرمى إليه ابن
المقفع من ترجمة كتاب كلیلة ودمنة إذ يقول:
في باب عرض الكتاب د وكذلك يجب
على القارئ هذا الكتاب أن يديم النظر فيه
من غير ضجر ؛ ويلتمس جواهر معانيه ،
ولا يظن أن نقيضه إنما هي الإخبار عن حيلة
بهيوتين - كلیلة ودمنة - أو محاولة سبغ لثور
فينصرف بذلك عن الغرض المقصود . . .
وينبغي للنظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه
ينقسم إلى أربعة أغراض أحدها : ما قصد فيه
إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة من
مسارعة أهل الهزل من الشبان إلى قراءته
فقتل به قلوبهم . لأن هذا هو الغرض
بالتوادر من جميل الحيوانات (٢) لقد ألف
إخوان الصفا هذه الرسالة على لسان الحيوان
تقليد الكتاب كلیلة ودمنة ليكون الجد بصورة
المقعة ، ومن ثم أخطأ بعض الباحثين حيث
زعموا أن إخوان الصفا عمدوا في رسالة الحيوان
إلى نقد الأوضاع الدينية والسياسية التي كانت
تسود المجتمع الإسلامي في تلك الآونة بأسلوب
ومزى لكي يأمّنوا بطش أصحاب السلطة ولالة

الإنسان والحيوان أمام دبراست الحكيم ،
ملك الجان . وقد أطنب إخوان الصفا في
هذه المحاكمة ليثبتوا باءدعائم مذهبهم ويدعموا
بها آراءهم الفلسفية ، ويعد أكثر الباحثين
هذه الرسالة من أقوى رسائل إخوان الصفا
أسلوباً ومنطقاً .

٢ - غرض إخوان الصفا من تأليف
رسالة الحيوان .

يبين لنا إخوان الصفا أنفسهم في مقدمة
هذه الرسالة وختمها الغرض الذي دفعهم إلى
أن يعرضوا أفكارهم الفلسفية بصورة الهزل
والمتعة وذلك عن طريق تقلمها على لسان
الحيوان فيقولون في مقدمة الرسالة : إن
الإنسان إذا كان فاضلاً خيراً فهو ملك كريم
خير البرية وإن كان شراً فهو شيطان رجيم
شر البرية ، وجعلنا بيان ذلك على ألسنة
الحيوانات ليكون أبلغ في المواضع ، وأبين
في الخطاب ، وأجيب في الحكايات ،
وأظرف في المصاح ، وأطرف في المذفع
وأغوص في الأفكار وأحسن في الاعتبار (٣) ،
ويقولون كذلك في ختام الرسالة :
د اعلّم أيها الأخ أنا قد بينا في هذه الرسالة
ما هو الغرض المطلوب ، ولا تظن بنا ظن
السوء ، ولا تعد هذه الرسالة من ملاعبة
الصبيان ، وغزارة الإخوان ، إذ عادتسا

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٣١٧ .

(٢) كلیلة ودمنة ص ٨٣ - ٨٥ تحقيق خليل البازجي

طبعة بيروت عام ١٩٠٧ م .

(٣) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٨٢ .

لعامة الشعب يحتاج إلى أسلوب قصصى سهل بسيط مشوق ليجذب الجمهور إلى الفكرة وليبسط الفكرة له دون حاجة إلى تصوير المفاهيم والأفكار في قالب فلسفى معقد ليستطع القارئ المادى الفهم والاستنباط وهذا مما دفع لإخوان الصفا إلى صف أفكارهم في أسلوب قصصى على لسان الحيوان .

ثالثاً : موازنة بين رسالة الحيوان وبين كلية ودمنة :

وبتضح لنا مما تقدم أن إخوان الصفا تأثروا بابن المقفع في تأليف هذه الرسالة تأثراً كبيراً بحيث يمكن أن نعد رسالة الحيوان محاكاة لكتاب كلية ودمنة وإن لم يعترف بذلك إخوان الصفا في رسائلهم . إذ ذكروا أن موضوعات رسائلهم مقتبسة من أربعة مصادر أحدها الكتب الرياضية والطبيعية التى صنفت على ألسنة الحكماء والفلاحين ، والثانى الكتب المنزلة مثل التوراة والإنجيل والفرقان . والثالث الكتب الطبيعية التى صنفت لبيان تركيب الأفلاك وحركة الكواكب وأقسام البروج والوقوف على أسرار فنون الكائنات من المعادن والحيوانات والنبات . والنوع الرابع على حد تعبيرهم ، هو الكتب الإلهية التى لا يسبها إلا المطهرون والملائكة التى هى بأيدى سفرة كرام بررة ، وهى جواهر النفوس وأجناسها

الحكم ، ومن هؤلاء المستشرق دى بور ، إذ يقول : « وقد أخفى إخوان الصفا آراءهم الانتقادية فى رسائلهم بعض الإخفاء ، وذلك لأسباب غنية عن البيان غير أن حملتهم المجتمع وعلى الأديان الموروثة تتجلى من غير أدنى احتياط فى رسالة الحيوان والإنسان وفيها ألبسوا آراءهم ثوباً رمزياً فقالوا على ألسنة الحيوان ما لو جاهر به أحدهم لثارت حوله الشكوك^(١) كما قيل مثل ذلك بالنسبة لابن المقفع كذلك فى سبب ترجمته لكتاب كلية ودمنة^(٢) .

وهذا رأى لا يخلو من الضعف وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : عندما نقرأ رسالة الحيوان ونعمق فى مضامينها العالية تتأكد من أن تلك النظر المضامين والمفاهيم الفلسفية لا تخص عصر دون عصر أو طائفة دون طائفة بل هى فكرة صالحة لكل زمان ومكان بذرواتها لإخوان الصفا فى القرن الرابع الهجرى ونفروها فى ربوع العالم الإسلامى .

ثانياً : إن إخوان الصفا كما أسلفنا يصرحون بالغرض الذى من أجله ألفوا هذه الرسالة وذلك فى مقدمتها وختامها . وخلال عرض المحاكات فإن عرض أى تفكير فلسفى

(١) تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٥٠٥ .

(٢) وقد أثبتنا بطلان هذا الزعم فى كتابنا « ابن المقفع والتيار الفارسى فى تأليفه » ، فى معرض الحديث من باب عرض الكتاب لكلية ودمنة .

دعوا إليها في رسائلهم لم يستمدوها من كتاب
كليلة ودمنة وإنما أفادوا منه وخاصة
في الإطار الفني القصصي العام الذي بثوا فيه
تلك الآراء الفلسفية وقلبا استقفا. وا من ابن
المقفع في محادثهم له في سرد قصصه عن
قرب كما فعل ابن الهبارية ، وابن عربشاه
وصاحب مرزبان نامه وغيرهم ممن ألفوا
حكايات على أسنة الحيوانات محاكاة لكتاب
كليلة ودمنة ألا أن إخوان الصفا تأثروا
بإبن المقفع في بعض آرائه الاجتماعية التي
تضمنتها حكايات كليلة ودمنة فضلا عن تأثرهم
بالخصائص الفنية .

(للبحث بقية)

محمد غفراني الخراساني

وأنواعها ^(١) غير أننا عندما نقرأ رسائل
إخوان الصفاء نحس بأنهم كما قلنا سابقا كانوا
محبين بقصص كليلة ودمنة وخاصة قصة
الحمامة المطوقة فمن ذلك قولهم : « فاعتبر بحديث
الحمامة المطوقة المذكورة في كتاب كليلة
ودمنة ^(٢) فإذا زنت ليس هنا مجال للشك بأن
إخوان الصفا قد أفادوا من حكايات كليلة
ودمنة وأمثالها في تصنيف رسائلهم وخاصة
رسالة الخيران التي نحن بصدد هذا المقال .

وأما السبب في أن إخوان الصفا لم يذكروا
اسم كتاب كليلة ودمنة في ضمن المراجع التي
اعتمدوا عليها في تأليف رسائلهم فهو أن
الآفكار الفلسفية التي شرحوها والآراء التي

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ١٠٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٦٢ و ٦٣ .

يجدون كل قديم شيء منكر
من مات من آباءهم أو عمرا
وإذا تقدم للبناء قصرأ
« شوقي »

لا تحذو حذو عصابة مفتونة
ولو استطاعوا في الجماع انكروا
من كل ماض في القديم وهدمه

المنهج الإسلامي في الأدب ونقده

للككتور عبد الرحمن عثمان

« الخضر ، على تسامح في شكل السكلمة وتحويلها من فتحة « الحاء ، إلى خفضها — يريد أن يقول لي كما قال لرفيقه : ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً .

* * *

والمنهج العربي الذي بدأه في الرسالة كان يدور حول قضية بدئية تتلخص في أن الأدب العربي يعتمد في أصلاته على الإفصاح والبيان ويبرأ من الغموض والرمزية ، وكنت أدفع بهذا منهجاً دخليلاً على الأدب العربي دعا إليه كتاب لم مكانهم في التوجيه الأدبي بما أتيح لهم من وسائل النشر في الصحف والمجلات ووسائل الاعلام المختلفة ، وقد خشيت أن يترك ذلك أثراً في عقول الناشئة العربية تلك الناشئة التي نفقد عليها

الأمل في بث الروح العربي ، وتمكين الوعي الإسلامي حين تشرق شمس الغد ويطل على الربوع العربية ذلك المستقبل الذي نعيش من أجل تحقيقه ، وتحمل لبعثه مشرقاً بساناً .

قد يكون هذا الموضوع وثيق الصلة بمجلة الأزهر ، لأنه يعرض للقراء فن القول في إطار إسلامي عربي خالص بحيث لا تشوبه شائبة من فضول المعرفة أو بهرج الثقافة مما تعج به مطبوعات تنشر كل يوم ، وليس لها حظ من المعرفة أو الثقافة إلا حظ الجنين الذي تدفعه الأرحام قبل أن يكتمل خلقه وتوضح قسماته .

وهذا المنهج الذي أؤثر به هذه المجلة إنما هو امتداد لما كنت أنشر في مجلة الرسالة أوائل هذا العام والعام الذي قبله والقراء يذكرون ما أثارته مقالاتي من جدل ومكابرة ، وبخاصة حول الغموض والإفصاح في الأدب العربي ، فقد تربص بي كاتب له في المجلة باب بعنوان « تعقيبات » .

وما كنت أظن أن كاتباً عربياً ينكر أن الرمزية الأوروبية لا مجال لها في الأدب العربي الأصيل ، فلما قال صاحب التعقيمين في مجلة الرسالة : إن الرمزية الصوفية لون من ألوان الرمزية الأوروبية آمنت أن

هجوماً عنيفاً حين حقر الشعر وامتحن الشعراء في قوله : « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون » ؛ وقد دعاهم ذلك إلى الاعتقاد بأن الإسلام عدو لدود للفنون ، يصرف عنها كل مسلم ذى عاطفة ، وينفر منها كل ذى خيال وشعور ؛ وتلك قالة سوء لا تجري إلا على ألسنة الخراصين أو الجهلاء بما في الإسلام من رقة وسماحة ، وتوجيه الجبال الذى هو حقيقة ما فى السكون من صعود بالنفس البشرية إلى الآفاق الجنية التى تعمرب بالخير والصدق والفضائل على اختلاف أنواعها .

ولهذا رأيت أن أبطل هذه الفرية وأمثالها بحقائق يقوم عليها البحث العلمى ، تاركا استخلاص النتائج إلى ذوى العقول المستقيمة وهم بحمد الله كثيرون .

* * *

إذا كان القرآن الكريم قد استحدث العرب نظاماً جديداً ينتظم المساواة والجهاد والحب فى إله واحد لا شريك له ، وبسبب هذا النظام اختلفت أنماط الحياة من جاهلية ، وتحولت إلى ألوان إسلامية تقسم بالحبة ، وتميل إلى الاستقرار ، وإذا كان القانون السامى قد أذهل فصحاء العرب بنسقه الفريد فى جلال معانيه وحلاوة نظمه وفيهم

والداهون إلى الغموض وما لى به فى أدبنا يفكرون بضمه حقولنا ، ويتجاهلون حكم البيئة وأثرها فى التراث الفنى كله ، وتلك قضية أوضح من أن يشار إليها لادرسى الأدب ورواد الفنون ؛ فالمعادن ، والتقاليد ، والمعتقدات ، أمور تسيطر على الفكر ، وترك طابعها الواضح على العواطف والمشاعر ومن ثم فاستعادة الأفكار والعواطف دون تمييز بين ما يصلح وما لا يصلح من الأخطار التى لا تؤمن هواقها فى هذا المجال .

ويلحق بهذه المجازفة محاولة نقد الأدب العربى على هدى النظريات الأوروبية التى تسند فى بيئتها إلى أصول غير قابلة لمنطق الاستيراد والتصدير ، لأن ما قام على حكم البيئة سيبقى حياً فى بيئته ، فأما إذا أخرج منها أصابه الذبول الذى هو أول مظهر من مظاهر الموت والفناء ؛ على أن الرجوع إلى طبيعة الأدب العربى حين يراد نقده ضرورى لا يقبل بديلاً ، لأنه نزول على منطق الأشياء وخضوع لقانون الحياة العادل .

* * *

وهناك فرية تتردد على ألسنة بعض المثقفين وتجرى بها أقلام استقامت على الفكر الأوربى ودارت فى فلكه ؛ ملخصها أن الإسلام لم يشرع منهجاً عادلاً للفنون ، وأن القرآن الكريم هاجم فن القول (الشعر)

يرأى يعتمد على الحجة ويقوى على البرهان :

١ - نعلم أن الحرب الشعرية - قبل فتح مكة - كانت أشدها بين المصلين فى المدينة ، والمشرىين فى مكة ومن ناصرهم فى البادية والقرى ؛ فشعراء الفريقين يتراشقون بالهجماء الموجه - وقد كان غرضاً له خطره فى الجاهلية - ، وهذا النوع من الشعر كان وقعه على الفريقين أشد من وقع السهام فى الحروب الدائرة بينهما ؛ وعلى هذا ، فالهجماء من الفنون الأدبية التى وجدت فى هذا الصراع العقيدى عوامل نشاطها وتنوعها ، وهو أمر لم يتج له فى العصر الجاهلى حيث الوثنية ، والإيمان بتعدد الوصياء إلى الله : د ما نعبدكم إلا ليعبرونا إلى الله زلفى ، .

ولئن تخرج الرواة من رواية الشعر الذى نظمته المشركون ، لأنه يمس العقيدة الإسلامية فى جوهرها المعتمد على التوحيد والمساواة والتعاطف ، ولأنه يناول الرسول الأمين من ربه بما لا يليق أن يردده مؤمن برسائله ، ومعجب بإنسانيته كبشر عاش بينهم ثم خرج من الدنيا لا يملك من حطامها شيئاً ، وقد كان فى استطاعته أن يعيش عيشة الأكاسرة أو القياصرة ، ولكنه آثر أن يكون رءوفاً رحماً بالآخرين ، فاختر لنفسه الإيثار ، وترك الآثار لمن يحبها ، وإن يكن نهى عنها وبغضها لمن تنزع إليها نفسه من المسلمين ؛ فإذا تخرج الرواة المسلمين من

الفصحاء المقابيل ، والشعراء الفحول ، إذا كان التنزيل المعجز قد أحدث كل هذا التحول فى المجتمع حينذاك ، فهل كان كل ذلك سبباً فى انصرافهم عن الأدب ونفقه كما يرجف السذج والمفرضون ؟؟ .

ثم إذا اعتبرنا ظهور هذين الحداثين الكبيرين صارفاً للعرب من فن القول والنظر فيه ، فعنى هذا بداية ؛ أن الأدب العربى لا مكان له فى المجتمع الإسلامى الجديد ١١ ، مع أن المعجزة الكبرى لتثبيت هذه الدعوة جاءت قرآناً عربياً غير ذى عوج بحيث يسحر القلوب بحسن تصويره ويستوى الأبواب بجمال تعبيره ، وذلك إلى جانب ما عرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تحدث أو خطب ، فإذا انغم إلى هذين الأصلين اللذين لا يقبلان الجدل أصل ثالث هو أن التعبدى للعرب لم يزد على مطالبهم بشحن قرائحهم الصافية ليأتوا بسورة من مثله ، أو بآيات قصار تثبت على النظر وتتودد بيلاغتها إلى النفوس والأفئدة حتى تملك زمامها أو تستثير فيها لونا من الإعجاب والقبول ؛ وكل ما قدمنا يحتاج فى إبطاله إلى كثير من الجهد ليستقيم القول : بانصراف البيئة العربية فى صدر الإسلام عن الأدب ونفقه . ولا نريد المسارعة إلى التأكيد بشئ معين فى أمر يتصل بموضوعنا هذا ، حتى نستعرض أمرين لهما وزنهما فى هذه الفقرة ، فرمما هدانا أحدهما أو كلاهما إلى الأخذ

فالرسول يقرر في هذه الرواية حكيمين :
أولهما : التحريض على هجماء المشركين الذين
يشككون في القيم الإنسانية التي جاء بها
الإسلام ؛ وثانيها : توجيه الشر إلى الدقة
في صحة المضمون بحيث يتحرى الواقع ويعبر
عنه تعبيراً دقيقاً حتى لا يختلط الأمر على
السامع ، فالرسول من قريش ، وشاعره
حسان يهجو عنه قبيلته ، فإذا أصاب الشاعر
قريشاً بما يشين أصاب النبي في أصوله أصابة
قد يألم لها وإن لم تكن من قصد الشاعر
المحب لصاحب الدعوة عليه السلام .

ومن أجل هذا نستطيع أن نقول في نقده
إن النقد بمعنى التوجيه للأدب ظهر لأول
مرة في تاريخ النقد العربي بفضل ظهور
الإسلام ؛ وليست هذه مجرد دهوى ، وإنما
هي حقيقة سترداد قوة خلال ما يساق
من الحديث .

وبمثل هذا البيان تبطل دعاوى المرجفين
في العالم العربي بأن الالتزام في الأدب إنما
هو ظاهرة أوروبية ، ونظرية جديدة نادى
بها الوجوديون في النصف الأول من القرن
العشرين ! ! فالذي يعرفه كل دارس لفلسفة
المذهب الوجودي أن زعيمه دجان بول سارتر
الفرنسي أكد هذا الالتزام وفرضه على كتاب
المذهب وشعرائه وفقائيه بوجه عام ، وذلك
حين ألف مسرحياته كتطبيق عملي لإقراو

رواية كثير مما يخدش العقيدة أو يعيب
محمداً عليه السلام . فإن الرواية الإسلامية لم
تضن علينا بما يهدينا إلى رأى في لأدب
ونقده أوائل العصر الإسلامي ، فهذا
ابن رشيق يحدثنا : « فأما احتجاج من
لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى :
« والشعراء يتبعهم الغاؤون » ، ألم تر أنهم
في كل واد يهيمون » ، وأنهم يقولون
ما لا يفعلون ، فهو غلط وسوء تأويل ، لأن
المقصود بهذا النص : شعراء المشركين الذين
تنازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالهجاء ، وسوء بالأذى ؛ فأما الذين من
سوام من المؤمنين فغير داخل في شيء من
ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم عز وجل ،
ونبه عليهم فقال : « إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وذكروا الله كثيراً » ، وانتصروا
من بعد ما ظلموا » ، يريد شعراء النبي صلى
الله عليه وسلم ، الذين ينتصرون له ،
ويجيبون المشركين عنه كحسان بن ثابت ،
وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ،
وقد قال فيهم النبي الله عليه وسلم : هؤلاء
النفرة أشد على قريش من نضح النبل ؛ وقال
لحسان بن ثابت أهجهم - يعني قريشاً - فواقه
لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس
الظلام ، أهجهم ومعك جبريل روح القدس ،
والتي أبا بكر يعلمك تلك الهنات ، .

٢ - لم يقتصر الشعر في صدر الإسلام على التهاجى بين المسلمين والمشركين ، بل كان نشاطه ملحوظا في باب الرثاء ، ووصف الخمر على المسأوف من عادات الشعر الجاهلى ، قال الشاعر ابن مقبل - فيما يروى ابن سلام الجمحى : « كان جافيا في الدين ، وكان في الإسلام يبيكى أهل الجاهلية ويذكرهم ، فقيل له : أتبيكى أهل الجاهلية وأنت مسلم ؟ فقال : .

ومالى لا أبكى الديار أهلها
وقد زارها زوار دحك ، وحميراء

وجاء قطا الأحباب من كل جانب
فوقع في أعطائنا ، ثم طميرا
والشاعران : أبو عجمن الثقفى ، فارس
القادسية المشهور ، وهبدة ابن الطبيب ،
يقولان الشعر في الخمر التى نهى عنها الإسلام
وطالب على شربها ، فأبو عجمن هو القائل
في الإسلام على الرغم من ذلك كله .

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمه
تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفنى في الفسلة ، فإننى
أخاف إذا مامت ألا أذوقها
« للحديث بقية ،

دكتور عبد الرحمن هسان

نظرية الالتزام في الفنون ؛ ولعل من خير ما كتب في هذا المعنى : « اليد القذرة والفتاب والابواب الموصدة ، أو الجلسة السرية » . وعلى ضوء ما كتب « سارتر » درس أدباء المذهب الوجودى مشاكل العالم على اختلاف أنواعها دراسة عميقة هدتهم إلى نتائج إنسانية رددوها في فنونهم ، ولتزموها موضوعات وأهداف يدور حولها فنهم ويهدف إليه ، فأيمانهم بحرية الإنسان مثلا ، جعلتهم نصراء لثورة الشعب الجزائرى في كفاحه المشهور ضد الشعب الفرنسى الذى ينتمى إليه سارتر ويفديه بالروح والأهل كل فنان وجمودى فصل من أصل فرنسى ، ولكن الإيمان بحرية الإنسان دفعهم مختارين إلى الجمامرة بعدوان الحكومة الفرنسية على كيان الشعب الجزائرى الذى لا يطلب من فرنسا أكثر من حريته التى يؤمن بها كل فنان وجودى .

ولا أظن أن مذهب الالتزام في الأدب شىء جديد بعد ما قرئناه في صدر هذا الحديث ، وبعد ما استشهدنا عليه بما كتب ابن رشيق عن الشعر المنكر ، والشعر الذى يريده الإسلام ، حين وضع له منهجا ، ومهد له سبيلا .

إلى رسول الله

للشاعر محمد أحمد العزب

ملأت فضاءها طهرا ... وكنت لليلها نجرا
وهز نداؤك المنغوم في آذانها وقرا
فجرد في روايتها الشذى إطلالة غمري
وزاحت الجموع الضوء عبر دروبها الحبرى
تود لديك معذرة ... وأنت وهبتها عذرا
فكم من شارد ضل الطريق وعانق القفرا
أناك فكنت واحته .. سفا تهديه أو زهرا
وكم من ضائع في لجة الأحزان ما قرا
أناك فكنت مرفأه الفنى الوداع البرا
تهدهده ... وتأسو جرحه ... وتهديه حرا
كانك رافد ينساب حبا هائلا ثرا
نروحي أنت ... ما ألقى يمينك تمصر الصخرا
وما أحق يمينك تحطر الفيروز مفرا
ملأت فضاءها طهرا ... وكنت لليلها نجرا
وما زالت نداءاتك في آفاقها تترى
تكفكف أدمع الباكين تمسح أعيننا هبرى
فلطائر اليتيم على غصه ونك أفرع سكرى
تميس به ... ترقصه ... تهدهد روحه الحضرى
تداهب فجره المجرى ... تزرع دربه مطرا
فيضحك ملء عينيه ... وينسى قسوة الذكرى
وكم من صاغب يطوى على الأيام أو يعرى
أضأت له ولم ترهش يداك حقيقة كبرى

: حصاد الأرض الحصاد .. لا لمرقل ... أو كسرى
 وظل الدوح العارى الذى قيد ذوب العمرا
 يورع فيه أغصنه ... ويسجد تحته شكرا
 ودفء الحب للساعين فوق دروبها طمرا
 كأن جموعهم جميل يشكل عالما بكبرا
 وكم من راسف فى الطين يسكب دمه نهرا
 صحا ... فانهارت الأصفاذ خلف صباحه ذهرا
 وعائق عمره غز لا يشيد للفقى قصرا
 أقول - وأنت فوق مدى شعرا قلت أو نشرا
 : زرعنا ضفافها خيرا ثريا بهمى الحديرا
 لقد كانت شعاب الأرض قبوا يخلق الفكرى
 وكانت مسرعا يفتن عن مأساته السكبرى
 تهاويل محنطة الرؤى تستغفر الدهرا
 وتابوت تعفن ضوؤه المشلول واصفرا
 وجمعة راهب شرس يغازل طفلة صغرى
 يمويه السيف والإعصار خلف جفونها قهرا
 وألف نجمة تبكى لها .. وتبرعم الشأرا
 لقد كانت حياة الناس قبلك غابة ... صحرا
 وكان الواحفون لى ضحى قساتهم أسرى
 فصحت بهم - احيوا من جديد أمة أخرى
 فزقت الملايين الجريحة قيدها المرأ
 وداس عارها ومضت تشق طريقها الوعرا
 وتصنع للطفاة هناك خلف المنتهى قبرا
 وتطلع فى سماء السكون شرقا يهزل السحرا
 وأنت ورامها ... تأسو الجراح ... وتلمهم الصبرا

فتاوى نخنات

تقديم : ابراهيم محمد الأحيل

[الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر]

حكم معرفة الرسل المذكورين في القرآن عدد الرسل المذكورين في القرآن

السؤال :

هل يجب على المكلف أن يعرف الرسل المذكورين في القرآن بأعيانهم وأسمائهم بالتفصيل أم لا ؟

إلياس زين - كبوديا

السؤال :

كم عدد الرسل المذكورين في القرآن ؟ نفس السائل

الجواب :

عدد الرسل المذكورين في القرآن قد فهم من السؤال الأول ، وأولهم هو آدم عليه السلام على القول برسالته وهو الأصح .

الجواب :

يجب على كل مكلف أن يعتقد أن لله رسلا مبشرين ومنذرين ، لا يعلم عددهم على التحقيق إلا الله ، ويجب عليه أن يعرف على التفصيل خمسة والعشرين - على الأصح - المذكورين في القرآن الكريم بأسمائهم بحيث لو سئل عن أحدهم لا ينكره ، منهم ثمانية عشر مذكورون في آية ، وتلك حجتنا ، سورة الأنعام ، والبقية الباقية هم : إدريس ، هود ، شعيب ، صالح ، ذو الكفل ، آدم ، محمد صلى الله عليهم جميعا وسلم .

السؤال :

هل يكفر من ينكر رسالة آدم وإدريس ، وقال : إنهما ليسا رسولين ، بل آدم خليفة ونبي فقط ، وإدريس نبي فقط ، معتقداً أن الرسل المذكورين في القرآن ثلاثة وهشرون فقط ، أولهم نوح وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وهناك قول بأن آدم وإدريس نبيان فقط ، وما جاء في السؤال عن معرفتهم بأعيانهم فذلك غير مستطاع ؛ لأنه يتوقف على مشاهدة أشخاصهم وذواتهم .

نفس السائل

الجواب :

قد فهم من الجواب عن السؤال الأول أن آدم وإدريس مختلف في رسالتهما وعلى ذلك فلا يكفر من يقول بنبوتهما فقط ولا حق لمن يكفره .

هل حديث أبي ذر عن الانبياء صحيح يحتاج به أم لا ؟ .

الجواب :

يجوز للسكف أن يقلد من شاء من الأئمة الأربعة ولا يصح له أن يقول : إن الحكم الذى لا يحبه خطأ بمجرد عدم محبته له وإن صح له أن يقول إنه صعب عليه .

الاجتهاد - الخطأ فيه

السؤال :

هل توجد الأخطاء في بعض المسائل الاجتهادية العالم المجتهد ؟ نفس السائل

الجواب :

يجوز الخطأ على المجتهد في بعض المسائل ويثاب على اجتهاده مع ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم ما معناه إن المجتهد إذا أخطأ فله أجر واحد ، وإذا أصاب فله أجران .

السؤال :

هل يجوز لأحد في زمننا هذا أن يخطئ العالم المجتهد في بعض المسائل التى اجتهد فيها ؟ . نفس السائل

الجواب :

هذا الحديث من أخبار الآحاد لا يفيد القطع في العقائد ، والأولى تفويض علم ذلك إلى الله سبحانه .

بقي من جسمه شيء فإذا بيل ولم يبق له أثر
جاز الانتفاع بالقبر في مسجد أو مدرسة
حيث زال حق الميت عنه حينئذ .

نعم إذا دعت المصلحة العامة للانتفاع
بقبر لم يبيل ميتة نقل منه إلى مدفن آخر
غيره بشرط ألا يكون في ذلك تمثيل بالميت
كأن انفجر ولم بجف صديده .

حكم صلاة الجمعة في قرية بها ثلاث مساجد

السؤال :

ما حكم صلاة الجمعة في قرية كبيرة
يوجد فيها ثلاثة مساجد وبين كل مسجد
مسافة كيلومتر ؛ هل صلاة الجمعة صحيحة
هنا الشافعي في هذه المساجد الثلاثة حيث إنه
لا يمكن أن يجتمع المصلون في مسجد واحد ،
إما للعداوة بين أهل كل مسجد والآخر
أو لكون المسجد لا يتسع للمصلين جميعا
من أبناء القرية ؟ نفس السائل

الجواب :

بأن الراجح من مذهب الشافعية رضي الله
عنهم أنه يجوز تعدد الجمعة إذا لم يكن
في البلد مكان يسلمهم جميعا أو تعذر اجتماعهم
لعداوة أو نحوها والجمعة حينئذ صحيحة .

الصدقة بانحراف عن القبر

السؤال :

بناء ببلدتنا حوله الأهل إلى مسجد وقد

الجواب :

إذا وجد من بلغ درجة الاجتهاد المطلق فله
أن يخطيء من قام الدليل على خطئه من المجتهدين .

المذاهب الأربعة

السؤال :

ما حكم من نفى كل المذاهب الأربعة
ويخطيء كل واحد من هذه المذاهب وهو
من العوام معتمداً على الآية د فإن تنازعتم
في شيء فردوه إلى الله والرسول - الآية ، .
نفس السائل

الجواب :

حيث إنه من العوام وليس فيه أدنى
أهلية الاجتهاد فيجب عليه أن يقلد أحد
المذاهب المعتمدة ولا يرجع إلى الكتاب
والسنة لجهله وعدم أهليته للأخذ منهما .
بناء المسجد على الأرض الموقوفة

السؤال :

هل يجوز بناء مسجد أو مدرسة
على أرض موقوفة فيها قبر قديم أو مقابر
قديمة زالت آثارها منها ؟ حيث لا توجد
أرض غيرها ؟ وإن كان هناك مدفن جديد
هل يمكن أن يبنى عليه المسجد أم لا ؟
نفس السائل

الجواب :

القبر موقوف على الميت مادام لم يبيل بأن

مقصورة الولي محرمه شرعا خصوصا إذا كان القبر أمام المصلى الحديث (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ونصح هؤلاء العلماء بأن تعطى المقصورة حكم المقبرة فلا يصلى فيها وفي بقية المسجد متمتع للصلاة . وحدث أخيرا أن كنت أصلى في أحد المساجد التي بها مقصورة أحد الأولياء ووجدت مصليا يصلى بداخلها والقبر أمامه فنهضته بالحسنى وقلت له إن هذا حرام شرعا ، وتصادف أن كان أمام المسجد مارا بمجوار المقصورة وسمع الكلام فقال لي : إن هذا ليس بمحرام وليس فيه شيء مطلقا فأرجو إفادتي عن حكم الشرع في هذه المسألة ؟ .

السؤال من / السيد محمد بن غالب (العراق)

الجواب :

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وفي رواية أخرى (إن من قبلكم اتخذوا قبور أوليائهم وصالحهم مساجد فلا تتخذوها إني أنهاكم عن ذلك) . وقد فهم الشارحون وبعض الفقهاء أن محل النهي إذا كان القبر في جهة القبلة واستقبله المصلى ، وعللوا ذلك بأنه فيه تعظيم اصحاب القبر ، وقد يفضى إلى الاقتتان المؤدى إلى الكفر والعياذ بالله تعالى .

وعلى هذا فاتخاذ المقبرة في المسجد منهي

بنى على غير القبلة ولما كانت القبلة تحدد بالنسبة لموقعه في الجنوب الشرقي فقد أقيمت القبلة بالمبنى فعلا ، ولكن بعض الأهالي يصرون على الصلاة متوجهين إلى الجنوب حتى تقساوى الصفوف وتستقيم موازيه للجدار . وقد اختلف الرأي ، ونرجو بيان الحكم الشرعي ؟ . وحكم الصلاة السابقة التي صليت هل غير القبلة عن عمد ؟ .

عبد الحميد المصيلحي
ميت الخولى - دكرنس الدقهلية

الجواب :

الله تعالى تعبدنا بالاتجاه نحو الكعبة قال تعالى : قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرم ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره . .

فالواجب إذا توجه نحو الكعبة المشرفة في البيت الحرام وكل صلاة صليت عمدا إلى غير القبلة باطلة لعدم استيفاء شرطها ويجب قضاؤها .

أما عن الصفوف فهي مع هذه الحالة يمكن تسويتها وإن كان الصف الأول أقصر مما يليه وهكذا فإن هذا لا يضر في تسوية الصفوف

الصلاة داخل مقصورة الولي :

السؤال :

سمعت من علماء كثيرين أن الصلاة داخل

راغباً في إتمام هذا الزواج كتبت البنت وكالة باسم والد الفتاة لعمها الذي تقيم عنده من غير علم والدما .

وقد عرض أخى الكبير الموكل فى الزواج هذه الوكالة على القاضى الشرعى ، الذى سمع له بإتمام الزواج بناء على وكالة والد الفتاة . وأريد أن أسأل عن حكم الشرع فى هذا الزواج هل هو صحيح أم فاسد ؟ .

وهل ما قامت به يعتبر جرماً أم أنه من أحكام الضرورة ؟

محمد زين محمد صالح - أمريكا

الجواب :

إذا حصل الولي الخاص أو غاب مسافة القصر كانت الولاية حينئذ للقاضي يزوج أو يأذن لمن يزوج ، فبقى أن سبب الإذن الوكالة وهى مزورة هل ما يظهر من خطاب السائل ، والجواب عن هذا أن سبب الإذن فى الواقع الغيبة أو العضل وهذان لا تزوير معهما .

أما الوكالة المقول عنها فلا حاجة إليها فى إذن القاضي ، وكان يكفى أن يعلم القاضي بالغيبة أو العضل وقد حصل ، هل أن للبنت أن تزوج نفسها أو توكل من يزوجه متى كانت بالغة هند الحنفية ، وهذا حصل فى مسألتنا فالعقد صحيح عند الشافعية والحنفية .

هذه شرعاً إذا استقبل القبر بالصلاة ، أما إذا لم يستقبل فإن ذلك جائز لاشئ فيه غير أنه يفغنى أن يلاحظ أنه لا فضل للصلاة فى مكان على مكان إلا الأماكن الثلاثة التى فضّلها الله ، وهى : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد فسر العلماء اتخاذ القبور مساجد : بالصلاة عليها أو بالصلاة إليها واستنبطوا من ذلك أن الصلاة فى المقصورة أو الضريح حرام .

فلا تجوز الصلاة فى المقصورة أو الضريح خصوصاً مع ما يلبس ذلك فى زماننا من الاعتقاد فى الأولياء ، اعتقاداً يتنافى والعقيدة الإسلامية الصحيحة النقية .

الزواج على غير إرادة الوالد الغائب إذا حصل

السؤال :

لى أخ غاب عن وطنه مدة ١٤ عاماً وكان متزوجاً وله ولد وبنت ، الولد توفى والبنت على قيد الحياة ، وتمرر الآن ١٥ سنة ، ويريد ابن أختى الزواج من هذه الفتاة ، وهى موجودة فى اليمن مع عمها .

وبعد المراسلات اشترط والد الفتاة مهراً قدره ألف دولار ، وعرض الحاطب خمسمائة فقط ، ولما كان كل من الفتاة وابن أختى

أَنْبَاءُ وَآرَاءُ

شهادات مواليدهم أنهم مسلمون ، ولكن يظهر أن الاحتراف الصحفي أرفع لديهم من العقيدة والدين والقرآن . السنان

منافسات ... ؛

(لمسة) :

إن فكرة تبرئة اليهود من دم المسيح ، والمناورة السياسية الخطيرة التي يقوم بها الكرادلة في أروقة الفاتيكان يجب أن لا تمر بدون تعليق الأوساط الإسلامية المستولة في كل بلد إسلامي ...

فصحفنا مثلاً تناقش القضية من الوجهة السياسية فقط دون اعتبار لعقيدتنا ، وكأن من المسلم به أن المسيح عليه السلام قد صلب فعلاً ، وقد انحصرت القضية في تبرئة اليهود من دمه أو الصاقها بهم .

ونحن لا يهمنا إن كانت السياسة الأمريكية تلعب دوراً خطيراً من خلف الستار ، كما هو واضح من المؤتمر الديني الأمريكي الذي انعقد منذ أيام في سانت لويس ، حيث أصدر هذا المؤتمر الواحد والستون للجلسة الاسمي القومي في أمريكا بياناً شديداً يبرئ اليهود من دم المسيح ويلقي اللوم على الإنسانية جمعاء ، ولكن الذي يهمنا أن نقرر أن القضية قائمة من وجهة نظرنا على أساس منهار .

كما نود أن لا يتورط كتاب كبار تقرر

هذا المحصب لبس متواتر :

استمعت منذ أيام إلى حديث ديني من أحاديث الصباح الإذاعية لعالم جليل ، يشير فيه إلى أن حديث : وإنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى ، حديث متواتر ، وهذا الحديث رواه يحيى سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن علقمة ابن وقاص الليثي قال : سمعت عمر رضي الله عنه على المنبر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحديث .

يقول النووي في شرح صحيح مسلم في الجزء الثالث عشر ما مضمونه ، إن الحديث لم يروه من الصحابة إلا عمر ، ولم يروه عن عمر إلا علقمة ، ولم يروه عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم التيمي ، ولم يروه عن محمد إلا يحيى ، وهؤلاء الثلاثة تابعيون ، ثم رواه عن يحيى نحو مائتين من الشيوخ ، ولهذا قال الأئمة ليس هو متواتراً وإن كان مشهور عند الخاصة والعامة لأنه فقد شرط التواتر في أوله وفي طريقة من طرق الإسناد .

الحاد ، وألقى السيد وزير الشباب كلمة قيمة كان لها تأثير طيب في نفوس الحاضرين .

مؤتمر عدم الانحياز :

انعقد مؤتمر عدم الانحياز بالقاهرة من اليوم الخامس من شهر أكتوبر عام ١٩٦٤ إلى اليوم الحادى عشر فيه ، وقد حضر المؤتمر رؤساء ثمان وخمسين دولة من أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية وأوروبا .

وأذيعت القرارات التاريخية الكبرى ظهر اليوم الحادى عشر ، التى تؤيد فضال الشعوب الحرة وفى مدمتها شعوب فلسطين والجنوب العربى وأنجولا وكوبا ضد الاستعمار من كل لون .

لقد كان المؤتمر خطوة جادة من أجل تحقيق الحياذ الإيجابى والتعايش السلمى . وتجنيد العالم ويلات حرب ثالثة مدمرة .

فى ذكرى العدوان الصهيونى :

أذاع فضيلة الإمام الأكبر هذه الكلمة بمناسبة ذكرى العدوان .

يستقبل العالم العربى ذكرى العدوان الثلاثى على مدينة بور سعيد قمر بخواطره بشاعة اجترأ الباطل على الحق ، وجبروت الاستعمار فى مناهضة الأحرار ، وأن هذه الذكرى لتعيد إلى الأذهان الخصائص المشرفة للإيمان فهو مهما ضعفت أسبابه ،

هذا وقد اتصلت بالاستاذ الجليل المتحدث فاقنعت ، ولم أرد بهذا النشر إلا تعميم الفائدة والله الموفق .

محمد نجيب المطيعى - العباسية

فى محيط الأزهر

العام الدراسى

افتتح العام الدراسى فى جامعة الأزهر بمؤتمر كبير حضره الاساتذة والطلاب ، وقد ألقى فيه فضيلة الإمام الأكبر كلمة قيمة وجه فيها الأذهان إلى رسالة الأزهر وحلته العلم بالدين فى علوم الأزهر ، ثم ألقى فضيلة السيد الاستاذ الباقورى مدير الجامعة كلمة أظهر فيها مكانة الأزهر فى مجتمعه وواقعه ونوه بمقدمه للإنسانية من خدمات .

اتحاد طلاب الجامعة

وأقام اتحاد طلاب جامعة الأزهر حفلا كبيرا فى قاعة الشيخ محمد عبده حضره السيد أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء لوزارة الأوقاف وشؤون الأزهر . والسيد الدكتور نور الدين طراف نائب رئيس الوزراء ، والسيد الاستاذ طلعت خيرى وزير الشباب . وقد بدى الحفل بالقرآن الكريم ثم ألقى مقرر الاتحاد تقريراً عن أعماله فى العام الماضى وألقى فضيلة الاستاذ الشيخ الباقورى مدير الجامعة كلمة قبولت بالاستحسان العام والتصفيق

• أحدث الاكتشافات ، هذه الطائرات التي صممت أخيراً ، بحيث تعلق في أجنتها عربات اللوري ، والمعدات الثقيلة ، لتوصلها إلى الأماكن القريبة من المواقع الحربية ، وبذلك يتوافر عامل السرعة في الامدادات الحربية .

الطائرة مصممة بحيث يتحمل جناحها وزن ١٣٠٠ رطل زيادة على ثقل اللوري وما تحمله الطائرة نفسها .

ترعيم مجمع البحوث :

سقتجه النية إلى تدعيم مجمع البحوث الإسلامية والتوسع في نشر وتوزيع الكتب الدينية والثقافية ، فقد استقبل الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر منذ أيام المهندس السيد أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء حيث دار البحث حول الشؤون الدينية والتعليمية للأزهر .

تقرر قبول مائة وخمسين طالبا من حملة الثانوية العامة بجامعة الأزهر على الرغم من عدم نجاحهم في امتحان القبول بالجامعة ، وقد تم الاختيار طبقا لمجموع الدرجات في الثانوية العامة مضافا إليه درجات امتحان القبول ، ومن الجدير بالذكر أنه كان قد تقدم لامتحان القبول ٤٨٠ طالبا لم ينجح منهم أحد .

محمد عبد الله السمان

لن يقتحم بابه ولا يزيده العدوان عليه إلا إغواء به ، وهكذا أبقظ العدوان الثلاثي الضمير العالمي ، وجمع كلبة العرب ، وهبأ حماس المسلمين فكان ما كان من نصر الله الحق ، وغلبة الحرية على الرق ، خيا الله من الإنسانية كلها كل من أسهم في هدفه المعركة بكلمة حق أو معونة صدق ، وجزى الله بالرضوان أرواح الشهداء الذين خطوا بدمائهم خلود وفاتهم وكرمهم في عالمين مع النبيين والصديقين .

وأدام الله على الدنيا هبة هذه الذكرى حتى تظل للظالمين درساً يردعهم وللظالمين سابقة تشجعهم ، وحيا الله زعيم العروبة وجامع كلمتها يوم أن وقف على منبر الأزهر ونادى سنقاتل . . سنقاتل . . فكان نصر الله ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لغوى عزيز .

جائزة نوبل :

افترس عالمان ألمانيان جائزة نوبل للطب في هذا العام ، الأول كونراد بلوخ الذي حصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٤٤ والآخر فيودور لينين الأستاذ بمعهد الكيمياء الحيوية في ميونيخ ، وقد توصل الاثنان إلى اكتشافات عاونت الإنسانية في نضالها ضد أمراض الدورة الدموية .

الكتاب

نقد وتعريف : الأستاذ محمد عبد السلام

والتاريخية ، وتأثره بالقرآن ، ثم قدم المؤلف في نهاية الفصل نماذج متنوعة من شعره .

أثار المؤلف في الفصل الثالث شبهات حول حسان ، أولاها أنه كان جباناً خواراً ، وذكر قصته مع صفيّة بنت عبد المطلب حين دعت إلى النزول لقتل يهودى يطيف فأبى وقال : يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، وما كان منها إلا أنها أخذت عموداً ثم قتلتها .

المؤلف لا ينكر القصة ولكنه لا يعتبرها دليلاً على جبن حسان ، ويراها فلتة لا يمكن أن تقوم دليلاً قاطعاً على صفة حامة في حسان ، ثم استشهد بكثير من المواقف لحسان تنفي عنه هذه الوصمة .

والشبهة الثانية : شعر حسان نفسه واتهامه بالضعف ، وبرى المؤلف أن حساناً فوق هذه التهمة التي كان مردّها الكيد للإسلام ، وإلا ما جاز لأمثال أبي عبيدة أن يقول : فضل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعراً الأنصار

١ - شاعر الموم حسان بن ثابت
للأستاذ وليد الأخطى

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة المنار بالكويت يقع في زهاء ثلثمائة صفحة من القطع المتوسط ، وهو دراسة أدبية تاريخية لشاعر الإسلام حسان بن ثابت الأنصارى في أربعة فصول :

الفصل الأول : ترجمة لحسان ، نسبه ونشأته ، وكنيته وذريته ، وحياته في المدينة ، ثم بحث في شعره الجاهلى .

والفصل الثانى : تناول المؤلف فيه ظهور الإسلام ، وانقسام المجتمع العربى ، ودفاع الشاعر عن الإسلام ، ومواقفه تجاه الوفود ، ثم مدرسة حسان الشعرية .

والفصل الثالث : منزلة الشاعر عند النبي ، وشبهات حول حسان ، وموقفه من حديث الإفك ، ثم منزلته عند الخلفاء .

والفصل الرابع والآخر : تناول المؤرخ فيه مواقف حسان مع الصحابة ، وأثره في الشعر العربى ، وجهوده التجديدية ،

المذهب الإباضي جابر بن زيد وتلميذه أبي حبيدة مسلم .

وفي الجزأين الآخرين الآخرين قدم المؤلف دراسة عن الإباضية في ليبيا ، كيف دخلت على يد سلمة بن سعد ، وكيف قاومت الطغيان وكأخت الظلم في ليبيا وشمال أفريقيا ، وكيف انتشرت دعوتها وتأسست مدارسها .

وقد اشتمل الكتاب على تراجم وافية لعدد كبير من أعلام المذهب الإباضي ، فسلط أضواء كاشفة على هؤلاء الأعلام الذين نشروا مبادئ المذهب وتحملوا في سبيل ذلك الكثير من المشاق .

إن معظم كتب التاريخ التي تعرضت للفرق الإسلامية يعود إلى اعتبار الإباضية إحدى فرق الخوارج ، ويبدل المؤلف هنا جهداً كبيراً في إزالة هذا اللبس الذي رسخ في الأذهان قروناً عديدة ، ويذكر أن اشتراك طائفة مع غيرها في رأى معين لا يعنى اشتراكها في جميع الآراء ، ومن ثم لا يجوز أن تتخرط هذه الطائفة في سلك أية طائفة أخرى تشترك معها في رأى ، وقد تسربت الشبهة لأنها تشترك - أى الإباضية - مع الخوارج في انتقاد قبول التحكيم ، وفي تخطئة على في قبوله ، وتوافق الإباضية في هذه النقطة لا يجعل الإباضية خوارج ، كما لا يجعل الخوارج إباضية ،

في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة ، وشاعر اليمن كلنا في الإسلام . كما لا ينفي المؤلف أيضاً أن يكون شعر حسان في الإسلام قد لان وضعف ، وبطل ذلك بتأثر حسان بالإسلام ولا سيما القرآن .

أعجبني في المؤلف استعداده للدفاع عن حسان في شبهات سلطت عليه ، لولا أن عاطفته غلبت أحياناً على منطقته في دفاعه ، وعلى كل فحسب المؤلف من التقدير أن قدم لنا دراسة متكاملة عن حسان الشاعر الإسلامي الفحل ، تعتبر بحق مرجعاً محدوداً للدارسين .

٢ - الإباضية في موكب التاريخ

للأستاذ على يحيى معمر

هذا الكتاب ثلاثة أجزاء في أكثر من ستائة صفحة نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة والمؤلف أديب ليبي ذو ثقافة ناضجة وأفق واسع ، تناول في الجزء الأول نشأة المذهب الإباضي ، وناقش فيه معنى الخوارج ، والخوارج في نظر الإباضية ، وميزان الخطأ والصواب للفرق الإسلامية ، وتكون المذاهب الإسلامية ، ثم نشأة الإباضية وموقفها في أسواق المجدل ، ووضعها في قيادة الأمة ، وترجمة موجزة مؤسس

يتناول الكتاب ماهية الحكمة وعظم قدرها ومن المستحق لبذل الحكمة وشرفها ، ثم الفرق بين الحكمة والعلم ، ومعنى قول الرسول طلب العلم فريضة على كل مسلم ، كما يتناول بيان التوحيد والتفريد على لسان أهل الإشارة من العارف والمريد ، ووصفاً للعارفين الذين وصفهم المعروف بالصفاء واليقين ، وتوضيحاً لصفة الإخلاص وطبقات المخلصين بالقلب . وإلى غير ذلك من آداب السلوك النفسى والقلبي والعقائدى .

الكتاب - كسائر كتب المتصوفين - خليط من التوجيه السليم الذى يتفق ومفهوم الإسلام وواقعيته ، ومن المبادئ التى لا تصلح كقواعد عامة فى السلوك الإنسانى لانحو نفسه ولا نحو ربه ، لأنها تناقض طبيعة الإنسان نفسه وسنن الحياة كذلك .

فى هذا الكتاب مثلاً أن أباعبد الله اشترى جارية فلما دخل داره قال : قولى وافرشى الثياب . قالت : ماذا تصنع يا مولاي ؟ قال : أنام . قالت : ألك مولى ؟ قال : نعم . قالت : وينام مولاك ؟ قال : لا . قالت : أما تستحي أن تنام وموك لا ينام ؟ وكانت حبيبة العدوية تقول :

عجباً للمحب كيف ينام
كل نوم على المحب حرام

وإلا فالمعتزلة والأشعرية مثلاً يشتركون فى أصل تنزيه البارى وبعض المعتزلة والشيعة يشتركان فى نظرية حصر الخلافة فى البيت الهاشمى ، فهل معنى هذا أن كلا من المعتزلة والأشعرية فرقة واحدة ، وكذلك المعتزلة والشيعة ؟

الحق أن كتاب الأستاذ على يحى معمر دراسة كلفته جهداً ومشقة ، وحسبه من التقدير أنه أزال كثيراً من اللبس ، وراعى الحق والعدل فى ما كتب ، وأنه بذل مجهوداً أيضاً فى استيعاب المراجع النادرة وغير النادرة ليبرى ذمته وقلبه وليسكون كتابه بعد ذلك مرجعاً أميناً لكل دراس باحث .

* * *

٣ - علم القلوب :

للملحة أبى طالب المسكى

حقق هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة القاهرة بالأزهر الأستاذ عبد القادر أحمد عطا المدرس بالأزهر ، والمؤلف هو أبى طالب المسكى صاحب « قوت القلوب » المشهور ، والمتوفى عام ١٣٥٨ هـ .

وهذا الكتاب مع شقيقه الذى بين أيدينا يعتبران - كما يقول المحقق - من أسس السلوك الدبنى القويم الذى تحتاج إليه فى تصحيح الأعمال والنيات والعقائد ، ويوقفنا على دسائس النفوس ومكائد الشيطان حتى نتضح السبيل ويستقير الطريق .

التعليمية ، والحياة الصفاية التي عاصرها
أحمد الزين ، ثم ختم المؤلف دراسته
المستفيضة الجيدة بقصائد لم تنشر للشاعر
رحمه الله .

• صراع بين الحق والباطل

للأستاذ سعد صادق محمد

مكتبة أنصار السنة المحمدية

يقع الكتاب في أكثر من مائة وستين
صفحة ، وهدفه تصفية الدين بما علق به
من خرافات وأباطيل لم يزل السذج
يعتقدونها عقيدة راسخة في أذهانهم والمؤلف
يحمل الصوفية معظم أوزار هذه الخرافات ،
ولا سيما فيما يتعلق بالكرامة والتوسل .

• البناء الفني للقصة العربية

الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

مكتبة القاهرة بالأزهر

كتاب جديد للأستاذ خفاجي يقع
في أكثر من مائتين وسبعين صفحة من
القطع الكبير جاء في تسعة أبواب هي :
الشعر مقوماته وعناصره ، القصيدة من
المقطعات إلى المعلقات ومن المعلقات إلى الأراجيز
بعد الأراجيز ، الموشحات ، حركات التجديد
في القصيدة ، الشعر المرسل ، القصيدة
العمودية ثم التحليل بن أحمد .

كنت أود على الأقل أن يسكون للمحقق
تعليق على مثل هذا القول ، ولا سيما أنه
يذكر في مقدمته أن المكي قد خلط في كلامه
فهمجه الناس وابتعدوا عنه ونسبوه إلى
البدع ، أما دفاعه بأن بعض الناس تعودوا
أن ينكروا ما لم يألفه من مسائل العلم
إنكاراً كاملاً ، وتعود البعض الآخرون يتوقف
أقرب فيما لم يألفه ويسلم لهم أمرها لله ، وهو
إلى الصواب من سابقه ، فهو لا يهدم جازماً
بالخطأ بل يترك ما لا يناسب مداركه إلى من
يناسب مداركهم - مثل هذا الدفاع لا يقوم
حجة ، فالإسلام معان واضحة لا لبس فيها ،
وليس الغاى تفرض على عقول المسلمين فرضاً .

كتب جديدة

• المجتمع في عصر أحمد الزين

للأستاذ عبد الرحمن خليل إبراهيم

المجلس الأعلى لرعاية الفنون

الكتاب يقع في أكثر من مائتين وستين
صفحة من القطع الكبير ، قدم له الأستاذ
علي الجندي بمقدمة موجزة ، وقد جاءت
هذه الدراسة في سبعة فصول ، تناول المؤلف
فيها حياة الشاعر وصلته بشعراء عصره
ومشاركته الوجدانية لهم ، والشاعر في مرحلة
ما بعد الشباب ، والحياة الاجتماعية ،
والحياة النفسية ، والحياة السياسية ، والحياة

• أعضاء جمعية على الحروب الصليبية

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

المكتبة الثقافية - دار القلم بالقاهرة

هذا البحث أصدرته المكتبة الثقافية التي

قشرف عليها وزارة الثقافة والإرشاد القومي

ويقع في مائة وعشر صفحات من القطع

الصغير ، وقد ناقش فيه ماهية الحروب

الصليبية ووضع الصليبيين في الشام ، وموقف

مصر من هذه الحروب والغرب الأوربي

وسياسة الحصار الاقتصادي والحروب

الصليبية في شمال أفريقيا وأوروبا ، ثم أثر

الحروب الصليبية في الشرق والغرب .

• بط - سامع المراسم

في أخبار مجنون بني عامر

لشمس الدين الدمشقي

مكتبة القاهرة بالأزهر

هذا الكتاب الذي يقع في مائة وستين

صفحة من القطع الكبير قام بتحقيقه فضيلة

الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي ، وقد

أضيف إلى الكتاب في آخره أخبار ليلى

الأخيلية وتوبة ، وأخبار قيس بن ذريح

ولبنى ، وقد قدم الأستاذ الصعيدي ترجمة

لابن طولون الدمشقي وابن عبد الهادي شيخه ؟

عبد الله السمان



avoir ramené à l'équilibre leur balance, qui penchait tantôt d'un côté tantôt de l'autre, il les a poussées toutes dans une même direction et leur a insufflé un même esprit, si bien qu'on a le droit de lui attribuer en propre l'ensemble de cette oeuvre.

Plus admirable encore, et absolument original, est son côté créateur. Il ne suffit pas, en effet, pour décrire la morale Koranique de dire qu'elle a conservé et consolidé le patrimoine des anciens et qu'elle a concilié les différentes vues qui avaient divisé leurs successeurs. Il faut ajouter qu'elle a agrandi et embelli cet édifice sacré, en y joignant de chapitres tout-à-fait nouveaux et hautement progressifs, par lesquels elle a achevé à jamais l'oeuvre morale.

Dans la présente étude, nous aurons à considérer les préceptes pratiques du Koran en eux-mêmes et dans leur stade définitif. Or il suffit de feuilleter les Extraits que nous en donnons à la fin de ce volume pour se rendre compte de l'ampleur et de la beauté de cette institution.

Notre méthode d'exposer, dans cette branche, diffère assez de celles adoptées par nos prédécesseurs.

E premier lieu, n'ayant pas jugé nécessaire d'épuiser les passages ayant trait à l'action, nous nous sommes contentés d'en relever un nombre suffisamment représentatif pour établir les différentes règles de la conduite.

Ensuite, nous avons essayé, dans la mesure du possible, d'éviter les répétitions.

Enfin, au lieu de suivre l'ordre des sourates (comme Ghazâli) ou l'ordre alphabétique des concepts (comme La Beaume), nous avons adopté un ordre logique. Les textes sont groupés en chapitres, suivant le genre de rapport que la règle a pour objet d'organiser; et, à l'intérieur de chaque catégorie, nous avons distingué plusieurs petits groupes de textes, auxquels nous avons donné des sous-titres résumant l'enseignement particulier qui s'en dégage. De manière à permettre au lecteur de trouver facilement le précepte qu'il aura à chercher.

L'ensemble des textes ainsi ordonnés constitue un programme complet de la vie pratique selon le Koran. Comment l'homme doit-il se comporter en lui-même, dans sa famille, avec les hommes en général, quels sont les principes qui doivent régir les rapports entre gouverneurs et gouvernés, entre Etats ou communautés; comment faut-il rendre le culte à Dieu. Tout y est dit, de façon claire et assez définie.

Cet ordre logique, nous le trouvons chez certains savants chi'ites tel que A. M. el-Ardabili, mort en 993 H. dans sa "Dourrat el-Ba'iane" et A. I. A. el Djazâiri en-Nadjafi, mort en 1150 H., dans ses Kalâid ed-Dourar" Mais ces deux livres, qui peuvent être considérés comme des répertoires pour les passages du Kor'an relatifs au droit islamique, ne traitent que rarement des préceptes moraux.

Ainsi, personne, a notre connaissance, n'a entrepris jusqu'ici de dégager la loi morale du Kor'an dans son ensemble et n'a essayé d'en présenter les principes et les règles sous la forme d'une structure cohérente, indépendamment de toutes ses attaches avec les disciplines voisines. Et c'est cette tâche que nous nous sommes proposé d'accomplir ici, dans la mesure de nos moyens.

II. Division et méthode.

Sous le vocable générique de *loi morale*, nous distinguons comme tout le monde deux branches différentes : *théorie* et *pratique*.

Or notre étude du texte Koranique nous a révélé, non seulement la présence dans le Kor'an de ces deux branches de la science éthique, mais encore que la formule qu'il en donne atteint un

degré de perfection qui ne laisse rien à désirer.

Aspect pratique - Dans une publication récente, nous avons considéré la morale pratique du Kor'an dans son rapport avec la sagesse ancienne, et nous avons pu en relever trois caractères, que nous rappelons ici brièvement.

D'abord, en tant que gardien et continuateur de la tradition, le Kor'an se distingue déjà par cette immense étendue dans laquelle il a embrassé toute la substance de la loi morale qui restait dispersée dans les enseignements des saints et des sages, fondateurs et réformateurs éloignés les uns des autres à travers le temps et l'espace, et dont certains mêmes n'ont laissé aucun vestige. Ce côté-là est peut-être la caractéristique la plus saillante du Koran, mais non la plus précieuse ni la plus originale.

L'originalité de cet enseignement apparaît avec plus d'éclat dans sa manière de présenter et de rapprocher ces différentes leçons de l'antiquité, de façon à en transformer la diversité en une unité indivisible, et la divergence en un parfait accord. C'est qu'il a commencé par écarter dans les lois antérieures tout ce qu'il y avait d'apparemment médiocre ou excessif ; et, après

moralité et qui n'adoptent pas toujours rigoureusement le point de vue spécifiquement moral, la théorie qu'on en donne dépend dans une large mesure, sinon des vues personnelles, du moins de l'esprit d'école de leurs auteurs, le Koran n'étant cité par eux qu'à titre complémentaire, comme illustration de telle ou telle conception déjà adoptée.

Sur le plan pratique, il est vrai, nous savons qu'Al-Ghazâli avait essayé dans son ouvrage intitulé "les Joyaux du Koran", d'analyser la substance Koranique et de la ramener à deux éléments essentiels, l'un ayant trait à la connaissance, l'autre à la conduite. Il en venait à désigner dans le premier ordre 763 versets, et 741 dans le second.

Malheureusement, cette sorte d'inventaire, qui constituait un premier pas dans la préparation des matériaux à construire, n'était pas suivie de l'élaboration nécessaire pour en élever l'édifice.

Il faut reconnaître, toutefois, que le choix de matériaux y a été fait en somme d'après une règle, et que les versets choisis dans la section pratique coïncident souvent avec l'objet de notre étude. Il n'en est pas de même des extraits faits, soit par le cadî Abou-Bakr el-Djassas, Hanafite, mort en 370 de

l'Hégire, dans ses "Ahkâme El Koran" (Stamboul 1338 H), soit par le cadî Abou Bakr Ibn el "Arabi, Mâlikite, mort en 542 H., dans son livre intitulé également Ahkâme el-Koran (éd Sa'âda, Caire 1321 H.) soit par Moulla Ahmad Djoune, Indou, hanafite mort en 1130 H. dans ses "Tafsirât Ahmadyya fi Baîâne el Aîât ech-Char'yya" (Bombay 1327 H.) Non seulement les textes Koraniques ayant trait à la morale sont inextricablement submergés, dans ces ouvrages, par les textes relatifs aux sujets juridiques, principologiques, théologiques, cosmologiques et autres ; mais nous voyons chez les deux Cadis des versets cités à propos des questions auxquelles le texte n'a qu'un rapport lointain, ou dont il est simplement l'occasion.

En tous cas, par leur manière de grouper les passages Koraniques selon l'ordre des sourates, tous les auteurs, y compris Ghazâli, ont fait de leurs extraits un agrégat de matières éparses qu'aucun esprit de famille ne relie, et dans lesquelles n'apparaît aucune suite d'idées. Ainsi, après avoir rompu l'unité primitive de chaque sourate, ils n'ont pas pu y suppléer par une unité logique entre les fragments choisis et par un classement méthodique qu'exige la règle de l'enseignement.

“La Morale du Korân”

(2)

Par

DR. MOHAMMAD ABDULLAH DRAZ

Mais, en consultant notre bibliothèque islamique elle-même, nous avons constaté qu'elle n'a connu jusqu'ici que deux sortes d'enseignement moral : ou bien ce sont des conseils pratiques, destinés à former les mœurs de la jeunesse, en lui inspirant la conviction de la haute valeur de la vertu ; ou bien c'est une description de la nature de l'âme et de ses facultés, puis une définition et une division de la vertu, calquées le plus souvent sur le modèle platonicien ou péripatéticien. Et il n'est pas rare de voir les deux méthodes se succéder sous la plume d'un même auteur. Il s'agissait ainsi, dans tous les cas, d'œuvres purement humaines, où les auteurs s'efforçaient de mettre les fruits de leurs méditations et de leurs études philosophiques, et dans lesquelles le texte Koranique faisait défaut ou ne figurait qu'à titre secondaire.

Pas plus donc chez les Musulmans que chez les Islamisants, la

morale Koranique n'avait fait l'objet principal d'étude et de codification, ni du point de vue théorique ni du point de vue pratique. Afin que cette double affirmation revête un caractère rigoureux, et qu'elle soit exempte de toute équivoque, nous croyons devoir y joindre quelques précisions.

D'abord dans le domaine spéculatif, nous ne prétendons pas par nos recherches avoir à pénétrer dans un pays jusqu'ici inexploré. Les savants musulmans ont, de bonne heure, exercé leur talent sur ce sujet : les théologiens et les principologues, sur le critère du bien et du mal (ou selon leur expression, sur la question du beau et du laid) ; les jurisconsultes, sur les conditions de la responsabilité ; les moralistes et les mystiques sur l'efficacité de l'effort et la pureté de l'intention. Mais, outre que ces notions sont restées ainsi disséminées dans les diverses disciplines, qui touchent de près ou de loin la

Western Writers On Islam

Before the contact of Western culture with Islam, the uncharitable and unkind writers and preachers from that part of the world poured forth torrents of abuse on the Prophet, but to say with Carlyle :

“ Muhammad is no longer an impostor, but a great reformer: He is no longer a neurotic patient suffering from epilepsy, but a man of tremendous character and unbending will. He is no longer a self-seeking despot, ministering to his own selfish ends, but a beneficent ruler shedding light and love around him. He is no longer an opportunist, but a Prophet with a fixed purpose, and a man of strong will, undeviating in his consistency.”

All this Europe acknowledged and freely, too. Carlyle and Gibbon, gifted writers, both have each in his own way, done full justice to this man, in whom merges all that is best in humanity. His whole being was permeated with Divine Love. In fact, he was so much in love with his Maker that his whole life was devoted to an uphill struggle for Truth and Righteousness. Davenport and Boswell in English, Krehl and Gremence in German and Gaetani in Italian have opened to the Western world vistas of the life of the Prophet, which demolish completely the stock arguments employed by unjust critics against this, the greatest benefactor of humanity. George Bernard

Shaw sings the following paean of praise :

“I have always held the religion of Muhammad in high estimation because of its wonderful vitality. It is the only religion which appears to me to possess that assimilating capability to the changing phases of existence which can make itself appeal to every one. I have prophesied about the faith of Muhammad that it would be acceptable to the Europe of tomorrow as it is beginning to be acceptable to the Europe of today; The medieval ecclesiastics either through ignorance or bigotry painted Islam in the darkest colours.

They were, in fact, trained to hate the man Muhammad and his religion. To them Muhammad was anti-Christ. I have studied him—the wonderful man, and in my opinion, far from being an anti-Christ, he must be called the saviour of humanity : I believe that if a man like him were to assume dictatorship of the modern world, he would succeed in solving its problems in a way that he would bring it the much needed peace and happiness. But to proceed, it was in the nineteenth century that honest thinkers like Carlyle, Gibbon and Goethe perceived intrinsic worth in the religion of Muhammad—already, even at the present time many of our people have gone over to his faith, and Islamisation of Europe may be said to have begun.”

(THE MESSAGE)

of 10. Oxygen is the medium of life for all animals on the earth, and it cannot be procured except from air.

Oxygen is out of mixture with other gases in the space and is always found in the rate which is necessary for life. If oxygen were in the rate of 50, for example, all combustible elements in the world would burst into flame.

On the other hand, the life of all plants depends upon the tiny measures of carbon dioxide in the air. It is a scientific fact that the leaves of trees are functioning as the lungs in animals. Those leaves reduce carbon dioxide through the rays of the sun into carbon and oxygen. Plant repels oxygen and keeps carbon mixed with the hydrogen of the water which is absorbed by the plant's roots. Through these chemical processes, nature produces, through plant, cellulose, other chemicals, fruits, flowers, nourishment for plant itself ; while the repelled oxygen is inhaled by animals and humans.

So, oxygen, hydrogen and carbon dioxide, carbon, whether isolated or mixed are the basis of the principal biological processes, which are necessary for life. There is no one single chance out of millions of chances which realizes the proportion of these elements in the way that is necessary for life as

it is found actually in nature. Certainly beyond this wonderful system there is a power certifying that God, the Almighty, is the Sole Creator and Planner of this universe. The Holy Qur'an says :

" He brought down from the sky a rain for you, out of which you drink, and out of which there grows plant in which you graze your animals. Out of it He grows for you grass, olives, palm-trees grapes, and all fruits : certainly in this there is a sign for people who think. And He made subservient to you night, the day, the sun, the moon and the stars : all are made subservient by His order : in this there is a sign for people who mind. And there is a sign in what He Created in the earth of all kinds : surely, in this there is a sign for people who remember. And He made subservient to you sea, out of which you eat tender meat, and bring forth out of it ornament which you wear : and you see the ships running therein to seek God's favour thereby, so that you may thank Him. And He put in the earth mountains to make it stable, and rivers and roads to guide you. And He made the stars as guide, by which you know your way. Is He Who creates as he who does not create ? Would you not mind ? And if you count God's favours, you will not be able to do it : surely God is Forgiving, Merciful."

and evidence. Abu-Hanifa was chosen to meet that athiest in a certain time, but Abu-Hanifa was late intentionally. When he arrived to the meeting place, he was asked by his opponent about the cause of his delay. Abu-Hanifa answered in this ways :

“Here is the cause of my delay : I had to cross the river to reach here, but the boat was on the other side of the river, and there was no boatmen to bring it over to my side. So I had to point out to the boat to move by itself until it came to me to cross me over the river. This is the cause of my delay.” The athiest said amazingly : “This is unreasonable ! How a boat could move by itself ? Abu-Hanifa answered :” If you could not believe that a boat may move by itself, how possibly you want us to believe that this world is functioning with no God and Creator ?”

The athiest was at loss to answer. The present audience shouted praising. God, the Almighty, while Abu-Hanifa recited these Qur'anic Verses :

“God is He, than whom there is no other God : Who know all things both secret and open ; He Most gracious, Most Merciful. God is He, than whom there is no other God ; the Sovereign, the Holy One,

the Source of Peace, the Guardian of Faith, the Preserver of Safety, the Exalted in Might, the Irresistable, the Supreme. Glory be to God ! High He above the partners they attribute to Him. He is God, the Creator, the Evolver, the Bestower of Forms ; to Him belong the Most Beautiful Names : whatever is in the heavens and on earth declare His praises and glory ; and He is the Exalted in Might, the Wise.”

QUESTION :

Is it true that there is a contradiction between the believe in God and science ?

ANSWER :

Let us take from the example of oxygen a proof for the power of God in this universe. It is a scientific fact that the air is composed of oxygen, nitrogen, argon, neon, carbon dioxide and other rare gases. Carbon dioxide in the air is in the rate of 3 out of 10,000; argon has the rate of one percent, and nitrogen the rate of 78 %, while oxygen has the preportion of 21%. The pressure of air on the ground is at fifteen pounds per square inch in the sea level. The rate of oxygen in this pressure is three pounds. The rest of oxygen in nature is in solid ground, and also in sea with the rate of 8 out

QUESTION :

How possibly, then, could we know God without understanding His Mighty Being ?

ANSWER :

If you look to the creation of the universe, its wonders and its harmony ; to the sky with its stars and planets ; to the earth with its kingdoms of animals and plants ; and to the humankind with its wonderful structure-if you look to all this you will undoubtedly come to believe that beyond this great and perfect universe there is a Perfect Creator. The power of this creator should be unlimited, and beyond the limited human mind to understand. The Almighty Being is in no need of others, while all others are in need of Him. He is the Planner of the universe, and He Himself is above all plans and laws.

Thus, you will find yourself fully convinced that the Creator of the universe is distinguished by all perfect attributes, and is exalted above all the attributes of imperfection and disability. This belief in the Existence and the Perfect Attributes of God is the natural belief of humankind from eternity, as the Holy verse states :

“ The nature of God in which He created humankind, no alteration in the creation of God. This

is the upright religion, but most of people know not. „

QUESTION :

How can we prove the existence of God through reasonable argument which is more accepted in our modern time ?

ANSWER :

If you have left your book on your desk and returned back to find that your book is in the drawer, you will be sure that someone has put in the drawer, for it is certain that the book cannot transfer itself from its place. But if you find a certain person in two different times in two situations like sitting and lying down on the ground, you will not question his movements, because he can move by himself.

Thus all things in the universe are created ; because we know from its nature and attributes that they cannot exist without a creator. Since the perfection of Godhead necessitates that God is in no need of others, we come to the conclusion that God is Existent and is no need of others to bring Him to existence.

It is said that a man denied the existence of God and assumed that this world existed by itself. He challenged the Muslim scholars to argue against him with proof

THE FUNDAMENTAL BELIEF IN ISLAM

BY

ABDUL WADOOD SHALABY

What is the first basis in the major principles of Islam which we should believe in ?

The first basis of faith in Islam is to believe that God, the Almighty, is the Creator and Manager of this universe, and that his Mighty Being is beyond human comprehension which is limited in vision and reason.

The Prophet, therefore, ordered us to think over the creation of God, but not over His Being. It is reported through Ibn Abbas that some people tried to think about the Divine Being when the Prophet told them: "Think about the creation and the work of God and not about his Mighty Being, for you could not judge God's essence." This is not an order from the Prophet against the freedom of thought and mind, but is a safeguard against misguidance and against the search after the unknown, which is beyond our minds to comprehend. If human reason could not so far understand the

essence of electricity and magnetism which are actually utilized by people, how, then, can come to comprehend the essence of God who described Himself in this Holy Verse :

"Vision comprehends Him not, and He comprehends all vision, and He is the All-Kind, All-Knowing".

Al-Shibly, the great Muslim mystic (mercy of God be upon him), said when he was asked : what is God ? : "He is the One and the Known to be beyond limits and words. "

Someone asked Yahya ibn Mu'ath : "Tell me about God, the Almighty." Yahya Said : "He is the One." "How is He ?", He was asked. "He is the Almighty", he answered. "Where is He." he was asked again. "He is watching over everything ? he answered, "Then the enquirer said : "I did not ask you about this." Yahya answered: "Nothing beyond this. The description of the created is other than the Attributes of the Creator."

He is a ideal example for the people. "Verily in the messenger of Allah you have a good example, for him who looketh unto Allah and the Last Day and rememberth Allah much." His relationship with the Belivers is as the Quran Said :

"The prophet is closer to the belivers than their selves."

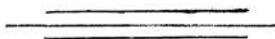
Every believer is bound to ask for God's blessing for His prophet: "Allah and His angels Shower blessings on the prophet. O ye who belive! Ask blessings on him and Salute him with a worthy Solution."

His apostolical mission was not confined to any particular race, community, time or place. The entire teaching of the Prophet Muhammad is based on the universal path of submission to the one lord of the universe; who created

all men alike as human beings, but divided themselves into groups and factions on the basis of race, clour, language, nationality ect;

The Quran explains that these differences are artificial, But one Single relation ship held them to gether; that is the bond of human brotherhood. There is one Sacred bond which could unite them inspite of all differences; this is the commen worship of the one God. This is the fundamental teaching of the apostle. The Islamic faith is to follow man's orginal nature as designed by God. The Quran Says :

"Set thy purpose for religion as a man by nature upright the nature (framed God) in which He hath created man. There is no altering (the law of) God's creation. That is the right religion, but most men know not."



into a Single brotherhood. Then God sent the prophet Muhammad with a complet and perfect system of life for the mankind, and He called to people to build a universal brotherhood. The Qur'an declared :

Say, O man kind ! I am the messenger of Allah to you all. Him unto whom belongeth the sovereignty of the heaven and the earth. There s no God Save him."

The Lord of the mankind has prepared Him and blessed Him, from his childhood, in order to become the ideal example for humanity in all walks of life. About the God's direction and protection, the Quran Says :

"Did he not find thee an orphan and protect thee ?

Did he not find erring and direct thee ?

Did he not find thee destitute and enrich thee ?"

He is a apostle of Mercy for the world. "We sent thee not save as a mercy for the people " His position among the prophets is clear from this Quranic verse :

"O Prophet ! We have Sent thee as a witness and a bringer of good tidings and a warner, and as a Summener unto God by His permission and as a lamp that giveth ht."

The place of the apostle amonge Prophets is clear from the following verses :

(1) But how (will it be with them) When we bring of every people a witness, and we bring thee (O Muhammad) a witness against these ? On that day those who disbelieved and disobeyed the messenger will wish that they were level with the ground, and they can hide no fact from Allah."

(2) "And (be think you of) the day when we raise in every nation a witness against them of their own folk and we bring thee (Muhammad) as a witness against these".

(3) "When Allah made (His) Covenant with the prophets, (He Said) : Behold that which I have given you of the scripture and Knowledge. And afterwards there will come unto you a messenger, Confirming that which ye posses. ye shall believe in him and ye shall help him. He Said : Do ye agree, and will ye take up My burden (which I lay upon you) in this (Matter) ? They answered : We agree. He Said : Then bear ye witness. I will be a witness with you".

What is the place of His people among other nations ? The Quran Says : "Thus we have appointed you a middle nation, that ye may be witnesses against Mankind, and that the messenger may be a witness against you".

"Ye are the best Community that hath been raised up for mankind".

THE GREATNESS OF THE APOSTLE

By : ABDUL RAHIM FUDA

The Prophets are the high peaks of the human society. They are the torch bearers of truth and guidance to the people. And they are the apostles of peace and Divine path in the world. They form the fore-line of the righteous people upon them God has showered his favour and grace. The Qur'an Says :

" Whose obeyeth God and the messenger, they are with those unto whom God hath shown favour, of the prophets and the saints and the martyrs and the righteous. The best of company are they ! "

There was a chain of apostles whom God sent, one after another, as Divine messengers. The Qur'an Says :

" We have sent a number of messengers before thee (Muhammad), among them those of whom we have told thee something and others of whom we have not told thee anything. "

The Qur'an has stressed the universality of Divine guidance and proclaimed that there have been countless prophets in various places and at different times. " For every nation there has been a messenger. " He sent every messenger with the language of people. As the Qur'an Says : " And we never sent a mes-

senger save with the language of his people that he might make (the message of God) clear for them. "

The teachings of all prophets were basically the same, and each of them was confirming the other, and the Qur'an Said :

" We have sent the book (O Muhammad !) to thee with the truth, confirming the books sent down before it. "

The Qur'an has repeatedly warned against discrimination among the prophets and the Holy books. It declared : " It is not righteousness that you turn your faces to the east or to the west but righteous is he who belives in God and the Last Day and God's angels and the book and the prophets. "

When the prophet Muhammad has come, the followers of the various apostles and books had fallen into some great errors, like religious groupism, narrow mindedness. They forgot the object of religion, ignored the fundamental teachings of it. This condition led to mutual hatred, enmity and wars. The mankind was looking forward to able guide who could sweep away all artificial differences and factions and reunite the people

Judgment or Reckoning. Man must be prepared to face the consequences of his acts, as he expects every thing else to have a known, natural and inevitable effect. Thirdly, man should expect only justice, the due result of his acts, God is neither arbitrary nor revengeful.

4 — In making submission to Him and acknowledging and seeking His help, it is not said merely that we worship Him and seek His help. It is said instead :

“Thee (alone) we worship ; and Thee (alone) we ask for help.” Not only has it fixed the relationship between man and his Lord, but it has also proclaimed in unequivocal terms the unity of God, and it closes all paths to polytheism, in whatever form.

5 — The path of profit and grace is described as the straight

path. The straight path is easier to recognise and follow, and the more one deviates from it the greater the danger of one's going astray.

6 — Often, however, it is not easy to distinguish which is the straight path Man is helpless, for the answer to the question is hidden in the womb of the future, and he can but proceed on the basis of his very limited knowledge and very restricted reason. He can then but seek the grace of God and pray : O Lord, direct us on the straight path, “the path” — for I know not which it is — of those on whom thou hast bestowed thy grace, not of those who have brought upon themselves thy wrath and have gone astray.(1)

(1) The Quintessence of Islam.

BY : ASHFAQUE HUSAIN

This Sura, Al-Fateha, Sets forth these fundamentals, with incomparable effect, in words which are few and numbered and yet so precise and simple that they make a direct impact on the mind and heart of the reader. That is as it should be, for the more simply a truth is stated the more convincing it is; nature itself is simple and it is only artifice and ornamentation which make things complicated. So this sura says the simplest things in the simplest words. It addresses God by those very attributes whose manifestations surround one all the time, even if one is ignorant or negligent enough not to notice them; it proclaims submission to the Lord of the Universe; it acknowledges His help in everything; it prays for the path of rectitude, avoiding the world's temptations and pitfalls. There is apparently nothing remarkable in all this; it contains no difficult thought or novel idea or esoteric formula. Now that we have been repeating it countless times and its message has been before mankind for centuries, it appears a common place; yet, when it was presented to the world there appeared to be nothing more obscure and strange.

Very briefly, this short simple prayer, with out entering into any argument or even explanations,

sets before mankind in the clearest possible terms the following basic spiritual lessons :

1 — One of the greatest spiritual errors of man has been to conceive of God as an awesome and terrifying being rather than as Love. The Sura, therefore, begins with HAMD, adoration through praise ; there is no reference to any fearsome aspect of divinity.

2— The first attribute of God referred to is that of Rabbil-Alameen, the Cherisher, Nourisher and Sustainer of the Universe, and it contains two lessons. It tells man of God Who gives him all he needs by way of sustenance, material and spiritual, so that he may protect himself from all evil and proceed to his full development. Secondly, it tells him that God is the God of the Universe, not of any part of it. There is no room left for any narrow mindedness, prejudice and exploitation, Whether individual, tribal, communal, racial, national, religious or of any other kind, His grace and gifts are for all mankind, not for any particular group or any particular religion.

3— He is the Lord of the Day of Judgment. Firstly, He is the Supreme Judge; to none else is it given to sit in judgment upon man. Secondly, there is a Day of

The opening sura (chapter) of the Qur'an has been variously referred to as Fatehatul-Kitab (the opening of the book), Ummul-Qur'an (the most prominent in the Qur'an or, alternatively, the essence of the Qur'an), Al-Kafia (the sufficient), Al-Kanz (the treasure), etc. The Qur'an itself gives a special place to this chapter, for it refers to it thus : "we have bestowed upon thee the Seven oft-repeated and the great Qur'an" (XV : 87) . The expression "Seven oft-repeated" it has been established, refers to this chapter which contains Seven verses and which is repeated over and over again in prayers and also on other solemn occasions.

The prominent place given to this chapter is due to the fact that it is not only the introduction to the Qur'an but also its essence. All that has been stated at length in the Qur'an about the fundamentals of religion has been said in the seven brief verses of this chapter. If a man is unable to read anything else of the Qur'an but can master the meaning of these few short phrases, he will have fully grasped the fundamental purpose of religion and the path to truth and self-fulfilment.

The entire sura is in the form of a prayer and its words are so

simple and telling that even an uneducated person can understand them and be moved by them. It was with this in view that this chapter was made the central piece of Islamic literature, and it is repeated several times during each prayer and on all other solemn occasions.

What are the fundamentals of true religion ?

They can perhaps be reduced to the following :

a) To have a correct conception of the attributes of God. The errors into which man has fallen in his worship of God have all emanated from his misunderstanding of God's attributes.

b) To believe in the law of just returns. Everything in the world has particular properties and a natural effect, and so man's actions also have certain properties and effects; Good actions lead to good and evil actions to evil.

c) To believe in life after death. Man's life does not end in this world; life will continue beyond it and man will continue to reap the returns of his actions.

d) To recognise the path of rectitude and grace.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

A. H. AL-ZAYYAT

JUMADA'L - UKHRA
1384 H. A.

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

NOVEMBER
1964

AL - FATEHA

The Opening Chapter of the Qur'an

BY

MOULANA ABUL KALAM AZAD

[Moulana Abul Kalam Azad was a scholarly teacher and a learned theologian. He had strong literary tastes and he was interested in the modern language and literature. While his training and upbringing had given him a great deal of knowledge of classical literature, nature had endowed him with a creative and objective mind. Thus he combined true conservatism with modernism. He did not leave everything that is old simply because it was old. And he did not accept the new merely because it was a new.

In his explanation of the message of the Qur'an he warned that the principles of Qur'an could not be tested by the ever limited knowledge of man. Because the science and philosophy can lead man only to a limited extent. The ultimate guide of man must be inspiration beyond Science, faith, logic and philosophy. It is noteworthy that Moulana Azad spent his whole life in controversial politics but his writings have no sign of any prejudice or bias.

Moulana Abul Kalam Azad's commentary of the first chapter of the Qur'an, Al-Fateha, contains all the spiritual teachings of the Qur'an, the fundamentals of Islam and it deals with several problems which have been a challenge to religious thought. This commentary will give the reader a clear idea of Islam in its true original form, as set forth in the Qur'an, by a theologian, humanist and a modern intellectual — M. Alwaye]

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعة

تَبَيَّنَ عَنْ مَشِجْنَةِ الْأَزْهَرِ فِي زَوْنِ كُلِّ شَبَّهٍ عَمْرِي

مُدِيرُ الْمَجَلَّةِ وَرئيسُ التَّحْرِيرِ

أحمد حسن الزيات

لِلْمَنْوَالِ

إدارة الجامع الأزهر

بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩١٤

بَدَلُ الْإِسْتِزَاكِ

٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة

٥٠ خارج الجمهورية

وَلِلْمُنْتَسِبِينَ وَالطَّلَاقِ

تخفيض خاص

الجزء الخامس - السنة السادسة والثلاثون - رجب سنة ١٣٨٤ هـ - ديسمبر ١٩٦٤ م

سَمَاءُ الْمَرْءِ الْمَرْءِ

مكانة المرأة في المجتمع

بقلم : عبد الرحيم فودة

إذا خرج حاجا أو مقتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا أثوابكم ، ورينا أولادكم ، أفذاذك في هذا الأجر والخير ؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ، ثم قال : هل سمعتم مسألة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها .. ؟ فقالوا : يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل هذا ! فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقال : أفهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك أن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته ، يعدل ذلك كله ،

١ - أنت أسماء بنت يزيد الأنصارية إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه في المدينة فقالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، فأمننا بك ويألهك ، إنا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات ، وهيادة المرضى ، وشهود الجفائر ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجماد في سبيل الله عز وجل ، وإن أحدكم

بعد التوصية بهما يدل على أنها أجدر منه بالشكر، وذلك لأنها كما يقول الله: «حلت أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين، وبذلك التوجيه من الله والتبنيه إلى مكانة الأم جاء توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد سأله رجل فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابي ..؟ قال: أمك قال: ثم من ..؟ قال: أمك قال: ثم من ..؟ قال: أمك، قال: ثم من ..؟ قال: أبوك ..»

٣ — أما نظرة الإسلام إليها قبل أن تكون زوجا وأما فيمكن أن نلخصها من قوله تعالى: «يحب لمن يشاء إنانا ويحب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرا أو أنثا ويجعل من يشاء عقيما، فإن التعبير بكلمة «يحب» يشير إلى أن الأنثى والذكر من الأولاد كلاهما نعمة موهوبة، فينبغي أن تكون محبوبة، وأن تقابل بما ينفى للخلق الرازق من ذكر وشكر، ولهذا نعى الله على العرب وغيرهم من الكافرين أنهم كانوا كما يقول فيهم «وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم». يتوارد من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، ثم بين قبيح حالهم هذه وسوء حكمهم هذا بقوله «ألا ساء ما يحكمون».

٤ — وكما يراد الزرع من الحقل تراد

فانصرفت وهي تهمل حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب، وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففرحن وآمن جميعهن.

من هذه القصة تلوح مكانة المرأة من حيث هي زوجة في المجتمع الإنساني، فعملها لإرضاء زوجها، وحسن عشرتها له، وعنايتها بشئونه وشئون بيته وأولاده، وموافقته في غير ما يغضب الله يدل ما يقوم به دونها من حج وعمرة وجهاد في سبيل الله، وعلى هذا تكون المساواة في الأجر والثواب لا في نوع العمل والوظائف، وهذا هو ما يفهم من قول الله: «فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض، فالرجال من النساء، والنساء من الرجال، وهما يتساويان في الأجر والجزاء وإن اختلفت وظائفهما باختلاف طبيعتهما، لأن عمل كل منهما متم لعمل الآخر».

٢ — والمرأة من حيث هي أم يجب أن تكون منزلتها أعلى من منزلة الرجل في نظر أبنائهما، وذلك هو ما يشير إليه قوله تعالى: «ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى الماعير»، فإن تخصيص الأم بالذكر دون الأب

وقوله عليه السلام : (لا يفرك مؤمن مؤمنة
إن كره منها خلقا رضى منها آخر) ولا شك
أن طاعة المرأة لزوجها أمر طبيعي ،
وأن رياسة الرجل للأسرة بما تقتضيه
به الضرورة والنظام في كل مجتمع ، فإن لكل
مصلحة رئيسا ، ولكل مدرسة رئيسا ،
ولكل قرية رئيسا ، ولكل دولة رئيسا ،
والأسرة أساس المجتمع فيجب ألا نقصد
عن نظام المجتمع ، بل إن لها شأننا أخطر
وأكبر ، يجب ألا يغفل أو يهمل . . وليس
معنى ذلك أن يستبد الزوج وتأخذه العزة
باليثم . وتعيش الزوجة في جو من القهر
والأسر ، فإنه ليس له عليها أى سلطان
أو سبيل إذا أطاعته فيما يرضى الله كما يفهم
من قوله تعالى : « فإن أطيعنكم فلا تبغوا
عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا » .

هذه هي بعض الخطوط الرئيسية التي تحدد
مكانة المرأة في المجتمع ومحلها فيه ، وقد فسح
لها الإسلام مجال العمل الصالح ، ووعدها
بالحياة الطيبة كالرجل سواء بسواء ، كما يفهم
من قوله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر
أو أنثى وهو مؤمن فلننجينها حياة طيبة
ولنجزنهم أجورهم بأحسن ما كانوا
يعملون » .

هبة الريم فورده

المرأة للنسل ، فإن ذلك هو وظيفتها الأولى ،
وذلك هو بعض ما يفهم من قوله تعالى :
« نساؤكم حرث لكم ، وقوله جل شأنه :
« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا
لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ،
وقوله سبحانه : « والله جعل لكم من أنفسكم
أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين
وحفدة » ، فالبنون والبغات لا يكونون من غير
الأزواج والزوجات ، ومن في حكم الزوجات
والتبني عادة مذمومة أبطلها الإسلام ،
ليصون كرامة الأسرة وحرمة الأسرة وحقوق
الأسرة ، وجو الأسرة ، ولا مجال لقائل
بعد قول الله : « وما جعل أدياءكم أبناءكم
ذلك قولكم بأفواهكم » ، وقوله تعالى :
« ادعواهم لأبائهم هو أقطب عند الله
فإن لم تعلموا آبائهم فأخوانكم في الدين
ومواليكم » .

٥ - ويفهم من قوله تعالى : « الرجال
قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم
على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » :
أن قيام الزوج بأمر الزوجة ليس مقصوراً
على الرياسة والولاية بل يشمل إلى ذلك
حسن العشرة والرفاية . وما يتصل بهما
من ألوان البر والخير بدليل قوله تعالى :
« وعاشروهم بالمعروف » ، وقوله صلى الله
عليه وسلم : (استوصوا بالنساء خيرا)

الجهاد

تفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر

هذه الحالة يكون مفروضا على المسلمين من أهل البلاد الأخرى أن يمارنوه في جهادهم بالنفس والمال وغيرهما من وسائل الجهاد حتى يظفر المسلمون برد اعتداء غير المسلمين على أى بلد من بلاد الإسلام .

وهو فرض كفاية إذا كان أهل البلد الذين نصبوا أنفسهم لرد اعتداء غير المسلمين على بلدهم من القوة والكثرة بحيث يغلب عليهم الفوز على أعدائهم من غير معونة أهل البلاد الأخرى .

الدعوة قبل الجهاد :

ولم يشرع الجهاد في الإسلام أول الأمر وإنما شرع بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلم يشرع الجهاد ولم يؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين الذين ناصبوه العداوة وهو مقيم بينهم في مكة بل استمر يدعو الناس إلى الإسلام دعوة سلمية لم يمتشق فيها حساما ولم يعلن فيها حربا على أحد أكثر من ثلاثة عشر عاما .

وقد بدأ الرسول دعوته بإنذار عشيرته الأقربين أمثالا لأمر به في قوله تعالى :
وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك قتل إنى

الجهاد بمعنى اللغة والتسمية :

الجهاد في أصل اللغة المشقة ، يقال : جاهدت جهادا أى بلغت المشقة .

وفي استعمال الشرع ، بذل الجهد في قتال الكفار ويستعمل أيضا لمجاهدة النفس والشیطان والفساق .

ومجاهدة النفس تكون بتعلم أمور الدين والعمل بها ، وتعليمها لمن يجهلها وحشه على العمل بها .

ومجاهدة الشيطان تكون بعدم الإصغاء إلى وسوسته والاستعاذة بالله منه ومن شره .

ومجاهدة الفساق تكون بدفع التثببات عنهم وما تزينه لهم شهواتهم من الأفعال والأقوال التي نهى عنها الشارع الحكيم .

وأما مجاهدة الكفار فتكون برد اعتدائهم على المسلمين باليد والمال واللسان والقلب .

ولاخلاف بين المسلمين في أن الجهاد فرض على المسلم ، ومحل الخلاف هو أنه فرض عين على كل مسلم أو فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الباقي ، وهما قولان مشهوران في مذهب الإمام الشافعي رضى الله عنه .

ونختار أنه فرض عليهم إذا لم يكف من نهض به من أهل البلد المعتدى عليه ، إذ في

ابن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وبلال ،
ومهار بن ياسر وغيرهم رضى الله عنهم .

ولم تصل هذه الدعوة إلى القلوب المتحجرة
من سادات قريش الذين خشوا على سلطانهم
ونفوذهم في قلوبهم كما خشوا على أموالهم
أن ينفقوها في سبيل الله وسبيل البر والتقوى
كما بنى جهل ، وأبي سفيان ، وعقبة بن ربيعة
 وغيرهم ، فقد أهرضوا عن الدعوة وجأهروا
بعداهم لها ، وصعدوا الناس عن قبول
هذه الدعوة وحاولوا فتنة من أسلم منهم
بأيذاء المسلمين وتجويعهم وإلحاق الضرر بهم .

انظر فيه بالفتال :

أمضى الرسول صلى الله عليه وسلم ،
في مكة ثلاثة عشر عامًا ، بلغ فيها الدعوة
إلى أهل مكة وغيرهم من الوفود ، ولقي
هو وأصحابه ألوانا كثيرة من أذى المشركين
وظلمهم ، فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم
بتآمر المشركين في مكة عليه ومكرهم به اثبتوه
أريقتلوه أو يخرجوه - استشرفت نفسه
الشريفة أن يأذن الله له بالهجرة إلى يثرب
التي بابها نفر من أهلها بيعة العقبة الأولى
والثانية على أن يمنعوه عما يمنعون منه أنفسهم
وأولادهم ، فأذن الله له بالهجرة ، فهاجر إلى
يثرب واصطحب معه صديقه أبا بكر الصديق
رضى الله عنه ، وبعد أن استقر بالرسول
صلى الله عليه وسلم ، المقام بالمدينة شرح يفكر
في تنظيم أمور الدولة الإسلامية الجديدة ،
وكان أول عمل في السياسة الداخلية مؤاخاة

برىء مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم .
الذي يراك حين تقوم . وتقلبك في الساجدين .
إنه هو السميع العليم .

ثم انتقل بدعوته إلى أهل مكة وغيرهم
من كان ينفذ إلى مكة للحج وغيره من أهل
يثرب ممثلا في ذلك أمر به في قوله تعالى :
« فاصدع بما تؤمر » وأعرض عن المشركين ،
وكانت طريقته - صلى الله عليه وسلم -
في الدعوة خلال هذه الأعوام الطويلة
ما رسم له القرآن في قول الله تعالى : « ادع
إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتى هي أحسن إن ربك هو أعلم
بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

وقد أثمرت هذه الدعوة السلية ثمرات
طيبة ، فأسلم عدد من المشركين وجدوا
في الدعوة نورا يضيء لهم ظلمات الشرك
والجهل ، وعدد من الأرقاء والخدم وجدوا
فيها دعوة إلى الحرية والإخاء والمساواة ،
وهو ما افتقدوه في حياتهم حيث كانوا
يعيشون خدما وأرقاء لساكنهم الذين يمنعون
أنفسهم كل شيء ويحرمون أتباعهم وخدمهم
من كل شيء ، وعدد من المظلومين والمعتدى
عليهم وجدوا في الدعوة الإسلامية العدل
والمساواة فأمنوا بالله وأجابوا دعوة الرسول
صلى الله عليه وسلم .

وبرز من هؤلاء المؤمنين الأولين أبو بكر
الصديق وعمر ، وحزرة ، وهلى وعبدالرحمن

بين المهاجرين والأنصار وفي السياسة الخارجية
أى فى سياسة الدولة نحو إعداد الدعوة
استعداد الردعدوان من يفكرون فى الاعتماد
على الدولة الإسلامية، ولحماية العقيدة، وأنزل
الله على رسوله فى هذا الوقت أولى آيات القتال
وهى قوله تعالى فى سورة الحج : د أذن للذين
يقاتلون بأنهم ظلوا وإن الله على نصرهم لقدير
الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن
يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات،
ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله
من ينصره إن الله لقوى عزيز،

وينقل الطبرى فى تفسيره عن قتادة فى قوله
تعالى : د أذن للذين يقاتلون... قاله : د هى أول
آية أنزلت فى القتال وأذن للمؤمنين أن يقاتلوا
وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،
استأذنوه قبل الهجرة فى قتل الكفار غيلة سرا
لذا آذوهم واشتدوا عليهم بمكة فلم يأذن الله
سبحانه وتعالى فى القتال الذى طلبوه، ونزل
قوله تعالى : د والله لا يحب كل كفور.

ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم
وأصحابه إلى المدينة أطلق لهم قتلهم وقتلهم
أى أن الله سبحانه وتعالى أذن للمؤمنين
الذين أخرجهم مشركو مكة من ديارهم بغير
حق إلا أن يقولوا : ربنا الله - بأن يقاتلوا
المشركين الذين ظلموهم أولاً بالإخراج

من ديارهم، وثانياً بقتال المؤمنين والاعتداء
عليهم فى وطنهم الثانى، فالإذن بالقتال
فى الآية إذن بقتال فريق معين من المشركين
أرادوا أولاً صد الناس عن الدعوة بعنف
وتعذيب وتشكيل وطمعاً ووحشية أساساً
وأكرهوهم بما فعلوا بهم ثانياً على الخروج
من وطنهم الحبيب فراراً بدينهم إلى حيث
الغربة عن الأهل والعدم من المال والوحشة
من الأجانب، ولولا أنهم بالعقيدة السمحة
والدين الحق لما اتوا كذا، وقضوا حسرة،
فالإذن بالقتال فى أول آياته معه مبرراته
التي تحتمها حماية الدعوة الجديدة من اجترار
سفهاء يريدون لها الهوان فلو حلم المسلمون
عليهم لتمردوا وتمرد اللثيم، وقديماً قيل :

وبعض الحلم عند الجهل

لذعان

وفى الشر نجاة

حين لا ينجيك إحسان
ولهذا يعتبر الإذن بالقتال رداً طيبها
لا يحمل لأكرها على إيمان وإرغاماً على دين
وصدق الله العظيم فى قوله : د لا إكراه
فى الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر
بالباطل ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم.

مسن مأسره

شيخ الأهر

التطورات التشريعية للطلاق

للاستاذ محمد محمد المديني

٢ - الطلاق غير المنجز

- ٥ -

والمثال الخامس تعليق في المعنى أيضاً ؛ لأنه بمثابة أن يقول : إن جاء أول الشهر أو أول العام فأنت طالق .

والطلاق المعلق ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : الطلاق الذي هو في معنى البين ، كما لو أرادت المرأة أن تذهب إلى بيت أهلها مثلاً ، وأراد زوجها منعها فهددها بالطلاق قائلاً لها : إن ذهبت إلى بيت أهلك فأنت طالق ، فهذا بمثابة أن يقول لها : والله لا تذهبين إلى بيت أهلك غير أنه أتى بالطلاق بدل الحلف بالله ؛ وليس له غرض في الطلاق ولكن غرضه أن يمنعها من الذهاب إلى بيت أهلها .

ومثله من يقول لصاحبه : إن لم تغد فمدي اليوم فأمرأتى طالق ، فكأنه حلف عليه بالطلاق بدل أن يحلف بالله ، ليحثه على الفعل . وكذلك لو أراد أن يحث نفسه على فعل شيء ، أو على ترك شيء ، كأن يقول إن شربت الدخان فأمرأتى طالق ، أو إن لم أسافر إلى الإسكندرية فأمرأتى طالق .

١ - إذا قال زوج لزوجته : أنت طالق أو أنت مطلقة ، فهذا طلاق منجز ، أى أنه ليس معلقاً على حصول شيء ، وقد قصد به إيقاع الطلاق فوراً .

وحكم هذا الطلاق أنه يقع في الحال ، إذا كان صادراً من أهله ، ووقع في محله .

٢ - وإذا قال رجل لزوجته : إذا دخلت الدار فأنت طالق أو إن لم أدفع ديني غدا فأنت طالق أو : هل الطلاق لا يخرجني من البيت ، أو إن دخلت البيت فطلاقك على واجب ، أو : أنت طالق أول الشهر أو أول السنة فكل هذا طلاق معلق ، أى غير منجز ، وذلك أنه علق الطلاق في المثال الأول والمثال الثاني على دخولها الدار ، أو على عدم دفع دينه غدا .

والمثال الثالث يفهم منه التعليق وإن لم يصرح به لفظاً فكأنه قال : إن خرجت من البيت يلزمي الطلاق - والتعليق في المثال الرابع صريح في هذا المعنى الذي آل إليه المثال الثالث .

هذا الشرط وهو قوله تعالى فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحا جميلا . فهو تخيير ليس فيه تنجيز الطلاق عند وقوع الشرط ، واسكن فيه وعد لمن بالتطليق إذا اخترن المتاح ، ولو كان قد قال ، قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فأنتن طواقي ، لعدل ذلك على مشروعية الطلاق المعلق لكنه عدل من ذلك ليتمكن أن يسرحهن سراحا جميلا إذا اخترن الحياة الدنيا وزينتها بأن يطلقن مستقبلات العدة تحقيقا لقوله تعالى في آية أخرى : «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة ، فهذه الآية الأخيرة تبين أن الطلاق المشروع هو طلاق النساء في الوقت المشروع للطلاق ، وهو وقت استقبال المرأة العدة والطلاق المعلق على الشرط كثيرا ما يجر إلى إيقاع الطلاق في غير وقت استقبال العدة ، وما يؤدي إلى غير المشروع لا يكون مشروعا .

وهناك أحاديث نبوية معروفة تقرر أن الطلاق المشروع — المعبر عنه عند الفقهاء بالطلاق السني ، المقابل للطلاق البدعي — هو الذي يكون والمرأة مستقبلة عدتها ، ومنها ما روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عمر بن الخطاب رسول الله عليه وسلم عن ذلك فقال : مره

فشكل هذه الصيغة التعليقية ، إنما هي إيمان لايراد بها الطلاق ولكن يراد بها الحث أو المنع .

الثاني من قسمي المعلق : الطلاق على الصفة مثل أن يقول لها ، وهما بصدد التفاوض على إنهاء الزوجية : إن دفعت لي مبلغ مائة جنيه فأنت طالق ، أو إن أبرأتني من مؤخر صداقك فأنت طالق .

فهذا رجل له رغبة في الطلاق وغرض منه يرى إليه وليس مجرد تعليق يبحث به على شيء أو يمنع به من شيء ، كما يفعل الحالف بالله ، وقد اصطالحوا على تسميته (بالطلاق على الصفة) .

هذه هي أقسام الطلاق من جهة تنجيده أو تعليقه . ويمكن إيجاز التطور التشريعي الذي مر به هذا الموضوع فيما يأتي :

١ — فهم بعض العلماء أن الطلاق الذي وسه الشارع وأذن فيه هو ما كان منجزاً ، فإنه لم يرد في القرآن ولا في السنة نص على جواز التطليق المعاق بالشرط .

بل لعل القرآن أشار إلى أن الطلاق لا يقع إلا منجزاً حيث يقول :

«يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحا جميلا ، ففي هذه الآية شرط وهو قوله تعالى إن كنتم وجواب معلق على

وما كان طلاقاً على الصفة ، حتى صدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ فنص في المادة الثانية منه على ما يأتي :

(لا يقع الطلاق غير المنجز ، إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه لا غير) .
وقد تضمنت هذه المادة :

١ - إيقاع الطلاق المنجز بدون قيد ولا شرط .

٢ - إيقاع الطلاق المضاف إلى زمن مستقبل مثل أنت طالق أول الشهر أو أول العام .

٣ - وإيقاع قسم من المعلق وهو الطلاق على الصفة ، مثل إن دفعت إلى مائة جنيه مثلاً فأنت طالق .

٤ - إلغاء اليمين بالطلاق ، وهو على الطلاق لأفعلن كذا ونحو ذلك .

٥ - إلغاء قسم من المعلق هو الذي في معنى اليمين مثل إن فعلت كذا فأنت طالق وهو لا يقصد إلا الحمل على تركه ، أو إن لم تفعل كذا وهو لا يقصد إلا الحمل على فعله .

وما قرره هذا القانون من إلغاء اليمين بالطلاق هو رأى طائفة من أصحاب الشافعي كالفضال : وصاحب التتمة ، ورأى دواود وأصحابه : ورأى طائفة من المالكية في بلاد المغرب ، وأنه كان يفتى به في فارس والعراق والشام ومصر والجزيرة وخراسان في زمن ابن تيمية : كما نص عليه ، وأن الذين كانوا

فليراجعها ، ثم ليمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل له : قل أنت طالق إذا استقبلت العدة لأن ذلك يتنافى الحسكة التي قصرها الشارع من إعطاء فرصة للزوجين في مراحل الحيض والطهر مرة بعد مرة ، لعلها أن يصلحا من أسرها فلا يكون الطلاق الذي يكرهه الله . وبذلك يكون الطلاق المعلق على الشرط غير جائز ، وغير مشروع ، إلا ما دل الدليل على جوازه وصحته مثل التعليق على مال وهو الخلع .

وقد روى هذا عن علي وشريح ، وطاوس وعطاء ، وأبي ثور ، وإليه ذهب أهل الظاهر ، وهو مذهب الشيعة الإمامية .

٢ - ويرى جمهور أهل المذاهب ، ومنهم الأئمة الأربعة والزيدية جواز التعليق ، على اختلاف بينهم بالنسبة لأنواعه .

ولهم على ذلك أدلتهم ، وقد ناقشهم مخالفوهم فيها ، ومن أراد تفصيل ذلك فليرجع إلى مثل كتاب (زاد المعاد لابن القيم) .

٣ - وقد كان العمل في مصر وشقيقاتها العربيات على رأى الجمهور ، وهو اعتبار الطلاق المعلق بشرط واقعا إذا تحقق الشرط دون تفرقه بين ما كان على سبيل اليمين ،

(الطلاق المعلق على فعل شيء أو تركه لا يقع) .
وهو نص دال على التعميم في عدم الوقوع
بالتعليق أيا كان نوعه .

وجاء في المادة السبعين من قانون حقوق
العائلة الأردني ما نصه :

(لا يقع الطلاق غير المنجز إذا قصد به
الجل على فعل شيء أو تركه) .

وفي المادة الحادية والسبعون منه :

(على الطلاق ، وعلى الحرام ، وأمثالهما ،
لا يقع بها الطلاق ما لم تتضمن صيغة الطلاق
مخاطبة الزوجة وإضافته إليها) .

وجاء في المادة التسعين من قانون الأحوال
الشخصية السوري ما نصه :

(لا يقع الطلاق غير المنجز إذا لم يقصد
به إلا الحث على فعل شيء ، أو المنع منه ،
أو استعمال استعمال القسم لتأكيد الإخبار لا غير) .

ويرى بعض العلماء المعاصرين أنه يجب
تعديل المادة الثانية من القانون المصري
رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ تمديدا يؤدي إلى
تحقيق ما يأتي :

الطلاق المعلق بجميع صورته وألفاظه
لا يقع به شيء أصلا — (وهذا ما أخذ به
القانون العراقي) .

اليمين بالطلاق لغو ولا يقع به شيء .

(وأقرب عبارة لهذا هي عبارة القانون
العراقي أيضا)

يفتقون به كثيرون من علماء المذاهب الأربعة
وغيرهم ، وإن لم يكن هو رأى جمهورهم .

وأما ما قرره من إلغاء الطلاق المعلق على
شرط بقصد الحمل على الفعل أو الترك ، فقد
بنى على أن هذا النوع من التعليق هو في معنى
اليمين ، وإن لم يكن بلفظ « على الطلاق » ،
« أو » ، يلزم معنى الطلاق « وأخذ فيه برأى
الظاهرية ، والإمامية ، وما اختاره ابن القيم
وشيخه ابن تيمية .

وقد وقفت القوانين الحديثة في البلاد الشقيقة
موقف القانون المصري المشاء إليه تقريبا :

لجاءت المادة السادسة والثلاثون من القانون
العراقي تقول :

« لا يقع الطلاق غير المنجز ، أو المشروط
أو المستعمل بصيغة اليمين » .

وهذا النص أكثر توسعا فيما لا يقع من
المعلق ، فقد شمل إلغاء كل معلق ، أو مشروط
أو صيغة لليمين ، بينما القانون المصري يقرر
وقوع المعلق الذي هو على الصفة ، وهو
ما للطلق فيه وطر وغرض يقصده سوى
الجل على فعل شيء أو تركه .

وجاء في الفصل الحسين من مدونة الأحوال
الشخصية المراكشية ما يأتي :

« الحلف باليمين أو الحرام لا يقع
به الطلاق » .

وجاء في الفصل الثاني والحسين منها ما يأتي :

إلى أي مدى تنغیر الأحكام الشرعية بتغیر الأزمان؟

للاستاذ بدر عبد الجاسط

- ٢ -

نجاسة مخففة ؛ يعنى عن مقدار ربع الثوب أو العضو الذى أصيب به ؛ ثم لما ذهب إلى بلخ ورأى اختلاط الأرواث بالطين ؛ وهووم بلوى الناس أفتى بطهارتها ؛ وقد قال فقهاء الحنفية إن الأساس الذى بنى عليه صاحبها أبى حنيفة وهما أبو يوسف ومحمد قولهما فى النجاسة تغليظاً وتخفيفاً هو اتفاق العلماء على القول بالنجاسة أو اختلافهم فيها ؛ ومع هذا فقد أنقضى محمد بالطهارة لعموم البلوى أخذاً برأى من يرى طهارتها كالإمام مالك ؛ ووسعه أن يخالف إمامه .

وعندى أن المفتى الدقيق فى فتواه ينبغى أن ينظر فى أحوال المستفتين ؛ ويفقههم بما يتفق وظروف بيئتهم ؛ فإذا كان المستفتى تساعده ظروف حياته على أن يتحرز عن الأرواث وما فى معناها ينبغى أن يفق بأنها نجسة نجاسة مغلفة لا يعنى منها إلا عن النذر القليل الذى حدده الفقهاء .

وأما إن كانت ظروفه لا تساعده إلا على التحرز اليسير ؛ فإنه يفق - حينئذ - بأن هذه الأشياء نجسة نجاسة مخففة ؛ يعنى منها عما كان دون الربع من الثوب أو العضو .

انتهيت فى المقال السابق إلى أسس ينبغى أن تكون نصب أعين المفتين والذين يضعون للأمة قوانين يلزمونها بها . وتتلخص هذه الأسس فيما يأتى :-

(١) أحكام غير قابلة للتطور ولا لاختلاف الآراء . وهى :-

١ - الأحكام الاعتقادية .

٢ - الأحكام المستنبطة من أدلة شرعية قطعية فى ثبوتها وفى دلالتها .

(ب) أحكام وقسع فيها الخلاف ، لأنها مستنبطة من أدلة ظنية فى ثبوتها أو فى دلالتها ولا يسمى هذا الاختلاف تطوراً ؛ وإنما هو اختلاف حجة وبرهان ؛ فمن ترجع عنه دليل رأى من الآراء أخذ به ؛ وكل ما يمكن أن نسلكه فى سلك التطور من هذا اللون من الأحكام هو الأخذ ببعض الآراء المرجوحة - غير الساقطة - إذا كان فى الأخذ بها توسعة على الناس ؛ ولا بدع فى ذلك ؛ فقد سبق الفقهاء الأقدمون إلى ذلك ؛ فقد روى عن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة رضى الله عنها أنه كان يرى أن ووث البهائم نجاسة مغلفة كما يقول الإمام ؛ ثم قال : إنه نجس

كانت الزوجية قائمة فإنني أفتى بأوسع الآراء وأسهلها في باب الرضاع كذهب الشافعي الذي اشترط خمس رضعات مشبعات متفرقات . وقد توسعت في هذا اللون من الأحكام في هذا المقال لأنني اقتضيت اقتضاباً في مقالتي السابق ، ثم هو باب واسع من أبواب الفقه التي ينبغي أن يعني بها الفقهاء ، وأن يكونوا كالأطباء فيفتون كل شخص أو كل جماعة بما يلائمهم من أقوال الفقهاء .

ويعجبنى في هذا المقال ما نقل عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن امرأة سألته فقالت إنا نغزل - ليلاً - على ضوء مصابيح بعض الظلة أيحمل لنا ذلك ؟ فقال : من أفت ؟ يرحمك الله ؛ فقالت : أخت بشر الخافى فقال : من يبتسم خرج الورع ؛ أما أنت فلا .

فإن سؤال هذه السيدة سؤال عام يتناولها وغيرها ، ولكن جوابه خاص لأنه علم من حالها أنها تستطيع أن تأخذ بالأحوط والأورع ؛ فأفتاها بالخطر بالنسبة إليها فقط . (ح) أحكام هي بطبيعتها قابلة للتطور وقد أجمعتها في مقالتي السابق لإجمالاً وأهود فأفصلها بعض التفصيل وأحصرها - استقراء في الأحكام الآتية :

١ - أحكام علقها الشارع على أوصاف بما يؤذن أن لهذه الأوصاف مدخلا في تعليل الحكم كما ضربت لذلك مثلاً بآية مصارف الزكاة ؛ وبينت فهمهم من رضى الله عنه لهذه الآية .

وأما إن كان مبتلى كالرعاة مثلاً فإنه يفتى بطهارتها .

وقد ضربت المثل بهذه المسألة لتسكون كنموذج يحتذى في المحائل الخلافية ؛ وروح التطور فيها هو الأخذ بالرأى الأنسب لكل فرد وكل جماعة ؛ فقد يتطلب المقام الأخذ بالأحوط وقد يتطلب المقام التساهل ؛ وإذا كان البلغاء يقولون : لكل مقام مقال : فينبغي أن يقول الفقهاء : ن لكل مستفتى ظروفه وملابساته .

فلو أنى سئلت عن صحة نكاح أصول أو فروع المزني بها ؛ وكان السائل - بعد - لم يرد عليها لأفتيته بحرمه الزواج بأصل أو فرع من زنى بها ؛ أخذاً برأى الحنفية والحنابلة وكثير من الفقهاء ؛ فليس من المروءة ولا من الآداب الإسلامية أن يطلع الرجل من المرأة على ما اطلع عليه من ابنتها أو أمها . وإما إن كان الزنى لاحقة لعقد الزواج فلا أفتى بفسخ النكاح القائم ؛ وإنما أخذ برأى الشافعية وبعض الفقهاء بإبقاء على كيان أسرة قائمة ؛ وعملاً بالنصوص التي تدعو إلى السر في مثل هذه الأحوال ؛ اللهم إلا إذا اشتهر بها أو كان قيام الزوجية مدعاة إلى دوام تلك العلاقة الآتمة .

ولو استغذيت في شأن الزوج بمن رضع معها أو منها ، ولم يكن الزواج وقع فعلاً لأفتيت بالمنع أخذاً برأى الحنفية وكثير من الفقهاء فإن ذلك أحوط وأبعد عن الندم والشك الذي يحكم الحياة الزوجية ، وأما إن

٣ - أحكام استنبطها الفقهاء من أقوال مأثورة عن بعض الصحابة ، وجعلوها في حكم الأحاديث المرفوعة بحجة أن مثل هذه الأقوال لا يقال بالرأى وإنما يقال عن توقيف من صاحب الشرع وذلك كراى الحنفية في أقصى مدة الحمل وأنها سنتان ؛ وكقولهم في تحديد أقل مدة الحيض وأنها ثلاثة أيام وأن أكثره عشرة معتمدين في ذلك على ما نقل عن عائشة رضي الله عنها مستبعدين أن يصدر عنها ذلك إلا عن توقيف ؛ مع أنه يمكن أن يكون قولها هذا عن استقراء وتبع منها فمثل هذه الأحكام يمكن أن نتمد فيها على استقرائنا ؛ ولست أغالى إن قلت إن إمكانية الإحصاء والتتبع في عصرنا هذا - في مثل هذه الأمور - أيسر ولا أرى غضاضة شرعا أن آخذ بما يثبت الاستقراء أنه الأكثر وقوعا مع الاحتياط في أمر الألباض والأنساب .

نعم هناك أحكام تقلت عن الصحابة - رضوان الله عليهم - لا يمكن إلا أن تكون عن توقيف ؛ وهذه تلتحق بالأحكام المسندة بقطعة من السنة وتخضع لقوانين الترجيح والتجريح التي وضعتها العلماء لمعرفة الصحيح المقبول من غير القبول ؛ ثم هي بعد ذلك تخضع لقطعية الدلالة أو ظنيها على ما هو معروف عند الأصوليين ؛ وهذا - أيضا - باب واسع من أبواب التطور في الفقه ؛ وما علينا إلا أن نأخذ هذه الأحكام في كتب المذاهب المختلفة .

ووجه التطور في هذا النوع من الأحكام أنه إن وجدنا لوصف المملوق عليه الحكم وجد الحكم وإن عدم انعدم الحكم .

هذا إذا كانت العلة منه وصة أو في حكم المنصوصة ؛ وأما إن كانت العلة مستنبطة كالإسكار في الخمر أو مظنة الضرر في لحم الخنزير كما يقول بعض الناس - فإن الحكم لا يتغير فالخمر حرام أسكرت أو لم تسكر إما لقلتها أو لاعتبارها اللهم إلا إذا زال عنها معنى التخمير بأن صارت خلا ؛ لأنها - حينئذ - ليست خمرأ ؛ ولحم الخنزير حرام مهما كان نقييا من الجراثيم والديدان ومهما بواخ في طهيه وإعداداه وتربيته إذ من الجائز إن لم يمكن من المؤكد أن هذه الأشياء محرمة لذواتها ، وقد تعبدنا الله بتحريمها ليميز الخبيث من الطيب والعبد المتمرد من العبد الطائع .

٢ - الأحكام التي استنبطها الفقهاء من تصرفات الرسول صلوات الله وسلامه عليه في غزواته وسراياه وعظائمه ومعاهداته فإن هذه الأحكام منها ما صدر عنه بوصفه وسولا مبلغا عن ربه ؛ وهذا - كما قلت - لا يجوز أن يكون محل جدل ؛ أو أن يقال : إنه من الأحكام المتطورة ؛ وأما ما صدر عنه بوصفه إما ما لهذه الأمة فقد راعى فيها ظروف بيئته ومتطلبات وقته ، وبسبب الأمة أن تأخذ في مثل ذلك بما يتفق وظروفها - وكما قلت - إن الفيصل في ذلك هو القرائن .

٤ — الأحكام التي استنبطها الفقهاء من القواعد العامة للشريعة .

مثل قاعدة لا ضرر ولا ضرار، الضرورات تبيح المحظورات، درء المفسد مقدم على جلب المصالح، ارتكاب أخف الضررين . لا يسأل المالك من أين ملك ، المالك يتصرف في ملكه كيفما يشاء . الحرج مدفوع بالنص . إلى غير ذلك من القواعد التي استنبطها الفقهاء من تتبع فروع الشريعة ثم أخذوا يعطبونها على ما قد تجدد من حوادث ونوازل لم يرد فيها نص .

وهذه الأحكام هي من أوسع أبواب الفقه قابلية للتطور فكم من أمور ظن المتقدمون أنها ضارة فقالوا بمنعها ثم تبين أنها لا ضرر فيها أو أن ضررها أقل كثيراً من خيرها وكم من أمور ظن - قديما - إنها من الضرورات فأباحوا لأجلها المحظورات وكذا العكس . وكم من أمور رأوها غير ضرورية ثم بمضى الزمن تبين أنها ضرورية كبعض أنواع الإكراه الذي اعتبره بعض الفقهاء إكراها غير ملجئ كالتهديد بهتك عرض عزيز عليه أو التهديد بإفشاء سر يؤدي إلى قتله إلى غير ذلك ؛ فيأني أرى أن مثل هذا من قبيل الضرورة التي تبيح المحظور .

وباب درء المفسد وتقديمه على جلب المصالح من أخطر المزالق التي تنزلق فيها الأقدام وذلك لأنه ليس درء كل مفسدة

مقدما على جلب كل مصلحة ؛ وإلا لزم حظر جل الأشياء أو كلها ، فكل خير مشوب بشر ما ، وكل شر مشوب بخير ما ؛ فما بين الله حكمه تقبلناه طائعين راضين وأما الأمور التي لا نص فيها فيطلب الأمر فيها التدقيق والتحريص والرجوع في ذلك إلى من يظن فيهم الخير ممن لم يجد هذه المسائل خبرة وهلم . ولهذا المناسبة أعجبتني فتوى فضيلة الأستاذ عبد الله غويشه مفتي الأردن بتحريم بيع الأراضي في القدس أو المناطق المحيطة بها إلى الأجانب واعتبار كل بائع لأجنبي خائفا لدينه ووطنه وسيكون مشواة بهم .

هذه الفتوى التي نشرتها جريدة الأهرام القاهرية صباح يوم الجمعة ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٦٤ فإن هذه الفتوى روعى فيها درء مفسدة عامة على الوطن العربي المسلم ؛ ولم يعم وزنا لما قد يجلبه هذا البيع من منافع عاجلة مهما كان قدرها . فقد زرت القدس وعلت أن الدول الأجنبية تقسابق لشراء العقارات التي تحيط بالمسجد الأقصى والتي تقع بينه وبين كنيسة القيامة وأنها تبذل الأموال الطائلة في هذا السبيل لتحيط المسجد الأقصى بملك غير المسلمين واه - من وراء كيدهم - يحيط ؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل . ولنا عودة بإذن الله .

برر الفتوى عبد الباسط

فتح القلبي

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) د لقد جاءكم رسول من أنفسكم : عزيز عليه ما قسم
 حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ... آية ١٢٨ .
 (ب) د فإن تولوا - قتل : حسبى الله ، لا إله إلا هو ،
 عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم ، آية ١٢٩ سورة التوبة .

في كتابة الوحي ، والحفاظ على هذه الوثائق
 تحت يده .

٢ - فلما انتهى عمل الحفاظ إلى الآية
 السابعة والعشرين بعد المائة - ١٢٧ - من
 سورة التوبة وجدوا أنفسهم يحفظون آيتين
 أخيرتين - ١٢٨ - ١٢٩ - ولم يجدوا بأيديهم
 النص الكتابي الذي يوثقون به حفظهم ،
 وجمعهم ، وترتيبهم ...

فتسألوا عن هذا النص ، وسرطان ما تقدم
 به أبو خزيمة الأنصاري إلى عمر ، ومن معه .
 وعندئذ قطابى الحفاظ الجماعي ، مع
 النص الكتابي لهاتين الآيتين ، وختمت بهما
 سورة التوبة : توقيفا عن الرسول صلى الله
 عليه وسلم .

٣ - وجمهور الصحابة أو المفسرين

(أ) ١ - حينما قام الصحابة بجمع القرآن
 في مكتوب واحد على عهد أبي بكر ، وتحت
 إشراف عمر ، وباشتراك نخبة من حفاظ
 الصحابة - رضی الله عنهم جميعاً - كانوا
 يعتمدون في الجمع والترتيب على شيتين
 هامتين .

أحدهما : الحفظ الالكيد الذي كان معهوداً
 عند العرب ، والذي تركز عند الصحابة
 في هذه الناحية - خاصة - بتكرار التلقين من
 الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

والثاني : الرقاع المكتوبة التي كانوا يدونون
 فيها ما يأتي به الوحي من القرآن ، حينما
 يتلقونه لساعته من الرسول ، ثم يحفظون
 تلك المكتوبات تحت أيديهم . صيانة لها ،
 واعتزازاً بها ، واقتداء بما كان يفعله الرسول

فهو إنسان من جنس الناس ، وليس من جنس آخر كالثائكة أو الجن مثلاً .

واتحاد الجنس مدعاة إلى الألفة ، والاطمئنان : لا إلى النفرة والخصومة كما بدا من الكفار عامة ، ومن قريش خاصة ، وفوق ذلك : أن محمداً من نفس العرب ، وتلك علاقة أخص من علاقة الجنسية العامة .

ومحمد في قومه من ذؤابة العرب - قريش - غير منازع ... وهم أعرف به في نشأته ، وحياته ، طمراً وسموماً ...

فكان من حقه على قومه أكثر من سوام أن ينحازوا إلى دعوته ، ويفخروا برسالته ، ويتمدحوا بشخصيته ...

فهو منهم ، ومحمد يستمد من مجده ... كما كانوا يفخرون بأبطالهم ، وشعرائهم ، وكرماتهم ، ويتمجدون بهم .

وكل ما لديهم من المفاخر لا يبلغ شيئاً مما توج الله به رسوله محمداً بن عبد الله : من مياسم الشرف ، والعزة ، والظهر ، والعصمة من كل شائبة أدبية ، أو نقيصة خلقية .

ولكن العناد ، والغباء ، والجهالة ، والغرور بالباطل : طغت كلها على نفوس قريش كما طغت على سوام ، فتجهموا للرسول ، وكذبوه ، وقالوا : دلو شاء ربنا لأنزل ملائكة ، وقالوا : دأبث الله بشراً رسولاً ، وقالوا : دلو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ... إلخ .

بعدهم يحدثوننا أن هاتين الآيتين آخر ما نزل على النبي من الآيات كلها .

وهناك آثار أخرى بأن آخر ما نزل : « اليوم أكملت لكم دينكم - الآية » ، أو آية « واقفوا يوم ترجعون فيه إلى الله . الآية » إلخ .

وتعدد الروايات في هذا لا يحس جوهر الآيات ، ولا يחדش قداستها ، فإن ذلك مجرد اعتبار تاريخي : لا أكثر ...

والتاريخ الزمني شيء ، وصدق الآية ، وقداستها شيء آخر .

والقرآن بعد تمامه ، وانتهاء الوحي منه ، أصبح وحدة : لا يتفاوت فيها نص عن نص ، سواء تقدم هذا على ذاك في النزول ، أو تأخر بالنسبة لما معها .

ولا يسوغ في تشريع الله أن تقرأ الآية على غير ترتيبها في المصحف . على أن بعض العلماء قالوا بصحة الآثار كلها باعتبار كل آية مما تناوله الخلاف كانت آخر ما نزل في موضوعها الذي تتعلق به .

فالأيتان المذكورتان آخر ما نزل في تعريف العرب بشأن محمد فيهم ... وفي تعريف النبي بما يفعله مع المعارضين عنه - وهكذا كل آية أخرى مما قيل فيه إنها آخر ما نزل .

* * *

٤ - وفي الآية الأولى توجيه إلى شخصية النبي من جهات عدة .

ونحن نرى في هذه الآية دعوة أخاذة للعقول الواعية ، وجذابة للقلوب الحية ، والمتعة للحياة .
وإيس بعدها عذر لمن يتبدل إحساسه ، ويتخلف ذهنه عن حسن التقدير .

٧ - هذا وإنا أنلس في شخصية الرسول وفي خصائصه نموذجاً لدعوة إبراهيم وإسماعيل يوم كانا يقومان ببناء الكعبة في مطلع التاريخ الإسلامي العربي ... ويضربان إلى الله بالدعوات البارة بهما ، وبالإسانية جميعاً .
« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم - أى في القدرية المسلمة - رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك » . الآية ١٢٩ بقرة .

وفي آية أخرى كان دعاؤهما « ربنا وابعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياتك » وقد استجاب الله لإبراهيم وإسماعيل دعاهما المبكر ، وبعث في الأمة المسلمة رسولا من أنفسهم ، ختم به الرسالات والرسول .
« واقه يحق علينا بهذا في الآية التي معنا » لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، .

ولأنك لتشم من أريج الدعوة الإسلامية ومن نفحات القرآن كيفما نظرت فيه أو تلوته منه : أن شريعة محمد هي امتداد كامل لشريعة

٥ - وعن توجيهات الآية الأولى بعد الإشادة بنفسه أن فيه خصائص ذاتية تقتضى منهم أكثر مما تقتضيه الصلة النفسية العربية .
ويقول فيها الله تعالى : « عزيز عليه ما عنتم » يعنى : يصعب على نفسه ما يصيبكم من مكروه وأنه لا يغض من عطفه عليكم ما يلقاه من إساءة لكم له .

« حريص عليكم ، شديد الرغبة في هدايتكم وإيمانكم ، مع أن جزاء الطاعة محسوب لكم وعقوبة العصيان واقعة عليكم : فلا له ولا عليه . فإنه عليه البلاغ ، وقد بلغكم كل ما أوحى به إليه . « بالؤمنين رموف رحيم ، ترأفته تتمثل في دفعه للضار عنكم ... ورحمته تتمثل في جلب المنافع لكم .

ودفع الشر ، وجلب الخير أحب ما يناله المرء من غيره ... والرأفة ، والرحمة من صفات الله الحسنى وقد شهد الله بهما لمحمد صلوات الله عليه وسلامه .

٦ - وهذه المحامد كلها مظهر حق لأهليته للرسالة ، وجدارته بالقُدوة في أقواله وفي مسلكه فإذا كان في مستوى السكمال فيما تشهدونه : أنساباً ، وحرصاً عليكم ، ورأفة ورحمة بكم فلماذا لا يكون موضع التقدير الأسنى عندكم .

وماذا يصدقكم عن موالاته ، ومحملكم على مجافاته ، مع أنكم المنتفعون به في الاهتداء ، والسلامة من العثرات . ؟؟

والعرش هو مركز التدبير الإلهي لشئون خلقه ... وهو عظيم بعظمة الملك الواسع الذى لا يعلم محيطه غير الله .
وهو عظيم كذلك بعظمة الله الذى استوى عليه للتدبير والتصرف .

ولا يعلم حقيقة العرش فى كيانه ومداه غير الله تعالى .

ولا نقول بقتبيه الله فى استوائه على العرش باستواء الإنسان على مقعده ، ولا نقول بتحديد جهة هايا ، أو سفلى ... ولا نتعرض للخوض فى أمور الغيب كلها ، وقد أعفانا الله من البحث فى هذه الجوانب البعيدة عن مستوى عقولنا ، واكتفى من عباده أن يؤمنوا بالغيب على ما يعلمه الله .

وذلك هو إيمان العجائز فى هذا الشأن المجهول لنا ، وكان الإمام مالك وغيره من جهاذة الأئمة يقولون : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول .

يريد - والله أعلم - أننا نفهم معنى الاستواء بالنسبة لنا ... ولكننا نجعل كيفية بالنسبة لله ... وهذا مجال الدماء بالإيمان البرىء من التدخل ، كإيمان العجائز الذين يسلون وجوهم إلى الله ، وهم محسنون ، فكانوا مستمسكين بالعروة الوثقى فى تدينهم ؟

عبد اللطيف السبكى

إبراهيم ، كما أن شخصية محمد هى الوشيعة العطرة بين العرب وإسماعيل وإبراهيم .
ذرية بعضهما من بعض ، وصلوات الله عليهم جميعا فى الأولين ، والآخرين .

* * *

(ب) ٨ - ثم جاءت الآية الأخيرة من التوبة تسلية للرسول فى مجرده ، وتخفيفا من حربه ، فإن تولوا ، فقل حسبى الله ، لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم ، ففيها تنبيه للنبي صلى الله عليه وسلم ، على أن الأمر مع هؤلاء قد بلغ مداه من العظة ، والاستقراض فإن تولوا هناك يا محمد فيما دعوتهم إليه ، وأعرضوا عن توجيه أنفسهم نحوك فلا تشغل نفسك بهم : لأنك غير مكلف بإيمانهم ، وهدايتهم .. بل أنت مكلف بالدعوة ، والتذكير ، وقد فعلت ، وبعد ذلك است علمهم بمسيطر ، ولا جبار .

وإنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وقل فى نفسك ، وللمناس : حسبى الله - هو الذى أعتمد عليه دون غيره .
وهو الذى يكفينى شروكم ، ويغني عن همتكم إياى على أمرى ، ويعفينى من منكم على بالموازرة ... فإنه لا إله إلا هو ، مالك الأمر كله .. وهو وحده رب العرش العظيم .

مفهوم الإيمان

للاستاذ المحيى عبد المجيد هاشم

النفق بالشهادتين وهو قول . وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . وصيام رمضان . وهى أعمال وهذا ما فهمه السلف ، وقال به المحدثون ، ومعهم إمامهم البخارى الذى أحاط بالسنة دراية ورواية . وفى ضوء هذا الفهم لمعنى الإيمان فسر البخارى معنى الحديث الآخر الذى كان مثار الجدل فى الاختلاف فى معنى الإيمان عند المتكلمين .

وهو ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله . وملائكته . وكتبه . ورسوله . وتؤمن بالبعث . قال : ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفريضة ، وتصوم رمضان . قال : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم .

قال أبو عبد الله البخارى لجعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله من الإيمان إذ جمعه ديننا والحق أنه ملحوظ دقيق من البخارى يوحى به صراحة الحديث السابق لوفد

إن جوهر الرسالة الإسلامية السمحاء التى أشرق بها خاتم الأنبياء على الدنيا ليوجهها نحو الهداية والخير هو الإيمان .

وقد حدد رسول الله صلى الله عليه وسلم مفهوم الإيمان تحديدا واضح المعالم فبين أن الإيمان عقيدة وقول وعمل .

ففى صحيح البخارى إمام المحدثين فى باب أداء الخمس من الإيمان .

عن ابن عباس أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال : من القوم ؟ قالوا : ربيعة قال : مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندى ، فقالوا : يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا فى الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر فرأنا بأمر فعل نخبر به من وراءنا وندخل الجنة . فكان مما أمرهم به - الإيمان بالله وحده قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس إلخ .

فقد أوضح المعلم الأول حقيقة الإيمان فى مفهوم الشرع بأنه يشمل مع التصديق

ذكره وإن الدين عند الله الإسلام، وبهذا المعنى قال الغزالي والدواني .

والإسلام السكامل الصحيح لا يكون إلا مع الإيمان؛ فلا ينفك عنه والإسلام الظاهري قد ينفك عن الإيمان .

وبلغ إيمان البخاري بهذه العقيدة أنه كان لا يأخذ الحديث إلا عن قال : الإيمان قول وعمل يقول: أخذت عن أكثر من ألف رجل ثقة من أهل الحجاز، والعراق، والشام، ومصر وخراسان مارأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء : الإيمان قول وعمل ، وأن القرآن كلام الله .

وهذا هو ما كان عليه السلف كما يقرر إمام من أئمة الأحناف ومن كبار محدثي الهند محمد أنور الكشميري .

يقول: الإيمان عند السلف عبارة عن ثلاثة أشياء : اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص ، وقد وفق الكشميري بين قول أبي حنيفة : وبين قول السلف في المعنى ، وحقق الخلاف بينهما بأنه في التعبير اللفظي فقط .

فقال : وإمامنا وإن لم يجعل الأعمال جزءا لكنه اهتم بها، وحرص عليها، وجعلها أصباها سارية في نماء الإيمان بخلاف المرجئة القائلين: بأن الإيمان هو التصديق فقط وأنه لا يضر مع الإيمان معصية؛ فإنهم حطوا بالأعمال عن رتبها وهطلوها، وجعلوها كالطروح وهذا جهل عظيم.

عبد القيس، بخلاف من غاير بين مفهوم الإيمان والإسلام، وتصر الإيمان على العقيدة؛ فإنه لا يتمشى مع التعبير الصريح في إحاطة الإيمان في حديث ونقد عبد القيس للعقيدة والقول والعمل .

وإن تفسير العلم البصير بالأحاديث في أمر من أمور الدين إنما يتسم بالدقة والاعتدال حتى لا يخالف نصا آخر .

وكما كان البخاري صاحب قدم راسخة في الحديث كان صاحب القدم الراسخة أيضا في التفسير ^(١) فهو يمتاز بتفسير القرآن في ضوء السنة الصحيحة .

وبهذه المقدرة جمع في سهولة ويسر بين النصوص التي شجعت على علماء الكلام والجدل وأثاروا حولها ضجة جوفاء في مفهوم الإيمان والإسلام .

فبين أن التغاير في المفهوم إنما يكون حيث يراد المعنى اللغوي .

وأما حيث تراد الحقيقة الشرعية السكاملة فهما مترادفان .

وقد ترجم بما يوضح ذلك فقال : « باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل » .

أقوله تعالى : قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا .

فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله جل (١) من مؤلفاته التفسير الكبير موجود بمكتبة فرنسا .

ويقول الخطابي في شرح شعب الإيمان :
في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم
لمعنى ذى شعب وأجزاء له ، أدنى وأعلى ، والاسم
يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلمة والحقيقة تقتضى
جميع شعبه ، وتستوفى جملة أجزائه كالمصلاة
الشرعية لها شعب وأجزاء ، والاسم يتعلق
ببعضها ، والحقيقة تقتضى جميع أجزائها
وتستوفىها يدل عليه قوله صلى الله عليه
وسلم : « الحياء شعبة من الإيمان » ، ويقول الإمام
النووى : وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال
فتتفق عليه عند أهل الحق ، ودلالته في الكتاب
والسنة أكثر من أن تحصر قال تعالى : « وما كان
الله ليضيع إيمانكم » ، أجمعوا على أن المراد
صلاتهم .

وفي شرح النووي لصحيح مسلم في باب
الإيمان قول وهمل - قال عبد الرزاق : سمعت
من أدركت من شيوخنا ، وأصحابنا سفیان
الثوري ، ومالك بن أنس ، وهبيل الله بن همر
والأوزاعي ، ومعمّر بن راشد ، وابن جريج
وسفيان بن عيينة ، يقولون : « الإيمان قول وعمل
يزيد وينقص » ، وهذا قول ابن مسعود ، وحذيفة
والنخعي ، والحسن البصري ، وعطاء ، وطاوس
ومجاهد وهبيل الله بن المبارك فالمعنى الذى يستحق
به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه
الأمر الثلاثة التصديق بالقلب والإقرار باللسان

إلا أن تعبير المحدثين القائلين : بجزئية
الأعمال لما كان أبعد من المرجحة المنكرين
جزئية الأعمال . وكان تعبير إمامنا أبي حنيفة
أقرب إليهم من حيث نفي الجزئية للأعمال
وسمى الحنفية بالإرجاء وهم عنه بريئون .
كما حقق الكشميري الخلاف بين من قال
من الأحناف بعدم زيادة الإيمان ونقصه ،
وبين عقيدة السلف في زيادة الإيمان ونقصه فبين
أنه لا خلاف حيث إن الجهة متغايرة فن قال
بعدم الزيادة والنقصان أراد ما يؤمن به .
وأن من قال بالزيادة والنقصان أراد
الإيمان نفسه .

وفي طبقات الحنفية تحت ترجمة (إبراهيم
ابن يوسف) تلميذ أبي يوسف ، وأحمد بن عمران
« كانا يقولان بزيادة الإيمان ونقصانه ، مع
كونهما من كبار الحنفية .

ويقول ابن حبان : إن البخارى عد كل طاعة
هدى الله في كتابه من الإيمان ، وكل طاعة عدوها
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان .
وروى البخارى بسنده عن أبي هريرة ،
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الإيمان :
بضع وستون شعبة والحياء من الإيمان .

وفي شرح هذا الحديث يقول شيخ الإسلام
ابن حجر بعد عرض كلام الشراح : « وقد
لخصت مما أوردوه ما أذكره وهو أن هذه
الشعب تنفر عن أعمال القلب ، وأعمال اللسان
وأعمال البدن » .

والعمل بالجوارح ، وذلك أنه لاخلاف بين الجميع أنه لو أقرو عمل على غير علم منه ومعرفة بربه لا يستحق اسم مؤمن ، وكذلك إذا أقر بالله تعالى وبرسله صلوات الله عليهم أجمعين ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمنا بالإطلاق . وإن كان في كلام العرب يسمى مؤمنا بالتصديق فذلك غير مستحق في كلام الله لقوله عز وجل : إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا .

فأخبرنا سبحانه وتعالى أن المؤمن من كانت هذه صفته . ويقول ابن بطال : وهذا المعنى هو مذهب أهل السنة ، والجماعة ، وقد أراد البخاري رحمه الله ، ثباته في كتاب الإيمان وعليه باب أبوابه كلها ، وإنما أراد الرد على المرجئة في قولهم إن الإيمان قول بلا عمل وتبيين غلطهم وسوء اعتقادهم ومخالفتهم للكتاب والسنة ومذاهب الأئمة .

وقضنا الله إلى الإيمان الصحيح عقيدة وقولا وعملا ، وهذا كما سبيله المستقيم .

الحسيني عبد المجيد هاشم

المؤمنون حقا

، إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومنفرة ورزق كريم .

حلاوة الإيمان

للأستاذ محمد محمد أبو زهو

(عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) . أخرجه البخاري ومسلم ، واللفظ للبخاري) .

ما تزال النبوة تنفخ البشرية من أسرارها الدقيقة ، وحكمها الرفيعة . ما يعلى من شأنها ، ويرفع من قدرها إلى ذروة المجد والمؤدد ، والفوز والسعادة ، ونبوة في هديها السامى معصومة عن الخطأ . وفي منهجها الحكيم منزلة عن الإكثار والثثرة ، لجميع أقوالها جوامع كلم ، وكل أفعالها تصدر بميزان صحيح ، وحكم سليم ، لأنها في كل ما تأتي أو تذر لا تنطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، وكل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب الرسالة المشرقة صلى الله عليه وسلم .

أثر الإيمان الكامل في النفوس الطيبة ، والقلوب الطاهرة المخلصة ، التي أفعمت بمحبة الله ، وتمسكن فيها الشعور بحلا وعظمته ، فاستراحته إليه وحده ، واطمأنت إلى حكمه العادل وقوله الصادق ، وعرفت أنه هو - لا غيره - مصدر كل خير ، ومبعث كل إحسان وفضل ، بيده الملك والخلق والرزق والإنعام : خلق العالم أجمع ، ودبر شئونه . فهو يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وسخر الشمس والقمر والنجوم ، وخلق البحار والجبال ، وأرسل الرياح مبشرات ، وأنزل الأمطار وأجرى الأنهار . وإن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض . لآيات لقوم يعقلون ، ، ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، ، نعم نظر العقلاء في هذه الآيات المبثوثة في الأنفس والآفاق ، فعملوا أن لهم ربا

وفي هذا الحديث الشريف يصور لنا رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه

وما حوته من أسرار لم يجد لها سوى الله رباً ،
أن تمتلئ . نعمه حبا لله ويفعم قلبه بلذة
روحية تملك عليه وروحه وجوارحه . أجل
إن محبة أساسها النظر إلى ما أبدع الخالق
وما أقاض وما أنعم على نقطة انطلاق إلى العمل
النافع من أجل حياة فاضلة وسعادة تامة
في الآخرة .

وسواء علينا أقلنا أن اللذة المترتبة على محبة
الله تعالى حسية أم عقلية ، فإنه بما لا شك فيه
كما قرره النبي صلى الله عليه وسلم أن لذة
ما تملك على المؤمن قلبه وروحه وجوارحه
لتجعله يتقطع كل صلة له بغير الله ورسوله
ويقدم رضاها على كل ما سواها ، حتى نفسه
التي بين جنبيه ، قل إن كان آباؤكم ، وأبنائكم ،
وأخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ،
وأموال اقترتموها ، وتجارة تخشون كسادها ،
ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي
الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ،
وقال عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم :
(لآنت يا رسول الله أحب إلى من كل شيء
إلا نفسي . فقال : لا والذي نفسي بيده
حتى أكرن أحب إليك من نفسك . فقال
له عمر : فإنك الآن - والله - أحب إلى
من نفسي ، فقال : الآن يا عمر) .
يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (ثلاث

هو إليه الحق الواحد الأحد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفواً أحد . كامل في صفاته وأفعاله
منزه عن كل ما سواه ، ليس كمثل شيء .
وهو السميع البصير ، وعلوا كذلك أنه
لم يخلق العالم عبثاً ، ولم يترك الناس هملاً .
بل كما تفضل عليهم بنعم لا تحصى ، وآلاء
لا تعد ولا تستقصى أنعم عليهم بنعمة الطهر
وشريعة الإسلام الخفيف فبعث فيهم رسولا
من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ، رسولا بشيرا ونذيرا
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ،
فهدهم به الصراط المستقيم بل أخرج العالم
كله من ظلمات الجهل إلى نور العلم والعرفان ،
وصدق الله العظيم : وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين ، واتأمل في هذه الشريعة الخالدة
يجد أن سر خلودها نوران : كتاب لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة
مطهرة شاحرة له ومفسرة لا غرضه ،
فاكتمل بهما الدين وتمت بهما النعمة ، اليوم
أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الإسلام ديناً . فصباحان
من أجرى السحاب وأنزل الكتاب .
ففي كل منهما حياة للبشر حياة لا بدانهم وحياة
لأرواحهم ، فلا عجب إذن إذا كان المؤمن
الذي جال بعقله وطاف بفكره في هذا
الملسكوت العظيم ، وتأمل في هذه العوالم

وتفسيرها بالمعنى الثانى أولى ، ويؤيده ما روى فى الصحيح أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكن أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم (أنت مع من أحببت) فقد فرق الرجل بين طاعة الله وحب الله ، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك . غير أن الطاعة من لوازم المحبة فإن من أحب أحدا سعى فى مرضاته وعمل على تحقيق رغباته وقه المثل الأهل فمن أحبه سبحانه عمل بطاعته وتجنأ عن معصيته وإلا فما أحب الله من عباده .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا المعنى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته

إن الحب لمن يحب مطيع
الخصلة الثانية : (أن يحب المرء لا يحبه إلا لله) أى إنه لا يحب أحدا من الناس لغرض من الأغراض الدنيوية بل لغرض واحد فقط هو رضا الله بالطاعة والعبادة عن المعصية ، فتكون محبة لوالديه مثلا لأن الله تعالى يرضى عن ذلك ، ولأنه أمر بالإحسان إليهما ودفع الأذى عنهما فى كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم وتكون

من كن فيه وجد حلاوة الإيمان) أى خلال ثلاث من وجدن فيه وتحققن عنده وامتزجت بروحه ودمه ، وسرت فى عروقه ، وظهرت آثارها على جوارحه وانشغل بها جنانه وتحركت لها أركانها فإنه يجد للإيمان لذة روحية عقلية وفكرية يدركها بعين بصيرته ويحسها بحاسة القلب كما يحس من تعامله شيئا حلوا حيث يجد لذته فى فيه ، وهذا تمثيل وتصوير للأمر المعقول بصورة المحسوس تقريبا له فى الأذهان .

أولى هذه الخصال : (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) أى أنه يحب الله ورسوله حبا يعاين على حبه لكل شيء مما سواهما وهذا التعبير (بما) دون (من) لإفادة العموم فيقتول النفس والأهل والمال والولد والجاه والسلطان والدور والقصور ، وفى جمعه بين اسم الله والرسول فى ضمير إشارة لطيفة هى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما على انفراد ، فمن ادعى حب الله وحده دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كاذب ومن ادعى حب الرسول وحده دون الله سبحانه وتعالى كان فى ادعائه ذلك كاذبا .

هذا وقد اختلف العلماء فى معنى محبة العبد لله تعالى . فبعضهم فسرهما بالطاعة ، وبعضهم فسرهما بأنها : ميل الطبع إلى شيء ملاذ ،

محبة لولده لأنه يعينه على طاعة الله ، ولأنه يكون خليفة له في الإسلام يوحد الله ويمجده ويكثر سواه المسلمين والمجاهدين في سبيل الله بالعلم والعمل والسيف والقلم وكذلك يكون بغضه للبرء بسبب بغض الله إياه لانحرافه وزيفه أو عصيانه وغيره .

هذه . وانظر إلى حال المسلمين الآن وقد أصبحت محبة بعضهم لبعض على أساس مادي خالص تبعا لأهوائهم . ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . وهذا سببه أنهم غفلوا عن مجرى الخير ومسديه ومآخذه ومعطيه وهو الله رب العالمين ، كذلك غفلوا فلم يفقهوا أن جميع الخلق وسائط لا تنفع ولا تضر إلا إذا أراد الله لها النفع أو الضر وبالرغم من الحوادث والعبر التي كانت . ينبغي لهم أن يتعظوا بها فهم لا يعتبرون بما يقع لهم ولا يفرحون بهذا رجل يحب إذا جاء طمعا في جاهه وينفق على هذه المحبة من النفاق والذل ، أو يعلق قلبه بذي منصب كبير رجاء الحصول على درجة أو وظيفة ، فيهن ويذل في سبيل ذلك ثم يفاجئه القدر بالموت أو العزل من المنصب لمن يعلق عليه آماله فيصبح يقلب كفيه على ما أنفق من ذل وهوان ألا إن الأمور كلها تجري حسب ما قدر الله سبحانه وعلى وفق علمه وإرادته ، فلماذا لا نطلب حوائجنا ونحن أعزاء كما أريد منا (اطلبوا

ينبغي لنا أن نتخلى بأرواحنا إلى ما وراء المسادة لنرى بعين البصيرة هذا المدبر الحكيم لشئون العوالم علويها وسفليها ، ولنعلم أن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا وأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوا أحدا بشيء لم يكن ، إلا بما كتبه الله تعالى له ، وإن اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليه . فعلى المؤمن أن يلجأ بطلبته إلى الله قبل كل شيء فيقرع بابه ويجأر بحاجته ، ويدعى ذلك - فإن الله يحب ذلك من عبادته - ثم يأخذ في الأسباب العادية سالكا طريق الدين الحنيف وهو الطلب في عزة نفس ، فلا يغفل عن مسبب الأسباب الذي هو مصدر الخيرات كلها ، وإلا أشرك العبد مع الله غيره من حيث لا يدري في الحديث الشريف (من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) .

الخلاصة الثالثة : (أن يكره أن يعود

هذا ، وإذا أمعنا النظر في الخصلتين الثانية والثالثة وجدناهما راجعتين إلى الخصلة الأولى ولازميتين لها ، فإن محبة الله ورسوله تهيب بالمرء إلى طاعة الله ، وعمل ما يرضيه ، وتجنب ما يغضبه فهي أساس لجميع الخلال الحسنة ، وفعال الخير ظاهرة وباطنة ، فمن أحب الله ورسوله عامل الخلق معاملة أساسها رضا الله ، وتكون كراهته للوقوع في الكفر مثل كراهته لأن يرى به في معظم النار وذلك راجع لمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، بل إن كل خلال الخير وشعب الإيمان إذا أمعنا النظر فيها وجدناها ترجع لمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإنما اقتصر النبي صلى الله عليه وسلم على هاتين الخصلتين اهتماماً بهما أعظم شأنهما ، لأنهما أصلان يوسع شعب الإيمان وأمور الدين ، فإن إحداهما : وهي أن يحب المرء لا يحبه إلا الله تتعلق بمعاملة المخلوقين والثانية وهي أن يكره أن يعود في الكفر تتعلق بمعاملة الخالق سبحانه وتعالى ، ولا تخرج آثار المحبة لله ورسوله في سلوك العبد عن هاتين المعاملتين ، وهذا من أسرار البلاغة النبوية ، وجوامع كلامه صلى الله عليه وسلم فسبحان من علمه ، وكلمه ، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب .

في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) أي أنه يكره أن يصير ويتحول إلى الكفر كراهة تعادل كراهته لأن يقذف به في النار ويرى به فيها رمياً ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ثبات إيمانه ، وقوة يقينه ، فاقتلاع الإيمان منه بعد ذلك انتزاع لروح من جسده بأشد أنواع العذاب وهو العذاب بالنار فكأن الكفر والنار عدلان لذا كان جزاء الكافرين يوم القيامة عذاب النار .

أجل : إن المؤمن وقد غمره الله تعالى بآلائه وأسبغ عليه من عظيم نعمائه ، وسخر ما في الكون جميعاً لمنفعته ، وارتفع به عن مرتبة العجائز إلى مرتبة الإنسان العاقل الرشيد . وفضله على كثير من خلقه ، وحمله في البحر والبحر ، ثم أكرمه بإرسال الرسل معلمين ومرشدين ليعد له حياة أعظم من هذه الحياة ينعم فيها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ، في الجنة عرضها السموات والأرض إنه لا شك يدفعه ذلك إلى الحرص على الإيمان بالله ، والحفاظ عليه ، لأنه السبيل إلى النعيم المقيم ، كما أنه الطريق الوحيد للنجاة من الخلود في نار جهنم . فيرى الكفر أمراً قبيحاً بشعاً ، وفاراً تلظى لا يصلحها إلا الآسنى .

سألها نبينا صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فقال : (أسألك بحبك وحب من يحبك وحب عمل يقرن إلى حبك) والآن كيف نصل إلى هذه المحبة ؟ وما هي الأسباب التي توصلنا إليها ، وما هي الآثار التي تعود علينا وتؤثر في سلوكنا كأفراد وجماعات ، ثم ما هي الأشراف والأمارات التي تظهر لنا فنعلم أننا نحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فنطهئ لأننا قد وصلنا إلى هذه المراقبة من السلوك . ثم ما مبلغ هذا السلوك في واقع الأمة الإسلامية في الماضي والحاضر ؟ وفي تكوين المجتمع المثالي ؟ هذا ما نريد أن نعرض له في الكلمة الآتية إن شاء الله تعالى حيا في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكشفاً عن أسرار هذه الشريعة الخالدة ومن الله العون والتوفيق .

محمد محمد أبو زهر

المدرس في كلية أصول الدين

ونظرة أخرى ننقلها عن الحافظ بن أبي جرة قال رحمه الله :

(هذه الثلاثة الألفاظ ترجع إلى اللفظ الأول منها ، وهو أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . لأن من ضرورة المحبة لله ورسوله أن يدخل ما ذكر بعد في ضمنه ، لكن فائدة إخباره عليه السلام بدينك الحالتين اللتين ذكرنا بعد ذلك اللفظ يريد به أن من ادعى حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فليختبر نفسه في حب الرء لماذا يحبه ؟ وفي الإكراه على الكفر كيف يحد نفسه إن ابتلى بذلك لأنه قد يسبق للنفوس ادعاء بحب الله ، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ، فجعل عليه السلام هاتين علامتين للتفريق بين الدعوى والحقيقة) .

ألا إن محبة الله ورسوله هي ملاك الأمر كله وهي طريق إلى النجاح في الحياتين ، وهي طلبية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ،



الفراغ النفسى عند الشباب

للأستاذ محمد أبو شهبه

بالروحانية الصادقة ، والمعاني الإنسانية النبيلة ، والمادية المعتدلة المقتضدة غير الجائرة ، وموطن حضارة زاهية مشرقة فرضت سلطانها على العالم أحقاباً من الزمان بأصالتها وصفاتها وإنسانيتها التي لم تفرق بين دين ودين ، ولا بين لون ولون ، ولا بين عربي وغير عربي ، والتي شملت بخيرها وبرها الناس جميعاً تلك هي حضارة الإسلام : حضارة الإيمان والأمان ، والرحمة والسلام ، والحق والعدل ، والتعاون على البر والتقوى ، والتآخي والتحاب .

وما كان لنا أن نصف الدواء لهذا الفراغ النفسى دون أن نعرض لبيان الأسباب .

وفي الحق إن هذا الفراغ النفسى في بلاد الإسلام والعروبة جاء نتيجة تأمر دول الاستعمار على شعوب الشرق الإسلامى والعربى ، هذا التآمر الذى يعتبر امتداداً للحروب الصليبية وقد مضى عليها بضعة قرون ، وكانت نهايتها انتصار الشرق الإسلامى العربى على الغرب الصليبي البربرى المتعطش للدماء ، على يد الأبطال المغايرين بقيادة البطل المسلم العربى صلاح الدين ، ورجع الغرب يجرأذيال الهزيمة والعار .

لقد ملى الشباب في العصر الحاضر بشيء غير قليل من الفراغ النفسى ، وسواء في ذلك الشباب في الشرق أم في الغرب ، وما نحن أولاء نرى المصلحين والخياري على مصالح أمهم وشعوبهم فزعين من هذه الحال التي وصل إليها الشباب في هذا القرن الأخير ، ونسمع صيحاتهم ترتفع هنا وهناك بالعلاج ، وتدارك الأمر قبل أن يستشري الداء ويعز الدواء .

وإن هذا الفراغ النفسى يتمثل في فراغ القلب من معاني الإيمان والهداية ، وفراغ النفوس من معاني الأخلاق السكرية ، والفضائل الإنسانية السامية ، وفراغ العقول من معاني الحق والعدل والخير ، والعلم النافع الصحيح الذى يبنى ولا يدمر ، ويصلح ولا يفسد ، وينصف ولا يتجنى ويظلم ، العلم الذى يجب أن يكون رحماً بين بنى آدم جميعاً ، والذى يسرى بين الناس جميعاً لا فرق بين شرقى وغربى ، ولا سائى وآرى ولا أبيض وأسود ولا بين جنس وجنس ، ولا بين شعب وشعب .

وبحسبى أن أتناول ما وصل إليه حال الشباب في بلاد الإسلام والعروبة ، وهى مهد النبوات والرسالات السماوية التى تنسم

المغرب ، وفي البلاد الشهيذة فلسطين ، وفي الجزيرة العربية ، كما لا ننسى هذا الهجوم الثلاثي الفادر على بورسعيد ، وسيناء ، ومنطقة القنال عام ١٩٥٦ ، والذي ارتد مذهوما مدحورا بفضل تضامن الشعب والجيش ، ووقوف الحكام والمحكومين صفا واحدا لم يجد فيه العدو الفادر المترهب ثغرة ينفذ منها .

ولا تزال هذه الصليبية تعمل مهملها في بلاد من بلاد العروبة كعدن والإمارات وسيقضى المجاهدون الثائرون على البغاة الحاقدين ، كما قضى على أسلافهم من قبل ياذا نفة ومشيئته . بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ، ولئن كان الاستعمار قد ولى ، وحمل عصاه على طائفة إلى غير رجعة . - إن شاء الله - فلا تزال آثاره السيئة باقية بيننا ، متسلطة على نفوس الكثيرين منا .

لقد نجح الاستعمار أيما نجاح في إضعاف الوازع الديني من القلوب ، وقلب المعايير الخلقية في النفوس ، ومسح الثقافة الإسلامية الأصيلة في العقول ، وفي الإطاحة بمحدود الإسلام ومماراته من المجتمعات الإسلامية . وقد ساعد الاستعمار في مهمته الهدامة التخريبية فئة رباها الاستعمار بيديه ، وصنعها على عينيه ، فقتلعت بآرائه وأفكاره في الدين والتشريع ، والأخلاق والتعليم ، والحكم

وما زال هذا النصر جروحا في نفس الغرب لا تندمل حتى كان القرن الأخير وكان ما كان من تفرق المسلمين والعرب شيعاً وأحزاباً ، فوجد الغرب المغيظ المحنق الفرصة سانحة لأن يشفي ما في نفسه من غل وموجدة على الشرق الإسلامي العربي ، وبدأت فصول المأساة المحزنة تتلاحق حتى كان من ذلك ايل طويل مظلم لم يتنفس صبحه إلا بعد جهاد وكفاح مرير .

وليس أدل على بقاء الصليبية إلى عصرنا الأخير من قول اللورد ألفي في الحرب العالمية الأولى لما دخل بيت المقدس منتصراً « الآن انتهت الحروب الصليبية ، !!!

إن الروح الصليبية - روح الغدر والحقده والتسلط - لا تزال مسيطرة على دول الغرب ، وقد اتخذت طرقاً شتى للوصول إلى غاياتها الحديثة ، ومقاصدها السيئة فهي لا تزال تعمل ما استطاعت على استئصال الروح الدينية ، والقيم الخلقية من نفوس المسلمين والعرب حيناً ، والغزو الثقافي ، والتشريعي والأخلاقي حيناً آخر ، وعن طريق قمع ثورات التحرر والحرب السافرة حيناً ثالثاً .

ونحن لا ننسى ولا التاريخ ينسى ما قامت به دول الاستعمار من مقاومة لحركات التحرر من غير شفقة ولا رحمة في مصر ، وفي بلاد الشام ، وفي ليبيا ، وفي الجزائر ، وفي بلاد

وخصائصها الثقافية ، والأخلاقية ،
والقشرية .

واقدر ساعد على هذا الفراغ النفسى هذا
التغير والتحول الذى حدث بعد الحرب
العالمية الثانية من سيطرة المادة ، وسلطان
آلة ، وما وصل إليه العالم من تقدم كبير
فى علوم الذرة ، وغزو الفضاء ، وصناعة
الاقمار وسفن الفضاء .

فقد كان لهذا تأثيره فى زعزعة العقيدة
الإيمانية فى بعض النفوس التى لم تنل حظا
من الدين ، وفى تخلخل القيم الحلقية فى النفوس
وفى التقليل من شأن الثقافات الإنسانية ،
والعلوم النظرية فى العقول ، فأصبحنا نجد
من شبابنا من لا يهتم بشعائر دينه وآدابه
ويعتبر الدين تخلفا ورجعية ، ولا ينفك
عن التحكم بالدين وتعاليمه ، ومن لا يقيم للقيم
الحلقية وزنا ، ويرى الوصول إلى مآربه
وأهوائه حتى ولو كان فى هذا انتهاك الأعراض
وسفك الدماء ، واعتصاب الأموال ، ومن
لا يعرف لآبائنا المسلمين والدرب فضلا
على الحضارة الإنسانية بل يتقصصهم ويحط
من شأنهم . وتقسمت الأهواء ، والمذاهب
الباطلة الشباب : فمنهم من هو ملحد ، ومنهم
من هو وجودى ، ومن هو شيوعى ، ومن
هو بهائى ، ومن هو قاديانى وو... إلخ ..
لقد كان أول من فتن بهذا التقدم العلى

والسياسة ، وهى لها مراكز القيادة والتوجيه
فى بلاد الإسلام والعروبة ، فسارت الأمور
فى هذه البلاد كما أراد المستعمرون ، فهم
يدبرون ويكيدون من وراء الستار ، وهؤلاء
الصنائع من أبناء هذه الشعوب ينفذون بل
ويخلصون فى التنفيذ ، ويلبسون على الناس
بأن هذا هو الإصلاح ، وقد انخدع بظواهر
هؤلاء الكشغرون ، وإن كان قد تذبذبا لآلامهم
المخلصون المحنكون ، وقليل ما هم ، وحذروا
وأنذروا ، ولكن ما أطيع لهم رأى ،
وذمبت صيحاتهم أدرج الرياح ، وكانوا
كمن ينفخ فى رماد .

وما هى ذى دول الإسلام والعروبة قد
تخلصت جميعها - نقرىبا - بفضل الله ومنته
ثم بفضل الجهاد والكفاح من كابوس الاستعمار
وأصاره ، وأغلاله وهكايده .

نعم لقد تخلصت من الاستعمار السياسى ،
ولكن آثار هذا الاستعمار من الغزو الروحى
والتخلف ، والثقافى ، والتشريعى ، والاجتماعى
لا زالت باقية بيننا ، هذه الآثار التى كانت
العامل الأساسى فى إحداث هذا الفراغ
النفسى فى نفوس الشعوب ولا سيما الشباب .
فما الذى يمنعنا - حكما وشعوبا -
وقد أضحى أمرنا بيدنا من القضاء على كل هذه
الآثار السيئة ، وبذلك يتحقق لنا الاستقلال
التام الصحيح ، وتعود لنا مقوماتنا الإسلامية

ورائد من رواد الفضاء أبت عليه بيئته التي نشأ فيها ، وتعاليم هذه البيئة اللادينية أن يشكك في وجود الإله زاعماً أنه لم يره ١١١ وكان هذا الرائد الذي ختم الله على قلبه ، وجعل على بصره غشاوة يظن أن الله سبحانه وتقدس أسماؤه وصفاته جسم من الأجسام ، أو آلة من الآلات ، وما درى - وباهول ما جهل - أن الله لا يرى بالابصار وإنما يرى بالبصائر وأنه لا ترى ذاته ، وإنما يرى آثاره ومظاهر خلقه ولو أنه فكر قليلاً ، وتخلص من عقيدته الباطلة لاستجاب لفطرته بعد ما رأى وعين من ملك الله وجلال خلقه ، وعظمة آثاره ، ولا يقن أن هذا الكون على سعته وعظمته لا يمكن في العقول أن يوجد بغير موجد ، وأن له إلهاً مدبراً حكيماً عليماً قديراً قيوماً ، وهو الله جل جلاله .

إن سفينة الفضاء التي حمل فيها هذا الرائد لو غفل عنها العلماء الذين يسيرونها أو اختل جزء منها ، أو انحرفت عن مسارها الذي خصص لها قيد شعرة لسقطت وهلك من فيها وصدق الله سبحانه ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، وقال في أمثاله : ولم قلوب لا يعقلون بها ، ولم أذان لا يسمعون بها ولم أهين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون .

وأحب أن أقول لهؤلاء الذين يجفلون من تقدم العلوم والمعارف ويشفقون من ذلك على الأديان : إن دين الإسلام لا يضره تقدم الكشف العلمية والاختراعات ؛ لأنه دين العلم والمعرفة ، ودين العقل السليم ، والنقل الصحيح والمسلون أيام أن كانوا مهتدين بهدى هذا الدين وملتزمين به عقيدة ، وعلماء وعملاء وأخلاقاً ، كانوا سادة الدنيا وعلمائها ، ورواد البحث والإبداع ، وما تخلفوا في هذا المضمار إلا لما نكسوا عن هذه الهداية ، ولم يفهموا الإسلام على وجهه الصحيح ، بل بالعكس هذه الاختراعات والعلوم وعلى رأسها غزو الفضاء بفتح عن الأسرار التي أودعها الله سبحانه في آياته الكونية ، والانفسية ، والتنزيلية وأشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أحاديثه ، فهي تزيد المؤمن إيماناً بربه وصفاته والمسلم الذي تتزعزع عقيدته بمثل هذه الاختراعات إما أنه ضعيف الإيمان ، أو أنه لم يفهم الإسلام على وجهه الصحيح وصدق الله حيث يقول : « سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ؟

بلى والآن قد وضعنا الداء وشخصنا أسبابه فبأى شيء يكون الدواء ؟

ذلك ما سنعرض له في المقال الآتي إن شاء الله ؟

المركز : محمد محمد أبو شامة

إن هذا هو القصص

للأستاذ : حسن جاد

إذن فليسلك هؤلاء ذاك السبيل ليشتروا شهرة كبار المحتالين ، وليقلدوا (مرجليوث) وغيره من كل مستشرق على شاكلته ، وليتحدوا مشاهير المسلمين بالنيل من قداسة القرآن الكريم ما وسعهم ذلك ، وليشككوا في القصص القرآني الحق ، وليبلغوا من وراء ذلك ما يريدون من الشهرة ، والجاه ، والمال .

وقد صدر العدد التالي من مجلة الرسالة وليس فيه كلمة مؤمنة تصفع تلك الكلمة الكافرة ، فلم يكن بد من أن تقال كلمة طاجلة في هذا العدد من مجلة الأزهر لأن هذا الظرف ضيق تمثل فيه المجلة للطبع والظهور وأدع التفاصيل إلى فرصة متسعة ، أو إلى من هم أقدر مني من العلماء على الإحاطة والاستقصاء :

تناول الكاتب موضوع (القصص القرآني) على هذا النحو الذي يقول فيه :
١ - (في قصص القرآن أحداث ومشاهد نجدها في التوراة والإنجيل ، بل أحياناً نجد مشاهة في سير بعض القصص) ، ثم يكاد ينقض هذه المشاهة أو ينقضها حين يقول : (إن الأمر لا يعدو مجرد اتفاق في أسماء ، ومشابهة في أحداث ، وإن أدق

في العدد ١٠٨٩ من مجلة الرسالة ، بتاريخ ١٩٦٤/١١/٢٦ م كتب كاتب مقالا عنوانه (مصادر القصص القرآني) ، لا نزاع إلا امتداداً لتلك الفكرة الطائشة التي أثارها من قبل نفر تعجلوا الشهرة من أقرب طريق على حساب مقادسات الدين ومقدمات الأمة الإسلامية .

ولسنا ندري كيف تسفل هذا القلم الجاح المنحرف إلى تلك المجلة التي عاشت عمرها على قداسة المروية والإسلام ، وأصبح في رعاية دولتنا المسلمة ؟

إن هذه البرزة الطائشة من نزوات الجمل الأحمق والنقطة الكاكية من سقطات التقليد لأحمى ، والثمرة الحبيثة من ثمرات الخنظل الإلحادى التي دس بذورها في الأرض الطيبة بعض المخدوعين والمغرورين ؛ لتدفع إليها رغبة جامحة في التماس الشهرة والظهور بالتجديد ، لتتردد أسماء أصحابها على الألسنة ، ويتجاوب ذكرهم على الأسماع ، ولو بلغه اللاعنين . وأى سبيل للشهرة والذيعوم أقرب من مجابهة الحق ، ومصادمة الصعور ، وإنكار الواقع الثابت ، وتحطيم القيم الشائخة ؟

في نفس العربي ، ويملاؤها بالآوهام ، ويخايلها بالآشباح ، فيجسد ذلك كله بالآوهام والخرافات عن الجن ، والغيلان والسعال ، والشخصيات الأسطورية .

٣ - والنتيجة لكل هذا في رأى الكاتب العبقري الذى يثق أبواب الشهرة :

أولا : أن مصادر القصص القرآنى هي تلك الخرافات ، والآوهام ، والأساطير التى استقرت في أذهان العرب ، وكونت ثقافتهم ، وأن القرآن لم يصد من وجدان العرب وقد تشبع بذلك كله ، ولم يهزأ بما يحتاج في دلائلهم ، ، ولم يبلغ ما ألفوه من ظنون كاذبة ، وأساطير فاسدة ؛ بل جادهم في ذلك ونقل عنهم ، واستغل هذه الخرافات والأساطير في الدعاية لمبادئه ليكسب لها الرواج .

فشخصية لقمان من الشخصيات الأسطورية الشائعة ، لماذا لا يستغلها ويحملها وصاياها ومبادئه ليضمن لها القبول والنجاح ؟ وكذلك شخصية عيسى ، وشخصية موسى والحضر لماذا لا يستغلها القرآن (فيدق على نعمة تشوف العرب للجهول ومحاولتهم كشف الحجب عن طريق الجن والكهان والعرافين) ؟ . وهكذا كل شخصيات القرآن أسطورية جارى فيها الأساطير العربية ، ولم يصد من الوجدان العربي الذى ألفها .

تصفح لفصوص القرآن والقصص في التوراة مثلا ليوحى بالمخالفة بينهما) .

٢ - وينتهى من هذه المقاومة المضطربة إلى أن مصادر القصص القرآنى ليست هي التوراة والإنجيل ، وإنما هي شيء آخر . ما هو ؟ هو العرب أنفسهم ، وما عرفوه من من اليهود والنصارى ، وما انتشر بينهم من قصص التوراة والإنجيل عن موسى وأخيه ، وعيسى وأمه ، والمسيح وصلبه ، وغير ذلك مما أولعوا به وتداولوه ، بما رددته الشعراء كأمية ابن أبي الصلت الذى (التقط ما هو منطوي في الجو من أحاديث وخرافات ١١ وعكسه في شعره) ، وهو هنا يردد ما تبجح به المستشرقون من تأثير محمد صلوات الله عليه بأمية ، وما نقله من قصصه الشعرى في القرآن .

وبعضى الكاتب فيعيد ما رددته أساتذة له من قبل ، ويضيف إلى ثقافة العرب التى استقى منها القرآن ، ما تأثروا به من الحديث المفاض عن إبراهيم ، وابنه اسماعيل ، وعن بئر زمزم ، وقصة بناء الكعبة ونحو ذلك .

ثم يقول : (وليس هذا كل الرذاذ الذى انتشر في أفق الجزيرة العربية فكون ثقافة أهلها ١١) ، بل هناك ثقافة أخرى كونتها البيئة العربية بصحرائها الرهيبة ، بلفها الليل ، وتتردد فيها أصدااء الرياح ، وتلتصع هيون الشهب بالشرر ، فيوحى ذلك بالرهبة

وهي هذا النحو قوله تعالى : « قلنا أحس عيسى منهم الكفرون قال من أنصاري إلى الله ؟ قال الخواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » وفي قصة بناء الكعبة : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ... الآية » .

والكتاب بهذا يسجل جهله الفاضح بحقيقة كلمة (الإسلام) وما تعنيه من الإذعان والقسم لله ، وهو قدر مشترك في الأديان السماوية ، فهي تقتظم كل دين يرتكز على حقيقة التوحيد والإذعان : « إن الدين عند الله الإسلام » .

وعقيدة الجن التي استقرت في نفوس العرب يستغلها القرآن كذلك في الدعاية له ، في هذا الحديث الخيالي ١١ الذي تضمنته سورة الجن ، مع أن القرآن في هذه السورة نفسها يصدّم الوجدان العربي في مثل « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ... » .

ثانيا : والنتيجة الثانية التي انحرف إليها قلم الكاتب الخيالي اللاحق ، هي أن القصص القرآني إن هو إلا لون من ألوان القصص الفني الحديث بما فيه من الرومانسية الخيالية أو اللاوعي السريالي ، أو الواقعية الجزئية التي نثرتها عند نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم هو القصص الفني الإيهائي . وهو هنا قزم يحمل بضعة شموع خافتة

وهنا أسائله : إذا كان القرآن قد جرى الأساطير العربية ولم يصدّم الوجدان العربي فيما ألفه ، فما باله يصدّم هذا الوجدان بفني صلب المسيح مثلا ، مع أن ترك هذا لا يؤثر في استغلال القصة للدعاية للإسلام والتبشير به ١٢ .

ويأخذ جهل الكاتب في الظهور شيئا فشيئا فيكشف اللثام عن حقيقته المقسترة بحجاب الكلمات الحادة عن إعجاز القرآن البياني (فالعرب يعرفون قصص الحيوان الخيالي ، فيسير القرآن في هذا الاتجاه ويجعل الهداهة في قصة سليمان ينطق بمبادئ إسلامية) أي أن النمل لم يتكلم ، والهداهة لم ينطق حقيقة . والكاتب العبقري الجهل يتجاهل حقيقة المعجزة التي خص الله بها سليمان عليه السلام : (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علما منطلق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين) إلى آخر الآيات من سورة النمل .

ويزداد جهله وضوحا حين يدلل على أسطورة القصة في القرآن بذكر كلمة (الإسلام) قبل أن يوجد الإسلام ، كما في قوله تعالى : « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفي لك الدين فلا تموتن إلا وأتم مسلمون » ، ويقول الكاتب في وقاحة جاهلة : « أشك أن هذا الموقف قد حدث ، فلم يكن الإسلام قد ظهر أيام إبراهيم وأبنائه ١١ » .

إن القصص القرآني - أيها المخدوع - من وحي الله لرسوله قصة بالحق ، وسأفه لتأييد هذا النبي الأُمي فيما يدعوا إليه ، ولتصديق ما بين يديه من الكتب ، وتصحيح ما حرف منها ، وبيان ما دخلها من التحريف والتزييف ثم هو للغة كذلك والاعتبار بما حدث للسايقين ، وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذأ لا رتاب المبطلون ، .
 إقرأ في سورة يوسف : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء - وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ، .

واقرأ ما يؤكد ذلك في سورة آل عمران : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ، وفي يوسف : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ، .

« وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ، وفي هود : « ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ، ، وقرأ في هذه السورة : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، .

ثم اقرأ في سورة النمل : « إن هذا القرآن يقصص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه

يتناول بها على ضوء الشمس الساطع الأشم ، فثمان ما بين القصة الفنية في أحدث صورها الواقعية التي تجمع الأحداث الجزئية من هنا وهناك ، وبما وجد ، وما يمكن أن يتخيل وجوده ، وبين هذا القصص القرآني الذي يعتمد على الحقيقة الكلية الواقعة فعلا بحذافرها .

لقد كان المشركون من قبل ما حكاه عنهم القرآن الكريم . « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيل ، . والكتاب لا يقف عند هذا ، بل يتجاوزه إلى ما سماه بالإيجاءات والمعاني الثمانية إذ يقول . « لقد كان المشركون قصيري النظر حين اقتصروا على ذلك ، ولم يقننوا إلى ما تحويه الأساطير من معان ثمانية وإيجات ، ويستدل بقول الرازي (إنهم كتبوا سمعوا شيئا من القصص قالوا ليس في هذا الكتاب إلا أساطير الأولين ، ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها ، ولم يفهم الكتاب أن مراد الرازي بالأمور ما ينتزع من الحكم والمواعظ التي كشف عنها أو تشير إليها القصة القرآنية وما تدل عليه من صدق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يبلغه عن ربه ومن أنه عليه السلام مؤيدا من الله بهذه القصص التي تعد بالنسبة إليه من المعجزات .

يختلفون، وفي طه: «كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً». والقرآن الكريم يؤكد أكثر من مرة أن هذا القصص حق لا مجال للشك فيه، وواقع لا يتطرق إلى ثبوته شك أسطوري.

«واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق»، «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين»، «ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون»، «وفي سورة الشعراء يختم كل قصة بهذه الجملة: «إن فى ذلك لآية...»، وهى جملة تؤكد الواقع القصصى، وتصفع كل شيطان يسكن فى مثل رأسك يامغرور.

وبعد - أيها السكاكب المجدد - أكان يعوز القرآن أن يتلقى أوهام العرب وأساطيرهم، وينافى ما استقرى وجدانهم من الخرافات، وهو الذى قام على الإقناع المنطقى فى دعوته، وعلى تحريك النظر، ومخاطبة العقل؟ أكان يعوزه ليضمن نجاح دعوته، وعدم ازورار القوم عنها، أن يستقل ما ألفوه، وهو الذى سقه أحلامهم، وطاب ما عكفوا عليه من خرافات وثنية وغير وثنية، وحارب تقليدهم الاعمى لسنة آبائهم: «لما وجدنا آبائنا على أمة ولما على آثارهم مقتدون»، «أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون»، ونفى على كثير منهم ما كانوا

يقترفونه كوراد البنات، وشرب الخمر، ولعب الميسر، وغير ذلك مما لا يتسع المقام لتفصيله؟ لقد خلطت بين الخرافات الوهمية والأساطير المروية وبين القصص الحق الذى جاءت به التوراة والإنجيل والقرآن؛ وسلكت سبيل السعالي، والغيلان، والعنفاء، والحواتف، وأخبار الأمم السابقة، وأنبياء هانى سلك واحد، فاشتبهت عليك المسالك، وضلت الطريق الاحب؛ فجعلت القصص القرآنى الذى قصه الله على رسوله وأوحاه إليه تأييداً وإعجازاً، وعظماً واعتباراً، من وحى العرب ووجدانهم تملقا واستغلالاً.

لما نعرف هذه النغمة النشاز، ونعرف مصادرها الخبيثة، ونعرف ما ترمى إليه، مهما تسرت وراء الحديث عن (إعجاز القرآن الغنى الخالد).

فإن القرآن هو ذلك «طور الشاخ»، والحق الثابت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تعالى عن أن يستجدى قصصه من أفواه من يتجداهم ويفهمهم ويدفعهم بالحجة بعد الحجة، وتسامى عن أن يكون خطايا أو غياليا فى دعوته الساطعة القوية. وهو بعد ذلك أسمى من أن يتناول إلى قصصه الحق يراع مسموم، ولا يضيره أن يزيد عدد السفهاء الذين يشككون فيه واحداً فى آخر الزمان؟

مصنع جهاد

طاعة الرسل وطاعة الرسول

للأستاذ عباس متولى حمّاده

وما أرسلنا من هذا الجنس أحداً إلا ليطاع .
فاضطراد طاعة الرسل سنة الله من إرسالهم على
كلا الرأيين بحق وثابت وإن كانت المبالغة
في استغراق النبي أتم من جعل دمن، صلة زائدة
كما قاله المفسرون ، وخاصة الإمام الرازي (١)
في تفسير قول الله تعالى : وما أرسلنا من
رسول إلا ليطاع بإذن الله .

فكل رسول أرسل إلى قوم يجب عليهم
طاعته ؛ إذ من صد عنهم وخرج عن
طاعتهم ، أو رغب عن حكمهم كان متمرداً
ومعانداً لحكمة الله المضطردة ، وسنته العامة
في إرسالهم ، ومعتلاً لمهمتهم ، وغافلاً عن
الحكمة من بهتهم للناس ، ورسولنا صلى الله
عليه وسلم رسول من الرسل فهو بهذا داخل
في مضمون الحكم العام المقرر للرسل عامة ،
وتطبق عليه السنة الإلهية المضطردة وهي :
إيجاب طاعته ، والالتقياد لجميع أوامره
صلى الله عليه وسلم لأنه أرسل كغيره للناس .
كما قال تعالى : د قل ما كنت بدعا من الرسل
وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع
إلا ما يوحى إلي ، (٢) .

قال تبارك وتعالى : د وما أرسلنا من
رسول إلا ليطاع بإذن الله ، (١) .

في هذه الآية وأمثالها يبين الله تعالى فيها أن
الغاية من إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام
هي طاعتهم ، والالتقياد لأوامرهم ، والإذعان
لما يبلغونه عن ربهم بما أفاضه عليهم من علوم
ومعارف كشف الله لهم الغطاء عنها ، حتى إذا
بلغوا شريعة ربهم لم يخافوا أحداً ، ولم
يرهبوا في التبايع عنه طاغيا ، أو متجبرا ؛
لأنهم كما يقول تعالى : يبلغون رسالات الله
ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، (٢) .

فطاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام هي
الغاية من إرسالهم ، ولهذا أمر الله بطاعتهم ،
ولم يستثن من ذلك رسولا بل جعل طاعتهم
سنته العامة ، وحكمته المضطردة التي تقررت
بفضل إرسالهم للناس لا تتخلف أبداً .

وسواء أكانت دمن ، في الآية صلة زائدة
دلى رأى الزجاج ؛ لمتحقق من زيادتها عموم
تلك السنة واضطرادها . أو أن عموم القضية
استفيد من تنكير «رسول» الواقع في سياق
النفي فيفيد العموم والاستغراق . كأنه يقول :

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٣ : ٢٥٨) .

(٢) سورة الأحقاف آية ٩ .

(١) سورة النساء آية ٦٤

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٩ .

الله عليه كتاباً يقرأ ويتلى ويتعبد به كنوح عليه السلام . فكيف يقال إن طاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم تحب في خصوص ما يبلغه من القرآن الكريم فقط ، رغم أن الله تعالى يقول في كتابه الكريم : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله » .

ولقد أرسل الله رسلاً بدون كتب تتلى ، وأوجب لهم الطاعة على أي شيء . كانوا يطيعونهم إن لم تكن طاعتهم يريد الله من الأمر بها أن تكون في جميع ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال صدرت نتيجة علمهم بما أفاض عليهم من علم اليقين ، وإنزال الوحي إليهم ؛ ليساندهم ويرشدهم ويأمرهم بما يطلبه الله منهم أن يبلغوه إلى الناس حتى لا يكون الناس على الله حجة . قال تعالى : « وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) .

فهل من مقدر لهذا الهدى الإلهي المستفاد من الحكم العام الذي جعله الله لرسوله وهو : إيجاب طاعتهم - وخاصة ومنهم من أرسل ولم ينزل الله عليه كتاباً يقرأ ويتعبد به - حتى ينجل من القول في الآيات القرآنية التي جاءت بالنص على الأمر بطاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم بأن الأمر : خاص بطاعته فيما نزل عليه من القرآن الكريم !!

ورسولنا صلى الله عليه وسلم قام الدليل ودلت المعجزة على صدق رسالته فيجب أن يطاع ، وفي ذلك يقول الشاطبي (٢) : « إن العمل بالسنة ، والاعتقاد عليها إنما يدل عليه الكتاب ؛ لأن الدليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم : المعجزة . وقد حصر عليه الصلاة والسلام معجزته في القرآن بقوله : « وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، هذا وإن كانت له من المعجزات كثير جداً بعضه يؤمن على مثله البشر ولكن معجزة القرآن أعظم من ذلك كله » .

فإذا كانت طاعة الرسل واجبة ؛ بل هي السنة الإلهية العامة التي يجب ألا تتخلف عن كل من أرسله من رسله رغم أن شريعتهم كانت خاصة لطائفة ؛ بل إن بعضهم أرسله الله بمجدد شرعية رسول سابق ، وإذا كانت الطاعة مقررة للرسول مع هذا فإن الطاعة تكون أكد وأشد لزوماً للرسول صلى الله عليه وسلم الذي أراد الله أن تكون شريعته عامة للبشرية وجعلها خاتمة الرسالات . كما قال تعالى : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » (٣) ، وقال سبحانه : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

بل إذا كانت الطاعة واجبة للرسول عليهم السلام ، وفيهم من بعث لأتمته ، ولم ينزل

(١) للوافقات (٣ : ١٧) .

(٢) سورة الرعد آية ٧ .

(٣) سورة الأنعام آية ٤٨ .

هذا ملحظي ، وقد يشترك معي فيه من ينظر في الآية الكريمة النظرة التي أنظرها ، إذ أوجه الدلالات عادة تخضع لنظرة الناظر في الدليل ، ولا يكون ملحظ شخص فيه حجة على شخص آخر .

بقي أن أقول إتماماً للفائدة في قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله » أن قوله تعالى : « بإذن الله » سواء كان الإذن : الإرادة ، أو الأوامر ، أو التوفيق أو الإعانة أو كما قال الراغب : « لازم ذلك » لأنه قال الإذن في الشيء : « الأعلام بإجازته والرخصة فيه غير ناظر إلى خلاف المعتزلة » وأهل السنة والمرجئة في مفاهيم الإذن ومدلولاته ، بل الذي يهمني أن أثبت أن التعبير « بإذن الله » كان للـ « تراس عما يظن أن يقال : إن الرسول يطاع لذاته بلا شرط ولا قيد » ، ففقد الله الطاعة بإذنه .

وفي هذا التقيد من الاحتراس ما فيه من الدقة حتى إنهم قالوا : إنه قيد من قيود القرآن الكريم . المحكمة ، الذاهبة بظنون من يظنون أن الرسول يطاع لذاته ، إذ الله عز وجل له الطاعة لذاته وحده ، وهو إن أمر بطاعة رسول فطاعته تتحقق بإذنه وأمره لا لذات الرسول وشخصه .

ويمضي أيضاً قبل أن أعرض لما جاء في سورة الشعراء - من دلالة الآيات التي جاءت بعبارة واحدة : هي قوله تعالى . « فاتقوا الله

ليس هذا هو الذي يرمح أن يفهم ، أو يقال في عرف العقلاء لأن طاعة الرسل عليهم السلام حكم عام مضطرد . وسواء من أنزل الله عليه منهم كتاباً أو لم ينزل والأمر فيمن أنزل الله عليهم منهم كتاباً واضح ، ولكن أي طاعة يمكن أن تتحقق لمن لم ينزل الله عليه كتاباً منهم إذا لم نقل بأن وجوب طاعتهم في كل ما يصدر عنهم سواء أ كان كتاباً مقروءاً أو غير مقروء ؛ لأنهم الصفوة المختارة من خلقه التي يجب أن تتبع وتطاع ، ولا تعصى في كل ما يصدر منها ، أو يؤثر عنها لاصطفاء الله لهم بشرف التبليغ والرسالة .

قد يقال إن الشافعية يقولون : ما من عام إلا وخصص وأنت شافعي . قلت إن ما سأعرضه في سورة الشعراء من تعدد الأوامر بطاعة الرسل التي حكاهم الله على أنفسهم يدفع احتمال التخصيص ويرده ، ولهذا فأني لا أجد في نظري آية من الآيات القرآنية الكشيرة التي استدلت بها العلماء على حجية السنة ، ولا يستطيع المنكر لحجيتها أن يتأولها ، أو يدفعها إذا لاحظ فيها أن طاعة الرسل حكم عام أوجهه الله على العباد سواء منهم من أنزل الله عليه كتاباً ، أو لم ينزل ، فإنها من هذا الاعتبار المقرر فيها أعصى على المنكرين لحجية السنة في ردها أو تأويلها من غيرها ؛ لأن طاعة الرسل : سنة الله العامة التي أوجبهام الله على عباده بدون استثناء ، أو تأويل مقبول .

ولعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين^(١) .
 فأبان الله جلّت قوته له ما تعرض له الرسل
 عليهم السلام من قبله ، وأنهم رغم ما تعرضوا
 له استمروا في التبليغ ، وأمرهم لأمرهم بطاعتهم
 في جلد وصبر . قال تعالى : **فاصبر كما صبر**
أولوا الأزم من الرسل^(٢) ،

فهذا نوح عليه السلام وقد مكث في قومه
 ألف سنة إلا خمسين عاما قص الله قصته
 في القرآن الكريم ، فيقول تبارك وتعالى :
كذبت قوم نوح المرسلين ، إذ قال لهم
آخرهم نوح ألا تتقون ، إني لكم رسول
أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم
عليه من أجر إن أجرى إلا هلى رب العالمين
فاتقوا الله وأطيعون ،^(٣) .

فأفقه تعالى يحكى عن نوح عليه السلام أنه
 قال لقومه : **إني لكم رسول أمين ، وشأن**
الرسول الأمين أن يطاع ، ولكنه رغم
ذلك أعقبه بقوله تعالى ، فاتقوا الله وأطيعون ،
ثم يقص الله لنا أنه قال لقومه ، وما أسألكم
عليه من أجر ، ، ثم يعقبه بقوله تعالى :
فاتقوا الله وأطيعون ، ، إذ الشأن في الناس
الإعراض عمن يطلب هوضا ، وخاصة إن
كان يدعو إلى دين . ثم تمضى الآيات إلى نهاية
قصته بعد أن كرر الأمر بطاعته مرتين

وأطيعون ، على لسان كثير من الرسل
 حكاهما الله في القرآن عنهم - أن أنبه إلى
 أنها وإن كانت وردت في شرائع غير شريعتنا
 إلا أن ورودها في القرآن الكريم جعلها كما قال
 الشاطبي^(١) من **التعبد بأمره** . قول صرف
 لا نظر فيه لأحد ، **له . لا سببا** وقد ورد
 في شرعنا ما يقرره ، وهو قوله تعالى : **وما**
أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله ، .
 وتحقق وصف الرسالة بالمعجزات التي أهمها
 القرآن الكريم كما ذكرت .

وأيضا فإن القصص إنما سبق في القرآن
 الكريم للاعتبار به ، وليطاع الله عز وجل
 ويطاع رسوله صلى الله عليه وسلم ويتبع .
 وليؤمن الناس بآفه ورسوله صلى الله عليه وسلم

سورة الشعراء وطاعة الرسول

لما كانت سنة الله في إرساله الرسل عليهم
 السلام أن يطاعوا نادى كل رسول ، ودعا
 كل مبعوث قومه إلى طاعته ، وقد حكى الله
 تعالى ذلك عنهم في القرآن الكريم في قصصهم
 التي ذكرت في سورة الشعراء :

إذ حكى الله تعالى على لسان الرسل أمرهم
 بطاعته أمهم لهم ، وذلك حينما رأى من
 رسولنا صلى الله عليه وسلم تأثره من إعراض
 قومه عنه ، وغافلهم له فيما يقول ،
 وإعراضهم عنه فيما يلغ عن ربه . فقال تعالى

(١) - سورة الشعراء (٣) .

(٢) - سورة الأحقاف (٣٥) .

(٣) - سورة الشعراء ١٠ - ١١٠ .

(١) (المرافقات ٣ ، ٤١)

ثم يقبضها الله تعالى بقصة شعيب عليه السلام ، ويذكر فيها أنه قال لقومه مثل ما قاله من سبقه : « إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون ، » (١) ويمضي شعيب في وصاياه إلى أن ينهى الله قصته .

ثم يقبض الله تعالى كل ذلك بما فيه العزاء والسلى لقلب رسولنا صلى الله عليه وسلم المتألم ؛ ليفيض عليه قوة ، ويمطيه متعة ، ويمدحه منابر ، فيقول له قوله العزاء والسلى بل قوله الرضا والتفضل ؛ لينمحه ثقة ربه ، فيقول تبارك وتعالى : « ولأنه لتزليل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين . ولأنه إني زبر الأولين ، » (٢) .

فطاعة الرسل عليهم السلام من الأمد إلى الأبد واجبة على جميع من يبلغونهم سواء منهم من أنزل الله عليه كتابا ، أو لم ينزل الله عليه كتابا فطاعتهم - كم عام مقرر وسنة متبعة .

والرسل عليهم السلام نادوا منذ إرسالهم لأمرهم بطاعتهم رغم أن الطاعة كانت منطقية مع حكمة إرسالهم . ولكنها قاعدة عامة ، وسنة إلهية لا يصح أن تتخلف فكذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم يجب أن يطاع

في أولها ، ونوح عن لم ينزل الله عليهم كتابا ففي أي شيء كان يطلب طاعته ؟ .

ثم يحكي الله قصة هود عليه السلام مع قومه عاد فيصدرها بقوله تعالى : « إني لكم رسول أمين . » ثم يعقها بقوله تعالى : « فاتقوا الله وأطيعون ، » (٣) ثم يحكي بعض عبارات قالها لقومه لينبئهم إلى مهمته ، ثم يعود سريعا فيقول لهم ما قاله في أول قصته « فاتقوا الله وأطيعون ، » (٤) ثم تمضي الآيات إلى نهاية قصته .

ثم يحكي الله تعالى قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود فيقول لهم ما قاله كل رسول إلى قومه : « إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون ، » (٥) . ثم تمضي الآيات

حتى إذا قاربت منتصف قصته يحكي الله عنه أنه قال لقومه « فاتقوا الله وأطيعون » (٦) ، ثم تمضي الآيات إلى نهاية قصته مع قومه فيردف الله تعالى قصته بقصة لوط عليه السلام مع قومه فيصدر الله تعالى قصته بما قاله لإخوة له من الرسل عليهم السلام سبقوه في دعوة أقوامهم : « إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، » (٧) . ثم يحكي الله قصته إلى آخرها .

(١) - سورة الشعراء (١٢٥ - ١٢٦) .

(٢) . . . (١٣١)

(٣) . . . (١٤٣ ، ١٤٤) .

(٤) . . . (١٥٠) .

(٥) . . . (١٦٢ ، ١٦٣) .

(١) سورة الشعراء (١٨٧ ، ١٧٩)

(٢) . . . (١٩٢ - ١٩٦)

أعادها مرتين في أول قصته ، وبعضهم كررها مرتين في خلال قصته ، ومع ذلك لا يحس القارى أنها جاءت مكررة ، أو مادة أو ثقيلة على الأسماع والنفوس ؛ لأنها في كل مرة يذكرها الله تعبر عن معنى جديد بحيث يكون لها وقع في النفوس وجرس في الأسماع . وإنما جاء هذا في القرآن الكريم ليقرر الله الحكم العام بطاعة الرسل في الأذهان وليستقر في النفوس .

ولكن أى نفوس وأى أذهان يريد الله تعالى أن يقرر لديها هذا المعنى : أن نفوس الأمم السابقة وقد مضت ؟ ، أم نفوس الأجيال المقبلة التى تنتظر رسالة بعد رسالة رسولنا صلى الله عليه وسلم . والرسالات قد ختمت برسالاته وانتهت بعثته .

ليس هذا ولا ذاك يريد الله قطعاً لمنافاته للواقع ولمعارضته الأدلة القطعية ، فلم يبق غير نفوسنا وأذهاننا التى يقرر الله تعالى لها هذا الحكم العام . ويريد بهذا البيان الذى ذكره في قصص الرسل عليهم السلام بهذا التنسيق أن تكون طاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم معلومة لدينا علماً ضرورياً لا يجوز أن يتأمرى ، أو يشك فيه إنسان ، أو يجادل فيه عاقل . بصرنا الله دائماً بهدى القرآن وجنبنا الزلل والرينغ آمين .

عباس منلى صماده

في كل ما يصدر منه ، سواء أكان قرآناً يتلى ويتعبد بلفظه ، أو غير قرآن وحى : سنته ؛ لأنه رسول قامت الأدلة والبراهين على صدق رسالته .

فهل بعد هذا يمكن أن يقال : إن طاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم إنما تجب في خصوص ما يبلغه عن ربه من القرآن الكريم ؟ ١١ وهو كما ترى متناف مع الحكم العام المقرر للرسل عامة بدون استثناء أحد منهم من هذا الحكم العام وهو : الطاعة التى نادى بها الرسل عليهم السلام وحكامها الله تعالى لنسأ في سورة الشعراء ، وهرضها عرضاً بارحاً لا يقدر أن يأتي بمثله أحد . قال تعالى : قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (١) .

فيا الله ما أروع هذا العرض ، وما أجل الغاية منه فهذه فقرة واحدة قصيرة فاقوا الله وأطيعوا ، يكررها الله تعالى في سورة واحدة حكاية على لسان الرسل عليهم السلام ومع ذلك ما أحس قارى لها منا بتكرارها فيما بالناس بالعرب الفصحاء ، وكيف كان تذوقهم لهذا الهدى القرآنى الكريم الذى جاء حتى في القصص بهذا التنسيق البديع .

فقرة واحدة تأتى بلفظ واحد في قصص كثير من الرسل عليهم السلام ، وبعضهم

عصمة الأنبياء بين اليهود والنصارى والقرآن

للمستاذ على الخطيب

وللعصمة بهذا المعنى شأن . وإنه لخطير
بين اليهود ، والنصارى ، والقرآن .

فأما اليهود : فبشكل أجيالهم التي تعبدت
بالتوراة المتداولة المعروفة بالعهد القديم
مع ما ضم إليها من صحف - هؤلاء جميعاً
لا يقرون بعصمة نبي ، ولا يؤمنون بنزاهته ،
ويستوى في نظرهم هذا موسى عليه السلام
نفسه ، ومن قبله من كل أنبياء العهد ،
كما لم يسلم من تعاليقاتهم من أتى بعده من
أنبياء .

فالرسول الذي نصب هاديا ومرشداً
لا يرى فيه اليهود مانعاً يمنعه أن يقتل أو يزنى
أو يكذب ، فلا كرامة أنبي عليهم ،
ولا يذكرون في باب النزاهة فارقاً بين نبي
وغير نبي فالكل في ذلك سواء .

وعلى هذا المنوال نسجوا الأنبياء واحداً
بعد الآخر معصية :

نالوا من موسى عليه السلام ، فبرأه الله
مما قالوا وكان عند وجيها ، ٦٩ الأحزاب .
ومر قبل موسى نالوا من نوح عليه السلام
فصوروه عريداً قد شرب الخمر وتعمى حتى

يختار الله الرسول من بين خلقه فيفسر على
نهج يأخذه به ربه ، ويسلكه فيه فيصنعه على
هينه ، ويطبعه على طاعته ، فلا تشينه شائبة
تسقط من مروءته ، أو يفضي لها طابع
وجولته ، وتنمو مكارم أخلاقه ، وتنشط
فيه صفات القيادة ، ويوسمه ربه حلماً وعلماً ،
وهديلاً ورحمة ، وبراً وكرماً حتى إذا جاءت
الرسالة أداها بإيمان وقوة ، لا ينطق فيها عن
هوى ، ولا يتحدث فيها برأى . وهو فوق
ذلك كله معصوم من الخطأ .

وهذه العصمة شاملة .

فإذا علمنا أن ما يأمر به الرسول أو ينهى
عنه يعتبر إتيانه أو الكف عنه عبادة .

وأن ما يؤديه من صلاة أو زكاة أو صيام
أو حج يعتبر عبادة

وأن ما يشاهده في قومه فيسكت عنه
لا يعتبر معصية .

قلنا : إنه معصوم في ذلك كله لا يخطئ فيه .
خصائصه فيه قائمة . وعصمته من الخطأ فيه
كاملة . فهو من قبل الرسالة على خلق كريم ،
ومن بعدها على خلق عظيم .

الكعبة الكاذب ، خزي الحكام ، ارتاعوا وأخذوا ، هاقدا رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم ، إرميا ٨ - ٩ ، ١٠ ، كما قال أيضا : « أما وحى الرب فلا تذكره بعد ، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرقتم كلام الإله الحى وب الجنود إلهنا ، إرميا - ٢٣ ، ٣٦ .

حين ثار إرميا عليهم ثورته أتهموه بالتجسس لحساب أعدائهم وألقوا به فى السجن كما يقص سفره ، إرميا ٣٧ - ١٥ إلى ٢١ .

وأما سليمان عليه السلام فسلوكه فى نفس القصة التى ألفت بهرون ورموه بالوثنية وجعلوا « عشتورث ، وملكوم ، وكوش ، ومولك ، من الآلهة التى مال قلبه إليها زمن شيخوخته » ملوك أول ١١ - ٤ إلى ٩ .

ولم تكن حملات عيسى بن مريم عليهما السلام هيئة عليهم ، ولما لم يكن ملصكا ، ولا محاربا وكان حصورا فقدوا كل أنواع التهم المتقدمة أن يلصقوها به فادعوا فيه وهو ابن البتول أنه ابن رشدة - زنا - وهى تهمة مواجهة فى الواقع إلى مريم عليها السلام . فلعنهم الله « ... بكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ... » .

هذه منزلة النبوة بين اليهود ، وقد استحقوا بها لعنة داود ، وعيسى عليهما السلام فيهم داعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا

ظہرت ہورتہ و تسکون - ٩ - ٢٢ ، ٢٥ .
وطغى نصيب لوط على نصيب نوح
وتعدى السكر والعردة إلى أشنع جريمة
يمكن أن يسمع بها بشر فقد أتهموه فى ابتغيه
وأنه نالها واحدة بعد الأخرى و تسکون - ١٩ - ٣٠ إلى ٣٧ .

ونالوا من هرون عليه السلام فى مهمة النبوة الأولى فصوره يدقمهم إلى الوثنية ويقول لهم : « انزعوا أفرات الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيتكم ، وأتوني بها فنزع كل الشعب أفرات الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها هرون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالآزميل ، وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ، » خروج - ٣٢ - ٢ إلى ٤ .

وجعلوا داود عليه السلام قاتلا فى أخيت رواية إذ صوروه يعجب بهمال إسرائيلية وآها خلصة فاحتال لإبعاد زوجها « أوريا ، عنها ودفعه إلى ميدان القتال ، وفى الخطوط الامامية لى حتفه ، فأمكنه أن يتزوجها » صموئيل ثان - ١١ - ١ إلى ١٧ ، وهى حيلة لا تخرج بها لها عن الإثم ، ولا تبرئه من الجريمة فالتسبب فى القتل كفعله .

وحين ثار عليهم « إرميا ، النبي وسخط على الكعبة الذين يحرفون الكتاب وقال لهم كيف تقولون نحن حكماء ، وشريعة الرب معنا . حقا . إنه إلى الكذب حولها قلم

وبعصمة البابا أصبح للبابوية لإنجيل مفتوح يستطيع أى البابوات أن يسطر فيه ما شاء ، ومع ذلك لم نر أحدهم يقدم دراسة لدفع هذه الاتهامات عن أولئك الأنبياء المصطفون الاختيار . بل إن (البابا) الراحل أمر بحذف صلوات استمر الكاثوليك يرددونها مئات السنين ، ثم تبين أنها حذفت لما فيها من لعنات على اليهود . فكان اهتمامه برفع السخط عنهم أهم بكثير في نظره من اهتمامه بالأنبياء أنفسهم ، ومضى تاركا قضية النبوة لأهواء اليهود .

ويختلف الأرثوذكس عن الكاثوليك في قضية العصمة ؛ فليست عندهم محصورة في رأس الكفيسة لأى مذهب أرثوذكسى ، وأى البابوات الأرثوذكس لا يعتبر معصوما في نظرهم ، ويقررون «العصمة» للجامع المسكونية وحدها؛ فقرارات هذه المجامع تعتبر معصومة من الخطأ ، وهذه المجامع مؤتمرات دينية تعقد على مستوى عالمي شامل للنظر في القضايا الدينية ، والشئون الكنسية وبدأ أول مجمع منها عام ٣٢٥ م وكان يأمر بعقدها الملوك المعاصرون لشئونها (١) وفي هذا الخريف دعت كنيسة الفاتيكان إلى مجمع منها . غير أن قرارات هذا المجمع تواجه من

يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ، المائدة ٧٨ ، ٧٩ . وهكذا ذهب اليهود بوزرهم في الأنبياء . وجاء المسيحيون : ولما كانوا يقرون بالعهد القديم لم يقدموا حلا لتلك القضية ولم يبرثوا أولئك الأنبياء والكرام من فرى اليهود ، ورغم أن للعصمة دراسات مسببة في كهنتهم ؛ فلم يحظ منهم أولئك الأنبياء بمكانة العصمة في حين وزعت منهم على غير الأنبياء .

فأما الكاثوليك فيرون أن «الكتب المقدسة» لم تذكر كل شيء ، ويعنى هذا أن جانباً دينياً ضخماً بقى في حاجة إلى تشريعات لذلك جعلوا من (بابا روما) مسيحاً منظوراً ورأوا أنه «معصوم من الخطأ» في أحكامه الدينية فكل ما يشرعه في جانب الإيمان ، وما يحدده في جانب العقيدة يعتبر قضايًا يقينية غير قابلة للتحوير أو التبديل كما أن قراراته ليست بحاجة إلى موافقة الكنيسة عليها فهي صحيحة دون موافقتها ، ومن حقه أيضاً أن ينشر تعليمًا إيمانياً ويحتم حفظه ؛ لأن فحص الآيات خاص به منذ أجيال ، (٢) .

(١) انظر الصفحات (١٤٧ - ١٥٦ - ١٥٧) (١٥٩ - ١٦٦) من كتاب «شرح التعليل المسيحي» ج ١ لافس يوسف لويس . مطبعة البرتيرى ١٩٣٩ م . وكتاب «سلاحك أيها المسيحي» ص ٢٢٢ مؤلفه نعمة الله العناروى المرسل اللبناني - جوفيه - لبنان .

(١) انظر ص ٦٨ من كتاب «التعليم المسيحي الأرثوذكسى» للأغناطيوس فرزلى . مطبعة أناتولى . اسكندرية .

في العالمين ، إنما كذلك نجمزى المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين .

فزوج عليه السلام مؤمن بربه ، شاكر له ، عمن في طاعته ، يحوط بهداية الله المقررة له فنذا الذي يخرق عليه ما أراده الله له من هداية ويسقيه خيرا ، ومن يهداه الله فلا مضل له ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ولوط عليه السلام في جملة من فضلهم الله على العالمين فقال : « وإسماعيل ، وإلياس ويونس ولوطا وكلنا هدى العالمين » .

ويعنيه القرآن الكريم وحده فيقول : « ولوطا آتينا حكما وعلما ونجينا ناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث لأنهم كانوا قوم سوء فاسقين ، وأدخلناه في رحمتنا لأنه من الصالحين وهكذا يقرر الله سبحانه صلاح لوط الذي جعله من المفضلين على العالمين والله سبحانه لا يستحي من الحق ، وما كان ليقرر فضل لوط وصلاحه إلا ولوط عليه السلام طاهر صالح برىء من الإثم وكفى بالله شهيدا .

ولقد أجمع رجال القانون من كل عصر وجيل أن الاعتراف سيده الأدلة ، والقرآن يسوق هذا الدليل في مسألة هرون ، فوسى عليه السلام استمع إلى شهود القضية فقرروا جميعا إثم « السامري » ، وقالوا : « حملنا أوزارا من زينة القوم ففقدناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوارفة » قالوا هذا إلهكم وإله موسى .

الأرثوذكس حربا عنيفة ، ولا يبدو أنها ستحظى بالعصمة هذه المرة

والقراء في العالم أجمع يعيشون لحظات هذا المؤتمر الأخير بدوافع شتى لكن المؤلم أن مؤتمرا واحداً من هذه المؤتمرات لم يتبرع برفع وصمة اليهود عن الأنبياء .

والبروتستانتية التي حملت بعنف عاصف على (عصمة) بابا روما وقفت موقفا سلبياً من نفس القضية رغم ما اتسمت به من ثورية هادفة في قضية البابوية .

ويعني هذا أننا نخلص من المسيحية إلى قرار غريب : (قرار يرى العصمة جائزة وموجودة في غير الأنبياء ، وليست موجودة في بعض الأنبياء) فالجماع المسكونية عند الأرثوذكس ، و (بابا روما) عند الكاثوليك ذور عصمة . بينا داود وغيره ممن هددنا من الأنبياء لا عصمة عندهم .

ثم جاء الإسلام والقرآن وحيه وترجمانه . وحصر الإسلام العصمة في الأنبياء وحدهم وقرر برأيتهم جملة وتفصيلا ، ولا زال من تعاليمه لأتباعه أن يقولوا « آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وهيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، ١٣٦ البقرة . ونص القرآن في نوح أنه « كان عبداً شكورا ، و « نوحا هدينا من قبل ، « « سلام على نوح

نفسها لعب الإنسان فيها دورا ملحوظا^(١) وهذا عين ما قرره إرميا .

وأما مريم البتول صلوات الله وسلامه عليها فهي صفوة نساء العالم في طهارتها وإخلاصها لله وحرصها على رضاه ولقد أسمى الله هذه الشهادة وهي لا تزال بين الأحياء وزفتها لإليها الملائكة فقالت: يا مريم إن الله اصطفاك، وطهرتك، واصطفاك على نساء العالمين، ٤٢ آل عمران . ولا عجب بعد هذا أن يكون عيسى ابنها عليه السلام (وجهيا في الدنيا والآخرة ومن المقربين) بشهادة القرآن (٥٤ آل عمران) . وليس بين ما بقي من كتب السماء إلا القرآن يقرر - وحده - براءة النبوة ، وكال عنصرها ويصدق بالحق مفتريات اليهود ويرد كيدهم بتفصيل ، ويعيد للنبوة جلالها ، ويرفع لها كمالها ، ويكشف للعالمين جرم اليهود في حق صفوة البشر جلالاتها ، ومن شرف القرآن ، وإعجازه المحيط أن تسطر آياته الحكيمة تلك البراءة ، وتذيعها على العالمين إلى يوم الدين بيانا بالحق ، ونبصرة وذكرى لأولى الألباب ، فسحقا للفقيرين ، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ؟

على الخطيب

بجمع البحوث الإسلامية

(١) انظر اليهودية ٢٦/٤/١٩٦٤ ص ٨٠

وكر موسى على السامري قال : دفاخ عليك يا سامري ، قال بصرت بما لم يبصروا به ، فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي ، .

وهكذا اعترف السامري وشهد اليهود ولا بيان ببراءة هرون أنصع من هذا .

وداود عليه السلام من قال الله فيهم د ومن هدينا واجتبيينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرو ساجدا وبكيا ، وجعله سبحانه أسوة لمحمد صلى الله عليه وسلم حين كثر الأذى عليه فقال تعالى لمحمد : اصبر على ما يقولون ، واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ، ، وهل كان سبحانه وتعالى يجعل من قاتل أسوة ... ١٩ وقال الله في سليمان بأنصع عبارة وأبسطها وأسرعها فهما د وما كفر سليمان ، وبرأه الله وقال فيه د نعم العبد إنه أواب ، فلا كفر ولا زيف ولكن طاعة مستمرة وتعلق دائم بالله ، وحب خالص له .

ولم تمر حادثة إرميا بسلام فلا تزال شهادته فيهم تبعث الريب حتى في حاخامات اليهود أنفسهم ؛ وقد دفع ذلك وغيره الحاخام اليهودي المعاصر دكتور لويس جاكوبس إلى الشك في العهد كله جملة وتفصيلا .

وأثار بذلك حاصفة بين يهود بريطانيا بكتابه د لدينا ما يجعلنا نؤمن ، وقرر فيه أن الكتب التي تنسب إلى موسى عليه السلام

الوراثة وقوانينها ومظاهرها الغريبة ومراعاتها في الجاهلية والإسلام د. أستاذ الدكتور علي عبد الوهيد داني

ينقل إلى السكان الحي من أصوله الخاصة القريبة والبعيدة، ومن فصيلته العامة صفات كثيرة يتعلق بعضها بتكوينه المادى، وبعضها باستعدادات، وأمور نفسية ومعنوية مترتبة على هذا التكوين المادى، وهذا الانتقال هو الذى يطلق عليه اسم الوراثة، وهو عام في جميع الكائنات الحية: في النبات والحيوان، والإنسان.

وقد عنى الباحثون منذ عصور سحيقة في القدم بدراسة الوراثة، وانسجت بحوثها اتساعاً كبيراً حتى أصبحت علماً مستقلاً متعدد الفروع، واهتدى العلماء إلى الكشف عن طائفة كبيرة من القوانين التى تخضع لها ظواهرها، فكشفوا الغطاء من قوانينها العامة التى تحكم النبات والحيوان والإنسان وعن قوانينها الخاصة بنوع من هذه الأنواع أو بفصيلة منها.

ومن أهم هذه القوانين ما اكتشفه العلامة مندل Mendel، وهو قسيس نمسوى من رجال القرن التاسع عشر

(١٨٢٢ - ١٨٨٤) نبغ في العلوم الطبيعية نبوغاً كبيراً، وتوفر على دراسة الوراثة في عالم النبات بوجه خاص، ثم عمم بحوثه فيما بعد، وقد أتى به لمسكة شفاته في هذه الميادين اللابوع والانتشار، فأصبحت للشغل الشاغل لجماعة الباحثين في الوراثة، حتى لقد جعلها العلماء موضوعاً لشعبة مستقلة يفسونها إليه فيطلقون عليها اسم «منديليسم» ومن يرجع لإيهم كذلك فضل كبير في بحوث الوراثة العلامة الفرنسى ريبو Ribon (مزدجال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ١٨٣٩ - ١٩١٦) وقد عنى بوجه خاص بدراسة الوراثة النفسية في الإنسان، أى وراثة الاستعدادات المعنوية المتعلقة بالإدراك والوجدان والزروع، كالغريزة والعادة، والإرادة، والإدراك الحسى، والذاكرة والذكاء، والعواطف، والميول... وما إلى ذلك وألف في ذلك كتاباً قيماً بعنوان الوراثة النفسية، أثبت فيه بالأدلة القاطعة أن الصفات العقلية، والحافية لا تنتقل هى نفسها إلى الجنين

الأولى، أو من الدرجات التالية لها، ولم تكن ظاهرة في أصله المباشر، فيخيل إلينا أنه قد ورثها من أجداده أو جداته، وأن هذه وراثته غير مباشرة، والحقيقة أن الطفل لا يرث هذه الصفات عن أصله البعيد، ولا يعقل أن يكون قد ورثها عنه، لأن هذا الأصل لم يكن له دخل في تكوينه، وإنما يرثها عن أصله المباشر نفسه الذي خلق من مائه. وذلك أن هذه الصفات مع عدم ظهورها في الأصل المباشر كانت موجودة لديه في صورة مستكنة قابلة للانتقال إلى الفروع

ومن الوراثة أنواع غريبة تظهر في بادئ الرأي شاذة، خارجة عن الأوضاع المألوفة، صعبة التفسير، ولكنها عند التأمل العميق يتبين أنها تخضع للقوانين نفسها التي يخضع لها غيرها من الأنواع الوراثية العادية، وتنبعث عن العوامل نفسها التي تنبعث عنها هذه الأنواع. ومن ذلك ما يسمونه بالوراثة المتحددة الأزمنة. وذلك أنه قد يظهر عند الأصل في مرحلة ما من مراحل حياته صفة عارضة جسمية، أو نفسية، ثم تظهر هذه الصفة نفسها عند الفروع حينما يبلغ السن التي ظهرت فيها عند أصله، مع أنها لم تكن موجودة عند الأصل في الوقت الذي علفت فيه الأم بالفروع، ويبدو هذا النوع على

الإنسانى، وإنما ينتقل إليه ما تعتمد عليه من دعائم في التكوين الجسمى والعصبى، فالوراثة في نظره ظاهرة جسمية خالصة، والصفات الجسمية وحدها هي التي تنتقل عن طريقها، أما الصفات العقلية والخلقية فلا تنتقل بطريق مباشر، وإنما تنقل عن وراثته لبعض أوضاع مادية في الجسم والغدد والجهاز العصبى.

ومن أم ما اكتشف من قوانين الوراثة قانون التغلب في الصفات الموروثة، وقانون الوراثة الخاصة غير المباشرة؛ أما قانون التغلب في الصفات الموروثة فيقرر أنه قد يحدث في تكوين الطفل أن تغلب صفات أحد أبويه على صفات الأب الآخر فتستكن الصفات المغلوبة وتختفى مظاهرها حتى ليخيل إلينا عدم وجودها، مع أنها تكون في هذه الحالة موجودة مستكنة، وآية وجودها أنها قد تنتقل بطريق الوراثة إلى أولاد الفروع المستكنة لديه. وأما قانون الوراثة الخاصة غير المباشرة أى الوراثة من الأجداد والجدات عن مختلف الدرجات فيوضح القانون السابق وبكمله إذ يقرر أنه قد ينتقل إلى الطفل بطريق الوراثة بعض صفات كانت ظاهرة في أحد أجداده أو إحدى جداته من جهة الأب، أو من جهة الأم من الدرجة

على الإفادة منها في شئون الزوج ، وصلة الرجال بالنساء ، وإنجاب الأولاد ، وثبوت النسب ، ونفع لديهم كثير من الخبرات في ظواهرها ، ووجوه تطبيقها .

فإن ذلك أن معظم عشايرهم كانت تكره الزواج من القريبات لما أرشدتهم إليه خبرتهم في شئون الوراثة من أن زواج الرجل بقريبتة ينتج نسلا ضاويًا (١) ضعيف الجسم والعقل ، وفي هذا يقول شاعرهم :

تجاوزت بنت العم وهي حبيبة
خافة أن يضوى هلي سليل
ويقول الآخر :

أذو من كان بعيد الهم
تزوج أولاد بنات العم
فليس بناج من ضوى وسقم
ويقول الآخر :

ألا فني قال العلي همه
ليس أبوه بابن عم أمه
وتتفق آراؤهم هذه مع ما ظهر للمحدثين من قوانين الوراثة ، وذلك أن الزوجين إذا كانا من أسرة واحدة انتقل إلى أولادها بطريق الوراثة جميع الصفات الوراثية السيئة التي تختص بها أسرتها لوجودها في الأصلين

الأخس في صفات الأمراض والعاهات . وقد سجل له الباحثون عدة أمثلة واقعية ، منها أن بعض الأفراد قد أصيبوا بالعمى أو بالصمم لأسباب غير معلومة بعد أن بلغوا سنا معينة ، وأن بعض أولادهم قد أصيبوا بالعاهة نفسها حينما بلغوا هذه السن ، مع أنهم في وقت العلوق بهم لم تكن أصولهم مصابة بشيء من ذلك . ولكن هذا النوع ندره ، مع غرابته وخفاء أسبابه في الظاهر ، يستند في الواقع على الدلائل نفسها التي تعتمد عليها الظواهر العادية في الوراثة وتقدر ذلك أن الأصل في مثل هذه الأحوال كانت لديه جراثيم مرض كامن أو أوضاع واستعدادات جسمية خاصة ينجم عنها بعد فترة ما فقد البصر أو السمع ، وأن هذه الأوضاع وتلك الاستعدادات التي كانت كامنة في الأصل انتقلت إلى الفرع في المادة الحيوية التي تألفت منها أجزاؤه ، وترتب على انتقالها بطريق الوراثة ظهور المادة لديه في الميقات الذي الذي يحدده ما ورثه في تكوين جسمه وجهازه العصبي . وهذه الحالات تبين لنا خطر الوراثة ودقة قوانينها ، وأن ويلاتها تحقيق بكثير من الناس من حيث لا يشعرون .

* * *

(١) ضوى الولد يضوى ضوى من باب تمب إذا صغر جسمه وهزل ، والضوى الهزال ، وأضواء غيره أي تسبب في هزاله وضعفه .

هذا ، وقد فطن العرب في الجماعية إلى حقائق لوراثة ، وقوانينها ، وحرصوا

وأن هذا العظيم كان يعتبر مجرد أداة استخدمت لإنجابه .

وكان العرب في الجاهلية يلجئون إلى الخبراء منهم في شئون لوراثة لتحقيق نسب الولد في الحالات التي لا تكون ثمة دلالة أخرى على نسبه ، أو في حالة الشك في نفسه ، كما نلجأ نحن في الوقت الحاضر في مثل هذه الحالات إلى فحص فصيلة الدم ، وراكم حالات التجائم إلى ذلك كانت في صدد أولاد البغايا ، وقد أشارت إلى ذلك السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فيما أخرجه عنها البخاري موقوفاً إذ تقول : « كان يجتمع الناس الكثيرون فيدخلون على المرأة لا تمتنع من جاءها ، ومن البغايا ، وكن ينصبن على بيوتهن رايات تكون علما ، فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا الفاففة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالنات به ، ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك ، ^(١) والفاقة هم الخبراء في فن « الفياقة » وهو فن كان منتشرأ عند العرب في الجاهلية يستطيع الرايخون فيه أن يعرفوا الأصل الذي انحدر الولد من مائه عن طريق الشكل الخارجى لتكوين أعضائه ولون بشرته

وما إلى ذلك ، وفقا لقوانين الوراثة ، والفاقة أيضا الذين يعرفون آثار الأقدام ويعرفون

مما ظاهرة أو مستكنة ؛ على حين أنهما إذا كانا من أسرتين مختلفتين فإنه يندران يتحدان في صفة وراثية سيئة ، بل تكون صفاتهما الوراثة متفوعة في العادة . فيقابل نواحي الضعف في أحدهما نواح قوية في الآخر ، فيحدث بذلك التعادل فيما ينتقل عنهما إلى أولادهما بطريق الوراثة ؛ فينشأ هؤلاء الأولاد متوازني الصفات ، معتدين في نواحيهم الجسمية ، والعقلية ، والحلقية .

ومن مظاهر خبرة العرب في الجاهلية بحقائق الوراثة وحرصهم على الإفادة منها ، أن بعضهم كان يلجئ زوجته إلى ما اشترت تسميته بالاستبضاع ، وقد شرحت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها نظام الاستبضاع فيما أخرجه عنها البخاري موقوفاً إذ تقول : « كان الرجل يقول لاسراته إذا طهرت من طمئنها (حيضها) أرسل إلى فلان فاستبضعني منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسه ، حتى يقبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها ، إذا أحب ولما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ، ^(١) ويظهر من هذا النص أن هذا كان يتم برغبة الزوج بل بأمره ، وأنه كان يفعل ذلك حرصا على نجابة الولد ، وأن هذا الولد كان يعتبر ولدا للزوج الشرعى ، لا للعظيم الذي جاء من صلبه

(١) للرجع السابق نفسه .

(١) صحيح البخاري في باب من قال لا نكاح إلا بولي .

هزبلا، وروى عن عمر بن الخطاب أنه قال :
 « يا بني السائب قد ضوئتم فانكحوا في الغرائب ،
 ومر عمر على قوم من قریش صغار الأجسام
 فقال : ما لكم صغرتُم ؟ قالوا : قرابة أمهاتنا
 من آبائنا . قال : صدقتم .

وكان الرسول عليه السلام يرتاح لآراء
 الخبراء في الوراثة ، وذوى الفراسة في شئوننا .
 يروى أن زيد بن حارثة كان نائما مع ابنه
 أسامة تحت غطاء واحد لم يظهر منه إلا أقدامهما
 فسر عليهما خبير في الوراثة ، ووقع نظره
 على أقدامهما ، فقال إن صاحب هذه الأقدام ،
 مشيرا إلى أقدام زيد لا بد أن يكون أباه هذه
 الأقدام الأخرى . وكان ذلك بحضرة الرسول
 عليه السلام ، فارتاح الرسول لمقولته وصدق
 فراسته ، وخبرته في شئون الوراثة .

وأما فيما يتعلق بثبوت النسب ؛ فإن الإسلام
 لم يربطه بمظاهر الوراثة ، وآراء الخبراء
 في شئونها ، وإنما أقامه على قواعد حكمية
 تكفل استقرار الأسرة ، وتبعدها عن
 الشبهات ومظان الفتنة والريبة ، وتحصى
 أعراض نساها ؛ فقرر أن « الولد للفراش ،
 (وهذا نص حديث شريف) أى إن الولد
 الذى يحى من فراش صحيح مشروع يلحق
 نفسه بالزوج صاحب هذا الفراش بدون
 حاجة إلى اعترافه به اعترافا صريحا ، وبقطع
 النظر عن مبلغ شبهه به من الناحية

أصحابها منها ، واعلمهم كانوا يبحثون كذلك
 عن آثار الأقدام التى كان أصحابها يختلفون
 إلى البغى ليعرفهم تمهيدا لإلحاق الولد بأحدهم
 ولعل هذا كان من بين الأمور التى كانت
 تدهو من يغشون منازل الموصيات إلى أن
 يجرؤ أطراف مأزوم وراهم لتطمس آثار
 أقدامهم على الرمال حتى لا يكونوا عرضة
 لأن يلتحق بنسبهم من تحى به البغى ،
 أو المظلة كما كانوا يسمونها ؛ لأن سفلة الناس
 وسوقهم كانوا يختلفون إلى البغى في الظلام
 يجرؤ أطراف مأزوم وراهم ، ولذلك
 كان من جوامع كلهم فى المدح : « فلان
 لا يرعى لمظلة إزاره » .

* * *

وقد أقر الإسلام قوانين الوراثة ، وحث
 الناس على الإفادة من خيراتها ، واتقاء شرورها
 وفى هذا يقول عليه السلام : « إياكم وخضراء
 الدمن » ، قالوا وما خضراء الدمن ؟ قال :
 « المرأة الحسناء فى المنبت السوء » ، ويقول :
 « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولبناتها
 ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك » .
 وحسب الإسلام الزواج بغير القريبات لاتقاء
 الأضرار الوراثية السابق ذكرها . وفى هذا
 يقول عليه السلام : « اغتربوا لا تضوا » ،
 أى تزوجوا بغير قريباتكم لأن زواجكم
 بالقريبات يضوى نسلكم أى يضمفه ويجعله

نسبه به بدون حاجة إلى اعترافه به اعترافاً صريحاً^(١).

ومع ذلك فإن الرسول عليه السلام قد أقام بعض الوزن لأوضاع الوراثة في حادثين اثنين يتعلقان بنبوت النصب، وإن كان قد حكم في كليهما بغير ما تقضيه هذه الأوضاع جرياً على الأصول الإسلامية السابق ذكرها.

وأحد هذين الحادثين: هو حادث وفد جاءت به جارية كانت ملكاً لزمعة صهر الرسول عليه السلام (والد أم المؤمنين سودة بنت زمعة) وجاءت به بعد وفاة سيدها. وقد تنازعه أثنان: أحدهما عبد بن زمعة (أخو سودة) الذي قرر أنه أخوه لأن الجارية كانت ملكاً لأبيه وفراشاً له، والآخر سعد بن أبي وقاص الذي ذهب إلى أنه ابن أخيه عتبة بن أبي وقاص، لأن عتبة قد اعترف له قبل موته بأنه قد اتصل بهذه الجارية اتصالاً غير مشروع وأنها علقت منه بحملها هذا، وطلب إليه أن يضمه إليه بعد ولادته بوصفه ابن أخيه. ورفعوا أمرهما إلى رسول

(١) - هذا هو ما يراه كثير من الفقهاء. ويذهب أبو حنيفة إلى أنه لا يثبت نسب أول ولد إلا إذا اعترف به اعترافاً صريحاً؛ أما إذا أنكره أو سكت عنه؛ فإن نسبه لا يثبت منه. ولكن إذا اعترف بأول ولد ثم جاءت بعد ذلك ولادة أخرى؛ فإن نسب هذا الولد الآخر يثبت منه بدون حاجة إلى اعترافه، لأن اعترافه الأول يعد دليلاً على أنه اتخذ هذه الجارية لفراشه.

الوراثية، ولا ينتفى نسبه عنه إلا إذا اتهم زوجته بأنها خانت أمانته وعلقت به من غيره وقامت لديه الأدلة القاطعة على ذلك، ورفع ظلامته إلى القضاء، ولم يكن له شهداء إلا نفسه حينئذ تجري بينهما المصلحة التي يشرحها القرآن الكريم إذ يقول: «والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ويدراً عنها العذاب» (أى يدراً عنها حد الزنا) «أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين»^(١). وبعد أن يحلف كلاهما هذه الأيمان المغلظة وتجرى بينهما المصلحة على هذا الوجه، يفرق القاضي بينهما، ويعتبر الولد الذي أجريت بسببه هذه الخصومة أجنبياً عن الزوج، ويلحق بأمه وحدها، ولكن مع ذلك لا يعتبر ابن زنا، ولا تعتبر أمه زانية مادامت قد أقسمت على كذب زوجها، وإذا قذفها أحد بالزنا، أو قذف ابنها بأنه ابن زنا؛ فإنه يقام عليه حد القذف.

ويلحق بفراش الزواج فراش ملك اليمين فإذا تسرى السيد جاريته واتخذها فراشاً له بحكم ملك اليمين، وجاءت بولد التحق

الله صلى الله عليه وسلم فنظر عليه السلام إلى الولد فإذا هو من الناحية الوراثية أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص ؛ ولكنه مع ذلك حكم به لعبد بن زمعة ؛ لأنه ولد على فراش أبيه ، والقاعدة الإسلامية أن الولد للفراش ، كما تقدم . غير أن الرسول عليه السلام قد أقام في هذا الحادث بعض الوزن لأوضاع الوراثة فقال لوجه سودة احتجى منه ، أى من هذا الولد ؛ فاعتبره أجنبيا عنها فيما يتعلق بالاختلاط بها ، وحرمة النظر إليها ، وإن كان قد اعتبره أحاها من الناحية الشرعية (١) والحادث الثاني : حادث ملاعنة أجراها الرسول عليه السلام بين هلال بن أمية وزوجته التي رماها بالزنا وقرر أنه رماها بعينه متلبسة به ؛ وهذا هو أول حادث ملاعنة في الإسلام . وذلك أنه بعد أن أقما إيمان الملاعنة السابق ذكرهما فرق الرسول عليه السلام بينهما ، وقضى ألا يدعى ولدها لأب والأبى ولدها بأنه ابن زنا ، ولا ترمى مى بالزنا لأن إيمانها قد درأت عنها ، وعن ولدها هذه الهمة وأن من رماها ، أو رمى ولدها يقام عليه حد القذف . ولكن الرسول عليه السلام

(١) انظر الحديث في صحيح البخارى ، أم الولد ، وهو مروى عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة .

قد عقب على ذلك بما يدل على إقامته بعض الوزن للوراثه من جهة ، وعلى عظيم خبرته وحذقه في شئونها من جهة أخرى ، فقال : « إن جاءت به أصهب ، أريشح خمش الساقين فهو لhal ؛ وإن جاءت به أورق ، جمع - د جاليا ، خدج الساقين ، سابع الإليتين . فهو الذى رميت به ، ، فجاءت به أورق جمع د خدج الساقين سابع الإليتين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا لإيمان لكان لى ولها شأن ، (يقصد الإيمان التى أقسمتها) . قال عكرمة : فكان بعد ذلك أميرأ على مصر وكان يدعى لأمه ، ولا يدعى لأب . هكذا روى هذا الحديث أبوداود . ورواه البخارى عن محمد بن بشار . . عن ابن عباس بالنص الآتى بعد أن قص خبر الملاعنة : « وبعد أن مضت المرأة قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أبصروها ، فإن جاءت به كحل العينين سابع الإليتين خدج الساقين فهو لشريك بن سحاء وهو الذى اتهمت به ، . فجاءت به كذلك . فقال النبي عليه السلام : لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن ، . (١) »

دكتور على عبد الواحد وافي

(١) انظر تفصيل ذلك في تفسير ابن كثير لآيات الملاعنة في أول سورة النور .

بقطة التفكير الأوربي على صوف ابن رشد للأستاذ محمد رجب البيومي

ما اقتعد ذروة الأدب في تاريخ انجلترا المعاصر ومهما وجد لدى كتاب أوربا في تصور النهضة من دسامة وقوة فرجه إلى تعاظم الفلسفة ، والصدور عنها فيما يتناولون من بحوث ١١ لذلك لا نكون مباغين حين نجزم بأن أسلوب الفلسفة في البحث قد أكسب الأدب قوة حية جعلت وجاهه زعماء نهضات ، وأصحاب دعوات ١ ومن قل نصيبه منها فهو دون أصحابها استقامة سبيل واتساع أفق وارتفاع تخليق ١

و حين نرصد مهاب الفلسفة على أوربا في افتتاح عصر النهضة ، نجد ابن رشد صاحب الصوت المحلل في إيقاظ الأسماع ، وتنبيه الغافلين إلى أساليب الفلسفة ، وضاهجها في البحث والدراسة ، ثم يأخذنا العجب كل العجب إذ نرى هذا الفيلسوف الأندلسي الملم لا يجه حواريه في أبناء لغته ودينه من المشاركة ، ولكنه يخدم في اليهود من أطباء وأحبار وفي المسيحيين من أباطرة وأساقفة وكهنة ، وهؤلاء هم الذين نقلوا كتيبه وشروحه

الفلسفة أسلوب ومنهج قبل أن تكون معارف وكليات ، فذو الفلسفة حميق الفكرة بارح التحليل يسر الأغوار ، ويرصد الأبعاد والأطوال ، لذلك كان أصحاب الفلسفة ممن يمارسون الأدب على جانب قوى من البصيرة والنفاد ، يصدرون عن أصالة حية . ويتجهون بأفكارهم الخصبية وجهات جديدة صائبة ، وقد أورتوا الأدب في شتى فنونه المختلفة من مة لة وقصة ، ورسالة ، وملحمة ، وقصيدة دسامة قوية حية فوجهوا الأدباء الخلف إلى العمق والإحاطة ، والاستشفاف ، والاحتكام إلى موازين دقيقة في المقدمات والنتائج ، أما الفلاسفة الأدباء ممن رزقوا روح أفنان وعقل الحكيم ، فقد جاءت كتاباتهم نمطاً رفيعاً من الإبداع . ف مقالات (يكون) الأدبية تجمع بين العمق الفلسفي ، والخيال الأدبي جمعاً رائعاً يدهش القارئ ويررعه ١ وأسلوب فولتير ذو سحر رائع لا يقاوم ؛ لأن الفلسفة الصائبة تحيط به من أقطاره وتوطئ له الدعائم والأسناد ، ولولا نصيب ويلز من الفلسفة

وقريباً من منهج الصحابة في الزهد والخشوع والتواضع فوافق أهواء النفس لهده . فاعتنقوه عن إخلاص ورغبة ، ونفروا من الفلسفة نفوراً جعلها مدعاة الزندقة وباب الإلحاد وقد حاول ابن رشد أن يعيد للفلسفة مقامها لدى المسلمين بعد أن تساقطت مترنحة تحت ضربات الغزالي فألف كتابه تهافت التهافت يرد به على كتاب الغزالي الشهير تهافت الفلاسفة ، وقد قال في مقدمته : « إن تعرض أبي حامد إلى مثل هذه الأشياء على هذا النحو لا يليق بمثله لأنه لا يخلو من أحد أمرين : إما أنه فهم هذه الأشياء على حقائقها ثم ساءلها على غير وجهتها وهذا فعل الأشرار ، وإما أنه لم يفهمها على حقيقتها فتعرض للقول فيما لم يحيط به علماً وهذا من فعل الجهال ، والرجل يحمل عندما عن هذين الوصفين ، ولكن لا بد للجواد من كبرياء ، ثم مضى يناقش أبا حامد في كل ما تعرض له ! ولكن كتاب ابن رشد عن الغزالي لم يجد من يقرؤه في الشرق ، وظلت آراء الغزالي في الفلسفة راسخة لا تتزعزع ! حتى مطلع القرن العشرين إذ نقل الأستاذ فرح انطون فلاسفة ابن رشد إلى قراء العرب مترجمة عن (رينان) ! فبدأ الفيلسوف الأدلسي يأخذ مكانه لدى أبناء لغته ودينه ! أما أثره البعيد في التفكير الأروبي بعامة منذ فارق الحياة

وترجموا أفكاره وبحوثه ، فهدتهم إلى مفاتيح الثروة الفكرية الخالدة وأصبحوا بها أغنياء مترفين !

قدر على ابن رشد أن يأتي بعد الغزالي ، ليرى نجاحه الساحق في هدم الفلسفة بالشرق حيث حاربها أبو حامد محاربة مكسحة ظافة حاربها بأسلحتها المنطقية بعد أن خبرها ووقف على ما ظنه مقاتل مبيدة ، وقد قسم الفلاسفة إلى طوائف مختلفة ، فطائفة جمعت الصانع وقالت بقدوم العالم ، وطائفة أنكرت البعث وما يعقبه من ثواب وعقاب ، وآخرون توغلوا في دراسة الرياضيات والطبيعيات والمنطقيات والإلهيات ، فأصابو مرة وأخطئوا مرات ! وقد اختلط الخطأ لديهم بالصواب اختلاطاً لا يثمر غير التخبط والارتباك ثم مضى ينقض براهين الفلاسفة بأمثالها مستعيناً بالأقيسة والحج العقلية تارة ، وبالأدلة الشرعية من نصوص قرآنية ، وأحاديث نبوية تارة أخرى ، ناهجاً منهج علماء الكلام في الرد والتوهين ، وأعلن في النهاية فقدان الثقة بأقيسة المنطق وبراهين الفلاسفة ورأى في التصوف منجاة الحائر ، وملجأ المسترشد ، إذ يدرك به من الاطمئنان النفس ما لا يدرك بالحجج والأقيسة :

وكان تصوف الغزالي وقام معتدلاً بعيداً عن غلاة النظريين من ذوى الشطحات

في إنسان واحد أمر عجيب يوجب تسميته ملكاً إلهياً لا بشراً ولذلك كان القدماء يسمونه أرسطو الإلهي ، ١

وقد دفعه هذا التقدير البالغ إلى شرح أكثر ما كتب أرسطو من المؤلفات شروحا مختلفة منها الوجيز والمتوسط والمبسوط ، وإذا كان ابن سبنا قد خالف أرسطو في كثير من قضاياها فإن ابن رشد قد هاجم مخالفته ، ووقف وقفات حاسمة أمام ما هورس به وأصبح في نظر التاريخ الفيلسوف الشارح الأكبر لفيلسوف اليونان ، وتعرض إلى محن كثيرة من لحاجات العامة حتى نفي إلى غير موطنه ، وطرد من المسجد حين أمه للصلاة ، ولكنه لم يتخل عن منهجه الفيلسوف بل شغل وقته بالشرح والدراسة حتى هيات له الأسباب من قتل شروحه وآرائه إلى اللاتينية ؛ لئلا يكون مصباحاً هادياً ينير الدواصت الفلسفية . ويبرز أرسطو في وضع جديد ١

ولا يمكننا أن نحدد أثر ابن رشد في إنهاض الفكر الفلسفي بأوروبا إلا حين نعرف حال الفلسفة في القرون الوسطى قبل ابن رشد ، فقد تأكد لدى بعض الأنفهام أن الفكر الأغريقي قد زحف إلى أوروبا الغربية مع الزحف الروماني وأن العرب بناء على ذلك لم يضيفوا شيئاً ذا بال إلى الفلسفة

فهم ما نحاول أن نجعله في هذه السطور لنرى كيف دق الأجراس المرنّة في عالم نائم غافل فلفظت المضاجع على رناته المجلجلة جنوب النائمين !

لقد جاء دور ابن رشد في المعترك الفلسفي بعد أن تقدمه في الشرق أفذاذ نوابغ من أمثال السكندى وابن سينا والفارابي وإخوان الصفاء من أسهموا في البناء الفلسفي لإسهاماً تردد صداه في كل مكان حتى وصل إلى الأندلس فأنتج بها فلاسفة حكماء من أمثال : ابن باجه وابن طفيل وابن زهر وكان الأقدار قد جعلت ابن رشد خاتمة هؤلاء ليستطيع أن يقرأ ما كتبه سابقوه قراءة الفاحص الناقد ثم يضع النتائج النهائية لدراسته المثأمة ! وهو بعد صاحب ذهن فلسفي بعيد المطارح ، وقد هشق أرسطو هشقا تمكن من نفسه وسيطر على نزعاته حتى عدّه المثل الأعلى للفكر في الحياة بل ارتقى به من الحدود البشرية إلى أن صار في اعتباره الفكر الإلهي ، وقد قال عنه في مقدمة كتابه : (من الطبيعيات إنه أعقل أهل اليونان) وواضع علوم المنطق والطبيعيات وما وراء الطبيعة إذ أن جميع من أتوا بعده من الفلاسفة لم يستطيعوا أن يزيدوا شيئاً عما وضع أو أن ينقدوا قضية وصل إليها) ثم قال : فلا ريب في أن اجتماع هذا العلم

بالطريف اودفعت بالنظار المتطلعة إلى أفق جديد .

وقد منيت الفلسفة الإسلامية باضطهاد أليم من رأى الغربى العام ، إذ توطأ أكثر الباحثين على أنها نقل وترديد لفلسفة الإغريق فهم يرددون ما عبر عنه (الفريد جيوم) فى تراث الإسلام حين قال : « إن الشعوب الناطقة بالاضداد لم تفعل شيئاً أكثر من أنها استولت على الفلسفة اليونانية التى كانت شائعة بين المسيحيين من أهل سوريا والمثقفين من أهل حران والوثنيين ، ثم أضافت إليها بعض عناصر استمدتها من فارس أو الهند وإن من الحق أن نرد الفلسفة العربية فى مادتها وصورتها وغايتها إلى حضارة البلاد التى غزاها العرب وأن نعتبر الفلسفة اليونانية المعين الذى استقوا منه مذهبهم » .

وقريب منه قول (أدنست رينان) : « ومن عجائب القدر أن هذا الجنس السامى الذى استطاع أن يطبع ما ابتدعه من الأديان بطابع القوة فى أسى درجاتها لم يشعر أدنى بحث فلسفى خاص وما كانت الفلسفة قط عند الساميين إلا اقتباساً صرفاً جدياً وتقليداً للفلسفة اليونانية ١١ » .

إلى أهل هذين الرأيين لعشرات الباحثين

الإغريقية إذ أن ترجحات ابن رشد وشروحه لم تأت بجديد حين نقلت إلى اللاتينية ، بل كانت نسخاً مكررة للذائع المشتهر ، وهذا خطأ ظالم مفرض ، لأن الباحث فى تاريخ أوروبا خلال العصر الوسيط يرى أن السكفيسة كانت تدرس الفلسفة الأغريقية من خلال المعتقدات المسيحية فهى تدور بها فى مجال العقيدة لتؤيداً لديها من نصوص حتى لينخيل لقارى هذه الفلسفة أن أرسطو وأفلاطون وأضرابهم افاقد وجدوا بعد المسيح ليؤيدوا تعاليمه ويجروا فى فلسكه ، وقد حظر البحث عن أى حل من الحلول الفكرية لايلائم النصوص ولايسير رواها شعرا بشبر ، وإذا كان الفيلسوف (سانت أرجوستان) قد فطن إلى التناقض الصريح بين مسائل الفلسفة الأغريقية والدين المسيحى فإنه لم يعلن ذلك صريحاً كما ارتآه بل جعل يوفق بين الآراء فى أسلوب متسكف ينادى بالافتعال وكان خيراً له أن يعلن أن الفلسفة الإغريقية شئ آخر غير تعاليم المسيح ! بل إن المسيح لن يكون صاحب رسالة كبيرة إذا كان جميع ما أتى به موافقاً لما سبق أن حكم به أرسطو وأفلاطون وإذا كانت الفلسفة الإغريقية تفسر على هذا الوضع الكفى فإن شروح ابن رشد وأضرابه لها قد فاجأت أوروبا

لا بد أن يتمخض عنه اختلاف العقول ،
وتباين النظرات ، وهو مما يشير إلى الحرية
التامة حين تكتسح القيود والأسوار .

نستطيع بعد هذه الإمامة أن نتابع تأثير
ابن رشد في أوروبا الغربية ، فنرى أنه برغم
قلة تأثيره في المشرق أو فقدان تأثيره على
وجه التحديد إذ ذاك ، قد نال أكبر شهرة
هند اليهود باعتباره شارحا للكتب أرسطو
فكانت شروحه تنقل إلى اللاتينية هل أنها
نصوص يقينية ، ومن أشهر مقدريه معاصره
الشهير (عيسى بن ميمون) إذ بذل أكبر جهد
في إنشاء مدرسة رشدية ونقل شروحه إلى
العبرية واللاتينية ، غير أننا نرى (باريس)
في حياة ابن رشد تتأثر بالمناهج العربية
إذ تصبح مركزاً للفلسفة المدرسية ثم تمتد
بها الأيام فتصبح في مطلع القرن الثالث عشر
حومة جدل فلسفي يهيج نهج المسلمين ، ويصل
صداء إلى الدوائر الكنسية فتصدر قراراتها
بتحريم الترجمات العربية والاكتفاء بالترجمات
القديمة ، ومعنى ذلك أن تدور الفلسفة
الارسطالية في نطاق المسيحية من جديد !
وأن تبتعد شروح العرب ذات الفكر
الاستقلالي والطابع الحر الفريد .

وكان من المصادقات أن يقبوا فردريك
الثاني امبراطورية صقلية سنة ١٢١٥ ، ومع
اشترائه في بعض الحملات الصليبية إلى الشرق

عما تفيض به صفحات القوم ، دين إناص
وتحقيق ، والرد عليها واضح صريح لا يستغنى
بالباحث في شباب وعرة منقطعة تكتنفها
الاشواك والصخور ، بل يدعو إلى قراءة
ما أنتجه فلاسفة الإسلام حين تمسكوا بحرية
الفكر التي دعا إليها القرآن ونأوا عن التقليد
الفاضح الذي عابه الإسلام فناقشوا في علم
الكلام ما يتعلق بالأزل والابد وحرية
الإرادة وأعمال العباد وقدرة الله ، مناقشة
تعتمد على الدليل العقلي اعتماداً أساسياً فإذا
استندت إلى النص فذلك استئناس لا استدلال
وقد انتقلت مؤلفات أرسطو وأفلاطون
إلى الأوربيين محاطة بالفسكرة الإسلامية
وبشروح المفكرين من أمثال ابن سينا
والفارابي وابن رشد وهذه الشروح أطل
العالم الأوربي على نمط جديد غير مألوف
واسيقظ من سباته يرى موقفين متضاربين :
موقف الكنيسة حين تجعل العقيدة المسيحية
مبدأ لكل بحث فلسفي ، وموقف فلاسفة
الإسلام حين يحتسبون إلى المنطق بحججه
وأقيسه مجرداً عن كل فكر سابق !! هذا
الموقف الجري قد دفع بالفلسفة الإغريقية
دفعاً جديدة إذ طرد عنها شبح الكنيسة
وأصبحت بشروح العرب ذات اتجاه جديد !
ولأن كان من الفلاسفة الإسلاميين من خالفوا
الجمهور في بعض الأصول فذلك شيء طبيعي

وقد عقد الأستاذ ديلاسي أو يرى المستشرق الانجليزى فصلا طويلا عن أثر الفلسفة العربية في امدسة اللاتينية بكتاباه الشهير (الفكر العربى ومكانه فى التاريخ) ، ترجمة (الدكتور تمام حسان) تحدث فيه عن أثر الفلسفة الرشدية وأطوار تأثيرها حديثا مسلسلا يؤرخ خطوات هذا التأثير على مدى الاحقاب المتتالية حتى ينتهى بها إلى وضعها الراهن فى الفلسفة الحديثة ، فيذكر أن القرن الثالث عشر قد أكمل ترجحات آثار (ابن رشد) الفلسفية إلى اللاتينية جميعها .

وقد ذاعت على أبهى مؤيديه ومعارضيه جميعا ، فالمؤيدون يبدسون ما قاله الفيلسوف العربى ، والمعارضون يحاولون تفنيد آرائه بعد أن يبسطوها بسطاً واضحاً فقتشهر وتذيع ، بل أن أحد هؤلاء المعارضين يضطر إلى نقل كتاب (نهائى الفلسفة) للغزالي محاولاً أن يفهم به آراء (ابن رشد) وكأنه يعتمد بالافكار الإسلامية حين أعوزه أن يثبت للرجل الكبير ١

وقد التفت الأستاذ ديلاس أو يرى إلى نقطة عجيبة حقاً حين قال ص ٢٩٣ ترجمة الدكتور حسان : « وكان ثمة حداً فاصلاً بين ابن رشد الشارح الذى عومل باحترام كبير كشارح لنصوص أرسطو وبين

فقد كان عدواً من صفوف الأصدقاء - إن جاز هذا التعبير - فقد اتصف بصفات رائعة قل أن تجتمع فى إنسان فهو يجمع دست لغات وينظم الشعر ، ويعجب بفنون التصوير والنحت والموسيقى ويؤلف فى علوم الحيوان والطير ويشذ عن تقاليد الكفيسة فيميل إلى التسامح الدينى ويجمع فى بلاطه اليهودى والمسيحى والمسلم ، وقد عشق الشرق فعاش عيشة رجاله يتكلم العربية ، ويناقش مفكرى العرب وينأى عن التعصب فى جرأة وثورة ، وكان شديد الإعجاب بفلاسفة المسلمين الذين يقرأ كتبهم فى لغتها العربية ، ويظهر عطفاً كبيراً على أساليبهم فى البحث والتفكير حتى تشيع لاكثر ما نأوا به من معتقدات مما اضطر (البابا) إلى تكفيره وإعلان مروقة ، وقد أسس فى سنة ١٢٢٤ جامعة (نابولى) وجعل مهمتها الأساسية أن تدفع العلم العربى إلى أوروبا فوضعت المترجمات على يد أساتذتها من العربية إلى اللاتينية وانتدب بعض أساتذتها إلى زيارة طليطله سنة ١٢١٧ لنقل شروح (ابن رشد) على كتب أرسطو وترجمتها .

وقد قام الأساتذة الموفدون برسالتهم وأعانهم على تحقيقها نفر من أحبار اليهود ممن تقلدوا على آثار ابن رشد وهتفوا بفلسفته .

أرسطو لم يتح لهم أن يجدوه من غير طريق العرب حتى أنهم حين عثروا بعد ذلك على النصوص الأغريقية الأولى في لغتها اليونانية لم يستطيعوا فهمها إلا بالشروح العربية مقارنة وتحليلاً إلى أن مضت مدة طويلة فهمت فيها هذه النصوص الأغريقية فهماً تنمى معه ما ساعد على توضيحه من شروح ابن رشد .

* * *

والذين يتحدثون عن أثر الأندلس في اليقظة الأوربية في غير مجال الفلسفة من المجالات الحضارية والفنية لا يواجهون صعوبة كبيرة في توضيح دورها الكبير حيث تبدو الحقائق سافرة غير ملتبسة ، ولكنهم حين يتحدثون عن أثر الأندلس في مجال الفلسفة يجدون من يلبسون عليهم القول متملئين بأن قصارى جهد . فلاسفة الإسلام أنهم تراجمه ناقلون ، أو شراح مفسرون أو هم يتعمدون إخفاء ما يعرفونه من الحقائق في فلسفة الإسلام إذ أن أسلوب مفسريه في البحث الفلسفي قد تميز في علم الكلام تميزاً يصعب إنكاره ، فهو إسلامي الوجهة والروح والمشرع ، وإن اصطنع سبيل الفلسفة في البرهنة والاستلال فذلك مما يمس الشكل الخارجي في ترتيب الجدل ومساقه .

ابن رشد الفيلسوف الذي كانوا يعتبرونه ملحداً وتبدو المسألة كما لو كان ثمة سياسة متعمدة للوصول إلى أرسطو عن طريق التضيحية بالشرح العرب ، .

ومعنى هذا أن شروح ابن رشد على أرسطو مقبولة لأنها في وجهة نظرهم تمثل الفيلسوف اليوناني ، أما آراؤه الخاصة فمرفوضة لأنها تمثل الفيلسوف العربي ، وهذا الفهم على غضاظته الخلقية ودلالاته النفسية غلط . مضحك ، لأن شروح ابن رشد لا تمثل أرسطو وحده ولكنها تمثل في مرآة ابن رشد ، والفرق بعيد بينها وبين الترجمة ، إذ أن الترجمة نقل خالص ، أما الشرح فتفسير وتحليل وتعليل ، وكثيراً ما يفهم الشارح أقوال غيره من وجهة نظره فهو ذو شخصية واضحة منفصلة في التصور والإدراك والتعليل ١١

فالذين يحترمون ابن رشد الشارح بحجة أنهم يبحثون عن أرسطو قبل كل شيء قد أخطأهم السبيل ، وهم في حاجة إلى من يقول لهم لقد فرض عليكم الشارح نفسه مفكراً وفيلسوفاً وهذا ما تحذرون ١١

أما إذا كانت هناك سياسة متعمدة للوصول إلى أرسطو عن طريق التضيحية بالشرح العرب فإن هذه السياسة لم تتحقق على وجهها المنشود لأن هؤلاء الباحثين عن

اليونانية حتى أصبح الانفصال بين الدين والفلسفة غير ممكن بل كانت تستطاع فوق هذا أن تهضم أشياء قليلة أخرى وكان هضم الفلسفة اليونانية أسهل على العقائد الإسلامية البسيطة التي ليس فيها كثير من الآراء الفلسفية. منه على العقائد النصرانية المركبة بما فيها من فلسفة ... الخ .

وهكذا كان انتشار الفلسفة الإغريقية على يد العرب ترجمة وشرحا وتعليقا تمهيدا لقيام النهضة في النصف الأخير من القرن الخامس عشر إذ بدأت الفلسفة توثق ثمارها فتوجه العقل الأوربي توجهها جديدا يستند إلى حرية الفكر ، وشعور الإنسان لشخصيته واقتداره على التفكير الذاتي مستقلا عن غيره ، وقد ذهب في هذه الحرية إلى أبعد مدى حتى تصدى لفلسفة أرسطو نفسها ففندها وكشف عن ثلومها ، واهتمدى إلى فلسفة حديثة أنتجت مفكرين قادة وفلاسفة مصلحين ، وانقلبت بضوابطها وأهدافها إلى الأدب الخالص فبسطت آفاقه وعمقت مجراه ، وجعلته وليد تأمل دقيق وتحليل نافذ كشاف .

عمر رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

أما حقائقه الجوهرية الإسلامية خالصة جاء بها دين يرتكز على العقل ويدعو إلى الحرية والتفكير في ملكوت السموات والأرض ، وقد استطاع الأستاذ (ت . ج . ديور) مؤلف تاريخ الفلسفة في الإسلام أن ينصف المسلمين بعض الإنصاف حين تعرض لتحديد ماسماه فضل المسلمين على الفلسفة النصرانية في العصور الوسطى فقال في ص ٢٨٦ نقلا عن ترجمة الدكتور أبي ريبة :

« أما أهم أثر للعرب فهو أن النصارى بعد قراءتهم لمؤلفات العرب ولا سيما ابن رشد صاروا يرون في نظريات أرسطو رأيا خاصا فاعتبروها الحقيقة العليا ، ولم يكن بد من أن يقضى هذا ، إلى تصادم بين علوم العقائد والفلسفة أو إلى إحراج بينهما بل كاد يؤدي إلى إنكار العقائد السكسية وإذن فقد كان تأثير الفلسفة الإسلامية على تطور العقائد السكسية في العصور الوسطى حافزا من ناحية وعاملا على الهدم من ناحية أخرى ، لأن علم الكلام والفلسفة لم يستطيعا أن يسيرا في العالم النصراني مستقلين كل على جادته لا يتعرض لصاحبه كما قد حدث عند مفكرى الإسلام ثم أن علوم العقائد النصرانية كانت في القرون الأولى من نشوتها قد أفرطت في أخذ الفلسفة

اتجاهات الثقافة في الشرق العربي للأستاذ محمود فرج العدة

وبالهدى والعلم أرسل المرسلون ، وقام الدعاة والمرشدون ، ومضى على سنهم المصلحون . وقد خالط العلم في القديم والحديث فنون من الجدليات والأوهام موه بها على الناس الحق أقوام يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، وإنه لمن أوجب الواجبات علينا معشر المربين أن نقضى هذه الجدليات والأوهام عن ساحات العلم قبل أن تعصف بالبقية الباقية من عقول الناشئة ، أو أن تأتي عليها إتيان النار على الهشيم .

ومن الحق علينا لهذا الشرق العربي أن لا نشغل ناشئته التي هي عهد الأمل ومناط الرجا. إلا بما هو أشبه العلوم به ، وأوفقها له ، وأهداها إلى سبله ، وأبلغها تأثيراً به ، وتأثيراً فيه . وأول ما يلاءم النظر من ذلك أنه مجتمع روحي المذاهب والمشارب ، سواى الشائيل والمشاير ، ليس عنده من الجنوح إلى المادة ، ولا الجملوح مع الباطل ما عند غيره من هباد المادة المسرفين ، وأشياع الباطل المفرطين ، وليس من خلقه أن يتخلى في سهولة ويسر عن هذه الشيم والمسكارم ، والمآثر والشائيل التي توارثها

إن من المسلم به أن كل إنسان مسئول بفطرته ووجدانه . إن كان ذافطارة مستقيمة ووجدان سليم . عن سعادة المجتمع الذي يعيش فيه ، ويدين له بمحاضره وماضيه . بل عن سعادة البشرية جمعاء . إن وجد إلى ذلك من سبيل وبدهى أن ذلك إنما هو بعد مسئوليته عن إسعاد نفسه في دنياه واخرته . إن كان يتصور أن بين السعاداتين شيئاً من الانفصال ، إذ أن كل واحدة منهما عند التأمل الصادق ، والنظر القويم إنما هي انعكاس للأخرى أو أثرها حتى كأنهما شيء واحد أو أمر سواء .

ولا سبيل لتحصيل السعادة كالعلم ، بل لا سبيل لها سواه ، وكيف لا وهو الميزة الظاهرة للإنسان على ما سواه حتى لقد جعله الله حجة على ملائكته في استخلاف الإنسان في الأرض كما قص علينا نبأ ذلك في كتابه إذ يقول : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، إلى قوله : قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (١) »

والآخرة ؛ وكيف تفهم أن التعليم الديني مجرد تحصيل وتلقين ، وكتاب الله لا يزال يدعونا إلى التأمل البعيد في ملكوت السموات والأرض ، والنظر السديد فيما خلق الله من شيء بمثل قوله جل شأنه : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون (١) » ، وبمثل قوله : « أولم ينظروا في ملكوت السموات الأرض وما خلق الله من شيء (٢) » ، وبمثل قوله : « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق (٣) » ، إلى أن يحض على النظر في أحوال النفس ، وما فيها من عجائب الخلق إذ يقول : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون (٤) » ، وإلى أن لاري أن الحض على أعمال النظر في دلائل وجود الله وقدرته في هذه الآثار حض صريح على الأخذ بما يعين عليها من شتى العلوم الكونية والطبيعية ؛ بل أرى أن هذه النظرات الصادقات فيما لله في كونه من من شواهد وآيات هي أبين تفسير لكتاب

من آياته الميامين وأسلافه الماجدين ، وهذا نستطيع أن نعود به تارة أخرى إلى أمجاده الأولى يوم غمر الآفاق بباهر سناه الذي بدد الظلمات ، وعما الجهالات ، ووصل ما انقطع بين الأرض والسموات .

فهذا الشرق العربي محتاج منا دائما لتستقيم له الحياة - إلى الإمداد والإسعاد بالغذاء الروحاني الذي يغذو قلبه ، ويروى ظمأه ، ويذكر مشاعره ، ويجلو بصائر ، وينير له سبيله إلى كل ما يصبو إليه بفطرته من مثل وما يهدف إليه من غايات .

وليس سوى التعليم الديني الحاضر من غذاء وري لهذه القلوب وتلك الأرواح ؛ وإن حرمانها من ذلك ، أو شئ منه إنما هو كحرمان الأرض الطيبة من الغيث ، أو الروض النضير من الطل ، أو السماء الصافية من الضياء .

ولا نقصد بالتعليم الديني ما يجري مجرى الحفظ والتلقين بلا تدبر ولا رعى ، وحاشانا بعد ما عرفنا من آيات الله الخاتمة على النظر والاعتبار ، والتأمل والادكار لمعرفة آيات الله في خلقه ، وسنته في كونه ، وآثار رحمته على عباده ، ومظاهر قدرته وإبداعه ؛ لفستكمل بذلك ديننا ، ونستتم به مقوماتنا ، ولنكون بعد ذلك أهلا للدعوة إلى الله على بصيرة وبينة ، وقادة للبشرية إلى سعادة الدنيا

(١) سورة البقرة آية ١٦٤ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٥ .

(٣) سورة العنكبوت آية ٢٠ .

(٤) سورة الذاريات آية ٢١ .

الله العظيم ، وأقوى برهان على أنه من عند الله رب العالمين ، وأعظم هاد بعده إلى مبدع الكائنات ، وفاطر الأرض والسموات .

وقه في كل تحريكه

وتسكينه في الورى شاهد

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه الواحد

واقده سمعت من أدرك الإمام الشيخ محمد عبده من شيوخ شيوخنا رحمهم الله - أنه رأى بعض علماء الكونيات من الألمان يخبر مغشيا عليه إذا ذكر أمامه اسم الله - جل شأنه - وذلك يوشك أن يكون مصداقا لقوله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » فإن سياق الآية يشير إلى أن العلم بآثار قدرة الله يؤدي إلى تلك الحال ؛ فإن هذا السياق هو قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ... » (١) ،

أما ثاقى ما يلفت النظر ، وينبغى أن يكون موضع العناية والاهتمام في هذا الشرق العربى فهو هذه العلوم الطبيعية التى تفرضها علينا أسباب الحياة والسلامة ، والقوة والمنفعة فى بيئتنا التى ظاهرها لا تسروا الجذب ، وباطنها

(١) سورة فاطر آية ٢٧ و ٢٨ .

اليسر والرخاء ، بل الأمل والرجاء ؛ فإن معظم كنوزها لا يزال بكر الميفتض ، وعروضا لم يكتب لها الجلاء ؛ وباكتشاف هذه الكنوز بأيدينا ، واستخراجها بسواعدنا نستطيع أن نساعد فى بلادنا كل شتى ، ونطعم كل جائع ، ونسد حاجة كل محتاج ؛ بل نستطيع ما هو أعلى من ذلك وأعلى ، وهو أن ندفع بوثبتنا العربية الناهضة إلى مكان الصدارة فى العالمين ، كما كان ذلك شأننا يوم استخلفنا الله فى الأرض كما وعدنا فى كتابه إذ يقول : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، ويوم جعل لنا السناء والرفعة فيها مصداقا لبشارة نبيه صلى الله عليه وسلم إذ يقول لبعض أصحابه : بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والتكئين فى الأرض . فنحن إذن فى أمس الحاجة إلى دراسات عملية بحتة بعد الدراسات الروحية الحققة ، بوجه إليها جميع شبابنا الأكفاء فى شئون استخراج المعادن ، واكتشاف المناجم ، وإدارة المصانع ، وصناعة الآلات ومن الظلم الفادح لمستقبل هذا الشرق العربى وهو لم تتدخل جراحه بعد من آثار مغالب الاستثمار أن تصرف همم أبنائه ومواهبهم إلى أنواع من الدراسات الأجنبية فلسفية أو أدبية لا تتصل بقوميته ، ولا تتجاوب مع

تاريخ الأمم يكتب فيه بالأيام لا بالأهوام ،
وبالشهور لا بالعصور ، وأصبحت القوة فيه
أثراً من آثار الابتكار والاختراع ، ومظهراً
من مظاهر الثراء والرخاء ، وأصبح فيه أمل
الإنسانية في البقاء منوطاً بالإيمان بمن بيده
وحده أن يكف البشرية عن نفسها ، ويحول
بين سكان الأرض وبين ختم تاريخها ، وطمس
معالم الحياة فيها ؟ ! وهو على ما يشاء قد يرمي

مشاعره ، ولا تنمى من فضائله ، ولا تعيمته على
الانتفاع بكنوزه وذخائره ، ولا تذكره
بأجماده وآثره ، ولا تجعله في منعة عقلية
أو روحية من حبال الاستعمار ومكايده ،
وشراكه ومصايده . وإنني لأتساءل متعجباً
ما وجه الحاجة إلى هذه الفلسفات الأجنبية ،
أو مذاهب النقد الأوروبية التي تلتق بأوزارها
وأثقالتها على كواهل مبادئنا الروحية وآدابنا
العربية القومية ؟ وأي لغو وعبت بعد هذا
نقد فيه أوقات أبنائنا وعقولهم ، ونضيع
فيه مواهبهم ، واستعداداتهم في زمن أصبح

محمود فرج العفدة

المدرس بجامعة الأزهر

لسان حال اللغة العربية

وما ضقت عن آي به وعظات
وتنسيق أسماء لاختراعات
فهل سألوا الفواص عن صدقات
حافظ إبراهيم

لم يستفد من سواهم قدر ما فقدوا
أحمد الزين

وسمت كتاب الله لفظاً وغاية
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
أنا البحر في أحشائه الدر كامن

ومن أضع تراثاً من أبوته

نهضة العالم الإسلامي

للدكتور محمد مختار القاضي

وسخروه لمصالحهم المادية إلى أن أصبح خطاما، وهظاما نخرة، حتى إذا ما هم برفع رأسه هددوه بالحديد والنار والخراب والدمار.

وكان هذا العالم الإسلامي يخشى سطوة العالم الغربي وحده وفاره ويحسب ألف حساب لتهديده ووعيده.

وكان زعماء المسلمين المخلصين في حاجة إلى رأى مالك الحزين ليكشف لهم عن حقيقة قوة الثعلب الغربى، ويقنعهم بأن هذه القوة ليست سوى تهديدات لا تضر ولا تنفع.

وانتظر العالم الإسلامى زمنا طويلا دون جدوى، ولا طائل. إلى أن أعلن الرئيس العربى جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس، وأعلن الفرسان الثلاثة حرب بور سعيد سنة ١٩٥٦ وما صحبه ذلك من استيلاء مصر على القاعدة البريطانية، وبذلك قطع ذيل الأسد البريطانى فولى هاربا إلى غير رجعة، منسجبا من مصر ومن ورائه المروضة الفرنسية، واللبوة الإسرائيلية.

لقد كان هذا التاريخ نهاية عهد غامض، تكتمفه الرهبة والفرع من ذلك الأسد الذى

يحضرنى وأنا أكتب هذا المقال قصة وردت فى كتاب كلية ودمنة، فى باب الحمامة والثعلب، ومالك الحزين.

ومؤدى هذه القصة: أن حمامة كانت تفرخ فى رأس شجرة، حتى إذا كبر فراخها، صار يأتها ثعلب فيقف فى أصل الشجرة، ثم يصيح بها ويتوعدا لتلقى إليه فراخها فتلقاها، خشية أن يصعد إليها فى كل فراخها، ويأكلها هى أيضا. وفى ذات يوم شككت إلى مالك الحزين ما هى فيه، فنصحها ألا تلقى فراخها للثعلب، فإذا صعد إليها، ولن يصعد أبدا، طارت هى ناجية بنفسها، وخلفت فراخها للثعلب، ولن تخسر شيئا، ففراخها مأكولة هى كل حال. فلما أخبر الثعلب بمقالة مالك، لم يستطع أن يصعد، وأمنت الحمامة، وفراخها بقية أيام حياتها.

هذا بعض ماورد فى كتاب كلية ودمنة، وهو قول ينطبق على قصة العالم الإسلامى وصلته بالعالم الغربى الذى استغل المسلمين واستعمر بلادهم أكثر من قرن من الزمان.

لقد استغل الأوروبيون العالم الإسلامى

الشيخ كان رجلاً صاحب دجل ، ونصائباً ذا حيل ، وأنه كان يركب الأسد ليخيف به الناس ، وهو أشد منهم خوفاً ورعباً ، فما أن انقطع ذيل الأسد حتى هرب ملقياً بأصحابه في الرغام ، وما أن ظهرت للناس حقيقة قوتهم حتى بدوا يتألبون عليهم دولة في إثر دولة وشعباً في إثر شعب .

فهذا الانجليزى إيدن الذى أسقط ألمانيا في الحرب العالمية الثانية قد لقي مصرهه السياسى على يد الرئيس العربى جمال عبد الناصر .

وهذا ديجول الذى كان له شرف احتلال ألمانيا في الحرب ذاتها ، فقد شرفه العسكرى عند ما فقد درة الامبراطورية الفرنسية و الجزائر ، على يد أحمد بن بيللا .

ولست أريد أن أعدد ما فقده الانجليز والفرنسيون من مستعمراتهم الإسلامية ، فهذا يريد وقتاً أطول وورقاً أكثر مما تستوعبه هذه الصحيفة ، ولكنى أريد أن أقول : إنه أينما تولوا قُثم وجهه من أوجه النهضة الإسلامية .

لقد انقشع كابوس الإستعمار ، وما بقى إلا أن يتقرب أهل هذا الوطن فلوله المتناثرة وجيوبه المستترة ، وأن يشدوا على رقبتهم وأن يأخذوه أخذ عزيز مقتدر . وقد بدأ ذلك يحدث فعلاً ، وإن هذه

كان الاستعمار الأوروبى يخيف به الجانب الشرقى من الكرة الأرضية عامة ، والوطن العربى الإسلامى خاصة .

وكان هذا التاريخ نفسه بداية عهد جديد انكشفت فيه حقيقة التهديدات الغربية فأصبحت سافرة للعيان ، لا غموض فيها ولا لبس ، وانكشفت الأعياب الاستعمار الغربى فلم تصبح لغزاً فى نظر الشرق ؛ ولا معجزة من عند الله .

فإلى هذا التاريخ كان الناس جميعاً يعتقدون أن تحت القبة الغربية شيخاً باتعاً سره ، نافذا أمره فى جميع منطقة الشرقين : الأوسط والأقصى وأن هذا الشيخ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .

وكانت هذه العقيدة راسخة فى عقول الناس كالطود الثابت ، تأخذ عليهم جميع تفكيرهم ثم تنتهى بهم إلى اليأس القاتل .

وكان هذا الشيخ الغربى يعوذ نفسه تارة بالإنذارات الصارمة ، وتارة أخرى بتحركات الأساطيل فى البحرين ، وثالثة بأزيز الطائرات فى السماء الصافية فى البلاد العربية والإسلامية فترجف قلوب الفناء والأطفال ، وتهتز عروش الأمراء والملوك حذر الموت ، أو الحرمان أو الطرد وما شابه ذلك :

ولكن حرب بور سعيد أثبتت للعالم الشرقى عامة ، والعربى الإسلامى خاصة أن هذا

وجوية يحتاج العالم الغربي أن يتحالف مع أصحابها ليظفر بالأمن والدعة ، وإن حسن استقلال هذه الموارد والسيطرة عليها يعطينا من القوة أكبر مما تعطى القنبلة الذرية والهيدروجينية ، والميكروبية ، وقنبلة الكوبلت معا ، ذلك بأن وسائلنا هي للبناء والإشياء ، ووسائلهم للهدم والدمار . وأما عندهم فقد كشفنا أنهم - وإن سمو أنفسهم حلفاء في الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية - فإنهم لا يملكون من صفة الحلفاء إلا مظاهر مؤقتة تدفعهم إليها الحاجة عند الحروب الكبرى ، فإذا انتهت الحرب عاد الحلفاء أعداء يترص بعضهم بالبعض ، ويكيد بعضهم لبعض وقد رسم لهم هذه السياسة ما كفافيلي منذ أكثر من قرن في كتابه الأمير .

ولم يكن ما كفافيلي هذا يجتهداً ، ولا مجدداً وإنما كان مؤكداً لأخلاق سبقت ، وعادات عرفت منذ الحروب الصليبية ، وإن هذه المدنية الغربية التي تفخر بالكهرباء والذرة وإخضاع البر والبحر والجو ، تعجز في الحقيقة عن تحقيق شيء من المثل العليا .

فالاستعمار ذاته هو أكبر عار في جبين المدنية الغربية ، وهذه الحروب العالمية في كل ربع قرن ، والحروب المحلية الدائمة أكبر دليل على الوحشية الغربية ، وهذا

المؤتمرات التي تعقد في الوطن الإسلامي لدليل على أن القوم عندنا قد غيروا ما بأنفسهم ، وأنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ودليل على اقتناع العالم العربي الإسلامي أن التهديد الذي كان يقع على رؤسهم ، وهرشهم كان تهديداً لا يخفى تحته قوة حقيقية متساندة الأركان ، وإنما كان مجرد ألعاب سحرية لا تبهر إلا الأطفال أثناء طفولتهم ، فلما كبروا عرفوا أن قوة الساحر ليست مستمدة من قوة إنس ولا جان ، وإنما هي خفة يد لم تلبث أن تبينت تحت الفحص الدقيق .

من كان يعتقد أن العالم العربي يجتمع بملوكه ورؤسائه أكثر من مرة ليرسم طرق الدفاع عن السكبان العربي ، وينفذها على الفور متحدياً أكبر الدول الاستعمارية في العالم الغربي ؟ ماذا تغير في العالم العربي ؟ أنا لا أعتقد أن قوتنا العسكرية قد وصلت أو قاربت القوة العسكرية لحلف الأطلنطي ، ولكن الذي تغير هو طريقة التفكير التي أدت بنا إلى كشف الأفكار الخاطئة عندنا وعند خصومنا

أما عندنا فقد انتهينا إلى كشف سر نجاح الشعوب ، إنه لا يمكن في القوة العسكرية وحدها ، ولكن للنجاح طرقاً أخرى غير القوة العسكرية .

إننا نملك موارد ، وطرقاً برية وبحرية

بالحياة لا تجدها إلا في الجانب الشرقى من هذا العالم ، وهى قيم لا تزال سليمة لم يداخلها زيف ، ولا دنس ولم يلوثها وجس المادة وأوزارها .

لقد بدأت هذه القيم الروحية دورها وهى الآن تتجمع وتشتد وتتكتل ، وعندما تصل إلى متنهاها سوف تنقضى لتعود البشرية إلى امتنها العالم الغربى قرونا منذ أن تسلم قيادتها من العالم الإسلامى أو آخر العصور الوسطى ، فلم يحسن هذه القيادة وألنى بالبشرية في حالة من الاضطراب والقلق تدعو إلى الأسف المرير .

دكتور محمد مختار الفاضل

التمييز العنصرى الذى تجده في أكبر الدول الداعية إلى المساواة ، والمتبنية لحقوق الإنسان أكبر مظهر من مظاهر الردة إلى البربرية القديمة .

ما أعتقد أن هذه المدنية الزائفة سوف يطول عمرها ، لأنها قد قاربت الشيخوخة وإن تجملت بالأصبغة ، والماسحيق ، والحقن لتظهر أمام العالم بمظهر الشباب . والشباب ولى إلى غير رجعة .

سوف يتقهقر العالم المادى لأن رسالته في الحقيقة لا تصلح لإقامة حياة سعيدة .

وهنا يجب أن ينهيا العالم الروحى ؛ ليقود ركب الحضارة ، وينير الطريق أمام بنى الإنسان وإن القيم الروحية النابضة

مصر والقضية العربية

سألقى فنان صهيونى : لماذا يهتم المصريون بمشاكل العرب... ؟
فاستغربت سؤاله ، ولم أكنتمه أنه سؤال غريب ، فعاد يعال : وما وجه الغرابة فيه ؟
قلت : وجه الغرابة فيه أنك تنظر الاهتمام من يهود أمريكا بجاهة الوطن القومى في فلسطين ، وتحسبه من الأمور الطبيعية التى لا تحتمل السؤال والاستفسار والكنك تستغرب من العرب المتجاردين أن يهتم بعضهم ببعض ، وهم مضطرون إلى هذا الاهتمام ؟

عباس محمود العقاد

ليلة الإسراء والمعراج

للأستاذ أحمد حنفي نصار

عليه وسلم في ليلته الغراء - وهو دابة، أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى بصره - فركب الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وجبريل عليه السلام من حوله في سفرته. فرأى في صراه من آيات ربه ما رأى، حتى وصل إلى المسجد الأقصى المبارك فزل عنده، ثم دخل المسجد حيث جمع الله له إخوانه الأنبياء، وقدمه جبريل عليه السلام عليهم فصلى بهم إماماً، ولا عجب فهو المحتفى به وهو خاتمهم، وأكرمهم على الله في الدنيا والآخرة، وصاحب الشريعة القائمة العامة. الحكامة الدائمة. وأتمته خير أمة أخرجت للناس.

وإذا كان الله قد كلم موسى عليه السلام فقد كان موسى في أرض سيناء على جبل الطور عند المناجاة، ولم يرق إلى السماء ولما طلب الرؤية أخبره الله بأنه لن يراه كما يفهم من قوله تعالى: «ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر

أراد الله العلى الكبير أن يمنح رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من واسع فضله وأن يكرمه بمشهد من عليه خلقه فكانت الليلة المشهودة، وهي ليلة الإسراء والمعراج. وقد وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم، وهو في السمة الحادية والخسين من عمره المبارك، قبل هجرته عليه السلام بنحو ثلاث سنين.

وكان الله الذي عصمه ورماه، أراد أن يخفف عنه المتاعب النفسية التي خلفتها الأعباء الجسام التي ناء بها أكثر من عشر سنين، وهو يواجه قومه برسالة ربه مع هنتهم ولجاجهم العنيف، وأن يشرح صدره ويزيده قوة روحية، وثباتاً نفسياً، ولكي يعلنه بما يدهلى قدره عنده، ومكانته العالمية لديه، فتطيب نفسه، ويعلم من قلبه بما يرى من آيات ربه الكبرى.

أسرى به الله ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجاءه جبريل عليه السلام ومعه البراق؛ ليكون مطية الرسول صلى الله

لغيره من النبيين ، وناهيك بملك المعجزة الكبرى التي غطت على كل معجزة وهي القرآن الكريم ، القائم شاهد عدل على كمال شريعته ، وصدق رسالته ، محفوظا كما أنزل بإقيا منار هدى على تعاقب الأيام واختلاف العصور إلى يوم الدين .

هذا وما استقر المقام بالرسول صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس ، حتى عرج به إلى السموات السبع فرقى فيها ، والملائكة يرحبون بمقدمه في كل سما ، ماراً بالأنبياء على منازلهم حيث وجدوا من السموات حتى وصل إلى سدرة المنتهى .

وكثير من السادة العلماء الذين تكلموا عن الإسراء والمعراج يفرقون بينهما في أدلة الثبوت وما يترتب عليه من أحكام فيقولون : إن الإسراء قد ثبت بصريح القرآن في أول سورة الإسراء إذ يقول الله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لغريبه من آياتنا لأنه هو السميع البصير ، ولكن المعراج المغير قد ورد ذكره في السنة النبوية الصحيحة فحسب .

ولست أدري لم هذه التفرقة ؟ وكيف أغفلوا النظر في قول الله تعالى في سورة النجم « واقدرا نزهة أخرى . عند سدرة المنتهى

مكانه فسوف ترائى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا . .

وإذا كان عيسى عليه السلام قد طلب مأثرة تنزل من السماء ؛ فاستجيب له ، فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد نبع الماء من بين أصابعه ، وبارك الطعام القليل فكفى الكثير حتى شبعوا وبقي من الطعام فضل .

وإذا كان عيسى عليه السلام قد أحيا الموتى بإذن الله فلم يك ذلك خصوصية له فقد سبقه إلى مثله إبراهيم عليه السلام بإحياء الطير كما يفهم من قوله : « قال نخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيًا ، وكذلك عادت الحياة إلى قتيل بنى إسرائيل لما ضرب ببعض أجزاء البقرة بأمر الله في عهد موسى قبل مبعث عيسى عليهما السلام « فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلمكم تعقلون . .

وحقا إن ما كان للأنبياء قبل محمد عليهم السلام من معجزات ، له قدره وخطره في تأييد الله إياهم لكن ذلك لا يرقى إلى الإكرام السامى الفريد الذى كان لمحمد صلى الله عليه وسلم بالإسراء والمعراج ؛ لأنه تشریف لذاته ، وبما أجرى الله له من معجزات أخرى حسية ومعنوية متلاحقة لم تجتمع

إياه ، واستضراؤهم عليه . حتى إن جماعة من كانوا قد أسدلوا ارتدوا . ويؤخذ من هذا أنه عليه السلام أخبرهم : بأنها رؤية بصرية رآها في يقظته ، وإلا لما كذبه أحد ؛ لأن من يرى في المنام الخوارق ما يكذبه أحد ولا ينسکر عليه .

والله تعالى قد بدأ الإخبار عن الإسراء بالتسليم ، والتسليم لا يكون إلا في الأمر العظيم الخطير ، ولو لم يكن الإسراء بقظة ما كان أمراً عظيماً . كما أنه جل جلاله قال : أسرى بعبد ، والعبد يطلق على الشخص بجزأيه الجسم والروح معاً . ولفظ العبد ورد في القرآن الكريم ، وهذا المعنى متعين له فقد قال الله تعالى : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، والكتاب أنزل عليه بقظة كما قال تعالى : وأريت الذي ينهى عبداً إذا صلى ، والصلاة وقعت من الرسول بقظة ، ومن نهى عن المشركين نهى بقظة . فيكون الإسراء على ذلك قد وقع له عليه السلام بقظة ومن هنا لابد أن يكون كذلك بروحه وجسمه معاً .

وظاهر أن هذا التكريم الإلهي من خصائص الرسول الأعظم ، ومن أعلام نبوته ، وأن المقصود المتعين منه أن يريه الله من آياته الكبرى لا مجرد قطع المسافة من مكة إلى بيت المقدس

عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى . وهذه الآيات تبين لنا بوضوح أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها عند الشجرة أعلى السموات حيث ينتهى علم الخلائق ، وعندها جنة المأوى إذ يغشى الصدر من الأنوار ما شاء الله أن يغشى . فكيف يتصور أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم تلك العجائب وهي أعلى السموات دون عروج ورقى إلى تلك الآفاق السامية ! وهل بعد هذا يمكن أن نفرق بين الإسراء والمعراج في الثبوت ، وما يبنى عليه من أحكام ، خصوصاً مع ما ورد من ذكر المعراج مفصلاً في الحديث النبوي المبسوط في الكتب الصحاح ؟

ثم عاد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد جولته في السموات إلى بيت المقدس ، ومن ثم رجع إلى مكة المكرمة بعد أن رقى أعلى المنازل ، وسما فوق كل الدرجات ودخل الجنة ورأى ما فيها ، وغشى بالأنوار . ووقف حيث سمع صريف الأفلام ، وانحسرت عنه كل العوالم من ملك وإنس وجان .

فلما أصبح في قومه أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته ، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم

صلى الله عليه وسلم أعظم من ذلك .
ولم يحصل مثله لسليمان ، ولا لغيره من النبيين
عليهم السلام .

وبذلك يكون ما آتى الله محمداً صلى الله
عليه وسلم ليس للجن والإنس قدرة على مثله
ولا يستطيع أحد التلبس على الناس فيه .
ولمّا هو تكريم الهى كبير الدلالة على أنه
عليه السلام قد بلغ النهاية من الرعاية والحب
والرضوان ، ذلك الفضل من الله وكفى
بالله علماً .

أحمد حنفي نصار القوصى

تعليق ...

ينبغى أن يلاحظ أن كل المعجزات التى
ظهرت على يد الأنبياء من عمل الله لا من عمل
أحد سواه . فليس لنبي يد فى الخوارق التى
ظهرت على يديه ، وفهرت الخارجين عليه ،
وقد عرض شوقى لهذا الموضوع ؛ فقارن
بين القرآن ، وبين غيره من المعجزات التى
ظهرت على يد الأنبياء وقال :

جاء النبيون بالآيات فانصرفت

وجئنا بحكيم غير منصرم

آياته كلما طال المدى جدد

يزينهن جلال العتق والقدم

والجملة ،

إذ ليس هذا فى ظاهره بالامر العجيب
المعجز ؛ لأنه يقع لمن تحمله الجن ، وقد قال
العفريت لسليمان عليه السلام ، أنا آتيك
به قبل أن تقوم من مقامك ، . وحمل عرش
بلقيس من قصرها فى اليمن إلى مستقر سليمان
عليه السلام بفلسطين ليس أقل من ذلك مع
فارق بسيط : هو أن الجن وإن قدروا على
أن يحملوا بعض الناس ، ويطيروا بهم
فى الهواء من مكان ؛ إلى مكان فإن المحمول
لا يدرك كيف حمل ، ولا يستطيع أن يدرك
شيئاً عما يمر به ، وهو محمول ، وهذا فى الإسراء
فى جو الأرض ، وأما المعراج : فإن الجن
لا يقدرون إطلاقاً على إصعادهم إلى السماء
وراءهم آيات الله فيها ، ولا حفظ حياتهم
بعد جـو الأرض المتعين بهوائه لبقاء
حياة البشر .

وكذلك قال الذى عنده علم من الكتاب
لسليمان عليه السلام ، أنا آتيك به قبل
أن يرتد إليك طرفك ، وهذا أبلغ من قطع
المسافة التى بين المسجدين فى ليلة أو بعض
ليلة .

ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل من الذى
عنده علم من الكتاب ، ومن سليمان عليه
السلام فلا بد أن الذى خص الله به محمداً

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العمّار

- ٢ -

إن الدين عند الله الإسلام :

حين كنت في هيئة تحرير مجلة الأزهر عرض علينا بحث عنوانه (دين الله واحد) وقد أثار كاتبه أن يقدمه غفلا من التوقيع . ونظر فيه أحد الزملاء فما كاد ينتهي من قراءة المقدمة ، حتى ألقاه أمام رئيس التحرير ، وقال : إن هذا البحث كتبه مبشر جامح .

ولكن كاتب هذا المقال راق له أن يتم قراءة البحث ، حتى إذا رفض نشره كانت في يده (حبيثات الحكم) ، ثم إنه رغب أن يعرف ما يقوله هؤلاء الذين يبشرون بالمسيحية من غير أهلها ، فقد كان على يقين أنه لم يكتبه رجل من رجال الدين المسيحي ، وإنما كتبه أحد الكتاب المسلمين

وفعلا قرأت البحث بإمعان ، وكتبت على هوامش النسخة تعليقات تبين ما فيه من أخطاء علمية ، وما يتضمنه من انحراف في العقيدة .

وكنيت أظن أن صاحب هذا البحث

- إذا كان معتداً بعقله ودينه - لن ينشره حتى يصلح من أخطائه ، ثم علمت أن البحث قد نشر ، وتبين أن مؤلفه ليس مبشراً جاهلاً - كما حدس زميلنا - وإنما هو رجل مسلم يلبس العمامة ، ويرتدى الجبّة والقفطان .

وقد اعتزمت أن ألزم الصمت حيال هذا الكاتب ، فربما كان الجدل حوله أحد الأهداف التي يقصد إليها المؤلف من نشره . وسكت .

غير أن أحد الكتاب الغيورين كتب منذ أسابيع فصلاً في مجلة الرسالة أبان فيه عما رآه في الكتاب من انحراف ، ومع حرص الكاتب على التقصى ، ومقارعة الحجة بالحجة ، فقد فاتته أشياء ذات بال ، فرأيت أن الواجب يقتضي - وقد علم بعض القراء شأن هذا الكتاب - أن أكتب هذه الكلمات ، وأعتقد أن فيها فائدة للمؤلف - وإن لم ينتفع بما كتبت على هوامش البحث من قبل - وفائدة لأولئك الذين

على شيء غير اتباع أحكام هذه الأركان ، وإقامة أصولها ، فقد حكم بأن مثل هذا فاز برضوان الله - هكذا من غير تقييد بشيء .

والمسلمون يؤمنون بالله ، ورسوله جميعاً ، وبكل كتبه المنزل ، وباليوم الآخر ، فهم غير محتاجين لهذا القانون الذي وضعه المؤلف واليهود غير متفهمين به أيضاً لأن المؤلف نبذهم بقوله في ص ٧٦ ، (ولا يفوتنا أن نبين أن كلامنا عن اليهود - هنا - ليس على إطلاقه ، وإنما نقصد به اليهود الذين اتبعوا موسى عليه السلام بحق ، وآمنوا بتوراته الصحيحة التي أنزلها الله إيماناً صحيحاً ، وأخذوا أنفسهم بأدائها ، وأعمالها أخذاً صادقاً) .

فلم يبق إلا المسيحيون غير مقيدين بإيمانهم بما جاء به عيسى إيماناً صحيحاً ، ولا يشك من يقرأ هذا الكتاب : أن المؤلف وضعه لهذا ، فكل فصوله تدور حول هذه الفكرة الذهبية .

ولعل من أول الدلائل على ذلك أن المؤلف استشهد بكل ما جاء في القرآن مصداقاً للإنجيل ، ولم يذكر حرفاً واحداً عن تعريف الإنجيل ، مع أن القرآن ذكر ذلك صراحة في أكثر من آية .

وقبل أن نناقش المؤلف في دعاواه التي

يشجعونه على مثل هذا البحث ، فإن في البحث تقريراً بهم في عقيدتهم ، وفي هذا البيان إرشاد إلى الطريق القويم الذي يتحتم عليهم أن يسلكوه ؛ حتى يكونوا عند الله من الناجين .

يقوم الكتاب على فكرة واحدة ، أهلها المؤلف في صراحة ، ثم راح يدور حولها في كل فصول الكتاب

قال المؤلف : (فكل من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويعمل صالحاً فهو ناج بفضل الله - إن شاء الله - ؛ ذلك بأن هذه الصفات الثلاث هي أركان الدين الأساسية على لسان كل رسول ، فمن اتبع أحكامها ، وأقام أصولها - من أي دين كان - فاز برضوان الله ، ومن أخل بشيء منها ، واتبع هواه فأفسده إذن إلى الله ، إن شاء رحمه ، وإن شاء عذبه ، وهو - سبحانه - غفور رحيم لا يسأل عما يفعل) .

ومعنى هذه العبارة أن الإيمان بالرسول ، والكتب المنزل ، ليس ركناً من أركان الدين ؛ لأنه حصر الأركان في تلك الثلاثة : الإيمان بالله ، والإيمان باليوم الآخر ، والعمل الصالح .

والمؤلف قد جعل النجاة - أولاً - بفضل الله إن شاء ، ثم جعلها - ثانياً - غير متوقفة

القوانين الوضعية بين الفينة والفينة ... وهذا الأمر قد تركه الله للناس - كما قال أستاذنا الإمام محمد عبده - وفي ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم : أنتم أعلم بأمر دنياكم .

ولا أدري ما الدافع القوي الذي يدفع بعض من يريدون أن يتحموا أنفسهم في الحديث عن التشريعات الإسلامية إلى أن يقولوا ، ويكرروا القول أن (المعاملات) لا تدخل في نطاق التشريع ، وهم - بالطبع - يريدون التشريع الإسلامي ١٩

إن (المعاملات) كلمة اصطلاحية ، وضعها فقهاء المسلمين لما يجرى بين الناس من شئون الحياة كالبيع والرهن ، والشفعة ، والهبة ... وما إلى ذلك . فهل هذه من شئون الدنيا التي تركها الرسول للناس ؟ . وهل خلا القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف من بيان أحكامها ؟ ، ليست هذه المعاملات متروكة للناس يقولون فيها بأهوائهم ، وإنما وضعت الشريعة الإسلامية أصولاً لكل هذه الأمور ، فأخرجها عن دائرة الشريعة لا يؤدي إلا إلى دفع حكم الله عنها ، وترك الناس يسرون فيها كما يشاءون .

وإذا كانت المسيحية لم تعن ببيان أحكامها ، لأنها - كما هو معروف - إنما جاءت للحد من طغيان الماوية اليهودية ، فأهملت هذه

أوردها في الكتاب نحب أن ننهبه إلى حقيقة اثنتين في هذه الكلمة التي نقلناها في أول هذه الكلمة :

الحقيقة الأولى : كيف يتم الإيمان بالله دون أن يؤمن الإنسان بكل ما يصدر عنه ؟ .

والحقيقة الثانية : يقول : ومن أخل بشئ منها فأمره إلى الله إن شاء رحمه . . إلخ ومن هذه الثلاث (الإيمان بالله) فعنى كلامه أن من أخل بالإيمان بالله ، أى كفر به - سبحانه - فأمره إلى الله إن شاء رحمه ، وإن شاء عذبه ، وهذا يخالف لنص محكم صريح من نصوص القرآن ، وهو قوله تعالى : **« إن الله لا يغفر أن يشرك به ، والمؤلف يعرف حكم من ينكر نصاً صريحاً من فصوص القرآن الكريم .**

ثم نأخذ في مناقشة المؤلف في كل ما جانب فيه الحق والصواب :

فرق المؤلف بين العبادات والمعاملات ، فجعل الأولى من وظيفة الرسل ، أما القول في الثانية فلا شأن للرسل به - كما زعم - ومن ثم فلا تتعلق بها التشريعات التي جاءت بها الأديان وفي ذلك يقول : (أما أحكام الحياة ونظمها - وهو المعبر عنه (بالمعاملات) - فإنه يتغير بتغير الزمان ، وأحوال الناس ، وطبائعهم ، وطرائق معاشهم ، كما تتغير

عالمنا حكماً متصفاً بما أوجب الدليل بأن يتصف به .

وكيف يقصد الشيخ محمد عبده إلى التعصيم ، واه يقول : « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً فوهان مقبوضة » ، ويقول : « يا أيها الذين آمنوا إذا تدانتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، وهذه الآية هي أطول آية في القرآن ، وقد جمعت كل ما يتعلق بكتابة الدين ، ويقول : « وابتلوا اليتمى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ... الآية » .

والميراث : « هو من العبادات أم من المعاملات ؟ وغير ذلك كثير في القرآن الكريم ؟ ينبغي أن يكون عند الذين يقولون فيما يتصل بالتشريع الإسلامى شئ من الحياة .

ويرى المؤلف - وهذا هو جوهر البحث - أن لكل واحد من أصحاب الأديان أن يؤدي عبادته على الصورة التي بينها دينه ، إن في معبده أو في بيته ، أو في خلوته ، أو في أى بقعة من الأرض ، فأينما تولوا فثم وجه الله . وهذا الكلام يحتمل وجهين :

الأول : أن يكون المؤلف قصد أن كل ذى دين من حقه أن يعبد الله على الطريقة التي نهجها له دينه ، لا حجر عليه في ذلك ،

الشئون إلهالاً تاماً - فإن الإسلام جاء للدين ، وللدنيا .

وقد استعان المؤلف في خبطه ، وخطه بكلام الشيخ محمد عبده .

فأولاً : ليقول الشيخ محمد عبده ، ومن هو أفقه من الشيخ محمد عبده ما شاء ، فإننا لا نأخذ ديننا من هذا ، ولا من ذاك ، وإنما نأخذ من مصادره الأولى ، وهي معروفة غير مجعولة .

والمعاملات الإسلامية التي تكلم فيها الفقهاء مصحوبة بأدلتها من الكتاب والسنة ، والقياس والإجماع من صميم الشريعة ، وليست كتابير النخل ، تلك الحادثة التي ورد فيها قول الرسول العظيم : أنتم أعلم بأمر دنياكم .

وثانياً : كلمة الشيخ محمد عبده لا تعنى المعاملات المعروفة ، ولا أظن الشيخ رحمه الله خطر بباله أن يخرج المعاملات عن حكم الشريعة ، وهذه هي كلمة الشيخ : (وأما تفصيل طرق المعيشة ، والحدائق في وجوه الكسب ، وتداول شهوات العقل إلى ذلك ما أعد للوصول إليه من أمرار العلم ، فذلك بما لا دخل للرسالات فيه إلا من وجه العقلة العامة ، والإرشاد إلى الاعتدال فيه ، وتقدير أن شرط ذلك كله أن لا يحدث ريباً في الاعتقاد بأن للكون إلهاً واحداً قادراً

بها جواز الاستغفار لا للنصراني فحسب ،
بل للكافر أيضا :

فينقل - أولا - عن الحسن : قيل
يا رسول الله إن فلانا يستغفر لآبائه المشركين
فقال : ونحن نستغفر لهم .

وعن علي : رأيت رجلا يستغفر لأبويه ،
وهما مشركان ، فقلت له ، فقال : أليس قد
استغفر إبراهيم لأبيه ؟

وينقل - ثانيا - عن الزحشرى في الكشف
أن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ، ألا ترى
إلى قوله عليه السلام لعنه : لاستغفرون لك
ما لم أنه عن ذلك .

ويقول - ثالثا - إن النصراني من بني آدم ،
واقه يقول : « يا بني آدم أما يأفئكم رسل
منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

فكل من يتقى ويصالح فلا خوف عليه ،
والأساس الأول هو التقوى ... هكذا قال
- هداه الله - .

أما - أولا - فال مؤلف تجهل مسألة
(استغفار النبي للمشركين) فذكر أولها ،
وترك آخرها ، ولو أنه كان أميناً لاثبت
هذه الآيات : « ما كان للنبي والذين آمنوا
أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى
قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب
الجحيم » ، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه

ولا تقييد لحريته ، وهذا أمر لا يخالف
فيه ، فإن الإسلام أمرنا بأن نترك أصحاب
البيع والكنائس يؤدون شعائر دينهم ،
ولا نتعرض لهم فيها .

الثاني : وهو الذى يفهم مما كتبه المؤلف
بعد ذلك - أن لكل ذى دين أن يؤدى عبادته
على الطريقة التى رسمها دينه ، ولا يطلب منه
أن يؤدى شعائر الدين الجديد ، وهو يقصد
- كما هو ظاهر - أن المسيحي غير مطالب
بأن يؤمن بالإسلام ، ولا أن يؤدى
شعائره ، فإن قياسه بشعائر دينه يغنيه
عن ذلك .

ومعنى هذا إنكار عموم الشريعة المحمدية ،
ومصادمة الآيات القرآنية الصريحة التى
تدعو كل البشر إلى أن يؤمنوا بالقرآن
وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبأن يدينوا
بدين الإسلام .

وسنترك الكلام فى هذا المقصد إلى موضعه
الذى هو أليق به من حديثنا هذا .

ويسوق المؤلف (حكاية) خلاصتها
أن بعض رجال الدين استنكر أن يقول
أحد المحامين الشرعيين فى محام قبطى مات :
رحمه الله . ويفضض المؤلف لذلك ، ويقول :
إذا كان حكمكم على الكافر صحيحا ، فإن
النصراني ليس بكافر ، ويمنح إلى أدلة يؤيد

فما قول المؤلف في هذا الكلام الواضح، الحاسم القاطع؟ أعتقد أنه إذا سمح لنفسه أن يغفل بعض آي القرآن، فلن يسمح لها أن تغفل كلام السيد رضا، لأنه يأخذ منه في كثير من الآراء.

وصفت له فيما يأتي من حديث: أن هؤلاء الذين يطلب لهم الرحمة كفار بنص القرآن ولكن نبادر فنذكره بقوله تعالى: «لقد كفر الذين قالوا إن الله سبجانه»: «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة».

وقد جاء في سبب نزول الآية (ماكان للنبي) روايات، ومنها - كما ذكر صاحب الكشف وصححه - أن النبي لما فتح مكة سأل أي أبويه أحدث به عهداً؟ فقيل: أمك آمنة؛ فزار قبرها بالأبواء، ثم قام مستعبراً، فقال: إني استأذنت ربي في زيارة قبر أي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي، فنزلت.

وقيل في سبب النزول: قال المسلمون: ما يمنعنا أن نستغفر لأبائنا، وذوي قرابتنا، وقد استغفر لإبراهيم لأبيه، وهذا محمد يستغفر لعمه فنزلت.

وإن تعجب فعجب ما رواه المؤلف عن سيدنا علي كرم الله وجهه، وحقيقة الأمر أن علياً قال: سمعت رجلاً يستغفر

إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

ولعل قائل يقول: إن المؤلف قد غفل عن هذه الآيات، أو لعله لا يحفظها، ولا يعرف مكانها في المصحف، ولكن لا أدري ماذا يقول هذا القائل إذا علم أن المؤلف نقل كل هذه النقول من تفسير الكشاف، وهين في هاشم صفحة ١٣ من كتابه الجوز - والصفحة من كتاب الكشاف، وفي هذه الصفحة تفسير هاتين الآيتين؟

والمؤلف من المؤتمنين بالسيد رشيد رضا، وهو يتكبر عليه في كثير من بحوثه إذا وافقت رواه، والسيد يقول بالحرف الواحد: (والمراد أنه ليس بما تبيحه النبوة، ولا الإيمان ولا ما يصح وقوعه من أهلها: الاستغفار للمشركين في حال من الأحوال، حتى لو كانوا أولى قربي، ويقول في نفس الصفحة - في تفسير الآيتين المكرمتين - : (والآية - ماكان للنبي - نص في تحريم الدعاء لمن مات على كفره بالمغفرة والرحمة، وكذلك وصفه بذلك كقولهم المغفور له المرحوم فلان، كما يفعله بعض المسلمين الجغرافيين الآن لعدم تحققهم بمقتضى الإيمان، وتقييدهم بأحكام الإسلام، ومنهم بعض المعممين والحااملين لدرجة العالمية من الأزهر).

إبراهيم ، فنقله المؤلف إلى حيث يؤيد به
مزعما من مزاعمه .

والعجب - أيضا - كيف ساق المؤلف
قول النبي (ما لم أنه) ولم يذكر أن الآية
نزلت تنهاه عن الاستغفار لأحد
من المشركين .

وأما - ثالثا - فامعنى التقوى التى يسلم
بها (البنى آدم) من الخوف والحزن ؟ .

أمن يدهى أن لله ولدا : أو أن الله ثالث
ثلاثة هو عن اتقوا وأصلحوا ؟

أمن جاءه دين من الله يدعو به إلى أن يؤمن
بالله وبرسله وكتبه فضرب بكل ذلك عرض
الحائط بمن اتقوا وأصلحوا ؟

ومن كل ما تقدم يدرك القارىء بوضوح
أن المؤلف عمد إلى المغالطات ، وإلى اقتضاب
النصوص ليدعم دعاواه .

وموعدنا معه فى آرائه الأخرى التى حشا
بها هذا السكتيب أحاديث قادمة إن شاء الله .

على العمادى

لوالديه ، وهما مشركان فذكرت ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله : **وما كان
لنبي .**

وأما - ثانيا - فن قال للمؤلف : أن أحكام
الإسلام يتحكم فيها العقل وحده ، ولكى يقين
للقارىء مدى أمانة المؤلف ونقل له عبارة
الكشاف التى اقتضها المؤلف اقتضابا ،
إن الزمخشري كان يفسر الآية الثانية ،
(وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) فأورد
سؤالا ، وأجاب عنه ، قال : فإن قلت :
كيف خفى على إبراهيم أن الاستغفار للكافر
غير جائز حتى وعده ؟

قلت : يجوز أن يظن : أنه ما دام يرجى منه
الإيمان جاز الاستغفار له ، على أن امتناع
جواز الاستغفار للكافر إنما علم بالوحى
لأن العقل يجوز أن يخفى الله للكافر .

فالمؤلف قد ألقى الجزء الأول من كلام
الزمخشري ، واكتفى بالجزء الثانى الذى
أراد به ذلك العالم الجليل أن يعتذر عن

قال تعالى :

واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك . فإن تولوا فاعلم أنهما يريد الله أن
يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون .

من سيم العلماء وسيفهم بالعلم

لدؤستاذ محمود الرقار

فيوتن العالم ويقدره ، ولكنه يحب العلم والحقيقة أكثر مما يحبه ، فيكشف عن خطأ زميله ونقص نظرياته ، ثم يأخذ الحياء ، ويغلبه الأدب فيكتب - بعد التصحيح والتوضيح والتسكلة - : معذرة يا نيوتن . كما أننا يجلس في مجلس سلفه وأستاذه ؛ فيعذر من جراته عليه ، كما يفعل التلميذ في حضرة شيخه .

هذه قصة قرأتها ، وأعجبت بما فيها من معنى التواضع الذي هو صفة لازمة من صفات العلماء ، قرأتها وذكرت بها أشباها ونظائر من صفات أسلافنا الأئمة والعلماء وأخلافهم ، أشباها ونظائر من تواضعهم وإخلاصهم للعلم وشجاعتهم ، وفيها تذكرة وعبرة وتكريم . تواضع وكرم نفس :

١ - حكى الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت ، صحابي رسول الله ، وكاتب وحيه ، فدنا منه عبد الله بن عباس فأخذ بركابه ، فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد : أرني يدك ، فأخذها وقبلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيته نبينا .

٢ - وفي تاريخ الإمام الشافعي أنه كان

لاسحق نيوتن : عالم يسجل التاريخ اسمه واحدا من أبرز العقول التي يفخر بها البشر في صورتهم كلها ، كشف عن قانون الجاذبية الأرضية ؛ فكان هذا الكشف هاديا للعلماء في أن يعرفوا حقيقة جديدة رائعة عن عالمنا الأرضي ، وعن قوانين الحياة التي أبدعها الله : الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين .

وابفتين : عقل من جسارة العقول التي اختارها الله وميزها بالفهم والذكاء والقدرة والصبر ، وصل عقله المختار إلى نظرية النسبية ؛ فكانت بداية عصر جديد في تاريخ البشرية ، بنى عليها من النظريات والمخترعات ما يستطيعون به أن يجعلوا حياة الناس كلها دسلا ولبنا - إذا استعملوها في سبيل الرخاء والخير - ويستطيعون أن يشعلوا الأرض كلها حما ولهباً ودمارا إذا أرادوا بها وبالناس شرا ونكرا .

يحققه أينشتين ، نظريات سلفه د نيوتن ، باحثا متحرراً متابعا ، وبين عصرهما قرنان من الزمان ، فمن الطبيعي أن يجد فيها شيئا من الخطأ والنقص ، وأينشتين العالم يحب زميله

- الذى كان يلقب « بسلطان العلماء » ، - إلى مصر ، توقف لإمامها وعارفها الشيخ زكى الدين المنذرى ، صاحب الترغيب والترهيب ، عن الإفتاء وقال : (كئنا نفقى قبل حضوره ، أما بعد ذلك فالإفتاء متعين فيه) .

هؤلاء الصحابة والعلماء ، قد حملوا بقول النبى الكريم : (لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لتماروا به السفهاء ، ولا لتجتروا به المجالس ، فن فعل ذلك فالنار النار) .

وقد أکبر الأقدمون صفة التواضع فى العلماء ورووا فى ذلك أثرا قول (يذنبى للعالم أن يضع الرماذ على رأسه تواضعا لله عز وجل) .

الشغف بالعلم والصبر عليه :

١ - ومن صفات العلماء الشغف بالعلم والصبر على مشقاته ، وفى ذلك نجد لأسلافنا من العلماء مواقف ، وقصصاً تدل على مدى هذا الشغف الذى كاد أن يلبسهم عن كل شئ سوى العلم وعلى مقدار هذا الصبر الذى يتعجب المرء من قدرتهم عليه .

ومن ذا الذى لا يذكر فى هذا المجال شغف الإمام البخارى بجمع الحديث الشريف ، وصبره عليه ، حتى كان يرحل من بلد إلى بلد يسافر الأيام الطويلة ، ويلقى أعنف مشقات السفر سعياً وراء حديث يحفظه ، أو رواية حديث يقابلها ويراجعها على مسمع وحفظ ، وفى ذلك يقول

يمسك زمام البغلة التى يركبها الإمام أحمد بن حنبل ، وأن ابنه تحدث إليه فى ذلك فقال له : هكذا أمرنا أن نكرم العلماء ، وأنه كان يمسك زمام ، هذه البغلة يوما ويمشى خلف الإمام أحمد ، فخرته فى ذلك يحيى بن معين فكان جوابه : يا يحيى لو لزمت البغلة لا نتفعت .

٣ - وعلم سفيان الثورى أن الإمام الأوزاعى - إمام أهل الشام - قدم مكة فلقبه خارجها ، وعرف بعيره من القطار الذى يسير فيه الراكبون ، فحل رأس البعير ، ووضع على وقبته ، وكان إذا مر بمجاعة قال : الطريق للشيخ .
٤ - وفى تاريخ الإمام مسلم ، صاحب الصحيح ، أنه جاء إلى شبيخة الإمام البخارى فقبله بين عينيه ، وقال : دهنى حتى أقبل رجلك يا أستاذ الأساتيد ، وسيد المحدثين ويا طبيب الحديث فى علمه .

٥ - وفى أول القرن السادس الهجرى تولى أبو بكر الشاشى ، رئيس الحافعية فى زمنه ، التدريس فى المدرسة النظامية فى بغداد ، وكان يلى التدريس فيها قبله علماء أعلام كآبى إسحق الشيرازى والغزالى ، فلما جلس للتدريس غلبه التواضع ، وأخلاه البكاء حتى أخرج منه بيله فوضعه على عيفيه ثم أنشد :
خلت الديار فسدت غير مسود

ومن البلاد تفردى بالسود
وعند ما قدم العز بن عبيد السلام

فتود أعضائي أن لها أسماعا تتنعم به مثل ما تنعمت به الآذان ، ف قيل له : كيف حرصك على العلم : قال : حرص الجوع المنوع في بلوغ لذته للبال ، قيل له : فكيف طلبك له ، قال : طلب المرأة المضنة ولدها ليس لها غيره .

٤ - وفي تاريخ الإمام احمد بن حنبل أن الإمام الشافعي نزل عليه ضيفاً ، وكانت بنت الإمام أحمد تسمع أخبار الشافعي من أبيها وغيره ، وتشاق أن ترى مظاهر صلاحه وعبادته ، فطلت ليلها ترقبه فقراه ، مستلقيا على ظهريه ، وأبوها مشغول بذكره وعبادته . فلما أصبح أصبح قالت لأبيها : ما رأيت له في هذه الليلة صلاة ، ولا ذكرا . ونهض الإمام الشافعي ، فقال له أحمد : كيف كانت ليبتك . . ؟ قال : ما رأيت أطيب منها ولا أبرك ، ولا أريج ، لأنني ربت فيها مائة مسألة - وأنا مستلق على ظهري - كلها في منافع المسلمين ، فقال أحمد لابقته : قد رأيت .

٥ - وقال الربيع : - من أصحاب الشافعي - أقام الشافعي في مصر أربع سنين ، فأملأ ألفاً وخمسين ورقة ، وخرج كتاب « الام » ، ألفي ورقة ، وكتاب : « السنن » ، وأشياء كثيرة ، وكان هليلاً شديداً لعله ، وربما خرج الدم وهو راكب ، حتى يملأ سراويله وخفه ، يعني من « البواسير » .

٦ - ومن ذلك ما روى عن « ابن المبارك »

البخاري عن نفسه (دخلت إلى الشام ، ومصر والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات ، وأقت بالهجاز ستة أهوام : ولا أحصى كم دخلت إلى الكوفة ، وبغداد مع المحدثين) .

٢ - وسمع جابر بن عبد الله أن عبد الله ابن أنس - وكان في مصر - عنده حديث حفظه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص ، قال جابر - على ما رواه السيوطي في « حسن المحاضرة » :

(غرجت إلى العراق فاشتريت بعيراً ، ثم شددت عليه رحلاً ، ثم سرت إليه من المدينة إلى مصر - شهرأ ، فلما قدمت مصر : سألت عنه حتى وقفت على بابه ، فسلمت فخرج علي غلام أسود فقال : من أنت ... قلت : جابر بن عبد الله ، فدخل عليه ، فذكر ذلك فقل : قل له : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فخرج الغلام فقال ذلك فقلت : نعم ، فخرج إلى والزمني والزمته وعانق كل واحد منهما صاحبه ، فقال : ما جاء بك يا أخي ؟ قلت : حديث تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص لم يبق أحد يحدث به عن رسول الله غيرك أودت أن أسمعه منك قبل أن تموت أو أموت) .

٣ - ومن ذلك ما روى عن الإمام الشافعي - فيما رواه المزني - قيل للشافعي : ما شهوتك للعلم ؟ ... قال : أسمع بالحرف مما لم أسمع

المنصور أن يأخذه ، وحلف عمرو ألا يأخذه ، فقال من في المجلس له : أيحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ... ؟ قال : لن يحث أمير المؤمنين أيسر من أن أحث أنا ، فهو أقدر مني على كفارة اليمين .

ولما قام الشيخ الشجاع الزاهد قال له المنصور : هل من حاجة فأقضيها لك يا أبا عثمان ... ؟ قال : نعم ، حاجتي ألا تبعث إلّ حقي آتيك ، ولا تعطيني حتى أسألك ، قال المنصور : إذن والله لا نلتقي أبدا ... قال له الشيخ : عن حاجتي سألتني ، وخرج الشيخ فأشد المنصور :

كلكم يمشي رويد

كلكم طالب صيد

غير عمرو بن هبيد

٢ - ومن قصص الشجاعة أن الفضل ابن الربيع - وزير الخليفة هارون الرشيد - شهد عند أبي يوسف - صاحب أبي حنيفة فلم يقبل شهادته . ، وعاتبه الخليفة في ذلك فقال له أبو يوسف : لم أقبل شهادته لأنني سمعته يقول للخليفة يوما : أنا عبدك فإن كان صادقا فلا شهادة للعبد ، وإن كان كاذبا فكذلك ، ومن يفعل ذلك في مجلس الخليفة لا يبالي بالكذب في مجلس القاضي ، وقبل الرشيد عذره وأكبر شجاعته .

عمرو الشرفاوي

وعلى بن الحسن بن شفيق الذي يقول : قص مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد ، فذا كرفي عند الباب بحديث ، وذا كرفته ، فما زال يذاكرفي حتى جاء المؤذن فأذن للفجر .

الشجاعة في الحق :

ومن صفات العلماء : الشجاعة ، قال العالم لا يكتفكم كلمة الحق ، ولا يخشى فيه أحدا إلا الله ، ويجهز بما يعتقد في الظالم ، ولو لقي في ذلك العذاب والهلاك ، فهو يؤمن بأن خشية الله تمنعه أن يخشى سواه ، وأن الله مانحه العزة جزاء شجاعته في الحق ، وخشيته له وحده ، والله تعالى يقول : إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور .

١ - كان عمرو بن هبيد صديقا حيا لأبي جعفر المنصور ، قبل أن يلى الخلافة ، فلما وليها ابتعد عنه ، واقتصد في زيارته ، وكان المنصور يشاق أن يراه ، ويطلبه إلى مجلسه فيجئ بعد تمنع . وجاء العالم الزاهد الشجاع يوما ، بطلب من الخليفة ، فلما جلس إليه أخذ يعظه ويشدد في تحذيفه وزجره وتذكيره حساب الله حتى بكى المنصور ، فقال بعضهم له : يا أبا عثمان ، أبكيت أمير المؤمنين ، قال : وماذا عليه أن يبكي من خشية الله ... ؟ وأسر له المنصور بمال فرفضه وقال : ليست لي به حاجة ، خلف

جماعة الإخوان الصفا

للأستاذ محمد غفراني الخراساني

- ٣ -

قال : لأنه ليس من الطوائف الحضور هاهنا
جنس أشرف منكم معشر السباع ، ولا أقى قلوبا
ولا أقل نفعا ، ولا أكثر ضررا ، ولا أقل رحمة
ولا أشد حرصا على أكل الجيف وطلب
المعاش ، قال : كيف ؟ قال : لأنكم تفترون
معشر السباع هذه البهائم ، والأفنام بمخالبة
حداد ، فتخرجون جلودها ، وتكسرون عظامها
وتشربون دماءها ، وتنشون لحمها بلا رحمة
عليها ، ولا فكرة فيها ، ولا رفق بها ، قال زعيم
السباع : « منكم تعلمنا وبكم اقتدينا فيما
تعملون في هذه البهائم ، قال الإنسى :
كيف كان ذلك ؟ ... الخ » (١) .

وهذا نفس الأسلوب الفنى الذى ألف به
ابن المقفع قصص كلیلة ودمنة ؛ فثلا يقول
في باب الأسد والثور على لسان « دمنة »
- ابن آوى - مخاطبا « شترية » (٢) : « فإن
من حقر عدوه اضعفه أصابه ما أصاب
وكيل البحر من الطيغوى قال شترية :

ومهما يكن من أمر فإننا عند ما نوازن
بين رسالة الحيوان ، وبين كلیلة ودمنة . نحس
أن إخوان الصفا قد نهجوا في تأليف هذه
الرسالة منهج كتاب كلیلة ودمنة من ناحية
هذه الخصائص التى تمتاز بها حكايات
الكتاب . ومنها تداخل المحاكات . فإن
المحاكات في رسالة الحيوان متداخلة يتلو
بعضها بعضا ، وتتعاقب الواحدة تلو الأخرى
دون انقطاع ، ولا أدنى مناسبة ، كما هو الشأن
في حكايات كلیلة ودمنة ، ومنها طريقة التقديم
لجلسات الدفاع بجملة التساؤل والاستفهام
مثل : « كيف كان ذلك » ، أو « كيف ذلك » ،

ونورد لك نصا لكل من رسالة الحيوان
وكلیلة ودمنة ؛ لتقف على مدى تأثير إخوان
الصفا بابن المقفع من الناحية الفنية للقصة كما
قلنا آنفا ، يقول إخوان الصفا في إحدى
جلسات الدفاع لزعيم السباع الذى كان قد
أناب عن نفسه كلیلة أعادته للترافع أمام
الحكمة : لا ، فلما بلغ زعيم السباع إلى هذا
الموضع من الكلام ، قال له زعيم الإنس :
أما أنتم يا معشر السباع فسييلكم أن تكفوا
وتستحيوا ، ولا تتكلموا ، قال له كلیلة : ولم ذلك ؟

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٢) دمنة اسم لابن ، آوى وشترية اسم
الثور ، وكلاهما من رجال حاشية الأسد ، ومن أبطال
قصة الأسد والثور التى وردت في الباب الأول
من أبواب كلیلة ودمنة .

بتوجيه السؤال إلى أحد الخصمين المائنين أمام المحكمة - الإنسان والحيوان - ثم يقوم كل واحد منهما بالدفاع عن نفسه ، وبني جنسه وهكذا تستمر المحاكمات كحلقات متواصلة وهذا الموقف من ملك الجان يشهه تماماً موقف ديشليم الملك أحد البطليين في حكايات كلية ودمنة ، حيث يدور أمامه الحوار بين الحيوانات على لسان وزيره وبيديا الفيلسوف .

فترى أن ملك الجان يعقد جلسات المحاكمة بتوجيه السؤال إلى أحد الخصمين كما يفعل ذلك ديشليم الملك عند ما يعقد جلسات السمر مع وزيره وبيديا ، ويوجه إليه السؤال ليضرب له مثلاً لما دار بين شخمين من الأحداث والخطوب ، وذلك في بداية كل قصة رئيسية من قصص الكتاب التي تسمى بأبواب الكتاب أمثال : قصة الأسد والثور وقصة "فحص عن أمر دمنة" ، وقصة الحمامة المطوقة ، وقصة الأسد وابن آوى . جلسات المحاكمة في رسالة الحيوان تشبه أبواب كتاب كلية ودمنة كما أن الفصول التي تتلو كل جلسة من تلك الجلسات تشبه الحكايات الفرعية التي تتلو كل حكاية رئيسية . من كتاب كلية ودمنة ، وإن الإطار الفني الذي ألف فيه

وكيف كان ذلك ؟ قال دمنة : زعموا أن طائراً من طيور البحر يقال له الطيطوى كان وطنه في ساحل البحر ، ومعه زوجة له ، فلما جاء أوان تفريخها قالت الأنثى للذكر : لو التفتنا مكاناً حريزاً ففرخ فيه فإني أخشى من وكيل البحر إذا مد الماء أن يذهب بفراخنا . فقال لها : أفرخي مكانك ... فإنه لا يفعل ذلك . فقالت له : ما أشد تعنتك أما تذكر وعيده وتهده أياك ، ألا تعرف نفسك وقدرك ؟ فأبى أن يطيعها فلما أكرث عليه ولم يسمع قولها قالت له : إن من لم يسمع قول الناصح يصيبه ما أصاب السلحفاة حين لم تسمع قول البطيخين قال الذكر : وكيف كان ذلك .. الخ (١)

ومن الوجوه المتشابهة كذلك بين رسالة الحيوان ، وبين كلية ودمنة . طريقة عرض جلسات المحاكمة حيث تنفعد أمام رئيس المحكمة ملك الجان (٢) يعلن افتتاح الجلسة

(١) كلية ودمنة ص ١٣٠ / ٤٠ : تحقيق نائل للرصني طبعه القاهرة .

(٢) واسمه كما مضى « بيراست الحكيم » ، « للأنب بشاه مردان - سيد الرجال - حاكم منطقة قم في جزيرة » صاغون ، « في وسط البحر الأ-ضر مما يلي خط الاستواء » وهذه الجزيرة أشبه إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة وللملك وزير يدعى « بيراز » ومن الطريف أن كلمة شاه مردان فارسية ومركبة من « شاه » الملك و« مردان جمع مرد » : الرجال وتطلق الأوساط الشعبية في إيران هذا اللفظ على علي بن أبي طالب عليه

— السلام ، وخاصة المتصورة منهم كما أن هناك طائفة من المتصورة في إيران تسمى بـ « جمية إخوان الصفا » .

إلى مصرع الثور . ونرى أيضا أن النمر في رسالة الحيوان يحتل مكانة الصدارة بين أفراد حاشية الأسد ، ويلعب دور الناصح الأمين للأسد ، وبأخذ برأيه . كما أن النمر في باب الفحص عن أمر دمنه يعتبر من أخص أصحاب الأسد ومن أقرب أفراد حاشيته إليه وهو الذي كشف عن أمر دمنه ، وابلغ أم الأسد عن المؤامرة التي كان قد دبرها دمنه ضد الأسد ، وحرصه على قتل شترية (١) .

وأما قصة تواصل إخوان الصفا ، وتعاون بعضهم بعضا فقد أشرنا إليها في مستهل حديثنا عن رسالة الحيوان ، وأن لها صلة بقصة الحماة المملوكة من حيث فكرتها العامة في تصافي الأخوان ، وثمرة هذا الصفاء ، وأن كان إخوان الصفا قد عمقوا معنى هذا التصافي بما يتفق ومبادئهم الفلسفية المبنية على اعترافهم في عالم الغيب ، ما وراء الطبيعة ، وقبل أن نشير إلى هذه المعاني التي انفردوا بها نورد نص هذه القصة . ينبغي أن نبين كيف يكون تواصل إخوان الصفا ، وكيف تكون معاونته بعضهم بعضا في طلب معيشة الدنيا ، وماذا ترى كيف يكون حال من سبقته المنية قبل صاحبه . كيف يكون عيش الباقي منهم بعد صاحبه ، ذكر أن مدينة كانت على رأس

إخوان الصفا رسالة الحيوان هو نفس الإطار الفني الذي ألف فيه ابن المقفع حكايات كلية ودمنة .

هذا وتشبه رسالة الحيوان كتاب كلية ودمنة لاني تداخل المحاكات ، وطريقة عرضها لغسب ؛ بل إنهما يتشابهان في توارده كثير من أسماء الحيوانات والأبطال الذين أسندت إليهم الأدوار في كل القصة والمحاكاة فنجد مثلا في رسالة الحيوان فصلا من المحاكاة على لسان كلية أخى دمنة مندوب الأسد - أبو الحارث - ليشارك مع سائر الوحوش في جلسات المحاكاة (٢) ، ومن المعروف أن هذين الاسمين هنديان وكان اصلهما كرتكا ودمنكا ، وقد دخلا في اللغة العربية لأول مرة بعد تحريمهما إلى كلية ودمنة بواسطة ابن المقفع . وكذلك يشبه الأسد في رسالة الحيوان الأسد في كلية ودمنة فالأول يلع - دور ملك السباع ويشاور من حوله من الوحوش في صفات الملك ، وفيمن يستحق أن يمثل الملك في جلسات المحاكاة مندوبا (٣) عنه كما هو الحال بالنسبة لدور الأسد في باب الفحص عن أمر دمنة ، حيث يشاور من حوله من الوحوش عند محاكاة دمنة بعد أن ثبتت إدانته بأنه كان سببا في الإيقاع بين الأسد والثور مما أدى

(١) انظر كلية ودمنة ص ١٥٢ تحقيق نائل

للرصق طبعة القاهرة .

(٢) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٢٧٦

(٣) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٢٠٣ و ٢٠٦ .

إلى تلك المغارات ، ويعتصمون بها من الحر والبرد ، فأنسف بهم تلك القروء ، وأنسوا بها إذ كانت أقرب أجناس السباع شها لصورة الناس فولعت بهم إناث القردة وولع بها من كان به شبق . وتناسلوا وكثروا وتمادى بهم الزمان فاستوطنوا تلك الجزيرة واعتصموا بذلك الجبل وألفوا تلك الحال ونسوا بلدنهم وذميمهم وأهالهم الذين كانوا معهم بديانهم جعلوا يبنون من حجارة ذلك الجبل بنيانا ويتخذون منها منازل ويحرسون فى جميع تلك الثمار ويدخرها من كان منهم شرها وصاروا يتنافسون على إناث تلك القروء ويغبطون من كان منهم أكثر حظا من تلك الحالات وتمنوا الخلود هنا وانتشبت بينهم العداء والبغضاء ، وتوقدت نيران الحرب ثم أن رجلا منهم رأى فيما يرى النائم كأنه قد رجع إلى بلده الذى خرج منه وأن أهل تلك المدينة لما سمعوا بهجيتهم استبشروا واستقبله خارج تلك المدينة أقرباؤه فأروه قد غيروه السفر والغربة؛ فكروهوا أن يداخل المدينة على تلك الحال وكان على باب المدينة حين من الماء ففسلوه وحلقوا شعره وقصوا أظافره وألبسوه الجسد وبخروه وزينوه وحملوه على دابة ، وأدخلوه المدينة فلما رآه أهل تلك المدينة استبشروا به وجعلوا يسألونه عن أصحابه وسفرهم

جبل فى جزيرة من جزائر البحر ، مخصبة كثيرة النعم ، وخية البال مائية الهواء ، هذبة المياه - حسنة التربة كثيرة الأشجار لذيدة الثمار كثيرة أجناس الحيوانات - حسب ما تقضيه تربة تلك الجزيرة وأهويتها ومياها ، وكان أهلها أخوة وبنى عم بعضهم لبعض من نسل رجل واحد ، وكان هيشهم أهنا - يش يكون بتردد ما كان بينهم من المحبة والرحمة والشفقة والرفق بلا تنغيص من الحسد والبغى والعداوة وأنواع الشر ، كما يكون بين أهل المدن الجائزة المتضادة الطباع المتنافرة القوى المشتتة الآراء القبيحة الأعمال السيئة الأخلاق ثم أن طائفة من أهل تلك المدينة الفاضلة ركبوا البحر فكسروهم المركب ، ورمى بهم الموج إلى جزيرة أخرى ، فيها جبل وهو فيه أشجار عالية ، وعليها ثمار نذرة ، فيها عيون غائرة ومياها كدرة ، وفيها مغارات مظلمة وفيها سباع ضاربة وإذا عامة أهل تلك الجزيرة قردة وكان فى بعض جزائر البحر طير عظيم الخلقة شديد القوة ، قد صلط عليها فى كل يوم وليلة ، يكره عليهم ويختطف من تلك القردة عدة . ثم أن هؤلاء النفر الذين نجوا من الفرق تفرقوا فى الجزيرة ، وفى أودية ذلك الجبل يطلبون ما يتقوتون به من ثمارها لما لحقهم من الجوع ، ويشربون من ماء تلك العيون ويستترون بأوراق تلك الأشجار يأوون بالليل

يبنوا سفينة يركبوا فيها ، ويرجعوا إلى بلدهم
فبينما هم في ذلك دائبون في قطع الأشجار
ونشر الحشب لبناء تلك السفينة إذ جاء ذلك
الطير الذي كان يختطف القروء فاخطف منهم
رجلا ، وطار به في الهواء ليأكله ، فلما أمعن
في طيرانه تأمله فإذا هو ليس من القروء التي
اعتاد أكلها فرببه طائراً حتى مر به على
رأس مدينته التي خرج منها ، فألقاه على سطح
بيته وخلاه فلما تأمل ذلك الرجل إذا هو
في بلده ومنزله وأهله وأقرباءه ، فجعل يتمنى
لو أن ذلك الطير يمر في كل يوم ويختطف
منهم واحداً بعد واحد ، ويلقيه إلى بلده
كما فعل به ، وأما أولئك القوم بما اختطفه
الطير من بينهم فقد جعلوا يسكنون عليه
محزونين على فراقه ؛ لأنهم لا يدرون ما فعل به
الطير ، ولو أنهم علموا بحاله ، وما صار إليه
لتمنوا ما تمنى لهم أخوهم ^(١) فقد شرح لإخوان
الصفا أنفسهم المغزى الذي يقصدون إليه
من هذه القصة ، وعلقوا عليها عقب إيرادهم لها
بقولهم : فهكذا ينبغي أن يكون اعتقاد
إخوان الصفا فيمن قد سبقته المنية قبل
صاحبه ، لأن الدنيا تشبه تلك الجزيرة ، وأهلها
يشبهون تلك القرود ، ومثل الموت كمثل ذلك
الطير ، ومثل أولياء الله كمثل القوم الذين

وما فعل الدهر بهم ، وأجلسوه في صدر
المجلس في المدينة ، واجتمعوا حواله
يتعجبون منه ومن رجوعه بعد اليأس منه
وهو فرحان ، بهم وبما نجاه الله عز وجل
من تلك الغربة ، وذلك الفرق ، ومن محبته
تلك القروء ، وتلك العيشة النكدية ، وهو يظن
أن ذلك كله يراه في الیقظة ، فلما تنبه إذا هو
في ذلك المكان بين القروء ، فأصبح حزينا
منكسر البال ، زاهداً في ذلك المكان مغتماً
متفكراً واغبا في الرجوع إلى بلده ؛ فقص
روياه على أخ له ، فتذكر ذلك الأخ ما أنساه
الدهر من حال بلدهما وأقاربهما وأهليهما والنعيم
الذي كانا فيه ، فذشاورا فيما بينهما وأجالا
الرأى ، وقالوا : كيف السبيل إلى الرجوع
وكيف النجاة من هنا ؟ فوقع في فكرهما وجه
لحيلة بأنهما يتعاونان ويجمعان من خشب
تلك الجزيرة ، ويبنيان مركبا من البحر
ويرجعان إلى بلدهما ، فتعاقدا على ذلك بينهما
هدداً وميثاقاً : أن لا يتخاذلا ولا يتكاسلا
بل يجتهدا اجتهد رجل واحد فيما عزم عليه
ثم فكرا أنه لو كان رجل آخر معهما لكان
أهون لهما على ذلك ، وكلما زاد هدهما يكون
أبلغ في الوصول إلى مطلبهم ومقصدهم ، فجعلوا
يذكرون لإخوانهم أمر بلادهم ، ويرغبونهم
في الرجوع ، ويهدونهم في الكون هناك
حتى التأم جماعة من أولئك القوم على أن

(١) راجع كتاب رسائل إخوان الصفا ج ٤

بأرواحهم الطاهرة، وأنفسهم الزكية حتى تنفي دهوة ربها .

« يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية » .

ونستخلص من تعليق إخوان الصفا على هذه القصة أنهم يعتبرون أن عالم الروح موطنهم الأصيل، ودار السعادة الخالدة . ولا يمكن أن يصل أحد إلى هذا العالم إلا إذا صفت روحه وخلصت سريره ، وتعاون مع إخوانه وأصدقائه بالإيمان الصادق الذي يقود المرء إلى العمل الصالح .

ونحن إذ نختم مقالنا هذا لا نستطيع أن ندعي أننا قد بلغنا غاية المطاف فيما كنا نقصد إليه ؛ بل إن المجال لا يزال متسعاً أمامنا لاستخراج نتائج أخرى بالوازنة بين رسالة الحيوان، وبين كتاب كليمه ودمته؛ إذ سيكون لهذه النتائج أهميتها البالغة في ميدان الدراسات الملهمة .

محمد غفراني القراءاني

كسر بهم المركب ، ومثل دار الآخرة كمثل تلك المدينة التي خرجوا منها ، فهذا اعتقاد إخواننا الكرام في معاونتهم في الدنيا وما يعتقدون فيمن سبقته الهنية قبل إخوانه .

ففرى أن إخوان الصفا قد رمزوا إلى دنيا الشهوات بالقرد ، وإلى من سقوا في عالم الرذيلة بمن استهوتهم هذه القرد ، وكان مهمهم هو التناكح والتناسل ، وارضاء الغريزة الحيوانية غصب ، ونسوا بلدهم الأصيل وهو العالم الآخر الذي أتت منه أرواحهم ، وأما الصفوة منهم فلم تشغلهم المسألة من المعنى ، ولم تستهوهم تلك المظاهر الدنيوية بل انصرفوا إلى التفكير الاجتماعي الذي يساعدهم على راحتهم النفسية وسعادتهم الموقوتة في هذه الدار الفانية بمعاونة بعضهم بعضاً ، وبث روح المحبة بين الطبقات ، والبعد عن التعصب لمذهب دون مذهب ، والتحمس لعقيدة دون عقيدة ، وهرفوا أن السعادة لا تتم إلا بتضافر الجهود للخروج من عالم المسادة والتوجه إلى الرقي والكمال

من نثر أمير الشعراء :

« الثقة مراتب ، فلا ترفع لعلها مراتبها إلا الشريك في المرء ، المعين على الضرر ، الأمين على السر ، الضمير النقي كالمرآة ، لو التمس فيها المرء وجهه الغيب لراه)
(يستأذن الموت على العاقل ، ويدفع الباب على الغافل)

(أسواق الذهب)

مع شوقي "في مدائح النبوة"

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

وبعض الشعراء يقتصرون على ذكر السيرة النبوية ، وصفات الرسول الكريم ، ونسبه الطاهر ، وسرد الغزوات ، وهذا ملحوظ في أغلب المدائح التي قيلت إلى أوائل عصرنا الحديث ، أما في هذا العصر فلم يعد الشعراء يكتفون بذلك بل إنهم وجهوا اهتمامهم إلى الموازنة ، والربط بين الماضي والحاضر ، والدعوة إلى الاقتداء بما في سيرة الرسول من بطولات وتضحيات ، وأخذوا يبرزون مزايا الشريعة الإسلامية ، ويدعون للعودة إليها ، ويبينون للسلبين أن أهم أسباب تأخرهم ترجع إلى هزوفهم عن قرآنهم ، وسيرة رسولهم وأن المستعمرين لم يطعموا فيهم إلا من يوم أن هجروا تعاليم دينهم . والذي وجه شعراءنا في العصر الحديث هذه الوجهة هو ما أصاب الأمة الإسلامية من نكبات بسبب الاستعمار الذي تغافل في الأقطار الإسلامية ، وفرض سيطرته عليها ، وحاول متعمداً الغض من مبادئ الإسلام ، وتحقير كل ما هو شرقي .

وشاهرنا الكبير المرحوم أحمد شوقي عاش في فترة من الزمن شهد فيها العالم العربي

أفد ذهب الشعراء في تناولهم مدح الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه مذاهب شتى ، تناسب وشخصية الشاهر ، ولون ثقافته ، وتأثر بالذوق الفني العام للأدب في العصر الذي قيلت فيه ، وبالظروف العامة من سياسية واجتماعية وفكرية في فترة إنشادها .

وسيرة الرسول الكريم من يوم أن بدأ دعوته إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى صارت مصدر إلهام للشعراء ، وبنوها صافيا فياضا لا يعتريه نقص ، يتجدد فيضه دقاقا قويا عطرا ذكيا ، يستمد الشعراء منه أرواح قصائدهم ، ويسجلون بأسلوبهم سجايا الرسول الكريم ، ومزايا شريعة الغراء ، ويرسمون للناس أمثل الطرق للاقتداء بفيهم ، ويصورون ما تضمنته السيرة من بطولات وتضحيات ، وصبر وجهاد ، حتى أتم الله نوره وجعل كلة الذين كفروا السفلى ، وكلة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم ، ورحم الله ابن الفارض حين قال :

وعلى تفنن واصفيه بحسنة
يفنى الزمان ، وفيه ما لم يوصف

مدح الرسول الكريم في أربع قصائد كبرى تعد من عيون الشعر، حاكي في اثنين منها الإمام البوصيري : لإحداهما نهج البردة ، على وزن وروي بردة البوصيري ، والأخرى هي الحمزية ، أما القصيدة الثالثة فهي « سلو قلبي » وهذه القصائد الثلاثة بالديوان ، والرابعة بعنوان : ذكرى المولد وهي منشورة بكتاب آخر عنوانه « كرمه ابن هاني » ، هذا غير مقطوعة من ثلاثة وخمسين ومائة بيت ضمن أرجوزة العرب الكبرى . وكان لإنشاء هذه القصائد جميعا بين ١٩١٠ ، ١٩١٧ .

وقد تناول شوقي في هذه المدائح نواحي هدية من سيرة الرسول الكريم ، وحياته وشريعته ، وقد لا يتسع هذا المقال لعرض الموضوعات ، والتعليق عليها جميعا ، ومن ثم فإننا سنقتصر حديثنا على ما ورد فيها عن مزايا الإسلام وتشريعاته ، فإن « شوقي » قد نفذ إلى عرض ذلك في خلال هذه المدائح لينفخ عما يجيش بصدرة من الام سبها هجوم المستعمرين : من أمثال هانوتو الذي نشر رسالته المشهورة عام ١٩٠٠ ، وتصدى لها الإمام محمد عبده بالتنفيذ ، ثم كرومر الذي كان لا يألوا جاهداً في الطعن على الشريعة الإسلامية ، وغير هذين من المبشرين الذين كانوا يحاولون إذاعة الفتن وبليلة الأفكار لرحضة المسلمين عن عقائدهم .

أحداثا جساما ، من احتلال أجنبي ، إلى قيام حرب عالمية ، ثم ما تلا ذلك من ثورات بغية التخلص من غير الأجانب ، وما كان يظل الأفطار الإسلامية من سلطان الخلافة الإسلامية الواهي ، وما دب بين شعوبها من فرقة وتحاذل ، وما فشا فيها من جهل وفساد في نظم حياتها السياسية ، والاجتماعية والفكرية ، ولم يكن هناك غير بصيص من الأمل في الشعور المكبوت الذي غذته دعوات المصلحين : جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، ومصطفى كامل ، وقاسم ، أمين وغيرهم وأخذت تذكية قرائح الشعراء الذين أسهموا بنصيب موفور في إيقاظ الشعور في القصائد الكبرى التي ظهرت عند نهاية الحرب العالمية الأولى مثل : بكريه عبد الحليم المصري ، وعمرية حافظ ، وهلوية عبد المطلب ، التي صورت أقوى الشخصيات الإسلامية ، وأروع انتصارات المسلمين في عهدهم الزاهرة يحفزون بها همم الشباب ، ويؤججون الشعور العام .

وشعر شوقي في مجموعه يعتبر صورة حية للفترة التي عاش فيها ، بالإضافة إلى تلك الصور الخالدة التي تنطق أحداث الماضي ، وقد تناول أغراضا كثيرة ، واعتبر في بعضها من الجدد .

ومن الموضوعات الإسلامية التي تناولها

الإسلامية ، وما سببها ، ويخيل إليك أنك
تستمع إلى عالم متضلع ، وفيلسوف يحمل
ويقوم الأدلة والبراهين على فضل هذه
الشريعة الغراء . وكأنه يريد أن يقول :
إن كل ما ترمى به هذه الشريعة من مظاهير
يفنى ألا يلتفت إليه ، أو يقام له وزن
مهما كان مصدره .

يقول في نهج البردة .

شريعة لك تجرت العقول بها
عن زاخر بصفوف العلم ملتطم
يلوح حول سنا التوحيد جوهرها
كالخلى للسير ، أو كالوشى للعلم
غراء حامت عليها أنفوس ونهى

ومن يمد سلسلا من حكمة يحم
ثم يبين أنها صالحة لكل زمان ومكان ،
وأنها كفيلة بأن تنير السبيل أمام المصلحين
في سائر أقطار العالم على مر الزمان ، وكر السنين :
نور السبيل ، يأس العالمون بها
تكفلت بشباب الدهر والمهرم
يجرى . الزمان وأحكام الزمان على

حكم لها نافذ في الخلق مرتسم
ثم يبرهن على ذلك بما كان في ماضي الأمة
الإسلامية ، مما سجله التاريخ :

لما اعتلت دولة الإسلام واتسعت
مشت عالمك في نورها النعم

ومن الأمور التي أذهابها المفرضون أن
الإسلام قد أقام دعوته ونشرها بجد السيف
وهم يرمون من وراء ذلك إلى الغرض من قيمة
القرآن في هداية البشر ، وقد تناول شوقي
هذه الدعوى ، وفندها منطقيا ، مستدلا بما لقيته
المسيحية من اضطهاد في أول أمرها ...

يقول في نهج البردة :

قالوا : غزوت . ورسلك الله ما بعثوا

لقتل نفس ، ولا جاءوا لسفك دم
جهل ، وتضليل أحلام ، وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفوا كل ذى حسب
تكفل السيف بالجهال والعم

والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذروا . وإن تلقه بالشر ينحسم
سل المسيحية الغراء ، كم شربت
بالصاب من شهوات الظالم القلم (١)
طريدة الشرك ، يؤذيها ويوسعها

في كل حين قتالا ساطع الحدم
لولا حماة لها هبوا لنصرتها

بالسيف ، ما انتفعت بالرفق والرحم
وهذا ما يجيء ذكر الشريعة الإسلامية
ومزاياها بنجد الفيض الخيزر ، والمعلومات
القيمة التي تظهر في الموازنة بين الشريعة

مشت الحضارة في سناها واهتدى
في الدين والدنيا بها السعداء
ويقول في الموازنة :

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة
بالحق من ملل الهدى غراء
بفيت على التوحيد ، وهو حقيقة
نادى بها سقراط والقدماء
إلى أن يقول :

داء الجاهة من دأرسطاليس ، لم
يوصف له حتى أتيت دواء
فرسمت بعدك للعباد حكومة
لا سوقة فيها ، ولا أمراء
الله فرق الخلق فيها وحده
والناس تحت لوائها أكفاء
فهل جاء المصلحون ودعاة الديوقراطية
بما هو أسى من ذلك ؟ وزعماء الاشتراكية :
هل سبقوا محمدا في دعوته إليها ، وتطبيقه
العمل لمبادئها ؟

الاشتراكيون أنت زعيمهم
لولا دعاوى القوم والغلو
داويت متشدا وداووا طفرة

وأخف من بعض الدواء الداء
الحرب في حق لديك شريعة
ومن السموم الناقعات دواء
ثم يبين أن البر والمساعدات الاجتماعية
ليست منحا وإنما هي حقوق مفروضة نظامها
الشريعة الإسلامية :

وعلى أمة بالقدر نازلة
رعى القياصر بعد الشاء والنعم
أرايت تصويراً أدق من هذا إلى أثر
الإسلام في الأمة العربية ؟ ثم استمع إليه
حين يشير إلى نتيجة التمسك بمبادئ الإسلام
وشريعته :

كم شيد المصلحون العاملون بها
في الشرق والغرب ملكا باذخ العظم
للعلم ، والعدل ، والتدين ما عزموا
من الأمور ، وما شدوا من الخزم
سرعان ما فتحوا الدنيا لمنهم
وأهلوا الناس من سلسالها الشم
ساروا عليها هداة الناس فوى بهم
إلى الفلاح طريق واضح العظم
ثم نراه يعرض بسائر المبادئ التي يحاول
المستعمرون إذاعتها لتنحية تعاليم الإسلام
ويعتبر أن شريعة الإسلام وحدها هي الصالحة :
لا يهدم الدهر ركننا شاد هدم
وحائط البنى إن تلمسه يهدم

* * *

ثم يعود إلى تكرار هذه المعاني بصورة
أخرى في الهزمية ، وهنا نجد بين يوان
بين تشريع الإسلام وغيره من الشرائع ،
وينحى باللائمة على الذين يترضون للإسلام :
طلبوا شريعته التي نلنا بها
ما لم يثل في رومة الفقهاء

وتلفيهم حيسال المال صما
إذا داعى الزكاة بهم أهابا
لقد كنتموا نصيب الله منه
كان الله لم يحص النصابا
ثم بأخذ في بيان منافع العلم، ويدعو إلى
تعليم الفقراء؛ حتى أن يخرج من بينهم من
يكون شجاعا هبقرياً ... :

أراد الله بالفقراء يسراً
وبالأيام حباً وارتباباً
فرب صغير قوم علوه
سما، وحى المسومة العربا
وكان لقومه نفعا وثغراً
ولو تركوه كان أذى وعاباً

فعل ما استطعت، لعل جيلاً
سيأتي يحدث العجب العجبا
ولا ترهق شباب الحى بأسا
فإن اليأس يخترم الصبا
ثم يعود إلى الحديث عن الاشتراكية :

يريد الخالق الرزق اشتراكا
وإن يك خص أقواما وحاقا
فما حرم المجد جنى يديه
ولا نسى الشقى، ولا المصابا
ثم يدعو إلى العمل والجد، وعدم الرضوخ
للذلة، ويرسم لنا الطريق واضحاً :

وكان بيانه للهدى سبلا
وكانت خيله للعق غابا

والبر عضك ذمة وفريضة
لا مئة ممنونة وجبها
جاءت فوحشت الزكاة سبيله
حتى التقى المكرماء والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالمكل في حق الحياة سواء
قلو أن إنسانا تخدير ملة

ما اختار إلا دينك الفقراء
وقف قليلا عند هذا البيت الأخير: فإن
الفقراء يختارون هذا الدين؛ لأنهم يجدون
فيه الإنصاف والعدالة ضد الأقوياء المتجبرين
إذ يحدد لهم حقوقهم في أخذ أجورهم إن عملوا
بحيث لا يخسرون، ويجعل لهم نصيباً محددًا
في أموال الأغنياء إن كانوا عاجزين، ويمنحهم
حق الحياة الكريمجة؛ فلا سيد ولا مسود،
ولا ظلم ولا اضطهاد، ولا سوق الاعمال
بالقهر، ولا استغلال بسبب تفاوت الطبقات.

ثم يقول في قصيدة «صلوا قلبي» :
فلم أر غير حكم الله حكماً
ولم أر دون باب الله باباً
وبعد أبيات نراه يعيب على المسلمين
حرمان الفقراء حقوقهم، وإهمالهم فريضة
الزكاة مع تأديتهم لغيرها من الفرائض :

عجبت لمعشر صالوا وصاموا
ظواهر خشية، وتقى كذابا

وكم الحق من غاب
رسول الله ضيغته
له الغزوات لا تحصى
ولا يحصى تكميمه

ولقد كان شوقي يشهر في قرارة نفسه
بالحالة العامة للأمة الإسلامية ، ولم يكن
يملك غير الدعاء والتوسل إلى الله أن يأخذ
بيدها ، وينتشلها مما تردت فيه ، ولكن بعد
أن عرض موايا شريعة الإسلام ، وصور
عظمة المسلمين أيام كانوا مستمسكين بها أدق
تصوير ، ودعا إلى العودة إليها ؛ لأن ذلك هو
طريق العودة إلى المجد .

يقول في ختام نهج البردة بعد أن سرد
صوراً كريهة للخلفاء الراشدين :

يارب : هبت شعوب من منيتها
واستيقظت أمم من رقدة العدم
سعد ، ونحس ، وملك أنت مالسكه
تذيل من نعم فيه ومن نعم
رأى قضاؤك فينا رأى حكته
أكرم بوجهك من قاض ومتقم
فالطف لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسفا ولا تسم
يارب : أحسنت بدء المسلمين به
فتم الفضل ، وامنع حسن عثمت

وعلمنا بناء المجد حتى
أخذنا إمرة الأرض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال

إذا الإقدام كان لهم ركابا

وبما جاء عن وصفه للشريعة الإسلامية
ومزاياها في قصيدة « ذكرى المولد »
التي مطلعها :

به هجر يقيم
كلا جفنة يك يعلبه
هما كادا لمهجته
ومك الكيد معظمه
قوله :

نظام الدين والدنيا
أصبح له يتممه
تطلع في بنائهما
على التوحيد يدعمه
بشرح هام فيه لنا
س ماشيه وأعجمه
كنوه الصبح بينه
وكالبفان يحكمه
بيان جل موحيه
وعلم عز ملهمه

ويقول في ختام «سلو قلبي» :
سألت الله في أبناء ديني
فإن تمكن الوسيلة لي أجابا
وما للمسلمين سواك حصن
إذا ما الضرر منهم وناجا
كأن النحس حين جرى عليهم
أطار بكل مملكة غرابا
ثم يعلل أسباب الضعف، ويدعو إلى العودة
لطريق الإسلام، ومكارم الأخلاق التي
يدعو إليها :
ولو حفظوا سبيلك كان نورا
وكان من النحوس لهم حجابا
بنيت لهم من الأخلاق وكنا
نخشانوا الركن ؛ فانهدم اضطرابا

وكان جنابهم فيها مهيبا
وللأخلاق أجدر أن تهابا
فلولاها لساوى الليث ذنبا
وساوى الصارم الماضي قرابا
فإن قرنت مكارمها بعلم
تذلت العلا بهما صعبا
* * *

رحم الله «شوقي» ، فقد كان في «إسلامياته»
واعيا ، عميقاً ، ينطلق عن بحث في ماضي
الأمة الإسلامية ، وخبرة في حاضرها ،
وأمل في مستقبلها ، وقد استوفى في هذه
المدائح الأربعة نواحي كثيرة من التاريخ
الإسلامي ، ومزايا شريعته ؟

سهر المربع الجزاوي

قال تعالى :

« وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . وإن تطع من
في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يقبعون إلا الظن وإن وإن هم إلا يَخْصُصُونَ . »

الإنسان والجمال

للأستاذ محمد أحمد العزب

الجمالى لإجابة لإنسان يستشعر جلال الجمال ...
أجل يا صاحبي ... إن الجمال ليس قطعة
من شيء ، تمسكها بيمينك - ليس جرماً من
الأجرام تحويه يديك ... ليس مادة صلبة
يمكن أن تستريح عليها قدمك .

إن الجمال قيمة من القيم التي تحس
ولا تلمس ... تستشعر ولا تضغط ، وبقدر
إحساسنا بهذه القيمة ، بقدر ما نقبل على الحياة
ونعاني أفراس الوجود ... إن الجمال يشدنا
إلى الكون ويوصل علاقتنا به ... وهو من
هذه الزاوية يتضح في حياتنا برسالة ضخمة ،
ودور قيادي كبير .

صاستطرد مع الجمال من حيث هو ، قيمة
خلقية ، ... ، وقيمة اجتماعية ، ... ، وقيمة
دينية ، ... تؤقي العالم أخصب الثمرات ...

فهو من حيث إنه قيمة خلقية ، يفجر فينا
مشاعر الحب ، ويملأنا نوازع السمو ،
ويرسم في حياتنا معالم التطور ، إنه يرقق
أحاسيسنا ، ويرهف أذواقنا ، ويهبنا طاقات
من الخير دفاقة أبداً ... إن الإنسان الجميل
هو الإنسان الذي يكره الكلمات المشبوهة

لست في هذه السطور باحثاً يتعمق فلسفة
الجمال ، ويحاول تجليتها للناس ، ولست كذلك
فيلسوفاً يقيم الحدود والاقيسة والتعاريف
لقيمة من القيم الخالدة في تاريخ البشر ، إنما
أنا إنسان - مجرد إنسان - يحاول في بساطة
واهية ، أن يلتمس أغوار حقيقة ضخمة ،
أو قل يحاول أن يجيب على سؤال يزحف
على شفاه الملايين ، كلما انبهرت أعماقهم
وأحداقهم جميعاً أمام مشهد من مشاهد
الكون ، أو خالصة من خواجج النفس .
أو انتفاضة من انتفاضات الروح والوجدان
فتساءلوا : كيف حدث ذلك ؟

أنا هنا لأخصب ، لأشير إلى دور الجمال
في حياة الإنسان : من حيث هو فرد ، وحياته
من حيث وجوده في مجموع ... ولأؤكد أن
الجمال سلم مضيئة كم صعدنا عليها ، وعانقنا
فيها السماء ...

وقبل أن أسترسل - فن حقل على أن
تسألني ... وما الجمال ؟ ولأننا اتفقنا على
مبدأ أني لست هنا فيلسوفاً يضع التعاريف
والحدود ... فسأجيبك من خلال إحساسى

وحيث تخطر السماء . . يستقبل رذاذها
بصدره هريان . . وحين يسألونه عن سر
حفاوته بالمطر يلتفت إليهم قائلا (إنه حديث
عهد بالسماء) .
وهو الصادح بكلماته الملهمة ١١ (إن الله
جميل يحب الجمال) ١١ .

وهكذا كان الإنسان العظيم محمد يقدر
الجمال، ويحاول أن يزرع غراسه في أعماق
الملايين . لأنه يؤمن بأن الجمال ركائز التكامل
الخلقى الذى لا ينحرف، ولا يبتسر، ولا يضرب
في أعماء الظلام .

والجمال قيمة اجتماعية ، يطهر علاقتنا
بالكون . . وبأنفسنا ... وبالأخرين . .
أنه يطهر علاقتنا بالكون . . لأنه يبينها على
أساس من التجارب الصادق الاصيل . .
فأنت حين تستشعر الجمال في نجمة . ، أو
نسمة . . تفتح كل مغاليق حياتك للحياة . .
وقستقبل الوجود في صداقة وحب . . إن
الجمال يشدك إلى دنيائك ، بينما ينفرك القبح
حتى من نفسك ١١ وهو يطهر علاقتنا
بأنفسنا حين يوحى إلينا نزعة التعادل العاقل
الملمهم . . الذى لا يدمر في ارتقائه الشاهق إلى
أعلا . . ولا يكظم في إغفاله المهرق إلى
أسفل . . لأنه يعطيك معنى التعادل العاقل
من خلال التناسق العام في كل مشاهد الكون . .
وكل مشاهد الحياة . .

الملتوية - هو الذى لا يحقد ... ، ولا يندر ..
ولا يخون .. ، ولا يقيم أخلاقيات على أنقاض
أخلاقيات الآخرين ...

إن الإنسان الجميل هو الإنسان السوى
الذى يجعل من قلبه مزرعة للعواطف الطيبة
والمشاعر النبيلة ، والأحاسيس المرفهة .

ويقدر ما يتوافر لدى الإنسان من كل هذه
الانماط الأخلاقية ، والسلوكية ، بقدر
ما يأخذ مكانه في البناء الاجتماعى الشاخص الركين .
ولقد كان الإنسان العظيم محمد
ابن عبد الله ، حريصا على أن يزرع في أعماق
أتباعه هذه الحماسة الجمالية ، لإيمانه الوطيد
بأنها سبيل الترقى الإنسانى - وحافز التطور
البشرى .

لقد كان الإنسان يحاول جاهدا أن يقيم صداقة
واعية بين الإنسان والكون ، حتى يتلقى عن
صديقه الكون كل مباحج الطبيعة الفاتنة ،
وكل مفاخر الإحساس الجميل ...

فها هو ذا يخرج مرة في أصحابه حتى يستقبل
الجميل ، فيهتف من أعماقه صائحا وأحد ،
جبل يحبنا ونحبه . .

وحين يطالع الهلال البازغ يرفع وجهه
إليه في جلال قائلا رب وربك الله .

وحيث يهل الربيع على الأرض ، وتبزغ
نباتاته الصاعدة ، ينحن عليها في تراحم جم
ويقول (عام خمر وبركة إن شاء الله) .

الغائرة . . . واستبدت بك كراهية الجوع . .
تصور أنك ظلمت لإنسانا من الناس ، وزحف
بكل جراحاته إليك . قائلا في أسى مذبح :
ماذا أنا ؟ ألسنت إنسانا يحيا على الأرض ؟
ومن أنت ؟ ألسنت إنسانا يحيا على الأرض ؟
إذا فذبحنا أشقاء . ؛ كلانا زاحف على الثرى
والطين . لا يستطيع التحليق والطيران !!
لماذا إذن تظلمني ؟ ألا أنك قادر ، وأنا عاجز ؟
ألا أنك استطعت ، ولم أستطع أنا ؟ أم لأنك
حرفت فطرتك ، ومسخت طبيعتك
وانسلخت من إهابك الإنساني ؟ ألا تدرى ؟
ألا تحس ؟ ألا تتألم ؟ ألا تعرف أنك حين
ظلمتني فقد ظلمت من ورأى أكبادا جامعة .
وأنفسا ضائعة !! إنك لست ظالمى وحدى .
إنك ظالم لا بقسامة طفلى البرى . ؛ لأنها ذوت
منذ أيام !! ظالم لوشوشة الأحلام فى خيال
طفلى اللعبة ؛ لأن أحلامها الآن لم تعد شيئا
غير الرغيف !! ظالم لكرامة الأمومة فى عيني
أُمى العجوز !! لأنها - على تأييدها - سألتنى
بالأمس ، هل من طعام ؟

تصور أنك هذا الظالم المتأله القياه ...
وأن هذا الموقف المأسوى المدمى يعربد
عن كذب أمامك . . فذا أنت صانع به ؟
أوشك أن أؤكد لك - أن الجدار الثلجى
الذى شاده الظلم فى أعماقك سينهار . سينهار
حقا تحت مطارق هذه العواطف الإنسانية

وهو يظهر علاقتنا بالآخرين حين يقيمها
على أساس من التضامن الحلو ، والأخوة
المستألفة ، والسلام الأرحب الخصيب . . إنه
يفريك بالعدل حين يوحى إليك أن لا شيء
أجمل من العدل ينشر أجنحته البيضاء فيحتضن
بها المملأين ، ولا شيء أو بل من الظلم الذى
هو اقتيات صارخ على طبيعة الخلق فينا ،
وتشويه هابط لفطرة البراءة ، وبراءة الفطرة
وانهيار بالمستوى الأدنى إلى مستوى راكد
ورخيص . .

وهنا أستطيع أن أقول : إن للجمال رسالة
إنسانية واجتماعية خالدة فى مصالحة القوى
العدوانية ، ومؤازرة أنصار الحياة ، فى تحريك
ما همد من العواطف الإنسانية البارة ، وإذكاء
ما نمد من المشاعر الآدمية المضيفة ، وإثراء
ما أجذب من مناطق فى قلوب المملأين . .

ألسنت معى فى أن قلوبا آدمية كانت قاسية
وهيبة كوجه الطوفان ، ما لبثت أن تراعشت
مذهولة أمام قيمة جمالية تذبج ، أو صوت
إنسانى جميل يوشك أن يبع من النداء . .
لن أزعج بالتاريخ فى هذا المشهد . .
ولن أستشهد لك بما مضى من عصور . .
ولكننى سأفترض موقفا من المواقف . .
سأضع أمامك صورة من صور الجمال (الحياقي)
الذى يوشك أن ينهار ، وأهيب بك أن
تتماسك وأن تصمد مهما تزلت بك الأحقاد

« والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاما ..
والنهار إذا جلاها .. والليل إذا يغشاها ،
والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ،
ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها .
قد أفلق من زكاه ، وقد خاب من دساها ،
يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب
المسرفين ... »

« هذا خلق الله ... فأروني ماذا خلق الذين
من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ،
إن القرآن في هذه الكلمات يتخذ من الجمال
مقدمة لقضية الإيمان ، فلا يلبث أن يتسرب
بها إلى أعماق أعماق البشر ؛ لأن عاطفة الإحساس
بالجمال ألصق عاطفة بالنفوس ، والاستثارة
الإيمانية عن طريقها تختصر مراحل الطريق .
وأبدا لا أنسى هذا الربيع المتأنيق الساذج
الذي عرف بحسه الجمالي ، وشغفه بالحوار ،
لا أنسى يوما جاءني على مشهد من جماهير قريتي
البسطاء ، وبدعتي قائلا :

« أنتم تقولون إن الله موجود ... فأين هو؟
إنني لا أؤمن إلا بما أراه .
قلت لصاحبي : لا تؤمن إلا بما تراه ،
فأنت إذا قد رأيت القاهرة وأمريكا
وروسيا ، وباريس !
فأجاني في ذهول : أبدا . أبدا لم أر شيئا
من هذا الذي تقول . »

المجروحة ، التي يوشك القبح أن يعنى على
وجها الضاحك الجميل .

ألم أقل لك : إن الجمال كقيمة اجتماعية
يظهر علاقاتنا بالكون وبأنفسنا وبالأخرين ؟

والجمال من حيث هو قيمة دينية هادفة
يعقد صداقة بين الإنسان والله .. صداقة
أساسها الفهم المتحرر الواحد الذي ينمو
على أرض جمالية . ويتفتح في ضوء جمالي ،
ويعرج إلى ربه في نغم مؤمن عالم جميل ..
وهنا لا بد أن نطيل التأمل ؛ فليست قيمة
من القيم الخالدة لقسطيغ أن تقف إلى جوار
الجمال في حركة كونه معراجا إلى الإيمان .
لأن الله يتخذ منه دائما مقدمات لقضية هذا
الإيمان .. إن الله يدعو البشر للإيمان به
عن طريق الجمال المبشور في الأرض ، المبشور
في الآفاق ، « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم
كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج .
والأرض مددناها وألقينا فيها راسي وأنبتنا
فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى
لسكل عبء منيب .. ونزلنا من السماء ماء
مباركا فأنبطنا به جنات وحب الحصيد ..
والنخل باسقات لها طلع نضيد ... » ١١

« والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع
ومنها تأكلون .. ولكم فيها جمال حين
تريحون وحين تسرحون ، »

فقلت : إذن فهمي غير موجودة .. لأنك يا صاحبي لم ترها .

أجاب : كلا .. لأنها موجودة من غير شك فقلت : يا صاحبي .. إذن فافه موجود . ولا يطمئن في وجوده أنك لم تره ، أنتستطيع أن تزم رؤية الحياة الجارية في الفصن الأخضر أنتستطيع أن تحس أو تبصر تنفس الزرع الذي ترعرعه يداك ؟ أنتستطيع حتى أن ترى سر الحياة الكامن فيك .. أنت .. والذي إذا صمت صمتت بجواره الأشياء ؟

وبدا على الرجل أنه قد فهم بعض الشيء . ولكنه بمحركة هفوية ، ربما تكون مجرد حب للحوار .. مهمم في خفوت :

ولكن غيري من الناس رأوا أمريكا . وروسيا ، وغيرهما مما تقول ، وغيره من العلماء والأطباء قد رأوا حياة الزرع وحياة الناس .

قلت : ولكنني ألفتك إلى أن أنا كما كذلك قد رأوا ربهم ليس كما يحبون أن يروه ... ولكن كما يجب هو أن يروه ، إن الرسل قد رأوه يا صاحبي وجلجلوا في الناس : « إنا قد رأينا ربنا » .

قال : فهل أستطيع أن أجلس إليك لتضع يدي على حقيقة وجود الله ؟

قلت : وأنا أعرف ما في الرجل من حس جمالي بتعشق مظاهر الجمال . يا صاحبي .

أنا أستطيع أن أضع يدك على حقيقة وجود الله .. ولا أستطيع .. إن ذلك يتوقف هل مدى تراحم عقلك ، وحسك ومدى ارتفاعك معي عن مستوى القياسات الغرابية المأمدة ، إلى مستوى القياسات الإلهية العليا ... لأنك إن رأيت الله واحتويت وجوده لم يكن هناك فارق بين الله ، وبين سيجارتك التي تقفد في يدك .. لا بد من منطقة فاصلة بين الله والأشياء ... لا بد أن يظل الله أكبر من أن يرى . وأجل من أن يحصر ... وأشم من أن يحاط به .. يكفي دائما أن نرى الله فيما يبدع ويصوغ : في الزهرة الراحشة على غصنها والموجة السارية في غديرها — والضوء الخائر في أفقه ، والنسمة الغافية على شواطئ العبير II في أجنحة هذه الحمامات المطوقة التي تنساب هائمة عبر الأفاق هنا وهناك ... في هذه الأرض السعراء التي تنفخ كل يوم عن جديد ... فيك أنت يا صاحبي ... في خفقات قلبك النابض ... ومهمات روحك الشاعر .. ورقرات خيالك المشبوب ...

قلت للرجل هذه الكلمات ... فإذا بشفتيه الذابطين تحتلجان في رعشة بيضاء متعتما : يا سبحان الله العظيم ... تباركت يا ذا الجلال والجمال ...

(البقية على صفحة ٦٢٣)

أبي جديد هدف الغزل الجاهلي للاستاذ كامل السيد شين

ولأنها أيضا صديقه الذي يشركه في الاضطراب
بين الدارات والمناجع .

٢ - وأكبر الظن أن الشعراء - حاشا
العشاق منهم - عندما يطالعوننا بالغزل في
صدور قصائدهم ، لا يقصد أحدهم وصف
حبيبته هو ، ولا يذكر وداعها هي ، ولا يريد
بوقفته على الأطلال أن يريك ذاك منه وإنما
هو يذكر حبيبته أنت ، ويصف حبيبته
أنت ، ويريد أن يذكرك بوقفته أنت .

فالأعشى عندما يودع هريرة لا يريد بها
إلا (رمزاً) لحبيبته ، وحبيبته ، ولا يريد بها
امرأة أو فتاة خاصة بينها وبينه حب وهلقة .
والأعشى عندما يقول : لأنها غراء فرعاء
مصقولة العوارض ، ثقيلة المشية بهيمة الطلعة ،
إنما يبتغي إصابه شيء من وجوه الحسن التي
تحمل الزجل على التعلق بالمرأة ، فهذا يحب
فتاته لأنها صافية اللون ، وضاحية الجبين ،
ومذا يحبها لأنها جزلة الشعر ، ساذجة الفرح ،
وهذا يعشق منها ثغرا واضحا ، كشعاع الشمس
في القيم سطع .. فهو إذن يبحث عن مجالب
الهوى من أسباب الحسن .. ليصيب السامع
ويبعثه على الإصغاء .

١ - كانت العرب تبدأ قصائدها في الكثير
الشائع بالغزل ، لما أن الحب من العواطف
العامة التي تستصحب الفتى ، وتهز قلب الرجل ،
وتثير ذكريات الشيخ ، ومن ثم كان موقعه
من النفس جالبا للذة والارتياح .

ولما كان هم الشاعر أن يشير فضلك ،
ويحمدك على الإصغاء ، ويجذب قلبك إليه
كان أحسن المداخل أن يهز عاطفتك بأنغام
تستهويك . وليس أقدر على ذلك من تحريك
قلبك بالغزل ، وذكر العصابة ، وموادة النساء .
ولما كان ذلك يتصل في أكثر الأحيان
عند العرب الجاهليين بذكر الرحلة ، من حيث
لأنهم قوم نجمة وارتياح ، وتقلب بين الأماكن
الصالحة ، وكانت الرحلة ضربة شتات بين
أليفين اتصالا زمنا وتجاوبت منهما القلوب ..
كان لابد من ذكر التعريج على أماكن الصبوة
والخلوة ، لما أرادها من إثارة حبيبة ،
وذكر جياشة بأحر العواطف .

ومن هنا كان ذكر الأماكن في مطالع
القصائد ، وذكر ملاقاته العاشق من هنئ ..
وربما كانت ناقة الشاعر مجالا طيبا
لوصفه ، لأنها أدانة إلى معاهد الحب ،

فهذا هو الذى دفع الجاهلى لسلوك هذا الطريق ١

ولعلك تقول : فالغزل الجاهلى زيف كله ،
لأنه افتراضى فلا أصل له ، ولا صدق فيه .
وإذا كان الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية
فهذا ليس أدبا لأنه لم يقم على تجربة حقيقية .
فلنتح الغزل الجاهلى عن ميدان الأدب
بهذا الاعتبار .

ونحن نؤمن بأن الغزل الجاهلى - لإقله -
لا يقوم على التجربة الشخصية ، وليس مستمدا
من واقع الحياة ، ولكن من قال : إن الأدب
لا يسكون أدبا إلا إذا قام على تجربة شخصية
قابعة من الواقع ؟ ومن قال : إن معايير الصدق
والكذب قد وقفت عند حدود التجربة
الشخصية ؟ بلى . إن الأديب قد يبلغ بخياله
الخصيب ، وملاحظته الدقيقة إلى حدود
تكون أعمق صدقا ، وأكثر غنى من
واقع الحياة ١ .

وإن الأديب ليستمد من تجارب غيره
رؤى تكون لها ملامح الحياة وخصائصها ،
وهو لم يعيش تلك التجارب ولم يعانها .

ومن ذا الذى يستطيع أن يزعم أن الأديب
لا يمكن أن يصدق فى وصف آلام الخاض
لأنه لم يعان التجربة ولم يعيشها ؟

ومن ذا الذى يستطيع أن يدعى أن أديبا
مثل شوقي ، قد عاش حياة المنون وكوابرة
وعلى بك الكبير ، وقبيل ، وحاش كذلك

ولعل هذا الارتياح لأسباب الإغراء
والهوى هو الذى صبغ الغزل الجاهلى بهذا
اللون المادى التكشف ، فظنه - من لا يعرف -
إسقاطا ونهما شهويا ، وتلذعا بهذه المفاتن .
وليس ذاك ، وإنما هو استواء السامع
واجتماعه ، وترغيبه فى الاستماع .

وآية ذلك : أن الشاعر لا يذكر حبيبة
واحدة ، وإنما يذكر حبات كثيرات ، وربما
كن من بنات الحوانيت ، وربات الهوى ،
فأولئك لاحشمة معن ، ولا حرج فى وصف
مفاتن ومحاسن ، على حين أن الحرائر
مصونات ، لا يجزى العاشق أن يذكرهن
ولا أن يصف منهن . وللغيرة فى نفوس
العرب سورة عجب ، فلا سبيل لذن إلى تناول
المرأة وتفصيل أوصافها ، وتكشيف مفاتها .

٣ - إذن فالغزل فى أكثر أمره - عند
الجاهلى - خيال وليس حقيقة ، والغزل
- فى أكثر أمره عند الجاهلى - يتصل
بأوصاف الجسد من الوجه والبسمة والنظرة
ومن الفرع والخصر ، ومن الردف والساق ،
ومن الجيد والهند ، وغير أولئك مما يقع
عليه الحس ... وإنما ذهب هذا المذهب لأن
الفتون بالجسد هو التجربة العامة عند سائر
الناس ، أما ما يتصل بالعواطف من شجن
وتلذع ، ومن هيام وخفقان ، ومن شقوة
وإسعاد ، فهذا من التجارب الخاصة التى تنال
بعض الأفراد دون سائرهم .

فأنت ترى الشاعر يحذقته وتلففه وإرهاق شعوره قد استطاع أن يأتي بصفة عامة مشتركة بين الخائف المذعور المتوجس من الشر يعطيه في كل حين ، وبين المحب الواله الذي يعتاده ألم يرى الليل طويلا كأنه لا يتحول نجوه... وهي بعد : مناصبة لبيثتنا العربية القديمة التي يمد فيها الليل مصدر الهول والإفراح ، ففي الليل تكون غارات الأعداء وتسلس الوحوش ، وسرحة الهوام ، وإضلال المساء ، واستبهام الطرق ، مما يلقي الرهبة في نفس البدوي .

ولقد تجدد دلالة الغزل على روح القصيدة في مطلع دريد بن الصمة عند ما قتل أخوه عبدة الله ، فقد جاء به غزلا نائحا مؤذنا بالتفريق والانتقاط ، وانتهاء المودة ، فقال :
أرث جديد الحبل من أم معبد

بعاقبة ، أم أخلفت كل موعد
فلا وصل بينه وبين أم معبد إذ رث
حبلها ، ولا لقاء بينه وبين أم معبد إذ هو بخلفة
كل مواعيدها ... وإنما قال ذلك وهو ناظر
إلى أنه بسبيل تفجع على فراق لا وصل
بعده ، وانتقاط لا أمل معه في لقاء .

ولقد لمح ذلك الدكتور طه حسين عند تناوله لقصيدة المثقب العبدى ، التي يلاحظ فيها العتاب لعمر بن هند ، ويخبره بين المودة الصريحة ، أو العداوة الصريحة . فجاء بهذا المطلع مغلفاً لصاحبه فاطمة :

حياة الست هدى ... بما في هذه الحيوانات
من تدله ، ومكر ، وغدر ، وجبريه ، وسفح
للدماء ، ورغبة في الرجال .

ولو صح أن نقف عند حدود التجارب الشخصية ، وأعطيناها صفة الصدق دون التجارب الخيالية والتاريخية والاصطورية والاجتماعية ، لضيقنا مجال الأدب ، وأنضينا مشاعره ، ولوجب على كل أديب أن يندفع إلى حيوات الانحلال والعريضة والجريمة ليكتسب التجارب الشخصية التي تحقق له الصدق ...

٤ - ولم يكن ابتداء الجاهلي بالغزل مسألة استصباة واستماله فحسب ، بل هناك خاصية في الغزل ليست ميسرة في غيره من الفنون .

فأنت تستطيع أن تطوع الغزل لسائر الفنون ، فيكون غزلك غزلا مبتجاً فرحاً ، ويكون غزلك غزلا غابياً زارياً ، أو يكون غزلا خائفاً مذعوراً ، أو يكون صارماً مدابراً ، باكميا حزينا .

ولقد تنبه القدماء والمحدثون لهذا الأصل وأدركوا أن الشاعر يضع غزله مناسباً لغرضه من القصيدة .

وقد عد صاحب الصناعات من أبرع المطالع قول النابغة في إحدى قصائده الاعتذارية :

كليني لم يا أميمة ناصب
وليل أفاويه بطلى الكواكب

ثم هو ينتقل من الطلب الملح ، والتشدد المشفق إلى الوعيد والنفير ، فهو لا يرضى من صاحبه هذا المظل ، ولا يحب منها هذا الخلاف ، وهو قد صبر وصابر على قلة حبه لهذا النعم من الصبر والمصابرة ، فلو أن إحدى يديه خالفته كما تخالفه قاطمة هذه لها وصل بها يده الأخرى ، بل لقطعها قطعاً وقال لها : إذهبي إلى غير رجعة ، فإنني أكره من بكرهني ، وأتحول عن تحول عني .

ثم قال :

ولابد أن نصف الشاعر ، فهو ينشئ قصيدته في العتاب ، وهو يفكر من غير شك في صاحبه الذي صيغته حين ينتهي إليه ، أكثر مما يفكر في صاحبه التي يطلب إليها المتاع . فإذا تحدث إلى حبيبته بهذه اللهجة القاسية الغليظة ، ووجه إليها هذا النذير الغليظ الحشن ؛ فهو خلق إذا تحدث إلى صاحبه أن يكون حازماً صارماً ، ومتشدداً قاطعاً ، لا يحب الهوادة ولا اللين (١)

هـ — وظل الشعراء يتبعون هذا النهج حتى كانت دعوة أبي نواس إلى اطراح التغزل جملة في مطالع القصائد ذهاباً إلى أن هذه بلاغة القدم الجاهل .

أو كانت هذه الدعوة من أبي نواس جهلاً بالغرض الذي كان يقصد إليه الشعراء

أفأطم : قبل بينك متعيني
ومنحك ما سألت كأن تبيني
فلا تعسدي مواعد كاذبات
تمر بها رياح الصيف دوني (١)
فإني لو تخالفني شمالي
خلافك ما وصلت بها يميني
إذا لقطعتها ، واقلت : يدي .
كذلك أجتوى من يجتوي
قال الدكتور طه حسين :

هـ فهو منذ البيت الأول قليل الرفق بصاحبه ، حريص على أن تمتعه قبل وحيلها بالنظر والحديث والتحية ، ولسكنه لا يطلب إليها ذلك فيما ينبغي أن يكون عليه العاشق من الرفق والإلحاح الذي لا غلظة فيه ولا عنف . وإنما هر يطلب إليها ذلك في شيء من الجدال المنطقي العنيف ، ألسنت تراه يزعم لها أنها إن منعت ما سألها فكأنها قد ارتحلت عنه ، وكأنما انقطعت بينها وبينه الأسباب ؛ فقرها منه وجوارها له لا يغنيان عنها شيئاً إذا لم يصحبها الوصل . وصاحبنا متعجل ملح مشفق من خيبة الأمل ، لا يطمئن إلى الوعد ، ولا يستريح إلى الأمل :

فلا تعسدي مواعد كاذبات
تمر بها رياح الصيف دوني

(١) خص رياح الصيف لأنها تأتي بالغيار والعجاج ، فلا خير فيها .

لو دعا أبو نواس إلى أطراح هذه المقدمات
التي لا تهز ولا تثير؛ لأنها استنفدت أغراضها ،
ولم تعد ذات شأن وأثر . . . لصح أن تكون
دعوة متقبلة .

ولكنه يريد أن يستبدل مقدمة بمقدمة
أخرى . . . يريد أن يحول بين الناس وبين
ذكر الطلول ، ليدعوم إلى وصف ابنة الكرم :
صفة الطلول بلاغة القدم

فاجعل صفاتك لابنة الكرم
تصف الطلول على السماع بها
أفقد العيان كانت (١) في الحكم
وإذا وصفت الشيء متبعاً

لم تخل من خطأ ومن وهم
يريد أن يحول بينهم وبين ذكر الحبايب ،
وأن يجعلوا ذكرهم للحمراء الحبيبة المشرقة :
لا تبك ليلى ، ولا تطرب إلى هند

واشرب على الورد من حراء كالورد
ويسخر من هذا الذي يذكر الوقوف
على الديار والأطلال :

قل لمن يبكي على ربيع درس
واقفا ، ما ضر لو كان جلس
فتورة أبي نواس هذه جديرة بالتقدير
من ناحية أن في متابعة الأقدمين على اختلاف

(١) هذا من أبي نواس خروج أيضاً على المواضع
اللغوية ، فإن حرف الجر لا يجوز أن يدخل على ضمير
الرفع والصواب أن يقول (مثلك) في الحكم . .
ولكنه أبو نواس !

حين يستفتحون قصائدهم بالغزل ، وعدم
فطنة إلى المرمى الحقيقي له من الاستبصار
والاحتساب . .

أكبر الظن أن أبا نواس كان يقصد الخروج
على المواصفات ، فقد كان طبعاً بالسخرية
من كل ما يتلقاه الناس بالقول والإذعان ،
فهو ثائر على الأوضاع الدينية ، ثائر
على العرب ، ثائر على نظام القصيدة ، ثائر
على اللغة . . وعلى الجملة فإنك لا ترى مواضع
اتفق الناس على إنزالها منزلة الجلالة
إلا هاجها أبو نواس .

والذي يعني أن ننظر : أكان أبو نواس
على حق فيما دعا إليه من هجر الغزل واستبداله
بالخر ؟

أما إن أبا نواس لو دعا إلى عزل المقدمات
جملة ، وبدء القصائد بما هو المقصود ،
والاستغناء عن هذا التقليد الذي ألزمه الناس
دون اعتبار لمراه ، ودون نظر إلى مناسبته ،
ودون تحرر لصدقه فصاروا يذكرون رامة
واللوى والأجرح والزوراء ، وصاروا
يذكرون الأطلال المعافية ، والدمع البالية ،
دون أن يصدروا في ذلك عن أصل ، ودون
أن يكون للخاطبين أنفسهم عهد بمثل هذه
المواقف يهز قلوبهم ، ويشير ذكرياتهم ،
بعد أن سكنوا القصور ، وهمروا المدن وجعلوا
كل شيء في حواضرهم عن الرحلة والمعاهد
التي تبلى ، وتحول . .

ثم يقول :

تقول التي من بيتها خف يحلى

هزير علينا أن نراك تسير

أما دون مصر للغنى متطلب

بلى ؛ إن أسباب الغنى لكثير

قلقت لها ، واستعجلتها بوادر

جرت فجرى في جرمين هبير

ذرى أكثر حاسديك برحلة

إلى بلد فيه الخصيب أمير

وإن كان من الحق والإنصاف أن تقول :

أنه سلك في غزله طريقة مقبولة ، فلم يذكر

رحلة ناقة ولم يقف على طلل ، ولم يحاول أن

يخلع روحه الحضريه ليتقمص روحا بدوية

كما كان يفعل الشعراء في عصره .

والرأى هندي ، أنه كان ينبغي لأبي نواس

أن يسبق الغزل ، في مطالع القصائد التي

تتناسب أغراضها معه ، على أن يكون على

طريقة الحضر ، لا على طريقة البدو ، فهذا

أدخل في الصدق ، وأتأى عن الزيف ، وأحق

بأن يستصحب السامع الحضري الذي لم يمارس

حياة البادية ، ولا تثير معاهدا ،

ولا تزيها وأطلاها .

٦ - وجلة الامر : أن الغزل الجاهلي

- في الأعم الأشيع - كان يراد به أطباء السامعين

واستهواؤهم وأنه - في الأعم الأشيع - كذلك -

الوضع ، واختلاف البيئة جنابة على الصدق

صدق العمود ، وفيها تزييف صارخ للعواطف

والمواقف ، وفيها تهمة واضحة من السامع

للشاعر .

ولكنها لا قيمة لها من جهة أخرى ،

من ناحية أنه يريد من كل شاعر أن يذكر

الخمر ويتغنى صفاتها .. ومعلوم أن ليس جميع

الشعراء يحبون الخمر حب أبي نواس ،

أو يبرعون في وصفها براعة أبي نواس ..

وليس حب الخمر (كحب النساء) عاطفة

مشتركة ، تلذ الشاب والرجل والشيخ ، وربما

كان مقمتها كبيراً في النفوس الصالحة التي غلب

عليها الدين والتوقر .

إذن فلا تصلح الخمر أن تكون بديلاً من

الغزل ؛ إذ لا تثير ما يثير الغزل من انفعالات

مشتركة فلو اتبعنا دعوة أبي نواس لم نخل من

تزييف العمود ، ولم نتحرر من كذب التغزل

في المرأة إلا لنقع في كذب التغزل في الخمر .

ولذلك لم يستطع أبو نواس نفسه أن يطبق

مبدأه هذا ، بل عاد إلى ذكر الغزل ، واصطناع

المراودة والمحاوره بين جاراته وبينه ، في مدحته

للخصيب ، فذلك حيث يقول :

أجارة يبقينا أبوك غيور

وميسور ما يرجى لديك هسير

فإن كنت لا خلا ولا أنت زوجة

فا برحت دوني عليك ستور

إذا صلحت فإنما تصلح لأمثال الحكمى من حباد
الخمر ، ولا تقوم مقام الغزل في الإشارة
إلى الغرض الذى يقصده الشاعر ، والتهية
لهذا الغرض بجسو مناسب له من الغزل ،
إقبالا أو إعراضا ، ألما أو نشوة ؟

كامل السبر ساهين

لم يكن يسبر عن تجربة شخصية ، وأن ذلك
لم يخرج من دائرة الصدق ، إذ التجارب
الخيالية كثيراً ما تقوم مقام التجارب الذاتية
وأن دهوة أبى نواس إلى أطراح الغزل
ليست إلا امتدادا لمبدئه في مهاجمة اللواضعات
وأن دعوته إلى الابتداء بوصف الخمر ،

(بقية المنشور على صفحة ٦١٦)

بأمواج القبح الفبيح ، أغلب الظن أنها
كانت لا بد أن تتحطم وتتهالك .. أو تأوى
إلى كهف بارد منطفيء الآفاق والأهواق ...
إذا ... فلنبارك الجمال كهيئة من هبات
السماء ... وهدية من هدايا الرب ، ولننعمش
هذا الجنان بكل ذرة من ذرات كيانتنا الحى .
لتكن أعماقنا جميلة ... ولتكن أخلاقنا
جميلة ... ولتكن علاقاتنا جميلة ... ولتكن
عقائدنا جميلة ... فإن هذا الجمال وحده هو
الذى يمكن أن يخلع على الحياة والأحياء
جميعا كل مظاهر الحب وكل مظاهر التطور .
وكل مظاهر الإيمان .

وما أجل أن تكون جميلا ... وأن
أكون جميلا ...

وأن تحيا الأسرة الإنسانية كلها طابدة
في محارب الجمال ؟

محمد أصم العزب

ولست هنا أسوق هذه السطور كشهد
تمثيل أو لجرد أن أسود الصفحات ... أبدا
فما إلى شئ من هذا قصدت .. وإنما هدف
من وراء ذلك إلى أن أؤكد أن الجمال أخصب
مقدمة يمكن أن تفضى إلى نتيجة الإيمان
إن الرجل لم يهتز بجوارى العقل . ولا بمجذلى
المنطقى ... ولكنه تهاوى تحت مطارق
الإحساس الجمالى الرهيف .. لقد أحس بأن
هذه الكلمات التى يسمعها تعكس عالما بأسره
يعيش فى أطوائه وبين حناياه .. أحس بأنها
تفتح عينيه على مجالى الكون ، وأقداس
الطبيعة ، فتقف منها على ما لم يقف عليه من قبل
أو قل على ما كان يقف عليه فى عفوية صادجة
بريئة ...

وبعد ...

فلست ندرى ماذا كانت تكون حياة
الإنسان لو أنها أقفرت من الجمال ، وزخرت

ما يقابل عن الإسلام

بين الأُمَمِ واليوم

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

يقشر هذا الانتشار في أرجاء العالم ، وأن يقف في وجهه الهجمات الخارجية على الرغم من ضراوتها .

هذا هو السؤال الكبير الذي دار في خلد الدول غير الإسلامية قديما ، والذي لا يزال يحير أذهان أصحاب المال غير الإسلامية إلى اليوم .

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر بدأت أوروبا مع النهضة الصناعية والاستعمار الجديد تجيب عن هذا السؤال بشكل جديد ، بعد أن اختل ميزان القوى بين الشرق والغرب ، وتجمد الشرق وأخذ في الضعف ، على حين نهض الغرب ، وصعد سلم القوة بسلاح العلم والصناعة والتصنيع .

ولقد اتجه البحث منذ ذلك الحين عن سر قوة الإسلام يصير في طريق على ، وتسلم رأيه جماعة يسمون بالمستشرقين ، وقد عالجوا هذا البحث من زوايا شتى ، وهي تكون على اختلافها دراسات متكاملة ،

كان ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي ضربة قاضية على أكبر إمبراطوريتين في العالم القديم ، وهما الفرس والروم ، وانتشر الإسلام من الشرق إلى الغرب بسرعة عجيبة ، ليس لها مثيل في التاريخ حتى اليوم ، وظل الإسلام ينتشر ويمتد حتى القرن الخامس عشر الميلادي ، حين بدأ يراجع من الاندلس ، ولكنه في الوقت نفسه ، أخذ يدفع بقوة من جهة الشرق نحو أواسط أوروبا ، ومن الطبيعي أن يحدث في أثناء ذلك مد وجزر ، وأن تقع تاريخيا مواقع دامية تمثلت في الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين من الزمان ، وفي غزو المغول الذي وفد من أقصى الشرق ، وانتهى بعصده وإسلام المغول أنفسهم ، وظل الإسلام ثابتا شامخا كالطود ، بل استطاع أن يقشر في بقاع جديدة من الدنيا ، لاجد السيف ، بل بقوة العقيدة كالحال في أندونيسيا .

فأما القوة السامنة في الإسلام التي جعلته

الصوفية كانت المواقع الامامية للمسلمين التي يدافعون منها عن البلاد . وظل للطرق الصوفية هذا الأثر في القرن التاسع عشر ، ولكنه أخذ في التدهور شيئاً فشيئاً مع النهضة الحديثة في كافة أنحاء العالم الإسلامي ...

* * *

كان ذلك حال الدراسات الغربية عن الإسلام ، وهي التي تلخصها الاتجاهات الثلاثة السابقة ، نشر المخطوطات ، والعناية بالعلوم عند العرب ، والأبحاث في التصوف والعقيدة بوجه عام .

وقد استنفدت تلك الاتجاهات أغراضها . إذ أن معظم الكتب الهامة قد فرغ المستشرقون من نشرها ، وقد ترجم بعضها لأهميته ، كما أن المباحث عن التصوف لم يعد فيها حاجة لمزيد .

ولذلك وجب أن تتجه الأبحاث عن الإسلام وجهة جديدة ، يمكن أن تلخص في أمور ثلاثة .

(١) الكشف عن التأثير الأجنبي في الحضارة الإسلامية قديماً ، وكيف وقع هذا التأثير ، وعلى أي نحو ، وفي أي المدن وما هي الكتب التي نقلت إلى اللغة العربية وكان لها تأثير في تلك الحضارة . وهذا النوع من الدراسة في غاية التخصص

بدأت هذه الأبحاث بما ينبغى البدء به ، أي بنشر الأصول نشرأً علياً محققاً مع العناية بالفهارس للاستفادة من تلك الكتب ، وهكذا نشر أعظم موسوعة تاريخية وهو تاريخ الطبري ، كما نشرت المكتبة الجغرافية التي تشمل زهاء عشرة كتب في الجغرافيا ، وكتب طبقات الأطباء وهي الفهرست لابن النديم ، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة وأخبار الحكماء للقفطي .

ثم اتجه البحث ثانياً بعد نشر الكتب الخطية إلى الكتابة عن العلوم والفنون العربية المختلفة ، مثل الطب ، والهندسة ، والفلك ، والموسيقى ، وغير ذلك . وأحسب أن قراء العربية يذكرون كتاب المستشرق الإيطالي ، ثلثينو ، الذي جاء إلى مصر عند افتتاح الجامعة المصرية ، وألقى محاضرات في تاريخ علم الفلك عند العرب ، طبعت كتاباً سنة ١٩١١ . فهذا نموذج لتلك الدراسات العلمية .

ثم اتجه البحث ثالثاً إلى الكتابة عن الإسلام نفسه ، ورأى المستشرقون في ذلك الحين أن جوهر الإسلام وقوته في التصوف فتعددت دراساتهم عن هذا العلم . حقا كان التصوف منذ القرن الخامس الهجري تأثير في المسلمين من جهة تمسكهم بالدين ، وبخاصة بعد نشأة الطرق الصوفية التي كانت تجمع بين الدين والعلم والسياسة لأن الرباطات ،

لا يزال يعمل بعض المستشرقين منذ سنوات كثيرة في إعداد مخطوطات للنشر مع موازنتها بأصولها اليونانية ، ولم تصدر أحدها بعد . أما الذين يستعجلون ، فإن دراساتهم على الرغم من أهميتها تقدم بالضعف . مثال ذلك الدراسة التي نشرها الأستاذ فرنسكو جبريل لكتاب « تلخيص النواميس » للفارابي . نشر النص العربي في (٤٢) صفحة ، وترجمه إلى اللغة اللاتينية ، ووضع معها بالالفاظ العربية وما يقابلها باليونانية في ثلاث صفحات تقريبا . وكان الأجدر أن يكتب مقدمة البحث بلغة حديثة كالانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الإيطالية بدلا من اللاتينية ، وكذلك الترجمة . وما دام الناشر قد أثر اللاتينية ، فلست أدري لمَ لم يضع المصطلحات اللاتينية إلى جانب اليونانية . وليس غرضنا الآن نقد النص المنشور ، وإنما غرضنا فقط بيان نهاية المستشرقين بالموازنة مع الأصول اليونانية . ومن هذا القبيل أيضا ، على سبيل المثال لا الحصر ، كتاب علم العدد لنيقوماخوس ، والذي نشره المستشرق « كوتش » ، وهذا الكتاب ترجمة عربية قديمة لكتاب في علم العدد ، من تأليف نيقوماخوس أحد الرياضيين الذين كانوا يعيشون في الإسكندرية ، ويعد من علماءها . وقد نشر المستشرق في آخر الكتاب ثبنا

ويحتاج إلى تجميع الكتب في ترجماتها الأولى وموازنة هذه الترجمات العربية بأصولها السريانية واليونانية . فنحن نعرف أن معظم التراث اليوناني كان قد نقل في القرنين الخامس والسادس الميلاديين إلى اللغة السريانية ، فلما ظهر الإسلام ، واستتب وبدأت حركة الترجمة منذ أوائل الدولة العباسية ، واشتدت زمان الرشيد والمأمون والمعتصم في بغداد ، نقلت الكتب من السريانية ، وكان يكتبني بهذا النقل ، أو تراجع الترجمة على الأصل اليوناني وقد حدث عند نقل الكتب من اليونانية إلى السريانية شيء من التغيير لاختلاف اللغتين ، فلما نقلت الكتب مرة أخرى من السريانية إلى العربية وقع تغيير آخر . ومن أحسن الدراسات الخاصة بهذا الضرب من الترجمة عن اليونانية من خلال السريانية ، ذلك البحث الذي قدمه الدكتور خليل الحبر عن مقولات أرسطو ، في أصلها اليوناني ، ثم في ترجمتها السريانية ، ثم في ترجمتها إلى العربية . وهي دراسة نال بها إجازة الدكتوراه من جامعة السربون ، في أثناء الثلاثينيات من هذا القرن .

ولما كانت هذه الدراسات في غاية الصعوبة كما ذكرنا ، فإنها تحتاج إلى انقطاع زمن وتخصص ومعرفة وثيقة بعدة لغات ، ولذلك

وعلم آخر لم يدرسه المستشرقون من قبل العلم
إلا في مقدمة كتبها أحدهم بمناسبة نشر كتاب
في الجغرافيا . ثم انقطع عالم مستشرق روسي ،
هو « كراتشونسكي » ، لدراسة هذا العلم ،
وأحاط بجميع المكتسب الجغرافية العربية ،
والتي كانت قد نشر بعضها باسم « المكتبة
الجغرافية » ، ثم كتب بحثاً مطولاً في مجلدين
باللغة الروسية ، وقد ترجم هذا الكتاب
الجليل إلى اللغة العربية عن الروسية رأساً ،
وصدر منه الجزء الأول (الناشر لجنة التأليف
والترجمة والنشر) ، والجزء الثاني في المطبعة
وسيصدر قريباً . ويعد هذا الكتاب نموذجاً
للتأليف الرصين ، المحيط بكل أطراف
الموضوع لإحاطة تامة ، مع معرفة وثيقة
بالبليديات ، والتضاريس ، والأجواء ،
والأفلاك ، والأدب واللغة ، لأن الجغرافيا
فروع كثيرة ، وبعض هذه الفروع كان يؤخذ
من كتب اللغة وقواميسها . ومن أجل ذلك
جعل المستشرق عنوان كتابه « الأدب
الجغرافي عند العرب » .

وقد أشرنا من قبل إلى كتاب الأستاذ
« نللينو » ، « علم الفلك عند العرب » ، والذي
صدر سنة ١٩١١ أي منذ أكثر من خمسين
عاماً ، وأكبر الظن لو أن هذا المستشرق كان
لا يزال على قيد الحياة ، لأصدر من كتابه
طبعة ثانية معدلة تعديلاً أساسياً في ضوء

بالمصطلحات العربية وما يقابلها باليونانية .
هذا الاتجاه نحو عصر الترجمة في الإسلام
لا شك يحلو جانباً مهماً في تاريخ الثقافة العربية ،
ويثبت كيف استطاعت اللغة العربية
أن تكون لغة حضارة عالمية ، ولغة علم تدسع
لجميع العلوم .

٢ — الاتجاه الثاني نحو العلوم عند العرب .
حقاً كانت الدراسات عن العلوم بدأت منذ
القرن التاسع عشر ، بعضها في الطب ، وبعضها
الآخر في الرياضيات كالحساب والهندسة ،
إلا أن تلك الدراسات لم تكن مستفيضة ،
وكانت تحتاج إلى مزيد من العمق والإحاطة
والمتابعة .

وكانت هناك علوم باكملها لم يدرسها
المستشرقون في القرن التاسع عشر ، مثل علم
الكيمياء الذي لم يبحث بمعنى الكلمة
إلا على يد المستشرق « كراوس » ، الذي وفد
إلى مصر قبل الحرب العظمى الثانية ، وبقى بها
إلى عام ١٩٤٥ تقريباً عندما انتحر لأسباب
لم يكشف الستار عنها بعد ، لأنه كان يهودياً ،
ويبدو أن إسرائيل كانت قد طالبت به بأمور
عجز عن فعلها . وقد طبع بحثه عن « جابر
ابن حيان » ، باللغة الفرنسية في مصر ،
في مجلدين ، وذلك بالمجمع العلمي المصري .
وكان « كراوس » قد نشر قبل ذلك جزءاً
كبيراً من رسائل جابر بن حيان .

تطوان سنة ١٩٥٥ . ومثال آخر لهذا التعاون كتاب «هنرى كوربان» ، عن تاريخ الفلسفة الإسلامية الذى ظهر هذا العام فى باريس ، بالاشتراك مع «سيد حسين نصر» ، و«عثمان يحيى» .

ولكننى أقصد إلى شىء آخر ، وهو استقلال المؤلفين العرب أو المسلمين بالتأليف باللغات الأجنبية . ومثال ذلك كتاب جليل صدر منه الجزء الأول ، والثانى فى طريقه إلى الصدور ، بعنوان تاريخ الفلسفة الإسلامية A History of Muslim Philosophy أشرف على تأليفه الأستاذ شريف من الباكستان ، وجميع الكتاب الذين كتبوا فصوله مسلمون إما من الباكستان أو الهند أو مصر والشام والعراق وغير ذلك من الدول العربية . وليس الكتاب خاصاً بالفلسفة فقط ، بل بالفكر الإسلامى بوجه عام ، إذ فيه فصول عن الفقهاء والمحدثين والمفسرين والأدباء ، وقد اشتركت فى هذا الكتاب بفصلين أحدهما عن الكندى والآخر عن ابن رشد ، وهما باللغة الإنجليزية لأن الكتاب كله بهذه اللغة ، وحتى الذين كتبوا باللغة العربية فقد ترجمت فصولهم إلى الإنجليزية . والكتاب منشور فى فيسبادن بألمانيا .

٣ — الاتجاه الثالث ، وهو الأهم ، نحو

المخطوطات العربية التى كشف عنها ، وطبع بعضها . ومع ذلك لا يزال كتابه ذا قيمة كبيرة ، وإن احتاج إلى تعديل ، ففى بعض التفاصيل لا فى الهيكل الأساسى .

ولكن هناك علوم عربية كثيرة لا تزال فى حاجة إلى دراسة شاملة مثل علم النبات ، وعلم الحيوان ، وعلم الجيولوجيا ، وعلم الهندسة ، وفروع كثيرة من العلم الرياضى ، وعلم الطب ، وعلم الصيدلة والعقاقير ، وغير ذلك . وإذا كان من الصحيح أن دراسات جزئية قد تمت فى كل هذه العلوم ، إلا أن التأليف الشامل فيها ، والمحيط بها لم يتم بعد ، لا على أيدي المستشرقين ، ولا على أيدي المسلمين أنفسهم .

نقول ذلك لأن المسلمين والعرب بدوا يتلقفون السكره من أيدي المستشرقين ، فأقبلوا على التأليف فى هذه المجالات بالمهج الحديث المنظم الذى كان يسير عليه المستشرقون . وفى بعض الأحيان يشترك مستشرق غربي ، ومسلم عربي فى إخراج دراسة واحدة . مثال ذلك كتاب «الفلاحة لابن بصال» ، الذى نشره وترجمه ، وهادق عليه اثنان ، أولهما «خوسى مياس بييكروسا» الأستاذ بجامعة برشلونة ، والثانى «محمد هزيمان» ، السكرتير العام لوزارة التربية بالمغرب . والكتاب من منشورات معهد

الكتابة عن الإسلام من الناحية الاجتماعية والسياسية ، وقد اقتضت ضرورة العصر الاتجاه هذه الوجهة ، ذلك أن علم الاجتماع علم حديث جداً ، لم يصحح علماً بمعنى الكلمة إلا في هذا القرن العشرين ، وكذلك الحال في علم النفس ، لذلك كان لابد أن يدرس الإسلام في ضوء هذين العلمين ، وبمناهجهما الحديثة دراسة جديدة ، سواء من الناحية التاريخية ، أم في الوقت الحاضر .

إن الاهتمام بالنواحي السياسية والاجتماعية والأخلاقية في الإسلام سمة مميزة لدراسات معظم المستشرقين في الوقت الحاضر ، وذلك لسببين : الأول : أن الإسلام لم يدرس من قبل من هذه الزاوية ؛ فكان لابد أن تطبق عليه المناهج الجديدة في البحث ، وأن يفتح الباب لمثل هذه الدراسات . والثاني : أن الغرض الأساسي للمستشرقين منذ قيام الاستشراق قديماً وحديثاً هو البحث عن السر في قوة الإسلام والمسلمين . وقد اتجهت المباحث قديماً نحو الكشف عن العقيدة الإسلامية وعن العلوم عند العرب ، واليوم يتجه البحث نحو تركيب المجتمع الإسلامي .

ونضرب مثالا - على سبيل المثال لا الحصر - لكتابين أحدهما للأستاذ روزنل بعنوان « الفكر السياسي عند المسلمين في العصر الوسيط ، طبع طبعة أولى سنة ١٩٥٨ ، وأعيد طبعه في نشرة شعبية رخيصة سنة ١٩٦٢ .

والكتاب الثاني بعنوان « البناء الاجتماعي للإسلام ، صدر سنة ١٩٦٢ ، للأستاذ « روبن لينى » . ولهذا الكتاب قصة تؤيد مآذبه إليه من تطور الدراسات الاجتماعية في العصر الحاضر بسرعة سريرة . ذلك أن طبعته الأولى صدرت في مجلدين سنة ١٩٣١ والثاني سنة ١٩٣٣ ، بعنوان « الإسلام من الناحية الاجتماعية ، The Sociology of Islam ولكن تطور علم الاجتماع السريع اقتضى أن يعدل المؤلف من كتابه تعديلا جوهريا ، فأصدره في طبعته الثانية المعدلة سنة ١٩٥٧ بعنوان المذكور أعلاه ، وهو بالإنجليزية The Social Structure of Islam

ومن الدراسات التي تنحو هذا المنحى ولكن بطريقة أخرى ، الكتب الثلاثة التي ألفها الأستاذ « مونتجومري وات » ، والتي تؤلف « ثلاثية » عجيبة ، وهي على التوالي « محمد في مكة ، و « محمد في المدينة ، و « الإسلام وتوحيد المجتمع » . ولما كانت هذه الكتب الثلاثة ، أو ثلاثية « مونتجومري وات » ، في غاية الأهمية والخطر ، إذ اتبع فيها التفسير المادى للتاريخ إلى الحد الذي اتهم فيه بالشيوعية ، فهي لا ريب جدرة بالتنفيذ ، وهذا ماسوف نصنعه في المستقبل إن شاء الله .

دكتور أحمد نواز الالهواني

الكتاب

نقد وتعريف : محمد عبد الله السراج

خالد بن الوليد والرهوة المحمدية :

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

هذا الكتاب الذي نشرته مكتبة الجامعات بالقاهرة تبلغ صفحاته زهاء ثلثمائة وعشرين صفحة ، مهد المؤلف له يبحث عن المقومات النفسية للعرب ، ثم أشار إلى ميلاد خالد ونشأته وحروبه في الجاهلية ، كما تحدث عن مدوني التاريخ الإسلامي ، ونشأة التدوين ، ورأى أن عبد الله بن عمر أول من حاول التدوين موجهاً منه إلى نطق النبي الكريم بين أصحابه ، إلا أنه مزق صحيفته خشية أن تختلط بالقرآن ، ثم تبعه بعض التابعين الذين تلقوا من ابن عمر ، وقد قام عروة بن الزبير بالتدوين نقلاً عن غيره بدون إسناد ، وذلك في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وولي عروته ابن إسحق المتوفى عام ١٥١ هـ مقتبساً معلوماته من عروة ، ثم يليهما ابن هشام الذي استقى معلوماته عن ابن إسحق مع أنه توفي بعده بقرن ونصف ، ثم تبعهم الواقدي ثم الطبري وهكذا .

ويشير المؤلف إلى صفحة جديدة في تاريخ

خالد ، حيث تحول من دفاع عن الأوثان وذب عن تقاليد الآباء ، وسجود اللات والدمى ومناة ، إلى دفاع عن الإسلام وقيمته ومبادئه ، فكان إسلامه حادثاً خطيراً في تاريخ قريش ، اهتزت له جنبات مكة ، وارتعدت منه فرائص أبي سفيان زعيمها . وينتقل المؤلف مع خالد في المعارك التي اشترك فيها أو قادها ، إلى تبوك ، وإلى قتيق ، وإلى البطح ، وإلى العراق والشام ، ليسجل له بطولات حفل بها التاريخ ، وعبقريه عسكرية فذة لم تزل ماثرة دهشة وعجب إلى يومنا هذا .

والمؤلف لم يكن في دراسته عن خالد مجرد مؤرخ يتتبع الروايات الصادقة في سيرة البطل ، وإنما كان باحثاً ومدققاً ومحصصاً لهذه الروايات ، وقد عني عناية كبرى باقتضائها التي أثرت حول خالد في معاركه ، ليبين فيها وجه الحق والصواب ، ويخرج منها عبارات الإسفاف والاقتضات معاً .

فقصة خالد مثلاً مع بني جزيمة ، قد أخذ على خالد فيها أنه تهيج الفتك بهم ، ولم يهملهم

حق يتفق من قبولهم الدعوة الإسلامية أو رفضها حتى ينفذ حكم الله فيهم ، والمؤلف هنا بعد أن يسرد الروايات التاريخية للقصة يرجع عمل خالد في بني جزيمة إلى ثلاثة احتمالات يسوق على كل منها شواهد من التاريخ :

الاحتمال الأول : أن يكون خالد رأى القوم وعليهم سلاحهم ، فظن بهم الغدر ، وأراد أن يعاجلهم قبل أن يعاجلوه .

والاحتمال الثاني : أن يكون خالد رأى تردداً في بني جزيمة حيال دخولهم في الإسلام ، فأعمل فيهم السيف .

والاحتمال الثالث والآخر : أن يكون في نفس خالد بقية من إرث الجاهلية وأحقادها ، وقد كان بين بني جزيمة وبني سليم قوم خالد من ناز .

ويخلص المؤلف بعد تمحيص هذه الاحتمالات إلى أن خالد قد أخطأ في عمله هذا خطأ فصح بيت مال المسلمين بما غرقه من ديات وهوض بأمر من الرسول كعلاج لخطأ خالد ، وقد أخذ الفقهاء من هذه القصة حكم القائد الذي يخطئ ، فيؤدى عنه ما كان من دماء وأموال من بيت المال .

وينفي المؤلف عن خالد أن يكون قد قتل مالك بن نويرة ليحظى بأمراته الجميلة من بعده ، ويرى أن في القصة تهالكاً واقتياناً على خالد ، وما يبرى خالد أن مالك بن نويرة لم يمت مسلماً ، ولم يكن قتله جناية

من خالد ، ويستدل المؤلف برواية لقاء متمم ابن نويرة أخى مالك مع عمر بن الخطاب ، حين سمعه يرثى أخاه فقال عمر : « هذا والله التأبين » ، ولوددت أنى أحسن الشعر ؛ فأرثى أخى زيدا بمثل ما رثيت به أخاك ، فقال متمم : والله لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته . كما يستدل أيضاً بمناقشة أبي بكر لخالد حيث انتهت المناقشة ببرأته . ويناقس المؤلف قصة ذل خالد لإثر

موقعة اليرموك ، بل ويشكك في هذه الرواية إذ ليس من طبيعة عمر لحازم أن يعزل قائداً في مثل هذه الظروف الحرجة ، ويقم تشكيكه على أن خالد قد اشترك في بعض المواقع بعد اليرموك ، بل لقد وجد دينار ذهبي ضرب في طبرية في السنة الخامسة أو السادسة عشرة الهجرية من دنانير خالد ضربت على هيئة الدنانير الرومية .

الكتاب دراسة على جانب من الأهمية ، والمؤلف بذل جهداً له تقديمه في تحليل الأحداث ، وتحقيق الروايات .

الاسماء والمعراج :

للككتور محمد محمد أبو شهبه :

يقع في مائة صفحة وبضع صفحات من القطع المتوسط ، مهد لموضوع الإسراء والمعراج بتمهيد في ثلاثين صفحة عن حاجة البشر إلى الشرائع السماوية ، وحقيقة الرسل والمعجزة ، ومعجزات الرسول الحسية ،

فضائل النبي صلى الله عليه وآله :

للشيخ عبد الله الصديق القناري :

هذا الكتاب الذي نشرته مكتبة القاهرة بالأزهر يقسم في مائة وعشرين صفحة من القطع الكبير ، تناول فيه المؤلف فضائل النبي من واقع كتاب الله في جميع السور القرآنية ، والحق بهذا الكتاب بحثاً آخر في ثلاثين صفحة تحت عنوان : « النفحة الإلهية في الصلاة على خير البرية ، ضمنه عديداً من الأحاديث النبوية التي تشيد بفضل الرسول وعلو منزلته .

الشيخ عبد الله الصديق وأثره في الجغرافيا

للأستاذ مصطفى محمد كامل

هذه الرسالة إحدى حلقات « كتب إسلامية ، التي يصدرها المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية بالقاهرة ، أراد المؤلف ببجته أن يكون كشفاً للنقاب عن حضارة عربية ازدهرت على يد العرب ، وإحساساً بفضل علمائنا وأثرهم في تطور العلم ، وفي مقدمتهم الخوارزمي ، واليعقوبي ، والاصطخري ، والمسعودي ، وابن حوقل ، والمقدسي ، ثم الإدريسي الذي ولد عام ٩٣٠ هـ في « سبقة » بالاندلس وقت لغارة المرابطين عليها

محمد عبد الله السمان

وناقش المنكرين للعجيزات الحسية ، ثم انتقل إلى الموضوع نفسه ، يتكلم عن الإسراء والمعراج وثبوتهما بالقرآن والسنة ، وأكد أن الإسراء والمعراج كانا بأزوح والجسد معا ، وناش رأى المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد ، وهو تصوير الإسراء والمعراج تصويراً روحياً مبنياً على فكرة وحدة الوجود ، ويرى المؤلف أن هذه الفكرة ، فكرة خاطئة ومن مخلفات الفلسفات القديمة ، وقد انتصر لها وتشجع بعض المتصوفة الذين ينتسبون إلى الإسلام وكتبوا بها فكان طاقبتهم الأحاد في الله وصفاته .

المطر البهري

للأستاذ محمد خليفة التونسي

هذا الكتاب أول ترجمة عربية أمينة كاملة لبروتوكولات حكماء صهيون ، قدم لها أستاذنا المرحوم العقاد ، كما كتب المترجم مقدمة تحليلته في مائة صفحة كشف فيها عن خطورة هذا الكتاب ، وبعض عناصر المؤامرة الصهيونية ، وذعر اليهود لنشر هذه البروتوكولات ، كما قارن بينها وبين كتبهم المقدسة وأقوال ربانهم وزعمائهم ، وأكد أن المبادئ الصهيونية شر من المبادئ الحكيما فلية ، وهذه النسخة العربية الوحيدة قام بترجمتها الأستاذ التونسي عن الطبعة الخامسة للترجمة الإنجليزية .

فتاوى مخنمة

نقديم : ابراهيم محمد الرصيل

(الإجابة لجنة الفتوى)

المرا: بحديث : إذا أقيمت الصلاة

السؤال :

فلا صلاة إلا المكتوبة :

نقل المزم — عدم التبليغ عن الأمراض المعدية .

السؤال :

١ — ما حكم التطوع بالدم ... ؟
٢ — ما حكم عدم التبليغ عن الأمراض المعدية ... ؟ مهندس محمد وجدى المصرى

ما المقصود بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » ، لأن هذا الأمر قد استشكل علينا ؟

أحمد عبد الله باغوث

كينيا - ممباسا

الجواب :

عن السؤال الأول نجيب : بأن التطوع بنقل الدم جائز بشرط أن تكون صحة المنقول منه آوية حتى لا يتضرر بنقل الدم منه قال تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، وأن يكون الدم خالياً من الأمراض المعدية حتى تنتقل العدوى إلى غيره . قال صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » ،

وعن الثانى : نجيب بأن أخذ الحيلة فى حال الإصابة بالمرض المعدى واجب صيانة للجمتمع عن نقى الأوبئة وعدم التبليغ المصاحب للإهمال حرام لما فيه من تعريض الجمتمع للعدوى بالأمراض الفتاكه ، الأمر الواجب على الجميع العمل على دفعه بقدر الطاقة .

السؤال :

وضع عين ميتة فى
١ — هل يجوز إخراج عين ميتة

الجواب :
حديث : « إذا أقيمت الصلاة ، فلا صلاة إلا المكتوبة » ، المراد منه النهى عن أن يشتغل المصلى بالنافلة إذا شرع المؤذن فى الإقامة سواء تحية المسجد وركعتا الفجر وغيرهما من النوافل ، فإن ذلك يشغله عن إدراك فضيلة الركعة أو الركعتين معه وصلاة الجماعة أكد من صلاة النافلة فإنه قيل بوجودها بخلاف النافلة فإنه يجمع على سنها ، فإذا فعل وشرع فى صلاة النافلة عند شروع المؤذن فى الإقامة كان ذلك مكروهاً مع صحة صلاته ، وقال بعض الأئمة : كان حراماً ولا تتعقد صلاته ، أما إذا كان متلبساً بالنافلة قبل شروع المؤذن فى الإقامة فإنه يتبها إذا لم يخش قوات الجماعة فإن خشى ذلك قطعها .

٢ — يزرع في بلادنا الفول السوداني بكثرة ، فهل يزكى الفول السوداني كما يزكى القمح والشعير أرجو أن تكون الإجابة على مذهب الإمام مالك ؟ .

٣ — في بلادنا فُتِرَت الزوجة مع الزوج في تكوين ثروة حيوانية أو تجارية فهل يعتبر مال الزوج أو الزوجة معا بهذه الحالة كأنه مال واحد في الزكاة أم هناك تفصيل ؟ .
عبد القادر عمر هيد — أرتيريا

الجواب :

عن الأول نفيد بأن الحلوف من الحيوانات المستجبة عادة عند ذوى الطباع السليمة وهو أشبه بزيره من وحوش كالذئب ونحوه فلا يجوز أكله ، وإن كان هو يأكل أوراق العجم والنباتات فالخار مثلا يأكل ذلك وهو محرم الأكل .

وعن الثانى بأن الفول السودانى نجس فيه الزكاة لأنه من القطانى السبعة التى عدّها العلماء مما تجب فيه الزكاة ويحصل به الاقتيات عادة .
وعن الثالث بأن الخلطة لا يعتبرها المالكية إلا فى النظم والإبل والبقر والغنم فإن الخليطين يعتبران حينئذ كما لك واحد أما فى غير النعم فكل على ما يمكنه لا زكاة عليه فى ماله إلا إذا بلغ فصبا .

وكذلك الحنابلة ، أما مذهب الشافعية رضى الله عنهم فإنهم يعتبرون الخليطين كالك واحد فى كل مال تجب فيه الزكاة سواء فى ذلك المشاية وغيرها .

ووضعها لأهمى ليقنع بها طوال عمره وهل يجوز الميت بذلك ثوبا إذا أن عينه ستصير بعد مدة ترابا ؟

٢ — ما حكم الصلاة على مكبر الصوت ؟
عبد الله أحمد - الهند

الجواب :

نجيب عن الأول : بأن الميت يتألم بما يتألم منه الحي غير أن ضرر الحى يفقد بصره أعظم فإذا تحقق لدى الإخصائسين أن نقل عين الميت إلى الحى نافع له جاز ما دام لا سبيل إلى التخفيف عنه غير ذلك تحقيقا للصلة بارتكاب أخف الضررين ، بشرط ألا يمانع فى ذلك أهل الميت حتى لا تكون فتنة ، ويتقائل الناس وألا يكون المنقول إليه مهدد الدم كالزانى المحصن والمرتد والحرق وإلا فلا حرمة له فلا يضر الميت لأجله .

وهن الثانى : نفيد بأن الصلاة على مكبر الصوت جائزة إذا احتيج إليه لإسماع المأمومين ولم يحدث به تشويش على مصل فإن حدث به تشويش على مصل حرم ، وإن لم يحتج إليه فالصلاة بمخشوع أولى .

السؤال :

لحم الحلوف - زكاة الفول السودانى
زكاة الخليطين :

١ — فى بلادنا أرتيريا ، حيوان يسكن الخلاء والجبال يسمى د الحلوف ، ويتغذى بأوراق الشجر وبفضلات النباتات فهل هذا الحيوان يؤكل أو يحرم أكله ؟

أَنْبَاءٌ وَأَرْاءٌ

مناقشات :

الأخلاق ولغة الأرقام

مناقشات كثيرة دارت في الأيام الأخيرة بمجلس الأمة . في محاولة حل ما أسماه سيادة الرئيس « بالمعادلة الصعبة » وتتلخص هذه المعادلة في هذا السؤال البسيط :

كيف تنخفض أسعار المواد التموينية وغيرها إلى الحد اللائق بالمستوى المعادى للشعب بينما أيضا تستمر عملية بناء الوطن وتحقيق مشروعاته في كافة القطاعات .. والغنى لا حظته — وأدهشنى — أن سائر الحلول التي طرحت للنقاش .. هذه الحلول كلها قد أغفلت جانب الأخلاق والمثل ؛ كأنما المشكلة الاقتصادية لا تتصل من بعيد أو قريب بهذا المستوى الأخلاقي الهابط الذي تنحدر إليه أمتنا في هذف وجنون .. وأنا هنا أحب في بحالة أن التي ضوءاً على المشكلة الأخلاقية ومدى تأثيرها في الاقتصاد القومى .. عل الذين يناقشون مشكلة الاقتصاد يقنهنون إليها على الأقل — على أنها من جملة الأطعمة التي يضعونها على مائدة البحث . .

ونحن نعرف أن الدولة عندنا - مثلاً - تبليح صنوفاً من المسكرات إعتقاداً منها أن هذه المشروبات تفيد الخزانة - بعدة ملايين تأخذها من التجار والشاربين كضريبة - ولكن الدولة بالطبع لم تحسب حساب آلاف الأسر، وآلاف الشبان، وآلاف الثروات التي تحطمت على صخرة هذه المسكرات وأصبحت وأصبح أصحابها عالة على المجتمع ، يعيشون كما تعيش الطفيليات في أنها لا توزع إلا الشر ولا تنشر إلا البوار، إن الذى ينفق جنيهاً فى الليلة من متوسطى الدخل على الخمر والملاهى الليلية وصالات الرقص (والسكاريات) .. هذا الإنسان لا بد أن يولول يوم يزداد كيلوا اللحم عشرة قروش مثلاً لا شئ .. إلا لأنه لم تترك له ألوان الضياع أى شئ لا لحم ولا لغيره .

ورب الأسرة المزم بتوفير كل الكماليات لأسرته وإلا اتهم بالجوذ والرجعية، والفتيات وأمهاتهن اللاتي تغريهن مجلات الأزياء على ملاحقة أحدث المودات و « التاثيرات » التي تظهر في عاصمة الفجور في الأرض - باريس - الماجنة .

أقول : مهما كثر القول في المرأة وموقفها من المجتمع ، وموقف المجتمع منها ، فإننا في حاجة إلى تلك الحيدة التي لا يصدر القول فيها أحكاماً مطلقة تبعاً للهوى ، وبجارية لتلك الدعاوى التي أصبحت سمّة الدراسات الحديثة . وإذا كان الإيمان بفسكرة لا يكون إيماناً كاملاً إلا إذا تناول جزئياتها وكمياتها مع فهمنا لسلك ، فإن الإيمان بما جاء به الإسلام ينبغي أن يتناول جزئياته قبل أن يتناول كمياته فضلاً عما أرسله الأصوليون بطلان تحليل الأحكام ، وكذلك بحثاً فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعى ، فإذا وجد الدليل المسمى والمعنوى ؛ فإن ذلك ادعى إلى عدم الخوض في تلك المسائل أن رضيت بها النفس أن لم ترض .

والذى عذب عن أولئك الذين تشوفت نفوسهم للكلام بصدد تلك المسألة أن مناط المقارنة هو البيت ، مناط وجود الأنوثة التى هى إحدى المجموعات فى مرض الامتنان .

محمد بدر عبد الجليل

جامعة الإسكندرية — أسرة اللغة العربية
* أخبار قصيرة :

فاز بعضوية الجمع القومى بالقاهرة السيد نائب رئيس الوزراء لشئون الأوقاف والأزهر أحمد عبده الشرباصى خلفاً للبغفور له أحمد لطفى السيد ، كما فاز بالعسوية فضيلة

هؤلا وأولئك لا يمكن أبداً إلا أن يصرخوا من زيادة قرش على سعر أية سلعة لأن الكماليات والمواد وغيرهما قد استنفدت هذا القرش وأضاعته . .

وبعد - فلسف في حاجة إلى أن أطيل بعد رأينا الامبراطورية العجوز تهوى على يد كريستين كيلر وتنحطم - كما قال قاضيا وينتج بسبب ضياع الأخلاق فيها على الرغم من ثرائها المادى الكبير - ، ألا رحم الله شوقي : وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وليس بعاصر بنيان قوم
إذا أخلاقهم كانت خراباً
هدى الله أمتنا وأخذ بيدها إلى

طريق الصواب ؟

عبد الحليم عبد الفتاح عويس
كلية دار العلوم

فكرة ردة وأنور :

و تعرضت الدكتور سهر القباوى والدكتورة عائشة عبد الرحمن الحديث عن الكلمة التى ألقاها الأستاذ محمد الغزالى بالمؤتمر الوطنى ، وما ذهبت إليه الأخيرة إنكار مقارنة الرجل بالمرأة زاعمة عبث المقارنة بين أبى جهل وعائشة رضى الله عنها مثلاً

كونيك رئيس أساقفة فيينا بالنمسا ، وبحثا
معا رسالة الأديان في دعم قضية السلام ،
وعدوان الصهيونية على العرب بفلسطين ،
هذا وقد وجه السكاردينال الدعوة إلى شيخ
الأزهر لزيارة النمسا وإلقاء عدة محاضرات
عن الإسلام هناك .

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر المستشرق
الفرنسي بوجارناشو أستاذ التشريع الإسلامي
بكلية حقوق جامعة باريس ، والذي يزور
القاهرة بدعوة من المهندس أحمد عبده
الشرباصي نائب رئيس الوزراء لإلقاء
محاضرات في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر .
أهدى الإمام الأكبر مكتبة إسلامية كاملة
مكونة من مائة وثمانين مؤلفا في فروع علوم
الإسلام المختلفة إلى جمعية محبي الدراسات
الإسلامية التي تكونت أخيرا في فيينا
عاصمة النمسا .

تقرر إهداء الشعوب الإسلامية ثلاثين
ألف نسخة من المصحف الشريف المطبوع
والمرتل بمناسبة شهر رمضان المعظم وذلك
لتوزيعها على الهيئات والأفراد والجمعيات
في البلاد الإسلامية قبل أول رمضان .

الأستاذ الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد
حميد كلية الدراسات العربية بجامعة الأزهر
خلفاً للمغفور له الإمام الأكبر الشيخ محمود
شيخ الأزهر السابق .

* فاز بجائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٦٤
كل من الأساتذة محمد فريد أبو حديد للأدب
والدكتور عبد الحكيم الرفاعي للعلوم
الاجتماعية والدكتور أحمد رياض توكي
للعلوم ، ومن الجدير بالذكر أن قيمة الجائزة
٢٥٠٠ جنيه مع ميدالية ذهبية ، وميدالية
تذكارية لعيد العلم .

* أعلن موريا عضو البرلمان الهندي
أن سلطات الأمن اعتقلت خلال الأسبوع
الأول من شهر ديسمبر أكثر من تسعة عشر
ألف عامل من أعضاء الحزب الجمهوري
ويقتضى معظمهم إلى طائفة المنبوذين ، بسبب
الاضطرابات التي قاموا بها في جميع أنحاء
الهند للبطالة بتحسين أحوالهم الاقتصادية
والاجتماعية .

في محيط الأزهر

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ
الجامع الأزهر في ١٤ ديسمبر السكاردينال



في مُحِيطِ الْعَالَمِ الْأَسْلَامِيِّ

* اتحاد ماليزيا ... وإسرائيل :

كان من المقبول شكلا وموضوعا أن ينص دستور اتحاد ماليزيا على أن دين الدولة هو الإسلام ، لأن أغلبية شعوب السكان في الاتحاد الماليزي من المسلمين .

ولا يعتقد عاقل — بعد ذلك — أن يكون مقبولا شكلا ولا موضوعا ، تصريح رئيس اتحاد ماليزيا في البرلمان منذ أيام ، بأن الاتحاد لا يمكنه سحب الاعتراف بإسرائيل ، لأن إسرائيل دولة معترف بها في هيئة الأمم المتحدة ، وكون رئيس الاتحاد السيد تنكو عبد الرحمن يعود بعد يوم من تصريحه الأول فيؤكد أن الاتحاد لن يتبادل التمثيل الدبلوماسي مع إسرائيل ، ليس إلا لعباً بالألفاظ .

إن السيد تنكو عبد الرحمن يعلم علم اليقين أن قرارات هيئة الأمم المتحدة ليست ملزمة لجميع الدول الأعضاء في أية حالة من الحالات ولا ضرورة لأن نقول : كيف يستساغ لدولة ينص دستورها على أن دينها الرسمي هو الإسلام ، أن تعترف بدولة معتدية باشرت أول عدوان لها على مقدسات الإسلام نفسه ، وعلى مليون مسلم عربي لتلقى بهم في متاحف الفناء ؟ لأن هذا النص

لمجرد النص واستغلاله عاطفياً في الأزمات . إن الصراع القائم بين أندونيسيا المسلمة ، واتحاد ماليزيا الذي نص دستوره على أن دينه الرسمي هو الإسلام . هذا الصراع الذي جعل الرئيس أحمد سوكانو يصرح في البرلمان الأندونيسي بأنه معلم ووطني وشيوعي .

ويشارك في وزارته عضوين شيوعيين ، هو الذي جعل رئيس اتحاد ماليزيا يعرض بنواجهه على صداقة إسرائيل ذيل الكتلة الغربية .

* * *

* السودان الشقيق :

إن الوثبة التي قام بها شعب السودان في الشهر الماضي ، وثبة تاريخية أثبتت وجوده كشعب حي يرفض الضيم ، ويبذل من أجل حريته دماء وعرقه ، ولا شك أن الاستعمار قد أقام مائماً لنفسه لثروثة الشعب السوداني الجريئة ، وقد بدأت اللطمات توجه إليه بمنصف حين قررت حكومة السودان منع الطائرات البريطانية من المرور فوق السودان في طريقها إلى عدن والجنوب العربي ، والطائرات البلجيكية في طريقها إلى الكونغو .

والذي لا ريب فيه ، أن مثل هذا المشروع سيكون له أبعاد الأثر ، وبالطبع بعد أن يخرج إلى حيز التنفيذ ، فالإسلام في معظم دول آسيا وأفريقيا لم يزل بدائيا ، والعشيرة لم تزل له قوته ، وإمكانياته التي ينافس بها الإسلام الذي يجب أن يتخذ لنفسه مكانة أسمى في الأماكن الوثنية التي هي في ميسس الحاجة إلى غزو إسلامي .

لأننا نأمل أن يهتم اهتماما بالغاً بتعليم اللغة العربية للسلمين ، حتى يكونوا وثيق الصلة بدينهم وقرآنهم ، والأحاديث النبوية ، والفقه الشرعي ، كما نأمل أن تختار هذه البقاع المكتسبة الإسلامية التي توضح معاني الإسلام في يسر وبساطة ، والتي تتجنب من الأفكار ما يوحى بالجدل أو الإسفاف ، كما نأمل ثالثاً أن يختار الدعاة المستقيرون واسموه الآفاق ، الذين سيحملون إلى جانب علمهم عقيدة وإيمانا ، وطاقة من الصبر والاحتمال .

• • •

أخبار قصيرة :

• الباكستان : اجتاحت الباكستان منذ أسابيع مظاهرات ضخمة معادية للرئيس أيوب خان ، مما اضطر الحكومة إلى أن تصدر قراراً في الأسبوع الأول من ديسمبر بإغلاق جميع معاهد التعليم الحكومية والأهلية إلى أجل غير مسمى ، ومن الجدير بالذكر

ولكن هذا الاستعمار عودنا أنه من الصعب أن يسلم بأنه قد لفظ أنفاسه الأخيرة ، وفي سبيل إثبات أن فيه بقية من رفق يعث بأصابه في أضيق النواقد ، وما هو ذا يستغل جنوبي السودان ليحرك الفتنة ، وما الاضطرابات الأخيرة إلا حركة استعمارية بغية ..

إن شعب السودان : شماليه وجنوبيه شعب واحد ، وقد وثب وثبته الأخيرة القوية الجريئة من أجل السودان بأسره ، لافرق بين شمال وجنوب . ونحن نرجو أن تتغلب الوطنية ؛ حتى تصفى تلك النفوس الضعيفة التي لم تتخلص بعد من رواسب الاستعمار ، ليتفرغ السودان الشقيق لما هو أهم ، وبأخذ مكانه الصحيح بين دول العالم الحية .

• مؤسسة لنشر الإسلام والعربية :

أعدت وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة ، التخطيط الجديد لمشروع الخدمات التي ستفرضاها خلال السنوات الخمس القادمة ، وكان من أبرز المشروعات العشر مشروع لإنشاء المؤسسة الإسلامية التي ستشرف على تعليم اللغة العربية ، والعلوم الإسلامية في دول آسيا وأفريقيا ، وستتبع هذا المشروع وحدات اجتماعية مزودة بالإحصائيين ، كما ستزود كل وحدة بمسجد ومعهد ديني ووحدة صحية .

بيانا جددوا فيه مبايعة الرئيس سوكارنو لشغل منصب رئيس الجمهورية الأندونيسية مدى الحياة .

• اهتمد المهندس السيد أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء عشرة آلاف جنيه لبناء مسجد افمكبو فى شرقى نيجيريا بجوار مقر المركو الإسلامى هناك .

• العراق : رأت حكومة العراق اتخاذ الخطوات لتوحيد المناهج الدراسية بين العراق ومصر ، وقد طلب وزير المعارف بالعراق من مديريات الوزارة المختصة إعداد الدراسات ، والمقترحات الخاصة بالقوانين والأنظمة المعمول بها حاليا فى المراحل الدراسية المختلفة .

• المغرب : وافقت الجمهورية العربية المتحدة على تصفية المشاكل المعلقة بينها وبين المملكة المغربية ، وقد صدر بيان بذلك فى الرباط فى شهر نوفمبر الماضى عقب المحادثات التى أجريت بين الملك الحسن الخامس والمشير عبد الحكيم عامر خلال جولته الأخيرة فى شمال أفريقيا . هذا وسيزور الملك أوائل العام الجديد القاهرة بدعوة من الرئيس جمال عبد الناصر .

محمد عبد الله السحابة

أن السيدة فاطمة جناح شقيقة المغفور له محمد على جناح ، والمنافسة للرئيس أيوب خان فى انتخاب الرئاسة هى التى تقود جبهة المعارضة فى الباكستان .

• ليبيا والجزائر : بدأ الرئيس أحمد ابن ييل المحادثات فى الأسبوع الأول من ديسمبر محادثاته مع رئيس وزراء ليبيا : السيد محمود منتصر ، وقد تناولت المحادثات مسألة تنسيق السياسة البترولية للبلدين باعتبارهما من أكبر الدول المنتجة للبترول فى أفريقيا .

• اتحاد ماليزيا : تقرر أن تزرد كل من كندا والولايات المتحدة ماليزيا بالمقاتلات لمواجهة أندونيسيا فى معركتها معها . وكانت بعثتان عسكريتان فى أوائل ديسمبر : إحداهما كندية والأخرى أمريكية قد زارنا لهذا السبب كوالامبور عاصمة ماليزيا

• السودان : أذاع راديو أم درمان فى الأسبوع الثانى من ديسمبر أن قرارا صدر بالعمو الشامل عن جميع السودانيين الذين هربوا من السودان منذ يناير عام ١٩٥٥ ، والذين صدرت ضد بعضهم أحكام غيابية ، وقدم آخرون منهم للبحاكة ، ودعا الراديو جميع الذين شملهم العفو إلى العودة إلى السودان والإسهام فى بناء أممتهم .

• أندونيسيا : أصدر زعماء الأحزاب العشرة فى أندونيسيا فى ١٣ ديسمبر ١٩٦٤

pas négliger, institué des défenses, que vous ne devez point violer; mais il a omis certaines choses, non pas par oubli, mais par miséricorde pour vous. Donc, à propos de telles choses, ne cherchez pas trop." C'est dans de telles circonstances, nous dit Ibn Hibbâne, que fut révélé le passage Koranique qui dit :

"O vous qui avez cru, n'interrogez pas au sujet de certaines questions dont l'explication vous serait funeste, attendu que si vous y insistez pendant que le Koran est encore en train d'être révélé, cette explication vous sera donnée. Dieu l'a omise, car il est clément et miséricordieux. Avant vous, un autre peuple avait insisté sur des questions semblables, mais par la suite, il s'est montré infidèle à leur égard."

Cette élimination dans les règles koraniques de ce trop de comment et de combien est donc une mesure prise expressément, en vue de permettre aux hommes d'exercer différemment leur pouvoir intellectuel, physique et moral.

Voilà pour cette morale pratique et les traits généraux qui la caractérisent.

Passons maintenant à la morale théorique.

Aspect théorique — Ici également notre méthode s'écarte de la méthode commune. D'abord c'est l'aspect théologique ou juridique qui intéressait le plus nos savants. D'emblée, nous nous plaçons sur le terrain éthique, en posant chaque question dans les termes où elle se pose pour les moralistes modernes. D'autre part, c'est le Koran lui-même que nous prenons pour point de départ, avec le souci constant d'en tirer la réponse par un recours direct au texte. Et c'est là précisément que réside la difficulté; car les textes relatifs à la théorie morale n'ont pas la même abondance et la même clarté que les préceptes pratiques. Mais une question préalable doit se poser.

Le Koran est-il un livre spéculatif, où peut-on lui demander ce qu'on demande aux œuvres philosophiques ?

*choisi et révisé
par*

DR. AFIFY ABDUL-FATTAH

[Suite]

peuple sur les affaires communes. la forme de l'Etat musulman et le procédé pour établir son chef : suffrage universel, ou réservé à l'élite ? République ou Royauté ? etc..

Cette recherche excessive de la précision légale peut se manifester chez ceux qui font la loi, ou ceux qui la subissent. Dans le premier cas, elle est souvent déterminée par une défiance de la part des législateurs à l'égard des sujets à qui on confie l'application de la loi; au reste, elle tend à supprimer toute initiative, à rendre la vie commune, monotone, insupportable, à faire des membres de la société comme des exemplaires d'un même modèle mécanique. Mais il n'est pas rare de rencotrer parmi les hommes d'action eux-mêmes des gens qui souhaiteraient voir le législateur tout délimiter, tout codifier. A supposer l'entreprise réalisable, comment expliquer une telle exigence poussée à la limite, autrement que par la recherche du moindre effort intellectuel et moral ? pour ne pas dire par une abdication pure et simple de la personnalité.

Le Koran ne pèche pas par cette tendance à la quantification de toutes les règles. Il ne pèche pas non plus par la tendance opposée. Cette sage mesure, cette position

tinermédiaire où l'on se tient toujours à l'écart des deux extrêmes, a-t-elle été prise fortuitement, arbitrairement, ou bien comporte-t-elle de la finalité ? Pour se convaincre que le Koran aussi bien dans son silence que dans ses explications vise à cette sagesse législative impeccable, il suffit de se rappeler le fait suivant :

Au cours de l'un de ses discours, le prophète dit : "O Hommes, Dieu vous a prescrit pèlerinage; accomplissez le donc." Un homme s'éleva alors et demanda : Faut-il l'accomplir tous les ans ? Le Prophète s'abstint d'abord de toute réponse; mais le questionneur insista. La Prophète répondit alors, un peu courroucé : "Si je disais oui, c'est qu'il serait ainsi prescrit; or, si l'on vous obligeait à l'accomplir annuellement, vous ne pourriez point vous y conformer. Laissez-moi tranquille, tant que je vous laisse; c'est à force de questionner et de discuter auprès de leurs Prophètes que vos prédécesseurs ont péri. Lors donc que je vous interdis une chose, évitez-la; mais quand je vous adresse un commandement, vous n'avez qu'à le mettre en pratique dans la mesure du possible." Dans une autre formule plus explicite, rapporté par Ibn Djarir, le Prophète s'exprime ainsi : "Dieu a établi des limites qu'il ne faut point dépasser; a prescrit des devoirs qu'il ne faut

“La Morale du Korân”

Par

DR. MOHAMMAD ABDULLAH DRAZ

(3)

Ce caractère totalisant trouve son complément dans un autre caractère, qui va lui donner sa plus haute valeur. Après avoir tracé pour chaque domaine de la vie une ligne de conduite, le Koran nous présente les cadres ainsi tracés sous la forme de cercles concentriques, susceptibles chacun de s'élargir et de se rétrécir en harmonie avec l'ensemble, au point de se pénétrer mutuellement sans empiéter les uns sur les autres.

Comment le Koran a-t-il pu produire cet effet prodigieux ? Le processus en est très simple. C'est qu'il a choisi pour l'énoncé de ses règles des formules d'une *frappe* toute particulière, formules qui se tiennent toujours à mi-chemin entre l'*abstrait*, vague et flou, et le *concret* par trop formaliste. Ainsi les cadres qu'il construit sont à la fois rigides et souples. De par sa clarté, la teneur de chaque règle forme une sorte de barrière contre le désordre et l'anarchie du

caprice; mais de par son indétermination, elle laisse à chacun le choix de la forme sous laquelle il doit adapter son idéal aux conditions données de l'expérience et concilier son devoir de l'heure avec les autres exigences de la moralité. Adaptation et conciliation devant s'effectuer par un sage effort, éloigné en même temps du relâchement et de la fougue non contrôlée. De cette manière, la législation Koranique a pu atteindre une double perfection qui se trouve ailleurs difficilement conciliable : douceur dans la fermeté, progrès dans la stabilité, nuance dans l'unité. De cette manière, elle a permis à l'âme humaine de s'assurer un double bonheur, également antinomique : soumission dans la liberté, aisance dans la lutte, initiative dans la continuité. D'aucuns n'ont pas bien compris cette haute sagesse. C'est ainsi qu'on a parfois reproché à l'Islam de n'avoir pas précisé, par exemple, le mode de consulter le

Book Review

THE RELIGION OF ISLAM

A Standard Book, Companion and Introductory to the Quran

VOL. 11 (Third Edition)

BY : DR. AHMAD A GALWASH, M.A., Ph. D.

This book Should make an admirable introduction to Islam. It is authentic, comprehensive and highly readable. The author's analysis of the various aspects of Islam is acute and Sound. This VOL. 11 of "The Religion of Islam" is a survey of the Religion in its three sides : the devotional, the Social and the spiritual, as the reader shall find in this volume a well - informed survey of Practical Devotions, Transactions, Penal laws, Ethical basis of Social life and Moralities, Muslim Jurisprudence, Religious Defensive Warfare and Spiritual aspects of Islam.

Having explained the Muslim Prayers, with Practical illustrations, the author gives a detailed account of Zakat and Legal Alms, Fasting and Pilgrimage. The author describes with care and Sensitiveness, the various aspects of Marriage, Different forms of divorce, Legal Status

of a married woman, Law of inheritance, Owner Ship and Divisions of Property.

Dealing with the penal laws the author explains the Criminal intentional injury, Adultry, Theft and Robbery, Divisions of Punishment and Classification of Sinful acts. This book gives an adequate explanation of the basis of social life in Islam. One of the most important subjects, in this chapter, is the position of women in Islam. The author also explained the various ways contributed by Islam towards the improvement of the position of women.

On the whole, the book is a brilliant piece of work. Hence this digest of "The Religion of Islam" Shall be a useful introduction to the message of Islam, particularly for English speaking people all over the world.

(From page 5)

Becca (Mecca), a blessed place, a guidance to the people".

It was, therefore, necessary that the celebration of the night of Ascent should remind the Muslims all over the World their connection with the Palestine and their obligation to this country whose Sons have been wrongfully driven out by a Cursed community "Those of the Children of Israel who went astray were Cursed by the tongue of David, and of Jesus, Son of Mary, that was because they rebelled and used to transgress".

The talk on the Ascent Should call upon the Muslim world to take necessary steps for restoring the right of people of Palestine. Their position is there as follows: "How Should ye not fight for the cause of Allah and of the feeble among men and of the women and the children who are crying: Our Lord! Bring us forth from out of this town of which the people are Oppressors! Oh, Give us from thy presence some protecting friend! Oh, Give us from Thy presence Some defender!"

(From page 11)

form the nucleus of an Islamic Society in Portsmouth, both of which gave me much happiness. Dr. Awad of the Islamic Cultural Centre in London was of great help with my correspondence to Al Azhar and I finally left London a few weeks ago for Cairo, where I was delighted to find Sheikh Sharkawi now back at Al Azhar. I feel very happy to be here in Egypt and at the very warm welcome and help everyone has given me, including the Rector of Al Azhar H. E. al-Sheikh H. Mamoun and the Director H. E. al-Sheikh A.H. al-Baqouri, who have been so kind as to agree to give me some personal tuition and also the Governor of

Zagazig and Dr. I. Zayed of Cairo University who were most hospitable. I am really terribly impressed by all that I find here in Cairo and I am eagerly looking forward to seeing all the wonderful things your country has to offer, not only to me but to the world.

Now with a heart full of peace my life is dedicated to the service of Allah, which can best be described by this verse from the Holy Koran "Verily, my worship and my sacrifice and my living and my dying are for Allah Lord of the Worlds, Who hath no partner".

A.R. ANSARI (Cairo 1964).

and meditation, by this time I had become convinced of the intellectual superiority of Islam through its simplicity and logic but I desired a spiritual conviction also before embracing Islam, Then it was I had my dream and while I am conversant with the psychiatric interpretation of dreams, I am certain this dream went beyond such mundane realms. In this dream I was travelling in a caravan across the desert, it was night and I could see the stars and hear the creak of the camel harness but there was a terrible feeling of impending disaster and I felt I must escape to seek the help I knew was waiting for me somewhere in the desert; then I and three companions took our horses into the desert and rode till the sun was high when we found two Arabs sheltering in the shade of a large rock, when we asked who their leader was they replied with much reverence "Mohammad" and as I turned from them I saw a man approaching, I dismounted and as he drew near I knew this was their leader they spoke of. He came very close to me and looked in my eyes taking my hands in his, he then embraced me and as he did so my body seemed to blend into his so that I was able to see through his eyes and feel with his body. The feeling was indescribable but, for a brief moment, I knew the power and holiness of this

man and knew him to be truly the Prophet of Allah... when I awoke and knelt in prayer I felt the happiness of a heart at rest.

Shortly afterwards I went to Madras where I was most fortunate in staying with Sheikh Ahmed al-Sharkawi of al-Azhar and after long theological discussions with him, I declared my Islamic faith first at his house then at the Jamalia Mosque and in front of the Chief Khazi of Madras, when the name of Abdul Raschid was given to me, this name I took from my boyhood hero the Caliph Haroun el-Raschid of Baghdad. At this time it was suggested I should go to Egypt and study Islam at Al Azhar, but as I had already promised to go to Pakistan and study with Prof. F.R. Ansari of Karachi University it was agreed I should travel to Egypt at a later date, one of my fondest memories is of my brothers in Madras as they bade farewell to me at the airport.

After sometime with Prof. Ansari, during which I gave some lectures and wrote on Islamic affairs, I returned to England last year and devoted myself to social work until such time as I could come to Egypt. While I was in England my mother became interested in Islam and eventually became a Muslim through me, taking the name of Miriam; I was also fortunate in being able to

(See page 12)

MY EMBRACING OF ISLAM

By : ABDU'L RASCHID ANSARI

In the name of Allah, the Beneficent, the Merciful.

Greetings to my brothers in Islam.

“Allah is the Light of the Heavens and the Earth. The likeness of His Light is as a niche wherein is a lamp. The lamp in a glass, the glass as it were a glittering star. Kindled from a Blessed Tree, an olive that is neither of the East nor of the West whose oil wellnigh would shine, even if no fire touched it. Light upon Light, Allah guides to His Light whom He will”.

Before coming to the East in 1961 my life was one of restless roving, besides being an artist and poet I was also an actor and so my life in the theatre and artistic world was one of gaiety and fast living - a world of superficiality in which I tried to find the Light of Truth among the lights of London, for ever since I was a boy the answer to this question had fascinated me. Of God I had no doubt, but to find the true path to Him was the most precious and rare thing I desired

above all else. This search of mine had been going on for many years and in all the books I read, the people I talked with, the places I visited, the signs all seem to point to the East and I came to the conclusion that if I would find the answer I sought then I would have to leave the sophistication of the West for the spirituality of the East. Reaching this conclusion, after much doubt and soul searching delays I finally said goodbye to my friends and family and set out on the most important journey of my life, a journey I swore would not end until I find the Way. It was night when I left England and as I stood on the deck of the boat watching the dim lights of the shore fade into the darkness, I felt rather afraid and lonely at the immense task ahead of me but, as I prayed to God to hold my hand and give me strength and guidance, there came to me the feeling of the rightness of my journey and slowly my fear vanished.

My search eventually took me to India where I lived in a Kerala monastery following a life of prayer

Then the Prophet added : " Have glad tidings, for God has forgiven you".

It is reported also that the companion of the Prophet Abu-Dharr said to the Prophet : " Teach me something that brings me closer to Paradise and makes me away from Hell " The Prophet said : " If you make bad deed, follow it with good deed, so you get by your good deed a ten-fold reward." Abu-Dharr asked : " Is the witness that there is no god but God is considered as a good deed ? " The Prophet answered : " It is the best of all ; it removes sins". In another Tradition, the Prophet is reported to have said to His companions : "Renew your faith" " How can we renew our faith ? "

They asked. He said : " Say : there is no god but God, for this word is heavier than the heaven and the earth and what is therein ".

The Prophet Noah is said to have ordered one of his sons before his death : " I command to you these words : ' There is no god but God ' ; for if the Seven Heavens and the earth were weighed against these words ; they would over-weigh them." Moses is reported to have called his Lord : " O God ! Teach me something by which I remember you and call you " God said : " Say : There is no god but God, for if these words are weighed against the Seven Heavens and Seven Earths, They would over-weigh them."

Say : shall we indeed call on others besides God,
Things that can do us neither good nor harm —

And turn on our heels after receiving guidance
from God ? —

Like one whom the evils ones have made into
a fool

wandering bewildered through the earth

(While) his friends calling 'come to us'

(Vainly) claiming) to guide him to the path?

Say : "God's guidance is the (only) guidance

And we have been directed to submit ourselves

To the Lord of the worlds".

(VI: 71)

d) Since all beings in this universe are not self-sufficient, and governed by divine immutable laws, you should come to the conclusion that there is One Being above everything, and that this Being is the Only One distinguished by the Divine Attributes. This is the meaning of "there is no god but God".

The more you study the aspects of this universe, the more you increase in your faith that really "there is no god but God".

God, the Almighty, described Himself in this Holy Verse :

"God - there is no god but He, the Ever-Living, the self-Subsisting by Whom all subsist. Slumber overtakes Him not, nor sleep. To Him belongs Whatever is in the heavens and whatever is in the earth. Who is he that can intercede with Him but by His permission? He knows what is before them and what is behind them. And they encompass nothing of His knowledge except what He pleases. His knowledge extends over the heavens and the earth and the preservation of them both tires Him not. And He is the Most High the Great".

QUESTION

What are the proofs from the Quran and the Traditions "Sunna" which show that the declaration that "there is no god but God" is the first basic principle of Islam?

ANSWER

It is reported that Omar Ibn Al-Khattab said : "The witness that there is no god but God is the expression of piety, sincerity and truth. For this declaration God created all creatures as He, the Almighty, said : 'And I have not created the jinn and the men except that they should serve Me'."

It is for this word of witness that God sent prophets, and revealed divine books. The Holy Quran says :

"And we sent no messenger before you but we revealed to him that there is no god but Me, so serve Me"

And :

"He sends down angels with revelation by his command on whom He pleases of His servants, saying : Give the warning that there is no god but Me, so keep your duty to Me."

The Prophet once heard a caller calling : "I witness that there is no god but God" when he said : "That is saved from Hell." He said also to some of his companions : "Raise your hands and say : There is no god but God." After they obeyed the prophet's order, he himself raised his hand and said : "Praise be to God. O My Lord ! You commanded me with this word, and sent me by it and promised Paradise for it. You surely will not break your promise,"

"...The creation of God who created everything in perfection."

QUESTION :

We knew from our previous discussion that to witness that "there is no god but God" is the first basic principle in Islam. What, then, is the meaning of this declaration?

ANSWER :

The prophet ordered Muslims that they should believe first that "there is no god but God". This sentence is the basis of Islam. It distinguishes the Muslim from the non-Muslim. Those who declare this sentence with faith are those who are promised prosperity and happiness in this life and the life hereafter : and those who deny it, are doomed to misery.

This sentence means that nothing in this universe is deserved to be worshipped and obeyed save God, the Almighty. He is the Only King and Ruler. Everything in the universe is in need of Him. He is beyond our senses and our minds. "Vision comprehends Him not, and He comprehends all vision; and He is the all-Kind, All-knowing"

This sentence of the declaration of faith indicates such important following meanings :

a) This great universe which cannot be comprehended fully by human mind must be created by a Living God. He must be, of necessity, out of need of anything else. He must be the Most-Powerful, the Most-Wise, the Source of life and sustenance for everything and the Exalted over disability and imperfection.

b) The Attributes of Godhead must be all ascribed to one being; for the Ruler of all things must be One in His Being. Those Attributes cannot be divided among different gods : one to be the ruler, one to be the most-powerful, and so forth. The plurality of gods would necessarily bring the universe to ruin and extinction. Those Attributes, also cannot be exchanged, so one god assumes the position of godhead one time, and the other assumes it another times. For the god who could not preserve his godhead and his identity cannot grant life to others, nor can he manage and rule the universe.

c) Bearing this in mind, if you look in the universe, you find that everything you see or know cannot be described with the Godly Attributes. For all beings in the universe are not self-sufficient and are always in a state of change, and are governed by immutable laws.

The Fundamental Belief In Islam

(2)

By : Abdul Wadood Shalaby

How true is the assumption of the materialists that the world existed by chance?

ANSWER :

The fitness of the earth to life takes different forms which cannot be explained on the basis of chance. The globe is suspended in the space running around itself, causing the alteration of day and night. It soars around the sun making one round each Year causing the alteration of the four seasons. Earth is covered with a gaseous cover composed of the gases that is necessary for life and preserving the degree of warmth which is suitable for life. The earth's cover carries water steam from sea through which rain falls and revives the ground. The size of the globe which is smaller than the sun and larger than the moon, is the secret of the preservation of life on earth. If the globe was smaller than it is now, it could not retain its liquid and gaseous cover, and the heat would be so

tremendous on the surface of the earth that it would cause death to every living being. If the globe was larger than it is, the power of its magnetism would be more than it is now by 150 times. And if the globe is nearer to or farther from the sun than it is actually situated heat or coldness will be not suitable to life on its surface.

How possibly we could believe, then, that mere chance is the cause of such wonderful universe. This is certainly an impossibility. Surely, the world is created by a reasonable mind, by the will of God the Creator of this universe. The Holy Quran says :

“Surely, We created everything in definite measurement.”

“And the earth we spread it out, and put in it mountains and grew in it every balanced thing.”

“Nothing in the universe but we have its treasures; and we bring it down in a balanced measure.”

“Everything with God is at a balance.”

If a stalwart of the Jinn was able to bring the thrown of the Queen of Sheba unto solomon from yemen before he could rise from his place and One, with Whom was knowledge of the Scripture, has done such work before solomon's gaze returned unto him, then, how it will be difficult to believe that the Lord of the worlds carried His Choicest servant and His messenger by night from Mecca to Jerusalem? The beginning of the verse by the word "Subhan" is indicating that : The Allah, Almighty, is Exalted over disability. It is a regretful thing that some people are making uproars and suspicions about this miraculous story. It is recalled that this historical event took place when the prophet and his followers were facing cruel persecutions and threats from their opponents, The story of the ascent of the prophet was a great miracle of his prophethood as well as a good news foretelling a victory of Muslims over their enemies. At the time of this event the prophet and his companions were passing through a very dangerous period of their cause. The opposition to his preaching had grown rigid, the prophet had little succes among 'Meccans'. After the suffering of persecution of thirteen years the prophet and his followers migrated to 'Medina'.

The "Hijrah" makes a clear division of the prophet's mission. The Muslim were promised by God to enter Mecca in full security, the Quran says : "Ye shall enter the Sacred mosque, if Allah pleases, in full security". The entry was materialised soon and the prophet entered his native city as conqueror without bloodshed and he proclimed a general amnesty. The Holy Quran Says : "Allah hath promised such of you as believe and do good works that He will surely make them to succeed (the present rulers) in the earth even as He caused those who were before them to succeed (others); and that He will surely establish for them their religion which He hath approved for them, and will give them in exchange safty after their fear". In fulfilment of this promise the Muslim conquests extended from china to the East and to Atlantic in the west.

The event of the 'ascent' connected the Sacred Mosque of Jerusalem with the Sacred Mosque of Mecca. The Quran describes both these places as, 'blessed one'. The Holy Mosque of Mecca is mentioned in the Quran as the first house built for mankind for worship :

"Lo ! the first Sanctuary appointed for mankind was that at

(See page 12)

The 'Ascent' of the Prophet

By :

ABDUL RAHIM FUDA

There is no difference of opinion among Muslims about the story of the ascent of Prophet Muhammad, as the Holy Quran Says: "Glorified be He who carried His servant by night from the Inviolable Place of Worship (Mecca) to Far Distant Place of Worship (Jerusalem) the neighbourhood where of We have blessed, that We might show him of Our tokens! Lo! He, only He, is the Hearer, the Seer."

They are agreed unanimously that the prophet Muhammad (peace be upon him) was carried by night from the Inviolable Mosque of Mecca to the Sacred mosque of Jerusalem and it was to show him of His signs and wonders as the Quran testified by this sentence: "... that We might show him of Our tokens". The difference of opinion about the nature of the ascent, whether the Prophet was carried by night to Jerusalem, Whence he was caught up through the heavens, By bodily and spiritually or it was a spiritual ascent?

What a pity! This is a despised and inconsiderable question, because

there could not be such doubt about the ability and the command of the cherisher of the Universe. The Quran Says: "But His command, When He intendth a thing, is only that he Saith unto it: Be! and it is. Therefore Glory be to Him in whose hand is the dominion over all things! unto Him ye will be brought back."

Moreover, the Quran and the other scriptures narrate the miraculous story of Prophet Solomon (Sulaiman), with birds, Jinn and the thrown of the Queen of Sheba etc. It is mentioned in the story of Solomon with the Queen of Sheba that he Said: "O chiefs! which of you will bring me her thrown before they come unto me Surrendering. A stalwart of the Jinn Said: I will bring it thee before thou rise from thy place. Lo! I verily am strong and trusty for such work. One with whom was knowledge of the scripture Said: I will bring it thee before thy gaze returneth unto thee. And when he saw it in his presence, (solomon) Said: This is of the bounty of my Lord, that He may try me whether I give thank's or am ungrateful."

self-reliance and independence. Thus it was that the words Rabbi and Rabbah, in Hebrew and Aramaic, and Rabu, in old Egyptian and Chaldean were used for one who brought up, he teacher and also the master.

When a child is born, it is but a help less lump of flesh and it instinctively cries for a protector and nourisher. The mother fills that role and she fulfils it with boundless love and devotion and never ceasing vigilance and care. According to its changing needs, she suckles it and gradually feeds it on different food which gives it strength and independence. She carries it in her lap, then supports it when it begins to stand and guides it as it begins to walk till it can run on its own and requires no help or guidance. This is the most perfect instance of 'nurture' or 'bringing up' that man can show. How imperfect and limited it is becomes obvious as soon as one lifts one's eye from that infinitesimal part of existence that is human life and casts it upon that vast and marvellous panorama of existence that includes countless beings and limitless forms of life and that is ever unfolded before one's eyes, if one but stops to see. With no one to teach them how to mother or nourish one finds animals, birds and insects performing those functions with greater devotion and

constancy than even a human mother. There are also creatures beyond perception that have apparently none to nourish them but nevertheless find their nourishment provided for them from the moment they come into existence.

As one reflects on this, one is struck by the fact that not only are all the necessary means of existence and nourishment to be found—that would be nature's bounty—but that they are found arranged in such perfect order that, if man does not disturb it, every thing is provided in the form, measure and manner in which it is required. Over and over again, the Quran draws attention to the order and right proportion in which every need of every being is provided for. "Verily we have created every thing in (the right) proportion and measure" (LIV : 49) Air, Water and food are the three indispensable requirements of life and not only are they found in greater quantity than any thing else but among themselves, they are to be found in a quantity which is exactly in proportion to their indispensability, water more than food and air in much greater abundance than either.(1)

(1) Quoted from "The Quintessence of Islam" by : Ashfaq Hussain.

for God; and the Quran adopted it not only because it had gained currency but also because it more suitable than any other word.

There was a stage in man's spiritual development when he bowed in adoration before various manifestations of nature; and that gradually and inevitably, led to idolworship. The number of gods grew, each representing some particular godly quality before which man bowed; and as the pantheon grew vast and bewildering, man's spirit longed and sought for one supreme god, the lord of all gods. Thus, while there were numerous names for gods, referring to their different attributes there was always a special word for the supreme Being. The basic letters of that word, in all semitic languages, were Alif (A) Lam (L) and Hay (H) and the Arabic Ilah, with the definite article (Al), became Allah.

As for the meaning of Ilah, there are various interpretations, but the Soundest appears to be that which derives the word from alha which means astonishment or wonder, (Alternatively, Ilah is said to be derived from the word walah, which also has the Same meaning). There could not be a more appropriate word for the Creator and the Lord of the universe. However much man may come to Know about Him, He

remains beyond the range of human Knowledge. The more one tries to understand that Absolute Being, the greater is one's bewilderment. The quest begins and ends in wonder and humility. No other name could therefore be used for the Supreme Being. All other names only to some particular attribute of God and, in that Sense, are restrictive; but the word Allah immediately directs our mind to a Supreme Being who is all-embracing, beyond description and beyond Cognition.

Like Ilah, Rab is also a much used root word in all the Semitic languages. It means, in the most Comprhensive sense, to bring up or, in other words, to rear and nurture some living being Whether a plant or an animal or a human being, through its different stages of growth and according to its particular condition and needs till it attains maturity, i. e. that stage of its development when it ceases to need someone to look after it and can find its own where-withal of life for future progress; and even then the function of the Rab does not cease altogether but merely becomes less intense and less constant. The interest, devotion and readiness to guide and help are still there, but they are not seen in constant play as before, because their object has attained a measure of

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYYAT

RAJAB
1384

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

DECEMBER
1964

THE QURANIC CONCEPTION OF GOD

By :

MOULANA ABUL KALAM AZAD

" Al - Hamdu L'illah Rabbil - Alameen "

praise be to Allah, Cherisher of the Worlds

The first verse of the first chapter of the Quran opens with *hamd* (Praise), just as the very first impress on the mind and instinct of man, when he sets out in quest of God or Truth, is that of wonder and admiration.

The Seeker after Truth is described by the Quran as one who "reflects on the Creation of the heavens and the earth (with the thought): Our Lord! Thou didst not creat (all) this in vain" (111: 191). As he looks around and reflects, his mind is immediately illumined by the realisation that everything within him as well as outside reveals the hand of a Creator of transcendental

wisdom and power; the care and bounty of the Creator manifest themselves in every particle of the universe. He is filled with wonder and admiration and he proclaims it with an instinctive exclamation, phrased differently according to the individual seeker's tradition and extent Knowledge but conveying the same homage to the Creator and Sustainer of the universe; and this instinctive tribute to the Creator saves him for ever from the fatal error of losing himself in the beauty of the Created and forgetting the Creator.

The word Allah, even before the Quran, was used as a proper noun

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
للعنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

دلالة الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللنساء والطلقات
تخفيض خاص

الجزء السادس - السنة السادسة والثلاثون - شعبان سنة ١٣٨٤ هـ - ديسمبر ١٩٦٤ م

للسماة القاهرية

من راحة الاندلس :

من روائع فردوسنا المفقود

بقلم : أحمد حسن الزيات

وكان يبنى وبين الإمام العربي حديث ، ثم كان يبنى وبين الخبر الأسباني حديث . ولم يكن هذان الحديثان وحدهما هما اللذين جمعا بينهما في ذهني ، وإنما كان الجامع مشابه كثيرة من قسامة الوجه ، واستواء القامة ، وحلاوة النغمة وبراعة الذهن ، ولطافة الحس ، وطلاقة الفكر وخصوصية الزي ، وخلوص العقل من شوائب التقليد ورواسب الماضي ، وخوادم الرأي . كان آخر ما بقي في سمعي من حديث الباقرى روايته عن أحد المفسرين الظرفاء في تفسير قول الله تعالى حكاية عن سليمان : « وتنفذ الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان

كان آخر من ودهت في القاهرة العالم الجليل الأستاذ : أحمد حسن الباقرى مدير جامعة الأزهر ، وكان أول من لقيت في برشلونة القسيس الحر : الأب أنخيل جومز داعى كنيسة سرقسطة ، وكان بين وداع الأول ، ولقاء الآخر رحلة طويلة تحت النجوم ، وفوق الغيوم ، ابتدأت على طائفة مصرية سبحت بنا من سمائنا العربية الضاحية إلى سماء روما المضربة في ثلاث ساعات وبعض الساعة ، ثم انتهت على طائفة إيطالية ساحلت بنا فوق البحر الأبيض إلى نيس ثم إلى برشلونة في ساعتين .

بين أسرقى، وبين العرب نصب شابك .
 وأن أسرقى تعرف إلى اليوم بأسرة (المولى)
 وهى لا تزال تعتر بهذا النسب ، وتحفظ هذا
 اللقب ، فقلت له وأنا أطالع فى حياه سخنة
 الباقورى وسمرته : لشد ما يسعدنى أن يكون
 أول من ألقى فى برشلونة وجل تنزع نفسه
 ونفسى إلى عرق واحد ، ثم أفضنا فى حديث
 العرب وما خلفوا فى الأندلس من آثار ، وفى
 حديث الإسلام وما نقل إلى الفرنج من ثقافة .
 وجاء دور القس فدعته ممرضة إلى لقاء
 الطبيب ، فقام وهو يرت بكفه اليسرى على
 كتفى ويقول : سأرجع . ثم عاد فاستأنفنا
 الحديث الشائق العذب ، وشققناه إلى معاني شتى ،
 وكان بين دوره ودورى وقت طويل فسلته :
 ألا يزال رجال الكنيسة يعتقدون فى العرب
 والإسلام ما كان يعتقد أسلافهم من قبل ؟
 فأجاب فى غير مداراة ولا مبالاة : لقد درس
 المؤرخون المنصفون والعلماء المخلصون مآثر
 العرب ، ومبادئ الإسلام على المنهج الواضح
 والمنطق الصحيح ، والنية الحسنة ، فوجدوا
 أن خمسة عشر مليوناً من المسلمين عمروا
 أسبانيا ثمانية قرون ومعهم الدين والآداب
 والفن والعلم والحضارة والعمارة ، قد نقلوها
 من الظلام إلى النور ، ومن الفوضى إلى النظام
 ومن الهمجية إلى المدنية ، حتى أصبحت
 فى عهد الناصر والمستنصر مهابة لا فتنة
 ومنهجع العقول ، وملقى الشرق والغرب

من الغائبين . لأعذبه عذاباً شديداً
 أرلاذبحه أو ليأتينى بسلطان مبین ، إذ
 فسر العذاب الشديد الذى توهد به سليمان
 الهدهد بأن يفتق ريشه ويهاض جناحه
 ثم يترك بين جماعة من الطير ، لاهى من أهله ،
 ولا هى من شكله ، حتى إذا نقرته لا يجد
 الريش الذى بقى ، ولا الجناح الذى يدفع ،
 ولا المنطق الذى يبين ، وكانت حالى وأنا بين
 المرضى فى بهو الانتظار من عيادة الدكتور
 (براكير) التى تضم ثلاثين طبيباً وعشرين طبيبة
 وماقى ممرضة غير الموظفين والخدم ، أشبه
 بحال الهدهد لو أن سليمان أنجز فيه هذا
 الوعيد : كنت أجلس فى قوم من أشقات
 الناس والأجناس لا يتكلمون غير الأسبانية
 أو ما يشبهها ، فإذا تحدثوا لا أفهم ، وإذا
 حيوا لا أurd . نعم إنهم لم ينقرونى كما تنقر
 جماعة الطير الغريب هنا ، فإن الإنسان
 من الأنس ، والوحش من الوحشة ، ولكنهم
 صدوا بوجوههم عن صدود الدمية عن الدمية
 فى المتحف العظيم .

وكان من توفيق الله أن أجلس إلى جانبى
 ذلك القسيس الكريم ، ففطن إلى أننى
 لا أعرف الأسبانية ، فقلب على أذنى بعض
 اللغات حتى قال بالفرنسية : لملك من
 الجزائر ، فقلت له : أنا عربى من مصر ،
 فهش بنى وأهل ثم قال فى ابتسامة رقيقة : نحن
 إذن إخوة ، أنا من مواليد (طليطلة) ولا يزال

وجتمع القيادة الروحية والمادية في أوروبا والعالم كله . ثم أدركوا أن ما أعمى المستكبرين عن رؤية النور إنما هو الجمل والتعصب ، فإن الأمر يومئذ كان الكنيسة في سياسة الدين والدنيا ، ولم تر الكنيسة في فتح العرب للأندلس إلا استبدال دين بدين ، وشعبا بشعب ، ولغة بلغة ، وسلطانا بسلطان ، فخاربت الإسلام بالشبه والأضاليل ، وحاربوا العرب بالخيانة والتفرقة ، ولوهلوا كما يعلون اليوم أن الإسلام طريق سماوى يؤدى إلى الله ، وأن المسلمين إخوة مؤمنة تتعاون على الخير لنعمت أسبانيا في ظل التعايش السلمى بالنعم الدائم ، والوحدة الشاملة .

أنا أعلم عن يقين أن الله نقطة في مركز الكون يوصل إليها بطرق كثيرة ، مختلفة البدء متفقة النهاية ، والاعتقاد بأن طريقا بعينه من هذه الطرق هو وحده الذى يؤدى ، كان مصدر الشر على الناس جميعاً ، كل الطرق تؤدى إلى روما كما يقول المثل ، وما دام الطريق واحداً مستقيماً تبيينه حدود الله ، وتهدى إليه أعلام الحق ؛ فهو لا محالة واصل ، ولا يضير سالكه أن يكون هناك طرق أخرى لسلك منها اسم و رسم ، وأنا بهذا الاعتقاد أخدم الكنيسة التى أرحاها ، باعتبارها أحد هذه الطرق ، لا هى أكملها ولا هى أمثلها ، والإسلام الذى نقل البداة الجفافة من دعاة إبل وغنم ، إلى رعاة دول

وأمم ، وحول أسبانيا الممزقة المستضعفة الجامعة من عهد الفوضى والانحلال إلى عهد الناصر وابن رشد ، لا يمكن أن يكون هو الإسلام الذى زعم الجاهلون أنه قام على السيف ، وحكم بالتعصب ، وساد بالاستعمار ، وأن ما خلف فى الأندلس من الحضارة والعلم والثقافة لدليل ناهض على سمو مبادئه وبلوغ وسائله وعدالة حكمه ، وإن رأى الكنىسى ليبليل اليوم إلى التوفيق بين المذاهب المسيحية المختلفة ، ولعله يميل بعد ذلك إلى التقريب بين الأديان جميعاً . فقلت له وأنا أنظر فى عجب إلى المسح الذى يلتف على بدنه ، وإلى الصليب الذى يتدلى من عنقه ؛ أوبرافك إخوان الكنيسة على هذا الفهم ؟ فقال وهو يهز رأسه : لا أزعم ذلك . ولكل رأي .

وكان دورى فى الدخول على الطبيب قد حان فودعته وفى نفسى ونفسي أنه تتلاقى كلها و اتت الفرصة .

لبثت فى برشلونة عاصمة أسبانيا بعد هدريد تسعين يوماً معصوب العينين ، مرفوع الجنين ، أسمع ولا أرى ، وأحس ولا أمس ، وأنخيل ولا أتمثل . فإذا سألتنى مما رأيت من آثار فردوسنا المفقود قلت لك : لم أر إلا بعض المعالم من قطلونية فى أواخر أيام العلاج بعد أن كشف عني الغطاء ، وخرجت من محبسى أبي العلاء ، تجلت فى شوارع برشلونة الشجر ، ووقفت فى ميادينها الفيح ،

وعائلة العدو، وتلك هي أدواء زعماء العرب في كل حين، من يوم السقيفة إلى يوم فلسطين.

لم أر إذن فراديس الأندلس، ولكنني شمت هبيرا، ووجدت رباها في ثلاث أرائس من حسان الجنوب كن يمرضني : أولاهن من طليطلة، وتسمى سلطانة، وثانيتها من قرطبة، وتسمى فضيلة (فاديل)، وثالثتهن من بلنسية وتسمى الثريا (السرية) وكان هؤلاء الأرائس الممرضات قد علمن أني عربي من مصر، فكن يتسابقن إلى خدمتي ويتعاقبن على غرفتي، ويبتغين الوسائل إلى الوقوف طويلا بجانب سريري يحدثني عن أرومتن العربية وما بقي منها في دماهن من الحنين إلى العرب، والنزوع إلى الشرق. فإذا حدثتهن عن الإسلام - وقد كان دين أجدادهن - غمغن بالكلام المغلق، أو بن عن الجهل المطلق.

ونشأت بيني وبين الأرائس الجميلات على طول الأيام ودادة قلب، أو صداقة نفس، تقول لهما مواصلة القريب، أو مؤانسة الغريب أو نخاسة الحب، فكن يعلمنني على سير العلاج ويصبرنني على احتمال العيش في الظلام، وطول النوم على الظهر، وضيق النفس من الأرق، ويشعرنني - بأنسهن المرح، وحديثهن العذب - أني في بيتي وبين أهلي، ويفضين إلى بأخبار المستثنى وبخاصة أخبار العرب النازلين به، وكان حديثهن عن العرب قصيدا من المدح

وجلس في حداثتها العن. وركبته الطريق الصاعد من ساحل البحر الأبيض إلى روة (تبادبو) وهي قطعة من الروض سقطت من الجنة، واستقرت على جبال (مالاس) و (مونت جويك)، وشقت بينهما وادي (بوزوس)، وهو متنزه الناس في أيام الآحاد والأعياد والمواسم.

فما بين ذلك كنت أرسل طرفي العبران في الأفق الصاحي فأرى الشمس التي أشرقت على قومي زها. تسعين سنة منذ فتح برشلونة موسى بن نصير سنة ٧١٣ م إلى أن اسردها لويس بن شلمان سنة ٨٠١ م واستنشق الهواء الذي استنشقه أجدادي الفانجون المعمرون لمحضرون فلأرا به رثاتهم ثمانية قرون، ثم نفثوه في أنظار أسبانيا، ومبرتهل وفرنسا. دينا وأدبا وعلمًا وحكًا وعمارة وحضارة، ولكنني وأسماء لا أرى الإسلام الحضر التي نخفق، ولا لماذن الشم التي تنادي، ثم أرد طرفي إلى الأرض فأرى الشماثل العربية ولا أرى العرب، وأجد الخلائق الإسلامية، ولا أجد الإسلام وتقراء في خيالي أطراف الأمويين والمرابطين والموحدين هائمة في الضباب، تنوح على ملك دال، وحكم زال، ومجد ذهب، وما أдал هذا الملك، وأزال هذا الحكم، وأذهب هذا المجد لإلاما أصابهم من تفرق الكلمة، وتعارض الهوى، وتحاذل القوى، وتحاسد الأنداد

وخنت . وهن اللاتي أنطقنه بهذه الآيات :
ملك الثلاث الآنسات هناني
وحلن من قلبي بكل مكانه
مالي تطاوعني البرية كلها
وأطيعن ومن في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى
وبه قوين أعز من سلطاني
غير أن أوانس لم يكن ممن عصيان ،
ولم يكن لي عليهن سلطان .
كذلك ذكرت أوانس (جيان) الثلاث
اللاتي وصفهن الشاعر (مانويل ماتشادو)
بقوله في قصيده المشهورة :

ثلاث سمراوات
شغلن قلبي من جيان .
عائشة وفاطمة ومريم .

ثلاث سمراوات رائعات الجمال
ذهبن ليجنين الزيتون
فوجدنه قد جنى ...

ولكني لا أذكر أوانس ابن أبي ربيعة
الثلاث اللاتي اتخذنهن مجناتيتي بهيون القوم :
فكان مجنى دون من كنت أتقى
ثلاث شخوص كعبان ومعصر

فإن الحديث برى ، وإن رمضان كريم
أما حديث الأندلس فسأهود إليه بعد أن
أهود إلى برشلونة لإتمام العلاج ، فأعيش في
رياضها مع أول بني أمية إلى آخر بني سراج

أصغر حسن الزينات

على ما يظهرون لمن من هطاف ، وما يفضلون
عليهن من كرم ؛ إلا حديثهن عن عربي كبير
كان يعمل في ديوان ملك سابق ، فقد قلن : إنه
دخل المستشفى وعلى كتفه منصبه لم يحطه عنه ،
فهو يأمر وينهى كأنه في ديوانه ، ويعال
المرضات والسعاة معاملة لجواريه وغلبنه
ولا يكاد الجرس المضى يغطف من فوق بابه
فإذا طلبوه إلى الطبيب في أسفل الدار أصر
على أن يصعد الطبيب إليه . وإذا أخبروه أن
ذلك محال نزل في بيجمته من غير رداء ،
وصمم على أن يدخل قبل دوره من غير نداء .
أما معاركة على الطعام في كنه وكيفه فهي
حديث الجيران والذم . وهو مع هذه المنهجية
كلها كز الأنايل سايط اللسان ، لا تسقط
(البيزيتة)^(١) الهينة من كفه ، ولا تخرج
السكبة اللينة من فيه .

زارني حين علم من المرضات أني
في المستشفى لأن من خير ما فيه أنه
يقرا الرسالة ، فكث طويلا لا يدير بين
فكيه إلا كلاما ثقيلا للهجة ، خطل المنطق
عن معاونة مصر لليمن . ومعاذ الله أن اغثي
فقصك بسامعه وأنت صائم .

هذا إفاء القيس وحديث الأوانس .
وحديث الأوانس يتصل ولا ينقطع ، وينشط
ولا يفتر ويطول ولا يمل ، ولقد ذكرت بصحبتهن
ومودتهن أوانس الرشيد الثلاث : ضياء وسحر

(١) عملة أسبانية تساوي ثمانية مديات .

النَّاحِيَةُ الْعِلْمِيَّةُ

من إعجاز القرآن

للأستاذ أحمد محمد الغمراوي

- ٢ -

أما طريقة العلم في دراسة موضوعه فلها ركنان : ابتغاء الحق بالبرهان الوثيق في المجال الذي اختاره العلم الحديث لنفسه ، مجال عالم الشهادة سوى الإنسان ، وركن التجربة الصحيحة ، والمشاهدة الدقيقة اللتين لا بد منهما في الكشف عن الوقائع أولاً ، واختبار صحة تعليل الوقائع المقشاهة ثانياً . وفي الكلمة السابقة (١) بيان كاف للتطابق النام في الركنين كليهما . وهذا التطابق بناحيته من أكبر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

وليس يصف من دلالة التطابق في الركن الأول أنه ركن ضروري في كل بحث ، علمي أو غير علمي ، فاشتراكه بين الفلسفة والعلم مثلاً يقلل من دلالاته فيما نحن بصدد ما دام ضرورياً للوصول إلى الحق في العلم ، وما دام العلم الحديث ، والفلسفة لم يكونا معروفين حين نزل القرآن .

هناك جوانب عدة ينبغي أن يتناولها من يريد النظر في الإعجاز العلمي في القرآن عن طريق المطابقة بين القرآن والعلم الحديث فيما هو مشترك بينهما :

هناك جانب العلم الأساسي : جانب موضوع العلم ، وجانب الطريقة العلمية في دراسة الموضوع . ثم هناك جانب ما كشف عنه العلماء في ميادين العلم المختلفة من حقائق خاصة يسميها العلم : دقائق ، ويسميها القرآن آيات ، ومن حقائق عامة يسميها العلم قوانين طبيعية ، ويسميها القرآن سنن الله في الفطرة .

هذا الجانب الأخير هو الذي يهتم به الناس ويقع منهم في الإقناع موقعا ، وهو أنفع الجوانب وأعونها على الدعوة إلى الله إذا تبين التطابق فيه بين ما كشفه العلم ، وما نزل به القرآن . لكن لا ينبغي أن يقلل من أهمية التطابق في جانبي العلم الأولين ؛ فإنها الطريق إلى تلك الحقائق التي هي أقرب وأعجب إلى الناس .

الناس ، وسنلقى من الله فيما نستقبل من المكليات
المثل بعد المثل مما يوضح هذا الإجمال ،
ولإذن فما هي الإشارة القرآنية إلى كسب
المعلومات عن طريق العقل والحواس جميعا ؟
تلك الإشارة نجدها في الآية الكريمة . آية
سورة النحل : « واهله أخرجكم من بطون
أهملكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع
والأبصار والافئدة لعلكم تشكرون » (١)
هذه الآية أهم وأشمل في معناها من الشرط
الساكن لآية الإسراء إذ هي تشمل حياة
الإنسان كلها منذ يولد ، من حيث نمو عقله
باكتساب المعلومات عن طريق السمع
والأبصار والعقل جميعا ، في حين أن آية
الإسراء تتعلق بحياته بعد أن يبلغ رشاده ،
وتهديه إلى طريق العلم اليقيني ، وتحمله التبعة
في سلوك ذلك الطريق أحسن أم أساء .

والسمع والبصر والفؤاد ورد ذكرها
في الآيتين جميعا ، إلا أن السمع ورد على
صيغة المفرد في كليهما ، وورد البصر
والفؤاد على صيغة الجمع في آية سورة النحل
فهل لذلك من حكمة ؟

إن الفخر الرازي في موقف كهذا
في تفسيره آية (لانا منجوك وأهلك) من
سورة العنكبوت تساءل : لماذا قالت الرسل

على أنه إن كانت عمومية هذا الركن شبهة
قد يتعلق بها منسكو لإعجاز القرآن من ناحية
العلم ، فخصر صفة الركن الثاني - من وجوب
استعمال الحواس تحت إشراف العقل
لا اكتساب العلم اليقيني - بعيدة من كل شبهة ،
ولا سبيل إلى إنكار الإعجاز العلمي فيه .

غير أن هناك دقيقة تحسن الإشارة إليها ،
ودفع شبهة قد نبه عليها ، هي أن آية
سورة الإسراء : « ولا تقف ما ليس لك به
علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك
كان عنه مستولا ، ، لم تذكر من الحواس
إلا السمع والبصر ، والعلم في طريقته
يستعمل كل الحواس ، وقد يستكتفي في رد
هذه الشبهة بالتنبيه إلى أن السمع والبصر
هما أهم الحواس ، وبدونهما لا يتيسر بحث
علمي ، وبهما يتم الانتفاع ببقية الحواس ،
لكن هذه البقية لم يخل القرآن الكريم من
إشارة إليها ، وكثير من أسرار الكون يأتي
في القرآن عن طريق الإشارة إلى سنن اللغة
التي نزل بها ليحيط بالفطرة من جميع
أقطارها ، ولتظل أسرارها مكنوزة فيه
حقى يأذن الله في ظهورها على توالي المصور
ياظهار كل عصر من آيات الله في الكون
على القدر الذي يتيسر به في فهم بعض تلك
الإشارات في كتابه ، ويتجدد بذلك من
إعجاز القرآن ما يكون حجة جديدة لله على

الناس فيه من حيث القوة لا يصاح تفسيراً
لجيئته على صينة الجمع، وإلا جاء السمع مجموعاً
كذلك، لأن الناس يتفاوتون فيه أيضاً من
حيث القوة، والأبصار بمعنى البصائر يغنى
عنها ذكر الأفئدة فلم يبق إلا أن الأبصار
جاءت بصيغة الجمع على المجاز لتدل على
حواس الإدراك غير السمع الذى سبق ذكره
في الآية، مادام موضوع الآية هو تذكير
الناس بفضل الله عليهم في تمكينهم من علم
الاشياء بعد أن ولدوا لا يطلون منها شيئاً،
ومن العجب ذى الدلالة أن السمع جاء
دائماً مفرداً، والبصر جاء دائماً مجموعاً
في جميع الآيات التى اقترن فيها بالسمع عدا
آية الإسراء.

وآيات النظر في ملكوت الله في السموات
والارض كثيرة في القرآن، بل هى أكثر من
آيات الاحكام، وما ذلك إلا لأن الكون
وآيات الله فيه، هو دليل وجود الله سبحانه
ومظهر جلال صفاته وكماله، ولقد قام المسلمون
بما أمر الله، من هذه الناحية لما استقرب
لهم الملك بعد الفتوح، فكانوا هم من بدأوا
عصر العلم الذى نصفه الآن «بالحديث»، ظناً
منا أنه لم يبدأ إلا في الغرب، وغفلة عما
كان لأسلافنا من أثر في هداية الغرب إليه
لما اتصل أهل بالمدينة الإسلامية في الأندلس
وفي الشرق في الحروب الصليبية، ثم كان

هنا «إننا منجوك»، في خطابهم لوطاً، وقالوا
قبلها لإبراهيم (لننجينه وأهله) بصيغة الفعل
فهل فيه من فائدة؟ وقبل أن يجيب بجوابه
المذكور في صفحة ٦٦٨ من الجزء السادس
من تفسيره، قال - وهو المراد من هذا
الاستعراذ - : «ما من حرف ولا حركة
في القرآن إلا وفيه فائدة»، ثم إن العقول
البشرية تدرك بعضها، ولا تصل إلى أكثرها
وما أوتي البشر من العلم إلا قليلاً، ورضى
الله عن الفخر الرازى، فقد أصاب بقوله هذا
وجه شبه أساسى بين القرآن الذى هو من
عند الله لهداية البشر على مر العصور، وبين
الفطرة التى هى من خلق الله ومظهر قدرته
وحكمته؛ لا يختلف فيما شئ عن قرينة أدنى
اختلاف إلا كان لذلك الاختلاف مغزى عند
أهله من أرى العلم، فلنلتمس الآن مغزى
جميع الأبصار - والأفئدة - وإفراد السمع
في آية النحل، فقد التمسنا ذلك عند الزحشرى
والفخر الرازى فلم نجدهما تناولاه.

أما الأفئدة: فيمكن في جميعها على صيغة الجمع
أن العقول تنشأ مختلفة في الخصائص والقدر
ليتم بعضها بعضاً في الحياة، والسمع
في وظيفته واحد قل أن يختلف فيها بين الناس
ولذلك أورد، والبصر الذى آتاه العين كالسمع
الذى آتاه الأذن، وظيفته بين الناس واحدة
ومع ذلك فهو لم يفرد في الآية، وتفاوت

ما كان مما أدى إلى غفوة المسلمين، وقعودهم عن العمل بما أمر به القرآن في هذا وفي غيره، فسخر الله غير المسلمين في الغرب للكشف عن أسرار الفطرة، وآيات الله فيها ليتم ما وعد الله به في قوله سبحانه :

«سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق». والقرآن مخاطب به الناس في جميع الصور بفهم أهل كل عصر من آياته هل قدر ما أتوا من الفهم، ومن العلم. والضمير في قوله تعالى (أنه الحق) راجع إلى القرآن وإن لم يذكر في الآية المذكورة آنفا من سورة (فصلت) تشهد لتلك الآية التي قبلها : «قل أرأيتم إن كان من عند الله، ثم كفرتم به، من أضل ممن هو في شقاق بعيد، والشقاق الذي كان فيه مشركو العرب كان في القرآن حيث ينكرون أنه من عند الله، وهو من عند الله، فإن احتسج إلى بيان فوق هذا أن الضمير في الآيتين إنما يراد به القرآن كان تمام البيان في أن القرآن كان موضع الحجاج قبل الآية السابقة بنحو سبع آيات؛ إذ يقول الله سبحانه «ولجعلناه قرآنا أعجميا لقالوا: لولا فصلت آياته، أعجمي وعربي؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر، وهو عليهم همى، أولئك ينادون من مكان بعيد، ويقول سبحانه قبل هذه بآية : «إن الذين كفروا

بالذكر لما جاءهم، ولأنه الكتاب العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، والذكر هو الكتاب العزيز. والكتاب العزيز هو القرآن الذي أغنى التصريح به في هذه الآيات قبيل اختتام السورة عن النصريح به في الآيتين في خاتمتها، اكتفاء بالضمير الذي يدل على مرجعه السياق طبق الأسلوب البلاغي في العربية. ولعل هذه الإطالة في إثبات أن الضمير في قوله تعالى «حتى يتبين لهم أنه الحق»، راجع إلى القرآن لم يسكن لها داع لولا أهمية ما سترتب على هذا من الارتباط بين آيات الله في الآفاق التي وعد الله بإظهارها لحلقه، وبين القرآن الكريم الذي سيثبت للناس أنه الحق بظهور تلك الآيات، وفي هذا ما فيه من النذب إلى تبين ما يمكن تبينه من تمام التطابق بين ما يكشفه الله على أيدي العلماء من أسرار الفطرة، وبين ما أنزل الله في كتابه العزيز من آيات متعلقة بتلك الأسرار، والسين في قوله تعالى (سنريهم آياتنا) ينبغى أن تنبهنا إلى أن المراد بالآيات في الآية الكريمة ليست هي مجرد هذه الظواهر الطبيعية البادية للناس منذ القدم، ولكن هي أسرار مودعة فيها أو متعلقة بها إذا ظهر منها بعض على يد العلم في أي زمن كانت دليلا على أن

كما وردت في سورة فاطر أيضا بصيغة الاسم
بمجموعا في قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل
من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا
ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر
مختلف ألوانها ، وغرايب سود ، ومن الناس
والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ؛
إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله
عزيز غفور ، ٢٧ ، ٢٨ ، وواضح أن العلماء
والعالمين هم الذين يعلمون ما أودع الله من
آيات قدرته وجلاله وعظمته وحكمته في هذه
الظواهر التي ذكر في هذه الآيات وفي غيرها
من كتابه ، وأن العلم بها يزيد المؤمن يقينا
بالله وخشية له سبحانه ، والعلوم التجريبية
كلها ينجزها الله للكشف عن أسرار هذه
وأماها في كتابه ، فلم يبق إلا أن يتعاون
أولو الكفاية في العلم والدين من المسلمين
على المطابقة في دقة واحتياط : بين آيات العلم
وآيات القرآن ؛ ليعلم من لم يكن يعلم أن
القرآن هو كتاب الله الحق ، وأن العلم
الحديث بطريقته وموضوعه وحقيقته
لا يخاف القرآن ، بل هو فرع من القرآن
أو هو علم من علوم القرآن ؟

محمد أحمد الفهرأوى

القرآن حق من عند الله إذا وجدت من يحسن
المطابقة بينها وبين ما جاء في موضوعها من
آيات القرآن .

فالعلم الحديث بموضوعه وطريقته قرآني
من غير شك ، لكن العجيب حقا أن ترد مادة
علم في القرآن الكريم متصلة بالظواهر الطبيعية
التي جعلها العلم ميدان بحثه ، وجعل دراستها
شغله الشاغل ، فكان ذلك دليلا على أن العلم
الحديث ليس بضاد الدين كما يزعم الملحدون
بل إن حقائقه في الإسلام من صميم الدين .
فهذا المعنى وردت مادة (علم) بصيغة الفعل
في قوله تعالى من سورة يونس : « هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره
منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ،
ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات
لقوم يعلمون ، الآية ٥ ، وبنفس الصيغة
أيضا وردت في قوله تعالى من سورة الأنعام
« هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها
في ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات
لقوم يعملون ، الآية ٩٧ ، ووردت بصيغة
اسم الفاعل بمجموعا في قوله تعالى من سورة
الروم : « ومن آياته خلق السموات
والأرض واختلاف ألوانهن ، الآية ٢٢ ،
إن في ذلك لآيات للعالمين ، الآية ٢٢ ،

القيمة الأدبية في الأدب الصوفي

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

يجفوا هذا الأدب، وأن يزهّدوا فيه وبلّووا وجوههم عنه، لأمر أو لآخر - فإن في أهناق الأدباء حقاً لهذا الأدب، واجب الأداء، لا تبرأ منه ذمة الأديب حتى يؤديه على الوجه الأمثل، فيختبر هذا الأدب اختباراً محايّداً، ويدرسه دراسة خاصة خالصة للأدب، لا ينظر فيه إلى شيء غير ما تقضى به الأصول المقررة في فن القول: ثم ليكن الرأي - بعد هذا - في هذا الأدب، حمداً أو ذماً، رضا أو سخطاً، فهو - على أي حال - رأى واجب الاحترام، صالح للنظر فيه، والاطمئنان إليه، لأنه صدر من جهة اختصاص، كما يقولون وقد كان لنا قول كهذا القول كما كتبنا في أعداد سبقت من الرسالة فاتهمنا أحد الفضلاء بأننا من « المتصوفة »، وأنه وجد ربح التصوف عالقاً فيما كتبنا، وعلى الرغم من أنني حددت موقفي تحديداً واضحاً منذ أول حديث لي في هذه الدراسة، وقلت في صراحة صريحة لا تحتمل تحميلاً ولا تأويلاً:

إن هذه الدراسة للأدب الصوفي لا تنس الجانب العملي من هذا الأدب، ولا تعرض له بخير أو شر، إذ هي دراسة أدبية خالصة للأدب وحده - على الرغم من هذا القول

يستقبل دارس الأدب الصوفي للوهلة الأولى من النظر فيه مشاعر غامضة غائمة لا يدري معها ماذا يحمل هذا الأدب في كيانه من معطيات.. أهو كلام له مفهوم ومضمون ووراءه شيء، أم أنه تحبّطات متخبطين، وشعوذات مشعوذين، وصيحات غبايل ومتوسّين.. لا تحمل ثمراً، ولا زهراً، ولا ورقاً:

ولهذا المظهر الغائم الغامض الذي يظهر فيه هذا الأدب ليعني لم يلزم به إلزاماً عارضاً أو بقاء على نية مدخولة غير خالصة.

لأجل هذا كانت تلك الحنوة التي يجدها هذا الأدب من كثير من العلماء والأدباء، الذين يمرون به مروراً عجلاً وبلقونه أو يلقاهم حل غير قصد أو نية.. في ثنايا الدراسات الأدبية أو العقائدية...

وحقيقة هذا الأدب - شعره ونثره - ليست على تلك الصفة التي تدعو إلى مجافاته وتحمل على الزهد فيه.. وأنه إذا كان لغير الأدباء وجه لأن يعتزلوا أدب المتصوفة، أو أن يتحرجوا أو يتأثموا من الوقوف عنده والنظر فيه، القامساً للعافية في دينهم، والسلامة لمقتدم - على حسب ما يظنون ويقدرّون - ! نقول:

إذا كان لغير الأدباء من علماء وفقهاء، أن

يصير بالمرء إلى حال من الاستقامة والصفاء والإشراق، ثم لأنه لا يعينني بعد هذا أى اسم من الأسماء يحمله هذا الضرب من السلوك، ليكن تصوفاً، أو زهداً، أو جهاداً أو أى وصف يكون سمة للسلوك المستقيم على شريعة الإسلام، في غير انحراف أو ضعف !
وبعد، فلنعد إلى موضوع حديثنا .

ماذا في الأدب الصوفي من قيم أدبية يستأهل بها هذا الأدب أن يدرس، وأن يضاف إلى الأدب العام . ويأخذ مكانه فيه ؟ ونستطيع أن نقول للإجابة على هذا : إن الأدب الصوفي إذا جمع جماسلياً، ودرس دراسة صادقة واعية مفصصة - لو درس هذه الدراسة استكشفت لنا منه جوانب ذات خطر في تقييم الأدب العربي وخاصة ما يتصل منه بالشعر .

إن تهمة الأدب العربي عند الغربيين هي أنه - في جلته - أدب حسي، جسدي، سطحي، يعني بالظاهر المحسوس من الأشياء دون أن يتعمقها أو ينفذ إلى لبائها وصميمها .. ولا أدل على ذلك - كما يقولون - من أن النفس الإنسانية - هذا العالم الرحيب وما يدور فيه - لم ينفذ إليها الأدب العربي، ولم يتعامل معها، بل ظل يلعب بما يفور على السطح من زبدها وغشاها دون أن يقع على شيء مما في الصميم منها .. تلك تهمة الأدب العربي التي يرى بها الغربيون في وجه هذا الأدب، ويتابعهم فيها كثيرون من

الواضح الصريح فقد وقع ما خشيت أن يقع . وأبى لبعض الناس فهمهم إلا أن يحرفوا الكلم عن مواضعه، وإلا أن يجدوا في هذا القول ستاراً أستر به الدعوة أو الدعاية للتصوف من طريق الإعلان عن أدبه، والترويج له بهذه الدراسة ! وليس بين يدي من اللغة وأساليبها ما يقدرني على الإبانة أكثر مما فعلت لتحديد موقفي من هذا الأدب، والقصد الذي قصدت إليه من تلك الدراسة ! وأقولها صريحة : لم تني لست صوفياً، ولا متصوفاً، وإنما أنا واحد في أحاد المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف شيعهم ونحلهم ومذاهبهم ... ولأنه لو كان لي صبر على مجاهدة النفس، وقدرة على مغالبة أهوائها، وكظم نزعاتها لدخلت مدخل التصوف - كما أفهمه - ولعددت نفسي أهلاً للحق بغبار السلف الكريم من صحابة الرسول وتابعيهم . ولكن كيف ؟ والزاد قليل، والسفر طويل، والطريق موحش، كما يقول المثل الأعلى للتصوف، على بن أبي طالب، كرم الله وجهه ؟

أنا لا أفهم التصوف الإسلامي إلا على أنه أسلوب حياة قوية نقية، مستقيمة استقامة الإسلام .. ولست أفهم التصوف على أنه طائفة، أو طوائف مرتبة المنازل والدرجات، ذات شارات وطقوس، ومراسم . كلا، فإن التصوف عندي سلوك شخصي فردي

المستغربين من مواليد العرب، وأبناء العروبة. تلك النهضة التي يجعلونها ألقافاً في الأدب العربي، ويجعلون لها السبب الأول في تخلفه عن اللحاق بالأدب الأوروبي أو التعلق بغيره. وأحسب أن لو كان الأدب الصوفي قد أخذ مكانه في الأدب العربي، وامتزج به، ولم يزل عنه هذه العزلة المحزنة، حتى أنه ليكاد يصنف حسب من الأدب العربي ليضاف إلى المقولات المذهبية... فيما يتصل بالدين والعقيدة. أحسب لو أن هذا الأدب الصوفي خالط الأدب العربي، وأضيف إليه باعتباره عملاً أدبياً خالصاً - كما حدث ذلك في الأدب الشيعي، وأدب الخوارج - لتغير بهذا وجه الأدب العربي، ولما وجه فيه نافذ هذا التخلل الذي نسبوه إليه، ورموه به، من القول بأنه أدب حسي سطحي، ولأن فيما يقام من الأدب الصوفي من نظرات بعيدة حقيقة في أغوار النفس الإنسانية ما يسقط هذه التهمة من أفواههم قل أن تقع على أفلامهم! ففي الأدب الصوفي ثروة عظيمة نفيسة من الدراسات النفسية العميقة، التي فضجت في بونقة الرياضة الصوفية، التي أساسها مراقبة النفس، ورصد التيارات المتدفقة المتداخلة فيها... من رضى وسخط، ورجاء ويأس، وأمن وخوف... إلى غير ذلك مما تنقلب فيه نفس الصوفي، وتنضج على دخانه ولهبه، حتى تصفو وتسكن.. وهيهات!

ومن عجب أن بعض فقهاء الغرب يعرف للأدب الصوفي هذه الميزة، ويقدر أثرها

لقد أقام الصوف من النفس كائناً مستقلاً بذاته وبوجوده، يعيش إزاء الإنسان، بدوافعه ونوازعه، وبهذا استطاع المتصوف أن يلقي النفس لقاءً مواجهاً، وأن يكشف كل غائبة منها، وأن يتعرف على موطن القوة والضعف فيها خلال هذا الصراع الطويل المحتدم بينه وبينها، وفي أثناء تلك المراقبة الطويلة المتصلة لحركاتها ونزعاتها واتجاهاتها.. ثم كان الأدب الصوفي - وخاصة الشعر - معرضاً مصوراً لهذه المراقبة النفسية العميقة أتم تصوير وأرضى، حيث يمكن أن يعتمد على هذا الأدب اعتماداً وثيقاً إلى حد كبير كرجع من مراجع علم النفس التجريبي، ولأى حديث للنفس في هذا الأدب ليس من خطرات الشعراء، ولا من نظرات الحكماء، وإنما هو تجارب إنسانية ناضجة، عاشها أصحابها، ونقلوها في عبارات جرت على ألسنتهم، وهم متلبسون بهذه التجارب بجل أن تبرد، وييوخ حمياً.. فالنفس الإنسانية واقعة في عين صوفي، وفي خاطره أبداً. إن لم ترها عينه عياناً تلمسها خاطره دتاً مشخفاً، يقاربه حيناً وينابذه في أكثر الأحيان.. وبهذه المراقبة المحسنة لا تغفلت النفس من بين يدي صوفي، ولا تنفصل من قبضته!

عن الذات - حين كان دافع الخلق في الفروع
الأخرى من الأدب العربي قد أخذ يضمحل..
ونقول : إن في الأدب الصوفي دعوة قوية
جادة ، تدعو الإنسان إلى التحليق والسمو
وإلى شحذ الهمة ، واستقراض العزيمة حتى
يعلو على نزعات نفسه ، ويتغلب على تيارات
أهوائه ، ثم لا يزال هكذا في مصابرة
ومجاهدة حياته كلها ... يريد أن يعلو على
هذا الوجود الأرضي ، وأن يسامت الملا

الاعلى ، ويحيا فيه ... ذلك أن الصوفي يدخل
التصوف ، ومعه رصيد كبير من الإيمان
الوثيق ، والامل القوي في أن ينزع وجوده
كله من هذا العالم الترابي إلى عالم الإشراق
والنور ، وأنه سيبلغ هذه الغاية يوما ، مادام
على الطريق ، وما لم تفقر عزيمته ، أو تضعف
همته ، وسواء أصدقت الأيام آمال المتصوف
أو كذبت ، فإن هذا الأمل من شأنه أن يقيم
في كيانه مشاعر الثقة بوجوده كإنسان يمكن
أن يعلو ، وأن يترقى في درجات الكمال إلى غير حد .
وكل هذه الحيات التي يحياها الصوفي ،
وهذه الآمال والمنازع التي تملأ كيانه - كل
هذا قد صورته الأدب الصوفي - شعره
ونثره - أدق تصوير وأجمل ، وأصدق .

فالادب الصوفي - في صميمه - دعوة إلى
القوة في أتم صورها ، وأكمل مظاهرها ...
قوة تقهر المستحيل ، وقد تستعل على كل
صعب ، وتستعين بكل خطب

وخطرها في الأدب العربي - على حين يأتي
أكثر علمائنا وأدبائنا على هذا الأدب
أن يخصب في الأدب العربي ، أو يضاف إليه ،
ولا ينظر أكثر هؤلاء وهؤلاء إلى الشعر
الصوفي بوجه خاص إلا على أنه من متون
النظم للعقيدة الصوفية ، كالفقيه ابن مالك
في النحو ، والشاطبية في القراءات ، وما أشبه
ذلك .. وفي هذا ظلم عظيم للأدب العربي
قبل أن يكون ظلما للشعر الصوفي نفسه .

يتحدث المستشرق (فون جى وينياوم) عن
الاسم الجمالية في الأدب العربي ويعمل
لقصور الخيال في هذا الأدب - حسب تصوره -
فيقول : « استسلم الأدب العربي إلى ما كتبته
عليه طبيعته الأصلية ، فأصبح معرضا للتنويع
في موضوعات متشابهة ، والتلذذ بالصور التي
تثيرها السمكات لا التجارب ... وقد أفضى هذا
كله إلى ما شاع في العصر العباسي الأول من
رفاهة ودقة في الإحساس ، ومن هذه الصفة
انبعث الاهتمام بالناحية اللفظية في الأدب .
ولم يبق إلا التصوف يحدد بقاء المجادلات
العقلية ، ويؤخر انحدار الأدب العربي إلى
الافول ... إن التصوف يقوم بدور منقض
فإن تلك النظرة الصوفية الحافزة التي ترى
الإنسان قادراً على أن يسمر فوق ذاته ،
وأن يفصح عن مشاعره لا سيما الرموز
والصور - هي ذات الشأن الأول في استمرار
شعر التصوف ، وجعله شكلاً فانياً للتعبير

يقول ابن عربي :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي
إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فأصبح قلبي قابلاً كل مسورة
فرعى لغزلان ، ويبت لأوثان
ودير لرهبان ، وكعبة طائف
وألواح تورا ، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه ، فالحب ديني وإيماني
ولا نحاسب ابن عربي هنا ولا نحاكمه
في ساحة الدين ... فليكن دينه أى دين ،
ولسكننا ننظر إليه كأديب وسعت نفسه
الوجود كله ، وخفق قلبه بحب كل شيء فيه .
لأننا ننظر إليه هنا كشاعر يتوهم عن
عواطفه ، وليس كناظم يؤلف متناً في عقيدة
أو مذهب .

ثم لماذا لا يكون شأن ابن عربي كشأن
المصرى مثلاً ؟ لماذا لا يعد في الأدباء
أو الفلاسفة ؟ ولماذا يجره غرمانه جراً إلى
ساحة الدين ؟ ويعمدونه صاحب دعوة
ورسالة فيه ؟ لماذا لا يطلق سراحه ليكون
في جماعة الأدباء أو الفلاسفة ؛ فيحتل منه
هنا ما لا يحتل منه هناك ؟ وبذلك ينقطع
هذا الجدال الكثير المتصل فيه ، وفيمن كان
على شاكلته ؟ إنه شاعر ، وقد قبل الأدب
العربي من هم أكثر منه شطحا ، أو تجديفاً

وإذن فالقول بأن أدب التصوف أدب
انسجام من الحياة - قول لم يصدر من إدارك
حقيق صحيح لهذا الأدب ، وأهل مرد هذا
الفهم يرجع إلى ما يشيع في هذا الأدب من
استخفاف بكثير مما يهتم له الناس ، ويحفلون
به ... إذ يرى الصوفي أن ذلك دون همته ،
وأهون عنده من أن يلتفت إليه ... كما يرجع
هذا الفهم أيضاً إلى نظرة قاصرة محدودة
لا تتق إلا على حواش المتصوفة وشذائهم ،
من أولئك الانساح الفارغين . أما رجال
التصوف وأعلامه وشيوخه فقد كانوا نماذج
طالية للقوة والتعالى على الشدائد والآلام .

وفي الأدب الصوفي أيضاً مشاهد رائعة معجبة
لحب المطلق . الحب لكل شيء ، الحب البالغ غاية ما
يمكن أن تحتمل النفس البشرية في سبيل الحب من
مواجيد ، وحرق ، وآلام ، وظلم ، وحرمان .
وسواء أنظرنا إلى هذا الحب نظرة
صوفية ، أم أخذناه كما هو ، فإن ما فيه من
طاقات الحب أيرى كل عاطفة ، ويخصب
كل جذيب من تلك النفوس الصلدة المتحجرة ،
لو أنه أصابها بوابل ، أو مسها بطل منه .

وهذا ولا شك كسب كبير للأدب باعتباره
دعوة إلى تجاوب الإنسان مع الحياة وتفاهمه
مع الوجود ، وفي هذا كسب عظيم للإنسانية
بما يشيع فيها من نفوس مشرقة متفائلة
مقسامية ، متماحة تسع الوجود كله ، وتبتسم
في وجه كل جميل وقبيح منه ...

بين الشعراء المتصوفة وغير المتصوفة ، وبين الوجود وموجوداته كلها . . .

يقول الشاعر المهجرى رشيد خورى (الشاعر القروى) :

لم يمن هذا الشعب أنى شاعر
حر يحب بلاده متفانى

بل كل ما يعنيه هل أنا مسلم
فه ، أم أنا لم أزل نصرانى

لانى على دين العروبة واقف
قلبي على سبحاتها ولساني

لأنجيلي الحب المقيم لأهلها
والذرد عن حرمتها فراقى

يامسلون ... ويا نصارى ديكم
دين العروبة .. واحد لا اثنان

ويقول الشاعر المهجرى أيضا رشيد أيوب :

أصلى لموسى ، وأعبد هيسى
وأتلو السلام على احمد

فأى فرق بين هذا وذاك ، وبين قول
ابن عربى ، الذى نقلناه آنفا ؟ أليس لنا

أن نقول إن الحال التى كانت مسئولية على
ابن عربى وهو يقول شعره - هى حال الشاعر

وليس حال العالم ، ولا العقبة ، ولا
الصوفى ، إن ذلك هو القول الذى ينبغى أن

يقال فى هذا المقام ولا أقول غيره . .
عبد الكريم الخديب

أو زندقة - إن كان يرى فى أصحاب الشطح أو التجديف أو الزندقة - كآبى نواس ، وبشار وحامد مجرد ، ومطيع بن إياس ... ثم أبى العلاء المعرى ! . لماذا لا يقبل ابن عربى وأمثاله من شعراء المتصوفة فى الشعراء كما قبل هؤلاء ؟ أو على أقل تقدير : لماذا لا يأخذ الأدب حظه من شعره ونثره ، كما أخذ الدين بنصيبه من عقيدته ومذهبه ؟ فالرجل إن يكن رجلا دين ، فهو قبل هذا رجلا أدب وفلسفة وكذلك شأن كثير من الشعراء الذين حسبوا فى المتصوفة ، ولم يكن لهم حساب فى الأدب وحسب شعرهم فى عداد المقولات الدينية ، وكان عكس هذا أقرب إلى الحق وأهدى سبيلا ... لأن الشاعر إنما يصور مشاعر وهو عاطف ووجدانات تتكون بها الحقائق وتتخفى بين ظلالها وأطيافها .. ولهذا لم يكن الشعر صالحا لتقرير القضايا الفقهية ، أو الحماقة العلية - إلا أن يكون نظم متون كما قلنا - وذلك لما يلبس به من مشاعر ذاتية ، وما يملق به من تمويهات الخيال وتهاويله . إن الشاعر - أى شاعر - هو صوفى فى مشاعره ووجداناته ، بمعنى أن كلا منهما - الشاعر والصوفى - ملتهب العواطف ، مهتاج المشاعر تغلى فى كيانه لهفة طاغية إلى الوجود كله ، يريد أن يضمه إليه ، ويحويه بين جوانحه . . ومن هنا كان هذا التماطف القوى الوثيق

فرق مسيحية تقول بوحداية الله وموقف الإسلام منها

المذكور على عبد الواحد واني

وكانت هذه الفرقة تقرر شرائع موسى ،
وتعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذي تحدثت
عنه أسفار العهد القديم ، وتنكر ألوهية
المسيح ، وترى أنه مجرد بشر رسول ،
وكان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها لإنجيل
خاص مدون باللغة الآرامية لم يصل إلينا
شيء من نصوصه ، وإن كان التاريخ قد تحدث
عنه وعن بعض ما يشتمل عليه ، وقد أوشكت
هذه الفرقة على الانقراض في أوائل القرن
الرابع الميلادي ، وتم انقراضها في أواخر
هذا القرن .

٢ - وأما فرقة الشمشاطى فهم أتباع
بولس الشمشاطى Paul de Somosate
وكان بولس هذا أسقفاً لأنطاكية سنة ٢٦٠
ميلادية ، وأنكر ألوهية المسيح ، وقرر أنه
مجرد بشر رسول ، وقد عقد بأنطاكية
من سنة ٢٦٤ إلى سنة ٢٦٩ ثلاث مجامع
للنظر في شأنه ، وانتهى الأمر بحرمته
وطرده ولكن بقي لمذهبه على الرغم من ذلك
أتباع حتى القرن السابع الميلادي قبيل بعثة
رسولنا عليه الصلاة والسلام ، ويذكر ابن حزم
في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل

كانت المسيحية في مبدأ أمرها - كما ينبغي
بذلك القرآن - ديانة توحيد تدعو
إلى عبادة إله واحد ، وتقرر أن المسيح
إنسان من البشر ، أرسله الله تعالى بدين
جديد وشريعة جديدة ، كما أرسل رسلاً
من قبله ، وأن الإرهاسات التي سبقت بعثته
والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد رسالته
هي من نوع الإرهاسات ، والمعجزات التي
يؤيد الله تعالى بها رسله ، وأن خلقه بدون
أب ليس إلا إرهاساً من هذه الإرهاسات ،
وأن أمه صديقة من البشر اصطفاها الله تعالى ؛
فنفخ فيها من روحه خلعت بالمسيح : ما المسيح
ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ،
وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام .

وقد ظلت بعض الفرق المسيحية محافظة
على عقيدة التوحيد ، وظل لبعضها أتباع
كثيرون حتى أواخر القرن السادس الميلادي
ثم انقرضت كلها بعد ذلك .

ومن أم هذه الفرق فرقة (إبيون) وفرقة
(بولس الشمشاطى) وفرقة (أريوس) .

١ - أما فرقة إبيون أو الإيونيون
فإنها تنسب إلى زعيمها إبيون Ebnion

هن بولس هذا، أنه كان بطريكا بأنطاكية وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح، وأن هيسى عبد الله ورسوله، كأحد الأنبياء عليهم السلام خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلهية فيه، ... ويقول ابن البطريق (وهو مسيحي من رجال القرن الثالث الهجري كان من أشهر مترجمي الخليفة المأمون وقد ترجم له كتابي المجسطي لبطليموس وإقليدس^(١)) في بيان مذهب هذه الفرقة أنها كانت تقول: إن المسيح إنسان خالق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وإن ابتداء الابن من مريم (أى إنه محدث وليس قديما) ... ويقولون: إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد، ولا يؤمنون بالكلمة (أى بالابن) ولا بروح القدس، وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريك أنطاكية وممبوليقانيون.

٣- وأما الأريوسيون هم أتباع Arius. وكان أريوس قسيسا فى كنيسة الإسكندرية وكان داهيا قوى التأثير، واضح الحجة، جريئا فى المجاهرة برأيه، وقد أخذ على نفسه فى أوائل القرن الرابع الميلادى مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القول بألوهية المسيح، وبنوته الأب، فقام بقرر أن المسيح ليس إلهًا، ولا ابنا له، وإنما هو بشر مخلوق. وأنكر جميع ما جاء فى الأناجيل

(١) أنظر الفهرست لابن النديم ص ٣٤١.

الأربعة المعتمدة الآن لدى المسيحيين (أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا) من العبارات التى تؤم ألوهية المسيح، ويلخص ابن البطريق مذهبه فيقول: «كان يقول: إن الأب وحده هو الله، وإن الابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب حينئذ لم يكن الابن...» وقد تبعه مشايعون كثيرون. فقد كانت كنيسة أسيوط على هذا الرأى، وعلى رأسها ميلتيوس. وكان أنصاره فى الإسكندرية نفسها كثيرين فى العدد أقوياء فى المجاهرة بما يعتقدون؛ كما تبعه خلق كثير فى فلسطين، ومقدونية والقسطنطينية؛ وذلك على الرغم من أن كنيسة الإسكندرية لم تأل جهدا فى محاربته ومحاربة آرائه، وعلى الرغم من حكمه عليه بالطرد من الكنيسة... ثم أخذ هذا المذهب يضمحل ويتناقص عدداً تباعه بعد أن حكم بجمع ينقيه سنة ٣٢٥ بطرد أريوس، وكفره وأصدر قراره بألوهية المسيح، وما يزال يضمحل ويتناقص هداً تباعه حتى انقرض كل الانقراض فى أواخر القرن الخامس الميلادى. ويظهر أن هذه الفرق كانت تعتمد فى عقائدها هذه على ما اقتل إليها من حقائق الإنجيل الصحيح الذى أنزله الله على هيسى، وعلى أناجيل أخرى من تأليف الحواريين والتلاميذ، والاتباع غير الأناجيل الأربعة التى تقرر عقيدة التثليث، وألوهية المسيح، وهى الأناجيل المعتمدة الآن لدى المسيحيين (أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا).

مولود من امرأة ، وعرضة لحكم الله أعيش كسائر البشر . . ويقول في آخر الفصل السابعين : « إن يسوع قد نظر إلى الحواريين عندما بلغه اقتتان الناس به ، وادعاهم أنه إله أو أنه ابن الله ، وطلب إليهم أن يبدؤوا بهم في ذلك ، فأجاب بطرس : لأنك المسيح ابن الله فغضب حينئذ يسوع واتهره قائلاً : اذهب وانصرف عني ، لأنك أنت الشيطان . .

وينسب هذا الإنجيل للقديس برنابا ، وهو أحد تلاميذ المسيح ، وكان قبل اعتناقه للمسيحية يهودياً من اللاويين (فقهاء اليهود من قبيلة لاوي أو ليفي) ، وكان اسمه يوسف وسماء الحواريون برنابا (أى ابن الوعظ والإرشاد ، لأنه كان مجلياً في هذا الميدان) . ويروى سفر « أعمال الرسل » ، لوقا ، وهو أحد أسفار العهد الجديد ، أن برنابا باع جميع ما يملكه من أرض في فلسطين ، وقدم ثمنه للحواريين ليستعينوا به في الدعوة إلى المسيحية ومساعدة فقراء المسيحيين ، وأنه هو الذي ضمن بولس أمام الحواريين ، وشهد بصحة إيمانه ، ولولا تركيته هذه ما صدق الحواريون بولس وما قبلوا انضمامه إليهم ، وأن الحواريين قد كلفوا برنابا هذه مهام تتعلق بالتبشير وتنظيم المجتمعات المسيحية الأولى ، فام بمعاهد إليه به خير قيام .

وينسب لبرنابا - بجانب الإنجيل الذي نتحدث عنه - سفر في تاريخ الحواريين

وقد وصلت إلينا نصوص لإنجيل من هذه الأناجيل الأخرى التي تقرر وحدانية الله وبشرية المسيح ، وهو لإنجيل (برنابا) فقد قرر برنابا في إنجيله هذا : أن المسيح ليس إلا بشراً رسولاً ، وأنه ليس إلهاً ، ولا ابناً لله ؛ ونص على ذلك في مواطن كثيرة من هذا الإنجيل ، فهو يقول في مقدمته : « أيها الأحرار إن الله العظيم قد اختصنا بقبول يسوع المسيح رحمة عظيمة للعالمين ، وخصه بمعجزات اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين ، فأخذوا يبشرون بتعاليم ممتنة في الكفر ، داعين أن المسيح ابن الله ... وقد ضل مع هؤلاء بولس الذي لا أتحدث عنه إلا مع كثير من الأسف والأسى ، وهذا هو ما دعاني إلى أن أسطر الحق في هذه الفنون » . ويروى في آخر الفصل الثالث والتسعين أنه قد : « قدم على المسيح كبير الكهنة مع الوالي الروماني والملك هيرودس ملك اليهود ، فذكر له كبير الكهنة أن مريفاً من الناس يقولون : إنه إله ، وأن فريقاً آخر يقولون : إنه ابن الله ، وطلب إليه أن يعمل على إزالة هذه الفتنة التي ثارت من أجله ، فقال يسوع : وأنت يا رئيس الكهنة لماذا لم تخمد الفتنة ؟ وهل جنفت أنت أيضاً ؟ ثم قال : إنني أشهد أمام السماء ، وأشهد كل ساكن على الأرض أنني بريء من كل ما قاله هؤلاء الناس حتى من أنني أعظم من بشر ، لأنني بشر

وقوله : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، وقوله : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارون في الخيرات وأولئك من الصالحين » ، وقوله : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب » ، وقوله : « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما » ، وقوله : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتتصة وكثير منهم ساء ما يعملون » ، وقوله : « والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين » .

وفي ضوء ذلك يؤول جميع ما كتبه الشيخ محمد عبده في هذا الموضوع .

دكتور علي عبد الواحد وافي

والتلاميذ ، يتفق موضوعه مع موضوع « أعمال الرسل ، لوقا ، ويحمل الاسم نفسه الذي يحمله هذا السفر الأخير .

ومع تقدس الكنائس المسيحية الحاضرة لبرنابا ، فإنها لا تعترف بصحة نسبتهما إلى برنابا ، بل تذهب إلى إنهما مزيقان ، وأن ملفقهما قد ألصقوهما ببرنابا ليروجوهما .

* * *

ولعل هذه الفرق المسيحية التي بقيت محافظة على عقائد التوحيد ، وانقرضت قبل ظهور الإسلام هي التي يعنها القرآن الكريم حينما يثنى على عقائدها ، ويقرر أن أفرادها ناجون . أما من أدرك الإسلام من أفراد النصارى على العموم فإن ، هذه الأحكام لا تصدق عليه إلا إذا آمن بالدين الجديد . ويؤكد هذا المعنى أن القرآن حينما يصدر هذه الأحكام على النصارى يقرر : أنها لا تصدق إلا على « من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا » ، أي حافظ على عقيدة التوحيد وعلى شريعة رسوله ، ومات على ذلك قبل ظهور الإسلام ، أو أدرك الإسلام وآمن به أيا كان حاله قبل ذلك . فن ذلك قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ؛

نفاية القرآن

دعوة الله إلى الإسلام
أثارت عجب المتكبرين وإعجاب المصدقين
هذا ما عساه اللطيف السميع

أكان للناس عجباً : أن أوحينا إلى رجل منهم : أن أنذر الناس
وبشر الذين آمنوا : أن لهم قدم صدق عند ربهم ، قال الكافرون :
إن هذا لساحر مبين ...

وأقبل على الدعوة آخرون : مطمئنين
إلى أقدار الله في ملكه ، وفي خلقه .

أنكر الكفار أن يكون لله وحى إلى
إنسان ، وأن يكون هذا الإنسان رجلاً منهم
فلا يستسيغون أن يكون تبليغ الله إلى خلقه
بحولا هي لسان بشر .

ويزداد إنكارهم لأن يكون تبليغ الإنسان
ليامه بمنطق فوق مستواهم : وهم أهل الفصحى
ولا جرم ...

يهرم ذلك ، فيقولون كذبا عن هذا
المبعوث من بينهم ، وهم أعرف به : وإن هذا
لساحر مبين ، ! فهذه دهشة ، تثير حقدهم ،
وتهيج مشاعرهم ، فيسكون قدسا مزدوجا
في النبي ، وفيما حدثهم به عن ربه ، فهو
ساحر ، طلع عليهم بسحره ، وما السحر
إلا شيء غريب مصطنع ... ذلك إنكارهم
وقد بدأ الله حديثه عنهم في سورة يونس

١ — حينما يجري قضاء الله بشيء جديد
في دنيانا تستقبله النفوس الخيرة بإعجاب
المبتهج ، وتبادر إلى الإيمان به في غبطة
بما أدركت منه ... وفي شكر لله على
ما ظفرت به .

ويزداد يقينها في حسن ما صنع الله ،
وفي جميل ما أراد بخلقها .

وعلى غير ذلك نفوس ملتوية عن سبيل
الرشد ، إذ يحجبها الجهل ، والكبرياء
عن حسن التقدير ، وتغفل عن حظها فيه ،
وتقف منه موقف العجب الجاحد وتتمادى
حتى تردى في مهالكها ، وتبوء بسوء مغبتها .
كان ذلك شأن قريش حين بعث الله
من بينهم عبده محمداً رسولاً إليهم ، وإلى
الناس كافة .

فأنهاز عن دعوته أناس ، وعجبوا أن يكون
هذا قضاء الله .

العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يقيم أبي طالب . ١

ثم استهانوا كذلك ، فقالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ؟ »
يعنى : هلا ...

يريدون : أن محمداً لا يستحق الرسالة لو كانت حقاً كما يقول . والأولى بها عندهم : الوليد بن المغيرة عظيم مكة ... أو حبيب ابن عمرو الثقفي : عظيم الطائف .

وكلاهما من المتبوهين لضعفاء الكفار ، ومن سراهم ... والله سبحانه يستهين بتلك العقلية الجاحدة التي تفترض من عندها أن تكون الرسالة لواحد من صناديد كفارهم .

فينبه على أن الرسالة من عطاء الله ، ومن ملاح فضله ورحمته بخلقه ، فهو الذي يختار من يصلح لها في حكمته ، وتقديره فيقول : « أم يقسمون رحمة ربك ، ويقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته . ويقول : وربك يخلق ما يشاء ، ويختار ، ما كان لهم الخيرة ، وفي هذا نزول بهم عن مدارج الرشد .

الإنساني حيث يفترضون ما لا قبل لهم به ، ويضعون أنفسهم فوق مستواها : دون نظر في تفاهتهم ، أو تنبه إلى هوانهم عند الله !!

٤ — وكانوا يقولون : لو شاء ربنا لآتزل ملائكة ، يريدون أن الرسالة أمر يليق بالملائكة ولا يصلح له بشر . فهم يستكثرون على الله أن تكون له حكمة فيما يصنع .

يافكار دهشهم ، « ونفى ما بدا منهم بقوله « أكان للناس عجا : أن أوحينا إلى رجل منهم ، « فذلك تبكيت لهم ، وفيه تقرير لما أنكر هؤلاء الناس ، وهم الكافرون .

٢ — وماذا ينكرون من عمل محمد ؟ أينسكرون أنه ينذر الناس جميعاً بتخويفهم من عذاب الله فيهدوا ؟

وأنه يبشر المؤمنين منهم ومن غيرهم ، بأن لهم قدم الصدق عند ربهم ، فينشطوا ، ويضاعفوا صالح عملهم .

وقدم الصدق هي : أقدام السابقين إلى دخول الجنة ؛ فإن وعد الله بها صدق ، وأقدام المؤمنين تسعى بهم إلى الفوز بذلك الوعد ... كما قيل : « إن المتقين في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

وبما ورد في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . نحن الآخرون السابقون يوم القيامة . وقوله : « إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها أنا . وعلى الأمم ، حتى تدخلها أمي . ووجه ذلك : أن محمداً أفضل المرسلين ... وأن أمته المطيعة له خيرامة أخرجت للناس ، لما كانت عليه من تشريع كامل ، وإيمان أفسح من إيمان سواها ، فهم لذلك أسبق دخولا للجنة ...

٣ — لم يكن هجاء الكافرين قاصرا على السحر ، بل أسرفوا في التشنيع ، فقالوا :

« الله يصطفى من الملائكة رسلا ، ومن الناس ، فالملائكة رسل الله في تنفيذ أموره بنا ، ومنهم ملك الوحي - والناس يكونون رسلا إلى أممهم ، باصطفاء الله لهم ليتلقوا من الملائكة .. ويقول : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ، لينبئ لهم » .

ويقول : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم » .

وهكذا : مما يقتلع الباطل ، ويهدي إلى الحق ، لو كان القوم يفقهون .. 11

ولكنهم تبجحوا فقالوا ذلك أو غير ذلك . فمرة يقولون : إنه كاهن ، وأخرى : يرموه بالجنون ، وبالشعر ، وبالتلق عن رجل يهودي كان يعيش بمكة ، والله تعالى ينفي كل ذلك عن رسوله محمد ، وعن كتابه الكريم ، فيقرع أسماعهم بالثناء المستطاب ، ويكتب حقدهم بالزكية العظيمة البليغة ، ويقرر لكتابته منزلة فوق المنازل .. فيقول : « وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له » ...

وما هو بقول شيطان رجيم .. وما صاحبكم بمجنون .. « إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون . ولا بقول كاهن : قليلا ما تذكرون ، وغاية ما يطمعون إليه أن يخدشوا ، قام النبوة ، ويغزووا في الوحي ، وفي الكتاب ، والله سبحانه ينهي بهم ، وبكل مكابر يتعاضد عن

واقه - عز شأنه - بقيم حجته عليهم فيما دبره من شأن الرسالة قديما ، وحديثا ، فيقول لرسوله : « قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون ، مطمئنن ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ، 11 .

ومفهوم ذلك : أن الأرض لا يسكنها ملائكة ، وأن الله استخلف فيها آدم ، وذريته فلو أرسل ملكا من ملائكته إلى عموم الناس لسكان مغايراً لهم في جنسيتهم ، وفي لغتهم ، فلا يكون التجانس بين الجانبيين موفورا ، فلا يقضى للناس أن يتلقوا قبيلخ الملائكة إليهم ، لما بين الملائكية - والإنسانية من تباعد .

ولنما يختار الله من الآدميين من هيأته القدرة بالمواهب التي تؤهله للاتصال بعالم الروح ، ومن خصه به بنفس زكية فوق مستوى النفوس العادية ، وأيدته القوة القدسية بمعالم الرشد اللاتقة بمن يكون وسيطا بين عالم الروح ، وعالم المادة .

فيكون هذا الإنسان هو الرسول المختار فيكون رسالته تبليغا عن الله إلى سكان هذه الدنيا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .. وهذه حكمة بيئة تدحض كل تعسف ، وتعصف بكل باطل ، وتفضح كل أفاك .

وتأييدا لما ظهر من الحكمة السالفة يقول الله تعالى :

القاطع بتكليف الجن ، ورسالة محمد إليهم .
وكذلك يحكى الله عن الجن ما وقع منهم
في قصة كهذه .

د قل : أوحى إلى : أنه استمع نقر من
الجن ، فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا - جميلا -
يهدى إلى الرشدا ، فأمنّا به ، ولن نشرك بربنا
أحدا ، إلى أن قال عنهم : د وأنا منا المسلمون
ومنا القاسطون - غير المسلمين - فن أسلم
فأولئك تمروا رشدا . وأما القاسطون
فكانوا لجهنم خطبا ، الخ .

ومن هذا نفهم أن للجن رسلا منهم ،
كانوا مكلفين بالاستماع إلى محمد ، وبالتبليغ
إلى قومهم ، وأن فيهم معلمين للإسلام ،
ومهم مخالفون له . . وأن لهم جزاء عند الله
على ما يقدمون من عمل ، كبنى الإنسان سواء .
على أنك تجد في القرآن خطبا صريحا
لثقلين جميعا : د يا معشر الجن والإنس : ألم
يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ،
ويفذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ د يا معشر
الجن والإنس : إن استطعتم أن تنفذوا من
أقطار السموات والأرض فانفذوا . . ولقد
ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن ، والإنس الخ . .
٦ - وقصارى الحديث في هذا : أن
رسالة محمد لعامة الخلق جميعا ، فهي رسالة
تبليغ ، وتشريع ، وتكليف بالنسبة للإنس
والجن جميعا .

وهي رسالة تشريف للبلائكة ، إذ الملائكة

جلال القرآن أو بذشكك ، أو يشكك فيه
إلى تعجز لا قيام لهم منه ، فيقول د قل ائن
اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا ، ثم يرميهم بمجر أخير ، فيقول
عنهم د فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين . .
ه - ورب سائل : إذا كانت رسالة الله
لمحمد إلى سكان الأرض ، فهل كانت إلى الجن
كما كانت إلى الأنس ؟ وجواب ذلك : نعم !!
وهو ما ورد منطوقا به في القرآن ، فيكون
إنكاره خروجا عن الإيمان .

وانظر قول الله في هذا : د وإذ صرفنا
إليك نفرأ من الجن يستمعون القرآن ،
فلما حضروه قالوا : أنصتوا فلما قضى ،
ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا : يا قومنا .
إنا سمعنا كتابا ، أنزل من بعد موسى ، مصدقا
لما بين يديه ، يهدى إلى الحق ، وإلى طريق
مستقيم ... يا قومنا : أجبوا داعي الله ،
وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويخرجكم
من هذا أليم . . الخ ، ففي هذه الآيات
توجيه إلى تكليف الجن بالاستماع من محمد
لما يقرؤه ، وتصريح بأن المستمعين منهم
بلغوا قومهم ، ووصفوا لهم ما سمعوا من
القرآن ، ثم دعواهم إلى الإيمان يغفر الله لهم
ذنوبهم ، وحذروهم التخلف عن دعوة القرآن
على لسان محمد .

وهل في المقام شك بعد ذلك التخصيص

لرسائته لم ينالوا من أبوته ، ولا من أمومته بل لم ينكروا عراقته في أعجاد الأصول القبلية . كما أنهم لم يطعنوا عليه في مسلك شخصي . ولم يأخذوا عليه ريبة قنص من شأنه قليلا وهم الخصوم المعاصرون له .

ولو أتيح لهم أن يلتمسوا شيئا من ذلك لأذاهوا به ، ولأفاضوا فيه ، وأضافوا إليه ما يشفي غلة الخصومة في نفوسهم الحاققة .

وكأنهم حادوا عن اختلاق شيء من ذلك لاعتقادهم أنه عند القوم بنجوة من الريبة في شخصه وفي مسلكه بعامه .

وأنت لو ابتدءوا غمزات من عندهم لكشفوا عن حفيظتهم ، ومكذوا للناس أن يكذبوهم في كل ما يهرفون به ، وهم يجهدون أنفسهم في ترويح ما يفكرون .

ويكاد المريب يقول خذوني .

فليكن هذا كله ترويجا غير مباشر منهم لما تقرر نحن عن عقيدة حقة ، وليسكن لإقرارا على أنفسهم بالتناقض .

ثم ليسكن تركيزا لإيماننا به ، ومزيدا لطاعتنا لأشريعته ، وتعلقا بسيرته ، والتأاسا لشفاعته في الآخرة .

صلوات الله عليه وسلامه في الأولين ، وفي الآخرين ، وفي الملائ الأعلى إلى يوم الدين وما بعد يوم الدين .

عبد اللطيف السبكي

ليسوا بحاجة إلى تبليغ من جانب الرسول ، فإنهم مطبوعون على الطاعة بالجملة لا بمقاومة الشهوة وجهاد النفس ، بل بتلقينهم التدين من جانب الله مباشرة .

فليسوا من طينة الإنسان ، ولا من النار كالجن ، وإنما هم من عالم النور ، وعالم النور غير عالم المادة التي تهبط إلى الشهوات وتفترق المآثم فتحتاج إلى التهذيب .

فهم كما قال الله فيهم : « لا يعصون الله ما أمرهم .. ويفعلون ما يؤمرون » .

وحسبهم أنهم يتشرفون بالإيمان بمحمد ، وبتبليغ الرسالة إلى محمد ، وبالسير في معية محمد ، ومناصرة محمد ، وهم سابقون في طاعتهم على عهد محمد ، ولم يكن ينقصهم علم جديد ، ولا تدين جديد .

وليس من هدفنا أن نستطرد في هذا الشأن وإنما هي مناسبة اقتضاها السياق للنشفي حاجة في نفس القارىء .

٧ — هذا - وإن يكن في الدنيا من يعيش على غير إيمان بما حدثناك : فقد تكفل الله بتكذيبهم قديما ، وحديثا وإليه مرجعهم جميعا ، فيوفي كلا منهم جزاءه غير منقوص .

٨ — وأنت ترى فيما ذكرنا لك من مثالب الكفار لمحمد صلى الله عليه وسلم بعدا عن المساس بنسبه ، وعن الغمز في عشيرته . والنسب عند العرب مناط المجد أكثر من أي شيء سواه . فهم على ما أسرفوا في جحودهم

إلى أي مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

- ٣ -

وهو ما يعرف بالمادة فالعرف القول
كتعارفهم على إطلاق لفظ دابة على ذوات
الأربع ؛ ولفظ حيوان على ما سوى الإنسان
من أنواع الحيوانات كتعارفهم على عدم
إطلاق لفظ اللحم على السمك والكبد والكرش
ولحوم الطير ؛ فإنها لا تطلق - الآن -
لألمعية فيقال لحم سمك ولحم طير كدجاج
وغيره ؛ بدليل أنه لو أمر سيد خادمه أن
يشترى له لحماً فاشترى سمكاً أو دجاجة أو كبداً
أو لحم رأس فإنه يعتبر مخالفاً لأمره .

ومن العرف العملي ما اعتاده الناس من وضع
بطاقة بسعر البضاعة فتقوم مقام الإيجاب
في عقود البيع وما اعتادوه من ترك أمتعتهم
أمام المصل فيكون هنا ودعة يجب على المصل
حفظها حتى يعود صاحبها حتى إنه لو قصر
في المحافظة عليها كان ضامناً .

ومما تعارف الناس على تركه حتى إنه أصبح
في حكم المباح ما تساقط من السنابل عند حمل
القمح أو ما في معناه إلى البيدر وكذا ما يبق
في الأرض بعد الحصاد ؛ وكذا ما تعارف
الناس على الفساحل فيه كثمر بعض الأشجار

انتهيت في المقالين السابقين إلى تحديد
الخطوط الرئيسية للمسائل التي تقبل التطور
والمسائل التي لا تقبل التطور وقد قلت :
إن أكثر الأحكام قبولاً له هي الأحكام التي
ترجع إلى العرف أو الأحكام التي ترجع
إلى المصالح المرسله ؛ ولما كان هذان الأصلان
يحتاجان إلى تفصيل وبيان كان من اللازم
بيانها على أتم وجه ليسكون الفقيه أو من
يتعرض للنظر في الأحكام على بصيرة من أمره
فلا ينزلق وراء تحكم الأهواء والأغراض .
وبحثنا - اليوم - في العرف ؛ في تحديد
معناه وبيان أقسامه ؛ ومدى الاحتجاج به ،
وبيان الفرق بينه وبين الإجماع ؛ وهل هو
حجة شرعية مستقلة ؟ .

معنى العرف : في اللغة - كما في القاموس -
الجود ، واسم ما تبدله (أي تجود به)
وموج للبحر ؛ وضد النكر وهذا المعنى
الآخر هو أنسب المعاني للمعنى الاصطلاحي
فقد عرفه الأصوليون بأنه ما تعارف عليه
الناس أو طائفة منهم من قول أو فعل أو ترك ،

أو غير مشروع - إلى قسمين : صحيح وهو ما تعارف الناس كلهم أو بعضهم عليه ولم يدل دليل من الشارع على فسادِه وبطلانِه كالأُمثلة التي ذكرتها آنفاً وفاسد كتعارفهم على أن المؤجل من الثمن يكون بفائدة متعارفة عندهم ، فإن هذا ربا ، حتى ولو لم ينص عليه في العقد ، فإن من القواعد الشرعية « أن المعروف عرفاً كالأشروط شرطاً » فتكون هذه الزيادة ربا ، لأنها في حكم المنصوص عليها وقد عرف الربا شرطاً بأنه : فضل خال عن عوض بعقد .

ومن العرف الفاسد ما تعارف عليه الناس من صنع أهل الميت طعاماً للبعزين فقد روى الإمام أحمد وابن ماجه بإسناد صحيح عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعهم الطعام من النياحة » .

ومثل ذلك عمل المسآتم وإحياء يوم الأربعين من موت الميت ونقل الطعام إلى القبور في المواسم والأعياد ؛ بل إن المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير ذلك فقد ورد عنه أنه قال : « اصنعوا آل جعفر طعاماً فقد جاءهم ما يشغلهم » ، رواه الترمذى وحسنه وصححه الحاكم ؛ هذا وما أكثر العرف الفاسد في المسآتم والأفراح فينبغى عرض هذه العادات على قواعد الشريعة

كالتوت والجنيز في بعض البلاد . كل ذلك مما تعارف الناس كلهم أو جماعة منهم عليه ؛ وهذا هو المسمى بالعرف حتى إنهم ينكرون على من خالفه ؛ ويعتبرونه شاذاً .

أقسام العرف : ينقسم العرف - باعتبار ما وقع عليه التعارف - إلى قسمين لفظي وعمل ؛ فاللفظي كأن يكون للفظ معنى في اللغة ولكن تعارف الناس على إطلاقة على بعض أفراد دون بعض كما مثلنا بلفظ دابة ، ولفظ حيوان ، ولفظ لحم .

والعرف العملي كما مثلنا بتساح الناس في ثمار بعض الأشجار ، وما تساقط من القمح وغيره . وينقسم - باعتبار ما اصطالحوا عليه - إلى قسمين : عام وخاص .

فالعرف العام : ما تواضع عليه عامة الأمة كإطلاق لفظ دابة على ذوات الأربع .

وخاص : وهو ما تواضع عليه أهل بلد أو أصحاب صناعة أو مهنة من لفظ أو عمل أو ترك كتواضع أهل مصر على تقسيم المهر إلى معجل ومؤجل وأن المؤجل يكون نصف المعجل ، وكتواضعهم على أن يكون أثاث المنزل - عادة - يكون للزوجة لا للزوج ؛ وتواضع أصحاب بعض السلع على ضمانها من التلف إلى مدد جرى بها عرفهم حتى ولو لم يذكر ذلك في العقد .

كما ينقسم العرف - باعتبار كونه مشروعاً

وهي قد نزلت بعد موقعة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة ؟؟ ١١

ثم ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم لحولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس ابن الصامت « ما أراك إلا قد حرمت عليه ، لما تعارف عليه العرب من أن الظهار تحرير إلى أن نزل قوله تعالى : « قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير . الذين يظهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ولأنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً ، إلى آخر الآيات التي بين فيها أحكام الظهار .

ثم ألم يعتبر الشارع ما تعارفه العرب من اعتبار الكفاءة في النكاح ؟ وإن كان تحديد معنى الكفاءة بما يختلف فيه العرف بين الناس ويختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة .

وكذلك اعتبر الشارع الدية وأوجهها على العاقلة لما بين أفرادها من تناصر ، ولما في إيجابها عليها من الضرب على أيدي المفسدين ، كما اعتبر العصية سبباً للولاية والإرث إلى كثير من الأحكام التي جاء الشارع مقرراً فيها للعرف حتى أصبحت شرعاً لا يجوز لنا أن نعيد عنه ؛ بل إننا نفهم من هذه الأحكام أن الشارع جعل

فما وجدناه منها فاسداً حاربه ؛ وإلا تركناه الناس وما اعتادوه في حياتهم .

هذه هي أقسام العرف بحسب الاعتبارات المختلفة .

مدى الاحتجاج بالعرف :

إذا أسقطنا العرف الفاسد ؛ فإلى أي مدى نحتج بالعرف الصحيح ؛ وهل يمكن أن نخصص به النص الشرعي العام أو القواعد الشرعية العامة .

وقبل الإجابة على ذلك لابد أن نعرف الدليل على اعتبار الشارع للعرف .

لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للعرب عرف وعادات فأقرها إلى أن أبطل الله تعالى بعض هذه العادات وأقر بعضها فنفهم من ذلك أن عادات الأمم لما اعتبرها ووزنها في نظر الشارع ؛ لأن النبي صلوات الله وسلامه عليه بعث للناس كافة ؛ ألم يتبين الرسول صلى الله عليه وسلم زيدا حتى كان يقال له زيد بن محمد وبق هذا التبني وهو بمكة وردحا من الزمن في المدينة حتى نزل قوله تعالى « ادعواهم لأبائهم هو أقسط عند الله » وقوله « وما جعل أدياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم » ، « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » .

وهذه الآيات كلها نزلت في سورة الأحزاب

كقوله صلى الله عليه وسلم (لا تبيعوا الطعام بالطعام إلا مثلاً بمثل) فلفظ الطعام عام في كل مطعموم ، ولكنه في هذا الحديث لا يحمل إلا على البر وحده لأنه المتعارف عليه عند الإطلاق .

وأما العرف العملي فهل يخص به العام ؟ ذهب الحنفية إلى أنه كالعرف القولي ؛ إذ التفرقة بينهما تحكم ؛ وكل ما قيل من وجوه التفرقة بينهما تحمل وتعصب فلاستصناع عرف عملي وقد ترك به قاعدة شرعية عامة وهي أن لا يجمع بين بيع وإجارة في عقد واحد ؛ ومع هذا فهو مشروع .

ودخول الحرام مع عدم تحديد القدر الذى يستهلكه من الماء أو الصابون وعدم تحديد زمن المسكت جائز شرعاً مع أنه تعاقد فيه جهالة ولكن تعارف الناس على القساح فيها ..

وأمثال ذلك كثير وكثير ؛ ولو عرضنا كثيراً من المعاملات التى قال الفقهاء الأقدمون بفسادها بحجة أنها مفضية إلى النزاع ولكن الناس الآن تساحوا فيها وأصبحت ليست مثار نزاع ؛ لو عرضناها - الآن - على بساط البحث لوسعنا أن نقول بجوازها ومشروعيتها اللهم إلا أن تكون ممنوعة بالنص .

الفرق بين العرف والإجماع :

العرف كما عرفنا فى أول هذا البحث

لعرف وزناً واعتباراً فى التشريع ، ولقد بنى الأئمة المجتهدون كثيراً من الأحكام على العرف الشائع فى زمانهم ، فكثيراً ما نرى صاحبى أبى حنيفة أبى يوسف ومحمداً يخالفانه فى رأى ؛ ونرى عند الرجوع إلى استدلالهم أن منشأ الخلاف هو اختلاف العرف باختلاف الزمن مع تقارب ما بينهم من زمن .

ونرى الشافعى رضى الله عنه غير كثيراً من آرائه بعد انتقاله إلى مصر ، ونرى أن بعض هذه الآراء ترجع إلى اختلاف العادات بين أهل العراق وأهل مصر .

ونرى مالكا رضى الله عنه يعتبر عرف أهل المدينة مصدراً من مصادر الأحكام فعلى أهل كل مذهب من هذه المذاهب أن يعيدوا النظر فى مذاهبهم فما وجدوه من الأحكام مبغياً على العرف فإنه يسعهم أن يخالفوا رأى إمامهم إن كان العرف قد تغير ، ولا يعتبرون بذلك خارجين على أصول مذهب إمامهم .

إذا عرفنا هذا فنقول : إن الإجماع منقاد على أن العرف القولى يعتبر خصصاً للنص الشرعى العام ، وللقواعد الشرعية العامة ؛ فإذا ورد عن الشارع نص فيه لفظ عام ولكن العرف يخص هذا العام ببعض أفرادها فإن هذا النص لا يحمل على كل أفرادها ، بل يحمل على ما تعرفه الحل عليه ؛ وذلك

أو استعراض أدلة ولكن تواضعوا عليه وتوارثوه فيما بينهم استجابة لحاجتهم وظروفهم ولهذا فهو يتغير بتغير الظروف والملايسات .

ولعل بهذا أكون قد بينت مكانة العرف في التشريع الإسلامى وأيا ما كان فليس العرف دليلاً خارجاً عن الأدلة الشرعية المعروفة وهى الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

وإلى مقال آخر تفصل فيه الكلام على المصالح المرسلة إن شاء الله تعالى .

برر المتولى عبد الباقى ط

هو ما تواضع عليه الناس أو طائفة منهم من قول أو فعل أو ترك وينشأ من اتفاق الناس لا فرق بين عامتهم وخاصتهم بخلاف الإجماع فإنه - كما عرفه المحققون من الأصوليين - اتفاق يجتهدى الأمة فى عصر من العصور بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على حكم شرعى .

وبهذا يتبين أن العامة لم تدخل فى العرف دون الإجماع ؛ والعرف قد يتغير بخلاف الإجماع فإنه إن انعقد لا يجوز لمن يأتي بعدهم أن يخالفهم لأنهم ما أجمعوا إلا بعد اجتهاد وتمحيص بخلاف العرف فإنه يحصل بين أهله بمجرد الاتفاق من غير بذل جهد

القول فى دين الله عن جهل

ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ، ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزي ، ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك . وإن الله ليس بظلام للعبيد .

ويقول تعالى : وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً .

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العمّار

- ٣ -

ويعلم أنه لا مانع : لا عربية ، ولا دينية ، ولا خلقاً أن يتمثل لإنسان بآية أو ببعض آية من القرآن إذا كان المقام يقتضي هذا التمثيل ، وهو يفهم جيداً ما أعنيه بهذه الكلمة .

فالشيخ لم يفتر على الله ، ولم يحاول أن يوقد نار فتنة ، ولعل صاحب المؤلف الذي وصفه بأنه من (إخوانه الأقباط) هو الذي بدأ بالعدوان ، ولكن المؤلف كأنما يذب نفسه للدفاع عن (إخوانه) بدليل قوله في نفس الموضوع (وبخاصة النصاري) .

وأعتقد أن نشر هذا الحديث كما ذكره المؤلف في كتابه هو الذي يوقد نار الفتنة لا ما قاله الشيخ في جدل محصور بينه وبين أحد الناس ، فإلى الذي حمل المؤلف أن ينشر هذه الحكاية الصغيرة في كتاب ١٩

ثم يستمر المؤلف فيذكرنا بأن القرآن وصف النصاري بأنهم أقرب الناس مودة للمسلمين ، وذلك في الآية الكريمة : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ، ولتجدن أقربهم مودة

إلى الدين عند الله الإسلام :

ثم يستطرد المؤلف إلى جدل وقع بين مسلم ومسيحي ، وقد طاب على المسلم استشهاد بقروله تعالى : « ولا تؤمنوا إلا بما نبتع دينكم » ووجه العيب عنده أن الكلمة من قول اليهود ، يريد أنها لا تستعمل إلا كما قيلت ، وزعم أن الشيخ المسلم أدركه الحصر ، وأنه - أي المؤلف - قال للشيخ : حرام عليكم يا مولانا أن تفتروا على الله الكذب ، وأن تأخذوا ما في المصحف الشريف وتفهموه على ما يقضى به علمكم ، وتوقدوا بذلك نار الفتنة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب ، وبخاصة النصاري .

والمؤلف يعلم أن جميع المسلمين عالمهم وجاهلهم ، يعاملون أهل الكتاب المقيمين بينهم كما أمرهم دينهم أن يعاملوهم : (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) ، ويسرون على مقتضى قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتسخطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

فإننا ننقل له كلمات من كتاب عنوانه (البحث عن الدين الحقيقي) وهذا الكتاب ألف ليدرس في المدارس الأجنبية المنبثقة في البلاد العربية ، وقد صدر عن اتحاد مؤسسات التعليم المسيحي في باريس ، ونال رضا البابا ليون الثالث عشر - كما ذكر صاحبنا كتاب (التبشير والاستعمار) . وأما الكلمات فهي : (الإسلام في القرن السابع للميلاد .

برز في الشرق عدو جديد ، ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة ، وقام على أشد أنواع التعصب ، لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه ، وتساهل في أقدم قوانين الأخلاق ، ثم سمح لاتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالمملكات) .

ثم يقول المؤلفان الدكتوران : مصطفى خالدي وعمر فروخ : هذا النوع من التأليف هو الذي أقلق السلام بين الشرق والغرب منذ أقدم الأزمنة ، وهو الذي يهدد السلام كل يوم وخصوصاً في الشرق .

وثانياً : ماذا أراد المؤلف بتعليقه في الهامش ؟ هل أراد أن يقول إن القرآن لم يشترط في المسيحيين الذين هم أقرب مودة للؤمنين أن يؤمنوا بمحمد ، وأن كل مسيحي مهما كان أمره هو أقرب الناس مودة للذين آمنوا .

للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . .

ويكتب تعليقه في هامش الصفحة على الأوصاف الأخيرة في الآية فيقول : (لم تقل الآية : ولأنهم غير مؤمنين بمحمد ، أو لأنهم مسلمون معك !) هكذا بوضع علامة التعجب بعد هذه الكلمات .

فأولاً : كيف غاب عن هذا المتحمس لإخوانه أن الدول المسيحية كانت ولا تزال تنزل بالمسلمين أقسى أنواع الاضطهاد ، وتستغلهم أسوأ أنواع الاستغلال ، وإن ينسى المسلمون أبداً ما فعلته إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الدول المسيحية بالعالم الإسلامي والعالم العربي ، وليس ما فعلوه مجزولاً حتى نذل أحداً عليه ؟ .

وكيف غاب عنه أن كل أعمال المبشرين ، وكتاباتهم لا تعنى في الدرجة الأولى - كما هو المفروض - بنشر المسيحية وتعاليمها ، ولكن هنايتهم الأولى بتحطيم الإسلام ، ونزعه من قلوب المسلمين ، وأن أعمال المبشرين وكتاباتهم هي التي هددت السلام بين الأمم التي تتألف من مسلمين ومسيحيين ، وهذه الكتب تفيض بالأحقاد على الإسلام والمسلمين .

وإذا كان المؤلف لم يسمع بشيء من هذا

والمؤلف لا يلتزم بما التزمت به كل الشرائع ،
فنحن المعلوم من الأديان بالضرورة أن الإيمان
بالله وبرسله أساس النجاة من عذاب الله ،
والله لا يغفر أن يشرك به - كما جاء بنص
القرآن الكريم - فما وجه العجب في أن يحكم
على رجل لم يؤمن بأن الله واحد ، ولم يؤمن
بأن محمداً رسول الله بأنه لن ينال رحمة الله ؟ .
المؤلف يذكر حكاية - كما يقول - على سبيل
الفكاهة ، خلاصتها أن أحد المشايخ أجاب
عن سؤال يتعلق (بإديسون) فقال إنه لا يدخل
الجنة لأنه لم ينطق بالشهادتين ، فعجب المؤلف
من ذلك أشد العجب ، ووجه للشيخ كلاماً
كأنه يؤنبه ، فقال له أولهم : بعد أن أضاء
العالم حتى مساجدكم ، وبيوتكم باختراعه ؟
فأجابوه : لا ، ولو ، فعاد يسأل : ألا يمكن
أن يدخل الجنة عقلاً ؟ وقد خيل إليه أنه حج
المشايخ ، وسفه أحلامهم ، وهو - والله -
مسكين ، فما دخل العقل هنا ؟ لقد قال
الشيخ : إن الرجل الذي لا ينطق بالشهادتين
مهما أدى للعالم من خدمات فلن يغفر الله له ،
وهو كلام يوافق صريح النصوص ، فإن كان
يريد الاحتكام إلى العقل فهو يوافق العقل .
لقد أنعم الله على هذا المخترع بنعمة عظيمة ،
وهي نعمة النبوغ ، وكان مقتضى هذه النعمة
أن يعترف بوحداية الله ، وأن يصدق بكتبه
ورسوله ، ولكنه لم يحفل بذلك ، فنحن المعلوم ؟

إذن فما بال المسيحيين - في الغرب - منذ
الحروب الصليبية إلى اليوم لم يتركوا أية فرصة
دون أن يحاولوا ، وأن يعملوا - جاهدين -
على هدم الإسلام ؟
ثم ، لم وقف المؤلف عند هذا الحد
من الآيات الكريمة ، لعل لو أكلت له الآيات
- ولا أظنه تركها غافلاً - لسقط في يده ،
ولوقع في عياء لا يدرى طريقاً للخروج منها ،
لأن الآيات كاملة تجعل تعليقه صادرة عن جهل
أو خبيث ، بل تغسل كتابه كله غسلاً
- لو كان يريد أن يكون من الذين يحترمون
عقولهم وأفلامهم - .

قال الله تعالى بعد الآية السابقة : « وأنهم
إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم
تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ،
يقولون ربنا آمننا فاكتملنا مع الشاهدين ،
وما لنا لا تؤمن بالله وما جاءنا من الحق
ونقطع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
فأما بهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين » .
ما رأى المؤلف ؟ ألا يزال يصصر على أن الآية
لم تقل إنهم لم يؤمنوا بمحمد ؟ ألا يزال يرى
أن لكل صاحب دين أن يؤدي عبادته
كما وصفها دينه دون أن يلزمه الإيمان بالأديان
الأخرى وبرسلها ؟ .

يستطيعون أن يرجعوا إلى كتب التفاصيل ، بل أن يرجعوا إلى القرآن نفسه ، ويضعوا آية بجوار آية ، ويطمئنون أخيراً إلى الحق .

قال السيد رشيد رضا في تفسير هذه الآية من سورة البقرة : (ولا إشكال في عدم اشتراط الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم) . ومع أن هذا يخالف لما قال به جمهور المفسرين في الآية ، ومع أن الإيمان بالله يقتضى في ذاته الإيمان بكل ما صدر عنه ، فالإيمان بالكتب المنزلة ، ومنها القرآن ، والإيمان بالرسول ومنهم محمد جزء من الإيمان بالله ، ولن يتحقق الإيمان بالله إلا بالإيمان بكل ذلك ، ولذلك كان الإسلام الحق ، هو الإيمان بالله ورسوله وكتبه وملائكته ، واليوم الآخر ، والمسلمون لا يفرقون بين أحد من رسله ، مع كل ذلك نرجع إلى السيد رشيد رضا نفسه لنجد أنه لا يعنى بهذه الكلمة ما فهمه منها المنحرفون .

يقول في تفسير قوله تعالى : « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معهم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتهم وأخذتهم على ذلهم إصرى قالوا أقررتنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، : (إن من مقتضى ذلك الميثاق أن دين الله واحد ، وأن دعائه متفقون

إنه هو - ولا شك - وإذا حرم الله عليه الجنة فلأنه لم يشكر من وهب له هذه النعمة التي أضاع بها العالم ، ومع ذلك فكيف نحتكم إلى العقل والنصوص صريحة واضحة ؟

إذا كان المؤلف مسلماً ، يؤمن بأن القرآن من عند الله فهذا حكم القرآن ، وإن كان يرى أن الإسلام يتحقق دون أن يؤمن الإنسان بأن القرآن من عند الله ، وبأن محمد رسول الله ، وقد أرسل للناس كافة فالآن جاء الوقت للحديث معه في هذا الشأن .

يبدو أن قوله تعالى : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يبدو أن هذه الآية الكريمة ، أو على وجه الدقة ، ظاهرها قد أغرى كثيراً من المنحرفين لأن يتخذوا منها برهاناً على أن الإيمان بمحمد ، وبالقرآن لا حاجة إليه في النجاة عند الله .

ولعل أول الطريق ما وقع فيه السيد رشيد رضا - عن غير قصد - فاتخذة حذراً سنداً وحجة ، وراحوا يقبلونه دون أن ينظروا في جملة أقواله ، بل لعلهم نظروا ، ولكنهم وجدوا في هذا الموضوع ما يبعثهم ، ويساعدهم على ضلالتهم فتمسكوا به ، وكأنهم يجهلون أن الناس يعرفون القراءة ، وأنهم

على ذلك كثيرة من القرآن الكريم ، ومن الأحاديث النبوية الصحيحة ، وهي لشهرتها تغنى عن سردها هنا ، ولكن لا بأس أن نضع أمام المؤلف بعضها مع يقيننا بأنه لا يجهله .

قال تعالى في سورة الأعراف : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ، وقال سبحانه في سورة سبأ : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ، وقال عز وجل في سورة الأنعام : « وأوحى إلى هذا القرآن لأمذكرك به ومن بلغ ، أى وأنذر به كل من بلغه من الثقلين .

وقال - وهو أصدق القائلين - في سورة الفرقان : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » .

فهل يمكن مع هذه النصوص الواضحة لإنسان محترم عقله ، ومحترم القراء أن يدعى : أن الإيمان بمحمد ، والإيمان بالقرآن ليس واحد منهما شرطاً في النجاة عند الله ، وأن كل ما يطلب من الإنسان الإيمان بالله ، وباليوم الآخر ، والعمل الصالح ، وهذه - كما يقول المؤلف - هي أركان الدين الأساسية .

أما تفسير الآية على وجهها الصحيح ، فيكفى أن يرجع من يريد إلى أى كتاب من كتب التفسير ليعرف وجه الحق في تفسيرها ومهما أخذت هذه الآية على ظاهرها فلن

متحدون ، فن تولى بعد الميثاق على ذلك عن هذه الوحدة ، واتخذ الدين آلة للتفريق والعدوان ، ولم يؤمن بالنبي المتأخر المصدق لمن تقدمه ، ولم ينهره كأولئك الذين يجحدون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويؤذونه فأولئك هم الفاسقون أى الخارجون من ميثاق الله ، الناقضون لعهدده ، وليسوا من دينه الحق فى شئ) .

ويقول فى التفسير (ج ١٠ ص ٣٠٠) : (من قال : إنه يؤمن برسائله - يقصد محمداً صلى الله عليه وسلم - إلى العرب خاصة لا يعتد بإيمانه ، لأنه مكذب لهذه النصوص العامة القطعية بما جاء به) .

إلى أقوال آخر كثيرة مبثوثة فى تفسير المنار عند مناسباتها ، وإنما لفت النظر إلى أقوال هذا المفسر لأن المؤلف يعتمد عليه كثيراً ، وبأخذ حتى تعبيراته ، ولكننا - مع الأسف - يبتزها كما يبتز الآيات ، والأحاديث ليوم نفسه أنه وصل إلى غايته من خداع الناس ، وما خدع إلا نفسه ، وإلا الذين يظنون أنه حقق ما تنفخ إليه نفوسهم المريضة .

إن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة أرسل إلى الإنس وإلى الجن ، وإلى جميع الناس ، وهو خاتم النبيين ، والنصوص

الرب الخالق للعالم بأكمل نظام المدبر لأمر العباد بالحكمة والاحتكام وتأمل تاريخ محمد لا يمكن أن يدعى أن القرآن من أمور التعاليم البشرية الكسبية .

فهل يمكننا أن نسأل المؤلف لماذا تغافل عن هذا وأمثاله ، من كلام الإمامين اللذين يعتمد على أقوالهما : محمد عبده ورشيد رضا ؟ بل ليس لنا أن نسأل لأننا نعرف الجواب ، فإن من يجرؤ على أن يأخذ بعض الآيات ويترك بعضا لا يستغرب منه أن يأخذ من كلام الشيخين ويدع .

ولكن سوء النية هنا لا يضر المؤلف وحده ، وإنما يضع في نفوس القراء الذين لا تهمل لهم ظروفهم الاطلاع على ما كتبه الرجلان ، يضع سحابة من الشك ، فهو يسيء إلى شيخيه - كما يدعى - إساءة بالغة حين يتر أقوالهما ، ويأخذ منها ما يدل ظاهره على تأييده في غرضه ، ولو نقل الكلام كاملا ، أو حتى لو لخص رأى الرجلين بأمانة لفهم الناس رأيهما على حقيقته ، ولكن كان أمامه أحد أمرين أما أن ينقل رأيهما كاملا ، وحينئذ يلحق بكتابه في اليم ، وإما أن يتنكر للأمانة العلمية ، وحينئذ يصل - في دنيا الوم - إلى بعض غرضه ، ولعل هذا الكسب الخيالي الصغير أحب إلى نفسه من سلوك سبيل العلماء .

على العمري

تكون الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع الخطير ، لأن في القرآن آيات كثيرة تتعلق بصوم رسالة النبي محمد ، وتعلق بموقف الإسلام من أهل الكتاب ، ومن دعوتهم إلى الإسلام ، وليس فيه آية واحدة تبليغ لهم أن يبقوا على ديانتهم الأولى معرضين عما جاء به رسول البشرية ، ولا جاء ذلك في حديث صحيح ، حتى ولا غير صحيح .

فهل نلغى كل النصوص الواضحة الصريحة لئتمسك مع المؤلف بظاهر آية واحدة أبان كل المفسرين المراد منها ، ودلت الآيات الأخرى على أنه لا يمكن حملها على ظاهرها . ومن عجب أن المؤلف أخذ ينقل من تفسير المنار ؛ فنقل خمس صفحات كاملات ، ولكنّه تجاوز عن كل ما يتعلق برسالة محمد ومعجزته ، لأنه يثبت بما لا يدع مجالاً للشك دلالة القرآن على نبوة محمد وفيه هذه العبارة (وإن القرآن قد بلغ مرتبة السكمال في الهداية) فاهتدت به الأمم والشعوب .

فن كان يؤمن بها على علم بحقيقتها لا تقليداً لأبائه وقومه فيها لا يسمعه أن يؤمن بالتوراة أو الإنجيل أو الفيدا أو غيرهن من الكتب المفصورة إلى المرسلين الأولين ولا يؤمن بالقرآن وهو أكملها في موضوعها ، وأصحها إلى من جاء به) .

وفيها أيضا أن من كان يؤمن بالله وأنه

المرونة في اللغة العربية

للأستاذ عبد الحميد حسن

- ٢ -

أهل «ودع»، و«وذر»، لأن في أولهما واواً وهو حرف مستقل، فاستغنى عنهما بما خلا منه وهو «ترك»، ثم قال: «واستعمل ما أهملوا من هذا جائز صواب وهو الأصل». هـ — والكوفيون يعتدون بما ورد من الكلمات الشاذة، ويعملون بالقياس عليها وابن مالك يوافقهم في هذا.

* * *

وعلى هذا الأساس من المرونة والتيسير رد بعض الباحثين على من تعددوا في اللغة وقواعدها وأبوا أن يعترفوا بما هو صحيح ومنعوا ما يمكن أن يصادف القبول. فهذا هو الحريري (٣٩٥) في كتابة «درة الغواص» في أوام الخواص، يتعرض لمسائل كثيرة يحكم بأنها خطأ؛ فينبغي له الشهاب الخفاجي في شرحه على «درة الغواص»، ويصحح كثيراً مما رفض إجازته. ومن أمثلة ذلك:

اجتمع محمد مع علي - دخول «أل»، على «غير»، وعلى «كافة» - المال بين زيد وبين عمرو بشكر كلمة بين - جمع مرأة على «مرايا» - التعبير: «ما كان ذلك في حسابي»

إن باب القياس لا يزال مفتوحاً، وطريق الاجتهاد لم يوصد ولن يوصد، وإن المجال فسيح للأخذ بأسباب التجديد والمرونة على الأصل التي لا تحيد باللغة عن نهجها، ولا تنحرف بها عن خصائصها، وإنا نرى في آراء العلماء وفيما لهم من مذاهب سنداً لكل هذا. وإليكم بعض هذه الآراء التي تشجع على التيسير، ومسايرة التجديد:

١ - قال أبو حيان في شرح القسمل: «كل ما كان لغة لقبيلة صح القياس عليه». ٢ - وقال ابن جني في الخصائص: «اللغات على اختلافها كلها حجة، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخلى».

٣ - وقال ابن جني أيضاً في الخصائص: «حكم اللغتين إذا كانت لهما قلة قليلة والأخرى كثيرة جداً فإنك حينئذ تأخذ بأوسعها رواية، وأقواها قياساً، وتتخير أشيعها، إلا أنك لو استعملت الأقل لم تكن مخطئاً في كلام العرب».

٤ - وقال السيوطي في المزهرة: قال ابن درستوربه في شرح الفصيح: «إنما

وأن نعدل عن الظن بأن العلم بالغريب هو غاية العلم باللغة، وأن لا ينبق منه إلا ما دل على شيء لا تدل عليه الكلمة المألوفة، وهذا يستدعي معاجم حديثة من طراز يختلف في جوهره عن المعاجم القديمة كما سنبينه فيما بعد.

الشعر : من أهم مصادر اللغة العربية الشعر. وكانت للناس به عناية فائقة. وكان يكفي في التدليل على صحة معنى كلمة أو صيغتها أو صواب تركيب ما أن يقولوا قال الشاعر. والذي دعا إلى كل هذه العناية بالشعر سهولة حفظه، وتداوله بين الناس على نحو يقرب من القديسين؛ حين عز القديسين بالكتابة ولعلمهم كانوا يرون أن أعظم الشعر يدل على قدر من الذوق الأدبي يسمح بالاستشهاد به. وقيل: إن الشعر ديوان العرب. وقد يكون حقاً ديوان عاداتهم، وأخلاقهم، وأيامهم وما يحبون، وما يكرهون، ولكنه لا يصلح ديواناً للغة دون تحقيق دقيق.

والشعر في اللغات كلها له أسلوب خاص وأوضاع وترتيب في الكلام يقبل من الشاعر ولا يقبل من الكاتب عادة^(١)، ولا يعد أصلاً يتبع في الشعر. بل قد يضطر الشاعر أن ينجز من نطق كلمة بعينها ليستقيم الوزن ولا يجاري

ويصر على أن نقول في حسابي - الألف درهم والألف كتاب، إلى غير ذلك.

وهنا كتب أخرى لغير الخري من تصدوا لتخطئة كثير من الكلمات والعبارات. ومن ذلك :

١ - كتاب ما تلحن فيه العامة، للكسائي (١٩٢).

٢ - كتاب إصلاح المنطق، لابن السكيت (٢٤٤).

٣ - أدب الكاتب، لابن قتيبة (٢٧٦)

٤ - ما تلحن فيه العامة، للزبيدي (٢٧٩).

٥ - لغة الجرائد، لليازجي (١٩٠٦)

٦ - تذكرة الكاتب، لـ محمد خليل داغر (١٩٥٩).

وقد تصدى العالم الجليل المحقق الأستاذ محمد علي النجار عضو هذا المجمع لهذه الكتب في محاضراته التي ألقاها أخيراً في معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية، ولقد جال سيادته في هذه المحاضرات جولة موفقة، ورد على طائفة مما ورد في الجمل تذكرون على شكل واحد للكلمة الواحدة. ويسقط احتجاج اللغويين بما ورد وما لم يرد. وعلينا أن نرفض من الألفاظ ما تعددت معانيه تعدداً معيياً، وما اختلف تحديد معناه،

(١) قيل من كان إنجليزي متأق: أنه كان لا يعاقب أن تكون جملة ثرية في ترتيب جملتها كالشظومة وبعد هذا مبياً في الشعر.

الكلمة التي يستقيم بها الوزن موضعها من البيت إذا كان معناها قريباً ، وهو يقع المعنى الذي يريد على الكلمة ، وإن كانت بينهما فروق يسيرة ، وضاعت بذلك دقة دلالة اللفظ على المعنى ، فالشاعر لا يقف عند الفرق بين المهجوع والنوم ، أو السير والسرى بل يختار ما يوافق النظم ، ولا نزاع في أن هذا التساهل أفسد كثيراً من الدلالات الدقيقة للألفاظ ، وكذلك صيغ التكسير وغيرها يختار الشاعر منها ما يوافق الوزن ما دام الغرض مفهوماً ، بل قد يختار جموعاً ومصادر لم يسمعها من قبل ولا يعني ذلك أنها تصبح مباحة لغير الشعراء .

قال الشاعر :

لو كان في قلبي كقدر قلامة
من حب غيرك قد أناها أرسل
والشعر ضعيف لا يعتد به ، ولكن النحويين درسوه ، قالوا : إن رسول لا تجمع على أرسل فإذا كان هذا صحيحاً فالشاعر أخطأ من غير شك ولكن الشعر أصل من أصول اللغة ، لا يقع فيه الخطأ ؛ فوجب التأويل ، وتخريج ابن جني لذلك أن أقبل تجوز في الجمع عند التأنيت وأن الرسل في هذه الأمور يكونون عادة من القساء ، تخريج جميل ، ولكنه غير صحيح ؛ لأن الشاعر قال : ذلك دون أن يعني بالقاعدة جملاً أو اضطراراً .

أحد من الكتاب الشعراء في مثل هذا . الشعر العربي لا يختلف في هذا عن الشعر في اللغات الأخرى ، وإنما زاد في صعوبته أن أوزانه محدودة محكمة ، لا تقبل إلا قليلاً من المرونة ، وقافية القصيدة واحدة بما يزيد في صعوبة النظم . ولو التزم الشعراء العرب صحة الألفاظ ، واستقامة الأسلوب ، وجودة المعنى مع هذه الأوزان القاسية ، والقافية الموحدة دون تجاوز عن بعض الصيغ وتهاون في الصرف ما استطاع أكثرهم أن يقول إلا القليل من الشعر .

على أن للنظم جمالاً يجعل هذه الانحرافات في اللغة والأسلوب مقبولة ، ولكن النحويين يخطئون حين يجعلون ذلك أصلاً من أصول اللغة يباح لغير الشعراء . وليس هناك لغة تجعل للتقديم والتأخير في الشعر قواعد خاصة تسرى على اللغة كلها ، وإنما يتحكم في ذلك الوزن ، والذنب على النحويين حين يتخذون من مثل قول الفرزدق .

قفا قد هدا جون حول بيوتهم

بما كان أيام عطية هودا
دليلاً على جواز قولك كان طعامك زيد
آكلاً ، وذلك كلام مقبول حسن وهذا كلام سخيف .

والشعر مهما يكن جيداً قد لا يخلو من تساهل في معاني الألفاظ ، فالشاعر يضع

والشعر كانوا يقولون سواننا . وهذا بالطبع
فرض لا يقوم عليه برهان ، إنما وضع الشاعر
من عنده ، وليست لغة في سوى .

فإذا كان هذا هو مسلك اللغة العربية
في ضبط الكلمات ، وفي تحويل بعض الصيغ
إلى بعض ، وفي تحميل الكلمة معاني كثيرة ،
فهل تضيق عن مظاهر المرونة التي تجلت
في خصائصها وفي أساليبها ؟

إن لغتنا العربية في حاجة إلى نظرة جديدة
في مختلف نواحيها :

١ - فهي في حاجة إلى أن نسلك بها
في التوسع سبيلا نحص فيه ما لم يرد في معاجمتنا
في المعصور المبكرة بما جد حديثا من الألفاظ
المولدة والمحدثه والدخيلة والعامية ، ونلقى
على كل ذلك نظرة فاحصة ثم نفتح لها المجال
في المعجم الكبير ، كما وسعها المعجم الوسيط .
٢ - وهي في حاجة إلى نظرة جديدة
في قواعد الاشتقاق ، وفي أصول القياس ، وإن
فيما سجل الباحثون من آراء لمتسعا لهذا ، وفي
اللغة استعداد للاستجابة والتطوير ومسيرة
التجديد .

٣ - وهي في حاجة إلى أن نقرّب
موردها للمتعطشين ، ونذلل صعابها للشادين ،
حتى تصبح لغة الحياة في جميع المقاصد ،
وتختلف الشؤون .

عبد الحميد حسن

وقال الشاعر :
مثلها يخرج النصيحة للفقو
م فلاة من دونها أفلاء
قال ابن سيده : أن فلاة لا تجمع على أفلاء
ولنما أفلاء هذه جمع فلا التي هي جمع فلاة ،
وهذا أيضا تخريج لا يطابق الواقع ، فالخاوت
ابن حلزة وجد أن أفلاء مفهومة على أنها جمع
فلاة وأنها تناسب الوزن والقافية ، فوضعها
غير جاني بما سيقول فيه النحاة .
يقول الثابتة الجمعدى :

موالى حلف لا موالى قرابة
ولكن قطينا يحلبون الأتاريا
وهو يريد جمع أتاة ، ولكن أتاة تجمع
على أتارى كهرأة وهرأوى ، بعد أن تمر
بمراتب لكل مرتبة هلة فتسكون : أتاء ،
ثم أتايا كعطايا ، ثم أتاء ثم أتأوى ، ويعترف
ابن جنى أن الشاعر غير في هذا الجمع لتستقيم
القافية لجعلها أتأويا ، وعمل ذلك بعلة معقدة
غاية التعقيد .

والواقع أن الشاعر لم يقصد إلى شيء من
ذلك أبدا إنما أراد جمع أتارة جمعا نهايته
تتفق مع روى القصيدة ؛ فقال أتأويا ، وليس
لأحد أن ينسب إليه شيئا لم يفكر فيه ،
ولا يصح أن نجعل هذا الخروج صحيحا
يستطيعه من الكتاب من لم يضطر إليه .

وقالوا : إن سواء لغة في سوى . ودليلهم
قول الشعراء من سواننا ، ظنا أن أهل هذا

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١٢ — العبادة المالية

العبادة هي نهاية الخضوع لله سبحانه وتعالى مع الخوف من عقابه والطمع في ثوابه، وقد جعل العلماء الإيمان بالله وما يتصل به من ذكر وشكر رأس العبادات القلبية، وجعلوا إقامة الصلاة وما يدخل في معنى إقامتها رأس العبادات البدنية، أما رأس العبادات المالية فهو أداء الزكاة لمستحقها بمن ذكرهم الله في قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعالمين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل » وقد لا أبعد عن الحقيقة إذا شبهت العبادة بالشجرة المزهرة المثمرة، وجعلت الإيمان منها بمنزلة البذرة والصلاة وما لإيمان العبادات البدنية بمنزلة الجذع والغصون، والزكاة وما لإيمان من وجوه الانفاق بمنزلة الزهور والثمار، وإن كانت الحقيقة التي لا يرقى لإيمانها شك هي أن الزكاة ركن من أركان الإسلام كما يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم : (بنى الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت

وصوم رمضان) وقد قرن الله الزكاة بالصلاة في القرآن الكريم وجعلها حقاً معلوماً للسائل والمحروم، ورأى أبو بكر رضي الله عنه أن يقاتل عليها ما نعيمها فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني حقاً لا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه . وقد روى الطبراني عن علي رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله فرض على أغنياء المسلمين بقدر الغنى يسع فقراءهم ، وإن يجهدوا إذا جاعوا وعروا إلا بما صنع أغنيائهم ، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ، ويعذبهم عذاباً أليماً) وأنذر عليه الصلاة والسلام مانعي الزكاة بسوء الحال والمآل فقال : (وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا) .

وإذا كانت الصلاة كما يقول الله : « تنهى عن الفحشاء والمنكر » ، فإن الزكاة كما يقول سبحانه : « تطهرهم وتزكّيهم » ، فهي تطهر النفوس من الذنوب والبخل والشح وما يتصل

فإن ذلك يخل بالتوازن ، ويقم المواجو
والفوارق بين العاطقات ويمحق البركة ويحلب
الشر والاشقاء للجميع .

ثم إن فريضة الزكاة - كما يقول فضيلة
المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز - بمثابة
رابطة بين الإنسان وربه من ناحية ، وبينه
وبين المجتمع من ناحية أخرى ، وكان
الإسلام بفرضها أراد أن يلفت نظر المسلم
إلى ضرورة شكر الله على ما أسدى إليه من
نعم ، حتى يؤدي الزكاة ، وإلى أنه عضو في
مجتمع يجب أن يكون متعاوناً متسانداً ،
كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحي .

وقد انفرد الإسلام بين جميع الشرائع
الساوية ، بإيجاب الزكاة ، وتحديد مقدارها ،
وجعله حقاً معلوماً أو ضريبة مقدسة ؛ تدفع
طوعاً أو كرهاً ، قديقال : أنها كانت من دهوة
كل نبي ورسالة كل رسول من الأنبياء
 والمرسلين ، وذلك صحيح ، لأننا نجد ذلك
في القرآن حيث يقول الله عن إبراهيم وابنه
إسحق وحفيده يعقوب : « وجعلناهم أئمة يهدون
بأسرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام
الصلاة وإيتاء الزكاة » . وتجده حيث يقول
عن بني إسرائيل : « وإذا أخذنا ميثاق
بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين
إحساناً وذو القربى واليتامى والمساكين

بهما من العيوب : « ومن يوق شح نفسه
فأولئك هم المفلحون » ، وهي تزكيتها بمعنى
أنها تقضي نوازح البر والخير فيها ، وكما أنها
تطهر نفوس الأغنياء ، من الشح والبخل
تطهر نفوس الفقراء من الحسد والحقد ، ثم
هي إلى ذلك تطهر المال من الشر الذي
يشوبه بقاء حق الفقراء فيه ، وفي هذا يقول
النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا أدبت زكاة
مالك فقد أذهبت عنك شره) ويقول عليه
الصلاة والسلام : (حصنوا أموالكم بالزكاة)
وهي كذلك تزكي المال بمعنى أنها تنميه ،
وتضع البركة فيه ، كما يفهم من قوله تعالى :
« وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس
فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون
وجه الله فأولئك هم المضعفون » ، وكما يفهم
من قوله جل شأنه : « يحق الله الربا ويرب
الصدقات » .

أما أنها نماء وبركة وزيادة في المال ورخاء
المجتمع ، فلأنه ينتفع بها الفقير والغني بوجه
عام ، وحسبنا أن نذكر ما يسود المجتمع من
ركود إذا احتجن الأغنياء فيه أموالهم ، ولم
يسهموا بها ، أو يجزء منها في تهيئة فرص العمل
للعاطلين ممن لا يجدون ما ينفقون ، أو إذا
عاشوا كمالاً مكثفين بما تدره عليهم من فوائد
أو هوائد نتيجة استغلال الحاجة إلى المال
أو استغلال المال عند من لا يجدون المال ،

الزكاة في الأراضي الزراعية ورفعناها من المستغلات العقارية لكان ذلك ظلماً .

ويبدو أن فضيلته لم يضع في تقديره أن غلات العمائر تتجمع أموالاً وتدفع عنها زكاة الأموال ، أو أنه رأى من الأحوط ضبط إيراد هذه العمائر وفرض الزكاة عليه وبخاصة في هذا الزمن الذي فسدت فيه الذمم والضمانات وأحضرت الأنفس الشح .

وهكذا نجد الزكاة أظهر مظهر لمعنى الاشتراكية في الإسلام ، فإذا أضفنا إلى ما ذكرنا أن ما يعثر عليه في باطن الأرض كالبترول يكون ملكاً لبيت المال - كما هو مذهب مالك - أدركنا أى مقدار يمكن أن تحصل عليه الدولة أو المجتمع من فريضة الزكاة .

أما تفصيل أنصبتها ومقاديرها وأنواعها فلا يتسع له مقال ، وهو مبسوط في كتب الفقه يستطيع أن يرجع إليه من شاء وأما إثم تاركها فقد صورته النبي صلى الله عليه وسلم بصورتين تقشعر منهما الأبدان : إذ يؤتى به وبماله يوم القيامة ، فإن كان المال الذى لم يؤد زكاته لبلاً أو بقراً أو غنماً جىء بها أكثر مما كانت وأسلم ما تكون ، ثم يوضع في مكان مستو لتدوسه فيه وتهدو عليه بأخفافها وتنطحه بقرونها ، وتظل تغدو وتروح في عدوها عليه حتى يقضى الله بين الناس ويفصل بينهم بحكمه .

وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . ونجده حيث يحكى الله عن عيسى قوله : « وجهانى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً » .

ولكن هذا الأصل الذى نجده في كل دين شرعه الله وبعث به أنبياءه ، كان الأمر به مجرد وصايا بالبذل لمن يستحقون العون والفضل ، ولم يكن بالمقدار المحدد الذى أوجبه الإسلام في الأنعام والذهب والفضة والبضائع التجارية وثمار الأشجار والكروم وما يعثر عليه في باطن الأرض من المعادن والكهفوز ، وقد ألحق فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة الدور المعدة للاستغلال بالزروع وقال في ذلك : « إن المعروف عن جمهور الفقهاء أنهم لم يقرروا زكاة في الدور لأن الدور في صورتهم لم تكن مستغلة ، بل كانت لسد الحاجات الأصلية ، وكان ذلك عدلاً اجتماعياً في عهد الاستقبات الفقهية ، أما في عصرنا الحاضر فقد احتبحر العمران ، وشيدت العمائر والقصور للاستغلال وصارت تدرأ ضفاف ما تدره الأرضون ، فكان من المصلحة أن تؤخذ عنها زكاة كالأراضي الزراعية ، إذ لا فرق بين مالك تجبى إليه غلات عمارته كل شهر ، ومالك تجبى إليه غلات أرض زراعية كل عام ، فلو أوجبنا

بأخلاقها^(١) ، ليس فيها جفاء ، ولا منكسر
قرنها ، كلما مرت عليه أخرى عادت عليه
أولها حتى يقضى بهن الخلق ، ولا صاحب
كنز إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعاً^(٢) أقرع
يتبعه قاتحاً فاه ، فإذا أناه فر منه ، فيناديه :
خذ كنزك الذى خبأته فأنا هنه غنى ، فإذا
رأى أنه لا بد له منه سلك^(٣) يده فى فيه
فيقضمها^(٤) قضم الفحل) .

نسأل الله أن يعيننا على الخير وأن يقينا
الشر . يوم لا ينفع مالاً ولا بنون إلا من
أتى الله بقلب سليم .

عبد الرحيم فوده

وإن كان هذا المال كنزاً جاءه يوم القيامة
حمة خبيثة تفقر له فاهاً وتتبعه كلما فر منها
وتقول له خذ كنزك الذى خبأته ، ثم تطلب
إليه أن يدخل يده فى فيها ليأخذه من جوفها
فلا يجد سبيلاً إلى الخلاص منها ، فيدخل
يده لتنوشها بأسنانها وتقطعها ...

هاتان الصورتان نجدهما فيما روى عن
أبي هريرة وجابر رضى الله عنهما إذا قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من
صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى حق الله
تعالى فيها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت
وأقعد لها بقاع قرقر^(١) ، تستن^(٢) عليه
بقوائمها وأخفافها ، وتنطحه بقرونها وتظؤه

(١) الظلف للشاة . كالحافر للفرس .

(٢) الشجاع ، الحية .

(٣) سلك ، أدخل .

(٤) القضم ، القمع بالأسنان .

(١) القاع للمستوى لانخفاض من الأرض والفرقر
الأملس .

(٢) تستن عليه تعدو وتجري فوقه .

الهالكون بما كسبوا

قال تعالى :

وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرهم الحياة الدنيا ، وذكر به أن تبسل
نفس بما كسبت ، ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع ، وإن تعدل كل عدل
لا يؤخذ منها ، أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا ، لهم شراب من حميم وهذاب أليم
بما كانوا يكفرون .

القوم الصوفية^(١)

بقلم : أ. م. م. ماكين

ترجمة : الأستاذ فتحي عثمان

— ١ —

شفف المستشرقون بدراسة (التصوف) في الإسلام ذكراً وعملاً .
فالتصوف يرضى في نفوس المستشرقين النزوع إلى عالم الأسرار
والغوامض ، وارتباط الفرق في نظرهم ، بهذا العالم العجيب ...
ومن هنا تقابلت دراسات نيكلسون ، وماسينيون ، وآربري ،
وغيرهم . .

وهذا أحد المستشرقين يقدم في إجمال طيب عرضاً للفكر الصوفي
والتجمع الصوفي ... اختار له عنوان (القيم الصوفية) وقد اعتمد
الكتاب (أ. م. م. ماكين) على دراسات من سبقه من المستشرقين ،
وعلى فراءاته في المراجع العربية ، كما تغير حواشيه وقائمة للمراجع التي
وضعها في خاتمة بحثه إتماماً للفائدة ...
للترجم

التصوف : الفكر الصوفي ، والتجربة الصوفية
على السواء ، فأما الفكر فهو يمدنا بالمضمون
والمحتوى ، وأما التجربة فتعطينا شكل التعبير
العملي ، على أن دراسة طبيعة النظرية
وتطورها خارج عن نطاق هذه الدراسة ،
وإنما سنشير إليه عند الضرورة والمحاولات
لتحديد بداية الصوفية تبرز صعوبة هائلة
بحكم طبيعتها الخاصة ، ولكن تتبع « الشكل »
الذي اتخذته الحركة يقيح لنا صورة محسوسة
بدرجة أكبر ، شأن كثير من ظواهر التأريخ

هذا تحليل موجز لتطور حركة الصوفية
منذ فجر الإسلام ، والحركة تتضمن كلا جانبي

(١) كلمة (قوم) مما يطلق على الصوفية ولقد
كان أصحاب النزعة الروحية للباطنية في الإسلام
يسمون مفرد وقت مبكر بالصوفية ، أو للتصوفة
ولسكن استعمال وصف « قوم » لتمييز الجماعة
يبدو أنه يعود إلى الفترة التالية للقشيري توفي
(١٠٧٤ م) كما تشير مراجعنا ، وهذا يدل - مهما
كانت درجة الدلالة - على تطور اجتماعي بعيد المدى
كان يحدث حين ذاك في أعماق المجتمع الإسلامي
وليس ظهور الطرق الصوفية إلا ظاهرة من ظواهر
تبلور هذا التيار العريض .

تضخم القائمة عند أبي منصور عبد القاهر البغدادي (المتوفى ١٠٣٧ م) إلى ألف تعريف تقريباً للكلمة « صوفى » ، وكلمة « تصوف » ، وهذه التعريفات تعكس نزعات الصوفية وانجاساتهم من لحظة إلى أخرى ، لكنها لا تمثل مفهوماً واحداً متكاملًا ، ولعل هذا ما جعل جب H.A.R.Gibb يرى أن « حركة الصوفية إذ لا تقدم كياناتاً مذهبياً عاماً تتألف من مركب من نزعات الوجدان والخيال » (١) .

ويكتب نكلسون نتيجة بحثه للوضوح : « إن بذور الصوفية توجد في نزعات الزهد القوية المنتشرة التي قامت داخل الإسلام خلال القرن الأول الهجرى » (٢) . ويرى الباحثون في نزعة الفسك Ascetis المعروفة في العربية « بالزهد » ، سابقة بين يدي الصوفية الإلهية theosophical في الفقرة التالية . ويفنى أن يفهم « الزهد » ، في هذا المقام على أنه يمثل الإدراك الروحى الموروث عن المسلمين الأوائل في جموعة ، لا مجرد الصور السلبية للتجربة الدينية كما يؤكد الكتاب غالباً (٣) .

الأخرى ، وهذه الحركة يعرض لنا أطواراً متميزة ، كل منها يمثل استجابة لعوامل تاريخية واجتماعية أعمق ، تحكم نمواً مقابلاً في المجتمع الإسلامى ...

وإن أصل كلمة (صوفى) معقد ، على أنه من المحتمل جداً أن تكون الكلمة مرتبطة بلبس المسلمين الأوائل ثياب الصوف ، وهذه العادة يمكن تتبعها إلى عهد الخليفة عبد الملك على الأقل (٦٨٥ : ٧٠٥ م) وهي أصل لإطلاق تسمية صوفى . ولكنها لم تظهر كلقب في التاريخ حتى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى ، والثامن الميلادى حين أطلق على جابر بن حيان (٧٧٦ م) وأبى هاشم المتوفى (٧٧٦ م) وكلاهما من الكوفة ، وقبل أن ينتهى هذا القرن كان قد شاع استعمال هذا الوصف . ومنذ ذلك الزمن فصاعد أصبحت الحركة الروحية الباطنية mystical فى الإسلام تعرف بالاصطلاح العربى : « التصوف » ، الذى أعطاه الصوفية عدداً لا يحصى من التعريفات ، جميعها نكلسون نقلاً عن المراجع الأدبية حتى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى فى ٧٨ تعريفاً للكلمة « تصوف » (١) ، بينما

(١) MW, val xxx viii, No 3, 1948 p283

(٢) Ibid, m. 304

(٣) إن الطابع للصحى للفسك ascetism فى ظاهره لا يبد ومطابقاً للزهد الذى يبنى فى اصطلاح الصوفية الضبط الأخلاقى من داخل —

(١) Nicolson, JRAS, 1906, P 3059

Jami, Nafahat, P. 31 Tbid, PP

303 : 348.

بقدر ما كانت شيئاً يتابع آثار حنيفية لإبراهيم وإسماعيل . وعلى ذلك يكون من الصواب تماماً القول بأن النبي قد أعاد صياغة هذه المبادئ ، ونقلها إلى إطار من الثقافة الدينية يقوم على التوحيد Monotheistic مبتعداً عن فرض أية أفكار غريبة أو دخيلة .

ويمثل عهد الرسول بالنسبة لظهور الشكل المبكر للحركة الصوفية مرحلة يظل عليها طابع العموم ^(١) . وهو فترة وضعت خلالها القواعد الأساسية للبناء ، وقدمت نماذج رفيعة من التطبيق ، وكان لتعاليم محمد وشخصه أكبر تأثير على نمو الثقافة الدينية الإسلامية في مراحلها الأولى ، وبالتالي على نمو نزعة النفسك في صورتها البدائية .

وقد عرض محمد عقيدة محددة في وحدانية الله Monotheistic Creed في العهد المبكى كانت تدهو من جهة إلى الإيمان بإله واحد قدير متعال ، كما تدهو من جهة أخرى إلى الإيمان باليوم الآخر وما فيه من وعد ووعد . وقد هزز العهد المدني هذه العقيدة بطلاقة من النظم الدينية وشعائر العبادة ، وكان هذا كله أساساً لازدهار الثقافة الدينية الإسلامية ولقد كان النبي في تقديم هذا الأساس يصون

ويمكن ملاحظة الروح الكامنة في النزعات الصوفية منذ فجر الإسلام ، ويشير إليها بوضوح قيسام (الحنفاء) الذين كانوا من مظاهر حركة الزهد في الجزيرة العربية في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي . وأن ملاحظة دب ، ماكدونالد : أن محمداً كان صوفياً في طريقه إلى النبوة ^(٢) . يشير إلى استعداد الروح الإنسانية الفطري للغوص في أسرار الطبيعة ، بما يتجلى في حالتنا هذه في الظروف الروحية لاجتماع الجزيرة العربية المبكر؛ تلك الظروف التي يصفها وستر مارك كالم من الظواهر الغريبة الغامضة التي تعزى لسبب إرادي ، وبما كان بوجه خاص شيئاً يوحى بالرهبة في القلوب ^(٣) ، ولم تكن فكرة الصوفية بالنسبة للعرب الأولين مبدأً جديداً في العقيدة يعتبر باهتاً روحياً دائراً

— النفس ؛ والتجرد المطلق لعبادة الله ، ويشار في الكتابات المتأخرة بالطبع أحياناً إلى (الزهاد) بمعنى معين ، ولكن هؤلاء إنما كانوا قسماً من جماعة عامة تضم أصحاب الليول الدينية الذين يوصفون كأفراد بالعباد والسائعين والفقراء — ثم إن للتفسيرى عرف الزهد في وضوح بأنه : « الأخذ بالزعة » ويمكن القياس على كلمة (فقير) وهي تدل عند الصوفية على (علاقة لله بربه الذي يوصف بالنفى في القرآن) .

(١) Muslim Theology, P. 227.

(٢) Rityal and Belif in Marroco,

2 Vols, Londod 1926, II, 387

(١) لا أمتى بالهكل هنا الروح التي كانت تمارس الحركة ، وإنما أقصد الأسلوب التي وجدت به كظاهرة تاريخية لها إحساس بكيانها .

من عقاب الله . ونحن نجد بياناً أوضح للتعبير
العملى عن هذه المظاهر السلبية لتجربة
« النفس » ، حين نسترجع صورة حياة « أهل
الصفه » ، الذين عاشوا متمسكين بقرآن للغاية ،
محرومين من الثياب المناسبة ، ومن المأوى ،
لكن متجردين للعبادة بكامين على الخطيئة .
والاتجاه الشائع عند بعض الباحثين
المحدثين الذين ألفوا المجتمع العربى البلوتوقراطى
يفترض أن واقعية العهد المدنى سجلت بين
نتائجها تدهور نزعات « النفس » ، وهذا
الاتجاه يثير التساؤل عن أساس تفسير
الحركة الصوفية كيسة ، وهو الذى شغل
اهتماماً جدياً لدى هؤلاء الباحثين على تتابع
السنين . وما أبعد العهد المدنى للإسلام
في الحقيقة عن أن يضيق مجال النمو أمام نزعات
« النفس » داخلياً ، إنه قد قدم مقياساً محدداً
للفضائل الدينية ، وبذلك أعطى أرضاً ثابتة
وخصبة لمزيد من القوة فى التعبير عن مثل
هذه التجربة .

(للبحث بقية)

فتوى عثمان

الرمزية الدينية فى نفوس أتباعه بما لها من
قوى موروثية لأجل استثارة طاقتهم المتخيلة
مع قائلها فى إشاراتها من إطار الإيمان بالروح
مطلقاً animistic إلى إطار الإيمان بإله واحد
• monotheistic

وقد تهيأت مادة البناء من إعادة التعبير عن
المفاهيم الأولى مع إضافة النظم العملية للذكر
والصلاة ، ويعطينا الترتيب الزمنى للفرائض
الدينية ، وما يزيد عليها من تطوع صورة
كاملة لغراس التجربة الدينية ، وكان العابدون
فى تطوعهم يسمعون جاهدين كى تعلق بقلوبهم
وأرواحهم شيئاً من بصيرة النبى الملهمة
وشئناً من تجربته . ومن هنا يمكن أن نقرر
آمنين أن مثل هذه الميول كانت نتيجة
طبيعية لغريزة العادات الدينية من طريق
المسلمين الأوائل .

وكانت النتائج السلبية التى استثارها
الإسلام فى أذهان معتنقيه الأوائل ترجع
إلى عاملين فى حياة « النفس » : أولهما شعور
مبالغ فيه بالخطيئة ، وثانيهما خشية غامرة



معايشة أبي العلاء للنحاة

للأستاذ كامل السيد شامين

١ — طاب لأبي العلاء أن يعث بالنحاة عبثاً طريفاً، شاع في رسالتيه، رسالة الغفران ورسالة الملائكة.

وأبو العلاء على تعدد قدراته، ليست بضاعته النحوي، وإنما بضاعته اللغة، والشعر والآثار والأخبار، فإذا منح منها منح من بئر ثراوة، لا تزيد على الاستقاء إلا فوراً.

فأما تعرضه للنحاة في رسالة الغفران فهو أشبه بالحواطر السانحة، تلوح له في أعراض القصيدة فيسجلها عفواً من غير قصد ولا إمعان في التقصي.

وأبو العلاء مع النحاة ليس على حال واحدة.

فأنت تراه أحياناً يبدي عدم ارتياحه للرأي، ودون أن يكشف عن رأيه، ودون أن يوقفنا على السبب في عدم ارتياحه... ثم يمضي تاركاً لك سؤالين تضرب في الجواب هنيئاً ما شئت... لماذا هزى أبو العلاء بهذا الرأي؟ وما الرأي الذي ينبئ أن يصار إليه؟

ترى ذلك إذ يصور لك ابن القارح جانلاً

في الجنة محتاجاً للحديث عن الشعر والرواية والنحو فتلقي عدى بن زيد العبادي فيقول له:

لقد هممت أن أسألك عن بيتك الذي استشهد به سيويه، وهو قولك:

أرواح مودع أم بكور أنت، فأنظر لآي حال تسير

فإيه زعم أن (أنت)، يجوز أن ترفع بفعل مضمَر يفسره قولك (فانظر). وأنا استبعد هذا المذهب، ولا أظنك أردته.

فيقول هدي بن زيد - وقد شغل بلذاث اللجنة وأطايها - دعني من هذه الإباطيل:

فالمعري هنا قد أراك رأى سيويه وأراك أن رأى سيويه رأى قائل ولكنه لم يوضح داعية رفضه لهذا الرأي، ولم يبد من لدنه رأياً يخرج عليه إعراب هذا الضمير.

وأحياناً يضيق على الشاعر المسلك، فينقض عليه كل ما يعين من تخريج كما فعل في الحديث مع بشار عند ما تخيله في سواه الجحيم، تفتح الزبانية عينيه بكلايب من نار، ليرى هول ما ينزل به من العذاب.

وذلك إذ يقول له بلسان ابن القارح:

لقد أعجبنى قولك فى أرجوزتك :
والحر يلعبى ، والعصا للعبد

وليس للبلعف مثل الرد
بيد أنك جئت فى لحدى قوافيا
بكلمة (السبد) .

فإن كنت جعلته جمع (سبد) وهو طائر
فإن (فعلا) لا يجمع ذلك الجمع وإن كنت
سكنت الباء تخفيفا عن فتحها ، فقد أسأت
لأن تسكين الفتحة غير معروف .

فيقول بشار ، وهو فى التذيع العذاب يا هذا
دهنى من أباطيلك ، فإنى عنك مشغول .
وما كان اقراض أبو العلاء هذين الفرعين
وملاحظاته لبشار فهما إلا تويدا للتخريج
النحاة فى كلمة (السبد) وأخذنا للطريق
عليهم فى كلا التخريجين .

وقليلا ما يعنى أبو العلاء فى رسالة الغفران
بتوقيف القارى . على رأيه كما فعل حين تخيل
ابن القارح يلقى لبيدا فى هرصات الجنات ،
وفى يد لبيد يحجن من ياقوت ، فيقول له
ابن القارح فيما يقول :

أخبرنى من قولك فى ميميتك المعلاة :
تراك أمكنة إذا لم أرضها

أو يرتبط بعض النفوس حمامها
هل أردت ببعض معنى كل ؟ فيقول لبيد :
كلا ! إنما أردت نفسى ، وهذا كما تقول
للرجل إذا ذهب مالك أعطاك بعض الناس
مالا ، وأنت تعنى نفسك فى الحقيقة .

وظاهر هذا الكلام واقع على كل لسان ،
وعلى كل فرقة تكون بعضا للناس .

فيقول ابن القارح : أخبرنى عن قولك :
(أو يرتبط) هل مقصدك لم أرضها أو لم يرتبط ،
أم غرضك أترك المنازل أو يرتبط فيسكون
(يرتبط) كالحمول على قولك : تراك أمكنة ؟
فيقول لبيد : الوجه الأول أردت .

فهنا ترى أبا الصلاء يقف على رأيين
للنحاة فى إعراب يرتبط ، أهو معطوف على
أرضها مسلط عليه ما تسلط عليها من النفى ،
أم معطوف على تراك النازل منزلة أترك ؟
فيتنصر للرأى الأول ...

ولكنه مع ذلك مقصد ، لأنه نصر الأول
بلا حجة ، وغذل الآخر بلا تفنيد .
ولقد يعتمد أبو العلا على تصحيح رواية
والإشارة إلى فساد أخرى ، وفساد ما تبعها
من تخريج نحوى

فيتخيل ابن القارح فى المحشر بيده صك
التوبة ، فيرى شيخا له كان يدرس النحو
فى الذار المعالجة يعرف بأبى على الفارسي ،
وقد امترس به قوم يطالبونه ، ويقولون :
تأولت عليفا ... ظلمنا !

فما إن يراه أبو على حتى يشير إليه ...
فإذا عنده طبقة منها يزيد بن الحكم الكلبي ،
وهو يقول : ويحك ! أنشدت قولى :

فليت كفافا كان خيرك كله
وشرك هنى ما ارتوى الماء ما ارتوى

فما بعده داخل في هذا الزعم . وصار قولي :
زعم الهمام ، بمنزلة قولي : قال الهمام : فهذا
أسلم ، إذ كان الملك إنما يحكى عن نفسه .

٢ - ولئن كان أبو العلاء لم يمعن
في التفصيل وتشقيق القول في رسالة الغفران ،
جنوحا إلى عدم الإملال ، وإيثارا للتنقل بين
فنون الأدب ، وعدم الإثقال بالوقوف عند
ضرب بعينه ، ورغبة في سرعة العرض كما
هو شأن المسرحيات الجياد ، إن أمره لم
يكن كذلك في رسالة الملائكة .

فهو قد بناها على أمور تتماق بالصرف
وموازبته بخاصة ، وتناول فيها الزيادة
والقلب بوجه أخص ، في شيء من التفصيل
الذي يبلغ أحيانا حد الإغراق .

ولكنها كرسالة الغفران قائمة على الخيال
ومسرحها الدار الآخرة .

فعند ما يحضره ملك الموت يناقشه في وزن
(ملك) ، وفي أصله من الاشتقاق ، وهو
مالك ، ويأخذ في الاستدلال على أن به قلبا
مكانيا يجمعه على (ملائكة) ، إذ كانت
الجموع من شيمتها أن ترد الأشياء إلى أصولها .
وعند ما يلقي منكرا ونكيرا يحاول أن
يشغلها عن أمره فيسألها لم كان اسمها
عرييين وسائر أسماء الملائكة أعجمي ، فإذا
لم يجد منهما رقة ، حاجاهما بوزن موسى كلم الله
ثم سألهما عما بأيديهما ، فإذا قال (ارزبة)

برفع الماء ، ولم أقله إلا بالنصب ! .
وكذلك رويت قولي :

تبدل خليلا بي كشكلك شكه
فإني خليلا صالحا بك مقتوى
بفتح ميم (مقتوى) ، وأنا عدوت الضم .
وإذا جماعة من هذا الجنس كلهم يلومه
على تأويله .

فيقول ابن القارح : يا قوم ! إن هذه أمور هيينة ،
فلا تهنتوا هذا الشيخ ، فإنه ماسفك لكم دما ،
ولا احتجن عنكم مالا ... فيتفرقون عنه .
أفلا ترى أبا العلاء يشير إلى جنوح أبي علي
الفارسي إلى التأويل ، وإلى إسرافه فيه
إسرافا يحمله على الاعتساف ، حتى ليتخرج
به الاعتساف إلى حد لا يخطر للشاعر ببال .
ومما يتصل بتصحيح الرواية أنه تخيل
ابن القارح وقد لقيه النابغة ، فسأله ، كيف
ينشدون قولي في المتجردة :

وإذا نظرت رأيت أزهر مشرقا ...
وما بعده ؟

فيقول ابن القارح : ينشد : وإذا نظرت .
وإذا لمست .. وإذا طعنت .. على الخطاب .
فيقول النابغة : قد يسوغ هذا ، ولكن
الاجود أن تجعلوه إخبارا عن المتكلم ،
لأنني بدأت بقولي :

زعم الهمام بأن فاها بارد
هذب مقبله شهى المورد

رسالة الملائكة على البيان الشافي وبناء رسالة
الغفران على الاستعراض الوحي .

وانتصار أبي العلاء في مواقف المجادلة ،
يقوم أحيانا على اتساع الرواية ولطافة ،
الفكر ، ولقد يكون لإمام النحاة سيبويه هو
الغرض المقصود لأبي العلاء إذا رعى .

ترى ذلك في مشهد يقوم فيه (رضوان)
دون باب الجنة ، ويجتمع لديه جماعة من
المتعاطلين للنحو والتصريف ، قصرت بهم
أعمالهم عن دخول الجنة ... فوقفوا يحتالون
لأنفسهم حتى أن تنفع الحيلة .

مرة ينادون رضوان بقولهم (يا رضو) ،
وأخرى ينادونه (يا رضو) ، فإذا التفت
إليهم ، قالوا له : نحن نسألك أن تكون
واسطتنا إلى أهل الجنة ، فإنهم لا يستغفون
عن مثلنا ، وإنه لقبيح بالعبد المؤمن أن
ينال هذه النعم ، وهو إذا مسبح الله لحن ،
ولا يحسن بساكن الجنان أن يصيب من ثمارها
في الخلود ، وهو لا يعرف حقائق تسميتها .

ولعل في الفردوس قوما لا يدرون ،
أحرف (الكثرى) كلها أصلية أم بعضها
زائد . ولوقيل لهم ما وزن كثرى على مذهب
أهل التصريف لم يعرفوا (فعلى) وهذا بناء
مستنكر لم يذكر سيبويه له نظيرا .

ثم يسفكر أن يصيب المؤمنون من
سفرجل الجنة ، وهم لا يعلمون كيف يكون

أعنتها بسؤالها : أمى بتخفيف الباء أم
بثقلها ، وهل يكون جمعها على التخفيف
أو على الثقيل .

فذلك إذ يقول في الحديث عن لقاء
منكر ومنكير .

فإن غشى على من الخيفة ، ثم أفقت ،
وقد أشار إلى الإريضة ، قلت : تثبتا
رحمك الله !

كيف تصفون الإريضة وتجمعاها جمع
التكسر ؟ .

فإن قال : أريضة ، وأرازب بالتشديد .
قلت : هذا وهم ، وإنما ينبغي أن يقال أريضة
وأرازب بالتخفيف .

فإن قال : كيف قالوا علاين في جمع علماء
فشدوا ؟

قلت : ليست الباء كغيرها من الحروف
فإنها وإن لحقها التشديد فيها هنصر اللين .

فإن قال : أليس قد زعم صاحبكم عمرو
ابن عثمان المعروف بسيبويه أن الياء إذا
شدت ذهب منها اللين ؟

قلت : قد زعم إلا أن السماع عن العرب
لم يأت فيه نحو ما قال إلا أن يكون نادرا قليلا :

فهو هنا يجادل من رأيه في جمع الأريضة
وتصغيرها بالتخفيف ، وهو هنا يفسح
الجمال للمعارضة ويبدط رأى المعارضين ،
وينتهي معهم إلى موقف خاص ... لأن بناء

تصغيره وجمعه ولا يدرون أمن الجائز أن يشتق منه فعل ، أم أن ذلك من الحرام الخبيث . وكذلك أمر (السندس) قد تجد في الجنة من يفتشه ويعاؤه ، وهو لا يدري - بعد - أوزنه (فعلل) أم (فعمل) .

وكم من مستظل بشجرة (طوبى) ، ومجن ثمارها آخر الأبد ، ولا يدري أمن بنات الواو هي أم من بنات الياء ؟ ثم يطيب لأبي العلاء مناوشة سيديوه ، فيقول :

وقد زعم سيديوه أن (الفعلى) التى تؤخذ من (أفعل منك) لا تستعمل إلا بالالف واللام أو الإضافة . تقول هذا أصغر منك ، فإذا رددته إلى المؤنث قلت : هذه الصغرى أو صغرى بناتك . . . ويقبح عنده أن يقال صغرى بغير إضافة ولا ألف ولام . وعلى الإضافة جاء قول سميم ؟ ذهبن بمساكى ، وغادرن مذهباً

من الصوغ فى صغرى بنان شماليا وعلى الألف واللام جاء فى الكتاب العزيز وصدق بالحسنى ، فسيسره لليسرى ، فسيسره للعسرى لأنها أنثى (أفعل منك) . ولكن أبا العلاء يشكل على سيديوه بقراءة بعض القراء : وقولوا للناس حسنى ، إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنى ، بغير تنوين ، ويقول عمر بن أبى ربيعة :

وأخرى أنت من دون نعم ومثلها نهى ذا النهى لويرهوى أوبفسكر فإن ادعى سيديوه أن أخرى معدولة عن الألف واللام ، فهلا سلك هذا السبيل فى حسنى وأخواتها ؟

— ٣ —

وبعد : فهل كان أبو العلاء يقناول هذه اللقطات الصرفية العاريفة ، تعلمها ، وذمها بما إلى الإغراب على الناس فى العلم ، على شاكلة إغرابه عليهم فى اللغة والأدب والأخبار ؟ أم أن ذلك كان استجابة - كما زعم ، وكما يزعم كل من يتعاطى التأليف - لسؤال سائل ملحف أم أنه كان رياضة للذهن وإدلالا بالمعرفة ، وامتحانا للسوس كما قال فى مقدمة السقط ؟ مهما يكن من شئ ، فإن أبا العلاء قد سلك فى تعليم هذه الغرائب الصرفية والنحوية والأدبية التى لا تخلو من جفاف يغص به القارىء ، ويعيب به ذهن اللقن . . . طريقة القصة الخيالية الشائقة التى تنفى الملالة ، وتنهى القارىء نفسه حتى يأتى على سائر ما فى الرسالة .

وهذه أمتع طريقة فى التعليم ، وما كان يظن أن تطوع هذه الطريقة حتى تستخدم فى غرائب التصريف .

ولكنه أبو العلاء .

طامل السير شاهين

نسمات الأندلس في ربوع النيل

للدكتور محمد رجب البيومي

علماء مسلمون يؤدون أشرف واجب في أطهر مكان لهم واجب الرعاية والإجلال وبهم تزدهر المعرفة ويستفيد الطلاب .

وقد كانت الأندلس أحد هذه الجداول التي تصب في محيط القاهرة ، إذ كانت الرحلة من المغرب إلى المشرق لا تكاد تنقطع ، وفي الراحلين من يرتشف ويرجع ، ومنهم من يؤثر البقاء حيث يستريح وقارىء نفخ الطيب يقف على كثير من تراجم هؤلاء النازحين ، وهم من السكثرة بحيث يسجلون اعترافا صارخا بعلم المشرق وأستاذيته ، ويطول بنا القول لوعرضنا لأشهر مشاهيرهم فضلا عن عابثهم ، ولم تكن الرحلة إلى مصر والإقامة بها مقصورة على عهد السلاطين من المماليك بل كانت من يوم أن فتحت الأندلس ولكن العصر المملوكي بالذات قد كتب له أن يشهد مغرب الأندلس وما سبقه من إرهاصات منذرة توحى بالكارثة المتوقعة ، فدعا ذلك إلى ضرورة الرحلة وجذب علماء الأندلس إلى مصر ، فلاقوا رحبا فسيحا ومهلا مريحا ، ووجدوا أهلا بأهل وإخوانا بإخوان ... ولئن اكتفى بعض هؤلاء بالإقامة في دمشق دون مصر

حفظت مصر الثقافة العربية بعد سقوط بغداد إذ كان النصر السياسي الذي اكتسبه المماليك بعد موقعة عين جالوت مدعاة إلى هجرة كثير من العلماء من شتى الأماكن شرقية وغربية إلى القاهرة . لأن قيام الخلافة العباسية بها - ولو على وجه صوري - قد جعلها تأخذ مكان عاصمة الرشيد ، فيهرع إليها الناس من كل حدب ، وقد وجد العلماء من رعاية السلاطين ما بعث فيهم الرضا والحمد ، ففي كل حي مسجد ولكل مسجد أوقاف وأحباس ، وله مدرسون وطلاب ، وكتب وأوراق ، وكتب التاريخ تحصى هذه المساجد ذات الصبغة العلمية والدينية معا ، وتفيض في ذكر من يدرسون العلم بها على اختلاف فروعه من فقه وتفسير وحديث ونحو وصرف وبلاغة وأصول وقرامات ومنطق ، كما تتحدث عن مشاهير العلماء من أئمة القول في الدين واللغة ، ومنهم الغزنوي والصقلي والمصري والمحدث والعراقي والآمدي والارزلي والمقدسي والشامي والخراساني والمغربني والطوسي والناقلسي تعرفهم بأسمائهم كاتعرفهم بلجاتهم وطباعهم إلا أنهم في نظر الحكومة المصرية إذ ذاك

فإن التأليف فيها لم يأخذ سبيلا عليا عمدت على نهج شارح لإلهند الأندلسيين ، وسبب ذلك أن بعض جنود المنصور بن أبي عامر كان مثقفا عالما بالقراءات ثم ولى إمارة دانية والجزائر الشرقية فبذل جهده في نشر هذا العلم تقربا إلى الله وإشباعا لرغبته العلمية فنقلت لديه سوق القراءات كما يقول ابن خلدون ص ٤٣٧ من المقدمة - وظهر لهده أفذاذ دونوا العلم على نطاق شامل ، بحيث تضال جواره ما سبق أن كتب عنه شرقا وغربا وأبرز هؤلاء الأفذاذ هو الأمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني صاحب كتاب التيسير ، وقد كان شيخ مشايخ المقرئين بالأندلس رحل إلى الشرق وتخصص في العلوم الدينية إذ ألف في الحديث والفقه والتفسير والقراءات تاركا مائة وثمانين مصنفا كما يقول مؤرخوه ، وأحدها كتاب التيسير في القراءات السبع وقد نشره العلامة د برتزل ، أحد أعضاء لجنة النشرات الإسلامية بجمعية المستشرقين الألمانية سنة ١٩٣٤ ، وصدوره بمقدمة جيدة أشار فيها إلى منزلة علم القراءات من العربية والإسلامية وهي منزلة عالية تحتاج اليوم إلى تأكيد إذ وقر في أذهان بعض المثقفين لدينا في هذا العصر أن هذا العلم وقف على بعض المنقطعين لتلاوة القرآن فقط وفيهم أميون حفظوه دون أن يفهموه وهذا خطأ

فقد كانت مؤلفاتهم تطير إلى القاهرة سريعا لتلقى نصيبها من الرواج فهم عنها غير بعيد كابن مالك ومحي الدين ، وإذا كانت الثقافة الإسلامية متقاربة متشابهة تأخذ منحى واحدا في التأليف والصياغة وبخاصة في عصور التقليد والمحاكاة - إلا ما ندر من أفذاذ أمثال يحدون هدا - فقد يصعب علينا أن نبرز تأثير الأندلسيين في الثقافة العربية المصرية إذ أن مؤلفاتهم في الأعم الأغلب نسخ متشابهة من مؤلفات إخوانهم سواء من رحلوا إلى مصر من المشرق أو من رحلوا إليها من المغرب ، ولكننا على الرغم من ذلك كله نلصق تأثير الأندلسيين بارزا في فروع خاصة من فروع الثقافة العربية إذ ذاك لأن جهدهم كلن من الفروع والاشتهار بحيث يدل على نفسه ، وقد رزق من الخطوة والإقبال ما جعله بارزا جديرا بإشير بتأثيره ، وإذا كان هؤلاء الزاحلون الفضلاء قد كتبوا في كل علم تقريبا ، فإن من هذه العلوم ما تأثر بتأليفهم تأثرا واضحا بل منها ما كاد أن يصبح وقفا على دراستهم ، هم أهل وأصحابه ، ولا يستغرب القارئ ذلك ، فعلم القراءات مثلا يكاد يكون أندلسيا إذا نظرنا إلى المكتب التي سبقت إلى تسجيله ، ثم أقاضت في شرحه ، وسنبدا بإيضاح ذلك فنقول .
لئن كانت القراءات سبعا أو عشرة مشرقية

لطائفة واستخراج حقائقه ثم اعتمد على القراءة الوحيدة التي يجدها أمامه دون التفات إلى غيرها فقد أغفل أمراً ذا بال .

أصبحت الأندلس إذن مركزاً أساسياً لدراسة القراءات في ديار الإسلام ونشأ من أبنائها من سبقوا إلى التأليف فيها عن دراية وأحكام حتى نبغ القاسم بن فهير بن خلف الشاطبي وكان كفيفاً منذ مولده فانصرف إلى دراسة القراءات مع غيرها من علوم النحو واللغة والأدب وكان قوى الحافظة لدرجة تستغرب بحيث أصبح يصحح النسخ المكتوبة من الموطأ والبخارى ومسلم إذا تليت عليه من حفظه ثم يعقبها بشروح وافية واثقة وكان عزيز النفس بعيد الهمة عرضت عليه الخطابة بالمسجد الجامع في بلده فأنف وتأنى لأن الأحكام يلزمونه مديح الملوك والرؤساء في الخطبة الشافية وهم ظلمة لا يجوز أن يذكروا بالخير في مثل هذا الموقف الجليل ، فأظهر الرغبة في الحج ونزع إلى مصر ، وسمع بالإسكندرية على الحافظ السلفي ثم عين للإقراء في مدرسة القاضي الفاضل بالقاهرة وتصدر لدراسة القراءات والنحو واللغة فبلغ شأواً بعيداً من العظمة والمهابة حتى كان الناس يتزاحمون في حلقاته ازدحاماً يصل إلى القشابك والتناحر حرصاً على الدنو من مكانه ! وقد ترك فيما ترك

واضح ، لأن علم القراءات في العربية هو علم الإلقاء في معاهد أوروبا يتحدث عن مخارج الحروف ويميز الأصوات ووسائل النطق الصحيح ! ولو قدر له أن يأخذ دوره الطبيعي في التطور لأصبح ذا أثر هام في إعداد الخطباء والمذيعين بعد أن توضع الخصائص المميزة للتزئيل والتلاوة فيما يختص بالقرآن فلا نشكو اليوم عن يميلون بالحروف عن مواضع جاهلين أو متجاهلين .

أما الأستاذ برتزل المستشرق الألماني فهوى علم القراءات من الخطر ما وضعه بقوله في مقدمة الكتاب بتصرف - « إن البحث في مخارج الحروف والاهتمام بضبطها على وجودها الصحيحة لتيسير تلاوة القرآن على أفصح وجه وأبينه كان من أبلغ العوامل في حماية الأمة بدقائق اللغة العربية الفصحى وأسرارها ، وكان ثمرة هذا الاجتهاد أن القراء تشربوا مزاي اللغة العربية وقواهدا ودقائقها ، وبما يؤيد ذلك أن الكثيرين من قدماء النحويين كانوا مبرزين في علم القراءة كما كان الكثيرون من أئمة القراء كآبي عمرو والسكسائي بارعين في علم النحوف على كل من يتصدى للنظر في تاريخ اللغة العربية ودرس المسائل التي تناو لها كتب النحويين واللغويين والمفسرين أن يتبع علم القراءات والتجويد ومن شرع في درس معاني القرآن واستقصاء

في هذا الفن كان من الخلود والذويج بالمحل
الأول لم نكن مبعدين .

وتذكرنا منظومة الشاطبي بأخت لها في
النحو والصرف نالت شهرتها الذائعة في بابها
وهي ألفت ابن مالك الأندلسي المسماة
بالخلاصة ! فقد كان لها من التأثير العلى منذ
العصر المملوكي إلى هذا الوقت ما لم يتح
لمؤلف نحوي آخر ، ولم يكن ابن مالك
مجدداً في علمه ولكن ضابطاً وعقيداً وشارحاً
لأن كتاب صيويه في النحو لم يجد من أئمة
النحاة بعده من يشغل باله بمعارضته ،
بل أصبح إماماً يرجع إليه وهادياً يستنار به
وقصارى المؤلفين من لدنه أن يلوا
بموضوعه أو يشرحوا غوامضه ويفصلوا
بجمله ! وقد عرف باسم (الكتاب) لجلاله
وكان يقال لمن درسه لقد ركب البحر
استعظماً وإجلالاً ، وقد رحل ابن مالك
من الأندلس إلى دمشق وهي يومئذ تحت
سلطنة المماليك فسمع الحديث بها وأخذ
العربية عن غير واحد واعتمد في قراءة
كتب الأقدمين على نفسه وهذا مما عيره به
منافسه أبو حيان الأندلسي نزول مصر أيضاً
وصاحب التأليف الذائعة الجهرة في النحو
والتفسير ، واللغة ، والقراءات ! وقد ألف
ابن مالك كثيراً ، وعارض الشاطبي بمنظومة
في القراءات قال فيها :

منظومته الشاطبية التي يتناقلها الناس إلى الآن
مكبرين مرددين وقد قال عنها ابن خلكان
لقد أبدع فيها كل الإبداع ، وهي عمدة قراء
هذا الزمان في نقلهم ولا يشتغل بالقراءات
أحد حتى يحفظها . وقد ظلت كذلك من عهد
ابن خلكان إلى وقتنا ، حتى رأينا أكثر
قراء الريف المصري يحفظونها ويسمعون
جامدين إلى من يفك رموزها ، ويوضح
مغاليقها ، ومنذ ألف الشاطبي منظومته وهي
عمدة التأليف في هذا الفن وقد كتبت عليها
شروح مستفيضة على توالي العصور نذكر هنا
بعضها لنشير إلى أثر هذا الأندلسي الجدير
في ازدهار هذا العلم وانتشاره وأول من
شرحها تلميذه أبو الحسن السخاوي بشرح
أسماء فتح الوحيد في شرح القصيدة ثم أبو شامة
المقدسي في كتابه إبراز المعاني وبرهان الدين
الجمعي في مؤلفه كنز المعاني وشروح أخرى
لشهاب الدين بن عبد الدائم الحلبي وجلال
الدين السيوطي وشهاب الدين القسطلاني
ونفر غيرهم لا يحصون ، أشار إلى بعضهم
حاجي خليفة في كشف الظنون ! كما قام
باختصارها ابن مالك النحوي في قصيدته
حوز المعاني في اختصار حرز الأمانى وقام
بأكملها أحمد بن علي المحلى شيخ القراء بالقاهرة
 وغيره من المشاهير فإذا قلنا أن علم القراءات
كاد أن يكون أندلسياً وأن أثر الشاطبي بمصر

وربما كان لوضوح الخلاصة وسهولة صياغتها أثر في ذلك ، ولكننا نرى منظومات ابن مالك الأخرى تشاركها هذا الوضوح ، ولم تحظ بمحشارما حظيت به بما يدل على أن الاشتهار حظ مقسوم ، ولئن كان الشاطبي وابن مالك كلاهما يحافظ مقلدا في تأليفه ، وناقل صانع في نظمه ، فإننا لا نبحث هنا عن الابتكار ، ولكن نشير إلى التأثير ، وقد بلغت مؤلفاتهما التقليدية في مجال التأثير والسيطرة ما لم تبلغه مؤلفات المجددين من أمثال ابن مضاء ! فوجب أن نشير إلى دورهما الكبير في الثقافة العربية فلا نبخس أحدا فضله في ميزان التقدير .

وإذا ذكر تأثير الأندلس في مجال ما من مجالات التأليف العلمي بالعصر المملوكي وما لا يسه من قبل ومن بعد ، فلا بد أن يذكر التصوف ، إذ أن الأندلس قد أمدت الشرق بنفركبير من أعلام المتصوفين قادوا حركات ووحية واسعة ، وشقوا شعبا رحبية ، وتركوا مذاهب وآراء ومؤلفات تسير مسير الشمس في القرون المتوالية ، دون أن يغرب لها شعاع ، بل أن بلدة واحدة بالأندلس هي (مرسية) أمدت الشرق بأفذاذ متصوفين رحلوا إليه فشغلوا به وشغلوه ، وحسب مرسية أن يكون من نجاحاتها أبو العباس المرسى ، ومحيي الدين بن عربي

ولا بد من فظي قوافي نحتوي لما قد حوى حرز الأمان وأزيدا فن بين مؤلفاته : الفوائد والمستهمل وسبك المنظوم وشرح مقدمة الجزولي وشرح المفصل وعدة اللاقط والتعريف وشواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح ومن بين منظوماته الكافية الشافية في ثلاثة آلاف بيت ، ونظم الفوائد ونظم لامية الأفعال والأعلام في مثلث السلام ! أما منظومته الحالدة فهي الخلاصة المعروفة بالألفية ، فقد أذاعت ذكر ابن مالك على مدى الأحقاب ، وخدمت بالشروح والخواشي والتقارير ! ولذلك كان تأثيرها العلمي بارزا يذكر للأندلس ، وقد يكون لغير ابن مالك من مؤلفي المتون النحوية نظما ونثرا أفضل منها ، ولكن البحث هنا عن الأثر والتأثير ، والثابت المصاحف أن ألفية ابن مالك تركت دوبا صاخبا في دنيا الشروح والنما أيفلم يتركه من نحوى آخر ، ومن شراحها السيوطي وابن النافظ وابن هقيل ، وابن هشام ، وابن الصانع واكمل الدين البارق ، وماظر الجيش الحلبي وعبد الرحيم الأسنوى ! هذا غير الخواشي المستفيضة التي كتبت على كل شرح والتقارير الهامة التي ألحقت بكل حاشية ! وكلها تدور حول ألفية ابن مالك ! وقد نظمت ألفيات أخرى لغير ابن مالك ولكن لم تحظ بمنزلتها ،

تلميذه الكبير ابن عطاء الله السكندري من ناحية ، أما مجالس وعظه فاحفظه لنا المقرئ منها في نفح الطيب ، يدل على ذوق الصوفي العارف ولطافة حسه ، وردة منحاء ! فهو مثلاً يقول في تفسير الحمد لله رب العالمين : « علم الله عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه في أزله ، فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمده بحمده ، ويقول في تفسير إياك نعبد وإياك نستعين : إياك نعبد شريعة ، وإياك نستعين حقيقة ، إياك نعبد إلهاً ، وإياك نستعين إحساناً ، إياك نعبد عبادة ، وإياك نستعين عبودية ، إياك نعبد فرق ، وإياك نستعين جمع ومن أقواله المختارة : الزاهد جاء من الدنيا إلى الآخرة ، والعارف جاء من الآخرة إلى الدنيا ، الزاهد غريب في الدنيا لأن الآخرة وطنه والعارف غريب في الآخرة لأن روحه عند الله ... هذه الدقة الرقيقة اللطيفة في التأويل والتفسير كانت الملهم الأول لابن عطاء الله السكندري في الحكم بحيث شرب التلميز من روح أستاذه ، وأصبح من المنعصرين الذين تميزوا بالإنتاج ونسبته إلى واحد منهما ! وقد أحدثت حكم ابن عطاء الله السكندري دويماً الشديداً فكانت مجال الشرح والتفسير والدراسة منذ تأليفها إلى الآن ، حتى كان المفتي الأكبر (الشيخ محمد بن حنبل المطيعي) يلقى دروسه بجامع الحسين

وابن سبعين ! وكل واحد من هؤلاء أمة وحده ! ومن الطريف أن أثر أبي العباس في مصر كان مضاداً من وجهته الصوفية لأثر يحيى الدين ابن عربي ، ولكن كليهما قاد جماعة وجدد دراسة وحدد اتجاهها ، وأحدث تأثيراً ، ولإيضاح ذلك عن أبي العباس المرسى نذكر أنه كان تلميذ أبي الحسن الشاذلي وترجمان أفكاره ، وجامع صحابته وأستاذ حلقاته ، وخليفته من بعده ! لم يترك أبو العباس مؤلفات قائمة بذاتها ، ولكنه ترك أقوالاً تنبئ عن معدنه ! وقد جاء دوره بعد أن عمت آراء الغزالي في التصوف وأصبح الفقهاء من أهل السنة متصوفين بعد أن كانوا حاربوا على الصوفية ! وصار الإحياء كتاب تصوف أخلاقي يهدي السبيل إلى الله بعيداً عن شطحات الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ! يقول صاحب نفح الطيب عن أبي العباس : إن قبره بالإسكندرية مشهور بإجابة الدعاء وقد زرته مراراً كثيرة ودعوت الله عنده بما أوجو قبوله ! ولورجع المقرئ اليوم إلى الحياة لوجد مسجد أبي العباس أعظم مسجد بالإسكندرية . ولشاهد من تعظيمه وتبجيله في القرن الرابع عشر الهجري ما شاهد قبل ذلك حين النفس القبول لديه ! وقد ظهر أثر أبي العباس العلوي في مجالسه الوعظية من ناحية وفي مؤلفات

أما يحيى الدين بن عربي فقد أحدث تأثيره الصوفي في الدراسات الملكية لآرائه الخاطئة في وحدة الوجود إذ أن تصوفه الفلسفي قد قاده إلى مضايق حرجية تدق على العامة، وتهتف بالثوار أن تهب على عقيدته !! فأفردت مؤلفات كثيرة لشرح أفكاره ما بين مؤيدة ومعارضة .

ومات الرجل والصخب لا يسكاد ينقطع حوله في كل قرن ، حتى اضطرب الشعرا في أن يحذف من كتبه فصولا كثيرة يعتقد أنها مدسوسة عليه لأنها لا توافق ما عليه أهل السنة والجماعة من المسلمين ؛ وهذا شطط بالغ من الشعرا في ، لأننا لو أجزنا لأنفسنا أن نحذف من كل مؤلف ما لا يوافق النظرية الجماعية في عقيدة من العقائد ، لجاءت كتب المذاهب العقلية والدينية نسخا متشابهة ؛ ومن يدرى لعل فيما حذف ما فهم على غير وجهه ، أو ما يجب أن يكون ممثلا للتطور الذهني شاذا أو مستقيما إذ أن من البعيد أن يكون صوفي خطير كحمى الدين ، موافقا لأهل السنة والجماعة في كل شيء ، ومن المسلم به أنه على اختلاف القوم في اتجاهه قد أمتع التصوف بأدب فذ فريد وزاد كتب الصوفية ثروة وعمقا حتى قال عنه الدكتور زكي مبارك في التصوف ١ - ص ١٧٩ : أنه راض اللغة على الجبري في شعاب مجهولة ، وانطلق يتحدث عن فروض غيبية جلالها قلبه في معارض شائقة

في رمضان شارحا لها ومفسرا ، هكذا يقول الدكتور زكي مبارك في التصوف الإسلامي ، والشيخ بخيت فقيه كبير يحفظ أقوال الفقهاء في مذهب أبي حنيفة ، ولكنه كما تشهد مؤلفاته - لم يكن ممن يستطيعون السج مع ابن عطاء ، فكيف جاز له أن يتخذ من حكمه مجالا للدراسة والتفسير ! من يدرى لعله اعتمد على شرح الرندي أو الشرقاوي أو ابن عجيبة أو أحد شروح الحكم ، وهي كثيرات مختلفات ! لقد كان من آثار أبي العباس ، وتلميذه ابن عطاء بعد جهاد الغزالي أن أصبح علماء الفقه ينتسبون إلى طريقة صوفية يحرصون على ذكرها عند التعريف بهم ، فيقولون مثلا فلان المغربي المالكي الأشعري الشاذلي ! ومعنى ذلك أن الطريقة الصوفية وجدت أتباعها من بين أعلام الفقه والقشريع ! بل إن كثيرا منهم يتحدث في مؤلفاته الفقهية عن العبادات والمعاملات والحدود ثم يختمها بأبواب صوفية تتصل بالمريد وآداب السلوك !! وقد ظل ذلك متداولاً حتى العصر الحاضر ؛ إذ رأينا الشيخ محمد أمين الكردى النقشبندى سنة ١٩٠٨ يكتب مؤلفه (تنوير القلوب) فيفرد للتصوف صفحات تؤاخي صفحات علم التوحيد ، وفصول العبادات والمعاملات ، وهذا امتداد بعيد لتأثير الخواري وأبي العباس .

العلمية أو التخریجات النحویة والصرفیة
أو التحللات البلاغیة بما یغشی البیان القرآن فی
بضباب یحول دون اجتلائه لإشباعاً لرغبة
مفسر قاری بحاث وهو لا ینقل نصاماً
دون مناقشته کاشفاً وجوه القول مما یجوز
للمفسر أن یرید به من الرأى المؤید بالحجة
وما لا یجوز أن یتعرض له من الفروض
والتأویلات القاصیة ، ذاکراً ما دعت الحاجة
فصوصاً وافیه من أحادیث الرسول وأقوال
الصحابه وشیخه التابعین وأئمة الرأى
فی الإسلام ، وقد بدأ تفسیره بأبواب یراها
ضروریة تمحدث عن فضائل القرآن وکیفیة
التلاوة وما یسکره منها وما یحرم ، وجمع
القرآن وترتیبه القراءات السبع ومصحف
هشام ! وأهل دار الکتب المصریة لمست
الحاجة إلیه فی هذا العصر فبدأت بنشره
مطبوعاً فی أجزاء قدر لها أن تبلغ السادسة
والعشرین ، وقارئه المعاصر لا یسهر أنه یقرأ
فی تفسیر سابق کتب فی عهد بعید ولكنه
یمجد من قرب التناول وإشباع الفکره ویسر
العرض ، وسلامة الاسقتناج ووفرة النصوص
والشواهد ما یجذبه إلی متابعتها !

وإذا کان لکل تفسیر وجهته العلمیة ،
فإن مینه القرطبی الأولى هی اهتمامه بالأحكام
الفقهیة ، یکشف عن وجهها كما تؤخذ صریحة
من کتاب الله دون التعصب لمذهب فقهی
خاص ! كما نقل کثیراً من آراء ابن عطیة

فأصبحت وكأنها من الحدیث المأثور !
لقد هضم کل ما قرأ ووعی کل ما سمع ،
وراح یدر فی لغة قوية عاتیه لا یمیها غیر
ما کان یقصد إلیه أحياناً من الغموض !

ولقد ظل العصر المملوک مشغولاً بآبن هربی
فالفتاوی توجّه للفقهاء عن معتقده ، والمؤلفون
یخطون المکتب فی نقده تارة وفی الدفاع عنه
تارة ، وأظهر من حمل لواء الدفاع عنه سراج
الدین البلقینی وجلال الدین السیوطی وهب
الوهاب الشعرائی وأن مفسراً یحدث هذه
الشروة فی التنفيذ والتأیید لذو أثر کبیر .

ولا بد من کلمة فی مجال تفسیر القرآن عن
مؤلف أندلسی دام کان فریدا فی اتجاهه إذ أن
التفسیرات الذائعة لعده وما ولیه لم تكن
على غرارہ ، کان هناك مجلدات تفسیریة بعضها
مطبوع وأکثرها مخطوط لابن عربی والحر
ابن عبد السلام وابن ظفر الصقلی وسبط بن
الجوزی وناصر الدین الجذامی وتقی الدین
السبکی والجلال السیوطی والورکشی والبلقینی
وأبى حیان ، وابن قیم الجوزیة ، والقفطی ، وابن
کثیر ، والعلمی ، ولکنها لا تغنی غناء تفسیر
القرطبی ! إذ کان ذا منحنی خاص یدیف
الأقوال إلی قائلها ویضرب عن کثیر من
قصص المفسرین وأخبار المؤرخین ویفصل
آیات الأحکام تفصیلاً شافیا ویرضها بمسائل
تسفر عن معناها وترشد الطالب إلی مقتضاها ،
فی أسلوب سلس لا یصدمک بالاصطلاحات

على نفاستها مماثلة لسائر المصنفات العربية
ذيوها وتقليدا فلا يجوز أن تندرج في موضوع
يبحث عن المصنفات المؤثرة بطابعها المتميز
أو بذيوها المشتهر المتعالم ، ونمثل بمؤلفات
المروسي السلي في التفسير وأشهرها رى الظمان
في تفسير القرآن وهو ضخيم يزيد على العشرين
من الأجزاء ، ومؤلفات أبي حبان الأندلسي
المتنوعة في النحو والتفسير وهي من الشهرة
بحيث يستغنى عن الإشارة إليها وابن القطاع
العقلى في العروض والأدب والتاريخ وابن
ظفر الصقى في اللغة والنحو والأدب وعلم
السلام وأبى بكر الطرطوشى صاحب كتابي
فن ر سراج الملوك في السياسة والمختصر
في التفسير وحامل لواء السنة في محاربة
المستحدثات من البدع ، ولا يريد أن نقل
هنا من فهارس المكتبات العربية ما يشبعنا
في هذا المجال بل نترك ذلك لمن يشغف
باستقصاء هذه الفرائد وهي قيد المتناول
هذا نمط يسير من القول في تأثير المقيمين
بالشرق من الأندلسيين في الثقافة العربية
أما لو أودنا الإلمام بتأثير الافذاذ من غيرهم
كأبن حزم وأضرابه فما أظن القلم يستطيع
أن يقف عند حد ، وحسبنا الآن أن نذكر
الأندلس أسهامها في إنعاش الحركة العلمية
والأدبية على ضفاف النيل زمنا غير قصيرا .

محمد رجب البيومي

الأندلسي ، وهو مفسر خطير ضاع تفسيره
الكبير ولم تبق منه إلا أجزاء متورة في دار
الكتب المصرية وقد أثنى عليه أبو حيان
وقال عنه أنه أجل فن صنف في علم التفسير
وأفضل من تعرض فيه للتنقيح والتحرير !
فكان القرطبي قد حفظ لنا من آثاره
ما حفظ ابن بسام في الذخيرة من آراء
ابن حبان المؤرخ ! وفلك إحدى مزايا
النقل الكثير في عهود الوراقه والمخطوطات !
وقد قدم القرطبي إلى مصر وحاش بالصعيد
الأوسط في مينة ابن الحصب ، دون أن نغره
أضواء العاصمة بل انقطع للعبادة والتأليف
في معتزله الهادي .

وإذا كانت الأيام قد حجبت تفسيره
كثيراً عن التداول فإنه الآن بعد أن طبع
طبعة راقية ممتازة بدار الكتب ، قد جاء
بدعا بين قرنائه حتى ليعجب الفارسي لتأليف
مثله في منهجه الرائع واطراده السهل ،
واستقصائه المظلمين في عصر يمج بالاعتراضات
اللفظية وتزدهم تفسيراته باقصص !
الإسرائيلية ! وهو من هذه وتلك بعيد بعيد !
هذه إشارات موجزة إلى بعض المؤلفات
الرائدة ذات التأثير البعيد وبجوارها أخوات
كثيرات لائمة الأندلسيين الذين قطنوا المشرق
في شتى فروع الثقافة الإسلامية ، واسكننا
لم نشر إلى أحد منها عامدين ، حيث كانت

فجر الفكر الإسلامى فى مصر

للأستاذ عبد الجليل شلبى

تمهيد :

الفكر الإسلامى يشمل أنواعا متعددة من العلوم ، ولكننا نضع العلوم الدينية فى مقدمة أنواعه ، ونضع العقه وتاريخ التشريع فى مقدمة علوم الدين ، وفى فجر هذه الحركة من تاريخ الفكر الإسلامى بعامة ، والفكر المصرى بخاصة تواجهنا حقبة مفقودة ، أو على الأقل فترة غامضة . هى الفترة التى سبقت تكون هذه العقه وظهور الأئمة المجتهدين ، فى منتصف القرن الثانى ، أو قريبا من هذا الوقت نجد مذاهب فقهية ناضجة ونجد للقياس والاحتياط قواعد مميزة ثابتة ونجد فى جدل الفقهاء أسسا مستقرة تنبئ الحيرة وطول التردد أمام المشكلات ، وهى حالة كان مألوفاً أن تواجه الصحابة عقب وفاة الرسول .

هذه الحالة سبقت ولا شك بمحاولات عديدة أدت إلى هذا النضج ، ومهدت الأمة طريق الاجتهاد ، ولكنها فترة شديدة الغموض وهى فى تاريخ الفكر المصرى أشد غموضا كما سبق ، فى الحجاز والعراق والشام وجد

عدد أوفر من كبار الصحابة ، ومشهورى التابعين ، ورؤساء القبائل وكان لهم أثر ملحوظ فى أحداث السياسة وتطور الفكر فإذا تعرضنا لتاريخ هذه الفترة هناك وجدنا مددا أوسع من المعلومات . وقد كانت تلك الأقاليم مسرح الفتنة الكبرى ، ومعال أحداثها وتاريخ هذه الفتنة يقدم لنا ألوانا متعددة من الجدل اعتمدت كلها على القرآن والأحاديث ، ومست من قرب تاريخ التشريع . ولكن مصر لم تشترك فى هذه الأحداث إلا من طرف بعيد فأثارت فيها حرب السيف وحية التعصب ، ولكنها لم تثر شيئا من الجدل ولم تمس جوانب البحث فى الدين .

لهذا لا نجد أمامنا لدرس هذه الفترة من تاريخنا الفكرى غير كتب التراجم والتواريخ ، وعلينا أن نتصيد من ثناياها ومن بين أحاديثها خيوطا نضم بعضها إلى بعض حتى نحصل بقدر طاقتنا على ما يوضح هذا الغموض .

ولا بد لنا فى هذه التوطئة أن نبين فى إيجاز أهم العوامل التى ميزت الفكر المصرى عن

بسة محصولهم من حديث النبي ومعرفتهم بالقرآن ، وكان هؤلاء مرجع الناس في الفتيا ومعتد بهم في تعلم الدين ، وكان العرب الفاتحون أنفهم يرجعون إليهم فيما يعني لم من مسائل ، وما يجد في حياتهم من شئون . وكان من عادة الخليفة أن يرسل من هؤلاء العلماء قضاء ومعلمين لأن رسالة المحاربين الأولى هي نشر هذا الدين الجديد ، وإلى هذا الوقت لم يكن الحديث قد جمع ولا قواعد الفتيا قد استقرت فلم يكن كل واحد من هؤلاء يعرف كل ما قاله أو فعله الرسول ولا يلجأ بكل غوامض القرآن أو يعرف كل أسباب النزول . وكانت الرحلات مستمرة ما بين إقليم وآخر ليحصل كل راغب في العلم ما فاته مما لدى الآخرين . وكان كل من القاضي والوالي والمعلم يجهد جهده في تطبيق قواعد الدين على المشكلات التي تطرأ له ، وقد يفسرها بوجه ينسكه عليه غيره وقد ينسكه هو ما وصى الآخرون ، ومن هنا بدأت شخصيات الفقهاء الأول ترك طابعها في فتاويهم ، وتبعاً لتنوع المشكلات في الأقاليم بدأت تظهر سمات مميزة للتفكير الفقهي في كل إقليم .

ومعروف أن الصحابة لم يكونوا سواء فيما أوتوا من العلم ، ولا في جودهم على التصرف فيما أوتوا منه ، ولا في مدى قدرتهم على

غيره من أفكار البعثات الأخرى والتي لونت تاريخ التشريع والفكر الديني بوجه خاص بلون يستحق أن يكون سمة من سمات المصريين . فهل مرد ذلك النهج الديني إلى الصحابة الأولين الذين قاموا بمبادئ التعليم أم إلى المجتهدين الذين ثبتوا ، قواعد المنهج لمن تبعهم من الباحثين أم إلى طبيعة الإقليم وما يتصف به أهله من طباع ثبتتها عوامل المناخ ، ومظاهر الحضارة القديمة ، وموروث العلوم ؟ لأنه من الحتم ، ولا ريب أن نلاحظ كل هذه المؤثرات وأن نلاحظ أيها أعرق من غيره أثراً وأكثراً ثباتاً على مر السنين وهذه فيما أرى هي معالم الطريق أمام الباحث وسيمود منها ولا شك بقبس ، وسيجد على النار هدى .

وأثر أن أبدأ بالبحث في شخصيات الرواد الأول من الصحابة والتابعين ومن بعد التابعين لنرى تسلسل الأفكار وطرق التهدي والاستدلال وقد يحملنا هذا إلى الخروج بعيداً عن مصر لنرى جذور الفكرة وينابيعها الأولى ولكن لا بأس بذلك مادامنا مشدودين إلى مركز معين تنتهي إليه في خاتمة المطاف .

حينما نفرق الصحابة في الأمصار بداية الفتوح ، وكان ذلك منذ خلافة أبي بكر كان في كل إقليم أفراد يمتازون بالعلم ويشتهرون

ابن عباس كان يفسر ما غمض من ألفاظ القرآن بما يعرف من أشعار الجاهليين .

وهناك اختلاف أيضا فى الموقف أمام أعمال الرسول ترتب عليه اختلاف فى العبادات فكان عمر بن الخطاب يرى أن الرمل سنة فى الأشواط الثلاثة الأولى من الطواف لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فعل فى الحجة الوحيدة التى حجها وكان ابن عباس لا يرى ذلك ويقول : إن النبي فعل هذا لسبب معين - فقد كان القرشيون يظنون فى المسلمين الضعف ويقولون : أنه كذبهم حتى يثرب فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم قوة المسلمين وإذ أن فهو حمل ليس له بعد ذلك ما يدعو إليه . .

نظر أحدهما إلى عمل الرسول من حيث هو عمل وعبادة ونظر الآخر إلى علته والدافع إليه ، وهذا الاختلاف يبين لنا من جانب آخر سبب اختلاف المجتهدين فى نظرتهم إلى عمل أهل المدينة - فهو عند بعضهم قاعدة وحجة لأنهم إما تابعوا الرسول فيه وإما أقرم عليه فله صفة السنية على أى حال وبعض آخر لا يعتد به لأنه من المباحات التى لا تقر ولا تنكر ولا بأس أن يخالف ؟ أو تتبع .

وفى مجال التحدث عن تأثير الشخصيات نجد ما يدعو إلى الحذر والاحتياط . فهناك

توليد فكر مستحدث ، وهلم جديد وهذا أمر طبيعى مرده إلى اختلاف الذكاء والطباع والشخصيات وكان له أثره فى توجيه الاجتهاد .

اعتاد أمثال أبى بكر وزيد بن ثابت وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وأمثالهم أن يتلقوا من رسول الله فى طاعة وإخلاص وقلبا سألوه عن حكمة تشريع أو راجعوه فى توجيه أمر ولسكنا نجد عمر كثيرا ما كان يقترح عليه ويراجعه حتى لقد تم حين يماته أن يكتب لأصحابه كتابا لا يختلفون عليه بعده فقال عمر : إن رسول الله قد غلبه المرض وحسبنا كتاب الله تعالى .

وأنكر حروف بن زهير - الذى ينتمى الخوارج إليه - على رسول الله قصة - فى فصاح به أعدل يا رسول الله وأجابه الرسول ومن يعدل إذا أنا لم أهمل ؟ وقال : عنه أنه يخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم يفكر أحدكم صلاته وصيامه بحجاب صلاتهم وصيامهم ولم يرفى هذه المراجعة ما يستتبع الخروج على الإسلام - وهذا التباين فى الموقف أمام عمل الرسول يلزمه التباين فى النظرة إلى النصوص .

وكان أبو بكر يتعرج أن يفسر برأيه آية لم يسمع تفسيرها من رسول الله ولكن

المدرسة كانت تتكون من سبعة مشهورين ولكن لم يكونوا كلهم سواء في قدرتهم على توجيه تلاميذهم - فقد رأينا ابن مسعود يتأثر بعمر دون غيره وكان كل من : هروية ابن الزبير والقاسم بن محمد بن أبي بكر أشد تأثيراً بفقهاء عاتقة - وكان الكشيريون حتى من أعضاء المدرسة نفسها يفضلون فقه زيد ابن ثابت - وعن هذه المدرسة أخذ جماعة من مشهورى التابعين هم الذين انتهى فقههم إلى مالك ومدرسته - فإذا رددنا فقه مالك إلى أفراد معروفين من مدرسة المدينة أمكن أن نقف على الجذور الأولى لمدرسة المصريين .

وقد فتحت مصر في زمن لا يبعد كثيراً عن فتح العراق ولكننا نجد في العراق وفي الكوفة بالذات مدرسة تعاصر مدرسة المدينة بينما تأخرت هذه الحركة في مصر أكثر من هاتين المدرستين - ومع ذلك نزل مصر عدد من الصحابة فهل تأخر هذه المدرسة يرجع إلى الأشخاص أم يرجع لأسباب أخرى ؟

عبد الحليم سليمي

أشخاص انتقل فقههم إلى بلادهم ينزلوها وهناك أشخاص أقاموا ببعض الأقاليم - مع ما لم من علم وشخصية - ولم يتركوا أثراً ملحوظاً وربما لم يتركوا أصلاً .

فعمرو بن الخطاب ترك أثراً قوياً في فقه العراق ولم يبق هناك ولكن أثره كان من طريق تلميذه المخلص عبد الله بن مسعود - وعلى ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس أقام كل منهما بالعراق ولم يترك في فقهه أثراً أو ما تركه كان ضئيلاً ؛ لأن كلاهما شغل بشئون السياسة والحرب عن الفتيا والتعليم - وشيء آخر يدهو إلى الحيلة إزاء هذين الصحابين العالمين وهو ما أضيف إليهما من شيعة على وخلفاء بني العباس أو على الأصح من طاب لهم أن يتقربوا للعباسيين من هذا الطريق - وقد انتقل من كل منهما آثار فكرية إلى مصر بحق أو بغير حق وصنواجهها في غير هذا الحديث .

وبما هو في حاجة إلى شيء من التمهيد من تأثير الشخصيات وهو أشد حساساً بموضوعنا ما يشيع من نسبة الفقه المصري إلى مدرسة مالك ثم إلى مدرسة المدينة التي سبقت مالكاً وانتهى فقهها إليه - فهذه

في مسؤوليات الناقد المعاصر

للدكتور أحمد كمال زكي

ترجم الدكتور زكي نجيب محمود ، فنون الأدب ، انتشاراتون ، فكان أمام العاملين في ميدان النقد شروح لبعض القواعد الرئيسية التي أثرت تجارب الغربيين الأدبية . والظاهر أن النتيجة كانت عكسية تماماً ، فقد تضخمت بحوثنا النقدية بغير طائل ، وبدأ كما لو كانت مدرسة الرافعي أكثر سداداً من المحدثين . حقا ظهر محمد مندور ومن بعده عبد القادر القط ، وحقا كان إلى جانب هذين سهير القلواوي ، ورشاد رشدي ومن يقرءون آثار الغربيين ويناقشونها ويقارنون بينها وبين ما يصدر عنه العرب ، إلا أن النقد ظل في حاجة إلى من يحدد مجاله كما ظل عاجزاً - حتى اليوم للأسف الشديد - عن استكشاف جمال الأدب كحقيقة قائمة من أجل البناء .

ماذا أقول ؟

بل بدا أن الناقد لم يعد يعرف مسؤوليته على الحقيقة ، وكأنما ضاع كل ما قدمه طه حسين ، والمازني ، والمعقاد قبل أن يخلو الطريق لغيرهم من المجددين الشباب ، وظهرت مشكلات

طه حسين والمازني والمعقاد قادوا حركة النقد ، وهم مسلحون بأسباب الثقافة العربية وبعد أن قرءوا الآثار الغربية في لغاتها ، وكان وقوفهم في الجانب الذي حاربه الرافعي ليدانما بوجود الناقد الذي لا يدور في ضبابية الاصطلاحات . ويحاول - بعد إلمامه بالإنسانيات - أن يقوم الأثر الأدبي تقويمها بعيداً عن طلاس الدباجة المشرقة ، ونبالة المقصد ، ومعاظلة التركيب ، ووخامة المعنى ، ونحو ذلك مما لا يفيد إلا في الدلالة على تلاعب بلاغيتنا بالألفاظ .

وكان المنهج العلمي الذي اصطنعوه - وهو لا يهمل اللغة ونحوها وبيانها - قد لفت إلى ضرورة تدريب الناقد العربي على الاتصال بالناقد الغربي ، وتم ذلك بنجاح بواسطة كتاب (١. ريتشاردز) الذي وضعه سنة ١٩٢٤ باسم « مبادئ النقد الأدبي » . وإلى جانب هذا الكتاب الذي يستهدف ربط الإنتاج الأدبي في مجالات النقد بالتحليل اللغوي المباشر ، ترجم الدكتور محمد هوض محمد قواعد النقد الأدبي ، لأبركرومبي ، كما

وامتد يأس الأدباء من ناقدتهم إلى شيء آخر ، هو التفات أغلبهم إلى نفر معين من المنشئين ، حتى إن كتاباتهم تظهر كأنها مكرسة لهم فقط أو مقصورة على شخص يتلامح إنتاجه مع فكرتهم النقدية .

وهنا وجه الخطر ! ...

إننا بلغنا مرحلة فنية لا نقول فيها : إن مناهج القدماء والغربيين بدون فهم لا تصلح لها خصب ، ولكن نقول فيها أيضا : إن التحيز لأديب دون أديب خطر دونه خطر الأخذ بالمقاييس الغربية ، أو دونه خطر التوقف عن البحث الجذري في قضايا الأدب العربي كله ، ولعله في الدرجة نفسها التي ترتفع إليها قاعدة : أن النقد الحقيقي : هو فن دراسة الأساليب اللغوية في إظهارها الموسيقي ، وفي طاقاتها التشكيلية ؛ أو من حيث قدرتها على رسم الصور .

هكذا تتحدد مسئولية النقاد ، عليه أن يفسر بعد أن يصل إلى مرتبة التفقه الفني ، ودن أن يتحيز لأحد ، ويحمل أحداً ، مع استيعاب كامل لأعمال عصره مؤمناً بأن وراء إمكانات فهمها آفاقاً بعيدة تمتد .

وتحديدنا المسئولية على هذا النحو لا يعني أن نكفر بالقديم ، فبين القديم والحديث تفاعل أكيد . ثم هو لا يدعى لها شرف الخلق ، بمعنى أنها ترسم الحياة الأديب ، وبعد

متعددة نجحت عن محاولة تطبيق القواعد الغربية في النقد العربي تطبيقاً طائشاً ، كما وجدت اصطلاحات تشبه في تالييسها اصطلاحات القدماء ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر : التطهير ، ود لحظة التنوير ، ود العصاب النفسي ، ود فعل التعبير ، ود الاستجابة الفاعلية ، ود المضمون ، ود الانطباعية ، ود المعادل الموضوعي ، ود التناسب الموضوعي ، ود الالتزام ، الخ .

ولم يكن بد من ألا يعقد الأدباء أملاً على ناقدتهم ، لاسيما بعد أن ظلوا على إصرارهم في احتذاء الغربيين ؛ بل في احتذاء طائفة معينة منهم يوضع على رأسها ريتشاردز والغريب أن كتاب هذا الرجل — القديم نسبياً — لا يزال إلى اليوم عندنا المنفذ السهل إلى الكشف عما للكلمات من خطورة وأكبر الظن أن بعض النقد وجد فيه امتدادات هربية غير مباشرة بطبيعة الحال من حيث حصر المجهود النقدي في اللغة ، وفي فسيحها على نحو ما ظهر عند عبد القاهر الجرجاني ، فأصر على الإخلاص له دون أن يلاحظ تلك الهزة التي تريد أن تعصف اليوم بمدرسته كلها ، حتى تقوم أساليب أخرى أجسدى في إظهار حقيقة النص الأدبي .

موضوعات، الأدب تعبيرية، أى أن يطرحوا ما قبل طرح المادة التى يشكّلها الفن القولى كتعبير عن الذات . وفى هذه الحال لا بد من التسليم بوحدة المادة الأدبية وشكلها ، أو قل: بارتباط بنية المادة ، وصورتها الفنية ارتباطاً عضوياً ، ولا نقول بذلك الارتباط المتفعل الذى يفرض على ما يسمى الشكل والمحتوى، أو الصورة والمادة، أو الأسلوب والمعنى .

والواقع أن مسئولية الناقد تقوم فنياً على أساس أن بنية الإنتاج الأدبى تقتضى أولاً إلى معطيات الوجود قبل أن ترتبط بذات الأدب ، ولكن المهم : هو البحث عن مدى نجاح الأدب فى تشكيل الصورة التى جسّمت مادة التجربة ، بمعنى أنه لا بد من التركيز على أن يكون الجهد الإبداعي هو خلق الشكل الذى يمكن أن ينفذ بالمادة إلى خبرات المتلقين . ويمكن أن يعتبر الشكل فى هذه الحالة حلقة الاتصال بين الأدب وقارئه ، والوسيلة المباشرة للتعرف على بنية الإنتاج من حيث كونه قصيدة ، أو مسرحية أو قصة ، أو أى جنس أدبى آخر .

حقاً لا يخرج الشكل - عادة - عن أن يكون عنصراً واحداً من عناصر معرفة القيمة الجمالية ، إلا أنه يلعب الدور الأول فى تحديد الملامح التى تقرر نوع التأمل ، أو تضع نقطة

ذلك تنفخها فيه . كل من الادعائين باطل ، غير أن الناقد يظل فيها مطالباً بالتوازن المطلق ، وهو يصدر عن عمليات الفهم والتذوق والمناقشة والتفسير ، وعن هذه الوسائل يتحسس الأدب طريقه ، أو يرى موضع قدمه قبل أن يخطو خطوته .

ومن هنا يصح أن نطالب بوجود الناقد الذى يزن الأعمال بميزان على نزيه ، وهذا الميزان هو الذى يتعدى - بطبيعة تكوينه - حاضر الأدب إلى ماضيه ، ويرجع الأعمال التى تفسر الحياة تفسيرها الوجدانى ، وهو يقبل الفنون التى قد تبدو مناقشة دورها غريبة عند بعض المحافظين . وما أشبه صنيع هذا الناقد بما يقدمه د هربرت ريد ، وإن يكن هناك من يرى أن د بول روزنفلد ، الناقد الموسيقى الأمريكى ^(١) أحق بالذكر منه فى هذا المجال .

وفى هذا كله لا يطالب النقاد بأكثر من أن يعوا د طاقة ، الأدب إلى جانب د تقييم ، إحساسه الكامل بالمسئولية الاجتماعية ، لا يطالبون بأكثر من أن يجعلوا

(١) Paul Rosenfeld ولد سنة ١٨٩٠ ومات سنة ١٩٤٦ ، وكان من رآيه أن يتعمق الفنان ضروب الفنون كافة ، وأشهر كتبه فى هذا الموضوع By the way of Art وقد نشره عام ١٩٢٦ ، والتزم ما فيه إلى أن مات .

ولكن الحقيقة أنه لا يفعل ، وإنما يقدم الاصطلاحات الغريبة في عبارات أكثرها فيه من الجمالة ما يطمس الحقيقة ويهدم القيم . وعلى ضوء ما يمكن أن يحدث لو التزم الجميع جادة الحق يتوارى متأدبون هم في الصورة الآن ، ويظهر أدباء لم تسلط عليهم الاضواء ، ولا يكون القاص : (عبد الحليم عبد الله) مثلاً كاتباً طليعياً يضع أيدينا على تأملات تاريخنا وحاضرنا ، وإنما يكون واحداً من الرواد الذين قد تضعيع مضامينهم في ، بلاغيات ، العبارة ، وتزدحم مادتهم بالشعارات المبهمة أو الطائشة .

أنا لا أعرض بأحد ولا أستطرد ، ولكنني أرى أن النقد في إهمالهم لمستوياتهم وأخذهم بأسلوب المجاملات ؛ قد ضيعوا الحقيقة الأدبية ، وأصبح الأدب غريباً في مجتمع تبدلت ملامحه . وفي الوقت نفسه أهدرت الخبرة السوية ، وضرب على فهم العوامل النفسية والاجتماعية وهي تخطط للجاليات ؟

دكتور أحمد كمال زكي

جامعة عين شمس

البعد للتفكير . ويظل بعد ذلك أسلوب الفنان هو الذي يطبعه بطابع متميز ، وهو النقطة التي يختلف حولها المتفلسفون من حيث هذه أساس المعرفة الفنية لأنه هو الثابت بعكس المادة (١) .

ولما كانت كل خبرة قائمة على أساس وجود تفاعل بين الذات والعالم ، وأن هذا التفاعل موجود فعلاً في المادة المشكلة ، فإن من غير الممكن أن يمنع الناقد نفسه من أن يسأل : هل ما قيل لي قصد به الأدب خبرات الآخرين قد اندمج في سياقه البشري وبني لإنتاجه البناء المناسب ؟ أى يسأل : هل نجح في التعبير ؟ .

إن كل ناقد يتصور أنه يسأل هذا السؤال

(١) يجب أن نلاحظ أن التفرقة بين الشكل والمادة تفرقة ذهنية ، كما نلاحظ أيضاً أن أساس المعرفة الفلسفية على النحو المتقدم ناجم عن أن مادة الأدب أشبه ما تكون بالهيولى فهي مهوشة مضطربة وغير مستقرة ومن ثم يكون للشكل الذي سوى الصورة صفة الاستقرار والدوام . ولكن ما يهم الناقد هو أن يفرق بين المادة التي شكلت بأسلوب قاصر ، والمادة التي شكلها الأسلوب الكامل ، دون ما نظر إلا إلى « التنظيم » .



الشعر الحديث

وبسائين القرآن

للأستاذ عبده بدوي

في العملية الشعرية ، وأن يتحول الإحساس الديني إلى ما يشبه د اللهب الخلفي ، الذي من وظيفته فقط ، إلقاء ضوء خافت من همس النور ، ومن الحرارة العائقة التي تؤثر على العين ولا تؤثر عند اللبس .

وقد يقول قائل : وما معنى هذا ، والناس منصرفون اليوم ، ومن فترة في قليل أو كثر عند الدين ، وأن ما يشغلهم هو أمور دنيام ولكن نظرة واحدة ترى أن الدين يشغل الشاعر المعاصر ، وبأخذ عليه كل اتجاهاته ، ولا يترك إلا وجه أثر منه .

فالشاعر (ت . س . أليوت) يظهر في أعماله التأثير العميق بالكاثوليكية ، وبعض النقاد يقول : إن قصيدة د الأرض الخراب ، - التي تعتبر من معجزات الشعر في هذا العصر - يمكن ، بل يجب أن تقرأ على أنها موهظة مسيحية ، وأن د القصائد الأربع ، له يجب أن ينظر إليها على أنها تأملات دينية ، وأن رحلة المجوسى ، يذكر عنها بعض النقاد أن عنوانها يذكر باللوحات الدينية في العصور الوسطى ، وأن ما فيها من دفء وإشراق

أى إنسان الآن حين يتعامل مع الشعر بالإحساس ، يجد أن طيور الشعر لا تحط على بسائين القرآن ، ولا تقرب من حقيقة الرسول ، ولا تمتد أعناقها إلى التراث الإسلامى . . . وأى إنسان حين يتعامل مع الشعر بطريقة المسح والإحصاء يجد أن ما نقوله حقيقة ، وليس معنى هذا أن التجربة الدينية غير خصبة ، أو أنها تعوق التجربة الشعرية في قليل أو كثير ، فالتجربة الدينية مما يثرى الشعر إذا أخذت على أنها ليست موعظة ، أو نظما لموقف ، أو تفسيراً أو تحليلاً لجانب من الجوانب الدينية ، أو وقوفاً عند العبادات والأشكال الخارجية للدين .

أما إذا أخذت كخيوط في النسيج العام للتجربة ، وكرموز تعمق العملية الشعرية ، ثم أخيراً ، إذا رأيناها تتجاوز الشكل العام للدين ثم تتعمق ، وتتمتع إلى أن تكون تعبيراً وإحساساً متواتراً للجوهر الإلهى . . فإن هذا يكون هو الشعر ، مع تحقيق شرط لا بد منه ، وهو أن يكون الشعر هو الملامح البارزة

الإسلامية ، وليس لهذا معنى غير أن بعض النقاد قد حولوا الشعراء بطريقة أو بأخرى عن المواقف ، والرموز الإسلامية .

وقد يظن ظان أن القرآن والحديث والمناخ الإسلامى لا يوحى بالشعر ، ولكن النظرة المنصفية تؤكد أن هذه المناطق الثلاث مملوءة بالشعر ، وأنها يمكن أن تعطى له الحنين والخصب ، والرحيل ، والبهجة ، والبحث ، كما يمكن أن تعطى له انتفاضة المرأة للجمال ، وللحمل ، والحدود ... كما فى امرأة العزيز ، وامرأة إبراهيم ، وامرأة لوط ... واللحظة الحرجة فى إقدام إبراهيم على ذبح ابنه ، وفى وضع أم موسى ابنها فى الماء ، وفى حزن يعقوب محمد حين أتم الله دينه ، وفى حزن يوسف هلى يوسف ، وإشفاق نوح على ابنه ، وفى ابتلاء أيوب ، وأصحاب الجنة !

وفى ضوء هذا نرى أن فى القرآن والسنة والتاريخ الإسلامى ما يمكن أن يثرى الشعر ويملا الشاعر ، بل إنى أذهب إلى القول بأن الشعر المعاصر أصبح حائل التأثير ، وخافت الأصوات ، وليست له « الفكاهة الشرقية » ، لأنه يتخطى القرآن إلى الإنجيل ، ولأنه يستمع إلى أنبياء ليست لهم الملاح النفسية لأنبيائنا ولأنه لا يحول ما يحس ويرى إلى شعر ، ولكن يحول ما يقرأ إلى تجارب ستظل دائماً بعيدة (البقية هلى صفحة ٧١٩)

يذكرنا بالفرح العظيم المتزايد ، فى الإنجيل بل إن الآيات الأولى مأخوذة من إحدى الخطب الدينية فى القرن السابع عشر للاستقف ، لانسلوث آندروز .

ويمكن أن نحس هذا عند الشاعر بيتس ، وفروست ، وجورج هيربرت ، وفرانسيس تومسون ، والشاعرة كرسيتينا روسي .

ونحن يجب ألا يذهب بنا الظن بعيداً ، فالمتقبع الشعر العربى المعاصر ، وبخاصة الشعر الحر ، يجد أن التأثير الدينى يلقى ظله عليه ، ولكن هذا التأثير الدينى ليس إسلامياً ولكن مسيحياً ، وقد أرجعت هذه الظاهرة فى مجلة الرسالة ، إلى أن الشعراء يخضعون لبعض المثقفين الشديدي الذكاء ، أو أنهم وجدوا أن القصيدة العمودية مرتبطة أشد الارتباط بالتراث الإسلامى ، ومن هنا كان انصرافهم إلى الجانب المقابل ، وأما أن بعض القوامين على الدين الإسلامى يبالغون فى التشدد على رموزه ومواقفه .

والخطورة هنا : أن الشاعر المعاصر لا يستغنى عن تحويل بعض المواقف والرموز الدينية إلى شعر ، ولكنه ينصرف تماماً عن المواقف والرموز الإسلامية ، وقد هن لى أن أقوم بعملية مسح شعرى فى الشعر الحر المعاصر ، فوجدت صدق هذه الظاهرة ، بل وجدت بعض الشعراء يستخرون من الرموز

الفراغ النفسى عند الشباب

للأستاذ محمد أبو شامة

— ٢ —

غريب عن دينه وآدابه، وهذا يقتضى أن تعمم دراسة الدين في جميع المراحل الدراسية من المرحلة الأولى إلى المرحلة الجامعية، وأن يكون مادة أساسية لها وزنها في النجاح والرسوب في جميع السنوات ، وأن يكون لهذا تقديره أيضاً عند التقدم للكلية الجامعية والمعاهد العليا ، حتى يكون هذا حافزاً للشباب على أن يحصلوا على أقرب قسط من الثقافة الدينية . وإنه ليؤسفنى ألا تكون دراسة الدين وشرائعه وآدابه مقصودة لذاتها ، ولكن ماذا ففعل وقد أصبحنا أمام واقع مؤلم لا مفر منه ، وهو ربط التعليم بالنجاح والرسوب ، والإعداد للأعمال والوظائف ؟ وليست هذه المشكلة بفتة اليوم ، فهى تضرب في التاريخ بمحذو وعميقة ، ويرحم الله الإمام الغزالي حيث قال : « طلبنا العلم لغير الله فأبى ألا أن يكون لله ، ولكن فرق ما بين النظرين اليوم والامس . كفرق ما بين العصرين .

نعم : إن الدين يدرس في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية ، ولكنها دراسة سطحية لا تصل بالطالب إلى القلب . فإذا ما وصل الطالب إلى الجامعة فإنه لا يرى أثراً للدراسة الدينية ، مع أن هذا الدور هو الذى يبلغ فيه الشباب درجة من

في المقال السابق بينت الفراغ النفسى عند الشباب ، وأن هذا الفراغ يتمثل في الفراغ الدينى ، والخلقى ، والعلمى .

والآن سأعرض للدواء الذى منهالج به الفراغ الدينى والروحى ، فبأى شيء نملأ هذا الفراغ .

إن دواء هذا الفراغ الروحى هو غرس تعاليم الدين في النفوس ، وتنشئة الشباب تنشئة دينية روحية سليمة ، وذلك بملء القلوب بالإيمان : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وإيماناً مبناه الاعتقاد الجازم ، والعلم الصحيح بما يجب الإيمان به ، والعمل الصالح المصدق لهذا الإيمان .

هذا الإيمان الثابت الذى يدعمه العلم الصحيح، والعمل الصالح هو ما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة ، الذى صير من سكان الصحراء حكماً عادلين وخلفاء جديرين بالاستخلاف فى الأرض .

لا بد أن نفشى الشباب من الصغر على تعاليم الدين وشرائعه ، وأن نلقنهم أصول الدين وأحكامه كما أنزلها الله ، وأن نعوذهم إقامة شعائره ، حتى ينشأ الناشء وهو غير

وشئ آخر أحب أن أنبه إليه ، وهو أنه يجب أن يكون القائمون بدريس الدين من المتخصصين في علوم الدين ، الفاهمين له فيها صحيحا ، وعين يؤمنون بجدى الدراسة الدينية وأثرها في إصلاح النفوس ، وتهذيب السلوك وإلا خرج الكلام من فيه فائرا لا أثر له ، ميتا لا حياة فيه ، ولكن الأمر على خلاف هذا ، فدروس الدين كثيرا ما يراد بها تكميل جدول الدروس ، ولا يراعى فيها الرجل المتخصص ، ولا الرجل الذى يزيه سلوكه ، واستقامته .

لا يكاد يختلف منا اثنان في جدوى التعليم الدينى ، وصقل نفوس الشباب به ، وخطورة الفراغ الدينى في النفوس ، فإلى الذى يمنعنا وقد أصبحت أمورنا بأيدينا ، وتخلصنا من نير الاستعمار ودوائه وأحاييله - من أن نجعل تعليم الدين مادة أساسية ، وأن نعم دراسته في المراحل الدراسية كلها ، وأن نقوى من مناهجه ، ونزيد فيها ، وأن نختار لهذه الدراسة المدرس السكفاء الصالح ، حتى يمكننا أن نكون شبا باهؤمين برهم ، عاملين لأوطانهم ، مخلصين لله فى أعمالهم ، لا يرتشون ولا يدلسون ، ولا يخونون ، ولا يفسلون ، ولو أن وازع الدين والأخلاق كان قويا لما كنا سمعنا عن هذه السرقات من مال الدولة الذى هو مال الشعب .

ومن يغلى يأت بما غل يوم القيامة ثم

الاستعداد تؤهلهم لفهم حقائق الدين ، وفى هذا السن يصبح الطالب عرضة للتأثر بالمذاهب الهدامة ، والآراء الفاسدة ، والأفكار الوافدة .

وهذا القصور فى الدراسة الدينية ، فى السكليات الجامعية فيما عدا السكليات الأصيلة فى جامعة الأزهر ، أو التى تتغذى من ووافده ، ولا يعنى بهذا النوع من التعليم إلا بضع جامعات فى العلم الإسلامى والعربى وأنا لا أنكر أنه قد وضعت كتب قيمة فى الترتيب الدينية ، وفيها شيء غير قليل من العبادات والأخلاق ، والسيرة النبوية لكنها - والحق يقال - لا يدرس منها إلا القليل جدا ، وما يدرس منها يدرس بطريقة لا تبني عقيدة ، ولا تهذب نفسا ، ولا تقوم سلوكا وما منا أحد إلا وله أبناء فى المدرس فلم يرجع إليهم وليسألهم ، فإن الكثير من التلاميذ لا يحفظ من القرآن ما يصحح به صلاته ، والكثير منهم لا يكاد يحسن الوضوء . وإذا كان لبعض الطلاب ثقافة دينية ، وسلوكهم لا ينافى الدين فراجع ذلك غالبا إلى البيئة التى نشأ فيها ، أو إلى ظروف وملابسات كونهم هذا التكوين ، وأهدتهم هذا الإعداد والطلاب الذين ينشئون فى أسر متدينة ، أو يغشون المساجد ، وقاعات المحاضرات الدينية والعلمية والأخلاقية ، غالبا ما يكون لهذا أثر ملبوس فى تربيتهم .

وقد قال أحد الباحثين : إن الشباب في العالم أصبح لديه احترام قوى وتقديس للعلم فقط وأهمل الدين ، وذلك نظرا لعدم وجود دراسات دينية ضمن التعليم في المدارس للشباب كما أثارت مندوبة بريطانيا ظاهرة التدهور الحلقى في شباب العصر الحديث ، وناشدت الحكومات ، والهيئات أن تعمل على محاربة الكتب والروايات السيئانية التي تتنافى مع الآداب ، وقالت مندوبة إيطاليا : إن هناك قانونا صدر أخير في إيطاليا لمراقبة إعلانات الكتب والروايات التي تعلق بطريقة مشيرة في الشوارع حيث يراها الصغار ، وقالت : إن جميع الإعلانات تعرض الآن على قاض للوافقة عليها ...

وإذا كانت الأديان تدعو إلى تربية العقائد وتقويم السلوك ، والدعوة إلى الخير والفضائل ففي الذروة من ذلك الدين العام الخالد دين الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً للناس كافة إذ يقول وصدق الله : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث قال صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة نبيه ، رواه الحاكم »

محمد محمد أبو شبيب

توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ، ولكن يفيد التعليم الدينى في معاهد العلم ويشمر ثمرته يجب أن تحافظ الأسر على القيم الروحية ، والتعاليم الدينية فإذا أخذ الوالدان أنفسهم بالتدين الصحيح والتحلل بالأخلاق السكرية كان ذلك درساً نافعا ومفيداً للأبناء .

ومن العجيب أن الدارسين لنفسية الشباب في الغرب دعو إلى ما دعونا إليه من إحياء معاني التدين في النفوس ، وإليك ما جاء في صحيفة الأهرام ^(١) عن نتائج مؤتمر الأسرة والمفولة الذي عقد في مدينة « ميونيخ » في ألمانيا . قالت مندوبة مصر : « لقد تضمن جدول المؤتمر أكثر من فكرة وموضوع تهم الأسرة والشباب ، وأهمها في رأي المناقشات والأبحاث التي دارت هن أهمية المحافظة على القيم الروحية في الأسرة وذلك حتى ينشأ الطفل في جو أسرى متماسك ، فالأسرة هي التي تتكون فيها شخصية الطفل من الناحية الروحية والعقلية ، حيث يتعلم من خلالها الحب ، والتضحية ، والحرية ولقد كان من آثار عدم الاهتمام بالقيم الروحية تفكك الروابط الأسرية في المجتمعات الصناعية ، حيث ينساق الأفراد أمام التقدم المادى فقط ، بينما مازالت الدول النامية محافظة على تماسكها ، وقوتها .

طرائف لغوية : الواو الزائدة في الأساليب العربية للاستاذ طه الزيني

قال الله تعالى عن المؤمنين عند دخولهم الجنة : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم ، ، وعن أبي الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام حينما أسلما أمرهما إلى الله ورضيا بذبح إسماعيل : « فلما أسلما وتلا للجبين ، نادى بهما أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، ، وقال عن يوسف عليه السلام حين اتفق إخوته على جعله في غيابة الحب حتى لا يعود إلى أبيه : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الحب ، وأوحينا إليه لتبئبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ، ، وعن ياجوج وماجوج : « حتى إذا فتحت يأجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقرب الوعد الحق ، ، وقرئ . قوله تعالى عن احتجاز يوسف عليه السلام لأخيه : « فلما جهزهم بجهازهم ، وجعل السقاية في رحل أخيه ، ، زيادة الواو قبل جعل .

وقال امرؤ القيس :

فلما أجزنا ساحة الحمى واتحى

بنا بطن (١) خبت ذى قفافي (٢) عقتل (٣)

قلت هاقي نوليفي تمايلت
على مضيم (١) الكشح (٢) ربا للخلخل (٣)
وقال الشاعر :

حتى إذا امتلات بطونكمو
ورأيتمو أبناءكم شجوا
وقلبتمو ظهر المجن (٤) لنا

أن اللثيم العاجز الحب (٥)
والناظر في هذه الآيات والآيات ، يرى أن المعنى مع وجود الواو كالعنى مع هدمها ، ففي الآية الأولى لو أسقطت الواو فقليل : « فتحت أبوابها ، كان المعنى صحيحاً ، ومؤدياً للطلب وفي الآية الثانية لو قيل : « نادى به ، بدون الواو كان المعنى صحيحاً ، ومؤدياً للطلب كذلك . وفي الآية الثالثة لو قيل : « أوحينا إليه ، بدل وأوحينا . كان المعنى صحيحاً ومؤدياً للطلب كذلك ، وفي الآية الرابعة

(١) ناحلة (٢) الخاصرة

(٣) مكن وضع الخلخال في الساق و « ربا »

معناه مقلته

(٤) الترس الذى يدفع به المحارب السلاح

من نفسه .

(٥) الحداع بصيغة المبالغة ومى بفتح الحاء

وكسرهما .

(١) واد معروف ببلاد العرب .

(٢) الهجارة . (٣) متسع عظيم .

لوقيل : « اقرب الوعد الحق ، بدون واو كان المعنى صحيحا ، ومؤديا للطلب أيضا ، وفي بيت امرئ القيس ، والغنى بعده لوقيل (انتحى بنا بطن) و (قلبتمو ظهر المنح) كان المعنى صحيحا ، وإذا كان المعنى عند ذكر الحرف ، وعدم ذكره صحيحا ، ومؤديا للغرض منه حمل ذلك على التفسير في كونه زائدا ، فهل هذه الواوات وأمثالها في الأساليب العربية زائدة أو ليست بزائدة ؟

اختلف النحويون في ذلك : فالبصريون يرون أن الواو أصلية ، وليست بزائدة ، وحجتهم في ذلك : —

أن الحرف وضع لمعنى فلا يجوز جعله زائدا ما أمكن ذلك ، ومعنى الواو عندهم هنا العطف ، ويجعلون جواب (إذا) و (لما) محذوف في الآيات والآيات ، فيقولون في الآية الأولى : حتى إذا جاءوها صادفوا الثوب الذي وعدوه ، وفي الثانية : فلما أسلما وتله الجبين كان هناك ما لا يوصف من أظافه تعالى ، وفي الآية الثالثة : فلما ذهبوا به ، وأجمعوا حفظه الله ، وفي بيت امرئ القيس : فلما أجزنا مساحة الحى حدث ما أتمناه ، وفي البيت الذى بعده : حتى إذا امتلأت بطونكم ، ورأيتم أبناءكم شبوا ظهر غدركم ، ويزيدون على حجتهم السابقة أن حذف الجواب في الوعد والوعيد أبلغ من ذكره ، والآيات ، والآيات السابقة

مشتملة على الوعد والوعيد . وذهب الكوفيون والآخرش^(١) إلى أن الواو في الأساليب السالفة زائدة ، واستدلوا لمذهبهم بعدم وجود الجواب فيها ، وبأنه لا ضرورة لتقدير الجواب ، وما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إليه ، وبأن المعنى ظاهر كل الظهور على اعتبار الواو زائدة .

وقال بعض النحويين إن الواو للحال ، وقد مقدرة قبلها في الآيات الأربع والتقدير : وقد فتحت أبوابها ، وقد ناديناها ، وقد أوحينا إليه ، وقد اقرب الوعد الحق ، وفي الآيات الواو عاطفة على محذوف وليست بزائدة ، والتقدير : فلما أجزنا مساحة الحى أجزناها ، وانتحى بنا بطن خبت ؛ وظهر غدركم وقلبتم ، والجواب مقدر على هذا الرأي أيضا .

وأجاز ابن عصفور زيادة الواو في الشعر فقط كالآيات السابقة .

ووافق الرضى شارح الكافية البصريين في عدم القول بزيادة الحرف متى أمكن تخريج الكلام على عدم الزيادة فقال ص ٣٦٩ ٢ من شرح الكافية في قوله تعالى : « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه » ثم تاب عليهم ليتوبوا ، وهذه

(١) نسب ابن يعيش في الفصل رأي الآخرش هنا لقبداً بين

فهي كالسابقة. وكذلك بقية الآيات والآيات أجوبتها فيها ، ولا داعي إلى تقديرها .

وأما جعل الواو حالية مع تقديره قد ، فهو خلاف الظاهر مع قلة تقديرها في القرآن بالنسبة لإظهارها ، ومع الحاجة إلى تقدير الجواب وفيه ما تندم من الاعتراض على رأى البصريين .

وأما جعلها عاطفة على محذوف فالأصل عدم الحذف مع ظهور ركازة الاصلوب في تقديرهم في بيت امرئ القيس (أجوناها وانجى) .

وتقدير الرضى الجواب في آية التوبة تغافل

عن المعنى ، وما يتطلبه ، وعن الأصل الذى هو عدم الحذف والتقدير ، ولا شك أن المعنى

في آية التوبة ظاهر جرساً على أن التوبة هي

الجواب ، والأصل « تاب عليهم ، بدون دثم » ،

وإن كان لثم معنى آخر غير العطف سأذكره

قريباً ، وأما إلهام الإنابة من الله فقد حصل

قبل أن تضيق عليهم الأرض بما رحبت ، وهي

لم تضيق عليهم إلا بسبب إنابتهم وخوفهم من الله .

وأما تخصيص ابن عصفور الزيادة بالشعر

فتحکم لادليل عليه ، فقد وقعت الزيادة في القرآن

السكریم ، وهو في أعلى مراتب البلاغة .

بقيت مسألة تتصل بهذا البحث وهي كيف

نقول بزيادة الواو في الآيات السابقة ، وهل

تقع الزيادة في القرآن ؟ وإيمان ذلك أقول :

١ — المراد بالزائد ما كان زائداً من جهة

الإهراق ، لا من جهة المعنى ، فالواو في قوله

تعالى : « وفتحت أبوابها » ليست للعطف

الآية قد استدلل بها الاخفش على زيادة ثم ،

ولا منع من ارتكاب حذف المعطوف عليه

أى المهمم الإنابة ، ثم تاب عليهم ، وكل

ما جاء من أمثله فإن أمكن الاحتذار منه

فهو أولى ، وإلا فليحكم بزيادة الحرف (اهـ) .

ووافق ابن السراج أيضاً البصريين في عدم

زيادة الحرف ، وزاد عليهم بأن منع وجود

الزيادة في كلام العرب جملة ، فقال : ليس في

كلام العرب زائد لأنه تكلم بغير فائدة وما ورد

منه في كلام العرب يحمل على التوكيد .

ووافق ابن جني ابن السراج فقال : « كل

حرف في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة

الجملة مرة أخرى .

وبعد سرد آراء النحويين في الأساليب

السابقة أرى : أن البصريين جامدون ،

ومؤولون لما لا ضرورة لتأويله ، فإن الظاهر

في آية الجنة والله أعلم . كون الفتح جواب

إذا ، بدليل الآية الأخرى الواردة في أهل

جهنم ، وإن كانت زيادة الواو في آية أهل الجنة

لمعنى آخر غير العطف ، وسيأتى بيانه ، والفتح

هو السبيل إلى الثواب الذى وعدوه ، بل هو

جزء منه ولا داعي إلى استبدال الجواب

الموجود في الآية بمجواب آخر يماثله في المعنى

ويعملفه في اللفظ قراراً من زيادة الواو ،

وكذلك الآية الثانية آية الفداء الجواب فيها

هو النداء ، لأنه منع من الذبح وإخبار بالفداء

وهو نفس الالطاف التي قدرها البصريون

الطرطوسي في العمدة : زعم المبرد وثعلب
الأصنة في القرآن (أى لا زائد) ، والدهماء
من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات
الصلوات في القرآن ، وقد وجد ذلك على وجه
لا يسع إنكاره فذكر منه كثيراً) اه كلام البرهان
وفي موافقة كثرة العلماء والفقهاء والمفسرين
على وجود الزائد في القرآن إلى ما تقدم من
تضعيف مذهب البصريين وغيرهم نصر لمذهب
الكوفيين والاختفاء ، واه أعلم .

طه الزبني

دكتوراه في النحو والصرف

ولكنها تفيد مع زيادتها معنى التوكيد كما قال
ابن جني : إن كل حرف زيد في كلام العرب
فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى ،
فكأنه قيل : فتحت أبوابها فتحت أبوابها ،
وكذلك بقية الآيات ، ومنها آية التوبة التي
زيدت فيها (ثم) .

٢ - اختلاف العلماء في وقوع الزائد
في القرآن : فقليل منهم منعه ، والكثيرون
أجازوه ، قال صاحب البرهان في علوم القرآن
في الجزء الثالث : (وقد اختلف في وقوع
الزائد في القرآن ، فمنهم من أنكره ، قال

(بقية المنشور على صفة ٧١٢)

عليه أن يحول الدين إلى شعر ، لا أن يحول
الشعر إلى دين .

تلك هي الدعوة التي ندهو إليها ، بعد أن
قننا بزيادة كافة النواوين المعاصرة ، دون أن
تقع أعيننا ونفوسنا على شيء يذكر بالشرق
والإسلام ، بينما تدق الأجراس ، فوق رموز
الخلاص بالحب ، والخلاص بالموت ، والصلب ،
والجلجلة ، والخطيئة .

فما نقوله الآن ليس وليد لحظة عاطفية ،
وليس وليد لحظة تعصب لأننا ندعو إلى
الاتقاع بكافة الأدیان ، ولكنه وليد لحظة
علمية ، تشهد عليها عملية الإنتاج الشعري
المعاصر على الصعيد العربي ، ومن هنا نرفع
صوتنا إلى الشعراء ثم نقول لهم : إلى أين اء

هبة بروي

عن أحاسيسنا ، وغير ملتصقة بوجودنا .
وليس هناك من أمل سوى أن يميل هؤلاء
الشعراء إلى أنفسهم ، وأن يستخرجوا ما بها
من لآلئ دون خوف من رجال الصاغة ،
وأن يذموا القرآن ، لا لأن بعض النقاد دعا إلى
إدمان قراءة الإنجيل للشعراء أخيراً ، ولكن
لأنهم سيجدون ما يعمق تجربتهم بالقرآن .

وليس معنى هذا أنا زيد حبس الشعراء
في الأجواء الإسلامية ، واسكننا فقط ندهوم
إلى زيارتها ، من الحداثق التي « سرقوا »
إليها ، بل إنا ندهوم إلى أن يملقوا في كافة
الأجواء الدينية ، وألا ينصوا التحليق على
ما في أنفسهم . . وما في أنفس قومهم . .
وما في الشرق ! !

على أن يظل الشاعر دائماً متذكراً أن

حول مقال الأستاذ سلام وما يفتي عليه

للأستاذ على البولاتي

ردية الخبر من « واردات أوربا » ، تلقفها مصغرون من مستشرقين وروجها مبشرون استعماريون في ظل ما روجوه باسم « الأحرار المفكرين » .

ويصوغ الأستاذ كاتب المقال هذه الفكرة في أساليب شتى ، خلاصتها : أن شئون الحياة وحوادثها يجب أن تترك لعقول الناس وإراداتهم لئلا هلاقة الدين بها ، فلا يفتي الدين فيها أحداً ، وقد مثل لهذه الشئون بالسفور والسينما والتصوير والنحت والتشيل وألوان الطعام والشراب وأدواتهما والزى وأشكاله . وهذه دهوى خطيرة لو سلبت له لسان معناها قصر الدين على العقائد والعبادات والأخلاق وبعض المناهي لأن ما هذا هذه الأمور يمكن اعتبارها من شئون الحياة وعلى هذا تلغى من الفقه الإسلامى أبواب المعاملات والأطعمة والأشربة والألبسة والأحوال الشخصية وغيرها ، وتلغى من السنة النبوية جميع الأحاديث التى تتناول بالنفصيل أحكام هذه الأبواب ونحوها ، بل تلغى من القرآن نفسه أحكاماً كثيرة كتحريم الربا ، وإيجاب ضرب المرأة الخار

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عبد الكريم الخطيب ، فى عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ من مجلة الأزهر — مقالا حاداً صارخاً ، وألقى بمن يهاجمهم — وهم علماء الدين جميعاً ، ألقاباً لأذعة مثل : « حملة البخور فى عاريب الدين » ، والذين يعرضون الدين فى كل سوق ، ويبيعونه بكل عرض ، وبأى ثمن ، وشتت بهم حيث أفتوا بتحريم بعض الأمور ؛ جرفهم تيارها ، ودخلت عليهم من كل باب ونافذة ، واستهزأ بهم حيث وصفهم بأنهم صغار النفوس ومتطفلون ، وأنهم يظنون أنفسهم شيئاً مع أنهم أهون هواناً من « تيم » ، بل استهزأ بالأصدر الأول كله حيث جعلهم أقواماً لا تنسع نفوسهم لحقيقة الدين ، وإنما تنفك فى عقولهم أصاخ شائنة مضروبة بالجهل والهوى ، أو دموغة بالكيد والتضليل . وأكثر فى مقاله من كلمات — العقل — الإرادة — عقل الإنسان العاقل — إرادة الإنسان المرید — التفكير — الشخصية — الإنسانية — الضمير ، فى عبارات تتراحم لتزف إلى القراء فكرة زائفة بهيجة المظهر

ويقول الأستاذ «بيولا كازيلي» في مجلة «مصر العصرية» السنة الثانية عشرة ص ١٩٥ :
«لأنه يجب على مصر أن تستمد قانونها من الشريعة الإسلامية» ، وهي أكثر اتفاقاً من غيرها مع روح البلد القانونية .

ولعل كثيراً من القراء على ذكر من أن المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي عقد بمدينة لاهاي في أغسطس ١٩٣٧ م قرر أن الشريعة الإسلامية لها ذاتيتها ، ولا تمت إلى القانون الروماني بصلة ، ولا إلى أية شريعة أخرى ، وأن المؤتمر يعتبرها مصدراً رابعاً للقانون المقارن (ومعلوم أن القوانين الثلاثة التي اعتبرت مصادر من قبل هي القوانين الفرنسية والألمانية والانجليزية) .
دعائم الفكرة ومناقشتها :

دعم الأستاذ فكرته بدعائم وأهمية لا تغنى من الحق شيئاً ، بيد أنه صاغها في عبارات فضفاضة تحتوي على تكرار كثير ، ولهذا أكتفى بتلخيص بعض منها مع مناقشته فيما يلي :
١ — أن القضايا التي تهتكك بالدين كثيراً ما تؤدي إلى نفرة الناس لأن النفس البشرية بطبيعتها تنفر من كل ما يلقاها على غير الوجه الذي ترقبه منه (ص ٢٨٠) .

وهذه الدعامة أو هي من خيط العفكبوت فإن نفور الناس من أمر يخالف عاداتهم الجارية أو لا يتفق مع أهوائهم وشهواتهم لا يدل على بطلان ذلك الأمر الذي نفروا

على جميعها ، وتحريم الخنزير وما أهل لغير الله به ونحو ذلك من شئون الحياة التي يشير إليها الكتاب ، ويرى أن ترك العقول تخلى تارة وتصيب أخرى ، وألا يزوج بالدين فيها ؛ لئلا يخرج منهزماً في مراكمه معها ، ولا شك أن هذه الفكرة يفرح بها أولئك الذين استبدلوا بالقوانين الشرعية القوانين الوضعية المحتملة من دول الغرب ، ولو خالفت نصوص كتاب الله وسنة رسوله .

وكان الأستاذ يريد بهذه الفكرة أن يطلب من الإسلام ميزته الكبرى ، وهي أنه دين جمع بين شئون الدنيا والآخرة ؛ فكان قانوناً شاملاً واحداً صالحاً لكل زمان ومكان بما جعل بعض علماء القانون من غير المسلمين ومن غير العرب يشيد بما للشريعة الإسلامية من تفوق على القوانين الأوروبية .

يقول الدكتور «أنريكو أنساياتوا» في كتابه «الإسلام وسياسة الحلفاء» ص ٩٤ :
«إن الإسلام إذا كان محدوداً غير متغير في شكله فإنه مع ذلك يسير ما تقتضيه الظروف ، فهو يستطيع أن يتطور دون أن يتضاءل مع مرور القرون ويحتفظ بكامل حيويته ومرونته ولا يجوز أن تهدم يد الخلافة هذا المرح العظيم من العلوم الإسلامية ، أو أن تغفله ، وأن تحسه بسوء ؛ فقد أوجد للعالم أرواح الشرائع ثباتاً : الشريعة الإسلامية ، وهي تفوق في كثير من التفاصيل الشرائع الأوروبية .

لا يجدون مخلصاً عن تنفيذها ، ولو أوا أنها تخالف المصاحبة أو العدالة في بعض الظروف .
وقول السيد المسيح : إنما السبب للإفساد وليس الإنسان للسبب ، إن صح فهو إشارة منه إلى نسخ السبب ، وبيان انتهاء حكمه ، فقد كان السبب مقدساً ، ويحرم فيه الصيد ونحوه فلما بعث المسيح عليه السلام ، وقام بشفاء المرضى يوم السبت أنكروا عليه ، فأشار بكلمته إلى أن هذا التقديس قد انتهى ، وأصبح السبت يوماً عادياً كسائر الأيام ، فهو الآن للإنسان يقوم فيه بما شاء من المصالح ، وليس الإنسان له ؛ فلا يمتنع فيه من القيام بأى أمر يريد .

فمن العجب أن يؤخذ من هذين القولين أن الدين للإنسان ، وليس الإنسان للدين ، وقد جاء في كلام الكاتب ما يستفاد منه المراد من الشطر الثانى من هذه القولة وهو ألا يترك الناس سلطان الدين يملك وجودهم ، ويشل إرادتهم (ص ٢٨١) ، ومعلوم أن الدين ليست له هذه الصفة ، فالإنسان مأمور بأن يتق الله ما استطاع ، ولا يتوقف عن امتثال الأوامر ولولم يعلم الحكمة في بعضها - مادام مستطيعاً - فإن التكليف قد يكون للاقتداء ، ولو أخذ برأى الكاتب لساغ للناس أن يمتنعوا عن التيمم بالصعيد استقذاراً له ، إلى غير ذلك مما لا يدري كثير منهم حكمة مشروعيته ، وقد قال تعالى :

منه ، ولقد لقي الرسل الكرام من أقوامهم إنكاراً واستهزاءً ونفرة ، فهل منهم ذلك أن يصدعوا بقولة الحق ١٢

٢ - أن تحكم الدين في شئون الحياة كلها يؤدى إلى ضمور الشخصية ، واغتيال ذاتية الإنسان وقتل المعالم الاصلية فيه (ص ٢٨٢) .
وهذه الدعامة من نسج الخيال فإن شئون الحياة كما تستقى جميع أرباب العلوم الطبيعية والطبية والزراعية والصناعية وغيرها ، كلا فيما يختص به ، كذلك تستقى علماء الدين فيما يختصون به كالحل والحكمة وموافقة الفصوص الشرعية ومخالفتها ، وهذا يؤدى إلى اتساع أفق الإنسان ، ودمج حياته المادية بحياته الروحية ، فلو صح ما يقوله الأستاذ لوجب إغلاق جميع المدارس والجامعات ، وأن يترك الناشئة يوصلوا بتجارهم لى ما وصل إليه الأولون حتى لا تضمر شخصيتهم وهذا خطأ شنيع بلا - - .

٣ - أنه كما يقال : القانون للإنسان وليس الإنسان للقانون ، وكما يقول السيد المسيح عليه السلام : إنما السبب للإنسان وليس الإنسان للسبب ، كذلك يصح بل يجب أن يقال : إن الدين للإنسان وليس الإنسان للدين ، فما الدين إلا قانون سماوى (ص ٢٨٢) .
وهذه الدعامة من أوهى الدعائم فأهل القانون أنفسهم يحتمكون إلى نصوصه التي

ولهذا قال : ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق عذقة كلابي الذي تسكت به حنن رجوت أن يسكون هذا خيرا ، (السيرة الحلبية ج ٢٧/٣) فهل يقتدى بعمر في أمر استغفر الله منه ، وقام بأداء طاعات كثيرة رجاء تكفيره ؟ ولم لا يقتدى بأبي بكر - رضي الله عنه - في موقفه من هذا الصلح مع أن عمر نفسه قال : « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر » .

بقى أن يقال له : ما معنى اصطحاب الإنسان إرادته ؟ إن الكاتب يقصد بهذه الكلمة - كما يتبين من سياق المقال - أن يكون حرا مختارا راضيا ، وهذا يناقض الآية التي ذكرناها والتي تنفي الخيرة ، ويخالف أيضا لسيرة الأنبياء والهديتين وجميع الصالحين .

فهذا سيدنا إسماعيل يقول لأبيه إبراهيم عليهما السلام : يا أبت أقبل ما تؤمر ، حين قال : « إني أرى في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ » فلم ير إسماعيل لنفسه خيرة في هذا الأمر وبادر بامتثاله وصبر على هذا الابتلاء العظيم . وقد نعى الله على من لم يبادر بامتثال الأوامر الإلهية ، ولو كانت شاقة على النفس مكروهة لها قال تعالى : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقضوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد ثبوتا » . فما موقف الكاتب إذا أمره الدين بقتل نفسه

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلّالا مبينا » ، (الأحزاب / ٣٦) .

٤ - أن المسلم مطالب حين ينزل على أمر النبي أن يصحب ماله عقله وإرادته ليسكون لتسليمه بما سلم به مفهوم عنده وأمر طاملي كيانه ليقوم لهذا الأمر بما ينبغي له من إحفاء ووفاء ، وموقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه - في صلح الحديبية - يشهد لذلك (٢٨٣) .

وهذه مغالطة ، فالمسلم مطالب بأن يصحب معه عقله ؛ ليفهم ما كلف به ولیمثله بقدر ما يستطيع ، لا ليفرق بين ما هو من شأن الآخرة ، فيتمثل فيه الأوامر ، وما هو من شأن الدنيا فيرده ويزعم أن عقله كفيف بمعرفة ما هو أصلح له ، فالتفرقة تخالف صريح القرآن كما في الآية السابقة .

واستشهاده بموقف عمر - رضي الله عنه - في صلح الحديبية مردود ؛ فإن من يتبع القصة يعلم أن عمر رضي الله عنه لم يخالف في أمر ولا نهى ؛ بل حينئذ سأل عن الحكمة في قبول الشروط الجديدة أخبر بأن هذا أمر من الله فلم تسليما .

وعلى الرغم من ذلك فإنه رضي الله عنه رأى أن ما صنعه في هذا اليوم كان من العظام

وما قاله من : إنه ليس الدين في هذا المجال إلا قولة واحدة ، هي أن يتحرك نشاط الناس في غير بنى ولا عدوان : وهو إنكار صارخ لصرائح الكتاب والسنة العاطفة بالتفصيلات العديدة في أكثر شئون الحياة .

واستدلالة على دعواه بحديث النخل مغالطة صريحة ، ولفظ الحديث هكذا (أتم أهلك بأمر دنياكم) وليس فيه بشئون دنياكم ، كما في المقال ولا بأمور دنياكم ، كما في كتاب الإسلام وأصول الحكم ، وليس بصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار بتأبير النخل على صورة رآها كما زعم الأستاذ ، وليس بصحيح أيضا أنهم اقتتلوا أسره ؛ فليس في الحديث أمر ولا نهى ، وكل ما فيه أنه صلى الله عليه وسلم قال : ما أظن يغنى ذلك شيئا ، ، يعنى أنه حينما مر على قوم يؤثرون النخل بنقل طلع الذكر للأنثى ولم يكن يعلم ذلك من قبل ، قال لهم : ما أظن أن ذلك التأبير يزيد في جودة الثمرة . فهذا من النبى لإخبار عما جال بخاطرهم في شأن من شئون الحياة ، وقد صرح فيه بالظن الذى يدل على أنه ليس وحيا ، وليس فيه أمر ولا نهى ولا مشورة ، غير أن القوم حينما سمعوا هذه القولة تركوا التأبير ؛ فكانت النتيجة أن جاء النخل بثمر ردى ، وليس هذا امثالا لأمر ولا أيقاها لمشورة ، والذى يظهر أنهم

أو الاستسلام لأن يقتله ؟ أيصطحب معه أرادته فيقول : دسمنا وعصينا ، أم يصبر ويقول : دسمنا وأطعنا ؟

هـ - أن الدين - والإسلام خاصة - خلى بين الناس ، وبين الحياة يعالجون شئونهم بما عندهم من ذكاء واستعداد ، وليس للدين في هذا المجال إلا قولة واحدة : هي أن يتحرك نشاط الناس في غير بنى ولا عدوان ، وعن هذا الإيمان بحق الإنسان في الانتفاع الكامل بعقله وخبراته وتجاربته كان قول الرسول الكريم لصحابته من أهل المدينة : وأتم أهلك بشئون دنياكم ، ، وكان صلوات الله وسلامه عليه قد أشار عليهم بتأبير النخل على صورة رآها ؛ فامثلوا أسره فيه ، وكان ذلك جاريا على غير عادتهم ، وكانت نتيجة هذا أن جاء الثمر دون ما اعتادوا وفرة وجودة (ص ٢٨٥) .

ويقال : إن سلمنا أن ديننا من الأديان السابقة خلى بين الناس وشئون الحياة ، فلن نسلم أن الإسلام خلى بينهم وبينها فإن الإسلام تحدث عنها جميعا ، وجاء في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، نصوص في البيع والإجارة وسائر المعاملات ، والأكل والشرب والنكاح والطلاق ، والجنايات إلى غير ذلك ، مما جعل أحد اليهود يتعجب ويقول لأحد الصحابة ما معناه : إن نبيكم يعلمكم كل شىء حق الجلوس لقضاء الحاجة ، .

التأثير صيا لجودة الثمر، وهذه السببية متيقنة معلومة مجزوم بها مطابقة للواقع مأخوذة عن دليل وهو المشاهدة والتكرار فعلا وتركاً فإن سلمنا أن شأن الدنيا الذي علم عن دليل لا يتدخل فيه الدين فكيف نعلم أن الدين لا يتدخل في شئون الدنيا التقليدية التي لم يدل عليها تكرار، ولا مشاهدة ولا برهان كالأمثلة التي هي منشأ ثوره السكاتب على علماء الدين وهي السفور وما جاء عن الغرب من السفينة والراديو والتعشيل والنحت والتصوير وغيرها ؟ فهذه الأمور إذا أريد التعبير عنها فإنما يعبر بمفردات هي موضوعات صالحة للحكم عليها ؛ بأنها محرمة أو غير محرمة ولا مناص من أحد هذين الحكمين، وكلاهما من الدين، فإن العقل لا يمكنه أن يهتدي إلى أن هذا الأمر محرم يستحق فاعله العقاب من الله تعالى ، أو غير محرم فلا يستحق ذلك .

هذا وقد ساق السكاتب حديث د رفع عن أمي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه ، ولم يرد بهذا اللفظ في كتاب من كتب الأحاديث وصحته ، إن الله وضع عن أمي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه ، (أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس . برفعه ، وكذا ابن حبان وصححه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين)

وقال الأستاذ في تعليقه على الحديث : ، فسا أسقط الإسلام هذه الأعمال والأقوال التي

لم يجر بها ترك التأثير من قبل ؛ فخطر ببالهم أن يجر به حينئذ سمعوا هذا القول من الرسول صلى الله عليه وسلم ، فربما صادف ظنه الواقع ، فلما جاء الثمر ردينا علموا أن الظن لم يوافق الواقع ، واستفادوا بهذا فائدتين :

الأولى : أنهم علموا بالتجربة شيئاً لم يكونوا علموا به من قبل ، والتجربة أصل جميع الاختراعات والاستكشافات .

الثانية : أنهم علموا أن ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الظن ، لا يلزم أن يتفق مع الواقع ؛ ولذا قال صلى الله عليه عليه وسلم : ، إن كان ينقصهم ذلك فليصنعوه فإنني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتم عن الله شيئاً فخذوا به ؛ فإنني لن أكذب على الله عز وجل ، ، (انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ / ١١٦) .

وهذا يرشدنا إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال في شئون الحياة قولاً عن الوحي وجب الأخذ به خلافاً لما قرره وكرره كاتب المقال من أن الإسلام خلى بين الناس والحياة يعالجون شئونها .

هلى أن قوله صلى الله عليه وسلم : أنتم أعلم بأمر دنياكم ، يفيد صراحة - أن المقصود بأمر الدنيا الأمر الذي تعلق به العلم . وهو الجزم المطابق للواقع عن دليل ، وبيان هذا أن أمر الدنيا الذي ورد عليه الحديث هو كون

الحادة التي كانت بين الكنيسة وأعدائها في القرون الوسطى ، والتي انتهت بردتهم وفصلهم العلم عن الدين ، فإن من الحجج التي تدفعوا بها أن رجال الكنيسة تدخلوا باسم الدين في شئون الدنيا مع أن المسيح عليه السلام لم يحجج لهجرتها ولا البحث في شئونها بل قال كما نقل عنه : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » فن الدجب أن تنقل هذه الفكرة من المسيحية إلى الإسلام الذي يمتاز بأنه دين شريعة عامة شاملة لأمور الدنيا والآخرة .

وقد ختم الكاتب مقاله بقوله « وإن يكن منكم في هذا المقام خير تقدمونه لهم فهو الصمت ، والصمت الطويل ، وكان أولى به أن ينصح نفسه أولاً بهذه النصيحة فلا يستهزئ بخيار الأمة من أجل فكرة تخاف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين وما هو معلوم من الدين الإسلامي بالضرورة فليستغفر الله وليتذكر قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قوله ما تولى » ونهله جم : لهم ساءت مصيراً . »

وأختم مقالى هذا بقوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ، رواه الشيخان .

على محمد أبو موسى

تقع عن خطأ أو سهو أو إكراه ، وما أهدر آثارها ؛ إلا لأنها وقعت على غير إرادة الإنسان ، أو لأنها جاءت بعيدة عن مشيئته ، وعلى غير تقديره وتفكيره (ص ٢٨٣) ويقال له : إن الإسلام إنما أسقط المؤاخذه في الآخرة على هذه الأعمال ، ولم يهدر آثارها كما يزعم ويمكن أن نصير إلى الآية السكرية « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة .. الآية .

وبعد ، ففي المقال خلط بين الأحوال وخطأ بين المفاهيم ، وتناقض واعتراف بديانات غير سماوية ، واعتراف بأن لها رسلاً ، وفيه كذلك إباحة للردة ، وإنكار الدين لمن يطلع على اختلاف المفتين فيقول : أى دين هذا الذى يأتى بالمتناقضات ؟ وفيه أيضاً قول غير لائق في حق الأنبياء عليهم السلام حيث قرر أن الإنسان ليس له أن ينزل عن عقله وإرادته ولا لنبي ، وفي هذا تجريد للنبي عن العصمة وتحريض لاتباعه على العصيان ، إلى غير ذلك من الهنات التي لو ذهبت أتبعها وأنعمها بالمناقشة لما كفت فيها مقالة ولا مقالتان .

لهذا أدعها لفطنة القارئ الكريم بعد أن كشفت له عن فكرة الكاتب الأساسية التي سبقه إليها مؤلف كتاب « الإسلام وأصول الحكم » منذ تسعة وثلاثين عاماً وليس من العسير على من يتتبع الأحداث التاريخية أن يعلم أنها مستقاة من الخصومات

التراث الإسلامي والحضارة الأوربية للدكتور محمد مختار القاضي

غيبنا فاحشا ، وإذا كان المسلمون سادة هذا العالم في العصور الوسطى .

وكان الدين الإسلامي هو الدين الأوحده الذي لم يداخله الزيف والدين الكامل الذي شرع لسكل أمور الدنيا ، ولزم القصد بين الشدة واللين ، وحض على الأخذ بأساليب العلم ، وصنوف المعرفة ، إذا كانت هذه صفات الدين الإسلامي فالمنطق يقضى بوجوب ارتفاع شأن المسلمين في كافة العصور ، ولكن الذي نراه أن المسلمين تخلفوا عن ركب الحضارة ، فهل هذا صحيح حقا ؟ ، وما هي أسبابه وما هي طرق علاجه ؟ : هذا ما أديم التفكير فيه ، وأنا الآن أفضى لك بما وصلت إليه بعد طول التفكير والتأمل .

لقد انتهيت وأنا أحلل عناصر الحضارة الإسلامية التي بلغت الذروة في العصور الوسطى إلى أن هذه الحضارة كانت تقوم على نوهين من العلوم : أولها العلوم الطبيعية ، ويدخل فيها الكيمياء والطبيعة والهندسة والطب ، والثاني علوم اجتماعية كعلم

دعاني إلى كتابة هذا المقال الموجز أمر أواني دائم التفكير فيه لأنه موجب للحيرة البالغة ، والجواب منه قد يفتح باب العلاج ، ولا شك فإن الأمر الذي أنا بصدده يحمل علة ليس من السهل الكشف عنها ، وبالتالي ليس من السهل برؤها ، فهل أنا مستطيع في هذه العجالة أن أكشف عن هذه العلة وأصف لها علاجا مناسباً ؟ أنا أدعى ذلك ، ولكني لا أستطيع أن أظفر بما يقبه الإجماع على صحة هذه الدعوى .

أما هذا الأمر أو هذه العلة فهو ذلك التناقض الوضع بين تلك العظمة الخالده والمجد الشاخ الذي جاء به الإسلام للعالم في العصور الوسطى وبين ما آل إليه حال المسلمين في العصر الحديث . فالعالم الغربي لا ينظر إلى المسلمين نظرة كريمة ، ولا يرى في بلاد المسلمين إلا أنها مزارع وحقول تمتد بالطعام والشراب والمواد الأولية اللازمة للصناعة . وهو لا يريدنا مجانا أو على الأقل بثمن بخس يغبن فيه أصحابها

وكان في أوروبا كثيرون يحيدون العبرية لإجاده تامة .

لقد هرع إلى مدينة طليطلة هؤلاء المترجمون من الإنجليز والألمان والعليان والفرنسيين واليهود لينقلوا إلى بلادهم كنوز المسلمين في الهندسة والطب والفلسفة والطب وفي التاريخ الطبيعي . وكذلك فعل هؤلاء الغربيون في جزيرة صقلية التي كانت تزهر بالعلوم الإسلامية الرفيعة . وما أن تعلم الغربيون هذا التراث الإسلامي المجيد حتى أخذوا يعملون فيه عقولهم ويطورونه تطورا سريعا ، وقد ساعدتهم على ذلك ما كانوا يرونه أو يسمعون به من آثار المدينة الإسلامية في كل البلاد التي فتحها المسلمون ، وكذلك انتشار المسلمين في كافة بقاع الأرض سواء في الصين والهند أم في روسيا وإيطاليا وفرنسا وأسبانيا وجزر البحر الأبيض المتوسط ، فقد كانت أضواء المدينة الإسلامية تهر الناظرين ، وكانت شهرتها تفرح أسماع هؤلاء الأوروبيين الذين تمنخوا أن يكونوا في مستوى المسلمين ، ولكن مفتاح الحضارة لم يكن بأيديهم حتى استلته الأسبان من أمراء الأندلس المسلمين وطوفوا به في أنحاء أوروبا .

هذا ما فعله الأوروبيون بالعلوم الطبيعية حيث هذبوها وتقدموا بها حتى دانت لهم

الأخلاق والشريعة والأخلاق والاقتصاد السياسي .

وقد برز المسلمون في العصور الوسطى في كافة هذه العلوم بنوعها . فأما العلوم الطبيعية فقد كان مركز الإشعاع الإسلامي لها في الأندلس وبخاصة في مدينة طليطلة حيث كان يهبط إليها المترجمون من كافة أنحاء أوروبا وقد أصبحت هذه المدينة بعد أن استولى عليها ألفونسو السادس عام ١٠٨٥ المركز الذي انتشرت منه الثقافة العربية إلى نواحي أسبانيا وأوروبا . وخلال حكم ألفونسو السابع (١١٢٦ - ١١٥٧) لجأ إليها نفر من اليهود فاجين بأنفسهم من اضطهاد أول خلفاء الموحدين لهم ، عبد المؤمن بن علي ، وتولى زمامة الترجمة الأسقف (رايونديو) وشهر منهم (دومينيكوس جوند يسالني) و (جونداليز) و (يوحنا بن داود الأسباني) ، وكان يهوديا ثم تنصر ، (وابن جبرول) ، و (جيراردو القرموني) و (ميكلا سكوت) الإنجليزي ، و (أندويا) اليهودي و (هرمان) الألماني وغيرهم . وكان المترجمون من اليهود ، ومعظمهم من الأندلس يقومون بترجمة الآثار الإسلامية إلى العبرية ثم ينقل غيرهم النص العربي إلى لغته الأصلية ، ذلك بأن هؤلاء اليهود بحكم إقامتهم في الأندلس كانوا يحيدون اللغة العربية إلى جانب العبرية

المنبتة من القرآن والسنة ، وكيف يفعلون ذلك ولو فعلوه لاعتبروا مسلمين من حيث لا يشعرون ١٤ .

ولقد صادف عهد النهضة الأوروبية انحلالاً خلقياً متعدد الجوانب ، والأسباب في البلاد الأوروبية التي تدين بتعاليم المسيحية ، وإذا كان الدين المسيحي الأصل الذي جاء به عيسى عليه السلام ديناً قوياً يسفند إلى مبادئ عتيقة ، إلا أن البابوات ظلوا يتسلطون على رعاياهم باسم السماء ، ويحكمون الناس بأحط أنواع الغرائز البشرية طوال العصور الوسطى فهم الذين كانوا يبيعون صكوك الغفران لعباد الله ، وهم الذين كانوا يجردون سيف الحرمان على هؤلاء المستضعفين في الأرض فلا يدخل المحروم منهم أرض الجنة ، ولا يعرف ربحهم ، وهم الذين جعلوا من أنفسهم طبقة ممتازة تعلو على طبقة المساكين ، وإن لم تتعال عن استغلالهم .

وإذا كانت هذه المعتقدات الزائفة قد ذهبت بكثير من غياها شمس الحرية الإسلامية التي انبثقت من الأندلس وغير الأندلس ، فإن كثيراً من المبادئ اللاخلاقية بقيت ، بل وازدادت شدة . لقد قام مارتن لوتر بتحرير المعتقدات الدينية من صكوك الغفران ، وقرارات الحرمان متأثراً بالحرية

الأرض ، وظنوا أنهم قادرون عليها ، ثم بدأوا يغزون السماء ، وظنوا أيضاً أنهم قادرون عليها وقد أطمعهم في ذلك أنهم أنطقوا الحديد ونقلوا الصور والنغم عبر البحار وأخضعوا الذرة والكهرباء ، وبالجملة تقدموا بالعلوم الطبيعية التي تلقوها من الأساتذة المسلمين ، ثم زادوا عليها وتصرفوا في فنونها .

ولكن التعصب الديني حال بين الأوروبيين وبين العلوم الاجتماعية الإسلامية حيولة تامة في بعض الأحوال ، وتكاد تكون كذلك في بعض الأحوال ، الأخرى . فالمبادئ الخلقية التي جاء بها الإسلام لم يأخذوا شيئاً منها وأخذتهم العزة بالآثم ، ذلك بأن الأخلاق مرتبطة عند المسلمين بالدين ، عكس العلوم الطبيعية ، لا يرتبط بحشها بالدين .

وكذلك لم يأخذوا بالعلوم الشرعية الأخرى كنظام المعاملات والزواج والطلاق والحدود وغير ما فقد هؤلاء المسيحيين أن يأخذوا شيئاً من غير رؤسائهم الدينيين ، وكيف يأخذون بتعاليم الإسلام في الأخلاق والقانون والعلوم الاجتماعية الأخرى وهم لا يزالون يذكرون تلك الهزائم التي نزلت بملوكهم في الحروب الصليبية على يد الأمراء المسلمين ، لا بأس إذن بأن يفيدوا من العلوم الطبيعية الحرة وينبذوا في نفس الوقت العلوم

هذه هي حال الأوروبيين قريبا من نهاية
العصور الوسطى وبداية العصر الحديث ،
وأنا لا أتطوع بهذا الاستنتاج ولكنه
يشهد عليه شيخ أدباء فرنسا في القرن الثامن
عشر وهو جان جاك روسو ، كتب هذا
السياسي الأديب بحثين : أولهما عام ١٧٥٠
تحت عنوان « هل أدى تقدم العلوم والفنون
إلى تقويم الأخلاق ؟ » ، والثاني عام ١٧٥٤
وعنوانه : « الأسس التي يقوم عليها عدم
المساواة بين الناس » ، وقد قدم هذين البحثين
لى جامعة ديجون وانهى فيها إلى النتيجة
الآتية ، وهي أنه على الرغم من تقدم العلوم
والفنون ازدادت الأخلاق فساداً ، أما حال
المسلمين فقد كانت عجيبة ، فعند ما سلوا
مخلفاتهم للغرب كانت حالتهم السياسية قد
تدهورت تدهوراً ملحوظاً ، وسقط آخر
معاقلهم فى الأندلس فى نهاية القرن
الحامس عشر .

وإذا كان المسلمون قد بقوا فى الأندلس
بعد سقوط دولتهم طوال القرن السادس عشر ،
فإن بقاءهم فيها كان محل اضطهاد من المسيحيين
مثله تماماً مثل الاضطهاد الذى يعانى به العرب
الذين بقوا فى إسرائيل بعد استيلاء اليهود
فى عصرنا هذا ، ولم يأت أول القرن السابع
عشر حتى طرد المسلمون من الأندلس بطريقة
لا يقرها دين سماوى ، ولا وثنى ؛ فأغرق منهم

الإسلامية التى نشرت فى سماء أوروبا ، فإن
(ما كيانى) ضرب فى كتابه الأمير أسوأ مثل
للأخلاق الإنسانية وخاصة فى العلاقات
الدولية .

ولقد زاد الطين بلة أن الأوروبيين فى سبيل
الوصول إلى التقدم العلمى لم يبالوا بالتضحية
بأى مبدأ من المبادئ الخلقية فى سبيل هذا
التقدم فخذوا نساءهم مع رجالهم ، وأصبح
الزوج عديم مجرد وسيلة لإنجاب الأطفال
وقد أدى ذلك إلى انحلال الأسرة
انحلالاً غريباً ، وإذا كانت مظاهر هذا
الانحلال لا تظهر لكثير من الناس فذلك
لسببين :

الأول : انتشار التعليم عندم ، فإن
التعليم يخفف من مضاعفات الأمراض
الاجتماعية .

والثانى الثروة التى هبطت على الأوروبيين
من إفريقيا وآسيا وأمريكا . ومع ذلك فإن
الحروب المتكررة التى مرت بها أوروبا
كحرب الثلاثين ، وحرب السبعين والحرب
العالمية الأولى والثانية ، كل أولئك يدل على
أن المسكيناتية تغلغت فى الأخلاق الأوروبية
تغلغلاً ينذر العالم بفناء قريب ، وبعد أن
كانت العلوم الطبيعية بعيدة التآمر والتأثير
على الأخلاق أصبحت هذه العلوم وسيلة من
وسائل إنسان الأخلاق .

عليه وعلى غيره من خلفاء الإسلام باهتبار هذه العلوم وحسدة لا تقسم ، وأخذ علماء المسلمين ، وخاصة فى الجامع الأزهر يدرسون فلسفة ابن رشد إلى جانب علم التوحيد ، وفقه القرآن ، والسنة ، ومنطق روفوريوس فى كتابه إيساغوجى ، وما عليه من تعليقات المناطقة المسلمين ، إلى جانب السير والمغازى ، وكذلك الفلك وغيره من العلوم الطبيعية .

ظل المسلمون محافظين على تراثهم العلمى ولكن مستوى هذا التراث لم يتقدم ، لأن الأتراك الذين تسلطوا على العالم الإسلامى لم يشاءوا ذلك بسبب عدم ميلهم الطبيعى للعلوم الطبيعية . ويكفى ذلك دليلا ، أنه فيما عدا الفارابى الذى يقال : إنه من أصل تركى لم يصف الأتراك سطوراً واحداً فى الحضارة الإسلامية . ومع ذلك فإن لإخلاص الأتراك لدينهم الإسلامى كان سبباً من الأسباب التى حفظت العلوم الدينية الإسلامية على ما هى عليه إلى أوائل القرن العشرين .

غزا الأتراك أوروبا وبقوا فيها خمسة قرون وفى القرن التاسع عشر بدأ الأوروبيون يؤلبون الدويلات الإسلامية على تركيا شيئاً فشيئاً كما فعلوا فى شمال أفريقيا .

ولم ينتصف القرن العشرون حتى صارت الإمبراطورية التركية وما تضم من ولايات

ما يربو على نصف مليون بين رجل وامرأة وطفل ، وأحرقت المراكب التى كانت تقلهم إلى شمال إفريقيا . ومع أن الأتراك كانوا قد غزوا أوروبا من الشرق وفتحوا القسطنطينية عام ١٤٥٣ ثم توسعوا فى بداية القرن السادس عشر فأخضعوا المجر ، ووصلوا إلى فيينا ، وغزوا إفريقيا من الغرب واستولوا على الجزائر منذ القرن الخامس عشر ، وتونس فى القرن السادس عشر ، وكان فى مكنتهم أن يمدوا يد المساعدة إلى الدويلات الإسلامية المتحضرة فى الأندلس ويردوا للمسلمين كرامتهم إلا أنهم لم يفعلوا ذلك ، ولم يتقدموا لنصرة إخوانهم المسلمين الذين اضطهدوا فى الأندلس بعد سقوطها فى يد ملوك الأسبان ، ولو فعل الأتراك ذلك لتغير وجه التاريخ .

ومن الغريب أن أول العناصر التى بدأت فى هــم وحدة الأمة الإسلامية أيام الدولة العباسية كان عنصر الترك والشراكسة . وكان عملهم فى هذا إيجابياً نشيطاً فلما احتجج إلى نشاطهم فى حجة الأندلس اتخذوا لأنفسهم موقفاً سلبياً عاماً . ولقد صادف الانحطاط السياسى للدولة الإسلامية نفس الحقبة التى بدأت أوروبا ترفع فيها رأسها . ولكن هذا الانحطاط السياسى لم يذهب بالتراث الإسلامى المكتسب فقد حانظوا

شريعة الله التي لم يدخلها ذيف ، ولا شبهة ولا تحريف ، فهذا نابليون بونابرت الذي انتهك حرمة هذه الدولة الإسلامية ومسجدها العظيم « الأزهر » ، والذي أخرج من مصر هو وجنوده وحلفاؤه مذمومين مدحورين ، نابليون هذا لا يحكم مصر ويحكم طائفة أخرى من الدول العربية ، يحكمهم إلى يومنا هذا بقانون وهو قانون على ما أهرق غير صالح حتى في فرنسا ذاتها ، لأنه كان سبيبا في انحلالها من الناحية الاجتماعية ، فهل لنا من رجعة لاستخلاص مدينتنا الحاضرة من الشوائب التي ألصقت بها في جهود الاستعمار البغيضة ، لقد كنا في الماضي مضطرين إلى السكوت وخفض الرأس أمام عواصف أوروبا ، أما الآن فلم يعد لنا هذر بعد طرد المستعمرين وأخذهم بالنواصي والإقدام ، وبعد أن أخذت القومية العربية تبرز من جديد ولكن هذه القومية لن تصفو من شوائبها إلا إذا خلصت من سموم المدنية الأوروبية ، فإن لم نفعل ظللنا في نظر الغرب مقلدين وظلوا أئمة ينظرون إلينا نظرة غير جديرة بالاحترام ، فهل نحن قاهلون ؟ أرجو أن يكون ذلك وإن كان الأمل لا يزال بعيدا .

دكتور محمد مختار القاضي

دكتوراه في الحقوق

ملكنا لانجلترا وفرنسا وروسيا وإيطاليا والبرتغال وغيرها من دول أوروبا .

هنا أبصر المسلمون أضواء أوروبا تسطع في أراضهم فأعجبوا بها كما أعجب الأوروبيون أنفسهم بأضواء المدنية الإسلامية لأب الحروب الصليبية .

وإذن فقد رأوا التساريخ يعيد نفسه ، كما يقول أرسطو ، غير أن هنالك فارقا واحدا ، وإن كان جوهريا فالأوروبيون عندما أخذوا مدنية الإسلام في العلوم الطبيعية رفضوا أن يأخذوا مبادئ الأخلاق الإسلامية لاهتقادهم أنها تعاليم بنيت على القرآن ، وهم لا يدينون به ، والحديث وهم من منكريه .

أما نحن فلم نكن كذلك ، لقد قلدناهم تقليد الأعمى في كل مناحي حياتهم ، لقد أخذنا عنهم ما أضافوه إلى تراثنا في العلوم الطبيعية ، وأخذنا كذلك عاداتهم السيئة التي لا تتفق وتعاليم الإسلام ، بل ولا تعاليم المسيحية الأصلية ، لقد أخذنا عنهم الراديو والتلفون والتلفزيون والقطار والطائرة وهي من وسائل المدنية حقا لأنها تيسر على الإنسان مشقة حياته في حله وترحاله ، وأكسنا أخذنا كذلك الرقص والخمر والميسر وأخذنا ما اعتقد أنه سبب من أسباب النعمة الإلهية علينا ألا وهو الشريعة الوضعية الأوروبية ، وهم الذين رفضوا شريعتنا وهي

الإقليمية في الأدب

لدكتور محمد كامل الفقي

والذين يعيشون في جو الأدب ، ويتابعون أحوال الأمم المنطبعة في نفوس الأدباء المسكابين لأحوال الشعوب وقضاياهم السياسية وما ترسمه في ضمائرهم ، يعرفون حق المعرفة أن الأدباء يحبون في هذه البيئات منفصلين بها . متأثرين بشتى ظروفها . تتم آثارهم الأدبية في كلامهم المنشور أو المنظوم عن حياة هذه الشعوب واضحة ناطقة ، حتى ليخيل إليك وأنت تقرأ هؤلاء الأدباء ، أنك لا تسمع الحوادث بل تبصرها ، ولا تقرأ خبر الأمم بل تكابدها وتشاهدها . وليس لهذا الكلام من تفسير واضح ، إلا أن الأدباء - وبخاصة الشعراء - متأثرون حتماً بالإقليم الذي غدوا بطعامه ، وارتوا من مائه ، ولقوا فيه من ردف الخليفة أو الوالي رياء ، أو عانوا من قبضهما وغل يديهما ما عانوا . ولا يكون من الزعم أن الأدباء الأملح ، أو الشاعر اللهاج ، تنطق في نفسه صورة الإقليم ، وفيها سمات وملاخ وقسمات ، فإذا لوى عنه هنائه إلى قطر آخر فعاش في ربوعه زمناً ، جدت في خواطره سمات وملاخ وقسمات . وكان له في حاله الأولى تعبير ناطق معبر ، يفصح عن شخصيته وشخصية إقليمه ، ثم كان له في حاله الثانية تعبير ناطق معبر ، يفصح عن شخصيته وشخصية إقليمه .

نعني بإقليمية الأدب أن ينم الأدب في إقليم ما ، عن طابع خاص به ، وسمة مميزة له ، وخصائص تفرده مما سواه ... من حيث لفظه ومعناه ، وأسلوبه وخياله ، ووجهة الأدب الخاضعة لأحوال في الإقليم وملابسات تنمى له دون غيره ، من ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ومن بسط كف الحاكم حيناً ، أو جمهورها وشحها حيناً آخر .

وليس من شك في أن الأدباء مرآة أمهه . واللسان المعبر عن حس قومه وشعورهم ، والشاعر بوجه أخص هو المترجم الدقيق لمواظف الناس وأحلامهم ، المحقق ظ دأما لما يجري في نطق أمته ، المستبطن كثير أمّن وغائبهم ونوازعهم ، الذي يشرح فيما يقبسه الإلهام ، ما خفي من المعاني ، وما دق من الأفهام . ولا مرما جعلوا الكل شاعر شيطانا أو فرضوه ، فهو يوسوس إليه من خفاياه ، ويتدسس إليه بسرّه ونجواه . فإذا هو مخصوص بفرط من العلم ، ومزيد من الحس ، وفيض من الصور البديعة . لا يدركها إلا الأذكى والبصراء بأحوال الأمم ، العلماء بما يبنى على المقدمات من نتائج ، وبما تستهدفه كل خاطرة فردية أو جماعية من معاني الخير والشر جميعاً .

الجمال . وانتجعوا الكلا . وخاضوا غمار
الحروب . وكان لهم من المغامرات والمغامرات
والعصبية والجاهلية ما كان ، ليس هؤلاء مثل
الشعراء الذين عاشوا في الحياة العباسية . وفتحوا
على الحضارة أعينهم . وكرعوا مع الخلفاء
والأمراء من اللذائذ والترف وغنوا وطربوا .
وأيسروا من الشعر وكانوا ملوكا له وبه .

وليس بيتة الذين وضعوا الوحش والجل
والخيل والطيور . والجبل والسهل . والحرب
والسلم . كالشعراء المحدثين الذين أشرقت في أعينهم
مظاهر من الحضارة ، والعلم الحديث لم تكن تخطر
على بال الأولين فإذا هم يصفون الطائفة والديابة
والصاروخ والمذيع . وكل طارق جديد .
لقد كان الأدباء والشعراء في ظل المملكة
الإسلامية الموحدة خاضعين لحكم عربي بحيث
في العصر الأموي ، وكانت الدولة عربية
خالصة ، يحوطها الأمويون بسياسات متينة ، فلم
يسمحوا لدخيل أن يقتحم صفوفهم ، وأنفوا
أن يتزوج المولى على إسلامه من عربية ، ومن
تزوجها فجزاؤه أن تطلق منه ، وأن يلقى الجلد
حقوبة ونكالا . . . ومن ثم لم ينفذ إلى الأفق
الأدبي دخيل من فرس أو روم أو ترك أو زنج ،
وبقي المحيط العربي في أغلب الأمر نقيًا من
الدوافع التي تغير وجه الحياة العربية ، فالحكم
عربي في أسلوبه ، وشتى صورته والخليفة عربي
ذواق يهتدى لمواطن الحسن في الأدب ، وينفر
من غشه ومهزوله ، ويتجافى عن الإحسان لمن

ولقد كان الشعراء والأدباء قبل تقسيم
المملكة الإسلامية في العصر العباسي ، وتزايد
أطرافها ، وتوزع سلطانها ، يعيشون في إقليم
واحد ، بعيد الأطراف ، فسمح الأرجاء ،
عاصمته واحدة هي بغداد ، واليد التي تطعم
وتسقى واحدة وهي يد الخليفة .

فالملاسات التي تغمر المملكة واحدة
أو متقاربة . وخصائص السلطان واحدة ،
لأنه سلطان واحد يسيطر على الأرجاء جميعا ،
فالآداب والشعراء يصعدون عن ورد ،
ويحفسون من كأس . ويرى كل بعينه مثل
ما يرى الآخر بعينه .

ولإذن فلا مجال لتفاوت في حس ، ولا سبيل
إلى اختلاف في مشرب ، فالجميع أشباه
في النعمة والبؤس ، وأمثال في الرضا والغضب
وليس بين هؤلاء وأولئك من فرق إلا قدر
ما بين الحس والحس ، والجودة والقببح ،
والسبق والتخلف ، وكم القناعة والطموح .

وبهذه المثابة كان روح الشعر والأدب
واحدا . وطابع الحياة الأدبية على نسق
متفق أو متقارب .

نعم كان للبيئة الواحة المدى . الفسيحة
الأنحاء ، المتميزة بطابع خاص دافع للشاعر
موح إليه ، أثرها الواضح في طبع صور
في إنتاجه الأدبي لا يشق على الفطن الذواق
أن يهتدى إليها ، ويحتل خواصها وظواهرها .
فليس الشعراء الذين عاشوا في الحياة
الجاهلية ومشوا على الرمال وامتطوا ظهور

والسامانية في فارس وما وراء النهر، والزيارية في جرجان وكل منها من العنصر الفارسي .
ورأينا الفزنويين في أفغانستان والهند، وهم من الترك . ورأينا الطولونيين والأخشيديين في مصر والشام وهم من الترك .

ورأينا السلاجقة الأتراك ينهبون أنحاء شتى من المملكة الإسلامية فالسلاجقة العظام يحكمون من سنة ٤٢٩ إلى سنة ٥٥٢ هـ وسلاجقة كرمان يحكمون من سنة ٤٣٣ إلى سنة ٥٨٣ هـ ، وسلاجقة الشام يحكمون بين سنتي ٤٨٧ و ٥١١ هـ ، وسلاجقة العراق وكردستان يحكمون بين سنتي ٥١١ و ٥٩٠ هـ وسلاجقة الروم يحكمون من سنة ٤٧٠ إلى سنة ٥٧٠ هـ .

وبعد أن كانت (بغداد) وحدها العاصمة التي يأوي إليها الأدباء والشعراء ، وتزهر فيها نهضة الأدب والعلم وتختص بالشخصية الأدبية بين بلدان المملكة صار إلى جوارها (القاهرة) و (حلب) و (الرى) و (بخارى) و (نيسابور) و (سمرقند) و (فيروز آباد) و (شيراز) و (همدان) و (أصبهان) .

فليس من الممكن إذن بعد اختلاف الحكم جنسا ، وبعد تباينهم في منح الأدباء والشعراء ، أو انقباضهم عنهم ، وبعد أن صارت العواصم مثابات مختلفة تخضع لعوامل غير متحدة وإن كانت متشابهة أن يكون الطابع الأدبي في هذه الأقاليم واحداً ، وأن تكون خصائصه في كل مصر تماثل الأخرى في سمتها ووجهتها .

لم يكن من الشعراء ذا إحسان ، وللخليفة من مجالس الأدب بيئة خصبة تتطال إليها الأهناق ، وله بصير يبلغ به أن تجد من ديوان الخليفة من يقول للشعراء بيا به : من كان يحس أن يمدح الخليفة بمثل قول فلان فليدخل .

وكم كان في البلاط الأموي ، وفي صدر الدولة عباسية من حوافز تحفز الشعراء والأدباء والفقيين والعلماء على الإحسان والتجويد . وبهذا كان الطابع الأدبي متقاربا ، والأيدى التي تمنح متشابهة ، وآثار الأدباء والشعراء في مضمار الحياة لانتهم إلا عن تفاوت يسير في حدود ضيقة .

فإذا ما انتهت الأمصار المتعددة والأقطار الكثيرة ، والأقاليم المختلفة إلى حكم عربي في بعضها ، وغير عربي في بعضها الآخر . وصار السلطان عليها بيد الفرس والترك فن الختم ن تتفاوت المسحة الأدبية ، وتتباعد النزعة الفنية ، وتجدد الأدب حياة في ظل دولة .

بمكافأة حكمها وولاتها ، كما تجد ذبولا وابتئاسا في ظل دولة أخرى ، باليد المغلولة . والرحم التي لم تكن موصولة بين المادح والمدحوح .

لقد رأينا الأندلس يحكمها الأمويون وهم عرب وبلاد المغرب يحكمها الإدارة العرب ، ورأينا مصر والشام في أسرة الفاطميين العرب ، والموصل وحلبا في سلطان الحمدانيين العرب والعراق يقنازها الفرس (البويهيون) والأتراك ، ورأينا فارس تأكلها الفلفية في كردستان ، وهم عرب والصفارية في فارس ،

ولست أشك في أن نظم الشاهنامة إنما هو من أثر العصبية الفارسية ، ولون من الغزو الشفاني ، ومحاربة لبسط النفوذ على العربية ولغتها .

ومن يدرس منازع الشعوبية ومظاهرها المختلفة ، ير من أساليبها في القرن الثالث الهجري اعتزاز الشعراء بفارصيتهم ، وغير بعيد مسلك (بشار) و (ديك الجن) و (الخريمي) ، و (مهيار الديلمي) ، و (أبي نواس) من قبل . ومن يدرسها كذلك يجد من مسالكهم أنهم عكفوا على التأليف في مناقب العجم كسعيد بن حميد البختسكان الذي كان يدعى أنه من سلالة ملوك الفرس فقد ألف (انتصاف العجم من العرب) و (فضل العجم على العرب واقتخارها) .

و (علان) الشعوبى للفارسي الأصل الذى ألف كتاب (الميدان فى المثالب) وغير هؤلاء كثير ... حرصوا على إبراز آداب الفرس وعبادهم ، وحاولوا جاهدين أن يعولوا كلبة الفرس وآدابهم ...

وليس من شك في أن اصطباغ الحياة الاجتماعية والأدبية بالثقافة الفارسية فى البلاد التى يحكمها الفرس أضفى على الأدب فيها صبغة تبعد فى قليل أو كثير عن مظاهر الأدب فى الأمصار التى استعلى عليها العرب ، ونم الحكم العربى فيها عن للصبغة العربية الخاصة ؟

محمد ناسل دافقى

لقد اهتز الشعر والشاعر فى كنف الولاة العرب فى الدولة الحديانية بالموصل وحلب . وفى الدولة الفاطمية بمصر والشام ، واهتز الشعر والشاعر فى حكم الفرس فى الدولة البويهية والسامانية لبصر الفرس بالآداب وحذقهم اللغتين غالباً . وعملمهم الموصول على خلق جو أدبى لاذ كانوا أصحاب حضارة قديمة ، وملك بآند . وآداب عريقة تداعبهم الأحلام أن يعيشوها بعد موت وفناء .

وقد حدث التاريخ فيما حدث عن الدولة السامانية التى قام حكمها فى تركستان والتى تنمى إلى (سامان بن حنا) الفارسي ، وتعاقب على حكمها عشرة ملوك بين سنتي ٢٦١ و ٣٨٩ هـ أن أحد ملوكها وهو منصور بن نوح الساماني ، الذى قام على ملكها بين (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) استوزر العالم الفارسي (البلهسي) فترجم تاريخ لطبرى إلى اللغة الفارسية .

وأعقبه ابنه (نوح بن منصور الساماني) (٣٦٦ - ٣٨٧ هـ) فافترح نظم الشاهنامة (سفر الملوك) لإيالة الفرس فى الفارسية ، اقترح ذلك على شاعره (الديقيق) فنظم له بعضها . ثم قتل فأنتم نظمها (الفردوسى) من بعده بإشارة من السلطان (محمود الغزنوى) والشاهنامة تتضمن خمسة وخمسين ألف بيت أودعت ما روى الفرس من أساطير وحقائق فى تاريخ ملوكهم منذ أقدم العصور إلى الفتح الإسلامى .

دَوْرُ الْعَرَبِ فِي نَشْرِ الْإِسْلَامِ فِي الْهِنْدِ

لِلْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلَوَانِي

السيف الهندي ، أو د الهندواني ، وكان في الهند ترحاب كبير للعرب تجاراً أو زائرين وكانت العلوم والفلسفة الهندية قد تأصلت جذورهما في بلاد العرب .

وكان العرب يفدون إلى سواحل الهند الغربية قبل قدوم الإسكندر الأعظم بقرون عديدة ، وكانت محصولات الهند تصدر إلى جزيرة العرب عبر الخليج العربي ، ومن هناك ينقلها التجار العرب إلى سوريا ومصر وأما تجار الغرب ، فسكانوا يشتررون تلك السلع من سوريا ومصر ، فيصدرونها إلى بلادهم ، وهكذا كان العرب هم الوسيط بين الهند وبين الروم ، واليونان في ميدان العلاقات التجارية .

وبعد أن لاقى الدعوة الإسلامية نجاحاً وانتشاراً منذ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة اهتمت مئات من قبائل العرب الدين الإسلامي خلال الأعوام التالية وقد دخل سكان اليمن وحضرموت في الإسلام أفواجا ، وكانوا جميعاً من التجار ، وقد وصلت تجارتهم حينذاك إلى قمة الرقي والازدهار ، وكانوا يشحنون البضائع إلى

قال الإمام الشهرستاني ، في كتابه الشهير (الملل والنحل) في معرض تقسيم أهل العالم حسب الأمم والشعوب : د كبار الأمم أربعة : العرب والعجم والروم والهند ، ثم زواج بين أمة وأمة ، وأن العرب والهند يتقاربان نحو مذهب واحد ، وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء ، والحكم بأحكام الماهيات والحقائق ، واستخدام الأمور الروحية . هذا هو الرأي الذي أبداه العلامة الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ - ١٢٥٣ م .

ومن هنا كانت الأمور في الامتين تجري على نهج واحد ، مع أن موجات من الحضارات الكبرى نشأت في كلا البلدين ، وكانت تتطور وتقبل حسب تقلبات العصور ، وهناك دلائل عديدة تدل على أن الأفكار والعقوس والعقائد والمذنبات تنتقل من كلا الجانبين ، وقد كان العرب في عهد الجاهلية يعرفون محصولات الهند ومنتجاتها ، وكانت موضع اهتمامهم البالغ ، وجرت في لغتهم العربية أسماء عدة أشياء هندية مثل : الفلفل والمسك والكافور ، والتبيل ، والفانرجيل ، والصندل وما إلى ذلك ، حتى كان أشهر الأسلحة عندهم

وجاء في «تحفة المجاهدين» ، للشيخ الفاضل زين الدين بن عبد العزيز المعبري المليباري ، عن بداية الإسلام في «ملابار» : «إن طائفة من اليهود والنصارى قد استوطنت في مدينة «كدهنفلور» ، أو «كرانفلور» ، عاصمة «كيرالا» القديمة فاعل اليهود الذين أجلاهم ملك إيران «كخسرو» ، قد هاجروا إلى ملابار ، ووصلوا إليها بطريق الخليج العربي ثم استوطنوا في مدينة «كوتشين» .

وقال الدكتور «فورستر» مستنداً إلى كتاب برتغالي : «إن جمعا من اليهود خرجوا من جزيرة «ميورقة» في الأندلس في سنة ٣٦٩ للميلاد ، وكانوا زهاء سبعة آلاف نفر ، ووصلوا إلى شاطئ «ملابار» ، واستقروا في مدينة «كوتشين» .

وأما النصارى ، فالمصادر التاريخية تشهد أن القديس توماس ، من حواري المسيح عليه السلام ، كان يبشر بالمسيحية ، في أنحاء كيرالا ومدراس ، وتبعه جماعة من الفسطوريين من الشام ومن جزيرة العرب ، وكلدان . وبعد حقبة من الزمن نزلت في شاطئ «ملابار» ، فئة من التجار العرب المسلمين ، في طريقهم إلى سيلان ، ولما علم ملك ملابار خبر وصول هؤلاء ، دعاهم إليه ، واستقعر عن النبي العربي ، فأجاب رجل منهم ، وكان شيخا كبيرا السن ، عن سيرة الرسول عليه

الخليج العربي ومصر والسند وملابار ومعبور سيلان وجاوا والصين ، وغيرها من البلدان النائية ، وفي كل بلد ينزلون فيه قاموا بالدعوة إلى الإسلام ، وينشرون تعاليمه ، بطريقة سلمية ودية ، وبهذه الطريقة وصل صوت الإسلام إلى الهند ، وسيلان ، عقب اقتباض نجره في جزيرة العرب .

ويقول «بزرگ بن شهریار» ، في كتابه عن رحلته البحرية ، الشهير باسم «عجائب الهند» ، في صدد بيانه عن جزيرة سيلان : «فلما سمع أهالي سيلان عن الرسول العربي أوفدوا رجلا ممتازاً إلى جزيرة العرب لاستطلاع حالات دعوة ذلك الرسول الجديد ليبلغهم كما رأى وسمع ، فوصل المبعوث إلى جزيرة العرب في عهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (١٣ - ٢٣ هـ) فتشرف بمقابلة الخليفة ، وتحدث معه عن دعوة الرسول ، وسيرته وجمع معلومات وافية ، ثم عاد إلى سيلان ، ولكن فاجأه الموت في طريقه ، وهو في «مكران» ، وكان معه خادم هندي ، فعاد إلى سيلان ، وأبلغ أهلها عن مشاهداته وانطباعاته ، وبين لهم ما سمع من الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعن أبي بكر الصديق ، الخليفة الأول ، وكذلك قدم تقريراً عن تفاصيل المحادثات التي جرت بينهما وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١) .

المليبارية ، رسالة إلى أقدر بانه وأحيائه ،
ودلهم على عناوينهم ، وطلب منهم أن ينزلوا
في دكدنفلور ، وناشدهم ألا يذكروا لأحد
شيئا عن مرضه أو عن موته ، وبعد قليل توفي
الملك ، ثم توجهوا مع هائلاتهم إلى ملابار
وفور وصولهم إلى دكدنفلور ، عرضوا
خطاب الملك على وزيره ، فأكرمهم وقادتهم
ومنحهم الضيعة والحقول ، وأمدى إليهم
القسميات للقيام بنشر دعوتهم ، وبناء
المساجد ، ودور العلم ، فبنوا في تلك المدينة
مسجدا ، يعتبر أول مسجد شيد في شبه القارة
الهندية ، ثم طافوا في مختلف أنحاء البلاد ،
داعين إلى الله ، وبانين المساجد ، وحاملين
رسالة النور والعرفان .

أما الشيخ زين الدين المعبري . في روايته
فلم يذكر اسم الملك الذي اعتنق الإسلام
كما لم يحدد تاريخ حادثة الملك ، ولكن
المؤرخ الكبير « فرشته » أثبت في كتابه :
أن اعتناق الملك الإسلام ، وسفره إلى
البلاد العربية ، قد حدثا في زمن الرسول
صلى الله عليه وسلم^(١) وفي مكتبة المكتبة
الهندية ، الأثرى بلندي توجد مخطومتان
مخطوطتان ، باللغة العربية ، وفيهما شرح
واق لحادثة اعتناق الملك الهندي ، الدين
الإسلامي ، وقدوم المسلمين العرب إلى منطقة
ملابار ، في ساحل الهند الغربي ، ويستفاد
(١) تاريخ . فرعته ، الجزء الثاني ص (٣٧)

الصلاة والسلام ، وهن دعوته ، ومعجزة
شق القمر ، فصدق الملك بالنبي ، وأسلم ،
وأمر ليهيم أنه سيرافقهم في طريق عودتهم
من سيلان إلى جزيرة العرب ، لمقابلة النبي
الجديد شخصيا ، ولما رجع هؤلاء من سيلان
أمر الملك للشيخ المفد كور أن تعد سفينة ،
تقله هو ومن معه إلى بلادهم ، ثم دعا عشيرته
وأعيان مملكته ، وقال لهم : إني هربت
العكوف على عبادة الله ، والانزواء عن
مشاغل الدنيا ، فلا يقربن أحد مني ، طوال
أيام الأسبوع . ثم وزع أمور الدولة على
رجاله ، وكتب لهم في ذلك وثيقة لئلا ينشب
الخلاف فيما بينهم في شئون الحكم .

ثم ركب هو ورفقاؤه السفينة ، ووصلوا
إلى منطقة « فندرينة » فباتوا هناك ليلة ،
وقضوا فيها نهاراً ، ثم أبحروا منها إلى
« درمغن » ومكثوا فيها ثلاثة أيام ، ثم
واصلوا السفر ، حتى وصلوا إلى « شحر » ،
وهناك أصيب الملك بمرض شديد ، فأوصى
الدعاة الذين عقدوا عزمهم على العودة معهم
إلى بلاد الهند ، لنشر الدعوة الإسلامية فيها ،
ألا يهنوا ولا يمحرنوا .

وكان من بينهم « مالك بن دينار » وشرف
ابن مالك ، و« مالك ابن حبيب » فقالوا للملك :
إننا لا نعرف بلادك ، ولا نعرف ثغورها
ومدنها ، وإنما قصدنا الذهاب إليها لأنك
مفتاح ففسكر الملك مليا ، ثم كتب لهم باللغة

والموعظة الحسنة ، ، حتى برز في أنحاء الهند رجال متفهمون في العلوم الإسلامية ، يستطيعون في اللغة العربية ، قبل الفتح الإسلامي الأول ، الذي قام به محمد بن القاسم الثقفي ، في نحو عام ٩١ من الهجرة النبوية في مقاطعة السند في شمال شبه القارة .

وتوسع نطاق الجهود الفردية التي بدأها الدعاة المسلمون العرب ، لنشر الثقافة الإسلامية العربية ، تحت زمامة مالك ابن دينار ، في جنوب القارة الهندية إلى جميع أنحائها في فترة وجيزة ، حتى بلغ عدد المسلمين فيها رقت تقسيمها في عام ١٩٤٧ - أكثر من مائة (مليون) مسلم ، ساهموا مساهمة فعالة في تكوين مراكز خالدة للثقافة الإسلامية ، وهم غيورون للبادئ الإسلامية ، وهم يسكنون بأهداب الدين الحنيف ، وهم يشكلون اليوم جزءاً حياً من جسم العالم الإسلامي ، الذي الذي يربطه برباط وثيق من الدين والإيمان والأخوة الروحية ، ونوى الآن الارتباط التاريخي الوثيق بين مسلمي الهند وإخوانهم العرب الذين حملوا مشاعل الإسلام في أرجائها ورفعوا رايته في آفاقها ، موطن الأركان ومدعم الأساس ، فليسكن الماضي المجيد ، نبراساً يضيء الطريق إلى مستقبل زاهر ميمون .

محيي الدين المثلوي

للدوس بكية الطب - جامعة الأزهر

من قول الدكتور (برنال) أيضاً ، أن الملك المذكور كان معاصراً للنبي العربي عليه الصلاة والسلام (١) .

وهكذا وصل صوت الإسلام إلى الهند بأيدي العرب ، وكانوا هم طليعة المسلمين الذين استوطنوا فيها ، وأتاروا الطريق لنشر التعاليم الإسلامية ، واللغة العربية ، في روجها ، وتبعهم في هذا الميدان المسلمون الهنود الذين تشبعوا بالدعوة الإسلامية ، والآداب العربية ، ويقول الشيخ زين الدين : « إن احتيطان العرب الأول لم يكن منعصراً في منطقة ملابار فقط ، بل كانت هناك مراكز أهلة بهم في المناطق المجاورة لها . فلما زار (ابن بطوطة) ملابار في القرن السابع الهجري ، وجد مراكز إسلامية عديدة منتشرة في سواحل الهند الغربية ، من « جوا » إلى « كويلون » ، في أقصى جنوب القارة الهندية . ولا يرجع فضل انتشار الإسلام ، والثقافة العربية - في طول البلاد الهندية وعرضاها - إلى الملوك أو الأباطرة الذين قاموا بفتوحات سياسية ، وأقاموا حكومات ودولا ، بل إلى دعاة مصلحين من العرب والهنود ، بطريقة سليمة ، وموعظة حسنة ، وكان رائدهم في ذلك إرشاده تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة

(١) ذكر « برنال » أن اسم الملك جيرمان برومال « كما أثبت ذلك خبره من المؤرخين » .

من أباطيل اليهود للأستاذ محمود شبكه

على الله الكذب، وهم يعملون) واليهود في معتقداتهم وسلوكهم وسائر تصرفاتهم إنما يصدرون عن كتبهم المقدسة، مثل العهد القديم، والتلمود، وأقوال زعمائهم، رغم ما في هذه الكتب والأقوال من المتناقضات والمضحكات، ولنفترض معاً بعض ما جاء في هذه الكتب، جاء في التلمود: إن اليهود أحب إلى الله من الملائكة، وأنهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه، ومن يصنع اليهودي كمن يصنع الله، والموت جزاء الأسمى (١) إذا ضرب اليهودي، ولولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض، واحتجبت الشمس وانقطع المطر، واليهود يفضلون الأعمى كما يفضل الإنسان البهيمة، والأعمىون جميعاً كلاب وخنازير، ويوتهم كحظائر البهائم النجسة، ويحرم على اليهودي العطف على الأسمى؛ لأنه عدوه، وعدو الله، وكل خير يصنعه يهودي مع أسمى فهو خطيئة عظيمة وكل شر يفعله معه قربان لله يشيبه عليه، وأن النطفة المخلوقة منها باقى الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية نطفة حصان

يعتقد اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن عنصرهم من عنصره، وأنهم شعب الله المختار، كما يعتقدون: أن الله منحهم الصورة البشرية تكريماً لهم، على حين خلق غيرهم من طينة شيطانية، أو حيوانية بخسة، وقد تكفل القرآن بالرد عليهم في زعمهم هذا (وقالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه قل: فلم يعذبكم بذنوبكم؟ بل أنتم بشر من خلق يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء) وهم يزعمون أنهم أصلاء في الإنسانية بحكم عنصرهم المستمد من الله، مثلاً يستمد الابن من أبيه، وأن خيرات الأرض كلها منحة لهم من الله وحدهم وأن من عداهم من الناس خاضع لهم، وتحت سيطرتهم، وما دام هذا وضعهم مع غيرهم من الناس، فلا مانع من ارتكاب السرقة والنش والكذب وهتك العرض، وأن هذه ليست بجرائم، بل قربات يثابون عليها وقد أشار القرآن إلى ذلك في سورة آل عمران (ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك، إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا: ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون

(١) الأسمى -- الإنسان غير اليهودي .

وقد غرت هذه التعاليم (موسى شاريت) فوقف في (الكنيسة) يقول : إن إسرائيل لن يكتب لها البقاء ، ما لم تشن حرباً وقائية ضد الدول العربية ، حتى تضمن سلامتها ، وتعد حدودها داخل هذه الدول ، وحتى تحقق الحلم الذي طالما حلم بتحقيقه فلاسفة الصهيونية ، ألا وهو إقامة أمبراطورية إسرائيلية ممتدة، الأرجاء، تفرض سلطاناً قوياً يخافه الجميع .

وفي مؤتمر عقده المحاربون القدماء لمنظمة (الأرجون الإبراهيمية) في ٢٨/١٠/١٩٥٥ قال (مناحم بيغن) زعيم حزب حيروت : يا بني إسرائيل ، يا شباب منظمة الأرجون إن العذر يحيط بنا من كل جانب ، وإننا إن لم نهاجه في دياره ، ونحطم قوته الحربية قام هو وحطم دولة إسرائيل ، وعليكم يقع واجب المحافظة على دوائكم ، وتوسيع رقعتها إن قتل عربي معناه إضعاف أعدائكم ، وتثبيت قد امكم ، فلا تتوانوا في قتل أعدائكم ولا تأخذكم بهم رحمة وشفقة ؛ حتى نقضى على حضارة العرب المزعومة ، ونقيم على حطامها حضارة إسرائيل .

هذه تصريحات لزعهاء إسرائيل ، وكلها تنطق بما انطوت عليه نفوس هذا الجنس من غدر وخيانة ، وحقد على العرب ، ورغبة ملحة في القتل ، وسفك الدماء ، وليست هذه الصفات

(تلمود اورشليم ص ٩٤) سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم (من تفسير التلمود) .

الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الخمر (الحاخام بارانيل) .

أيها اليهود : لأنكم من بني البشر ؛ لأن أرواحكم مصدرها روح الله ، وأما باقي الأمم فليست كذلك ؛ لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة (مناحم الروي) .

بإستطاعتك أن تقتل أفضل المسيحيين (التلمود) لاترهب وجوههم ؛ لأن الرب إلهك في وسطك إله عظيم ومخوف ، واسكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً لا تستطيع أن تغنيهم سريماً لئلا يكثر عليك وحوش البرية ، ويدفعهم الرب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا ، ويدفع ملوكهم إلى يدك ، فتمحوا اسمهم من تحت السماء (ثنية ج ٧ ع ٢١ - ٢٤) .

هذه طائفة من النصوص ، لا تحتاج إلى تعليق فهي واضحة الافتعال والاضطراب ، وهي على ما فيها من ركاكة ، وضعف أسلوب تصور مطامع اليهود ، وآمالهم العريضة ، وما وعدوا به من إرث ، وما أمروا به من غلظة وقسوة ، وما ينظرون من مستقبل حافل بالمجد ، والسيطرة على العالم كله

الجيوش الأجنبية، ويتقدم كمتاجر، ويشتهل بالوساطة، والربا الخطر، ويحتكر التجارة ويرهق الفلاحين، ويجتمع اليهود في أحياء ومجتمعات خاصة، ويحرسون كل الحرص على بقاء جنسهم، وينشئون لذلك دولة داخل دولة، ثم يتملقون رجال السلطة والأمراء ويمدونهم بالمال، ويستظنون بحمايتهم ونفوذهم ويسيطرون على البورصة والاتاج (١) وقد استطاع هتلر أن يحطم اليهود ويسحقهم أفراداً وجماعات بأقصى وأعنف الوسائل والصور، وعانى اليهود في ظل النازية محنة ما عرفت في تاريخهم الزاخر بالآلام والمحن والأمل قريب في أن يكون مصير يهود فلسطين مصير آبائهم وأجدادهم في مختلف العصور: من التنكيل والقشريد، وأن تعود فلسطين لأصحابها ما دام العرب قد تجمع شملهم وتوحدت كلمتهم، وما دامت الجمهورية العربية المتحدة قد وضعت أمام عينيها تطهير فلسطين من اليهود، وعودتها إلى أهلها، كما جاء في الميثاق (والجمهورية العربية المتحدة بالتاريخ وبالواقع هي الدولة العربية الوحيدة في الظروف الحالية التي تستطيع تحمل مسؤولية بناء جيش وطني يكون بمثابة القوة الرادعة للخطط العدوانية الاستعمارية والصهيونية).

محمود شبيكة

بجديدة على اليهود، فلقد وصفهم كثير من أنبيائهم في كتبهم المقدسة بأنهم شعب غليظ القلب، صلب الرقبة، وأنهم أبناء الأفاعى، وقتلة الأنبياء، وما كثرة أنبيائهم إلا دلالة على دناءة أصلهم، وخسة طباعهم، وأن بذور الشر، وعوامل الفساد امتزجت بلحمهم ودمهم، فلا يفيدهم نصيح، ولا ينفع معهم توجيه وإرشاد، وقد سجل القرآن عليهم هذه الظاهرة في قوله تعالى: «ولقد آتينا موسى المكتاب، وقفيناً من بعده بالرسول، وآتيناه عيسى بن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس أفسلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم؟ ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون». واليهود مشهورون بحب المال، والاستغلال وأينما حلوا في بلد نراهم يحاولون التسلط عليه اقتصادياً، فيستغلون البيوت المالية ويشرفون على الصحف والمجلات ودور النشر وشركات الأنباء، وهم يعيشون كالأمراض الطفيلية على الشعوب وحضاراتها مما دعا هتلر إلى احتقارهم، ونفص أساليبهم ونواياهم والتنكيل بهم، فهو يرى: أن اليهود جنس يضطرم بالاثرة. وأنه ذكي، ولكنه مجرد من الابتكار والعارفة، وأنه لم يخلق لنفسه أية حضارة، ولا يحده أي مثل أعلى ثم يصف الطرق التي يقبها اليهودي في دخول المجتمعات الجرمانية؛ فيقول: إنه يحل في أثر

طبائع... وشرائع...

للأستاذ على الخطيب

اللحم، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني)، ونزل قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيعَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ»، فقال القوم: اللهم سلنا واتبعنا!، وتوقفت تلك التجربة نهائياً في الإسلام.

وإنه لمن العيب أن يطلب تشريع من الإنسان أن يضطهد طباعه، أو يقضى على ميوله، وأي استجابة لمثل هذا التشريع تعنى بصورة مباشرة صراعاً مريراً من الكبت والحرمان، والضيق والحقد، يستحيل الإلسان بعدها إلى امرئ. ممتطش للعدوان، ومختلس اللذات في غير حق، ويستجيب لطباعه استجابات شاذة تضربه، وبالجممع، فالطبيعة ستتطلب في النهاية، وتحقق ذاتها، وتؤكد أنها لا تموت.

فكان حقا على الإسلام - دين الفطرة - أن يقف أمام هذه المحاولة، ويقضى عليها، وينذر كل مبتدع إلى يوم الدين أنه على غير سنته، وحسابه على نفسه، وجرم أتباعه عليه: فكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

من حق المرء على هذا الدين ألا يحبس عليه ميوله، أو يجمع فيه فطرته، وإنما يستجيب الإسلام لهذه الميول، وتلك الفطر استجابة وصيئة، تتيح للسلم بحكمتها أن ينال دائماً توافقاً، نظيفاً بين طباعه، والاستجابة لها، توافقاً لا إفراط فيه، ولا تفريط، وفي اتجاه مستقيم، ينجو من الضرر والعدوان، تتحقق الميول، وتؤكد الطباع، وتستوى الشخصية المسلبة بلا انحراف ولا شذوذ.

وقد حرص الإسلام على تأكيد هذا المعنى، والحفاظ عليه حين شمر نعر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقاومة طبائعهم قائلين: ما حقنا إن لم نحدث عملاً؛ فإن النصارى قد حرموا على أنفسهم فنحن نحرّم. وجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح، وحرّموا طيبات الطعام واللباس، وهُمُوا بالاختصاص، وأجمعوا أمرهم لقيام الليل، وصيام النهار ١١.

وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ما بال أقوام يقول أحدهم: كذا وكذا. ولكنني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وأكل

لنالت استحسانا وتقديرا ، لكنها أبت إلا أن تشرع وتخطط ، وتأمر وتحذر ، وتملي المنع لإسلام أغرى الناس بالناس رغباتهم خفية . . وأى الناس . ؟ إنهم كهان البوذية في اليابان ، فقد حاول الأباطرة في عصر كيوتو ، محاولة دينية قصدوا بها أن يؤيدوا قوانين التغذية كما تأخذ بها البوذية ؛ فحرموا ذبح الحيوان وأكله ، ولكن لما رأى الناس أن الكهنة أنفسهم كانوا يخرجون على تلك القوانين خفية . أخذوا يدخلون اللحم لونا شهيا من الطعام ، ويسرفون في أكله . وما لنا نذهب بعيدا إن بودا هو أول من عصا البوذية . وكاد يودى بحياته بعد وجبة ضخمة من لحم الخنزير .

(ج) وفي التاريخ مثال لرجلين : أحدهما أكبر ، أمبراطور الهند في العصور الوسطى الذى أراد أن يحمل الناس كرها على اعتناق دين ، رسم هو خطوطه ، وحدد حدوده ، وصور له وهمه أن دينه يستوعب الأديان جميعا ، فانطلق - وهو الأمبراطور الذى يملك السلطة ، ويحوز القوة - يفرض عقيدته على الناس مؤملا أن يرضى طوائفهم في النهاية ، وفي سبيل ذلك أنزل ببعض الطوائف تشريعات ضد رغباتها ، وأصاب المسلمين في الهند من عنته شيء ، فقد حرم عليهم صيام رمضان ، وحج البيت ، وأغراه

والتاريخ شاهد صدق يؤكد عبث الخروج على منطلق (القصد والاعتدال) في كل حالة اعتبرت (الفطرة) معصية ، و(الاستجابة) لها جريمة ؛ وقص علينا التاريخ طرائف في هذا الباب : (١) ففي الرهينة تبين أن فريقا من رهبان (المادية) الهنود يخلصون لحياة الذئب طوال العام إلا يوما واحدا ، يطلقون فيه لشهواتهم الدنان ، مقبلين فيه على لذة مفرطة يعبون فيها من كل لون وطعم ؛ كما يقول دكتور غلاب (ص ١١٥ فلسفة شرقية) . كذلك لم يمنع مركز البابوية اسكندر بورجيا أن يطلق لشهواته ألف عنان على رموس الاشهاد . حتى بات معلوما للعامة أن لهذا (البابا) ستة أولاد ، أو سبعة غير شرعيين (١) ، ولم يكن عجبا أن تموت دعوة (مانى) في مهدها . تلك الدعوة التى قضى فيها بتحريم الزواج استعجالا لفناء العالم ؛ فأت (مانى) وظل الناس يستمتعون بما أحل الله من زوج وبنين .

(ب) ولقد سلكت أكثر من عقيدة قنادى بالتناسخ ، وتؤمن بالحلول ، أو بطرف منه - طريق تحريم اللحم ، وتفاوتت فيها بينها في تشريع تحريمه ، فمنها ما حرمه أبدا ، ومنها ما قضى بالتحريم فترة ، ولو قد كانت حيا له وسطا ، ترغب في القصد والاعتدال ، (١) ص ١٧١ سافونارولا : دارالكتاب المصرى

فكلن نهج الإسلام خير حافظ للناس ومبق على كرامتهم ، وله فى ذلك نصوص صريحة ؛ يقول تعالى :

« فلا تميزوا كل الميل ، ١٣٩ ، النساء . .
« وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، ١٤٣ ، البقرة ،
« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق . قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون ، ٣٢ الأعراف .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
كلوا ، واشربوا ، والبسوا ، وتصدقوا
من غير خيلة ، ولا سرف ؛ فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده .

هذا الإطار من تعاليم الله ورسوله كفيل ببيان احترام الفطرة ، والعمل على صيانتها حتى يستوى « التوافق » بين الإنسان وطباعه ويتم « الإشباع » ، التنظيف بين المرء وميوله فى أحضان هذه الشريعة السمحة التى وسعت الرغبة ، وحفظت الطبيعة بنهج أصيل يحقق حكمة الحياة على مدار القرون .

على الخطيب

مجمع البحوث الإسلامية

فى ذلك فكر سقيم ، وقوة غاشمة ، وعبثا ذهبت محاولاته ، وحفظ ميتا دون أن تنال روحه عزاء من أى الناس ، بينما كان قصره فى المساء نفسه يتلأأ بفرح إعلان امبراطور جديد وتنفس الناس الصعداء .

والثانى : الحاكم بأمر الله .

وأى الناس لم يسمح بهذا الحاكم الذى أغراه السفة ، لا بمحاولة تغيير عقائد الناس فحسب بل اتجه إلى تغيير ما درجوا عليه من عرف فى العمل أو السلوك . مضطهدا طوائف العمال إذ أمرهم بممارسة عملهم ليلا ، والكف عنها نهارا ، وحد من حرية المرأة ؛ حتى حرم عليها ما أحل الله لها ؛ فأوقف كثيرا من المنتجات التى تخصها من رداء أو زينة ، ونادى بعض أتباعه فى المساجد نداء أنكره المؤمنون ، وقاوموه ، ثم أنتت النهاية ، فمات الحاكم ميتة غامضة ، عادت الحياة بعدما سيرتها الأولى .

ولن يعدم ملتصق التاريخ حقائق فى هذا الباب تؤكد جميعا حتمية النصر للطبع المعتدل والميل الشريف ، وانتصار الحياة لها .

من أجل ذلك يقف الإسلام حاميا منطق « القصد والاعتدال » ، يصونه أن يعبث به أحد أو ينحرف به ضال ، حتى لا يقذف الإفراط بالطبع ، والإسراف فى الميل ، إلى ضرر عارم أشد تدميرا على المجتمع من القمع والاضطهاد .

مايقال عن الإسلام

محمد في مكة

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

في ١٩٢ صفحة . وهو من مطبوعات جامعة
اكسفورد ، ويعد هذا الكتاب الأول
في ثلاثية ، مونجومري وات .

وليس (مونجومري وات) أول من
كتب عن محمد ، إذ سبقه في ذلك كثيرون
من المستشرقين ، ومنذ زمن طويل ،
بعضهم يهاجم محمدا ، ويرميه بأشنع التهم
ويطعن عليه بأقبح المطاعن التي لا تستند
إلى أى حقيقة تاريخية ، وقد انبرى للرد
عليهم جماعة من علماء الغرب أنفسهم
يبعون الدراسة النزيهة عن الهوى . ولذلك
لم يكند يشهد القرن العشرون مشقة حتى
صدرت كتب جديدة تبحث سيرة محمد
بأسلوب جديد ، وانغمه مخالفة ، وإنصاف
أكثر ، نذكر من هؤلاء اثنين يعرفهما قراء
العربية : هما (اميل درمنجم) ، والسير (وليم
مور) . ونود أن نشير إلى أن الیقظة العربية
القوية في القرن العشرين ، مع اقتران هذه
اليقظة بنهضة علمية وتقدم واسع الخطوات ،
إلى شدة الاتصال بين الشرق والغرب ، وتفتح

أصدر الغربيون بشق اللغات كتباً
ودراسات متعددة عن محمد ، النبي العربي
الذي أرسله الله تعالى إلى قومه ، وأمره ببليغ
رسالة الإسلام ، فقام ببليغ الرسالة ، وأدى
الأمانة ، ولقى في سبيل ذلك كثيراً من
العنف والاضطهاد ، في مكة أولاً إلى أن
هاجر إلى المدينة ، فهاجمه العرب في المدينة
وانتصر عليهم في الغزوات المختلفة إلى أن
انتهى الأمر بفتح مكة ، وخضعت بلاد
العرب للإسلام . ولكن محمدا لم يقف
برسالته عند حدود بلاد العرب ؛ بل أوفد
رسلاً بكتب منه إلى : كسرى وهرقل
والمقوقس ، يدعو الناس كافة إلى الدين
الجديد . وبذلك يمكن أن يقال : ن سيرة
محمد مرت في ثلاثة أطوار أساسية ،
في مكة ، ثم في المدينة ، ثم الإسلام وتوحيد
الجمعة ، وطبقاً لهذا التقسيم ، أصدر الأستاذ
« مونجومري وات » ثلاث كتب يدرس
في كل واحد منها مرحلة من حياة النبي .
صدر الكتاب الأول سنة ١٩٥٣ ، ويقع

والفكرية التي بدأها ، ومع أن أوائل الذين ينكرون أن مثل تلك العوامل ، هي التي تحدد وحدها سير الحوادث ، فإنهم مع ذلك لا بد أن يسلوا بأهميتها .

فالجديد في هذا الكتاب إذن : هو العناية ببحث العوامل الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية ، ، وبين صلتها بالحركة الدينية الجديدة التي نادى بها محمد . وهذا منهج لا اعتراض عليه ، بل لا بد منه ، وقد أصبح مألوفاً في الوقت الحاضر عند كتابنا ، الذين يصورون العصر من شتى جوانبه السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية والثقافية والدينية ، قبل الشروع في الكتابة عن الشخصية التي ظهرت في ذلك العصر .

ولما كان المؤلف يكتب بالإنجليزية لطاقتين من القراء ، الطائفة الأولى - وهي الأكثر - الغربيون ، وهم - فيما يفترض المؤلف - من المسيحيين ، والمؤلف كذلك مسيحي ، فقد كان من الطبيعي أن يقرب بعض المباحث الإسلامية إلى ذهن الغربي بضرب أمثلة من المسيحية ، والطائفة الثانية - وهي الأقل - المسلمون ، وقد راعى المؤلف شعورهم ، في معظم المسائل الأساسية التي تمس الدين ، وعلى رأسها القرآن الذي يؤمن سائر المسلمين بأنه كلام الله ، المنزل من عنده تعالى على محمد . لهذا السبب أعلن المؤلف في صدر كتابه أنه لا يود أن يصدر حكماً عن القرآن ،

النوافذ على الدراسات الغربية ، كل أولئك أحدث رد فعل عنيف في مصر ، دفع مفكريها إلى الكتابة عن محمد بأسلوب جديد يتلاءم مع العصر الحاضر ، ويتفق مع مناهج البحث العلمية . وكان ثمرة ذلك ما أصدره هيكل والعقاد وطه والحكيم وغيرهم عن محمد ، ولم يعزف كل واحد منهم على نفس القيثارة ، بل اتجه كل منهم وجهة خاصة فتعددت الانغام تبعاً لاختلاف المناهج التي اتبعها الباحث . فهل بقي بعد كل تلك الدراسات ، الغربية والشرقية زيادة لمستزيد ؟ وهل يمكن أن يأتي كاتب بجديد ؟

تسائل الأستاذ دوات ، هن ذلك ، وأجاب في مقدمة الكتاب بما خواه : أن الحاجة إلى كتابة حياة محمد - من جديد أمر شعر به طلبة البحث في الإسلام (وليلاحظ القارئ أن مونتجومري يكتب للغربيين) وبخاصة أصحاب العقول التاريخية . ليس ذلك بسبب الكشف عن مادة جديدة ، بل لأن اهتمام المؤرخين منذ أواخر القرن التاسع عشر قد اتجه وجهة البحث عن العوامل المادية ، التي تقع في أساس التاريخ ، وهذا يعني أن المؤرخ الحاضر ، الذي يعيش في منتصف القرن العشرين يريد أن يطرح كثيراً من الأسئلة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي كانت قائمة في الوقت الذي ظهر فيه محمد ، مع عدم إغفال الحركة الدينية

وكايتاني في تاريخه من الإسلام، وغيرهم وليس أدري والمؤلف يعرف اللغة العربية لماذا لم يرجع إلى المؤلفين العرب المحدثين، على الأقل إلى هيسكل في كتاب «حياة محمد»، وهو الذي نقل آراء المستشرقين وانبرى لرد عليها بالحجة الدامغة.

أطال المؤلف في وصف حياة العرب في الجاهلية من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والدينية، واستغرق ذلك ثلاثين صفحة من جملة الكتاب البالغ عدد صفحاته مائة وتسعين. ونحن نرى أن هذه المقدمة مطولة على الرغم من أنها دراسة بمنتهى، ينتهى منها المؤلف إلى أن تدهور الأخلاق وانحطاط الدين واصطدام الفرس والروم وازدهار مكة تجارياً، كل ذلك كان تربة صالحة لظهور دين جديد.

ناقش المؤلف مسألة الوحي طويلاً في الفصلين الثاني والثالث، والثاني بعنوان طفولة محمد وشبابه (ودعوته إلى الإسلام)؛ والثالث: بعنوان الرسالة الأولى. وبعد أن تكلم المؤلف عن نسب محمد، ومولده وطفولته وزواجه من خديجة، شرع يتحدث عن بعثته، وبدأ بإيراد حديث لوجي عن ابن شهاب الزهري عن هروة عن عائشة، رواية الطبري في تاريخه؛ وكنت أحب لو أن المؤلف رجع في هذا الحديث إلى البخاري ومسلم وغيرهما، وبخاصة لأنه يناقشه، مناقشة

فلا يذكر «قال الله...» ولا «قال محمد...» بل «جاء في القرآن...»، وسناقش هذه المسألة بعد قليل.

ويزعم المؤلف أنه أصدر كتابه أولاً، وقبل كل شيء للبورخ، لا للسيبجي أو للمسلم، وبهذه الصفة، فإنه يتجرى الحق وحده، ولا يتحيز. ولكن بين حين وآخر، يعلن أنه مسيحي، وأنه مؤلف، وأنه موحد، فهو بذلك لم يستطع أن يتخلص تماماً من تحيزه للمقيدة التي نشأ عليها، وأن يتجرى الإنصاف كثورخ فقط.

وكتب المؤلف خمس صفحات من المصادر. وفي مثل هذا البحث، لاشك أن قيمة المصادر وتقييمها ضروري. وأول مصدر يعتمد عليه هو (١) القرآن، وهو الوحي الذي تلقاه محمد (كما يعتقد) من الله، وكما يعتقد الموضوعه بين قوسين من كلام المؤلف، أي أي كما يعتقد محمد.

ثم بعد ذلك (٢) سيرة ابن هشام (٣) تاريخ الطبري (٤) مغازي الواقدي (٥) طبقات ابن سعد (٦) صحيح البخاري ومسلم، ومسند ابن حنبل (٧) أسد الغابة لابن الأثير، والإصابة لابن حجر.

هذه هي المصادر الأساسية التي رجع ويرجع إليها كل من يريد الكتابة عن محمد، مستشرقاً غريباً، أو كاتباً عربياً. ثم يشير المؤلف إلى مؤلفات غريبة مثل: كتاب السير (وليم مور)

مع ما نأخذه من سورة النجم : « والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . عليه شديد القسوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد وآه نزلة أخرى هند سدرة المنتهى ... » .

ويعلق المؤلف على الآيات السابقة بأن التفسير الجارى عند المسلمين ، أن هذه الرؤى خاصة بجبريل ، ولكن هناك أسبابا تجعلنا نظن أن محمداً فسر في الأصل أن هذه الرؤى خاصة بآله نفسه . ذلك أنه لا يوجد أى ذكر لجبريل في القرآن حتى نزول الوحي بالمدينة . نقول : إن الخوض في تفسير القرآن مدعاة لمزالق كثيرة ؛ إذا صدر عن الأعاجم الذين يجولون اللغة العربية ، ويتلففون عليهم بالقرآن عن الترجمات الإنجليزية له . وفي اللغة العربية أسرار لا يعرفها إلا أصحابها . والقرآن يفسر بعضه بعضا . وطبقا لهذه القاعدة ، فسر المسلمون « إن هو إلا وحي يوحى ، عليه شديد القوى ، أى الملك ، وهو جبريل . لأن آله يقول في موضع آخر من القرآن (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا ، فيوحى بإذنه ما يشاء) فهذه قاعدة قرآنية في

هلبية . وقد قسمه اثنتي عشرة فقرة ، هى (النص الذى نشبته هذا عن البخارى) .

(١) أول ما بدى به رسول الله (ص) من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

(ب) ثم حجب إليه الخلاء ، وكان مخلو بغار حراء ؛ فيتحنث فيه الليالي ذرات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة . فيتزود لمثلها . حتى جاءه الحق (THE TRUTH) وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال ...

وتعقبنا على رواية الحديث ، أن المؤلف اعتمد على رواية الطبرى ، ولم يناقش الروايات الأخرى ، مع أنه شرع ينقد الحديث ، وسياقه ، وإسناده .

ويبدو أن الترجمة خطأ ، فالمؤلف يترجم « الحق » في هذا الموضع بقوله Truth ، أى ما يقابل الباطل ، المقصود بهذه اللفظة في الإنجليزية « الله » . ولكن الحق ههنا تعنى القرآن ، أو الوحي . ورواية البخارى « جاءه الحق ، فجاءه الملك ، والملك جبريل . يقول المؤلف ص ٤٢ : « ليس ثمة أسباب جيدة للشك في الفكرة الرئيسية الواردة في الفقرة « ١ » ، نعى أن تجربة نبوة محمد بدأت بالرؤيا الصادقة . وهذا يختلف تماما عن الأحلام ... وما جا . في الفقرة « ١ » يتطابق

و بناء على ذلك لا معنى للإصرار على أن الحق هو الله ، وأن الله هو الذى جاء إلى النبي ، أو أن النبي رآه ، ولا يحتمل حديث الوحي هذا التأويل ، ولا كذلك سورة النجم . ولا نود مناقشة التعليق على حديث الوحي فقرة فقرة ، ولما طال بنا الكلام ، واحتاج إلى مجلدان . ولكننا مع ذلك نشير إشارات عابرة إلى بعض أمور استوقفت أنظارنا :

يذهب المؤلف إلى أن (اقرأ ، وقرآن) ، ينتميان إلى ذلك المعجم الدينى الذى أدخلته المسيحية إلى بلاد العرب ، وأن الفعل (قرأ) يدل : إما على القراءة ، أو تلاوة النصوص المقدسة ، على حين أن « قرآن » مأخوذ من السريانية (قريانا) التى تدل على القراءة أو الدرس الدينى (صفحة ٤٦ - ٤٧) . وهذا الكلام مأخوذ من المستشرقين ، وليس جديداً ، وقد نقله عنهم كما ذكر ، والذى استوقفنى حقاً أن هذين اللفظين بما أدخلتهما المسيحية ، ولماذا لا تكون اليهودية ؟ لو أن المؤلف كان يهودياً ، لزم أن اليهود هم الذين أشاعوا اللفظ ، ولست أدري لم لا تكون العربية أسبق من تلك الأصول كلها ؟ وقد كانت في بلاد العرب مدنية قديمة ، بحكم موقعها الجغرافى بين الشرق والغرب ، وقد كانت هناك حضارة في القرنين مزدهرة منذ

الوحي ، تتنافى مع قول المؤلف : إنه يعتقد أن محمداً كان يتلقى الوحي رؤيا (vision) من الله مباشرة ، لا عن الملك . وأين هي هذه الأسباب القوية التى يزعمها المؤلف ، مع أن المصادر هي القرآن ، والحديث . ونحن نرى أن الذى ضلل المؤلف اعتماده على الحديث الذى أورده الطبرى ، وإغفاله رواية البخارى ، مع العلم أنه رجع إلى البخارى في فقرات أخر من الحديث . ولو أنه اعتمد روايه البخارى لاختلف حكمه ، لأن هذه الرواية تضعف « الملك » صراحة بعد قوله فجاءه الحق .

والعجب أننى لم يخطر ببالى أبداً - وأنا أقرأ الحديث في أصله العربى - أن أفسر « الحق » في هذا الموضع بأنه « الله » وفهمت منه على الفور أنه الوحي ، أو القرآن . ومن المعروف أن الحق اسم في القرآن ، للقرآن . ولكن المؤلف يريد أن يوجه التفسير وجهة تتفق مع هواه ، وتختلف مع الجارى في اللغة والمأخوذ من جملة القرآن . فيقول إن « الحق » في طريقة التعبير عن الله . والحق يستعمل في القرآن استعمالات مختلفة ، فهو اسم من أسماء الله ، « تعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » ، أو هو القرآن « بل هو الحق من ربك لتتذكر قوما ... » أو هو الحق في مقابل الباطل ،

في صدق محمد، وأمانته؛ إذا وجب أن نفهمه على الإطلاق، وإذا كان علينا أن نصحح الأخطاء الموروثة من الماضي، فلا بد أن نتمسك بأن محمداً كان أميناً صادقاً، حتى يثبت لنا العكس نهائياً، وهذا أمر عسير جداً في مثل هذا البحث.

ومن قبيل نقد المفتريات التي يلصقها المستشرقون بمحمد، قولهم: بأنه كان هرطقة لنوبات من الصرع، وأن القرآن الذي كان ينطق به هو نتيجة هذه النوبات، وقد نفى المؤلف (ص ٥٧) صحة هذه التهمة، على أساس أن الأمراض التي تذكر في كتب السيرة لا تنطبق على أعراض الصرع الذي يؤدي إلى الضعف والتهافت، على حين أن محمداً في أثناء الوحي كان ماله كالقواء كلها، ونضيف إلى ما ذكره المؤلف أن هيكل في حياة محمد، فقد هذه التهمة تفصيلاً، وبين بطلانها من الناحية العلمية.

الخلاصة: أن موقف المؤلف من القرآن هو قبوله، على أنه وحى إلهي أنزل على محمد، على سبيل الفرض العلمي الذي لا يمكن بدونه تفسير الحوادث التاريخية التي وقعت في القرن السابع الميلادي، في تلك الرقعة من الأرض تفسيراً صحيحاً.

وقد زلزل هذا الدين الجديد قواعد النظام الجاهلي تماماً، اجتماعياً وأخلاقياً وفكرياً

قديم الزمان، ولا شك أن الكتابة كانت معروفة، وبالتالي القراءة.

غير أن المؤلف يقول في ختام مناقشته الحديث بدء الوحي (صفحة ٥٢) إنه على الرغم من وجود شكوك كثيرة حول الظروف المحيطة ببداية الوحي، إلا أن الموازنة بين الأحاديث وتصفياتها تؤدي إلى صورة عامة تبعث قدراً معقولاً من الثقة بها، حتى لو ظل كثير من التفصيلات وبخاصة عن التواريخ غير مؤكدة.

ثم يهتني المؤلف إلى مناقشة إخلاص محمد في شعوره بالنبوة.

وقد دافع المؤلف عن محمد، مقبلاً دفاعه على حجج جديدة، أولها: أن مقالة كارليل عن محمد في كتابه «الأبطال»، جعلت الغرب يتجه نحو الثقة بإخلاص محمد.

وثانيها: أن تحمله الاضطهاد في سبيل عقيدته مع الروح العالية عند أصحابه الذين آمنوا به، إلى جانب عظمة الدين الجديد، كل ذلك يؤكد صدقه.

وثالثها: أننا لو افترضنا عكس ذلك، وقلنا إنه لم يكن نبياً بل مدعياً لوقعنا في مشكلات يصعب حلها.

ورابعها: أن الغرب ظل قروناً طويلة يشيع عن محمد وعن الإسلام صورة مشوهة مسرفة في البعد عن الحقيقة، وقد آن الأوان أن نعتقد

اهتم أول الأمر بتأكيد الإيمان بالله واحد ،
وبيان ما أمر به ونهى عنه على الجدية ، مع
الوعد بثواب المؤمن ، والوعيد بعقاب الكافر
في الآخرة ، إما بنعيم الجنة أو بنار جهنم ،
وجاء الدين الجديد بمفهوم أخلاقي جديد ،
هو التزكية ، وأمر الفرد أن يتزكى ، ثم
مع توالى نزول القرآن ، تطور هذا المصطلح
إلى مفهوم آخر مثل الإسلام ، أى
الاستسلام لله (ص ٧٦) .

إن مناقشة الأتلاقيات القديمة والجديدة
وكذلك مفهوم الإسلام ، وهل تطور
عن التزكية ؟ لا تكفى فيه هذه الصفحات
القليلة ، ولكننا نقول مع الإيجاز الشديد :
إن القرآن أتى بمفهوم أخلاقي ليس هو الدين
ولكنه تابع للدين ، وهذا المفهوم هو
« التقوى » ، وهو مصطلح قرآني مستمد ،
بحسب المنهج الذى يريد المؤلف اتباعه .
من أول نزول القرآن تاريخيا ، إلى تمام
كمال النزول ، فى سورة العلق ، أول ما أنزل
من القرآن ، يقول الله : « أرأيت إن كان
على الهدى ، أو أمر بالتقوى ، « وفى أول
سورة البقرة وصف للقرآن ، وأنه (هدى
الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ،
المتقين وبما رزقناهم ينفقون) .

ولقد جاء القرآن بحل للمشكلة الاقتصادية ،
وعلاج الحال السيئة التى انتهت إليها المجتمع

و دينيا واقتصاديا . فن الناحية الاجتماعية
اضطرب ذلك النظام بين تضامن قائم على
علاقة الدم والقربا ، وبين تضامن قائم على
المصلحة التجارية بعد أن أصبحت مكة مركزاً
هاماً للتجارة بين الشمال والجنوب ، ولكن
هذه العلاقة الجديدة التى ظهرت فى مكة
نفخت فى نار الفردية ، واضممت الروح
الجماعية ، بما أدى إلى زيادة غنى الأغنياء ،
وزيادة فقر الفقراء ، وهى الحال التى أطال
القرآن فى وصفها ، ولما كان الحل الجاهل
الجديد ، نفى علاقة المصالح المالية لم ينفى
عن علاقة الدم القديمة ، فقد جاء الإسلام
بحل آخر يقسوم على الدين . وما يأمر به من
صدقة وإنفاق على الفقراء (ص ٧٢-٧٣) ،
ومن الناحية الأخلاقية ، كان المثل الأعلى
الأخلاقي للعربى فى الجاهلية هو « المروءة » ،
ولم يبد هذا المثل الأعلى صالحاً فى الحياة
التجارية الجديدة ، وكان الدفاع فى الجاهلية
عن المروءة دفاعاً عن شرف القبيلة ، وكان
الشعراء هم الناطقين بلسان قبائلهم فى الدفاع
عن هذا الشرف حين يفخرون بالمروءة ،
التي تضم بين جناحيها الشجاعة فى القتال ،
والصبر على النوائب ، والاعتماد بالثأر ،
وحماية الضعيف والوقوف فى وجه القوى ،
وكانت المثل الأخلاقية التى اتخذها أهل
مكة قدوة مثلاً منهازة فاسدة فلما جاء الإسلام

(محمد والمشكلة الاجتماعية لأصول الإسلام)
وقد أشار المؤلف - موتجمري وات -
في مقدمة كتابه الثالث (الإسلام وتوحيد
المجتمع والصادر سنة ١٩٦١ ، إلى هذا النقد
قائلا : (لقد أكد كتاب (محمد في مكة)
بوجه خاص منزلة العوامل الاقتصادية عند
أول ظهور الإسلام ، وعلاقة هذه العوامل
بأفكار الإسلام الأساسية . وبسبب هذا
التأكيد ذهب النقاد - من أصحاب اليمين
واليسار على السواء - إلى أن في الكتاب
نزعة ماركسية ...) .

إذا كان هذا رأى النقاد الغربيين ، فنحن
نرى خلاف رأيهم ، ذلك أنهم يصرون عن
هوى وعصية ضد الكتلة الشرقية . أما نحن
العرب المسلمين ، فوقفنا الفكري هو أننا
كتلة لاغربية ولا شرقية ، لها كيانها الخاص
النابع من تاريخها ومن دينها . ومن خلال
هذا التراث الإسلامى ننظر إلى الأمور ،
فنقول : إن مفكرينا قديما ، وحديثا ،
ربطوا بين الإسلام والأحوال الاقتصادية
وكيف حل الإسلام هذه المشكلة . والقرآن
نفسه يصور أحوال العرب الاقتصادية
في الجاهلية أبلغ تصوير ، ثم دعا الناس إلى
الإيمان بالإسلام ، وما شرعه من فروض ،
إذا اتبعت تحمل أزمة المجتمع والإنسان .
(البقية على صفحة ٧٦٢)

في مكة ، وانفصاله إلى طبقتين متباهتين ،
طبقة الأغنياء المهرفين في الفنى ، والفقراء
المصدمين .

على هذا النحو من المناقشة التى تعتمد على
الأصول والنصوص ، والى يضطر المؤلف
إلى ترجمتها الانجليزية لتحليلها ، والموازنة
بينها ، يمتضى فى الفصل الرابع يستعرض أول
أسلم ، مع ربط هؤلاء الذين أسلموا بقباثلهم
من وعشائرم ، مثل هاشم ، والمطلب ،
وعبدشمس ونخزوم ، وتيم ، وزهرة ، وغيرهم .
وهو تحليل مفيد ، ودراسة منهجية جيدة .

ويتعلق الفصل الخامس بنمو المعارضة
لدعوة محمد ، حتى إذا اشتد العرب في إيذائهم
المسلمين أمرهم محمد بالمجرة إلى الحبشة .
ولما شرع أهل مكة يعتدون على محمد نفسه ،
ويؤذونه ، ثم قرروا التخلص منه ، أمره الله
بالمجرة ، ذهب أولا زهاء سبعين من المسلمين
ولم يبق في مكة سوى : أبوبكر وعلى ، وآخرأ
هاجر محمد بصحبة أبى بكر .

وبهذا ينتهى الكتاب الأول من ثلاثية
موتجمري وات .

وبعد صدور هذا الكتاب بالانجليزية
سنة ١٩٥٣ ، تناوله النقاد بالتعليق ، فكتب
عنه الأستاذ (بوسيك) فى مجلة هباريس
سنة ١٩٥٤ كلة بعنوان (تفسير ماركسى لأصل
الإسلام) . وكتب الأستاذ (رودنسون)
سنة ١٩٥٧ مقالا فى مجلة (دوجين) بعنوان

الكتب

نقد وتعريف : محمد عبد الله السواد

كتاب المعراج للقشيري :

تحقيق الدكتور علي حسن عبد القادر
عميد كلية الشريعة

هذا الكتاب الذي نشرته دار الكتب الحديثة ببغداد، يقع في أكثر من مائة وثلاثين صفحة، ألحق بها ملحقان: أحدهما في تحقيق الأحاديث المراجعية، والآخر في معراج أبي يزيد البسطامي، لأبي القاسم العارف، وليس لأبي القاسم الجنيد حيث نسبت إليه خطأ كما يذكر الدكتور علي حسن عبد القادر. وقد كتب الدكتور مقدمة عن المعراج، وآراء العلماء القدامى المختلفة، وذكر أن تراث الإسلام الروحي قد تأثر بهذه القصة تأثيراً بليغاً، ونعني بهذا التصوف الإسلامي الذي ألهم كثيراً من أهل الشعر والفلسفة والأدب، وأضاف للإسلام كنوزاً ثمينة، وآداباً إنسانية خالدة، وحكمة شرعية، وفناراتها، ثم قدم ترجمة موجزة عن القشيري الذي ولد عام ٣٧٦ هـ، وتوفي عام ٤٦٥ هـ، وعن مؤلفاته الموجودة والمعدومة، والتي بلغت ثلاثة وعشرين كتاباً، أشهرها الرسالة

القشيرية المعروفة، ثم ختم المقدمة بكلمة عن أصل مخطوطة المعراج، التي تطبع لأول مرة وذكر: أن أصل هذه المخطوطة محفوظ بمكتبة (بانكيبور) بالهند، ولها صور فوتوغرافية بمكتبة المكتب الهندي بلندن وقد نقل هذه المخطوطة وأرسلها إلى الدكتور علي حسن عبد القادر الأستاذ الدكتور (آبري) أستاذ الأدب العربي بجامعة كبريج. أما كتاب المعراج نفسه، فقد تناول القشيري فيه شرح معنى المعراج عند أهل اللغة، واختلاف العلماء في أحكام تفصيلية في الإسرائ والمعراج، ومذاهبهم في المعراج وتناول اختلافهم في وقوع المعراج لصغير نبينا، وفي وقوه للأولياء، كما تناول ما اختص نبينا في ليلة المعراج، وما ورد في معارج إبراهيم وإلياس وموسى وهيسى عليهم السلام، واختتم الكتاب برؤية النبي لربه ليلة المعراج، ثم السر في المعراج من بيت المقدس لا من مكة.

من القطع الصغير، تناول المؤلف فيه الطب عند الأمم القديمة، عند المصريين القدماء.

ولكنه احتمال على الله وملائكته في معراجهم
ويذكر القشيري : أن إبليس خرج من موضع
قدم موسى ، في وقت ما كان يسمع الخطاب من
الله سبحانه ، فوسوس إلى موسى ، وقال له :
ما يؤمنك أن الذي يخاطبك غير ربك ؟
ولكن جبريل ألقاه بعيدا ، وقال : تهسر أن
تقرب منه في هذا الوقت ؟ فقال إبليس : أنا لم
أبال أن أخرجت أباه من الجنة ، فأبالي أن
أوسوس إليه في هذا الوقت ؟ .

هكذا يفرقنا القشيري في جو من الأساطير ،
ولا سند له في رواياته ، اللهم إلا ابتكار
الخيال نفسه . .

وبعد - فطبع مثل هذا الكتاب لا يفتح
أرباع المثقفين بأنه إحياء للتراث الإسلامي
المجيد الذي بعث بهادته الفنيه وأصالته ، والروح
العالية في نفوس الأدباء والشعراء والحكماء
كما يذكر أستاذنا الدكتور علي حسن هبند
من القادر ، فقرأنا الإسلامى المجيد لم يكن صورا
الموس والخيال الخصب والقصص المختلفة . .

كتب جديدة

الطبيب

تأليف : د. محمد عبد الحميد البوشي

الناشر : المكتبة الثقافية

يقع الكتاب في اثنتين وستين ومائة صفحة
من القطع الصغير ، تناول المؤلف فيه الطب
هند الأمم القديمة ، وهند المصريين القدماء .

لو أن القشيري اقتصر في كتابه على
الأحاديث الصحيحة الواردة في المعراج ، أو
حتى على التفسيرات المقبولة للآيات القرآنية
التي اتخذت دليلا على معراج الرسول لكان
لكتابته تقديره - وكان علينا أن نتقبله
برحابة صدر .

إلا أن القشيري رحمه الله سلك طريقا في
رصد الأخبار التي لا مصدر لها إلا أفواه
بعض المتصوفين وخيالاتهم ، حتى ليخيل إلى
القارى أن القشيري أضنى على المعراج لونا
أسطوريا لعب الخيال فيه دورا رئيسيا .

فالقشيري يقول كثيرا في الكتاب : سمعت
الأستاذ أبا علي الدقاق يقول ، ويقول بعض
العلماء ، وقيل ، ثم يعتمد هذه الأقوال التي
لا مصدر لها إلا قائلوها حجة مسلما بها .

عما ينسب إلى الرسول : رفعت لنا سدة
المنتهى ، فانتبهنا إليها ، وإذا ساقها ذهب أحمر
وقضبانها لؤلؤ أبيض ومرجان وحقان وفضة
وعلى كل قضيب سبعون ألف ورقة ، ما بين
الورقة والورقة مسيرة أربعين عاما ، ورقها
زمردا أخضر مثل ريش الطاووس في الحسن
الورقة منها تظل الدنيا ، على كل ورقة ملك
كأن وجهه الورق ، مكتوب على جباههم :
سكان سدة المنتهى . .

وعما ينسب إلى إدريس عليه السلام أنه
أول من عرج به إلى السماء من الأنبياء ،

صفحة من القطع الكبير ، بحث فيه المؤلف :
ما قبل خلق السموات والأرض بخمسين
ألف سنة ، ومعنى خلق الله آدم ، وقصة
الصراع بينه وبين إبليس ، والمجادلة بين
روحى آدم وموسى ، وهل كان إبليس من
الجن أو من الملائكة ، وهل الجنة التى خرج
منها آدم ، هى جنة الخلد أو جنة الأرض

وقد اعتمد المؤلف فى دراسته لحياة آدم
عليه السلام على كتب التفسير المختلفة ،
وناقش كثيراً من آراء المفسرين .

مختصنا العربى كما ينبغي أنه يكونه :

تأليف : أحمد محمد جمال

الناشر : رابطة العالم الإسلامى

هذا الكتاب على إيجازه ، قدم لنا موضوعاً
على جانب من الأهمية ، فالتيارات الدخيلة
التي تسلك إلى العالم العربى ، أضعفت كثيراً من
القيم التى كانت تسود المجتمع العربى ، ووجدت
أجهزة الإعلام كلها مسخرة لها فى نشرها .

وبعد أن كشف المؤلف الستار عن تلك
التيارات الدخيلة ، رأى أن يقوم مجتمعنا
العربى على أسس أربعة : هى نفس الأسس التى
قام عليها المجتمع الإسلامى : أولاً : أن الحاكم
المسلم خليفة الله فى تطبيق شريعته بين خلقه ،
وثانياً : وحدة المحكومين وحريةهم ،
وثالثاً : الشورى ، ورابعاً : حرية الاقتصاد .

عند الكلدانيين ، والبابليين ، والآشوريين ؛
ثم الطب فى الإسلام فى مختلف عصوره ،
كما عرض المؤلف نماذج من الأطباء العرب
والمسلمين ، وما أسدوه للإنسانية والبشرية
من أباد يبعث خلداهما التاريخ .

رجال حول الرسول :

تأليف : خالد محمد خالد

الناشر : دار الكتب الحديثة

صدر الجزء الثانى من كتاب : رجال حول
الرسول ، ترجم فيه الأستاذ خالد لأحد عشر
صحابياً جليلاً ، هم .

حمزة بن عبد المطلب ، وعبد الله
ابن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وعمار
ابن ياسر ، وعبد الله بن الصامت ، وخباب
ابن الارت ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعثمان
ابن مظعون ، وزيد بن حارثة ، وجعفر
ابن أبى طالب ، ثم عبد الله بن رواحة .

والواقع أن المؤلف قدم لنا دراسات
مركزة عن هؤلاء الرجال الأفذاذ . امتازت
بالتحليل العميق والكشف عن قيم عليا رفيعة
كل منهم ، ويقع الكتاب فى ست عشرة
وما تى صفحة من القطع المتوسط .

حياة آدم :

تأليف : محمود شلبى

الناشر : مكتبة القاهرة

يقع هذا الكتاب فى مائة وست وعشرين

فتاوى مختارة

نقدبم : ابراهيم محمد الرضيل

(الاجابة للجنة الفتوى)

الجواب :

ما تسأل عنه من شأنه إثارة الغرائز والإيقاع في الفتنة ، ولا حاجة تدعو إلى أن يقوم به رجل ، فغيره من النساء يصاح له فلا يحل له أن يتخذ مهنة ، تسترزق منها وواجبه أن يتخذ طريقا آخر للرزق غير هذا والمحافظة على دينه تحتم عليه أن يتخلى عن هذا العمل .

السؤال :

١ - هل يصح ذبح البقرة إذا مات والده الزوجة أو والدتها ، وإطعام الطعام عند أهلها كما هي العادة في بلادنا ؟

٢ - هل يجوز أن تغني المرأة العروس مع ضرب الدف ، والرقص والتصفيق ؟

٣ - هل يجوز ضرب الدف مع التصفيق أو بغير التصفيق ؟

٤ - هل يجوز عمل المولد للنبي صلى الله عليه وسلم على أرض اليتامى إذا كان ينتفع منها اليتيم أو لا ينتفع منه ؟

شرب الدخان :

السؤال :

ما حكم الشرع الخفيف في شرب الدخان ؟
حسن الرمي

الجواب :

شرب الدخان إن ترتب عليه ضرر في البدن كان ممنوعا ، وكذا إن ترتب عليه ضرر بالمال ، إلا إذا احتيج إليه لدواء ، فلا يكون ممنوعا حينئذ ، فإن لم يترتب عليه ضرر بالبدن أو المال ، ولم يحتج إليه لدواء ، كان مباحا استصحابا للأصل لأن الأصل في الأشياء الإباحة .

قص شعر السيدات :

السؤال :

صاحب صالون السيدات يقص شعرهن ويصبغه ويكويه ، ويقوم بتزيين العرايس وتزجييع الحواجب -

فما حكم الشرع بالنسبة لذلك ؟

عبد الرؤف عبد الرزاق

السؤال :

في عام ١٩٠٠ اشترى (أ) من (ب) قطعة أرض مساحتها فدان بمبلغ ٤٠٠ جنيه ، وظل المشتري يماطل في أداء الثمن ، حتى تغيرت الظروف الاقتصادية ، فارتفعت قيمة الأرض فأصبح ثمنها ٨٠٠ جنيه في عام ١٩٦٠ ، وهو عام السداد .

هل يسد المشتري بمبلغ ٤٠٠ جنيه فقط أم يسدد بمبلغ ٨٠٠ جنيه وهو السعر وقت السداد ؟ .

فتحى محمد الكشكى

الجواب :

المستحق هو الثمن الذى وقع عليه العقد ، وتغير الظروف وارتفاع قيمة الأرض المبيعة لا يؤثر في صحة العقد ، ولا يغير من قدر الثمن فإنها ارتفعت قيمتها ، وهى في ملك المشتري كما أنه لو انخفضت قيمتها بعد العقد فإن المستحق هو المسمى وقت البيع بدون نظر إلى ما حصل من انخفاض بعد ذلك .

السؤال :

رجل مريض بالربو ، أمره الطبيب بأن يكون دائماً في حالة دفء يخاف من استعمال الماء البارد في الوضوء أن يزيد من مرضه أو يؤخر من شفائه ، فهل له أن يتيمم للصلاة عبد الدائم محمود عبد الله - الإسكندرية

٥ - هل يجوز تقديس بعض الأماكن اعتقاداً بأن ولياً عاش عليها ، أو عبد فيها الله ؟

محمد إسماعيل أبو دانيوس - أرتيريا

الجواب :

عن الأول : بأن ذبح البقرة أو غيرها حين الوفاة بقية التصديق على الفقراء وإهداء ثوابها لليتيم لا شيء فيه ، إذا لم يصحب ذلك حب الرياء والسعنة وكون ذلك في بيت الميت لا مانع منه .

وعن الثانى والثالث : غناء النساء في الأفراح والعروس ، وضرب الدف لذلك لا مانع منه إذا لم يقترن بمحرم من اختلاط الرجال بالنساء ، أو غير ذلك أما الرقص والتصفيق ، فغير جائز ، إذ هو من اللهو غير المباح .

وعن الرابع : بأن عمل المولد النبوى لا مانع منه ، إذا لم يصحبه محرم ؛ وعمله على أرض اليتامى جائز إذا لم يرتب على ذلك ضرر .

وعن الخامس : بأن الأماكن التى ورد الشرع بتعظيمها كشاعر الحج والمساجد وخاصة المساجد الثلاثة لا مانع من تعظيمها ومراعاة حرمتها ، وما عدا ذلك مما لم يرد فيه نص فلا خصوصية له على غيره .

الخطر بالقطع ، أو كان الخطر في القطع أكثر من الخطر في بقاءها ، أو تساوى الخطر في القطع والترك ويعرف ذلك بقول الطبيب العدل العارف .

**النذر المبعي وهل يغير معرفه ؟ :
السؤال :**

نذره احتيج لقيمته في عمارة المسجد الوحيد الموجود بالقرية .
فهل يجوز صرف هذا النذر في عمارة المسجد ؟

وهذا النذر - عبارة عن ذبيحة تذبح كل عام يدعى لها الفقراء ليطلعوا منها ، ويقيموا ذكرا كما هو معروف .
محمد أحمد سعد

الجواب :
مصرف النذر هو ما عينه الناظر بنذره ، وما دام الناظر قد جعل مصرف النذر هو إطعام الفقراء فلا يعدل بذلك إلى صرفه في عمارة المسجد .

السؤال :

١ - ما حكم الشرع في كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية المعروفة ؟
٢ - هل يجوز إمامة رجل يعلم ابنه في المدارس اللاتينية التي يدرس فيها القرآن

الجواب :

إذا تيسر له تسخين الماء من غير مشقة وجب عليه تسخينه ، والوضوء منه ، وما لم يتيسر له ذلك ، أو كان فيه مشقة عليه ، جاز له التيمم بنية استباحة الفرض ، ولا يصلح بهذا التيمم إلا فرضا واحدا ، فكل صلاة تحتاج إلى تيمم مستقل ، نعم يجوز له حينئذ أن يصل مع الفرض تقلا بالتيمم الذي صلى به فرضا .

السؤال :

عندى طفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات ملصق بإصبعه الخنصر اليمنى زائدة تشبه حبة حصص متدلية من آخر الإصبع ، وهذه الزائدة تكبر وتنمو معه .

وأخشى من استفحالها مستقبلا وقد هرستها على أحد الأطباء فقرر قطعها إلا أنني شككت في أن يكون في ذلك حرمة على - لأنه مولود بها .
فما الحكم في قطعها ؟

عبد النبي أحمد غازي

الجواب :

الزائدة التي ولد بها ولدك بجانب خنصر يده اليمنى يجوز لك قطعها ، إذا لم يكن في قطعها خطر أو كان الخطر في تركها أكثر من الخطر ، في قطعها ، ويمتنع عليك القطع إذا اختص

وعن الثاني: بأن تعليم الولد في تلك المدارس من حيث هو تعليم. لا شيء فيه إذا كان خاليا عما يحس العقيدة والدين، غير أن مزج المناهج في تلك المدارس بمحضر تعليم القرآن باللاتينية الذي هو غير جائز، والذي لا يمكن للتلميذ أن يتخلف عنه لأنه يجب عليه أن ينتظم في سلك الدراسة مع أقرانه يحمل تعليم الولد فيها منهاهه إذ أن درء المفساد مقدم على جلب المصالح.

أما لبس البرنيطة فقد أصبح غير خاص بالكفار فلا شيء فيه .
وعن الثالث نفيد بأن استماع القرآن الكريم من جهاز (الرايو) لاشيء فيه؛ بل هو عبادة متى كان عافيا على آداب الاستماع، (وإذ قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون). وهذه الكيفية من القراءة (في الرايو) لاشيء فيها، بل هي من باب د وتعاونوا على البر والتقوى، لما فيها من نشر القرآن الكريم وإذاعته بين الناس لعلهم يهتدون، ولا فرق بين أن يكون ذلك تسجيلا أو من المقرء نفسه في الإذاعة ...

الزواج من مطلقة أبي الزوجة .

المؤال :

تزوج رجل بامرأة، وتزوج والد زوجته بامرأة أخرى؛ وحصلت مفارقة بين والد

أيضا باللاتينية، ويرضى لابنه لبس البرنيطة ما حكم الشرع في هذه المسائل؟

٣ - هل يجوز الاستماع لتلاوة القرآن الكريم من جهاز (الرايو) - وما حكم هذا في الشرع بالتفصيل؟ وما الفرق بين ما إذا كان تسجيلا أم لا؟

بعض علماء اليونان

الجواب :

نجيب عن الأول بأن اللغة اللاتينية غالية من عدة حروف توافق الحروف العربية فلا تؤدي جميع ما تؤديه اللغة العربية بحروفها فلو كتب القرآن الكريم بالحروف اللاتينية على طريقة النظم العربي كما يفهم من الاستفتاء لوقع الإخلال، والتحريف في لفظه، وتبعها تغيير المعنى وفساده، وقد قضت نصوص الشريعة بأن يسان القرآن من كل ما يعرضه للتبديل أو التحريف .

وأجمع علماء الإسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف في القرآن الكريم، يؤدي إلى تحريف في لفظه، أو تغيير في معناه . ممنوع منعا باتا ومحرم تحريرا قاطعا . وقد التزم الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية .

ومن هذا تبين أن كتابة القرآن بالحروف اللاتينية المعروفة لا يجوز، ومن اشتغل بهذا فهو فاسق، وإمامته مكروهة، فإن استحل ذلك كان كافرا لا تصح إمامته -

الزوجة وزوجته ، فهل يصح الزواج بين
زوج البنت وزوجة أبيها ؟
من ذلك .

أبو سليمان محمد صالح

الجواب :

لا مانع شرعا من ذلك ، مادام لم يوجد
مانع خارج عن ذلك كزواج مثلا أو غيره .

السؤال :

بيع المصنف لشخص غير مسلم :

السؤال :

ما حكم الشرع في بيع المصاحف إلى شخص
غير مسلم بقصد التجارة ؟

عمر عبد الله محمد - السودان

الجواب :

استيلاء الكافر على المصحف إهانة له

(بقية المنشور على صفة ٧٥٤)

الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية
والسياسية والثقافية .

أما الصحيح ؛ فإن الإسلام في صحيحه
يدهو إلى نزعة اشتراكية ، تمنع استغلال
الإنسان لآخيه ، وتسوى بين الناس ،
وتلغى الفوارق بين الطبقات ، وبين الجسديات ،
وبين الألوان .

أحمد فؤاد الأهواني

وليس صحيحا أن الإسلام يمكن أن يفسر
باتجاهات ماركسية ، لأن المذهب الماركسي
وهذه المناسبة فإن كادل ماركس يهودي -
يلقى الدين أساسا ، ويقلب الأمور وأسا
على عقب ، فيجعل القيم الروحية كلها نابعة
من الماديات . أما الإسلام فإنه يعكس هذا
الوضع ، إذ يبدأ أولا من الدين ، يثب
قواعده في قلوب المؤمنين ، ويؤكد
الوحدانية ثم يفرع على ذلك كل الأنظمة

منافسات

انبثاء وآراء

وإن كانت بكل وضوح غير مبالوة ترام
متسكين بها كأنها صحيحة ، وما لا ينكر
أن كل حزب بما لديهم فرحون . .
ألا إن حزب الله هم المفلحون ، وبمجرد الخلاف
المجمل العام الذي يقوم بين الأديان في عالمنا
كاف لأن يبعث في قلب الليب حب البحث
والتحقيق لكيلا يفترى على الله كذبا ، والغريب
أن البشر جميعا يرتأون ويقبلون ما يسلم به وجال
العلوم التاريخية والرياضية وغيرها أيا كانت
إلا أنه يبدو أنه من المفروض أن ينظر إلى دينه
وإلى ملاحظات وتبصرات أصحاب غير ملته
فيتحقق ويتيقن ، والحقيقة ضالة المؤمن . .
فاسمحوا لي أيها السيد الجليل واعتباراتي
لأنما صادرة من قلب سليم وعقل سليم ،
هديت ولما ياكم إلى ما هو أقوم .

وملاحظة ثانية إذا سمحتم وهي تهمني كثيرا
وهي أنكم حررتهم في آخر الصفحة ٣٦٤ ما يلي :
الواقع كان أهل الكتاب في الجاهلية
قد انحرفوا وضلوا . فهل من جميل فضلكم
أن تثبتوا هذا تاريخيا عدا ما يحكي عنهم

حمل البريد إلى هذه الرسالة من الأب الفريد
هافنيت عضو جمعية الدراسات الدينية
في بيروت :

قرأت في عدد أكتوبر من مجلة الأزهر
تحت عنوان : « ما يقال عن الإسلام ،
البحث العميق حول كتاب مستشرق من اليابان
فكان عرضكم واضحاً وافياً للغاية في موضوع
جديد مثل السمنقية فأعجبت من سعة نظركم
وصحة تعليقاتكم ، إلا أنني بصفتي رجل بحث
ورجل دين لا أوافق المبدأ الذي به ختمتم
المقال في ثبات النص القرآني وبقينه على سائر
الوثائق التاريخية ، أفلا يجدر بالباحث
أن يميز بين الإيمان والتاريخ فالإيمان شيء
والعلم شيء وكثيراً ما لا يتفقان ، فعند ذلك
يجب إعادة النظر في الإيمان والتاريخ معاً
عسى أن نحد سبب الخلاف ، والعالم المختص
وإن كان مستعداً لقبول كل ما أتى من عند
الإله فعليه ألا يخشى أن يرد البحث على صحة
الدين الذي ولد فيه وورثه من الآباء وقبلته
البيئة التي تحيط به فأرباب الأديان كلها

غير ذلك . ونحن نعرف أن العرب كانوا أمة أمية لم يعنوا بالتدوين في كتب ، ولولا أن هذه الأمور أنبتت في القرآن ما علم بها أحد . وإنما حفظ العرب من جاهليتهم قصائد من الشعر ، وبعض الأمثال ، جرت في صفحة ذهن من جيل إلى آخر حتى دونت بعد قرن من الزمان من ظهور الإسلام . وقد شك كثير من العلماء في الشعر الجاهلي وذهبوا إلى أنه وضع وضماً بعد الإسلام . ولكن هؤلاء العلماء - وهم من المستشرقين ، لم يشكوا أبداً في القرآن ، لأن تدوينه وحفظه تم في زمان مبكر في عهد عثمان بن عفان ، ورويت في كتابة المصحف ضمانات شديدة تبعد عنه أي شك . وإذا كان القرآن نصاً صادقاً ووثيقة صحيحة ، فقد اعتمد عليه بعض المستشرقين في تصوير حياة النبي ، كما فعل الأستاذ بلاشير في كتابه عن محمد ، إذ اتخذ من القرآن نفسه أول مصدر ، يتلوه في القيمة الأحاديث . قال القرآن يصف النبي بأنه والمدثره أو المزمّل ، وبأمره بأن يقوم لينذر . وفيه وصف كذلك لإيذاء العرب له ، وبخاصة أبي لب ، كما جاء في القرآن : تبث يدا أبي لب وتب . وهكذا تستطيع أن تمضي من القرآن وحده فتستخرج منه صورة صادقة ، لحياة النبي ، مادمت قد اتخذت من القرآن وثيقة تاريخية .

القرآن ؟ فهل تغير جوهر العقيدة التي تسلمها الأولون من السيد المسيح ؟ .

الفريد هافنيت

يبدو أن الأب الفريد لم يقرأ العبارة التي وردت في آخر المقال عن أن القرآن وثيقة دينية إلى جانب أنه وثيقة تاريخية ، في ضوء ما سبق من كلام ، نخيل إليه أننا نخلط بين النص الديني والنص التاريخي ، ولذلك وجب أن نبرز المعنى المقصود تفصيلاً بمسألة أن أجملناه بقولنا : والقرآن مرآة صادقة للعصر الذي نزل فيه على محمد عليه السلام .

فالقرآن من جهة أنه « مرآة » لهذه الفترة التي نزل فيها منجماً في بضعة وعشرين عاماً ، يؤرخ كذلك لهذه الفترة ، لا بالذات بل بالعرض ، لأن غرض القرآن بالذات بيان أصول الدين من إثبات وجود الله ووحدة إنيته وصفاته ، ثم إثبات نبوة الأنبياء والرسل وآخرهم محمد عاتم النبيين ، ثم البعث في الآخرة .

وبيان أصول التشريع والعبادات والمعاملات والأخلاق . أما بالعرض فإن الآيات المختلفة نزلت في مناسبات ووقائع ، فكانت تصويراً للجدل بين النبي والكفار من أهل قريش أو اليهود الذين كانوا يحاجون النبي ، أو كانت تشريعاً نزل بعد غزوة أو

المسيح ، والوهية السيدة مريم فإنهم أحرار في فهم دينهم ، وعليهم هم أن يلتمسوا إلى جانب التصوص الدينية - إن وجدت - ما يثبت ذلك تاريخياً ، إن وجدت الأسانيد التاريخية في القرن الأول ، ونود أن نحيل الآب على المجامع الدينية ، مثل مجمع فيقية الذي انعقد للتوفيق بين المذاهب المختلفة ، ولم ينته إلى نتيجة ، ونحمله أيضاً إلى تاريخ آريوس ، وإلى تاريخ الزسامة الذين كانوا يعتقدون بأن المسيح عليه السلام ذو طبيعتين وأنه كان على الأرض إفسافاً ، ونحمله ثالثاً إلى الخلافات العديدة بين المسلمين وبين اليعاقبة ، وكيف كان المسلمين في مصر يعذبون اليعاقبة ؟

دكتور أحمد فؤاد الأهواني

في محيط الأزهر

• حدثت مشيخة الأزهر يوم ٢٩ من شهر أبريل القادم موعداً لانعقاد المؤتمر الثاني لعلماء الدول الإسلامية ، هذا وقد صرح الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأنه روعي في تحديد هذا الموعد أن يكون علماء المسلمين قد انتهوا من تأدية فريضة الحج ، وتفرغوا للنشاط المستمر .

فلا حاجة فالآب الفاضل لأن يدعو الباحث أن يميز بين الإيمان والتاريخ ، كما يقول ، بعدما وضخناه . ثم إن الذي دعا إلى التمييز بين القرآن باعتباره وثيقة دينية وبينه باعتباره وثيقة تاريخية ، البحث في الحنفية والحنفاء ، والموازنة بين ما ورد من أخبار جاهلية عن هذا المصطلح وبين ما جاء في القرآن ، مما دعانا إلى ترجيح النص القرآني على الأخبار الجاهلية ، للسبب الذي وضخناه من قبل وهو صحة النص القرآني تاريخياً .

أما الملاحظة الثانية التي أوردها الآب الفاضل عن انحراف أهل الكتاب في الجاهلية وضلالهم بصرف النظر عن حكاية القرآن عنهم ، وإثبات ذلك تاريخياً ، فالجواب أنه ليس لدينا دليل تاريخي سوى ما جاء في القرآن ، وليس مهيئاً للتنقيب عن هذه الأدلة التاريخية ، أما قوله : هل تغير جوهر العقيدة التي تسلمها الأولون من السيد المسيح فالجواب أيضاً من القرآن الذي كان يحاج أهل الكتاب : : لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، المائدة / ٧٣ . وفي المائدة أيضاً آية ١١٦ : : وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته . . وليس لنا شأن بعقيدة المؤمنين بالوهية

في محيط العالم الإسلامي

• إيران المسلمة :

من المسلم به أنه لا يكاد يوجد عربي واحد أو مسلم واحد يستسيغ سياسة الحكومة الإيرانية، ومجاهرتها بالعداء للقضايا العربية التي تتصل بأحقاق الإسلام نفسه، وأقصد قضية فلسطين.

والمعروف أن إيران المسلمة التي تضم عشرين مليوناً والمسلمون بها أكثر من ٩٩٪، كلهم من الشيعة، ماعداء زهاء مليون سني، تقف هذا الموقف الذي تتحدى به شعور أربعائة مليون مسلم، دون أن تبالى بالعواقب الوخيمة.

ولعل أقرب الأمثلة اغتيال رئيس وزرائها الذي لقي حتفه برصاصات شباب مسلم متدين، قال الشاب المسلم محمد نجماري في التحقيق: إنه أراد قتل حسن علي منصور رئيس الوزراء، لأن سياسة حكومته مخالفة لمبادئ الإسلام.

وفي عام ١٩٥١ قتلت جماعة فدائيان إسلام رئيس حكومة إيران الأسبق علي رازمار، وحاولت قتل حسين علاء رئيس الحكومة بعد أربعة أعوام..

نريد أن نقول: إن الإسلام بخير في إيران، وسوف يستطيع في القريب أن يضع حداً لطغيان شاه إيران، وحكوماته التي يصنع منها الاستعمار أداة لتحدي العرب والمسلمين.

نيجيريا :

إن الأزمة التي بدت طلائعها في نيجيريا يجب أن نهتم بها، وأن ندرك عن يقين أن الاستعمار البريطاني يلعب دوراً خطيراً بتدبير مؤامراته على نيجيريا.

والذي لم تستوفه الأنباء حقه، هو أن بداية الأزمة نشأت بعد أن هاجمت صحف نيجيريا الشرقية، التي تسيطر عليها الوثنية وغيرها، الإسلام هجوماً عنيفاً، تصدت للرد عليه فيجربيا الشمالية. ومن الجدير بالذكر أن نيجيريا يبلغ عدد سكانها زهاء ٢٢ مليوناً يمثل المسلمون بينهم أكثر من ٥٠٪.

وفي نيجيريا الشمالية زهاء ١٧ مليوناً يبلغ المسلمون منهم زهاء ١٢ مليوناً، وكانت تضم هذه إمارات إسلامية، حتى وقد عليها الاستعمار البريطاني في القرن التاسع عشر عن طريق الشركات التجارية، ووقعت في قبضته عام

* من المتوقع نجاح مباحثات البترول بين فرنسا والجزائر ، ومن المعروف أن هناك أملا في إنتاج واحد وعشرين مليوناً ونصف مليون طن من البترول سنوياً ، وتنص الاتفاقية على أن تحصل الجزائر على نسبة أكثر من عوائد البترول ، وأن تزيد وقايتها على شركة البترول الفرنسية (ريبال) التي تمتلك الآن ٤٠ ٪ من أهمها ، كذلك يقضى الاتفاق باشتراك فرنسا والجزائر في تنفيذ عمليات اكتشاف واستغلال آبار البترول الجديدة في الصحراء .

* ألغيت الأحكام العرفية في العراق ، على أن تحمل محل هذه الأحكام ، حالة الطوارئ . في الحالات الموجهة ، وأن تعال القضايا المعروضة عليها إلى محاكم أمن الدولة التي جرى تشكيلها .

* أذاعت وزارة الخارجية في تركيا ، أن عدد القتلى من الأتراك خلال الأزمة القبرصية هذا العام بلغ ٢١٠ قتيل ، وعدد الجرحى ٢٢٣٥ . بالإضافة إلى ٢٠٨ من المفقودين و ٦٨٢ تم احتجازهم كرهائن أطلق سراحهم ما عدا ٢١ شخصاً ما زالوا في الاعتقالات لأسباب سياسية ، ومن الجدير بالذكر أن رئيس وفد تركيا في هيئة الأمم قد صرح أخيراً : بعد أجل القوات الدولية ثلاثة أشهر في قبرص بعد مارس القادم .

* الولايات المتحدة تعيد النظر في معونتها لاندونيسيا بسبب انسحابها من هيئة الأمم ومن المعروف أن أمريكا خصصت عشرة ملايين دولار معونة لاندونيسيا .

* اجتاح الاضطرابات الباكستان عقب الانتخابات التي فاز فيها أيوب خان ، ومن المعروف : أن فاطمة جناح المنافسة للرئيس المنتخب هي التي تزعم المعارضة . هذا وقد تألفت لجنة من كبار رجال الحكومة لإجراء تحقيق بشأن حوادث العنف التي وقعت في كراتشي ، وأدت إلى قتل بضعة عشر شخصاً ، وجرح ٣٠٠ ، وتشريد ٢٠٠٠ شخص وطارعت المعارضة تكوين اللجنة ، ورأت تأليفها من رجال القضاء ، وليس من رجال الحكومة .

* طلبت الصومال من الجمهورية العربية المتحدة العدد اللازم لها من خبراء التعليم الصناعي لمعهد (هارجيسا) وذلك بعد انسحاب الخبراء الانجليز مما هدد المعهد بالتعطيل .

* صرح الرئيس ابن بيللا في مقال نشر في صحيفة (رينولوسيون) له ترافاي (الأسبوعية) يصدرها اتحاد العمال الجزائريين أن الإسلام يجب أن يكون قاعدة النظام الاشتراكي في الجزائر ، إن مستقبلنا يعتمد على الاشتراكية ، وللعودة إلى المصادر الإسلامية التي تكشف لنا عن ثورة التقاليد ، والثقافة القائمة على العدالة والحرية والإنسانية .

١٨٥١ . واعترفت دول أوروبا بهذا الحق
في مؤتمر برلين عام ١٨٥٥ .

تركيا :

إن الأنباء التي ذاعت أخيرا من أن تركيا
تنوى تعديل سياستها بالتقارب نحو الدول
العربية والإسلامية ، مما يسر له كل
عربي ومسلم .

وقد صرح سعدى كوكار العضو بمجلس
الشيخوخ التركي ، وقيب بعثة الصداقة التركية
التي زارت الأردن أخيرا بأن تركيا قررت
انتهاج سياسة جديدة تجاه الدول العربية تقسم
بالتقارب والتفاهم ، وإقامة علاقات الصداقة ،
وقد حث الدول العربية والإسلامية على
تناسي الخلافات والتعاون من أجل
قوة طامية إسلامية ، كما ذكر أن تركيا ستعمل
قريبا وتدرجيا على تخفيف علاقاتها
بإسرائيل .

وهذا وقد زارت البعثة التركية دمشق
وبيروت ، ثم القاهرة ، إننا نتمنى أن تصدق
تركيا في اتجاهاتها الجديدة ، حتى تتخلص
نهائيا من وصمة علاقاتها بإسرائيل ، فإن
هذه النقطة بالذات هي التي تحدد نية تركيا
نحو العرب والمسلمين .

تركيا الإسلامية التي يمثل سكانها ٢٢
مليوناً أكثر من ٩٨ ٪ من المسلمين ، والتي
ارتبطت بالإسلام ارتباطاً تاريخياً وسياسياً

زهراء عدة قرون .
السكويت :

نشر أخيراً أن حكومة السكويت تفكر
في إلغاء قرار حظر بيع الخمر وتماطليها
وذلك بعد أن توفي عدد من المدمنين بسبب
إصابتهم بالتسمم لتماطليهم الخمر . وقالت
صحف السكويت : إن الحكومة شكلت لجنة
خاصة لدراسة مساوئ منع بيع الخمر ،
وإمكان إلغاء قرار الحظر الذي صدر
في منتصف عام ١٩٦٤ ، ومعظم حالات
التسمم نتجت عن شرب ماء السكولونيا بدلاً
من المشروبات الروحية .

ونحن نرجو أن لا تتخطو حكومة السكويت
المسألة : حكومة وشعباً ، هذه الخطوة ، فإباحة
الخمر أقل ما يقال فيها : إنها تحد للشرعية الإسلامية
ولا أظن أن وفاة بضعة أشخاص يمكن أن
يكون وسيلة لإباحة الخمر التي حرمها الإسلام
وما يترتب عليها من أضرار مالية وصحية
تصيب المئات والآلاف فيما بعد .

* * *

أخبار قصيرة :

هددت أندونيسيا ماليزيا بالاعتراف
بالحكومة ثوار ماليزيا التي يتزعمها الأزهرى
إذا ازدادت حدة النزاع بينها وبين ماليزيا .
والمعروف أن كثيراً من وساطات الدول
لم تستطع بعد أن توفق بين ماليزيا وأندونيسيا .

et la plus détaillée qu'aucun enseignement pratique n'ait jamais fournie; mais, sous cet édifice colossale, nous le voyons jeter les assises les plus solides de la connaissance théorique. Posez-lui par exemple la question suivante : Sur quel fondement repose la loi du devoir Koranique, dans quelle source puise-t-elle son autorité ? Il vous répondra que la distinction du bien et du mal, avant d'être une législation céleste, est une révélation intérieure, inscrite dans l'âme humaine; qu'en dernière analyse la vertu tient son ascendant de sa propre nature et de sa valeur intrinsèque; et qu'ainsi Raison et Révélation ne sont qu'une double lumière révélatrice d'un même objet, une double traduction d'une seule et même réalité originelle, enracinée dans le fond des choses.

Interrogez-le ensuite sur les caractères de cette loi et l'étendue de son pouvoir. Il vous dira que c'est une loi universelle et éternelle, qui assure à l'humanité ses légitimes aspirations, mais qui s'oppose catégoriquement à ses appétits capricieux et arbitraires.

Interrogez-le en outre sur la responsabilité humaine, ses conditions et ses limites; sur le moyen efficace d'acquérir la vertu; sur le

principe supérieur qui doit déterminer la volonté à agir, ou sur n'importe quel principe général qu'un moraliste conscient de son œuvre ne peut se passer de s'en faire une idée. Vous y trouverez à chaque question une formule précise et tranchante qui s'impose comme l'unique réponse, propre à rallier les consciences les plus éveillées et les plus équilibrées.

Et ce qui achève de capter notre admiration, c'est de voir avec quel contraste frappant les réponses à ces questions se présentent dans le Kor'an et ailleurs. Eh bien ! Tandis que, sous la lumière instantanée du Kor'an, ces vérités fondamentales sont mises définitivement au jour depuis bientôt quatorze siècles, les pensées les plus laborieuses qui les recherchent en dehors de cette lumière procèdent encore par tâtonnement, n'en découvrent quelques fragments qu'à de très longues échéances, et non sans tomber le plus souvent dans des erreurs grossières.

Corrigé

par

IBRAHIM 'M- EL ASSIL

Révisé et choisi

par

DR. AFIFY ABDUL - FATTAH

(suite)

simple, l'autre en une conviction profonde, agissante et entraînant— toujours est-il que la philosophie dans sa partie la plus élevée et la religion sous toutes ses formes ont un double objet commun : résoudre le problème de l'existence, son origine et sa destinée, et définir la manière d'agir la plus sage et la plus propre à procurer le bonheur.

Mais ce qui démontre mieux l'affinité de la matière Koranique en particulier avec celle de la philosophie, c'est qu'en exposant sa doctrine sur la vérité et la vertu, le Kor'an non seulement en appelle toujours au bon sens, incite constamment à la réflexion et à la méditation, mais il entreprend lui-même de prouver et de justifier ce qu'il avance. Bien plus ! la nature de ses arguments et la manière dont il administre la preuve son choisis de telle façon qu'elles convainquent les philosophes les plus subtils, les logiciens les plus rigoureux, en même temps qu'elles satisfont les exigences les plus réalistes, les goûts poétiques les plus raffinés, les intuitions les plus ordinaires. Il ne suffit donc pas dire que le Kor'an ne condamne pas la vraie philosophie, fille de la réflexion mûre et amoureuse de la certitude. Il ne suffit même pas de dire qu'il l'autorise ou qu'il l'encourage ou qu'il se prête volontiers à son examen

impartial. Il faut ajouter qu'il l'alimente d'une abondante matière en sujets et en arguments.

Le Kor'an, certes, ne nous présente pas ces vérités fondamentales réunies sous la forme d'un système unifié. Mais, à défaut d'un tel système tout fait, n'existe-t-il pas dans ce Livre tous les éléments nécessaires et suffisants pour le construire ?

Que le Kor'an contienne tous les éléments fondamentaux de la philosophie religieuse : origine et destinée de l'homme et du monde, principes de cause et de fin, notions d'âme, de Dieu etc.. cela ne nous paraît point douteux, et le développement d'un tel sujet mériterait qu'on lui consacrat un travail indépendant.

Mais que ce Livre se soit prononcé en même temps sur les fondements de la théorie morale, voilà la première question que nous nous sommes posée dans la présente étude, et à laquelle nous avons consacré le plus gros de notre effort.

Et nous croyons être en mesure d'annoncer, dès à présent, qu'à la question ainsi posée, nous avons trouvé une réponse claire, pleinement affirmative.

Le Kor'an ne se contente pas, en effet, d'avoir posé la règle de la conduite de la façon la plus étendue

“La Morale du Korân”

Par

DR. MOHAMMAD ABDULLAH DRAZ

(4)

—La philosophie, au sens usuel du mot, est l'œuvre d'une pensée discursive, appuyée sur les seules lumières naturelles, et où l'on passe d'un jugement à l'autre avec une certaine méthode. pour arriver à établir un système capable d'expliquer les choses en général ou un certain ordre de choses. Or il est évident que cet effort intellectuel et cette démarche progressive ne cadrent pas avec la lumière d'une révélation qui, sans recherche ni attente, inonde, l'âme et lui fournit instantanément un bloc de connaissances dans lesquelles les prémisses ne précèdent pas la conclusion, ni l'antécédent le conséquent.

Le Kor'an n'est donc pas une œuvre philosophique, en ce sens qu'il n'est pas le produit d'une philosophie et n'utilise pas les procédés d'acquisition philosophique. Ajoutez qu'il ne suit pas non plus les procédés didactiques des philosophes. A leur méthode rationnelle

d'exposer (définition, division, argumentation, objections et réponses) qui est d'une cohésion incontestable, mais qui n'affecte qu'un seul côté de l'âme, sa partie intellectuelle, le Kor'an substitue sa méthode à lui. S'adressant à l'âme tout entière, il lui fournit une nourriture complète, où la raison et le cœur ont leur part égale.

Ainsi l'enseignement Koranique et l'enseignement philosophique se séparent tant à leurs sources qu'à leurs méthodes. En est-il de même de leur objet et de leur but ?

L'admettre, ce serait proclamer, sciemment ou inconsciemment que le Kor'an n'est pas un livre de religion. Car, quelles que puissent être leurs différences — que l'une prenne sa source dans le tâtonnement de la raison, l'autre dans la pleine lumière de la révélation, ou que toutes les deux se laissent guider parfois par le mirage de l'imagination; que l'une consiste en un savoir pur et

FASTING IN ISLAM

By : IBRAHIM - M - EL-ASSIL

(Islamic Research Academi)

"O you who believe! Fasting is enjoined on you, as it was enjoined on those before you, that you may ward off (evil)".(2:183).

Fasting, the third of the five pillars of Islam, is of profound significance to Muslims all over the world. To regard it as a mere injunction ordained by God for Muslims to obey, will be to minimize its overwhelming blessing. It has in itself its own vitality, which is revealed only to the person who undergoes the exercise and experience of the fast. In its every part, fasting is never void of its quintessence which amply bespeak its greatness as a divine ordinance.

The universality and the purpose of fasting are stated and stressed in unequivocal terms in the Holy Qur'an as mentioned in preceded verse.

The institution of fasting is not peculiar to Islam,. Before the advent of Islam, fasting, was practised for the atonement of sins or for the attainment of salvation, when a man

committed any transgression, he felt that he had incurred the warth of his deity, whom he wanted to propitiate by abstaining from food.

Fasting, then, was one of the methods of self-immolation. The ancients realized well that surfeiting prevents man from making spiritual headway, so that he becomes a slave to his Carnal desires. So we find fasting to be an important part of all divine religions.

But Islam gave to humanity a new interpretation of all ancient institution. Unlike the fasting of other religions, Islamic fasting is more genuine, pure and solemn inasmuch as it is neither a penance nor a punishment. It is one of the basic rungs of the ladder that leads to Heaven. Its aim is to enable Muslims to guard against tempting evils—animal passions, wicked words and impure thoughts. It creates a remarkable degree of unity and discipline among the Muslims. Total abnegation of food and drink is the order of the day in glittering palaces and in tottering huts.

Quran and Freedom of Belief

BY : MOHIADDIN ALWAYE

لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن
يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة
الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم .
(البقرة ٢٥٦)

“There is no compulsion in religion, the right direction is henceforth distinct from error. And he who rejects satan and believes in Allah grasped a firm handhold which will never break. Allah is Hearer and Knower.”

Surah 11 (The cow) verse 256.

In this verse Qur'an declares that there should be no compulsion in religion. The Qur'an has also repeated that the belief in all prophets is an essential part of Islamic faith. As the Holy Quran says : ”

إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا
بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
ويريدون أن يتخذوا بين ذاك سبيلاً . أولئك هم
الكاफرون حقاً وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً . والذين
آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك
سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً .
(النساء ١٥٠ - ١٥٢)

“Lo ! those who disbelieve in Allah and His messengers, and Say: We believe in some and disbelieve in others and seek to choose a way in between ; Such are disbelievers in

truth., and for disbelievers we prepare shameful doom. But those who believe in Allah and His messengers and make no distinction between any of them, unto them Allah will give their wages, and Allah was ever forgiving, Merciful.”

Surah IV (Women) verses 150, 151, 152

After establishing the necessity of belief in all prophets imperatively the Qur'an declares that all believers are one community :

إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون .
فقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون .
(٥٢ و ٥٣ المؤمنون)

“And lo ! this your religion is one religion and I am your lord, So keep your duty unto Me.

But they (mankind) have broken their religion among them sects, each group rejoicing in its tenets.”

Surah XXIII (The believers) Verses 52,53

The above Quranic verses call the believers to work for communal amity and harmony. In this way Islam aims at to establish unity and brotherhood in humankind.

to this responsibility. On the Day of Judgment, God will direct His speech to both species. The Holy Verse says :

“ O community of the Jinn and men, did there not come to you messengers from among you relating to you My messages and warning you of the meeting of this Day of yours ? . . .

It is noteworthy here that the Qur'an in its speech about the Jinn, did not make the belief in their existence as a basic principle in Islamic faith, as it did with regard to the Angels. The belief in the Jinn is derived only from the belief in the truthfulness of the Qur'an in its speech about them.

QUESTION :

What is the third basic principle of Islamic faith ?

ANSWER :

The belief in God and the Angels requires the belief in the messages from God to His servants through the Angels.

The divine messages are contained in the Divine Books which include the bases of faith, the ways of worship and the lawful and unlawful things.

Therefore, Islam requires faith in the Divine Books which were revealed to the Prophets of God, including the Holy Quran which was

revealed to the Prophet Muhammed, the Scriptures of Abraham, the Torah of Moses, and the Gospel of Jesus.

QUESTION :

What is the difference between the Holy Quran and previous scriptures ?

ANSWER :

This difference may be summarized in the following :

First : The original texts of the previous scriptures were lost. What remained of them were mere translations. But the Quran is the only Divine Book which is still preserved in all its original language, word by word.

Second : Other scriptures were mixed with commentaries of interpreters, so that it is difficult to distinguish in them between God's words and human interpretations. The case is not so with regard to the Qur'an.

Third : Other scriptures were not recieved by their followers through authentic and successive transfer from one generation to another, as in the case of the Qur'an. The Pentateuch of Moses were not all written in Moses days. Some of it were authored after him by five centuries, some by seven centuries and even some other parts by more
(See page 7)

"And surely there are keepers over you. Honourable recorders. They know what you do".

These functions of the Angels are pertaining to the world of the unseen.

As we are not told about, the reality of the Angels and how they are created, but we are ordered to believe in their existence. It is not properly religious to initiate any information about their creation. It is a disbelief if we deny their existence, since the Holy Quran told us about them. One of the clear verses about the Angels is as follow :

"Praise be to God, the Creator of the heavens and the earth, who appointh the Angels messengers having wings two, three and four,

He increases in creation what He pleases. Surely God is possessor of power over all things".

QUESTION :

What is the difference between the Angels and the Jinn ?

ANSWER :

The Jinn are other kind of creatures pertaining to the world of the unseen. While the Qur'an did not tell us about the matter out of which the Angels were created, it speaks about the matter out of which the Jinn were created. It says :

"And He created the Jinn of a flame of fire."

On the other hand, while the Qur'an states that the Angels are in honourable close relation to God, and are immune from disobedience to God, it states that some of the Jinn are good and some are bad.

The Jinn differ from the Angels in that the latter convey the revelations of God to messengers and prophets, while the Jinn receive those revelations, like human beings, from messengers and prophets. We read in the Holy Qur'an :

"And when We turned towards you a party of the Jinn, who listened to the Qur'an ; so when they were in its presence, they said : Be silent. Then when it was finished, they turned back to their people warning them. They said : O our people ! We have heard a Book revealed after Moses, verifying that which is before it, guiding to the truth and to a right path. O our people ! Accept the Inviter to God and believe in Him.

He will forgive you some of your sins and protect you from a painful chastisement".

Moreover, the Angels are not joined with human beings in the religious responsibility, while the Jinn are subject, with human beings,

FIFTH :

The belief in those words, moreover, creates in man will of power, courage and patience, for he knows that above his power there is the power of God. Thus he is not dismayed by misfortune, and he always be a follower of the way of truth.

SIXTH :

To witness that there is no god but Allah honours man and creates in him content and satisfaction, and purifies him from greed, envy and meanness. He will follow the lawful ways towards his all aims. This is because he believes that God is the Sustainer and Provider of everything.

SEVENTH :

This witness, also obliges one to act according to God's laws and orders. For he is certain that God knows everything, that He is nearer to him than himself, and that He is the All-Knowing. Thus one could not commit any bad action that is prohibited by God. He will hasten to good deeds and act according to God's commandments and orders in all situations, as the Prophet said : "Serve your God as if you see Him, if you see Him not, He sees you".

QUESTION :

What is the second basic principle of Islamic faith ?

ANSWER :

The second basic principle of Islamic faith is the belief in the Angels. The Holy Quran speaks about the Angels as unseen and immaterial creatures carrying different functions, through which they realize God's will in His universe. Some of the Angels convey God's revelation to His Messengers and Prophets, as the Quran says :

"The faithful spirit (Gabriel) has brought it (the Quran) on your heart that you may be a warner".

Some of them are directed to aid the prophets and make firm the believers, according to this verse :

"When your Lord revealed to the Angels : I am with you, so make firm those who believe".

Some others are delegated to give glad tidings to the believers who did good in this life and were abiding by God's orders. The Quran says :

"Say : the Angel of death, who is given charge, of you, will cause you to die, then to your Lord you will be returned".

Still some others are assigned to register peoples' deeds in this life so that their works are to be shown to them on the Day of Judgment. We read in God's Book :

The Fundamental Belief In Islam

(3)

By : Abdul Wadood Shalaby

What are the practical effects of the witness that "there is no god but Allah", in individuals and society?

This belief creates in man the following effects :

FIRST :

The belief in the oneness of God generates in man dignity and self-esteem. If one believes that God is One; that He is the Real Owner of this universe; that there is no harm neither benefit except through Him; that authority and power are only to Him; and that He is the One Who brings all things to life and death-if one really believes in all these he undoubtedly will have no fear from anybody, and will not be subject to any authority but God's alone.

SECOND :

The belief in those words creates humility in the soul, because who believes that 'there is no god but Allah cannot feel pride over others, and he realizes that Who gave him power and distinction can

withdraw them from him if he misuses the favours of God on him.

THIRD :

The believer in those words knows certainly that the only way to success and prosperity is the good deeds. For he knows that the approach to God, the One and the Self-Sufficient, is only through good action. Other religions teach their followers false wishes when they preach that the "Son of God" has redeemed people against sins, or that they are - as followers of those religions-the children of God or His beloved ones, and thus they are immune from punishment for their crimes.

FOURTH :

That who declares faithfully those words harbours no despair. When he believes that God owns the treasures of the heavens and the earth, he will be sure that God is Full of Mercy for His servants. Even when he is tried with misfortune or poverty, he still is hopeful in the eternal mercy of God.

your scientific Faculties, laboratories, and in the Faculty of girls, as Al-Azhar wishes you to be, that is to say the bearers of a glorious mission, and you must repay knowledge, because of its benevolence upon you, and this Country, for its kindness towards you and your university which provided for you all kinds of helps and instructions and take this opportunity of youth, before its departure and be keen in acquire knowledge, and make the book your best friend, because it is

the pleasant companion in the loneliness and a best helper in company. May God bless you!

We cannot miss this occasion, as we are receiving this new academic-year, to beseech The Almighty God to protect the great President Jamal Abdul Nasser and to guide him to the path of success and victory.

Peace and God's blessing and mercy fall upon you!

(From page 11)

centuries. The case is the same in regarding the main four Gospels in the New Testament.

Fourth : The language of the scriptures were old and extinct while the language of the Quran is in the living Arabic.

Fifth : Creeds and laws of the old scriptures were pertaining to

their respective followers. The message of the Quran, however, is directed to humankind in general and in all times.

Sixth : Other scriptures were not safe from change. Some shameful deeds were falsely ascribed to some of God's Messengers and Prophets, although they are immune from committing such things.

By this, I do not mean that every one of those who received education from these schools and institutes was far from true patriotism and real nationalism, we find among the (men and women) who were bred up by these schools, some who bear high idealisms in themselves and whose behaviours are aiming at achieving good goals. And you may remember the martyr hero "Gawad Hussiny" in spite of his foreign culture and his English mother he has done his best in defending his country in "Port Said battle 1956".

I do not mean that all those who joined these schools were far away from Islamic spirit or patriotism, what I mean is that the aims of these schools and institutes could never be the Islamic teaching or patriotic training. Those who could overcome these methods, whether they were Muslims or good citizens, there is no doubt that they have good hearts and noble feelings because they were able, by the strong faith and confidence, to turned down the aims of the foreign plans and to foil the imperialistic targets through those methods and designs.

So, if the closing of doors of Al-Azhar before women, enabled many type of harmful culture to be entered to our homes, this harm has been doubled when Al-Azhar neglected

the teaching of natural sciences and laboratory arts, then, it soon finds itself isolated from the society, and does not participate, in a way or other, in agriculture, industry, commerce or anything that concerns with man's conduct on this earth for his livelihood, and Al-Azhar's work became nothing but some words in a lesson or a preaching lecture in a pulpit.

Therefore, it was necessary in the view of the revolution, which was and is eager to the welfare of the nation, to develop Al-Azhar in a way that will provide our girls the same chance, what our boys are already getting in the field of knowledge and science, and by this way, it can also connect the scientific mission of Azhar with a laboratory mission. So Al-Azhar would, also be in a active position in the material sphere, as well as its persistent efforts in the spiritual field, and it will be able to deal with religious matters in the spirit of world matters and vice versa. And this is, in the just point of view, is the only way which enables Al-Azhar to serve man in his spirit and body, and to render good services to this country and to all humanity.

Student Girls and Boys !

You are our hopes, so you should be in your Universities, in

him, so, the Almighty God answered :
“O! Zakaria you are asking me to do something for you which I did not do even for Myself”.

Gentlemen :

There is no doubt that Al-Azhar University will follow her reverend father's methods and it will work for the achievement of the same goal. It will not be deviated from its Father's way except in what the changing modern life requires in changing methods and modifying means.

God has created man, firstly from blood and flesh and then soul and spirit, and each has its own characteristics and requirements. Al-Azhar has concentrated its endeavours in taking care with the spiritual side as much it has neglected the materialistic side, in other words, which are more closer to truth, Al-Azhar was directed to do so, for we knew that when the study circles of jurisprudence and literature were moved to Court yards of Al-Azhar free from the narrow sectarianism to the freedom of opinion and thought, it was the teaching centre of astronomy, medicine, mathematics, arithmetic and other sciences and special study circles-as history says-were held in many times for women folk. Women were getting their share in Al-Azhar

circles until recently. Perhaps history has not forgotten to mention that great lady who had prepared to obtain the “Al-Azhar Alamia” Degree, and if that lady was allowed to pass the examination and if there were not some illusions in the minds of some people at that time, the system of women's education would have reached to a far and noble aim in Al-Azhar and we would have a more good society which understand the spirit of Islam and we would have saved our homes the evils of ignorance, or the evil of that knowledge, which was in many times, more dangerous than ignorance itself. Because, when Al-Azhar has shut its doors in the face of women, it opened, as much as it closed, doors to foreign schools and institutes, and our girls joined these institutes- girls are always the future mothers-so some of these schools and instituts were working to build homes and create generations which are closely connected with foreign civilization, and proud of it, because of the influence of the culture, that they have recelved through foreigners. This is not strange thing because people always believe in what thay knew and become enemies to what they donot know and the people are in resemblance with their culture more than their fathers and mothers.

where malice and hatred can hide and to be loosen from time to time to destroy the unity by differences and kill the connection by separation and to disturb the stability and peace by fear and confusion. The degree of what happend in the different ages was not more than a frivolity which was stirred and faded away, and the extend of what is going on or what will be in future is not more than an article written by a writer in a magazine or a speech delivered by a speaker from a pulpit. Even those, whose religion is different from the religion of overwhelming majority of the people of this country, the Azhar was and is still training the refractory souls to be kind to them and pave the way for peaceful existence with them in all walks of life.

The second of these two great facts represented in our country's position among other nations. Al-Azhar has done and is still doing a great deal of good deeds in this field also and is rendering valuable services to this country.

It is Al-Azhar which has filled the hearts of the enemies of this country with fear and respect as it filled the hearts of friends by love and affection. The country that have enmities, in different parts of the world, with adulation, as well as it have intimacies that bound her

with care for its benefit and goodness; No doubt that this is a strong and powerful country. It was the right of those who add or take part in making the glory of their country to be honoured and to be loved.

By this it is the right of Al-Azhar, which has added much to the glory of this country, and has provided her with means of leadership, to receive from its citizens what a cause of their progress and a pillar of their glory and dignity is already receiving, whether those are agree or disagree with it because all the citizens are taking their share in the benefit, betterment and world goodwill which Al-Azhar is trying to achieve for all the citizens of this country whether they are Christians or Muslims. If hatred denied right and malice ignored the gratitude, we find in God's reward the best recompensation.

The right and gratitude of Al-Azhar are not the first that are denied, for howmany times have people denied even their Creator and ignored His blessings and let loose their tongues to speak about Him. One of our proverbial literature says that the Prophet Zakaria (peace upon him) has asked his Lord to save him from saying people against

and useful effort, the other is based on the fanaticism with the proud of race, blood and relationship. The wisdom is keeping pace with Islam in this matter because the distinction of people must be based on possible way and man has no choice in getting his colour or race, for if so, can any black skinned man to be changed to a white? or can any indian to be a persian, or a persian to be an arabian? So the problem of blood, race and colour is one the problems which causes misery to people, a misery that they have no hope to get rid of it as long as they have not the ability of choosing.

In this way Al-Azhar, has rendered to this human society, many good things which encircle a round the helping of principles, regardless of destinies of races and colours. It made the following Quranic verse as the Axis of all meanings of distinction.

« يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم »

“O mankind ! Lo ! we have created you male and female and we have made you nations and tribes that ye may know one another; the noblest of you, in the sight of Allah, is the best in conduct”.

By carrying this great and human mission, which is the message of the apostle, peace be upon him, Al-Azhar has done to all people these services and many like them, and by its great efforts it has taken out many people from darkness to light, and led them to the path of goodness it has, also, raised the dead alive, and made the slaves free in the broad meaning of world sphere. In this noble country the usefulness of Al-Azhar was very clear and the services of it were very valuable and perfect. Some selfish forces may be gathered on falsehood and some hearts may carry ill will and malice. Al-Azhar was unfortunately, denied its right and ignored of its credit, perhaps some of the most closest people to it have said about it what Malik has said about wine or what freedom is saying about imperialism.

But those who bear illwill and malice can not hide two big facts which gave our country, through Al-Azhar, a great deal of immortal goodness and an unforgettable glory.

The first of these facts is represented in the intellectual similarity which our citizens enjoy and this country is living, peacefully, under its shadow, even it has become impossible for any narrow religious difference to find for herself a place,

The object of Al-Azhar, in its long history, was only to be a circle in the sphere of calling to Allah and spreading the Message of Islam. It is easy to sum up this Message in three points for which all human kind are looking for to attain and trying to utilise their gains.

The first point : is to chase suspicion, perplexity and restlessness in the human society. The track down of these things means the chase of misery, for there is no misery that is more clear than the misery of perplexity when the hearts are disturbed and the beliefs are shaken.

Al-Azhar has carried the Faith of Islam, in its simplicity, moderation and easiness and by this Faith it has paved for the people the way of spiritual tranquility and stability, and has taken away from their shoulders the burdens of perplexity, anxiety and restlessness.

The Faith of Islam, in its simplicity, moderation and easiness, can be summed up as : that this Universe has one God, who have no partner, and His will, in reforming, in making people happy and in elevating is attached with a great messenger, the prophet Muhammad, prayers and God's peace be showered upon him who is the essence of all prophets and messengers.

The second point : can be summed up in the following : that Al-Azhar, in communicating the Message of the apostle, was always calling people to make themselves free from their tempts and passions so that they may liberate themselves from their conquerors and enslavers. A great number of forces have gathered round it (Al-Azhar) every where, carrying the banner of real freedom which assures that slavery to any one except God is unbearable burden, so let the humanity be liberated from all other kinds of slavery and to make it only for Allah, Lord of the worlds. Because all people are equal, and there is no superiority for Arabs on non-Arabs, except by Virtue. In this way Al-Azhar was, by a direct or an indirect way, a strong impulse in the human society to set the slaves free and to help them to regain their human dignity in many fields, in the, far and near World sphere.

The third point : the glorious Al-Azhar was always calling people to despise fanaticisms, of colour and race because all people came from Adam and Adam was from dust. If one wants to be distinct, he has to be so by his good deeds and the great services he renders to the humanity. There are two ways for seeking distinction among people, the first is based on the good work

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYYAT

SHA'BAN
1384

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

JANUARY
1965

AL - AZHAR: Its Past and Present

By :

H.E. SHAIKH AHMAD HASSAN AL-BAQOURI

Rector of Al-Azhar University

The deliberations of the Academic-year of Al-Azhar University Commenced, this year, with a Conference held in the "Shaikh Muhammad Abduh" hall of Azhar. A large number of University professors and students were present. The Rector of the University, H.E. Shaikh Ahmad Hassan Al-Baqouri delivered a speech in the Conference.

It is not far from truth when we say that this speech is a historical document, as it will give the reader a clear idea of the message and the services of this great international Seat of learning.

The following is the English Version of the Arabic text of the speech — M. Alwaye.

"... On this day, by the preparation for the teaching of medicine, engineering and agriculture in faculties of these subjects, Al-Azhar University is taking a new step in its history. The University has already taken a step that made possible for it to pursue useful studies in the Faculty of Commerce and Faculty of girls, and it will take other steps in the near or far future which will help

to begin many kinds of studies, and we do not know what or how it will be for it is still a hidden secret in the knowledge of All knowing Allah.

We beseech Almighty Allah that all the steps, which have been taken and what will be taken by Al-Azhar University should aim at achieving the noble goal which was the aim of its great and reverend father "The glorious Al-Azhar Mosque".

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل لا شتراك»
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ ضاحية الجمهورية
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

تصيد عن شيخنا الأزهرى في أول كل شهر جمادى الأولى

الجزء السابع - السنة السادسة والثلاثون - رمضان سنة ١٣٨٤ هـ - يناير ١٩٦٥ م

لسماء الله الرحمن الرحيم

أصول الفن الخطبى

بقلم : أحمد حسن الزيات

(إن في هذا جوابا عن سؤال السيد عبد الحميد صبرى
رئيس جمعية الخطابة والتمثيل بالإسكندرية) .

أصوله وقواعده ، فكلاهما قائم على إيجاد
الافكار على نور العلم ، وتفسيقها على أصول
المنطق ، ثم أدائها على مقتضى البلاغة . وكلاهما
يختلف باختلاف الحال والغرض ، ولكن
للمسمع أسلوبا يمتاز من أسلوب القراءة بتخير
الألفاظ المنسقة ، والجل المنمقة ، والصور
البيانية ، والاختيالة الشعرية ، والأساليب
السهلة الطلية والاعتدال على العاطفة والشعور
لا على العلم والمنطق ، والافتتان في تنويع
الأسلوب والقصد فيه .

عرفوا الخطابة بأنها : فن من فنون الكلام
يقصد به التأثير في الجمهور ، عن طريق السمع
والبصر معاً ، فما يدخل أثره من طريق
السمع هو الأسلوب والإلقاء والصوت ،
وما يدخل أثره من طريق البصر هو الوقفة
والهيئة والحركة والملامح ، وتلك المؤثرات
هى قوام هذا الفن وملاكه ، وسأقول كلمة
وجيزة في كل ركن من هذه الأركان ، بقدر
ما نكشف عن سر الجمال ، والفن فيه :
فالأسلوب الخطبى كالأسلوب الكتابى في

والشعور دون العلم والمنطق ؛ فلأن القول في الجماعات تضطرب وتبدد فلا يفيد لها المنطق ولا يقتضها الدليل ، فإذا اشتملت الخطبة على حقائق العلم ، ودقائق الفلسفة ، دون أن يكون لها من العواطف روح وحرارة وحركة بعثت السآمة في النفوس ، والبلادة في الطباع فيستولي على الجمهور فتور كالجمود ، وسكون كال موت . قال بوسويه : إن الأهواء والعواطف هي الخطيب في الجماهير .

وقال ميرابو : سر البلاغة الخطابية أن يكون الخطيب ملتهباً بالعواطف .

وقال أعرابي لبعض الوعاظ ، وقد سمع موعظته فلم تقع من قلبه بموضع : يا هذا إن بقلبك شراً ، أو بقلبي .

وأما الاقتنان في تنويع الأسلوب ، فلأن النفوس تسأم النغمة الواحدة ، واللذة المتكررة ، والصور المتشابهة ، والأسلوب المسوق على نمط واحد ، فلا بد إذن للخطيب أن ينوع خطبته ، ويغير لهجته ، فيسجع في مواضع التأثير ، ويقرسل في مواضع الإقناع ، ويعمد إلى القشبي في تقرير الحقيقة وإلى المجاز في تصوير الخيال ، ويرسل الفكاهة الحلوة من حين إلى حين ، ليدفع سأم النفوس ، ويجدد نشاط السامع ، ويتعرف نفسية جمهوره ، فيجعل لكل مقام مقالاً ، ولكل فهم مثالا ، فيفصل ويكرر

أما تمييز الألفاظ المنسقة ، والجل المنعقة والصور البلاغية ؛ فلأن كلام الخطيب لا يصل إلى الأذهان إلا عن طريق الآذان ، وللآذن ذوق في الجمال لا بد من مراعاته ومرضاته . وأما استعمال الأخيصة الشعرية فلأنها تستهوي المشاعر ، وتسترق الخواطر ، وتملك على العقول مذاهب التفكير ؛ فلا تستطيع نقداً ولا نقضاً ولا معارضة ؛ وإنما تظل تحت سلطان الخطيب عاطلة ذاهلة ، حتى ينزلها على حكمه ، أو يسيرها على نهجه ورسمه .

وأما توخي الأساليب السهلة ؛ فلأن عقلية الجمهور السامع غير عقلية الفرد القاري . فالقاري لا يتوده عمق الفكرة ، ولا صعوبة العبارة ؛ لأنه يتذوق ما يقرأ بعقله ، فيقف ويتأمل ، ويعيد ويوازن ويستنتج ويحكم . وقد يترك الكتاب ليعود إليه مرة أخرى ولكن السامع سائر مع الخطيب ، مدفوع بتياره ، لا يملك التخلف عنه ، ولا الإفلات منه . فإذا كانت الفكرة أسمى من علمه ، والعبارة أقوى من فهمه ، انقطعت الصلة بينهما ، وفقدت الخطابية من التأثير بمقدار ما فقد السامع من التتبصع والتأثر . وليس معنى السهولة أن يتبدل الخطيب ؛ فيستعمل ألفاظ السوق ، ومعاني العامة ، فإن الفن جميل فليل ، يرفع الجمهور إلى سمائه دون أن ينحط إلى حقارته وغباته ، وأما الاعتماد على العاطفة

ذلك من كثرة التثنيح والسعال : والالتجاء إلى جمل الاستعانة كتكرير أيها السادة مثلاً .
والحسن الإلقاء أثر عظيم في نجاح الخطبة ، فقد يكون أسلوبها نازلاً عن مقام البلاغة فيرفعه الخطيب القادر بفصاحة منطقته ، وأناقة لهجته ، وجمهرة صوته ، فيلذ السامع ويلهيه بجمال إلقاءه عن قبح لإنشائه .

وأما الصوت ، فهو طريق الفكرة إلى الأذن ، فلا بد أن يكون جهورياً حلو النغمة صافي الرنين ، خالص النبرات ، ويجب على الخطيب أن يعنى به ويقف على قوة ارتفاعه ومدى اتساعه ، حتى لا يكلفه فوق طاقته فيضجل ويتهدج ، ويحسن مع ذلك أن يبدأ به في انخفاض وتأن ، ثم يرفعه ويبدأ ويبدأ حتى يبلغ به أقصى قوته ، ثم يردده بين الصعود والهبوط مغيراً في ميزانه ونغماته ووقفاته تبعاً للمعنى الذى يؤديه ، محاذراً أن يرسله إلى فوق ، أو يرى به ذات الميّن أو ذات الشمال فيقبدد أكثره ، ويضعف أثره .
تلك هى المؤثرات السمعية ، وأما المؤثرات البصرية : فأولها الوقفة ، وشرطها أن يكون الخطيب فيها معتدلاً القائمة ، مشرف الصدر إلى الأمام مقدماً إحدى رجليه ، ليتم توازنه وينتظم تنفسه ، ويستقيم صوته ، ويحسن أن يقف قبل بدء الكلام وقفة المنتظر حتى يملك شعوره ، ويعرف جمهوره ، ويذهب أثر

ويؤكد ويوجز ويطنب ، وكل أولئك في جمال قصد ، وحسن ذوق ، وقوة بصيرة ولا تؤثر الخطابة إلا من طريق التطويل والحشو .

روى الجاحظ : أن ابن السكّاج جعل يتكلم وجارية له تسمع ، فلما انصرف إليها سألتها كيف سمعت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه لولا أنك تكثر ترواده ، قال : أردده حتى يفهمه من لا يفهمه ، قالت : إلى أن يفهمه من لا يفهمه يكون قد سمعه من فهمه .

والعرب أميل إلى الإيجاز في الخطب ؛ لتكون أهلق بالصدور ، وأذيع في المحافل فلم يطل منهم إلا الأفاذ والنوايغ ، كسجبان وائل ، فقد قيل : إنه خطب أمام معارية من الظهر إلى صلاة العصر ، وسمعت المرحوم سعد زغلول ، يخطب أربع ساعات متواليات في أربعين ألفاً من الناس ، فما توقف ولا كور ولا استراح .

هذه بحمل الصفات التى يجب أن تراها في صوغ الخطبة ، أما ما يجب في الإلقاء : فالوضوح والطلاقة وتمثيل المعاني والعواطف بتغيير اللهجة وتنويع الصوت ؛ فهذا الخطيب ويشور ، ويبطئ ويسرع ، ويغضب ويعجب ويسأل ويحجب ، وكل ذلك مع اتقاء اللحن في إعراب الكلام ، والسكينة في إخراج الحروف ، وسلامة المنطق من العي والحيرة والفتنة والجلجلة والفأفة والتلعثم ، وما يقبح

كانت الرجل اليمنى هي السابقة ، وباليسرى إذا كان الحال على العكس .

ثم الملايح ، والغرض منها : أن تشارك حركات اليد ، وفترات الصوت ، فإن العيون مرآيا القلوب . وأسرار الوجه تكشف عن أسرار الضمير ، والخطيب يستطيع أن يعبر بعضلات الوجه ، وتغضن الجبين عن اللذة والألم ، والرضا والسخط ، والنفور والميل والسرور والحزن ، وبالعيون عن العواطف المختلفة ، فيفتحها عند الغيظ والدهش والإعجاب والخوف ، ويطبّقها عند التواضع والمسكنة ، ويديرها بحفاوة ويسرة عند الجزع والاشتياز والرثاء ، ويرفعها إلى السماء في الألم الشديد والدعاء ، ويخفضها إلى الأرض في التفكير والحيرة والخشوع والحياء والعار واليأس .

ثم نعود فنقول : إن الخطابة كاشعراً استعداد وطبيع ، ولا بد للاستعداد والطبع من رياضة وثقافة ، فالخطيب إذا لم يكن كثير المراجعة جهد لسانه وإذا لم يدمن القراءة نضب معينه ، وضعف بيانه .

وأخص ما يدل على استعداد الخطيب طلاقة اللسان وقوة الحس وحضور ذهن ، ورباطة الجأش . والصفتان الأخيرتان ضروريتان للخطيب السياسي ، والخطيب القضائي ، لأن معارضة الخصوم ، ومقاطعة الزملاء ، ومفاجأة الحوادث تخرج الصدر

الخطيب السابق إن كان هناك من سبقه ، وثانيها الهيئته : من وضاعة الطلعة ، واعتدال القوام وحسن المهندام ، وجمال البزة ، وهذه صفات كمالية قد يفنى عنها جمال الأسلوب ، وحسن الإلقاء ، وثالثها الحركة : وهي مساعدة الكلمات والفترات بالإشارات ، وهي طبيعية في الناس منشأها ضعف العبارة ، وبجز اللغة عن تأدية ما يجول في النفس من خواطر ومشاعر . لذلك تجدون حركات الجسم ، وملايح الوجه تشدد وتحتد كلما أصاب الإنسان عتّى أو لكنة ومن ثم كانت الشعوب ذوات الخيال القوى والإحساس الشديد أكثر الأمم حركة وأشدّها لهجة ، وأشد ما تكون الحركات قوة وظهوراً حين تثور النفس وتضطرم العواطف ، فتتفجر من اللسان والجوارح والملايح ، ولذلك كانت الحركات عنصراً من عناصر العمل الروائي ، وجزءاً من أجزاء الفن الخطابي ، لشدة انفعالاتهما ، وكثرة مفاجآتهما ، وإزدحامهما عادة بالمواقف النائرة أو الساخرة ، ولكن الخطيب الموفق هو الذى يضعهما في محالهما ، ويقصد في استعمالهما فلا يبالغ ، ولا يتكلف ، ولا يكذب .

وشرط الإشارة ألا تخفى الوجه ، وأن تتفق مع المعنى ، فتبطئ وتهدأ ، وتسرع وتثور تبعاً له ، وألا تسبق الكلام ، وألا تأتى بعده ، وأن تكون باليد اليمنى - إذا

وانظروا إلى بديهة (لا مرتين) العجيبة ،
وقد اشتد الجدل بينه وبين الجمهور الناضب
الصاخب في يوم هصيب تراجعت فيه مذاكب
الخطباء ، وصروح الشر باسمه بين الشعب
والزعماء ، فصد المنبر ولم يخلص إليه من
شدة الدفع والجذب والزحام إلا بعد لآي
وجهد . فلما رأى نفسه أمام التأثيرين وجها
لوجه قال : أبناء أمي لماذا دھوتوني ؟

أصوات : لنعرف بأي حق تمسكون
الشعب ، ونعلم أأنتم أهل غلول وخيانة ،
أم وطنيون خليقون بهذه الثورة ؟

لا مرتين : بأي حق نحككه ؟ بحق الدم
المسفوك ، والنار التي قلتهم معاھدنا ،
والشعب الذي يعوزه الرئيس ، والأمة التي
لا قائد لها ولا نظام ، وربما جاء الغد وليس
لها قوت ، بحق الإخلاص والشجاعة ، بحق
أولئك الذين يسبقون إلى التضحية جاھلين
ضماثرهم هدفا للشبهات ، وودهم غرضا
للشائق ، ودماهم عرضة للانتقام !
اتحدوننا على هذا الحق ؟ إنه لكم كما هو
لنا ، ولا نجاد لكم فيه كلكم أهل للتطوع
في هذه السبيل ، ولا ندعى من الحقوق
إلا ما يمنحه الضمير الذي يسيطر علينا ،
والخطر الذي يحيق بكم ...

أصوات : لا لا بل بل إلى الحق لكم
في قول الحكم . لستم من الشعب الم تخرجوا
من وراء المتاريس .

وتثير الغضب وتهاجم القلب . فإذا لم يكن
الخطيب ماسكا لمواطنه ، عليا بمواقفه .
تبدد ذهنه والثبات عليه أمره ؛ فلا يعرف
قبلا من دبير . قد يعارضك وأنت تمخطب
نائب ، أو يقاطعك مستمع ، أو يفجأك
بالحجة محام أو قاض فإذا تصنع إذا لم يكن
ذهنك سريعا ، وعاطرك مطيعا ، وجوابك
حاضرا ؟ لقد كان جان جاك روسو ، يقول
عن نفسه : لم أستطع طول عمري أن أتى
بالجواب الموفق إلا بعد ربع ساعة من
الوقت الملائم . فإذا يكون حال روسو
وأمثاله في البرلمان أو في المحكمة حين تقتضى
المعارضة ، أو المفاجأة ، ودأ حاسما سريعا ؟
أنظروا مثلا إلى حضور ذهن أبي جعفر
المنصور ، فقد خطب يوما فحمد الله ، وأثنى
عليه ، ثم قال : أيها الناس اتقوا الله ... فقام
إليه رجل من عرض الناس ، فقال : أذكرك
الذي ذكرتنا به . فأجابه المنصور على الفور :
سما سمعنا من ذكرنا باقة ، وأهوذ باقة أن
أذكرك به وأنساء ، فتأخذني العزة بالإثم ،
لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين . وأما أنت
فواقه . ما أقد أردت بهذا ، ولكن ليقل وقام
فقال ، فعوقب فصر وأهون بها لو كانت !

وأنا أنذرك أيها الناس أختها ، فإن
الموهظة علينا نزلت ، وفيها أنبتت . ثم
رجع إلى موضعه من الخطبة .

ذلك اليوم يخطب بعد ما احتشد السكّام
وأهده ، فلم يسكّد يسترسل في خطبته حتى
قاطعه أهل اليمين بالسخرية والتنادر ، فقال
هوجو : أيها السادة : إن هذه المقاطعات
المدبرة المنظمة ...

فقاطعه صوت من اليمين : كل ما في الأمر
أننا نضحك !

صوت آخر : ذلك يهوش هليك خطبتك
المحفوظة .

هوجو : إن الغرض من هذه المقاطعات
تشيت ذهن الخطيب .

صوت : قل حافظته ! حافظته !

هوجو : يريدون أن يسلبوا الخطيب
حرية الفكر .

صوت - حرية الحفظ ! حرية الحفظ !
فوقف هوجو أمام الساخرين لا يجير جوابا .

وهنا قال في خطبته التي هاجم بها قانون النقي .
« تأتي الثورة فجأة فيصير الأذكاء أقزاما ،
أجابه نائب معارض : « ويصير الأغبياء
جبابرة ، فلم يسعفه خاطره بالرد ؛ فأرسل
إلى الرئيس نظرات الاستغاثة .

ولتلك البديهة المتخلفة فشل هوجو
في ميدان الخطابة ، وكان تأثير خطبه
في القاريء أشد منه في السامع . فأنتم ترون
أن الخطيب السياسي ، والخطيب القضائي . إذا
لم تواتهما المعارضة الشديدة والرد الحاسم ،
والحلم الرزين ، والجأش الرابط . كان

أصوات أخرى : لا ! بل هم الذين
احتجوا على الفساد ، ودافعوا عن الشعب .
لقد قلبنا الملكية ؛ فليقل لنا لا مرتين أريد
أن يعطينا الجمهورية ؟
لا مرتين : الجمهورية ! ومن لطق بهذا
الاسم ؟

- كلنا ، كلنا .

لا مرتين : الجمهورية ! وهل تعرفون
ما تطلبون ؟ أتعرفون ما هو الحكم الجمهوري ؟
- قل لنا ! قل لنا ؟

لا مرتين : الجمهورية هي : حكم العقل ،
فهل تشعرون أنكم أهل لأن تحكموا عقولكم ؟
- نعم نعم !

لا مرتين : الجمهورية هي حكم العدل ، فهل
تشعرون أنكم تعدلون ، ولو في الحكم على أنفسكم .
- نعم نعم !

وسار لا مرتين في خطبته على هذا النمط
العجيب من الذكاء النادر ، والجواب الحاضر ،
والأخذ بكظم الجمهور ، والاستيلاء على
شعوره ورأيه من غير تحضير سابق ،
ولا تلكؤ ظنين .

وازنوا بين ما سمعتم ، وبين ما حدث
لفسكتور هوجو في جلسة برلمانية كانت
تدور على تعديل قانون الانتخاب ، وكان
هوجو يكتب خطبه بلغة عالية ، ويستظهرها
ثم يلقيها عن ظهر قلب . فإذا قوطع أثناء
أدائها ارتج عليه ، أو أجاب بالهذر . وقف

بها المحاضرات فهي أقوم حجة ، وأضوأ
 حجة ، وأهدأ بياناً وأسهل أسلوباً ؛ لأنها
 تقصد إلى التعليم لا إلى التأنيب ، وإلى الإقناع
 لا إلى الإمتاع ، فلا تثير رغباً ولا رهبا ،
 ولا غضباً ولا راحة . تعتمد على البحث العلمي
 والدليل المنطقي ، والتحليل النفسي ؛ فهي درس
 عام ، تبسط فيه الحقائق مفصلة محللة جلية
 لا يبد لها استطراد ، ولا يفسدها نقص ،
 ولا تهمها إحالة . فالمحاضر القدير يدرس
 موضوعه من جميع جهاته ، ويبحث عنه
 في كل مظانه ، ثم يلم أطرافه ، ويجمع متفرقه
 ويدنئ قصيه ، ثم يؤديه بأسلوب جفاف يثير
 الشوق ، ويدفع السأم ؛ فإن البلاغة صفة
 لازمة للتكلم تلازمه في كل موضع ،
 وتتفجر من قلبه وذمته في كل موضوع .

هذه جملة يسيرة من أصول الفن الخطابي
 لا بد منها للناشيء البادئ . وقد عرضتها عليكم
 عرضاً في مبدأ الطريق لتجهلوا منها دليلاً
 تتبعونه ، وفاصحاً تستشيرونه . ومرجع الأمر
 كله إلى الاستعداد والاجتهاد ، فثابروا
 وصابروا وخذوا أنفسكم بالمطالعة والمران ،
 وأشعروا قلوبكم الرغبة في هذا الفن ، فإن
 الرغبة في الشيء تسهل العصب ، وتخفف
 المثوونة ، وتوفق بين الوسيلة والغاية .

أحمد حسن الزيات

نجاحهما منيع الدرك ، لأن الخطب السياسية
 والقضائية - كما قلت - مثار الخصومة والجدل
 وموضع التأنيب والحجة ، ولهذين النوعين
 وضعت القواعد ، وهما دارت مسائل
 هذا الفن ، وفيهما اشتهر الأفاضل من رجاله .
 وهناك نوع ثالث يليهما في القوة والبلاغة
 والاثار ، وهو الخطب الحربية ؛ غير أنها
 أوجز لفظاً وأحكم نظماً ، وأحوج إلى
 استفزاز العواطف . كخطبة طارق بن زياد
 في فتح الأندلس مثلاً .

وقد تغنى في هذا النوع الجملة القصيرة
 المحسكة عن الخطبة الطويلة المرسلة ، كقول
 نابليون ، وقد دارت رحى الحرب بين جنوده
 وجنود مصر على مقربة من الأهرام : أيها
 الجنود اثبتوا ؛ فإن أربعين قرناً تنظر إليكم
 من فوق الأهرام . وكقول أحمد القواد
 في حرب الفاندى : أيها الجنود : إذا أنا
 أقدمت فاتبعوني ، وإن أحجمت فاقتلوني ،
 وإن مت فأنأروا لي .

بقيت الخطب الدينية ، والخطب العلمية .
 أما الأولى ، فمدارها الأمر بالمعروف ،
 والنهي عن المنكر ، وثقيف العقل بالحكمة
 والموعظة الحسنة واستمدادها من النصوص
 الشرعية ، والعلوم الكونية ، والفضائل
 النفسية وما أظن أحداً منكم يهمل نفسه لها ؛
 فلندعها إلى أهلها . وأما الأخرى ؛ وأعنى

حديث الإمام الأكبر للمسلمين في شهر رمضان

حاجة البطن ووجبة الجسد ، حتى يروض نفوسنا على الإمساك عما يحرم ، فإن النفوس إذا صدعت بأمر ربه ، فامتنت عن المحلات سهل عليها أن تصدف طيلة أيامها عن المحرمات .

وإذا كان الصيام حرمان المادة بالجوع والعطش ؛ ففيه إشباع الروح بالشفافية والإشراق ، وعلى قدر ما في الصيام من سلبية لمقومات المادة من الغذاء ، تكون الإيجابية لمقامات الأرواح في مراقب الصفاء ، فالكثيافية الطينية إذا رقت تجلت اللطيفة الربانية وشفقت ، وحينئذ يكون الإنسان ملائكي الطبع ، نوراني الخواطر ، رباني السلوك ، يذوق حلاوة الطاعة ، ويحس مباحج الورع ، وتنبسط نفسه للخير ونوازعه ، وحسبه أن أهبج بشر أن يقول - كما هلمنا الرسول - : « لاني صائم » .

وإذا حقق المسلم بصومه حكمة ربه ، صلح جسده بصلاح قلبه ، وهفت جوارحه عن محارم الله ، وتنزهت أفكاره عن خواطر السوء ، واستحق أن يكون صيامه أشرف أعماله ، كما قال تعالى في الحديث القدسي : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ؛ فإنه لي وأنا أجزي به » .

بسم الله أستفتح تهنئي لكم ، أيها المسلمون ، بإقبال رمضان العظيم ، وبالجد له ألجج على ما هدانا إليه من إيمان ، وجمعنا عليه من إسلام ، وأصلى وأسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين ، وجعله مسك الختام الأنبياء والمرسلين ، وأسأله سبحانه أن يهبنا من مدده ما يعيننا على استقبال هذا الشهر الكريم على الله بما يناسب تشريف الله له ، وتكريمه لأيامه ولياليه .

وهو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار ، لأنه يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير ، فهو بما أودع في خلقه من أسرار ، يصطنى من الملائكة رسلا ومن الناس ، ويصطنى من المكان أول بيت وضع للناس بيكة مباركا ، ويصطنى المسجد الأقصى الذي بارك حوله ، ويصطنى الوادي المقدس طوى ، وقد اصطنى من الزمان رمضان ؛ فجعله خير شهر ، واصطنى منه ليلة هي ليلة القدر ، أنزل فيها القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان : « تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام » .

وقد علينا الله من فضل هذا الشهر ما شاء أن فعل ، وتعبدنا نهاره بالإمساك عما يحل من

الفقير إلى ذل السؤال ، واجعلوا شكركم لنعم الله عليكم لطف بر ، وسماحة معونة ، حتى تكونوا أنتم ، والمحرمون في نعمة الله سواء ، وكونوا للعوزين كما يحبون لو كنتم محتاجين وبهذا تكونوا خلفاء الله بحق ، يعطى بأياديكم ، ويتفضل الله عليكم بشوابيكم ، ويفرح بتعاونكم ويكرمكم بحبه فالخلق كلهم حيال الله ، وأحبهم إليه أراهم بعياله .

أيها المسلمون : إن الإيمان الذي وحد هقيدتكم في إله واحد ، ووحّد اتجاهكم في الصلاة إلى كعبة واحدة ووحّد دستوركم في كتاب مبين ، وسنة مبيّنة - وحد بينكم في الصيام ، حين تسمعون (الله أكبر) ، طلع الفجر تمسكون ، وحين تسمعون (الله أكبر) غروب الشمس تفطرون ، فبإله من جلال ، يحرم بكلمة ، ويحلل بكلمة ، فلو أنكم استقبلتم كل نواهي الله بالإعراض عنها ، وصدعتم بأوامره ، فأقبلتم عليها لعشتم في عالم فاضل ، وجمتمع سعيد ، قوامه مشاركة في الخير وتعاون على البر وتواص بالحق والصبر ، تواجهون الأحداث بطاقات موحدة تتكامل وتشكّل وتشقى إلى نبيل الأهداف بحزم العاقل ، وهزم الغيور ، وبهذا تعيشون رحاء فيما بينكم ، أدلة على المؤمنين ، أهزة على الكافرين .

(البقية على صفحة ٧٨١)

أيها المسلمون : كل جمال الحياة في حق يقال ، ويعمل له ، والحق جماعه التقوى ، ولهذا أجمل الله حكمة الصوم بقوله في كتابه الكريم : « لعلكم تتقون » .

وكل مقابح الحياة في وزر يذاع ، ويعمل به ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم قرض الزور لحكمة الصوم حيث يقول : « من لم يدع قول الزور ، والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » ، وليس أحق ممن يحرم نفسه الطعام والشراب ، ويحرم نفسه مع ذلك من الأجر والثواب .

أيها المسلمون : لا تضعوا على نفوسكم حكمة الصوم عند ربكم ، فتحشدوا عند الإنفطار ألوانا من الطعام والشراب ، تصرفون فيها كما ، وتفتنون فيها كيفاً وتجمعون ما فاتكم من وجبات ، تزحمون بها موائدكم ، وترهقون مواردكم ، فإنكم بهذا تتخمون ، وقعتادون على ما لا تقدرون ، وحسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه ، وما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، ومع الجوع أى طعام مرى ، ومع العطش أى شراب هنىء وقد يما قيل : « نعم الإدام الجوع » : أيها المسلمون : اذكروا عند فضول موائدكم من لا يمجّد كفافاً ، وتحسّسوا بأرميحتكم من لا يسأل الناس إلخافاً ، والمؤمن كيس فطن ، يسبق بالنوال ولا يلجى .

التطورات التشريعية للطلاق

للأستاذ محمد محمد المدني

٣ - طلاق السكران والمكره

- ٦ -

وقد استدل القائلون بعدم الوقوع، بالحديث الذي ذكرناه، قالوا : لأن العلة في عدم مؤاخذه المجنون في الحديث هي زوال العقل ، فلا يصح تكليفه ، وهذه العلة متحققة في السكران لأنه زائل العقل ، فهو غير مكلف ، وقد انعقد الإجماع على أن شرط التكليف العقل .

كما استدلوا بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ، فأنه تعالى يجعل قول السكران غير معتبر ، لأنه لا يعلم ما يقول فيدل ذلك على عدم اعتبار قوله في الطلاق . واستدل القائلون بوقوع طلاق السكران بهذه الآية نفسها حيث قالوا : إنما نهى عن قربان الصلاة حال السكر ، والنهي يقتضى أنهم مكلفون حيال سكرهم ، والمكلف يصح منه إنشاء الطلاق ، وأجيب : بأن الآية خطاب لهم حال صحوهم ، ونهى لم قبل سكرهم وفي تفسيرها يقول صاحب المنار :

إن الخطاب موجه إلى المسلم قبل السكر بأن يجتنبه إذا ظن أنه ينتهي به إلى التلبس بالصلاة في أثناءه فهو أمر بالاحتياط ، واجتناب السكر في أكثر الأوقات .

١ - في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يكبر ، وعن المجنون حتى يعقل ، وفي رواية : « وعن الصبي حتى يبلغ ، وعن المجنون حتى يفيق » . وفي رواية أخرى : « وعن الصبي حتى يحتلم » .

وهذا الحديث رواه أحمد ، والأربعة إلا الترمذي ، وصححه الحاكم ، وأخرجه ابن حبان . ويدل هذا الحديث صراحة على أن المجنون لا يصح طلاقه كما لا يصح طلاق النائم والصبي . ولذلك يقول ابن قدامة : أجمع أهل العلم على أن زائل العقل بغير سكر أو ما في معناه لا يقع طلاقه .

ثم اختلف الفقهاء في طلاق السكران بسبب المحصية - على قولين :

الاول : أنه لا يقع ، وإليه ذهب عثمان ، وجابر ، ويزيد ، وعمر بن عبد العزيز ، وجماعة من السلف ، وهو مذهب أحمد ، وأهل الظاهر . والثاني : أنه يقع ، وذلك يروى عن علي وابن عباس وجماعة من الصحابة ، وعن الهادي ، وأبي حنيفة والشافعي ومالك .

«رفع عن أمق الخطأ ، والنسيان ، وما استكرهوا عليه .

وهذا الرأي مروى عن علي ، وعمر ، وابن عباس ، وابن عمر ، والزبير ، والحسن البصري ، وعطاء ، ومجاهد ، وطاوس ، والأوزاعي ، والقاسمية ، والناصر ، والمؤيد باقه ، ومالك ، والشافعي ، كما ذكره صاحب نيل الأوطار . ومن الفقهاء من يرى أن طلاق المكره يقع ، ويستدلون على هذا ببعض الأحاديث التي لا تنهض من جهة السند ، ولا من جهة الدلالة . كالذي يروى من أن رجلا جلست امرأته

على صدره ، وجعلت السكين على حلقه ، وقالت له : طلقني أو لاذبحك ، فناشدهما الله تعالى فأبى ، فطلقها ثلاثا ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا قيلولة في الطلاق . أي : لا إقالة فيه ، فلا بد من وقوعه .

وينقد ابن حزم هذا الخبر فيقول : إنه مروى عن صفوان ، وصفوان منكر الحديث ، وفي طريقه الغازي ابن حجلة ، وهو مخموز ، فهو خبر في غاية السقوط .

وكذلك نقد ابن حزم حديثا آخر ، يقول : « كل الطلاق جائز ، إلا طلاق المعتوه المغلوب على عقله ، فقال ابن حزم ، هذا الخبر الثاني شر من الأول ، لأنه مروى عن (عطاء بن عجلان) ، وهو مذکور بالكذب .

ومن أدانهم أيضا أنهم قالوا : إن الفائع بالإكراه إنما هو الرضا ، أما تمعد اللفظ ،

تفسير المنار جزء ٥ ص ١١٣ .

كما استدل القائلون بالوقوع بأدلة أخرى ناقشهم فيها مخالفوهم .

ومن ذلك يعلم أنه لم يرد نص من كتاب أو سنة بوقوع طلاق السكران ، ويعلم أن المسألة خلافية ، وقد جد الخلاف فيها في عهد التابعين ومن بعدهم ، وليس للصحابة فيها رأى إلا ما روى عن عثمان وغيره بعدم الوقوع على ما ذكرنا ، ويوجد في كل مذهب من المذاهب الأربعة رأيان : رأى بالوقوع ، ورأى بعدمه .

وكذلك اختلف السلف في طلاق المكره : فجمهور العلماء يرون أنه لا يقع ويستدلون بقوله تعالى : « إلا من أكره » وقلبه مطمئن بالإيمان ، فيقول الشافعي : إن الله لما وضع الكفر من تلفظه حال الإكراه ، فكذلك يسقط عن المكره ما دون الكفر ، ويقول عطاء : الشرك أعظم من الطلاق ، أي فإذا وضع عن المكره ، فوضع الطلاق عنه أولى لأن الأعظم إذا سقط ، سقط ما هو دونه بطريق الأولى (راجع سبل السلام ج ٣ ص ١٧٧) .

وقد أخرج ابن ماجه ، وابن حبان ، والدارقطني والطبراني والحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس ، وحسنه النووي كما جاء في نيل الأوطار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

التمييز من غضب ، أو مصيبة مفاجئة ، أو كبر ، أو مرض .

* * *

وواضح أن القوانين المذكورة ، تزيد على القانون المصرى ، حالات أخرى لا يقع فيها الطلاق ، وهى حالات : الجنون - العته - والدهش والغضب - والمصيبة المفاجئة - والشيوخوخة . والمرض .

ولكل حالة من هذه الحالات توجهها الفقهى . وإنما لم ينص القانون المصرى على هذه الحالات اكتفاء برجوع القاضى إلى الفقه فى شأنها ، لأن معظمها يرجع التقدير فيه إلى القضاء ، فليس الغضب فى مرتبه واحدة ، ولا الدهش ، ولا المرض ، ولا كبر السن ، ولا المصيبة المفاجئة ، ليس شيء من ذلك بمحدد حتى ينص عليه القانون ، فالغضب مثلا ، كما يقول ابن القيم على ثلاثة أقسام :

أحدها : أن يحصل له مبادئ الغضب ، بحيث لا يتغير عقله ويعلم ما يقول ويقصده وهذا لا إشكال فيه ، والثانى : أن يبلغ النهاية فلا يعلم ما يقول ، ولا يريد ، فهذا لا ريب أنه لا ينفذ شيء من أقواله . الثالث : من توسط بين المرتبتين ، بحيث لم يهر كالجنون ، فهذا محل النظر (ابن عابدين ج ، س ٤٦٣) .

وإذا كان الأمر فى الغضب على هذه المراتب المختلفة ، فقد ترك القانون النص عليه ،

والنطق به فوجود ، وليس الرضا بشرط ، وذلك كطلاق الهازل فإنه واقع مع أن الرضا منه غير موجود .

ورد ذلك بأن المكره غير بين الطلاق وأن يصيبه ضرر لا يقدر عليه ، قد يصل إلى الموت ، فهل يقاس بالهازل الذى يملك نفسه

وقد رجح القانون المصرى رقم ٢٤ لسنة ١٩٢٩ رأى القائلين بعدم وقوع طلاق السكران والمسكره .

لجاء فى المادة الأولى منه ما نصه .

(لا يقع طلاق السكران والمسكره) .

كما جاء فى الفصل التاسع والأربعين من القانون المراكشى ما نصه :

(لا يقع طلاق السكران الطافح ، والمسكره وكذلك الغضبان إذا كان مطبقا أو اشتد غضبه) .

وجاء فى المادة الثامنة والستين من قانون حقوق العائلة الاردنى ما نصه :

(طلاق السكران ، وطلاق المدهوش ، والطلاق الواقع بالإكراه غير معتبر) .

ونصت المادة التاسعة والثمانين من قانون الأحوال الشخصية السورى على ما يأتى :

(لا يقع طلاق السكران ، ولا المدهوش ، ولا المسكره) .

ونصت المادة الخامسة والثلاثين من القانون العراقى على أنه (لا يقع طلاق السكران والجنون والمعتوه والمسكره ، ومن كان فاقد

واكتفى في شأنه بما ورد في الفقه الذي يرجع إليه حين لا يرد في القانون نص .

ويقال مثل ذلك في الأحوال الأخرى .

والقوانين التي نصت على هذه الأحوال تحتاج أيضا في تطبيقها إلى النظر والتقدير من القضاء ، والرجوع إلى الفقه ، وإلى واقع حال المطلق لضبط النظر والتقدير .

ومن ثم فلا نرى كبير فائدة في النص على ما نصت عليه زيادة على ما ورد في القانون المصري .

هذا أم الموضوعات التي يظهر فيها أثر التطور التشريعي ، فيما بين الفقهاء متقدميهم ومتأخريهم ، وفيما انتهى إليه التشريع القانوني المستند إليهم في عصرنا الحاضر ، ولم نقصد استيعاب كل موضوع ، ولا التوسع في ذكر التفاصيل والأدلة ، ولكن قصدنا ما يكون به التوضيح ، وبالله التوفيق ؟

محمد محمد المرمي

(بقية المنشور على صفحة ٧٧٧)

وعلى المظلوم حربا حتى يظهر العالم من جنون القساط ، وجبروت الاستعلاء ، وحتى ترفعوا بعبية المستضعفين إلى ذاتية المتحررين .

أيها المسلمون : قبل الله صيامكم وقيامكم ، وجعل لكم فيما توتلون من القرآن ، وتندارسون من السنة ، هدى ونورا يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، وفقكم الله إلى صالح القول ، وسديد العمل ، وأعاد عليكم هذا الشهر كما تحبون ، وفوق ما تؤملون ، وأيد الله قادركم ومكن لهم ، حتى يجمعوا على سلام الإسلام كل الدنيا ، وتكون كلمة الله هي العليا ؟

حسن مأمور
شيخ الأزهر

أيها المسلمون : إن سلوككم عرض تطبيق لمبادئ الإسلام ، فكونوا أمناء على هذا العرض ؛ لأنكم إذا انحرفتم عن الإسلام بسلوككم ، مكنتم أعداءه من التفسيك في صلاحيته ، والاجترأ عليه بوافدات الإلحاد ، وخداعات المبادئ ، فكونوا كما أراد الله : أسوة حسنة ، ومثلا إسلاميا أهل ، يلفت الدنيا إلى محاسن الإسلام ، ويعلم المخدوعين والمفتونين بأنه لا صلاح لدنيا الناس إلا بالدين .

أيها المسلمون : إنكم بصيامكم تنتصرون على نفوسكم ، وهي أهدى أعدائكم ، ومن انتصر على نفسه ، هان عليه أمر خصمه ، فخذوا من الصيام دربة فضال وطاقة كفاح ، وانفعا لجهاد ، وكونوا للضعيف حزبا ،

النظام الاقتصادي في الإسلام

ووضعه بين النظم الاقتصادية الحاضرة

للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي

من فناء الأفراد الذين يتمثل فيهم وتجددهم جيلاً بعد جيل .

ونظام الملكية الجماعية معترف به في جميع الأمم والشرائع ؛ فليس ثمة شريعة إنسانية لا تقر الملكية الجماعية في صورة ما ، وليس ثمة أمة قديمة ولا حديثة لا يوجد فيها مظهر ما من مظاهر هذه الملكية .

ولنما الخلاف بين النظم الاقتصادية في هذه الناحية ينحصر في موقفها حيال النوع الثاني من الملكية وهو الملكية الفردية فالنظام الشيوعي لا يقر الملكية الفردية على الإطلاق أو لا يقرها إلا في أمور ليست ذات بال في الإنتاج لجميع الملكيات أو بعبارة أدق جميع الملكيات ذات الأهمية في الإنتاج ملكيات جماعية في هذا النظام ، تملكها الدولة نفسها ، وتوزع الجهد اللازمة لاستغلالها وتنتج ثمراتها على أفراد الشعب وفق ما ترضيه من نظم وأوضاع .

والنظامان الآخران ، وهما النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي ، يقران الملكية

ترجع أهم الأوضاع الاقتصادية المطبقة في الوقت الحاضر إلى ثلاثة نظم ، يطلق عليها أسماء : الشيوعية والرأسمالية والاشتراكية . وتبدو أهم مظاهر الخلاف بين هذه النظم في موقف كل نظام منها حيال الملكية وأنواعها وحقوقها واجباتها .

وذلك أن الملكية تنقسم قسمين : ملكية فردية ، وملكية جماعية .

فأما الملكية الفردية : فهي التي يكون المالك فيها فرداً معيناً بذاته ، أو أفراداً معينين بذواتهم .

وأما الملكية الجماعية فهي التي لا يكون المالك فيها فرداً معيناً ، ولا أفراداً معينين بالذات ، وإنما يكون شخصاً اعتبارياً مفروضاً فيه الاستقرار والبقاء ، كالامة والدولة والعشيرة والقبيلة والجمعية ... وما إلى ذلك ، حينئذ يقال مثلاً : إن هذه الأرض ملك للدولة أو الامة ، يكون معنى ذلك أنها ملك للشخص الاعتباري المتمثل في الدولة أو الامة والمفروض فيه الدوام والبقاء على الرغم

الاجتماعية انتقلها إليهم عن طريق الميراث ففي كلا الحالين لا يعتبر هذا الانتقال تملكاً جديداً من جميع الوجوه ، بل يعتبر بمثابة امتداد للملك الأول ، لتحقيقه لرغبة المالك الأصلي في حالة الوصية ولتعلقه بأفراد يمتنون للمالك الأصلي بلحمة قرابة قوية ، تجعلهم صورة متجددة منه في حالة الميراث . فكأن هؤلاء وأولئك يمثلون المالك الأول ، وكأن الملكية الأولى نفسها لا تزال قائمة ، وإن لبست ثوباً آخر غير ثوبها القديم .

وأما الحق الثاني ، وهو حرية النوع : فعزاء أن يكون للمالك الفردي الحق في أن يحوز من أنواع الممتلكات ما يشاءه وتسمح به إمكانياته .

وأما الحق الثالث : وهو حرية المقدار ، فعزاء : أن يكون للمالك الحق في تملك أي مقدار ، بالغة ما بلغت قيمته .

وأما الحق الرابع : وهو حرية التصرف فعزاء : أن يكون للمالك الحق في أن يفعل في ملكه ما يشاء وفي أن يملكه ؛ فلا يفعل فيه شيئاً ، خرية التصرف لها وجهان : وجه إيجابي ؛ ووجه سلبي ، ويتمثل وجهها الإيجابي في أمور كثيرة : من أهمها استغلال الشيء المملوك ، واستهلاكه ، وإبادته وبيعه ، وهبته ، وإعارته ، وتأجير ، والوصية به ،

الفردية في المنقول والعقار ، ويختلف مصادر الإنتاج .

ولكنهما مع ذلك يختلفان في موقف كليهما حيال حقوق هذه الملكية وواجباتها .

وذلك أن الملكية الفردية تمنح صاحبها مبدئياً حقوقاً كثيرة ، يرجع أهمها إلى أربعة حقوق ، وهي : الدوام ، وحرية النوع ، وحرية المقدار ، وحرية التصرف .

أما حق الدوام : فعزاء بقاء الملكية ما بقيت العين المملوكة ، وهذا الدوام يكون أحياناً دواماً حقيقياً ، وأحياناً يكون دواماً اعتبارياً فيكون دواماً حقيقياً إذا كانت العين المملوكة قابلة للاستهلاك وأتبع لصاحبها أن يستهلكها في حياته ، ففي هذه الحالة يصدق على الملكية أن يدملكها بقيت مسيطرة عليها طول المدة التي استغرقها بقاءها ، ويكون الدوام اعتبارياً إذا كانت العين المملوكة غير قابلة للاستهلاك كالأراضي والعقار ، ويموت صاحبها ، وهي لا تزال باقية ، أو قابلة للاستهلاك ولم يتح لمالكها أن يستهلكها في حياته ، ففي هذه الأحوال يتحقق الدوام في صورة اعتبارية تواضعت عليها شرائع الأمم التي تقر الملكية الفردية ، وذلك بأن تنقل العين بعد وفاة مالكها إلى من يوصى هو بانتقالها إليه أو إلى من تقرر النظم

للمالك الفردى أن يوصى بملكه لمن يشاء ولما يشاء (حق الدوام) وأن يملك أى نوع من الممتلكات ، ولذلك نسمع فى الولايات المتحدة بملوك البترول الذين يملكون حظا كبيرا من آبار البترول فى العالم ، وملوك الصلب الذين يملكون معظم مصانع الصلب وملوك السكك الحديدية ، وملوك البنوك ، وملوك الصحانة ... وهم جرا (حرية النوع) وأن يملك أى مقدار بالغة - ما بلغت - قيمته ولذلك نسمع فى هذه البلاد بأصحاب الملايين الذين يملكون ما تبلغ قيمته عدة ملايين من الدولارات ، وبأصحاب المليارات الذين يملكون ما تبلغ قيمته عدة مليارات ، أى عدة آلاف من ملايين الدولارات (حرية المقدار) ؛ وليس ثمة قيود يعتد بها على حرية التصرف الإيجابى والسلبى فى الملكية الفردية فى هذه البلاد ، وكذلك يحرص نظامها الرأسمالى على تخفيف الواجبات والأعباء التى يضعها على كاهل المالك الفردى ، فى ظل النظام الرأسمالى يطلق العنان لرأس المال ، فيطغى ويسيطر على شئون الإنتاج والاقتصاد على العمل ، بل قد يسيطر كذلك على شئون السياسة والاجتماع ، وتتحقق ظاهرة التراء الفاحش لبعض الناس ، وتتسع الفروق المالية بين الأفراد والطبقات نظراً لإطلاق حرية التملك ، وحقوق المالك الفردى ، مع

ووقف غلته على فرد أو أفراد ، أو هيئة ما بعد الوفاة ... وهم جرا .

هذا ولا توجد شريعة من الشرائع التى تقر الملكية الفردية تمنح المالك الحقوق السابق ذكرها فى صورة مطلقة وقهضيه من الواجبات بل إن كل شريعة منها لتعتمد إلى كل حق من هذه الحقوق فتقيده فى سبيل الصالح العام وحماية حقوق الآخرين ، وانقاء الضرر والضرار ؛ وتفرض بجانب ذلك على المالك عدة واجبات يؤدىها للدولة وللجتميع فى مقابل ما بقى له من حقوق .

غير أن النظامين اللذين يقران الملكية الفردية . وهما : النظام الرأسمالى ، والنظام الاشتراكى ، يختلف كلاهما عن الآخر فى مبلغ القيود التى يفيد بها حقوق الملكية الفردية ومبلغ ما يضعه على كاهل المالك الفردى من واجبات وأعباء .

فالنظام الرأسمالى لا يمس الحقوق السابق ذكرها إلا برفق ، وفى حدود ضيقة وكذلك يخفف ما أمكنه التخفيف فيما يضعه على كاهل المالك الفردى من واجبات وأعباء وبالجملة يمنح إلى تغليب ناحية الحقوق فى الملكية الفردية على ناحية الواجبات ، فى النظام الرأسمالى فى الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً لا توجد إلا قيود ضئيلة على الحقوق السابق ذكرها ، وفيما عدا هذه القيود الضئيلة يجوز

المالك الفردي . وتزجج أم هذه الواجبات إلى ما تفرضه من رسوم وضرائب تصاعدية على التركات والأيلولة ، والمهن التجارية ، والمهن الحرة غير التجارية ، وكسب العمل ، والإيراد العام . وترى النظم الاشتراكية من وراء ما تضعه من قيود على حقوق الملكية الفردية وما تفرضه من واجبات على كاهل المالك الفردي إلى تنظيم أظافر رأس المال ، وتجريده من وسائل السيطرة والنفوذ ، واستقرار التوازن الاقتصادي ، وتحقيق تكافؤ الفرص ، وتقليل الفروق المالية بين الطبقات والأفراد ، وتقريب الطبقات بعضها من بعض ، والأفراد بعضهم من بعض ، واتقاء تضخم الثروات ، وتجمعها في أيدي قليلة :

والنظم الاشتراكية أنواع مختلفات : فنها ما لا يبعد كثيراً عن النظام الرأسمالي ؛ ومنها ما يعم في تقييد حقوق الملكية الفردية ، وفي إكثاره من واجباتها ؛ حتى إلحاح يقضى عليها ، ويشل حركتها ؛ فيقرب بذلك من النظام الشيوعي ؛ ومنها ما هو وسط بين هذا وذاك .

* * *

هذا ، وقد وضع الإسلام في شئون الاقتصاد نظاماً حكماً ، يقوم على الدعائم الثلاث الآتية :

اختلاف الناس بعضهم عن بعض في كفاياتهم ومواهبهم ، وما يتاح لكل منهم من فرص وظروف .

على حين أن النظام الاشتراكي يكثر من القيود التي يقيد بها حقوق الملكية الفردية ، ومن الأعباء التي يضعها على كاهل المالك الفردي ؛ وبالجملة ينجح إلى تغليب ناحية الواجبات على ناحية الحقوق . ففي النظم الاشتراكية يقيد حق المالك بقيود كثيرة في شئون الوصية والميراث ... وما لإليهما (تقييد حق الدوام) ؛ ويضيق من نطاق الملكية الفردية ؛ فيستثنى منها أموراً كثيرة ، تعتمد هذه النظم إلى تأميمها أي إلى جعل ملكيتها ملكية جماهية للأمة (تقييد حرية النوع) ؛ وقد توضع حدود قصوى لما يجوز للمالك أن يملكه من بعض الأشياء ، أو لما يجوز أن تصل إليه قيمة ممتلكاته جميعها (تقييد حرية المقدار) ؛ وتدخل الدولة كذلك تدخلاً كبيراً في شئون البيع ، والإجارة والهبة والاستغلال والاستيراد والتصدير .. وما إلى ذلك (تقييد حرية التصرف الإيجابي) ؛ ويحظر على المالك أن يهمل بعض الممتلكات ، ويتركها بدون استغلال ولا انتفاع (تقييد حرية التصرف السلبي) .

وفضلاً عن هذا كله ، تحصر النظم الاشتراكية على فرض كثير من الواجبات والأعباء على

فيقيدها بقيود كثيرة ، ويضع على كاهل المالك - في مقابل ما بقي له من حقوق - عدة واجبات يؤديها للدولة ، وللجنت ، وللعوزين من الناس . ويقصد الإسلام من وراء ما يضعه من قيود على حقوق هذه الملكية ، وما يقرره من واجبات على مالكيها إلى أغراض سامية . فبفضل هذه القيود ، وهذه الواجبات ، يكفل الإسلام تحقيق العدالة الاجتماعية ، وإقرار التوازن الاقتصادي ، وتقليل الفروق بين الطبقات ، وتقريبها بعضها من بعض ، واثقاء تضخم الثروات وتجميعها في أيدي قليلة ، وتجهيد رأس المال من وسائل الجبروت ، والظلم ، والسيطرة على شئون الحياة .

فقد قيد الإسلام حق الدوام بما وضعه من نظم لليراث والوصية . فوضع لليراث نظاماً حكماً يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعاً عادلاً ، ويحول دون تضخمها ، وتجميعها في أيدي قليلة ، ويعمل على تقليل الفروق بين الطبقات والأفراد . وذلك أن يقسم التركة على عدد كبير من أقرباء المتوفى ، فيوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ، ويحول من جهة أخرى دون تجمع ثروات كبيرة في يد فئة محدودة من الملاك ، ويقرب طبقات الناس بعضها من بعض . فهو يورث الأبناء والبنات ، والآباء والأمهات ، والأجداد

١ - الدعامة الأولى تتمثل في : إقرار الملكية الفردية وحمايتها . فالإسلام يقر الملكية الفردية ، ويذلل أمام الفرد سبل التملك ، والحصول على المال ، ويعطى كل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ، ويفسح المجال أمام المنافسة ، والعمل على التفوق . وبذلك يحقق تكافؤ الفرص بين الناس في هذه الميادين . ولا يكتفى الإسلام بإقرار الملكية ، وتيسير سبل الحصول عليها ، بل يحيطها كذلك بسياسات قوى من الحماية ، كما تدل على ذلك الحدود والعقوبات الدنيوية والأخروية التي يقررها مختلف أنواع الاعتماد على الملكية الفردية ؛ كالسرقة ، وقطع الطريق ، والغصب ، ونقل حدود الأرض ، ... وما إلى ذلك ؛ بل إن الإسلام لينهى عن مجرد النظر بعين نهمته إلى ملكية الغير ، وفي هذا يقول الله تعالى : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ... » . وفي سبيل حماية الملكية الفردية يميز الإسلام للمالك أن يدفع عن ملكه بكل وسائل الدفاع ، حتى لو أجهأ ذلك إلى قتل المعتدى ، وفي هذه الحالة لا قصاص عليه ، وإذا قتل هو يموت شهيداً ، وفي هذا يقول الرسول عليه السلام : « من قتل دون ماله فهو شهيد » .

٢ - ولكن الإسلام مع إقراره للملكية الفردية ، وحمايتها لها ؛ يعمد إلى حقوقها

والجدات ، والأزواج والزوجات ، والإخوة والأخوات ، والأعمام وأبناء الأعمام ، وأبناء الإخوة وأولاد الأبناء ، بل يورث ذوى الأرحام أنفسهم في بعض الأحوال . فبفضل هذا النظام الحكيم لا تلبث الثروة الكبيرة التي يتفق تجمعها في يد بعض الناس أن تتوزع بعد بضعة أجيال على عدد كبير من الأنفس ، وتستحيل إلى ملكيات صغيرة . وهذه هي أمثل طريقة لتقليل الفروق بين الطبقات والأفراد ، وتحقيق التوازن الاقتصادي ، وعلاج ما عسى أن يطرأ على هذا التوازن من اضطراب . وقيد الإسلام كذلك حق المالك في الوصية حتى لا يتلاعب في قواعد الميراث ويحول دون تحقيق أغراضها السابق ذكرها ، فقرر أنه لا تصح إلا في حدود الثلث من الوصية (١) .

وقيد الإسلام كذلك أنواع الملكية الفردية ، فأخرج من نطاقها الأشياء التي لا يتوقف وجودها ولا الانتفاع بها على مجهود خاص كبير ، وتكون ضرورية لجميع الناس ، وأوجب أن تكون ملكيتها ملكية جماعية ، حتى لا يستبد بها فرد أو أفراد ،

فيضار المجتمع من جراء ذلك ، وقد عد الرسول عليه السلام من هذا النوع أربعة أشياء وهي : الماء والكلا والنار والملح ، وقاس عليها الفقهاء نظائرها ، بما تتوافر فيه صفاتها وحكمتها كالطرق والجسور والخزانات والآبار القديمة ... وما إلى ذلك . بل لقد قاس عليها (الإمام مالك) جميع ما يوجد في باطن الأرض من معادن صلبة أو سائلة حتى لو كانت الأرض نفسها مملوكة لبعض الناس ، وحجته في ذلك أن مالك الأرض إنما يملك ظاهرها دون باطنها ؛ ولأنه يملك ما تستعمل فيه الأرض مادة وهو الزرع والبناء وليس من الانتفاع المعتمد بالأرض استخراج المعادن منها ، ولأن المعادن هي ودعة الله في الأرض ، فتكون لكل خلقه لا يختص بها إنسان دون آخر ولأنها من الأمور ذات النفع العام ، فهي تقبض الأمور التي ذكر الرسول عليه السلام أنه لا يصح أن يستأثر أحد بملكيتها ، ولأنها لا توجد إلا في مواطن خاصة ، والناس جميعا في حاجة إليها ، فلو أجزيت تملكها تملكها فرديا لنال الناس من جراء ذلك ضرر كبير ، ورأى الإمام مالك في هذا الصدد هو أمثل الآراء ، وأكثرها اتساقا مع روح الشريعة الإسلامية .

وقيد الإسلام كذلك أنواع الملكية الفردية ، فأخرج من نطاقها الأشياء التي لا يتوقف وجودها ولا الانتفاع بها على مجهود خاص كبير ، وتكون ضرورية لجميع الناس ، وأوجب أن تكون ملكيتها ملكية جماعية ، حتى لا يستبد بها فرد أو أفراد ،

(١) وتكون لغير وارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا وصية لوارث » وبذلك يتوزع جزء من المال على غير الوارثين فيزيد الانتفاع .

وقيد الإسلام كذلك حرية التصرف بقيود تحقق الأغراض السابق ذكرها ، وتسكفل

٣ - وأما الدائمة الثالثة فتتمثل في الأسس العامة التي يقيم عليها الإسلام العلاقات الاقتصادية بين الناس ، وذلك أن الإسلام لا يقسم هذه العلاقات على أسس مادية ، كما تفعل النظم الأخرى ، وإنما يقيمها على أصس إنسانية خلقية ، يتحقق بفضلها : التكافل ، والتعاون ، والتحاب ، والتواد والتراحم بين الناس بعضهم مع بعض ، ولتتواصى بالبر والخير ، والعدل والإحسان واحترام الشخصية الإنسانية التي كرمها الله فينظر كل فرد إلى الآخر على أنه غاية لا على أنه وسيلة ؛ تستخدم لجلب المنفعة ، ويجب كل فرد لغيره ما يجب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، وبذلك يضع الإسلام أمثل نظام للضمان الاجتماعي .

وفي هذه السبيل يحرم على الإنسان كل تصرف اقتصادي يخالف هذه المبادئ ، فيحرم الربو والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، والغش في المبيعات ، وإخفاء عيوبها ، وتطغيف الكيل والميزان واحشكار السلع الضرورية ، للتحكم في أسعارها ، واستغلال النفوذ ، والاسطغان للحصول على المال ... وما إلى ذلك من طرائق الكسب التي تغبو عن الخلق الكريم ، ولا تتفق مع واجب الإنسان نحو أخيه الإنسان .

وفي هذه السبيل كذلك يوجب الإسلام

عدم الإضرار بمقوق الآخرين وبالصالح العام فحرم الإسلام على المالك كل تصرف في ملكه يؤدي إلى ضرر عام أو خاص أو ينطوى على اعتداء على حرية الآخرين . وذهب الإسلام في هذه السبيل إلى حد أنه يميز نزع الملكية من صاحبها إذا أساء استخدام حقه فيها . ولم يكن ثمة وسيلة أخرى لمنعه من ذلك .

ووضع الإسلام على كامل المالك الفردى في مقابل ما بقى له من حقوق واجبات وأعباء كثيرة يؤديها للدولة وللجتموع وللصالح العام وللمعوزين من الناس كزكاة الفقد والانعام وهروض التجارة وحاصلات الزراعة والخراج والضرائب والكفارات المالية والصدقات الموسمية كزكاة الفطر والصدقات المستحبة التي لا تكاد سورة من القرآن تخلو من الحث عليها وبيان عظيم أجبرها يوم القيامة وتدل آيات كثيرة من القرآن على أن الإسلام ينظر للملكية الفردية على أنها مجرد وظيفة يقوم صاحبها بأداء حقوقها وإنفاق المال على مستحقه وينظر إلى المالك على أنه مستخلف على ثروته من قبل الله لإنفاقها في سبيله وفي هذا يقول الله تعالى : د آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا بما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لم أجر كبير .

من وسائل الطغيان ، والسيطرة والنفوذ ، وليس من النظم الاشتراكية المتطرفة إلى اليسار ، لأنه لا يعنى في إضعاف رأس المال الفردى ، بل يفسح له المجال للقيام بوظيفته في حدود الصالح العام ، بوصفه عاملاً هاماً من عوامل الإنتاج ، وليس من النظم الاشتراكية المتطرفة إلى اليمين ، لأنه لا يمنح مثلها إلى تخفيف رقابته على الملكية ورأس المال الفردى .

وهو نظام نسيج وحده ، منقطع النظر بين النظم الاقتصادية السائدة في الوقت الحاضر ، لا يدانيه نظام منها في سموه ودقته ومبلغ تحقيقه لخير الأفراد والجماعات ، له مقوماته ومثاليته الخاصة به ، وإذا كان لا بد من وصفه بصفة من الصفات المتداول استعمالها على ألسنة المحدثين من علماء الاقتصاد فإننا نصفه بأنه نظام اشتراكي معتدل .

والنظم الاشتراكية في عمومها كما تقدم بيان ذلك نظم وسطى بين الشيوعية والرأسمالية ، تأخذ ما فيها من محاسن وتبرأ مما تنطويان عليه من مثالب ، والنظام المبتدل عنها هو أوسطها جميعاً فالنظام الاقتصادي في الإسلام هو إذن وسط وخيار من خيار ؟

وكتوره على هيم الوامر وافي

على الأغنياء من الأقرباء أن ينفقوا على الفقراء والمساكين والعاجزين عن الكسب من أقربائهم ، ويوجب على أهل كل حي أن يعيش بعضهم مع بعض في حالة تكافل وتعاقد ، يرق غنيهم لفقيرهم ويسد شعبانهم حاجة جانيهم ، حتى لقد ذهب جماعة من الفقهاء على رأسهم (الإمام ابن حزم) إلى مسئولية البلد الذي يموت أحد أفرادها جوعاً فيدفع أهله العدية إلى أسرته متضامنين كأنهم شركاء في موته ويوجب في حالة الشدة والضرورة أن يعود القادر على المحتاج بما يسد حاجته ؛ ويحث الجار على الإحسان إلى جاره ، ولو لم يكن من أقربائه ، ولو كان على دين غير دينه ، ويوجب على بيت المال الإنفاق على الزمن وهو العاجز عن الكسب وعلى الشيخ الفاني ، وعلى المرأة إذا لم يكن لواحد من هؤلاء من يجب عليه النفقة من أقربائه ، ولا يفرق الإسلام في ذلك بين المسلم وغير المسلم .

* * *

والنظام الاقتصادي في الإسلام ليس إذن نظاماً شيوعياً لأنه يقر الملكية الفردية ويحميها ؛ وليس نظاماً رأسمالياً لأنه لا يطلق العنان لرأس المال ، بل يحرص على تجريده

مقومات القيادة الناجحة في الإسلام

لدكتور محمد بن فتح الباب

فهو يستمد سلطته من مصدر أعلى من الجماعة العامة ، على السلطة التي لها حق إصدار القرارات . والقيادة ضرورة حتمية في جميع المستويات ابتداء من الدولة حتى أصغر قطاع في المجتمع ، وتمثل القيادة في الأشخاص الذين ارتضتهم الجماعة رؤساء وحكاما ، سواء في المجال السياسي أو الحربي ، أو الاجتماعي ، أو الإداري .

ويرجع نجاح القيادة إلى إخلاص الرؤساء وشجاعتهم ونشاطهم وكفائتهم وفهمهم الصحيح لمسؤولياتهم وأهدافهم - ومن ثم كان على الجماعة أن تحسن اختيار قائدها ، فأما إذا أخطأها السداد فقلت عليها من لا يصلح للقيادة فإنها سوف تجنى - بلا ريب - مضية سوء اختيارها فتضطرب أمورها وتحف فيها موازين العدالة .

فهو يستمد سلطته من مصدر أعلى من الجماعة العامة ، على السلطة التي لها حق إصدار القرارات . والقيادة ضرورة حتمية في جميع المستويات ابتداء من الدولة حتى أصغر قطاع في المجتمع ، وتمثل القيادة في الأشخاص الذين ارتضتهم الجماعة رؤساء وحكاما ، سواء في المجال السياسي أو الحربي ، أو الاجتماعي ، أو الإداري .

ويرجع نجاح القيادة إلى إخلاص الرؤساء وشجاعتهم ونشاطهم وكفائتهم وفهمهم الصحيح لمسؤولياتهم وأهدافهم - ومن ثم كان على الجماعة أن تحسن اختيار قائدها ، فأما إذا أخطأها السداد فقلت عليها من لا يصلح للقيادة فإنها سوف تجنى - بلا ريب - مضية سوء اختيارها فتضطرب أمورها وتحف فيها موازين العدالة .

ولقد أثرنا في هذا البحث أن نستخدم كلبتي القائد والقيادة دون كلبتي الرئيس والرئاسة فظرا لما استقر عليه الباحثون في علم الإدارة من التفريق بينهما في المعنى ، فالرئيس : هو الشخص الذي يفرض إرادته بإصدار الأوامر وإلزام الأفراد بتنفيذها ،

أما القائد : فهو الذي يستمد سلطاته وتفوضه من الرضاء العام ، وهو يحوز هذا السلطان طوابعية من أعضاء الجماعة ، لارغبة أو خوفا من العقاب . وهو يتخذ من التعاون في سبيل تحقيق الصالح المشترك أسلوبا للعمل . ويتطلب هذا الأسلوب وعيا ومعرفة وقدرة على تصريف الأمور واتخاذ السياسة المناسبة وتوثيق العلاقة بين الحاكم والمحكوم . فإذا توافرت هذه المقومات لولى أمر الجماعة ؛ فإنه يصبح معلما ومريا لها ، يرق بمستواها ، وينقل إليها خبراته ، ويبدى لها المشورة القائمة على السند العلمي والتجارب السابقة ،

من الوصول إلى مستوى القيادة لعدم توافر مقومات القيادة في شخصه .

واقعد انتهى الباحثون من استقراء سير العظماء والابطال في تاريخ الإنسانية إلى استنباط هذه معايير وصفات للقائد الناجح يمكن إجمالها فيما يأتي :

- الالتزام إلى الجماعة .
- الإيمان برسائله .
- القدرة على تحديد الهدف .
- الفطنة ، وقوة العارضة ، وسعة الأفق .
- حسن المظهر ، وقوة التحمل ، والأتزان النفسى .
- القدرة على التأثير ، والإقناع .
- القدرة على الحركة والنظر إلى المستقبل .
- الإلمام بالعمل ، والقدرة على التخطيط والتنظيم .
- القدرة على تحمل المسئوليات ، وحسن الإدارة .
- القدرة على اكتساب ثقة المرءوسين من طريق مطابقة قوله لفعله .
- تدريب المرءوسين على العمل وفقاً للأصول السليمة .
- الإشراف على المرءوسين ، ومتابعة خطوات العمل .
- النزاهة والعدالتى المكافأة والعقاب .
- الأمانة والحزم .

ويتعاون معها على قدم المساواة ، وهو يطرح المشكلة للبحث من حل لها يحقق للأغراض المنشودة . وبهذه الروح يضع أسلوب العمل ، ثم يبدأ فى التنفيذ حتى يصل إلى خاتمة البرنامج .

وفى ضوء هذه المبادئ نستطيع أن نعرف وظيفة القيادة الناجحة بأنها : إقيام بتلك الأعمال التى تعين الجماعة على تحقيق أهدافها بمعنى العمل على أن يتعاون أعضاؤها بطريقة تضمن تماسك الجماعة وتحركها فى الاتجاه الملائم . ومن ثم فإن القيادة - على خلاف الرئاسة - تنبع من الجماعة ويشعر الأعضاء بالحاجة إليها ، وهى تؤمن بأهداف الجماعة وتشعر بمشاهرها ، وتستمد منها سلطانتها .

على أن التفرة بين القيادة والرئاسة لاتصل إلى حد وصفهما بأنهما تقيضان ، فالرئيس الكفء يستطيع أن يبلغ مرتبة القيادة وكثيراً ما شاهدنا رؤساء يندمجون فى الإارات التى يتولون أمورها ويتعاونون مع ساء العاملين بها فينظر الفرد إلى الرئيس أو المدير ، على أنه عضو فى الجماعة ، وقائد لها فى نس الوقت ، ومن هنا فإن القيادة تتعلق بشخص الرئيس نفسه ، فالرئيس الذى يشغل منها صغيراً ، فى مكتبته أن يرتفع بمستوى رسته إلى درجات القيادة الناجحة على حين أن شاغل المنصب الرئيسى قد يعجز

المصلحة منها بحكم تجاوبها معه نفسياً وفكرياً واجتماعياً . إذ تشعر هذه العناصر أن قائدها لم يفرض عليها ، وإنما أختير من صميم مجتمعيها ، فهو قد نما وتطور في ظل الظروف والمراحل التي مرت بها ، وإن كان يمتاز عنها بصفات ومناقب خاصة تجعله أهلاً لفصل مكان الصدارة منها . ومن هنا يلتقي القائد والجماعة في بيئة واحدة ، وعلى أرض مشتركة يبدأ منها سيره نحو تحقيق أهدافه في ظل دفع مستمر ، أشبه بموجات تسرى في الجماعة من تأثير القائد فيمن حوله وتأثرهم به في حلقات متصلة بغير انقطاع .

ولقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن فرض رئيس على جماعة لا يفتى إليها هو أحد الأسباب الجوهرية التي تؤدي إلى هبوط الروح المعنوية ، وسوء العلاقات ، الأمر الذي ينعكس على العمل ، ويخلق مشاكل لا هداد لها ، إذ كثيراً ما نجد أن مثل هذا الرئيس الذي وضع في غير موضعه ، يعني بأمور تخرج عن محيط اهتمامات الجماعة ، ولا تتصل بمصالحهم ، أو صالح العمل اتصالاً مباشراً فهو يعيش بينهم وليسكنه يظل في عزلة نفسية وفكرية عنهم ، وهو نتيجة لهذا التباين في الأحاسيس والأفكار ، يجد نفسه تلقائياً مسوقاً إلى اتخاذ مركز مصلح يقيمه على أساس السلطة المفروضة وبحق به رئاسته

* حسن اختيار معاونين ، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب .
* إنشاء علاقات إنسانية بين الجماعة على مستوى رفيع .
* الإيمان بالقيادة الجماعية القائمة على الشورى .

* المبادرة إلى علاج ما قد ينشأ من انحرافات قبل استفحالها .

تلك هي أم الصفات والمناقب التي يمتاز بها القائد الفذ في المجتمع فتسلكه في هداد الأبطال والرواد في تاريخ الحضارة الإنسانية .

يبدأ تاريخ لم يسجل منذ نشأة الحضارات في أقدم العصور أعظم ولا أقدر على البقاء من سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وسير القادة المسلمين في العصور الأولى للإسلام .

وسوف نحاول في هذا البحث أن نتناول الجوانب القيادية في سيرة الرسول الكريم ، وذلك في ضوء النظريات والأفكار الحديثة التي قدمناها حول القائد والقيادة ، مستهلين هذه الدراسة بالحديث عن المقوم الأول من مقومات القيادة في شخصية الرسول ، ونعني به : الاهتمام إلى الجماعة .

لقد أجمع العلماء المتخصصون في بحث القيادة ومقوماتها على أن القائد الذي ينبثق من صميم الجماعة سرعان ما تهوى إليه أفئدة العناصر

إلى قبيلة قريش أكبر القبائل العربية ، وإلى بيت عبد المطلب أهرق بيوتها وأطهرها وأنقاها . وقد غابت هذه الحكمة عن نفر من العرب طمس الله على قلوبهم ، وأعمى بصائرهم ، فهم لا يفقهون ، فاستفكروا أن ينزل الله رسالته على بشر مثلهم ، لا يختلف عنهم في شئون الحياة . وما أبلغ الصورة التي تعبر عن هذا الموقف في قوله تعالى :

« وقالوا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى إليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها . وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . »

ومن قبل هؤلاء الضالين كان أسلاف لهم في العصور القديمة أنكروا على أنبيائهم ما أنكروه هؤلاء ، غير مدركين أن انتفاء الرجل صاحب الرسالة إلى الجماعة التي يتوجه إليها بهذه الرسالة سر من أسرار نجاحه ، وأن هذه الخصيصة من أهم خصائص ومقومات القائد والقيادة . يقول الله تعالى :

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق . »

وهكذا نبعت الرسالة والرسول من صميم الأمة العربية التي أنزلت عليها شريعة الحق ،

الشكلية التي تتمثل في الآثاق والرياش والعرض دون الجوهر ، تمييزاً لنفسه عن سائر أعضاء الجماعة ، دون أن يتصدى لعلاج المشكلات التي تعترض العمل والعاملين .

وهو يفعل هذا كله تغطية لقصوره في الإنتاج بأكوام من السكاليات والرسميات وبذلك تنشأ حواجز مصطنعة بين هذا الرئيس والجموعة .

كذلك فإنه ينشأ عن هدم انتفاء هذا الرئيس إلى الجماعة أن يلجأ إلى أسلوب التفرقة ويعمد إلى المحاباة والتعجيز ، فيقرب هذا ويبعد ذاك ويشغلهم بذلك عن تحقيق أهداف العمل .

وإذا أمعنا النظر في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام على ضوء هذه الأفكار ، والنظريات العلمية الحديثة ، أدركنا مدى اكتمال عنصر الانتماء إلى الجماعة في القائد الأعظم للأمة الإسلامية . يقول الله تعالى :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . »

ذلك أن الشريعة الإسلامية قد نزلت على الأمة العربية ، فاختار الله لها نبيا من أبناء هذه الأمة ، واجتباها من مكة مدينة البيت الحرام التي هبطت فيها الرسالة والتي يعتبر أهلها أكثر العرب تمثيلا للخصائص العربية وشاء الله تعالى أن يقتضى رسوله عليه السلام

برسالته ؛ إذ اشتغل النبي في صباه وشبابه برعى الأغنام والتجارة وهما المهنتان السائدتان في الجزيرة العربية في ذلك الحين . واقتضاء ذلك الأمر الانتقال من مكان إلى آخر ، والاتصال بتأذج مختلفة من الناس في أثناء رحلاته وأسفاره . وفي ذلك يقول المرحوم الأستاذ عباس العقاد في كتابه هجرية محمد : « خير بكل ما يحتقره العرب من ضروب العيش في البادية والحاضرة .. تربى في الصحراء وألف المدينة ، ورعى القطعان ، واشتغل بالتجارة ... »

وكما شارك الرسول الطبقة العاملة الكادحة ، والطبقة المتوسطة في مجتمع قريش في وسائل كسب العيش ؛ فلقد شارك كذلك عليه القوم ، وذوى الرأي منهم فيما كانوا يشتغلون به من شئون الحكم ، وتدير أمور المجتمع في السلم والحرب معا . فشهد الحروب ، كما شهد الأحلاف . ومن الثابت في هذا المقام أن النبي عليه الصلاة والسلام قد حضر في شبابه حلف الفضول الذي عقده بنو هاشم وزهرة وتميم وتعاهدوا فيه باسم الله المقتسم ليكون مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه ، وقال الرسول في هذا الحلف : « ما أحب أن يكون لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمرانهم ، »

فكان انتماء النبي إلى الجماعة التي بعثه الله لقيادتها وبعثها من الضلال إلى الهدى من أسباب نجاح الرسالة العظمى التي أوتمن عليها صلى الله عليه وسلم . إذ أتاح له هذا الانتماء أن يتحدث بلغة هذه الجماعة ويفهم شعورها باعتباره واحدا منها اصطفاؤه الله من بين أفرادها ، وأن يدرك نوازعها النفسية واتجاهاتها الفكرية في مختلف شئون الحياة والمجتمع ، الأمر الذي يشكل عاملا أساسيا في تيسير الدعوة إلى الرسالة والإقناع بها . قال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ، »

ولقد اكتمل هذا العنصر القيادي - وهو الانتماء إلى الجماعة - في شخصية الرسول بتوافر بعض العوامل الأخرى التي يسهل على الباحث التعرف عليها . ذلك أن القدرة على فهم مشاعر الجماعة وأفكارها - نتيجة لانتماء القائد إليها - تتقدم وتتعمق إذا كان القائد قد مارس في حياته المهنة الرئيسية للجماعة ، واختلط بالسواد الأعظم منها ؛ فأتاحت له تجارب وخبرات كثيرة تعينه على أن يسبر أغوار القطاعات المختلفة في مجتمعه ، ويدرك مغزى سلوكها وتفكيرها ، وأسرار اتجاهاتها ، فيستطيع قيادتها ، ويسلس له تدبير أمورها . وقد أراد الله لرسوله الكريم أن يكتسب هذه التجارب والخبرات ليؤمسه للاضطلاع

« ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك » .

« لدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

والعربي ابن البادية ، ومنها أخذ جوهر طباعه وأسلوبه في الحياة والعمل ، يميل بطبعه إلى البساطة وينفر من التعقيد ، وهو يؤثر الوضوح والصراحة في العلاقات الاجتماعية ويستنكر الغموض الجاني للفطرة السليمة ولقد بعث الرسول لهداية الناس إلى عقيدة تتفق مع الفطرة ، وكان سبيله في حق الناس على الدخول في دين الله متسقاً مع تلك الغاية فهو السبيل الواضح المستقيم لاهوج فيه ولا انحراف .

فلا غرو أن يكون هذا الأسلوب الذي اتبعه النبي الكريم في نشر الدعوة ، والذي انبثق من واقع البيئة ، وطبيعة المجتمع من هوامل نجاحه عليه السلام في الاضطلاع برسالاته ، فدخل الناس في دين الله أفواجا وتكسرت كل القيود والحواجز التي كانت تقف في سبيل انتشار الدعوة في الجزيرة العربية وما حولها ؟

مقدم

عن فتح الباب

ومن ثم نشأ الرسول في قلب البيئة العربية وغالط جميع أوساطها ، وكان قريباً من سراتها غير بعيد عن قهراتها . فلما نزل عليه الوحي وأمر بالدعوة ، صدع بها في مجتمع ولد وعاش في كنفه . غالط أهل سائر القبائل والبيوت طالما بظروف هذا المجتمع ، ملأ بمعتقداته وتقاليده ، خبيراً بوسائل عمله ، متقناً لغته ، واعياً أسرار تصرفاته ، وقد أتاحت هذه النشأة ، وتلك التجارب لمحمد رسول الله أن يحدد - بوحى من الله - أفضل السبل لهداية العرب إلى الدين الحق . فكان يخاطب الناس على قدر عقولهم ، ويدعو الرجل منهم إلى الإسلام بالأسلوب الذي يتفق مع مستواه . فهو عليه السلام يحكم معرفته بطباع كل جماعة يستطيع أن يختار الخطوة المناسبة لإقناعها ، وهو بحكم تعمقه في فهم النفس البشرية يستطيع أن ينفذ إلى عقل العربي ، وقلبه ، ويفتح عينيه على نور العقيدة الصحيحة . إن النبي الكريم يدرك مدى اعتزاز العربي بكرامته وأفقته من تعالى عليه وتمسكه الشديد بالعزة والكبرياء ، ومن ثم فإن انتهاج أسلوب الدين في غير ضعف ، والبعد عن كل ما ينفر الخاطب - هو الطريق القويم للدعوة وفي ذلك يقول الله تعالى :

فتح آية القرآن

جزاؤنا عند الله قائم على عدله وفضله

للاستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) « إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ، ليجزى الذين آمنوا وعملوا
الصلح بالقسط . »

(ب) « والذين كفروا لهم شراب من حميم ، وهذاب أليم
بما كانوا يكفرون . »

فيها تقرير لأن الله يبدأ الخلق ، وهذا
جانب مشهود لنا دائماً : في أنفسنا ، وفي
خروج الأجنة من بطون أمهاتنا ، وفيما نراه
من مشاهد الطبيعة في توالد النبات والأمطار
والأضواء ، والرياح ، وكل شيء ينشأ عن
شيء في آفاق دنيانا .

وفي القضية كذلك تقرير لأن الله يعيد
الخلق بعد فنائهم .

والقصد إعادة الإنس والجن على
وجه التأكيد .

لأن الأعادة لغرض المجازاة ولا مجازي
إلا من كان ذا تكليف في الدنيا ... فلا حكمة
واضحة في إعادة الحيوان الأعجم ، وإن كان
بعض العلماء يذهب إلى ذلك القول .

وفي القضية تصريح بالتعليل : في قوله

(أ) ١ — من لطائف القرآن في دعوته
أن يسائر عقولنا في هوادة من خطابه ،
فيذكر لنا القضية المنشودة ، ثم يسوق بها
دليلها ، وحكمتها : على نحو من الترتيب
في الذكر الحكيم .

والدينا الآن قضية خيرية : فيها تقرير لبدء
الخلق ، وإعادته بقدرة الله ، والحكمة الله .

وهذه القضية تنزل من نفوس المؤمنين
مئزلة العقيدة ، فلا تقبل جدلاً ، ولا تقسم
لمشادة .

فجاءت هذه القضية بيانا ، وتديلا ،
وتعليلا . لانقشال الجهلاء من جهالتهم ،
وتهذيب الكبرياء عند المستكبرين .

ولعل فيها تبصرة لأولئك المجددين الذين
زيفت لهم غوايتهم بيننا اليوم أن يقلدوا
أولئك العابرين .

تعالى: «ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط» .

ولنقف عند هذا التعليل فترة ، لنذكر مغزاه في وضوح ، ولا نبعد عن نفعات القرآن في التماس المعنى القريب .

٢ - فهنا بدء ، وإعادة ، وهنا تعليل بقوله تعالى «ليجزى الذين آمنوا ، و عملوا الصالحات القسط» فهل التعليل بالجزاء المذكور يكون البدء ، وللاعادة جميعا ، ذلك يحتاج إلى ملاحظة وإعية هي أن الجزاء على الأعمال التي وقعت في الدنيا منذ بدء الخلق .

أهني التي كانت منا قبل الفناء والإعادة... والقرآن يذكره عقيب البدء ، ثم الإعادة لينتقل بنا صريحا إلى التذكير باليوم الآخر وما فيه من أهوال .

وحقيقة التعليل هنا أنه متعلق بخصوص الإعادة التي سيقع، يتم .

وأما البدء للخلق فتعليله واضح في قول الله سبحانه « وما خلقت الجن ، والإنس إلا ليعبدون » .

فالخلق الأول للعبادة ... والإعادة أخيرا للجزاء (يوم توفي كل نفس ما كسبت ، وهم لا يظنون) .

٣ - أنت تلاحظ أن الجزاء المذكور في الآية خاص بالمؤمنين فأين جزاء

الكافرين أيضا .

وتلاحظ كذلك أن جزاء المؤمنين محدود بالقسط . والقسط هو العدل ، والوسط بين طرفين ... فلا انحياز إلى تساع ، ولا انقباض عن الوفاء بما هو المستحق في تقدير الأفعال .

وذلك هو العدل الذي يقف عنده إنصاف المعطي ، ولا ينبغي أن يتجاوزه مطمع الطامع فوق عمله ... وذلك أيضا هو المفهوم الحق من قول الله : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا » ، « كل أمرئ بما كسب رهين » .

ولكن أين الفضل بالمزيد الذي ذكر كثيرا في القرآن « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ... والله يضاعف لمن يشاء » .

المقام بحاجة إلى شيء من الإيضاح المبرز في كلمات ثلاث .

الأولى - أن في ذكر المؤمنين قبل سوام تكريمهم لم وتوحيها بشأنهم ، لما أسلفوا من إيمان صادق وعمل صالح... وفي تبشيرهم بذلك تشجيع لمن يحاول القدوة بهم والسبق معهم في مجال الخير كله .

وليس في جزائهم بالقسط هضم ، وإنما هو بداية العدل معهم .

على أن القسط المذكور هو العدل الذي ساروا عليه في دنياهم ، وبسببه كان لهم فوق

جميعا طوال العصور . فقد كانت رسالات الله هادية ، وزاجرة ... حتى لم تعد للناس حجة يتعللون بها في حياتهم ، ولا معذرة في جفوتهم لدينهم .

ولكن المعرضين لم يتعقلوا أن يكون لله جانب شديد يخشونه ، ولا جانب رحيم يلوذون به . فسكانوا قساة على أنفسهم وإن عاشوا في طواعيتها ، واستسلموا لهواها حتى تردوا في الهلاك .

وكان الحديث عنهم بعد ذكر المؤمنين لأن الكفر نزل بهم إلى المنزلة الدون .

ثم كان الحديث عنهم في غير تلطف بهم لأنهم أمعنوا في الجفاء لله ، ولرسله قديما وحديثا .

والعدل مع من يسىء ويستمر في الإساءة ، ويتصرف : أن يعامل بالمثل ، أو أشد .

وهذا جانب من الحكمة في التنديد عليهم ، والتشاؤم من ذكركم ، وتأخيرهم في الذكر ، حتى كأن شأنهم في اليوم الآخر مبتور عن شأن سواهم ، وكأنهم لم يذكروا إلا لتجديد السخط عليهم ، والخط من شأنهم ، وتوجيههم إلى المصير السيئ .

وتسكون المقابلة بين جزاء الفريقين هي مقابلة الشيء بنقيضه ، وفريق في الجنة ... وفريق في السعير .

٦ - ومع هذا كله فلم يكن عدل الله .

العدل من الله فضل ممنوح . والمعنى ليجزى الله هؤلاء المؤمنين خيرا كثيرا بسبب اعتدالهم في مسالكهم فلم يحيدوا عما شرع الله .

أما تقدير جزائهم فلا يعلمه غير الله فقال : « وفيها ما تشتهيہ الانفس ، وتلذذ الآهين وأقم فيها خالدون وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون ، فذلك إطلاق غير محدود .

٤ - الكلمة الثانية أن المؤمنين الذين لم يكونوا في المقام الأول عملا وإخلاصا لهم كذلك جزاء ملحوظ بما لهم من سابق الإيمان وإن لم تكن أعمالهم في مستوى السكمال ، ولكل درجات بما عملوا ، والجنة طبقات ، وغرف من فوقها غرف ولا يستوى السابق واللاحق وذلك هو تمام العدل حتى مع التفضل بالمزيد على من ظفروا بالحسن جميعا .

(ب) ٥ - الكلمة الثالثة - ألا تخصيص للمؤمنين بالذكر في الجزاء كما يظن ، بل هو تقديم فقط ، وقد جاء ذكر الكافرين عقب ذلك ، في قوله تعالى : « والذين كفروا لهم شراب من حميم ، وهذاب أليم بما كانوا يكفرون ، فشرابهم للحار الشديد في جهنم إلخ نوع من الجزاء .

فإن تكن إعادة الخلق أخيرا للحساب ، والجزاء العام ، فللكافرين جانب مشوم من هذا كله ، جزاء على ما فرط منهم ،

الحجة عليهم ، ويكونوا في خزي من ربهم .
وحق يبرأ بعضهم من بعض ، ويرأى منهم
جميعا الشيطان الذى أضلهم ، ويتمنوا أن
يرجعهم ربهم إلى الدنيا ليعملوا صالحا
غير الذى كانوا يعملونه .

والله سبحانه ، يزيدكم بيانا لشانهم ،
فيواجههم بما يعلسه عنهم : من أنهم
لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه .

ثم يكون عدل الله في تلك المواقف كلها أن
يبين لهم قسطاسه في حسابهم ليزدادوا ندما على
ما أسلفوا ، وليقتنوا حقا بأن الله لا يظلم
الناس شيئا ، ولكن كانوا لأنفسهم ظالمين .

حتى لزام يتنادون بأن ما وعدهم الله من
هذا حق ، وذلك مبلغ ما يكون من العدل
الذى يقر بحقيقته الظالم والمدين .

على أن عدل الله يقوم بينهم وهم في غمرات
العذاب والحريق .

فالكفر سوى بينهم في المصير ، ولكن
عدل الله فرق بينهم في المستقر .

فلم يجعلهم سواء في طبقة واحدة يصلونها
جميعا - بل جعل جهنم متفاوتة الدرجات ،
وجعل لها سبعة أبواب ، ولكل باب من
الكافرين جزء مقسوم يدخلون منه إلى
مستقرهم فيها حسب تفاوتهم في الكفر
والأعمال .

وأنت ترى في القرآن الكريم بيانا لهذا

مجمعا بهم في دنياهم ، ولن يتخلى عنهم
في أخراهم : لأن عدله سبحانه - صفة
ذاتية له ، ولا يصدر عنه إلا ما يليق بكاله
المطلق ... ولا يفيض من عدله هذا كراهيته
لنوعيه أو يكفر به ... بل هو يدعونا
إلى التجمل بالعدل في دنيانا حتى مع أعدائنا
في الدين .

ومظهر عدله تعالى مع الكافرين في دنياهم
أنه بين لهم الرشد من الغي ، وطاولهم بحلمه
مع تماديهم في غيهم ، ووعدهم بالغفران
إن أنابوا إليه ، وبسط لهم في نعمائه ، وهم
يحاربونه بها ، وقدم كثيرا من الغفر ليدركوا
فضل الله عليهم بإيمانهم ... وقرع أسماعهم
بالآيات البينات التي تجذبهم إلى ناحية الإيمان ،
فقال - مثلا - دقل يا عبادى الذين أسرفوا
على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله
يغفر الذنوب جميعا ، ، والذين عملوا السيئات
ثم تابوا من بعدها وآمنوا ، إن ربك من
بعدها لغفور رحيم ... إلخ .

وذلك سياق يقصص لكثير من العقول ،
ولكن ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
من المآثم التي اكتنفوها بحكم التقليد والتعود .
ومن مظاهر عدله في أخراهم أنه لا يأخذهم
بنقطة في الآخرة ، ولا يقحمهم في فاره إلا بعد
محاسبته لهم ، ومكاشفتهم لما كانوا في غفلة عنه
حتى تذلل جباههم ، وتحنى رؤوسهم ، وتقوم

شكرتم وآمنتم ، . وقال : « ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم ، وأشدّ تثبيتاً وإذن لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ، ولهديناهم صراطاً مستقيماً . »

غير أننا تجاوزنا الحدود المرسومة ، وانتهكنا حرمت يغار الله عليها ، في دينه ، فكان من حق الله في سلطانه أن يثأر بمن حام حول حماه حتى سقط فيه .

وهذه مرحلة من القول في قضية من قضايا القرآن في سورة يونس عليه السلام ، ومنها تدرك تفصيلاً موجزاً لها في الآية الأولى من عجب الكفار ، إذ جاءهم رسول بوحي من الله ينذر الناس ويوثر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ؟

عبد اللطيف السبكي

كله ، وتذكر من هذا التقسيم هداية الله في المعذبين ، فلم يكن أبو طالب مع كفره ، قرين أبي لهب ، ولا قرين أبي جهل .

فأبو طالب كان موالياً لرسول الله وإن لم يعلن إسلامه .

وأبو لهب ودوجته ، وأبو جهل وأمثالهم كانوا ألد خصومه ، ومن أشد الناس ولاءاً بإيذائه ، كما كان المنافقون معه .

وعدل الله يأبى أن يجعل هذا في مستوى ذاك ... وإن كان العذاب شؤماً على الجميع . وأظن أنه لا يجوز لمخاطر إنسان أن الله كان يجب لمبادء ذلك الشقاء ، أو كانت له غاية مرموقة فيه .

فإنه رحيم كريم ، ولطيف وحليم ، وقد حذرنا عصيانه ، وبسط لنا رضوانه ... وقال في كتابه : « ما يفعل الله بعذابكم إن

خشية الله

« ... اعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين : في طاعته واجتناب معصيته ، وإلما أطاعه من أطاعه يبيغض الدنيا وحب الآخرة . وعصاه من عصاه يحب الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله لإنشاء . منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فإن يكون حامده وذامه في الحق سواء ، وأما السري فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمجة الناس . فلا تزهد في التجنب ، فإن النبيين قد سألوا محبتهم . وإن الله إذا أحب عبداً حبه . وإذا أبغض عبداً بغضه . فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس بمن يشرع معك في أمره . »

(عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص)

حول شعب الإيمان للأستاذ محمد الغزالي

في عصرنا الحاضر يظن كثير من الناس :
أن الدين علاقة خاصة بين الإنسان وربه ،
أو علاقة ما بين البشر وقوى الغيب التي
لا تدركها الحواس .
وتتمثل هذه العلاقة غالباً في مراسم العبادة
التي يقوم بها الفرد ، ويصطبغ بها ضميره .
لكن هذا الظن إن صح على إطلاقه
في بعض الديانات . فهو غير صحيح بالنسبة
إلى الإسلام .
فإن ديننا مفسح الدائرة ، مفتوح للعالم ،
وهو يتناول العلاقة : بين الإنسان والله ،
وبين الإنسان والإنسان ، وبين الإنسان
والحياة كلها .
أو تستطيع أن تقول : إن العلاقة
بين الإنسان وربه كما يشرحها الإسلام تتعدى
الحياة الداخلية للنفس الإنسانية لتؤثر في صلة
المرء بغيره من الأشخاص والأشياء ، فهو يتعامل
مع هذه وتلك على هدى من ارتباطه بالله ،
ولأنه له ، واستمسكاً بوصاياه ، وإخضاعه
حركاته وسكناته لأمره ونهيه .
والوحي الإلهي الذي يقوم عليه هذا الدين
تعرض لشتى الشئون التي تلتقي الإنسان

من المهد إلى اللحد ، وأوضح السلوك المناسب
بإزائها .
وبيناها لاتساع الدائرة التي يتحرك الإيمان
داخل أقطارها يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « الإيمان بضع وستون شعبة ،
أو بضع وسبعون شعبة : أعلاها لا إله إلا الله
وأدناها إمالة الأذن عن الطريق ، والحياة
شعبة من الإيمان . »
وقد قرأت رسالة أحصت هذه الشعب
واحدة واحدة ، وبلغت في تسعا وسبعين
شعبة ، جمعت معاهد الشريعة ، وأصول
الأخلاق ، وأركان الدين ، وما ينضم إليها
من آداب ونوافل ، يبلغ بها الإسلام
تمامه . .
والذي أرجحه أن العدد غير مقصود ،
وأن الشارح الحكيم إنما يريد إيقاظنا
إلى أن طبيعة الإيمان : الهيمنة على النفس
والمجتمع والدولة ، أي توجيه الحياة الخاصة ،
والعامة على سواء ، وتسييرها باسم الله
وفق مراده .
بحيث يكون أمر الله ملحوظاً في البيت
والشارع ، بين الإنسان ونفسه ، وبين الإنسان

والاقتصادى ؛ فيوجه لخدمة الدين ،
وتمكين أصوله وفروعه وحياطة جوهره
ومظهره ...

وأركان الإسلام تنتظم من الحقائق ما يملأ
هذه الأرجاء جميعا ...

فالصلاة والصيام - مثلا - ركنان في الإيمان
الشخصى ، والفرد مسئول برأسه عن القيام
بهما . وهما يوفران للنفس الإنسانية جوا
رائعا من الصفاء والإخلاص والعفة
والاستعلاء . وإلى جانب هذين الركنين
لا بد من امتداد الإيمان إلى المجتمع ،
ليصوغه في قوالبه ، ويشكل البيئة العامة
وفق مطالبه .

وقد تسكفل بهذا على سبيل المثال ركنان
آخران : هما الجهاد في سبيل الله ، والحكم
بما أنزل الله .

ولإنما وصفنا هذين الركنين بأنهما
من الدعامات الاجتماعية للإسلام ، لأن الفرد
- وإن كان حامل التكليف بهما - إلا أنهما
من وظائف المجتمع الأولى ؛ فهو الذى ينظم
عدة الجهاد ، ويرسم مبادئه ، وهو أيضا
الذى ينظم القضاء ، ويختار رجاله ، وينفذ
أحكامه ...

وإذا كان الإسلام يعمر القواد باليقين
الباعث على العمل ، والخلق الناصم من السقوط
وإذا كان يلف الحياة العامة بروابطه ، ويمسك

والناس أجمعين ، فلا تغفل وجهه للسلم
من قصد الله وإعلاء كلمته ، ولا يغفل
ميدان للحياة من الانطباع بصيغة الدين
والانساق مع مبادئه وأهدافه ...

ولا يهمننا أن تكون شعب الإيمان هدى
لا مفهوم له ، أو هدى له مفهومه ، إنما الذى
أوده أن نحسن ترتيب التعاليم الإسلامية
ترتيباً تنازلياً ، يشبه ترتيب الجهاز الوظيفى
في الدولة ، وتسلسل القيادات التى تلقى
الأوامر وتتلقاها ، وتنهى بالواجبات
والأهواء التى توكل إليها ...

إن الإيمان يشبه الكائن الحى ، وهذا
الكائن الحى تتماحك الحياة فيه مقرونة
بأجهزة معينة ، فإذا أصيب المرء إصابة
قائمة في دماغه أو رتبه أو أمعائه أو حموده
الفقرى هلك ...

وقد يصاب المرء في أطرافه أو حواسه ،
فلا يفقد أصل الحياة ، وإنما يعيش مشوه
البدن أو ناقص الأعضاء .
كذلك الإيمان في كماله وقصانه وفى وجوده
وفقدانه .

الإيمان الصحيح لا بد أن يستوعب
من العناصر ما يسيطر به سيطرة تامة .

أولاً : على النفس فى بواعثها وغاياتها .
ثانياً : على المجتمع فى معاملاته ونظمه .
ثالثاً : على الحياة فى نشاطها العمرانى

وكذلك ما رواه مسلم أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه غنماً بين جبلين فأتى قومه فقال: أسلموا، فوالله إن محمداً ليعطي عطاء رجل لا يخاف الفاقة، ١١
لكن هل تألف القلوب بالعطاء سر دخولها في الإيمان؟ لا...

ويجب على ذلك الإمام المحدث ... وإن كان الرجل ينجى إلى النبي ما يريد إلا الدنيا فما يسمى حتى يكون دينه أحب إليه، وأعز من الدنيا بما فيها، ومن التمسك للحق أن يصادق المرء من يصادق، ويخاصم من يخاصم، للبدأ الذي يعتقه، لا رغبة أو رهبة.

إنما هي معرفة الناس لله، أو كرههم لله. والشهادة لهم أو عليهم إحقاقاً للحق، وإبطالاً للباطل، لا لغرض آخر...

وهذه الشعبة من شعب الإيمان تتصل بأدب النفس، وتسلك مع العبادات الفردية، وإن كان أثرها الاجتماعي بيناً حاسماً... وقد عد البيهقي الكسب الطيب شعبة من شعب الإيمان، وذكر في ذلك الحديث الصحيح:

«يا أيها الناس إن الله تعالى طيب، لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين؛ فقال:

«يا أيها الرسل كلوا من الطيبات، واعملوا صالحاً، إني بما تعملون عليم».

زمامها بشرائعه، فهو مع هذين يفرض سلطانه على مصادر الثروة في البر والبحر، والخصب والجذب، ويجعل من الطاقة الحادية الأمة وقوداً محرراً لرسالتها الكبرى، ومثلها العليا.

وليس في الدنيا نظام يستغنى عن هذه المصادر، أو يفرض في استغلالها، إلا إذا كان يريد الثلاثي والانتحار.

وشعب الإيمان يمكن توزيعها على الأقسام التي بينها، سواء كانت محصورة، أو غير محصورة.

ونحب أن نذكر طائفة من شعب الإيمان، كما أحصاها الحفاظ البيهقي، شارحين لها على ضوء ما ذكرنا.

الحق حرمة التي تجعل المرء يغالي به ويدفع عنه ويستمسك به إلى آخر رمق.

والتمسك للحق أثر الإيمان الصحيح به. وهذه الشعبة من شعب الإيمان، يضعها البيهقي تحت عنوان «شح المرء بدينه»، حتى يكون التذوق في النار أحب إليه من الكفر. ثم يسوق في الاستشهاد لها حديث أنس ابن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله.

وأن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه».

فأخبره أنه ورد على ماء - قد سماء - فإذا
نعم من نعم الصدقة ، وهم يسقون لخلبوه لى
من ألبانها ، فجعلته فى سقائى ، وهو هذا ...
فأدخل حمر يده فى فاه فاستقاه ...

وعن بشر بن الحارث ، قال يوسف بن
أسباط : إذا تعبد الشاب ، يقول إبليس :
انظروا من أين مطعمه ؟
فإن كان مطعمه مطعم سوء قال : دهره
لا تشتغلوا به !

دعوه يجهده ويتعب فقد كفها كم نفسه .
وسئل سفيان الثوري : عن فضل الصف
الأول ، فقال : انظر كم تركت التى تأكل
من أين تأكلها وصل فى الصف الأخير .
وهذا من سفيان إرشاد للفرض قبل
النقل .

فإن البعض قد يظن فضل المبادرة إلى الصف
الأول مكفراً التهم على المكاسب من أى طريق
وهذا خطأ .

والغريب أن من المصلين من يصطاد رزقه ،
كيفما اتفق ، ثم يحرص على القرب من المحراب ،
كان هذا يفتلى ذاك .

ويروى عن حذيفة المرعشى أنه نظر
إلى الناس يقبضون إلى الصف الأول ، فقال :
ينبئني أن يقبضوا إلى أكل خبز الحلال !!
وإذا كان المباح مرفوضاً بالوسائل المريبة ؛
فكيف بالمحرم ؟ !

وقال : يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض
حلالاً طيباً .

وقال : يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث أغبر ،
يمد يديه إلى السماء : يارب يارب ، ومطعمه
حرام ، وملبسه حرام ، ومشربه حرام ،
وغذى بالحرام ؛ فأنى يستجاب له ؟

وهذا وصف لبعض الكاذبين الذين يقبلون
على الدنيا بنهمة الوحش الجاثم على فريسته ،
يطول عناؤهم وراء عرضها ، ولكن
لا يدركون حظاً من رحمة الله لشرمهم ،
وأكلهم الصحة .

وأغلب الناس فى طلب القوت يرون
أن الغاية تبرر الوسيلة ، ومعهم ثم ، فهم
يوفرونه بكل حيلة ، غير مبالين بحل
أو حرمة .

وما يفعل الصغار لإدراك الرزق من أى منبع ،
يفعل مثله الكبار فى طلب المناصب التى توسع
الجاء والثراء .

وأهل الإيمان برآء من هذا كله .

وقد روى البيهقي بعض طرائف لتوسيع
العفاف فى النفس ، وكسب الدنيا من الحلال
وحده ، فعن زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب
شرب لبناً فأعجبه ، فقال للذى سقاه : من أين
لك هذا اللبن ؟

وهم يتفاوتون قوة وضعفاً، وغنى وفقراً
على قدر حظوظهم من هذه الخصائص،
وإقادتهم منها ...

والسباق بين المبادىء الحقة والباطلة
على تسلم أزمة الحياة، يعتمد - فيما يعتمد -
على التفوق في هذا الجانب .

من أجل ذلك نحن نعد من أبواب الجهاد
- لإجادة فنون الحياة، وحسن استخدامها
لنصرة الحق ...

وكل سبق في هذا المضمار، فهو تحصيل
لشعبة من شعب الإيمان، ما دام وجه الله
مراداً فيه ..

ويجب أن ييأس المؤمنون من إحراز
فوز لعقائدهم، إذا كان سهمهم في هذا المجال
ضئيلاً ...

إن الإيمان الحق يسيطر على المجتمع،
وعلى البيئة، ويسوقها نحو غايته، كما يجرف
التيار في مده كل شيء إلى وجهته ...

ومن الشعب التي تسمو بها الإنسانية،
وينضربها وجه الإسلام، حسن الخلق .

وللهي في كلام في هذا الموضوع، يجعل
أن نذكره بعد ذكر النصوص التي تتصل بالمقام .

قال : حسن الخلق، ويدخل فيه كظم الغيظ،
ولين الجانب، والتواضع، لقوله تعالى :
« وإنك لعل خلق عظيم »، والكاظمين الغيظ،
والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين .

عن الحكم بن هشام قال لابن له : يابني
إياك والنبذ، فإنه قبيح في شذقك، وسلح
على عقلك، وحده في ظهرك، وتكون ضحكة
الصبيان، وأسيراً للديان .

وأشدد الحسين بن عبد الرحمن .

أرى كل قوم يحفظون حريمهم
وليس لأصحاب النبذ حريم

إذا جنتهم، حيوك ألفاً، ورحبوا
وإن غبت عنهم ساعة فذمهم

أخوهم إذا ما دارت الكأس بينهم
وكلهم رث الوصال شوم

فهذا ثنائى؛ لم أقل بجمالة
ولكن بحال الفاسقين عليم

وصدق الشاعر، فليس للسكران أعراض،
ولعل انحلال عرا الشرف في الغرب والشرق

يعود إلى شيوع الخمر، وإغفاء الفكر،
واسيقاظ الشهوة، فسأل الله العافية ...

وعلاقة الإيمان بالدنيا ليست فقط ضمان
كسبها من وجه شريف؛ فإن التلطف

في استنباط الخير من خزائن الأرض،
كسب هائل لدين الله، وأبواب ذلك فوق

الحصر ...
إن التمكن في الأرض، واستثارة خيراتها،
وإجادة أنواع الحرف، والفقه في قوى الكون

وأسرار الوجود خصائص عامة استحق بها
بنو آدم الاستخلاف في الأرض .

سماحة بحقوقه لا يطالب غيره بها ، ولو فيها يجب
لغيره عليه منها ، فإن مرض ولم يعد ، أو قدم
من سفر فلم يزر ، أو سلم فلم يرد عليه ،
أو ضاف فلم يكرم ، أو شفح فلم يحجب ،
أو أحسن فلم يشكر ، أو دخل على قوم
فلم يمكن ، أو تكلم فلم ينصت له ، أو استأذن
على صديق فلم يأذن ، أو خطب فلم يزوج ،
أو استعمل الدين فلم يحمل ، أو استنقص منه
فلم ينقص ، وما أشبه ذلك ، ولم يفضب ،
ولم يتفكر من حاله ، ولم يستشعر في نفسه
أنه قد جنى ، وأوحش ، وأنه لا يقابل
كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله بل إنه
لا يعتد بشيء من ذلك ، ويقابل كلا منه
بما هو أحسن . وأفضل . وأقرب إلى البر
والتقوى وأشبه بما يحمد ويرضى ، ثم يكون
في إيفاء ما يكون عليه كفو في حفظ
ما يكون له ، فإذا مرض أخوه المسلم عاده
وإن جاء في شفاة شفقه ، وإن استعمله
في قضاء دين أمهله ، وإن احتاج منه إلى معونته
أعانه ، وإن استسقمعه في بيع سمح له ،
ولا ينظر إلى أن الذي يعامله كيف كانت
معاملته إياه فيما خلا ، إنما يتخذ الأحسن
إماما لنفسه ، فينحو نحوه ولا يخالفه .
تلك نظرة عجيلى إلى شعب الإيمان ، نرجو
أن نكون قد ألمعنا بها إلى الإيمان كله .

محمد الغزالي

ولحديث عبد الله بن عمرو في الصحيحين
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن
فاحشا ، ولا متفحشا . وقال : « إن من خياركم
أحسنكم أخلاقا » ، وفي رواية : « إن من أحبكم
إلى أحسنكم أخلاقا » .

ولحديث عائشة رضى الله عنها في الصحيحين
أيضا أنها قالت : « ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ
أيسرهما ، ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما ،
كان أبعد الناس منه » ، وما انتقم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لنفسه ، إلا أن تنتهك
حرمة الله فينتقم الله بها » .

وبه أنبأنا أبو بكر البهقي قال : ومعنى
حسن الخلق استقامة النفس نحو الأرقى
الأحمد من الأفعال .

وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى ، وقد
يكون فيما بين الناس .

وهو في ذات الله هو وجل ، أن يكون
العبد منشراح الصدر بأوامر الله تعالى ،
ونواهيه يفعل ما فرض عليه طيب النفس به ،
وينتهى عما حرم عليه ، وإضيا غير متضجر .

ويرغب في نوافل الخير ، ويترك كثيرا
من المباح لوجهه تعالى وتقدس . إذا رأى
أن تركه أقرب إلى المبودية من فعله ، مستبشرا
لفلك غير ضجر منه ، ولا متعسر به .

وهو في المعاملات بين الناس أن يكون

أُرَيْسِيَّةٌ فِي أَدَبِ الْأَنْدَلُسِ

لِلْمُؤَلِّفِ مُحَمَّدِ رَجَبِ الْبَيْرِيِّ

- ١ -

يتضح فيما نشر من الكتب في عهد الطوائف وما يليه ، واتضح أثر كتاب ذائع ، تقبله الأندلسيون بارتياح ذلك الكتاب الذائع هو (بتيمة الدهر) بأجزائه الأربعة ، لأبي منصور الثعالبي رحمه الله .

وأنت حين تبحث عن مرارتيح القوم لصاحب القيمة ، ولولهم باقتنائه ، تجدد لديك ما تقول : فالتأثير العربي - لعهد الثعالبي - كان قد تطور من الطبع إلى الصناعة ، ومال به الخوارزمي والصابي ، وابن العميد ، والصاحب والمعداني إلى ضروب من التكلف . تعتمد إلى الحلية الظاهرة والزينة البارزة ، وتفعل الاستشفاف ، والتبصر ، وتخطئ الإصاغة الميظنة للتعليل والتحليل ! وجاء الثعالبي فتأثر بسابقه الأقربين ، وكان له من ظروف نشأته واتجاهه ما حجب هذا اللون إلى قلبه ، إذ أن بلاغة اللفظ وحدها في أضيق حدودها المتعارفة كانت هي التي تأخذ بمجامع تفكيره ونظرة إلى منحاه في التأليف . توضح هذا الاهتمام ؛ فكتاب فقه اللغة ، وكتاب الكنايات ، وكتاب ثمار الغلوب في المضاف والمنسوب ، كلها تشير إلى اهتمامه الجزئي

أكثر ما عثر عليه في التراث الأندلسي - من كتب التراجم والأخبار ، يرجع تأليفه إلى عهد ملوك الطوائف وما يليه ، وأقله يتقدم هذا العهد لأئمة من سبقي الكتاب ، وأنت حين تقرأ هذا الكثير - مما صدر في العهد الأخير - تجد أنه يكاد أن يكون متشابها ، فليست هناك فروق بعيدة بين كاتب وكاتب ، وكأنهم يصدرون جميعا من مورد غير مختلف ، ولا تنكر أن لكل كاتب ما ينفرد به من السمات التي لا تخفى على البصير المتيقظ ، ولكن الطابع العام مع ذلك واحد ، فجعل هذه الكتب تميل إلى المبالغة والإسراف ، وتتخذ من التراجم الإنسانية معرضا للبديع بسمجه وجفافه ، حق لتكاد الحقائق الذاتية تختفي في طيات هذه الزرقة الشائعة ، وهي ظاهرة هامة تحتاج إلى تعليل وتحليل . لقد وفدت إلى الأندلس من الشرق كتب الأعلام من أئمة التأليف ، وتداول الأندلسيون آثار ابن المقفع ، والجاحظ ، وأبي الفرج الأصفهاني ، وأبي حيان التوحيدي ، وأضرابهم من ذوي الأسلوب الحلي والتفكير الحصب ! ولكن أثر هؤلاء الأئمة لم يكد

أصحاب التراجم ، فإنى أغنى التراجم السياسية والأدبية معاً ، لأن أكثر حاكمى الأندلس ، أدباء وشعراء ، بل كانت الوزارة فى أكثر سبلها لا يلتبس أصحابها فى غير الأدباء والشعراء ، لذلك كانت كتب التراجم من سياسية ، وأدبية متشابهة متآخية ، وقد وجد فى المشاركة من وصلوا إلى الوزارة عن طريق الأدب ، ولكنهم بالقياس إلى أولئك نفر قليل .

إن ولوح الأندلسيين بالزينة والزخرف كسبب نفسى ترد إليه هذه الظاهرة ، هو الذى أتاح لكتاب القيمة أن يصبح مثالا يحتذى ، وإلا فإن شيخ مؤرخى الأندلس ، وسيد كتبها (ابن حيان) كان جديراً أن يكون رائد المدرسة التاريخية فى إقليمه ، لو وجد من تلاميذه وحفدته من يتذوقون نهجه ، أو يحاولون السير على منواله ، ولك أن تعجب حين ترى ابن بسام فى الذخيرة ينقل آراء الرجل وأقواله مسهباً مطبلاً ، فإذا عاد إلى نفسه تداركته عدوى القيمة ، ونسى الألفى المشرق الذى كان ينقل من أضوائه !! أيسكون ابن بسام أعجز من أن يحاكي ابن حيان ! هو كذلك بلا شك ، ولو أنه حاكاه فى زمنه المتأخر ما وقع حديثه أطيب موقع لدى من يرفعون أسماعهم لصلصة الحلى ، ورنين الأبحاج !

كان ابن حيان (٣٢٧ - ٤٦٩) جزل

بالترا كيب اللفظية ، وقد يكون هذا بدعة العصر أجمعه . إلا أن الثعالبي حين نقل هذا الولوع الضنى بالصنعة اللفظية من ميدان الرسائل والمقامات إلى ميدان التأليف للعلمى قد فتح الطريق إلى اتجاه جديد فى التأليف ، ومهما قيل من تسويغ هذا الاتجاه ، فليس هو الطريق المفيد .

انتقل كتاب القيمة إلى الأندلس ؛ فأحدث دويه ، وأرخ الكتاب يوم صدوره واحتفلوا باستقباله احتفالاً لم يتيسر لأكثر الوافد من الآثار ، وتعليل ذلك الاهتمام قريب غهر بعيد ؛ فنماظر الأندلس الطبيعية ، توحى بالزينة ، وحضارة الأندلس قد أوجبت تنميق الأثاث ، وتجميل الرياش ، وتحلية القصور والأبهاء ، ثم انتقلت إلى اختراع الموشحات فى دنيا النظم ، ومن الطبيعي أن تنتقل إلى استحسان البديع فى دنيا النثر ، أضف إلى ذلك أن أكثر القائمين بكتابة الرسائل لدى ملوك الأندلس أدباء ، وفقهاء فى وقت واحد ، ولولع هذا النوع من السكاتين بالبهارج اللفظية أشد وأكثر ، ولسنا ننكر أن منهم أدباء خلصا ، ترنح أخطافهم روائع الأدب الأصيل ، ولكن ماذا يصنع القليل أمام الكثير .

جاء كتاب الثعالبي فأحدث دويه ، وأخذ أصحاب التراجم يحتذونه مباحين ، وإذا قلت :

كابن سعيد ، وابن خلدون ، ويمتاز ابن حيان إلى ذلك بأسلوب ناصع ، لا يهبط إلى الركاكة ولا يقع كذلك في التفصيح والإسراف في قعاقع الالفاظ ، ورغم التزامه هذه السهولة لا يهمل جانب الجمال في أسلوبه ، ويبعث في كلامه دائماً حماسة وغنى وطابعاً غالباً من الجدة ونخرج من هذا كله بأننا لا نجد بين مؤرخي العرب إلا القليلين الذين نستطيع أن نقارنهم به ، ولن نجد بينهم من تقدمه عليه ^(١) .

أجل لن نجد من مؤرخي العرب من قارنه به إلا كاتباً كابن خلدون ؛ أما الذين أكثروا من التراجم الأندلسية من بعده ، ففقدت مواهبهم المتواضعة دون اللحاق به ، وفيهم من جرؤ على انتقاده ، فإن بسام يقول عنه - الذخيرة ١/٢ ص ٨٥ - :

« ومع ذلك فقد كان سهماً لا ينسى رعيه ، وبحراً لا ينكش آذيه ، ولو سكب الماء ما ققع ، أو تعرض لابن ذكاء ما سطع ، يقتاول الأحساب قد رسخت في التخوم وأنافت على النجوم ، فيضع مناوها ، ويطمس أنوارها ، بلفظ أحسن من لقاء الحبيب غب الموعد ، وأمكن من هذر الطبيب عند العود ، قرب شاخ بأفقه ، ثاب من عطفه ، قد مر من كتابه بفصل جرده لوضع حسبه ، وخلده

العبارة ، شديد العارضة ، قوى الآصرة . تلس في أسلوبه قوة وتدققاً ، وتواء نسجا وحده في براعة التلوين ، وقوة التصوير ، فإذا نظرت إلى أحكامه شافك أن تجد بعداً في الغور ، وبراعة في النفاذ ، ودقة في الملاحظة ، وهو جاحظي التركيب في تدفقه وانصبابه ، وكثيراً ما ينجو من استطراد الجاحظ إلى الموضوعية المركزة المحددة ، وكان خل من هذا الطراز لا يرحب به العامة من القارئ ترحيبهم بالكاتب السهل المتناول القريب الأخذ ، ولعل ذلك مما أضاع مؤلفاته على كثرة أجزائها وجودة منحائها ، إذ لو رزقت سواداً كبيراً من القارئ لتزايد نسخها ، ووصل إلينا منها شيء ذو بال ... ؛ لأننا لم نر الرجل حقاً إلا فيما نقله عنه صاحب الذخيرة - وما أكثر ما نقل - ولما في ثلاثة أجزاء من كتاب « المقتبس » ، فقط ، أما بقية الأجزاء العشرة ، وأما كتاب « المختين » ، ذو المجلدات الستين ١١ وأما كتاب « فقهاء قرطبة » ، وأما كتاب « المآثر الدامرية » ، فوا أسفا !

يقول المؤرخ الهولندي (دوزي) عنه : « إنه يسوق التاريخ مساق من يبدى رأيه وحكمه فيما يعرض من القضايا ، ويبحث عن أسباب الأشياء ، ويناقشها عن علم وفهم وذلك كما سيفعل من بعده نقادون ؛

(١) الأدب الأندلسي لدكتور هيكل ص ٣٩٣

فلا عن تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة مؤنس ٢١١ .

أحدوثه باقية في عقبه ، فإردده ورود الظمان الرنق ، ويلبسه لبس العريان الخلق .

فصاحب الذخيرة يأسى على لذات ابن حيان وقدراته ، فهو يريد منه أن يذكر المحاسن ، ويغضى عن المساوئ .^١ وقد نسي ابن بسام شيئاً هاماً ، هو أن من كان في المعية ابن حيان وقوة بصيرته ، وشول نظره ، يرى كثيراً من الهنات فيمن يتناول ، ولا بد أن يقول رأيته مستنداً إلى تجربته الواسعة ، وخبرته الأصيلة بالنفوس . قد يكون ابن حيان أكثر من النقد ، وأسرف ، فالصفحات التي اقتبسها ابن بسام تحت عنوان (المختار من قوله) تضرب في النقد إلى مدى متجاوز كاد أن يكون سباباً . حتى ليفهم القارىء أن كتابته جميعها من هذا الطراز ، ولكن متابعة ما طبع من الذخيرة ، وما تدوول من أجزاء المقتبس تفهمنا أن ابن حيان ناقد منصف ، يسجل الشر والخير معاً . وهو ما لا يرتضيه ابن بسام ، وقد تعرض الدكتور أحمد أمين إلى الفصل في هذه القضية فقال في ظهر الإسلام ج ٣ ص ٢٧٨ :

« ونحن إلى مذهب ابن حيان أقرب ، فالمؤرخ عليه أن يتحرى الصدق في المدح والذم والنافع والضار أما اقتصاره على المدح دون الذم (كما يريد ابن بسام) . فتقصير في رواية الحق ، وقول لنصف الحق ، وليس الرجل المشهور في التاريخ ملكاً لنفسه ،

بل أصبح ملكاً لشعبه ، يشرحه المؤرخ الحصيف ، كما يشرح الطبيب المريض . فنحن مع ابن حيان لا ابن بسام ، وكثيراً ما مضت ذرعا بالمؤرخين الذين لا يذكرون إلا الحمد ويفضون الطرف عن المفاصل بل قد يخلقون المدائح خلقاً وإن لم يصح نسبتها لأبيهم حقاً . ولو قمعنا بواطن التأليف لدى ابن حيان وابن بسام ، لوجدنا كلا الرجلين منطقياً مع نفسه ، فإن حيان ألف كتابه ليصدو أحكامه كما يراها عقله البصير ، ويقول بعض السكاكين عنه : « لأنه لم يقصد إذاعة كتبه بين الناس ، بل جعلها مذكرات خاصة لورثته ، كي يستفيدوا منها ، وينتفعوا بعظمتها ، وأنا أستبعد هذا ولا أقبله ، لأن المؤلف الذي يكتب أكثر من مائة مجلد في التاريخ لا يفرق بينه وبين نفسه أن تظل هذه الآثار الحافلة ملكاً لعشرة من القراء أو عشرين !! ولكنه يقوم بمجهود الضخم ، ليسمع الناس ما يريد وإذا كان ابن حيان قد اعترف بهذا الضن حين قال عن بعض كتبه . الذخيرة ٢/١ ص ٨٨- : « وكنت اعتقدت الاستئثار به لنفسى وخباؤه لولدى ، والضن بفوائده الجمة على من تنكب لإحمادي به إلى ذى ومنقضى ، طويت على ذلك كشعاً ، وأمضيته عزماً ، إلى أن رأيت زفافه إلى خطبة سنوية أتقنى على بعد الدار ، أكرم خاطب ، وأسنى ذى هم : الأمير المؤثر يحيى بن ذى النون ، فليس لنا أن نعمل

أحدوثه باقية في عقبه ، فإردده ورود الظمان الرنق ، ويلبسه لبس العريان الخلق .

فصاحب الذخيرة يأسى على لذات ابن حيان وقدراته ، فهو يريد منه أن يذكر المحاسن ، ويغضى عن المساوئ .^١ وقد نسي ابن بسام شيئاً هاماً ، هو أن من كان في المعية ابن حيان وقوة بصيرته ، وشول نظره ، يرى كثيراً من الهنات فيمن يتناول ، ولا بد أن يقول رأيته مستنداً إلى تجربته الواسعة ، وخبرته الأصيلة بالنفوس . قد يكون ابن حيان أكثر من النقد ، وأسرف ، فالصفحات التي اقتبسها ابن بسام تحت عنوان (المختار من قوله) تضرب في النقد إلى مدى متجاوز كاد أن يكون سباباً . حتى ليفهم القارىء أن كتابته جميعها من هذا الطراز ، ولكن متابعة ما طبع من الذخيرة ، وما تدوول من أجزاء المقتبس تفهمنا أن ابن حيان ناقد منصف ، يسجل الشر والخير معاً . وهو ما لا يرتضيه ابن بسام ، وقد تعرض الدكتور أحمد أمين إلى الفصل في هذه القضية فقال في ظهر الإسلام ج ٣ ص ٢٧٨ :

« ونحن إلى مذهب ابن حيان أقرب ، فالمؤرخ عليه أن يتحرى الصدق في المدح والذم والنافع والضار أما اقتصاره على المدح دون الذم (كما يريد ابن بسام) . فتقصير في رواية الحق ، وقول لنصف الحق ، وليس الرجل المشهور في التاريخ ملكاً لنفسه ،

إن هذا المؤرخ الفذ الذى يقول عنه صادق الأستاذ على آدم أنه لا يعرف مؤرخاً من مؤرخى المشاركة يقوم له ! لم يستطع بآثاره أن يقف فى وجه كتاب القيمة حين تخلى الشرق إلى الأندلس فسحر الناس ، وبهر الكتاب ! وقد توالى كتاب التاريخ من بعده أمثال : ابن الفرضى ، والحافظ الحميدى وابن بشكوال وابن الأبار ، وابن عبد البر بسام ، والفتح بن خاقان ، وابن سعيد ، والحجارى وعبد الواحد المراكشى ، وابن الخطيب ، والمقرئ ، ومن يلف لفهم من المؤرخين ، فقصروا جميعاً عنه ، وما حاذوه ! ولا نستطيع أن نخص كل هؤلاء بالتحليل ! ولكننا نعتمد على اثنين ممن رزقوا الخطوة فى الذبوع ، والمعاصرة فى الحياة ، لنتخذ منهما دليلاً على أثر الثعالبى فى كتابة التاريخ الأندلسى ، ثم أثرهما تبعاً لذلك فى انتقال العدوى البديعية إلى من يليهما من الكتاب ! وهما : ابن بسام صاحب الذخيرة ، والفتح ابن خاقان صاحب القلائد والمطمح ، وما أغفلنا ابن الخطيب عن انتفاص ولكن فضله ذائع وأسلوبه مشتهر وهو بعد لاحق بهما على أنه تأثر بثلاثتهم جميعاً ، إذ قرأ ما خلفوه ! (يتبع)

محمد رجب البيومي

هذا الاعتراف قضية مسلمة ، لئى واحد ! لأنه يخالف طبائع الأشياء ! هذا شأن ابن حيان فى تأليفه . أما ابن بسام ؛ فقد ألف الذخيرة لينصف أهل الأندلس ويقف بهم مع المشاركة فى مستوى واحد ومؤلف هذه وجهته لا يتسنى له أن يسطر ما يعرف من المآخذ ! وإلا ما استطاع أن يبلغ بمؤلفه ما يريد ! . لقد أطلنا القول شيئاً ما عن ابن حيان ! وهو كاتب يستحق الالتفات دون نزاع ، وقد أنصفه الكاتب المفضل الأستاذ على آدم حين ذكر فى معرض تبرئته من التحامل أنه وإن كان يقتصر دائماً للخلافة الأموية فهو أوسع أفقا وأكثر أمانة ، وأشد احتراماً للحق من أن يكيل لهم المسدح جزافاً ويخلع عليهم أبراد الشناء بلا حساب ، وقد عدد فى الجزء الثالث من كتابه (المقتبس) مناقب الأمير عبد الله ، وأبدع فى وصفها ، ولسكنه لم يقف عند هذا الحد ، وأضاف إلى ذلك ذكر عيوبه ونقائصه ، وأحصى عليه أخطائه وجرائمه ! ... ولا أعرف مؤرخاً من مؤرخى المشاركة يقوم لابن حيان فى قوة التصوير ، وبراعة التلوين ، مع الإصالة والطرافة . وهو فى قوة تصويره ؛ وصرامته وصراحته ، واستمسكه بالموازين الأخلاقية يذكرنى بالمؤرخ الرومانى العظيم تاسينوس ،

مجلة الثقافة عدد ٦١٤ .

أبو العلاء والصّور الشعريّة

للأستاذ كامل السيّد شاهين

١ — قد تأتيك الصورة الشعرية على حال من الاقتصاد ، تعرض عليك أثرًا من آثار عاصفة نفسية عند الشاعر ، ثم تجرد هذا الأثر من سائر الشوائب التي تخفي دلالاته ، أو تخدمها ، أو تصرف عنها ، كما تجد ذلك في قول ذي الرمة :

في الطيران إذا أدركت أن الشر منها قريب .
وتجده كذلك في قول الخاسي :
يوم ارتحلت برحلى قبل برذعي
والعقل مثله ، والقلب غبول
ثم انبعثت إلى نضوى لابعثه

إثر الحدوج الغواذي وهو معقول
فأنت تجد هنا وجلا قد حاجت عواطفه ،
وذهب ضبطه ، فهو يتصرف تصرف المتوله
الموزع النفس ، فيضع رحله على جملة ، قبل
أن يضع برذعته ، ويبعث جملة الطليح في
إثر الغوازي الراحلات وهو مشدود بعقاله .
فذا نك تصرفان من التصرفات التي لا تقع
إلا من عازب اللب .

وكلتا اللوحتين جاءت يسيرة عاطلة من كل
زينة ، ملتقطة من الواقع المجرد ، وكل جهد
الشاعر أنه جاء بصورته واضحة غير غائمة ،
ولا محوطة بشيء يصرف عنها ، أو يقلل
الاهتمام بها ، فبرز لنا ما وراء الأولى من
السهوم والبهتة ، وما وراء الثانية من العزوب
والخبل والالتلاه .

٢ — وشعر أبي العلاء لا تكاد تجد فيه
هذه الصور البسيطة العميقة الأثر ، لأن عصر
أبي العلاء ، وثقافته العلمية والفلسفية ، لا تدعانه

عشبة مالى حيلة غير أنفى

بلقط الحصى والخط في الترب مولع
أخط ، وأحوى الخط ، ثم أعيده

بكفى ، والغربان في الدار وقع ا
أراد أن يدلك على ما بلغه من الحيرة
والشرود وعزوب العقل عند ما شهد ربع مية .
فعرض عليك لوحة تراه فيها جالسا أمام
الربع ، يلتقط الحصى ويقذفه ، ويثبت الخط
ويمحوه ، ثم يعود فيثبت ، وترى الغربان مع
هذا جاثمات لا تنزعج ولا تفرق على ما عرف
في الغراب من الحذر . . فكأنها قد عرفت
ذهوله ، وزين بصره ، وعدم استجماع عقله
فأمنت وأطمأنت .

صورة يسيرة للحيرة ، أكدها وجلاها ،
هذا الحتام الرائع الذي يعطيك الدليل الحاسم
على أن ذهوله وبهتته قد بلغت المنتهى ، حتى
لتدركها هذه الطيور التي تؤثر الحيلة وتعد

فبكائي ربما أرقها
وبكائها ربما أرقني
غير أني بالجوى أعرفها
وهي أيضاً بالجوى تعرفني
أنظر — وعاك الله — إلى موقع الغامض
في البيت الثاني ، وإلى رد الإعجاز على الصدور
في الآيات الثلاثة بعده .. قتلك جملة الصنعة
في هذه القطعة .

ولهذه القطعة نظير عند أبي العلاء ، من
حيث الغرض الذي قيلت فيه — وهو
إهاجة الشوق وبعث الحنين . فقد هاج البرق
إبله ، فمن ينازعنه إلى معاطفهن بالشام
فذلك قوله :

وكم هم نضو أن يطير مع الصبا
إلى الشام ، لولا حبسه بعقل
لقد زارني طيف الحيال فهاجني
فهل زار هذي الإبل طيف خيال
لعل كراها قد أراها جذابها
ذوائب طلح بالعقيق وضال
ومسرحها في ظل أحوى كأنها
إذا أظهرت فيه ، ذوات حجال
فهو هنا يريك نضوه بهم أن يطير مع ربح
الصبا إلى الشام ، فلولاً أنه معقول لطار .
ثم جعل يعجب من حنين إبله .. لأنه يحس
لأن طيفاً زاره . أفمن إبله لأن طيوفا
زارتها كذلك ؟ وماذا تكون هذه الطيوف ؟
لعلها رأت في كراها مجاذبتها لذوائب الطلح ،

يسير في بزة البدوى ، عليه من الطبيعة آثار
ورسوم تجدها في تلويح الجلد ، وسفغة الوجه ،
وتسقق القدم ، وانتفاش الشعر .
وإنما يعطيك حصر أبي العلاء وعلمه
وفلسفته ، صورة مثقنة ، فيها تنوق ، وعليها
صنغ ، تحملك على الإعجاب بالعقل المبدع ،
وبالفن المدروس ، أكثر مما تحملك على
الانفعال الحار ، وأكثر مما تريك من
العاطفة المشبوبة .

فهو معك كالدلالة الصانع ، تأتيا العروس
في خلقاتها ، فلا تزال تقص منها وتسبل
وتدق وتغاظ ، وتكشف وتسدل ، وتهيل
وتهيل ، وتسود وتبيض ، وتحمر وتصففر
حتى تبلغ بلاغها من الزينة والجمال ، وتحتدع
العين ما وسعها الاختداع .

على أن الصنعة قد تجيئك منتقبة في احتشام
وكأنها تعتذر عن وجودها ، وقد تأتيتك
هربانة وقاحاً لا تستحي ...

وأيسر مثل نضبه للصنعة اليسيرة
قول الشاعر :

رب ورقاء هتوف بالضحا
ذات شجو صدحت في فن
ذكرت إلها ، ودهرا سالفا
فبكت حزناً ، فهاجت شجني
ولقد تبكى ، فما أفهمها
ولقد أبكى ، فما تفهمي

وأجزاؤها (١) ومضات فكرية ، وليس مصباحاً متألّفاً .

٣ — وقد تجيء الصورة مبنية على أصل واحد ، ثم يأخذ الشاعر في حياطة ذلك الأصل ؛ لنتم الصورة بجوانبها وحواشها وإطارها . كما ترى في قول أبي العلاء من قصيدته التي بعث بها إلى أبي حامد الاسفراييني :
يمته (٢) ، وبودي أننى قلم

أسمى إليه ، ورأسى تحق الساعى
على نجاة من الفرصاد أيدها
وب القدوم بأوصال وأضلاع

وقد يسير إلى أبي حامد على نجاة ، والنجاة الفاقة ، ولكن نجاته ليست من لحم وعظم ، بل هي مصنوعة من شجر الفرصاد ، فهي لأذن سفينة ، قد جعلها الشاعر ناقه ، وهذا هو أصل الصورة ، ثم أخذ يتناول الجوانب المختلفة ، فقال : إن لها أضلاعاً ومفاصل ولكن النجار وب القدوم هو الذى وثقها بهذه الأضلاع والمفاصل .

وإذا كانت الإبل تطفى بالقار إذا أصابها الجرب ، فإن (نجاته) تطفى بالقار على غير جرب :

تطفى بقار ، ولم تجرب ، كأن طليت
بمسائل من ذفارى العيس منباع

والضال في العقيق . لعلها رأت سرحتها في ظل شجر أخضر وقت الهجرة ، تهدت أغصانه فسقرتها بأوراقها .

وأنت راجد في هذه الآيات رنة الوليد ، وصناعة حبيب ، وأقف بك عند البيت الثالث لتمتلي هذا الجنس الخلو البارع (لعل كراها قد أراها) ، والجناس من الصناعات الدقيقة العسيرة ، ولكن هذه الصناعة في كف لغوى ذواق كآبى العلاء سبيل ذلول . ولو أنك قرأت البيت كله لظهر لك معنى دسه أبو العلاء في أطواء الصناعة .

فهو يريدنا أن الطيف عندما يزور العاشق ، فإنه يأخذ منه بالقرون والدواب .

أما الإبل فإنها أخذت بدواب شجر الطلح والضال . أخذه بدواب الطيف الطارق . ونعود إلى الخيال ، فنجد خيالا متبدداً ، لا يرسم لوحة شعورية متكاملة الجوانب ، على أن منه ما يدخل في الإصالة كطيران النضو إلى الشام مع ريح الصبا ، وعمقه في النفس ليس كعمق التجربة في الآيات النونية التي سلفت . وحلاوة الآيات ترجع إلى الصفاء الموصيقى الذى نجد قوامه في صدى الآلات الممدودات ، وفي روعة الجنس ، وفي هذا الافتراض الساذج ، وهو أن الإبل قد رأت في السرى أنها آخذة بدواب الطلح والضال . وهى الجملة ، فالصورة هنا غير متكاملة ،

(١) راجع القصيدة في السقط ج ٢ ص ٥٥

(٢) ضمير القبية للأسفراييني للذكور .

إليك أبا العباس ، من دون من مشى
عليها ، امتطينا الحضرمي الملسنا
قلانص لم تعرف حيننا إلى فلا
ولم تدر ما قرع الفتيق ولا الهنا .
فأبو نواس وصحبه قد امتطوا إلى
أبي العباس - دون سائر الناس - نعالهم
الحضرمية وجعلها أبو نواس (قلانص) ،
لا تحن إلى الفسلا ، ولا تعرف وثوب
الفحول ، ولم تطل بالهنا وهو القطران .
فهذه الأوصاف تعطينا وجوه المخالفة ،
وتقرب الصورة من حدود الالتغاز .
كما قال أبو الطيب ذاهبا مذهب المتصعلكين :
وحبيت من خوص الركاب بأسود
من دارش فغدوت أمشي راكبا
٤ - وخير الصور الفرضية : ما يغميه
الشاعر ويستكمله ويحقق وجوده ، ويجعل
أجزائه متكاملة قادرة على الإيحاء .
ولكن أبا العلاء في بعض صوره يضل
هذه السبيل ؛ فيأتيك بصور فرضية غالية ،
تنبو عن الصدق ، وتدخل في الإحالة ،
وربما جعلت السامع يسيء الظن به
فمن ذلك قصيسته التي قيل : لأنه أرغملها
أول بلوغه بغداد ، في رثاء الشريف
الموسوي ، والد الشريفين الرضي والمرتضى .
فهذه القصيدة على ما فيها من أبيات عيون
قد تضمنت صوراً غريبة مرعبة .

وإذا كانت الإبل تضيق بالحل ، وتهش
للوادي الممرح ، فإن (نجاته) ليس كذلك :
ولا تبالي بمحل إن ألم بها
ولا تهش لإخصاب وإمراع
وإذا كانت الإبل لها مبارك ومناخات ،
فإن (نجاته) عند ما بلغت القادسية أحاط
بها نفر من أصحاب السلطان . فأنأخوها
في ميناء ضيق :
والقادسية أدتها إلى نفر
طافوا بها فأنأخوها بجعاج
فهذا الاستقصاء وثق أصل الصورة ، وهو
إخراج السفينة في صورة ناقة . فقد جعل لها
ما للناقة من أوصال وأضلاع ، ومن الطلاء
بالقار ، والإنائة بالجمعاج .
وخالف بينها وبين الناقة في أنها من
الفرصاد ، وأن أضلاعها وأوصالها من عمل
رب القدوم وأنها لا تبالي بالحل ، ولا تهش
للروض المريع .
وكل من الأوصاف الأولى ، والأوصاف
الأخيرة كشف عن جوانب للصورة تتحقق
به وجوه المقاربة والمباعدة .
وإذا كان أبو العلاء قد جعل سفينته
(نجاته) من الفرصاد ، فإن أبا نواس قد جعل
فعله (الحضرمي الملسن) قلوفا ، أي ناقة ،
وأكل لها الصورة على وجه آخر ، فقال
مجدح الفضل بن يحيى بن خالد :

بنيت على الإيطاء سالمة من الإ
قواء والإكفاء والإصراف
على أن هذا الغراب الجون معجب بنفسه ،
مزهو بلباسه ، أو ليس قد أتيح له أن يتخذ
لباسا مناسبا ، وهو السواد ، أفلا يدهوه
ذلك لأن يميس ويزدهى ؟ .

بلى . وإن البزاة لتحسده ، لأن لباسها
البياض ، ومن لها لما نعى الشريف لها بلبس
السواد ؟ على أن الطيرر كلها في الحزن على
الشريف سواء ، أغربتها ويزاتها :
فذلك قوله ، والحديث عن الغراب :

جون كبنت الجون يصرخ دائما
ويميس في برد الحزين الضاف

حسدته ملبسه البزاة ، ومن لها
لها نعت لها بلبس خداف
والطير أغربة عليه بأسرها
فتخ السراة ، وساكنات لصف

أى مذهب للحزن مع هذا الكلام ؟ ،
وكيف السيل إلى أن نستشعر أن أبا العلاء
كان مفعجوا بموت والد الشريفين ، راغبا
لهما في العزاء والسلوان ، وهو يشغلنا بهذا
العبث الظريف ، ويجعلنا نرى الغراب يصرخ
دائما ، ويميس في برد الحزين ، أما كان
في صراخه وحزنه ما يشغله عن الميسان
في برده الأسود ؟

إننا إزاء هذا العبث لا فكنتى بافتراق

ولولا أننا نعرف تاريخ القصيدة ، وأنها
سابقة على إهانة الشريف المرتضى لأبى العلاء
لقلنا - دون تردد - : إن أبا العلاء قد قصد
إلى إهانة الشريفين ، بهذه الصور المضحكة
من الرثاء .

وأشهد أننى ما قرأت هذه القصيدة إلا
ضحكت ضحكا يبلغ القهقهة في بعض الأحيان .
وأى امرئ يملك نفسه عند ما يقول له
أبو العلاء : د إن هذه الغربان النواعب ،
طارت في الآفاق فواعيا للشريف الموسوى ،
وهى بما يهظها من الحزن ثقيلة النهض ، هافية
على التراب .

ثم يدعو على الغراب دعاء إعجاب ...
إعجاب بنطقه ، وبقوافيه . إنه شاهر للبين ، وهو
عندما يقول : (غاق . غاق . غاق) إنما يروى
الشريف بقصيدة على روى القاف . قصيدة
بنيت على الإيطاء ، وهو تمائل كلمة القافية
بريشة من هيوب الإقواء والإكفاء
والإصراف . . فذلك قوله :

طار النواعب يوم فاد نواعيا
فندبته لموافق ومناف
أسف أسف بها ، وأقل نهضها
بالحزن ؛ فهى على التراب هوافي
لا عاب سعيك من خفاف أستم

كسحيم الأسدى ، أو كخفاف
من شاعر اللين قال قصيدة
يرثى الشريف على روى القاف

واقه ، إن يخلع عليهم حلة ،
يرسل إليه بمثلها أضعاف
ثم ينتهي إلى أن الجنان ملك للشريف ،
يتصرف فيها ما شاء له أن يتصرف . فلا حذر
بعد صيرورتها إليه ، ففاتيحها منبوذة ،
ورضوان مسير بين يديه للإتحاف ؛
نبذت مفاتيح الجنان ، وإنما
رضوان بين يديه للإتحاف .

والصورة التي صور بها الرماح بعد موت
الشريف مزجت بين الجمال والعبث فنحن نقبل
من أبي العلاء أن يزعم أن الزواجل قد غدت -
بعده - مضطربة المتون ، كيلة الأسنة .

ذهب الذي غدت الزواجل بعده
وعش المتون كيلة الأطراف
اسكننا نعود إلى الأقسام عندما نراها
تلعب أمامنا ، وتتعطف من الأسى ، كأنها
الصلال الثائرة ونجد زجاجها متصل بلهازمها
وتعطف لعب الصلال من الأسى
قالزوج عند المزمز الرعاف

وبعد :

فليتخيل القارى الكريم معنى ، الأغربة
واقعة على منابر المساجد في بغداد ترثي
الشريف بقصيدة على روى القاف . وتميس
في برد الحزين الضافي ، والبزاة مغيظة تحسدها
على ملابسها الأسود . وليتصور الشريف واقفا
في قبره يحتمض الموتى الذين يرحبون بمقدمه
(البقية ص ٨٢٠)

الشفاه ؛ بل هو يجمنا - على رغم - على ضحك
يشق الاشدق .

ولا يكاد أبو العلاء يخلص من هذه الصورة
إلى أبياته الرائعة :

هلا استعاض عن السرير جواده
وثاب كل قرارة ونياف
هلا دفتهم سيفه في قبره
معه ، فذاك له خليل واف

هيات صارم للنفايا عسكرا
لا يقثنى الكسر والإيحاف

حتى تغلب عليه شقوة الإحالة ؛ فيمدنا
بصورة أخرى ليست أبعد من اللعب من
صورته الأولى . فيصف لنا الشريف في قبره
وقد زاره الموتى ، فلا يجد شيئاً يمنحهم إياه ،
إذ لا يملك - وأحر قلباه - غير كفته ،
والموتى أنقصهم لا يحتاجون إلا أكفانا ،
فيفلحه الجود ، فيخلع عليهم أكفان أبلج
مكرم الأضياف ! .

وكان أبا العلاء أجفل حين رأى الشريف
متجردا عريانا ، بعد ما وهب أكفناه لزوره
من الموتى ، فاستدرك ذلك على عجل ، فقال :
إذا خلع الشريف حلة على ميت أرسل الله
إليه مثلها أضعافا .

فذلك حيث يقول ، والحديث عن الشريف
الموسوى :

إن زاره الموتى كسأم في البلى
أكفان أبلج مكرم الأضياف

مِنْ نَحْوِ تَجْمَعِ الْحَوْثِ

كتب ظاهر الرواية

للإمام محمد بن الحسن

بقلم الفاضل بن عاشور

الفقه في أوضح معانيه ، توسعا في الاستدلال ،
واسقناداً إلى الرأي ، وتصرفاً في الآثار ،
هو الفقه الذي أقام معامله ، ومهد مناهجه ،
الإمام أبو حنيفة في الكوفة ، ثم انتقل به
إلى بغداد ، حيث توفي لأول همد تأسيسها
في منتصف القرن الثاني . فكان المذهب
الحنفي أول المذاهب الفقهية نشأة ، على الصورة
المذهبية الواضحة ، ذات الأصول والقواعد ،
التي وضعها له أبو حنيفة ، رضى الله عنه ،
اتفاقاً في بعضها مع المذاهب ، واستقلالاً
ببعضها لمذهبه . فالتصّل محمد بن الحسن
بأبي حنيفة في السنين الأخيرة من حياته ،
وتمّ تكونه الفقهى به في الكوفة ، ثم في بغداد ،
فكان فقيهاً عراقياً في تكونه ، كما كان الشافعي ،
في تكونه فقهاً مكيّاً . وكانت المذاهب تنشأ ،
حوالي المذهب الحنفي ، بين الحجاز والشام
ومصر ، على أصول ينفرد كل مذهب منها ،
بالمجموع المسكون لطريقته الفقهية ، على اشتراك
في بعضها بين مذهب أو غيره ، وانفراد
بالبعض الآخر ، فمالك بالمدينة وسفيان

إذا كان لنسب من الأنساب العربية ،
الكريمة الواضحة ، أن يهدم كل ما بنى له الشعر
من غر ، ورفعة ذكر ، في الجاهلية والإسلام ،
ودو وائق من أن معالم المجد التي أقامها
له الإسلام ، أهر وأطول بما بنى له الشعر ،
وأن ذكره في العلم والفقه ، أتم خلوداً
من ذكره في الأيام والملاحم ، فذلك هو نسب
بنى شيبان ، الذي ازدهر في تاريخ الفقه
الإسلامي باثنين من الأئمة العظام في الفقه ،
ما منهما إلا من هو سابق لأني الصقر
في استحقاق مديح ابن الرومي الذي يقول فيه :
قالوا : أبو الصقر من شيبان قلت لهم :

كلا لعمري ولكن منه شيبان
فكم أب قد علا بابن ذرى حسب

كما علق برسول الله عدنان
ذاتك هما إماما بغداد في الرأي والآثر :
الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، والإمام
أحمد بن حنبل الشيباني .

ولد محمد بن الحسن بواسط ، ونشأ
بالكوفة ، ثم دخل إلى بغداد ، ولقد كان

الرأى ، إلى بيئة الآخر ، وسلك من منهج الفقه ، إلى منهج العلم ، فكان ذلك تلافيا بينهما ، واتلافيا بين مذهبهما ، إذ لم يكن فراق بيئة ، وأم أخرى ، مما يحدث تنافراً بين البيئتين ، ولأنما يفصل الراحل عن إحداهما عندما يتصل بالآخرى . حتى يقال فى الراحل من هذه لتلك ، والراجع من تلك إلى هذه :

سارت مشرقة وسرت مغرباً
شنان بين مشرق ومغرب
ولكن يصدق فيهما بما يكتمل لكل
منهما مما تفرق بين الناس قول أبى تمام
يفخر بنفسه :

قد سهلت منه الحجاز ورققت
منه الشام ، وهذبته المشرق
أوقول أبى الطيب فى الأستاذ ابن العميد :

ولقيت كل الفاضلين ، كأنما
رد الإله نفوسهم والأعصرا
فسقوا لنا نسق الحساب مقدما
وأنى فذلك إذ أثبت مؤخرا

قصد محمد بن الحسن - وهو فقيه عراقى -
دار الفقه الحجازى بالمدينة ، واتصل بمالك
ابن أنس وروى عنه الموطأ ، تلك الرواية
التي كسنا نوهنا بها فى كلامنا على الرافد الأول
من روافد الثقافة الإسلامية : وهو الموطأ .

وقصد دار الفقه الشافى ، وهى إلى فقه
الحجاز أقرب منها إلى فقه العراق ، فنخرج

ابن هيبنة بمكة ، والأوزاعى فى الشام ،
والليث بن سعد فى مصر . وكان الفقه الناشئ
فى كل مصر من الأمصار ، والفتوى الصادرة
عن كل فقيه من فقهاها ، معلوما لدى المصر
الآخر وفقهه ، علما يستوعب جملة
من الأصول ، ثم يهتدى من استقراؤها
إلى طريقة تخالف ، فى مناهجها الأصلية
الطريقة التي يسير عليها هو فى استنباط الفقه ،
حتى لاحظ كل من الفقهاء على الآخر ما له
من خصائص فى أصوله المذهبية ، فأخذها
عليه وناظره فيها ، بحيث أصبحت المذاهب
الفقهية معروفة أصول كل واحد منها
هند الآخر ، أكثر مما هى مشعورها ،
هند أهلها ، وفى عقر دأوها ، فكان فى ذلك
ما يثير اهتمام الناشئين على طريقة من طرائق
فقهاء الأمصار ، بالتعرف إلى طريقة الآخر ،
والاتصال بها : ذلك كان شأن الشافى ،
وذلك هو شأن محمد بن الحسن الشيبانى
وذلك ما أخرج هذين الإمامين كما رأينا
فى ترجمة الشافى ، قوينين قريعين نظيرين ،
ترجع خصوصية كل منهما فى الفقه إلى معنى
من الجمع بين المذاهب ، هو الذى أخرج
كلا منهما ، فقها ، محدثا ، أثريا قياسيا .

وكما خرج الشافى من بيئة الأثر إلى بيئة
الرأى ، وسلك من منهج العلم ، إلى منهج الفقه ،
فقد خرج محمد بن الحسن بعكس ذلك من بيئة

صورة جديدة من صور العمل الفقهي : ما كان
الافق الفقهي أضاء بها قبل محمد بن الحسن :
وهي صورة التفريع المختلف في الأحكام
الراجع إلى أصول متحدة : هي قوام المنهج
المذهبي . بما يبرزه في الصورة الواقعية معنى
إجمالية الأصول وتفصيلية الفروع . فكان
محمد يبرز هذه الحقيقة مبرزاً العمل التفريعي
في الفقه باختلافه عن العمل التأصيلي مع
ارتباطه به ورجوعه إليه بحيث إن ثلاثة من
الفقهاء يأخذون بالأصل الواحد فيذهب كل
واحد منهم في تطبيقه والتفريع منه مذهباً
يختلف عن مذهب الآخر ، فكان به مظهر
العمل التفريعي الذي هو اجتهاد مقيد به صح
لأهل التفريع في كل مذهب وصف المجتهدين
المقيدين ... محمد الفاضل بن عاصم

بالفقه والرواية عن الإمام الأوزاعي .
ودخل البلد الحرام ، مكة فروى عن إمامها
سفيان بن عيينة . ثم رجع إلى بغداد ، وقد
خلت من أبي حنيفة إذ كان قد توفي ، وقام
صاحبه الأكبر ، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم
الخرزجي ، مقام أبي حنيفة بجمع أصحابه ، ويملئ
المسائل ، ويفرح الأحكام عن أصوله ويفتي
الناس بفقه المنقول ، أو الفقه المستنبط على
طريقته ، فأقبل محمد بن الحسن على أبي يوسف
يتم تخرجه بين يديه . ويسعى إلى مطارحته ،
ومباحثته ، بما يولد بينهما أنظاراً في وضع
الأحكام الفقهية . إذا اتفقت بينهما ، وكثيراً
ما لا تتفق ؛ فإنها قلباً تتفق في صورتها الفرعية
الجزئية مع ما رويها معا ، أو روى أبو يوسف
لمحمد عن أبي حنيفة . وبهذا العمل : تجلّت

(بقية المنشور على صفحة ٨١٧)

أوليس القارئ عاذري إذا أنا التمس
هذه القصيدة الرائية لأتروح بها ، وأنس
بعبثها الظريف ، وخيالها الشارد .
إن أبا العلاء لو قال هذه القصيدة ساخرًا
من الشريفين عابثاً بهما وبوالدهما ، مبتغياً
للإضحاك والعنز ، لكان ذلك أدخل وأشبه بما
تعطيه القصيدة من حقيقة الرثاء .

طاهر الصبر شاهي

الكريم ، ويخلع عليهم أكفانه ، والأكفان
تنزل من السماء عليه . ثم هو يبذل اللجنة بمجوده
ويبقى رضوان غلاماً بين يديه . وليتمثل معنى ،
الرماح تتوى ذات العيين وذات الشمال كأنها
الصلال ، حتى تصيب زجاجها لهازمها .
ثم ليحدثني عن لواعج الحزن وحرارة
الوجد وحقيقة اللوعة في هذه الصور الغريبة
التي لا أراها تخدم غرضاً إلا لإظهار
(التلاعب) العلائية .

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده
المذاهب الاشتراكية

هرفوا الإنسان: بأنه حيوان ناطق أو مفكر فيقول في تعريف الاشتراكية: إنها القواعد والنظم والقوانين التي يتمكن بها الأفراد من الاشتراك في موارد الدولة، وبذلك تدخل كل هذه المذاهب الاشتراكية - مع اختلافها - في هذا التعريف، كما يدخل كل الناس من مختلف الشعوب والأجناس في تعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق أو مفكر.

والواقع الذي لا سبيل إلى الشك فيه عند من يدينون بالإسلام أن هذا الدين القيم لو عرفه على حقيقته الباحثون عن الحرية والظالمون إلى تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية لوجدوا فيه ما يفهم عن كل هذه المذاهب، ويقوم ما اقرون بها وبالنظم الرأسمالية من مآثم ومظالم، فإنه - وهو تنزيل من حكيم عليم - قد سوى بين الناس في الحقوق والواجبات، وجعلهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم أسرة واحدة، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، وفرض لفقرائهم حقا

على كثرة ما قرأت من كتب وبحوث في الاشتراكية لم أظفر بتعريف واحد يحدد معناها، لأن مفهومها قد اتسع - لكشهر من المذاهب الاقتصادية المختلفة التي ترمي إلى تنظيم المجتمع، وتهدف إلى تحقيق ما يمكن تحقيقه من المساواة الاقتصادية والاجتماعية بين الأفراد الذين يعيشون فيه، وقد نبئت هذه المذاهب في بيئات مختلفة، وتأثرت بواعثها وأهدافها وبرامجها ومناهجها بظروف هذه البيئات، وبخاصة الأوضاع الاقتصادية الجائرة التي سادت القارة الأوروبية في أوائل القرن التاسع عشر، ومع ذلك أطلق على كل مذهب من هذه المذاهب اسم «الاشتراكية»، أو الكلمة التي ترجمت بهذا الاسم، ومن ثم كان من الصعب أن يخرج الباحث بتعريف جامع مانع لمعنى هذه الكلمة التي أصبح لها وزن سحري في نفوس الجماهير السكادحة، والقوى العاملة، اللهم إلا أن يلجأ إلى التعميم ويرتفع إلى ما ارتفع إليه علماء المطلق حين

سبحانه ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، والحكم والمحكوم فيهم كلاهما محكوم بما أنزل الله . مأمور بتأدية الأمانات إلى أهلها ، والحكم بما أنزل الله أساسه العدل كما يفهم من قوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ، فقد فسرت الأمانات بكل الحقوق والواجبات ، وفسر العدل بالمساواة والإنصاف . وتوخى القصد في الأمور ، والجزاء والفداء ، والمثل والنظير ، فالعدل في الحكم والعدل في القضاء والعدل في الجزاء والعدل في تقدير الأجور ، والعدل في تكافؤ الفرص . كل ذلك حق يجب أن يقبض ، وأمر يجب أن يطاع .

هذا إلى أن المؤمنين كما يقول الله فيهم : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » ، كما يقول فيهم : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، وهم كما وصفهم القرآن «رحماء بينهم» . فالإخلاص والولاء والرحمة والتعاون على البر والتقوى ، يحملهم كالبنين يشد بعضهم بعضا ، وكالجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالصهر والحوى ، ولا أعرف اشتراكية في العالم ترفع بالاجتماع إلى هذا المستوى الرفيع ، لأن الأساس الذي تقوم عليه الاشتراكية

معلوما في أموال أغنيائهم ، وليس في طبيعته وشريعة كتابه ما يسمح بقيام الأوضاع المنحرفة التي قامت في المجتمعات الأوروبية وغيرها ، ونشأ عنها الصراع الدموي الحاد بين الطبقات الظالمة ، والطبقات المظلومة ، أو الهيئات الحاكمة والشعوب المحكومة ، وإذا كان المجتمع الإسلامي قد وقع فيما وقعت فيه المجتمعات الأوروبية من ظروف ، ونشأ فيه ما نشأ فيها من إقطاع ظالم ، ورأسمالية طاغية ، وحكومات فاسدة وفروق طبقية . فإن ذلك كله مرده إلى بعده عن الإسلام ، وتأثره بالتبعية للدول الأوروبية ، ومن ثم كان القضاء على الاستعمار وظلم الإقطاع . وطغيان رأس المال . وفساد الحكم . والنظام الطائفي عملا إسلاميا من صميم الإسلام ، فإذا سمي هذا العمل وما إليه من الأعمال الإنشائية والمشروعات العامة التي قامت بها الثورة اشتراكية ديمقراطية تعاونية . فإن هذه القسمية لا تبعد بها عن إطار الإسلام ؛ لأن في الإسلام أمثل ما في الاشتراكية من تضامن وخير ما في الديمقراطية من شورى وأعظم ما في التعاون من بر ، فالمسلمون « تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم كما يقول الله فيهم « وأمرهم شورى بينهم » ، وعملهم يقوم على التعاون . كما يقول

منهم الله ورسوله ، وهذا الأساس هو - وحده - الذي تقوم عليه الحياة الطيبة للفرد والجماعة والأمة ، فليس المال ملكاً خالصاً للدولة حتى تهوّر على الأفراد فتأكل جموعهم . وتلغى وجودهم كما هو الشأن في الشيوعية ، وليس ملكاً خالصاً للأفراد حتى يحق لهم احتجانه واختزانه . واستغلاله بطرق آثمة ، ووسائل ظالمة كما هو الشأن في الرأسمالية ، إنما هو ملك لله ، يأخذ منه الإنسان بالوسائل التي شرعها الله كالعمل الصالح المشعر ، والإرث والهبة والوصية ، وتأخذ منه الدولة بمقدار ما يعينها على تأمين حدودها ، وتأكيده وجودها ، وتيسير أسباب الخير والحياة الطيبة لبنائها . فالملكية الفردية مشروعة في الإسلام على أساس أنها ملكية نسبية خالصة لا ملكية حقيقية تامة ، والضرر الخاص الذي قد يقع على بعض الأفراد يجب أن يتحمل في سبيل رفع الضرر العام كما هي القاعدة الشرعية .

وهكذا نرى الاشتراكية في إطار الإسلام خيراً لا يشوبه شر ، وهذا لا يعيبه ظلم لإنها كما يقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ، كما يقول جل شأنه : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ، وقد نظر إليها الرئيس جمال عبد الناصر هذه النظرة المؤممة السليمة

في المجتمع الإسلامي يختلف اختلافاً جذرياً - كما يقال - عن الأساس الذي تقوم عليه المذاهب الاشتراكية في غيره من المجتمعات كما قلت في بعض ما كتبت وأذعت .

إنما فيه تعبير عن شعور كل فرد فيه بحق أخيه ، وهبادة مالية لا يسكل إيمان المؤمن بدونها ولا يعلم لإسلامه غيرها .

إنما فيه ثمرة طيبة بشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتى أكلها كل حين بأذن ربها ، وفي غيره ثمرة مرة لئزاج مرير وصراع طال مداه بين العمال وأصحاب رأس المال . إنما فيه تقوم على الإيمان بالله خالق الجميع . ورازي الجميع ، وعلى أن المال لله فيجب أن يوجه لخير الجميع . ومصلحة الجميع وعلى أن المؤمنين إخوة فيجب أن يعودهم التضامن والتعاون وأن يشهد بعضهم أزر بعض ، لأن بعضهم أولياء بعض .

هذا هو الأساس الذي تقوم عليه الاشتراكية في المجتمع العربي الإسلامي ، بل في ضمير كل فرد في المجتمع العربي الإسلامي ، يؤكدته النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه » ، وقوله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وقوله : « ما آتى من باب شبعان وجاره إلى جانبه طاو » ، (أى جائع) ، وقوله « أى رجل مات ضيقاً بين أغنياء فقد برى » .

الحل الصحيح في بلادنا منذ ألف وثلاثمائة سنة . . منذ نزل القرآن على محمد بن عبد الله يدعو إلى الأخوة الإنسانية ، ويفصل مبادئ العدالة الاجتماعية على أساس من التواضع والتكافل الأخوي ، وإيثار على النفس في سبيل النفع العام للجماعة ، من غير طغيان على حرية الفرد . ولا إذلال له . وإنكار لذاتيته . إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، ذلك هو النظام .

فليكتشف المفكرون والفلاسفة بما بذل من جهد ، ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول آخر لمشكلة الفرد والمجتمع . إن عندنا الحل .

الحل الأول الذى نزل به الوحي على نبينا منذ ألف وثلاثمائة سنة هو الحل الأخير لمشكلة الإنسانية . .

حفظه الله وسدد على طريق الخير خطاه وأماننا وإياه على تحقيق ما نصبوا إليه من خير للعروبة والإسلام .

عبد الرحيم فودة

فقال في بعض ما كتب : (... وتعارض المذاهب وتصطرح العقول والقلوب وتنشأ الجماعات المختلفة ، تدعو كل جماعة منها إلى مذهب ، ويشغل الفلاسفة وأهل الفكر في كل أمة ليخترهوا (نظاماً) يفض المشكلة ويحل العقدة ، ثم نسمع عن الرأسمالية والاشتراكية ، والغازية والفاشية والشيوعية والفوضوية ، وعن نظم أخرى لا يكاد يبلغها الإحصاء ، وليس في واحد منها حل صحيح لمشكلة الفرد والمجتمع ، لأن مشكلة الفرد والمجتمع مشكلة إنسانية قبل أن تكون مشكلة مادية ، فلا سبيل إلى حلها إلا بتربية الشعور الإنساني في نفوس الجماهير ، وتوثيق أوامر الأخوة الإنسانية بين البشر .

ونقف نحن العرب المسلمين في هذا الجانب من العالم ، نشهد الصراع الذى يدور بين هذه المذاهب المادية المتبدعة ، ونرقب المعارك الفاشية بين الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب ، فتعجب أشد العجب من تلك المذاهب والمذاهبين في سبيلها من الحكومات ومن الشعوب على السواء لأن مشكلة الفرد والجماعة التى حيرت كل المفكرين والفلاسفة في أوروبا منذ قرنين أو منذ قرون قد وجدت



تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للاستاذ علي العمّار

— ٤ —

إن الدين عند الله الاسلام

بكتابتها ، وبأصول دينها ، فالمؤلف من يصدق عليهم أنهم يعملون على إثارة الخلاف ، وبث روح التفرة الحبيثة ؛ ذلك أنه قصر لآئمه على فريق من علماء المسلمين ، وادعى في أكثر من موضع من كتابه أنهم يعملون على تمزيق الروابط ، وهذه عبارة من عباراته بنصها ، وفصها : (وإن الذي يملأ النفس أسى أن هذه الآية الكريمة - يريد قوله تعالى : ولا تؤمنوا إلا بما تبع دينكم ، ما تزال تجري بهذا الفهم الخاطي على ألسنة كثير من مشايخ المسلمين ، وعامتهم ، وهذا - ولا ريب - له أثر بالغ في تمزيق الروابط بين المسلمين ، وبين إخوانهم الأقباط ، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم باسم الدين) . ففهم آية على غير وجهها - كما يزعم - ذو أثر بالغ في تمزيق الروابط والذين فهموا هذا الفهم الخاطي إنما هم (كثير) - هكذا - من مشايخ المسلمين ، وعامتهم ، ثم يستمر يسخر من بعض العلماء ، ويرميهم بالجهل .

ومؤلف كتاب (دين الله واحد) يزعم أنه نشر رسالته الموجزة ليكون لها ما يتمناه من أثر في العقول والقلوب والنفوس حتى يسود بين الناس السلام ، ويعم الوفاق والوئام ... وعنده أن كل من يعمل على إثارة الخلاف في البلاد ، وبث روح التفرة الحبيثة بين الناس لا يكون مخلصاً في إيمانه الديني ، ولا صادقاً في ولائه الوطني .

ونحن معه فيما يقول ، ولكن ما الوسيلة إلى هذا الهدف الخييل ؟ ...

كان على المؤلف أن ينحى باللائمة على كل من يعمل على التفرة ، سواء كان مسلماً ، أو يهودياً ، أو نصرانياً ، وأن ينبه كل فريق على الأخطاء التي يرتكبها في حق الدين والوطن كما كان عليه أن يلتزم جانب الحق والصدق ، فلا يذهب بفسر نصوص دين من الأديان على ما يسوله له هواه ؛ فإن ذلك يؤدي إلى عكس مقصوده .

فليس مما يؤلف القلوب أن يهبت عابث

حقيرتها بأن فهم بعض المشايخ لآية في كتابهم - وهو فهم سليم - ذو أثر بالغ في التفرقة ١٤
 لمب المؤلف (الشيخ) الذي يبكي لأن
 أحد المشايخ قال : إن رحمة الله لا تنال القبطي ،
 لم يذرف دمعة واحدة على ما امتلأت به كتب
 المبشرين ، والمتعصبين من المسيحيين من
 الطعن على الإسلام ، وعلى نبي الإسلام ،
 وعلى السابقين الأولين من الأنصار
 والمهاجرين الذين نشروا هذا الدين ،
 وآزروا نبيه ونصروه .

ولذلك يحق لنا أن نقول صادقين : إن صنيع
 هذا المؤلف معول هدام في بناء الالفه بين
 المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى .
 والمؤلف يتلصص كل بارقة - ولو كان برقا
 خلبا - ليؤيد بها دهواه ، وهو لا يفي بعمل
 النصوص فوق ما تحتمل ، أو يؤمن ببعضها
 ويكفر ببعض .

وليس هذا الصنيع - فقط - فيما يتعلق بآي
 القرآن الكريم ، بل هو يفعل ذلك بأراء
 الذين ينقل عنهم ، فيأخذ منها ما يظن أنه
 يؤيد دعواه ، ويتجاهل ما ينقض عليه هذه
 الدعوى ، وبذلك يسمى لإيهام ، لأنه لو نقل
 آراءهم كاملة لرفع سوء ظن القارئ بهم .

فقد حاول المؤلف محاولة بائسة أن يهتف
 على قوله تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام)
 فن أول الطريق أراد أن يبعد عن الأذهان

فهل صحيح أن أحد العلماء استنكر أن يكون
 النصراني أهل كتاب ؟ حتى أرشده المؤلف
 إلى موضع ذلك من كتاب الله ١ .
 أما كان واجب الحق ، والإنصاف يقتضي
 المؤلف ألا يلقى المتبعة كلها على مشايخ المسلمين
 وعامتهم ؟ ...

وأن يقول ولو كلمة عتاب رقيقة لأولئك
 الذين يعملون جاهدين على هدم الإسلام من
 المبشرين ، والمستعمرين وأذنابهم من إخوانه
 (الأقباط) وأن يوجه - إن كان صادق النية -
 ولو كلمة رجاء إلى رؤساء الحكومات المسيحية
 الذين يضطهدون المسلمين الخاضعين لهم ؟ ...
 إن أحدا لا ينكر حتى من أشد المتعصبين
 على الإسلام والمسلمين أن الأقباط في البلاد
 الإسلامية يلقون من التكريم ، ومن المعاملة
 المنصفة العادلة ما لا يظفر بشيء منه المسلمون
 المقيمون في دول مسيحية ، متعصبة لمسيحياتها
 وأن الوعاظ الذين يدعون إلى الإسلام في
 البلاد التي يذهبون إليها لا يسمحون لأنفسهم
 ولا يمح لهم دينهم أن يلبأوا - في دعوتهم -
 إلى أية وسيلة من الوسائل الدينية التي يتذرع
 بها المبشرون ، ويعتمدون عليها .

فهل من العدل والعقل أن تصدر دعوة
 للاتحاد ، والاتلاف بين أهل الأديان ،
 ولا تشير بكلمة واحدة لكل هذه المعاول التي
 لا تنفأ تهدم في بناء الإنسانية ، في حين ترفع

اليهودية - الآن - دين حق ، وأن المسيحية - الآن - دين حق ، وأن دين محمد دين حق ، وهي كلها إسلام ، وهي كلها الدين عند الله ، وليس الأمر - كما يفهم المسلمون - أن الدين الحق ، هو الإيمان بالله ، وبالقرآن وبمحمد وهو الإسلام .

فأولاً : هل يمكن في نظر عاقل أن يكون الإنسان مقراً بوحداية الله ، مسلم الوجه له وهو لا يؤمن بكتاب من كتبه - وهو القرآن - وبرسول من رسله - وهو محمد - وإذا كان ذلك غير ممكن ، لأن معنى الإيمان بالله الإيمان بكل ما جاء من عنده . فكيف تكون اليهودية (الدين عند الله) هكذا بطريق الحصر ، وهي لا تؤمن لا بالقرآن ، ولا بمحمد ؟ وهذا يقال في كل دين يخالف دين الإسلام .

إن النتيجة الحتمية للإيمان بالله إيمانا صحيحا ، هي الإقرار بأن الدين الذي جاء به محمد دين حق ، وإذا أقر إنسان بذلك وجب عليه أن يلتزم التكليف التي جاء بها هذا الدين وهذا هو ما يطلبه الإسلام من أهل الكتاب ومن غيرهم ، وإذن فمن تمسك باليهودية أو بالنصرانية ، ولم يؤمن بشرعية محمد ليس مسلما ، وليس ناجيا ، ولو أخلص العمل ، ولو آمن بالله ، واليوم الآخر ، وليس من أتباع (الدين عند الله) .

أن المراد بالإسلام هو : هذا الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فكاتب تحت هذه الآية ، وبين قوسين : أي إسلام الوجه ثم أخذ في شرح كلمة إسلام ، ناقلا ، فيقول : والإسلام مصدر أسلم ، وهو يأتي بمعنى خضع ، واستسلم ، وبمعنى أدى ، يقال : أسلمت الشيء إلى فلان إذا أدبته إليه ، وبمعنى دخل في السلم بمعنى الصلح والسلامة ، وبالتحريك : الخالص من الشيء ، ومنه قوله تعالى : (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ، ورجلا سليما لرجل) .

(وأسميته دين الحق إسلاما يناسب كل معنى من معاني الكلمة في اللغة ، قال تعالى : ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) . ثم يحمي بهذه العبارات ، ويضع تحتها خطوطا ، لينبه على أنها موضع الإقناع وقد علم بذلك أن الحصر في قوله : (إن الدين عند الله الإسلام) يتناول جميع الملل ، التي جاء بها الأنبياء ، لأنه روحها السكلي ، الذي اتفقت فيه على اختلاف بعض التكليف ، وصور الأعمال فيها ، وقد أخبر القرآن في غير موضع أن الأنبياء كلهم كان دينهم الإسلام .

ويعنى يستشهد بأي القرآن على هذا المعنى فيذكر إسلام نوح ، وإسلام إبراهيم ، ثم إسلام من في السموات ومن في الأرض . وخلاصة كل هذا - عند المؤلف - أن

أن جبريل عليه السلام سأل النبي عن الإسلام ، فأجابه : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فصدقته جبريل .

فإذا كان مشهوراً عند نزول القرآن أن (الإسلام) هو الإيمان بالله ، وبمحمد ، وبالقرآن ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وإذا كان القرآن خاتمة الكتب السماوية ، وهو يخاطب الناس جميعاً ، إذا كان كذلك كان بديهاً أن يراد بالإسلام في الآيتين : « إن الدين عند الله الإسلام » .

« ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » ، هذا الدين الجديد ، الدين الخالد ، الدين الذي كتابه القرآن ، ورسوله محمد ، والمهدى إليه الناس كافة .

وخامساً : من العجيب أن هذه السورة التي وردت فيها الآيتان السابقتان - وهي سورة آل عمران - أطالها الحديث عن أهل الكتاب ، وخاطبتهم ، ووبختهم على جحودهم بنبوة محمد ، وإنه لا يمكن قليل من الإنصاف ، ومن احترام العقول ليوثمن من يقرأ هذه الآيات : أن أهل الكتاب مطالبون بالإيمان بمحمد ، وأن دينهم الذي هم عليه ليس شيئاً ما لم يتبعوا هذا النبي ؟ (يتبع)

على العمري

وثانياً : المؤلف نقل كل ما أورده هنا - عن تفسير المنار للسيد رشيد رضا ، فيا ليت شعري هل أوقف المؤلف - وهو يطالع هذا التفسير عند هذه الكلمات أو استمر في القراءة ، فوجد في آخر تفسير هذه الآية قول صاحب المنار : (ولذلك كان إسلامهم - يريد أهل الكتاب - لا بد أن يستتبع اتباعك فيما جئت به ، لأن من كان كذلك فهو غير القلب متوجه - دائماً - إلى طلب الحق فهو أقرب الناس إلى قبوله ، متى جاءه وظهر له) .

وثالثاً : لقد أغفل المؤلف في هذا الموضع قوله تعالى : (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) - مع أنه تتبع كلمة إسلام في القرآن - فهل صنع ذلك لأنه يعرف ؟ إن كان يعرف أن صياق الآيات في هذا الموضع ترجع تفسير الإسلام بشريعة محمد فهو يوجب من كل ما يشير من قريب أو بعيد إلى ما ينقض عليه دعواه ، وإلى ما يفيد أن أهل الكتاب ملزمون بالإيمان بمحمد وبالقرآن .

ورابعاً : أي مانع يمنع من تفسير الإسلام في الآية الأولى بدين محمد عليه الصلاة والسلام والرسول قد بين في حديث صحيح مشهور أن (الإسلام) بفتح على خمس ، منها شهادة أن محمداً رسول الله ، وفي حديث ابن عمر الذي رواه عن أبيه عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما ،

القوم الصوفية بقلم: م.م.م. ماكين

ترجمة الأستاذ فتحى عثمان

- ٢ -

تمخضت بدورها في تطورها المحتوم عن مظاهر معينة محدودة للعبادة ، وفلسفة الحياة . ولم تكن هذه في ذاتها معارضة لتعاليم القرآن وإنما كانت نوعاً من المبالغة في بعض العناصر المفردة للتعاليم ، والأخلاق الدينية . ومن ذلك الذكر والتوكل ، وأولها يرتبط بشعائر العبادة ، والثاني بالأخلاق ، وقد ظلت الأوراد الصوفية تكون العمود الفقري للبروت من الفسك القديم .

وبدا أبوذر وحذيفة المثلثين الرئيسيين لهذا التفكير بين صحابة الرسول . ويعتقد الصوفية في نقولهم أن حذيفة الباني هو (صاحب السر) ، وقد التمس رأيه في بعض أسرار الروح ، كما جرى صحابة الرسول على سؤاله بشأن فتنة العامة والخاصة .

واتسعت الآفاق الطبيعية للإسلام حتى صارت تتضمن في نهاية العصر الأموي كل جزيرة العرب من ناحية ، وكل الشام والعراق ومصر إلى حدود أسبانيا من ناحية أخرى وتوغلت عبر آسيا الوسطى إلى نهر الأندلس Indus ، بما قدم أعداداً من أتباع الدين الجدد

وبوفاة النبي بدأ تطوّر الفكر الديني الإسلامي يكتب طابعاً جديداً ، فلم يعد هناك بعد «شيخ الأمة» الذي يحكم حكماً مطلقاً وبحق الدين ، والذي يعتبر الإمام الروحي الوحيد المنظم للجماعة كلها . وإنما اضطلعت الشريعة الإسلامية بهذه المهمة نفسها في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وظلت دعامة لتأمين الثقافة الإسلامية . وتمثل الفترة بين وفاة الرسول ، ونهاية العصر

الأموي سنة ٧٥٥م المرحلة الثانية لنمو الحركة الصوفية في عهد الخلفاء الراشدين ٦٣٢: ٦٦١م استمر النمو مع اختلاط بالسلفية Orthodoxy ولكن كما يقول نيكلسون «كان محتوماً أن تؤدي القيم التي تفوق المألوف Extra ordinary والتي تضمنتها مواضع من تعاليم محمد وتجاربه إلى إغفال لأمور أخرى يعدها المسلمون الصالحون ضرورية بنفس الدرجة» .

وكان صحابة محمد في حماسهم لحفظ تراث الرسول قد هملوا على تأكيد الاهتمام بصور متفاوتة — على النظم الدينية للإسلام التي

وجاءت المرحلة التالية المتميزة في نمو الصوفية في الفترة التي أعقبت تولى العباسيين للخلافة ، وفيها صارت الحركة أكثر روحياً بذاتها شيئاً فشيئاً ، واتخذت نتيجة لذلك طابعاً متميزاً تحمف تأثير عوامل التمدد الداخلي للمجتمع الإسلامي ونتيجة لرد الفعل الطبيعي والضروري للظروف السائدة . وقد نتجت للحركة في مجرى نموها ثروة من المادة التي اكتسفتها الاختلاط والتداخل في الغالب ، والتي تقلت من القياس والتصنيف . ولكن يمكن على أية حال تمييز ثلاثة اتجاهات لهذا النمو : أولها تطور مذهب الصوفية بأن أخذ في التحول من مبادئ أخلاقية بسيطة كي يتضمن مفاهيم عن الحياة الباطنية *mysiical* والاتصال بالله *theosophical* مع ميل قوية إلى وحدة لوجود *peintheistic tendencies* وثاني هذه الاتجاهات هو اتجاه طبقات الصوفية إلى الاتحاد والقراط إذ تعرضوا لمعارضة في دوائر علماء الكلام فاكتمسبوا شعور الجماعة . وثالث الملامح الرئيسية هو نقلة الاهتمام من الصوفية إلى (القوم) ، وتمخض هذا عن أداة شعبية للحركة تعرف بالطريقة ، وبها اكتسبت الصوفية تميزاً عملياً دقيقاً في نسق المجتمع الإسلامي وقائمة محتوياته .

كان لهم طابع آخر ، وطاقت فكرية مختلفة . وغدت مدن المعسكرات العربية في الأقاليم المفتوحة حديثاً مراكز للدعوة الديفية ، وقد ظلت هذه المدن حصونا للحضارة الإسلامية بما يفيض عليها من ثروة مادية وبشرية ، وتمثل الأخيرة في الداخلين في الدين أفواجا .

ومنذ أواخر عصر الخلفاء الراشدين ، كان أكثر ممثلي نزعة النسك الإسلامية يعرفون بأسماء متنوعة : فهم زهاد أو نساك أو قراء أو قصاص أو رهبان أو بكاءون ، وقد كانوا في أول الأمر متناثرين منمزلين ، ثم أخذوا يتركزون بالتدريج في مدن العالم الإسلامي الجديدة وفي مقدمتها البصرة والكوفة ، وهما مركزان اشتهرا بفتايطهما العلمي والثقافي البالغ في القرن الثامن الهجري . ويشير جولد زيهر إلى طائفة من الناس تجردوا في بداية العصر الأموي للعبادة وسموا بالعباد . وأقدم رائد هذه الصوفية لهم هو الزاهد المنهول الحسن البصري (المتوفى سنة ٧٢٨ م) الذي يشير إليه المسكي^(١) باعتباره أول من عبر عن هذا الفرع من المعرفة ، وقد قدم تعاليمه الصوفية إلى أهل عصره خلال عظاته التي ألقاها في البصرة .

ويرى نيكلسون أن عهد الاتصال بالله
theosophical era في الصوفية يستل
بمعروف السكرخي (المتوفى سنة ٨١٥ م).
وهو يلاحظ أننا نميز في أقوال (معروف)
لأول وهلة آثاراً باقية للعيان لتلك الأفكار
التي ظلت حتى يومنا هذا عنصراً أساسياً
وميزاً للصوفية.

هذه الصوفية الفلسفية الداعية إلى
الاتصال بالله Theosophical Sufism، والتي
يمثلها معروف السكرخي وأبو سليمان الداراني
(المتوفى سنة ٨٣٠ م) وذو النون المصري
(المتوفى سنة ٨٦١ م) قامت وبلغت شأواً
بعيداً من التقدم في نصف القرن الذي يشمل
في شيء من المرونة عهد المأمون والمعتصم
والوائق والمتوكل بين عامي ١٩٨ : ٨٤٧ م /
٨١٣ إلى ٨٦١ م. وجدت النظرية الصوفية

ويبقى القرن التالي لحجم البيت العباسي
ظلالاً على التغيير المنتظر حدوثه في تطور
الحركة. فلم يتخذ طابعها العام بعد شكلاً
محدداً. فهي بالنسبة لقسم كبير من المهتمين
إليها لا تزال تعني التجرد المخلص للواجبات
الدينية، فإذا ما تلدنا مفهومها أوضح وجدنا
أن ملامح الفكر الصوفي البارزة ظلت باقية
على حالها في طابعه الزهدي والتأملي
ascetic, quietistic حتى نهاية القرن الثاني
الهجري / الثامن الميلادي، وكان هذا الفكر
يجد تعبيراً إقليمياً في المراكز المختلفة للعالم
الإسلامي مثل البصرة والكوفة وخراسان
ومرو. وعلى أية حال فقد أخذ يطرأ تغيير
تدريجى على الطابع العام للمذهب الصوفي
منذ القرن الثالث الهجري / الثامن الميلادي
فصاعداً. وأخذ الاتفاق الصوفي يتسع من
نزعات زهدية تأملية، إلى مذهب من الحياة الباطنية،

mystical والاتصال بالله theosophical
نتيجة لتزايد النشاط الفكري وطاقة
الإبداع مما يميز القرن الأول من الحكم
العباسي (١).

== الأستاذ أدري سنة ١٩٠١ أنه يبدو أن نيكلسون
قد غير رأيه بصدده هذه النظرية في أخريات حياته
وارتأى أن للمذهب الصوفي يرجع في أصوله إلى
القرآن أكثر من أية عوامل خارجية. ويخالف
لينجز Lings هؤلاء الذين يكتبون أن «الصوفية
تتألف من زهد مثالي تبرزه - الأعمار والرسائل
الصوفية والانداعات للتضاربة، في حين أنه ما من
شيء من هذا يوجد في الجيلين الأولين للإسلام،
وما من شيء من هذا يمكن أن يعتبر من الملاح
الأساسية للصوفية».

(١) يعزى أصل المذهب الصوفي إلى مصادر
وافدة مختلفة : مثل الفيدا والأفلاطونية الحديثة
وفارس. ويرى نيكلسون أن هذه الظاهرة لا تقبل
تفسيراً مفرداً، وإذ كانت تبدو نتاجاً لاندماج
الفكر الإغريقي بالفلسفة العرفية. وقد تقل إلى ==

النظرية الصوفية التي قد يبدو أنها تطرح جانباً مثل هذه السلطة الثابتة ، ورمى الذين عجزوا عن مسايرة العلم السلقي التقليدي حتى أضيق حدوده وتفصيله بالوصف الحاضر المعد - الزندقة ١١

ويستحق تاريخ الحركة المعارضة للصوفية بحثاً مستقلاً . ويمكن أن نقول : إن قطرف العلماء الحرفيين في التكسير على أصحاب النظريات الصوفية قد استثار تطرفاً مماثلاً في هياج هؤلاء الآخرين ، وإن كان النزاع قد جرى إلى حد كبير على المستوى النظري .

وإن الاعتراف الرسمي بمذهب المعتزلة في عهد المأمون ، الذي انتهى بتولى المتوكل الخلافة سنة ٨٤٧ م ، على الزيادة من وحدة الخلاف بين المنهج الحدسي ، intuitive والمنهج العقلي rationalist في البحث الديني . وجاء ظهور صورة من السلفية المتطرفة في عهد المتوكل مؤدياً إلى تفاقم الاتساع في شقة الخلاف بين الصوفية ومعارضهم . وشن الخليفة المتوكل الذي اتخذ وضع حامى عقائد الجماعة ومحلات الاضطهاد التي شملت على قدم المساواة اليهود والنصارى والمعتزلة والشيعة والصوفية ، أو بعبارة موجزة كل من انحرف عن نطاق السلفية السنية في أضيق حدودها ، وترتب على ذلك أن خرج قادة الصوفية على

أكثر روعة بمجهود أبي يزيد البسطامي (المتوفى سنة ٨٧٥ م) والجنيدي البغدادي (المتوفى سنة ٩١٠ م) والمنصور الحلاج (المتوفى سنة ٩٣٢ م) والحاكم الترمذى (المتوفى سنة ٨٩٣ م) وكل منهم أبرز خصائص متميزة للذهب .

وفي خلال هذه الفترة نفسها بدأ الصوفية يرون دلائل المعارضة لنزعهم من علماء الكلام . وقد تطورت هذه المعارضة ضد حركة الصوفية بالتدريج . إن صوفية النساك والانتقاء في فترة النشوء لم تكن تهدد ما يقرره علماء الدين القدامى من أفكار intellectual system بل على العكس أعانت تلك الصوفية على استكمال المفهوم القرآني للتوحيد ، وكان الفارق بين الفريقين فارقاً في توزيع الاهتمام بين مسألة أو أخرى أكثر من أن يكون فارقاً في مضمون كل من النزعتين ، ولكن الاتساع التدريجي للحركة بما اقترن به من نمو مذهب في طيات الكتمان بدأ في أعين علماء الكلام ذوى النفوذ طغيانياً غير مرغوب فيه على مجال الفكر الديني الإسلامي يستحق الاقتلاع ، وكان نفوذ القادة القدامى يستند إلى أنهم الحراس الساهرون على الجماعة المختلفة حول الشريعة والملتزمة بها ، وهؤلاء لم يكونوا مستعدين لمجابهة

الداخلي للحركة اتجاهاها لتصير ظاهرة تاريخية واعية بذاتها . وكان الهدف في ذلك الوقت أحوج ما يكون إلى الثبات والاستقرار إذا ما أريد له البقاء . وربما كانت حملة التقييد التي بلغت ذروتها في لإعدام الحلاج قد وضعت هذا الدرس أمام أنظار قادة الصوفية . إن هناك حاجة عاجلة إذن - كما يقول آريوي - لرد اعتبار الحركة إذا أريد لها البقاء في تلك الفترة التي كانت أقل تمهرا عن ذي قبل ، وأريد لها الاستمرار في أن تكون قوة لها أثرها في الجماعة . ولدت الحاجة الرجال ، وأنتج الرجال كتباً صالحة للغرض بدرجة فائقة . . وكان من نتائج ذلك أن شهد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي قيام أفراد من المفكرين الخلاقين ، وظهور طراز رفيع من أصحاب النظريات للصوفية ، وهؤلاء أنتجوا مؤلفات منهجية محكمة لدراصة الصوفية في شتى مجالاتها : النظرية والتجربة والتاريخ ، وهكذا حدد هؤلاء معالم الحركة ، وأكدوا ثراءها فيما خلفوه من تراثها . ومن أشهر مؤلفات هذه الفترة في المذهب الصوفي الجمع للسراج (المتوفى سنة ٩٦٨ م) وقوت القلوب لأبي طالب المسكي (المتوفى سنة ٩٩٦ م) ، والتعرف للكلابندي (المتوفى سنة ١٠٠٠ م) وكل هذه المؤلفات قد وصلت إلينا . أما ما كتبه في التراجم أبو سعيد بن العربي

الالتزام بعقائد الجماعة السائدة وواجهوا الفقهاء بما لديهم من أعداد تزايد باستمرار في صراع مكشوف ، بعد أن فشلت معارضة الآخرين في إسكات الصوفية رغم تعرضهم لمحاكمة كبرى بلغت الذروة بإعدام المنصور الحلاج سنة ٩٢٢ م . وارتبط نمو مقاومة الفقهاء من ذلك الوقت فصاعداً من قرب بتاريخ الحركة الصوفية ، وكان لاصطدام هذه المقاومة بتلك الحركة خلال أدوار نموها التالية دوى تردد صداه في مناقشات الأدب الصوفي إذ ظل أحد مواضع البحث الدائمة منذ ذلك الوقت فصاعداً .

* * *

وكانت أصل النظرية الصوفية Sufi rheory والتجربة الصوفية practice قد وضعت من قبل خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وغدت الحركة قرب نهاية القرن نفسه متينة البنيان بما اجتمع لها من أصول traditions تعزز جاذبيتها . وعند القرن الرابع الهجري / التاسع الميلادي تقدمت الصوفية نحو شق اتجاهات جديدة ، متحولة وعن الركون إلى حمى الإسلام في اندفاع صوب وحدة الوجود ، واسقاط التكاليف الشرعية entinomianism ، وهي نزعة هزتها التأثير المتزايد للأفكار الفلسفية الإغريقية وبخاصة نظرية (الصدور) ، وبقابل هذا التوسع

وحياتهم العامة وأحوال قلوبهم واهتمامهم
 ووجودهم ومقاماتهم من البداية إلى النهاية حتى
 يتقوى بذلك المرید . ومن مفهوم التعبير
 عن الحركة الصوفية بالجماعة أيضا ما يتضمنه
 ذلك من الدعوة إلى الإعراف بعلم الصوفية
 فرعا أصيلا من المعرفة الإسلامية . وقد أورد
 السراج في جراحة هذا المطلب في تقسيمه
 للمعرفة ثلاثة أقسام : الحديث والفقه
 والتصوف ، وكلها معا تؤلف علوم الدين وهو
 يحصى قائلا أن كل جماعة من المشتغلين بأحد
 هذه الأقسام الثلاثة لها مؤلفاتها ومصنفاتها
 وأقوالها ، ولكل فرع أقطابه من العلماء
 الذين يدين لهم عامة أهل العصر من طلاب
 المزيد من المعرفة وهو يذهب إلى أبعد من
 ذلك في الانفراد بتأكيده أن علم الصوفية هو
 من الخصائص التي لا يرجع فيها إلى غير العارفين
 بالصوفية . ويتردد صدى هذه الدعوى لدى
 كاتب متأخر هو الشعراني (المتوفى سنة
 ١٥٦٥ م) عندما قرر نظرية استقلال علم
 الصوفية كفرع على في نطاق الشريعة ، بنفس
 الدرجة التي يستقل بها المعاني والبيان مع
 دخولهما في نطاق علوم اللغة .

(يتبع)

فتحي عثمان

(المتوفى سنة ٩٥٢ م) وأبو محمد الخلدی
 (المتوفى سنة ٩٥٩ م) فلم يكتب له البقاء ،
 بينما تعد طبقات الصوفية للسلاوی (المتوفى
 سنة ١٠٢١ م) وحلبة الأولياء للأصفهانی
 (المتوفى سنة ١٠٣٨ م) من الجهود البارزة
 في مجال التاريخ للصوفية .

وأخذ اهتمام قادة الصوفية بتأكيده طابع
 الحركة المستقل المتميز يتجلى للعيان بصورة
 متزايدة في مؤلفات الفقرة التي شهدت الصوفية
 كجماعة : (الطائفة الصوفية) *a constituent*
of Muslim society من أن
 كيانا ككيان الصوفية لم يؤصل وجوده
 عضويا في ركائز المجتمع الإسلامي ، إلا أن قيام
 التفرقة النظرية تعكس في الحقيقة : إلى أي
 مدى صاوت الحركة عرضا للأفكار في وهي
 بالذات .

ويمكن أن يمثل هذا في رائد من أصحاب
 النظريات الصوفية هو القشيري (المتوفى
 سنة ١٠٧٤ م) الذي خاطب الصوفية في
 رسالته المشهورة ، فكتب أن الرسالة ، قد
 كتبها فقير في أعين الله هو عبد الكريم
 ابن هوزان القشيري إلى الجماعة الصوفية في
 ديار الإسلام سنة ٤٣٧ هـ وفيها تناول حياة
 شيوخ الطريقة وطرائقهم وخصائصهم

مَحْمَدٌ رَسُوْلُ اللهِ

لِلأُسْتَاذِ مُصْطَفَى عَبْدِ الْوَاحِدِ

وهذه الحقائق التاريخية الصادقة عن النبيين من لجر التاريخ ، وهذه الجوانب الحكيمه الناضجة من الأحكام والشرائع ، وهذه البراج من العبادات والتكاليف . . ؟

إياها غاية لم يرتق إليها قبله أحد من قومه ، وليس لها تعليل من البيئة أو التاريخ ، فقد كانت البيئة راضية قانعة بأوضاعها ، مطمئنة إلى عقيدتها ، إلا القليل من أفراد يهدون ويعرفون ، ولم يتقدم لهذه البيئة في تاريخها أن طمحت إلى زعامة في أمر العقيدة أو طالجت فكرة الدعوة منذ إسماعيل ابن إبراهيم عليه السلام .

وقد كان في العالم في ذلك الحين شعوب متحضرة ، وأمم تمسك بلواء الثقة وفي أيديهم كتب سماوية ، وغير سماوية ، وأولئك كانوا أجدر بالبحث والتفكير في مخرج من أزمة العقيدة وأزمة الخلق والحياة في ذلك العالم .

ومحمد نفسه ، ماذا كان يعنيه من أمر قومه فضلا عن أمر العالم لقد كان يملك وهو الذي نأى عن خزي الجاهلية ، أن يظل في تأملاته ويرتفع في خلوته عن كل ما يمانيه الناس ، لم يكن من الزعماء ولا الرؤساء ، ولم يكن

يمجب المراء من موقف طائفة من المستشرقين يهرم نور الإسلام ، وتسعى أبصارهم الجوانب الإصلاحية المتكاملة في رسالة محمد ، ولكنهم لا ينفكون من أسر العصبية ، ولا يبرأون من ضغائن التاريخ فيؤدى بهم ذلك إلى كثير من التخطي ، وأنواع من المغالطات ، حين يكتبون عن ذلك الرسول العظيم ، ويقفون أمام دعوته ، فيحتالون على التاريخ ويفترون ، ويفترضون ويقدررون ، كل ذلك ليستطيعوا التوفيق بين إعجابهم بمحمد ، مصلحاً وزعيماً ومعلماً ، وبين كفرهم برسائله وإصرارهم على أنه لم يتصل بالسما ، ولم يتلق أمانة الوحي ، ولم يحمل المشعل الذي حمله النبيون من قبله .

* * *

وتجد لهؤلاء المستشرقين مسالك مختلفة في شأن محمد ، وتعليل رسالته .

كيف أمكن ذلك العربي في تلك الفترة المظلمة من تاريخ العالم ، وتاريخ أمته أيضا أن يخرج إلى الناس بتلك الدعوة .

من أين له تلك العقيدة عن الله وعن الآخرة وتلك الفكرة المتكاملة عن الإنسان والحياة

ولكنها شهرة الغرابة والندرة التي تجعل مسالكهم طريقة وعجيبة .

وعلى هذا المثال كان الحنفاء من العرب .

لقد رفضوا عقيدة الجاهلية ، وكرهوا مشاركة قومهم حياتهم الآثمة الظلمة ،

ولكنهم لم يزدوا على ذلك ، فلم يقدموا عقيدة واضحة ولم يدعوا إليها ، ولم يهتدوا

إلى حل للظالم الاجتماعية التي تعج بها الحياة من حولهم ، وحسبهم ذلك رشداً وهدى .

على حد قول ورقة بين نوفل ، يرفى زيد ابن عمرو بن نفيل عند ما صرح عند إيا به

من الشام وهو يبحث عن الدين الحق : رشدت ، وأنعمت ابن عمرو ، وإنما

تجنبت تنوراً من النار حامياً بدينك رباً ليس رب كمثل

وتركك أصنام الطواغيت كما هي

وكان من هؤلاء الحنفاء . من بحث عن مخرج من أزمة العقيدة ، وأدى به الأمر إلى

اعتناق دين من الأديان السائدة ، فتنصر ، مثل : ورقة بن نوفل ، وعبد الله بن جحش

وهشام بن الحويرث ، وأولئك لم يقدموا لقومهم شيئاً ، وكفاهم أنهم ارتاحوا إلى

رأى في مجال العقيدة ، وإن كانت مشاعر القلق لم تختف من نفوسهم ، وما زال بهم

تقرب إلى ضياء يضر بجاهل الحياة والفكر . فهم لم يزدوا شيئاً في تجارب العرب الدينية ،

متلقياً عن مدرسة ، ولا وارثاً لتعاليم ولا متأثراً ببيئة تدوس وتفكر ، وتعالج أمر الدين .

وإذن كيف استفاد محمد من هذه الدعوة ؟ ومن أين له عناصر تلك الرسالة ؟

تراث الحنفاء :

فن هؤلاء من يرى أن محمداً تأثر بالحنفاء من العرب قبله ، وأنه واحد منهم ، نأى عن الوثنية مثاهم ، وفكر في أوضاع قومه

المضطربة ، وأطال في ذلك التفكير ، واعتزل قومه وخلا بنفسه ، حتى اهتدى إلى طريق

يصلح قومه . ويجمع أمرهم ، وهو الإسلام . ونقف أمام هذا التعليل ؛ لئلا نرى مدى

الإنصاف في موقف هؤلاء ، وجانب الحق الذي وقفوا عنده .

أى أثر تركه الحنفاء في قومهم ، وأى تراث لهم يمكن أن يكون قد استفاد منه محمد .

في كل مجتمع ، وفي كل جيل ، يعيش أفراد يتميزون كثيراً من أوضاع الحياة من حولهم ، ويرفضون كثيراً من المبادئ والقيم التي

يتواضع عليها مجتمعهم ، ولكنهم يقنعون بذلك ، ولا يبلغون أن يغيروا شيئاً في حياة

الناس ، ولا يحملون أحداً على مشاركتهم الطريق الذي اختاروه لأنفسهم ، إن شذوذهم

عن الناس يحطهم أفاضاً مشهورين ،

ابن عمرو بن نفيل فأراد الخروج لحبس .
ثم إنه خرج بعد ذلك ، فضرب في الأرض
حتى بلغ الرقة من أوض الجزيرة ، فلقى بها
راهبا عالما ، فأخبره بالذي يطلب ، فقال له
الراهب : إنك لتطلب ديننا ما تجد من يحملك
عليه ، ولكن قد أظلك زمان نبى ، يخرج
من بلدك يبحث بدين الخنيفية .

وأما عبد الله بن جحش ، فأقام بمكة حتى
بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فاتبه .
فإذا استفاد محمد من أولئك الخفاء .
وأى صلة بين دهرته ، وبين آرائهم ؟
حقا : لقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
زيد بن عمرو بن نفيل ، وأعجب به .

ولكن الذى يبحث التأثر والتأثير بين
الرجلين عليه أن يسأل أولا :
أى شيء كان يملكه زيد بن عمرو بن نفيل
لينقله عنه محمد ؟ .

عقيدة التوحيد ورفض الأصنام ؟ .
لكنها في حد ذاتها ملة إبراهيم ، وعليها
كان العرب قبل أن يدخل عليهم عمرو بن
لحم عبادة الأصنام .

وهو إن كان قد اهتدى بفطرته ورجاحة
عقله إلى معرفة الوحدانية إلا أن العقيدة
ليست ذلك لحسب ، فكيف نعرف ذلك الإله
وكيف نعبده ؟ وأين جواب تلك العقيدة

ولا تقدموا بهم خطوة في طريق الهداية .
لقد كان لهم مجال محدود ترد فيه أفكارهم
وتسرى تطلعاتهم ، نقرأ ذلك في أخبارهم التي
أوردتها كتب السيرة ، ونرى فيها مجال
بحثهم ومنتهى آمالهم . . . البحث عن عقيدة
تطعن لها النفس وكفى .

اجتمعت قريش عند صنم لهم ، قد اتخذوا
ذلك اليوم عيداً ، وحضروا في ذلك ورقة
ابن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله
ابن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، فاعتموا
لذلك ، وخلصوا نجياً ، فقال بعضهم لبعض :
تصادقوا ؛ وليكنتم بعضكم على بعض .
فقالوا : أجل .

فقال لهم ورقة بن نوفل : تعلمن ، والله ،
ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين
إبراهيم وخالفوه ، ما حجر تطيفون به ،
لا يسمع ولا يبصر ، ولا ينفع ولا يضر ؟
يا قوم : اتمسوا لأنفسكم الدين .

فخرجوا عند ذلك يضربون في الأرض ،
ويسألون عن الخنيفية - دين إبراهيم عليه
السلام - فأما ورقة بن نوفل فتتصر واستحكم
في النصرانية ، وابتغى الكتب من أهلها
وقرأ الكتب حتى علم علما كثيرا من أهل
الكتاب ،

وأما عثمان بن الحويرث ، فسار إلى قيصر
فتنصر ، وحسنت منزلته عنده ، وأما زيد

فقال زيد بن عمرو : إني لا أكل مما لم يذكر عليه اسم الله .

ويحاول العلماء الإجابة عن ذلك . كيف كان زيد بن نفيل يهتدى إلى ذلك ، وقد كان الرسول أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية؟ فيرى بعضهم : أنه ليس في الحديث الإشارة إلى أن الرسول أكل مما لم يذكر عليه اسم الله ، ويرى آخرون أن الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة .

ولكن المهم في الخبر ، كيف أن محمداً كان على بساطته لا يعنى نفسه ، ولا يتكلف البحث كهؤلاء ، بما يبعد عنه كل شبهة في أن يكون استفاد شيئاً منهم ، أو اتجه في أمر العقيدة والدين وجمعتهم .

ولو أن محمداً اقتنى آثار الحنفاء، لما جاوز في بحثه عن الحق ذلك المدى الذى بلغوه ، ولما كان قصاره أن ينتصر ، أو يقنع بنصف الأوثان ، واهتزال مفاصل قومه .

إن هناك فارقاً أصيلاً بين موقف محمد في دعوته من قومه ، وموقف قومه منه ؛ وبين موقف الحنفاء، بما يجعل المقاومة بينهما لا تصلح ولا تستقيم ؛ بل إن الفارق بينهما وبين هؤلاء الحنفاء هو الفارق بين الأرض والسماء ، للحديث بقية ،

التي تملأ النفس وتحيطها وتوجهها في سبيل الحياة ؟ .

وهل الدين عقيدة فحسب ؟ . إن زيدا كان من طلاب الحقيقة ، وقد كانت الحيرة تملأ فؤاده وهو يقول : اللهم إني لو أعرف أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلم !!

وقد صرح في سعيه إلى الدين الحق . ولذلك كان يذكره النبي صلوات الله عليه بعد رسالته ، ويقول : إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده ، أى أنه تميز عن قومه ، وانفرد عن جيله الفارق في الظلمات .

ولم يؤثر عن الرسول صلوات الله عليه أنه سلك مصلك أولئك الحنفاء ، ولا اتبع طريقهم ، ولا حاور في العقيدة ، أو جادل في الدين . بل إن كتب السيرة والحديث تذكر بعض مواقف الرسول من هؤلاء ، وكيف أنه لم يكن يدور بخلافه شيء مما كانوا يعانونه من أمر الدين ، ولم يشتغل بشيء مما اشتغلوا به .

يروى البخارى : أن الرسول لقي زيد ابن عمرو بن نفيل ، وكان مع الرسول غلامه (زيد بن حارثة) فدعاه الرسول إلى أن يأكل معها ، وكان مع الرسول سفرة قدمت إليه

العالم بين السلام والنخامة

للأستاذ على الجندی

رسول سلام ، هناء الانام	وعد فقيراً أخا عيلة
وأمهم بهض أوطاره	ود قارون ، يكبو بمضاره
ينوء إلى ظله الحائرون	فليت الوری عرفوا سره
فيسرون في نور أقداره	فلم يعد جار على جاده
هو المجند فالبس دبايجه	ولا يخروه لقتل البرى
وكل جبينك من غاره	فأدم حمل أوزاره
تخبر - سبحانه - وصفه	فيا بؤس للملم في عالم
به ، فقساى بمقداره	يصير سلاحا لأشراره
وميز بالفضل أربابه	ويا أسفا للجمال النضير
وأسنى مراتب أحباره	يحول العمى دون إبصاره
فمن لم يرد صفوه لم يزل	ويا حربا لسلام الشعوب
من الجهل يسقى بأكداره	يضام لقلة أنصاره
ومن لم يغذ به له	ويدقط من غير ذئب جناء
تغذى بحمأة أوضاره	ذبيحا بمكين جزاره
ومن لم يسر تحت أعلامه	فا لابن آدم ضل السبيل
طواه الدجى تحت أكساره	فإقباله مثل إدباره
ومن لم يعز به نفسه	وراح يقيه على غيره
رماه الهوان بأحجاره	بدرهمه ، أو بديناره

وبات يصول بأنيابه	وعاش على أرضه ناعماً
كوحش ، ويسطو بأظفاره	بروض يمحج بأزهاره
غوى على حال لإيساره	ولكنه مولع بالخصام
حتى على حال لإيساره	وإن بات يصلى لظى ناره
فلا شر يمحى بإقلاقه	وفيه هوى طام بالفساد
ولا خير يرجى بإكثاره	ولن راح يرقل فى طاره
فتحسأ له !! شقيت نفسه	هداه إلى رشده ربه
بإثوانه وبإقتاراه	فلا يشعل النار فى داره
ولو شاء هز بأرائه	
ولو شاء ساد بأفكاره	على الجنى

هوى الحمى لا يضمحل

كف يحن وليس يألو	صبرا عن اللاتين ولوا
لن يضمحل هوى المها	فهوى الحمى لا يضمحل
كف يزيد ثباته	لن قيل: ذو كف يزل
وجـواك يا وطنى له	بيواطن الأحشاء شعل
ذكراك يا وطن الصبى	ذكرائ أرحل أو أحل
	عبد المحسن الكاظمى
	شاعر العرب

من أعلام العرب ... ذو المروءات للأستاذ جمال الدين الألوسي

والفكر والأدب - شهرته اجتمعت له خصال
كريمة غير العلم والفقه أبرزها سماحة النفس ،
وطلاقة الكف ، والمنجدة لكل ملهوف
من يعرف ولا يعرف ، كان أحد السيوف
العربية في الذب عن الوجود العربي ، وكان
الحس العربي متغلغلا في نفسه ، يملك عليه
معايره وأحاديثه في ما ينة تغلب على أهلها
الاعاجم من فرس وترك وصقلب ، تلاقت
أعداؤها وتوحدت في نقطة تلاق ، هي دفع
العرب عن مراكز القيادة وإبعادهم عن الرياسة
في السياسة والجيش . وكان من خطتهم حمل
الحلفاء إلى التشكيك برجال العرب وعدم
الثقة بهم في بلاط يموج بالدسائس ، ويزدحم
بالخافدين على العروبة وأهلها .

نصب القاضي ابن أبي دؤاد نفسه حاميا
لمصالح العرب ذائداً عن رجالهم مبطلا كيد
أعدائهم . صدق الكائدين ، ووقف لهم بالمرصاد ،
يفسد عليهم مؤامراتهم الدنيئة . كان مؤثلا
للزعماء من أبناء العروبة ، يرد عنهم كل
مناوئ ، ويتلافى ما يبدر من قاذتهم من أخطاء
ويتداركها هذه الخليفة ، وربما تجاوز
به الأمر إلى تعريض نفسه إلى غضب الخليفة
حبا في حفظه مراكز القادة من أبناء العرب

قد يكون من نافلة القول وبدييات الفكر
قولنا بضرورة إحياء ذكر الأعلام
من أسلافنا ، لا سيما وأننا نعيش مرحلتنا
الثورية ، وانطلاقنا المتحررة إلى وحدتنا
الكبرى بين المحيط والخليج ؛ فنحن بحاجة
ماسة إلى انبعاث تاريخنا وتعريف ناشئتنا
أجداد أسلافهم ، ليترسم أبنائنا خطى أروثك
الميامين الذين كان لهم في ميادين الفكر
والحصارة آثار عائدة ، ونحن في ذكر
أخبارهم لا نزيد ولا نختلق كما يفعل المتعصبون
للعنصرية ، وإنما نسجل الواقع الواضح
الذي لا ينكره إلا شعوبي حاقدة أو عدو
حاسد ، وما خلفوا للبشرية قائم في المكتبات
موجود في الشرق والغرب وهو بالتالي وصل
بين حاضرنا المتوثب وبين ماضينا المتألق ،

أحمد بن أبي دؤاد الأبادي :

هو ذو المروءات : أبو عبد الله ، ولي إمرة
قاضي القضاة للعتصم ، وابنه الواثق ، وجالس
من قبلهما المأمون ، وكان من أعلام الفكر ،
وأساطين المعرفة ، لم يسبق لأمر ولا لزمهم
أن نال شهرة ، ونباهة ذكر ، وحرمة منزلة .
مثل ما نال ابن أبي دؤاد ، ولم يشتهر هم
من أعلام ذلك العصر - عصر النضج في العلم

إلى المعتصم . فقال له : لقد بلغت رسالة هناك ما أرسلتني بها ، ولكنني اجترأت في إبلاغها لها فيها من مصلحة أمير المؤمنين ، وقص عليه الخبر ، فقال له المعتصم : نعم ما فعلت ، وأسبغ على القاسم أبي دلف نعمته ، وخلع عليه ، وكف يد الإفاشين عنه ، وزجره أن يتعرض لسيد ريعة بسوء . وأبو دلف هو الذي يقول فيه العكوك الشاعر :

إنما الدنيا أبو دلف

بين يديه ومحتضره

فإذا ولي أبو دلف

ولت الدنيا على أثره

وله موقف مشرف آخر في الدفاع عن سيف

آخر من سيوف العرب ذلك هو الأمير :

خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني سيد ريعة ،

وعميد بكر ، وابن الفارس بطل آل شيبان

وقاهر أرمينيا ، وفارس ، والتركستان

(يزيد بن مزيد) أبرز قواد الرشيد ، وقاتل

طريف الشاري الذي استشرى أمره واستفحل

خطره ، حتى دانت له الجزيرة ، وهدد جيوش

الحلقة وتغلب عليها والذي قالت فيه أخت

طريف (لا يفلح الحديد إلا الحديد (١)) .

وتفصيل الخبر أن المعتصم حاول أن يتخلص

من سياسة التوازن بين العرب والفرس

وأتبع طريقة جديدة غير السياسة التي اتبعها

فلقي في سبيل ذلك من العناء والمكروه ما لا يحصى ، وألب عليه خصوما ألداء عرفوا بشراسة الطبع ، وغلظة القلب ، وسوء الخلق ولكنه رغم تهديدهم ، ورغم مناوأتهم ؛ لم ين عن المضي في خطته ، وبذل معروفه للدفاع عن بني قومه والسعي لم عند الخليفة ؛ حتى يحفظ لهم مراكرهم . يتجلى ذلك في موقفه المجيد ضد (الإفاشين) ، وانتصاره لأبي دلف العجلي ، وكان من زعماء شيبان ؛ بل كان زعيم العرب وقائد كتابهم ، وكان الإفاشين زعيم الجند التركي ، وكان يبغض العرب ويبغض دينهم ، ويكيد لأبي دلف ، ويدس عليه عند المعتصم حتى تغير له ، ولفق عليه اتهامات حصل بها الإفاشين على موافقة الخليفة لها كته محاكمة صورية تنتهي بقتل أبي دلف ، وسبق إلى الجو الكبير مكبلا بالحديد ، فهرع الناس إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد ينقلون إليه الخبر المفزع ؛ فخف لثوه إلى الإفاشين ، وراح يستعطفه ، ويلين قلبه ليعفو عن زعيم العرب ، والإفاشين لم يزد إلا كبرا وصلفا ؛ فلما يئس منه انقلب مهرداً له قال : (إني رسول المعتصم إليك . يأمرك ألا تتحدث بأبي دلف حدثاً ، وإن مسه سوء ، أو قتل فإنه قاتلك به ، والتفت للحاضرين ، وقال : اشهدوا أني بلغت رسالة أمير المؤمنين ، والقاسم حتى معافى) وذهب من فوره

(١) ورد لائل : لا يفلح الحديد إلا الحديد .

الرشيذ ومن سبقه من الخلفاء العباسيين فاهتمد على جيش من الأتراك - أخواله - وأسقط أسماء العرب والفرس من ديوان الجند ، ولم يبق من قادة العرب (إلا القليل على رأسهم البطل الصجاء : خالد بن يزيد الشيباني ، وكان سيداً جليلاً ، وكان يقود قبيلته ، ومن حالفاها في المعامع التي تخوضها الخلافة ضد أعدائها ، والذي يقول فيه الشاعر (أحمد المسكي) .

علم الناس خالد بن يزيد
كل حلم وكل بأس وجود
فقرى الناس هيبة حين يبدو

من قيام وركع وسجود
ويادخال المعتصم العنصر التركي واعتماده على الجيش الذي أعده منهم اختل التوازن السياسي ، وضعفت كفة العرب لولا بقية من قوة كان يمثلها خالد بن يزيد وقبيلته ؛ فأراد قادة الأتراك دفع هذا البطل وإبعاده عن البلاط العباسي وكانوا يكيدون له لدى المعتصم وأوغروا صدره على خالد فجلس المعتصم لعقوبته ، وكان ابن أبي دؤاد يزود عن هذه القبيلة ، ويناصر قائدها ، ويرى فيهم السكهم الذي إليه يلجأ العرب أمام طغيان الجيش التركي واستفحال أمره ؛ فخف لنصرة القائد العربي ونافع عنه ، واستعطف المعتصم ؛ فلم يجبه ، وألح في الرجاء فلم يلب الخليفة .

فلما انعقد مجلس الخليفة لمحاكمة سيد بني شيبان دخل القاضي ابن أبي دؤاد ، وجلس في منزلة

دون منزله التي اعتادها ؛ فقال له الخليفة : يا أبا عبد الله جلست في غير مجلسك ، فقال : ما ينبغي لي أن أجلس إلا دون مجلسي هذا فقال الخليفة : وكيف ؟ قال : لأن الناس يزعمون أنه ليس موضعي موضع من يشفع في رجل فيشفع ، قال : فأرجع إلى مجلسك ، قال : مشفعاً أو غير مشفع ؟ قال : بل مشفعاً ؛ فارتفع إلى مجلسه ثم قال : إن الناس لا يعلنون رضى أمير المؤمنين عن خالد ، فأمر المعتصم بالخلع عليه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد استحق هو وأصحابه أعطيات ستة أشهر فإن أمرت لهم بها في هذا الوقت . قامت مقام الصلة ، فقال : قد أمرت بها ، فخرج خالد ، وعليه الخلع ، والمسال بين يديه ، فصاح به رجل من العرب : الحمد لله على خلاصك يا سيد العرب ، فقال له خالد : اسكت سيد العرب - والله - أحمد بن أبي دؤاد روى الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه قال : كان يقال : أكرم من كان في دولة بني العباس البرامكة ، وابن أبي دؤاد .

ولأنه لحري بالعلماء والمستشارين الذين يتصلون بالحكم أن يسيروا سيرة أحمد بن أبي دؤاد ويتخذوا من قريتهم ودنوا منزلتهم وسيلة لرفع مظلة أو لإحقاق حق ؟

جمال الدين الأتوسي

عضو جمعية المؤلفين والكتاب

إلى أي مدى تنغیر الأحكام الشرعية بتغیة الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

— ٤ —

إزاء الاحتجاج بها - هل يجوز تخصيص النص بها أو نسخه؟

وقبل الشروع في هذا البحث لابد من مقدمة لا يمكن فهم الموضوع فهما سليما إلا بذكرها .

الشریعة الإسلامية لأنها خاتمة الشرائع الإلهية جاءت كآفة لمصالح البشر على اختلاف الأعمار والأماكن وذلك لأن من أصولها درء المفاسد وجلب المصالح ، والشارع لم يعتبر كل مصلحة ، بل ألغى بعض المصالح لأن الشر المقارن لها أعظم من الخير المرجو منها .

والمصالح لها مراتب ثلاث :

١ - ضرورات : وهي ما لا يمكن الاستغناء عنها وهي ترجع إلى المحافظة على خمسة أمور ، وهي : الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

٢ - حاجات ، وهي ما تدعو الحاجة إليها ويمكن الاستغناء عنها بحسنة ، وتعتبر مكلة للضرورات ، والقشريع - بصدها - يرجع إلى رفع الحرج عن الناس ، وتخفيف مشاق التكليف عنهم .

انتهيت في المقال السابق إلى بيان مدى تطور الأحكام الشرعية التي لها مساس بالعرف والعادات ؛ وقبل أن تنتقل إلى الموضوع الثاني وهو المصالح المرسله أحب أن أعلق على اعتبار العرف والعادات في نظر الشرع بعبارة جامعها لابن القيم الجوزية وهي : إذا جاء رجل من غير إقليمتك يستفتيك فلا تجره على عرف بلدك ، وسله عن عرف بلده فأجره عليه ، وأفته به دون عرف بلدك والمذكور في كتبك ، ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف هرفهم وعاداتهم وأزمئتهم وأمكنئهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل ، اهـ .

وطبعاً هذا إذا لم يكن في المسألة المستفتى عنها نص يعتمد عليه شرعاً .

وقد بينا في مقالنا السابق آراء الفقهاء في تخصيص النص بالعرف .

واليوم نعرض لموضوع من أخطر أبواب استنباط الأحكام الشرعية ألا وهو موضوع (المصالح المرسله) وسيتناول بحثاً فيه ما يأتي : تعريف المصالح المرسله - موقف الفقهاء

دهيتهم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبي فليستحي منكم والله لا يستحي من الحق . . . فاقه - سبحانه - صرح في هذه الآية بأحكام وبين وجه تسميته لهذه الأحكام .

فقد حرم الله - جل شأنه - دخول بيوت النبي صلوات الله وسلامه عليه إلا بإذنه ، كما أوجب الخروج بعد تناول الطعام ، وحرم المكث لمجرد الاستئناس ؛ وعلل الله ذلك بقوله ، إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم ، ، فإيذاء النبي وصف موجب لتحريم كل ما من شأنه إيذاؤه صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن المرأة تشرب من الإناء ، إنها من الطوافين عليكم والطوافات ، فهذا الوصف اعتبره النبي صلى الله عليه وسلم موجبا لطهارة ثوب المرأة (٢) .

ويلحق بهذا اللون من الأوصاف تعليق الشارع الحكم على مشتق كقوله ته إلى د والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، فإن الجلد معلل بوصف هو الزنى وهو وصف مناسب للعقوبة .

وكقوله صلى الله عليه وسلم د ليس للقاتل ميراث ، فإن القتل وصف مناسب للحرمان من الميراث ، لسكونه تعجلا أمرا قبل أوانه فناسب أن يعاقب بحرمانه .

٣ - تحسينات ، وهي ما لا يرجع إلى ضرورة وحاجة ، ولكن تقع موقع التحسين والتزيين ، والفتريع - بصدها - يراعيا لما فيها من الترفيه عن الناس ما لم تعارض ضرورة أو حاجة ، وهي تعتبر - في الجملة - متممة للحاجات ، وأكثر ما يتصل بهذا اللون من التفتريع يعود إلى مسكارم الأخلاق ومحاسن الشيم التي ينبغي أن يتصف بها المسلم . ثم أن المصالح - بالنظر إلى اعتبار الفاعر لها - تنقسم - في الجملة - إلى أربعة أقسام .

القسم الأول : مصالح اعتبرها الشارع وأدار الأحكام على مقتضاها ، ويسمى هذا القسم - عند الأصوليين - بالوصف المناسب المؤثر ، وعرفوه بأنه الوصف الذى رتب الشارع حكما على وفقه ، وثبت بالنص أو الإجماع اعتبار هذا الوصف علة للحكم الذى رتب عليه ؛ كقوله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فأنت ترى أن القرآن صرح بأن الأذى هو علة تحريم قربان الحائض ، ولا يخفى عليك مناسبة هذا الوصف لهذا الحكم .

ومن ذلك قوله تعالى د يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه (١) ولكن إذا

(١) أى غير منتظرين لفضجه .

(٢) السور : ما يتبع بعد شرب الإناء أو الحيوان

مثال أول لتوضيح هذا التعريف .
الصغر : اعتبره الشارع مناسباً لثبوت
الولاية في الأموال وهذا ثابت بالإجماع وقد
ورد عن الشارع أنه جعل للأب ولاية تزويج
ابنته الصغيرة البكر ؛ ولم يرد عن الشارع
نص كما لم يرد إجماع أن أحد هذين الوصفين
علة لهذا الحكم وكلا الوصفين مناسب للحكم
ولكن الإجماع على ثبوت الولاية في الأموال
للصغر ، وهما من جنس واحد فكان الصغر
أنسب لثبوت ولاية التزويج من البكارة
وأكثر ملائمة له ؛ وهذا ما ذهب إليه
الحنفية ؛ وذهب القاضية إلى اعتبار البكارة
هي علة الولاية في التزويج لأن البكارة مظنة
الحياة وعدم معرفة أحوال الرجال ؛ ولكل
وجهة ؛ كما ترى .

مثال ثان : قياس القتل بمثقل على القتل
بمحدد في وجوب القصاص فقد ثبت بالنص
وجوب القصاص في القتل بمحدد لعله هي
إذهاق نفس بريئة عمداً وعدواناً وهذه
العلة نفسها موجودة في القتل بمثقل .

وهذا واضح ؛ وخلاف أبي حنيفة رضي
الله عنه في هذه المسألة ليس لعدم وجود هذه
العلة الموجبة للقصاص ، ولكن - كما نقل عنه
أن المثقل لم يوضع - بطبعه - للقتل ؛ فكان
هذا القدر شبهة يدرأ بها القصاص ولكن هل
نسلم هذا أليست الصخرة الكبيرة من شأنها

وقد يكون الوصف معتبراً من الشارع
وثبت اعتباره بالإجماع ، كالصغر ، فإنه
قد قلم الإجماع على اعتباره علة للولاية
في الأموال ، ومثله الجنون والعته .

وهذا اللون من الأوصاف المشتعلة على
المصالح أجمع العلماء على اعتبارها في استنباط
الأحكام الشرعية ، حتى أولئك الذين
أنكروا القياس ، وفروا من تسميته قياساً
إلى أسماء أخرى ، ولا يعني هذا في بحثنا
ولكن المهم هو ما قررناه من أن هذا اللون
من الأوصاف من أم مصادر معرفة الأحكام
الشرعية ، وما أجمع على اعتباره .

النسب الثاني : ويعرف عن الأصوليين
والفقهاء بالوصف المناسب للملائم ، وهو
الوصف المناسب الذي رتب الشارع حكماً
على وفقه ، ولم يثبت بالنص أو الإجماع
اعتباره بعينه علة لنفس الحكم المترتب عليه
ولكن ثبت بالنص أو الإجماع اعتبار هذا
الوصف علة لحكم آخر من جنس هذا الحكم
أو اعتبار وصف آخر من جنس هذا الوصف
علة لهذا الحكم بعينه أو اعتبار وصف من
جنسه علة لحكم آخر من جنس هذا الحكم .
ولتوضيح هذا الوصف وهذا التعريف
أضرب لك الأمثال ليتضح لك هذا اللون
وطبعاً متكروا القياس لا يقرون هذا اللون
من الاستنباط للأحكام .

معنويات الولد وقضاء على القشر - كما قيل
فوجب أن يباح .

وإن الفقر أو الخوف منه صالح لأن يكون
علة لتحديد الفصل بعد أن ألغى الله هذا
الوصف في حكم من جنسه وهو قتل الأولاد
« خفية لملاق » .

وأمثلة هذا القسم كثيرة ؛ وكأن كل
الأراء المنحرفة التي تنادى بعدم التقيد بحكم
الله تتبع هذا اللون من الأوصاف التي ألغاهما
الشارع ولم يتم وزنا لها ولا لها فيها من
جلب نفع أو دفع ضرر ؛ لأن ما تنطوي
عليه من شر أكثر وأقبح .

وهذا الوصف لا يصلح أن يكون علة التشريع
ما لأنه حكم الهوى والغرض وإبطال للشرعية
من أساسها ؛ فلا يجوز أن يعول عليه .

القسم الرابع :

الوصف المناسب المرسل : وهو الوصف

المناسب لأن يدار عليه حكم من الأحكام ولكن

الشائع لم يرتب حكماً على وفقه ولم يدل دليل

على اعتباره أو لغائه ؟ فهو مناسب أى يحقق

مصلحة عامة ، ومرسل أى لم يعتبره الشارع

ولم يلغ ؛ وذلك كضرب نقود للتعامل وتدوين

الدواوين وتسجيل عقود النكاح والملكية .

وهذا القسم هو ما نريد أن فكشف الثام

هذه ؛ في العدد الآتى إن شاء الله تعالى ؟

برر المتنوى عبد الباسط

القتل ؟ ثم ألم يرضح رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأس اليهودية التي رخصت رأس أخرى ؟

مثال ثالث : ثبت عن الشارع جواز جمع
الصلاتين في الإقامة حالة المطر ؛ ولم يرد نص
أو إجماع أن المطر علة للجمع ؛ وثبت أيضاً
جواز الجمع في السفر ؛ والعلة المظنونة في كل
هو أن كلا من المطر والسفر مظنة المشقة
فظنة المشقة إذن تصلح للتعليل لإدارة الأحكام
الشرعية المشقة عليها .

هذا والأمثلة كثيرة ؛ وهذا القسم من
الأوصاف المناسبة يفتح لنا آفاقاً واسعة
رحبة لتطور الأحكام وسعة فطاق الفقه
الإسلامي واستيعابه لألوان كثيرة من
الحادثات التي ليس فيها نص ولا إجماع .

القسم الثالث : الوصف المناسب الملغى وهو
الوصف الذي نظن - نحن - أن بناء الحكم
عليه فيه تحقيق مصلحة من جلب نفع ودفع
ضرر ولكن الشارع ألغى هذا الوصف وأبطل
صلاحيته لهذا الحكم أو الحكم آخر من جنسه
وأمثلة هذا الوصف كثيرة كقول بعض
الناس : إن الابن والبنت يتساويان في القرابة
من الوالدين فوجب أن يتساويا في الميراث .
وأن المرأة والرجل يتساويان في الآدمية
فوجب أن يتساويا في الحقوق والواجبات
وكل التشريعات .

وأن التبنئ لغير أولاد الإنسان فيه رفع

شريعة الصيام بين المسلمين وغيرهم

للأستاذ علي الخطيب

فصل القرآن الكريم أحكام الصيام تفصيلاً أحاط بخطوطه العامة فأبرزها . وتناول شرعته فجلاها ، حتى استوت وضوحاً لدى صغير المسلمين وكبيرهم ، وعالمهم وجاهلهم ، فليس بين من أدرك التمييز منهم من يجهل بدء الصوم ونهايته ، أو فضله وغايته .

ففي بيان فرضه ، واحتمال البشرية له ؛ يقول تعالى مخاطباً المؤمنين برسالة القرآن : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » . ويبين القرآن وقت الصوم ، ويأمر به ؛ فيقول : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

وإذ ينتهي القرآن من بيان فرضه ، وتعيين وقته ، يأخذ في بيان كیفيته سالكا في ذلك طريق صريح اللفظ ومفهومه على السواء ، فيبين ما حل بليل من جماع ، وطعام وشراب ثم عقب بتحريم ذلك نهائياً إلى الليل فقال تعالى :

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، ومفهوم الآية حرمة الرفث بالنهار في رمضان . ثم يقول : « ... وكلوا واشربوا حتى يقبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ... » .

ولا يجوز لمسلم أن يحتاط لرمضان بصوم يوم قبله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صام يوم الشك فقد عصا أبا القاسم ، كما لا يجوز صيام يوم العيد هبة ، فقد حرمت الشريعة صيام يوم العيد ، وهكذا نجد رمضان ، شهر الصيام ، قد صار في حصن حصين ، لا تهب عليه ريح الفتنة ، أو تقوشه أغراض الهوى ، فلا يفتى فيه بزيادة ، ولا يرتخص فيه بنقص ، وتلك ميزة التشريع في الإسلام ، وإنه ليحق أن نقسّم - في معرض الصوم - من سر لأحكام التشريع فيه ... ؟ ولماذا حنى القرآن الكريم بالتفصيل في أمره ؟ ولماذا أوحى إلى الرسول بتحريم صيام يوم العك ، فأيخلق محمد صلى الله عليه وسلم من هوى . هل كان ذلك لأن الصيام أفضل للعبادات ؟ إن أفضل العبادات الصلاة ؛ فهي أدوم طريق إلى الله ، تلزم المرء ويلازمها حتى يلتقي الله . فهي خير عبادة ، وأهظم شعيرة .

فهل مرجع ذلك أن يكون الصيام شرعة في الإسلام وحده ... ؟

إن الصيام فرض على السابقين . وليس في الإسلام وحده ، والقرآن صريح في ذلك . إنما في الأمر سر يعرفه التاريخ ، وإنه

وليس الاستبدال كل ما تعرض له الكبور
فللنساء معه شأن آخر ، ذلك أن اليهود
يعتمدون التاريخ بالشهور القمرية ، غير أنهم
يزيدون شهرا كل ثلاث سنوات قمرية ،
يسمونه « أدار الثاني » ، فالسنة الثالثة
كبيرة دائما بنفسيتها ، حتى لتبلغ نحو أربعة
وثمانين وثلاثمائة يوم ، وذلك حرصا منهم
على أن يقع رأس سنتهم دائما بين شهرى .
سبتمبر و أكتوبر الشمسيين ، وبسبب هذا
الفساد استحال أن تتقدم سنتهم فتقع في
أغسطس ، أو تأخر فتقع في نوفمبر ، وليس
هذا الفساد من تعاليم العهد ، فالعهد - حتى
المتداول - يبرأ من تلك الفحشة ، والله منها
برىء براءة موسى عليه السلام ، وقد ترتب
على هذا الفساد أمران في « الكبور » :

(أ) أن يقع يوم الكبور دائما في غير
يومه من السنة القمرية .

(ب) أن يسقط يوم الكبور كلية بفضل
ما يتجمع على مدى السنين من زيادة هذا
الشهر ، وبعملية حسابية بسيطة يمكننا أن
نذكر أن كل ست وثلاثين سنة قمرية عمدا اليهود
هى فى الواقع سبع وثلاثين سنة ، وتلك السنة
الزائدة يسقط فيها الكبور . وهكذا كان
هذا الفساد زيادة في الكفر بما يضييع من
طاعة ، ويسقط من فريضة ، ويضل عن
صواب ، وحجتهم فيه داحضة هدد ربهم .
فليظنر المسلم إلى ما فعلت يهود ، وليظنر

ليمرد علينا عجا من أمر الصيام بين أهل
الشريعتين السالفتين على الإسلام .

وفى هذا التاريخ الجواب عن سر القرآن :
صيام اليهود :

يقول اليهود : إن الله فرض عليهم صيام
يوم واحد هو : يوم الكبور ، ويسمونه
بيوم الغفران أيضا ، كما يسمى بعاشوراء
اليهود ، ويقع في العاشر من شهر « تشرى »
ويدعون أنه لا فرض سواء ، وما عداه
لأنما هو نقل يتبع الرغبة ، ويناط بالاختيار .
ونحن نقول فى وضوح :

إن نصوص العهد المتداولة لا تعطى نصا
يقصر « الفريضة » على يوم الكبور ، كما أن
ماورد فى ذلك العهد بسفر اللاويين (١٦ - ٢٩)
إلى (٣٤) ويعتمدون عليه كدليل على فرض
الكبور - لا يحمل نصا صريحا بالصيام
مناطاً به فرض يوم واحد ، ومع هذا فلننظر
مصير يوم الغفران هذا بين يدي اليهود !

هل حافظوا عليه أم ضيعوه ... ؟ !
أقد أحدث اليهود فيه « استبدالا » ، كما
أحدثوا به « إسقاطا » .

فأما الاستبدال ، فقد وقع باشرطهم أن
يصوموا « الكبور » فى غير جمعة أو أحد
أو ثلاثاء ، فإذا وقع العاشر من تشرى
واحدا من هذه الأيام استبدل باثنين
أو أربعا أو غير ذلك . وليس فى الأسفار
المنسوبة لموسى عليه السلام ما يبيح لهم ذلك .

والأرثوذكسية كلتاها رافعا الإنجيل، من طريق تشريع الصيام، واعتباره تشريعا كنسيا، تحده الكنيسة بالزمان والمكان وتختار كيفيته. وقشر ببدنه ونهايته، فهي بأمره، أدري وبمصلحة الأفراد، أرى ولها المرجع ولما ل في أحكام الصيام. ولما كانتا كلتاها تستقل بالتشريع اختلفتا في وقت الكف اليومى.

فقررت الكاثوليكية وقت الكف ابتداء من منتصف الليل إلى منتصف النهار. وتركت الأرثوذكسية وقت الكف بيد الراى أبى الاعتراف الذى يدرك حدود الانقطاع، ويعلم مصلحة الصائم فيقرر له الوقت الصالح له من ليل أو نهار.

وختمت البروتستنتية الجسولة بإنكار فرضية الصيام، مدفوعة في ذلك بفلسفتها الكهنوتية في محاربة الباطنية وأوامر الكنيسة فأسقطت بدورها فرض الصوم عن الاتباع وناطت أمره بالرغبة وحدها وتركت وقت الكف بيد الأفراد يصومون متى أطاقوه فإن ضاقوا به تركوه وتحمس الاتباع البرقسنت من غير رجال الدين أو منهم فاتهمروا لعقيدتهم بنصوص لمن بعد المسيح تدل لأريهم وتسخر بصفة خاصة من الرهبنة والصيام عن الحيوان وتناجه. ومن أمثلة ذلك قول مفسوب لبولس يقول فيه:

مرايين ينطقون بالكذب، وضمايزم

بعد في كتاب عقيدته، وليتصفح آيات الصيام في القرآن ليدرك من أسرار التفصيل والبيان إعجاز القرآن في صيانة العبادة، وحفظها إلى يوم الدين، فقد برئت الشهور الإسلامية من الفسء، وبرى ومضان من السقوط والاستبدال، بفضل تلك الآيات البينات التى أحكت أمره، وفصلت شأنه، وجعلته هدى للناس لعلمهم يتقون.

صيام المسيحيين:

ليس من شك في أن الله فرض الصيام على أمة المسيح. ولا جدال بين أقدم طائفتين مسيحيتين في ذلك، وقرآن شاهد صدق في القضية، فالنصارى هم أصحاب الرسالة السالفة للإسلام مباشرة، وقضية القرآن في فرض الصيام عليهم واضحة: «كما كتب على الذين من قبلكم، وإذا خرج غير المسيحيين من السابقين على الإسلام من هذا الحكم بتأويل، فإن حرفية النص قاصرة على المسيحيين في كل تفسير.

فما أمر الصيام فيهم ١٤٠٠

وإذا كان أمر الصيام قد ذكره القرآن للمسلمين جملة وتفصيلا، فهل الصيام في المسيحية مرده الإنجيل أو الإنجيل، المتداولة؟ وهل هي (صاحبة) فرضه، ومقررة أمره، والهادية لأحكامه، والمشييرة بأيامه، والاضية بوقت الكف فيه؟ والملائمة لمطعمه ومشروبه ١٤٠٠

الجواب في وضوح: لا

إن الطائفتين المسيحيتين: الكاثوليكية.

نقول : إن صيام موسى عليه السلام من العبادات التي أقرها المسيح، ولم يبلغ المسيح صلوات الله عليه كيفية صيام موسى عليه السلام ... وإلا ... فأين الدليل ؟ وبخاصة والعهد القديم - معتمد عليه في التعليم فلم تهمله أي الكنائس وهل موسى عليه السلام لم يصم في حياته غير صيام الجبل . ٤٠ .

على أن بديهية الخلو للروح وحدها وقت الصيام إنما يتم بالكف عن لذات الجسد جميعا . وتلك ميزة الصيام ، ولا صيام بدونها والحجة قائمة ، والدليل موجود ، فلم المروق . ٤١ .
ولأنه ليحق لنا في ختام هذا البحث أن نقسم : هل حفظ أهل الكتاب فرض الصيام ؟ أو حفظوا أحكامه ... ؟ . أو حفظوا أوقاته ؟ . أو احترموا فيه مسلك أنبيائهم ؟ . اللهم ... لا .

لكن الإسلام ، خاتم الرسالات حفظ الأحكام والحدود ، وقام أتباعه على السمع والطاعة ، يستقبلون رمضان ، فيؤدون الصيام فيه مستبشرين ، محافظين فيه على عهد الله وأحكامه ، حتى صار ذخرا لهم لجلب رضوان الله ورحمته ، فن صام رمضان إيمانا واحقا سابغا غفر له ما تقدم من ذنبه كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون .

على القليب

بجمع البعوث الاسلامية

مكوبة ، ويمنعون عن الزواج ، وعن أكل أطعمة خلقها الله ليتناولها بشكر كل من آمن وهرف الحق .

وينسب له أيضا هذا القول :

« فلا يحكم عليكم أحد في المأكول أو المشروب ، أو من قبيل هيد أو رأس شهر أو سبوت .

ولقد اعتبرت الفرق الثلاث ، الاتصال الجفسي ، غير مفسد للصوم ، وهذا العمل منهم ليس تشريعا إنجيليا أيضا ، ولا يرجع إلى العهد القديم ، وإلا فصيام موسى وعيسى عليهما السلام وهما ورادان بالعهدين لاجنس فيهما على الإطلاق .

فوسى صام أربعين يوما بالجبل قضاها منفردا عن أهله في لقاء ربه يتلقى فيها ألواح التوراة وعيسى عليه السلام صام أربعين يوما كذلك ، وكان عليه السلام حصورا .

ولئن اعتبر (العدد) ليس بفرض عليهم فما من شك أن (كيفية صيام الرسول) يجب أن تؤخذ بالاعتبار ، وأن تكون هي النهج المعمول به لأنه قدوة التشريع وتلك الكيفية كانت امتناعا عن المأكول والمشرب والمنكح قد يقال : إن عيسى عليه السلام كان حصورا من قبل الصيام ومن بعده ، فلا يصبر الامتناع عن الجنس قائما من أجل الصيام ؟ وبالتالي ، فالجنس لا علاقة له بالصيام ؟ .

من ذكريات رمضان

معركة عين جالوت

للسان محمد بن محمد بن محمد بن محمد

تقف زحفهم ، وتعترض طريقهم ، وكان طبيعيا ، أن يتجه التتار بعد ذلك إلى مصر وهي آخر معقل للإسلام في الشرق وكانت مصر في ذلك الوقت تحت سلطان المماليك ، يحكمها سيف الدين ، وما لبث هذا السلطان أن تلقى من هولاكو الرسالة التالية تحمل كل معاني التهديد والاستخفاف :

« من ملك الملوك شرقا وغربا القان الأعظم . باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء . يعلم الملك المظفر قطز الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الأقليم يتمتعون بأنعامه ، ويقتلون من كان سلطانهم بعد ذلك . يعلم الملك المظفر وسائر أمراء دولته وأهل ملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال أننا جند الله في أرضه خلقنا من سخطه وسلطاننا على من أحل عليه غضبه فسلموا إلينا أموركم تسلموا قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا وقد عرفتم أننا خربنا البلاد وقتلنا العباد فلستم هنا الحرب ولنا خلفكم الطالب فما لكم من سيوفنا خلاص : وخيولنا سوابق ، وسيوفنا قواطع

من المعارك الحربية الهامة في التاريخ معركة عين جالوت لما كان لها من آثار خالدة في حياة الإسلام والمسلمين . وذلك أن التتار بقيادة هولاكو جاءوا من أواسط آسيا ، وواصلوا زحفهم ، يخربون ويدمرون ويضربون مراكز العلم والأدب ، واستطاعوا في فترة وجيزة أن يسيطروا على أغلب أقاليم العالم الإسلامي ، واستعملوا كل أساليب التعذيب والقسوة ، وسفكوا الدماء ، وقتلوا الأبرياء وفتحوا بغداد ، وكان لسقوطها في أيديهم وقع أليم في نفوس المسلمين ، كما قتلوا الخليفة المعتصم وطائفة من آل البيت العباسي وكان في مقدور الخليفة أن يرد هذا الخطر الداهي ، والشرا الزاحف ، ولكن جو التفسك والانحلال الذي كان يسيطر على الخلافة العباسية في ذلك الوقت كان يبشر بهذا المصير المؤلم ، واستولى التتار على بلاد الروم وديار بكر وربيعة ، وأخضعوا بلاد الشام كلها ، وقد تركت هذه الانتصارات المتتالية أثرا عميقا في نفوس الناس واعتقدوا أن التتار قوم لا يظلمون ، وأنه لن يستطيع أمة أن

وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين^(١) ، . وقد كان لهذه الكلمات أثرها البالغ في نفوس الأسماء ، فقد أثارت فيهم الحمية وملاّت نفوسهم بالقوة ، ونزعته منها كل عوامل الجبن والتردد وانتظموا بدأ واحدة تحت إمرة قائدهم .

أما هولاء فقد جاءته الأخبار وهو في حلب ب وفاة (خان التتار) الأعظم فاضطر إلى العودة مسرعاً إلى قلب آسيا ليشارك في اختيار الرئيس الجديد تاركا جيشه في الشام إلى قائده (كتبغا) في عشرة آلاف مقاتل . تقدم الأمير بيبرس البندقداري يةود طلائع المصريين قاصداً فلسطين بينما كانت حامية صغيرة من التتار تحتل غزة بقيادة (بايدر) فهزمها بيبرس وطاردها حتى شاطئ نهر المعاصي ، وقد سمح الفرنج في هكا للبصريين بأن يعبروا أرضهم ويمشوا أبقسهم منها يقول المقريزي :

ثم نزل السلطان بالمساكر إلى غزة ، وأقام بها يوماً ثم رحل عن طريق الساحل على مدينة هكا وبها يومئذ الفرنج فخرجوا إليه بتقادم ، وأرادوا أن يسيروا معه نجدة فسكرهم ، وأخلع عليهم ، واستحلهم إلا يكونوا لاله ولا عليه ، وأقسم لهم أنه متى تبعه فارس أو راجل يريد أذى عسكر

وقلوبنا كالجبال وهددنا كالرمال ومن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم ، فإن أنتم لشرطنا وأوامرنا أطعتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، فقد أهدر من أقدروقد ، ثبت عندكم أننا كفرة ، وثبت عندنا أنكم الفجرة فأمرهوا إلينا بالجواب قبل أن تضرم الحرب نارها ، وترميكم بشرارها فلا يبقى لكم جاه ولا عز ولا مصمكم منا جبل ولا حزن فابق لنا مقصد سواكم والسلام علينا وعليكم وهلى من اتبع الهدى ، وخشى هواقب الردى وأطاع الملك الأعلى^(١) .

هذه هى رسالة هولاء وقد حرصنا على إثباتها كاملة لنذكر منها طبيعة هؤلاء القوم ومقدار ما فيهم من توحش وغظة وغرور واستهتار .

تسلم قطور رسالة هولاء كو ، وجمع الأسماء واستقارهم ، وقتل الرسل ، وعلق رؤسهم على باب زويلة ، ولقد أبدى بعض الأسماء تكاسلا وثاقلاً حينما جد الجهد ، ودنت ساعة الجهاد ، فما كان من قطز إلا أن قال لهم في سخريّة لاذعة :

(يا أسماء المسلمين : لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وأنتم للفزاة كارهون وأنا متوجه ، فمن اختار الجهاد يصحبني ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته فإن الله مطلع عليه

المسلمين رجع وقاتلهم قبل أن يلقى التتر^(١) .

وحينما وافات الأنباء قائد التتار (كتبغا) بهزيمة (بايدر) ثارت ثائوته ، وتملكه الغضب وعزم على الانتقام معزاً بقوة وكثرة جيشه .

والإسلاماء :

تجمع المصريون عند أسوار عكا ، ثم انجهوا نحو نهر الأردن ، وتقدم (كتبغا) يقود جيشه ومعه بعض النجيدات الأرمنية والتقى الجمعان عند (عين جالوت)^(٢) حيث دارت المعركة حامية ، واستحرق القتال ، واستبسل المصريون ، واندفعوا نحو أعدائهم يعملون فيهم سيوفهم ضرباً وتقتيلاً وأظهروا من ضروب الشجاعة والإقدام ، ما يجعل عن الوصف ، ولقد حدث أنشاء المعركة أن اضطرب جناح من أجنحة المصريين وانتفض طرف منه ، فألقى الملك المظفر قطز خوذته من رأسه إلى الأرض وصرخ بأعلى صوته قائلاً : (وا إسلاماه) فكان لهذا الصوت المدوي في أرجاء المعركة صدها العميق في نفوس المصريين ، إذ ألهم شعورهم ، وأذكى فيهم روح الحماس والتضحية ، وذكرهم بما ينبغي عليهم نحو دينهم ، فحملوا حملة

صادقة على عدوهم أسفرت بصدها المعركة عن هزيمة التتار لأول مرة في حياتهم ، وقد استطاع المصريون أن ينتقموا منهم وينكلوهم بهم ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً قارب النصف^(٣) وتعلق من سلم برءوس الجبال فتبعهم المسلمون وأبادوهم ، وطاردوا من فر منهم إلى أطراف البلاد الشرقية ، وقد وقع قائد التتار (كتبغا) أسيراً بعد أن قاتل بشجاعة منقطعة النظير ، وقد قال له قطز حينما مثل بهن يديه : (أيها الرجل الناكث للعهد ، ها أنت بعد أن سفكت كثيراً من الدماء البريئة ، وقضيت على الأبطال والعظماء بالوعود الكاذبة ، وهدمت البيوتات العريقة بالأقوال الزائفة المزورة ، قد وقعت أخيراً في الشرك)^(٤) فرد عليه القائد التتري رداً فيه القوة والجرأة وعدم المبالاة بالمصير المنتظر : (إني إذا قتلت على يدك فإني أعلم أن ذلك من أقد لا منك فلا تتخدد بهذه المصادفة العاجلة ولا بهذا الفرور العابر فإنه حين يبلغ هولاكو خان نبأ وفاتي سوف يغلي غضبه ويستطأ صنادك خيل المغول البلاد من أذربيجان حتى ديار مصر ، إن هولاكو خان ثلاثمائة ألف فارس مثل كتبغا ، فافرض أنه نقص واحد منهم . فقال له قطز : لا تفخر

(١) اللقريزي الخطاط ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٢) أبو القدا ج ٣ ص ٢٩٤ .

(١) السلوك للقرنيزي ج ١ ق ٢ ص ٣٢٠ .

(٢) بلدة بين نابلس ونيسان من أعمال فلسطين

على الإسلام حتماً مقضياً والتغير مجرى التاريخ وبخاصة أن الصليبيين كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر ويتحينون الفرص للتحالف مع التتار ليكونوا جبهة واحدة ضد المسلمين ، وقد استحققت مصر بعد هذه المعركة زعامة العالم الإسلامي من جدارة ! وأصبح العالم ينظر إليها نظرات الإكبار والإجلال إذ أنها الدولة الوحيدة التي استطاعت أن تزدود عن الإسلام ، وتدفع عنه شر الصليبيين وخطر التتار ، مما يدل على أصالة هذا الشعب وعراقتهم في الكفاح والنضال وتعشقه للحرية وبذله النفس والنفيس في سبيلها ، وتضحيته بالأموال والأرواح في سبيل عزته وكرامته بل وفي سبيل عزة العرب قاطبة والآلة الإسلامية جمعاء .

وقد كانت هذه المعركة الموقعة في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ستائة وثمان وخمسين وكما نهر الله في هذا الشهر العظيم المسلمين الأولين في غزوة بدر وأثابهم فيه فتح مكة أنعم على المصريين بالفوز والظفر في معركة عين جالوت .

(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) .

عمود محمد شكري:

مدرس بالمحلة الكبرى الثانوية للبنين

إلى هذا الحد بفرسان توران فإنهم يزاولون أعمالهم بالمسكر والخماد لا بالرجولة والشهامة) .

وكانت آخر صيحة (لكتبنا) أن سب سلاطين المماليك الذين ترفعهم الصدف ، ويتخذون من قتل سادتهم وسيلة للوصول إلى الملك ثم أشاد بوفاء بنى جنسه ، ومدى احترامهم للقانون فقال : إني كنت عبداً لذلك ما حييت ، ولست ما كراً وغادراً ، وقاتلاً لمولاه ، بادر بالقضاء على بأسرع ما يمكن حتى لا أسمع نأفيليك ، فأصدر قطار على الفور أمره فأحترت رأسه ، وطيف بها في البلاد (١) .

ثم واصل قطز سيره بالجيش حتى دخل دمشق دخول الفاتح المنتصر ، وبهذا النصر دخلت الإمارات في سوريا من الفرات حتى حدود مصر تحت حكم المماليك .

وتعتبر موقعة عين جالوت من المواقع الحاسمة في التاريخ لأنها أول هزيمة لهؤلاء البرابرة المتوحشين ، ثم إنها أزال الحرافة التي استقرت في أذهان الناس ، وجعلتهم يعتقدون التتار قوم لا يظلمون ، ووقفت حداً منيعاً دون تقدم التتار إلى مصر ، لأنهم لو انتصروا في هذه المعركة لكان القضاء

فجر الفكر الإسلامي في مصر

لأستاذ عبد الجليل شلبي

- ٢ -

تأخرت الحركة الفكرية في مصر عن أختها في الشام والعراق - في الوقت الذي كانت العلوم العربية فيه نمت وقاربت الازدهار في العراق كانت الحركة الفكرية في مصر لا تزال في بدايتها - كانت الفسطاط بؤرة هذه الحركة وقد انتقل منها شعاع ضئيل إلى ما حولها - ولم يظهر شيء منه في أطراف الريف - زد على ذلك أن حركة الفكر في العراق تنوعت فلم تقف عند حد الفقه والقشريع ، وإنما ظم - فيها النحوي والتاريخ والأدب وظهرت مبادئ الجدل في علم الكلام وغيره .

وكانت الشام أقل من هذا ولكنها كانت أسبق من مصر كما كانت الحركة فيها أيضاً أكثر تنوعاً .

وفي الأدب بصفة خاصة تأخرت مصر عنهما كثيراً .

وفي تاريخ مصر نجد شيئاً يدعو إلى الدهشة أو هو هكذا في ظاهره . ذلك أن مصر أقبلت على الإسلام ، وأسرع شعبها إلى الدخول فيه بما لم يحدث مثله في العراق ولا في الشام - فن ناحية تأخر هذان الإقليمان ولم يسرعا إلى الإسلام أول ما فتحت بلادهما ومن ناحية أخرى ظل عدد كبير من أبناء

البلاد على دينه المسيحي ، وكثيرون من أبناء الفرس أسلموا ظاهراً وأبطنوا عقيدتهم التي كانوا عليها - ولا سيما ظهرت الزندقة بقوة في العراق دون غيره ، ونظمت فيه حركة سرية للبوالي ، كان عمر بن الخطاب ضحيتها ، وفي العصر العباسي كان مظهر المجون والخروج على وقار الدين ، ولم يحدث شيء من هذا في مصر - ومع هذا تأخرت حركة الفكر فيها . لا ينبغي في مقام التعليل لهذه الظاهرة ، أن نعلق أهمية كبيرة على سبق الفتح - فقد فتح الإقليم قبل مصر بأقل من عشرة أهوام ولكن سبقها بأكثر من ذلك بكثير في حركة الفكر . وأهم سبب دعا إلى ذلك في نظري هو مسألة اللغة - فقد كانت اللغة العربية أشد غربة على المصريين مما كانت على الآخرين .

أما الشام فكانت تشارك مصر حقاً في صفة الحكم ، واللغة الرسمية في الإقليم هي اللغة اليونانية حتى في العهد الروماني كما كانت توجد الرومانية أيضاً ، ولكن الشام كانت تتوزع بأرضها لغات سامية هنا وهناك : السريانية والعبرانية والآرامية ... وكانت الآرامية أوسعها انتشاراً وهي التي كان يخاطب بها المسيح

الحيرة إمارة عربية مدة تزيد على ثلاثة قرون ونصف القرن ، وعاشت إمارة الفساسة في (جلق) مدة أطول ، وكان لها دور مائل في التقريب بين الشعبين واللغتين .

بجانب هاتين الإماراتين كانت هناك قبائل عربية تنزح من أواسط الجزيرة فتعيش على حواشي العمران طلباً للدرع وماعانٍ في الخيرات وأحياناً للغزو ، وهذه عملية تقريب أخرى وكان كل من الفرس والرومان بسبب هؤلاء العرب وما لهم بهم من صلة يبعثون بمتاجرم إلى داخل الجزيرة ، حتى ليستظهر بعض مؤرخي الإفرنج أنه كان بمكة بيوت تجارية رومانية . أما متاجر العرب التي كانت تنجبه إلى الشمال فكانت تصل إلى أيلة والعقبة ، ومنها إلى غزة فتصل بتجار البحر الأبيض ، ويرسل بعضها إلى مصر بواسطة تجار أجانب وقليلاً أو نادراً ما يسكنون عرباً - فإذا قدونا ما للتجارة - من قديم - من أثر في نقل الحضارة وتقارب اللغة وتغذية اللغات بالألفاظ من هنا ومن هناك - أدركنا أن مصر حرمت حاملاً تتمتع به الإقليمان الآخران .

هذا كله ونحن لا ننسى أن الهجرات البعيدة للساميين وموطنهم الأصلي هو الجزيرة ربطت بين أطراف الهلال الخصيب برابطة الدم والجنس وقربت اللهجات فلم تسكن كل هذه البلاد غريبة على العرب ولا لغة العرب جديدة عليهم كما هو شأن المصريين .

عليه السلام ، وهي أقرب الساميات إلى العربية فالعربية ليست بعيدة ولا شاقة على تلك البقاع . وأما العراق فكان للعرب بها صلة سفينها الآن ، ولم يكن لمصر هذا ولا ذاك ، ولهذين السببين نجد اللغة العربية في العهد الجاهلي حوت ألفاظاً من الفارسية وأخواتها الساميات ولم تحو شيئاً أصلاً من لغة المصريين .

فاللغة العربية إذن كانت غريبة على المصريين في نطقها وتركيبها وألفاظها فشق عليهم تعلُّمها بما لم يشق على الآخرين . ولم تقتصر هذه اللغة في مصر إلا في القرن الثالث الهجري ، وحققاً إن اللغة في العواصم غيرها في الريف ولكن هذا التأخر في اللغة يستلزم تأخراً في الفكر على أي حال .

هناك أمر ثانوي لا يتصل بموضوعنا مباشرة ولكنه ذو صلة بتأخر اللغة في مصر ذلك أن العرب لم يكن لهم بمصر قبل الفتح صلات قوية كالتي كانت بين العراق والشام ، ففقر المكان والإمارات العربية على تخوم الإقليمين أنشأت بينهما وبين العرب نوعاً من المزج لم يقيس مثله للمصريين ، ولم يكن من شأن هذا المزج أن يقف عند عملية الاختلاط ونقل الحضارة ؛ بل كان أبعد من ذلك أثراً حتى نجد الأمير (بهرام جور) ولي عهد الشام يزدجرد ، ينشأ بين حرب الحيرة ويتعلم العربية ، ويستعين فيما بعد بقوة عربها على توليه عرش فارس ، وقد ظلت إمارة

وكانت مصر مهد الرهبنة واهتد نظامها ونظام أديرتها إلى بلاد بعيدة جداً ومنها الشام والجزيرة - وإذا كانت شهرة إكليمنصو Climent وأوريجانوس من الأسماء اللامعة في تاريخ الدعوة المسيحية فيجب ألا ننسى أن تلاميذهما الذين قاموا بنشر الدعوة كانوا جنوداً مجهولين حملوا تعاليم الرهبنة وعملوا بنوع ما على مزج مصر بما حولها .

ومن تلاميذ مدرسة الإسكندرية المسيحية د. هلا ريون ، الراهب الذي استقر بغزة ولحق الرهبنة أكثر من ثلاثة آلاف تلميذ مخلص فرقمهم في الجهات التي حوله ونزل الجزيرة منهم عدد كبير - ونحن نعلم أنه كان بالجزيرة مركز للدعوة النصرانية ونعلم الدور الذي لعبه في تاريخ العرب فلنذكر أنه خلال القرن الرابع الميلادي - وهو عهد نشاط الدعوة المسيحية في مصر كان الأسقف على نصارى العرب هو الناسك موسى المصري . وفي هذه الفترة المسيحية هاجر أيضاً بعض العرب إلى مصر لسبب أو لآخر .

هذه الصلات على أي حال تعتبر صلات هينة يجانب صلات العرب بكل من العراق والشام ، وقد ذكر السيوطي أن قبط مصر يفخرون بأن منهم من صحب النبي وهو يعنى جبرئيل عبد الله القبطي الذي أرسله المقوقس بهديته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانظر

ولست أريد بهذا كله أن أنفي صلة مصر بالجزيرة والعرب ولعل من الأوفى أن أشير إليها لنتم بها الموازنة ، ولكن لا يدخل في حسابنا هجرة الحاميين ولا حتى الساميين الذين وفدوا على مصر واستوطنوها في تاريخها الجفسي المعروف فهذه هجرات لم يكن من شأنها أن تقيم علاقات فكرية أو اجتماعية أو تبقى على صلات بين محل إقامتها ومهدا الأول ولكننا نجد فيها حول عصر الميلاد صلات تجارية وفكرية .

وفد على مصر تجار من الجزيرة عن طريق البحر الأحمر وممالك الصحراء الشرقية وقامت لهم بصعيد مصر أسواق صغيرة أو ما يشبه الأسواق واشتهرت منها مدينة قفط ولعلها لم تكن السوق الوحيدة لتجار العرب - وربما كانت أشهر سكان وأكبره لتجارهم لأنها تشبه العاصمة حتى أن اليونان سمو مصر كلها باسمها فقالوا : ايجبت ، وسموا المصريين Coptic وتحدث عنها المؤرخ الشهير استرابو Strabon المعاصر لهذه الفترة ٦٥٠ ق م - ٢٤ م ، فوصفها بأنها نصف هربية . ولكن ليس لدينا معلومات عن طريق التعامل ولا كيف كانت تصرف هذه المتاجر .

وأول صلات فكرية هي التي جاءت في العهد المسيحي - فقد نشطت مصر في الدعوة المسيحية ، وقام عدد من رهبانها بالكراسة خارج مصر -

مظاهر المفاخرات بين المسلمين وغير المسلمين وبين المسلمين بعضهم وبعض - من رجال الفقه والسكلام والنحو والادب والسياسة - وظل قبط مصر الباقون على مسيحييتهم يجاورون من أسلم منهم ومن وفد من مسلمى العرب فى همدوء وصداقة - ويدنا نشطت العلوم التى ذكرنا هناك قام بمصر التصوف العلى لا الفلسفى - وكما كانت مصر مهد الرهينة فى العهد المسيحى كانت مهد التصوف فى الإسلام .

والعقلية المصرية تقاين عن العقلية العراقية فى طبيعتها تباينا واسعا أخصه أنهم هناك ذوو فلسفة وجدل وتعليل وتحليل ، ونحن هنا نقبو أذواقنا عن هذا النوع ولهذا لم تستطع مدرسة الاسكندرية أن تطبع فى نفوس المصريين أثرا واضحا فظلت طوال عهدها تمثل مدرسة أجنبية بين المصريين واستفاد منها الأجانب أكثر مما استفاد المصريون ، ولو أنها تركت فى نفوسهم أثرا كالأثر الذى تركته الديانة الفارسية فى عقول العراقيين لكان للحركة الفكرية عصر الإسلام شأن كالذى كان بالعراق ولما تأخرت أيضا ولكن هذا الذى كان .

عبد الجليل - لمبى

كيف يفخرون بشخص واحد ومن يشبهه فى هذا من الشام والعراق لا يحصيهم العد . وهناك شيء آخر لا يقل أهمية عما ذكرنا وهو طبيعة الإقليم وقطرة السكان فالعراق قطر نشيط مطيع مخلص ومصر إقليم متعدين متعبد . هذه الصفات لها أثرها فى توجيه الحركة الفكرية خصوصا إذا لاحظنا الحركة السياسية .

فالعراق منذ فتحه يشارك فى أحداث السياسة والعداء بينه وبين الشام مستحكم منذ زمن الفرس والرومان - فلما غلب على أمره فى ميدان السياسة وجه نشاطه إلى الحركة العلية ، والشام ظفر بمقر الخلافة ، ودار الحكم لبى أمية ، وهؤلاء لم يكن من مهمهم تشجيع الحركة الدينية فنشط هناك أدب النفاق والمدح ولم تنشط كما فى العراق حركة الفكر والمناظرات ، ولأمر ما كانت النقائض - وهى نوع من المناظرات والجدل - تلقى بالمربد والسكساسة - سوقى العراق - ولم تقم مثل هذه بالشام ، ثم نجد نحو أكوفيا وآخر بصريا ولا نجد نحو دمشقيا ، أما مصر فدفعها نزعة التدين إلى العناية بعلوم الدين رغم حاجتها أكثر من أختها إلى صناعة النحو ، وتقويم اللسان .

هذه الصفات هى سبب الهدوء فى مصر والثورات فى العراق - كثرت فى العراق

النيل في مؤلف مصري قديم لداستان محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

لأقليم مصر مشتملا على أمور عجيبة ، استخرت الله تعالى أن أجمع فيه من الغرائب ما لا ينفى لذوى العلم إهمالها وكيف ؟ وكلهم أو أكثرهم لو سئل عن نهر النيل من أين يخرج من الأرض ، وفي أى مكان يذهب ؟ . لما أجاب عن ذلك ، وأنا إن شاء الله مبين لجميع ذلك ، قاصداً فيه الاختصار . .

وفصول الكتاب تبدأ بالفصل الأول في بيان فضل النيل ، ثم يليه الفصل الثانى في المكان الذى يخرج أصل النيل منه وبيان سبب خضوته ، وبلى ذلك عدة فصول من : الأهرام ، وكورة أسسوط ، والحائط الممتد بالجانب الشرقى من النيل ، والمقاييس لمعرفة زيادة النيل ونقصانه ، والمكان الذى يذهب فيه ماء النيل ، والانهار الأربعة وهى سيمحون وجيمحون والفرات والنيل ، والفرق بين البحر والنهر ، وأنواع الماء وما يستعمل فى الطهارة ... وبذلك ينتهى الكتاب .

- ٢ -

والكتاب ذو أهمية كبيرة لما يشتمل عليه من حقائق علمية أكدتها الكشوف العلمية الحديثة .

الجلال المحلى المفسر المشهور ، المعروف بجلال الدين المحلى الشافعى ، عالم مصرى طاش فى القرن الثامن ، وطارت شهرته فيه . وفى عام ٧٨٠ هـ ألف كتاباً صغيراً سماه مقدمة النيل السعيد وشرح أحواله ، وذكر عجائب وغرائب ، ومن أين يجىء ، وإلى أين سينتهى (ص ٢٣) .

وقد طبع هذا الكتاب فى القاهرة منذ أكثر من مائة عام وذلك عام ١٢٨١ هـ كما جاء فى آخره ، د تم طبع ما جمعه الإمام الجلال المحلى الجليل فيما يتعلق ببيان أحوال النيل ، على ذمة الشيخ النجيب ، الشيخ اسماعيل معنوق ، الشهير بالطار ، بالمطبعة البهية الكائنة بخط باب الشعرية ، بتجميع الفقير مصطفى وهبى .

ويقع الكتاب فى ٣٨ صفحة من القطع الصغير ، ويشتمل الكتاب على مقدمة صغيرة وعدة فصول .

وجاء فى المقدمة : ووى من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : أربعة لا تشيع من أربع : عين من نظر وأثنى من ذكر ، وأرض من مطر ، وعالم من خبر ، ولما كان

١ — يذكر الجلال المحلى في الكتاب نقلا عن الجغرافيين العرب من أمثال السكندى والمسعودى ، أن النيل يخرج من جبل القمر خلف خط الاستواء (١) من هشرة عيون ، خمسة تجتمع في بطيخة (٢) ، وخمسة تجتمع في بطيخة ، ثم يجتمع بذلك الماء ، فيجرى على وجه الأرض نحو اسمعانة فرسخ ، وقيل ألف فرسخ ، في غمرها وغمرها ، من عمران وخرب ، حتى يأتى بلاد أسوان ، من صعيد مصر ، وإلى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر ، وعلى أميال من أسوان جبال وأحجار يجرى النيل في وسطها ، ولا سبيل إلى جريان السفن فيه . وهذا الموضع فارق بين مواضع سفن الحبشة في النيل ، وبين سفن المسلمين ، ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ، ثم يأتى المسطاط فيقسم إلى خلجان : إلى بلاد تنيس ودمياط ورشيد وإلى اسكندرية ، كل يصب إلى البحر

ويذكر أن أحمد بن طولون في سنة نيف وستين ومائتين بلغه : أن رجلا بأهلى مصر من الصعيد ، له ثلاثون ومائة سنة ، من من الانباط ، ممن يشار إليه بالعلم ، وأنه

(١) حيث يستوى الليل والنهار وأضيف إلى القمر لأنه يظهر تأثيره فيه عند زيادته ونقصاته بسبب الدور والظلمة والبدو والحق (ص ١٧٢ من الكتاب)
(٢) مكان ينبطح من الأرض . والمراد بحيرة .

علاسة بمصر وأرضها من برها وبحرها وأخبار ملكها ، وأنه عنى صافر الأرض ، وتوسط المالك ، وشاهد الأمم أبيضها وأسودها ، وأنه ذو معرفة بأنواع هيات الأفلاك وأحكامها . فبعث إليه ابن طولون ، وأخلى له نفسه في ليل وأيام كثيرة ، يسمع كلامه وإبراده وحكاياته ، فكان فيما سأله عن طول الأجناس وبما لكم ، قال : لقيت من ملوكهم ستين ملكا في مالك مختلفة ، كل منهم يذرع من يلمه من الملوك ، وبلادهم حارة يابسة ، ثم سأله عن منتهى النيل في أعلاه ، فقال : البحيرة التى لا يدرك طولها وعرضها ، وهى نحو الأرض التى فيها الليل والنهار مستويان طول الدهر .

٢ — ويذكر الجلال المحلى أنه حكى له بعض من أقام بالحبشة أن الغمام والمطر يستمر عندهم في أيام زيادة النيل ليلا ونهارا في أعلى النيل ، وأن المطر يكثر جداً في بعض السنين ويقل جداً في بعضها ، فيعرفون كثرة النيل وقلته بسبب ذلك .

٣ — ويذكر الجلال أن مصر كانت وطن الأنبياء والمرسلين والاسباط وذى القرنين الإسكندر ، والحكماء اليونانيين ، والفلاسفة المتقدمين ، وذوى الهيمنة والآلة والطلاسم والرسد والحركات والنجومات والمساحات والجبر والمقالات وغير ذلك : كهرمس ، وبقرات وجاليفوس وفيثاغورث والينوس وغيرهم .

ويقول الجلال : إن على كور مصر ١٢٠ ألف رجل معهم المساحي والآلات ، سبعون ألفا على الصعيد ، وخمسون ألفا لأسفل الأرض ؛ لحفر الخللجان وإقامة السدود والجسور والقناطر وسد الترع وقلع القصبان والحلفاء وكل نبت يضر بالأرض^(١) .

ه — ويشير إلى مصب ماء النيل في البحر هند شواطيء مصر^(٢) .

٦ — وما ذكره عن الفرات ودجلة وسبعون وجيحون يشير العجب لدقته العلمية المتناهية^(٣) .

— ٣ —

والكتاب مع صغر حجمه يشير الاهتمام لصحة معلوماته ، وكثرة إحاطته ، ودقة تفاصيله ، وإلمامه بالوصف الجغرافي الدقيق للنيل ومصر وما يتصل بهما .

والجلال المحلى بهذا الكتاب جدير بأن يوضع مع الجغرافيين العرب في مكان بارز . وهذا الكتاب جزء من تراثنا القومي الذي نرجو أن تمتد إليه يد العناية ، وأن يلقى من الاهتمام ما يستحقه ، فينشر نشرًا علميًا محققًا ، ليحتل مكانته في المكتبة الجغرافية العربية القديمة ؟

محمد عبد المنعم غفادي

وينقل المؤلف أوصافاً شعرية جميلة عن كعب الأحبار الذي يقول : من أراد أن ينظر إلى شبه الجنة فليتنظر إلى مصر إذا أزهرت ، وإذا طردت أنهارها ، وتهذبت ثمارها ، وفاضت بحارها ، وغنت طيورها ؛ ومن عبد الله بن عمر حيث يقول : من أراد أن ينظر إلى شبه الفردوس فليتنظر إلى مصر ، حين يخضر زرعها ، ويزهر ربيعها ، ويكثر بالنور أشجارها .

ويروى عن المسعودي في مصر : هي ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مسكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء وثلاثة أشهر سديكة ذهب حمراء ، فإن مصر في شهور أيب ومصرى وتوت يركبها الماء ، فترى الدنيا ينعاء ، وفي شهر بابة تنكشف الأرض ، فتصير أرضاً سوداء وتكثر فيها الزراعات ، وللأرض وائح طيبة تشبه رائحة المسك ؛ وفي شهر طوبة وأمشير وبرمات يكثر عشب الأرض وقبائها فتصير الدنيا خضراء كالزمردة ، وفي شهر برمودة وبشنس وبؤونة يبيض الزرع وينور العشب فيشبه الذهب في المنظر .

٤ — ويذكر الجلال أن مساحة أرض مصر التي تروى بالنيل عامرها وغامرها ٣٠ مليوناً من الأفدنة ... وإذا كان هذا صحيحاً في الزمن القديم حيث تقشع مياه النيل وتذهب إلى كل مكان ، فإنه غير صحيح اليوم حيث أصبح لمياه النيل حجار وفروع محدودة .

(١) ص ٩ من الكتاب .

(٢) راجع ص ٢٤ من الكتاب .

(٣) راجع ص ٢٧ وما بعدها من الكتاب .

براعة التصوير في شعر الأندلسيين للأستاذ محمد محمد خليفه

بين أقطار الخير والنمرين ، وإنه لبديع
تصويره النسمة بطائر في قوله :

يا هبة باكرت من نحر دارين

وافت إلى على بهد تحييني

مرت على صفحات النهر ناشرة

جناحها بين خيبري ونمرين

ونأخذنا براعة التصوير حين نقف

على الصورة التي يقدمها الشاعر للبد والجزر

في نهر إشبيلية ونذكر حسن تعليقه لها ،

وكانهما ليسا من فعل الطبيعة حين يكشف

عن معركة بين الفسيم والنهر ، تلك المعركة

التي انتصر فيها الذئب فشق جيب قبحر النهر

وولى هاربا وراء الشاطئ ، وخرج النهر

من شاطئيه وانفلت من قيده ، وخرج عاريا

محتدا يطلب ثأره ، فضحكت الخائم هازئة ،

ثم عاد بين الشاطئين ، وضم إليه إزاره خجلا

من الورق كل ذلك يبدع فيه حيث يقول :

شق النسيم عليه جيب قيصره

فانساب من شطيه يطلب ثأره

فتضاحكت ورق الحمام بدوحها

هزا فضم من الحياء إزاره

للطبيعة الساحرة التي عاش بين أحضانها

الأندلسيون أثر في تلك الصور الفنية الفاتنة

التي غنى بها الشعر الأندلسي ، فقد استلهموا

الطبيعة بدائع الصور فألهمتهم ، واستوحوا

لوحات من الفن السامى فألهمتهم آياته ، تلك

الطبيعة هي التي سحرت ابن خفاجة فعاش

مفتونا بسحرها ، يشدو بنغماتها ، ويترجم

هن لمساته ، ويغري الأندلسيين بالتمتع بجنان

الحلد التي يعيشون بينها فيهتف فيهم :

يا أهل أندلس لله دركم

ماء وظل وأنهار وأشجار

ما جنة الحلد إلا في دياركمو

ولو تخيرت هذا كنت أختار

لا تحسبوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا

فليس تدخل بعد الجنة النار

ولقد حاكوا الطبيعة فيما قدموا من صور ،

واقفون فيما رسموا من ألوان ، وأعملوا

قرايحهم في إبرازها حتى لكأننا نلصقها بحسمة

في الشعر حين نقرأ لابن سقر المريفي ، وهو

يتحدث عن النسمة التي هبت من (دارين)

على النهر ، ومرت على صفحته ناشرة جناحها

في هذا الجو ، ثم انتزع الصورة المعبرة
فقال :

وعلا بنا سكر أبي
إلى الإنابة البحارم
نرى قلانسنا له

ونجى من هذب العائم
وما أروع تلك الصورة المباحنة أتى يبدع

فيها ابن شهيد ، فيقدم مجلسا من مجالس الخمر
قام يرقص فيه ، وهو مشلول يتكى على عصاه ،
ويتعنى لو عاد إليه شبابه ، وراجعته عافيته
ليسير على رأسه راقصا في حضرة مليكة
ثم يتحدث عن إبريق الخمر ، وضحكة من منظره
الرائع المرتعش ، ثم يتحدث عن بكاء الإبريق
حين رأى شلله ، ولم تكن دموعه غير الخمر
التي يتعاطاها الندماء ، كل ذلك يسوقه
في قوله :

هاك شيخ قاده السكر لسا
قام في رقصته مسهلكا
لم يطق يرقصها مستثبنا
فانثني يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا

يفترس أخفى عليه فاتكا
أنا لو كنت كما تعرفني
قت لإجلالا على رأسي لكا
فمقه الإبريق مني ضاحكا
ورأى رهشة رجل فبكي

وفي صورة أخرى يرى الشاعر غلاما جميلا
يستحم في النهر ، وقد تعلق بزورق يسير معه
حيث سار ، فيقف مع تلك الصورة ، ومعه
قريحته يرى ثم يصور ذلك الغلام (البدر)
وهو في وسط اللجة يلمع ، وقد جعل الماء
سما له ، يصبح فيها مرتبطا بانفلك
فيقول :

انظر إلى البدر الذي لاح لك
في وسط اللجة تحت الحلك
قد جعل الماء سما له
وصير الفلك مكان الفلك
ويرى شاعر آخر صورة الشهاب ، ينقض
من السماء ، مخترقا ظلمة الفضاء فيربط بين هذه
الصورة ، ومنظر الفارس يعدو على جواده
وقد حل الإعصار عمامته البيضاء ، فطاوت
من خلفه مستطاية ، فيربط بين الشهاب وسرعته
وعمامة الفارس ، وهي في يد الريح وراء الفارس
وذلك في قوله :

وكوكب أبصر المغرب مسترقا
للمسمع فانقض يذكر لإثره طبه
كفارس حل إحضار عمامة
بجرها كلها من خلفه هذبه
وفي صورة ماحضة معبرة يقدم ابن شهيد
عبث السكارى ولهوهم ، بعد أن فعلت الخمر بهم
ما فعلت ، ولعبت برؤوس شاربها فطوحوا
قلانسهم ، وجذبوا أطراف عائمها ، وقنعاش

ويرى شاعر مدينة بلنسية الجميلة ، وقد
حفت بالأشجار الباسقة الناضرة واحتجبت
منازلها وراء الأرواح ؛ فتخيل أنها الكاعب
الحسناء ، وأنها ارتدت ثوبا سندسيا ، وكأنها
تسترت بأكامها خجلا حتى لا تظهر للرائي
أو القادم ، إنه فعل العذارى الجميلات في عهد
الخضر والحياء ، فاستمع إليه يقول :

كان بلنسية كاعب

وملبسها سندس أخضر

إذا جثتها سترت نفسها

بأكامها فهي لا تظهر

وفي مجلس من مجالس الخمر والغناء يرسل
ابن حمديس الصقلي (ريشته) فيرسم لوحته
الناطقة في تلك الهالة التي تولفها رشاقه الهيف
تعلو من الوجوه القمرية ، ويتخيل ملك اللهو
وهو يرى الهموم تشور فيقتلها ، وتتولى القيان
التي تعزف على أوتارها تسكين الأحزان
وهو بين معانقة عودها ، ومقبلة مزمارها
- هذه صورة يقدمها ابن حمديس في قوله :

وهكذا إلى هالة أطلعت

على قصب البان أقمارها

يرى ملك اللهو فيها الهمو

م تشور فيقتل ثوارها

وقد سكنت حركات الآسى

قيان تحرك أوتارها

فهذى تعانق لي عودها
وتلك تقبل مزمارها
ويقف ابن شرف القيرواني أمام منظر
الفجر ، وقد اكتسى الأفق بالحمرة وتساقط
وذاذ الندى ثم يلقي نظرة على النجوم ، وهي
تختفي أمام نور الصبح ، فيصور الفجر غلاما
ظهرت حمرة الخجل في خده ، وهشى عرق
الحياء فيه ، ثم يصور الخجل وقد تجاوز
الدليل إلى نجومه فتساقطت تساقط الأوراق
فقال :

وألح الفجر خذا خجلا

جال من رشح الندى في عرق

جاوز الليل إلى أنجمه

فقساقطن سقوط الورق

وكتب ابن زيدون وهو في الزهراء
(ضاحية بناها الناصر إلى جانب قرطبة)
وكانت آية في الفن) وقد ثار به شوقه
إلى ولادة (محبوبته) فصور لها شوقه
وذكرها لها في صحوه الجوى واحتلال الأنسام
في الأصائل إشفاقا عليه ، ثم صور الروض
والماء الفضى البسام الذي يحلى صدره ثم ذكر
أن منظر الماء الفضى يحكى مكان أطواقها
على صدرها حينما تحلها هنا ، وذلك ما يقدمه
ابن زيدون في قوله :

لأنى ذكرت لك بالزهراء مشتاقا

والأفق طلق ووجه الأرض قدواقا

وللنسيم اعتلال في أصاقله
كأنما رق لى ؛ فاعتل إشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتم
كما حلتك عن اللبات أطواقا

وكما صور ابن زيدون الروض ، وابتسام
الماء الفضى فيه ، أبرزه الوزير ابن همار
في صورة أخرى فشبهه في توشية الزهر له
وتساقط حبات الندى عليه بالحسنة التي لبست
ثيابا موشاة ، وتقلدت بالجوهر ثم نظر
إلى صورة النهر في بياضه ، والروض يطل عليه
فشبهه بالمعصم الأبيض الصافي ، وقد أطل عليه
رداء أخضر وذلك في قوله :

والروض كالحسنة كساه زهره

وشيا وقلده نداء جوهرها
روض كأن النهر فيه معصم

صاف أطل على رداء أخضرا

أما إمام وصافي الطائفة ابن خفاجة فيزجي
لنا صورة جميلة للنهر المتدفق في البطحاء
ويرسمه في تعطفه كالسواد ، ويصوره في بياضه
والزهر يحيط به بنهر الحجر (البياض الذي
يبدو في السماء) والنجوم حواليه ، ثم ينظر
إلى النهر في تعطفه ، والرياح من حوله فيرى
أنه قرص من الفضة ، وضع فوق بردة خضراء
ويبقى نظرة أخرى على الأغصان وهي تحف
بذلك النهر الصافي من جانبيه فيتخيّل أنها
الحطب التي تحف بالمقلة الأوراق ثم يرى انعكاس

أشعة الشمس في وقت الأصيل على النهر
الأبيض فيبرز تلك الصورة بعد أن أضاف
فيها المشبه به إلى المشبه (ذهب الأصيل)
(لجين الماء) .

ذلك ما يقدمه ابن خفاجة في قوله :

لله هر سال في بطحاء
أشهى ورودا من لى الحسناء
متعطف مثل السواد كأنه
والزهر يكتفه بحر سماء

قد رق حتى ظن قرصا مفرغا
من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الفصون كأنها

هدب تحف بمقلة زرقاء

والريح تعبت بالفصون وقد جرى

ذهب الأصيل عن لجين الماء

وهذه لوحة أخرى يقدمها ابن خفاجة
ولكنها لوحة تصور قصة عاشق فيها الفاهر
ليلة طويلة خفيفة في مفازة وقد لمع في السماء
كوكب الشمرى وكأنه في تلمبه في الظلام
دينار يلمع في كف زنجى الدجى وقد لفت
الظلة الشاعر ، وراحه فيها ذئب ألم به مع الدجى
وقد تساقط الندى لحملته ريح الصبا وبللت
فيها فروة الذئب ، فاقشعرت وفي هذه الظلام
نظر الشاعر إلى مقلة الذئب يتطاير منها الشرر
فهاج بأسه كذلك ونقلنا الشاعر بعد ذلك إلى
الدجى ، وقد خلع عليه خلة كانت أزوارها

أضواء النجوم التي تلمع من بعد على صدره ،
 وذلك كله يقدمه ابن خفاجة في قوله :
 ومفازة لا نجم في ظلماتها
 يسرى ولا فلك بها دوار
 تطلب الشمري بها وكأنها
 في كف زنجي الدجى دينار
 قد لفتى فيها الظلام وطاف بي
 ذئب يلم مع الدجى زوار
 يسرى وقد نضح الندى وجه الصبا
 في فروة قدمها افشعرا
 فحشوت في ظلمات لم يقدح بها
 إلا لمقلته وبأسمى نار
 ورفلك في خلع على من الدجى
 عقدت لها من أنجم أزرار
 وهكذا نرى الشعر الأندلسي غنيا بصورة
 المحركة الفسح البديعة الألوان ، حين تصويره
 لمجالس الخمر والغناء ووقوفه على جمال الفن

وحين يشهد الطبيعة وقد وشت يدها كل شيء
 في الأندلس ؛ فبدت البلاد وكل ما فيها جميل
 يراه الشاعر نعيم الروح فيتعنى أن يعمر
 ليمتد حياته بين أحضان ذلك النعيم ، وتلك
 هي الأمنية التي هتف بها ابن سفر
 المربى :
 يا ليت لي عمر نوح في إقامته
 وأن مالى فيه كنز قارون
 كلاهما كنت أفتيه على نفوا
 تالراح نهبا ووصل الحور والعين
 ونكاد حين نمر بالصور التي قدمها الشعر
 الأندلسي ننسى أن الزمن طواها ؛ بل عاها
 منذ خمسة قرون ، ونكاد حين تقف ساحة
 على ذلك التراث الخالد نتدع أنفسنا بأنه حى
 تشهد العيون ، وأنه لا يحمل الذكريات النائية
 بل يحمل الحقيقة التي لا تغيب .

محمد محمد خليفة

أرفع مراتب الفن

د أرفع مراتب الفن ... فن يحس إنسانيتنا بالتكريم ، ويهيى على مشاعرنا بالحب ،
 ويمحق أحاسيسنا بالعون ... فأية كريمة تجنبنا عيوبنا ... وآية تحث على فضيلة ... ويبت
 يغمرنا بالركة ... وكلية تستل السحيمة ... كل ذلك ... هو الفن ... فن الحب للحياة ...
 لحياة أفضل ... وهمل أسى ... وأخوة نبيلة .

الكتاب

نقد و تعریف : محمد عبد الله السمان

النظائر الاجتماعية في الإسلام :

تأليف الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

عرض وتقديم : الدكتور نعام أحمد فؤاد
هذا هو موضوع كتاب اليوم أو خط
هریض من خطوط الشريعة الإسلامية .

كتاب (التكافل الاجتماعي في الإسلام)
لمؤلفه الأستاذ الجليل الشيخ (محمد أبو زهرة)

تعميق لمفهوم التضامن الاجتماعي على ضوء
الشريعة الغراء بأسلوب علمي ، فمك من كتب
عاجلت ، الاشتراكية ، ولكنه علاج مرسوم
بمعنى أن أصحابها عندما فكرة جاهزة يريدون

سنداً لها من الدين أو تطبيقاً سابقاً . وهنا
يفضرون إلى افتعال التخریج والتفسير

مع أن الاشتراكية الحققة معنى إنساني نبيل
إذ تستهدف تحرير الإرادة الإنسانية من رق

الاستغلال والاضطرار والقهر والتبعية ،
ولكن الشيخ (محمد أبو زهرة) أستاذاً

لمادة الشريعة الإسلامية يعرف جوهرها
ومراميها وأسرار حكماتها ؛ فهو يعرفنا بها

تعريف المتمكن المصدق ويناقش على هديها

مختلف الآراء والمذاهب ثم يرجع ما يلتقي
مع روحها منه في جمهرة الحق لا تعرف
مواربة أو جمجمة فالكتاب من هذه الناحية
(ثقة) يعتد به . وما بالقليل أو الهين الشأن
أن يكون الكتاب صادقاً وأميناً .

استهل الأستاذ الجليل كتابه بالتنويه
بضرورة الرأي العام ، فالإسلام (جاء لإيجاد
مجتمع فاضل تتعاون فيه كل القوى بحيث
لا يظفي فريق على فريق وأول مظهر للمجتمع
الفاضل في الإسلام ، هو وجود رأي عام
فاضل يتعاون على الخير ودفع الشر ...)

وإن الرأي العام له رقابة نفسية فإذا صلح
هذب الآحاد والجموع ، وإذا فسد وتقايس
فسد المجتمع . (وأن الجماعة كلها تكون آئمة
إذا رأت الشريسيير رافعا رأسه وسكنت
عنه . وأن الأمة كلها تعتبر مشتركة مع الآئمين
إذا رأت الإنثم ولم تعمل على منعه ، ولقد ذم
القرآن الكريم بنى إسرائيل لأنهم أنسدوا
مجتمعهم بترك الآئمين يرتعون في إثمهم من غير
أن ينهزم . . . لعن الذين كفروا

الوضعي الذي قد يوجد في النفس ما يبرر مخالفته . فإذا لم تحقق العبادات هذا الهدف البعيد غدت قشوراً بلا جوهر وزيفاً خادعاً .

وفي ضوء هذا الفهم العميق مضى الشيخ محمد أبو زهرة يتحدث عن أركان الإسلام من صلاة وصوم وحج وزكاة وتطرق من هذا إلى حكمة الإسلام في السكفارات التي هي في جوهرها تكافل اجتماعي .

ثم تحدث عن الحرية الفردية التي تكيدها نفس صاحبها بقيود الواجب قبل أن تقيدها قيود خارجية ، وشعوره بحق الناس ووجوب مراعاة مشاعرهم . فإذا لم يتوافر القيمين الداخليان تدخل القانون لا لتقييد الحرية ولكن لتقييد الفهم الخاطئ لها . . . لتقييد الانطلاق فيها بغير مراعاة حقها فإن الإطلاق المطلق مقيد للحرية العادلة .

ثم تحدث عن الملكية باعتبارها (حق أعطاه الله تعالى وحدته لعباده في قيود وحدود) ، ولهذا يحترم حق صاحبها فلا تنزع منه .

وقد ناقش المؤلف العالم ، الرأي القائل بأن الملكية وظيفية اجتماعية فأقر هذا التعبير على أن يعرف أنها (بتوظيف الله تعالى لا بتوظيف الحكام ، لأن الحكام ليسوا دائماً عادلين) .

من بنى إسرائيل على لسان داود وهيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون .

وسيلة الإسلام إلى إيجاد مجتمع فاضل : الحياء ، والاستتار . فالحياء قيد اجتماعي نفسي ، والاستتار حصر للشر . (قد تكون العقوبة علنية ، ولكن الجريمة يجب ألا يعلم أمرها إلا مع عقوبتها لأن إعلانها يفسد الجو الخلق . للمجتمع .. ولذلك اعتبر الإسلام من يرتكب جريمة ويعلمها قد ارتكب جريمتين : جريمة الارتكاب ، وجريمة الإعلان) .

ثم تكلم عن الفردية والاجتماعية في الإسلام على ضوء النظامين السائدين في العالم الآن وانتهى من حديثه بالقول إن الإسلام (لا يأخذ بأى النظامين جملة أو تفصيلاً ، فهو لا يحو حرية الإنتاج الفردي ولا يمكن تلك الحرية من كل شيء) .

حرية الانتساج ، والحرية الشخصية بكل ضروبها ، وحرية الملكية الفردية كلها كفلها الإسلام للفرد هل إلا يضار الغير وإلا قيد الحق تقييداً مدنياً .

والعبادات في الإسلام وإن كانت في ظاهرها علاقة العبد بربه إلا أن الإسلام قصد بها فيما شرعت له ، تربية الضمير الاجتماعي الذي يحكم الميول والنزعات قبل أن يحكمها القانون

ولكن ولى الأمر العادل (له أن يتدخل لتقرير القيود على الملكية إن لم يلاحظها المالك ، وقد أثاره النبي صلى الله عليه وسلم إنه تدخل ففزع بقاء الملكية عند المضارة مع تعويض) ص ٢٤ .

وضرب المؤلف مثلاً : واقعة سمرة ابن جندب مع الانصارى فى حضرة الرسول وقصة الضحاك ومحمد بن مسلمة فى مجلس عمر ، كما أوضح المؤلف نقطة هامة هى أن الملكية مع ما كفّل لها الإسلام من ثبوت واحترام فإن الحقوق التى تجب عليها تزايد فى الظروف القاهرة كالفقر أو المجاعة بما يقرب من إشاعتها وتعميمها تحقيقاً للتكافل الاجتماعى الذى يستهدفه الإسلام فى أحكامه وعباداته على السواء . وهنا ضرب المؤلف مثلاً (سنة الرمادة) فى عهد عمر بن الخطاب) .

إن ملك الرأى فى الملكية أنها حق الأحاد فى الحدود التى أشار إليها الدين ، وهى بهذا (من قبيل احترام الشخصية الإنسانية ، حتى لا يكون الآحاد كالجماد ، ويكون البناء الاجتماعى كالأحجار بعضها بجوار بعضه من غير إرادة إنسانية .

إن الإسلام لم يحسم لتنظيم الدولة فقط ، أو فرض سلطاتها فى كل شىء ، بل جاء لإيجاد مجتمع تتلاقى فيه الإرادات الإنسانية الحرة نحو هدف واحد وهو إقامة مجتمع سليم

قوى ، لا تنفى فيه قوة فى قوة أخرى) ص ٢٦ . ثم فصل المؤلف البيان فى الأموال التى يجوز امتلاكها والى لا يجوز فيها الامتلاك وهو تفصيل طويل مدعم بالأسانيد الفقهية وهو مع التدعيم بإقتضى ورجح . ثم يتكلم بتفصيل آخر عن ملكية الأراضى ومقدار قوة اليد عليها أى بد اختصاص أم يد ملكية عامة . وقد رجع بأصول هذا الموضوع إلى عصر النبوة والفتح . وأبان وجوه الرأى فيه بعد النبى من خلفاء وفقهاء . ثم تحدث عن طرق كسب الملكية الأربعة من زرع وأجباة وموات الأرض ، وعمل ، ومخاطرة للكسب والخسارة ورابعها : الانتظار . ووضع كلاً مبيناً حكم الإسلام فيها وهو حكم إقرار فيما يتعلق بالثلاثة الأولى ، ومنع للرابع أى الانتظار لتعارضه مع التكافل الاجتماعى غاية الإسلام الأولى .

ثم أنشأ فصلاً مستقلاً عن قيود الملكية المرافعة مثل الضرر المؤكد الوقوع والضرر الذى يغلب على الظن وقوعه ، والضرر الكثير غير الغالب . أما إذا كان الضرر الناجم عن الحق الخاص قليلاً (فالحق باق على أصل المشروعية ، لأن ضرر المنع ضرر مقطوع به بالنسبة لأصحاب الحق ، وهو صاحب الإذن الخاص فلا يلتفت إلى الضرر القليل . . والشرع الإسلامى فى مقرراته اعتبر غلبة المصلحة ولم يمتنع بدرجة الضرر أو قلته) ص ٦٦ .

ومن قبله في هذا الباب أنه حين عرف من تهب عليه النفقة بأنه ذو اليسار الكسوب ، لم يشترط أن يكون الولد بالنسبة لأبويه متيسراً لكي يجب أن يبينهما في شيخوختهما بل الشرط فقط القدرة على العمل فن لا يسوغ التأفف منهما لا يجوز تركهما جائعين .

ومن لفتات التقنين الإسلامي أن قضايا النفقات تكون من غير رسوم تدفع كما هو المقرر في الفقه الإسلامي .

وكما أوجب الإسلام النفقة للعاجز على ذوي الفضل من أسرته فقد أوجبه على الأسرة الكبرى وهي المجتمع ممثلاً في الدولة إذا لم يكن في القرابة قاصيها ودانيها من يستطيع الإنفاق على الغير العاجز . وهنا يقول المؤلف العالم .

(وإذا لم تقيم الدولة بواجبها في ذلك فإن القضاء يحكم عليها ويلزمها كما قرر الفقهاء وذلك مبدأ لم يسبق به الإسلام) ص ٧٦ .
ثم فصل الحديث عن (الزكاة) التي شرعت في الإسلام في السنة الثانية من الهجرة وبين مصادرها وأحكامها ومصارفها وهي ثمانية قال الإمام الشافعي بتوزيع الزكاة بينما بين الأغفال . وفي كل ناحية لا بد للفقه الإسلامي من لفتة . وافتته في باب الزكاة أنها (تصرف في البلد الذي جمعت فيه ، ولا تنقل إلى غيره من بلاد الدولة الإسلامية إلا بما يفيض عن

وقد استند المؤلف في هذا إلى كتاب (المواقف) للشاطبي .

ثم تسلم الأستاذ الشيخ أبو زهرة عن ميراث الملكية فأبان أن (الحقوق في الشريعة الإسلامية تورث ما دامت قابلة لأن تنتقل من ذمة إلى ذمة ، وتختلف ذمة أخرى في الأموال) ص ٦٧ . وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم (هد الميراث نصف العلم الإسلامي) ص ٦٧ .

كما أبان حكمة الشارع الإسلامي في جعل الوراثة في الأسرة مجتمعة مع أولية بعضها على بعض وهي حكمة أجل وأكرم من نظرية الشيوعيين ونظرية الأفراديين وكلاهما أطراح للأسرة .

ثم تحدث الشيخ الجليل عن عدالة التوزيع الإسلامي لليراث ومنطقه فيه ...
« ألا فانتهمسك بالإسلام ، .

ثم انتقل الكتاب إلى الحديث عن التعاون لدفع أضرار العجز فالإسلام دين التكافل الاجتماعي عالج العجز في الأسرة بإلزام الوارث بالنفقة ، ومن إنسانية الإسلام وجوب النفقة مع اختلاف الدين إذا كانت نفقة الأصول والفروع (المذهب الحنفي) .
ومن أصالة الإسلام في هذا الباب أن أوجب النفقة على الأسرة أو الدولة لطالب العلم ذي المواهب التي (تمكنه من السير فيه إلى أقصى مراحل لأن المواهب يجب أن تظهر) ص ٧٤ .

تجاوز الحدود المرسومة من الشارع ، ثم كان فيها التأمين الاجتماعى على أوسع مدى من غير إرفاق لأحد) ص ١٠٥ .
وحسب الإسلام قدوة وصلاحية تأصيله هذه القواعد كلها على هدى الفطرة السليمة النقية وعلى ضوء صالح الفرد والمجموع .
دكتورة نemat أحمد فؤاد

* * *

كتب جديدة

العيادات

تأليف : الإمام المهدي :

الناشر : مكتبة الكملاني - القاهرة .

قدم للكتاب السيد العديق المهدي الخليفة الحالي بمقدمة عرض فيها الدين والإنسان والدين والأمال والآلام ، والدين والأخلاق والمعاملات ، والإسلام والحضارة الإنسانية والحياة المادية ، ثم أجاب عن هذا السؤال لماذا أصبح الإسلام غريباً ؟ أما الكتاب نفسه فهو مجموعة من الإرشادات والتوجيهات التي كان يصدرها لاتباعه الإمام المهدي قائد الثورة المهدية السودانية وقد تضمنت منشورات المقيمة في ترتيب الصلاة كما بما يفسدها ويصلحها ، والصلاة في أسرار المناجاة ، ثم بحوثاً تتعلق بأصول الأحاديث التي وردت في منشور المصافاة وبأقوال الأئمة .

حاجات هذا البلد وما يفيض عن المجموع يصرف في الجهاد في سبيل الله (ص ٩٥ .
وفي الصفحات الأخيرة من الكتاب تحدث المؤلف عن ألوان من التكافل في المجتمع الصغير كالبيت والحي والقرية .
فأبان حرمة الجوار في الإسلام وحب الإخاء منذ لقاء المهاجرين بالانصار ، قرابة اجتماعية ، ثم تحدث عن المبادئ التعاونية التي أقرها الإسلام ومنها تعاون أهل كل قرية فيما بينهم في سداد الخراج وغيره وقد استنتج عصر هذه السفة في أول الفتح الإسلامي وقد أوضح المؤلف مزايا هذا النظام بل دعا إليه على أساس (إنه اختياري توجيبي لا إجبار فيه يؤدي إلى ذهاب الاحقاد بين الزراع ، فلا يحرق واحد زرع أخيه لأنه زرعه ولا يقتل ماشية أخيه لشعوره بالأخوة الكريمة من غير ما إكراه) ص ٩٩ .
وفي الختام تحدث عن الكفارات والنذور وألوان من الصدقات اللازمة والصدقات المنشورة والوقف .

وخير ما يقال في الكتاب ما ختم به صاحبه القول . فهو (نظرات في التكافل الإسلامي وبلاحظ أن فيها توزيعاً للمصادر القوي في الدولة بحيث لا تظفر فيها قوة على قوة ، وفيها تمكن الجميع من أن يعملوا بمقدور طاقاتهم مع احترام الحقوق الخاصة التي لم

فتاوى مختارة

تقديم : ابراهيم محمد الرصيل

(الاجابة لجنة الفتوى)

أعظم شئى عنه الصيام

السؤال :

عن ١٦ يوما تعطى للفقير والمسكين وهو من ليس عنده مال أو كسب يكفيه ويجوز إخراج القيمة وإعطائها للفقراء والمساكين فالقيمة تساوى ٥٠ قرشا يخرج هذا الثمن عن ١٦ يوما ، ويوزع على الفقراء والمساكين .

أفطر في شهر رمضان الماضى بعد تسعة أيام منه للبرص بعد أن أمره الطبيب بذلك وقد لازمه المرض حتى رمضان هذا العام فأفطر ، فماذا يجب عليه ؟

عبد الجواد شبنة / القاهرة

صوم رمضان بغير صوم

السؤال :

يسأل من يصوم رمضان ولكنه لا يصلى هل يصح صومه ؟ وهل يصح الصوم لمن لم يفصل من الجنابة أم يكون صومه باطلا ؟

محمد بن رجب / هناية / الجمهورية الجزائرية

الجواب :

فرض الله تعالى كلا من الصلاة والصيام ولم يجعل فريضة أحدهما متوقفة على الأخرى

الجواب :
الفطر للبرص جائز شرعا لا إثم فيه ومن أفطر للبرص يجب عليه القضاء بمقدار ما أفطره من الأيام بعد زوال المرض عنه وما دام لم يقصر في القضاء لا فدية عليه ، أما من قصر في القضاء بأن شفى من مرضه وتمسك من القضاء ولم يقض ما فاتته حتى دخل عليه رمضان العام الكامل فعليه فدية التأخير عن كل يوم آخر قضاءه ، والفدية هى مد عن كل يوم ، والقيمة بالكيل الموجود الآن تكفى

السؤال :

مريض بمرض الصدر وصف له الدكتور
المعالج (بخيخة) ليستعمل هذه الأزيمة فكان
يصوم ويستعمل هذه البخيخة في اليوم
عدة مرات فما حكم هذا الصيام ؟
عبد الحميد عمر البحري

الجواب :

إذا كانت هذه (البخيخة) تحوى مادة تصل
عند استعمالها إلى الحلق تبطل الصوم وتجعله
غير صحيح وما دام مريضاً لا يقدر على الصوم
فإنه تعالى لم يلزمه بأن يصوم بل جعل الفطر
مباحاً له فإذا شفى من مرضه هذا فعليه قضاء
ما قاته من الصيام وإن لم يستطع القضاء فعليه
عن كل يوم مضى مد من الطعام والكيله
الواحدة فكفى عن ستة عشر يوماً .

السؤال :

نذرت أن أصوم ثلاثين يوماً ولكن
لا قدرة لى الآن على الصيام لمرضى ، ولكن
فى استطاعى أن أفدى عن هذه الأيام فهل
يصح الإطعام والفدية أم لا بسبب عدم
صيامى ؟

أبو الفتوح محمد الشريف

فن صام ولم يصل فقد فعل بعض الفرائض
وترك البعض الآخر ، يسقط عنه ما أداء
ويزال مطالباً بالآخر .

ولست الطهارة من الحدث الأكبر شرطاً
لصحة الصوم فن لم يغفل من الجنابة وصام
فصومه صحيح وإن كان مطالباً بالغسل ليتمكن
من أداء الصلاة المفروضة عليه .

السؤال :

رجل مريض (بالربو) وفى الصباح يحصل
له ضيق فى التنفس لأنه لم يتناول المسكن
فهل له أن يفطر ؟

محمد عبد الحميد

الجواب :

إذا كان عدم تناول المسكن يقرتب عليه
زيادة فى المرض لا يحتملها وأخبر الطبيب
الحاذق بذلك جاز له تناول المسكن والإفطار
منعاً لزيادة المرض ثم إن أمكنه الصوم
فى المستقبل فضى أفطره ، وإذا لم يمكنه
القضاء فإنه يفدى عن كل يوم أفطره والفدية
تكون بإخراج مد عن كل يوم والكيله
تجزئه عن ستة عشر يوماً .

الجواب :

يصح له الفدية عن كل يوم من طعام حيث
عجز عن الصوم الذى التزمه بالثذر ولم يرج
شفاؤه وقدرته عليه وتجزئ الكيلة عن
سنة عشر يوما وله أن يخرج الفدية .

الجواب :

عن الأول : بأن تقبيل الزوجة أو لمسها
وهو صائم لا يفسد الصوم ومن الورع ترك
ذلك لأن من حام حول الحمى يوشك
أن يقع فيه .

وأن لمس المرأة الأجنبية وهو صائم
لا يفسد الصوم كذلك ولكنه حرام
في رمضان وفي غيره وفي رمضان تكون
الحرمة أشد .

السؤال :

١ — إذا قبل الرجل امرأته وهو صائم
أو لمسها ، أو لمس امرأة أخرى يحل له نكاحها
فهل يفسد ذلك صومه ؟

٢ — عاتق الرجل زوجته وهو صائم
فأنزل بدون جماع فهل يفسد صومه ؟

٣ — إذا وطئ الرجل امرأته ثم نزع
قبل أن ينزل فهل يجب عليه الغسل أو يجب
عليه الوضوء فقط ؟

وعن الثانى : بأنه إذا عاتق الرجل زوجته
وهو صائم في رمضان فأنزل من غير جماع
فسد صومه ووجب عليه قضاء هذا اليوم .

وعن الثالث : بأن الرجل إذا وطئ
زوجته ثم نزع قبل أن ينزل ووجب عليه
الغسل لقوله عليه الصلاة والسلام إذا التقى
الختان فقد وجب الغسل .

وعن الرابع : بأن الكذب حرام
في رمضان وفي غيره ولكنه لا يفسد الصوم
وإنما ينقص الثواب فقط .

٤ — إذا كذب الرجل وهو صائم فهل
يفسد صومه ؟



أَنْبَاءُ وَأَرْاءُ

قسم عال للدراسات الإسلامية والعربية

بكلية الشريعة بجامعة الأزهر

افتتح القسم العالى للدراسات الإسلامية والعربية بكلمتين الإمام الأكبر شيخ الأزهر والسيد مدير جامعة الأزهر ، وأهمية هذا القسم بما لا يحتاج إلى توضيح ، فهو كما قال السيد مدير الجامعة : إحياء للأزهر العتيق من جديد ، فالجامع الأزهر هو أبو الجامعة والجامعة بدون الأزهر يتيمة .

وهذا نص القرار :

نائب رئيس الوزراء للأوقاف وشئون الأزهر .

بعد الإطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها والقوانين المعدلة له .

وعلى مذكرة جامعة الأزهر المؤرخة ١٩٦٥ / ٢ / ٢٥ :

« قرر ،

المادة الأولى :

ينشأ في كلية الشريعة بجامعة الأزهر قسم

لِلدراسات الإسلامية والعربية ، وتكون الدراسة فيه على مثال ما كان يدرس في القسم العالى بالجامع الأزهر ، بحيث تشمل التوحيد والفقه وأصوله وعلوم البلاغة ، وكافة العلوم الإسلامية والعربية ، ويطلق عليه د القسم العالى للدراسات الإسلامية والعربية .

المادة الثانية :

يكون مقر هذه الدراسات في بناء الجامع الأزهر ويتولى التدريس فيه أساتذة الجامعة الحاليون والسابقون ، ومن يرى مدير الجامعة نذبهم لهذا الغرض من المتخصصين في العلوم الإسلامية والعربية .

المادة الثالثة :

يتولى مجلس الجامعة تحديد مكافآت القائمين بالتدريس في هذا القسم والقائمين على إدارته .

المادة الرابعة :

يعين مجلس الجامعة رئيس هذا القسم ،
بعد ترشيح مدير الجامعة ، وأخذ رأى
شيخ الأزهر .

المادة الخامسة :

يقبل في هذا القسم الطلبة الحاصلون
على الشهادة الثانوية الأزهرية أو ما يعادلها
من الشهادات الأزهرية وغيرها ، وكذلك
من يستطيع متابعة هذه الدراسة من مبعوثى
الدول الإسلامية بعد امتحان خاص
يجريه القسم .

المادة السادسة :

توزع برامج الدراسة في هذا القسم على
أربع سنوات ، يمنح الطالب في نهايتها شهادة
تسمى « الإجازة العالية للدراسات الإسلامية
والعربية » ويكون لصاحبها الحقوق التى تعطى
للحاصلين على درجة الإجازة العالية للكتليات
والمعاهد بجامعة الأزهر .

ويجوز تخريج هذا القسم الحاصلين على
ثمانين فى المائة من مجموع الدرجات الالتحاق
بأقسام الدراسات العليا فى كتليات : أصول الدين
والشريعة والدراسات العربية .

المادة السابعة :

تطبق قواعد الامتحانات فى كتليات الجامعة
على هذا القسم ، مع مراعاة ما يلى :

(أ) لا تحسب أعمال سنة للطلاب
فى هذا القسم .

(ب) يسكون الامتحان فى هذا القسم على
دورين يحدد موعد كل منهما مجلس الجامعة
وللطلاب الحق فى تأدية الامتحان كله أو بعضه
فى أى الدورين شاء .

المادة الثامنة :

تطبق على هذا القسم قواعد التأديب الخاصة
بأعضاء هيئة التدريس وبالطلبة الواردة
فى قوانين الجامعة ولوائحها .

المادة التاسعة :

إلى أن يعين رئيس لهذا القسم ، وإلى أن
توضع برامجه ونظم الامتحانات فيه فى اللائحة
التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن
إعادة تنظيم الأزهر ، يتولى مدير الجامعة
إدارة هذا القسم فى نطاق القواعد الواردة
فى هذا القرار .

على أن يتخذ مدير الجامعة الاجراءات
اللازمة لتحقيق هذا الغرض .

المادة العاشرة :

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار
ويعمل به من تاريخ صدوره .

٢٦ من شوال سنة ١٣٨٤ هـ

٢٧ من فبراير سنة ١٩٦٥ م

نائب رئيس الوزراء

الأوقاف وشئون الأزهر

(مهندس احمد عبده الشرباصى)

خطة الدراسة بالقسم العالي للدراسات

الإسلامية والعربية :

١ - يلتقى على الطلبة يومياً أربعة دروس
هذا يوم الخميس ، فيلتقى فيه درسان فقط ،
بالنسبة للسنة الثانية ، ويجوز أن يزداد
عدد الدروس إلى أربعة دروس إذا دعت
الضرورة إلى ذلك وتكون هذه الزيادة بناء
على طلب شيخ القسم ، وموافقة السيد
مدير الجامعة .

٢ - مدة الدرس الواحد ساعة ونصف
ساعة .

٣ - المواد التى تدرس فى هذا القسم هى :
(أ) فقه المذاهب - وتكون الدراسة فى
فى السنة الرابعة مقارنة فى جميع المذاهب .

(ب) أصول الفقه .

(ج) التفسير وعلومه .

(د) الحديث ومصطلح الحديث ورجاله .

(هـ) الأخلاق والمصروف .

(و) التاريخ الإسلامى .

(ز) الأدب العربى وتاريخه .

(ح) النحو والصرف .

(ط) علوم البلاغة - البيان والمعاني

والبدیع .

(ى) التوحيد والمعتقد .

٤ - توزيع المنهاج على السنوات الأربع .

السنة الأولى

عدد الدروس أسبوعياً ، هشرون درساً

موزعة على الوجه الآتى :

فقه المذاهب :

أربعة دروس ، منها درس واحد لتاريخ
التشريع وحكمته وأشهر الفقهاء ، ويدرس
فى بقية الدروس كتاب من أشهر الكتب
فى المذهب ، شرح الهداية للربغبانى فى الفقه
الحنفى ، وشرح المنهاج للجلال المحلى فى فقه
الشافعية والشرح الكبير فى فقه المالكية
وشرح الإقناع فى فقه الحنابلة .

أصول الفقه :

درسان أسبوعياً ، يدوس فىهما مختصر :
شرح الورقات مع التقديم لها بمقدمة مختصرة
فى أصول الفقه وماهيته .

التفسير :

درسان فى الأسبوع ، يدرس فىهما كتاب

تفسير القاضى البضاوى .

كتاب من الكتب السابق تدريسها في السنة الأولى ، دون المقدمة المنوه عنها فيها .

أصول الفقه :

أربعة دروس في الأسبوع ، المستعصم الغزالي ، والموافقات للشاطبي .

التفسير :

دوران في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنة الأولى .

الحديث :

دوران في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنة الأولى .

المنطق :

دوران في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنة الأولى .

النحو والصرف :

دوران في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنة الأولى .

علوم البلاغة :

دوران في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنة الأولى .

التاريخ الإسلامي :

دوران في الأسبوع ، ويدرس فيها تاريخ الأمم الإسلامية .

الأدب وتاريخه :

دوران في الأسبوع ، ويدرس فيها كتاب النوادر لأبي علي الغالي .

عدد الدروس : اثنان وعشرون درسا .

الحديث ومصطلح الحديث ورجاله :

دوران في الأسبوع ، ويقدم الاستاذ لعلم

الحديث بمقدمة ، يشرح فيها مصطلح الحديث وأهم رجاله ، ثم يدرس كتاب الزبيدي .

المنطق وأدب البحث والمناظرة :

دوران في الأسبوع ، ويدرس كتاب شرح الحبيصي ، ويجوز أن تقرأ بعض

الفصول من البصائر النصيرية ، ومبادئ المنطق الحديث .

التاريخ الإسلامي :

دوران في الأسبوع ، يدرس فيهما كتاب نور اليقين ، وتاريخ الخلفاء الراشدين

للخضري .

الأدب العربي وتاريخه :

دوران في الأسبوع ، ويدرس فيهما جزء من كتاب الكامل للبرد .

النحو والصرف :

دوران في الأسبوع ، ويدرس فيهما كتاب شرح ابن عقيل .

علوم البلاغة :

دوران في الأسبوع ، ويدرس فيها كتاب الإيضاح للغزويني .

بمجموع الدروس عشرون درسا في الأسبوع .

السنة الثانية

فقه المذاهب :

أربعة دروس في الأسبوع ، ويدرس فيها

درسان في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنة
الثالثة .

النحو والصرف :

درسان في الأسبوع ، تكملة لمنهاج السنوات
السابقة .

علوم البلاغة :

درسان في الأسبوع تكملة للمنهاج السابق
وتلقى فيه محاضرات من دلائل الإعجاز وأسرار
البلاغة والصناعات والعمدة لابن وشيق .

التوحيد والعقائد :

درسان في الأسبوع ، تكملة للمنهاج السابق .
عدد الدروس الأسبوعية عشرون درساً .
السنة الثالثة

فقه المذاهب :

أربعة دروس تكملة لمنهاج السنتين
السابقتين .

أصول الفقه :

أربعة دروس تكملة لمنهاج السنتين
السابقتين .

التفسير :

درسان تكملة لمنهاج السنتين السابقتين .

الحديث :

درسان تكملة لمنهاج السنتين السابقتين .

الأخلاق والتصوف :

درسان وتدرس فيهما الرسالة للفشيرى

وبعض فصول من كتاب إحياء علوم الدين
للغزالي .

التوحيد والعقائد :

درسان في الأسبوع يدرس فيهما كتاب
المسيرة السالكين بن المهام وبعض فصول
من رسالة الشيخ محمد عبده .

النحو والصرف :

درسان تكملة لمنهاج السنتين السابقتين .
علوم البلاغة :

درسان تكملة لمنهاج السنتين السابقتين .
السنة الرابعة

فقه المذاهب :

أربعة دروس ، منها ثلاثة تكملة لمنهاج
السنوات السابقة ودروس لفقه المقارن .

أصول الفقه :

أربعة دروس تكملة لمنهاج السنوات
السابقة .

التفسير :

درسان في الأسبوع ، تكملة للمنهاج السابق
ويضاف إليه بعض المنتخبات من كشف
الغشى .

الحديث :

درسان في الأسبوع ، تكملة للمنهاج السابق ،
وتلقى بعض المنتخبات من صحيح البخارى
ومسلم .

الأخلاق والتصوف :

CHAPITRE I L'OBLIGATION

Une doctrine morale digne de ce nom repose en définitive sur l'idée d'*obligation*. C'en est là l'assise la plus fondamentale ; c'est le pivot, l'élément nucléaire autour duquel gravite tout le système éthique, et dont l'absence anéantirait l'essence même et la substance de la sagesse pratique. Car, s'il n'y avait pas d'obligation, il n'y aurait pas de responsabilité, et, s'il n'y avait pas de responsabilité, il n'y aurait pas de retour de justice. D'où chaos, désordre, anarchie, non seulement de fait, mais de droit et d'après le soi-disant principe moral.

On voit dans quelle direction certains théoriciens modernes (1) tendent à nous conduire.

Comment d'ailleurs concevoir une *règle morale sans obligation* ? N'est-ce pas une contradiction dans les termes ?

Ou bien ferons-nous de la conscience un simple instrument d'appréciation artistique ? Mais n'est-il pas évident qu'*éthique* et *esthétique* font deux ?

Dans un sens plus profond, il est vrai, tout ce qui est *bien* est *beau*. L'inverse est-il également vrai ? Nul doute que l'idée de la vertu a sa beauté intrinsèque que les âmes goûtent quand même elle ne charmerait pas les yeux. Mais elle est encore quelque chose de plus. De par sa nature, elle est *agissant et motrice*, elle nous incite à agir pour en faire une réalité concrète. Tandis que, réduit à son expression la plus simple, le sentiment du *beau* n'a rien à voir avec l'*action* ; surtout quand son objet ne relève pas de notre volonté. Ainsi notre admiration pour la toute-puissance divine ou pour la grandeur de la voûte céleste ne nous porte pas à en créer d'autres exemplaires. Même lorsque l'artiste couçoit l'idée d'une œuvre réalisable, cette idée ne le force pas absolument à la mettre à exécution, mais elle l'*invite* gentiment à la réaliser quand il veut et s'il en a le loisir. Ou si elle s'impose aux uns, elle ne s'impose pas aux autres avec une égale nécessité. En tout cas, loin de contrarier les sentiments, elle les exprime. Ajoutez qu'un défaut commis dans une œuvre d'art a beau choquer les *sens*, il ne révolte pas les *consciences*. On n'est pas immoral pour cela.

(1) Par ex, Guyau, Esquisse d'une Morale sans Obligation ni Sanction.

“La Morale du Korân”

Par

DR. MOHAMMAD ABDULLAH DRAZ

(5)

III. Etude Comparée.

Il faut avouer que le plan initial de ce travail fut conçu sous une forme restreinte, n'envisageant que l'exposé de la loi morale telle qu'elle se dégage du Koran, et éventuellement de l'enseignement du prophète, qui en est le premier commentateur accrédité. Mais M. Louis Massignon, Professeur au Collège de France et aux Hautes Etudes à Paris, nous a exprimé son désir de voir cette étude porter en même temps sur certaines doctrines des écoles islamiques célèbres; et, à cet effet, il a bien voulu mettre à notre disposition les rares et précieux ouvrages de sa bibliothèque, tant manuscrits qu'imprimés. De son côté, M. René Le Senne, Professeur à la Faculté des Lettres de l'Université de Paris, nous a suggéré l'idée de confronter la doctrine morale telle qu'elle ressort du Koran avec certaines doctrines occidentales. Nous nous sommes conformés bien volontiers à

leurs heureuses suggestions. Grâce à quoi, notre œuvre apparaît aujourd'hui sous une forme plus ample et plus considérable qu'elle ne l'eût été. C'est en quelque sorte un trait d'union, où se rencontrent les pensées éthiques de l'Orient et de l'Occident dans une comparaison intelligente et impartiale, exemptée de toute idée préconçue et de tout esprit d'école, et ayant pour unique arbitre dans chaque controverse le juste bon sens, éclairé par des documents bien établis.

Ce rapprochement entre les différentes cultures, servira-t-il de prélude, dans le domaine pratique, à une plus grande compréhension et à un humanisme élargi, dans lequel les bonnes volontés de part et d'autre se tendront les mains pour le bien de l'humanité ?

Souhaitons-le.

البلد الأمين

The land made Safe

« إن أول بيت وضع للناس الذي بيكه مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات
بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ، والله على الناس حج البيت من استطاع
إليه سبيلاً . » (آل عمران ٩٧ - ٩٦)

(Lo : The first sanctuary appointed for mankind was that at Becca (Mecca), a blessed place, a guidance to the peoples, wherein are plain memorials (of Allah's guidance) ; the place where Abraham stood up to pray ; and who so ever entereth it is Safe. And pilgrimage to the House is a duty unto Allah for mankind, for him who can find a way thither).

(From page 3)

responsibilities of motherhood. She runs hither and thither frantically searching for a place where her offspring will be safe. She delivers the kitten and forgets everything as she licks them in her joy of fulfilment. They, on theirpart, have already begun to seek the means of sustenance and blindly grope for their mother's teats. They cannot see and they cannot be helped in their quest by their mother, who cannot, like a human mother, place her nipple herself in the child's mouth. As soon as they find a teat, they suck it with all their strength, as if they knew that their very life depended upon it. Certainly no human or other being on earth taught the cat and the kitten all the varied and extremely complicated vital processes, on which the continuance of life depends.(1)

(1) The Quintessence of Islam.

(From page 12)

back to the cradle of his faith, the childhood of his Prophet ; it reminds him of the struggle between the old faith of idolatry and the new one (Islam), of the overthrow of the idols, and the establishment of the worship of the one true God. And, most of all, it bids the Muslim to remember that all his brother - Muslims are worshipping towards the same sacred spot, that he is one of a great company of believers, united by one faith, filed with the same hopes, reverencing the same thing and worshipping the same God » (1).

(1) The comment mentioned in the book of "the religion of Islam" by Dr. Ahmed-Galwash - v 11 p. 62.

TRUE RELIGION

The Holy Quran says :—

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمعرب
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتاب والتبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب
وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا
والصابرين فى الأساء والضراء وحين البأس أولئك
الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون .
(سورة البقرة ، الآية ١٧٧)

“It is not righteousness that ye turn your faces to the east and the west; but righteous is he who believeth in Allah and the last Day and the angels and the Scripture and the Prophets; and giveth his wealth, for love of Him, to Kinsfolk and to orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask, and to set slaves free; and observeth proper worship and payeth the poor due., And those who keep their treaty when they make one, and the patients in tribulation and adversity and time of stress. Such are they who are sincere. Such are the God-fearing.”

The above Quranic verse has dealt fully with the essence of Religious principles. It mentions the principles of Islamic faith, Practical

Devotions, the basis of social and national life and Moralities. Islam calls man to follow his original Nature as designed by God. As the Quran says.

« وأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التى فطر
الناس عليها ، لا تبدل خلق الله ذلك الدين القيم ولكن
أكثر الناس لا يعلمون .
(سورة الروم ، الآية ٣)

“So set thy purpose for religion as a man by nature upright; the nature (framed) of Allah, in which He has created man. There is no altering (the law of) Allah’s creation. That is the right religion, but most men know not.”

We have seen in this verse that the true religion is to follow man’s original nature. The Holy Quran gives a perfect constitution and an excellent guidance to mankind in all walks of life; as the Quran says :—
« وإن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله .

“This is my way, leading straight; follow it; and follow not other ways, they should scatter you from His (straight) Path.”

Qur'an or observed by the messenger (peace be upon him) in his Pilgrimage.

In Pilgrimage the spirit of equality and fraternity reaches its climax. It is the highest manifestation of Islamic brotherhood and democracy. Nature dictates that brothers should have one common meeting ground for exchange of love and affection. Pilgrimage fulfills this object in the most excellent way as it is universal assemblage of the brethren-in-faith, in the central place of monotheism represented by the Holy Ka'aba. Not only is there uniformity of religion among the Muslims but there is also unity of dress, of living and unity of feelings in Ihram. The demonstration of equality furnished on this occasion is so complete that it is well-nigh impossible to distinguish a servant from a master. The whole of Muslims assume one aspect and one attitude and thus the noblest sight of equality and brotherhood is witnessed in pilgrimage especially at the hill of Arafat.(1) The Pilgrimage, indeed, represents the last stage of spiritual advancement. Some fanatic opponents who oppose the religion of Islam assumed that : the pilgrimage is a sign of Muhammad's

tending to idolatry, and they asked how the destroyer of idols could have reconciled his conscience to the circuits of the «Ka'aba» and the veneration of the "Black Stone".

Mr. Stanley Lane Pool - a prominent Orientalist explained the subject by a famous comment which threw still more light when he said : « The fact is that Muhammad perceived (1) that the worship in the «Ka'aba» would prove of real value to the religion. He swept (2) away the more idolatrous and immoral part of the ceremonies, and retained the Pilgrimage to Mecca and the old veneration of the temple for reasons of which the wisdom is impossible to dispute. He well knew (3) the consolidating effect of forming a centre to which his followers should gather, and hence he reasserted the sanctity of the «Black Stone». He ordained (4) that everywhere throughout the world the Muslim should pray facing towards the «Ka'aba» and he enjoined (5) him to make the pilgrimage thither. Mecca represents all the influence of centuries of associations. It carries the Muslim (See page 14)

(1) Was really ordered by revelation.

(2) Allah ordered him to do that.

(3) Was ordered by Allah.

(4) By revelation.

(5) Was ordered by Allah.

(1) See Magazine of (God is the light of the heavens and the earth) January 1959.

AL-HAJJ (Pilgrimage)

An Islamic World Conference

By : IBRAHIM - M - EL-ASSIL

« وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تقصهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

“And proclaim unto mankind the pilgrimage. They will come unto thee on foot and on every lean camel; they will come from every deep ravine. That they may witness things that are of benefit to them, and mention the name of Allah on appointed days over the beast of cattle that He hath bestowed upon them. Then eat thereof and feed therewith the poor unfortunate. Then let them make an end of their unkemptness and pay their vows and go around the ancient House”.

(22/27,28,29)

« وآتوا الحج والعمرة لله »

“Perform the pilgrimage and the visit (to Mecca) for Allah”.

(2/196)

The pilgrimage constitutes a religious obligation on every Muslim,

once in ones lifetime. The obligation is explicitly limited by possession of the necessary means and the physical possibility of getting to Mecca.

The times of pilgrimage are those defined by God in His words :

« الحج أشهر معلومات »

“The pilgrimage is in the well-known months”. (2/197).

These months are Shawwal, Dhû'l Qàda, and the first ten days of Dhû'l-Hijja.

As for the lesser pilgrimage (Umra), it is not limited to any definite time of the year. Here is one of the distinctions between the Hajj and Umra — It is said that the Prophet himself performed it once in Shawwâl and another time in Dhû'l-Qa'da, though he declared that Umra in Ramadân (the month of fasting) is equal to the Hajj in gaining God's blessing-without meaning, of course, that it would replace it. The rites of Pilgrimage were retained and prescribed in the Holy

"There is no god but Allah, and Muhammad is the Messenger of God". If one declares his servitude to the One God to the exclusion of any other thing, and if he declares that Muhammad is the Messenger of God, he will necessarily believe in the message of Muhammad. The belief in this message will, in turn, lead to the belief in what is contained therein such as the belief in the existence of God, His Attributes, His Angels, His Books, His Messengers, and the Last Day.

QUESTION :

What is the difference in Islam between faith and law?

ANSWER :

Faith is the theoretical side of the religion and it is its aspect which is required in belief before any other thing. Faith is based upon clear and unquestionable texts from the religious recourses. The meanings of these texts are agreed upon by the believers unanimously since the beginning of the religious call. The faith was the first thing the Prophet called for, and also all other Prophets of God, as the holy Qur'an clearly indicated.

We mentioned before that the basic principles of faith are the

belief in God, His Angels, His Books, His Messengers, and the last Day.

As to the law, it is the system of rules which God, the Almighty, legislated to organize the relationship between man and his Lord, and among people themselves.

The divine legislation has two aspects : The first is the aspect of worship which is a manifestation of the sincerity of the believers in their approach to God. This aspect includes « عبادة » (Ibadat) or all kinds of worship. The other aspect is « معاملات » (Muamalat) which deals with all worldly transactions of people in their daily life.

The aspect of worship includes Prayer, Almsgiving, Fasting, and Pilgrimage. Since these four kinds of worship show the sincerity of the believer, his obedience to God, and his preservation to the religion they were considered as the pillars of the Religion, as the Prophet said:

"Islam was built on five pillars: to believe that there is no god but Allah and that Muhammad is the Messenger of Allah, the Prayers, the Almsgiving, the Fasting, and the Pilgrimage for whom who can afford it".

justice. If the good actions outweigh the evil ones, forgiveness will follow, and vice versa.

e) The forgiven people will have the reward of abiding in Paradise, and the evil ones will be punished in Hell.

QUESTION :

What is the effect of the belief in the Day of Judgment in the behaviour and actions of people ?

ANSWER :

This belief has vital effect in our behaviour in this life. It is a fact that man is incited to act or not to act according to whether his action brings about benefit or harm to him in his life in this world. Those who believe in the reward and punishment in the life hereafter are not content with the actions that bring about quick results. They rather try to do good, and avoid evil, even if their action will not cause quick results. They will defend truth and do goodness for its own sake.

Those who do not believe in the Day of Judgment cannot choose the way of goodness, for they do not believe in either reward or punishment on that Day. If they are asked to give charity to the needy, they refuse, thinking that charity decreases their wealth with no apparent benefit. In this way,

they commit every sin if it brings to them a cheap benefit in this life, with no consideration to accountability for actions on the Day of Judgment.

This shows clearly how important is the influence of the belief in the Day of Judgment on the behaviour of men in this life.

QUESTION :

Is it mentioned in the Holy Qur'an that the basic principles of Islam are limited to the five ones mentioned before ?

ANSWER :

These basic principles in Islamic faith are originated in Holy Qur'an when it says :

« آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ .
كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ . »

(The Messenger believes in what has been revealed to him from his Lord, and so do the believers. They all believe in God and His Angels and His Books and His Messengers . . .) And :

« وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا . »

(. . . And whoever disbelieves in God and His Angels and His Books and His Messengers and the Last Day, he indeed strays far away).

To believe in all this is summed up in these words :

Is it possible, then, to imagine that such a person who writes such things is a prophet, or a promised messiah, or even an ordinary Muslim?

QUESTION :

What is the fifth basic principle of Islam ?

ANSWER :

The fifth basic principle of Islam is the belief in the Day of Judgment. This Day is the end toward which everyone will be returned. The Holy Quran says :

« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأن إلى ربك المنتهى . »

(And that man can have nothing but what he strives for. And that his striving will soon be seen. Then he will be rewarded for it with the fullest reward. And that to you Lord is the Goal).

The Holy Qur'an states that the life of everyone with its reward or punishment, abiding in Paradise or Hell, depend upon his course of his life in this world.

The Almighty Allah says :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . »

(So he who does an atom's whight of good will see it. And he who does an atom's weight of evil will see it.) And :

« فأما من ظنى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هو المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى . »

(Then as for him who is inordinate, and prefers the life of this world : Hell is surely the abode. And as for him who fears to stand before his Lord and restrains himself from low desires : The Paradise is surely the abode).

Therefore, the belief in the Day of Judgment is the most vital force that incites man to perfection and elevation in this world in order to attain the highest grade in the hereafter. The Qur'an speaks about the kinds of enjoyment in Paradise and the ways of punishment in Hell in our wordly imagination ; because this is the only way we could understand. However, the conditions of life in the hereafter should be understood that thay are different from those of this life. We must know these important facts about the Day of Judgment :

a) On the Day of Resurrection, God will put to extinction this world and all creatures therein.

b) God will revive all people again to another life.

c) All people will be brought to account for what they did in this life.

d) The deeds of people, whether good or evil, will be weighed in

Second : The teachings of the Prophets became by time incomplete, distorted, and partly changed. Those of the Prophet Muhammad are completely preserved, clear, and unchanged.

Third : Other messages before Islam were conveyed to people according to their conditions and abilities. It was a divine law that

God revealed His message according to the gradation of the evolution of humanity. When humanity began to reach its perfection, the prophet Muhammad was sent with the complete message. The Islamic law abrogated previous divine laws, and Muhammad was declared to be the last of all prophets.

QUESTION :

If the Prophet Muhammad is the last Prophet, how true is the claim that Mirza Ghulam Ahmad is a prophet ?

ANSWER :

It is historically an established fact that Qadiani movement was a product of English diplomacy which was very much disturbed by the movement of Islamic strife against English colonialism under the leadership of Imam Ahmad ibn Irfan in Indian Peninsula. The English realized that the Religion is an activating force in the lives of the

Muslims. They tried to find a man who sacrifices the religion to the service of English interests. Mirza Ghulam Ahmad was their man who claimed that he is the promised messiah. To serve his masters, he declared the abolition of the religious war against the colonial power. He said in one of his books :

"Since my youth, I kept striving with my speech and my pen to turn the hearts of Muslims toward sincerity to English government, and to abrogate the idea of "Jihad" or religious strife which is adopted by ignorant Muslims. He said also : "The more my followers increase, the more the number of the believers in "Jihad" decreases. To believe that I am a messiah is in itself a denial to Jihad".

In a message to English government, Ghulam Ahmad said : "I wrote scores of books in Arabic, Persian, and urdu, in which I declared that "Jihad" is unlawful against the English government which was kind to us. It is a duty on every Muslim to obey this government sincerely. I had my books published on my own expense and distributed them in Islamic countries.

My followers are truly sincere toward the English government, and I believe that this government is a blessing for this country".

(Then, after them, we sent Moses with Our Messages to Pharaoh and his chiefs . . .).

The message of the Prophet Muhammad (peace be upon him) is general for all mankind, until the Day of Resurrection.

QUESTION :

Are the Messengers different in their nature from other people ? .

ANSWER :

The Holy Qur'an emphasised the human nature of the Messengers in more than one verse, such as the following :

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد . »

(Say (O Muhammad) : I am only a mortal like you, it is revealed to me that your God is one God..)

« وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم . »

(And We sent not before you any but men to whom We sent revelation...)

The only difference between the Messengers and other people is that the first are immune from committing sins, and that they were chosen by God to convey His messages to humankind. This in no way means that they were above the human nature. The Qur'an addresses the Prophet Muhammad by this verse in this connection :

« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفأتن مت فهم الخالدون . »

(And We granted abiding forever to no mortal before You. If you die, will they abide ?)

In this way, the Holy Qur'an gives its decisive position regarding those who claim the godhead of some messengers, of that they are the sons of God, or they are of both natures : human and divine. Islam is strict in its declaration that the only deity is God. The Verse says :

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد . »

(Say : He, Allah, is One. Allah is He on Whom all depend. He begets not, nor is He begotten. And none is like Him).

QUESTION :

What is the difference between the message of the prophet Muhammad and that of other Messengers ?

ANSWER :

We indicated before, some of the characteristics of Muhammad's message. However, we give here More details in this respect :

First : The message of the prophet Muhammad is general to all humankind in all times, while the message of other Prophets are limited to their own peoples.

not make any distinction between any of them and to Him do we submit).

Islam, also required to believe that Muhammad is the last of all prophets, and that his message is for all humankind.

The Qur'an says :

« ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . »

(Muhammad is not the Father of any of Your men, but he is the Messenger of God and the seal of the Prophets . . .).

And :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً . »

(. . . this day I have perfected for you your religion and completed My favour to you and chosen for you Islam as a religion . . .).

Thus, the Holy Qur'an stated that the message of the Prophet Muhammad is not only the last of all divine messages and that he is the last Prophet, but stated also that his message is general to all nations till the end of this world. We read in the Qur'an as follow :

« قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً . »

(Say : O mankind ! surely I am the Messenger of God to you all . . .).

« وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم ومن بلغ . »
(أنعام ١٨)

(. . . And this Quran has been revealed to me that with it I may warn you and whomsoever it reaches . . .).

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (الأنبياء ١٧)

(And we have not sent you but as a mercy to the worlds).

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً »
(سبأ ٢٨)

(And we have not, sent you but as a bearer of good news and as a warner to all mankind),

As to other prophets, the Quran speaks about them in terms of their being sent only to their own nations. we read in the Quran :

« لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه »

(we sent Noah to his own people . . .).

« وإلى عاد أخاهم هوداً قال : يا قوم اعبدوا الله ما لکم من إله غيره . »

(And to Ad we sent their brother Hud. He said : O my people, serve Allah, you have no god other than Him . . .).

« وإلى ثمود أخاهم صالحاً . »

(And to Thamud we sent their brother Salih).

« وإلى مدين أخاهم شعيباً . »

(And to Madian We sent their brother Shuaib).

« ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملاته . »

The Fundamental Beliefs of Islam

(4)

By : Abdul Wadood Shalaby

What is the fourth basic principle of Islamic faith ?

It is the belief in all the Prophets and Messengers sent by God to bring forth humankind from darkness into light. As Islam required its followers to believe in the Angels, who are the agents of God to His Messengers, it is also required them to believe in the Prophets who are the Messengers of God to the mankind. Those who believe in one of the Messengers should believe in all of them, and those who disbelieve in one of them are considered disbelieving in all of them. God, the Almighty says in His Holy Book :

« إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً » .

(Lo ! Those who disbelieve in Allah and His Messengers and seek to make a distinction between Allah and His Messengers and say : We believe in some and disbelieve in

others ; and seek to choose a way in between — Those are truly disbelievers ; and we have prepared for the disbelievers an humiliating chastisement).

Therefore, Islam demanded the belief in all Messengers and what was revealed to them. The distinction in them is a disbelief in Islam. The Holy Qur'an say :

« والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » .

(And who believe in that which has been revealed to you and that which was revealed before you . . .)
And :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأنساب وما آتانا موسى وعيسى وما آتانا النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

(Say : We believe in God and in that which has been revealed to us, and in that which was revealed to Abraham, and Ismael and Isaac and Jacob and the tribes, and in that which was given to Moses and Jesus, and in that which was given to the Prophets from their Lord, we do

and requirements of its environment, for it is in its own environment that it must seek its fulfilment. This adjustment is brought about in two ways, which the Qur'an refers to repeatedly and describes as "taqdir" (destiny), and "hidayat" (guidance).

Taqdir means the proper assessment of something and prescribing a certain state or condition of existence for it. Nothing can move outside the limits of that fixed state. The planets cannot leave their orbit; the oceans cannot leave their bed; the birds cannot live in water and the fish cannot exist on land; the tropical plants cannot be transplanted in the polar regions and polar bear cannot survive near the Equator. That is the Destiny ordered by a wise and beneficent Maker. Every being is equipped for life within its environment, and similarly every environment is so ordered that its products and effects are according to fixed laws, so that there is stable adjustment between the environment and the beings which exist in it and life is not endangered.

Every step in life is subject to guidance, whether external or internal, of some kind and some degree. In the present context it is necessary to refer to only that aspect of guidance from the Rabbil-Alameen (Cherisher and Sustainer of the

Universe) which enables all beings to seek and obtain the means of their sustenance without which all life would cease. This guidance first comes to every being in the form of instinctive revelation and then it lights the lamps of senses and understanding which give man the illusion of power and independence and lead him to imagine that he guides himself. Man has a very short memory; he forgets that when he came into the world it was no human guidance which taught him to cry and make his lungs function or to seek his means of sustenance from his mother's breast. No man told him that his mother's nipple was his fountain of life and no man taught him to use his jaws so as to suck that nipple hard and thus to drink from that fountain.

This divine guidance, in the form of instinct, is given to every being so that life may go on. Take, for instance, a cat. It is her first experience of pregnancy and yet, without any external guidance, She knows that she is going to give birth to beings like herself and that she must not only suckle them, so that they may live, but also protect them till they are strong enough to look after themselves. As the moment of arrival of these new beings approaches, she knows that the time has come for her to assume the

(See page 14)

entire existence turns to their aid ; the Sun and the moon, the heavens and the earth, the atmosphere and the elements, it would appear, are all in attendance to help the birth of an ant or the planting of a seed that drops from a farmer's hand.

As Soon as a being comes into existence it finds that nature has already prepared the means of nourishment and sustenance for it in the quantity, form and place best suited for that being. Notwithstanding the unparalleled pain of childbearing, the mother is filled with love for the offspring which no devotion can equal ; nature has thus ensured continued existence and flowering. With an irresistible passion, the mother clasps the child to her bosom, and there the child finds its nourishment in sufficient quantity and of the right quality. The milk is at first thin because the child's stomach is weak ; but as its digestion grows stronger, the milk thickens till nature dries it up altogether and thus announces that the child is ready for other less scarce and more suitable nourishment. So it is with mother's love, which is essential for the continuance of existence. Instinctively, it is at its intensest when the new born is but a helpless lump ; it diminishes as the child grows stronger till it dies out altogether among the animals and is reduced

almost to a memory even among human beings, with their family System:

Another striking aspect of this organisation for the continuance and fulfilment of life is its universality. The same laws apply equally to all beings, whether they are human, animal, vegetable or mineral. A piece of dry stone or a fresh fragrant rose, a tender plant or a lusty child, a humble ant or a proud elephant, an insignificant insect or a mighty man, they are all subject to the same universal cycle of helpless birth, tender infancy, strong maturity, inexorable decay and again helpless death, they disintegrate or wither or die. Different words are used but they imply the same meaning ; they are different garbs to clothe the same reality ; the same universal process of creation, sustenance, fulfilment and continued existence.

Even more marvellous than the ordered, provision of means of sustenance is nature's organisation of the inner capacity of beings to utilise those means of sustenance. But for such inherent and trained capacity, all the means of sustenance would be useless and life would come to an end. Nature has, therefore, so fashioned every being and endowed it with such capacities that it is fully equipped for the conditions

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYYAT

RAMADAN
1384

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

FEBRUARY
1965

THE QURANIC CONCEPTION OF GOD - II - Cherisher and Sustainer of all the Worlds -

BY : MOULANA ABUL KALAM AZAD

Apart from the means of existence and the quantity and proportion in which they are available, one cannot but wonder at the evident order with which the entire universe is organised. Everything appears to have been created and ordered as if with one Single object, to create life and to enable it to attain its fulfilment to its utmost capacity. The Sun is there to serve as a lamp and oven and also to lift water and store it in the heavens to be distributed when the need arises. The Sun could not, however, perform this last function without the help of the wind, which, with its cool breath, congeals that water into rolls of cloud. The Sun

then transmits heat to those clouds and makes them melt and yield water to a ready earth. The earth is there to catch that water and, with its help, to bring forth in the right form and at the right time the treasures which it ever stores in its bosom, like a woman's milk, for the furtherance of life; to every seed it offers life and to every plant nourishment, so that they, in their turn, may be the means for continuing and sustaining life so it is with every particle of existence and in every nook and corner of the Univers. Every force seeks strength and every Cause effect, and no sooner do they begin to strive for fulfilment than

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
١٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ ضاحج الجمهورية
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

مجلة الانهر

مجلة شهرية جامعية

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنود »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الثامن والتاسع - السنة السادسة والثلاثون - شوال وذو القعدة سنة ١٣٨٤ هـ - مارس ١٩٦٥ م

سما الله العليم الغني

أثر الأدب في ثورة العرب

بقلم : أحمد حسن الزيات

سيل جارف يحطم الحواجز، ويقتلع الصخور ويهيئ الأرض للربيع . النهضة دعوة باللسان ما دام هناك عقل مستعد ، والثورة جهاد بالسيف متى تغلب على العقل هوى مستبد . والنهضة والثورة قوامهما - كما قلت - واحد : هو الأدب . يكون للنهضة غذاء يجي ونورا يهدي ، كما يكون للثورة وقوداً يشعل وناراً تطهر . فإذا زالت العقبات ، واستقرت الأمور ، وسكنت الثورة . انفراد الأدب بالنهضة ينفخها بروحه حتى لا تضرب ، وينضجها بندها حتى لا تجف . وضراوة النهضة وجفافها معناها المادية . والمادية

لا يمكن أن تكون ثورة إلا إذا سبقتها نهضة ، ولا يمكن أن تكون نهضة إلا إذا بشرت بها دهوة . والدهوة إما بعثة نبي أو رسالة مصلح . وليس للنبيين من عدة إلا أدب الوحي . ولا للصلحين من أداة إلا وحي الأدب . فالنهضة والثورة تتفقان في المصدر ، وتختلفان في المظهر : النهضة انقباض والثورة انتفاضة . النهضة علاج يوقظ الوحي الغاف ، ويقوى الجسم الضعيف ، والثورة جراحة تستأصل الداء ، وتقي المريض النكسة . النهضة نهر فياض يتغفس بالحياة وبفيض بالخصب ويهيئ البلاد للعمران ، والثورة

سنظل مؤمنين مصدقين بما قال الله تعالى
فينا : ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهاداً .

وسنعتقد دائماً : أن روح العروبة
هو الأدب ، وحدها بعد شتات في القرن
السادس ، ثم أحيائها بعد مئات في القرن
العشرين .

وفي هذين القرنين سجل التاريخ للعرب
نهضتين عظيمتين مهدت الأولى للإسلام
وكانت فتحاً لعالم جديد ، ومهدت الأخرى
للسلام وستكون فاتحة لعالم أفضل .

كانت النهضة الأولى موطنها الحجاز ، ومبعثها
مكة ، ذلك لأن مكة كانت في النصف الثاني
من القرن السادس لليلاد محطاً للقوافل
التجارية الآتية من الجنوب تعمل البضائع
من الهند واليمن فيبتاعها المكيون ويصرفونها
في أسواق الشام ومصر ، وكانت طرق مكة
الموصلة آمنة لحرمة البيت ، ومكانة قريش ،
فكان تجارهم يخرجون بقوافلهم الموقرة آمنين
فينزلون الأسواق ويهبطون المدن فيستفيدون
بسطة في العلم ، وقوة في الفهم ، وثروة في المال
وخبرة بالحياة .

وكانوا يحكم إبلانهم رحلة الشتاء إلى اليمن
ورحلة الصيف إلى حوران ، أشد العرب

هي علة الشقاء للإنسان الحديث . أصيبت بها
المدنية الأوروبية حين وقعت الجفوة بينها
وبين الدين ، وانقطعت الصلة بينها وبين القلب
فتباعدت القربى ، وتشعبت الحاجات ،
وتنافست الأطماع ، وتكشفت الأحقاد ،
واضطرب الناس في سبيل المكسح ،
والهبتهم حوافز النهم ، حتى عجزوا بخلقهم
وطبيعتهم عن مسيرة الحضارة الخالية من
الروح والضمير والحب ، فعموا بالطائرات
وحملوا بالآلات ، ونظروا (بالتلسكوب)
وسمعوا (بالميكروفون) . وضاعت عليهم
الأرض برحبها فاضربوا في الآفاق ، واختصموا
على بلاد المستضعفين وحكموا بينهم السلاح ،
فكانت هذه المدنية المادية أشبه بسمير
الآخرة ، تنضج الجلود ولا تزهر الأرواح
ليستمر الاضطراب ويتجدد العذاب ويدوم
للطبيعة الخداعة هذا الثوب البراق بفضل
هذا الإنسان الاحمق الذي يعمل ولا يعرف
لماذا . ويسرع ولا يدري إلى أين ! ...

لا نستطيع إذن أن نفصل بين نهضتنا
والأدب ، ولا بين حضارتنا والدين اتعاضا
بالفشل المروع الذي نكبت به الحضارة
الغربية ، وإيماناً بأن لنا نحن العرب
رسالة روحية اصطفاها الله لأدائها جيلاً بعد
جيل ، ليبقى الاتصال بين السماء والأرض ،
ويدوم المدد بين الله والإنسان .

كان أثر عكاظ في نهضة العرب أشبه بأثر الجناز في نهضة الإغريق . كان الإغريق يقيمون الجناز للألعاب الرياضية في مدينة (أولمبيا) كل أربع سنين كلما حجوا معبد (جوبيتر) كبير الآلهة . وكانوا يحرمون القتال على أنفسم مدة الحج واللعب على نحو ما كان يفعل العرب في الأشهر الحرم . ثم أصبح هذا الملعب الرياضي ميدانا لرجال الفسك والشعر والخطابة والتشيل كان له الأثر البالغ في ازدهار الأدب الإغريقي على الجملة .

على أن عكاظا كان أثره في نهضة العرب والأدب أقوى ، ومداه أبرد ، فقد كان الرواة ينصرفون منه إلى أحيائهم وقراهم ، وعلى ألسنتهم ما حفظوا من شعر ، وما سمعوا من قصص ، وما اكتسبوا من علم ، وما شهدوا من وقائع فينشرونه بين الناس في السوامر والأندية فيفتتح الوعي ، وتنشأ المعرفة .

وهكذا اجتمعت الأسباب الطبيعية لنهضة عرب الشمال قبل الإسلام من احتشادهم في هذه الأسواق ، واجتماعهم لإداء الحج ، واختلاطهم بأولى الحضارات والديانات من الأمم المجاورة ، واحتفالهم بقرض الشعر وتأثرهم به ، وطموحهم إلى المجد وصعيتهم له ، حتى كان من ثمار تلك النهضة أولئك الأبطال الأعلام الذين قبلوا الإسلام وفهموه وفقهوه ونصروه ونشروه وقاموا على أمره ، كما نبى بكر وحمز وعثمان

اختلاطا بالحبشة في الجنوب ، وبالفرس في الشرق ، وبالروم في الشمال ، ثم كانوا على أنارة من العلم بالكتب المنزلة باليهودية في يثرب وما جاورها من أرض خيبر ونياء وبالنصرانية في الشام ونجران والحيرة .

ذلك إلى أن مكة كانت في الجاهلية كما هي في الإسلام موضع البيت المحرم ، وكان الحج المفروض فتتدف إليها قبائل العرب من أقطار شبه الجزيرة يتنصرون المناسك ، ويقبضون المنافع . وبفضل هذا الاجتماع الديني العام كانت تقوم سوق عكاظ السنوية في شهر ذي القعدة على مسافة قريبة من مكة ، فيجتمع فيها الحجاج وهم في حى الأشهر الحرم ، وهي الهدنة العامة المقدسة ، فيبيعون ويشتررون . ثم تدعو طبيعة الاجتماع إلى المقارضة بالقول والمفاوضة في الرأي والمباذلة بالشعر والمباذلة بالفصاحة . وكان الشعراء من أمثال : النابغة والأعشى ، والخطباء من أمثال : عمرو ابن كلثوم ، وقيس بن زهير ، والسكمان من أمثال : قص بن ساعدة ، وأمية بن أبي الصلت ، يقومون في هذه السوق مقامات مشهورة للبدح والفخر والوعظ . تحرض بعض النفوس على الشر ، وتوجه بعض النفوس إلى الخير ، وتسئ للفتوة العربية خلال المجد ومناهج الحمد ، وتذيع فيما تذيع وحدة الخلق والعادة واللغة والغاية .

الأدب يؤازر الثورة كما آزر النهضة ، فكان يشجع القلوب بالشعر ويحس الجنود بالقصص ، ويرى الأمور بالخطابة ، حتى ظهر الإسلام على الدين كله وتم نوره في الشرق كله .

هذا إجمال القول في النهضة العربية في القرن السادس ، مهد لها الأدب ، ومهدت هي للإسلام ، وأتم الإسلام الألفة بين القلوب والوحدة بين القبائل ، ثم أشعل الثورة على الوثنية واللاستقراطية والفساد حتى طهر الأرض وحرر الناس ، ومدن العالم .

أما نهضة العرب الأخرى في القرن العشرين وأثر الأدب فيها فهي موضوع المقال التالي .

أحمد حسن الزيات

وعلى وحمرو وغالد وسعد . وإيس أدل على فضج العقلية العربية في ذلك الحين من هؤلاء . وكلهم من أقطاب الفكر والرأى والخطابة . ولسلطان الأدب على النفوس في هذه النهضة كانت معجزة الإسلام الوحيدة هي البلاغة وسلاحه القاطع هو التحدى ، ثم كانت من معارك الدعوة النبوية العظمى معركة الشعر . نشبت بين حسان بن ثابت ، ركب بن مالك ، وهب الله بن رواحة من شعراء الإسلام ، وبين عبد الله بن الزبير وأبي سفيان ، وعمرو بن العاص من شعراء الشرك ، فلما اصطدمت الدعوة بالعناد، ووضع المشركون في طريقها السيف، أمر الرسول بالجهاد فكانت الثورة وكان الفتح وكان السلام ، واستمر

في الإسلام

... الإسلام يريد أن يكون الخلفاء والولاة أمناء للناس على حقوقهم ، وأموالهم ومراقبتهم ، يدبرونها عن ملائمتهم ، وعن مشاوره ومؤامرة ، وبمضونها في غير تجبر ولا تكبر ، ولا أثرة ولا استعلاء ، ويدبرونها كذلك لا على أنهم صادة يمتازون من الناس بأى لون من ألوان الامتياز ؛ بل على أنهم قادة يثق الناس بهم ويطمثون إليهم ، ويرونهم كفاءة للقيام على أمورهم ، فيعهدون إليهم بهذه الأمور عن رضا واختيار ، لا عن قهر أو استكراه . ثم يراجعهم في هذه الأمور من شاء منهم أن يراجعهم فيها ، فإن أصابهم لم أنهم أخطئوا كان من الحق عليهم أن يعودوا إلى الصواب ، وإن أصابهم لم أنهم انخرفوا كان من الحق أن يستقيموا على الطريقة ... وعلى هذا النحو ... مضى النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا اختاره الله لجواره مضى خلفاؤه على سنته ... ، . (طه حسين)

حكمة العيد وما شرع له

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون
شيخ الجامع الأزهر

وجه الإمام الأكبر فضيلة الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع
الأزهر تلك الكلمة الطيبة المسلمون في استقبال عيد الفطر المبارك :

آثار كحرية نيلت بعد فضال ، أو استقلال
استخلص من احتلال ، أو نصر مؤزر على
عدو ظالم ، وعدوان غاشم ، وكل هذه الأعياد
ترجع لسبب واحد تهمته الأمم كل عام ،
وتتكرر فكرته الواحدة على الدوام ،
ولكن أعياد الإسلام تميزت عن كل الأعياد ،
بتعدد دواعيها ، فمع كل عيد مبررات الفرح
به والبهاشة له والافساح فيه ، فعيد الفطر
الذي تستقبلونه اليوم يمثل الجزء العاجل
من قام بالواجب ، فحق المؤمن أن يفرح
فيه لأنه أطاع أمر ربه ؛ فكيف نفسه عن
الشهوات ، وجهد عاداته بالجور تصفو ،
وبالظلم لتشرق ، وأصلح من مضغة قلبه
فكيف هن محارم ربه ، واسطة طاع أن يعيش
شهرأ كاملاً صائماً النهار ، قائم الليل ، مهذب
النفس ، مثالي السلوك ، نقي السر رقيق الجهر ،
جميل الفعل ، سخي البذل يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ،
فحقه أن يفرح لأنه انتصر على النفس ، وتغلب
على الشيطان ، وأدى الواجب كما طلب منه ،
ونفذ الأمر كما وجه إليه وإذا كان هذا فرحه
بفطره . فكيف تكون فرحته بلفاء ربه .
أيها المسلمون : لأنكم بهذا تستطيعون أن

أيها المسلمون : باسم الله أحبيكم ، في اليوم
الذي حياكم الله به فجعله لكم هيداً تستقبلونه
بالبهجة ، والافساح ، وتميدونه في الزينة
والبهاء ، وتزاورون في صفاء ، وتلقون
في ولاء ، تهادون في سخاء ، وتهادون في وفاء ،
وتتعاونون في أريحية ، وتتكافلون بالعطية ،
كلكم باسم الثغر المنطلق الأساور ، طروب
القلب ، تتجلى صفاء نفسه على جوارحه
بشاشة تلاق ، وحرارة عناق ، وعذوبة تحلب ،
ورائق مجاملات ، وهكذا يريدكم الله دائماً
كل وقت ، كلكم سعيد ، وكل يوم في حياتكم
عيد ، ولا يتم لكم أيها المسلمون ذلك إلا إذا
فهمتم حكمة العيد وما شرع له ، ورعيت سره ،
وما يقصد منه ، فالعيد في الإسلام يختلف
عن العيد في غيره : ف فكرة وهدفا وحكمة
ومزية . فالإعياد في الأمم قد تكون للترفيه
المجرد الذي يمكن الناس من حرية لا تنال
في جد الحياة ، وكفاح العمل ، وقد تكون
لاستقبال أحداث جميلة تمر بالامة . فيصيدها
منها خير وبركة ونعمة وازدهار .
وقد تكون استعادة لذكرات سارة لها
في ضمير الأمم لكبار لها في حياتها من

بمجمع سعيد فاضل متكامل يتوجه بكل طاقاته لأجادة أمته وإعزاز ملته .

أيها المسلمون : إن هذا العيد لا يدرك فرحته ، ولا يحس البشريه إلا من قدم عليه هذا الجهاد من الصيام الحق ، والقيام الصدق والسلوك الورع ، أما من أسرف على نفسه وغالف عن أمر ربه فإنه يستقبله بحسرة ولا تغنى ، وندم ولا يفيد ، تنقبض نفسه حين يرى انبساط المعاصي ، وتكون مظاهر السرور في عينه ، قدى ونعمات الهاتى في أذنيه جنادل فيندك كبرياؤه ، ويحقر نفسه ، وهكذا يكون ذل العصية أمام عز الطاعة وخوى الضلال أمام جلال الامتثال ، وتحاذل البغى أمام سمو الهدى .

أيها المسلمون : قبل الله صيامكم وقيامكم ، وألزمكم كلمة التقوى ، وأصح منكم العنن والنجوى ، وحياكم بتحياته الطيبات المباركات ، وجعل في وقوفكم بين يديه لصلاة العيد قرة عينكم ، وانشراح صدوركم وجعل تكبيركم له شارة حياتكم ، ورمز جهادكم فادهوه وأنتم ساجدون له : أن يوفق المسلمين في جميع البقاع ، إلى أحسن القول وخير العمل ، وأن يحقق لهم كل ما يصبون إليه من أمل ، وأن يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وأن يوفق قادتهم إلى جمع كلمتهم حتى يتخلبوا على الأحداث ويردوا سهام أعدائهم إلى نحورهم .

وختاماً أهفئكم أيها المسلمون في كل قطر وكل عام وأتم بخير ؟

فجعلوا كل حياتكم إسعاداً ، وتصيروا كل أيامكم أعياداً ، وذلكم يكون باستدامة طاعة ربكم ، والجاهدة الدائمة لنفوسكم حتى تجددوا بعد كل طاعة فرحة ، ومع كل امتثال سروراً ، وعند كل جهاد عزة ، ومع كل كرم راحة ، وبهذا تكونون أهلاً لفروضاته الدائمة ، وتجلياته المتتابة وتصيرون أحقاء بمودة الله ، جديرين بمبعته في كل الفشون ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

أيها المسلمون : لقد هرقت في رمضان تعالى الإيمان ، فلا قصلوا منه ، ولا ترجعوا عنه وإلا فغيرة الله على حدوده وعارمه في كل زمان ، ولا يتميز بها رمضان عن غير رمضان ، فاستبقوا فضائله في نفوسكم ، وآثروه في سلوككم واجعلوا منه رياضة على التقوى طيلة عامكم فقد كرهه الله كل عام ليجدد لليقين طاقته ، ويقوى للتؤمن هزيمته ، وإياكم أن تفسدوا على نفوسكم حكمة الله في العيد فتجعلوا فرحه لهواً ، وبشره لعباً ، ونيته تفاخراً ، وإحسانه إساءة وأشعروا بفرحة العيد كل بائس ، وأدخلوا نعمة الأمل على كل يائس ، ولا تحرجوا فقيراً إلى ذل مسألة ، ولا تلجئوه إلى خجل مظهره وصلوا الأرحام التى قال فيها الرحمن : من وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته ، وكونوا الأيتام أبا بالإحسان إليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً غافوا عليهم ، وليجدوا المكدرودون هندكم راحتهم والضعفاء عندكم قوتهم ، واجعلوا شكر نعمة الله عليكم بركم بعباله ، وبهذا تنعمون

هيا إلى العيد الأكبر

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

وما ذنب هذا الغلام البرى ؟

وما ذنب أمه ؟

وماذا جنى والده ، يحتطف منه وقد
أتاه على كبر ، وبشر به من لدن الله ،
بشر به من مع وصفه بالحلم ، والحلم سيد
الأخلاق ، فقال تعالى عنه : « وبشرناه
بغلام حليم » .

إن حكمة الله فوق كل حكمة ، وتقديره ،
سبحانه ، فوق كل تقدير . وما ذلك الأسر
في الرقيا إلا أسلوب من أساليبه ، سبحانه ،
في القرية : يخص به الذين اصطفى من عباده :
« إن الله اصطفى آدم ، ونوحا ، وآل
إبراهيم ... » .

وهذا الاصطفاء يقتضى صفاء وتصفية
وإسلاما كاملا لله سبحانه ، ولقد أسلم
إبراهيم عليه السلام ، نفسه وقلبه ، وجمع
كيانه لله سبحانه ، ونجح نجاحا كاملا ، فيما
اختبره الله به من ألا يشرك مع الله أحدا
في الحب حتى ولو كان ابنه ؛ حتى ولو كان
هذا الابن أفى على لطفه وشوق لإيمه .

ها هو ذا يفرد الله بالمحبة ، ويستعد

في يوم من الأيام استدهى سيدنا إبراهيم
عليه السلام ، ابنه ليسير معه قليلا ، وبينما
هما سائران ، خاطبه في صراحة صريحة قائلا :
« يا بنى إني أرى في المنام أنى أذبحك ،
فانظر ماذا ترى » .

في هذا الإقليم الذى كانت الوالدة الحنون ،
تسمى فيه محرونة حيرى ، شفقة تبحث عن
قطرات من الماء ، تحيى بها نفس هذا الغلام
- الذى كان طفلا إذ ذاك - حتى لا يموت بين
يديها ظلما ..

في هذا الإقليم الذى أفتقد الله الطفل وأمه
فيه ففجر الماء نبعا صافيا : فشرب الطفل ؛
وشربت أمه وحمدت الله وشكرته .

في هذا الإقليم ، حاولت الأم جامدة أن
تحيى ابنها ، وفي هذا المكان نفسه حاول
الأب ذبحه استجابة للنداء في الرقيا .

سبحانك ربى ۱۱۱ أنقذه صغيرا ،
وتسقيبه قرّة عين والديه : حتى تغلفت محبة
في القلوب ، وغمرت كيان والديه : تأمر
بذبحه ، أشد ما يكون الوالدان حرصا عليه ،
ومحبة له ؟

الذى يسجل بجفل تذبح فيه الدبائح يأكل منها البائس والفقير ، وتصنع منها موائد شبيهة تقدم للأكليين شكراً لله على هذه الهداية ؛ وهذا التوفيق الذى كانت تتيحه : والإسلام .

إن هذا الدين الذى كل فى القلب نغمه بالنور ، وهذه النعمة التى أتمها الله ، وهذا الإسلام الذى رضيه سبحانه ... إن كل ذلك : لا بد له من هيد بل أعياد تعبر عن الشكر ، وعن الحد ، وبمقدار قرب الإنسان من معنى الإسلام يكون عيده الأكبر . ولكل إنسان عيده بمقدار إخلاصه لله ، وخشيته منه ، وخضوعه له ، وعبوديته الصافية أو المشوبة .

ما هى الوسيلة الكبرى التى تنتهى بها إلى العيد الأكبر ؟

إن من بين الوسائل الكثيرة التى بينها الله لتنتهى بالإنسان إلى الإسلام ... ثم إلى العيد - إن أسلم حقاً - وسيلة كبرى هى : الحج .

وما من شك فى أن العيد هو أولاً وبالذات ، لحجاج بيت الله الكرام ، وهو على الخصوص لمن أسلم - فى الحج - لإسلاماً صحيحاً منهم ؛ وبمقدار تصحيح الدين ، وتصحيح الإسلام : يكون العيد . وإذا كانت الأمة الإسلامية كلها :

للتضحية بابنه ، لا يتردد ، ولا يقباطاً . وإذا كان قد قال لابنه : « فانظر ماذا ترى ؟ » . فما كان ذلك تخميراً للابن ، وإنما هو رغبة من الشيخ المؤمن فى أن يستجيب ابنه : طوعاً لا كرها : فيكون الثواب والجزاء الحسن . لقد استجاب الشيخ وأسلم وجهه لله ، فكان بذلك مسلماً . فما هو موقف الابن ؟

لقد حقق الابن أمل والده ، فأجاب فى غير تردد ولا تباطؤ : « يا أبت افعل ما تؤمر » ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين .

لقد أسلم الابن : أسلم وجهه لله ، طمعاً فى رضائه . وأحب رضا الله ، فوق حبه لنفسه ، وللحياة الدنيا بأسرها ...

فلما أسلموا لإسلاماً خالصاً صافياً مطلقاً : جاء الفداء من الله ، سبحانه ، فناداه :

« يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا : إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا هو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم » .

هذا الإسلام منهما وإنما هو لله سبحانه وتعالى وحده ؛ وهذا هو الإسلام الذى استتبع الفداء ؛ وهذا هو الإسلام الذى يستتبع حتا الفداء فى كل عصر ، وفى كل مصر ، وهذا هو الإسلام الذى ينطوى فيه الإنسان إنطواءً كلياً تحت الراية الإلهية فيكون فى حياة الله ورعايته ، وعنايته : هو

والآخرة ، الملك والملكوت له سبحانه ؛ لا شريك له . هذه التلبية هي شعاره الدائم ؛ هي سنته المستقرة ، ينطق بها إذا صعد ؛ وينطق بها إذا هبط ؛ وينطق بها إذا ركب ؛ وينطق بها إذا نزل ؛ إنها ذكر في كل لحظة ، فتصبح بذلك يقينا تاما .

حتى إذا ما انتهت به الأسفار إلى بيت الله الحرام ، ودخل المسجد قال هذه الكلمات التي تمبر عن التلبية بصورة أخرى وهي : « بسم الله ، وباقه ، ومن الله ، وإلى الله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ويبدأ الطواف ببسم الله ، والله أكبر ، ها هو ذا يطوف بالبيت راجيا أن ينال نظرة من رب البيت : لعل الباب يفتح ، ولعل الاستار ترتفع ، لعل الألقعة تتكشف فتزول ، لعل نسائم الرحمة تهب ، لعل رب البيت يأذن بالدخول ، لعل الرضا الكريم يغمر الأجواء والآفاق ، لعل الله يتقبل : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

ويبدأ السعي بين الصفا والمروة ، يبدأ ببسم الله ، والله أكبر : إنه يسعى أمثالا ، لأمر الله ، ويسعى وهو متذكر تلك السيدة الكريمة التي كانت تسعى في طلب الماء رحمة

تحتفل قرحا بالعيد ، فإن ذلك : إنما هو احتفال بهذه النخبة الغادرة القليلة ، التي كمل دينها ، وتمت نعمة الله عليها ، وغيرها نور الإسلام .

أما هذه الوسيلة الكبرى للإسلام الخاص ، وبالتالي العيد - أعنى الحج - فإنها تبدأ أول ما تبدأ بالتوبة النصوح الصادقة ، ودعاء الله أن يجعل حجه خالصا لوجهه الكريم . وممذ هذه اللحظة يقطع صلته بالماضي الآثم ليبدأ مستقبلا صالحا كريما . وتبدأ شعائره الله في الحج بالإحرام : فيغتسل الإنسان ، وينوي غسل الإحرام ، ويتم له بذلك الاغترسال الباطني بالتوبة النصوح والاغترسال الظاهري ، إنه أصبح من المتطهرين ، وتثبيتا لذلك وعلامة على انقطاع صلته بالماضي ، وتجردا إلى الله : يفارق الثياب الخبيطة ، ويلبس ثياب الإحرام : بيضاء ، ناصعة ، ثم ينوي (الإحرام بالحج) ومعنى ذلك : أنه أصبح خالصا لله ، مستجيبا إلى ندائه الكريم بأن : لا يتجه إلى سواه ، فينطق فؤاده ، وتنطق جوارحه : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك : إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) ها هو ذا الآن قد لبى : أي : استجاب إلى الله ، ونفى الشريك عنه سبحانه وقصر الحمد عليه واستقر في كيانه : أن ما به من نعمة فمن الله ؛ وأن الملك كله لله ، والدنيا

إن وبني قريب مجيب . إن وبني رحيم ودود . وإذا سألك عبادي حق فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون .

أما بعد : فإن أعمال الحج في أشهر الحج : قنتي بهذه الصورة الرائعة صورة العزم المصمم على الابتعاد المطلق عن الإثم والمعصية بمثلة هذه الصورة في رجم إبليس مصدر الشر والإثم : إن الحج ينتهي بقتل إبليس بالرجم - أو بتعبير أدق - ينتهي بقتل الشر حتى لا يتسلل مرة أخرى إلى النفس .

وأما بعد : فيقول صلوات الله عليه : (من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) فإذا ما خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه : استحق أن يحفظ بالعيد ، وأن يهنأ بالعيد ... وهانحن أولاء قد عرفنا الطريق إلى العيد فهي بنا نساكك أيها المسلمون ، ومن يلبغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه .

(اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) . وبالله التوفيق .

هبة الخليم محمود

بأنها : إنه يسعى طلباً للنبي الصافي الذي يتفجر من قلبه رحمة وإخلاصاً : إنه يسعى ليشرب من الكأس التي يشرب منها الأبرار إنه يسعى ليشرب من العين التي يشرب بها عباد الله ، إنه يسعى فيمتلئ قلبه بالرحمة ، فيجد العين الصافية التي وجدها كل من حقق هدف الرسالة المحمدية ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، ويجدها كل من قبل هدية الله إلى العالم ، وهدية الله إلى العالم : إنما هي سيدنا المصطفى صلوات الله عليه ، ورحمته وبركاته ، فقد قال :

(إنما أنا رحمة مهداة) .

إنه : صلوات الله عليه يمتزج بهذه الصفة السكرية فيسكون معها وحدة ، فهو رحمة ، وهو رحمة مهداة ، قبلها من قبلها : ففاز في الدنيا والآخرة :

« وبنا آتينا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً » .

(والحج عرفة) كما يقول صلوات الله عليه ، وفي عرفة تجتمع الأرواح وقد تزكت بالتوبة والإحرام ، والطواف ، والسعي : تتجه إلى الله في ضراعة . وتدهو سبحانه ، في خضوع وتق شاخصة ببصرها إلى السماء في خشوع طالبة من الله لرحمة العامة الشاملة ، والرحمة الخاصة المنجية .

التثليث والصلب والقيامة والفداء

ونظائرهما في الفلسفة الأديان السابقة

للدكتور عبد الواحد وافي

خاصاً ، وعهد إلجم بأمر الفصل في هذا الخلاف واتخاذ ما يرون اتخاذه من قرارات أخرى في الشئون الدينية ، على أن تصبح قراراتهم مذهباً رسمياً يعتنقه جميع المسيحيين فانتهوا إلى عدة قرارات كان من أهمها القرار الخاص بالوهية المسيح وتكفير أريوس وحرمانه وطرده من هيئة الكهنوت : (فقد كان أريوس حينئذ قسيساً بكنيسة الإسكندرية) ، وتكفير كل من يذهب إلى أن المسيح لإنسان وحرقت جميع الكتب التي تتضمن هذا الرأي وتحريم قراءتها .

وكان من أشد أنصار هذا القرار والداعين إليه بطريرك الإسكندرية

ومنذ ذلك الحين أصبح هذا الرأي عقيدة رسمية للدين المسيحي ، وأخذت المعتقدات الأخرى تنقرض شيئاً فشيئاً تحت تأثير ما كان يتعرض له أصحابها من اضطهاد وهذاب ، حتى انقرضت جميعها فلا توجد أية فرقة مسيحية لا تقول بالوهية المسيح . فهم الآن يعتقدون : أن الابن أو الكلمة أصل إلهي ، وأن هذا الأصل قد تجسد في جسم المسيح ، وكل ما بينهم من خلاف في الوقت

ترجع أم الأصول التي تقوم عليها المسيحية الحاضرة إلى العقائد الآتية :

١ - الوهية المسيح ، وقد استقرت هذه العقيدة في المسيحية بعد مجمع نيقية الأول الذي انعقد بأمر قسطنطين إمبراطور الرومان سنة ٣٢٥ ميلادية ، وذلك أن الفرق المسيحية قبل هذا المجمع لم تكن على رأي واحد فيما يتعلق بشخصية المسيح ، فبعضها كان يقول بالوهية ، وبعضها كان يقول ببشريته ، وكان على رأس الفرق القائلة ببشريته أتباع أريوس ، وفي سنة ٣٢٥ ميلادية أمر قسطنطين إمبراطور الرومان بأن يعقد مجمع « مسكوني » أي مجمع يضم ممثلين لجميع الكنائس في العالم المسيحي ، يفصل أمر الخلاف بين أريوس ومعارضيه ، ويتخذ ما ينبغي اتخاذه من قرارات أخرى في شئون العقيدة والشرعة ، فاجتمع في نيقية ثمانية وأربعون ألفاً من الأساقفة ، ولكنهم لم يستطيعوا الإجماع على رأي ، وبظهر أن قسطنطين كان ينجح للرأي القائل بالوهية المسيح ، فاختر من بين المجتمعين ثمانية عشر وثلاثمائة من أشد أنصار هذا المذهب ، وألف منهم مجلساً

بطبيعة روح القدس ، فبعضها كان يذهب إلى القول بأنه حادث مخلوق .

وكان من أشهر الفرق التي ذهبت إلى القول بحدوثه أتباع مقدونيوس ، الذي كان بطريرك القسطنطينية في القرن الرابع الميلادي فاجتمع من أجل ذلك في القسطنطينية سنة ٣٨١ مجمع آخر اشتهر باسم المجمع القسطنطيني الأول ، وكان عدد أعضائه مائة وخمسين أسقفا ، وانتهى إلى إقرار الرأي القائل بالوهية روح القدس ، وكانت كنيسة الاسكندرية من أشد الكنائس تعصبا لهذا الرأي ، كما كانت من أشدها تعصبا للرأي القائل بالوهية المسيح . وكان لأقوال بطريرك الاسكندرية والحجج التي أدلى بها في هذا المجمع أثر كبير في توجيهه إلى هذا القرار ، ويصف ذلك ابن البطريق (وهو مسيحي من رجال القرن الثالث الهجري) فيقول : « قال تيموثاوس بطريرك الاسكندرية في هذا المجمع : ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله ؛ وليس روح الله شيئا غير حياته ؛ فإذا قلنا : إن روح القدس مخلوق ؛ لقد قلنا : إن روح الله مخلوق ؛ وإذا قلنا : إن روح الله مخلوق فقد قلنا : إن حياته مخلوقة ؛ وإذا قلنا : إن حياته مخلوقة ؛ فقد زعمنا أنه غير حي ؛ فقد كفرنا ؛ ومن كفر به وجب عليه اللعن ، واتفقوا على لعن مقدونيوس

الحاضر في هذا الصدد يرجع إلى فهم هذا التجسد وما أضافه إلى الطبيعة الإلهية الأولى ، فبعضهم يذهب إلى أن المسيح ليست له إلا طبيعة واحدة وعشيدة واحدة ، وهما الطبيعة الإلهية والمشيئة الإلهية ، وأن هذا التجسد لم يضاف شيئا إليه ؛ وهذا هو رأي ثلاثة كنائس أرثوذكسية وهي : الكنيسة المصرية المرقسية ، والكنيسة السريانية والكنيسة الأرمنية . وبعضهم يذهب إلى أن المسيح له طبيعتان ، طبيعة إلهية ، وطبيعة إنسانية ، أي اجتمع فيه اللاهوت والناسوت بحسب تعبيرهم ، ولكن ليست له إلامشيئة واحدة وهي المشيئة الإلهية ، لالتقاء الطبيعتين في أقنوم إلهي واحد ؛ وهو الابن أو الكلمة ؛ وهذا هو رأي كنيسة صغيرة هي كنيسة الموارنة (أتباع يوحنا مارون) ببلبنان ، أما ما عدا هؤلاء وأولئك من المسيحيين فيذهبون إلى أن للمسيح طبيعتين ومشيتين ؛ فهو يعمل ما يشبه الإله أن يعمل في طبيعته ، وما يشبه الإنسان أن يعمل في طبيعته ؛ وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبها بمشيئتين غير متضادتين .

٢ — الوهية روح القدس : وقد استقرت هذه العقيدة في المسيحية بعد المجمع القسطنطيني الأول ، وذلك أن الفرق المسيحية قبل هذا المجمع لم تكن على رأي واحد فيما يتعلق

انبثاق بعضها عن بعض ليس انبثاق توالد ، بل انبثاق تلازم كانبثاق الضوء عن الشمس .
 ٤ — صلب المسيح وقيامته ورفعته : يجمع المسيحيون في الوقت الحاضر وتجمع أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم ، على أن المسيح قد تأمر عليه الفريسيون من اليهود والحكام من الرومان ، وساعدتهم في مؤامرتهم هذه هوذا الإسخريوطي ، الذين كان أحد حوارى المسيح الاثنى عشر ، ثم خان عهده وأوشد هؤلاء إلى مكانه وإلى شخصه ، وأن هذه المؤامرة قد انتهت بالحكم على المسيح بالإعدام صلباً فصلب ثم دفن ، وأنه قام من قبره بعد ثلاثة أيام من دفنه (وهذا هو ما يعبر عنه المسيحيون بالقيامة ، ويحتفلون به في عيد يسحى عيد القيامة) وأنه ظل بعد ذلك مع حواريه المسيحيين وتلاميذه وأُنهضه أربعين يوماً يعلمهم ويرشدهم ، ثم رفع إلى السماء وجلس على يمين أبيه ، يصرف شئون العالم ، وأنه سيمتلى هو يوم القيامة حساب الناس على ما فعلوه في الحياة الدنيا .

٥ — عقيدة الفداء أو الخلاص : يجمع المسيحيون في الوقت الحاضر وتجمع أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم أن المسيح قد صلب لي كفى بذلك عن الخطيئة الأزلية ، وهي الخطيئة التي ارتكبها آدم إذ عصى ربه وأكل من الشجرة ، فانتقلت الخطيئة بطريق

فلعنوه هو وأشياعه ... وبذلك زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثة والثمانية عشر أسقفا الذين اجتمعوا في نيقية - الإيمان بروح القدس الرب المحيي .

وقد أصبح هذا الرأي عقيدة رسمية للدين المسيحي ، وأخذت المذاهب القائمة بمحدث روح القدس تنقرض شيئاً فشيئاً حتى انقرضت جميعها ، فلا توجد الآن أية فرقة مسيحية لا تقول بألوهية روح القدس ، وكل ما بينها من خلاف في الوقت الحاضر في هذا الصدد يرجع إلى تحديد الأصل الإلهي الذي انبثق منه روح القدس ، فالكنيسة الغربية الكاثوليكية التي يرأسها بابوات روما تذهب إلى القول بأن : روح القدس منبثق عن الأب والابن معاً ؛ بينما تذهب الكنيسة الشرقية اليونانية التي يرأسها بطاركة القسطنطينية (ويطلق عليها كذلك كنيسة الروم الأرثوذكس) إلى أنه منبثق عن الأب وحده .

٣ — عقيدة التثليث ، وبعد إقرار ألوهية المسيح وألوهية روح القدس أصبح الإله في المسيحية عبارة عن ثلاثة أقانيم أى أصول ، وهى الآب (أو الأصل) والابن (أو الكلمة) وروح القدس ، والاقرنم الثانى : وهو الابن أو الكلمة هو الذى تمجد فى المسيح من الثعاق روح القدس بمريم العذراء ، وهذه الاقانيم قديمة كلها وإن كان بعضها منبثقاً عن بعض ، وذلك أن

الآب؛ والثاني : هو العقل : وهو يقابل ما يدهوه المسيحيون الابن أو الكلمة ؛ والثالث : هو الروح الإلهي : وهو ما يدهوه المسيحيون روح القدس .

فالتشابه ، بل التوافق ، واضح بين أقانيم أفلاطون والأقانيم المسيحية في طبيعتها ، بل في أسمائها نفسها . وكل ما بينهما من فرق ينحصر في أن أقانيم أفلاطون ليست في نظره سواء في الجوهر والرتبة ؛ بينما هي متساوية عند المسيحيين ؛ فالابن الذي يتولد من الآب لا يمكن في نظرهم أن يكون أدنى كلاً منه ، وإلا صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطراباً عنه غير الكامل ، وهذا حط من رتبته ؛ وكذلك روح القدس فهو عندهم مساو للآب والابن . ومعروف أن أفلاطون قد ظهر قبل المسيح بأكثر من أربعة قرون (٤٢٩ - ٣٤٧ قبل الميلاد) ، وأن نظريته هذه كانت سائدة لدى اليونان والرومان الذين افترض بينهم الدين المسيحي . فكأنهم لم يعتنقوا هذا الدين إلا بعد أن طوعوه لتفكيرهم وصبغوه بألوان فلسفاتهم .

٢ — الفلسفة الأفلاطونية الحديثة : وذلك أن أفلوطين (٢٠٥ - ٢٧٠ م) زعيم مدرسة الإسكندرية ، وهي المدرسة التي تنسب إليها الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، كان يرى فيما يتعلق بالكون ومنشئه أن الله هو منشئ الأشياء لا يتصف بوصف من

الوراثة إلى جميع نسله ، وكانت ستظل عاقبة بهم إلى يوم يبعثون لولا أن افترضهم المسيح بدمه ففي صلبه كان الخلاص للآدميين .

وغنى عن البيان أن هذه العقائد دخيلة في المسيحية ويظهر أنها قد وفدت إليها من فلسفات قديمة ومن رواصب أديان ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية والتي احتك بأهلها المسيحيون ومن أهم الفلسفات والأديان التي تتضمن أشباهاً نظائرها هذه العقائد ويحتمل أن تكون المسيحية قد تأثرت بها كلها أو بعضها الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، والديانة البرهمية والديانة ، البوذية والديانة الإيرانية القديمة . ١ — أما الفلسفة الأفلاطونية . فكانت

تذهب بصدد الألوهية إلى أن الله تعالى قد وضع بينه وبين العالم وسيطين يعتبران دونه وخارجين عنه ، وعلى نحو ما داخلين فيه ، أى تتضمنهما ذاته ، صادرين عنه ، دونه في الكمال ، وبذلك أصبح نمكنا ، من طريق هذين الوسيطين ، أن يصدر عن الله الواحد الكامل - البريء من التغير - هذا العالم الكثير الناقص المتغير ، وأول هذين الوسيطين العقل وثانيهما الروح الإلامى . وبذلك أصبح الإله في نظر أفلاطون ثلاثة أصول أو أقانيم : أولها : هو مصدر كل كمال ويحوى في وحدته كل الكمالات ، وهو يقابل ما يدهوه المسيحيون

وصلب الإله وتقديم نفسه ذبيحة لتخليص الإنسانية من خطاياها ، أى على العقائد نفسها التي استقر عليها الدين المسيحى ، غير أن ثالوثها يختلف عن ثالوث المسيحيين في نشأة كل أقنوم من أقنومه وعمله وصفاته ، ونظريتها في الخلاص والفداء تختلف كذلك بعض الاختلاف عن نظرية المسيحيين .

وذلك أنها تقرر أن الإله برهما كان قبل الوجود ، وأنه خلق العالم وسعى نفسه الخالق ثم انبثق الإله سيففا ، وهو الإله المدرس الموكل بالخراب والفناء ، ولوترك هذا الإله وشأنه لفنيت السموات والأرض ومن فيهن . ولهذا انبثق من برهما إله ثالث حافظ بجدد هو الإله فيشنو أو كريشنا . وهذا الإله الأخير قد خلص بنى الإنسان بتقديم نفسه للصليب فداء عنهم . ومن ثم يصورونه مصلوبا مثقوبا باليدبن والرجلين ، وعلى قيصه صورة قلب إنسان معاق فوجوه الشبه واضحة كل الوضوح بين هذه العقائد ، وما استقر عليه الدين المسيحى . فإذا لاحظنا أن البرهمية قد انتشرت في بلاد الهند وغيرها قبل ظهور المسيحية بنحو خمسة عشر قرنا ، وأن عقائدها قد تركت آثارا واضحة في كثير من الآديان والنحل اللاحقة لها في مختلف أرجاء العالم ، ترجح ما ذكرناه من احتمال تأثر المسيحية الطارئة في عقائد التثليث والصلب وفداء باندين البرهمى القديم .

أوصاف الحوادث ، فليس بجوهر ولا عرض ، وليس فكرا كفكرنا ، ولا إرادة كإرادتنا ، يتصف بكل كمال يليق به ، ويفيض على كل الأشياء نعمة الوجود ، ولا يحتاج هو إلى موجد ؛ وأن أول شيء صدر عن هذا المنشئ هو العقل ، وقد صدر عنه كأنه يتولد منه ، ولهذا العقل قوة الإنتاج ، ولكن ليس كمن يولد عنه ؛ ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح ، وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ، ومنه يتولد كل شيء .

فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذا المذهب من جهة وعقيدة التثليث التي استقرت عليها المسيحية من جهة أخرى . وإذا لاحظنا أن هذا المذهب كان منتشرا ومعمروفا قبل مجمع نيقية بأمد طويل ، وأنه كان المذهب الفلسفى لمدرسة الإسكندرية ، وأن بطريارك الإسكندرية الذى نشأ في البيعة التي ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية وفي المجمع القسطنطيني الأول كما تقدم بيان ذلك ، إذا لاحظنا هذا كله ترجح الاحتمال الذى ذكرناه : وهو أنه يظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة .

٣ — الديانة البرهمية في أوضاعها الأخيرة : وذلك أن الديانة البرهمية قد اتقرت أوضاعها في آخر الأمر على الاعتقاد بتثليث الآلهة

٤ — الديانة البوذية في أوضاعها الأخيرة :
وذلك أن الديانة البوذية قد استقرت كذلك
في آخر الأمر على الاعتقاد بألوهية بوذا ،
وأنه الابن الوحيد ، وأنه تجسد في الناسوت
وقدم نفسه ذبيحة ليكفر عن ذنوب البشر ،
ومن ثم يسمونه : المسيح والمخلص والابن .
ولا يخفى ما بين هذه العقائد ونظائرها
في المسيحية من قطايق يكاد يكون كاملاً .
وهذا يرجح احتمال تأثر المسيحية الطارئة
في عقائد الابن والصلب والخلاص بالديانة
البوذية التي ظهرت قبلها بنحو خمسة قرون .

٥ — الديانة اليونانية القديمة :
الأساطير اليونانية أن الإله بروميتيه
(بروميثيوس) هو إله النار وخالق الإنسان
وحاميّه ومؤسس حضارته وأنه صلب في سبيله
وذلك أنه لما طرده رئيس الإلهة جوبيتير
من السماء وهبط إلى الأرض وقف حيماته
على العناية ببني الإنسان ، فعبد صورهم ،
وأصلح حواسهم ، ووهبهم العقل والتفكير
وعلمهم بالم يسكنوا يعلمون . ورأى أن النار
تعدّ وزم فاختلسها من السماء وأهداها لهم ؛
فأصبحت حظاً مشاعاً بينهم وبين الآلهة ،
وكانت مصدر حضارتهم ، وقد أثارته فعلته
هذه نفقة جوبيتير فصلبه على صخرة في جبال
القوقاز . ولكن بروميتيه — وهو الإله قد
كتب له الخلود — لم يكن الصلب بمستطيع

إهلاكه . فلم يصح جوبيتير إلا أن يفكر في
عذاب يلزمه أبد الأبد . ووكّل تنفيذ
ذلك إلى ابنه هيفيستوس وإلى نسر من الفسور
الجارحة . أما هيفيستوس فقد كلف عمل قطع
حجارة من الحديد يغرسها الفينة بعد الفينة
في بروميتيه . وأما النسر فقد كلف أن ينقض
على بروميتيه فيمزق أحشاءه بمخالبه ، ينش
كبده ؛ فإذا ما بدل كبدا وأحشاء أخرى عاد
إليه النسر حتى اليوم التالي فكرر فعلته معه ...
وهكذا دوّ اليك حتى قبض له الإله هيركول
(هرقل) فكانت قيامته ونجاته على يديه .

ولا يخفى ما بين هذه الأسطورة وأسطورة
صلب المسيح من اتفاق في كثير من العناصر .
فجبل القوقاز الذي صلب فيه بروميتيه يقابل
جلجته (أو الكاليفير) الذي تقول أناجيلهم :
أن المسيح قد صلب فيه ؛ وصلب بروميتيه
في سبيل بني الإنسان يقابله ما يقرب المسيحيون
من صلب المسيح لتخلص بني آدم من الخطيئة
الآزلية ... الخ — وقد حاول الفلاسفة من
آباء الكنيسة أن يبرروا هذا التشابه العجيب
بين أسطورة كانت رائدة في عقائد اليونان
قبل المسيحية بعدة قرون وما يقولونه في صدد
المسيح ، فذهبوا إلى أن أسطورة بروميتيه
ليست إلى مظهر آمن إلهامات المسيح وتبشيرا
بمجيء المخلص للعالم ألهمت به الوثنية اليونانية
إلهاماً .
وكتبت على عهد الرومان والبي

التطورات التشريعية للطلاق

للاستاذ محمد محمد المدني

أحكام أخرى تتصل بالطلاق

٧ - (ختام البحث)

بقي بعد ما ذكرناه في الفصول السابقة أحكام أخرى من شأنها أن تحدد من كثرة الطلاق ، وأهمها :

وهذا هو ما يسمى عند علماء الأصول بالحكم السببي ، وهو في قوة أن يقول المشرع : (جعلت الصيغة الفلانية سبباً في الحكم الفلاني) فإذا وقعت الصيغة وقع فلا يجوز لأحد من الناس بعد ذلك أن يقطع هذا الارتباط الذي ربطه الشارع بين السبب والمسبب لأن ذلك من شأن الشارع فقط كما أجمع عليه العلماء .

٢ - لكن ولي الأمر قد يلاحظ في أمر من الأمور أن الناس يسرفون في شأنه ، أولاً يتعرون الشروط التي شرطها الشرع فيه ، أو يقسفون في استعمال حقهم المشرع تعسفاً من شأنه أن يضر بالغير ؛ وقد يرى لمصلحة الأمة أن ينظم أمراً من الأمور المباحة على نحو يمكنه من تسجيل التصرفات ودراسته أحوال الناس من طريق إحصاء أحوالهم المعيشية أو الاجتماعية .

١ - إيقاع الطلاق أمام القاضي أو بغيره :

١ - الصيغة التي اعتبرها الشارع لا بد أن تؤدي مقتضياتها ما دامت قد صدرت بمن يملكها مستوفية شروطها ، وهذا حكم شرعي يجمع عليه بين العلماء ، ومن بين ذلك صيغة الطلاق فإذا أوقع الزوج على زوجته طلاقاً توافرت فيه الشروط المعتبرة شرعاً ، فلا بد من وقوعه ، سواء أكان ذلك أمام القاضي ، أم كان بعيداً عنه ، وسواء أكان بإذنه أم بغير إذنه ، فانطلاق حق مباح للزوج في الحدود التي رسمها الشارع له ، وقد استعمل حقه ، فليس للقاضي ، ولا للمشرع الوضعي ، أن يقول له : أنت أيها الزوج لم تستأذن في إيقاع الطلاق فلا يقع طلاقك ، أو أنت أوقعته بعيداً عني ، أو ممن هو نائب عني ، فلا يقع طلاقك : ليس له هذا ولا ذاك ؛ لأنه حينئذ يكون حائلاً بين أن تأخذ صيغة شرعية

٣ - يأتي بعد ذلك ما يقال من أن لإزام الأزواج بالذهاب إلى القضاء - إذا أرادوا التطلق - سيجبر إلى ذكر الأسرار ، وكشف كثير من المسائل التي يضر كشفها بالأسر ... الخ .

وهذه مسألة تنديرية تختلف فيها الأنظار ، فقد يرى بعض الناس : أن القضاء عادة هو المرجع عند الاختلاف ، وأن هناك قضايا كثيرة من قضايا الأسر تنتظر أمامه ، وتكشف فيها الأسرار ، ولا مندوحة من قبول ذلك ، لأنه قد يكون أهون الشرين ، وأخف الضررين .

٢ - الإشراف على الطهر :

وهذه المسألة لها شيء من الصلة بالمسألة السابقة وأصلها قوله تعالى في سورة الطلاق : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ مِنْ لَدُنْهُنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ، لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِمَا حَقُّهُنَّ مِنْهُنَّ . وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا . فَإِذَا بَلَغَ أَجَلَهُنَّ فَمَسْكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ قَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، وَأَشْهَدُوا ذَرَى عَدَلٍ مِنْكُمْ ، وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ . »

فقوله تعالى : « وَأَشْهَدُوا ذَرَى عَدَلٍ مِنْكُمْ ،

فهذا أو ذاك يضع نظاما قانونيا يلزم به الناس ليحقق هذه الأغراض ، وله ذلك بشرط ألا يصادم ما هو مقرر بحكم الشرع .

ففي مسألتنا هذه يمكنه أن يشرح نظاما يلزم الناس ألا يوقعوا الطلاق إلا أمام من يمثل السلطة القضائية أو نحوها ، فيقول للأزواج : من أراد أن يطلق زوجته فلا يقدم على هذا التطبيق إلا أمام القاضي ، أو بعد إذن القاضي ، ومن خالف ذلك فطلق زوجته بعيدا عن القاضي ، أو بغير إذنه ، فإن طلاقه يقع - لأن هذا هو حكم الشرع لكنني أعاقبه بالعقوبة التي يقرها قانون هذا النظام ؛ لأنه خالف أمرى ، وما هو من حق بمقتضى ولايتي .

فهو بهذا لا يكون خارجا على الشرع ، ولا معطلا لصيغة من الصيغ التي اعتبرها ، ولكنه إنما يقوم بدور تنظيمي يترتب على القيام به دفع ضرر ، أو تحقيق مصلحة .

والخلاصة : أن هناك فرقا بين أن يقول القانون : « لا يقع الطلاق إلا أمام القاضي أو بإذنه ، وأن يقول : « لا يوقع الطلاق إلا أمام القاضي أو بإذنه ، فالعبارة الأولى مصادمة لما قرره الشرع في شأن الحكم السببي ، أما العبارة الثانية فهي نهي قانوني للمكلف في شأن تنظيمي .

يتعرضون في مجلس القضاء للنظر في أنهم
هدول أو غير عدول .

٣ - بطاوة الطلاق في الحيض .

وهذه مسألة يختلف فيها العلماء ، والمذاهب
الأربعة تحكم بوقوع الطلاق في الحيض ،
ولكن هناك كثيراً من العلماء يرون عدم
وقوعه ، ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة ،
لا نطيل بذكرها ، حيث لا يتسع لها المقام ،
وهي أدلة قوية يمكن التعميل عليها ، فيكون
من ذلك تخفيف آخر لمشكلة الطلاق .

٤ - وجود المنة تعويضاً للمطلقات :

١ - يقول الله تعالى في سورة البقرة :

« لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم
تمسوهن ، أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن
على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره متاعاً
بالمعروف حقاً على المحسنين ، الآية ٢٣٦ .

« وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم
إلا أن يعفون ، أو يعفو الذي بيده عقدة
النكاح ، وأن تعفوا أقرب للتقوى ،
ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون
بصير ، الآية ٢٣٧ .

وهاتان الآيتان تدلان على أن المطلقة
قبل الدخول :

راجع إلى قوله : « فأمسكون بمعروف ،
أو فارقوهن بمعروف ، ، أى إلى الرجعة
والطلاق كليهما والأمر فيه الوجوب لأنه
ليس هناك قرينة قصره من الأصل .

فن أشهد على الطلاق فقد أتى بالطلاق
على الوجه المأمور به شرعاً ، وكذلك الرجعة .
ومن طق ، أو راجع دون إظهار فقد تعدى
حدود ما أنزل الله في هذه الآية .

بذلك يقول ابن عباس ، وعطاء ، وهو أحد
قولين للشافعي ، وأحد قولين للإمام أحمد .
وذنب النية الإمامية إلى رجوب الإشهاد
على الطلاق ، وأن هذا الإشهاد ركن من
أركانه ، فن لم يشهد ذوى عدل على طلاقه
فهو لغو كأن لم يكن .

فلو أخذ بهذا المذهب لخنفت كثيراً
من مآسى الطلاق ؛ إذ أن الغالب على الناس
أهم يتخرجون من حضور مجلس طلاق
أيشهدوا عليه ، فيكون من هذا فرصة أمام
الزوجين للريث حتى يوجد من يشهد ، فلعل الله
يحدث بعد ذلك أمراً يمدد به إلى الزوجين
الصفاء .

وربما كان ذلك سبيلاً إلى نقل الخلاف
إلى القضاء ليتحقق من أن الشايعين ذوا عدل
كما شرط القرآن ، أو ليس أحدهما أو كلاهما
من ذوى العدل ، ومن ثم يحجم الناس
- إلا قليلاً - عن الشهادة على الطلاق لكيلا

تعالى : « إلا أن يعفون ، أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » .

وأيدوا ذلك بحديث رواه عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولّى عقد النكاح هو الزوج » (١) .

٢ - ويقول الله عز وجل فى سورة الأحزاب :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من هدة تحددونها ، فتموهن وسرحوهن سراحا جميلا ، الآية ٤٩ » .

وظاهر هذه الآية أن المطلق قبل الدخول ، لها المتعة ، ولم تقيد بعدم تسمية المهر ، كما فى الآية وقم ٢٣٦ من سورة البقرة التى سبق إيرادها .

وبذلك تكون المتعة لها ؛ وإن سمي لها المهر ، فالمتعة شئ آخر غير المهر .

• فن رأى حل هذه الآية المطلقة فى سورة الأحزاب ، على الآية المقيدة فى سورة البقرة ، حكم بأن غير المدخول بها - التى سمي لها المهر - ليس لها متعة ، وإنما حقها الواجب هو نصف المهر المسمى .

• ومن رأى حل الآية المقيدة على الآية

• إذا لم يسم لها المهر كان لها المتعة حسب ومسح الزوج .

• وإذا سمي لها المهر كان لها نصفه .

وفى ذلك اتجاه واضح إلى تعويض المرأة المطلقة بعد أن تهيأت للزواج من رجل ثم حرمت من هذا الزوج فلم يتم دخوله بها .

بل يرى بعض العلماء أن التى سمي لها المهر يرغب الشارع فى إعطائها المهر كله ، لا نصفه فقط ، على سبيل الاستحباب ، وذلك أنه يفسر الاسم الموصول فى قوله تعالى : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » بالزوج الذى طلق زوجته ، ويقول : إن الله تعالى يرغب فى أن يعفو عن حقه فى أخذ نصف المهر ، أى يتنازل عنه ويعطيها المهر كاملا ، وقد يؤيد ذلك قوله تعالى : « وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم » ، فإن الأنسب أنه موجه إلى الأزواج لا إلى المطلقات ، ولا إلى أولياء الزوجات .

وقد أسند هذا رأى إلى على ، وشریح ، وسعيد بن المسيب ، واختاره أبو حنيفة ، والشافعى فى مذهبه الجديد .

وقد روى الدارقطنى عن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة من بنى نصر ، فطلقها قبل أن يدخل بها ، فأرسل إليها بالصدّاق كاملا ، وقال : أنا أحق بالعفو منها - قال الله

(١) راجع ص ٢٢ من كتابنا « مناهج التفكيك فى الفريضة الإسلامية » .

ويجبره الحاكم على ذلك أحب أم كره ، برهان ذلك قول الله تعالى : « وللطقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » ، وقوله تعالى : « ومتعوهن على المرسع قدره وعلى المنقر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين » ، فعم الله مزوج كل مطلقة ولم يخص ، فأوجبه حقا لها على كل متق يخاف الله تعالى .

• ويرى بعض العلماء أن المنة واجبة لكل مطلقة إلا التي سمي مهرها ولم يدخل بها ، فإن نصف المهر منة لها يغني عن فرض منة أخرى ، ويجمع بذلك بين النصوص .

وهذا هو مذهب الشافعي ، وقول لأحمد ، واختاره ابن تيمية .

بهذا يقين أنه يمكن النظر في تقرير تعويض للطقات استناداً إلى ما تقدم ، فيكون ذلك جبراً للبرأة المطلقة التي فرض عليها زوجها الطلاق ، وفوت عليها الطمانينة في بيت الزوجية ، ولا سيما إذا كبرت سنها ، وفات شبابها ، كما يكون في ذلك أيضاً ردع للأزواج عن الإقدام على الطلاق إلا بحساب ؟ وقد انتهى البحث والحمد لله .

محمد محمد المرنى

المطقة - أى بالعكس - قال : إن المطلقة على عمومها ، والمقيد داخل في المطلق باعتباره فرداً من أفرادها ، وبذلك حكم بأن التي سمي لها المهر : لها منة أيضاً سوى نصف المهر . وكل ذلك في غير المدخول بها .

٣ - وقال الله في سورة البقرة : « وللطقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » الآية ٢٤١ . وفي سورة الأحزاب :

« يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جيلاً ، الآية ٢٨ .

والآية الأخيرة تدل على المنة للدخول بها . والآية التي أوردناها قبلها ؛ تدل على أن المنة عامة لكل مطلقة .

• ولهذا يرى ابن حزم : أن المنة واجبة لكل مطلقة ، لا فرق بين مدخول بها وغير مدخول بها ، فيقول في كتابه « المحلى » :

« المنة فرض على كل مطلق ، واحدة ، أو اثنتين ، أو ثلاثاً ، أو آخر ثلاث ، دخل بها أم لم يدخل ، فرض لها صداقها أم لم يفرض لها شيئاً - بمتعتها ، وكذلك المفتدية أيضاً - أى التي طلبت من زوجها الطلاق على مال ، أى على سبيل الخلع - ولها المنة أيضاً

فجاءت القلابة

آية فيها نور للأبصار والبصائر

لؤسنار عبد اللطيف السبكي

« هو الذي جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً ، وقدره منازل ، لتعلموا عدد السنين والحساب . »

٢ - وانظر قول الله : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً » .

فهذا توجيهنا إلى أمور مشهودة ، إذ لا يستطيع إنسان أن يحل ، أو يتجاهل فضل الشمس ، أو القمر في هذا الوجود الذي تتقلب في آفاقه .

ذكر الله أنه جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً ... وهذا الإبداع مظهر لحكمته ، ومناطق لمنافع خلقه ، وروعة في جمال ملكه .

وفرق ما بين الضوء ، والنور : إن الأول أوضح سناء ، وأطول مكثاً ، وهو لمنفعة النهار ، وقد جعل الله النهار معاشاً .

وأما النور فهو أقل وضوحاً ، وأسرع نهاية ، وهو لمنفعة الليل ، وقد جعل الله الليل لباساً ، نستقر فيه للنوم ، والاستجمام . وفي هذا يقول تعالى : « هو الذي جعل لكم

١ - من عناية الله بنا أن ضاعف لنا أمارات الهداية ، وجعل من آياته المشهودة نظاماً لحياتنا ... ووسيلة إلى تعرف الأحكام في ديننا .

وأنت ترى في الآية التي معنا توجيهها إلى ربط الدين والدنيا ، بما يدل على أن الله - سبحانه - لم يجعل أحدهما بمعزل عن الآخر ... بل أقام الدنيا دار عمل ، وسبيل أمل ... فليس على صواب من يحسبها حياة زمنية ليس بعدها جزاء .

واليس على صواب كذلك من يبتس في الدنيا حقها ، ويحقر شأنها حتى يصورها في صورة ممقوتة ، ويفرس في الأذهان أن الاتجاه إليها مأثمة .

فإن في هذا التصوير استهجاناً لما أودع الله فيها من خير ، وتجاهلاً لما يتاح بها من فعيم الخلود ...

ولا الظلمات ولا النور، ... وهذا من البدايات .

وحينما أراد الله أن يضرب لنفسه مثلاً لاثقاً بعظمته ، وتصويراً لاسبغ نعمه هائلاً اختار أن يصف نفسه بالنور ، فقال : **الله نور السموات والأرض ، فذكره** .
لأن نور الله هو نور القصد منه أنه أقل من الضوء ، بل المعنى أوسع من ذلك التجدد .

ولفظ النور أعذب منطلقاً في أسلوب الآية من لفظ الضوء .

والمراد : أن الله صاحب النور المطلق في ملكوته ، سواء : أكان النور حسياً من الشمس ، والقمر ، والنجوم ، وكل ما يستضاء به ... أم كان نوراً معنوياً بالهداية ، والتوفيق اطاعته .

فكل ذلك من معالم قدرته ، ومشاهد وجوده ، وألوهيته ... وكلها إشارات توحى إلى العقل بالطاعة ، وحسن الاستجابة .

ومن أجل هذا كان من دعوات الصالحين قديماً أن يطلبوا نوره الكاشف عن صراطه المستقيم ، والعاصم لهم من عثرات الضلال ، فكانوا يقولون : اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً ... الخ

وهذا الدعاء يترجم لنا استسلام العبد لربه واحتضامه بحوله وقوته ، حتى لا يكون

الليل لتسكنوا فيه ، والهار مبصراً ، ، وذلك التنويع هو الأصل المفروض غالباً .

ومع ما في ضوء كل منهما من منافع حيوية لكل ذي روح في كليهما خصوصيات يصلح بها الجو ، وينمو بها الحيوان ، والنبات ، ويتوقف عليها فصح الثمار المختلفة الأنواع .

ولو تصورنا الدنيا مجردة من شمسها وقرها : كيف تكون بهجتها : د أو ا مقام فيها ، إنها لتكون ظلمة كظلمة الكهوف أو أشد ، ولا تكون الدنيا مأوى صالحاً لذى روح .
ففضل الشمس والقمر في الحياة ، هو عنوان الحياة .

وتلك إشارة القرآن في قوله تعالى : **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ... وسخر لكم الليل والنهار ،** .

وقد يذكر النور دون تفريق بينه وبين الضوء .

بل يقصد منه بوجه عام أنه نعمة قدسية من جانب الله .

وعلى هذا التعميم جعله الله مورداً لتشبيه الإيمان به : **د** فالإيمان نور القلب ... والكفر والضلال في أى لون من ألوانه ظلمة القلب ... والقرآن حافل بالآيات في ذلك التشبيه حتى جعل الله المؤمن بنور الإيمان مبصراً ، وجعل الضال بظلمة ضلاله أعمى .
د وما يستوى الأعمى والبصير ...

وهذا ما صرح به آية أخرى « والقمر قدرناه منازل ، حتى عاد كالعرجون القديم ، والعرجون هو شروخ النخل ونحوه ، فإنه ينمو ، ثم يجف أخيراً بعد وطوبته ويصفر بعد نضارته وخضرته ثم يتقوى بعد اعتداله وحكمة ذلك في القمر أن تتميز به الأوقات ونحتسب به الأشهر ونعرف به عدد السنين وحسابنا في موعد الصوم ، والحج والأسفار ومدة العدة للنساء ، وغير ذلك من شؤون الحياة يعرف في سهولة بالنظام القمري الميسور . فضلاً عما في أحوال القمر من أثر في حياة الزرع ونضج الثمار .. وكذلك في الشمس . غير أن عادة الناس أن يلاحظوا ذلك في القمر كثيراً لدورانه بين نور في ظهوره ، وظلمة بغيابه ، فيتضح لهم أن له أثراً بيناً في شأن الزرع ، كما أن الظلام نفعاً في بعضها . ه — وتوكيداً لهذه الحكم الربانية في أحوال الشمس والقمر ، يقول سبحانه : « ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، فلا هبث ، ولا لهو في صنع الله ، وإنما هي أوضاع مقدورة ، وإبداع صانع حكيم .

واقه يفصل آياته ، ويبرزها على صفحة الكون ، وينسقها في كتابه ، لتكون مشار علم ، ومشرق هداية لمن هيات إمدارهم للعلم ، وتحررت هقولهم من لومة العناد ، والإصرار على التقليد في الباطل ، والركون إلى الجهاة .

للسيطان عليه سبيل ، وقد وعد الله بذلك من ينيب إليه في إخلاص . ومن يسلم وجهه إلى الله وهو عسن : فقد استمسك بالعروة الوثقى ، وإلى الله عاقبة الأمور .

٤ — ذكر الله الشمس والقمر ... والشمس هي ... والقمر يكون أول أمره هلالاً .. ثم يكون قرأ بعد ثلاث ليال ... وحيث أنه يتجلى نوره ، ويتألق في سماءه ، ولهذا ذكر بلفظ القمر لاتضاح شكله ، وقوة ظهوره ، فيكون الامتنان به أوقع في السمع ، وفي النظر وفي الاقتناع ... ولم يكن القمر أثناء ظهوره لنا حبيساً في فطاق محدود ، بل هو سائر في مجراه ، وقدره الله متنقلاً في منازل كما أن الشمس كذلك ليست حبيسة ، بل هما يتعاقبان ، ولا يدرك أحدهما الآخر . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ، وإنما ذكر هن القمر دون الشمس أن الله قدر له منازل ، ليفيدنا أن القمر مع سرعته بالنسبة للشمس ليس مندفعاً في انطلاقه ، بل هو سير رتيب ونظام مقدور .

ونحن ندرك نموه شيئاً ، فشيئاً ، وندرك تقله من غرب إلى شرق حتى يكتمل تمامه ثم يكون مطلع من الشرق إلى الغرب هكس ما بدأ ، ويحتجى وويدأ ، وويدأ هكس ما بدأ كذلك ...

العالم تكون أصح ، وأزكى من تقوى الجاهل
ومن خلال هذا ندرك أن الإشادة بالشمس
والقمر ، والضوء والنور ... وأن التنبيه
على اختلاف الليل والنهار : ليس مجرد
ما ذكر من ظواهر النعمة ، بل الأمر أوسع
من ذلك ... وأن هذا بجسالات فسيحا للبحث
العلمي العقلي في منازل الشمس والقمر ،
وفي ارتباط كل منهما بالآخر ، وفي تدرج
كليهما في فلسفة الخاص ، وما وراء ذلك من
علم بالكواكب والنجوم : بما حدثنا الله عنه
تصريحا ، أو تلميحا .

وحينئذ : ندرك أن العلوم الكونية كالفلك ،
والرياضة ضرورات ، لا يستغنى عنها الباحث
في توجيهات القرآن ، ولا الراغب في المزيد
من معرفة أهداف القرآن ، نعم : لم يجعل الله
الاستيعاب فرضا عينيا ، وخفف عنا ،
فألزمتنا معرفة الأحكام ... لأنها الغاية الأولى
في تصحيح الدين والمعاملة .

ولكن التبحر في المعرفة غاية لا تسقط
فرضيتها عن الجميع ... بل هي رسالة القادرين
على الاجتهاد في كل جانب من جوانب العلم
للدين ، أو للدنيا .

فإن الإسلام لا يقف بنا عند حدود معينة
في التفسير - ولا يرضى لنا أن نظل عيانا
على جهود الغير في باب الثقافة ، والمعرفة .
وكم أشاد بالعلم ، وبأهله : دون تقييد بنوع منه

وتوكيدا ثانيا - يقول الله : « إن في اختلاف
الليل والنهار وما خلق الله في السموات
والأرض آيات لقوم يتقون » .

وهذا التوكيد مرة ، بعد مرة تقوم الحجة
عليها في التخلف عن دعوة الله ، فليست لنا
معدرة بعد توافر الامارات على ربوبيته ،
وألوهيته ، وحكمته فيما خلق ، وإبداعه
في كل ما تقع عليه العين ، ويحيط به النظر ،
ويهدى إليه العلم في جنبات الكون : علويه
وسفليه ، وفيما بين السماء والأرض من
كائنات لا يحيط بها غير الله .

٦ - ولكن هذه الآيات إنما تجدى
جدواها وتستلزم نتائجها عند من يوجهون
أنفسهم ، ويحللون من أهوائهم ، فيكشف
الله عنهم رجز الشيطان . ويعيذهم من همزاته ،
ويزيدهم هدى ، ويؤاثرهم تقواهم ... كما وعد
في كتابه : « والذين اهتدوا زادهم هدى ،
وآتاهم تقواهم » .

وانظر تجد أن آية الشمس والقمر ختمت
بقوله تعالى : « آيات لقوم يعلمون » ، وأن
آية الليل والنهار واختلافها طولا ، وقصرا
وتعاقب كل منهما للآخر : ختمت بقوله :
« آيات لقوم يتقون » ، وفي ذكر العلم أولا ،
« والتقوى » - ثانيا - توجيه بين : إلى أن العلم
مرموق ، ومطلوب وأنه سبيل إلى التقوى
هن بيته ، وفهم ، وحسن تقدير ، فتقوى

ودون نوع . وكما فضل أهل العلم على سواهم من أصحاب الحياة ، وأرباب الأموال وكما وهبهم ربهم برضوانه عنهم ، إذ أعر فوا ملأ يديهم .
ومع أن الله أفاض على رسوله ما أفاض من معرفة ، فقد حث على التعلق بالعلم في قوله : « قل رب زدني علما » . وهذا تشريع منه لحلقه عامة والمسلمين خاصة .
وما ذلك إلا لما وراء العلم من خير الإنسانية ، ولما وراءه بالذات من وصول إلى الحق ، وهداية إلى الله .
وفي ضوء هذا نجد العلم الحديث يفيدنا في فهم الكثير من الآيات الكونية كما سلف . وليس حتماً أن يكون العلم الحديث صادراً عن مسلمين ... فإن العلم هبة الله لفريق من عباده - ثم هو بعد ذلك ضوء يشرق سناه بين المسلمين وغير المسلمين .
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في ذلك ، « خذ الحكمة ، ولا يضرك من أي وعاء خرجت » ... ويقول : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها » .
ولا جدل في أن علوم الدين خير ما يدرسه الإنسان ، وهي أكرم حصيلة ينالها من جده في بحره وهي الذخيرة الباقية مع صاحبها في أخراه ، إن كان أميناً عليها ومهتماً بها في غير تصنع ، ولا مراعاة للنبي يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

وعلوم الدنيا وسيلة إلى أهدافها في الحياة والحياة بحاجة إلى الكثرة ، لتكون هنية لنا ، ومزرعة للأخرة . فإذا اقترن بلوم الدنيا وعى صادق ، وفطنة إلى مشرق العلم ، وأنه منحة الله لمن هبأ له . كان ذلك سبيلاً إلى الإيمان والإيمان والعلم على سواء ... ولا حياء بينهما إلا إذا كان علماً ضاراً . أو كان بريفاً في جنات إنسان مغرور : فإنه هذئذ يحول بين القلب وبين الاهتمام إلى مشرقه الأول ويكون علماً في دائرة العيش الدنيوي ولا ينفض بصاحبه إلى نعيم الخلود في حياة الخلود . ذلك الذي أضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة .
وذلك أيضاً هو قول الله سبحانه عن علماء الدنيا : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون » ، يعني أن جدري العلم في الدين أقوم شأماً وأبقى نفعاً ولا يساويه علم الدنيا . وبدد : فأما نجد في الآية القصيرة كثيراً من المقاصد القدسية الهامة ... ونجد المجال الثقافي في كتاب الله فضفاضا يتسع للاقتباس في غير تكلف وهو مهياً للأفهام .
وحسبنا ما نذكره ، والله يهدينا ، وينفعنا بالعلم ، وبالعمل . ويحفظنا من الضلال ، والجهالة .

من بحوث مجمع البحوث

كتب ظاهر الرواية

للإمام محمد بن الحسن

بقلم الفاضل بن عاشور

- ٢ -

كان يقتصر فيها على الفوازل الواقعة. كما تتمثل في بسط الأحكام، وبسط انطباقها على مناهج الحكم من الصورة المفروضة بكيفية تختلف عما كان يسير عليه الإفتاء الصادر عن المجتهدين الأولين مؤسسي المذاهب من الإيجاز، والاقتصار. ولقد كان الإمام محمد بن الحسن يشعر كما يشعر الناس من حوله، بما بدا في صنيعة الجديد: من خصوصيات وميزات لم تكن للأوضاع الفقهية من قبله، فكان لسان الحال، نطق منهم وعنه، بوصف المنهج الذي انتهجه، لجعل ذلك الوصف علما معنونا على ما ألف محمد بن الحسن، فسمى كتابه «المبسوط»، وبقى هذه الكلمة كناية «المبسوط»، بعد وضعها العلمي، الذي وضعت به على كتاب: محمد بن الحسن الشيباني لا تخلو عن لمح للتعني الوصفي الذي نقات عنه بما يمثل منهجا خاصا في تدوين الفقه، فأطلق اسم «المبسوط» على طائفة كثيرة من الكتب الفقهية التي انتهجت ذلك المنهج، من أوضاع القرن الثالث والقرن الرابع والقرن الخامس.

كان الإمام محمد، صاحب أبي حنيفة، قد انتصب لتدوين الفقه: تدوينا جاء مع الفروع مستوعبا للسائل، مفصلا للأحكام على تفاصيل الصور: بطريقة لم يسبق إليها أحد قبله في تصنيف الفقه. وكان اعتماده في جميع الأحكام، المفصلة على مسائلها، المطبقة على صورها، على ما قرره الإمام أبو حنيفة: بما روى عنه محمد بن الحسن مباشرة أو ماروى عنه أبو يوسف، بما وافقه فيه معا، أو خالفه معا، أو خالفه أحدهما ووافقه الآخر.

فكان هذا المنهج الجديد في تدوين الفقه يبراد الصور مفروضة الوقوع لواقعة نازلة وتفرع الصورة من الصورة بتفرع افتراضات الإمكان العقلي لصور الوقائع، متسلسلا بعضها عن بعض، والاجتهاد في تقرير الحكم الشرعي المنطابق على كل صورة من تلك الصور المفروضة، المتسلسلة على المنحو الذي تواف عليه القوانين الآن، قد أعطى التدوين الفقهي صورة جديدة من البسط تتمثل في استيعاب المسائل بطريقة افتراض، بعد أن

سلك الإمام : محمد بن الحسن في تصنيف كتاب المبسوط . مسلك أخذ المواضيع الفقهية موضوعا موضوعا مستقلا كل موضوع منها هن الآخر ، على طريقة التبويب التي درج عليها الإمام مالك في الموطأ . واعتبر كل موضوع من تلك المواضيع : وحدة جامعة للمسائل المتفرعة منه والراجعة إليه ، بحيث أصبح الموضوع قائما بذاته مفرغا في قالب مستقل ، وكذلك أصدر محمد بن الحسن ما صنفه في الفقه كتباً كتباً بحسب المواضيع الفقهية : الصلاة ، والزكاة ، والمناسك ، والعرف ، والرهن والشفعة ، والوكالة ، والإقرار ، ونحو ذلك إلى عامة أبواب الفقه ، كما أوردها ابن النديم في الفهرست . فلما جمعت تلك الكتب ، وضم بعضها إلى بعض تكونت منها مجموعة تصانيف ، محتوية على أبواب الفقه بتفاريحها وتفصيلها فأطلق على تلك المجموعة الكاملة ، الموزعة على كتب ، اسم شامل لمجموعها : هو اسم المبسوط . ولذلك فإن الفقهاء يذكرونه بهذين الاعتبارين . فرة يعتبرونه كتاباً واحداً ، وأخرى يعتبرونه جملة كتب فيقولون : قال محمد في كتاب العارية أو قال محمد في كتاب الوديعة ، ويعنون بذلك كتاباً من مجموعة كتب المبسوط . وقد اهتم كثير من أئمة المذهب الحنفي باختصار المبسوط وكتبت على المختصرات شروح أهمها شرح شمس الأئمة المرخمي من رجال القرن الخامس هـ على اختصار الحاكم الشهيد ، وهذا الشرح هو

الذي اشتهر بمبسوط المرخمي . وقد طبع سنة ١٣٣١ هـ في ثلاثين جزءاً بعناية المرحوم محمد بن ساسي التونسي . ولما كانت كتب المبسوط قد صنفت على وحدة المواضيع الفقهية ، وتحري في المبسوط وتقليب المفروض وبيان اختلاف الرأي : بين الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، وصاحبيه ، فإن غرض الحرص على ضبط مذهب أبي حنيفة وتدوين قوله مفرداً عن الخلاف ، قد دعا إلى وضع مصنف جديد مبني على الاختصار في المسائل على قول أبي حنيفة والتزامه ، فألف - محمد للوفاء بهذا الغرض - كتاباً جامعاً لأبواب الفقه كلها على النحو المقصود وهو كتاب الجامع الصغير فجاء مشتملاً على مسائل تقدم ذكرها في كتب المبسوط ، أعيدت لأجل تحقيق هزوها للإمام أبي حنيفة ، ومسائل لم تذكر قبل ذلك ولا توجد إلا في الجامع الصغير وهي الأقل ثم كأنه لاحظ أن من مسائل الفقه ما بني على قواعد - تخفى على أكثر الناس - من دقائق العربية وخفايا العلوم الأخرى ، بحيث يقادروا إلى أذهانهم خلاف حكمها لغفلتهم عما عليه الحكم من مبنى دقيق ، فألف لها كتاباً يشتمل من كل باب على مسائل معدودة يوجز في قصورها ثم في تقرير حكمها وسماء الجامع الكبير . ولذلك جاء هذا الكتاب صعباً يحار العقل في فهم وجوه تأريعه حتى تشرح له كما قال عنه الشيخ زاهد الكوثري . ولذلك كتبت شروح كثيرة عن الجامع الكبير عد منها في كشف

قرون أو أكثر ، وقد جعل محمد بن الحسن تصنيفه للسيرة على صورتى تصنيفه للمسائل فى كتبه الأخرى فجاء بكتاب شامل لما روى عن أبى حنيفة وغيره وأفرد كتابا خاصا بما روى عن أبى حنيفة من ذلك . وسبى الأول وهو الشامل وكتاب السيرة الكبير ، والثانى وكتاب السيرة الصغير ، وكان هذان الكتابان آخر تصنيفه . وقد شرح كل منهما شروحا أهمها شرح شمس الأئمة المرخسى على السيرة الكبير وقد طبع بالهند فى حيدرآباد الدكن ١٣٣٦ فى أربعة أجزاء ثم أعيد طبع جزء منه من طرف معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بمطابق الدكتور صلاح الدين المنجد وبمطابق بهذه المكتبة الخمسة كتاب الزيادات الذى وضعه الإمام محمد إكالا لها وتفريعا عن مسائلها ، وهو أيضا ذو شروح كثيرة . وتوجد نسخة خطية منه تعد فى النودار بمخطوطات المكتبة العبدلية بتونس .

ومن هذه المكتبة الستة : المبسوط والجامع الكبير والجامع الصغير والسيرة الكبير والسيرة الصغير والزيادات . يتكون المرجع الأساسى للده الحنفى من كتب محمد بن الحسن وهو ما يعبر عنه بظاهر الرواية ، لأنها المروية عنه روايات مقهرة بطريق الثقات احترازا من كتبه الأخرى التى نقلت من طريق أقل شهرة . فكتب بظاهر الرواية ، هى التى نعددها لمقامها الأساسى فى روافد الثقافة الإسلامية .

محمد الفاضل بن عاشور

الظنون ثمانية وثلاثين غير التلاخيص والمنظومات وشروحها . وقد قامت بنشر هذا الكتاب لجنة إحياء المعارف النعمانية بالهند وكان طبعه فى سنة ١٣٧٦ هـ .

هذا وإن الأحكام الراجعة إلى موقف المسلمين باعتبارهم جامعة ، من غيرهم ، ونظام علاقتهم بهم سلميا وحربيا ، وضبط حقوق غير المسلمين باختلاف أحوالهم داخل بلاد الإسلام وخارجها ، وهى المسماة : أحكام السيرة أو المغازى لما كانت ناحية من العمل الفقهى الذى يشغل فيه المجتهدون بوضع الأحكام الموافقة للأصول الدينية المنطبقة على الأحوال الواقعية . وكان شأن هذه الناحية عظيما جدا فى بلاد الإسلام فى ذلك القرن الثانى ، ولا سيما فى الشام والعراق ، وكانت أكثر الصور التى عرضت للإمام محمد فى ما يرجع إلى تلك الأحكام قد عرضت له فى الأدوار الأخيرة من حياته بعد ولايته القضاء ، واعتباره مرجعا رسميا للدولة فى شئون علاقاتها الدولية ، فإن أكثر المسائل الراجعة إلى تلك الناحية من الفقه قد جمعها بعد أن صدرت كتبه ، ورويت عنه واشتهرت وشاعت ، فوضع لخصوص أحكام السيرة صنفا خاصا جامعا ، استوعب فيه أحكام العلاقات فى حالتى السلم والحرب ومسائل الأسرى . وحصانة السفراء والمهادنات والمعاهدات ، وبجرمى الحرب وغيرها من أدق المسائل التى لم يقتبها إلها فىبحث فيها الباحثون فى القانون الدولى إلا بعد ثمانية

إشارات أبي العلاء

للأستاذ كامل شاهين

ومن كل شذوذ من المنهج العام للشعر في عصره
ولقد ترى مثلاً لذلك في قصيدته العينية التي
أرسلها إلى أبي حامد الإسفراييني الفقيه ،
عند دخوله (أى أبي العلاء) بغداد .

وفي هذه القصيدة يصف رحله وما عاناه
من ندره الماء حتى اضطر للتميم ثم يشرح
التميم بنفس هادئ كأنه في حلقة درس الفقه
ويعرض لقصر الصلاة وجمعها فيقول :

ورب ظهر وصلناها على عجل
بعصرها في بعيد الورد لماع
بضربتين لطهر الوجه واحدة

وللا راعين أخرى ذات إسراع
وكم قصرنا صلاة غير نافلة

في مهمه كصلاة الكسوف شعشاع
الشاعر لم ينس أنه مقدم على فقيه ، وند
رأى أنه لا بد أن يبهز بالإشارات الفقهية ،
ثم هو لا تكفيه الإشارة بل يبسط الكلام
في راحة ، واطمئنان .

وأدعوك إلى النظر في كلمة ذات إسراع ،
لتبين إصراره على أن يتقصى شروط التيمم ،
وفي قوله « غير نافلة » تعلم أنه يصبر على
الاحتراس من الصلاة النافلة فإنها لا قصر فيها
وهذا ليس من شأن الشعر ، ولكن رغبته

١ — لا تكاد تجد لشاعر في العربية من
الإشارات ما لأبي العلاء الممرى .
فأنت تعثر في ثنايا شعره على إشارات
مختلفة الألوان ...

تجد الإشارات العلمية ، والإشارات
التاريخية ، والإشارات الأدبية والإشارات
الدينية .. وقد تجد في القصيدة الواحدة نمطين
أو أكثر ، وقد تخلو القصيدة خلوا مطلقاً منها .
فما الذي حمل أبا العلاء على اصطلاح هذا
اللون من التعبير ، حتى ليكاد يكون ظاهرة
غريبة يمتاز بها الشعر العلائي ؟ .

أفيكون داعية ذلك لإظهار المهارة ،
والتكبر بالمعرفة لأن ظروفه قضت أن يرحل
إلى بغداد ، وفي نفسه رغبة جاححة في الشهرة ،
وفي نفسه كذلك إيمان بأن شهرته لن تنسح
إلا إذا بهز العلماء ، وأنه لن يبهز العلماء حتى
يدخل عليهم بما لم ينالوا من حظ في معرفة
طرق التعبير ، أملاً في أن يقرأوا له بالعلم
والشعر في طلق واحد .

ذلك هو الماظن بما صنع أبو العلاء في شعره
من ناحية الإشارات ، ويمكن أن يكون تفسيراً
لما صنعه من ناحية الإغراب ومن ناحية
اصطلاح الجناس ، ومن ناحية إيهام التناسب ،

من مخالطة الكلاب ، يقبل على الاسفرايين
معرفا بنفسه ، وأنه :

مؤدب النفس ، أكل على سغب

لحم النواذب ، شراب بأنقاع
وبمخلص من ذلك التعريف الرائع الحلو ،
إلى استفتاء الشيخ في تعاطي الربا ، ويهجم
فيزعم أنه يبيح الربا من غير أن يخرق الإجماع
على حرمة :

أرضى وأسخط إلا أنفى ربما

أبئت غير مجيز خرق لإجماع
وبعد أن يبلغ هذا المدى من الإغراب ،
ولإرباك السامع ، وإماجة أشواقه ، يقدم
إليه (حل العقدة) في قوله :

وذلك أنى أعطى الموسيقى متجيا

من المودة ، معطى الود بالصاع
أعطى صاعا من الود ، أعطك وسقا أى
ستين صاعا ... فهذا هو الإرباء الحلال .

ولأنه مع هذه النسكت الفقهية المتصلة
لا يخفى قصيدته من بعض الإشارات الأدبية
وكانه يرى أن أبا حامد ليس فقيها يعجبه
هذا النحو من الكلام ليس غير ، فألم بطرف
صالح منها في مقام الحديث عن نفسه :

من قال : صادق لثام الناس . قلت له

قول ابن أسلت : قد أبلغت أسماعى
يشير إلى قول أبي تيس عامر بن الأسلت :

قال - ولم تقصد لقليل الخنا - :

مهلا ، لقد أبلغت أسماعى

في بسط نفس الفقيه الاسفرايين دعوته إلى
أن يجعل من الشعر درسا من دروس الفقه .
حتى إنه عند ما أراد أن يبين اتساع الفلاة
التي اضطرروا فيها إلى التيمم اختار لها تشبيها
من الفقه أيضا ، فالمهمة كصلاة الكسوف ،
وصلاة الكسوف كأطول ما تكون الصلاة
ركوعا وسجودا وقراءة (١) .

وهذا التشبيه تشبيه بمن في الغرابة ،
لا يلتقطه إلا فقيه ، ولا يستجده . ولهذا
إلا فقيه .

ولم يكده يفتى من ذلك حتى مضى يقول :
إن خوف اللصوص والمغربين في هذا المهمة
دعاهم إلى أن يصلوا سرا ، وألا يؤذنون بين
يدى الصلاة .

وما جهرنا ، ولم يصدق مؤذنتنا

من خوف كل طويل الرمح شراع
ثم أراد أن يبين هدة أعجابه ، فأصابها
في عدد الجرات التي يجمعها الحاج ليللا من
المزدلفة ، ويرميها في منى :

في معشر كجبار الليل أجمعها

ليلا ، وفي الصبح ألقها إلى القاع
وبعد أن يحدث عن غسل طمريه سبعا

(١) من ابن عمر رضي الله عنه : انكسفت الشمس
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام فلم
يسجد ، يركم ، وركم فلم يسجد ، يرفع ، ورفع
فلم يسجد يسجد ، وسجد فلم يسجد يرفع .
ثم قيل في الركعة الأخرى مثل فعله في الركعة الأولى

فيقول هؤلاء : ما أفقه شاعراً ، ويقول أولئك : ما أشعره فقيها ..

٢ — ولقد ينصرنا في هذا الظن أنه سلك هذه الطريق نفسها في قصيدته التي يدعى أنه ارتجلها عندما بلغه - هند دخوله بغداد - موت الشريف الموسوي ، والد الشريفين الرضى والمرضى ، مع فرق جدير بالاعتبار ، هو أنه أعرض عن الإشارات الفقهية إلى الإشارات العروضية والأدبية ، وكأنه يراعى بذلك الفرق بين الأسفرايين الفقيه والرضى الشاعر الكبير ؛ وتكفيينا إشارة في هذا البيت الذي يبين أن البيت (بيت الشريف) لم يضر بموت أى الشريفين ، هذا البيت الذي لا ندرى ، أنفعج لمعناه كيف التقطه أم لتشيجه الذي استند فيه إلى العروض فأحسن الاستناد ، أم نعجب لشرة العلم كيف تسلطت على الرجل ، فكادت تفسد لفظه الحلو ، ونغمه المطرد ... فذاك إذ يقول :

أتم ذوو النسب القصير ، فطولكم باد ، على الكبراء والأشراف

والخمران قيل : ابنة العنب اكتفت بأب عن الأسماء والأوصاف

ما زاغ بينكم الرفيع ، وإنما بالوجد أدركه خفي زخاف

فهذا البيت الذي قصر نفسه فظال ، مثله كدل الخمر غنيت بأنها ابنة العنب عن كل وصف ولقب ... هذا البيت لا يهدمه موت

ثم يبين رأيه في الهدايا ، وأنها كرامات لآخذها ما لم يرد بها الإغراء والإطعام وأنه ليس عنده ما يهديه إلا قصائده ، فعل المسيب ابن هلس :

ولا هدية هندی غير ما حملت عن المسيب أرواح لقعقاع

وهو يشير في ذلك لقول المسيب : فلاحدين مع الرياح قصيدة

منى مغلفة إلى القعقاع ترد المناهل لا تزال غريبة

في القوم ، بين تمثل وسماع ثم يتبعها إشادة أخرى في قوله :

ولم أكن ورسولي غير متهم مثل الفرزدق في إرسال وقاع

ولقد كان وقاع غلاما للفرزدق يرسله في الجنائيات وكراته الأمور ، وأبو العلاء لا يرسل رسوله إلا في الطيبات منها .

قدر أبو العلاء أن سامى قصيدته سيظنون فاغرى الأفواه سامى العقول ، يتمم الفقهاء منهم : (بضربتين لظهر الوجه ١ .. في مهمة كصلاة الكسف ١ . قصرنا صلاة غير نافلة ١ .

في معشر كجاء الرمي ١ .. أبيات غير مجيز خرق إجماع ١) ، ويتمم الأدباء منهم :

(قول ابن أسلت : قد أبلغت أسماعى . حملت عن المسيب أرواح لقعقاع .. لم أكن مثل الفرزدق في إرسال وقاع) .

فاتر ، ولذلك يعد هذا التشبيه غير مقبول .
ومثل هذا يقال في تشبيه ما نال الشريف
بموته ، بما نال بيت الشعر من الزحاف
الحفي ... عيب لا يكاد يدرك .

وهذا أيضاً من التشبيهات ضيقة المجال ،
فإنما يحلو مثله لعشاق العروض ، أما الأدباء
المطبوعون والنجاة والفقهاء ، فلا يحلو
في آذانهم ، ولا تستطعمه أذواقهم ...

ومن هنا يعد من التشبيهات ذات اللون
الخاص ، التي يتقبلها ذوق بعينه ، ثم هو
ذوق العلما لا ذوق الأدباء .

وكما أَرْضَى أبو العلاء الفقهاء وأَرْضَى
العروضيين ، كذلك أَرْضَى النجاة ، ولا أظن
غير النحوي يَرْضَى عن التورية في مثل قوله :

ولى حاجة عند العراق وأهله

فإن تفضيها فالجزء هو الشرط
وقوله :

فدونكم خفض الحياة فإننا

نصبنا انطاباً في الفلاة على القطع
ومن غير النحوي يأنس إلى الجزاء
والشرط ، وإلى الخفض والنصب ، وإلى
الاتباع والقطع ، ولعل إعجاب النجاة يبلغ
مداه ، إذا أنشد أبو العلاء قوله في شاعر
يسمى صريح البين :

دعيت بصارع فتداركته

مبالغة فرد إلى فصيل

من مات منكم ، لثبات قواعده ، واشتداد
معاقده ، وإنما أدركه بموت أبيكم - وإن
كان مصاباً عظيماً - مثل ما يدرك البيت من
الشعر ، إذا عرض له الزحاف الحفي . فهو
لا يعيبه ولا ينقصه .

المعنى على ما ترى ، جدة وروعة ، ولكن
التشبيه بالزحاف الحفي ينقلنا إلى جو آخر ،
نرى فيه الخبن ، والعلو ، والعصب ، وما إلى
ذلك مما يفسد جو الشعر ، وبكاد يذهب
بروعة المعنى .

ولكن أبا العلاء يريد أن يهر بالشعر
وبالعلم ، فيمزق الشعر بالعلم ، ليهر أهل
بغداد بهذه الإحاطة ، وهذا الشمول ، وهذا
الدخول من كل باب .

٣ - ويسوقنا ذلك التعرف على القيمة
الأدبية لهذه الإشارات .

لقد رأينا أن أبا العلاء لم يخطئ التشبيه حين
شبه المهمة المترامي الأطراف بصلاة الكسوف ،
ولسكنه على هذا شيء محدود بمحدوده ،
مقيد بمجاله ، فهو يعطى للفقهاء والمشتغلين
بصناعة الحديث والذين يعنون بإقامة السنن
على وجهها فيجدون في صلاة الكسوف
طولا بليغاً لا يجدونه في صلاة أخرى .

فإذا انتقلت من هذا المجال إلى مجال الأدباء
أو أهل الأخبار والرواية ، لم تجد لديهم
طربة لهذا التشبيه ولا هشاشة ، فتأثيره فيهم

ويذكرنا هذا بقول أبي العلاء نفسه عن
البحترى نفسه :

وقال الوليد : النبع ليس بمثمر
وأخطأ، سرب الوحش من ثمر النبع
فدهوى البحتري أن النبع لا ثمر له ...
باطلة ، ألا ترى أن القسي تصنع من شجر
النبع ، وهي تصيد السرب من الطباء والعانة
من حمر الوحش . فهذا من ثمرها .
وهو يشير بذلك لقول البحتري :

وهيرتني خلال العدم آونة
والنبع هريان ، ما في عوده ثمر
فهانان الإشارتان تلذان للأدباء ، ولا
يجتوونهما ، ولا يضيئون بهما ، والوزن
في الشعر إنما هو لأربابه لا للأدباء عليه
ولا لأرباب الصناعات الأخرى .

ولكن الإشارات قد تتابع وتختفي فيصيب
منها الشعر ما يصيبه من الإغراب للغوى ،
أو الفلسفة الدقيقة ، وأنت واجد ذلك النوع
من التتابع والخفاء في مثل قول أبي العلاء ،
في إحدى درعياته :

لو أنها كانت على عصمة
في الوقى لم يدع بالأجذم
الضمير للدرع ، يقول : لو أن الدرع
كانت على عصمة بن عاصم المازني عندما
ضربه شيبان بن خصفة التيمي يوم الوقى
ما قطعت يده ، ولا لقب بالأجذم . ثم قال :

كما قالوا : عليم ؛ إذا أرادوا

تنامي العلم في الله العليم
فهذا بعمل نحوى كالغراء ويونس أشبه
منه بعمل شاعر ، وهذا يعجب النحاة
ويهرم ، لكنه يضائق الأدباء ويغيظهم .
٤ - ولعلك تسأل ، فما رأى في الإشارات
الأدبية والتاريخية ، أمى كذلك لضيق مجالها
وخصوص لو أنها ، تعد بعيدة عن الأدب الحى
الذى تتقبله كل الغفوس وترفضه كل الأذواق .
والأمر في ذلك يسير ، فإننا في باب الأدب
إنما نحتسك إلى أذواق الأدباء لا إلى أذواق
الفقهاء والنحاة وأهل العروض .

ومادام أمرنا على ذلك ، فإن الإشارات
الأدبية والتاريخية تنقاس بمقياس الذوق
الأدبي ، والذوق الأدبي يتقبل مثل هذه
الإشارات في رحابة صدر واقتناس .

فأنت تجد راحة في قول أبي العلاء
لأهل بغداد :

ذم الوليد ، ولم أذم جواركم
فقال : ما أنصفت بغداد حوشيتا

لئن لقيت وايدا والنوى قذف
يوم القيامة لم أهدمه تسكيتا
يعنى بالوليد : أبا هبادة البحتري ، وأراد
بذمه بغداد ، قوله :

ما أنصفت بغداد حين توحشت
لنزيلها وهى المحل الآنس

أو إباحات أبي ضمضم، ويعرف فرار الفرزدق من أبي ضمضم، والمثمة على حاجب من زهدم. هذا التابع في سوق الأحداث طريف، ولكنه لغرابته وعدم وضوح دلالاته عند القارئ، وحاجته إلى التفتيش والكشف، يقلل من القيمة الأدبية للنص.

وهناك فرق بين رفض الإشارات الفقهية والنحوية وما جرى مجراها، وبين رفض بعض الإشارات الأدبية والتاريخية.

الأولى نرفضها جملة برغم وضوحها وانكشاف معناها، ونعدها من قبيل المهارة في الصنعة، أو الخداع والشعوذة.

أما الإشارات الأدبية فإننا نستحيها ونرحب بها ما دامت واضحة الدلالة، مفيدة موضعها، في اقتصاد وتخفيف.

ونحن نرفضها إذا حال بيننا وبين الاستمتاع بها غموض وعدم إسفار أو إسراف وإلحاح والأمران كما ترى، منزههما شديد الاختلاف، وبعد:

فقد حاول أبو العلاء أن يكتسب وجاهة عند العللاء والفقهاء والأدباء وأهل الخبر والرواية، ولكن لم يكسب إلا الكساد والحسد في بغداد، فعاد إلى بلده مقهوراً، وأنشأ يغني لنفسه ويسجل نظراته في الوجود ورأيه في الحياة والأحياء في ديوانه اللزوميات لا يرجو ولا يخاف.

طاهر السمر شاهين

ضمائنها للنفس إحسانها

غير ضمائنا أبي ضمضم
أبو ضمضم كان يتصدق بعرضه على عباد الله، فضماها الإباحة وترك المحاماة، أما هذه الدرر فضماها إحسانها لأبصارها، والمحاماة دونه ثم قال: ما خلت همما لو ابتاعها

يفر من خوف أبي ضمضم
همام بن غالب هو الفرزدق، وكان قد هجا جريراً فتوعده أبو جهمضم عباد بن الحصين الجبلي، فقال الفرزدق:
أني قسلي من كليب هجوته

أبو جهمضم تغلى على مراجله
يقول أبو العلاء، لو أنها على الفرزدق إذ هذه عباد بن الحصين ما فرخو قابل ثبت واطمان.

ثم قال أبو العلاء:

وحاجب لو حجب شخصه

لم يمس في المثمة من زهدم
حاجب هو ابن زرارة التميمي، وزهدم هو ابن حزن العبسي، أدركه يوم جيلة زهدم فانقض عليه وأسرته، ثم غلبه عليه ذو الرقية: مالك بن عامر.

فلو كانت هذه الدرر على حاجب لقاتل عن نفسه زهدما، ولم يصح في مثمة منه بتركة.

فن من الأدباء يستطيع أن يتصل بهذه الأحداث جميلة؛ فيعرف ما حدث لعصمة يوم الوقي، ويعرف ضمائنا ابن ضمضم،

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ أ. علي العمّار

- ٥ -

طبعاً - إنما هو الدفاع عن مصالحهم الشخصية ، التي لا تقوم - فيما يزعم - إلا على بذور بذور الفرقة بين الناس ، وبث روح الخلاف بين العباد ، اتباعاً لشريعة الصيد في الماء العكر . (ينبغي أن تؤمن أن المؤلف يصيد - دائماً - في الماء الصافي) .

ويرى أنه من الضروري أن يسوق - هنا - الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة - على حد تعبيره ، على أن اليهود والنصارى لا يعتبرون مشركين ، ولا كافرين !

والأدلة القاطعة التي ساقها (خاتمة) تتلخص في أن القرآن اعترف بكتبتهم السماوية ، وأوجب على كل مسلم الإيمان بها ، وفد سماهم في كثير من الآيات (أهل الكتاب) ، وأن طعامهم حل للمسلمين ، والمحرمات منهم . .

كما يستدل بأن أصل دينهم الذي أنزل الله به الكتاب ، وأرسل به الرسل ليس فيه شرك ، ولكنهم بدلوا وغيروا ، وابتدعوا من الشرك ما لم ينزل به سلطاناً ، فصار فيهم الشرك ، وكما أنه ندم هنا أنه وصف (إخوانه) بأنهم

ويجروا المؤلف ، ويبلغ غاية التنكر للحق ، حين يحاول أن ينفي عن أهل الكتاب وصمة الكفر بالله ، مصادماً الآيات القرآنية الصريحة التي لا تحتل تأويلاً .

فهذا عنوان فصل من فصول الكتاب : (اليهود والنصارى أهل كتاب ، وليسوا بمشركين ولا كافرين) . ويبتدىء الفصل بأن الأسى يملأ جوانحه ؛ لأن هناك فكرة خطيرة أعرمت فينا ، وهي أن بعض رجال الدين من المسلمين يعتبرون اليهود والنصارى مشركين أو كافرين ، وهذا الأمر - كما يقول - مرده إلى الجهل بأصول الأديان طامة ، وبدن الإسلام خاصة ، وما شاب أهل الجهل من تعصب بمقوت ، لا تزال جذوره متأصلة في النفوس ، بغير علم ولا إدراك .

ثم يحز في نفسه - صانها الله من كل سوء - أن يكون مبعث هذه النزعة الضارة من أخاس حملهم في الحياة الدعوة إلى السلام والوثاق ، ولكن جرى حملهم على غير ما يظن الناس فيهم ، وأن الذي دفعهم إلى ذلك - في تخريفه

الجنة) وتوعدهم بالنار، وبالعذاب الليم .
ومن عجب أن المؤلف أراد أن يتعلم
فيدعى أن القرآن فرق بين أهل الكتاب ،
والمشركين ، واستدل بقوله تعالى : « لم يكن
الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » ..
هكذا كتبها ، ثم علق عليها بقوله : فجعل
المشركين غير أهل الكتاب .

ونسى - فهمة الله - أن هذه الآية تثبت الكفر
لأهل الكتاب وهو ينفي في عنوان الفصل وفي
كل أجزائه أن يكون أهل الكتاب كفارا .
وإني أسأل المؤلف : هل يقبل من مسلم
أن يقول - مع هذه الآيات - إن أهل الكتاب
ليسوا كفارا ؟ وماذا يعرف حضرته عن حكم
الإسلام على من أنكر آية ، بل آيات صريحة
من القرآن ؟

٢ - ماذا يقول المؤلف وقد وصف
القائلين بحكم القرآن في هذه المسألة بما وصفهم
من جهل ، وتعصب واصطياذ في الماء العكر ،
وحمل على بذر بذور الفرقة بين الناس ،
ماذا يقول إذا علم أن الرجل الذي اعتمد
في كتابه من ألفه إلى يائه على آرائه - بعد
تحريفيها - إذا علم أن هذا الرجل ، وهو السيد
رشيد رضا ، من القائلين هذه المقالة .

(نرى المصلحين الذين زعموا أنهم أعادوا
النصرانية إلى أصلها لم يستطيعوا أن يرجعوها
إلى التوحيد الذي هو دين المسيح ، وسائر
أنبياء بني إسرائيل ، ورسول الله أجمعين ،

غيروا وبدلوا ، فأراد أن يكفر عن هذه
(الجريمة) فقال في الهامش : وكذلك ابتدع
المسلمون ما لا يتفق ، وأصول الدين ،
ولم ينزل به سلطان في الكتاب المبين .

وإذن فليس (إخوانه) - كما يدعونه -
بدعا ، فإذا كانوا غيروا فالمسلمون - أيضا -
غيروا - هذه هي خلاصة هذا الفصل ، وسأدع
المؤلف نفسه أن يحكم على خطئه بعد أن مر
مرأ سريما على تخطيطه في هذا الفصل .

١ - آيات القرآن صريحة في أن أهل
الكتاب غيروا وبدلوا ، وأنهم كفروا بما
أحدثوا في الدين بما ينافي الوحداية . قال الله
تعالى في سورة التوبة : « وقالت اليهود عزير
ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ،
ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين
كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، أنى يؤفكون » .
وقال سبحانه في سورة المائدة : « لقد كفر
الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ،
وقال المسيح : يا بني إسرائيل اعبدوا الله
ربي ووبكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله
عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين
من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله
ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ،
ولأن لم يفتوا عما يقولون ليسن الذين كفروا
منهم عذاب أليم ، فسماهم القرآن (كفارا)
(مشركين) و (ظالمين) و (حرم عليهم

رشيد رضا للاتفاق بين المختلفين في المذاهب والأجناس من المسلمين، والمختلفين في الأديان، والأجناس الأخرى، وهي: (تعاون على ما نشترك فيه، ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف عليه).

قال المؤلف بعد ما ساق هذه القاعدة (الذهبية): هذا ما أدهو لإيه، وأجهر به للناس كافة - على بصيرة - وقد بلغت، اللهم فاشهد، اللهم فاشهد.

ولا أدري من أين نقل المؤلف هذا الكلام عن الشيخ رشيد، فإنني أشك أن يكون هذا وضع هذه القاعدة على النحو الذي رسمه المؤلف، وقد عودنا المؤلف أن يبرر النصوص ويحرف فيها ليصل إلى الهدف الأسنى، وهو إرضاء إخوانه.

فقد يكون حسنا، وجميلا أن يعذر بعض المختلفين في المذاهب بعضا فيما اختلفوا فيه، ولكن ما معنى أن يعذر أهل الأديان بعضا في هذا؟

أريد المؤلف أن نقول لليهود حين يقولون ويرددون: إن عيسى تولى من ذنا، وللمسيحيين حين يقولون إن عيسى هو الله، أو هو ابن الله، أو يقول الفريقان: إن محمدا كاذب، وإن القرآن ليس من عند الله، أريدنا أن نقول لهم: إنكم معذورون، ويكون هذا هو كل ما يطلبه منا ديننا؟ إن الذي ينبغي أن يعيه كل مسلم أن واجبتنا

فهم لا يزالون يقولون بألوهية المسيح، وبالتثليث ويمدون الموحد غير مسيحي كما يقول ذلك الفرقان الكبيرتان الأخريان من فرق النصرانية في هذا العصر، وم الكاثوليك والارثوذكس، فيميع فرق نصارى هذا العصر تقول إن الله هو المسيح ابن مريم، وأن المسيح بن مريم هو الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا).

٣ - هل يرى المؤلف أن القرآن الكريم بآياته الواضحة هذه عامل على بذور الفرقه وأنه يعمل ذلك ليصطاد في الماء العكر؟
٤ - ما دخل اعتراف القرآن بكتبهم، ودعوة المسلمين إلى الإيمان بهذه الكتب في موضوع وصف أهل الكتاب بالكفر؟ وقد قال وأعاد، وكرر أنهم حرفوا هذه الكتب، ولم يؤمنوا بإيماننا صحيحا بما جاء فيها. أما إحلال طعامهم، وذبايحهم، فسببه أنهم لا يعبدون صنما، ولا يذبحون باسم صنم، ولو أنهم ذبحوا ذبايحهم وأهلوا عليها باسم المسيح - مثلا - لما جاز لنا أكلها.

ويفضل المؤلف فيوجه لنا نصيحة غالية، نقلها عن السيد رشيد رضا، قال: خير ما يتبعه المسلمون مع غيرهم من أهل الأديان الأخرى هو الأخذ بالقاعدة الصحيحة المعقولة التي وصفها العلامة الكبير السيد

أن قبيل الإسلام على وجه الصحيح ، وأن نذيع في الناس أن الله واحد لا شريك له ، وألا نعذر أحدا حين يكفر بالله .
ونحن نؤمن أن الإسلام هو الدين الحق ، ولادين غيره ، وأن محمدا أرسل للناس كافة ، وأن علينا أن نجهر بهذا كله ، فكيف نودى ذلك إذا كان كل عملنا أن نكتفي مع المنكرين لهذا الدين ، الصادق منه ، العامين على هدمه ، نكتفي بأن (نذكرهم) ؟

إني أكره ، بل وأحتقر كل من يجامل أحدا على حساب الدين ، وإن أمرنا بمعاملة أهل الكتاب معاملة عادلة لا يعني أن نضى بها يفترون على الله ؛ وعلى نبينا ، وعلى كتابنا .

والمؤلف قال : (إن خير ما يتبعه المسلمون)، فلماذا لم يقدم هذه النصيحة إلى هؤلاء الذين يحاربون الإسلام ، وتعاليمه في كل مكان ، وبكل أسلوب ؟

أم أن هذا واجب ، فقط - في رأى المؤلف - على المسلمين دون غيرهم ؟ أم أن المؤلف يرى أن أصحاب الديانات الأخرى يسرون على تعليم هذه القاعدة ، وأن المسلمين فقط هم الذين يخالفونها ، فهو يريد أن يذهبهم إليها ، ويرغبهم في اتباعها ؟

الحق أن المؤلف كشف عن نفسه ، ولم ينفع الذين يدافع عنهم ، وعدوا قائل خير من صديق جاهل - كما يقول المثل - .

وليقول من شاء من شاء من المستشرقين ، والمستغربين ما شاء في تعاليم الإسلام ، وليتجه دعاة التجديد إلى ما يشاءون من تفاسير لهذه التعاليم لا تتفق وطبيعتها ، فإن الذي ينبغي أن نفعله ، وأن نقوله هو أن نبين الأمور على وجوبها الصحيحة ، وألا نميل مع أى إنسان لكي ندفع عن الإسلام تهمة مختلفة ونها ، فإننا لو ظللنا نفعل ذلك بعدنا شيئا فشيئا عن روح الإسلام ، وعن حقائقه .

وعلينا أن نقولها صريحة واضحة : الإسلام دين حق ، وكل تشريع جاء به حق ، وكل وسيلة اتخذها للنشر دعوته حق ، وليقل من شاء ما شاء .

والعجب أن أحدا من أهل الأديان الأخرى لا يجاملنا ، فلماذا يعمل فريق منا على أن يعطوا الدنيا في دينهم ، وهم على الحق ، وغيرهم على الباطل .

ليس بمسلم هندي من تحمله الرغبة في جاه أو مال أو صيت على أن يجامل على حساب الدين ، وإن أضل المضلين أولئك الذين يحبون أن يقول الناس عنهم إنهم مجددون ، وهم لا يحبون أن يصدعوا بكلمة الحق ، إذا كانت تظهرهم بمظهر المتمسكين بالدين الصحيح .

وقائل الله الدنيا ، ما دخلت في شيء إلا أفسدته .

وعلى الله قصد السبيل .

على العمادى

خواطر حول قصة الفداء

للأستاذ منصور محمد عويس

« وحقيق أن يسجل له في القرآن الكريم :
« واتخذ الله إبراهيم خليلاً » .
وكما أن قلب الأب كبير فقلب الابن كذلك
ففي قصة الفداء ترجمة عملية لقوله تعالى :
« فبشرناه بغلام حليم » .

ومن العجيب في قصة الفداء أننا لم نجد
تردداً من الابن عند عرض الأمر عليه
بصورة فيها أدب النبوة : « يا بني إني أرى
في المنام : أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ » .
فلم يقل له إسماعيل عليه السلام وهو لم يزل
غلاماً : إني أمتثل ، ولكن ألا تدعو الله
وترجوه أن يعفيك من هذا يا أبتاه ، فإذا
لم يأذن بعد الدعاء فافعل ، لم يقل إسماعيل
هذا ؛ بل كان أمره امتثالاً ، وطاعة تامة
ابتداء من أول الأمر .

وكما أن هذا هو حال الابن ، فكذلك الأب
عليه السلام ، لم يحاول أن يدعو الله بإعفائه
من هذا الأمر ، لم يقل مثلاً : ابني قلدة كبدي
فأسألك يارب عفوك ورحمتك ، وأنت أرحم
الراحمين ، وكان يمكن كبشر وكأب ، أن
يحاول محاولة عاطفية كتملك المحاولة السابقة
في الدعاء الذي لم يدع به ، ومن ناحية أخرى
يعمل على ألا يشذ عن الأمر ؛ بمعنى أن يدعو

« فلما بلغ معه السعي قال : يا بني إني أرى
في المنام أني أذبحك ؛ فانظر ماذا ترى ؟ قال :
يا أبت افعل ما تؤمر . ستجدني إن شاء الله
من الصابرين » .

إن قصة الفداء عنوان كريم للتضحية
والصبر والإخلاص لله عز وجل ، لأنها مثل
أعلى في تعلق القلب بالله تعالى ، وانصراف
العبد بكيته إلى الله ، وطرح ما سوى الله من
القلب إذا صادف أمره ، فلا شيء يحول بين
العبد وربّه ، ولو كان هذا الشيء ابناً لشيخ
كبير طالما تعاق قلب الشيخ به ، ولكن
لا عجب فالذي أمامنا نمط من أنماط القلوب
الربانية في مثالياتها العليا .

أجل فقلب الأب كبير بلغ من الصفاء
ذروته ، قلب قرب وقرب ، واتصل واتصل
قرب بالنبوة ، واتصل بالخلقة « واتخذ الله
إبراهيم خليلاً » .

فهو نعجب من خليل الله أن لا يحول
شيء بينه وبين الله ، ولو كان هذا الشيء ابنه
الذي بلغ معه السعي ، وترك مرحلة الطفولة
واستقبل مرحلة السعي والعمل ، إن إبراهيم
عليه السلام جدير بهذه الصفة السكرية

بالذبح إلى الله عز وجل تأديبا، وليترك الابن شرف الابتلاء؛ فإن امتثل كان جديرا بأن ينال هو أيضا شرف الامتثال؛ فلا يحرم من القبول والرضا. ولهذا فإن الابن فهم من أسلوب العرض أنه أمر من عند الله، وهو بجانب هذا قد بادله هذا الأدب، وبقي الفعل للجهول فقال (يا أبت أفعَل ما تؤمر مستجدي إن شاء الله من الصابرين) ولم يقل له: أفعَل ما يأمرُك به الله، تأديبا مع الله. ومن العجيب أيضا أن الأب صرح بالامر وهو الذبح لضرورة توضيح الامر ابتداء للابن، ولكن الابن لم يصرح بمضمون الامر بلفظه الصريح فلم يقل له: يا أبت اذبحني ما دمت قد أمرت بذلك، بل قال: (أفعَل ما تؤمر)... لأنه يرى في الذبح انتقالا إلى أن يكون في عداد الصابرين. إنه وسيلة إلى أن يقبله الله مع الصابرين في الدرجات العليا فكيف يصرح بمضمون الامر، والامر انتقال من أن يوصف إسماعيل بالذبيح إلى أن يوصف بالصابر، فهو يرى في الحقيقة أن الذبح امتثال لامر الله بضئ عليه وصفا كريما خلاف ما تراه العين المجردة. خلاف ما يراه البصر المحدود، وإنما البصيرة النافذة البصيرة المشرقة المضئة فهي تقول: إسماعيل الصابر؛ ففي الذبح - لو نفذ - حياة وأى حياة، إنها حياة أبدية خالدة حياة الصابرين في رضوان الله ونعيمه:

الله تعالى ثم يقول: يا ربني إذا لم تستجب لي دعائي ورجائي في هذا؛ فساأفد أمرُك حق مرضى يا ربني.

لم يكن لإبراهيم عليه السلام في موقف دعاء وابتهاال، لم يلجأ إلى هذا بل ترك الدعاء، وهو صاحب العاطفة في سموها، وهو الذي لم يزل لسانه وطبا يذكر الله، والدعاء والابتهاال إلى الله عز وجل: «ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم. ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون»، «رب هب لي من الصالحين». أجل ترك مقام الدعاء وانتقل إلى مقام التنفيذ، إلى مقام التضحية بأعلى ما لديه.

لأن الدعاء في هذا المقام ... مقام الفداء والتضحية. ينبئ عن التردد في تنفيذ الامر ومقام الخلّة، ومنزلة (واتخذ الله إبراهيم خليلا) لا تجتمع مع التردد في تنفيذ امر الله تعالى، إنه يرى في امر الله إحكام وحكمة وخير ورحمة وإن لم يدرك العقل ذلك. إنه يرى في تنفيذه لامر الله قربة وشرف.

وإذا كان موقف إبراهيم عليه السلام موقف الممثل لامر الله في عرضه للأمر على ابنه إسماعيل كان مثلا أعلى في الأدب النبوي الكريم؛ فلم يقل له: إن الله أمرني أن أذبحك لأن رؤيا الأنبياء حق - بل جاء إليه بطريق العرض منه عليه، ولم يسند الأمر

لأنه أمر الله تخضع له القلوب ، وتسجد له الجباه ، وتمثل له الأرواح والأجساد . وحينما نلح العاطفة في قوله (يا أبت) نلح بجانب هذا ما يمنع انسياب تلك العاطفة انسياباً بلا حدود ولا رابط . كلا ، بل الأمر أمر والامثال امثال ، (افعل ما تؤمر) إنها كلمة وضعت حداً للعواطف ، وجعلت أمر الله فوق كل عاطفة .

وإذا كان الابن لم ينس في امثاله عاطفة البنوة فالأب أيضاً في امثاله لم ينس عاطفة الأبوة فناداه : (يا بنى لى أرى في المنام أنى أذبحك) ، (يا بنى) ، (يا أبت) نداء من يرجحان عن هذا العناق العاطفى ، وتنفيذ الأمر مع وجود العاطفة أقوى وأعظم ، فلم يكن الأمر في لحظة من لحظات جفاف العاطفة ، وجذب الحياة الأسرية الرحيمة ، كلا وإنما الأمر ظهر في تلك اللحظة التى يقابل فيها كل من الأب والابن هذا الحنان وهذا الحب . وفي قوله : (ستجدنى) الآية ، إعانة من الابن لأبيه على طاعة الله عز وجل . كأنه يقول لأبيه : إن فى امثالى تحقيقاً لأمرك فى أن أكون طائعاً لله تعالى ، أن أعورك عن أداء أمر الله سأحقيق أمرك فى . ما أعظم تلك القلوب . إن الأب والابن كل منهما يتسابق فى تنفيذ أمر الله عز وجل ، وفى قوله : (إن شاء الله) إنكار

لأنه لو قال : يا أبت اذبحنى .! لكان تحريكاً لعاطفة ، والجمال مجال أمر وامثال .

لأنه لو قال : اذبحنى .! لكان تصريحاً بصورة العمل ونظرة إليه ، ولكن العبارة ليست فى تلك الصورة ؛ بل فى الامثال دون مراعاة لحظ النفس فى هذا الأمر ، فما أرخص النفوس لله . لأنه لو قال : (اذبحنى) لتوهم الاعتراض من الابن فى صورة خفية دقيقة ، ولتوجه النظر إلى صورة الدم فى كلمة الذبح . والنظر فى روحانيته العالية لا ينظر إلى الدم فى كلمة الذبح ولكن إلى الامثال فى كلمة « افعل ما تؤمر » .

وإذا كان الابن عليه السلام قد لاحظ الأدب مع أبيه عليه السلام فى مناداته بقوله (يا أبت) فلم يقل له مباشرة : (افعل) بدون النداء بل ناداه بوصف الأبوة كأن لسان حاله يقول لأبيه : إن ذبحك إياى لى يخرجك عن وصفك بالأبوة فليس هذا الأمر تحطياً لتلك الصلة فأنت أبى فليس الأمر شروداً وتزمتاً يقطع الصلات .

فالابن عليه السلام يقدر موقف الأب عليه السلام ، إذ الأمر أمر الله ، وتنفيذ الأمر لا يجرد الأب من أبوته ، ولا ينزع الصلة بينه وبين ابنه ، والصلة قائمة بين أبوة مثالية وبنوة مثالية ، لا مكان للحق من الابن على الأب ، ولكن الأمر فوق هذا وأكبر .

في عمله ، وارتفع بروحه بحيث لا يرى إلا الانصراف بكليته إلى الله تعالى ؛ فإن رحمة الله تراه ، ويأتيه اليسر والخير : (كذلك نجزي المحسنين) ، ولما صدق إبراهيم عليه السلام في نيته نهي الله ابنه ، وزاده ابنا آخر فوق نجاته ابنه الكبير : (وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين) .

وهنا نلاحظ معنى عاما في تكريم الله لصفوة عباده .

فكل ابتلاء ينجح فيه عباد الله يكون تكريمهم من الله تعالى مناسبا لنوع الابتلاء فهنا في قصة الفداء مثلا الابتلاء بذبح الولد - بالنسبة للنظر المحدود - بالنسبة للنظر المحدود فيه قطع لذكر الوالد وفيه نقصان . ولما كانت النتيجة نجاحا في الابتلاء فبالنسبة لما يترتب على الذبح من قطع الذكر فالتكريم كان (وتركنا عليه في الآخرين - سلام على إبراهيم) وبالنسبة للأمر الثاني : وهو النقصان ، كان التكريم ماحيا لتوهم النقصان بل محققا لزيادة في أسمى صورها (وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين) .

وهكذا فن ابتلى بالمال وأنفقه على الفقراء والمحتاجين ، فإن التكريم من الله تعالى أن يعطى المنفق أجرا من عنده ؛ فما أنفقه مدخر هند ربه ان يضيع ثوابه ، وهذا في لما يتوهم من نقص المال بالصدقة ،

من الابن لذاته... إنه يرى في امثاله ورضائه وصبره نعمة يسوقها الله إليه بفضل منه تعالى فتقديم روحه ، وصبره على هذا ليس إلا فضل من الله تعالى ، فهو ليس بذاته من الصابرين ، وليس بذاته محسبا ، وإنما ذلك منة من الله وفضل ، ويتوج هذا الإنكار للذات أنه حينما يهود بروحه امثالاً لأمره تعالى لا يرى نفسه قد تفردت بالتضحية ؛ بل يرى أنه في هذا إنما يضاف اسمه بفضل الله إلى من أشرق بهم الزمن من الصابرين - إذن هو ليس وحده الفريد الصابر ، وإنما يرجو من الله أن يلحق بهذا الصنف الكريم من الذين شرفهم الله بهذه الصفة صفة الصبر : (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) .

ثم ماذا ؟ إنه أمر لا شك فيه ، وتنفيذ لا تهاون فيه ، تنفيذ كله استسلام لله عز وجل وصدق ورضا ، واطمئنان قلب ، وبلوغ إلى ذروة الإيمان وتمام الإحسان في الأعمال : (فلما أحلما ونله للجبين . ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين) هنا تجلست رحمة الله الواسعة : (إن هذا هو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم) ، وبجمل لإبراهيم عليه السلام ما تتناقله الأجيال وما ثبت على مر الزمن من آيات الثناء والسلام : (وتركنا عليه في الآخرين . سلام على إبراهيم) ، فمن صدق مع ربه ، وحسن

لحزن أو خوف ؟ . ومن كان في قلبه الخوف
من أهوال يوم القيامة كان له الاطمئنان
والأمان والنجاة من المهروب ، والقوذ
بالمردوب : (وأقبل بعضهم على بعض
يقسمون قالوا : إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين
فإن الله علينا وفاقا هذاب السموم : إنا كنا
من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) ،
(ولئن عاف مقام ربه جنتان) ، والأمثلة
في هذا كثيرة .

وقصارى القول : أن قصة الفداء فوق
التفكير العقلي ، والاستنباط الذهني ،
والإدراك الفكري : تعلن أن مقام الألوهية
فرق كل مقام . الرب رب ، والإنسان إنسان .
فهما ترقى الإنسان في المراتب الإنسانية العليا
فإنما يترقى في تحقيق مراتب العبودية لله .

تلك المراتب والدرجات تؤكد تلك
العبودية لله بالطاعة لجلاله والامتثال لعظمته
والخضوع لأسره في صورته المثالية الواضحة
المثيرة . إننا لن نحيط بكل معاني قصة الفداء ،
ولكن علينا أن نردد قول الله تعالى :
(واتخذ الله إبراهيم خيلا) .

فهكذا تكون الحلة ، وهكذا تتحقق نسبة
إبراهيم عليه السلام إلى الأعمال الصالحات
في تدرية مثالية وصدق الله : (إن إبراهيم
كان أمة) .

فما نقص مال من صدقة ، كما يعطى المنفق
الأمان والسرور ، وينتفي عنه الخوف والحزن
كيف ... ؟ ! وقد كان بنفخته مزبلا لحوف
البائس ، وحزن المحتاج . قال تعالى (الذين
ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون) ، (ويطعمون الطعام على
حبه مسكينا ويتيما وأصيبرا إنما نطعمكم لوجه
الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف
من ربنا يوما عبوسا قطريرا فوقاهم الله شر
ذلك اليوم ولقام فضرة وسرورا وجزاهم
بما صبروا جنة وحريرا) ، (وما آتيتم
من زكاة تريدون وجهه الله فأولئك
هم المضعفون) .

ولما كان القتال في سبيل الله قد يكون فيه
استشهاد ، فإن العين المجردة ترى ذلك موتا
والموت انقطاع عن الحياة ، فمن استشهد فقد
قدم روحه امتثالا لأمر الله ؛ فكان الجزاء
مناسبا ، والتكريم ملائما ، فالناس يرون
الشهداء قد فارقوا بموت ؛ فيخبر الله أنهم
تركوا إلى حياة كريمة مكرمة من الله تعالى :
(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا
بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم
الله من فضله . ويستبشرون بالذين لم يلحقوا
بهم من خلفهم . ألا خوف عليهم ، ولا هم
يحزنون) ، فهل بعد ذلك يكون هناك مكان

منصور محمد محمد عيسى

القوم الصوفية بقلم : م.م.ا. م. ماكين

ترجمة الأستاذ فتحى عثمان

- ٣ -

كتب لجهوده الفوز المبين ، وعلى الرغم من أن تحوله إلى هذا المجال ، وتأيمده الجسور لقضية الصوفية الرفيعة قد جلب عليه بآدى الأمر حنق الفقهاء التقليديين ، إلا أن الأمر اختلف من بعده ، فتأكد الواقع بين الصوفية المعتدلة ^(١) والتعاليم السنية ، ، واتسع الأفق العقلى للجماعة الصوفية بعد مضي أكثر من قرن بدرجة فائقة ، نتيحة لما قدمه ابن العربى من عرض انتقائى تجميعى يحكم يرفض الثنائية non-dualist ، ولقد كان نهجه الفكرى يحمل تحدياً صارخاً لأفئدة علماء الكلام المنطقية ^(٢) .

* * *

ولقد استمدت حركة الصوفيين - بكونها طاقة حية عاملة - قوة بدرجة تفوق ما استمدت من التعبير النظرى ، شأن كل الحركات المماثلة فى التاريخ . وأدى قيام نظرية

(١) ويمثل هذه الفرعة مدرسة صوفية على رأسها الجنيد البغدادى (المتوفى سنة ٩١٠ م) وهى تؤكد التمييز الأساسى بين الشريعة ، والتجربة الصوفية .
(٢) توصف فلسفه عادة بأنها قائمة على وحدة الوجود . وفى اصطلاحات لا تبدو دقيقة فى التعبير عن نهجه .

هذا التيار المندفح نحو مفهوم « الجماعة » الصوفية بتأكيده الطابع المتميز للعرفة الصوفية كانت تصاحبه وتساهمه محارلات لتعبئة رأى العام بأكثر مبادئ الشريعة السائدة معارضة وتشدداً ، وهذا التطور الأخير طبع الفترة التالية من تاريخ الحركة بطابع الثورة ، وعزز من الجهود النظرية لتأصيل الجماعة الصوفية منذ القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى فصاعداً ظهور رجائين من أقطابها الشاخصين : الغزالى (المتوفى سنة ١١١١ م) ، وابن العربى (المتوفى سنة ١٢٤٠ م) ، وفى هذا الوقت كانت موسوعة « إخوان الصفا » قد نفذت إلى الجو الفكرى للجمع الإسلامى ، وأشاعت العلم والفلسفة بين الجموع .

وقد هب الباحثون المحدثون عن الحاجة إلى إعادة تقويم دور الغزالى المجدد فى الحركة الصوفية . وهكذا ظهر من الدراسات المتعمقة لطائفة منهم : أن الغزالى قد عمل على إحكام المحاولات التى بذلها أسلافه لإدخال الصوفية فى النطاق القرآنى للأفكار معززاً بتجربته الشخصية فى الطريق ، وقد

النيسابوري (المتوفى سنة ٨٨٣ م) الصوفية :
« بأنها طريق للقلب والعقل » ، بينما وصفها
الجنيد المشهور : « بأنها نصيحة الأمة كلها » ،
وعلى هذا المفهوم وضع الغزالي ، فيما بعد ،
تفسيره لأسلوب التربية في الطريق بمناه الصحيح
كنهج سلكه الأنبياء حقا لإرشاد الناس .

وكان القوم يمثلون مجموعا من الاهتمامات
لاتباع يتباينون في مواهبهم العقلية ، لكن
هناك تميزا دقيقا ملحوظا بين الدعاة إلى
طريق القوم ، وطابعهم التأكيد على العمل ،
وبين المتصوفة العلماء من أهل المعرفة ،
وبقابلون أهل العلم بالنسبة لفقهاء الشريعة .
ويشير السكلا بذي في إجمال إلى الأقطاب
وأصحاب النظريات والكتاب في الصوفية
بتعبير (رجال الصوفية) ، لكن مصادر
(الطريقة) المتأخرة قد وضعت فيما بعد
هذا التصنيف في صورة أكثر تحديدا بالمقابلة
بين سادة القوم ، وبين الأقطاب المتخصصين
في الموضوع الذين يطلق عليهم مثل هذه
الأوصاف ^(١) : محقق القوم ، أهل التصوف
أئمة التصوف ، وقد أوضع هذا جلال الدين
السيوطي (المتوفى سنة ١٥٠٥ م) ^(٢) حين

صوفية إيجابية محددة إلى تقديم أساس متين
للحركة في مجموعها ، ولكن المجادلات حول
وحدة الوجود : « على الرغم من أنها كانت
معروفة ، وحل إعجاب لدى المثقفين ، وعلى
الرغم من أنها أثمرت شعرا له آثاره العميقة
إلا أنها لم تكن تؤخذ مأخذ الجدة من عدد
كبير من أبناء الطرق الصوفية ، وهناك محاولة
لها دلالتها لتأكيد الطابع العملي للطريق يشير
إليها استعمال كلمة (قوم) بدلا من كلمة صوفية ،
وقد جاءت كلمة « قوم » أكثر شيولا وأبعد
مدى في مضمونها الاجتماعي ، ووجدت
الفكرة تعبيراً عنها في الكتابات النظرية
المبكرة التي استعملت عبارات مثل : عبدة
القوم ، سيد القوم ، طريق القوم ، أسرار القوم ،
زعم القوم ، وهي عبارات تستوعب مجوع
حياة الصوفية ممتدة من أعمال العبادة ، وحضور
مجالس الذكر إلى مسائل تتعلق بالمكاسب .

وكانت الأهداف التي عملت لها حركة القوم
منذ البداية قد ذاعت عن طريق بعض النظم
مثل حلقة الذكر ، أو مجلس الذكر الذي كان
اجتماعا عاما لترديد الذكر ، وقد أصبحت
رموزها لتتضمن الجاهة كلها ، وبذلك تأكد
القول : بأن الصوفية لم تكن مجرد مذهب لفئة
من الناس ؛ بل طريق الحياة للكثيرة ، واعتبرت
أسمى وسيلة لإرشاد الإنسانية بأوسع معاني
كلمة (إرشاد) ، ومن هنا عرف أبو حفص

(١) ابن مثيريل : الكواكب وروقات ٩٢ أ
١٢١ أ ، ١٣٢ أ .

(٢) التأييد ص ١٨١ ، وانظر أيضا للصدر
السابق ص ٣٠ / ٤٠ حيث تجدد مناقشة مشرة
في الرابطة بين الصوفية والقوم .

المقنعين أو أهل الإباحة الذين يتذرعون بالطريقة للعبث بأحكام الشريعة .

ومن الملاح المميزة لصورة الطريقة ، كتجميع صوفي ظهور فكرة القطب ، وهو الرأس الأعلى لجماعة الأولياء ، أو في الحقيقة الهيئة المقدسة للإدارة التي تضطلع بأعباء حكومة العالم غير البادية للعيان ، وأن الميزات والوظائف المتنوعة التي يختص بها أعضائه هذه الهيئة المقدسة تبدو بمثابة للضمون الكامل لحركة الطريقة ، وفي مصادرنا عرض بليغ للموضوع ، وتبعاً لهذه النقول نجد لكل مرتبة في هذه الحكومة الدينية قطباً في حين يكون القطب الموحد الأعظم هو والغوث ، الذي يتناديه الناس للنجدة في الشدائد والحوائج ، ويوصف القطب أحياناً بالخليفة و الوارث ، ، وذلك بالنظر إلى مركزه بالفلسفة للنبي ، وإن لم يكن المنصب وفقاً على أهل البيت وحدهم ، وتذكر هذه المصادر هموماً (الحسن) السبط (٩٦٩ م) كأول من حمل هذا اللقب ، بينما يورد جولدزير أن بعض علماء الكلام قد أشار إلى فاطمة بنت النبي كأول من دعى بذلك ، ويمسك أن (مرجوليوت) يظن أن الكلمة استعملت في عهد القشيري تقريباً (توفي سنة ١٠٧٤ م) وهو يرجح أن يوسف الحميداني كان أول من حمل هذا الوصف ، ثم انتقلت التسمية

كتب أن خاصة القوم ^(١) هم الصوفية ، ونحن نقف على أرض ثابتة حين نذهب إلى أن هذه الاختلافات كانت داخلية الطابع ، وأنها جاءت تعبيراً عن الدرجات المتنوعة للبواب الشخصية ، ولجهود مجموعات بعينها .

وقشرت هذه النزعة للحركة في أساسها العريض خلال العصر العباسي أعداداً من الأنواع من مختلف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، ومنذ النصف الأخير من هذا العصر تقدمت الحركة بسرعة مذهلة و اكتسبت فكرة طريق القوم ، أيام الغزالي تعبيراً أكثر ضبطاً كأداة للتعليم الصوفي ، وتكامل بهذا أساساً عاملاً لها تأثيرهما : الشيوخ وجماعاتهم من الفقراء ، وكان الأعضاء المنتمون لهذه الأخوة ، من الفقراء يضعون أنفسهم تحت توجيه الشيخ بعد أخذ العهد على أن يكونوا من مريديه ، وعلى الرغم من أن القشيري والغزالي قد أيدا (الطريقة) كنظيم اجتماعي روحي أخلاقي سليم ، إلا أنهما انتقضا بصراحة تدهورها في أيامهما وللغزالي موهبة بينه في الإحياء ^(٢) .

تناول فيها العيوب التي تعرضت لها الطريقة بتأثير جماعة من الأدعياء من المشعوذين

(١) يزول لينجز استعمال تعبير (قوم) إلى نص حديث النبي صلى الله عليه وسلم يعرض لقوم الذين لا يشق بهم جلسهم .

(٢) ج ٣ ص ٣٤٧ / ٣٥٠ ،

على أولياء كانوا أحياء ، وهو تقليد يجري عليه العمل ويبدو سائدا حتى يومنا هذا ، وكان هؤلاء يعتبرون الممثلين الأرضيين لجماعة روحية خالدة . وقد نتج عن هذا التركيب (شيخ الفقراء) تلك الظاهرة في التطور الشورى للحركة الصوفية التي مهدت الطريق من القرن الثاني عشر فصاعدا لقيام جماعات الأخوة الدينية الكبرى التي رسخت قواعدها فيما بعد على أيدي معجبي لاهوتين حافظوا على تسمية وتقاليد الأساتذة الأصليين الذين شرحوا الطريق ، وقد أوجمل (د . ب . ماكدونالد) طبيعة هذه الطرق ومجالاتها ودورها في هذا الوصف بعبارة المنسقة التالية : ولقد كان التنظيم في مجموعه متحررا من قيود المحلية ومن الدنيويات ، وما تجرعه معها من أحوال وعراقيل ؛ وكان المجموع - كما يمكن القول - حلما جميلا . وكانت الطرق مستقلة ، وتعمل على ترقية نفسها بنفسها ، وكانت هناك منافسة بينها ، ولكن لا تتحكم واحدة منها في الأخرى ، ولكل منها طريقها الخاص في الاعتقاد والسلوك ، لا تحكمها إلا حدود المضمون الروحي العالمي للإسلام ، وكانت الشاذلية إحدى الطرق التي سميت باسم منشئها الشهير أبي الحسن الشاذلي (المتوفى سنة ١٢٥٦ م) .

(تم البحث)

فتحي عثمان

فما بعد إلى كل مؤسسي الطرق المعروفين ، وتشير مصادرنا بالطبع إلى عبس القادر الجيلاني (المتوفى سنة ١١٦٦ م) وأبي الحسن علي الشاذلي (المتوفى ١٢٦٥ م) كأول من تسلم هذا المنصب الإلهي ، وبين أصحاب النظريات الصوفية الأوائل قيل : إن الحاكم الترمذی (٨٩٣ م) كان أول من نشر الاعتقاد في حكومة دينية يقوم على رأسها القطب .

ويبدو لابن خلدون أن الفكرة مشتقة من النقول الإسماعيلية والشيوعية التي تذهب إلى أن الله يتمثل في الأرض عن طريق وصيه الذي يرشد الإنسانية كافة ، وعن بين الباحثين المحدثين يعزو هانريج هذا المفهوم في شيء من التشكك إلى صورة الإمامة عند الشيعة بينما يرجع بها (بل) بصورة أخرى إلى تراث المهدي ، ويؤثر (جب) أن يلتصق فكرة القطب والولاية ليعود بها إلى أصول مسيحية غنوسطية ، وثمة حقيقة تستحق الذكر هنا : هي اللبس الواضح في معظم الدراسات المعاصرة إذ تذهب إلى أن القطب رمز غير مرئي في العالم غير المنظور تحسب في حين أن تراجم الصوفية تبين أن اللقب مع ما دونه من الألقاب مثل الأبدال^(١) قد خلع

(١) ويقال : إن الإبدال سبعة ، وهم يكونون أحد أقسام الحكومة الدينية ، وهم قوم وصلوا إلى الكمال والاستقامة في ترقيقهم الروحي . أنظر مثلا ابن أبياد : لافاخر ص ١٣ .

الإسلام والحياة

للأستاذ محيى الدين الألوائى

العالمية ، لا يستطيع أحد أن يبذل شيئاً من القوانين الآلهية المنشورة في كتاب الله السماوى المرقوم ، فإن عناصر الخلود ، وعوامل الصلاحية ، لكل زمان ومكان متوفرة في تعاليمه التى تؤدى إلى تحقيق أسباب المجد والرقى والحضارة والرفاهية للجنس البشرى كله .

ولا تنقد القوانين في صلاحيتها وقابليتها بسبب سوء فهم الناس لها ، أو الإهمال في العمل بها ، ويعود السبب الحقيقي لانكشاف الناس عن تعاليم الإسلام ، وابتعادهم عن توجيهاته إلى سببين رئيسيين ، أولاً : عدم الفهم - أو سوءه - لأساليبه وإرشاداته كما يجب أن يكون ، واتباع الأهواء والمصالح الفانية في تطبيق قوانينه ، وتأويل أوامره ، وثانياً : هروب بعض العلماء - وأشباههم - وراء الألفاظ والكلمات ، مع غض النظر عن الحقيقة والغايات والإكتفاء بالسطحيات والابتعاد عن القلب والروح ، وفوق هذا وذلك فإن انهيار الامبراطورية الإسلامية جعل الوهن والضعف واليأس يتسرب

إلى العالم اليوم ينساق - طوعاً أو كرهاً - إلى المبادئ التى أقرتها التعاليم الإسلامية ، ونادى بها الرسول الأعظم : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . قبل أربعة عشر قرناً مضت . وما السر الخفى وراء هذا الانسياق الفطرى ؟ مع أن هناك محاولات تبذل لتشويه تعاليم الإسلام الحققة ، وتزييف إرشادات القرآن الصحيحة ١١ . كما نرى أناساً من الذين يزعمون الانتماء إلى حظيرة الدين الحنيف يتعدون عن تعاليم وإرشاداته . فأما سر هذا الانسياق فإن هذه المبادئ ، وتلك التعاليم فطرية إلهية تغشى مع تطورات العالم وبيئاته وظروفه . فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبدل لخلق الله .

فإن فطرة الإنسان ، ونوايس الطبيعة لا تتغير ولا تبدل مهما حاول المزيّفون ، وسمى المخرفون لإبعاد الناس عن فطرتهم التى فطرهم الله عليها ، فالقرآن كتاب الله المرقوم ، والطبيعة الكونية كتاب الله المختوم فكما لا يستطيع إنسان كائناً من كان ، تغيير شيء من الفطريات الإلهية ، والطبائع

وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، ويفهم هذا صراحة من قوله تعالى : « كتم خير أمة أخرجت للناس » وقوله تعالى :

« هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس » .

وأما عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين جميعاً ، واستجابتها لكل حاجات البشر في جميع مرافق الحياة فيبدو جلياً من قوله عز وجل مخاطباً رسوله الأجل : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وقوله فيه : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » .

وفي ضوء كل هذا وذاك من الأدلة العقلية والنقلية لم يبق للباحثين عن حقيقة التعاليم الإسلامية ، وعن مدى قدرتها لبناء الحضارة الإنسانية الحقة ، وإقرار الأمن والطمانينة في الجنس البشري إلا الرجوع إلى كتاب الله المرقوم الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، تنزيل من حكيم حميد ، وهو السجل الخالد المحفوظ من كل تغيير وتبديل ، والمصون من كل تحريف وتحريف وسنة رسوله الذي قضت حكمته لأن يحمله رسالته الكبرى وجعله أسوة حسنة للبشرية

إلى قلوب ضعفاء الإيمان من العلماء والباحثين فانحازت قواهم العلمية والبحثية ، واكتفوا ببعض المظاهر والتقاليد من الإسلام ، وهم من روحه ولبه براء ١ .

وإن كتاب الله المقدس المنزل على خاتم الأنبياء والرسل يحمل هداية للناس كافة إلى يوم الدين فهو المكفل من رب الناس بحفظه وبقائه وخلوده : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنزاله لحافظون » ، وأعد الله سبحانه وتعالى عبده ورسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لأن يحمل رسالته للعالم أجمعه : أنسه وجنه ، أبيضه وأسوده ، وليكون شمس الهداية ، ومنار النور والعرفان ، فيقول الله سبحانه وتعالى في معرض بيان مكانته عليه السلام ورسالته بين سائر الأنبياء ورسالاتهم : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لوقسوى بهم الأرض ، ولا يكتفون الله حديثاً ، ثم يقول : « ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

ويقول رب العباد في كتابه الحكيم عن مكانة أمة محمد عليه الصلاة والسلام بين الأمم

والإيثار والمحبة ، لكيلا يندفع الإنسان إلى الافتتان بهذه الحياة المظلمة بالغرور والكاذب ، ويكف عن النكالب وراء حطام الدنيا البراق .

وقد شيد الإسلام صرح الحياة الناجحة على أسس الإيمان الصحيح ، والعمل الصالح فيقول القرآن الكريم : « والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، فلا يكتفى الإيمان وحده لنيل الفوز والظفر في الدارين وإلقرار الأمن والطمانينة في العالم ولكن يجب أن يكون مقروفاً بالعمل الصالح . العمل الصالح لله عز وجل ، ولنفسه ولوالديه ولأقاربه ، ولوطنه وللمواطنيه وللعالم الإنساني كله ، ولا شك أن الإيمان منشأ العمل الصالح ، والعمل الصالح مظهره ، فكل منشأ مظهره ، ومن هنا صارت الأعمال الصالحة بكل معانيها ومظاهرها لازمة لسعادة الدارين ، وإقامة العدالة الاجتماعية في الجنس البشرى .

وأما الإسلام فدين العقيدة والعمل ، فيجب - بمقتضى تعاليمه - على كل إنسان أن يعمل عملاً يفيد صاحبه وغيره على حد سواء ، وتظهر هذه الحقيقة النبيلة واضحة في جميع تعاليم الإسلام التي أكدت بصراحة ووضوح أن الإنسان نتيجة عمله ، وأن هذه

جميعاً ، « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً » ، لأنه رسول الإنسانية قاطبة ، : « يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » .

نظرة الإسلام إلى الحياة :

يصف الكتاب الحكيم الحياة الدنيا بأسلوب معجز ، ليس في استطاعة أى بليغ مهما أوتي من قدرة الدقة في التعبير ، وليس في مقدور أى كاتب ملهم مهما بلغت قدرته في إجادة التصوير ، أن يحيط بوصف الحياة الدنيا الواقعية بأحسن منه إذ قال : « كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح » . وإن الله سبحانه وتعالى لم يترك الإنسان لأحلام اليقظة تلعب بعقله ، وتعبث بخياله كما تشاء بل أقام له دلائل قاطعة ، وبراهين ساطعة ، على أن الحياة الدنيا مملوءة بالحن ، وسريعة الزوال ، وأودع خالق البشر والقوى فيه من الطبايع والغرائز ما يحمله على تنازع البقاء وحب السيادة ، ولكن رسالة كل فرد من الجنس البشرى - في نظر الإسلام - هي القيام بالأعمال الصالحة التي تعود فائدها عليه وعلى الناس في حدود العمران والنهوض والتقدم ، مع التمسك بالتقوى والإحسان

وتوفيقه ، ونظرة من هذا القبيل إلى الحياة الدنيا تبعث في قلب الإنسان الشجاعة والصدق في العمل ، وتغرس في نفسه احترام حقوق الغير وعزته وكرامته ؛ لأن الناس سواسية أمام الله - لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وكلهم مسئول أمامه ولا تزر وازرة وزر أخرى .

ويقرر الإسلام أن الإيمان يجب أن يكون منشأ للعمل كما يكون العمل مظهرا له ، فإنه لا يوجد مظهر بلا منشأ ، فلذا يقرن القرآن الكريم الإيمان دائما ، بالعمل ، كما يقول في سورة العصر : والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وفي سورة التين : لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فبما حبذا لو تمكنت هذه الفكرة القرآنية السامية في قلب كل إنسان يتطلع إلى النجاح في هذه الحياة الدنيا فإن العمل الماشى من صميم العقيدة الراسخة في القلب هو الذي يؤدي إلى النجاح وبلوغ المرام .

محى الميراث الأتواي

المدرس بكلية الطب - جامعة الأزهر

الحياة حياة عمل وسعى ، : وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ، : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، : وقل اعملوا فسمي الله عملكم ورسوله والمؤمنون .
ويقول الشاعر العربي :

حياة الورى حرب ، وأنت تريدها
سلاما ، وأسباب الكفاح كثير
أبى سنة العمران إلا تطا حنا
وكدحا ، ولو أن البقاء يسير
ويقول أمير الشعراء شوقي رحمه الله :

قف دون رأيك في الحياة مجاهدا
إن الحياة عقيدة وجهاد
وبعد الإسلام الإنسان جسميا وذهنيا لأن
يواجه الحياة وهو بصير بأحوالها وخبير
بشؤونها ، فإن الإيمان بخالق الكون ،
ووحدايته ، وتفرد به بالعبودية ، ومنع
العون الحقيقي والإيمان بالآخرة ويوم الدين
يربى في صاحبه روح الاعتماد ، في الشدائد ،
على الله سبحانه وتعالى فيواجهها مطمئن القلب
ويقبل على أداء واجبه بخوربه ونفسه وأمه
وطنه في ثقة وإيمان ، ويعتمد في نجاحه ،
بعد اتخاذ الوسائل الظاهرية على معونة الله

أثر اليتيمة في أدب الأندلس

د. سنان محمد رجب البيومي

- ٢ -

ولطمت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع
النجم في الغياهب ، هذا الاحتذاء المقصود
دفع المعاصرين من باحثينا الأفاضل إلى
موازنات مختلفة بين لرجلين ؛ فالدكتور
طه حسين يقول في مقدمة الذخيرة الجزء
الأول ١ - ص ب د وهو يصطنع ما اصطنعه
الشعبي من السجع والبأنق في تقديم الشعراء
والكتاب ، والتعريف بهم ، والثناء عليهم
والنقد لهم ، ولكنه بعد هذا كله يخالف
الثعالبي في أمر ذي خطر ، فهو أبعد منه
نظراً ، وأنفذ منه بصيرة وأعرق تفكيراً ،
وهو على تسكفه في اللفظ لا يخضع بالرواء
الظاهر عما وراءه من جودة المعنى أو رداءته
ومن صواب التفكير أو خطئه ولعله أن يكون
أفقه من الثعالبي بالحياة الأدبية في إقليم من
الأقاليم ، فهو أدق منه ملاحظة لما يكون
من الصلة القوية بين طبيعة الإقليم ، وما ينتج
فيه من أدب بل بين طبيعة الأجناس البشرية
وما تنتج من أدب بل بين ما يكون من مجاورة
الأمم المختلفة وما تنتج من الأدب الخ .

والاستاذ علي أدم يقول في العدد ٦٦٠
من الثقافة : ويدولى أن الثعالبي كان

لقد ذكر ابن بسام في مقدمة كتابه أنه
اتخذ تقسيم الثعالبي منهجاً له ، فهو يقسم
الذخيرة أربعة أقسام كما قسم الثعالبي اليتيمة
أربعة أقسام ، وهذا التقسيم جغرافي كتقسيم
صاحبه فلكل إقليم شعرائه مهما اختلفت
منازعههم الأدبية ١ فقسم لقرطبة وما يليها
من وسط الأندلس وقسم لإشبيلية وما جاورها
من الغرب ، وقسم لبليسية وما يليها من
الشرق وقسم أخير للوافدين من المشاركة
إلى الأندلس ١ وهكذا سار سير الثعالبي
حين جعل اليتيمة أقساماً أربعة : قسم لأشعار
أهل الشام وما يجاورها ، وقسم لأشعار أهل
العراق ، وقسم في محاسن أشعار أهل الجبل
والقسم الرابع في محاسن أهل خراسان
وما وراء النهر ، وهذا الاحتذاء السافر
يتضمن اعتراف ابن بسام بمنهج أستاذه فهو
في رأيه كما نقل صاحب الوفيات عنه ١ -
ص ٥٢١ .

وكان في وقته راعى تلعات العلم ، وجامع
أشبات النثر والنظم ورأس المؤلفين في زمانه
ولامام المصنفين بمحكم أقرانه ، سار ذكره
سير المثل ، وضرب له آباط الإبل ،

منجاء وأحوجه إلى طلب ما أغفله من ذلك في سواه . . .

فهو يعنى على العالوي إغفال الحوادث والنواريخ ثم يعنى عليه مرة أخرى ذكر الفاحش من الأهاجي والماسجن من الفصول فيقول بالقسم الثاني من المجلد الأول ص ٦٢ .

والقسم الثاني هو السباب الذي أحدثه جرير وطبقته وكان يقول : إذا هجوتهم فأضحكوا وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتا ، ولا عيرت به قبيلة ، وهو الذي صفا هذا المجموع عنه وأعفيناه أن يكون فيه شيء منه ، فإن أبا منصور الثعالبي كتب منه في يتيمة ماشائه وسمه ، وبقي عليه إثمهم ، ونسأل بدد ذلك ،

هل تقيد ابن بسام بمنهجه ، أما الذي يعرفه قارئ الذخيرة - ما نشر منها - فهو أنه لم يقدر على الإحاطة بالتواريخ والأخبار جميعها ، ولكنه بذل الجهد المستطاع ، وبقي ما بقي مما يتطلب البحث الجديد ، كما أن قارئ الذخيرة يعرف أن ابن بسام ترخص في ذكر بعض الماسجن من القول رغم حملته على الثعالبي بل العجيب أنه قبل هذه الحلة بصحيفتين فقط ص ٦١ يذكر أبياتا قدرة يقول : لأنها من الكنايات المليحة التي تعرض بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب وكان له عنها عييد .

على أن ابن بسام مع هذا لا يقارن بمعاصره الفتح بن خاقان بحال ، مهما اضطرت

على فضله وسعة اطلاعه أكثر خضوعا لأحكام القدماء من ابن بسام ، وأنه كثيرا ما يتخذ به البرج ويحسب الشعم فيمن شحمه ورم ، أما ابن بسام فإنه نافذ النظر ، سليم الذوق بارع الناقدة دقيق الملاحظة ، لا يتخذ به الطلاء المموه ، ولا تضل تفكيره الألباظ الضخمة المدوية أو الطائفة العالية . .

ومن يقرأ الذخيرة يعرف أن مؤلفها يعلم كل العلم موقعه من صاحب القيمة ، فهو على اعترافه بمتابعته يعلن أنه خالفه في أمرين جوهرين : الأول ما أفاض فيه ابن بسام حين قال : المجلد الأول ، القسم الأول ص ٢٣ .

وقد وعدت في صدر هذا الكتاب بأن أتخلل أشعار الشعراء ورسائل الكتاب والوزراء بما عسى أن يتعلق بأذيالها ويسير أفياء ظلالها ، من أنباء فتن ذلك الزمان البعيد - كان - طلوعها ، المفرق لشمل الأمر في هذه الجزيرة نسفها ، ونلعب بفنذ من مشهور وقائعها ونشير بأسماء طوائف زوابعها وتوايحها ، ليجمع هذا المجموع بين الشعر والخبر ، جمع الروضة بين الماء والزهر والزمان بين الأصائل والبكر ، فإني رأيت أكثر ما ذكر الثعالبي من ذلك في يتيمة محذوفاً من أخبار قائله ، مبتورا من الأسباب التي وصلت به وقيلت فيه فأمل قارئ كتابه

من طريق بغض ! ومثل ابن باجه لا يتأتى له أن يقدر سلوك الفتح وأدبه معا فهو في الأول متسول محترف ، مع ما عرف عنه من العريضة واصطحاب الصفة وغشيان الريب ، وهو في الثاني ينشق أسجاء فارغة لا يراها الفليسوف تهدف إلى جلاء حقيقة مطبوسة ، أو تساعد على فهم ظاهرة مستعصية ! فما الذي يجذبه إليه مع هذه القبايح ! لقد هز على الفتح أن يهمل ويفغل فكتب في القلائد فصلا عن الفليسوف أملاء الحقد والصفينة والثأر قال في مقدمته : هو رمد عين الدين وكبد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وبجونا وترك مفروضا ومسئونا فما يتشرع ، وما يأخذ في غير الاضاليل وما يشرع ، ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة ، ولا أظهر خيلة إنابة ، ولا استنجى من حدث ولا أشجى فؤاده بتوار في جسدك ولا أقر بياربه ومصوره ولا فرد بياربه في ميدان تموره ، الإساءة لديه أجدى من الإحسان ، والبهيمة عنده أهدى من الإنسان ، انظر في تلك التعاليم ، وفكر في أجرام الافلاك وحدود الأقاليم ورفض كتاب الله الحكيم ، واقتمر على الهيئة ، وحكم للمكواكب بالتدوير ، واجترأ عند سماع النهي والإيعاد ، واستمزا بقوله تعالى : إن الذي فرض عليك القرآن رادك إلى ميعاد .

معاصرتهما كثيرا من النقاد إلى هذه المقارنة وإن عظم تأثرهما معا بالقيمة ويكفي أن نلخص السبب في جملة واحدة هي أن ابن بسام جاد والفتح هازل ، فليس إلى التقائهما من سبيل ! ومن المفيد أن نوضح وجهة نظرنا في ذلك ، فننظر إليهما رجلين وأديبين ، لنرى الفتح يندفع في استمثاره إلى ما يشين ، ثم يتناول على الناس بالحق وبالباطل معا ، وهو حين عمد إلى التأليف لم يصدر عن غيبة في اجتلاء حقائق الأدب والتأويخ ، ولكن اتخذ قلبه وسيلة للنكسب المقيت ! فهو يرسل إلى أدباء عصره ومشهورى مصره يتحدث عنهم ، ويلتمس ما لديهم من الشعر والنثر ثم ينتظر ما يجيء ؛ فإن كان الرد مصحوبا بالبدر الثمينة والهدايا النفيسة أطلق أرسان المديح إلى أبعد الأشواط ، وإن تقاهس عنه ذوو الفهم بمن يأنفون أن يكونوا لعبة في يد لاهب أو يترفعون أن يشتروا المدح الزائف بمال مقرر مفروض ! فإن الفتح يشويهم بسياطه ويستعدي عليهم الحكام والناس ، ويصدر في كل ذلك عن ذوق مريض ! لقد أرسل إلى الوزير الفليسوف النابغة أبي بكر بن الصائغ المعروف بابن باجه يسأله بعض أشعاره مع ما يطمع فيه من المال ، فما التفت إلى دهوته ، ورأى فيه وصوليا يبتز المال

لو كان الفتح يعتقد ذلك في ابن باجه عن صدق وإخلاص لوجد العذر من الناس في تسجيل ماسطر ، وافق الحق أو جافاه ، ولكنه كشف نفسه حين تراجع الوزير عن موقفه منه كفا لشره فنفعه بيمض المال ، فأطفا جذوة غضبه ، واندفع إلى كتابة جديدة ملأها بالثناء الحافل ، ولم يدخر وسعا في تنميق صفحة مضادة للأولى في كتابه مطمح الأنفس يقول فيها عنه :

« نور فهم ساطع وبرهان علم لكل حجة قاطع ، تتوجت بعصره الأعصار ، وتأرجت من طيب ذكره الأمصار ، وقام وزن المعارف واعتدل ، ومال للأفهام فننا وتمهل إذا قدح زنده فهمه أوري بشرر الجهل محرق ، وإن ظما بحجر خاطره فهو لكل شيء مغرق ، مع نزاهة النفس وصونها ، وبعد الفساد من كونها ، والتحقيق الذي هو للإيمان شقيق ، والجد ، الذي يخلق العمر وهو مستجد ، وله أدب يود عطارده أن يلتحقه ، ومذهب يتمنى المشتري أن يعرفه ، ونظم تعشقه اللبات والنحور ، وتدهيه مع نفاسة جوهرها البحور . »

هذان نصان متعارضان يكشفان عن معدن الرجل ! وهما أيضا يكشفان عن خصائص أدبه ، ولا يشرفانه في مجال الموازنة بينه وبين معاصره ابن بسام إذ أن صاحب الذخيرة قد تجانى عن بعض أخطاء بقيمة الدهر حين

حاول تقييد الحوادث وتسجيل التواريخ ما استطاع !! أما الفتح فقد فهم تأثير اليتيمة من ناحية ، وطبيعة الجو السائد من ناحية ثانية أن الكتابة معارض أداظ ، ومتاحف أسجاع ، وتطبيقات مدرسية للجناس والطباق والنورية ! أما أن تكشف عن حقيقة ، أو توضح فكرة ، فهذا مالا يبتغيه الفتح أو يعتزده ! ومع هذا فقد وجد من الأدباء من يقبلون تنميته ، ويرتضون تلفيقه ، فسان الدين بن الخطيب يقول عنه : « كان آية من آيات البلاغة لا يشق غباره ولا يدرك شأوه عذب الألفاظ ناصعها ، أصيل الماني وثيقها لعبا بأطراف الكلام ، معجزا في باب الحلي والصفات ، وابن سعيد يقول في المغرب عنه : الدهر من رواة قلائده وحلة فرائده ، طلع من الأفق الأشبيلي شمساً طبق الآفاق ضياؤها وعم المشرق والمغرب سناها وسناؤها وكان في الأدب أرفع الأعلام ، وحسنة الأيام ... وهو وأبو الحسن بن بسام صاحب الذخيرة قارسا هذا الأوان ، وكلاهما قس وسحبان ، إلا أن ابن بسام أكثر تقييدا ، وعلميا مفيدا وإطنابا في الأخبار ، وإمتاعا في الأسجاع والأبصار ، والفتح أقدر على البلاغة من غير تكلف وكلامه أكثر تعلقا وتعشقا بالأنفس ! ، ويزول العجب من هذين القولين حين نعرف أن لسان الدين بن الخطيب وابن سعيد

المغربى كليهما من تلاميذة الثعالبي وهواة اليتيمة ١ وخطنهما في التأليف ترضى الإكثار من القول والمباهاة بالركشة اللفظية والزخرفة البديعية ١ وذلك داء العصر ومنجاءه ، فلا غرو أن هاما بأسلوب الفتح بن خاقان ١ ولورجع بهما الزمن إلى هذا العصر اسمعا الدكتور أحمد أمين يقول عن صاحب القلائد في ظهر الإسلام ٣ - ص ٢٨٣ :

(وأسلوب الذخيرة أقرب إلى نفوسنا فهو لا يلتزم السجع كما يفعل ابن خاقان ، وأسلوب الفتح هذا أجوف يلعب بالألفاظ والاستعارات لعب البهلوان ١١)

لقد شغلت منذ أعوام بدراسة الفلسفة الإسلامية بالأندلس ، فطالعت نبذامن آراء ابن باجه وابن طفيل وابن رشد ؛ وعرفت أن هناك فيلسوفا آخر هو الفضل بن شرف حاولت أن أقف على سيرته ، وطفقت أبحث عنه في كتب التراجم ، حتى عثرت على قول الفتح .

« الناظم النادر ، الكثير المعالي والمآثر ، الذى لا يدرك باعه ، ولا يترك اقتفاؤه وأنبائه ، إن نثر رأيت بمرآيزخر ، وإن نظم وقدل الاجياد درأ تباهى به وتفخر ، وإن تسكلم فى علوم الأوائل بهرج الأذهان والألباب ، ووج منها فى كل باب ، وقد كان أول ما نجم بالأندلس وظهر ، وعرف بمحرك القريض واشهر ، تسدد إليه السهام ، وتنقده

الخواطر والأوهام فلا يصاب له غرض ، ولا يوجد فى جوهر إحسانه عرض وهو اليوم بدر هذه الآفاق ، وموقف الاختلاف والاتفاق ، مع جرى فى ميدان الطب إلى منتهاه ، وتصرف بين سمساه وسماه ، وتصانيف فى الحكم ألف منها ما ألف ، وتقدم فيها وما تخلف ، فمنها كتابه المسمى « سير البر ، ومنها الكتاب الملقب بنجح النصح ، وسواها من تصانيف اشتمل عليها الأوان وحوها ، هذا كله ما قاله الفتح ، وقد أخذت أضرب كفا بكف بعد قراءته ، وأسأل نفسى : ماذا قدم لى المؤرخ الكبير غير بديع وأبجام وزركنة وابتداع ١ ؟ وكان بما أسعدنى أن أجد الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى صاحب مجلة البيان رحمه الله يحار مع الفتح حيرتى ، وينشر مقالا بالرسالة (١٤٩) سنة ١٩٣٦ يقول فيه بعد أن نقل كلام الفتح « وقد جرى الفتح فى هذه الترجمة على شفتنته فى سائر تراجمه ، فلم يذكر اسم المترجم له ولا اسم أبيه ولا مشأه فضلا عن أنه أغفل تاريخ مولده ووفاته ، كذلك لم نر لغير الفتح ترجمة لهذا الأديب الكبير يصح أن تسمى ترجمة يعول عليها . » (٥)

تأصلت إذن طريقة اليتيمة فى المؤلفات الأندلسية ، احتذاها الفتح شبرا بشبر ، ووقع فى بعض أخطائها ابن بسام ، ولولا

المغربى كليهما من تلاميذة الثعالبي وهواة اليتيمة ١ وخطنهما فى التأليف ترضى الإكثار من القول والمباهاة بالركشة اللفظية والزخرفة البديعية ١ وذلك داء العصر ومنجاءه ، فلا غرو أن هاما بأسلوب الفتح بن خاقان ١ ولورجع بهما الزمن إلى هذا العصر اسمعا الدكتور أحمد أمين يقول عن صاحب القلائد فى ظهر الإسلام ٣ - ص ٢٨٣ :

(وأسلوب الذخيرة أقرب إلى نفوسنا فهو لا يلتزم السجع كما يفعل ابن خاقان ، وأسلوب الفتح هذا أجوف يلعب بالألفاظ والاستعارات لعب البهلوان ١١)

لقد شغلت منذ أعوام بدراسة الفلسفة الإسلامية بالأندلس ، فطالعت نبذامن آراء ابن باجه وابن طفيل وابن رشد ؛ وعرفت أن هناك فيلسوفا آخر هو الفضل بن شرف حاولت أن أقف على سيرته ، وطفقت أبحث عنه فى كتب التراجم ، حتى عثرت على قول الفتح .

« الناظم النادر ، الكثير المعالي والمآثر ، الذى لا يدرك باعه ، ولا يترك اقتفاؤه وأنبائه ، إن نثر رأيت بمرآيزخر ، وإن نظم وقدل الاجياد درأ تباهى به وتفخر ، وإن تسكلم فى علوم الأوائل بهرج الأذهان والألباب ، ووج منها فى كل باب ، وقد كان أول ما نجم بالأندلس وظهر ، وعرف بمحرك القريض واشهر ، تسدد إليه السهام ، وتنقده

تشبعه بمؤلفات ابن حيان لجعلها هو الآخر مثالا يحتذى أما الحجازى وابن سعيد والمراكشى وابن الخطيب والمقرئ ، وأما أضرابهم من مؤرخى عصر الطوائف وما يليه فقد أصابهم من تأثيرها الساحر ما لانزال نرى هقابله فيما نقرأ لم من التصانيف ، ولم يقتصر نمط اليتيمة على الأئق الأندلسى وحده ، ولكن يريقه الساطع قد جذب إليه مترجى المشاركة ممن فتنوا به ، ونسجوا هلى منواله ، لقد حاول أبو منصور أن يجعل اليتيمة بأجزائها الأربعة ذبلا لكتاب البارح فى أخبار الشعراء الذى تقدم به هرون بن على بن المنجم المتوفى ٢٨٨ هـ ، ثم جاء من بعد الثعالبى أبو الحسن على بن الحسن الباخرزى المتوفى سنة ٤٦٧ هـ وألف كتابه دمية القصر وقد جعله ذبلا لليتيمة نهج به نهجه وقد عبارته وأبجاعه ثم جاء أبو المعالى سعد بن هلى الوراق الخطيرى المتوفى ٥٦٨ هـ وصنف كتاب (زينة الدهر) جاعلا إياه ذبلا هلى كتاب الباخرزى دمية القصر ثم ظهر السكاكب الأشهر العماد الأصفهانى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ فأصدر خريدة القصر وجريدة أهل العصر ... وكل هذه الذبول المطولة تنهل من مورد الثعالبى ، ونهجه نهجه ١١ وهى بعد مشرقية لا أندلسية ، ثم توالى المؤلفات التاريخية تحمل الطابع البديعى وكان العصر

المملوكى فى الشرق وعصور الزوال بالأندلس قد استطابت هذا اللون وارتضته عن إجماع لا يخرج عنه إلا كاتب عبقرى كابن خلدون ١١ كان أبو منصور الثعالبى يبذل جهده الحافل فى جمع الأشعار البعيدة ، وسؤال من يلقاه عن يعرفون من الشعراء ، وإذا صادف أدبيا مصريا أو أندلسيا أو فارسيا فرح به وأخذ ينقل عنه ما يروى ، وأنت تقرأ بعض تراجمه للشعراء ، فتجده لا يكاد يعرف عن الشاعر شيئا إلا ما سمع من أشعاره ، فيضطر اضطرارا أن يكتب له ترجمة إنشائية تنمى منحى المقامات ، وتصلح لكل شاعر ينظم الشعر ، كما تباع الملابس فى المحلات التجارية ، ليشتري منها الآباء لأبنائهم غيبا ما يخالونه يتناسب ، وقد يلبس الابن حلته المشتراة فإذا بها ليست بما يصلح له ، ولكنه مضطر إلى ارتداها ، كما اضطر الفارىء أن يقبل تراجم الثعالبى للشعراء فى اليتيمة وإن لم تبرز قسماهم وشياتهم على اتضاح ، والحق أن صاحب اليتيمة بذل طاقة قوية فى حفظ تراث الشعراء من بنى عصره ، ولولاه ما استطعنا أن نعرف شيئا عن أكثر من روى لهم من الشعراء لأن المغمورين لديه أضعاف أضعاف المشهورين ١ ولكن طريقته فى السؤال عن الأدباء واستهداتهم بعض أشعارهم قد انتقلت إلى من بعده ، فكان ابن بسام يكتب لأدباء زمانه طالبا نماذج

قوية من أشعارهم ليضمها إلى الذخيرة ، فيقد إليه ما يريد ، وكل مسئول لا محالة يهدى من قوله أطيب ما يستحسن في رأيه ، وهذا حسن إذا جاء الأمر من باب ، ولكنه انقلب تسولا شائنا على يد الفتح بن خاقان بل صار أداة لإرهاب وهجو واستعداد ، وأذكر أن الطبيب الذائع والفيلسوف الماهر أبا العلاء زهر لم يتبل أن يحجبه على شيء ، فكنتب الفتح رسالة فاحشة في ثلثه ونقدم بها إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، محاولا أن يثمه بالإلحاد والمروق ، كما أن طريقة الثعالبي في الاعتماد على الوافدين غير مأمونة فقد يروى أديب لشاعر ما ليس له عن قصد وعن غير قصد ، ولا بد أن تكون هناك نماذج كثيرة في اليتيمة والدمية والخريدة والذخيرة والفلاند والمطمح ليست لأصحابها على وجه التأكيد ، مهما يكن من شيء فمنع في معرض إنصاف الثعالبي نقرر أنه بذل أقصى ما يستطيع ، وأن هيامه بالأدب قد دفعه إلى تشييد معقل قوى من معاقله حفظ جانبا من تراث القرنين الرابع والخامس معا ؟ أما قصور تراجمه وتراجم من بعده عن أن تقدم التاريخ الحى في أكثر ما ديج ، فيواجهنا بمهمة خطيرة ، إذ ينبغي أن يحرص ناشر هذه المجلدات من علمائنا المحققين على استيفاء النقص ما أمكن ، فلا بد - إن

صدق الناشر المحقق في إخراجها - أن يضع في هامش كل ترجمة ما يصل إليه جهده الباحث من أخبار صاحبها ذكرا ما وقف عليه من المراجع والمصادر ، فإذا اتجه أصلاء المحققين من الناشرين هذه الوجهة فلا بد أنهم سيجدون الجيد المفيد ، ولك أن تصور معي اليتيمة والخريدة وأضرابهما وقد عولجت هذا العلاج ، فأكلت ما تيسر من النقص ؛ وأصبحت مرجعا أدبيا وتاريخيا معا ؟ ومن المحقق أن بعض من ترجم لهم في هذه الموسوعات لا نجد من المصادر المعاصرة ما يمدنا عنهم بشيء ، ولكن من المحقق أيضا أن كثيرا من هؤلاء قد كتب عنهم فهم يتطلبون نهاية المحقق واهتمامه ، إن كان كفتا لعله إذ من المقرر أن يضطلع بال نشر بحاثته مقرر من ضليع قواد أما الذين يكتفون بال نشر الخاطف فهم وراقون !

لقد نشر الأستاذ الجليل أحمد يوسف نجاتي رحمه الله تسعة أجزاء من كتاب نفح الطيب عن دار المأمون قام بتحقيقها واستيفاء النقص فيما ورد من تراجمه ، فلم تتكاده حقبة ما في طريقة بل كان اطلاعه الثاقب الشامل - وإن أمرف أحيانا - يمد بجميع ما يريد ، ولو صدق محققو التراث الأدبي صدق الأستاذ نجاتي لتلافوا النقص ، وقوموا المسائل ، ومهدوا الطريق ...

محمد رجب البيومي

من سيم العلماء وسفهم بالعالم

لؤستاذ محمود الشراوى

- ٢ -

و إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور .

هذه الآية الكريمة كانت وما تزال وستبقى بقاء الدهر هاديا ونبراسا لكل عالم يضئ قلبه بنور الإيمان والعلم ، وتمتز نفسه ، ويوقن ضميره بأن خشية الله تمنعه أن يخشى سواه ، وأن الله مانحه العزة — والعزة لله جميعا — جزاء شجاعته في الحق ، وخشيته له وحده ، وقد رأينا أمثلة من ذلك في مقالنا السابق .

وفي تاريخ علمائنا أمثلة تفوق الحصر نستوحى منها ما يجب أن توحيه من العظة والعبرة واستلهم القدوة .

١ — قصة يعرفها مؤرخو الفقه والحديث ومؤرخو الإمام مالك على وجه خاص : خلاصتها أن مالكا روى حديثا عن رسول الله عليه السلام يقول : (ليس على مستكره طلاق) وكان أبو جعفر المنصور يأخذ لنفسه البيعة من الناس ويخلفون له بذلك ، وأراد خصوم مالك أن يكيدوا له فقدموا عليه بأنه يقصد بروايته لحديث بطلان الطلاق من المقسمين به : البيعة . حتى يتحلل المتقسمون من قسمهم وبيعتهم .

واستمع جعفر بن سليمان ، وإلى المدينة من قبل أبي جعفر إلى كيدهم فطلب إلى مالك أن يكف عن رواية هذا الحديث ، وزاد الأمر شدة وتقيدا ، كما زاد جعفرنا سخطا وغضباً ، أن خرج على الخليفة — في الوقت نفسه — محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية ، وأخذ يدعو لنفسه ، فأمر جعفر مالكا أن يكف عن حديثه ، ولا يرويه لاحد ، ولكن مالكا أبى أن يكتم حديثا تحقق روايته وثبوته عن رسول الله ، فجابه جعفر ، وطرحه على الأرض ، وأمر بأن يضرب بالسياط ، وضرب مالك ، وشدت يده حتى انخلعت كتفاه ، ولكنه صبر على المحنة ، وأبى أن يخشى إلا الله ، وأن يخون أمانة العلم ، وتناقل الناس ما حل بمالك ، فسخطوا وبلغ سخطهم مسامع الخليفة فلما قدم للحج دعا إليه مالكا ، واعتذر له بكلمات صادقة غاضبة يقول فيها : والله ما أمرت بالذى كان ولا علمته ، وقد أمرت بعدو الله جعفر أن يؤتى به على قتب : « رحل » ، وأمرت بضيق محبسه والمبالغة في امتنائه ، ولا بد أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه) .

أفتى بذلك للسلطان من قبل ، فقال ابن دقيق العيد : إن شيخنا العزيز بن عبد السلام لم يفعل ذلك إلا بعد أن جمع (قطز) كل ما عنده وهند حريمه وأمرائه من الجواهر والأموال قبل أن يجمع شيئا من الشعب ، وكيف أبيع الآن لناثي السلطان أن يأخذ أموال الشعب وأنا أعرف أن الأمراء يكمنون الذهب والجواهر ، وأن بعضهم كان في جهاز بقتة الكثير من الذهب والأؤلؤ وأواني الفضة الخالصة ، ومنهم من يضع الجواهر في (ششبش) زوجته ، يريد الأمير بيمرس ، والله لا أفعل ذلك أبدا ولا أفتى به .

(٤) وكان حكام مصر ، في القرن الماضي ، من الجهل والغفلة والبلاهة بحيث يعتقدون أن (تلاوة) البخاري - مع ضعف العدد ونقص الاستعداد - تكفل لجيوشهم النصر كما أنهم لم يقرءوا ولم يسمعوا قول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . كانت الحرب تدور بين مصر والحبشة ، ووقعت هزائم كبيرة على جيش إسماعيل ، وخرج هذا يوما معه رئيس وزرائه شريف باشا وهو ضيق الصدر لما وقع بجيشه ، وتحدث إلى شريف في أن يرشده ويشير عليه ، فقال له شريف : إني إذا ضقت بشئ أو وقع لي مكروه دعوت العلماء الأطهار فقرءوا صحيح البخاري فتفرج الشدة . هند

ولكننا نجد ما لسا وقد سمع نفسه إلى مثل هليما كريمة يطلب إلى الخليفة أن يعفو عن جعفر لقربته من رسول الله ومن الخليفة . وشبهه بهذه القصة ما جرى للإمام أحمد في المحنة المشهورة : « خذ القرآن » .

٢ - وروى السيوطي أن الملك الكامل أراد أن يشهد في قضية أمام القاضي ابن عين الدولة ، فقال له القاضي : السلطان يأمر ولا يشهد ، وأخذ السلطان يجادل حتى قال له : أما تريد أن تقبل شهادتي ... ؟ قال القاضي : لا أقبلها وأنا أعرف أن المخنية عجيبة ، تصعد إليك كل ليلة فتسمع غناها وتمايلها إلى الصبح ... ؟ وغضب الملك فوجه للقاضي - بالفارسية - كلمة شتم ، وأدرك الشيخ ذلك فأعلن عزل نفسه عن القضاء ، وأشهد من حضر المجلس على هذا العزل ، ونهض بعضهم إلى السلطان فخوفه عاقبة ذلك ، فقام السلطان بنفسه إلى الشيخ فترضاه وطلب إليه أن يبقى في القضاء .

٣ - وعاد جيش (بيمرس الجاشنكير) و (سلاز) نايب السلطان المظفر (قطز) مهزوما من إحدى وقائع التتار في سوريا لم ينتصر كما انتصر قبله جيش سابق ، وأراد الأميران أن يجمعاهما من الشعب ليعاودا الحرب ، فوقف لهما ابن دقيق العيد وأبى عليهما ذلك ، وقال رجل من المناقبين : إن شيخ الإسلام العزيز بن عبد السلام

لو وضعتم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها عن النبي عليه السلام قبل أن يميزوا على لا تفذتها) . كرم وسماحة :

كذلك من شيم العلماء أن يكونوا كرماء سمحة نفوسهم .

١ - ذكر القرطبي ، صاحب التفسير ، أن الإمام الشافعي كان يمشي بشوب واحد وعلى رأسه طاقية ، ومع ذلك كان يفرق ما يورد إليه من الهبات الضخمة الكبيرة هندورودها إليه ، ولا يفارق مجلسه قبل أن يفرقها .

٢ - وكان أبو حنيفة يتاجر ويجمع ويجه فينتري به لشيوخ المحدثين حاجتهم ثم يعطيهم ما بقي ويقول لهم : لا تحمدوا إلا الله فإني ما أعطيتكم شيئاً من مالي ، فهو فضل الله عليكم يجزيه على يدي .

وكان - كما وصفه تلميذه أبو يوسف - لا يكاد يسأل عن حاجة إلا قضاه .

ويقول سفيان بن عيينة إن أبا حنيفة : (وجه إلى هدايا استوحشت من كثرتها ، فشكوت ذلك لبعض أصحابي فقال : لو رأيت ما بعث به إلى سعيد بن أبي هريرة) . ويقول إنه ما كان يدع أحداً من المحدثين إلا بره برأ واسعا .

٣ - وكان الشيخ قاضي القضاة ابن دقيق العيد ، فقيراً يصفه مؤرخوه بأنه كان يستدين ، أكثر أيامه ، وذكر المقرئ أنه - وهو قاضي القضاة - طلب من زوجته

ذلك أمره إسماعيل أن يكلم في ذلك الشيخ العروسي شيخ الأزهر واجتمع العلماء أمام (القبلة القديمة) في الأزهر يتلون صحيح البخاري ، ولكن الهزائم ظلت تتوالى على جيش إسماعيل ، فذهب إسماعيل ومعه وزيره شريف إلى مجلس العلماء ، وقال لهم وهو غاضب : لما أن هذا الذي تقرءونه ليس صحيح البخاري ولما أن تكونوا لستم من العلماء الصالحين فإن الله لم يدفع بتلاوتكم شيئاً ، فوجم الشيوخ وبهتوا ، ولكن صوتاً من آخر الصف علا وجبه إسماعيل ووزيره بقوله : منك يا إسماعيل فإننا حفظنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم) .

وترك إسماعيل ووزيره مجلس العلماء واجبين ، ثم طلب إسماعيل أن يري الشيخ في قصره ، فلما دخل عليه طلب إليه أن يعيد ما سمعه منه في الأزهر ، فأعاده ، ثم أخذ يلقي على سمع إسماعيل ما صنع من الشر والخروج على الشريعة ، ثم قال بعد ذلك : ما ذنب البخاري وما حيلة العلماء . . ؟ وكان إسماعيل يسمع ، وهو مطرق صامت لا يجيب .

هؤلاء العلماء قد استمعوا وattenموا بالآية الكريمة : إنما يخشى الله من عباده العلماء ، وكانت لهم أسوة وقوة في هذه الكلمة المؤمنة الشجاعة التي قالها أبو ذر : (والله

الثالث... ؟ قلت : أما... ! فقال : تكذب على وتدلّس... ؟ قلت الضرورة والحاجة ياشيخي رفع الله عنك الضر ، فضحك وأعطاني .

هذه الشائيل الغراء والشيم الكريمة وضعت العلماء في تلك المسكانة الشائخة والمنزلة السامية والكرامة العزيزة التي تدرك مداها من هاتين القصتين :

١ - الخليفة « المعتضد » يطوف في بستان ، ومعه ثابت بن قرة الحراني ، وكان الخليفة يضع يده في يد ثابت وهما يسيران ، ثم جذب يده من يد ثابت فقال ثابت : ما بدا يا أمير المؤمنين . ؟ وأجابه الخليفة : كانت يدي فوق يدك ، والعلم يعلم ولا يعلم .

٢ - دخل خوارزم شاه يوما قصره وهو واكب ، وكان أبو الريحان البيروني داخل القصر فطلب أن يراه . وأطأ البيروني قليلا فظن خوارزم شاه أن البيروني قد ساءه أن يستدعيه ، وثني عنان فرسه ليذهب إليه وشاهد البيروني وهو قادم ، وهم أن ينزل من على ظهر فرسه ، ولكن البيروني سارع إليه وأقسم عليه ألا يفعل ، فأنشد خوارزم شاه :
العلم من أشرف الولايات

يأتيه كل الوري ، ولا يأتي
ثم قال : لولا رسوم الملك ما استدهيتك .
فالعلم يعلم ولا يعلم ؟

محمد الشرفاوي

درهما يشتري شمعة فلم تجده ، ومن شعره
يصف حاجته وفقره :

لعمرى لقد قاسيت بالفقر شدة
وقعت بها في حيرة وشتات
فإن بحت بالشكوى هتكت مررتي
وإن لم أنج بالصبر ، خفت مما
فأعظم به من نازل بجملة
يزيل حياتي أو يزيل حياتي

ولكنه ، مع هذا الشيم وهذه الصيانة ، كان يبذل من ماله القليل في معونة المحتاجين من تلاميذه ومعارفه . يقول تلميذه القوني :
إنه كان يعطيه في كثير من الأوقات الدراهم والدنانير . ويقول أحد نوابه في القضاء - وهو الشيخ نجم الدين محمد عتيل - إنه عندما اختاره نائبا أعطاه مائتي درهم . ومن قصص كرمه وسماحته ما تحدث به تلميذه محمد الحواسبي القوصي ، حيث يقول : كان الشيخ يعطيني في كل وقت شيئا من المال ، على قدر ما يستطيع ، وأصبحت يوما مفلسا فأرسلت إليه ورقة كتبت فيها : تليذك محمد القوصي في شدة ، فأرسل لي مالا . وفي اليوم الثاني أرسلت إليه ورقة كتبت فيها : تليذك محمد الحواسبي في شدة ، فأرسل لي مالا ، وفي اليوم الثالث كتبت له : تليذك محمد في شدة ، فأرسل يطلبني ، ثم قال لي : محمد القوصي أعرف أنه أنت ، فن هو محمد الحواسبي... ؟ قلت : أنا ، فقال : ومن محمد

إلى أي مدى تنفيّر الأحكام الشرعية بتنفيّر الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

- ٥ -

المصالح المرسله :

إن أوسع أجواب الفقه قبولا لفكرة التطور باختلاف العصور هو باب المصالح المرسله وإن هذا الباب هو - كذلك - أخطرها مساسا وأكثرها تشعبا ويتطلب أن يكون المقنن أو المفتي أو القاضى أو الحاكم على بصيرة من دينه وأن يكون خبيراً بقواعد الشريعة العامة حتى لا تضل به الأهواء .

وقد بينت في المقال السابق أن المصالح العامة التي حرص الإسلام على حفظها وصيانتها ؛ وتعتبر من مقاصد الشريعة في جميع ما جاءت به من أحكام هي خمس ؛ وهي : حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

كما بينت أن المصالح - بالنظر إلى اعتبار الشارع - تنقسم إجمالاً إلى ثلاثة أقسام :

١ - مصالح اعتبرها الشارع وأدار عليها الأحكام إما بالنص عليها بذاتها ، وإما باعتبارها صالحة لأن يدار عليها أحكام من جنس الأحكام التي نص أو أجمع على تعليل الحكم بها .

٢ - مصالح ألفاها الشارع ولم يقم لها وزناً كما مثلت بالربا وبالتبني ، وغير ذلك كثير ، وعنده تحقيق الأمر - من غير تعصب -

تجد أن هذه المصالح قد اكتنفها مفسد تربو عليها فكانت حكمة الحكيم أن لا يقيم لها وزناً ؛ وهذه ما تعرف بالمصالح الملقاة .

٣ - مصالح لم يعتبرها الشارع ، ولم يلزمها بل سكوت عنها ؛ وهذه هي التي تعرف بالمصالح المرسله .

فأما القسم الأول من هذه المصالح من جلب منفعة أو دفع مضرة ، فقد أجمع الفقهاء على الاحتجاج بالمصالح التي اعتبرها الشارع بنص أو إجماع ؛ كما احتج جمهور الأمة سلفاً وخلفاً بالمصالح التي شهد لها الشارع بالاعتبار ولو في الجملة على اختلاف بينهم في التوسع في ذلك ؛ وأنكر الاحتجاج بها نفاة القياس .

وأما القسم الثاني : فالإجماع سلفاً وخلفاً على عدم الاحتجاج بها ؛ وإلا كان ذلك لإبطالاً للشرع ؛ وهذا لا يجوز عليه إلا مارق عن الدين يحادده الله ورسوله .

وأما القسم الثالث : فهو موضوع مقالنا . والبحث فيه يتناول : التعريف ، موقف العلماء منه ، ووجهة نظر كل منهم ، هل هو دليل مستقل ؟ هل يجوز نسخ نص شرعي بمصلحة مرسله ؟ وهل يجوز تخصيص النص بها ؟ .

بها نص ، أو شهد لها الشرع بالاعتبار فيثبتون الحكم - حينئذ - بالقياس .

وذهب الغزالي من الشافعية إلى اعتبار المصالح المرسلة إذا اجتمعت فيها ثلاث صفات وهي : أولاً : أن تكون مصلحة ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها .

ثانياً : أن يكون تحقق هذه المصلحة قطعياً لا ظنياً .

ثالثاً : أن تكون المصلحة عامة للأمة لا جزئية .

وهذا فتح باب الاستحسان في حدود ضيقة وإن تكن أوسع من الحدود التي عرفت من إمامه الشافعي رضي الله عنه ؛ فأجاز قتل جماعة من المسلمين ترس بهم الكفار ولا سبيل إلى الوصول إلى الكفار إلا بقتل هذه الجماعة من المسلمين ، ولم يجر قتل فرد لإنقاذ جماعة في سفينة ؛ لأن حياة كل من في السفينة متساوية فقتل بعضهم لإحياء الآخرين ترجيح بلا مرجح ؛ ولأن سلامة من في السفينة ليس مصالحة كلية ؛ ومثل ذلك يقول في المرأة التي امتد طهرها بعد أن رأت الدم ، فإنها إن طلقت لا تنقض عدتها حتى تبلغ من اليأس ثم تعمد بالاشهر بحجة أن هذه حادثة جزئية ، وهناك ظن أن يعاودها الحيض ، والخنفية أخذوا بالمصالح المرسلة لكن لا تحت اسم المصلحة المرسلة ؛ ولكن تحت اسم الاستحسان

ولذلك يبان هذه الموضوعات .

تعريف المصلحة المرسلة : وهي مصالح من جلب خير ، أو دفع ضرر ، لم يشهد لها الشارع بالاعتبار أو الإلغاء ؛ بل سكوت عنها ؛ وهي مصالح اقتضتها البيئات والضرورات وحاجات الناس بعد انقطاع الوحي ؛ وسماها بعض العلماء : بالاستصلاح ؛ كالإمام الغزالي ، وربما سماها بعضهم بالسياسة الشرعية كابن تيمية ، وتلييذه : ابن قيم الجوزية موقف العلماء أمام الاحتجاج بهذا الدليل .

لو تتبعنا آراء الأئمة سلفاً وخلفاً لوجدناهم - جميعاً - يقيمون للمصالح المرسلة واستصلاح شأن الأمة وزناً أى وزن على تفاوت بينهم في التوسع في اعتبارها ؛ ولعل لا أكون مغالياً إذا قلت إن أطول الناس باعاً في ذلك قديماً وحديثاً هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ ولقد ساعده على ذلك فقهه لمقاصد الشريعة ، وما أفاء الله به عليه من قريحة نفاذة ، وبصيرة بنور الحق مبصرة ؛ كما أن الإمام مالكاً من الأئمة المجتهدين له في هذا الباب القدح المعلن ؛ ولعل أقل الأئمة أخذاً بهذا من السلف أبو بكر رضي الله عنه ومن الأئمة المجتهدين الإمام الشافعي رضي الله عنه ؛ فقد نقل عنه : « أن من استحسن فقد شرع ، والقول بالمصالح المرسلة استحسان ؛ ولهذا فالشافعية لا يقيمون للمصالح وزناً في التشريع إلا إن جاء

أدلة الممانعين لحجية المصالح المرسلة :

تنحصر أدلة هؤلاء فيما يأتي :

أولاً : إن الشريعة كملت يوم أنزل الله تعالى واليوم أكلت لكم دينكم ، فلا مصلحة إلا ولها شاهد من الشرع بأى نوع من أنواع الاعتبار الذى قررناه آنفاً ، والمصلحة التى ليس لها أى شاهد من الشرع متوهمة لا يتم لها وزن .
ثانياً : إن فتح هذا الباب يفتح باب الأهواء والأغراض فى الأحكام الشرعية ، ويمكن ذوى الأغراض السيئة من تحقيق مأربهم باسم الدين ؛ ولا يعدم هؤلاء أن يجدوا المفتى الممانع الذى يستجيب لأهوائهم إما رغبة فى السلطان أو التظاهر بالكاذب بالعلم والمعرفة وإما رهبة من سطوة بعض ذوى السلطان عن لا دين هندهم ؛ فكان الخير كل الخير أن يسد هذا الباب دفعا للضرر وسداً للذرائع .

أدلة المحتجين بالمصالح المرسلة :

ترجع كلها إلى ما يأتى :

أولاً : إن مصالح الناس وقضاياهم متجددة فلو لم تشرع الأحكام إلا على أساس اعتبار الشرع لها لعطل كثير من مصالح الناس فى مختلف الأزمنة والأمكنة ؛ وهذا لا يتفق والمقصود الأول من التشريع وهو جلب المنافع ودرء المفاسد ؛ ولو لم تعتبر تلك المصالح لأصبحت الشريعة بالجمود .

فإن كثيراً من مسائله التى خرجوا فيها على القواعد العامة يمكن ردها إلى الاستصلاح (المصالح المرسلة) فقد أجازوا المحرم على الطبيب الجاهل ، والمفتى الممانع والمكاريء المفلس انتفاء لشرم مع أنهم كاملو الأهلية ؛ كما قالوا : إن وسائل الارتفاق (الانتفاع) تدخل فى الوقف من غير ذكر مع أن الوقف يشبه البيع فى أن فى كل منهما نقل ملكية ، والبيع لا تدخل فيه حقوق الارتفاق إلا بالنص ؛ والذى حملهم على هذه التفرقة هو رعاية مصلحة الوقف لأن الوقف لا ينتفع به إلا بحقوق ارتفاقه .

والذى فتح باب المصالح المرسلة على مصراعيه هو الإمام مالك رضى الله عنه فإن الأحكام التى بنيت على هذا الأصل عنده كثيرة جداً تذكر منها على سبيل المثال لا الحصر فتوى المالكية بجواز ضرب المتهم توصلوا إلى إقراره . كما أجازوا قتل الثلث لإحياء الثلثين ؛ وتوسعوا فى باب التعليل للضرر بما لم يتوسع فيه لإمام من الأئمة .

وللحنابلة فى هذا الباب حظ كبير ، ولا سيما ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ؛ وإن كانوا يردون هذا إلى القياس .

ومن هذا نرى كل المذاهب تعتبر الاستصلاح (المصلحة المرسلة) وبعد ذكر الأدلة من الطرفين وتمحيصها سأبين الحدود التى يجب أن تكون سياجاً حتى لا تقع فى تحكيم الهوى والغرض .

وكذلك فإنه ورث زوجة الرجل الضار الذى طلق زوجته في مرض موته حتى لا ترثه ثم مات وهي في العدة مع أنها ليست زوجة . ومن ذلك أن علياً كرم الله وجهه حرق غلاة الشيعة الذين ادعوا ألوهيته فقد صح أن قوماً من أتباعه خرجوا عن الحد في محبته إلى أن كفروا بربههم فأتخذوه رباً وقولوا له : أنت خالقنا ورازقنا فاستقتابهم وتوعدهم فلم يرجعوا فحفر لهم حفراً ودخن عليهم لعلمهم يرجعون فلم يفعلوا فحرقهم .

وهؤلاء الصحابة - رضوان الله عليهم - حرقوا من تشبهوا بقوم لوط مع أنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما معناه : لا يعذب بالنار إلا خالفها .

ثم جاء عصر التابعين فكان أن وضعت النقاط على الحروف في المصاحف ولم تكن كذلك في العصر الأول ثم كان أن ابتدئ بوضع شكل علامات الإعراب على أواخر الكلمات ؛ ثم أذن للناس في جمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفتاوى الصحابة ؛ وكان ذلك محظوراً ، ولو تقبضنا ذلك لظال البحث ، وقد تقدم أن قلت : إن الأئمة المجتهدين أخذ كل منهم بنصيب من هذا اللون من الاجتهاد ، فهل يسوغ بعد ذلك أن تهدر هذه المصالح المسكوت عنها ؟

والإجابة عن هذا السؤال في المقال التالى إن شاء الله تعالى .

ثانياً : إن من استقرأ فتاوى الصحابة - وهم أعرف الناس بأسرار الدين - وفتاوى التابعين ومن جاء بعدهم وجد أن كثيراً منها مبنى على اعتبار تلك المصالح وأن الشارع لم يشهد لها بالاعتبار أو الإلزام ؛ وقد ضربوا لذلك مثلاً بما يأتى : جمع الصديق الأكبر - رضي الله عنه - الصحف المتفرقة التي كان مدوناً بها القرآن الكريم وحفظها عند أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها ؛ وقد فعل ذلك بعد تردد كبير إلى أن شرح الله صدره له ؛ ومنها استغلافه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وحربه لما نعى الزكاة ومن ذلك إمضاء عمر رضي الله عنه الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثاً وقد كان واحدة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته وصدر من ولاية عمر نفسه كما فطقت بذلك الآثار ؛ وقد حمل ذلك بقوله : « لقد تعجلوا بذلك أمراً كان لهم فيه أناة ، فيفهم من ذلك أنه قضى بذلك عقوبة وتأديباً ؛ ومن ذلك تعطيله حد السرقة في عام الرمادة وهو عام مجاعة أصاب الناس في هجده حتى أنهم كانوا يرون كأن الجو مليء رماداً لقلة المطر وشدة الجوع إلى كثير جداً جداً مما صدر من عمر ؛ ولا يمكن رده إلا برعاية المصلحة أو دواء المفسدة .

ومن ذلك أيضاً أن عثمان رضي الله عنه جمع المصحف وأمر بإحراق المصاحف الخاصة التي كانت بأيدي بعض الصحابة ؛

الإقليمية في الأدب

لأستاذ محمد كامل الفقى

- ٢ -

إذ ذاك يركب الخليفة في زى فاخر، وموكب
نغم وينثر الأ عطية والمنح، فيكون ذلك ملمها
للشعراء أن يجيدوا المدائح ويتسابقوا إليها .
حتى النثر الفاطمى كان مرآة لحياة الترف
المائلة في القصور، والفن والزينة البادية
فيها وفي المساجد والمدارس والمكتبات
بما لا يزال في مرأى العين حتى أيامنا هذه .
وليس في الإمكان أن يحيا الأديب والشاعر
بمعزل عن مظاهر الفن وسماته، فإنه يمعن
فيها نظره ويملا من مفاتنه هيبته، وتشرق
من خصائص الفن سمات في شعره لا يعز على
الذواق أن يجتليها .

وإن ذلك ليذكركنا بما كان في العصر المملوكى
إذ بدت الإقليمية في الأساليب الانشائية
من هندسة اللفظ وزخرفته وتحليته، فقد كان
الشعب يروح تحت حكم غاشم، فاضطر الأدياء
إلى تنميق الأساليب، وتحويل الالفاظ،
وحشد ألوان الصنعة كالطورية والاستخدام،
والتسليميح والإشارات والغسكت، ليخفى
في أستار ذلك ما في النفس من غيظ وحنق
على حكم لا يجسد الناس حيلة في الخلاص منه

لعل من الإقليمية الأدب الناشئة بعدا قسام
الدولة العباسية إلى دويلات، ما انطبع به
الأدب العربى في عصر الفاطميين من أسلوب
العداية وفرض الشعر في تمجيد الفاطميين
وحكمهم، مما هو تجاوب واضح مع ارتياح
الشعراء للعطاء الجزل، والمثوبة الخسبة، وبما
هو صدى لأعياد الفاطميين ومواسمهم، إذ
أبقوا على الأعياد المألوفة من قبل، وزادوا
عليها عشرات وعشرات، فلمهم مع عيدي
الفطر والأضحى، عيد رأس السنة، ويوم
عاشوراء، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم،
ومولد على كرم الله وجهه، ومولد الحسن
ومولد الحسين رضى الله عنهما، ومولد فاطمة
الزهراء ومولد الخليفة (الحاضر)، وأول
رجب، وأول شعبان، ونصف شعبان،
وغرة رمضان، وسماط رمضان، وإيلة الحتم
وهيد الغدير، وكسوة العتاء، وكسوة الصيف
وقتح الخليج، ويوم النيروز، ويوم الفطاس
ويوم الميلاد، وغير ذلك، مما يدخل بهجة
على الأمة، ويربط بينها وبين الحكم بأواصر
ويجى للشعراء مواسم بر، وموائد كرم .

إلا بعمل جاد تكون هذه الأساليب دعوة له وتهينة إليه .

ذلك إلى أن نفوس الأدباء انطبعت فيها مرأتى الزينة فى المباني والمساجد والقصور وغيرها . فكانت تلك إقليمية فى أدب الماليك لا يغرب عن الذواق أن يميزه بها من سواء من أدب العصور .

هذا ولا ننسى ما اصطبح به الشعر الفاطمى من صبغة تعليمية ، فقد استغله الشعراء فى ترويج المذهب الفاطمى ، وساقوه حججا وبراهين يدعون بها رأى الشيعة ، وقد رأينا ابن هانىء الأندلسى ، يؤيد فى شعره عقائد الإسماعيلية ، ويلهم الشعراء كيف يمدحون الخلفاء الفاطميين من ناحية عقائدهم ، ولعل ذلك سر إثارة الفاطميين له ، واعتزازهم به ، وتحويلهم عليه ، فقد أحلوه من أنفسهم المحل الذى أدخل به كل شاعر معه ، وعظمت الفجيرة فيه ، حتى قال المعز حين بلغه خبر موته : لا حول ولا قوة إلا بالله ، هذا الرجل كنا نرجو أن نقاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك .

وابن هانىء ، هو الذى يقول مؤيداً هذه العقائد ، ومؤسسا نظرية الدعوة :

أنت الورى فاعمر حياة الورى

باسم من الدعوة مشتق (١)

(١) يقول المدوح : أنت الناس جميعا ، فاعمر حياتهم مجتمعة ، وإنك داع إلى الله يدعوهم إلى الهدى

ويقول :

قد كان ينذر بالوعيد لطول ما

أصنى إليك وعلم التأويل (١)

ويقول :

أهل النبوة والرسالة والهدى

فى البينات وسادة أطهار

والوحى والتأويل والتحريب

هم لا خلف ولا إنكار

ويقول :

ماذا تريد من الكتاب نواصب

ولها ظهور دونها وبطون

فى الآيات التى مرث بك تأكيد من

ابن هانىء ، لعقيدة الفاطميين الشيعة

فى أن للشريعة ظاهراً وباطناً ، وأن التأويل

لا يعليه إلا الله ورسوله وخلفاؤه القائمون من

قبله إماماً فى إثر إمام ، وسائر الناس يشحذون

علم التأويل من هؤلاء كل على قدر استعدادده .

وهو الذى يقول أيضاً فى بث هذه

العقائد وإثباتها :

إذا كان أمن يشمل الأرض كلها

فلا بد فيها من دليل مقدم

ويقول :

لولاك لم يكن التفكير واضحا

والعقل رشدا والقياس دليلا

(١) الضمير فى كان يعود إلى السيف ، ولأننى

كان سيفك ينذر بالوعيد ويعلم التأويل لطول مصاحبتك لك واستماعه لبياناتك .

الفاطمي : إنه ربما ظهرت مصريته في ميوله إلى الفكاهة .

وإذا رجعت إلى حكم السلاجقة الأتراك وأمعت الفطر في طابعه المميز . وجدت مظهر الشكوى والآنين من الشعراء . وسمعت من ثنايا الشعر اضجرهم وضيقهم بالحرمان في هذا العهد . رغم تذكيرهم الولاية . وبسط اليد وذل السؤال . حتى لو ألقى إليك شعر دون نسبة لعصره ماشق على سمك وعلى ذوقك رده إلى حكم السلاجقة .

هذه إقليمية في أدب المهالك الإسلامية في العصر العباسي الثاني . ترى فيها تميزاً لأدب قطر على قطر ، ولشعر مصر على شعر مصر وإن كان الشكل يجري على نطاق الدولة العربية التي تزهو حيناً وتحمل حيناً آخر .

وبهذا الذي سقناه يتضح أن لكل إقليم طابعا خاصا في أدبه يخضع لأسلوب حياته وشق ملبساته . وفي هذا المعنى يقول (بد السكريم النهشلي) أحد أدباء المغرب : وقد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد ، فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر . ويستحق عند بلد ما لا يستحق عند أهل غيره ونجد الشعراء الخذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله . بعد أن لا يخرج من حسن الاستواء . وحد الاعتدال . وجودة الصيغة وبما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل

لو لم تكن سكن البلاد تضيعت وتزايكت أركانها تزيلا

فهو يؤسس أيضا الدعوة ونظرية الإمامة والعصمة للأئمة ، وعلم الإمام بالحقائق ، وأنه مظهر من نور الله .

ففي هذا السلوك في الشعر الفاطمي سمات ومعالم في الشعر ، وحدود تحجزه عما سواه ، وإقليمية ترى فيها خصائص وقومية .

ولا ننسى في الحديث عن النثر الفنى في العهد الطولوني أن نقول : إن حظه كان أعظم من حظ الشعر ، وأن ذلك يتجلى كما يقول المرحوم الأستاذ (أحمد أمين) في رسائل (ابن عبدكان) ، ككتابه الذي كتبه على لسان (أحمد بن طولون) لابنه حين خرج عليه : « ففبه المسحة العراقية : جمعت بين طول نفس الجاحظ ، وجزالة عمرو ابن مسعدة . مع ميل إلى السجع كثيرا ، والمزاوجة دائما ، وإطناب في اللفظ ، وتكرار في المعنى ، فأنت ترى في النثر في بعض الأمصار مسحة عراقية ، لها سمات ومزايا ، وليس ذلك فيما نفهمه إلا إقليمية في أدب ، بمعنى أنها خاصية في أسلوب أحد الأقاليم .

وقد قيل في الحديث عن (الحسن ابن عبد السلام) الشاعر المصري في العهد

إلا بصحار ، فإن نداءهم وكلامهم بالفارسية
وأكثر أهل عدن وجدة فارس ... ،

ولكن هيء للعلماء والأدباء إذ ذاك ما ظلت
الصلة به قوية بين الأمصار ، وما نهته من
حدة التفرق والتصدع ، فقد كان من مظاهر
الحركة العلمية والأدبية في هذا العصر أن
يهاجر العلماء والأدباء من قطر إلى قطر
لا يصرفهم من ذلك هناء ولا تعب ، وصار
تقليدا مرهيا بينهم أن يهجر العالم إلى بلد
أخيه يأخذ منه وينقل عنه .

وبلغ الغاية في ذلك المحدثون ، فقد كان
أحدهم يقطع الأرض جادا في طلب الحديث
والثبوت منه ، وما تطير شهرة عالم في بلد حتى
يصبح كعبة يؤمها الفقهاء ، والمثل في ذلك
بالإمام البخاري الذي جاب ما بين مدن
خراسان والجهل والعراق والحجاز والشام
ومصر ، يأخذ ويناقش ويصوب ويتحرى
وهو في هذا المنهج المشكور أسوة وقدوة .

فإذا ما فتحت بلد فشد ما يهجر إليها العلماء
والأدباء والفقهاء يفتشون بين رجوعم العلم
والأدب والفقه ، فتراها بين ومضات يفتة
خسبة تنبت وتزهر ، وآية ذلك صقلية التي
صارت مركزا من مراكز الإشعاع الفكري
حيث طار إليها العلماء والأدباء على أثر الفتح
الإسلامي لها ، فإذا هي متقبلة هذه النهضة
في حرص وانتفاع .

كثيرا في غيره . كاستعمال أهل البصرة بعض
كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادحكياتهم .

ويقول بعض مؤلفي الأدب المعاصرين
في الحديث عن الخواصر التي صارت بعد
الانقسام مزاجية لبغداد ، « وكان أن توزع
الشعراء على الأقاليم أكثر مما توزع الأدباء
والعلماء فصار لشعراء كل إقليم من المزايا
والخواص ما لم يكن لسائر الشعراء » (١) .

ولنا أن نقسام بعد أن أشرقت معالم
الإقليمية إلى أي مدى كانت ؟ أكان بها تمام
التغاير في الأدب ، ونهاية التخالف والتضاد .
أم أنها كانت هيئة الشأن ، تبدو في خفر
واستحياء وترى ويرى معها السمات العربي
والأسلوب العربي في كل حال ؟

الحق أن الأدباء لم يمتثلوا من إهابهم العربي
مهما انبثوا في هذه الأقاليم ، ومهما أتيحت لهم
فرص الهجرة والانتقال . ومهما كابدوا من
من الحكم الدخيل فارسيا كان أو تركيا .

صحيح أن الأحداث التي شتت شمل العربي
أضعفت شأن الجزيرة العربية وانتهت بها إلى
شبه عزلة أخرتها ماديا وعلميا حتى قال
المنذسي ، حين وصف لغة أهل الجزيرة
العربية : « وأهل هذا الإقليم لغتهم العربية

(١) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي
الثاني للأستاذ السباعي بيومى ص ٤٢٤ .

حينما في مصر وحينما في الشام ، وطورا في العراق وطورا في فارس ، حتى صار من المسير نسبة أحدهم إلى بلد دون صاحبه ، ولهذا الوحدة أو شبهها اتجه أكثر مؤلفي التراجم إلى جمع علماء العالم الإسلامي باعتبارهم نتاج مملكة واحدة ، هي كقطر واحد .

« نعم توجد شخصية لنتاج كل إقليم كالآداب المصري والشامى والعراق وفارس وهكذا . ولكنها شخصية غامضة خفية لا ترى إلا بالمنظار الدقيق والبحث الطويل ،

وأكثر ما يظهر هذا في منابع الظاهرة العلمية والأدبية حين تظهر ، فظهورها في إقليم خاضع ولا بد لمؤثرات اجتماعية في هذا الإقليم كظهور المقامات في فارس والموشحات بالأندلس والأسلوب المسجوع المحلى بالبديع في الرى وما حولها والرسائل الشاملة لفروع الفلسفة - كرسائل إخوان الصفا - في البصرة .

كل هذا له علل اجتماعية وتاريخية وإقليمية مرتبطة بهذه الظواهر ارتباط السبب بالنتيجة ولكن لا تلبث بعد ظهورها أن تغلق في سائر الأمصار ولولم تكن العلة الأصلية موجودة وتقوم هالة التقليد مقام الابتكار ، وتختفى الشخصية الأولى وراء المظهر العام للوحدة المشتركة » ٩

محمد طاهر الفقى

كذلك كان لإنشاء الطرق وتعميدها وإقامة الرباطات والأديار في الدولة العباسية بين بلد وآخر لقسميل التجارة وتنظيم البريد أعظم الأثر في تقريب أطراف المملكة الإسلامية وتذليل العقبات للمرتحلين المهاجرين مما مزج بين البلاد المتناحية ، وعبد طريق الهجرة بين العلماء والأدباء ، حتى لمكان المملكة الإسلامية وحدة متلاصقة على تعدد الملوك والحكام واختلاف أجناسهم ، فإن كلا من العلماء والأدباء والفنانين لا يزالون بالحدود التي ترسمها السياسة ، ويرى أكثر هؤلاء أن اللغة والدين أقوى وأشد بأسا .

لذلك ضعفت الشخصية الإقليمية وهانت الفوارق بين مصر ومصر ، فلم نجد إقليلا تميزا ظاهر لعلم مصر وأدبها على علم العراق وأدبه . أو علم خراسان وأدبه ، وما وراء النهر والسند وأدبهما .

نجدها كلها متقاربة لاتفاقهم جميعا في الدين واللغة والجنس ، ولأن رحمة العلماء وشدة الاتصال قربت بين الفروق ، وما يظهر امتياز في ناحية ما إلا استمدته الناحية الأخرى وجسودته واستغلته ، والشعراء القائمون على أبواب الملوك والأمراء ينتقلون من بلاط إلى بلاط فيوحدون مذاهب الشعر .

كذلك نرى العلماء أمضوا جانبنا من حياتهم في قطر ، وجانبنا منها في قطر آخر ، فهم

الشيخ محمد عياد طنطاوى

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

في تاريخ الاستشراق ، والذي وضع أصولا ثابتة للدراسات الاستشراقية في الغرب وقد شغل أذهان المستشرقين وكتاباتهم أمدا طويلا . ويعد أستاذ السكثريين منهم .

٢ — كتبت دور الاستشراق عن الطنطاوى كتابات طويلة ، ونوهت بدوره الفعال في خدمة اللغة العربية ، ووصفت أعماله العجيبة وصفارنا ، وسجلت دوائر المعارف العالمية الكثير من المعلومات عنه .

وعكف كراتشكوفسكى شيخ المستشرقين الروس عشر سنوات لكتابة دراسة عنه ، وأخيرا ألف بالروسية كتابه الرائع « حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى » (١) ، الذي عهد المجلس الأعلى للفنون والآداب في الجمهورية العربية المتحدة إلى السيدة كلثوم هودة .

(١) لكراتشكوفسكى دراسة عن الوأواء المشرقى ، وعدة دراسات أخرى وهو الذى نشر كتاب البديع لابن لامتز وكان كتابه من الطنطاوى أحب كتبه إلى نفسه ونوف كراتشكوفسكى بعد الحرب العالمية الثانية بعد أن أنقذ خطوطات مكتبة لينتجراد من الدمار الذى لحق بالمدينة في الحرب العالمية الثانية

١ — لا يكاد أحد من العرب من كان له علاقة بروسيا في القرن التاسع عشر يكون شخصية طريفة كشخصية أستاذ جامعة بطرسبرج الشيخ الطنطاوى ، فالدور الذى لعبه الشيخ في تاريخ الاستعراب الأوروبى ليس ييسر (١) . كان الطنطاوى رجل الآداب العربية الحديثة العامل في حفل الاستعراب الروسى (٢) وبرز الطنطاوى في تاريخ هذا الاستعراب والآداب الجديدة في صورة فريدة لا نظير لها حتى الآن (٣) . فشخصية هذا « المستشار » تبرز برونزا فريدا في تاريخ كرسى اللغة العربية وآدابها في مدى قرن ونيف في جامعة بطرسبرج (٤) .

هكذا يقول المستشرق الروسى كراتشكو فسكى عن الطنطاوى الذى كان شخصية فذة

- (١) ص ١١٤ حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى لكراتشكوفسكى .
(٢) ص ١٧ المرجع نفسه .
(٣) ص ١٠٨ المرجع نفسه .
(٤) ص ٩ المرجع نفسه .

تقوم بعثات دار الكتب المصرية في الخارج بتصويرها كلها أو بعضها مما له أهمية خاصة . وكان كراتشكوفسكى يكتب عن الطنطاوى مأخوذاً بروعة أعماله ، وجهاده العلمى ، ويسجل كل رأى فيه ، ويزن أعماله بميزان نقدى سليم منصف ، ويقول : لقد بدت لى لجأة شخصية شيخنا واضحة متغيرة (١) .

وكان عمل المترجمة وعمل المراجعين موازياً لعمل المؤلف نفسه ؛ دقة تامة ، وأمانة علمية بارزة ، وتحرر لجميع الحقائق ، ووقوف صوفى ، كأنه الاستغراق ، أمام جميع النصوص . مما جعلنى مذهولاً حقاً أمام هذا العمل العلمى الفريد ، الذى يجب أن ينال تقدير الدولة ، وتقدير جامعاتها ، وبخاصة الأزهر ، وكى أود أن تكون أعمال الطنطاوى فى ميدان الاستشراق الحديث مادة للدراسة فى جميع معاهدنا وجامعاتنا ، وأن يطلق أستاذنا أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر اسم الطنطاوى على أحد مدرجات الجامعة ، تخليداً لذكرى رجل نشأ بين صفوفه طالبا ، وعمل فى حلقائه العلمية مدرسا ، وقدره العالم كله عالماً ومفكراً ومصدراً للحركة الاستشراقية فى العالم كله ، وأكسب وطنه مصر مجداً علمياً باقياً هلى مر الزمان .

وهى عربية فلسطينية مقيمة فى روسيا ، بترجمته إلى العربية ، وعهد إلى الأستاذين : عبد الحميد حسن ومحمد عبد الغنى حسن بمراجعة النص العربى وتحقيقه والتعليق عليه ، ثم قام بنشره عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ لجاء سفراً نفيساً فى نحو ١٨٠ صفحة ؛ ولكنه يمثل جهادا علمياً جليلاً فى الكشف عن حياة الطنطاوى ومواهبه وآثاره وثقافته ، وفى تفصيل خدماته للاستشراق والمستشرقين فى القرن التاسع عشر .

لقد تناولت الكتاب لقراءته ، فإذا فى أمام بطولة علمية حقة ، قام بها كراتشكوفسكى ، من أجل تسجيل حياة مواطن عربى ، مصرى ، أزهري ؛ اعترافاً بفضلته على الثقافة الاستشراقية فى العصر الحديث ...

وكنى أقرأ الكتاب وكأننى أمام أحداث مصورة ؛ كل الألوان والظلال والسمات ، وكل خطوة خطاها هذا العالم الأزهري الخالد ، منذ ميلاده حتى وفاته ، وكل حدث علمى أو فكرى أسهم فيه ؛ قد أبرزه كراتشكوفسكى بصورة زاهية أمينة ، معتمداً على كثير من المصادر والخطوطات ومجلات المستشرقين ومؤلفاتهم ؛ وعلى مجموعة الشيخ محمد عباد الطنطاوى الخطية ، التى تبلغ نحو ١٥٠ مخطوطاً عربياً ، مودعة فى مكتبة جامعة بطرسبرج ، والتى نرجو أن

الطنطاوى الدراسة في الأزهر ، تحت ضغط الظروف القاسية ، وعاد إلى طنطا ، ومنحه أستاذه مصطفى القناوى شيخ المسجد الاحمدى أجازة في التدريس عام ١٨٢٨ م ، ثم عاد ودرس في الأزهر عام ١٨٣٠ م ، وكان أول من قرأ المعلقات والمقامات في حلقاته العلوية وهو في العشرين من عمره ، وظل في الأزهر عشر سنين ، وله تعليقات على مقامات الحريري وشرح الزوزنى على المعلقات .

ومن تلاميذ الطنطاوى في الأزهر : يوسف الأسير السورى (١٨٨٩) ، وإبراهيم مرزوق (١٨٦٦ م) ، وعبد الهادى نجما الأيادى .

واشتغل مع عمله في الأزهر بالتدريس في المدرسة الانجليزية بالقاهرة (مدرسة الإرسالية البروتستانتية) عام ١٨٣٥ م . وفيها اتصل بكثير من الأوربيين الوافدين إلى مصر ، ومن بينهم جماعة من المستشرقين مثل فريزل لفرنسوى (١٨٥٥) الذى ترجم لاهية العرب للشنفرى إلى الفرنسية بمساعدة أستاذه الطنطاوى ، والذى علم أستاذه اللغة الفرنسية ؛ وكذلك بيرون وقيل وبرونر ، وأصبح الشيخ أثيراً عندهم ، واعتمدوا عليه اعتماداً كلياً في بحوثهم وتعلموا عليه تلمذة فعلية ،

٣ - كان الطنطاوى أعظم من ضحوا من العرب في خدمة الثقافة الإنسانية ، وخدمة البحث العلمى الحر . ولقد ولد في قرية نجريد المصرية عام ١٢٢٥ هـ : ١٨١٠ م ؛ وكان أبوه تاجراً كثيراً التجول ، من محلة مرحوم بقرب طنطا ، وأمه من بلدة الصافية (١) .

وذهب إلى طنطا في سن السادسة لحفظ القرآن الكريم ، وبدأ في تلقى دروس العلم في سن العاشرة في حلقات الجامع الاحمدى . ثم رحل مع أبيه إلى القاهرة عام ١٢٣٨ هـ : ١٨٢٣ م ، ودخل الأزهر ، وفيه تلمذ على : محمد الكوى ، ومحمد أبى النجا ، ومصطفى القناوى ، وإبراهيم الباجورى شيخ الأزهر (ت ١٨٦١ م) ، وحسن المطار (ت ١٨٣٥ م) ، وإبراهيم السقا (ت ١٨٨٠ م) .

وكان من زملائه في الدراسة : الشاعر الشيخ شهاب الدين (١٨٥٧ م) ، ورفاعة الطمطاوى (١٨٧٣ م) ، ومحمد قطة العدوى (١٨٦٤ م) ، ومحمد الاشئفى ، وإبراهيم الدسوقى (١٨٨٣ م) ، الذى تلمذ عليه كثير من المستشرقين .

وفى عام ١٨٢٧ م توفى أبوه ، فترك

(١) قرية تقع الآن في مركز دسوق من أعمال محافظة كفر الشيخ .

بهذه المهمة ، فأصل بالشيخ وحبب إليه السفر إلى روسيا لهذه الغاية ، فتردد الشيخ ، إلا أن أصدقاءه رغبوه في القبول ، وأضيف إلى ذلك إلحاح القنصل وسخاء العرض ، فوافق على السفر ليأخذ مكانه بين أساتذة اللغات الشرقية في بطرسبرج .

وقول الشيخ هناك بالحفاوة ، وجعل له مرتب سنّي ، واشتغل منذ ٢ يوليو ١٨٤٠ بالتدريس في معهد اللغات الشرقية . وبالعمل في ديوان الخارجية في بطرسبرج .

كتب سافيليف - الذي صار فيما بعد من أشهر علماء الآثار ، وأحد مؤسسي جمعية الآثار - يرحب بالطنطاوى : وبعت بمقال له - مذيل بتوقيعه ، بتاريخ ١٧ أغسطس ١٨٤٠ إلى جريدة (فدوميتى بطرسبرج) ، ونشرت الجريدة المقال في عدد ١٨٩ بتاريخ ٢٢ / ٨ / ١٨٤٠ ، وجاء فيه :

(أنت تسألنى : من هذا الرجل الجميل ، فى لباس شرقى ، وعمامة بيضاء ، وله لحية سوداء كجناح الغراب ، وهينان تشعان بإشعاع غريب ، وعلى وجهه سمة الفلك ، وقد لفحت الشمس بشرته ، وليست بالطبع شمس بلادنا الشمالية الباردة ؛ هو ضيف جديد من حنفة النيل ، الشيخ الفاضل محمد هياذ الطنطاوى . إن اسمه معروف لدى كل

وكتب فريزل يقول : إنه مدين للطنطاوى الشيخ المصرى الوحيد ، الذى يدرس لغته بحمّة وإهتمام ، ويدرس كتب الآداب العربية القديمة .

ومن تلاميذه : موخين ، وقرين الروسيان وبسبهما سافر الطنطاوى إلى روسيا عام ١٨٤٠ .

غادر الطنطاوى القاهرة فى ٢٤ من المحرم ١٢٥٦ هـ : فبراير ١٨٤٠ م إلى الإسكندرية حيث نزل فى ضيافة قنصل روسيا فيها ، ومديم ، وفى ٢٦ مارس ركب باخرة نمساوية إلى استامبول ، ومنها إلى أوديسا ؛ وفى يوم ٢٩ يونيو ١٨٤٠ وصل إلى بطرسبرج .

كانت روسيا آنذاك تهتم باللغات الشرقية ، وأنشأت فى بلادها دراسات لها . وفى نحو عام ١٨٣٦ أنشأت معهدا للغات الشرقية وألحقته بجامعة بطرسبرج (بتروغراد ثم ليننجراد أو ليننجراد فيما بعد) ، وخصصت كرسيًا فيه - لتدريس اللغة للعربية ، بجانب اللغات الشرقية الأخرى كالفارسية والتركية ، والمغولية والصينية ، والفضل فى ذلك راجع إلى م . بوشكين وزير المصارف الروسية آنذاك ، وأرادت روسيا شغل كرسي اللغة العربية ، فكلفت قنصلها فى القاهرة ، ليقوم بالاتفاق مع من يعرف فيه القدرة على القيام

كان يشرف على العناية بالشيخ زوجته المصرية « أم حسن » ، التى ولدت له فى ١٩ مايو ١٨٥٠ ولدأ سماء ، أحمد .

وتوفيت زوجته المصرية عام ١٨٦٠ وابنه فى سن العاشرة ، ولما لم يكن الشيخ بمستطيع القيام على تربية ابنه طلب لإدخاله فى داخلية لإحدى المدارس الوسطى ، ودخل أحمد جناز لارينا فى ١٩ نوفمبر ١٨٦٠ على حساب الدولة ، ولم يلبث الشيخ غير قليل حتى أحيل على التقاعد فى ١٩ / ١ / ١٨٦١ ، ثم وافاه الأجل فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٧٨ هـ : ٢٩ أكتوبر ١٨٦١ م ، ودفن فى قرية فولسكوفا بجوار بطرسبرج بجوار مقبرة زوجه المصرية الوفية ، وكانت فى هذه القرية مقابر المسلمين . وتسمى المقابر التى دفن فى وسطها مقبرة التمر . وهين نفروتسكى خلفا له فى كرسي اللغة العربية بالجامعة ، وصرفت الدولة معاش الشيخ إلى ابنه أحمد ، واختير نفروتسكى وصياً عليه . وفى عام ١٨٧١ باع أحمد مجموعة والده الخطية إلى مكتبة الجامعة . ثم تزوج أحمد وخلف بنتا ولم يلبث كذلك إلا قليلا وتوفى عام ١٨٨١ ، ودفن بجوار أمه ، وألحقت ابنته بدار أيتام الأشراف باسم هيلانة ، وصارت مسيحية منذ ذلك التاريخ أو أريد لها ذلك ، إذ كانت

من يدرس اللغة العربية ، وكل السياح الذين اتفعلوا بمخدماته والمدينين له بنجاح أبحاثهم يذكرونه بالشكر ، ويكنون له المودة ، مديعين شهرته فى أوروبا . فن هنا نرى ما كسبته كلية اللغات الشرقية المحلية التى دعت الشيخ القاهرى ليحتل كرسي اللغة العربية الفاعل . ويمكنك الآن أن تتعلم اللغة العربية بدون أن تغادر بطرسبرج وفى الأسبوع الماضى ألقى الشيخ الطنطاوى أول محاضرة له فى قاعة الجامعة حضرها ما عدا تلاميذ المدرسة بعض المستشرقين غير المقيمين إليها . خلف الطنطاوى فى قسم اللغات الشرقية سلفه (ديمانج) الذى توفى عام ١٨٣٩ م ؛ وقضى ما يقرب من سبع سنوات مجاهدا فى تدريس اللغة العربية ثم عين بمسند ذلك عام ١٨٤٧ أستاذا لكرسي اللغة العربية فى جامعة بطرسبرج وعين المستشرق الروسى « نفروتسكى » مساعداً له . وظل أستاذا لهذا الكرسي طيلة أربعة عشر عاما (١٨٤٧ - ١٨٦١ م) ، وعلى يديه تتلذذ كثير من المستشرقين الروس والألمان والفنلنديين الذين كان من أشهرهم « فالين » . وفى سبتمبر عام ١٨٥٥ أصيب الشيخ بشلل فى رجله ، وظل يغالب المرض والمرضى يغالبه سنوات صعباً على نفسه . وأقام فى منزله رهين المرض .

بصورة لامعة ولا يزال محتفظا بقيمته العلمية إلى اليوم .

والطنطاوى كتاب عنوانه « النحو العربى » أو قواعد اللغة العربية ، وهو أول كتاب كتبه كاتب عربى باللغة العربية للتدريس فى جامعات روسيا ومعاهدها العالية ، وهو موضع اهتمام المستشرقين ، ونال شهرة كبيرة فى كل دوائر الاستشراق الأوروبى . إلى كتب أخرى ألفها الشيخ ، وأحصاها كلها كراتشكوفسكى فى كتابه القيم .

٥ — كان الطنطاوى يجيد هذا العربية الفرنسية والروسية والفارسية والتركية واللغة التركية ، ويقول كراتشكوفسكى : إنه كان إلى جانب العربية له إلمام بست لغات أخرى ، وإن هذا أفق كان بعيدا عن مواطنه فى ذلك الحين .

٦ — إن هذا الكتاب القيم لتاريخ حى من تاريخ مصر وأزهرها فى العصر الحديث فهو ينطق بعظمة الفكر المصرى فى أول عصر النهضة ، ويصور الحياة الثقافية فى مصر وحياة الأزهر العلمية فى القرن التاسع عشر تصورا صادقا أميناً وهو من أجل الكتب التى أخرجتها المطبعة العربية ، والفضل فى ذلك راجع إلى عمل المؤلف وعمل الترجمة

حفلة صغيرة آنذاك ، ولا ندرى من أخبارها بعد ذلك شيئاً .

٤ — ترك الشيخ آثاراً كثيرة تبلغ الواحد والأربعين مؤلفاً ، أحصاها كراتشكوفسكى ، وفى مقدمتها : تاريخ حياته وكتابه المخطوط « تحفة الأذكياء بأخبار بلاد روسيا » ، وورد اسمه فى مرجع آخر غهر كتاب كراتشكوفسكى هكذا « هدية النجباء فى تحقيق لإقليم روسيا » ، وقد ألفه الطنطاوى عام ١٨٥٠ م / ١٢٦٦ هـ ، وأهداه إلى السلطان عبد الحميد ، وكانت كتابته فيه دقيقة ، وملاحظاته فاحصة ، وإحساسه وروحه عاليين ولم يكن الكتاب سرداً تاريخياً أو جغرافياً ، بل كان وصفاً دقيقاً حياً ييشيا لرحلته من القاهرة إلى بطرسبرج وزياراته لأقاليم روسيا ، وانفعالاته مع الإقليم والشعب فيها خلال إقامته طيلة العشر السنوات التى قضاها هناك منذ هجرته عام ١٨٤٠ حتى تاريخ تأليف الكتاب (١٨٥٠) ووصف رحلاته فى روسيا وفى دول البلطيق وفنلندا من حولها ، ويتضمن الكتاب كذلك دراسة مفصلة لتاريخ روسيا الحديث وصوراً سريعة لطبوغرافية بطرسبرج فى ذلك الحين ، وهذا العمل مكتوب

(١) ص ١١٥ بين المخطوطات العربية لكراتشكوفسكى طبع ليدن ١٩٥٣ .

وعمل المراجعين الفاضلين الذى ينم عن جهد كبير بذلاه فيه .

والكتاب مقسم إلى :

١ — توطئة أو مقدمة تحدث فيها المؤلف عن مصادر حياة الطنطاوى وعن ظروف قيامه بهذه الدراسة .

٢ — ثم ثلاثة فصول : الأول عن « الطنطاوى فى مصر وسفره إلى روسيا » ، والثانى عن « الطنطاوى فى روسيا » ، والثالث عن « مصنفات الطنطاوى » .

٣ — ويلى ذلك ملحقات بعضها بقلم الطنطاوى نفسه ، وبعضها لنصوص أخرى للدولف وغيره .

٤ — ثم رسائل من الطنطاوى إلى غوتولد المستشرق (١٨٩٧م) والأستاذ فى جامعة تازان .

٥ — ويلى ذلك كله تعليقات وتحقيقات بقلم المراجعين كتبها شرحا أو تعليقا على بعض نقاط وردت فى الكتاب .

وفى صدر الكتاب صورة للطنطاوى وسما له مرتينوف عام ١٨٥٣ ، وصورة أخرى لقبره أخذها له بعض المستشرقين عام ١٩٢٣ ؛ وتقديم بقلم المراجعين الفاضلين .

٧ — وكنه أحب للمراجعين أن يذيلوا الكتاب بكلمة عن كراتشكوفسكى وجهوده

فى ميدان الاستشراق ، وبفهارس للوضوعات والأعلام .

ومع ما بذلاه من عناية وجهد فقد وقعت بعض أخطاء مطبعية فى الكتاب ، ومنها :

١ — لفظه جمادى الأولى التى وردت فى التعليق رقم ٣ فى الصفحة التاسعة ، وصحتها جمادى الآخرة .

٢ — تاريخ عام ١٨٥٧ وهو تاريخ وفاة الشاعر الشيخ شهاب الدين ، ورد فى الكتاب فى صفحة ٢٣ هكذا : ١٨٧٥ .

٣ — تاريخ عام ١٨٦٠ ورد فى صفحة ٧٧ هكذا : ١٦٨٠ .

٤ — لفظه يمينه فى صفحة ١٥٤ وصحتها يمينه ولا شك أن الكتاب جملة صورة مشرفة لجهد المراجعين الجليلين .

٨ — وبعد فقد مضى على وفاة الطنطاوى أكثر من مائة عام ، ومع ذلك لجوده فى خدمة الاستشراق حديث الجامعات فى الغرب ، فتى تذكر الجامعات العربية هذا الرجل الفذ ، ومتى ترد له بعض ديونه وتتعرف بقيقة ما أداه للفكر العالمى والعربى من خدمات جليلة باقية على مر الأيام ؟ .

محمد عبد المنعم قفاوى

التأجيت العالميت

هن إعجاز القرآن

للأستاذ أحمد محمد الغصاوي

— ٣ —

علمية لم تتم إلا بتعاون العلماء في الحقبة المتطاولة من الزمان .

والقرآن الكريم في كل من ميداني الخاص والعام أسلوبه الحكيم للدلالة على ما يريد أن يدل عليه من أسرار الفطرة ليسكون كل سر منها ، إذا أذن الله بالكشف عنه ، هاديا إلى الله فاطر الفطرة ومزيل القرآن ، ولما كان القرآن إنما أنزل لهداية الناس إلى من أنزله سبحانه ، فقد اقتضت الحكمة الإلهية في آياته الكونية أن ينزل بأسلوب لا يصدم المسلم البديهي عند الناس فيكذبوه ، ولا يناق الحقيقة الكونية فيسكون ذلك داعيا إلى تكذيبه إذ يسر الله سبيل الكشف عن تلك الحقيقة فأنكشفت لأولى العلم في مستقبل المصور ، وهذا من أعجب عجائب القرآن التي لا تنتهي ، ومن أدل الدلائل على أن القرآن حقا من عند الله ، فإن التعبير عن الحقيقة الكونية بأسلوب يطابقها تماما أو يدل عليها أولى العلم ثم لا يصدم الناس فيما يعتقدون ولو كان ما يعتقدونه مخالفاً تلك الحقيقة

بقي الجانب الثالث من جوانب الإعجاز العلمي في القرآن . وهو أعجب الجوانب الثلاثة إلى الناس ، وأقربها أن يقنع كل ذي عقل : أن القرآن هو حقا من عند الله فاطر الكون . ذلك الجانب هو جانب التطابق بين يقينيات العلم الحديث في ميادينها المختلفة وما يتصل بها من الآيات القرآنية .

والآيات القرآنية الكونية أقسام : منها الخاص ومنها العام ، والخاص أعجب الاثنين إلى الناس ، لكن العام إلى العلماء أعجب ، الخاص : قضايا محددة تعبر في الظاهر عن حقيقة واحدة تقنع العوام والخواص على سواء ، أما العام : فهو وإن كان أيضا قضايا محددة إلا أنها قضايا كلية لا يقدرها قدرها إلا من يعلم أن أقصى ما يطمح إليه العلم في موضوعها هو الوصول إلى مثلها بعد استقراء طويل عريض لجزئيات كان كل منها يوما ما مجهولا حتى كشف عنه البحث العلمي الدقيق ، فالقضية الكلية الثابتة عليها هي في العلم قانون تندرج تحته قضايا خاصة كثيرة تمثل كشوفا

الشمس وقدر مجراها هو الإله الحق الذى لا تجب عبادة إلا له ، فضلال أى ضلال أن يعبد الإنسان سواه ! .

فانظر إلى القضية الأولى ، قضية أن الشمس تجرى . كيف انطبقت على البديهي المشاهد من حركة الشمس فى السماء من المشرق إلى المغرب فى كل مكان يعيش فيه الإنسان ، فى نصف الكرة الأرضية الشمالى وفى نصفها الجنوبى ، من قطب إلى قطب . لكن هذه الحركة إنما هى فى الظاهر . وقد فسرتها الفلسفة اليونانية أو العلم القديم بما فسرت أو فسر ، مما خطأه علم الفلك الحديث إذ أثبت أن حركة الشمس فى الظاهر حول الأرض - كما هو معروف - هى حركة نسبية راجعة فى الحقيقة إلى حركة الأرض حول محورها أمام الشمس من المغرب إلى المشرق مرة فى اليوم ينشأ عنها النهار والليل ، كما أثبت للأرض حركة سنوية حول الشمس تنشأ عنها الفصول .

فهل فقدت الآية السكرية شيئاً من دلالتها بهذا الذى أثبتته العلم ؟ إن الذى جد بما أثبتته العلم هو انتقال الحركة من الشمس إلى الأرض فصار للأرض حركتان تفسران الليل والنهار واختلاف الفصول ، بدلا من حركة الشمس وحدها . والدلالة هى فى حركة الجرم العظيم حركة دائبة مقدرة تقديرا تنشأ عنه ظواهر

- هذا الأسلوب القرآنى فى التعبير عن الحقائق السكونية وفى دلالة أولى العلم عليها أمر يصح عنها البشر ولا يقدر عليه إلا الله الذى أنزل القرآن بالحق هدى للناس .

ولعل أوضح مثل لهذه الظاهرة القرآنية المعجبية قوله تعالى : « والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم » الآية (٣٧) من سورة يس . وهى مسبوقه بقوله تعالى : « وآية لهم الليل ، نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون » ، فكلمة « الشمس » فى الآية السكرية إما أن تكون معطوفة على « الليل » فى الآية قبلها ويذكر المعنى « وآية لهم الشمس » ، تجرى لمستقر لها ، وتكون جملة (تجرى لمستقر لها) كجملة (نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) فى الآية قبلها تنبأنا لوجه آية الله فى الليل وفى الشمس ؛ وإما أن تكون كلمة (الشمس) مبتدأ فى جملة مستأنفة خبره (تجرى لمستقر لها) ؛ وفى هذه الحالة يكون كوحا آية لله من حيث إنها تجرى مفهوما من السياق ويدل عليه فى الآية القرآنية نفسها قوله تعالى (ذلك تقدير العزيز العليم) . وعلى أى الوجهين أعربنا الآية السكرية فالقضية السكونية فيها هو أن الشمس تجرى ، وقضية أخرى أنها تجرى لمستقر لها . وقد سيمقت القضيتان ليسكون فى كل منهما أو فى مجموعهما هاد إلى الله ودليل على أن الذى أجرى

العلم ، وليس له في تفهمها لإلطريقان : طريق الحقيقة وطريق الجاز . والعدول عن الحقيقة إلى الجاز لا بدله في الكلام من قرينة تبرره وتدل على أن المعنى المجازى هو المراد . وليس في الآية الكريمة ولا فيما قبلها أو بعدها في موضعها من سورة يس ما يدل على أن كلمة (تجرى) في قوله تعالى (والشمس تجري) مستعملة في غير ما وضعت له أو أن من الممكن صرفها إلى حركة سريعة للأرض بدلا من حركة سريعة للشمس ، من باب إطلاق المسبب على السبب . فلم يبق إلا أن تكون كلمة (تجرى) في الآية الكريمة على حقيقة مرسدة إلى الشمس حقيقة لاجازاً .

وهنا ندين عجيبة من عجائب الإعجاز العلمي في القرآن ، فقد جاء علم الفلك الحديث ، بعد نحو ثلاثة عشر قرناً من نزول القرآن ، فأثبت للشمس حركة غير هذه الحركة الظاهرة من المشرق إلى المغرب .

وأثبت أن هذه الحركة ذاتية للشمس ، وقدر سرعتها بركبتها : أى من حيث المقدار والاتجاه ، فأما المقدار فهو اثنا عشر ميلاً في الثانية ، وأما الاتجاه فهو نحو النجم المسمى « فيجا » في الإنجليزية ، والنسر الواقع في العربية .

أى أن علم الفلك الحديث أثبت أن الشمس ، على عظم كتلتها الهائلة ، تجرى

كونية متكررة في اليرم وفي العام تنطفي بذاتها وبعضها وبانتظام تكررهما وتكرر آثارهما باللغة يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام ، ألا بد لها من موجد قدير حكيم قدر ودبر ولا يزال يرعاها بتدبيره وحكمته ، وهو الآله الحق سبحانه . ولا ينقص من هذه الدلالة شيئاً أن يصبح الجرم العظيم الذى له تلك الحركة العجيبة هو الأرض في حكم العلم الحديث بعد أن كان هو الشمس في رأى العين ورأى الفلاسفة اليونانية أو العلم القديم .

لكن هناك سؤال آخر لا يقل أهمية عن السؤال السابق لأنه يتعلق بالصدق كما تعلق ذلك بالدلالة . فهل فقدت الآية الكريمة شيئاً من صدقها وإن لم تفقد شيئاً من دلالتها بذلك الذى أثبتته العلم من التفسير الصحيح لظاهرة حركة الشمس من المشرق إلى المغرب ؟ إن الله سبحانه يقول عن كتابه (وإنه لحكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فستحيل أن يكون في القرآن شيء من الباطل قط لا في كونيته ولا في قصصه ولا فيما عدا ذلك مما تعرض له القرآن بعبارة أو بإشارة . بهذا نقضى هذه الآية الكريمة . والمؤمن بها الذى يحاذر أن يتفوق ما ليس له به علم ليس أمامه في الإجابة على السؤال إلا الجزم بأن آية سورة يس لا يمكن أن تفقد من صدقها شيئاً بما كشف أو يكشف عنه

من رقى في الصناعة والعلم ولا يكون في الشمس وجريها في الفضاء على ذلك الوجه العظيم الهائل دليل على وجود الله العزيز العليم سبحانه ، الذي خلق الشمس وأجراها وقدر لها مجراها في الفضاء ؟ .

ثم كيف لا يكون في إخبار القرآن بجري الشمس هذا قبل أن يؤتى الإنسان من العلم والمقدرة ما يكشفه به ، بحيث تمر القرون بعد نزول القرآن والبشرية كلها في غفلة عن جريها وجعل به - كيف لا يكون في هذا كله دليل قاطع وبرهان ساطع على أن القرآن إنما أنزله رب الشمس سبحانه ، الذي فطرها وأجراها وقدر لها ذلك المجرى ؟ . إن في ذلك لآية لقوم يعقلون .

فانظر الآن كيف أثبت العلم الحديث صدق ما ينتجه الإيمان بالقرآن من قوله تعالى (والشمس تجري) إذا اتبعت الدقة في تطبيق القاعدة البلاغية القاضية بالايعدل — في تفهم الآيات القرآنية السكونية — عن الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية في نفس الكلام صحيح إن الاستنتاج قد وقع ونحن نعلم أن العلم قد أثبت صدق الآية حرفياً ، لكن هذا لا ينقص شيئاً من العبرة التي ينبغي استخلاصها ألا وهي وجوب الاستمساك بما ينتجة التطبيق الدقيق لقواعد اللغة في تفهم آي الذكر الحكيم في ضوء المعروف من الحق

في الفضاء بسرعة اثني عشر ميلاً في الثانية في اتجاه النسر الواقع .

والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم .

فأنت ترى الآن أن في قوله سبحانه : «والشمس تجري ، معجزة علمية عظيمة لم تكن تخاطر لأحد على بال حتى كشف عنها علم الفلك الحديث ، والعلم الحديث لم يكشف عنها إلا في القرن التاسع عشر بعد أن تهيأ له من آلات الرصد ، وأدوات التحليل الضوئي ومن المقدرة على تفسير النتائج التي توصل إليها عن طريقها ، ما أدى به إلى الكشف عن ذلك السر العظيم : كتلة من النار قدر كتلة الأرض ٣٣٣ ألف مرة تقريباً تجري في ملكوت الله بسرعة تزيد على ضعف سرعة ما يسمونه بالقمر الصناعي في دورته حول الأرض ١ .

لقد افتتن الناس ، أو كادوا ، بهذه الأقار أو القميرات الصناعية التي ليس للإنسان فيها إلا صنعها وإحكام إطلاقها مستعملاً في ذلك ما وهبه الله من علم ومقدرة ، أما دورانها حول الأرض فليس له فيه من فضل إذ هي إنما تدور طوعاً لدن الله في الحركة من ناحية وفي الجاذبية بينها وبين الأرض من ناحية أخرى ، فكيف يمكن أن يكون في هذه القميرات دليل على وجود الإنسان وما بلغ

والآية الكريمة تقرر أن لها حركة ذاتية سريعة ؛ فإن الجرى لا يمكن إلا أن يكون ذاتيا ، وقد وجد التفسير الفلسفى أو الفلكى القديم طريقه إلى كتب التفسير ليس فقط فيما يتعلق بالشمس ولكن أيضا فيما يتعلق بالقمر وقد اعتبرهما فلاسفة اليونان خطأ من السيارات التى فسروا حركاتها عبر السماء بما فسروا به حركة الشمس ، فافترضوها مركزية فى أفلاك كرية شفافه بجوفة بعضها داخل بعض ومركزها جميعا الأرض فهى تدور كلها بحركات مختلفة من المشرق إلى المغرب حول الأرض التى جعلوها ساكنة لا حركة لها ، وتبعهم فى ذلك فلاسفة المسلمين والمفسرون .

وقد يكون من تسكين ما ليس فى الوسع أن ينتظر منهم استنباط جرى للشمس غير هذا الذى يرونه بأعينهم كل يوم ، لكن كان من المنتظر على الأقل أن يخطئوا الفلسفة اليونانية فى قولها : إن الشمس والقمر وبقية السيارات تجرى بالواسطة لا بالذات ، استناداً منهم إلى قوله تعالى : « والشمس تجري » ، وقوله : « وكل فى فلك يسبحون » ، إذ لا قرينة فى الآى على أن الجرى والسبح معدول بهما عن الحقيقة إلى المجاز ؟

أحمد محمد الفهرادى

والمعروف من الحق فى هذه الحالة هو أن الحركة الظاهرة للشمس من المشرق إلى المغرب راجعه فى حقيقتها إلى دوران الأرض حول محورها أمام الشمس من المغرب إلى المشرق .

ثم تأمل بالغ حكمة الله سبحانه فى أن جعل جرى الشمس حقيقة فى الفضاء يتفق خبره إذا ذكر فى القرآن مع ما علم سبحانه أن سبب دوى به الشمس لعباده نقيجة لما قدره للأرض من حركة يومية حول محورها وحركة سنوية حول الشمس ، ليكون التطابق بين الخبر والجرى الظاهرى فيه عبرة وهدى للناس أثناء الحقبة المتطاولة التى علم سبحانه أن سوف يمر قبل أن يستطيع أولو العلم الكشف عن جرى الشمس الحقيقى ، حتى إذا كشفوه وسعوا بذلك صدق الخبر السكونى القرآن فى حرفيا ، كان ذلك معجزة عليية كبرى فى القرآن تقنع كل ذى عقل لم يقلبه الهوى والعناد أن القرآن حقا من عند الله .

والمعجزة العلية الكبرى المتمثلة فى قوله تعالى (والشمس تجري) ينطوى تحتها فى الواقع معجزة أخرى ، إذ قد خطأت علم الفلك القديم حين قال فى تفسير الشروق والغروب : إن الشمس معقدة أو مركزية فى فلك مady كرى هو الذى يدور بالشمس حول الأرض ، لجعل حركة الشمس غير ذاتية

رحلات الخليل عليه السلام إلى الحجّاز للأستاذ علي الخطيب

وساء ما أن تملوا عليها بالإيجاب أمة ، ولعلها ضابقت هاجر ، فإن الأخيرة حين أمر الخليل بإبداها مهجراً بمكة كانت تمثي مرتعدة وقد اتخذت (منطقاً) لتعفي أثرها على « سارة » زوج الخليل كما يحدث ابن عباس ورضي الله عنهما وكانت تلك أولى رحلات الخليل إلى الأرض الحرام .

يروى ابن عباس في صحيح البخاري أن إبراهيم الخليل : « وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم ... وليس بمكة يومئذ أحد ، ولكنها - وإن كانت قفراً - كانت الأرض الحرم الآمن فقد حرمها الله وجعلها أمناً من « يوم خلق الله السموات والأرض فمضى حرام إلى يوم القيامة » ، كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ، وضعهما إبراهيم إذن بخير بقعة في الأرض ، صادعا في ذلك لأمر ربه ، ولعله لم يستطع الغلبة على حنينه وحبّه فأورلاه ظهراً طارياً قلبه على شوق جارف ورحمة للألم والويلدليس للجلد عليهما إلا رحمة من الله .

وأما الأم البارة فقد عصمها الإيمان أن تسيء الظن بال خليل ، وهي تناديه مراراً دون أن يلتفت إليها : « أين تذهب وتركنا

بين العراق وفلسطين ومصر والحجاز سرت خطا خليل الرحمن : إبراهيم عليه السلام ؛ ينطلق إلى إحداها مدفوعاً بوحى ربه ، أو طلباً للاتفاق ، أو صلة لرحمه ، وتسجل « الأخبار الصحيحة » أخذاً من الكتاب والسنة مما يخص رحلات له عليه السلام إلى مكة المكرمة بالأرض الحرام من الحجاز مستوعبة تفاصيلها ، ذاكرة أسبابها . لقد ترك الخليل موطنه بالعراق حين أنكر قومه وأنكروه ، وأجمعوا أن يحرقوه فاعتزلم مهاجراً إلى ربه ... إلى فلسطين ، ثم قدم مصر بزوجه في قحط ، وحفظ الله عليه أهله فيها ، وعاد مكراً بسارة زوجه ، وقد أهدى إليها من ملكها « هاجر » ، فأهدتها بدورها لزوجها ، وهاجر في ذلك أخت لـ « مارية » هدية المقوقس لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، فملكنا المرأتين هدية ملك إلى نبي ... وملكنا هما كانت من خيار النساء ... ولعل مارية كانت تذكر محمدًا بال خليل ، فسمى ولده منها « إبراهيم » .

وحين عاد الخليل إلى فلسطين لم يكن قد أنجب بعد ، حتى إذا سكن هاجر أنجب إسماعيل عليه السلام ، فاشتدت الغيرة بسارة ،

وتحدث عنها ابن عباس في الصحيح منوطة بأحداثها . لكن لا يغيب عنا : مقام النبوة التي هي أدعى استجابة إلى صلة الأرحام ، وإبراهيم الخليل نبي كريم ، ووالد إلسان ، ورجل حنون شفق بأهله فليس عجبا أن تتكرر زوراته ، وفي الصحيح أنه عليه السلام : « كان يزور أهله بمكة على البراق سريعا ثم يعود إلى أهله » .

وتأتى الرحلة الثانية إلى الحجاز من تلك الرحلات المفصلة التي وقعت أحداثها بمكة ، ونزل بهذه القرآن وتأتى حين شب لإسماعيل ، وأدرك الحلم ، ورأى إبراهيم في منامه أنه يذبحه ، ووجد ذلك وحيا ، وأحس به أمرا فأسرع إلى تنفيذه فمكة انتفيقه الذبح (١) ذلك (البلاء المبين) الذي يبصر المؤمنين بما يقضى أن يكون عليه المرء طاعة لربه ،

(١) ينبغي أن يعلم المسلمون أنه لا دليل على أو غير على ييد اليهود يثبت أن الذبيح هو إسحاق ، وإنما ذلك قصة ابتدعوها طلبا لمخالفة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وما اعتبر « قانونا » من العهد يخلو من ذكر ذلك . وحسبنا الآية الكريمة بعد نصا قاطعا في الأمر : « فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » ، نقل ابن كثير : أن الذبيح إنما هو لإسماعيل ، وأنه يتمتع أن يكون هو إسحاق لأنه وقعت البشارة به وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده ، ووعد الله حق لا خلف فيه . فيمتنع أن يؤمر بذبخ هذا والحالة هذه فتعين أن يكون هو لإسماعيل ، أ . هـ .

بهذا الوادى الذى لا أنيس فيه ولا شيء ؟ ، ثم تدرك مقام النبوة فنسأله : « آله أمرك بهذا ؟ » ، فيجيبها : « نعم » ، فيغمرها الرضا بقضاء الله ، والأمن في ظله ؛ فتقول : « انطلق فإنه لا يضيعنا » .

وبعد تلك الهجرة بشرت سارة بإسحاق . وبشرت به في حال لم تحدث لأحد في العالمين ليس لأنها وردت على لسان الملائكة ... بل لما حوته البشارة من امتداد حياة إسحاق ، وامتداد حياتها هي حتى ترى حفيدها يعقوب « فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » ، وكان يمكن بعد تلك الحادثة أن تعود هاجر إلى فلسطين ... إلى قريب من مكان زوجها وقد ذهبت الحال الآلية التي آذت سارة عليها السلام ، واستوت المراتبان في منزلة الإنجاب ، وارتفعت سارة بمنزلة السيادة . لكن الله كان يريد أمرا آخر في البقعة الحرام إذ جعل للخليل فيها رسالة بعد رسالته لقومه الفاجرين ، كان عليه أن يبني البيت ، ويؤذن بالحج ، ويؤدى شعائره ، كان الله يريد أن ينشأ البيت وبجانبه « لبنة » آدمية زكية ، هي لبنة النبوة ، تصون البيت ، وتؤدى واجبه ، وتحيط به في نبوة بعد نبوة من ولد إبراهيم وذرية إسماعيل عليهما السلام ، ثم إن إبراهيم لم ينقطع عن زور أهله بمكة ... حقا ... إنما نجد زورات قد سلطت عليها الأضواء

ولم تكن تلك الزوجة تصلح لمشاركة نبي حياته
لقد كانت تلتوى أمام مشاهد النبوة العالية ،
وآدابها السامية ، واكتشف الخليل ذلك في
زيارته لإسماعيل بعد هذا الزواج ، وعرف أنها
كفوءة تضيق بالناس ، ولا تأف الكرم وتهوى
الشح وتنفر من الضيف ، ولا تحمد لزوجها
بعد ذلك كله جهدا ، ولا تشكر له صنيعا .

قدم إبراهيم فلم يجد إسماعيل فسألها عنه
فقات : (خرج يبتغي لنا ذهب يصيد) فلما
سألها عن حالهم كان ردّها : (نحن بشر... نحن في
ضيق وشدة ...) وما كان إبراهيم عليه السلام
لينتظر منها شيئا حتى تمضى قفص له بلاءها
ولكنها بدت امرأة لا تهتم بواجب ، وتفرط
في الأنانية ، وحب الذات ، وتفرض من قدر
إسماعيل ، فقال لها الخليل : (إذا جاء زوجك
فاقرئي عليه السلام ، وقولى له : يغير عتبة
بابه) ففعلت ، وأدرك إسماعيل فقال لها :
(ذاك أبى ، وقد أمرنى أن أفارقك فالحق
بأهلك !) .

ووفق إسماعيل في الزيجة الثانية ، وتبين
ذلك إبراهيم الخليل في زيارته التالية وقد
صادف كل الظروف الأولى عدا الزوجة
السكرتيرة ، فإسماعيل يصيد ، وفي البيت امرأة
غير أنها تستبشر له وتدعوه إلى الطعام
والشراب ، وتحمد لزوجها جهدا ، وتحمده
عن الخير الذي تعيش فيه والأمن الذي تنعم
(البقية على الصفحة التالية)

وتضحية في سبيل وضاه . إن إبراهيم الخليل
لم يشارك أحد من قبل ومن بعد موقف
إبتلاءه هذا . وحسبنا أن نعلم أن الخليل
حق لحظة الفداء ونزول السكيش ، وبعد أن
استسلم لإسماعيل للذبح وهم به الخليل كان
في روعه هاليع السلام أن الذبح سيتم لا محالة
ومن ذا الذي يمكنه من بغي البشر أن يصور
نفسية الخليل تلك اللحظة أو يعاين أن يتخيل
أمرها مهما أوتى من ضبط النفس وقوة
الجنان . وهل بعد ذلك تقصير في طاعة ؟
أو اقتصاد في إخلاص . ؟ إنما ذلك
الإخلاص كله ، والطاعة كلها ، وكان
إبراهيم بهما خليل الرحمن .

ونحن لا ندري كم عاشت هاجر ، لكننا
نأخذ من ظاهر خير صحيح أنها عاشت إلى
ما بعد زواج إسماعيل الأول . فقد جاور
هاجر وإسماعيل بطن أو أكثر من (جرم)
وكانوا خير جيرة لها وبينهم (...) شب الغلام
وتعلم العربية ، وأنفسهم ، وأعجبهم حين شب
فلما أدرك زوجه امرأة منهم ... وماتت
أم إسماعيل (...) صحيح البخاري كتاب الأنبياء
ويعنى هذا أن إسماعيل عليه السلام متعه
الله بوالدته حتى اشتهد عوده ، وأصبح بمكنته
أن يستقل بالكدح ، ويسعى لرزقه ، فمات أمه
قريرة العين ، لا تخشى عليه ضياعا ، وثق
بأفه في أمره كله

لم تكن زيجة إسماعيل هذه بصالحه لأمره

نقد ابن تيمية لمذاهب الاتحادية والقائلين بوحدة الوجود للأستاذ عبد الفتاح الديدي

- ١ -

من كل من أبي يزيد البسطامي والحلاج وأمثالهما من أصحاب الأذواق ، وأرباب الأحوال . فالنزاع بين الفقهاء والصوفية يرجع إلى زمن متقدم جدا على العصر الذي عاش فيه ابن تيمية والهجمات التي تعرض لها الصوفية إنما كانت تتوالى عليهم بصورة قوية ، حيناً ، وفاترة حيناً آخر طوال القرنين الثالث والرابع الهجريين . ولئن كان ظهور الصوفية قد بدأ في منتصف القرن الثاني الهجري ، فإن النزاع الحقيقي قد بدأ

تقسام مقدما من الأسباب التي حلت ابن تيمية على هذا النقد : إن ابن تيمية كما نعرفه ، هو رجل من أتباع المدرسة الفقهية التي أنشأها ابن حنبل في تاريخ الفكر الإسلامي لأول مرة . وقد بما حمل ابن حنبل على ذلك الفريق من المتصوفة الذي ذهب إلى حد القول بأن الغذاء في الذات الإلهية يمكن أن يتم عن طريق المجاهدة وأخذ النفس بألوان من الرياضات على نحو ما علمنا

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

بأمر ولده ، ورعايته شأنه ، والمشاركة في إصلاح أمره في حنان موصول وبر كامل . ثم أمر الخليل ببناء البيت فقدم مكة ، واتجه إلى ولده فوجد : إسماعيل يبرى نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم ... فقال : يا إسماعيل ، إن ربك عز وجل أمرني أن أبني له بيتا ، فقال : أطع ربك عز وجل . قال : إنه قد أمرني أن تعينني عليه . فقال : إذن أفعل . . . وارتفع البيت ليكون مأثرة من ملة أيدينا إبراهيم وشعبيرة وطاعة إلى يوم الدين ؟

على القطيب

بجمع البحوث الإسلامية

به ، وقد سألها إبراهيم : د ما طعامكم وما شربكم ... ؟ قالت : طعامنا اللحم ، وشربنا الماء ، قال : اللهم بارك لهم في طعامهم وشربهم ، ورحل الخليل وقد ترك لابنه وصالة ، وجاء إسماعيل وسألها : د هل أنا كم من أحد ؟ قالت : نعم أنا شيعخ حسن الهيئة ، وأنت عليه فسألني عنك فأخبرته ، فسألني : كيف عيشتنا فأخبرته : أنا بخير . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم . هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ... ، اه .

وتدل هاتان الزيارتان على مدى اهتمام الخليل

أو نقلها إلى الغير . ظل الأمر على هذا النحو حتى القرنين السادس والسابع الهجريين حينما جاء ابن تيمية ، فكان غاتمة لذلك الصراع الروحي الذي امتد طويلا بطريقة فكرية وفي بيان قوى ، وما لا شك فيه أن الصراع لا يزال جاريا على أشده حتى يومنا هذا ولكن لم يأخذ قط بعد ابن تيمية مثل تلك الصورة القوية الغضة بحق . وهذا إن كان يدل على شيء ، فإنما يدل على أنه قد كان لنقده صعب تاريخي موروث ضمن العقيدة المذهبية التي كان يتشيع لها .

وعلى الرغم من أنه كان ينظر نظرة احترام وتقدير لبعض المتصوفة : كالغزالي وابن عربي وأبي الحسن بن سالم ، وعبد الله الأنصاري وعبد القادر الجيلاني كما يقول ماسينيون في مادة تصوف بدائرة المعارف الإسلامية ولم يصفهما كما وصف غيرهما بالمروق من الدين ؛ فإنه لم يأل جهداً في الحط من أقدار بعض المتصوفة الذين غالوا في الاتجاه المخالف لانجاء المدرسة الفقهية التي صار في أثرها . ونحن نريد أن نكشف من هذا كله عن أثر دفين بنفسه للمذهب الذي شايحه ، وبتاريخه الطويل مما جعله يندفع في هذا الاتجاه اندفاعاً مؤيداً بالتعصب الديني ، ومزوداً بالسلاح الفكري اللازم .

أما السبب الثاني الذي كان يستوجب من

في مستهل القرن الثالث أي بعد أن اشتهر أمر مدرستي : السكوفة والبصرة وفي منتصف القرن الثالث بدأت تنشأ في العاصمة العباسية ثقافة جديدة لها طابع خاص بها يوافق الثقافة العباسية الإسلامية . وانحدرت إلى العاصمة الجديدة بعض أفكار ونزعات تصوفية كان من آثارها تكوين مدرسة بغداد الصوفية التي يمثلها المحاسبي . وهذه المدرسة قد برزت في الغالب من معظم الاتهامات التي نسبت إليها مع ذلك فقد عاشت إلى جوارها مدرسة الحنابلة الذين فطروا بطبيعة مذهبهم المقتصد في الأمور الفقهية والكلامية على ضرب من الزهد . وهذا هو الذي أتاح فرصة مناوشة كل من الفريقين للآخر . فحمل ابن حنبل على الصوفية وقال : إنهم أصل البلية في حوادث (جهنم) . وتوالت الأزمات بين الفريقين ، ووصل الأمر بالحنابلة أن حملوا الدولة على الوقوف من الصوفية نفس الموقف الذي اتخذته بازاء الزنادقة أيام المهدي . وأفجوا في النهاية في التدخل في أمر الحلاج والقضاء بقتله لما نسب إليه من الزندقة ولم يقف الأمر عند هذا الحد ؛ بل استمر النزاع متمثلاً في اعتقاد الفقهاء بأن الصوفية : أهل بواطن وقلوب وأصحاب أشواق ومواجيد مما لا سبيل إلى أن يسلم به كل إنسان . وهي في غالب أمرها ، مسائل خاصة : وتجارب ذاتية وشطحات روحية من الصعب تأييدها ،

الصالحين . فإذا اعتمد ابن تيمية على النص وأخذ بالإسناد التاريخي فيما يتعلق بمسألة الصفات فلا بد له — وهو الرجل المسلم الحنبلي — أن يدافع عن مبدأ واحد ، هو مبدأ « وحدة الذات الإلهية » ، ولا يفتي هذا بطبيعة الحال تعدد مظاهر قوته ، ولا يتعارض مع الكثرة ، أو التسلسل التدريجي ؛ فانه واحد الذات ، متعدد الآثار في آن معا . وفي القرآن يتكلم عن نفسه أحيانا بقوله : أنا ، وأحيانا أخرى بقوله : نحن . فالذات واحدة إذ أن أما الصفات فكثيرة ، (ونحن) هي بعض التعظيم ، فالواحد المعظم لنفسه يستعمل نحن . وهذه نقطة حساسة جدا في فهم ابن تيمية للصفات ، وأكره شيء إلى قلبه أن يوجد من المسلمين من ينسكروا للصفات على نحو ما فعل جهنم من قبل ، أو كما يفعل القائلون بالاتحاد أو الوحدة ، وحين فضل ابن عربي على بقية أصحاب الاتحاد ، وميزه منهم ؛ لم يكن مدفوعا إلى هذا إلا لأن ابن عربي كما جاء في مجموعة الرسائل والمسائل (في ص ١٧٦) يفرق بين المظاهر والمظاهر ، وأول خطر أحس به ابن تيمية في كلام الصوفية إنما عينه من وجه النظر هذه ، فصفات الله عنده هي صفات الكمال سواء بسواء إذا قيست بالنسبة إلى الله نفسه ، أو إلى الخلق ، وهذا الكمال القدسي لا يتفق مع وجود درجات

ابن تيمية كل هذه الثروة فيتصل اتصالا مباشرا بمسألة الصفات . وهي مسألة لها المحل الأول لدى مفكر إسلامي كابن تيمية ، فضلا عن أنها كانت الأصل في كل خلاف نشأ بين الصوفية والفقهاء ، وموضع النزاع الدائم بينهما ولقد كان من المهم جداً بالنسبة إلى الإسلام أن يحدد موقفه من عقيدته في الألوهية خاصة وقد جاء ليصلح أنظاراً دينية سابقة عليه وليبين الفساد في بعض الآراء التي كانت معاصرة له . والواقع أن عقيدة الألوهية وما يتصل بها تعدد من النقط الرئيسية في كل دين خصوصاً في الأوقات التي تعمل الفلاسفة على تأييدها فيها بالبرهان العقلي أو الفترات التي تفتاب الديانة فيها أزمات تدخل في صميم العقيدة وابن تيمية من هذه الناحية متعصب لتعاليم الإسلام ، ومتمسك باعتقاد النبي عليه السلام نفسه في الإله . فهو كما وصفه لاووست

Laoust في كتابه المسمى باسم Essai sur les Doctrines Sociales et Politiques d'Ibn Taymia. ص ١٥٥ يؤمن بوحدة الله وبأنه ذات تعالى عن التعديد الوصفي ، وتسو على القياس العقلي ، وموقفه هذا مستمد من الآيتين : « قل هو الله أحد » ، « ليس كمثل شيء » ، يضاف إلى هذا : أن القرآن يصف الله : بأنه قد استوى على العرش ، ويذكر الحديث عنه أنه ينزل كل ليلة إلى سماء قريبة ؛ فيسمع صلاة

درجات المنبر قائلا : كنزولى هذا ،) فن هذه الناحية يمكن أن ندخل ابن تيمية فى تلك الطائفة المسماة : بالمشبهة أو المجسمة . قديظن البعض أننا تتعارض بهذا مع ما قلناه : من أنه يأخذ فى مذهبه بالآية القائلة : ليس كمثل شئ ، وهو السميع البصير ، سورة الشورى (١١) ولكن نلاحظ دائما أنه كان يأخذ بهذه الآية على نحو ما فسرهما محمد بن سعدون المعروف بأبى عامر القرشى إذ يقول : ومعناها ألا يمكن أن يقارب الله أحد فى الألوهية ، أما فيما يتعلق بالهيئة والصورة فهو مثلك ومثلى ، وهذا تفسير يتفق تماما مع رغبة ابن تيمية فى تصوير الله بأنه غير عاجز كما تصوروه الفلاسفة ، وغير مجانس للوجود المرنى كما تصوروه الصوفية .

ونتكلم الآن عن السبب الثالث الذى دفع ابن تيمية إلى اتخاذ هذا الموقف . والحق أن ابن تيمية عاش فى فترة لم يكن فيها الإسلام بخير ، ولم تكن الفرق الصوفية جديرة باحترام ، وفى عهده بدأت الطرق الصوفية فى الانتشار وبدأت الخانقاوات والزوايا فى الزيادة بصورة لم تحصل من قبل ، كما تعددت ألوان المنشئات الإخوانية . ولم يكن النشاط الصوفى قاصرا على المجال الجمعى وحده ، وإنما كان يمتاز فى وقته بجانب فردى تمثل فى اتخاذ بعض الأفراد خطة خاصة فى الحياة

فى الصفات ، أو مع قول باختلاف فى قيم هذه الصفات ، ولذلك تراه يقول (ص ٢٦ ج ٤) : مذهب هؤلاء الاتحادية كابن عربى وابن سبعين والقونوى والتلسافى مركب من ثلاثة مواد :

- ١ — سلب الجهمية وتعطيلهم .
- ٢ — بحملات الصوفية : وهو ما يوجد فى كلام بعضهم من الكلمات الجملة المتشابهة كما ضلت النصارى بمثل ذلك فيما يروونه عن المسيح فيتبعون المتشابه ، ويتركون المحكم .
- ٣ — وأيضا كلمات المتكلمين على عقلهم ، الذين تكلموا فى حال السكر . فتراه من ذلك يولى مسألة الصفات جل اهتمامه ، وتعد هذه النقطة لكثرة ما تحدث فيها محل البدء فى نقده ، والواقع أنه لم يكن فى هذه المسألة مبتكرا أو فيلسوفا بالمعنى الصحيح ، وإنما كان مقلدا للدرسة الحنبلية بصفة خاصة تلك المدرسة التى قاتلت انتصارا للسنّة ، واتزاما بحرفية القرآن . وما يدلك على ذلك تلك الرواية المشهورة التى جاءت فى كتاب (العقيدة والشرعية فى الإسلام) بقلم جولد تسهير (ص ٩٧ من الترجمة العربية) من أنه ذكر فى لحظة من عظاته نصا يتعلق بقول الله : فعلى على نبي أن يسكون النص من المتشابه ، وعلى أن يشهر عيانا فهمه لنزول الله فنزل بعض

وأسلوباً معيناً في السلوك ، جعلوا به من أنفسهم صوفية من طراز متوحد .

ولقد عرف الإسلام من قبل ضروباً مختلفة من التصوف أهمها وأميزها وأقربها إلى روح الإسلام وأحبها لفعل الخير هو ذلك التصوف المنظم كما كان عند الغزالي الذي عارض الطغوس المذهبية ، والأمور الشكلية لدى رجال الدين ، واتخذ من حب الله وحده دافعاً إلى النقاوة والطهر والصفاء . ولكنه لم يعرف شيئاً من هذه الروح الحبيثة التي بدأت تندس في أنحاء مختلفة من أقوال الصوفية في عهده وأعمالهم المتصلة بجملة عقائدهم ، ولنخلص أظهر المساريء التي امتاز بها تصوفهم في النقط الآتية :

أولاً : حوروا في الأسس التقليدية للشريعة الإسلامية بصورة مزججة إذ قد كانت الشهادة على هذا النحو لا إله إلا الله ، فتحولت على أيديهم إلى هذه الجملة : ليس إلا الله .

ثانياً : وكان مما أثار غضب ابن تيمية أنهم مزجوا بين التصوف والخزعبلات ، كما يقول لاووست في وصف حالة الصوفية في الفترة التي عاصرها ابن تيمية (ص ٢٩) ففهم من كان يعد الرقص أنشودة روحية تقتاد النفس إلى النشوة والسكر وتفتح للبعد سبيلاً للاتصال بالله . ومن هذه الفرق الأحمدية والرفاعية واختص أهلامهم في مرض الخمار

والمعجزات على مشهد من الأمراء .

ثالثاً : تتصل الصوفية في واقع الأمر بالمبول الإسلامية الشعبية وتغذيها ، ومن ثم تمكن أصحابها من إقناع العامة بأنهم في مرتبة الأنبياء ، وأن النبي هو قائمهم الأعلى ورئيسهم الأكبر . ومن هنا سادت بين الناس فكرة الاحتفال بالمولد ، وصارت مرضاة الله بين يدي الشيخ أو السيد أو الولي .

رابعاً : أدت حالات الزهد والانقطاع بالكثيرين من الأولياء إلى تفضيل الغلمان على النساء عند الأداء الجنسي ، كما أن منهم من بقي في حال العزوبة التي تتعارض مع الدين الحنيف . (لاووست ص ٢٨) .

خامساً : يمثل التصوف على النحو الذي شاهده ابن تيمية في عصره انحلالاً ظاهراً في العقيدة الموروثة ، ويقيح للعناصر النصرانية من جهة ، واليونانية من جهة أخرى ، أن تتدخل فيما هو من أصول الدين الإسلامي . ولم يكن بد من أن يعلن ابن تيمية سخطه على هذه الفئة التي تضلل المسلمين ، وتفسد الإيمان على أهل بحيث تسلبهم في النهاية إلى الأمراض الاجتماعية الفتاكة التي تجعل منهم فريسة لكل طامع سياسي ، وذلك بعد البساطة الروحية التي امتازوا بها ، والقوة الدنيوية التي كانوا عليها . (للبحث بقية)

هبة القناع الديري

الإنسان

بين هوى النفس والشيطان

للأستاذ أحمد حنفي نصار القوصي

خلفهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمالكهم ،
ولا تجد أكرم شاكرين ، وإذا يقول
« فبعتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم
الخاصين » .

وقد اقتضت حكمة الله ورحمته بعباده أن
يسد هذه الثغرات ، وأن يستجيب لحاجة
البشر الماسة إلى التبصرة والتذكير بين الحين
والحين ، لعلمه المحيط بهم ، وعلمه بسطوره
هدوم ، وبما هم عليه من ضعف في مقاومته
ومدافعة استغلاله لشمواتهم ، ولعنه بأهوائهم
فاصطنع لإرشادهم رسلًا ينزل عليهم آيات هدايته
ليدعواهم إلى الإيمان بالله ، ويرشدوهم إلى
الصراط المستقيم ، يبينوا لهم حدود الله ولثلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولتكون
بجازاة من كفر بالله ، ويلحد في آياته حقا
وهذلا ، وما كنا نعد بين حتى نبعث رسولاً .
وقد اختار الله رسله - وهو العليم الحكيم -
من البشر ليسألهم الناس ويتيسر عليهم
الاتصال بهم والاختلاص بهم والفهم منهم
الاتحاد بالجنس ، وما أرسلنا من رسول إلا بلسان

مفد هبط آدم عليه السلام من السماء ليكون
خليفة في الأرض يمشي عليها ، ويعمرها هو
وزرياته إلى نهاية الدنيا ، منذ ذلك الحين -
ولما يعض غير قليل - انكشفت خصائص
البشرية ، وبأن ما يكن فيها من استعداد
وقدرة على عمل الخيرات ، واكتساب السيئات
على حد سواء ، وقد ظهر ذلك جلياً أول ما ظهر
في قصة ولدي آدم عليه السلام من صلبه وهما
قابيل وهابيل ، وائل عليهم نبأ ابن آدم بالحق
إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ، ولم يتقبل
من الآخر قال : لأقتلك ، قال : إنما يتقبل
الله من المتقين ... فطوعت له نفسه قتل أخيه
فقتله ، فأصبح من الخاسرين .

ومنذ طرد إبليس من الجنة ، وأنزل إلى
الأرض مذهباً مذهباً وحوراً لمخالفته أمر به
بالامتناع من السجود لآدم عليه السلام
بدأت حربه التي لا تنقطع ولا تفتر ضد بني
آدم ، ولزم هو وجنوده حد قوله فيما يحكي
القرآن منه إذ يقول : « لأقعدن لهم صراطك
المستقيم ، ثم لأتبعنهم من بين أيديهم ، ومن

قومه ليبين لهم ، كما اختارهم رجالا ليقولوا على احتمال المكاره والمصير على الشدائد التي تصادفهم في سبيل أداء أماناتهم بتبليغ رسالات الله ، وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم .
ولا شك في أن الهدى في كل زمان يضاد ما عليه الناس من الباطل ، ويصدمهم في كثير مما يحبون ، فيعرض أكثرهم عنه لاضلالهم وتمسكهم بأوضاعهم القائمة ، وعبوديتهم للعادات المتكسنة ، والآثر الذي يقدسونه جهلا وعى ؛ برغم مجافاته للعقل والرشد ، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، ١٢ والشيطان من وراء ذلك كله يسوقهم إلى المعصية بعصاه الخفية القوية سوقا ، ويستغل ضعفهم ، ويوسوس لهم بالتزيين والتلبيس والوعود الفاسدة ، والأمانى الكاذبة ، يدم ويمنيهم وما يعدم الشيطان إلا غرورا .

وإذن فحزب الله رسله والمؤمنون ، وحزب الشيطان إبليس وجنوده من الجن وضلال الأنس وهما في صراع دائم وحرب مستمرة مستمرة لا تتوقف ما بقي على الأرض الأناس والشياطين . لذلك كانت مهمة الرسل شاقة ، وطريقهم وعرا ، وكان لا بد لهم من تأييد السماء ، فكانت المعجزات على تنويعها لتصدقهم وتدعم موقفهم تجاه المضلين . وسواء منها ما كان في نوح العلم ، أو في نوح القدرة ، فهو خارج عن قدرة الأنس والجن جميعا ، لأن الجن من جهة من دعاه الأنبياء إلى الإيمان ، وأرسلت إليهم الرسل قال تعالى : يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا . ومعلوم أن النبي إذا دعا الجن إلى الإيمان فلا بد أن يأتي بآية خارجة عن مقدورهم ،

فجاء من حباله ، وأخذ طريقه إلى النصر عليه . كذا حاول منازلته ، إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ؛ فإذا هم مبصرون ، فأكيد الشيطان بالنسبة لمؤلاء هباء ، ومنهم من يستجيب للوسواس ، ويخضع لداهي الشهوة ، ويغلبه على أمره هواء ؛ فيكذب برسالات الله ، ويعرض عنها وينأى بجانبه ، ويؤذى الرسول ، ويكيد له ، ويحاول تبديل كلمات الله ، ولا مبدل لكلمات الله ، فيصير من حزب الشيطان مع الهالكين .

واستمر الشيطان مع الإنسان على الأرض عدوا له مينا . فأما الشيطان فقد احتفى بخصائصه ، وبطبيعة خلقه ، وأخذ يفعل أفاعيله في الاحتيال بعزم وقوة ، وأما الناس فقد اختلفوا وانقسموا إلى قسمين : منهم من صدق برسالة الله فاستمع الموهظة ، واعتصم بحبل الله المتين بإيمان صادق ، وإرادة قوية ، محققا لمغريات الشيطان ؛ وأما فيه المكاذبة ،

من أتباع الرسل عليهم السلام تأييداً لدين الله ، ودلالة على صحة ما جاء به الرسول .

وتسمى هذه كرامات للتفرة ، بينها وبين المعجرات ، وهي ولا شك لا تبلغ على أي حال إلى مثل معجزات المرسلين وإن شاركهم في بعض أعمالهم ، والكرامة كذلك لا تدل على عصمة الولي ، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله ، كما هو الحال مع المرسلين .

وعلى ذلك فإن ما تقدمه الرسول من الإرهاسات ، وما تأخر ، وجرى على يد الصالحين في أمته من بعده سواء أحدث ابتداء أو ظهر عند التحدى للدين فهو من معجزاته . ومثل هذا ما ذكر في حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة الذين تكلموا في المهد ، وما حدث لأتباعه صلى الله عليه وسلم كخطابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سارية على المنبر مع بعد ما بينهما .

وما يكون من الكفار والسحرة والسكان والمشركين من أهل الكتاب والضلال من غيرهم فالأنبياء والأولياء قادرون على إبطاله ، وكشف زيفه بعون الله ؛ وأوضح دليل على ذلك ما ظهر على أعين الناس مجتمعين ضد سحرة فرعون على يد موسى عليه السلام .

وعلى كل فأفعال المفسدين على اختلافها من جنس الأفعال المقدورة للخلق من الجن والإنس والحيوان ليس فيها قلب جنس

وإذن فلا بد أن تكون آيات الأنبياء خارجة عن مقدور الجن والإنس جميعاً .

ومع هذا فإن حزب الشيطان لم يقف مكتوف اليدين ، بل حاول من جانبه بكل جهده أن يشوش على معجزات الأنبياء بخوارق تشابهها في الظاهر من السحر والسحرة ، وما إلى ذلك ليروهم أنها من جنس المعجزات فيختلط الأمر على الناس ، فلا يفرقون بين الحق والباطل ، حتى أنهم أوغلوا في ذلك فألفوا الكتب في السحر ، وطرق الاتصال بالشياطين ونحو ذلك قال تعالى : « واتبعوا ما تقلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وأدركوا في بعض هذه الكتب - إيماناً في الإضلال - معروفاً لاشبهة فيه ليلبسوا الحق بالباطل كي يفهم الناس أنه جميعاً غير منكر ، وعمل مشروع . ففتن بها كثير منهم وكأنهم لم يشبهوا من قبل الحدود الفاصلة بين المعجزات وما يلحق بها وغيرها من الأباطيل .

والمعلوم أن المعجزة أمر إلهي خارق للعادة اقترن بدعوى النبوة ؛ لتدل على صدق الرسول يظهرها الله على يديه ابتداء ، أو عند التحدى ، أو بحججها لإرهاصا توطئة ، وإعلاماً بمجيء الرسول ؛ وكذلك تخرق العادة لأولياء الله المعروفين بالصلاح والتقوى

في ذاتهم صادقون والكذب في حقهم مستحيل ومن العجيب المؤلم حقا أنه إلى عصرنا هذا - وقد بلغ العقل البشري رشده كما يقولون وعلم الإنسان بظواهر الكون قد اتسع ، وقطع شوطا بعيدا - لاتزال مثل هذه الترهات تجري في الناس ، وتأخذ طريقها إلى عقولهم ، فيؤخذ بها ضعاف الأحلام ، ويلتبس أمرها على كثير .

وكنا نظن أن علماء السلف عليهم الرضوان من أمة محمد عليه السلام قد تدبروا هذه المسائل من مئات السنين ، وبينوا الحدود بين معجزات النبيين وكرامات الصالحين وأفاعيل المضلين كما نظن أنه لم يبق هناك داع للعودة إلى الكلام في هذه الأمور ، ولكن الإنسان أثبت أنه برغم رقيه وحضارته لا يزال في حاجة إلى الموعظة والتذكير وإلى من يضع يده دائما على الحن . وهو كذلك - من باب أولى - في أمس الحاجة إلى التنبيه على ما يجد من مفاصد العابثين وألاعيب الشياطين .

ومن هذه المفاصد وليست آخرها ألحوبة الشيطان بالإنسان في خرافة تحضير أرواح الموتى ، تلك البدعة التي استحدثت وراجت سوقها من بضع سنين وصدق بها كثير من الناس حتى من مدعى المعرفة مأخوذ في سراب من ظواهر الأمور دون نظر أو تحقيق .

أصغر منفي نصره القوصي

ولا مسخ ولا إبطال خاصة بخلاف ما يجري على يد الرسل فإنه من عمل الله لا يستطيعه مخلوق . فالساحر قد يمرض بسعره أو يقتل والمرضى والقتل أعراض يقبلها في العادة الحيوان . وكذلك إحضار الطعام والمال من الغيب إنما هو نقل من مكان إلى مكان تفعله الجن والإنس ولكن الجن يفعلونه وهم في خفاء عن الناس . وهذا كله ليس معجزاً لأنه في مقدور المخلوق . وكذلك الأخبار ببعض الأمور الغائبة من مثل ما تفعله الشياطين مع السحرة فهذا تلفيق لا يخلو من الكذب أبداً لأن المصدر الشيطان وهو لا بد له من الكذب على الإنس سخريه بهم . وقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله : « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفك أثيم ، يلقون السمع وأكثهم كاذبون ، ومع ذلك فكل ما يخبرون به فهو من جنس المعتاد للناس مما يعلم بالمنامات وشبهها وفيه خلط وزيف وهو على أي حال ليس بالحق اليقين .

وأما أخبار الأنبياء عليهم السلام فليس فيها كذب قط لأنها من عند الله ومن غيبه الذي لا يقدر عليه الجن والإنس قال تعالى : « عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحدا ، إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ، والأنبياء عليهم السلام

ما يقال عن الإسلام

الفنون الإسلامية

لدراسات الدكتور أحمد فوزي الزهراني

ولما جاء المستشرقون في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، شرعوا يطبقون المناهج الحديثة في دراسة الفنون على الفن الإسلامي ، فكانوا بذلك أصحاب الفضل في فتح هذا الباب أمام الباحثين العرب الذين تعللوا عنهم هذا اللون من الدراسة ، وكسب في ذلك المرحوم الدكتور زكي محمد حسن كتابه عن الفنون الإسلامية معتمداً على تلك الدراسات الأجنبية .

وقد ترجم إلى اللغة العربية منذ عشر سنوات تقريباً كتاب الفنون الإسلامية تأليف الأستاذ ديماند ، وقد أحسن المترجم بقوله « الفنون الإسلامية » في العنوان بدلا من الأصل الأجنبي وهو « الفن المحدثي » ، ومعنى ذلك أن المؤلف يضع للإسلام اسماً هو « المحمدية » . وقد فعل ذلك الأستاذ ديماند ، حين ألف كتابه عن الإسلام وسماه « المحمدية » ، والراستخون في العلم لا يقولون بذلك ، بل يقولون : الإسلام ، لأن الدين عند الله الإسلام ، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل .

ليس الإسلام ديناً يقتصر على العقائد والعبادات ولكنه إيمان وعمل ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر .

ولا يمكن فهم الإسلام حق الفهم إلا بالإحاطة الشاملة الوثيقة بمسائر ما كان يقوم به المسلمون في أمور معاشهم ، وما يقومون به في الوقت الحاضر ، وجماع ذلك كله يسمى بالحضارة ، فالإسلام حضارة معينة ، تشمل تلك النواحي المختلفة التي ذكرناها ، ومنها الفنون .

ولم يغيب هذا المعنى عن قدماء المفكرين في الإسلام ، غير أنهم لم يفرّدوا للفنون كتباً خاصة تنهض بدراستها ، والأغلب أن المفكرين في الزمن القديم لم تتجه عنايتهم إلى هذه الدراسات العملية ، أو الفنية ، أو التكنولوجية ، وذلك لاعتقادهم أن الفكر المجرد والنظر الخاص أسنى من العمل وبخاصة الأعمال اليدوية ، ولم يكن هذا الفصل بين النظر والعمل ، مع سمو النظر على العمل مقصوداً على المسلمين ، ولكنه ميراث طويل عن الحضارات القديمة .

يفتح الأستاذ جورج مارسيه كتابه بهذه العبارة : « تصور أنك تقوم بهذه التجربة ، إذ تمضي ساعة من فراغك تتصفح مجموعة من الصور هي عبارة عن مجموعات فوتوغرافية مأخوذة عن ألوان مختلفة من الفنون : هناك تماثيل إغريقية ، يتلوها نقوش على مقابر قدماء المصريين ، ثم سواتر مزركشة على الطريقة اليابانية ، ثم تقع عينك وأنت تقلب الصور ، على لوحة من الجص المنحوت مأخوذة عن إحدى صالات قصر الحمراء ، ثم على صفحة من مصحف كتب بقلم مصري ثم على نقش محفور على إناء . إيراى من النحاس ومهما تبلغ ثقافتك الفنية من الضالة ؛ فإنك ستتحقق على الفور أن هذه للصور الثلاث الأخيرة تنتمي إلى الفن الإسلامى . »

يريد المؤلف أن يقول : إن الفنون الإسلامية على تنوعها وتطورها على مر العصور ، وتباين الأقطار الإسلامية التي نشأت فيها من الشرق الأقصى إلى أقصى الغرب ، تمتاز بشخصية ، ووحدة وخصائص تجعل الناظر إليها يدرك ، ولا يخطئ أنها إسلامية .

ويذهب مارسيه إلى أن الفن الإسلامى يمتاز بصفتين أساسيتين هما : الشخصية والوحدة ، ولأمرنا فى شخصية الفن الإسلامى هذه الشخصية الواضحة البارزة التي يسر

وقد أخذ معظم المستشرقين فى الوقت الحاضر بهذه الوجهة الصحيحة من النظر ، وهذا ما فعله اثنان من كبار المشتغلين بالفنون والآثار الإسلامية ، هما : « كرسويل ، الإنجليزى الذى كان أستاذاً للفن الإسلامى بالجامعة المصرية ، و « جورج مارسيه ، عضو الأكاديمية فى باريس ، ومدير متحف الفن بالجزائر قبل استقلالها ، وعنوان كتاب كرسويل « فن العمارة الإسلامى قديماً ، » وعنوان كتاب مارسيه « الفن الإسلامى ، » أو « الفن فى الإسلام ، » أو « الفنون الإسلامية . » والاعلأ أن المشتغلين بهذا اللون من الفنون يسمونه إسلامياً لا عربياً ، على حين أنهم حين يتحدثون عن العلوم يقولون « العلوم العربية ، لا الإسلامية ، وذلك لسببين : الأول أن العلم لا وطن له ، وهو دراسة مغايرة للدين ولا تخضع له ، فيكون من التناقض القول بعلوم إسلامية أو مسيحية (المقصود هنا العلوم بمعناها الخاص كالحساب والهندسة والفلك والطب وغير ذلك) . والسبب الثانى أن تسميتهم للعلوم بأنها عربية نسبة إلى اللغة العربية لا إلى الدين . »

صفوة القول : إن الفنون إسلامية والعلوم عربية ، وهذا فى الأعلى الأعم ، اللهم إلا هند بعض المتحذلقين والخالفين ، وهم عندنا قلة لا يحسب لها حساب ، ولا يؤخذ برأىها فى هذا الباب .

دينهم وهو : (لا إله إلا الله) و (محمد رسول الله) . أو : (بسم الله الرحمن الرحيم) وغير ذلك . ونحن نعرف أن الدرهم والدنانير كان يضرب دلي أحد وجهيها في الأغلب : لا إله إلا الله .

وهكذا نجد أن شخصية الفن الإسلامي تستمد كيانه من الدين . بل إن بناء البيوت على هيئة خاصة ، من وجود فناء داخلي ، ونافورة مياه ، ومشربيات تطل على الخارج كل ذلك يمكن تفسيره دينياً كما يمكن تفسيره جغرافياً .

وفي ذلك يقول الأستاذ مارسيه بعد حديثه عن العامل الجغرافي وطامل الجو وأثرهما في الفن الإسلامي ما نصه (صفحة ٨) : (ومع ذلك فإن الذي حفظ قبل كل شيء آخر وحدة الفن الإسلامي بين الأقطار المختلفة هو الإسلام نفسه ، تلك الوحدة التي يحمل كل أثر في طابعها . ذلك أن العامل الديني هو أكثر العوامل فعالية وأدومها) . هذا ولم يغب عن باله عامل آخر له أهمية عظيمة وأثر كبير في الفن الإسلام ، وهو اللغة العربية . ويقول في هذا الصدد : (إن التقارب بين الفن ، ولغة الحديث أمر لا شك فيه . ذلك أن ما يجعل من اللغة العربية - على الرغم من بعد الشقة بين الشعوب وتنوعها - لغة حديث مشتركة هو أنها لغة مقدسة ، واللسان الذي نزل به الوحي المدون في القرآن) .

الحكم على القطع الفنية على تنوعها بأنها إسلامية وقد جاءت للفنون الإسلامية هذه الشخصية من عدة عوامل على رأسها : الدين ففي ذلك العالم الإسلامي الذي امتدت رقعة من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً ، كان المسلمون يخضعون لديانة التوحيد ، ويتلون كتاباً واحداً باللغة العربية هو القرآن ، ويمارسون عبادات واحدة هي الصلوات الخمس كل يوم ، ويجمعون معاً لصلاة الجماعة في المساجد ، ومن أجل ذلك اتخذت المساجد هيئة خاصة في بنائها تستلزم وجود مئذنة للأذان ومنبر لخطبة الجمعة ، والمحراب لبيان اتجاه القبلة ، والميضأة لغضاء الحاجة والوضوء والنقوش التي تحلى بها جدران المساجد من الداخل ومن الخارج ومعظمها من الآيات القرآنية :

وقد كان القرآن وما زال وسيظل كتاب المسلمين المقدس ، يعظمونه لأنه كلام الله ، ويحفظونه في الصدور ، ويكتبونه في المصاحف بخط جميل ، وينقشون هوامش المصاحف بألوان من الزسوم الجميلة . ولم تقتصر الكتب والقرآن من الساحة الفنية على تزئين جدران المساجد ، بل وضعت على كل ما يستخدمه المبر في منزله من أدوات ، بحيث يعيش المبر في داره محوطاً بالشعارات الدينية ، وعلى رأسها شعار المسلمين وأساس

ولما كانت الفنون الإسلامية عبر تاريخها الطويل قد خضعت لتأثير السلاطين والخلفاء والأمراء الذين كانوا يرون الفنون ويشيدون المساجد والمدارس باسمهم تخليداً لذكورهم ، كان لابد من معرفة وثيقة بالتاريخ الإسلامى لمعرفة أسرار هذه الفنون .

لهذا السبب يقسم علماء الفنون كتبهم بحسب العصور التاريخية ؛ ويمهدون لكتبهم بمقدمة فى التاريخ الإسلامى . وهذا ما فعله الأستاذ كرسويل فى كتابه عن العمارة الإسلامية .

أما الأستاذ ماوسيه فقد قسم بحثه إلى أربعة عصور ، أو فترات دون الإفاضة فى العرض التاريخى .

الفترة الأولى : من ظهور الإسلام إلى نهاية القرن الثالث .

والفترة الثانية : من القرن الرابع ، أى عصر انقسام الدولة العباسية إلى دويلات ، وازدهار الدولة فى الأندلس ، وظهور الفاطميين فى شمال إفريقيا ومصر ، وقسم هذه الفترة حول قرنين ونصف من الزمان . ثم فى الفترة الثالثة : تبدأ الدولة الإسلامية فى التميز خلال القرون : من السابع إلى العاشر ، ويبرز الفن الإيراني بوجه خاص والفن المملوكى .

وفى الفترة الرابعة : يظهر التأثير التركى

ولما كانت الفنون الإسلامية تستخدم فى الأغلب الكتابة العربية الحلية ، والتبرك ، والتقرب إلى الله ، فلا غرابة أن نجد هذه الكتابات على جميع الآثار من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب . وانظر معى إلى هذه النعمة الجديدة التى تبغى أن تتخذ من الأحرف اللاتينية طريقة لكتابة اللغة العربية ، وتريد ترجمة القرآن إلى لغات غير العربية ، فكيف يكون الفن الإسلامى بعد ذلك عاملاً من عوامل التوحيد ؟ لأنها - ولا نزاع - لغات شاذة مغرصة تبغى هدم الإسلام عن طريق هدم اللغة العربية ، والتخلص منها . والفن لغة ، يعبر بالخطوط والألوان والظلال والصور عن روح الأمة وتاريخها . والفن من أجل ذلك حى بحياة الأمم ، يسمو مع نهوضها ، وينحدر مع ضعفها ويتغير بتغير تاريخها . ولا يمكن أن يظل الفن ثابتاً خلال القرون الأربعة عشر التى مر بها الإسلام منذ ظهوره حتى الآن . والفنون الإسلامية مظهر من مظاهر التاريخ الإسلامى ، وسجل لذلك التاريخ ، وثمرة له ، كما أننا نستطيع أن نستقرئ التاريخ الإسلامى من النظر إلى الآثار الإسلامية الباقية حتى اليوم ، والمحفوظة فى المتاحف . ثم إن الإنتاج الفنى يفترض عموماً حالة معينة من توازن المجتمع ، وازدهار الدول وقوتها .

هقب نفوذ الأتراك في العالم الإسلامي ، وهو يبحث في كل عصر الفنون على النحو التالي :

(١) العمارة الدينية - والمقصود منها المساجد أساساً ، ولكن في بعض العصور وجدت مقابر . (٢) العمارة المدنية مثل القصور والبيوت . (٣) الزخرفة بأنواعها . (٤) الفنون المتحركة أو المنقولة وهي على عكس العمارة التي تعد من الفن الثابت ، ويدخل في هذا الفن كل ما يمكن نقله مثل الألوان النحاسية ، والمصنوعة من الفخار ، والأقنعة ، والأبسطة ، والسجاجيد ، وجلود السكتب وغير ذلك .

أما كتاب كرسويل فإنه مقتصر على العمارة يتحدث فيه عن فن العمارة أولاً في الدولة الأموية ، ثم ثانياً في الدولة العباسية حتى نهاية القرن الثالث الهجري .

ثم إن كرسويل لم يعرض التاريخ من حيث هو كذلك ، بل في الحدود التي تسمح بإبراز الإنتاج الفني . ولذلك استهل كتابه بقوله : لا يبدو أن بلاد العرب عند ظهور الإسلام كانت تملك شيئاً يستحق اسم العمارة ، إذ لم يستقر في الأرض سوى نسبة ضئيلة من السكان اتخذت لها بيوتاً أشبه بالمخاور . وسمى الذين يعيشون في بيوت من الآجر أهل المدر ، وسمى البدو الذين كانوا يعيشون في خيام من الشعر أهل الوبر .

هذا المدخل إلى العمارة الإسلامية يفصح عن اتجاه واضح نحو انتزاع أى حمارة عن العرب قبل الإسلام وعند ظهوره حتى يقال : إن المسلمين نقلوا هذا الفن عن البيزنطيين بوجه خاص ، وعن الفرس . وليس لدينا سند صحيح يبين مدى ما بلغته العمارة العربية قبل ظهور الإسلام مباشرة في مكة والمدينة غير أن المستشرقين الذين يكتبون عن الإسلام ويحاولون تفسير الأسباب المادية لظهوره . يذهبون إلى أن العرب في الجاهلية بلغوا مرتبة من الازدهار ثمرة التجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ليس لها مثيل ، ولأن الفارق كان كبيراً بين الأغنياء والفقراء . وجدير بمن بلغ هذا الثراء الفاحش من أهل مكة أن يتخذ لنفسه دوراً أنيقة ، يقوم بيناتها مهرة الصناعات من مصر أو اليمن أو الحبشة أو الشام ، تماماً كما هي الحال في الوقت الحاضر . مهما يكن من شيء فنحن بإزاء تفسيرين متناقضين يذكرهما المستشرقون ، الأول أن حالة العرب الجاهلية كانت في غاية التأخر حضارياً ، والثاني : أنها كانت غاية في الازدهار ، فترى بأى التفسيرين نأخذ ؟ .

على أى حال يتناقض كرسويل مع نفسه حين يتحدث في الصفحة الأولى من كتابه هقب ذلك عن تجديد بناء السكبة قبل بعثة

من كنائس شارك فيها المسلمون المسيحيين . ولا يمكن اعتبار بداية المساجد بمعنى الكلمة من حيث فن العمارة إلا في خلافة عبد الملك ابن مروان أو الوليد بن عبد الملك ، وقد ظل العرب بعيدين عن أى مطامح في فن العمارة مدة قرن من الزمان بعد ظهور الإسلام ، ثم تقلوا بعد ذلك عن الفن الساساني في العراق ، وعن الفن البيزنطي في الشام . وقد اعتمد كرسويل في دراسته على أوراق البردي إلى جانب المصادر التاريخية المعروفة ، حين وصف بناء مسجد دمشق الذي قام به الوليد ، وشرح ، كما يقول المقدسي ، في طلب مهرة الصناع لتنفيذ غرضه ، وجاء في أوراق البردي التي عثر عليها بمصر ما يؤيد تلك الرواية ، إذ نقرأ في إحداها أمراً بدفع أجور الصناع ، وفي أخرى أمراً آخر باستبقاء أربعة من صانعيها (أنظر صفحة ٤٤ من كتاب كرسويل) . والمكتاب محلي بالرسوم والاعاءات الهندسية لشرح عمارة المساجد ، وليس غرضنا وصف العمارة الإسلامية من حيث هي كذلك ، إلا بمقدار ما تفيد في توضيح حالة المسلمين في العصور المختلفة ، ومدى تعلقهم بدينهم ، وكيفية تصورهم لهذا الدين ، من خلال الفنون الإسلامية ، وقد أسهم علماء الغرب في هذا المجال مساهمة محدودة لاشك فيها ؟

د . أحمد فؤاد الأهواني

الرسول ، معتمداً في ذلك على رواية قدماء المؤرخين العرب مثل الأزرقى . وتذهب الروايات إلى أن قريشا جلبت الأخشاب التي بقت بها الكعبة من حطام سفينة غرقت عند الساحل ، واستخدمت نهاراً وبناء اسمه باقوم كان على ظهر السفينة ، إلى آخر هذه الرواية . وقد كانت الكعبة بناء كبيراً نسبياً ، لأن الأصنام التي كان العرب يعبدونها كانت موجودة في داخل الكعبة ، فضلاً عن صور الأنبياء (بحسب رواية الأزرقى) . وقد ذكرنا من قبل أن المؤرخين العرب لم يوجهوا عنايتهم نحو تسجيل العمارة وهندسة البناء بمقدار ما كان يهمهم تسجيل الظواهر المتصلة بحياة الرسول الكريم . وخلاصة الرأي عند كرسويل فيما يختص ببناء العمارة في الإسلام ، أن فكرة عرب الجاهلية من العمارة كانت ساذجة جداً ، وأن الكعبة ، وهي الهيكل المقدس عندهم ، لم تكن أكثر من بناء يحوطه أربعة جدران بارتفاع قائمة الرجل وفي داخله برز زمزم ولما ظهر الإسلام بنيت المساجد في غاية البساطة لتحقيق الغرض من اتخاذها مكاناً للعبادة . وأنشئ في البصرة والكوفة والفسطاط أول المساجد وكانت ساذجة بدائية إلى أقصى حد . أما في سوريا فإن أول مساجد اتخذها المسلمون لما أنها كانت كنائس ، أو أجزاء .

فتاوى مختارة

تقديم : ابراهيم محمد الحصيل

(الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر)

الحج ونفقة الأقارب :

السؤال :

رجل يريد الحج وعنده أقارب محتاجون للنفقة الضروري فما الحكم ؟
شعبان عبد الرحمن الشيمى

الجواب :

هؤلاء الأقارب إذا كانت نفقتهم واجبة على من يريد الحج كزوجته وأولاده الصغار أو الكبار العاجزين عن الكسب أو الأبوين الفقيرين وليس عنده ما ينفقه عليهم إلا ما يريد الحج به لا يكون الحج واجبا عليه لأنه غير مستطيع حينئذ فإذا حج والحالة هذه كان آثما.

الحج من مال مكتسب من بئر غير إسلامي

السؤال :

لى أم تريد أن تؤدي فريضة الحج هذا العام ، ولا عائق والحمد لله إلا شيء واحد هو مصدر الأموال المطلوبة للإتفاق على الحج ، ومصدرها : أتى أعمل فى ألمانيا الغربية طول اليوم وأكاد فى الحصول على المال بعرق الجبين .

فهل هذه الأموال المجموعة من بلد غير إسلامي حلال أم حرام ؟ وهل يجوز بها أداء فريضة الحج ؟

نايف أحمد مفلح / ألمانيا

الجواب :

كسب الرجل من عمله حلال ، بل هو من خير الحلال متى كان يعمل عملا مشروعاً كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكون العمل الذى يقوم به السائل فى ألمانيا أو غيرها لا يمنع من الإتفاق منه على والدته فى قيامها بفريضة الحج فإن كسبه فى مقابل عمله ، فالمال إذاً ملك حلال له .

انتهى بآية فى الحج .

السؤال :

هل يجوز شرعاً أن أجهز حاجاً لى بيج نيابة عن أخى أو أبى المتوفى وماهى الشروط الواجب توافرها فى هذه الحالة ؟ وهل يعود ثواب ذلك على المتوفى ؟ وهل يعتبر كما لو كان المتوفى قد حج عن نفسه ؟

على لبيب عزيز

وحيث لم يتم وسلم من ركعتين فصلاته باطلة عند الأئمة الأربعة ، ويجب عليه فعلها ثانياً أداء إن أدرك وقت الصلاة وقضاء إن فاتته .

الحج وعمره الوفاة :

السؤال :

سيدة توفى زوجها بتاريخ ١٩٦٥/٢/٣ وتريد أن تؤدي فريضة الحج مع ابنها هذا العام هل يجوز لها ذلك مع الإحاطة بأنها تبلغ من العمر ٥٩ عاماً ؟ أكبر محمد

الجواب :

يجب على المتوفى عنها زوجها أن تنفي عدة الوفاة في بيت الزوجية التي مات عنها زوجها فيسه وذلك مقدم على أداء فريضة الحج التي يمكنها أن تؤديها في وقت آخر إذا فاته ولا كذلك عدة الوفاة وأيضاً في العدة حق الله تعالى فيجب مراعاته .

هل تجوز الزكاة لهيئته :

السؤال :

هل يجوز إعطاء الزكاة من المال لابن إذا كان منفصلاً في معيشته عن أبيه ومعهراً ؟ محمد علي سيد أحمد

الجواب :

الابن إذا وجبت نفقته على أبيه بأن كان

الجواب :

يجوز للسائل أن ينيب شخصاً للقيام بالحج ممن توفي سواء أكان أباً أو أخاً . ويجزى هذا الحج عن ذلك المتوفى وله ثوابه . ويشترط فيمن يقوم بهذا الحج أن يكون حج عن نفسه من قبل .

هل يصح ممن ذهب لأداء فريضة

الحج القصر في الصلاة :

السؤال :

أحد الحجاج بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام في صلاة الظهر وهو مؤتم بالإمام الراتب (المقيم) سلم من وكعتين على أنه مسافر وأن له أن يقصر في الصلاة فما الحكم في صلاته هذه هل هي صحيحة أم غير صحيحة وماذا كان يجب عليه لتصح صلاته على المذاهب الإسلامية الأربعة ؟ دكتور أحمد غلوش القاهري

الجواب :

الشافعية والحنفية والإمام أحمد على أن المسافر إذا اقتدى بالمقيم في جزء من صلاته ركعة أو دونها لزمه الإمام . ومذهب مالك على أنه إن أدرك ركعة فأكثر لزمه الإتمام أو دونها فله القصر .

وعلى ذلك فالمصلي في مسألتنا يلزمه الإتمام عنده الجميع لأنه صلى مع الإمام المقيم ركعتين .

فدلت الآيتان هلى أن الزكاة فى كل ما تخرجه الأرض، خراجية كانت يدفع عليها مال حكوى، أم عشرية لا يدفع عليها مال، قليلا كانت ما أخرجته الأرض أم كثيراً، قوتا كان كالخنطة والأرز والذرة والبقول، أم فاكهة كالعناب والرمان والتفاح، أم خضراً كالخيار والبطىخ وغيرها.

وقد بينت السنة أن زكاة الزرع هى عشر ما تخرجه الأرض إذا سقيت د بالراحة، أو نصفه إذا سقيت بالآلة، وذلك فى قوله عليه السلام: «فما سقت السماء العشر».

وزكاة الزرع هذه ترتبط بالزراعة لا بالحوول، حتى لو زرعت الأرض أكثر من مرة فى العام الواحد وجب إخراج زكاة الزرع فى كل مرة، اتحد الصنف أم اختلف.

والتعميم فى زكاة الزرع على هذا الوجه - هو الذى يحقق معنى التكافل الاجتماعى الذى يقصده الإسلام من مشروعية الزكاة، والذى يقضى بعدم استئثار طائفة من الناس بنعم الأرض التى أعدها الله للزرع وامن بها على جميع عباده.

والرأى المعتمد أن زكاة الأرض على المستأجر الذى يباشر الزرع^(١).

فقيراً وهو صغير أو مريض مرضاً يجمعه من الكسب كان غنياً ينفقة أبيه فلا يعطيه حينئذ من الزكاة - أما إن كانت نفقته غير واجبة على أبيه بأن كان بالفا قادراً على الكسب لكن كسبه لا يكفيه فهو فى هذه الحالة فقير أو مسكين يجوز لأبيه أن يعطيه من الزكاة.

زكاة الأرض المستأجرة :

السؤال :

على من تجب زكاة الأرض المستأجرة على المؤجر أم المستأجر وما مقدارها ؟
عبد الفتاح سعد - كفر الدوار

الجواب :

الزكاة حق الزرع وهى نوع من الشكر على نعمة إثبات الزرع، وقد جاء أصل هذه الزكاة فى قوله تعالى : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان مثسابها وغير مثسابه، كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده »^(١)، وفى قوله تعالى : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم، وما أخرجنا لكم من الأرض »^(٢).

(١) انظر كتاب الفتنـاوى لفـضيلة الإمام الراحل محمود شلتوت إذله فى هذه المسألة بحث مستفيض .

(١) الآية ١٤١ من سورة الأنعام .
(٢) الآية ٢٤٧ من سورة البقرة .

الكتاب

نقد و تعریف : محمد عبد الله السمان

إبراهيم فرعون

للاستاذ محمد محمد عبد اللطيف

من غرائب المصنفات قدم لنا الأديب المحقق الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف (ابن الخطيب) قضية «إيمان فرعون» وهي قضية ليست شائكة وحسب، ولكنها على جانب من الأهمية، إذ أنها تثير مشكلات فلسفية وعقيدية واغوية.

يرى الأديب المحقق أنه من المعلوم عقلا وقللا أن فرعون كان من أئمة الكافرين، وهكذا اعتقد كما اعتقدت الأمة الإسلامية جميعا دون أن يشذ عن هذا الإجماع واحد من المفسرين أو من غير المفسرين، من ينسب إلى العلم أو من لا ينتسب.. ولكنه بينما كان يقرأ في كتاب «فصوص الحكيم لحي الدين بن عربي»، إذ به يقول قولاً جازماً بإيمان فرعون إيماناً لازماً، فاضطر إلى أن يواصل البحث والتعقيب عليه يحد مؤيداً لابن عربي بين السابقين أو معارضاً له، فشر على رسالة خطية للعلامة جلال الدين

الدواني تقول بما قال به ابن عربي، وعلى رسالة أخرى للعلامة علي بن سلطان القاري أسماها «فرعون من مدعى إيمان فرعون»، فرأى أن يسوق هذا البحث.

الرسالة الأولى دفاع عن ابن عربي وتأيد رأيه في إيمان فرعون، وحيثه الآية المشهورة: «حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين»، وقوله تعالى: «ورحمق وسعت كل شيء»، ودأبه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، «وإن الله يغفر الذنوب جميعا»، ثم أخذ في تأويل الآيات التي تدّين فرعون مثال قوله تعالى: «ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب»، وقوله تعالى عن فرعون: «فأخذه الله نكال الآخرة والأولى».

أما الرسالة الأخرى: فهي بمثابة تعقيب على الرسالة الأولى لدحض آرائها، وتوضيح بطلانها بالكتاب والسنة والإجماع، وأنكرت أن يكون هناك أي خلاف بين علماء

إلى ما ذهب إليه ابن العربي ، فالزغشري في تفسيره يذكر أن إيمان فرعون لم يقبل منه حيث أخطأ وقته ، وقاله حين لم يبق له اختيار .

كنت أورد أن الأستاذ المحقق لم يفتحه أن يعرفنا - كما عرفنا بابن العربي - بالعلامتين صاحبي الرسالتين ، ليقف القارى من واقع حياتها على منهجها المذهبي ، والمعروف أن الأول العلامة الدواني مقيس لابن العربي ، ولد في دوان من بلاد كازرون ، وسكن شيراز وتوفي بها عام ٩١٨ هـ في فارس حيث ولي قضاءها ، وله عدة مؤلفات معظمها مخطوط وهدية رسائل بالفارسية ترجم بعضها إلى الانجليزية . وأما العلامة القارى فهو علي بن محمد سلطان المشهور بالملا علي القارى ، فقيه حنفي ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها عام ١٠١٤ هـ ، وله مؤلفات كثيرة ، منها تفسير للقرآن ، ورسالة في الرد على ابن العربي في كتابه الفصوص ولعلها التي نقلها لنا الأديب المحقق .

دولة الفكرة

للأستاذ فتحى عثمان

ومنذ أيام ظهر كتاب جديده للأستاذ فتحى عثمان هو عبارة عن بحث مركب في دولة

المسلمين في تطويق فرعون بالكفر وخلوده في النار ، كما اعتبر المؤلف كلام ابن عربى نفسه في كتابه فصوص الحكم مدخولا مدسوساً عليه ، وتمسك بقوله تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً ، تمسك بهذه الآية دليلاً قاطعاً على عدم قبول توبة فرعون . . هذا وقد أثبت الأديب المحقق ابن الخطيب الذى بذل مجهوداً مشكوراً في تحقيق النصوص والتعليق عليها ، أثبت بعد الرسالتين رأى السيوطى في ابن العربى ، ومؤداه أن لا تقطع فيه برأى ، وأثبت أيضاً رأى ابن حجر فيه ، فذكر أن ابن العربى لم يرد إثبات إيمان فرعون بدليل ما سبق عنه في الفتوحات ، وإنما قصد أن الأدلة في كفره ليست قطعية .

وبعد - فالقضية قضية شائكة كما قلت ، لكن المعروف أنه لم يشذ عن إجماع علماء المسلمين في موت فرعون على الكفر غير ابن العربى إن ثبت عليه ما نسب إليه في كتابه الفصوص .

وأما تأييد بعض تلامذته لآرائه فلا يعتمد به ، لأنهم على منواله ينسجون ، وحتى المعتزلة المعروفون بالتفكير الحر لم يذموا

العامه وموجهاتها العليا مصدرها الله وبيانها
الوحي في الكتاب والسنة ، فهى القانون
الاعلى لكل من تقبل عقيدة الإسلام وأقتنع
بمنطق الإيمان .

كتب جديدة

مطلع النور

تأليف : عباس محمود العقاد

الناشر : دار العروبة بالقاهرة

يقع الكتاب في مائتين وخمسين صفحة
من القطع المتوسط ، وهو دراسة مدار
البحث فيها على البعثة النبوية ، وما تقدمها
من أحوال العالم ، وأحوال جزيرة العرب ،
وأحوال الأسرة الهاشمية ، وأحوال أبويه
الشريفيين .

تناولت الدراسة في الفصل الأول الطوابع
والنبوءات وما تضمنته الكتب الدينيّة
السابقة من بشارات برسول الله ، وفي الفصل
الثاني مقدمات النبوة ، وفي الفصل الثالث
النبوة المحمدية ، وفي الفصل الرابع سيد
الأنبياء . وفي الفصل الخامس الإسلام
دين الإنسانية ، وفي الفصل السادس الكعبة ،
وفي الفصل السابع والآخر أسرة النبي
صلوات الله عليه .

الفكرة التي أقامها رسول الإسلام عقب الهجرة
هذه الدولة التي يراها المؤلف حلم البشرية ،
لا تقوم على حتمية ظروف الأرض أو الدم ،
ولكنها تقوم على اختيار الإنسان بوعيه
الكامل وإرادته الحرة ، ولقد كانت هذه الدولة
التي أقامها رسول الإسلام في المدينة عقب
الهجرة تجربة حية مبكرة للدولة الأيديولوجية
في التاريخ ، لم تكن دولة مكة أو قريش ،
ولا دولة المدينة أو الأوس والخزرج ،
بل كانت دولة الإسلام المعروض على عقل
كل إنسان .

في هذا البحث عرض المؤلف للبناء القانوني
للدولة ، أركانها الثلاثة : الأمة والسيادة
والإقليم كما عرض للمكيان المعنوي للدولة
الإسلامية ، وأنها كانت أرحب في آفاقها
من الدم والأرض والسكان والإقليم ، وعرض
لأيديولوجية الدولة المسلمة ، وأنها ترفض
الولاء التقليدي ، لأنها تقوم على أمة العقل
والفكر ، أمة الحجّة والدليل ، أمة الحق
وحده ، ثم عرض لعالمية الدولة الإسلامية ،
وختم البحث بدراسة مستفيضة عن العقد
الاجتماعي والتضامن الاجتماعي ، فناقش
آراء الفلاسفة الذين أجهدوا عقولهم ليعيّنوا
شرعة العدل ، مثل روسو وروباتشوف ،
وديجي ، ثم عقب بقوله : إن الفلسفة
التشريعية للأيديولوجية الإسلامية في مبادئها

انبثاء وآراء

حول جمع القرآن وتدوينه :

جاء في مناقشة السيد الدكتور الامواني للآب الفريد هافنيت قوله : « ولكن هؤلاء العلماء ، وهم من المستشرقين ، لم يشكوا أبدا في القرآن ، لأن تدوينه وحفظه تم في زمان مبكر في عهد عثمان بن عفان ، وروعيته في كتابة المصحف ضمانات شديدة تبعد عنه أى شك ، وتبينا بالتحقيقة أقول :

إن القرآن الكريم كتب ودون جميعه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم غير أنه كان مفرقا في العصب ، واللخاف ، والاكتاف ، والرقاع ، وأنه كان محفوظا جميعه في عهد النبي حفظه عن ظهر قلب العدد الكثير الذين يثبت بهم النواتر المفيد للقطع واليقين ، وهذا أمر استفاض به النقل الصحيح الموثوق به ، فلما توفي النبي ، وحدثت موقعة اليمامة التي استشهد فيها كثير من القراء أشار الفاروق عمر على الخليفة الأول أبي بكر أن يجمع القرآن في صحف بمجموعة ، وبعد مناقشة بينهما وافق الصديق على كتابة القرآن في مكان واحد بدل كتابته مفرقا ، وقام بهذا العمل العظيم الصحابي الجليل : زيد بن ثابت

أحد كتاب الوحي الامناء بين يدي الرسول لجمعه بعد تحرر وتوثق بالغين ، وقد حفظت هذه الصحف عهد الصديق ، ثم عند عمر ، ثم عند حفصة حتى طلبها منها عثمان في جمع المصاحف في عهده .

فلما كان عهد عثمان واتسعت رقعة الإسلام ، واختلف بعض المسلمين في القراءات كل يزعم أن قراءته خير من قراءة الآخر ، وأى عثمان ورأى معه الصحابة أن يكتب القرآن بحرف واحد وهو حرف - لغة - قريش ، وهو أحد الأحرف السبعة التي نزل بها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم تيسيرا على العرب آثذ وتسهيلا ، فندب لهذا العمل الموفق زيد بن ثابت ، ومعه ثلاثة من خيار المسلمين وحفاظهم وهم : عبد الله بن الزبير ، وصعيد ابن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فكتبوا المصاحف العثمانية من حين ما كتب في الصحف التي جمعت في عهد الصديق مقتصرين على حرف قريش ، ثم ردوا الصحف إلى حفصة ، ثم وجه عثمان إلى كل قطر من الأقطار الإسلامية المشمورة بمصحف ، وأمرهم بالالتزام القراءة على ما فيه ، وأبقى

إلا تحت جنح الظلام... حتى إذا ما انبجج النور
اختفت، وتولت بالحجاب... لأن عينها
الضعيفتين لا تقويان على مواجهة النور ! .

نرى هذه الحفافيش البشرية، تعيش بيننا
فسادا... في بيوتنا... وفي دوائر أعمالنا .
تجارتها الوقيمة، وهدفها الوصول بأى ثمن
ولو على أشلاء الأبرياء ! ...

أشد ما يغضبهم، وينخص عليهم حياتهم ،
أن يروا الناس في صفاء... متحابين...
فيكبدون صفوهم بما يروجونه حولهم من
شائعات كاذبة، وانهايات باطلة، يفرقون
بها بين المرء وزوجه... وبين الأخ وأخيه
وبين الابن وأبيه... وبين الصديق وصديقه
حتى إذا ما نجحت خطتهم الدنيئة، طابت
أنفسهم، وقرت أعينهم، وراحوا يبحثون
عن صيد جديد... وما أكثر ضحاياهم ؟ ...
ولو أن هؤلاء الذين يعيشون في الظلام
استعانوا بهذا الذكاء الخارق في نواحي الخير
والإصلاح بين الناس، لمكان خير أ لهم وأقوم
ولكسبوا محبة الناس وعاشوا معهم...
في النور !! ...

ولو أنهم تفقوا هذا الوقت الذي يضيقونه
في تدبير المؤامرات فيما ينفعهم، وتذوقوا
لذة الخير... لما وجدوا أطيّب منها مذاقا ! .
ليتهم يستمعون القول، فيقبعون أحسنه ! .
عيسى متولى

لنفسه مصحفا وهو ما يعرف بالإمام ،
وبهذا العمل الموفق قضى على الخلاف ،
ووفى الله المسلمين شر الفتنة .

ومن ثم يتبين لنا أن القرآن كله كان
مكتوبا محفوظا في عهد النبي ، وأن ما
كتب في عهد عثمان هي المصاحف العثمانية
والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد
في الدنيا الذي توفرت له من الضمانات ،
والإنبات التاريخية اليقيني ما لم يتوافر لغيره
من الكتب ، فقد نقله عن النبي الجمل للغير
من الصحابة ، وهنم نقله وحفظه الآلاف
وهكذا تناقله الآلاف عن الآلاف حتى
وصل إلينا كما أنزله الله سبحانه من غير
زيادة ولا نقصان ، ولا تحريف ولا تبديل
مصدقا لقول الحق تبارك وتعالى : : إنا نحن
نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ، وعسى أن
تكون لى عودة لتجلية هذا الموضوع الجليل
إن شاء الله تعالى ؟

د . محمد محمد أبو شهبه

الذين يعيشون في الظلم !! ...

لأنهم طائفة من الناس ، لا يستطيعون
العيش إلا في الظلام ...

في ظلام الريب والظنون ... وتدبير
المؤامرات ضد الأمنين ... وضد الناجحين .
مثالهم كمثل الحفافيش ، التي لا تخرج

في محيط العالم الإسلامي

يقدمه : محمد عبد الله السمان

المؤمن للؤمن كالبنان يشد بعضه بعضاً ،
وأن المسلمين يجب أن يكونوا يداً واحدة
على من سواهم ...

ولذا كانت الشعوب المسلمة قد نسيت ،
فأن علماء الدين ، وهم من الكثرة بمكان ؟
يصيحرون دائماً في الشعوب ليوظوا فيها
إحساساتها ، ويحركوا مشاعرها نحو قضية
فلسطين العربية المسلمة .

هذه ألمانيا الغربية تتعدى أربعمائة
مليون مسلم أو يزيدون ، وكأنما حق على
هؤلاء الأربعمائة مليون أن الله عز وجل :
« وتحتسبهم أيقاظاً ، وهم رقود ، صدق
الله العظيم . »

أخبار قصيرة :

« صدق الحاكم العام في غزة على قانون التجنيد
الإجباري ، بعد أن أقره المجلس التشريعي
الفلسطيني ، وأصبح بذلك نافذ المفعول . »

« أصدر الرئيس الجزائري : أحمد بن بيللا
أمراً بالعفو عن عدد من المسجونين
السياسيين أثناء زيارته لسجن ناربوروس ،
بمناسبة المؤتمر الذي عقدته منظمة المجاهدين

لماذا العرب وعمرهم ؟

ليست قضية فلسطين عربية محضة لأنها
قطعة من أرض العرب ، فالحقيقة التي
لا جدال فيها ، إن فلسطين أيضاً بلد إسلامي
لما ودما ، فيما ثالث الحرمين ، وأرضها
مهيطة عديد من الأنبياء والرسل - صلوات
الله عليهم .

ولذا كانت الشعوب العربية قد عقدت
العزم على أن تنتصر لقضية فلسطين ، وأن
تمحو الوصمة التي ألصقتها الصهيونية الآثمة
مجبئها منذ سبعة عشر عاماً . فتسترد الأرض
السليبة ، وتستعيد كيان أكثر من مليون
لاجئ . فليس معنى هذا إعفاء الشعوب
المسلمة قاطبة من واجب المشاركة في الجهاد
من أجل فلسطين ، فليس المجال يحل فرض
كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين ،
ولأنما هو فرض عين ، مادام هدوانا
ما قد وقع على أرض إسلامية كما يقول فقهاؤنا .
لماذا أسهم يهود العالم جميعاً في وجود
إسرائيل ، ولم يزالوا يسهمون ، ويتقاعد
المسلمون من لصره إخوانهم في العقيدة ؟
أنسى المسلمون أن المؤمنين إخوة ، وأن

خلال جولته في غرب الجزائر بأن : رسالة الثورة الجزائرية عربية إسلامية منبثقة من صميم واقع بلادنا .

* بلغت المساعدات الاقتصادية الأمريكية لباكستان في العام الماضي أكثر من ٤٠٠ مليون دولار، ومن الجدير بالذكر أن الصين الشعبية قدمت لباكستان، قرضا قدره ستون مليون دولار، وأن الاتحاد السوفيتي أعلن استعداداه أيضا لتقديم قرض قيمته سبعون مليون دولار .

* حث فرع منظمة الملايو الوطنية الحاكمة في أراو بشمال الملايو حكومة ماليزيا على سحب اعترافها بإسرائيل .

* زار القاهرة وفد السلام الياباني بعد زيارته للقدس ، يضم الوفد هشرين عضوا يرأسهم حميد جامعة ريكيو اليابانيه ، وذلك ضمن جولة إلى بلاد الشرق الأوسط لغرض منها الدعوة إلى السلام في العالم ، ومناقشة المسائل الدينية ، قابل الوفد الامام الأكبر شيخ الأزهر ، والشيخ المهندس أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء لشئون الأوقاف والأزهر ، الذي أوضح للوفد مبادئ الإسلام ، ودورها في تدعيم السلام ودور وزارة الأوقاف في نشر المعرفة والدين والتطور الذي تم في جامعة الأزهر .

محمد عبد الله السمانه

القدماء والأحياء ذكرى المعتقلين السياسيين الذين توفوا في السجن أثناء ثورة الجزائر .

* تدرس وزارة الأوقاف بالقاهرة مشروع مساهمة في إنعاش الجامعة الإسلامية الجديدة في الباكستان . جامعة تعليمات إسلامية ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الجامعة سيدرس فيها العلوم الإسلامية والعربية باللغة العربية .

* أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة تعيد النظر الآن في جميع علاقاتها بأندونيسيا ، وذلك بعد إغلاق جميع مكاتب الإعلام الأمريكية في أندونيسيا .

* أصدر المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في مقديشيو عاصمة الصومال قرارات تقضي بإنشاء هيئة استشارية للشئون الدينية الخاصة بالمسلمين الأفريتيين ، وقيامه معهد لتدريب رجال الهيئات الإسلامية ، وإنشاء سوق مشتركة بين الدول الإسلامية في آسيا وإفريقيا .

* وكذلك أصدر المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في جاكرتا عاصمة أندونيسيا بياناً دعا فيه الشعوب الإسلامية إلى التضامن في الكفاح ضد الاستعمار بشكليه : القديم والجديد ، وندد البيان بالأعمال الإجرامية التي يباشرها الاستعمار في الجنوب العربي و عمان وفي انجولا وموزبيق ، وقرر المؤتمر تشكيل سكرتارية دائمة لل مؤتمر يكون مقرها في أندونيسيا .

* صرح الرئيس الجزائري أحمد بن بيل

News From The Muslim World

By : Muhammad Abdullah El - Samman

* The Secretary general of the Islamic Researches Academy of AL-Azhar has extended the invitations to forty (40) countries and a number of important personalities from all over the world, to attend the Second conference of muslim Scholars, to be Commenced in Cairo from the middle of May 1965. It is understood that the muslim Scholars will hold a Special Session of the Conference in Gaza Strip to discuss the Palestine problem. A large number of Palestinian Scholars and leaders, and the members of Palestine Liberation Organisation, will attend the Session.

* Just a few months ago an Islamic Conference was held in the capital of Somalia. The Conference has recommended in a resolution, to form an advisory body to look after the religious affairs of the African muslims. It also recommended to establish a training centre for muslim Scholars.

* The Faculty of Islamic law of the Al-Azhar University has started an institute of higher Studies, in the premises of the ancient Al-Azhar Mosque. It will facilitate to teach Islamic studies and Arabic literature for the foreign Students and the

obtainers of Al - Azhar Secondary certificates or its equivalent. After the completion of four year course, they will be given a certificate equivalent to the Al-Alamia degree.

* The grand Sheikh of AL-Azhar, H. E. Hassan Al-Mamoon presided a meeting of the Scholars of Islamic Jurisprudence. the meeting discussed the possibility of preparing an encyclopedia of the legal Schools of the muslim jurisprudence and to translate it into living languages; to bring nearer the different Schools of Islamic faith and provided the non-muslims with the heritage of Islamic jurisprudence and thought.

* keeping in view the historical importance of the city of Jerusalem, the Jordanian parliament has passed a bill, banning the possession of land or building in that city by foreign or Jordanian Companies and religious Societies.

* It is reported that Japan will undertake a project to build a railway line between Nigeria and Sudan to Connect the Lagos City (in the Nigeria) with port Sudan. The project will cost £ 30 million. This link will help the muslim pilgrims coming from west Africa.

Sheikh Al-Azhar Answers

H. E. Sheikh Hassan Mamoun, the grand Sheikh of Al-Azhar, received on March 21st. Mr. IB REHNE of the Danish State Radio. He asked his Eminence four questions about Islam and the message of Al-Azhar.

Q- Al-Azhar is regarded as the spiritual centre of Islamic world. Is it still so ?

A- Al-Azhar was, and is still and will be, the spiritual centre of the Islamic world for it devotes its message to the education and the preservation of Islamic heritage as prescribed in the holy Quran and the Sunna both of which are the chief source and foundations of Islamic legislation. Since the establishment of Al-Azhar up to the present day, it has undertaken the preaching of the Islamic call through out the world. Also it is the theological stronghold of Islam to which Muslims from every part of the world come to study Islamic faith and return to their countries to be the messengers of Islam.

Q- Does Al-Azhar play, a political role in the Middle East ?

A- The U.A.R. Policy in the Middle East is founded on positive neutrality and Non-alignment and the liberation and unity of the Arab and Muslim people. Besides; Al-Azhar teaches these principles to the sons of the Middle Eastern countries and others. In all this Al-Azhar conforms to the teachings of Islam and the funda-

mental principles which are enjoined by the Quran and prescribed by the Sunna on condition that they are not opposed to the spirit of the legislation stated by God.

Q- To what extent does Islam correspond with modern Arab Socialism ?

A- Arab-socialism is represented in sufficiency and justice, which are the two main aims of the Islamic faith.

Q- Does the government ask the opinion of Al-Azhar before issuing a new Socialist law ?

A- Socialist laws issued by the government aim at granting the interests of both the individual and society, at the prevailing of justice, at the eliminating of class differences and at the establishing of equality of rights and duties among the citizens. Al-Azhar approves these principles for Islam approves and promulgates them, & Al-Azhar does not hesitate to co-operate with the Government in issuing any Islamic Legislation that aims at the common Good so long as it is not contradicted to any statement in the Quran and the Sunna.

Translated By :
FATHY HAMMAD

Member of the office of Sheikh Al-Azhar

The Qur'an says :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . (٥٩ / ٧) .

And whatsoever the messenger giveth you, take it and whatsoever he forbiddeth, abstain (from it). (7/59)

It also says :

« وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى » . (٥٣ / ٤ ، ٣)

« Nor doth he speak of (his own) desire. It is not save an inspiration that is inspired. »

The prophet also very often emphasised the importance of tradition as a guide for his followers. He was happy at the reply of Mu'ath ben Jabal who said to him when he was appointed as an official in Yeman that he would follow his prophet's tradition if he failed to find guidance in the Qur'an.

Almost all the companions, however decided the cases with which they had to deal, on the basis of of the traditions, of the prophet, if they failed to find any guidance in the Qur'an, and followed their opinions only when they could not find any tradition on the subject, but as soon as they came to know

of it, they changed their decisions if necessary and followed the tradition :

There are three kinds of traditions :

1) It may be a saying of the prophet which has a bearing on a religious.

2) It may be an action or practice of his.

3) or it may be his silent approval of the action or practice of some person.

There is an important notice in this connection that the idea at prophethood in Islam is very different from that in christianity and some other religions, as it has explained in the Qur'an at many places. In Islam the prophet is neither a God nor an angel nor a demi - god - He is a human being like other human beings, having the same needs and requirements as they have. The important difference between the prophet and other human beings is that he is gifted with a special capacity to receive inspiration from God, and possesses great keeping related to all that, self control, self confidence and great capacity for influencing the thoughts and activities of people at large, and leading them to the right path.

Tradition is the Second Source of Islamic Law

By

IBRAHIM M. EL - ASSIL

ISLAMIC RESEARCH ACADEMY

The Qur'an is the first source of Islamic Law. It is considered the eternal miracle of Islam and has been revealed in parts at different times during a period of twenty three years, as necessity demanded it. The Qur'an is comparatively short, so it contains the general principles by which all matters as dogmatic, ritual legal political and social questions should be regulated.

It is therefore essential to interpret and elaborate the relevant texts.

The natural, and indeed the only possible interpreter whose judgement can be trusted is the prophet through whom they were revealed; According to the Qur'an itself this prophet was possessed not only the Qur'an but also the wisdom. Allah says :

« وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ » (٤/١١٣)

« Allah revealeth unto thee the scripture and wisdom and teacheth thee that which thou knewest not » (113 / 4)

In addition to these important sources of Islamic Law there are the other two sources, analogy

(qiyàs) and consensus (Ijmaà) when a new problem, which is not covered by a clear statement in Qur'an or tradition arises, the jurists look for a case resembling it in the Qur'an or in the tradition, and by reasoning on the basis of analogy, arrive at a decision, that process called analogy and it is counted as the third source of Islamic Law.

The well-known learned men of Islamic Law, in looking for a solve to a new problem, may gather together and consult and if they agreed upon one opinion (by a majority, this process represents the fourth source of Islamic Law «Consensus of opinion) "Ijama". »

That is about the four sources of Islamic Law in general but in the following I shall confine my saying to the second source "tradition" Hadith.

The importance of tradition as an important source of Islamic Law has been laid down in the Qur'an, emphasised by the Prophet, recognized by his successors, and accepted by all the Muslim jurists.

In this way Islam achieves equality, fraternity, and sympathy amongst the individuals of the society. It does not open its breast to grudge between the members of the society, and sinks all differences to the bottom.

God has Said in his Holy book "the Qur'an" the great story of Korah whom God had bestowed richness on him, but he declared that nobody had a right in his money, and thought that he had gained it with his own efforts, and thus nobody had a right to take anything from him. In the end he faced damage and was smashed.

Korah was of Moses' folk but he oppressed, and behaved haughtily towards them, for God had given him such treasure that its keys would have burdened a company of men of strength, when his people said to him "exult not, for God loves not those who exult, but seek the future mansion, and neglect not your part in this world, but be bounteous to others as God has been bounteous to you, and seek not to commit excesses on the earth, for God loves not those who commit excesses. He said : It has been given me only on account of the knowledge that is in me.

Did he not know that God had destroyed before him generations

they were mightier than he in strength and has amassed more abundant wealth ? But the wicked shall not be asked of their crimes.

God imposed with the same intention to eliminate class disparities between the rich and the poor, the Zakat of the lesser Bairam. God considers it a duty which completes the obligation of fast.

In this way God enables the rich to lend a hand to the poor, and leads to them a happy life, filled with felicity, and free from misery.

Thus good temper oils the wheels of life, and no hatred is born in the hearts of the poor towards the rich, and no reproaches are heaped or borne on the back of the latter. This does make the rich friends indeed to those who are in need.

Some people do not find the opportunity to eat their fill except on the days of greater Bairam.

On the day of Ashouraa alms are given to poor on occasion of these blessing days and auspicious nights

Thus Islam undertakes the rights of the poor, and grasps reciprocal responsibility to achieve justly social security amongst the people.

condition is to reach a certain limit which is considered the law portion to richness. The Muslim jurists considered the wealth which is below this partition exonerated from this due.

Muhammad, the messenger says "Aim is imposed on the back of the rich".

It is paid provided that it is growing wealth in order one may pay it through one's wins. In this case his capital does not decrease. This condition is not imposed only on increasing money but also on money liable to increase and prepared to grow.

One who keeps his money in the bank, and does not fructify his wealth, and invest his money in any project must pay this due because his money is capable of being increased, but its owner declines to make use of it.

The condition which should be fulfilled to have growing money is to reach a certain portion as it was mentioned, but it should pass one year in order to wipe out any suspect of being not increased.

It must be the remainder after its owner has been satisfied, because if one is in need of money to spend on himself or on his family, or to

pay his debts one is not in any respect a rich man. Thus this one must not pay the poor due. If One is compelled to pay this due it will be taken in this case without One's free will, but forcibly.

God says in the holy Qur'an : "And they ask thee what they ought to spend, say that which is superfluous. Thus Allah maketh plain to you. His revelations that haply ye may reflect "Surah II. 219.

God wished moderation in what is paid to the poor in order to allow the poor to feel justice, and to enable the Rich to pay this due with satisfaction. One should pay two and a half percent of One's money, whether it is from gold or silver, or bank-notes, or the costs of commercial goods. Four per cent of the harvests of the fields which owner irrigate them should be paid as a duty. In every twenty Ardels (unity of capacity) of cow, or barley, or rice which exceed the need of their owner, he should give half ardeb to the poor and needy.

The owner of the sheep, the cows, and the camels which pasture and graze nearly in all the year should pay a certain duty mentioned in the Islamic law.

One pound should be paid as zakat on every forty pounds which one owns above One's necessity.

Lo ! Thy prayer is an assuagement for them. Allah is Hearer, knower.

God also says "Worship none save Allah (only) and be good to parents, and to kindred, and to orphans, and the needy, and speak kindly to mankind, and establish worship, and pay the poor due".

Thus Zakat is one of the pillars of Islam which fills the gap between the rich and the poor, and abolish loathsomeness, and hatred towards the former class.

No wonder Muhammad the messenger says "Islam is established on five pillars: the witness that there is no God save Allah, and Muhammad is the messenger of God, to establish worship, and to pay Zakat, or the poor due, to keep fast, and to visit the holy land, and go on pilgrimage to those who are capable to pay this visit.

A man from the tribe of Tamim came to Muhammad and said "Oh Messenger: I have much money, and numerous relatives, and I own a great city. Tell me, then, what can I do, and how do I spend my wealth ? The messenger addressed him : You pay the poor due "Zakat" from your money because it purifies it, intimate relations with your relatives, know the right of the indigent, your neighbour, and the medicant.

Thus Zakat is a part from the money, or the wealth of the rich which God has enacted. It is paid in eight respects which God has nominated. The alms are only for the poor, and the needy, and those who collect them, and those whose hearts are to be reconciled, and to free captives, and the debtors, and for the cause of Allah, and for the wayfarer. It is a duty imposed by Allah.

A special portion of Alms was allotted to the people of Mecca, the former enemies of Islam, who were converted en mass after the capture of the city and whose hearts are reconciled.

The alms should be given to those who are absolute paupers, those who are in some temporary distress. This due is not only an ordinance from God but also a remedy for the shattered hearts, and stillness for the puzzled souls.

When God has imposed this due he has kept in view justice in the money of the rich, and mercy on the poor. God acts to fit the interests of the rich to the sustain of the poor, and complies with the principle of economy in spending money, and paying heed to the conditions which should be fulfilled in every just tax.

The legislator has put a condition to impose the poor due. This

Social Security in ISLAM

By : Dr. GAMAL ELDIN ELRAMADI

Amongst the Islamic principles which Islam has imposed on the Muslims to achieve social security is to urge every capable man to work and not to remain idle because idleness seems as weeds which grow apace in the heart of the unemployed. It brings mischievous thoughts, and arouses revenge towards those who can gain easily their livings and pick up the threads of a happy life.

Islam appeals to make co-operation amongst the individuals of the society. This co-operation is a protective shield against separation and crack. It avoids the arrival of disasters, the spread of misery, indigence, and penury.

Islam has prescribed some ways to cure these maladies, and wipe out these ailments, and thus rescue the Islamic society from the perils which threaten it and lead it to damage.

The ways which Islam has surveyed to abolish these pests and nuisances open the gates to sustain the poor, and miserable.

God does not consider this help a sort of contribution or alms but a

legal right which should be paid to them. Not only God does not confine this right to the wealth of the rich but also God particularizes a special part for the poor in the revenue of the state.

We are going to explain briefly what Islam has done to combat poverty, deal with the poor benevolently, and beneficently, and we will notice clearly that Islam is without misgiving, and doubt the religion of mercy, godliness, and sympathy. If the Muslims stick to their religion, and execute its orders, they will be exceedingly happy and will abolish misery, and solve the problems of poverty.

At first, Islam has enjoined Zakat, or the poor due which is one of the pillars of Islam. God says "But if they repent and establish worship, and pay the poor-due, then they are your brethren in religion. We detail our revelations for a people who have knowledge" (Surah the Repentance IX. II.) God says also "Take alms of their wealth where-with thou mayst purify them and mayst make them grow, and pray for them"

when he was about to die. He said in his last minutes : "Keep up the Prayer. Keep up the Prayer..."

Observing the Prayer is so important in Islam that it is required to be performed in all cases : staying and travelling, in security and in case of danger. God, the Almighty; says : (Guard the Prayers and the Most Excellent Prayer, and, stand up truly obedient to God. But if you are in danger, say your Prayers on foot or on horseback. And when you are secure, remember God as He has taught you what you knew not.)

He, the Almighty, spoke in the most threatening language about those who neglect the Prayers, in such as these Verses :

(But there came after them an evil generation, who wasted prayers and followed bad desires, so they will meet perdition).

"So woe to the praying ones, who are unmindful of their prayer".

It is reported through Abdullah ibn Amr ibn al-As that the Prophet said : "Whoever Keeps up the Prayer, it will for him a light, an evidence of security, and a cause safety in the Day of judgment. And whoever wastes the Prayer, it will not be a light for him, an evidence of security, of a cause of safety

in the Day of Judgment. Such as this will be gathered among Qarun, Pharaoh, Haman, and Obayy ibn Khalaf." The great scholar Ib Al-Qayyim commented on this saying of the Prophet in this way : "That who wastes the Prayer is either occupied too much by his money, his Kingdom, his high office, or his trade. The first will be among the company of Qarun, the second among the company of Pharaoh, the third among the company of Haman, and the last among the company of Obayy ibn Khalaf."

QUESTION

Did Islam lay special conditions in the performance of the Prayers ?

ANSWER

There are some conditions that should be realized before the performance of any Prayer, such as cleanliness of clothes, body, and place covering the private parts of the body and facing the direction of Kaaba in Mecca. There are some other immaterial conditions that are required to be realized during the performance of the Prayer, the most important as which is humility. The Prayer is not mere words and movements like the quick movements of birds and animals. The accepted Prayer is the one that is performed in meditation, humility, and fear of God.

QUESTION

If prayer was common in all divine religions, what, then, is the difference between prayer in Islam and in other religions ?

ANSWER

Prayer in Islam is a perfect and organized institution. It is not mere words of appeal and call to God. It is rather both action and speech fulfilled by meditation, heart, tongue and whole body. Islam laid out some conditions in order that the Prayer be valid, that is, cleanliness, well dressing, and facing the direction of Ka'aba in Mecca. Prayer should be performed in definite times, and each prayer of a given time has special sequence. Some times the Prayer may be performed individually or with the congregation, and some times it should be performed with the congregation. It is called out for in a special manner and special words. Therefore, the Prayer of Islam has no parallel in any other religion.

Prayer in Islam includes all physical kinds of respect and veneration, such as raising hands, standing, bowing down, prostration, and appeal. People usually resort to one kind or another of these symbols of respect when they meet important personalities. But the Prayer included all known kinds of respect in

successive actions, in gratitude to the Creator, and in adoration to His Mighty Presence. Thus, Prayer begins by the declaration "Allahu Akbar" that is, God is the Greatest, accompanied by raising hands to the sides of the face, as a sign of respect. The praying one, then, stands reading "Al-Fatiha" which is known as "the Mother of the Qur'an", then he bows, and prostrates to the ground twice saying in all these movements "Allahu Akbar". The prostration in the Prayer indicates that people should venerate their Lord, Who is the Sole King and Creator, in a manner that is not allowed to be done to other than Him.

QUESTION

How important is the Prayer in relation to other kinds of worship in Islam ?

ANSWER

Prayer occupies the most important position in the Religion. The Prophet said : "The foundation of every matter is Islam; the pillar of Islam is Prayer; and the crowning end of it is the Jihad or strife in the cause of God." The Prayer is the first thing one is questioned about in the Day of judgment according to the Prophet in one of his sayings. The Prayer was commanded by the Prophet even

God, the Almighty says to Abraham and Ismail, : (Purify My House for those who visit it and those who abide in it for devotion and those who bow down and those who prostrate themselves).

The Angels called out Mary, the mother of Jesus (peace be upon him), saying in this Qur'anic Verse :

O Mary, surely God has chosen you above the women of the world. O Mary, be obedient to your Lord and humble yourself and bow down with those who bow ”.

Jesus (peace be upon him) spoke about the favours of God on him and said, according to the Qur'an :

And He has made me blessed wherever I may be, and He has enjoined on me prayer and poor-rate so long as I live.

God praises Ismail in this Verse :

(And he enjoined on his people prayer and almsgiving, and was one in whom his Lord was well pleased).

In his advise to his son, Luqman said in these Qur'anic words :

(O my son keep up prayer and enjoin good and forbid evil, and bear patiently that which befalls you.

Surely this is an affair of great resolution).

When God made a covenant with the Children of Israel, He made prayer one of the most important obligations in that covenant. The Almighty says :

“ And when we made a covenant with the Children of Israel : You shall serve none but God. And do good to your parents, and to the near of kin and to orphans and the needy, and speak good words to all men, and keep up prayer and pay the poor-rate . . . ”

And :

(And certainly God made a covenant with the Children of Israel, and We raised among them twelve princes. And God said : Surely I am with you. If you keep up prayer and pay the poor-rate and believe in My messengers and assist them and offer to God a goodly gift, I will certainly cover your evil deeds, and cause you to enter Paradise wherien rivers flow. But whoever among you disbelieves after that, he indeed strays from the right way).

From all these texts, it is evident that prayer is an old worship called for by all Prophets and all divine religions, and it was not an exclusive to Islam.

PILLARS OF ISLAM

(1)

By : Abdul Wadood Shalaby

What is the first worship obligated in Islam ?

Prayer is the first worship obligated in Islam. It was made obligatory before Hijra by about three years. The way it was made obligatory shows how important is it in the eyes of God. Prayer was legislated exclusively in heaven during the Night of Ascension "Isra'" by a direct order from God to His servant Muhammad.

It is a known fact that governments call out their ambassadors for consultation in important matters where correspondence is not sufficient. Muhammad is the Messenger of God to His service. Being called by his Lord to ascend to the high heavens to give him the order about Prayer is a great evidence of its importance. The Prophet said in his Tradition of Ascension :

"God, the Almighty, made obligatory on my people fifty prayers. I returned carrying this divine order and I passed by Moses (peace be upon him) when he said : What has God made obligatory on your people ? I said : Fifty prayers.

Moses said : Go and consult your Lord, Exalted be He, for your people could not bear it. I returned to my Lord, and He put off some of the prayers. Then I went back and told Moses who said again : Go and consult your Lord, for your people could not bear it. When I returned to my Lord, He said : They "the Prayers" are five "in number" and fifty "in reward". No change there will be to My order. When I went back to Moses and he asked me to consult my Lord again I said : I am ashamed of my Lord, Exalted be He".

QUESTION

Is Prayer an exclusive worship of Islam, or it was also practiced in other divine religions ?

Prayer is one of the oldest kinds of worship in all religions. When Abraham (peace be upon him) migrated with his family to the barren valley of Mecca, he said what is reported in the Holy Qur'an :

"Our Lord, that they may keep up prayer ; so make the hearts of some people yearn towards them, and provide them with fruits ; so that they may be grateful".

mercy and prosperity, He is the owner of life and death.

This belief creates in soul of man courage and bravery, because he will have no fear of any power and will not be subject to any one but the cherisher of the worlds. Also this belief creates in him humility, for he knows that there is no power and distinction except from God. He can not feel pride over others because he realizes that there is no distinction between man and man except through good actions.

This faith also creates in him will of power for he is not dismayed by misfortune nor despair. He knows that the power of God is above all the powers. Those who believe in the supreme authority of God will be free from greed, envy, and he will follow the way of truth in his all actions because he is sure that his creator knows every thing. He is nearer to him than himself. The prophet Muhammad commanded :

« اعبد ربك كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

(Serve your God as if you see him, if you see him not he sees you) The belief in the existence of God and His oneness obliges one to act according His Laws and orders and he will hasten to do good Services and actions, for the benefit of all human kind.

The belief in the Day of Judgment is another vital force that incites man to elevation in this life.

It is a basic principle of Islamic faith. This Day is the end toward which every one will be returned. The holly Quran says :

« وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأن إلى ربك المنتهى » .
(النجم : ٣٩ - ٤٢)

(And that man can have nothing but what he strives for. And that his striving will be seen. Then he will be rewarded for it with the fullest reward. And that to your Lord is the Goal.

The Holy Quran States that the life of everyone, with its reward or punishment, abiding in paradise or Hell, depend upon the course of his life in this world. The Almighty Allah Says :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »
(الزلزلة - ٧ ، ٨)

(So he who does an atom's weight of good will see it; And he who does an atom's weight of evil will see it).

« فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » (التازعات ٣٧ ، ٤١)

(Then as for him who is inordinate, and prefers the life of this world; Hell is Surely the abode. And as for him who fears to stand before his Lord and restrains himself from lust the Paradise is surely abode).

The Effects of the Belief in the Oneness of God

BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The first basic principle of Islam is faith. The basis of Islamic faith is to believe in the existence of God and his oneness. This faith is realized by the first sentence of "shahada" of the witness : « لا إله إلا الله » (there is no god But Allah.) The belief in the oneness of God is the key of Islamic faith. The Holy Quran Says:—

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . »

(Say : He is Allah, the one ! Allah, the eternal, the absolute, He begets not, nor was begotten. And there is nonelike Him.) He is the creator of this universe. And there is no creator but He, no partner to Him. He is the onlyone who is distinguished by worship and he is the sole cherisher of human kind.

Nobody is asked for help or mercy save him. His mighty being is beyond limited human comprehension. He is the All Kind, All Knowing, He Knows all things both secret and open. He is Merciful and Beneficent, He is the Source of peace and safety. Quran describes attributes of Almighty, Allah, in this verse :

الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم . له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء . وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم .

(Allah ! There is no god but He, The ever-living the self subsistent by whom all subsist. Slumber overtakes Him not, nor sleep. To Him belongs what ever is in the heavens and what ever is in the earth. Who is he that can intercede with Him but by His permission ? He Knows what is before them and what is behind them. And they encompass nothing of his Knowledge except what he pleases. His Knowledge extends over the heavens and the earth and the preservation of them both tires Him Not. And he is the Most High, the Great).

The believer in the oneness of God will have no fear from anybody and he will not submit him self to any thing but the Real Lord of this Universe. One who believes that there is no god But Allah is, undoubtedly, Knows that there is no harm and benefit except through Him, All authority and power are only to Him. He is the granter of

then granted its guidance.) The same truth is more fully stated elsewhere in the Qur'an as :

« سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى . »

(Praise the name of thy Lord the Most High, who hath created and then given order and proportion, who hath fixed a measure for every being and then granted it guidance).

It is this divine attribute of Cherisher and Sustainer of the Universe upon which much of the argument of the Quran is based, and it may be well, before proceeding further to state that argument briefly.

The first principle of the Quran's argument is an invitation to the intellect to understand and reflect. Over and over again it impress upon the reader that the only path to Truth lies through intellect and reason. Man must try to understand and reflect upon everything he feels or perceives with in himself and outside.

« وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون . »

(For those of firm faith, there are Signs (i.e. Signposts of Truth) (enough) on earth and also within yourselves. Will you not see?).

وكأى من آية فى السموات والأرض يعرون عليها وهم عنها معرضون .

(How many are the Signs on earth and in the heavens which they (carelessly) pass by and from which they turn away (their faces).

If man will but make use of his intellect and reflect on the created Universe, the very first truth that will down upon his realisation will be the fundamental and universal law and discipline and part of an ordered System; there is nothing without good reason or a beneficent ultimate purpose. Were it otherwise, there would not have been this universal discipline and order which so carefully, to the minutest detail, holds together everything in the universe in a single integrated whole.

« خلق الله السموات والأرض باخلق ، إن فى ذلك لآية للمؤمنين . »

(God has created the heavens and the earth with good purpose. Verily, in this there is a sign for those who believe.)

« ولكن أكثرهم لا يعلمون . »

(and: Yet most of them do not know it)⁽¹⁾.

(1) The Quintessence of Islam.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYYAT

DHU'LQA'DAH

1384

ENGLISH SECTION

EDITED BY :

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

MARCH

1965

THE QUR'ANIC CONCEPTION OF GOD-III

By : MOULANA ABUL KALAM AZAD

The next stage of divine guidance is that through the faculties of sense, perception and mental understanding. Beings lower than man lack intellect and reason, but they possess the powers of senses and understanding in the fullest measure necessary for all the functions relating to selfpreservation and reproduction. These powers, it is also to be noted, are not the same kind or degree for all beings, to each is given exactly that power and in that measure which would enable it to live in the environment or that particular state in which taqdir has placed it. The ant is given a relatively stronger sense of smell; the eagle has relatively stronger sight. It would be irrelevant to examine whether these different faculties of animals and insects were so from

the first, whatever that might mean, or whether they developed to meet the requirements of the situation. what is to be noted is that these faculties could not have been so developed by any human or other earthly agency; they are Naturegiven, and Nature has prescribed the laws of existence, adjustment, growth and development which are unalterable.

Thus it is that, after naming Allah, the first divine attribute that this sura directs our attention to is that of Rabbil Alameen, the lord who cherishes, nourishes and sustains everything and guides it to its fulfilment. It was this attribute to which Moses referred when he said:

«قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى»

(Our Lord is he who has given everything its form and nature and

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجريدة العربية المتحدة
٥٠ ضائع بالمرور
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

مجلة الانهر

مجلة شهرية جامعية

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأنهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

تصديق عن شيخنا الأنهر في أول كل شهر عربي

الجزء العاشر - السنة السادسة والثلاثون - ذي الحجة سنة ١٣٨٤ هـ - أبريل ١٩٦٥ م

سما الله العليم الغني

أثر الأدب في ثورة العرب

بقلم : أحمد حسن الزيات

- ٢ -

كان العرب في القرن الرابع للهجرة قد بلغوا من السلطان والعمران ما لم تبلغه من قبلهم أمة ، كانت لهم في عصر واحد ثلاث خلاقات تشع الحرارة والنور في القارات الثلاث : خلافة العباسيين ذات العلم الأسود ببغداد في آسيا ، وخلافة الفاطميين ذات العلم الأبيض بالقاهرة في إفريقيا ، وخلافة الأمويين ذات العلم الأخضر بقرطبة في أوروبا ، وكان العالم القديم كله من شرقه إلى غربه يعيش في ظلال هذا الملك العظيم خاضعا للسرير الحاكين خضوع الجيش للقائد أو القافة للدليل ،

قلت في المقال "سابق : إن الأمة العربية في تاريخها الطويل الحفيل لم يكن لها غير نهضتين : نهضة في القرن السادس كانت بالدين انطلاقا من الجهل ، ونهضة في القرن العشرين كانت بالعلم انبعاثا من الموت ، وكان الأدب في كلتا النهضتين كما قررنا هو الباعث الأول كان في الأولى ومضة المنارة التي تذهب الضلن ، وكان في الأخرى نفخة الصور التي تسبق البعث ، فكيف كان العرب بعد أن تقدموا وقدموا الدنيا ، وكيف صاروا بعد أن تأخروا وأخروا الدين ؟ .

الآداب تهيب في خفوت وحذر بالراقيين أن
يمهوا ، وبالقاعدين أن يمهضوا ، وسمع الناس
أول ماسمعوها صرخات العرب المسيحيين لسوء
سياسة الترك فيهم ، وقسوة الحكام عليهم ،
كفتح آفة مراش ، ورزق آفة حسون ،
وأديب استحق ، وإبراهيم اليازجي صاحب
البائية المشهورة التي نظمها في سنة ١٨٩٦ م
ومطلعها :

فنهوا واستفيعوا أيها العرب
فقد طمى السيل حتى غاصت الركبة
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم
تستغضبون ولا يبدركم غضب
الستم من سطوا في الأرض راقتحموا
شرقا وغربا وهزوا أينما ذهبوا
فما لكم وبكم أصبحتم هملا
ووجهه هزكم بالهون منتقب
لا دولة لكم يشهد أزركم
بها ولا ناصر للخطب ينتدب
أقداركم في عيون الترك نازلة
وحقكم بين أيدي الترك مغتصب
والقصيدة كلها على هذا النسق من استهزاء
المزئمة لاسترجاع المجد للذاهب ،
واسترداد الحق المغصوب وهي مثل لما كانت
تنشره الصحف وترويه المجالس في مهاجر
الأحرار بمصر وأوروبا وأمريكا ، وكانت
هذه الصيحات المذكورة المندرة تجد تشجيما

فلما أخلد العرب إلى الترف ، وفقدوا
بالانقسام والخصام والترف قوة الاتحاد ،
وقوة السلطان ، وقوة الدين ، وقوة العلم ،
أصبحت ديارهم وآثارهم نهبا مقسما بين المغول
والترك والفرس والجركس والآسيان .
وفعل التتار في العراق ، والصليبيون
في الشام ، والفرننج في الأندلس ، ما تفعله
الزلازل والبراكين بال عمران المزدهر . ثم
انحصر العالم العربي في أواخر القرن الثامن
عشر للبلاد في العراق وسورية وبلاد العرب
ومصر والسودان والمغرب ، وآل السلطان
والحكم فيه إلى الدولة العثمانية سنة ١٥١٦ م
فحكمتها بالعسف ، القهر ، وأذلتها بالجهل
والفقر ، وفرت بين أجزائه بالزل
والفتنة ، وطردت اللغة العربية من الدواوين
حتى من محاكم الشريعة ، واستعلت التوكية
في التعليم حتى في دروس النحو ! ثم انقطع
ما بين رب الدين الصحيح والآداب الحر
فاعترام ما يشبه الحذر في الحواس ، فلم يشعروا
بالوجود ولم يحفلوا بالحياة ، حتى غشى الأرض
ما غشى من طغيان عبدا الحبيب ، وقاست العروبة
ما قاست من اضطهاد الأتراك ، فأخذ تاريخ
المجد العربي يشور في رموس بعض الزعماء
ومقادة ومؤثر الآداب العربي يحيا في نفوس
بعض الشعراء والكتّاب وأنبعثت من وراء
الرقابة الشديدة والجانسية المقيظة أصوات

لقد عبثت بالشعب اطماع ظالم
يحملة من جورده ما يحمل
فيا ويح قوم فوضوا أمر نفهم
إلى ملك عن فعله ليس يسأل
ويقول هبند الحميد الرافعي في طرابلس
من قصيدة مطلعها :

ما قصلح الدنيا ولا فاسها
ما لم يل الاقوام اجناسها
هبوا بني العرب .. لإلام السكرى
وقد دها الآمال دهاها
طلبتم الإصلاح من عصبية
توتر بالإفساد أقواسها
الستم نسل القردوم الالى
تقتل الهامات أفراسها
فكم تقيمون على ذلة
وروضة الصبر ذوى آسها
فجردوا العزم الذى طامها
شق هددوراً طال وصواسها
ويقول سليمان الفاروقى فى فلسطين :

بنى انهضوا واحيوا حياة عزيزة
حياة تعيد المجد للعرب ثانيا
ألا نهضة شرقية عربية
تزلزل أقواما وتوهى رواصيا ؟
ألا رجل ذو مرة فيلكم
ويراب صدعا فيكم بات واهيا ؟

من مدحت باشا والى تركية على العراق ،
ثم على سورية ، لأنه كان يطمح فى أن
يستقل بالشام كما استقل محمد على بمصر ،
فقربت حركة الإصلاح ، واتسعت دائرة
المعارضة ، واشترك فيها المسيحيون
والمسلمون على سواء .

ونفض يومئذ المصلح الهلبي العظيم الشيخ
عبد الرحمن السكواكي المتوفى سنة ١٩٠٢ م
فألف كتابيه القيمين : « طبائع الاستبداد »
و « أم القرى » ، دعا فى الاول إلى تحرير
المتجمع العربى من العادات الضارة
والاكتفادات الفاسدة ، ودعا فى الآخر إلى
خلافة عربية يكون مقرها جويرة العرب ،
فكان لذين السكتابين أثر قوى فى إنعاش
الفكرة العربية ، قطع الترك على المؤلف من
جرائمها كل سبيل ، وشرده فى كل أفق .
ثم تجاوزت بأفانيد الذكرى والألم
والأمل صيادح الشعر على ضفاف دجلة
وبردى والأردن ، فيقول الرصافى من
قصيدة عنوانها : « نغمه النيام » :

عجبت لقوم يخضعون لدولة
يسرهم فى الموبقات حميدها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها
وأموالها منهم ومنهم جنودها
ويقول الزهاوى من قصيدة نظمها
فى سنة ١٨٩٧ :

وكلها كانت تعتمد في الدعاية على الأدب في شتى ضروبه ، وجميع مظاهره ، حتى شبت الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤ ، وكانت تركيا خصما فيها لانجلترا وفرنسا وهما الدولتان العظمى منذ طويل في اقتطاع الشرق العربي وابتلاعه من تركه الرجل المريض كما كانوا يسمون الدولة العلية ، وأراد الله جل شأنه أن يهيء الأمور لتحرير الأمة التي اختارها لإظهار دينه وإعلاء حقه ، فأسرف الأتراك في البغي وأمعنوا في الجور وحكموا بالإعدام ظالمين على صفوة من أقطاب الأدب والسياسة .

شنعوم سنة ١٩١٥ في ساحات بيروت ودمشق ، فكان استشهاده المروع مناحة للأدب في كل قطر ، واستغل الاستعمار الراسد هذه النقبة ، فتقدمت انجلترا إلى الحسين بن علي شريف مكة في سنة ١٩١٦ بالوعد أن تجمع له الأقطار العربية كلها تحت تاجه ، فكانت ثورة الحجاز ، وكان انخزال الترك ، وكان استقلال العرب .

كذب الإنجليز وعدم ، وصدق الله وعده ، وانتمى أمرهم إلى الانتداب والأمرق وحده . ذلك ما اتسع له القول في جهاد الأدب لإنهاض العرب في هذا القرن ، أما جهاده في جمع كلمتهم وتحقيق وحدتهم فهو موضوع المقال التالي ؟

أحمد حسن الزيات

يقوم فلا يرتد أو يبلغ المدى
ويقضى ولكن يبعث السيف قاضيا
ثم انضم إلى أدباء العرب الثائرين على طغيان
السلطان أحرار الأدباء من الأتراك أنفسهم
من أمثال : رضا توفيق ، وولي الدين يسكن ،
فكان من أولئك كله وقود جزل للثورة التي
أشعلتها في تركيا : جمعية الاتحاد والترقي ،
وكان أن أعلن في نورها الدستور العثماني
في سنة ١٩٠٨ ، ثم كان أن سقط في نارها
عبد الحميد في سنة ١٩٠٩ .

وظن العرب أنهم سينعمون في ظلال
الدستور بالحرية والمساواة ، ولكن الظن
كذب ، والأمل غاب ، وغاد الشعراء يقولون
مع الفاروق :

كننا نعال بالدستور أنفسنا
بفارغ الصبر ذاك اليوم فرقب
حتى إذا جاء لم يحدث لنا حدثا
ولا استجيب لنا في مطلب طلب

واشدت الخصومة بين العصبيتين : العربية
والتركية ، واحتدمت ثورة الأدب ثانية
في المجلات والصحف ، وترددت أصداؤها
في المحافل والاندية ، وتجمعت أقرى المنفرقة
قتالفت الجمعيات السياسية في العواصم المختلفة
كجمعية المنتدى العربي ، وجمعية العهد
في الأستانة والجمعية القحطانية والجامعة العربية
في مصر ، والجمعية الإصلاحية في بيروت ،

تحية الإمام الأكبر للمسلمين في عيد الأضحى

أيها المسلمون في أنحاء الدنيا :

بسم الله أحبيكم في هذا اليوم الأغر ، يوم
هيد المسلمين الأكبر ، يوم التضحية والفداء ،
يوم العاشر من ذى الحجة - فإنه ما إن يطلع
على العالم حتى تتعلق مشاعر المسلمين ببیت الله
الحرام ، وتمفو قلوبهم إلى أم القرى مكة التي
باركها الله ، ويتأهب الحجاج لأداء المناسك ،
مستفهمين من الله العون على أداء فريضة الحج
صائلين الله سبحانه أن يتم عليهم نعمته ، بعد
أن لبوا نداء إبراهيم ، ودعوة نبيهم محمد صلى
الله عليه وسلم - إنهم ليعذرون هذا الحرم
الآمن ، الذي أسكن إليه إبراهيم فترك بجواره
وديته لإسماعيل ، فتعده الله بالترية وشب
في رمال الصحراء ، وترعرع بين الصفا والمروة
« ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي
زرع هذ بيتك الحرام ربنا ليقيموا الصلاة
فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرونا » .

ثم يعود إبراهيم ليجد ابنه إسماعيل وقد
صلب عوده ، وقويت بنيته ، فيعيد معه قواعد

البيت العتيق ، « وإذ يرفع إبراهيم القواعد
من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت
السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن
ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب
علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ، ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز
الحكيم ، حق إذا ثم بناء البيت أتم الله نعمته
على العرب فأمر خليله إبراهيم أن يؤذن
في الناس بحج البيت المعمر ، ونادى إبراهيم
وإلى الناس وما زالو يلبون :

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ،
إن الحمد والتعمة لك والملك ، لا شريك لك
قال تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك
رجالا وعلى كل غنم ضامر يأتين من كل فج هقيق
ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام
معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا
منها ، وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا أنفسهم
ويوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ،
ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند

أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ، واستمرت هذه الفريضة (فريضة الحج) وجمدها الإسلام ؛ فجعلها أحد أركانها الخمسة . قال تعالى : والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا .

يهرع المسلمون إلى هذا الرحم الآمن محرمين ملين ، وحول البيت طوافين رافعين إليه أكف الضراعة ، وبين الصفا والمروة ساهين ، وعلى هرفات وافقين مستلهمين من الله مزيد الرحمت ذاكرين هذا اليوم المحالديوم وقف رسول الإسلام والسلام : محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وقد فتح الله عليه جزيرة العرب ، ودخل الناس في دين الله أفواجا وحج رسول الله حجة الوداع ؛ فخطب وخطب إليها الأجيال كلها من فوق جبل عرفات ، وقدامه صلى صلوات الله وسلامه عليه ناقته العصابة ، فأرسل قواعد الإسلام ، ورسم الأمة طريقها ، وخط لها منهاجها .

أيها الناس : اسمعوا قولي ؛ فاني لا أدرى لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام لي أن أتلحقوا بكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا - وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم . ألا قد بلغكم اللهم فاشهد .

ربه ، وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم واجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح في مكان سحيق ، ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ، ثم جعلها إلى البيت العتيق ، ولكل أمة جعلنا منسكاليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فإلهم إله واحد فله أسلوا ، وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ، وبما رزقناهم ينفقون ، والبدن جعلناها لكم من شعائر الله اسم فيها خير ؛ فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر . كذلك سنزلهن لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم . كذلك سنزلهن لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين .

أيها المسلمون :

وقد أراد الله سبحانه أن يكون بيته الحرام مثابة للناس وأمانا من عهد الخليل إبراهيم وأبي العرب إسماعيل قال تعالى : ولجعلنا البيت مثابة للناس وأمانا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وهدانا إلى إبراهيم وإسماعيل

أيها المسلمون في كل مكان :

لكناني برسول الله صلوات الله عليه وسلامه يعلمنا في حجته هذه كيف نتخذ من اجتماع المسلمين الأكبر في عرفات مؤتمر إسلاميا نمدارس فيه مشا كل المسلمين ونجمع أمرنا على كلمة سواء ، كلمة الوحدة ، كلمة العروبة كلمة الاسلام ، وصدق الله إذ يقول :
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام مهمات .

أيها المستمعون الكرام :

لقد كان من نعم الله على عباده أن جعل لهم عقب كل فريضة سنوية عيدا يجتمعون فيه فيذكرون الله ويشكرونه على ما أراهم من نعم وآلاء ، فأول شوال من كل عام عيد الفطر المبارك يسقضيض الله فيه عباده الصائمين ليعترفوا بفضل الله على أن أعانهم على فريضة الصيام فيمفرحوا بفضل الله عليهم فإن للصائم فرحتين : فرحة يوم فطره ، وفرحة يوم لقاء ربه .

وعيد الأختى أيها المسلمون عيد أكبر يشكر المسلمون فيه ربههم على أن أحان حجاج بيته الحرام على أداء هذه الفريضة الجامعة ، وقد جعل الله شكره في هذا اليوم الأغر بتقديم الهدى والضحايا قربانا لله بعد صلاة العيد قال تعالى : إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر . وهذه الهدايا وتلك

د فن كان هذه أمانة فليؤدها إلى من اتتمنه عليها .

وأبطل الرسول في هذه الخطبة الجامعة ما بقي من الربا - فقال صلوات الله عليه وسلامه - وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم ردوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا .

أيها الناس : إن الشيطان قد يش أن يعبد في أرضكم هذه أبدا ، ولكننه أن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى عما تحقرون من أعمالكم - فاحذروه على دينكم .

وفي خطبة الوداع - أيها المسلمون - التي يودع الرسول فيها مكة بلده الحبيب ويكاد يودع بها العالم كله مرتحلا إلى الرفيق الأعلى يضع للأسرة نظاما وهديا نبويا ، يحفظ كياناتها ويدعم بنيانها - أما بعد .

أيها المسلمون : اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لأمرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، ويذكر الرسول فيما يذكر أنه قد ترك للدسليين أمرين أن يضلوا ما تمسكوا بهما : كتاب الله وسفته ، ويسجل الرسول على أمته تبليغ رسالة ربه : د الأهل بلغت فقالوا : اللهم نعم فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : اللهم فاشهد .

سلام على إبراهيم ، إنا كذلك نجزي المحسنين
لأنه من عبادنا المؤمنين ، ألا ما أروع
التضحية وما أعظم الفداء .

أيها المسلمون : إننى من أرض الله المقدسة
ومن بيت الله العتيق ، ومن أم القرى مكة
المكرمة بعدد أن أنعم الله على محج بيته
الحرام أسجد لله شكرا على ما أولانى من
نعمة وأبعث لايكم فى بقاع الدنيا بتحياتي
وتهنئتي لكم بالأصالة عن نفسى والنيابة
عن أزهرنا المعمور ، وأبعث إلى جمهوريتنا
العربية وفيها كعبة العلم (الأزهر الشريف)
وإلى بلاد الدنيا جميعا بأطيب التهاني
بعيد الأذى المبارك سائلا الله سبحانه أن
يجمع كلمة المسلمين ويوحد بينهم قادة وحكاما
ومحكومين .

أيها السادة ... كل عام وأنتم جميعا بخير
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مصطفى محمود

شيخ الأزهر

الضحايا التي يتقدم بها المسلمون إلى الله
سبحانه وتعالى لن ينال الله لحومها ولا
دماؤها وإنما يتقوى منهم .

إن هذه الضحايا أيها المسلمون : إنما هي
وتذكير بموقف خالد من مواقف البطولة
شكر بالفداء موقف إبراهيم عليه السلام ،
وقد رأى في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل
فأسرع إلى تنفيذ ما أوحى به إليه ربه في منامه
ثم ما كان من إسماعيل وهو استجابة الابن
البار استجابة مطلقة بأبيه وطاعة لربه ثم
هو تذكير برحمة الله التي تنزل على عباد
الصالحين ، وبشرناه بغلام حلیم ، فلما بلغ
مع السمع قال : يا بنى إني أرى في المنام أنى
أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل
ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين
فلما أسلما وتلا للجبين ، ونادينا أن يا إبراهيم
قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي
المحسنين ، إن هذا هو البلاء المبين ، وفديناه
بذبح هظيم ، وتركنا عليه في الآخرين



مظاهر رَأْعَة مَنْ عَظَمَتِ الرِّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِثْرُهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ

لِلْأَسَازِ الْبَرَكْتُورِ

عَلَى عَبْدِ الْوَاحِدِ وَلَفِي

عَيْشِكُمْ ؟ . . فَقَالَتْ : . . يَا ابْنَ أَخْتِي كَانَ مَعْظَمُ عَيْشِنَا بِالْأَسْوَدِينَ : . . التَّمْرُ وَالْمَاءُ . . . وَهَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ خَشَنٍ ، جُلِسْتُ فَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَرُ فِي جَنْبِهِ ، وَإِذَا عَلَيْهِ إِزْرٌ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، وَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةِ مِنَ الشَّعِيرِ بِمَقْدَارِ صَاعٍ فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْغُرْفَةِ . فَابْتَدَرْتُ عَيْنَايَ بِالْبُكَاءِ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا يَبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَالِي لَا أَبْكِي ؟ ! وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَرُ فِي جَنْبِكَ ، وَهَذَا مَلْبَسُكَ هَلِيكَ إِذَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ غَيْرُهُ ، وَهَذِهِ خَزَائِنُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْقَبْضَةَ مِنَ الشَّعِيرِ . وَذَلِكَ كَسْرِي وَذَلِكَ قَيْصَرِي يَعْمِشَانِ فِي الثَّمَارِ وَالنَّعِيمِ وَالشَّيَابِ الْفَاحِشَةِ ؛ وَأَنْتَ نَبِيَّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ ! فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَمُوتَ لَنَا الْآخِرَةَ وَلَمْ تَهْنَأْ . .

كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي مَا كُلِّهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَلْبَسِهِ وَشَتَّى حَيَاتِهِ الْمُفْزِلِيَّةِ الْحَامَةِ يَعِيشُ كَمَا يَعِيشُ أَفْقَرُ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ . وَقَدْ وَصَفَتْ حَيَاتُهُ هَذِهِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذْ تَقُولُ : . . مَا شَبَّحَ آلَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرٍ الشَّعِيرُ يَوْمَئِذٍ مُتَتَابِلِينَ حَتَّى قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . وَتَحَدَّثْتُ مَرَّةً أُخْرَى مِنْ ذَلِكَ مَعَ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِي : أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ذَاتِ النُّطَائِينِ فَقَالَتْ : . . وَاقِعُهُ يَا ابْنَ أَخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْـلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أَوْقَدَ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارَ : أَيْ إِنَّهُ كَانَ يَمُرُّ عَلَى زَوَاجَاتِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَهْرَانِ قَرِيبَانِ كَامِلَانِ وَيَدْخُلُ الشَّهْرَ الثَّلَاثَ بَدُونِ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَوْقَدَتْ نَارَ فِي بَيْوتِهِنَّ لَطْفُ اللَّهِ أَوْ لِإِعْدَادِ طَعَامٍ مِنَ الْأَطْعَمَةِ الَّتِي يَقْتَضِي إِعْدَادُهَا لِإِقَادِ نَارِهِ . قَالَ عُرْوَةُ فَقُلْتُ لَهَا : . . يَا خَالَه ! فَمِمَّ إِذَنْ

في يديك يا رسول الله ؟ (يعني بيت حمه
أبي طالب شقيق أبيه) ، أجب عليه السلام
بقوله : « وهل ترك لنا عقيل من منزل ؟ »
ثم قال : ولا يرث المؤمن الكافر ،
ولا يرث الكافر المؤمن .

هكذا كان حال ابنته فاطمة وحال صهره
علي من الفقر ورقة الحال ، وكانت حياتهما
في بيتهما كحياته عليه الصلاة والسلام في بيته ،
فكانا يعيشان في المستوى نفسه الذي وصفته
عائشة ووصفه عمر في الحديثين السابق ذكرهما
حتى إن عليا وفاطمة لم يكن ليهما غطاء يغطي
جميع أجزاء جسميهما وهما نائمان ؛ فكانا إذا
جذباه على كتفيهما انكشفت ساقاهما ، وإذا
جذباه على ساقيهما انكشفت كتفاهما ، أما
جهازهما وأثاث بيتهما فقد وصفه علي رضي
الله عنه إذ يقول : « إن الرسول عليه السلام
لما زوجه ابنته فاطمة بعث معها بخميلة
ووسادة حشوها من ليف ورحمين وسقاء
وجرتين ، وكانت فاطمة رضي الله عنها تقوم
بنفسها بجميع شئون بيتهما وخدمة زوجها ،
ولم تكن لديها خادمة تساعدتها في أعمالها ،
وقد ذهبت مرة إلى أبيها عليه السلام وعلى
يديها وأصابعها آثار الجهد ، وشكت إليه
ما هي فيه ، ورجته أن يمنحها جارية من
سبايا الحرب تساعدتها فيما تقوم به ، فقال
لها عليه السلام : « ألا أنبتك بكلمات تزيد

وكانت ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها
أفقر بناته جميعاً . فقد كانت بناته الأخريات
زوجات لثريين من أثرياء قريش وهما :
أبو العاص بن الربيع زوج زينب ، وعثمان بن
عفان زوج رقية وأم كلثوم ، تزوج إحداهما
أولاً ، وبعد وفاتها تزوج الأخرى ، ومن
ثم يسمى : (ذا النورين) . أما فاطمة فكانت
زوجة لابن عمه : علي بن أبي طالب .
وكان رضي الله عنه من أفقر رجال قريش
فقد وقف حياته كلها على الجهاد في سبيل الله ،
ولإعلاء كلمته ، والتفقه في دينه ، وإشاعة
الثقافة الإسلامية ، وصحبة الرسول عليه
السلام ، ولم يشتغل في حياته بتجارة ،
ولا استثمار لأرض ، ولا استغلال لمال
وكان أبوه (أبو طالب) عم الرسول عليه
السلام فقيراً كثير العيال ؛ حتى لقد قام بعض
أقربائه بكفالة أولاده ، فقام أخوه العباس
بكفالة ابنه جعفر ؛ وقام محمد بن عبد الله قبل
رسالته ، وبعد زواجه بخديجة بكفالة ابنه علي
والقليل من المال والعقار والمتاع الذي تركه
أبو طالب بعد وفاته لم يرث منه على شيئاً ؛
ولم يرثه أخواه : طالب وعقيل ، لأنهما
كانا حينئذ على دين أبيهما ، وكان علي مسلماً
ولا يرث المسلم من الكافر ، ولا الكافر من
المسلم ، ولذلك حينما قال أسامة بن زيد للرسول
عليه السلام يوم فتح مكة : « هل ستمنزل

عليه السلام وكان مقامهم أمام بيوته .
ومحدد مكانهم الآن بإطار أمام الروضة
النبوية الشريفة) .

ولم يمش الرسول عليه السلام هو وأهله
هذه العيشة ، ولم يحمل ابنته وزوجها على
أن يعيشا هذه المعيشة ، لعجزه عن حياة
الرغد والرخاء . فقد كان لديه من موارد
الرزق التي أحلها الله تعالى له ما يتيح له أن
يعيش هو وأهله وابنته وزوجها وأولادهما
في أرغد عيش .

فقد جعل الله تعالى له الحق في خمس غنائم
الحرب ينفق منه على نفسه وأهله وذوي
قرباه . قال تعالى : « واعلموا أنما غنمتم من
شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذئ القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل » (آية ٤١
من سورة الأنفال) . وجعل الله تعالى له الحق
في التي ، وهو ما يحصل عليه المسلمون من
أهدائهم بدون حرب على أثر استسلام
أو قبول الجلاء كفي بني النضير وبني قريظة
من اليهود . قال تعالى : « ما أفاء الله على رسوله
من أهل القرى فلله وللرسول ولذئ القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل » (آية ٧ من
سورة الحشر) ، وأهل القرى هم اليهود الذين
كانوا يسكنون يثرب وضواحيها . وقد أفاء
الله على رسوله ما لا كثيرا مما تركوه بعد
إجلاء بعضهم ، والقضاء على بعضهم الآخر .

صنك الهم ، وتكشف هنك الكرب ،
وحفظها بعض تسديجات ودعوات تتجه بها
إلى الله تعالى ليربط على قلبها ، ويشرح صدرها
ويمسحها القوة على حملها ، فرجعت إلى يديها
ومعها بضعة دعوات صالحات ترددهن كلما
وهنت قواها وشتت عليها متابعة ما تقوم به
من عمل ، بدلا من الخادمة التي كانت تأمل
أن ترجع بها قال ابن أبي ليلى : أخبرنا على
أن فاطمة انتسكت ما تلقى من الرحي فبلغها
أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بسبي فأتته
تسأل خادما ؛ فلم توافقه (أى لم تجده)
فذكرت ذلك لعائشة فجاء النبي ، فذكرت
عائشة له ذلك فأنانا وقد أخذنا مضاجعنا
فذهبنا نقوم ، فقال على مكانكما ؛ حتى
وجدت برد قدمه على صدرى فقال :
« ألا أدلكما على خير مما سألناني ؟ إذا أخذتما
مضاجعكما فكبرا الله ثلاثا وثلاثين واحمدا
ثلاثا وثلاثين وسبحاه ثلاثا وثلاثين .
إن ذلك خير لكما مما سألتاه » ، وورد في
حديث آخر عن على في هذه القصة قوله عليه
السلام : « والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة
تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق
عليهم . ولسكن أبيهم » (يقصد الرقيق)
وأنفق عليهم اثمانهم ، (وأهل الصفة
جماعة من فقراء المسلمين منهم أبو هريرة
وأبو ذر الغفاري ، كانوا ملازمين للرسول

وقد أبى عليه السلام إلا أن يؤثر المسلمين على نفسه وأهله وابنته ، وأبى إلا أن ينأى بنفسه وأهله وابنته عن مواطن الشهرة والريّة واستغلال المسكنة والقراية ، لا في حياته فحسب ، بل بعد مماته كذلك ، فقد قرر عليه السلام أن ما يتركه بعد وفاته لا ترثه بناته ولا زوجاته ولا يرثه أحد من أقربائه ، وإنما يضم إلى بيت المال فيكون لجميع المسلمين .

وفي هذا يقول عليه السلام : « لا تقسم وراثتي ديناراً ولا درهماً ، ما تركت بعد نفقة أهلي ومثونة ما لي فهو صدقة » . ومن ثم لم يعط أبو بكر بنات الرسول ولا زوجاته ولا أحداً من أقربائه شيئاً مما تركه الرسول بعد وفاته ، حتى بيوته عليه السلام نفسها فقد أبيع لزوجاته من بعده مجرد الاحتفاظ بسكنها فقط ما دمن على قيد الحياة ؛ وكانت كلها توفيت واحدة منهن ضم بيتها إلى المسجد الذي يعم نفعه جميع المسلمين ؛ وهكذا حتى دخلت بيوتهن جميعاً في المسجد النبوي وفي مكانها الآن قبر الرسول عليه السلام وما يقع أمامه من مسجده ؛ فقد كانت هذه المساحة مشغولة ببيوت أمهات المؤمنين ، وكذلك كان لكل واحدة من نفقتها فقط من تركه الرسول ، وبعد وفاتهن ضم ما كان ينفق منه عليهن إلى بيت المال ، وصرف

ويتحدث القرآن الكريم ع ذلك فيقول : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم ، (وم بنو قريظة الذين ظاهروا قريشاً وأحلافها وغدروا بمحمد عليه السلام ونكثوا ههده في أثناء غزوة الخندق ، فأمكن الله تعالى المسلمين منهم وأنزلهم من صياصيمهم أي حصونهم) وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تقووها وكان الله على كل شيء قديراً ، (الآيتان ٢٦ ، ٢٧ من سورة الأحزاب) . ومن خمس الغنائم وأموال النفي التي جعل الله للرسول وذوي قرباه نصيباً كبيراً منها كان يستطيع عليه السلام ، لو أنفقها على نفسه وذوي قرباه ، أن يعيش هو وأهله وابنته وزوجها وأولادها في أرغد عيش . ولكن عليه السلام كان ينفق معظم ما أحله الله تعالى له من هذين الموردين ومن غيرهما على الفقراء والمساكين واليتامى وأبناء السبيل وذوي الحاجة من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ويؤثر هؤلاء على نفسه وأهله وابنته ، ويعيش هو وأهله وابنته عيشة الكفاف ، بل ما هو أدنى من عيش الكفاف ، على النحو الذي وصفناه .

في منافع المسلمين . ولم يرث بيوتهن ولا مصادر نفقاتهن أحد من أقربائهن .

* * *

يكون قد فاتهم ، فلما أخبروا بمناججه في العبادة كأنهم تقاتلوا ، أى عدوها قليلة بالقياس إلى عبادتهم هم . وقالوا ملتصين للرسول العذر ومبررين انكبابهم على عبادة الله : وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وقال أحدهم : أما أنا فيأني أقوم الليل أبدا ولا أهجع وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر وقال ثالثهم : وأنا أهزل الفساء أبدا ولا أتزوج تبلا وتقر بالله ؛ فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنتم الذين تقولون كذا وكذا ؛ أما والله إنى لأخشاكم لله وأنفاكم له ، ولكنتى أصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وليس معنى هذا أن الرسول عليه السلام كان يعيش عيشة تحف ورفهة ؛ بل لقد كانت حياته حياة عمل وجد نشاط ، وكان قسط كبير منها وقفا على الجهاد وقيادة الجيوش وتدير شؤون المسلمين وتبليغ الرسالة ونشر الدعوة وتنظيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم وعقد المعاهدات ... وما إلى ذلك من عظام الأمور ، وكان يأخذ من الدنيا بعض ما أحله الله له ؛ ولا يدع العبادة تستأثر إلا بجزء من وقته . جاء إلى بيوت الرسول عليه السلام ثلاثة رهط من كبار الأتقياء ومن عزفوا عن جميع متع الحياة ، وتفرغوا للعبادة ، جاءوا إلى بيوت الرسول يسألون عن عبادته حتى تم محاسنهم له ويتداركوا ما عسى أن

ذكره على عهد الرامرواني

محمد وصحبه في القرآن

محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيأثم في وجوههم من أمر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآذره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ، ٩

نفحات القرآن

حول ظلمات الكفر... وأضواء الإيمان

للاستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) « إن الذين لا يرجون لقاءنا ، ورضوا بالحياة الدنيا ، واطمأنوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون : أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون . »
٧ - ٨ يونس

(ب) « إن الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، يهديهم ربهم بإيمانهم ، تجرى من تحتهم الأنهار ، في جنات النعيم ... دعواهم فيها : سبحانك اللهم ... ونحيتهم فيها سلام ... وآخر دعواهم : أن الحمد لله رب العالمين . »
٩ - ١٠ يونس

١ - في الشطر الأول : حديث عن

الكافرين ، وسوء منتاهم ...

وفي الشطر الثاني : نماذج من مباحث المؤمنين في أخراهم .

وقد يحظر لإنسان أن القرآن تحدث كثيراً عن الإيمان وأهله ، وعن الكفر وأصحابه : حتى أصبح شأن الفريقين مستفاداً من آيات لا تبلغ هذه الكثرة التي نتلوها في مقامات عدة ... فلا تكون هذه الكثرة إلا مجرد التأكيد ، وإزالة الشبهات ...

ولكن ذلك زعم غير حصيف ... أو هو زعم من يضيق وعيه عن مراعى القرآن في خطابه للناس وفي توجيهاته ...

فإن الله لم يخلقنا سدى ، ولم يتركنا هملاً ، وإنما خلقنا تنفيذاً لحكمته ، وعظماً لقدرته ، ورسم لنا في الدنيا مناهج ، وأعد لنا في الآخرة ما لا يختلف باختلاف مسالكنا في الحياة .

فكان من تمام فضله على الناس : بل على الإنس ، والجن أن يبصرهم تشريعهم بما يكفل هداهم ، ويكشف لهم من الغيب عنهم ما تقصر دونه أفهامهم ، أو تطغى عليه أهواؤهم ، وشواغلهم .

فإذا قرأنا كثرة من الآيات في التوجيه إلى الإيمان والترغيب في عقباه ... أو قرأنا كثيراً عن الكفر والتحذير من منتاه : فإن

في الكفر مقاطعة العبد لربه ، وحين المقاطعة الروحية لا يتجه العبد نحو ربه بخوف من عذابه ، ولا طمع في ثوابه ، فإنه ينكر لقاء الله بعد الحياة الدنيا ، ولا يحسب أن هناك بعضاً ولا حساباً ، فلا مثار عنده لرجاء بمعنى الخوف ، أو الطمع .

وهذا وصف من جملة صفات يذكروها القرآن عن الكافرين ، لا يرجون لقاءنا . والانصراف عن الآخرة ، وإنكار ما بعد الموت يربط الإنسان بدنيته ، ويفرغ لها قلبه ، ووجهه كله .

فلا يتخلى عن التعلق بها ، بل ينحصر همه فيها ، وذلك وصف ثان من لوازم الكفران . وورثوا بالحياة الدنيا .

وحين يتصور الخيال أن الدنيا هي المراح والمغدى ، وأن جها هو المتاع والحظوة : تسكون أئيرة عند المرء ، ويطمئن إليها كما أنها الخلود الذي لا يتبدل ، والنعيم الذي لا يتحول فهو قبلته المرموقة ، وهي عبادته الشاغلة مما سواها ... وذلك وصف ثالث ذكرته الآية واطمأنوا بها .

وإذا ما اجتمع حول المرء عوامل ثلاث ، مقاطعة لله ... وتفريغ للدنيا ... واطمئنان إلى هفاتها : لا تجد بين جنبيه قلباً يفقه ... ولا نفساً تتشبع ... ولا حياة اضمير ...

في هذا التكرار مساندة للمقول بالتذكير وفيه تقويم لما في النفس من عوج لا يستقيم وحده : وفيه تجلية لصدا القلوب من شوائب الغفلة ، أو عدوى التقليد لأهل النفاق .

فلا يكون تكرار القرآن لحديثه عن الإيمان أو غيره لمجرد التأكيد ، وإزالة الشبهات .

بل هو في كل مقام : يراد منه استنفات التوجيه ، وإبراز الحقي ، وإزالة الوعى من غفلته حيناً بعد حين .

وإن نظرة القارئ في كل آية مستقلة عما يراد فيها لتحدث عنده تنبهاً جديداً ، وخشية مستمدة من نفس الآية باستقلالها ...

ولا تحمل على التأكيّد لسواها إلا عند ما يجمع آية إلى آية أخرى في موضوع واحد ، فقد يراعى التوافق في الغرض المتحد ...

على أنك حينما تجمع بين الآيتين مثلاً : فأيهما التي تراها تأسيساً ، والتي تراها تأكيداً ؟ ذلك مطلب عسير على الكثيرين : إلا إذا عرفنا تاريخ النزول على وجه الضبط ... وهيات

وعلى هذا الأساس ننظر في الآيتين السالفتين (ا - ب) .

(ا)

٢ - إن الذين لا يرجون لقاءنا ... الآية .

٤ — والجزاء بعد العمل يعتبر مبادلة بين الله وعباده ... فإفقدمه نكافأ عليه ، ولا يظلم بك أحداً .

٥ — وانظر بعد ذلك إلى الآية الثانية : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ... الآية .

الإيمان : صلة وثيقة بين العبد وربه ، وفرق ما بين المؤمن والكافر أشبه ما بين النور والظلام أو ما بين العلم والجهل ، أو ما بين الحياة الفاخرة ، والموت المسخوط الرخيص وخاصة إذا كان إيماناً مقروناً بصالح الأعمال ، وذلك هو الإيمان الكامل الذي تعلنه الآية ، ويعنى به القرآن أكثر من إيمان مجرد عن عمل .

والإيمان المثمر لصالح الأعمال هو العلاقة الروحية التي تهش لها الفطرة السمحة وتطمئن إليها النفوس المشرقة ، وتجنح إليها الإنسانية العالية الرحيمة .

وبذكر الإيمان ، وعمل الصالحات : انبثق في مجال الحديث نور ، وفاح منه هدير ، وابقسم في مطلعه أمل .

لأنه حديث عن الإيمان ، والمؤمنين ، وليس أحب إلى الله من الإيمان ، وذكر المؤمنين ... ١ .

وأنت تلحظ هذه الملاح في سياق الآية فقد تجاوزت من ذكر الأعمال في تفصيل

وعند ما ينحدر المرء إلى هذه المهواة يفقد كل معاني الإدراك المشهود ... ويعتمد عن كل تقدير ، ويعتبر من ملاح الرشد .

وهذه هي المسماة في القرآن بالغفلة عن آيات الله في سمائه ، وفي أرضه ، وفي كتابه الذي يناديننا ولكن لا حياة لمن ينادى ... وتلك خصلة رابعة ، والذين هم عن آياتنا غافلون .

٣ — وفي هذا المستوى يكون الإنسان في جهالته قد انحط إلى البهيمية ، بل يكون أسوأ منها حالاً ، لأنها معذورة بجرمانها من خصائص البشرية التي استوقاها وأغفلها .
« أولئك كالأنعام ، بل هم أضل : أولئك هم الغافلون . »

وهؤلاء الذين ورطوا أنفسهم في الكفر وتردوا في ظلماته : لا بد لهم من مآل يستقرون فيه مهما يكن زعمهم في صدم البعث أو الغفلة عن آيات الله .

فليكن ماوهم لانقا بمسلكهم ومثبتا لما جحدوه .

وهذا هو منطق العدل الذي قامت عليه شرعة الله في سياسته الخلقه ، وقد كاشفهم الله بذلك قبل أن تغفل من أيديهم الفرصة .
« أولئك ماوهم النار بما كانوا يكسبون ، هم الكاسبون لهذه المسائم ؛ فجزاؤهم من جنس عملهم . »

ألوان الهناءة ، فينسى همومه ، ويكاد يحسب أن الدنيا تطوعت له .

ونحن نعلم أن نعم الجنة فوق تقديرنا له وأن متع الدنيا دون ما هنالك بكثير وكثير . فما بالك إذا عرف المؤمنون أن لهم خلودا في الجنات ، يفتقدون في نعيمها ، ويحفظون بمشاهدها ، ويتفشيون ظلالها ، ويتمثلون بأعينهم ، وأحاسيسهم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

٨ - ثالثة المباحج : دعوام فيها : سبحانه لك اللهم .

والدعوى هنا هي الدعاء ويكون بالتسبيح والتمجيد للذات ، وطربا ، وبهجة بما هم فيه ، وشكرا على ما منحهم ، وليس ذلك تكليفا ، فقد تجاوزوا حياة التكليف إلى الخلود في نعيم مقيم :

وليس دعاؤهم طلبا لشيء ، فقد أغناهم الله عن الطلب : وكلما تعلق رغبتهم بشيء ، تفضل الله عليهم به ، دون سؤال : وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا شغل عبدي ثناؤه على عن مسئلي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) .

وإذا كان هذا في أهل الدنيا : فما ظنك بأهل الجنة .

٩ - وبهجة رابعة : ونعيمهم فيها سلام ، المعنى : تحية الله لهم : سلام وأمان من كل ما

إلى ذكر المباحج التي يظفر بها المؤمنون . وكان الحديث عن الكفار بذكر أعمالهم البغيضة ، ليقم عليهم الحجة بما كسبوا حتى كانت النار مأواهم ، وفي هذا الخط صدود عنهم ، ونعيمهم في شأنهم ، وانصراف إلى سواهم .

أما المؤمنون فيتبسط القرآن في ذكراهم ويرطب الحديث عنهم بذكر تلك المباحج المرموقة ، التي كانت لهم جزاء كريم هند ربحهم .

٦ - وأولها : يهديهم ربحهم بإيمانهم ، كانت هدايتهم في الدنيا لإيمانهم وعملا ... أما هدايتهم الآن : فهي توجيهه إلى الجنة بعد البعث والحساب ... وهي تمكن لهم من منازلهم فيها ، وتحقيق آلامهم التي تعلقوا بها ، واستجابة لطاعتهم في الدنيا بإدراك ما تطلعوا إليه في الآخرة .

وانظر في لطافة التعبير : يهديهم ربحهم ١١ فإنه يتعهد برعايته ، ويقرر اهترافهم بأنه ربحهم ١١٠٠ وذلك هو عنوان الإيمان الذي كان السبب في الجزاء .

٧ - وثانية المباحج : تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم .

إذا أتيت للإفسان في دنياه أن يعيش وقتا ما بين زروع وأنهار ، وفي صحة ورعاه : جاشت بنفسه مسرة تملك عليه نفسه ، وتجمع إليه

راضية . في جنة عالية . لا تسمع فيها
لاغية . فيها عين جارية . فيها سرور مرفوعة .
وأكواب موضوعة . ونهارق مصفوفة .
وسائد - وزرابى مبشوة ، بسط مفروشة .

وهذا قبس موجز عن نعم الجنة ...
ونعيمها - كما سلف - فوق ما تراه العين
في الدنيا ، وفوق ما سمعت الأذن ، وفوق
ما يحظر على قلب بشر ...

وإن كانت مطامح النفس ، والعين لا تقف
عند حدود ، ففي الجنة كما قرر الكتاب
الكريم ما تشتهي النفس ، وتلك الآعين :
من مستطاب لا يحيط به خيالنا .

١١ - وفي نهاية الحديث بذكر الحمد على
لسان المؤمنين في الجنة توجيه لنا إلى
الاعتراف به بفضل ، وتقرير الحمد له على
ما ندرك من خيره ... كما وجهنا في مقامات
آخر إلى الابتداء بذكر اسمه - تعالى -

فيكون العبد في سائر شئونه مستعيناً
بذكر الله ، ومنتهياً إلى حمد الله .
وهكذا يكون اللسان رطباً بالثناء ،
وبالشكر ، والدهاء .

فلا يكون العبد جافاً مع ربه ، ولا مقاطعاً
للتوجه نحوه .

وقد قال سبحانه : « فاذكروني أذكركم ، و

عبر اللطيف السبكي

كان يخشاه المرء في دنياه : ونحو هذا ، سلام
قولا من رب رحيم ،

وتحييتهم من الملائكة كذلك : سلام
يرددونه عليهم ، كلما تلاقوا معهم : للتكريم
والتهنئة ، والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى
الدار .

وتحية المؤمنين فيما بينهم كذلك : سلام
يتبادلونه في صفاء ، وحبور ، ومسرة تتجدد
فلا يصبوها كدر ، ولا تلاحقها غصاصة :
« ونزهنا ما في صدورهم من غل ، إخوانا على
سرر متقابلين ، لا يمسمهم فيها نصب ، وما هم
منها بمخرجين » .

١٠ - وخامسة المباحج « وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين » .

في كل ما يصادفونه من نعمة ... وفي كل
ما ينتهون إليه من شأن يحمدون الله رب
العالمين .

وهذا شعار يدين به أهل الجنة على سواء .
فالشكل شاعر بحظه في جوار الله ، والشكل
آمن على سعادته في رحاب الله ...

ومهما يكن بينهم من تفاضل : فلا حسد ،
ولا أنانية ، ولا جشع ، ولا غير هذا ..

بل العيون قريرة ، والنعماء وفيرة ، والحياة
فضفاضة الجوانب ، والأمل مديد غير
مقطوع : « وجوه يومئذ ناعمة . لسهبها

نقد ابن تيمية لمذهب الاتحادية والقائلين بوحدة الوجود للأستاذ عبد الفتاح الديب

- ٢ -

شديداً في بعض أجزاء نقده ، وعلى مذهبه في الوحدة ، فيقول مثلاً : (ص ٢٥ ج ٤ م . ر م .) فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ، وليسوا غيره ولا سواء ؟ ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه وأن كل ناطق في السكون فهو عين السامع ؟ وأن الناكح عين المنكوح ؟ ومن ذلك أيضاً (بالجزء الأول ج ٧٧ م . ر م .) نقده لقول ابن عربي ظاهره خلقه ، وباطنه حقه ، فيقول : « هو قول أهل الحلول ، وهو متناقض في ذلك ؛ فانه يقول بالوحدة ؛ فلا يكون هناك موجودان : أحدهما باطن ، والآخر ظاهر ، وهذه النقطة بالذات تحتاج إلى توضيح أكثر من هذا وخاصة فيما يتصل بمذهب ابن عربي ، وسنتحدث عما عند الكلام من فهم ابن تيمية للاتحاد والوحدة ، ومقدار نفاذه في مذهب ابن عربي .

هذه الأسباب الأربعة هي التي دفعت ابن تيمية دفعاً إلى مهاجمة القائلين بالاتحاد والوحدة من المتصوفة . وسأتكلم الآن عن عناصر هذا النقد وهي ثلاثة عناصر :

أما السبب الرابع الذي من أجله هاجم ابن تيمية جماعة المتصوفة فيرجع إلى تاريخ التصوف ذاته . فنحن نعرف من هذا التاريخ أنه وجدت فئات تقول بالحلول والاتحاد بوحدة الوجود . والحلول من شأنه أن يجعل مجانسة بين الوجودين : الإنساني والإلهي أو الناسوت واللاهوت كما جاء في شعر الحلاج أما الاتحاد فيقصد أصحابه تصوير ذاتين واحدة أو امتزاج الاثنين في كائن واحد كبن الفارض الذي أفناه حبه لمحجوبه عن نفسه ؛ فلم يشعر إلا بالاتحاد التام به فقال :

متى حلت من قولي ، أنا هي ، أو أقل

وحاشا لمثلي أنها في حلت

فإذا كان الحلول اثنينياً فالاتحاد واحد . وبذلك تكون كل من النظرتين ملحدة بالنسبة إلى الدين الإسلامي ، فهو لا يعترف بإمكان هذه الواحدية كما لا يقر بالمجانسة بين الاثنين ولعل ابن تيمية لم يخفف من حكمه على ابن عربي إلا لأنه كما جاء في النص السابع من نصوص الحكم يقول : بأن الله أحدي بذاته ولا يقبل التبعية ، ولكنّه يحمل عليه حلاً

مقدار صدقه . أما إذا جاءت في معرض ؛
النقد فلا معنى لها إلا مجرد محاولة التجريح ،
خاصة ، وأن موقف الإسلام من هذه
النقطة بالذات في المذهب المسيحي مناقضة
على الإطلاق .

٢ — أما العنصر الثاني فهو العنصر الديني
فتجده في حلوله التي يقدمها لمعظم المشاكل يصتمد
على وجهة النظر الدينية بمفردها ويتكئ عليها
مسلمها بها في إذعان ، وبغير مناقشة . وهذا
الموقف محسوس منذ بدأ نقده حتى ليكن
القول بأنه : كان يتهرب من المناقشة الموضوعية
ويلتصق التصاقا بالنظرية الدينية التي يسلم بها
كل إنسان مضطرا تحت تأثير الخوف :
إما من الله أو من السلطة الحاكمة . ولنضرب
مثلا بمشكلة الخير والشر ؛ فأصحاب الوحدة
والاتحاديون يقولون لهذه المشكلة تفسيرا
لا يوضع من قبة الشر ، ولا يحيط من قدر
الأفعال المنكرة بوصفها داخلة ضمن النطاق
الإلهي : وكان أغلبهم يحتاج بالقدر هل المعاصي
ويجد مبررا لأعماله من هذا الطريق . ويرد
ابن تيمية عليهم قائلا : « إذ لا يمكنه أن
يجعل القدر حجة لكل أحد ؛ فان ذلك مستلزم
للفساد الذي لا صلاح معه ، وللشر الذي لا خير
فيه . إذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما
هو قب معتد ، ولا اقتصر من باغ ، . وهذا
الرد بطبيعة الحال ديني خاص ولا يمكن بحال

١ — العنصر الأول هو العنصر الخطابي
وهذا يبدو بوضوح في أنحاء كثيرة من نقد
ابن تيمية . فكثيرا ما تراء يحاول التأثير
في نفوس الناس بطرق ليست من الصدق
أو المنطق في شيء ، ويضطر في أغلب الأحيان
إلى الاعتماد على السب والشتم . كثيرا ما يقول
« وهذا مع أنه من أعظم الكفر والكذب
الباطل في العقل والدين ، ، أو يحاول الإغراء
فيقدم رأيه قائلا : « والذي عليه أهل السنة
والجماعة وعامة عقلاء بني آدم من جميع
الأصناف ، . ويحاول في جملة أنحاء من نقده
إظهار ما في التصوف من عناصر مسيحية
وذلك كيما يجعل الناس تزهده فيه ، وتعتقد
في أهله الكفر ، ويشعرون بالكراهية نحوه
مثل كراهيتهم للعقائد المخالفة للإسلام . فثلا
تراء يعلق على بيتي الحلاج .

« سبحان من أظهر ناسوته

سرسنا لا هوته الثاقب ،

« حتى بدا في خلقه ظاهرا

في صورة الآكل والشارب ،

بقوله : « فهذه قد تعين بها الحلول الخاص
كما تقوله النصارى في المسيح ، وهذا الكلام
حين يكون في معرض البحث والدراسة لهذه
الطائفة يكون معقولا إلى حد ما ، وحتى حينما
يقوله وجل كما سيفيئون في كتبه نشك في

شرها . ولو كان القدر حجة وهذا لم يكن إبليس ملوما معاقبا ، ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار . الخ هذا التعليل الذي يسوقه ابن تيمية (ص ٨٩) :

٣ — والعنصر الثالث هو العنصر الفلسفي والمنطقي : والحق : يقال إن ابن تيمية وإن كان كارها للفلسفة ومنفذا بها في كل مناسبة لعلمه بأن كثيرا من أفكار الوحدة والاتحاد إنما جاءت من اليونان (راجع ص ١١٣ (١) دائرة المعارف الإسلامية) فإنه كان عقلية خصبة وقوية في نفس الوقت . ولذلك يقول عنه ماسينيون (في ص ٣٨٦ ج ١ من كتاب الحلاج) في مسألة الحلاج : يعد ابن تيمية رجلا الشرع الوحيد الذي اتخذ موقفا مفظيا متماسكا : وهذا صحيح إلى حد كبير ؛ فإننا نجد ابن تيمية يعقد فصولا برمتها من الرسائل التي ينفذ فيها الاتحاد والوحدة لبحث فكرة في المنطق أو معالجة موضوع من موضوعاته الفكرية واللغوية مما :

أنظر مثلا حينما يحاول ابن تيمية أن يكشف الضعف في القول بوحدة الوجود عن طريق إثبات خطأ القضية : أن الوجود واحد ، فهو هنا منطقي يحاول أن يظهر الخطأ العقلي في فهم حكم من الأحكام . هو يذهب بعيدا عن التفسيرات المختلفة التي تتعلق بهذه

أن يقنع واحدا لا يؤمن بالثواب والعقاب الآخر ويعين : وحينما يريد أن يجيب إجابة معقولة على هذه المشكلة يدخل في كلام لا معنى له أو هو بعينه الذي يرد عليه كقوله : « فالأمر السكوني ليس هو أمر العبد أن يفعل ذلك الأمر ؛ بل هو أمر تسكين لذلك الفعل في العبد أو أمر تسكين لسكون العبد على ذلك الحال ، ثم يقبعه بمقولة دينية : « فهو سبحانه هو الذي خلق الإنسان ملوما ؛ إذا مسه الشر جزواها ، وإذا مسه الخير منوعا ، وهو الذي جعل المسلمين مسلمين كما قال الخليل :

(ربنا ، واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) فهو سبحانه جعل العباد على الأحوال التي خلقهم عليها ، وأمره لهم بذلك أمر تكوين بمعنى أنه قال لهم : كونوا كذلك فيكونون كذلك . ويقول بعد هذا كلاما طويلا يختتمه بهذه العبارة الصريحة : « وليس في القدر حجة لابن آدم ، ولا هذر بل القدر يؤمن به ولا يحتج به ، والمحتج بالقدر قاسد العقل والدين ، متناقض ، فإن القدر إن كان حجة وهذا لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتصر منه ، وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه إذا ظلم في نفسه وماله وعرضه وحرمة أن لا ينتصر من الظالم ، ولا يغضب عليه ، ولا يذمه . وهذا أمر ممنوع في الطبيعة لا يمكن أحدا أن يفعله ؛ فهو ممنوع طبعا محرم

تكاد تكون قريبة الشبه من بعض أصحاب المنطق الحديث ، فهو يعمل حسابا لذات الإنسانية حين تحكم بوصفها العنصر المدرك في هذا الوجود . يقول : « هذا تناقض ، فإن قوله « وهم » يقتضى متوهما ، فإن كان المتوهم هو الوهم ، فيكون الله هو الوهم ؛ وإن كان المتوهم هو غير الوهم فقد تعدد الوجود . وكذلك : إن كان المتوهم هو الله فقد وصف الله بالوهم الباطل ، وهذا مع أنه كفر ، فإنه يناقض قوله : الوجود واحد ، وإن كان المتوهم غيره ؛ فقد أثبت غير الله ، وهذا يناقض أصله . ثم متى أثبت غيراً لزممت الكثرة فلا تكون الكثرة وهما بل تكون حقاً . (ص ٧٨ ج ١٠ ر ٢٠٠)

فالقول بأن الكثرة وهم فيها خطأ منطقي يلاحظ إذا ما قلنا بتحليل معنى كل من هاتين اللفظتين . فمفككة الوهم تقتضى الوهم . ومادام هناك وهم فلا يمكن أن يكون هو نفسه الله . إذن فهناك شيء آخر غير الله وهناك أكثر من وجود واحد .

والمهم هو أن نعرف الآن أن ابن تيمية لم يكن قويا كل القوة في هذا الجانب لأحد أمرين : إما رغبته في تشويه صورة التصوف وإما جهله ، أو خطؤه في فهم بعض آراء أصحاب الوحدة والاتحاد والحلول والفرق الدقيقة فيما بينها . فكثيرا ما تراه يخاطب بين

النقطة ويتعمى عن صلة الفكرة بمجمل المذاهب التوحيدية ويأخذ في تحليل القضية البسيطة التي تحكم على الوجود بأنه واحد .

وهذا ليس غريبا كما قد يبدو لأول وهلة عن روح ابن تيمية . فهو في كثير من مواضع نقده يأخذ في الإلباس عن معرفته بأصول المنطق ، وقواعد الاستدلال . ويترك النقطة الرئيسية التي يتحدث فيها كيبا ينساق بالفارص إلى بحوث منطقية ولفوية صرفة . ولهذا نجد علاوة على جملة ما هاجم به الصوفية ، وأصحاب الوحدة منهم خاصة ، يبذل عناية شديدة بالناحية العقلية في أساليب كتابهم وإذا استطعنا بسهولة أن نجد عناصر خطابية أو عناصر فلسفية ، أو عناصر دينية في أسلوب ابن تيمية النقدي ؛ فإننا سنكون بنفس السهولة قادرين على اكتشاف عناصر منطقية خاصة في طريقة مهاجمته لمؤلفي القوم . وهو إذ يفعل هذا ، نراه يرتكن على نقده لعدة من أهم القضايا التي يرتكز عليها مفهوم الوحدة الوجودية عندهم من هذا مثلا : « الكثرة وهم ، فهذه قضية من وضع « ابن سبعين ، على الخصوص وهو إذ قام بوضعها فإنما جعلها في مقابل قول المسلمين : لا إله إلا الله ، وابن تيمية في عرضه لنقد هذه القضية كان يرتكز على نظرية

أشياء ما كان يخلط بينها لو صدق النية ،
أو لو أحسن الفهم .

أنظر مثلاً تعليقه على بيتي ابن الفارض :
وشاهد إذا استجليت ذاتك من ترى

بغير مرآة في المرآة الصقيلة
أغيرك فيها لاح ، أم أنت ناظر
إليك بها عند انعكاس الأشعة

فهذا التمثيل في نظره فاسد لسببين :

أولاً : لأن الناظر في المرآة مثال نفسه
فيرى نفسه ويرى المرآة ، ولا يمكن أن يرى
نفسه بغير أن تتوسط المرآة .

وثانياً : لأن هذه المرآة لا بد أن تكون
خارج نفسه فيرى نفسه ، أو مثال نفسه
في شيء سواء ، وإذا كان الأمر على هذا
الأنحرف شئت تناقض ظاهر لأن الكون عندهم
كما يقول : ليس فيه غير ولا سوى ، فليس
هناك مظهر مغاير للطبيعة ، ولا مرآة مغايرة
للرأى ، (ص ٨٧ م . ر . م . ج ١) .

فالواقع أن ابن الفارض لم يكن من أصحاب
الوحدة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وكل ما تدل
عليه أقواله ، هو أنه قد أفنى نفسه في حب الله ؛
وعن كل ما سوى الله ، فلم يرب - بالتالي - في
الوجود غيره ، وهذه وحدة شهود لا وحدة
وجود ، و فرق بين فيض العاطفة وشعاعات

الجذب ، وبين نظرية فلسفية في الإلهيات ...
أى أن ثمة فرقاً بين الحلّاج صاح الذي في حالة
من أحوال جذبه بقوله : « أنا الحق » ،
أو ابن الفاروق الذي أفناه حبه لمحجوبه عن
نفسه ، فلم يشهر إلا بالاتحاد الشام به وبين
ابن عربى الذي يعبر في صراحة لا مواربة
فيها ولا لبس لا عن وحدته هو بالذات
الإلهية ؛ ولا عن فئانه في محجوبه ، بل عن وحدة
الحق والخلق ، إذن لم يكن للمذهب وحدة
الوجود وجود في الإسلام بصورته الكاملة
قبل ابن عربى كما يقول الدكتور أبو العلا
هفنى (ص ٢٥ فصوص الحسم) ،
وابن الفارض ليس إلا من أصحاب الاتحاد
الذين يفترضون الثنائية مقدما ، فالانحدار بهذا
المعنى يتضمن وجود كائنين بصيران
شيئاً واحداً .

ولنضرب مثلاً آخر من نقده لابن عربى :
فهو يزعم أنه يثبت الذات ، ويقر بتجليها
هند المشاهدة والمكاشفة ، في حين أنه يحكم
بعكس ذلك ، ويأتى بدليل على تناقضه
في هذا من قوله :

ما غبت عن قلب ولا عن عين

ما بينكم وبيننا من بين
فيعلق على هذا البيت بقوله : حتى لو قاضينا
عن هذا التناقض الظاهر في أحكامهم ، فإننا

شيخ الإسلام ابن تيمية - كما يقول مصطفى عبد الرازق (ص ١٢١) فيلسوف العرب والمعلم الثاني) فإن تفكيره أحياناً لا يستوفي التحصيل الفلسفي .

وهناك نقطة هامة في الاستدلال القرآني أغفلها ابن تيمية إغفالاً تاماً وهي أن الآيات التي كان يستشهد بها من حين لآخر يمكن أن يوجد لها مقابل يؤيد مذهب الصوفية تأييداً كلياً وجزئياً، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى ما في الشريعة من ازدواج كما يقول جولد تسبير، فن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقيدياً متجانساً أو نشق جانباً واحداً في تأييد مطلق لتيار معين، والآيات والأحاديث التي يستشهد بها الصوفية والتي تؤيد أقوالهم أكثر من أن تحصى وأذيع من أن تحتاج لتعريف جديد، وبهذا نعرف أن ابن تيمية لم يكن حريصاً كل الحرص، وأن السلاح الذي استخدمه لحرب القائلين بالاتحاد والوحدة لم يحسم في الأمر تماماً؟

عبد الفتاح الديري

في البيت، أوفى هذا المعنى الذي يحى به الشاعر تكون يازاء قول يقتضى المغايرة، أى أن يغاير الخلق خالقه وأن يكون المخاطب غير المخاطب والعاقد غير المشهود. ويذهب في تفصيله لرأيه قائلاً ما بينكم وبيننا من بين، فيه إنبات ضمير المتكلم وضمير المخاطب وهذا إنبات لاثنتين وإن قالوا مظاهر وجمال، قيل: فإن كانت المظاهر والجمال غير الظاهر المنجلى فقد ثبت الثنمية وبطل التعدد، وإن كان هو لهما فقد بطلت الوحدة فالجمع بينهما تناقض (ص ١٠١ ج ١ م) والواقع أن هذه المغايرة لا قيمة لها لوقطن ابن تيمية لمعنى البيت فهماً صحيحاً فأية مغايرة تلك التي تكون بين كائنين لكل منهما نفس المكان والزمان، فكلمة ما، في أول البيت حددت الزمان وكلمة بين حددت المكان، ولم يعد من الممكن الفصل بين الحق والخلق بهذا المعنى على الرغم من التفرقة المعنوية الظاهرة بين كل منهما. قال شيتان اللذان يحتلان مكاناً واحداً وزماناً واحداً لا يمكن إلا أن يكونا شيئاً واحداً، وبالتالي نفرض أنه لا تناقض هناك في كلام ابن عربي فإذا كان للعلوم الفلسفية أمورها في تفكير

ضجة مفتعلة ينكرها الدين والواقع

للأستاذ محمد الغزالي

والطلاق من الرجل لا يمكن لأحد أن يسلبه إياه .

وللرأة نصف نصيب الرجل في الميراث .
والرجل هو رب البيت والقوام عليه
والراعي الأكبر لأولاده .

وما يطلبه النساء اليوم من تغيير لهذه
المبادئ الإسلامية ضرب من الغرور يجب
أن يجمع دون هوادة .

وسنرى عند التأمل في أحوال المجتمع المصري
أن المزاحم حول انهيار الأسرة المصرية بسبب
إباحة التعدد والطلاق مكذوبة من أساسها .

وأن الأسرة المصرية أشرف سيرة وأنقى
جواً من الأسرة الأوروبية والأمريكية وأنه

- إذا كان هناك ما يعكر صفو الأسرة - فهو
سلوك المنحطلين الذين أطرحوا تعاليم الدين ظهرياً
ويريدون إغراء غيرهم بالمروق منها والتمرد عليها .

أما الأمة فهي تود لو عاشت ظاهراً وباطناً
في حدود دينها العظيم .
لقد سمعنا كلاماً كثيراً حول إساءة الناس
لحق التعدد ، وإباحة والطلاق . .

ولا نود هنا هذا الكلام بأكثر من ذكر
الإحصاءات الرسمية التي تنطق بعكس ما يدعيه
هؤلاء . . . إلى القراء الكرام الجدول المثبت في

صفحة ٣٠ من الكتاب الذي أصدرته مصلحة
الإحصاء والتعداد ١٩٦٠ - ١٩٦١ .

تقبع بشيء غير قليل من الدهشة اللفظ
الطويل الذي احترف إثارته بعض الناس
حول ما يسمى بقوانين الأحوال الشخصية .
وأريد أن أنفي أولاً وجود هذه القضية
في ميدان الفقه الإسلامي وأن أرفض الإيمان
المقترن بها .

فشرائع الأسرة ليست أحوالاً شخصية تهتم
أصحابها وحدهم من حقهم أن يبقوها إذا شاءوا
أو يغيروها إذا شاءوا .

وإذا كان هذا العنوان اصطلاحاً فنياً محضاً
فهو ليس من وضع علماء الإسلام ، ويبدو أنه

مترجم عن اللغة الفرنسية ولا وجود لكلمة
قوانين الأحوال الشخصية في كتبنا الفقهية كلها .
ونذع هذا الاستعلاء إلى موضوع حديثنا

وهو ما شرع الله في الزواج والطلاق والحضانة
والميراث . فنقول في حجم . إن أي تفكير في

تغيير هذه الشرائع مرفوض جملة وتفصيلاً وأن
كلمة تطوير ، قوانين الأحوال الشخصية التي

لج البعض بتردادها ليست غير احتيال منكور
للاستلاخ من أحكام الإسلام التي فطقت بها
النصوص ، وانمقد على تفسيرها الإجماع .

فالزواج بالواحدة إلى الأربع مباح يقيناً
لمن يستطيع العدل .

جدول ١٧ - عقود الزواج وإشهادات الطلاق
وفسبها لكل ألف من السكان

السنوات	عقود الزواج		إشهادات الطلاق	
	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %
١٩٤٥	٢٧٥٦٨٦	١٤٠٩	٧٩٩٩١	٤٠٣
١٩٤٦	٢٨٧٩٢٩	١٥٠٣	٨٠٤١٥	٤٠٣
١٩٤٧	٢٦٠٥٨٦	١٣٠٧	٧٥٤٠٤	٤٠
١٩٤٨	٢٧٢١٢٨	١٤٠	٧٦١٥٤	٣٠٩
١٩٤٩	٢٨٠٤٦٣	١٤٠١	٧٣٨٢٧	٣٠٧
١٩٥٠	٢٧٢٧٩٥	١٣٠٤	٧٤٨٨١	٣٠٧
١٩٥١	٢٥٢٥٢٦	١٢٠١	٧٥٢٧٧	٣٠٦
١٩٥٢	٢٣١٨٤٦	١٠٠٨	٦٩٥٣٨	٣٠٢
١٩٥٣	٢١٦٢٦٨	٩٠٨	٦٢٢٩٦	٢٠٨
١٩٥٤	٢١٩٠٠٦	٩٠٧	٥٩٥٨٠	٢٠٦
١٩٥٥	٢٢٦٣٦٤	٩٠٨	٦٠٣٣١	٢٠٦
١٩٥٦	٢٢٢٠١١	٩٠٤	٥٧١٨٧	٢٠٤
١٩٥٧	٢٤١٤٣٦	١٠٠	٥٩٩٤٨	٢٠٥
١٩٥٨	٢٢٨٠١٨	٩٠٢	٦٠٠٤٤	٢٠٤

من هذه الأرقام يتضح لكل ذى بصيرة :
 أولا : أن عدد عقود الزواج في تناقص إلى أربع مائة ألف ... لا أن يهبط العدد
 مستمر برغم أن الزيادة في عدد السكان مطردة .
 لقد زاد عدد السكان خلال هذه السنوات
 الأربع عشرة نحو ثمانية ملايين من السكان .
 وكان ينبغي أن يصل عدد عقود الزواج
 إلى مائتي ألف . فالأزمة المخوفة هي قلة
 الزواج لا كثرتها كما يرجف النساء وأشياعن
 من الرجال المخدوعين ...

ثانياً : إن إسهادات الطلاق التي تمت سنة ١٩٥٨ وعددها ستون ألفاً يجب أن تذكر الحقائق الآتية ، أنها تشمل الطلاق قبل الدخول ، وبعده ، والطلاق الرجعي والبائن ، والطلاق بالتراضي أو بحكم القاضي ، وأن التصفية النهائية لهذه الأحوال القباينة تظهر في الجدول المثبت صفحة ١٣ من الكتاب الرسمي السابق لمصلحة الإحصاء والتعداد .

جدول ٥ - تعداد السكان حسب الحالة الزوجية والنسبة المئوية لكل حالة إلى الجملة

(الأرقام بالآلاف)

الحالة الزوجية	١٩٣٧						١٩٣٧						١٩٤٧					
	١٩٣٧			١٩٣٧			١٩٣٧			١٩٣٧			١٩٤٧			١٩٤٧		
	النسبة /	إناث	النسبة /	ذكور	النسبة /	إناث	النسبة /	ذكور	النسبة /	إناث	النسبة /	ذكور	النسبة /	إناث	النسبة /	ذكور	النسبة /	إناث
لم يتزوج أبداً	٩	٣٦١	٢٣	٨٩٨	١١	٤٩٧	٢٤	١٠٢٨	١١	٦٦٢	٢٣	١٢٠٢	١١	٦٦٢	٢٣	١٢٠٢	١١	٦٦٢
متزوج	٦٨	٢٨٩٦	٧٢	٢٧٧٧	٦٧	٣١٨٠	٧٢	٢٠٩٧	٦٥	٣٧٦٦	٧١	٣٦٢٨	٦٥	٣٧٦٦	٧١	٣٦٢٨	٦٥	٣٧٦٦
مطلق	٣	١٢٠	٢	٦٦	٢	٩٧	١	٦٠	٢	١٢٧	١	٦٩	٢	١٢٧	١	٦٩	٢	١٢٧
أرمل	٢٠	٨٧٥	٣	١٠٥	٢٠	٩٣٢	٣	١٢٩	٢٠	١١٣١	٣	١٣٨	٢٠	١١٣١	٣	١٣٨	٢٠	١١٣١
غير مبين	—	٩	—	١٢	—	٧	—	١٠	—	٧	—	٨٨	٢	٩٧	٢	٨٨	٢	٩٧
الجملة	١٠٠	٤٢٥٦	١٠٠	٣٨٥٨	١٠٠	٤٧١٣	١٠٠	٤٣٢٤	١٠٠	٥٧٨٣	١٠٠	٥١٢٥	١٠٠	٥٧٨٣	١٠٠	٥١٢٥	١٠٠	٥٧٨٣

(١) لا يشمل الذكور دون الثامنة عشرة ، والإناث دون السادسة عشرة .

إن الطلاق أبغض الحلال إلى الله، وما يزيد أن بلجاً إليه أحد إلا عند اليأس من صلاح ذات البين .

لكن القول بأن الطلاق سبب أول أو ثان أو ثالث لتشرّد الأطفال في مجتمعنا جراحة مستنكرة وتجنّب شائن .

ونعاود السؤال : إذا كان عدد الذين يتزوجون أكثر من واحدة قرابة ٢٠٪ وعدد الذين يطلقون يهبط بعد التصفية التي كشف عنها الإحصاء إلى مثل هذه النسبة فقيم عويل النساء ؟ .

وفيم فزع بعض المكتبة الذين طالت ألسنتهم في الإسلام وتعاليمه ؟ .

ثم لماذا لم نسمع لهؤلاء صوتاً يضيّق بإباحة الزنا في الظروف التي حددها القانون ؟ . إن الجوار هناك والصمت هنا دلالة ضمير حائق ونصيحة مغشوشة ومن ثم فنحن نلفت الأنظار إلى ما ينطوي عليه هذا التناقض الغريب .

قال لي بعض المتحمسين لتقييد الطلاق : إن سهولة الطلاق في الإسلام يسرت لمن يرغبون زواجهم من النصارى أن يتركوا دينهم ويدخلوا في الإسلام حتى يتخلصوا بالطلاق من الزوجات اللاتي يكرهون .

قلت كأن التشريع المقترح محاولة لمنع هؤلاء الفارين من الجوء إلينا ! .

من هذه الأرقام يقين أن نسبة المطلقين الذين تخلّوا عن تكوين الأسر نهائياً إلى مجموع المتزوجين أبواب الأسر هي ١ : ٧٢ .

فهل هذا هو الباعث على الصراخ والعويل من فوضى الأحكام الإسلامية كما يفترى هؤلاء الكاذبون على دين الله ودنيا الناس . إن لغة الأرقام تكشف عن الفراغ الهائل في منطق المتهممين على قوانين الأحوال الشخصية، كما يسمونها .

وتبين أن هناك بواحد أخرى كامنة في النفوس هي سر اللفظ الذي يتجدد بين الحين والحين ضد تعاليم الإسلام في هذا المجال .

ولقد ألفت نظرة على بعض التفاصيل في إشارات الطلاق فوجدت أن ثلاثة أرباع المطلقين لا أولاد لهم البتة . لأنهم إذا طلقوا قبل الدخول أو بعده والزوجة عقيم . أو لما تلد .

وقلت للسئول في وزارة الشؤون إن هذا الإحصاء قاطع بفساد الادعاء أن الطلاق سبب الأسباب في تشرّد الطفولة ...

فقال : لا تنس أن الربع الباقي في حالات الطلاق يخلف وراءه ثلاثين ألف ولد .

فقلت : هل المطلقون الذين لهم أولاد صغاليك جميعاً . فقيم إذن قضايانا النفقة والحضانة التي تفعل المحاكم .

يعجزون عن ترك زوجاتهم وذلك كله تهمته
هنوان إرضاء المرأة أو حماية الأسرة III .
إن هذا الفشريع - لو صدر - فسيكون
ذريعة إلى مفسد هائلة ، وجرائم فاتكة .

ولنا الموقنون أن أولى الأمر لن يحدعوا
بهذا الضجيج المصطنع مهما تتابع الصياح
وامستطال الإلحاح .

بل أن أملنا يتجاوز التزام تعاليم الإسلام
بشأن الأسرة إلى إشاعة تعاليم الإسلام
في أرجاء المجتمع كله فتتناول صنوف
المعاملات ، وتنفع روح الشرف والحق
في قوانين العقوبات وسائر التصرفات .

ويومئذ تكون بلادنا قد نجحت في صد
الاستعمار الثقافي وعادت سيرتها الأولى تضيء
الطريق للعالمين .
محمد الغزالي

لو أن هناك عقلاً راشداً لاتخذنا هذا المسلك
دليلاً على أن صلب الرجل حق الطلاق
منزلة لسلبه دينه .

إن عشرات الأمم المسيحية احترمت الواقع
وأباحوا للرجل الطلاق بعيداً عن التعاليم
المتوارثة بين كهنة الكنيسة فكيف نفكر
نحن أن نضع أيدي المسلمين في الأغلال التي
طرحها غيرهم ؟ .

وماذا يقع لو قيدنا الطلاق كما يقترح هؤلاء
القاصرون ؟ .

أما يترك نفر من المسلمين دينهم فراراً
من الزوجة التي لا يطيقون ؟ .

وبذلك تكون أولى بركات القانون المراد
سنه أن نعوق غير المسلمين عن الإسلام ،
وأن تدفع بعض المسلمين إلى الارتداد حين

رجل الدهر

لاني أخبركم عن صاحب لي ملأت لي منه يدي ، وطويت على حبه نفسي ، وجعلته ضئي
من بين صبيحي . فقد كان بصيراً بورد الأمور وصدرها ، ويعرف من مطلع كل أمر
ما يكون مقلعه ، وتقوم أدنى فراسة منه مقام البينة ، ويصيب بالظن ما يخطئ غيره بالعيان .
كان أكرم ما يكون للسرا إذا باحت الألسنة من الأسرار بحصونها ، وانفجرت صدور
الثقات عن مكمنونها ، كان أيباً لو خطبت له إمارة على أن يكون مهرها ذل ساعة ، لآثر أن
يزف إلى قبره على أن تزف إليه الإمارة . كان صلب العود على النوب ، وإذا وماه الدهر
بخطب يبلوه ، بل منه الخطب بالنفس المارة والخلق الوعر ، والصدر الذي تضل في صاحة
صدره كل نائبه .
صادق عنبر

إلى أى مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟ للأستاذ بدر عبد الباسط

- ٦ -

المصالح المرسله :

ولا سيما في هذا العصر الذى لا يأمن فيه ذودين على دينه ، والذى كثر فيه أدهياء الاجتهاد الأخرق والمفتون الماسجون والمتاجرون بالدين إما رغبة أو رهبة .

وأما الذين أجازوا الاجتهاد فى التشريع والفتننا على المصالح المرسله فوجهة نظرم تتلخص فى أن عدم الاعتداد بها جمود قد يحمل الناس على النفور من الشريعة جملة وتفصيلا ، وفى هذا من الضرر ما يربو على الضرر الذى ساقه المانعون .

انتهيت فى المقال السابق إلى تعريف المصالح المرسله ، والفرق بينها وبين المصالح الملغاة كما يذمت آراء العلماء فى جواز الاحتجاج بها ووجهة نظر كل منهم والذى نبهتة اليوم هو الإجابة عن هذا السؤال ، هل المصالح المرسله دليل مستقل ، ويتبع هذا بيان المدى الذى نعتمد فيه على المصالح المرسله فى التشريع والفتوى .

والذى قطمئن إليه نفسى أن فى كلا القولين مغالاة ، وأنه فى الإمكان أن نجتمع على كلمة سواء ؛ وذلك لأن من دقق النظر فيما نقل من السلف من مسائل ردها بعض العلماء إلى القول برعاية المصالح نجد أن الشارع اعتبر تلك المصلحة بأى وجه من وجوه الاعتبار التى تحدثت عنها تفصيلا فى المقال الرابع وإجمالاً فى المقال الخامس ؛ ولذا يبدو أن المصالح ليست منقسمة إلى ثلاثة أقسام معبرة وملغاة ومرسله بل هى منقسمة إلى قسمين :

وقبل الإجابة على هذا السؤال يحسن أن نصيد النظر فيما ساقه العلماء من أدلة تبين وجهة نظرم فى جواز الاحتجاج بها ؛ وإذا نحن تجردنا عن الهوى وقارنا بين الآراء المختلفة ونظرنا فى أداتهم وجدنا أن المانعين أخذوا بالأحوط فى أمر التشريع وابتعدوا جهد الطاقة عن فتح باب القسوى فى الأحكام ؛ وقالوا : إن الشريعة بأصولها العامة ونصوصها المرتنة فيها غنية عن فتح هذا الباب الذى لا يدرى أحد إلى أية نهاية يذهب بنا ،

عن الكتمان وعدم الإبلاغ ؛ والآيات في هذا المقام كثيرة كلها تحض على عدم تحريف كلام الله ووجوب إبلاغه والمحافظة عليه ، ولما كان جمع الصحف خشية الضياع هو الوسيلة إلى ذلك لذا رأى الخليفة الأول رضى الله عنه وجوبه فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ وإذا كان رضى الله عنه ترد في ذلك فهو تردد المؤمن المتخوف حتى إذا استبان له وجه الحق أقدم لإقدام المؤمن المثبت ؛ وهذا هو خلق المؤمن لا يقدم على الأمر متهوراً ولكنه يقدم عليه متثبتاً .

٢ - استخلافه رضى الله عنه لعمر رضى الله عنه .

وهذا - أيضاً - يرجع إلى أصل ثابت بالنص وهو اتفاق الفتنة : « واتقوا فتنة الأنصيين الذين ظللوا منكم خاصة » (١) ، والظرف الذى استخلفه فيه كانت الدولة الإسلامية الناشئة تحارب أكبر دولتين عرفهما التاريخ القديم وهما فارس والروم ؛ فهل بترك الأمر ليفتح باب الفتنة في أخطر مراحل التاريخ على أن الخلافة في نهاية الأمر مردها إلى البيعة ؛ ولم يكن هذا الاستخلاف من أبى بكر إلا نصحا للأمة باختيار من يرى أنه قادر على حمل هذا العبء .

معتبرة وملغاة ؛ وإن المصالح المسماة بالمصالح المرسلة لا بد وأن يكون لها شاهد من الشرع ولو في الجملة كأن يرتب الشارع حكماً على مصلحة من جنس هذه المصلحة إلى غير ذلك من وجوه الاعتبار ، وأما القول بأن هذه المصالح ليس لها شاهد أصلاً من الشرع بالاعتبار أو الإلقاء فهذا ما ينقضه الواقع ؛ ولتتبع المسائل التى نسبت إلى الصحابة والتابعين وقيل إنها مردودة إلى المصالح المرسلة لنرى أمى - حقاً - لا شاهد لها من الشرع .

١ - جمع الصديق رضى الله عنه الصحف التى كان مدونها بها القرآن الكريم ، وهذا الأمر أبعد ما يكون عن المصالح المرسلة ؛ فهذا يرجع إلى أصل ثابت بالنص من الكتاب والسنة أليس من أصول الدين المحافظة على الكتاب بأية وسيلة من الوسائل « إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون » (١) « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون » (٢) ، وهذه الآية وإن كانت فيمن سبقنا من الأمم ولكن فيها تحذير لنا

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٧ .

(١) سورة الأناجيل الآية ٢٠ .

وتسعون هدوانا وظلما إن شاء عذبه بها وإن شاء غفر له .

وفي بعض الروايات من حديث طلاق ابن عمر لامرأته في الحيض أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أ رأيت لو طلقها ثلاثا أكان يحمل لى أن أراجعها فقال : لا كانت تبين منك وكانت معصية .

فأنت ترى أن ما أخذ به عمر في أمر الطلاق الثلاث له أصل عن صاحب الشرع ؛ ولعل كثرة التطليق بالثلاث بلفظ واحد في عهده جعله يلتبس دليلا فيه شيء من التشديد والتأديب حتى وجدته ؛ وصحة خبره عند أحد المجتهدين وعدم صحته عند غيره أمر كثير الوقوع ؛ هل أن قوله تعالى : «الطلاق مرتان» (١) ، يحتمل من وجه بعيد أن الطلقتين مجتمعتان أو متفرقتان ؛ وعمر رضى الله عنه أخذ بهذا الاحتمال نظراً لما رآه من المصلحة ؛ ولا سيما بعد أن سقت الحديثين المتقدمين ؛ ولهذا رأينا من جاء بعده من الخلفاء اتفقوا وأباه ؛ وذلك لما رآوه من أدلة تشهد له عن صاحب الشرع .

وهذا الذى قررناه يؤكد ما سبق أن قررته فى أوائل هذا البحث أنه يجوز الأخذ بالرأى المرجوح - إن لم يكن ساقطاً - إذا كان الأخذ به

فى هذا الوقت ؛ ولو كان فى هذا الاستخلاف شهوة لنفسه لكان له فى ولده أو أهل بيته وقرابته من بكل إلهيم هذا الأمر الخطير ؛ واقد كان الخير لهذه الأمة ما أقدم عليه أبو بكر فتأخير عمر مفخرة لسكل مسلم بل هو مفخرة للإنسانية كلها .

٣ - حرب أبى بكر رضى الله عنه لما نعى الزكاة ؛ وماذا فى ذلك من مصلحة رسالة ١١٩ ليست الزكاة ركناً من أركان الإسلام وعلى ولى الأمر أن يراقب الأمة فى تنفيذ حكم الله ، وإلا فإمامى وظيفته ، أمى أبهة الحكم ومظاهر السلطان ، ثم ألم بأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجبي الزكاة من المسلمين و أخذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ، (١) .

٤ - إمامنا عمر رضى الله عنه الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثا وقد كان واحدة .

وهذه المسألة - أيضا - لها شاهد من الشرع ؛ فقد أسند عبد الرزاق عن عبادة ابن الصامت إن أباه طلق زوجته ألف تطليقة فانطلق عبادة فسأل النبي صلى الله عليه وسلم : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «بانت بثلاث فى معصية الله تعالى ؛ وبقي تسعمائة وسبع

من يعطيهم من مال الزكاة ؛ فنع المؤلفة قلوبهم لم يكن استصلاحاً وإنما كان تطبيقاً دقيقة للنص الشرعى .

٦ - وضع الحراج على الأرض المفتوحة وعدم توزيعها على الغزاة الفاتحين .

وقد أغنا نارضى الله عنه مؤونة الرد على من يقول : إنه فعل ذلك تشبهاً أو استصلاحاً فقد استدلل على وجهة نظره بآيات سورة الحشر التى وردت فى أمر النفي من الآية السابعة إلى الآية العاشرة وفيها ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وفى الآية العاشرة ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولهذا كان يقول لمن عارضه : وماذا نترك للذراى ... ؟ إلى أن واجههم بآيات سورة الحشر فنزلوا على رأيه نزولاً الله لا على حكم عمر .

٧ - تدوين الدواوين وإنشاء السجون . وهذا أيضاً له شاهد من الشرع فإن حفظ مال الأمة وإعداد القوة من مقاصد الشريعة وتدوين الدواوين وسيلة إلى حفظ الأموال ومعرفة القادرين على الجهاد ، وكما قلنا : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ وإنشاء السجون نفي من الأرض ؛ وقد شهد الشارع لهذا المبدأ

يحقق مصلحة راجحة أو يدفع ضرراً أعظم .

٥ - منعه رضى الله عنه المؤلفة قلوبهم من أخذ الزكاة .

وهذا - أيضاً - ليس من قبيل المصالح المرسة بل هو أعمال للنص ؛ وذلك لأن الذين حرّمهم من سهمهم فى الزكاة وهم : الزبرقان بن بدر ، والأقرع بن حابس وجماعتهم لم يكونوا يستحقون الزكاة بذواتهم وإنما استحقوها بصفتهم من المؤلفة قلوبهم ومن المعروف عند من له خبرة بأصول الفقه أنه تعليق الحكم بمشتق يؤذن بعلية المصدر ؛ وهو - هنا - التأليف ؛ وهؤلاء قوم أسلبوا من عهد رسول الله وأعطاهم الرسول صلوات الله وسلامه من سهم المؤلفة قلوبهم لحاجة الدولة إلى التأليف وحاجتهم هم إلى الثبوت ؛ وحينما منعهم عمر كانت الدولة الإسلامية تضرب كسرى على أم رأسه كما تضرب قيصر على قفاه ، فهل هى فى حاجة إلى تأليف أمثال الزبرقان والأقرع ولا سيما وقد مضى على دخولهم الإسلام مدة كافية يتذوقون فيها الإيمان من غير أن يكون لهم حافز من مال ؛ ولو أن عمر رضى الله عنه وجد فى هذه داع إلى التأليف لكان أول

والاحتياط الذى اتخذته عثمان عند كتابة المصحف كقيل فى صيانة الكتاب العزيز من التحريف .

١١ — توريثه زوجة الفار وهو الذى طلق زوجته فى مرض موته حتى لا ترثه . وهذا الحكم له شاهد من الشرع بطريق القياس على حرمان القتال من ميراث المقتول لأنه استعجل أمرا قبل أوانه ، فنأخذ من ذلك أن من مبادئ الشريعة أن سوء القصد متى قامت الدلائل على سوء قصده - يعامل بغير قصده .

١٢ — تحريق على كرم الله وجهه لغلاة الرافضة الذين ادعوا ألوهيته فلقبهم جريمهم وله أصل شاهد له من الشرع وهو تسميل هيون العربيين الذين قابلوا إحسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بقتل رعاة إبل الصدقة واسقيافها ، على أن جريمة غلاة الرافضة أفحش ، ولقد لجأ رضى الله عنه إلى ذلك زيادة منه فى التبرؤ من دعواهم الكاذبة .

١٣ — تحريق الصحابة لمن ارتكبوا جريمة قوم لوط عليه السلام .

إن الذى يرجع إلى أراء الصحابة فى هذه المسألة يحدد حريصين على الاستناد إلى نص شرعى فى هذه المسألة فقد اختلف رأيهم فى هؤلاء المجرمين نظراً لأنه لم يرد نص صريح فى تحديد

فقد قال تعالى فى شأن الساهين فى الأرض بالفساد : **«لأنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض»** ، .

٨ — نفيه نصر بن حجاج ولم يكن قد ارتكب جريمة .

وهذا - أيضاً - يرجع إلى أصل شرعى وهو اتقاء الفتنة ، ولم يكن نفيه عقوبة له وإنما خشية افتتان النساء به ، ولا سيما أن كثرة من الرجال المقيمين بالمدينة كانوا غائبين فى الغزوات ؛ ولا شك أنه كفيل له أسباب الراحة ؛ وهذا إجراء وقائى يقره الإسلام فإن الوقاية خير من العلاج .

٩ — تعطيل حد السرقة عام الرمادة . وهذا - أيضاً - له شاهد من الشرع ؛ فإن المجاعة شبة قوية كافية لإسقاط حد السرقة تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وسلم **«ادروا الحدود بالشبهات»** .

١٠ — جمع عثمان بن عفان رضى الله عنه للمصحف وكتابه وأمره بحرق ما سواه . وما قلناه فى جمع ابن بكر للمصحف يقال هنا والأمر بإحراق ما عدا مصحف عثمان - باب الفتنة وهو أصل مشروع ؛

١٤ - وضع النقط وعلامات الإعراب
في المصحف في عهد التابعين .

يرجع هذا إلى أصل شرعى وهو المحافظة على المكتسبات من التحريف والتبديل وهو من أوائل مقاصد الشريعة، ومقدمة الواجب والوصيلة إليه واجبة كما قررناه أكثر من مرة .

١٥ - تدوين الحديث وفتاوى الصحابة
في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .
هذا - أيضا - يرجع إلى حفظ الشريعة
وفيه امثال لما ورد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما معناه : نضر الله وجه امرئ
سمع مقالتي فوهاها فأداها كما سمعها .

ولما زال المانع من التدوين وهو خشية اختلاط القرآن بالسنة بعد أن انقشر الحفاظ في بقاع الأرض وكثرت المصاحف وأمن من اللبس كان من الواجب أن تدون السنة خشية اندراسها ، وحفظ الدين من مقاصد التشريع الأولى كما قالت آتفا .

بعد هذا يمكن أن أقرر مطمئناً أن ما يسمى بالمصلحة المرسلة لا بد وأن يكون لها شاهد باعتبار الشارع بأى نوع من وجوه الاعتبار ؛ وليس من الواجب أن نعتبرها بذاتها بل يكفي أن يعتبر نوعها أو جنسها ؛ ومن هنا استطاع أن أجزم أن المصلحة المرسلة

حقوبة لهم ، لأن هذه الجريمة الشنعاء لم تكن معروفة في البيئة العربية حين كان ينزل القرآن ، فلما اختلط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى سررت العدوى إلى المجتمع الإسلامي واختلفوا في تحديد العقوبة التي تنزل بهم فغن قائل يعاقبون بحد الزنا الجلد إن لم يكن محصنا والرجم إن كان محصنا ، لأنه انتهاك حرمة فرج آدمي محرم ، ومن قائل أنه يرى من شاطئ جبل لأن الله عاقب قوم لوط بأن قلب ديارهم فجعل عاليها سافلها ، فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها (١) ، فأخذتهم الصيحة مشرقين ، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (٢) .

ومن قاتل بالتحريق لأن الله حرق قري
قوم لوط ، في سورة هود ، فلما جاء أمرنا
جعلنا هاليها سافليها وأمطرنا عليها حجارة
من بجيل منصود معومة عند ربك وما هي
من الظالمين ببيعيد (٣) ، وفي قوله تعالى وما
هي من الظالمين ببيعيد إشارة إلى أن التحريق
جزاء من ارتكب مثل جرمتهم .

فأنت ترى أن مافعله الصحابة مع هؤلاء كان له شاهد من الشرع.

(۱) مؤد ۸۲

(٢) الحجر ٧٣ ، ٧٤

(۳) هود ۸۲ ، ۸۳

عنها مهما كان فيها من نفع ، قاله أعلم بمصالح عباده من أنفسهم ، فإذا لم تكن ملغاة ، نظروا ثانية : هل لها شاهد من الشرع بأى وجه من وجوه الاعتبار ، فإن وجد هذا الشاهد ولو بعيداً أخذنا به ؛ وإلا رجعنا إلى قواعد الشريعة العامة وكالأصل في الأشياء الإباحة ؛ ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، إلى غير ذلك من القواعد الفقهية المستنبطة من تقبيل أحكام الله للعباد .

ثم إن دعوى تطوير الأحكام الشرعية اتباعاً للأهواء والأغراض خروج على الدين لا يقره مسلم مهما ألبسناه من زخارف القول وصدق الله العظيم أذ يقول : « وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذروا أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليكم فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ، أحكم الجاهلية يبنون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ، (١) »

بدر المتولى عبد الباسط

(١) سورة المائدة الآية ٤٩ ، ٥٠ .

ليست دليلاً مستقلاً ؛ بل هي ترجع إما إلى الكتاب والسنة أو الإجماع أو القياس مع التوسع في تطبيقه .

هذا ومن اعتبر المصلحة دليلاً مستقلاً أجاز أن يخص بها همومات الكتاب والسنة من باب أولى ؛ وذلك لأن دلالة العام ظنية - عند الجمهور سوى الخفية - والمصلحة ظنية والظني يخص الظني .

وبعد فإن باب الاستصلاح في الشريعة خطير جداً ؛ وعندى أنه - صيانة للشريعة من عبث العابثين وتبرئة لها من الجور - لا بد هند عرض مثل هذه الأحوال للفتيا وللتنقيح أن يعرض الأمر على جماعة عرفوا بالعدالة أولاً وبالتعمق في فهم الشريعة ثانياً مع قوم متخصصين في دراسة حقائق هذه المسائل لمعرفة ما فيها من مضار ومنافع وأن تعقد مقارنة وموازنة صادقة بين الضرر والنفع ، فإذا اطمأنوا إلى أن ناحية النفع أرجح من ناحية الضرر يجرى دور رجال الفقه الإسلامى للنظر في هذه المصلحة من ناحية اعتبار الشارع لها ؛ فإن كانت مصلحة ملغاة صرف النظر

الفرقة اللغوية عند أبي العلاء

للأستاذ كامل السيد شاheen

إلا أن يعيث بخلف وعلمه ، فأدار حرف
الروى في البيت الأول على سائر حروف
المعجم ، واستطاع أن يلائم بين البيت الثاني
والبيت الأول في حرف الروى .

قال أبو العلاء بعد أن ساق حكاية خلف
وأصحابه :

« ويفرح على هذه الحكاية فيقال :

لو كان مكان أم حصن ، أم جزء ، وآخره
همزة ، ما كان يقال في القافية الثانية ؟ فإنه
يحتمل أن يقول : وحوارى بكشء ، من
قولهم : كشأت اللحم إذا شويته حتى يبس ،
ولو قال : وحوارى بنسء ، لجاز ، وأحسن
ما يتأول فيه أن يكون من نسأ الله في أجله
أى لها خبز مع طول حياة ، وهذا أحسن
من أن يعمل على أن النسء : اللبن الكثير
الماء ، وقد قيل إن النسء الخمر ، وفسروا
بيت عروة بن الورد على الوجهين :

سقوني النسء ثم تكنفوني

عداة الله من كذب وزور

١ - حدث صاحب الأمل عن أبي بكر
ابن أبي حاتم عن الأصمى ، أن خلفاً الأحمر
قال يوماً لأصحابه : ما تقولون في بيت
النمر بن قواب :

ألم بصحبتي وهم هجود

خيال طارق من أم حصن
لو كان موضع (أم حصن) ، أم حفص ،
كيف كان يكون قوله :

لها ما تشهى ، عسل مصفى

إذا شئت ، وحوارى بسمن
قالوا : لا نعلم ، فقال : وحوارى بلبس^(١)
انتهى .

ووقف أبو العلاء على هذا الخبر ، وكأنه
استشعر أن في سؤال خلف ، وعجز أصحابه ،
وإفادته إياهم بالقافية المناسبة ، إدلالاً من
خلف بالمعرفة . . فأبى عليه شيطان اللغة

(١) أمل القالى ، ج ١ ص ١٥٧ ، والحوارى :
الدقيق الأبيض ، والخبز ، واللبس : الفالوذ .

أبا العلاء بهذه المعايير ؟ ، أو ليس ذلك لأنه يعرف من نفسه قدرة لغوية خاصة لم تتع لكثير من مشهورى الرواة وعلماء اللغة ؟ . ومهما يكن من شيء فعرفة أبا العلاء باللغة يمكننا أن نستبينها في رسالة الغفران ، وفي الفصول والغايات .. ويظهر أن هذه القدرة تهيأت له في صدر شبابه ، لأن في قصائده السقطيات ما يدل على دالة واضحة على استبحار الشاعر وتمكنه .

٢ — وليست معرفة أبا العلاء باللغة معرفة قاموسية ، بل هي إلى ذلك معرفة شعور وإحساس وخبرة بأجواء الألفاظ وفوحها والقارىء لقصيدته (١) التي مطلعها :

مكة أقوت من بنى الدوديس

فما لجنى بها من حسيس

وفيها يذكر الجنى (خينعور) الملقب بـ (أبى هدرش) ما آل إليه أمر مكة بعد نزول القرآن ، وظهور النبي عليه الصلاة والسلام ، من بعد ما كانت مسرحا للجنان الذين يصفهم بأنهم :

بيض ، بهليل ، فقال ، يعا

ليل ، كرام ، ينطقون المسيس

ولو حمل حوارى نفسه على اللبن أو الخمر لجاز ، لأن الحوارى تؤكل بذلك ، أى لها الحوارى مع الخمر ، وقد حدثت محدث أنه وأى ديسيل ، ملك الروم ، وهو يغرس خبزا في خمر ويصيب منه .

ثم يمتضى أبو العلاء فيغير الروى إلى حرف الباء ، فيجعلها : أم حرب ، ويجهى البيت الثانى : وحوارى بصرب ، أو يارب ، أو بكشب (١) .

ثم يغيره إلى أم صمت ، وأم شت ، وأم لج ، وأم شح ، وأم دخ ، وأم سعد ، وأم وقد ، وأم همرو ، وأم كرز ، حتى يصل إلى أواخر الحروف ، فيأتيك بأم دو ، وأم كره ، وأم شرى .

أفلمست ترى أبا العلاء بهذا يتحدى خلفا ، ويزعم له أنه أعرف منه باللغة ، وأنه إذا كان خلف يستطيع أن يغير الروى في صورة فأبو العلاء قادر على أن يغيره في خمس وعشرين .. وأنه في كل صورة منها لا يكتمنى بوجه واحد بل يزيدك على الوجه وجهين أو أكثر .

ثم إن لنا أن نسأل : ما الذى أغرى

(١) العصب بالصاد للممالة : اللبن الحامض ، والإرب : العضو من الشواء أو القديد ، والكشب : أكل الشواء .

(١) هي قصيدة نظمها أبو العلاء على لسان الجنى وفيها ضروب من الغواية التي يرتكبها المياعطين لأبناء آدم .

يرى كيف اختار قافيتها (حينئذ) ، لها فيها
من الصغير ، ولأن لفظها من جوهر الغنة (١)
ولأنها تناسب ما في حديث الشيطان من
الوصوة والخفاء الذى يورث الرهبة والخافة
ثم جاء بها ساكنة أى يكون ذلك أمداً في لفظها
وأجرى للنفس بها ، وأظهر للصغير فيها .

ثم أشاعها في القصيدة كلها حتى تحس كأن
الجوهر كله من حوّل جو شيطاني خفي هامس
غامض مرعب .

وفي تسمية الجنى (خيمعورا) ، وتلقيبه
(أبا هدرش) ، وجعل بنى الجن
(بنى الدرديس) إشعار بأن لدى أبي العلاء
إحساساً لغويًا يهيء له وضع ألفاظ مناسبة
لما بين يديه .

هلى أن المعاني التي تناولها أبو العلاء
في هذه القصيدة من الشيطان بسبب قوى ،
فهو بصف : كيف كان يفار على العروس
فيتخلجها بواشك الصرعة ، قبل أن تزف ،
وكيف كان يزين الشاب وللشيخ أن يفرغ
كيساً في الحنّا بعد كيس ، وكيف كان يخرج
الحسناء مطرودة من بيتها بلا سبب إلا سوء
الظن ، ويغري زوجها بأن يبت طلاقها ، حتى
إذا صارت إلى غيره هاجت نفسه إليها :

تذكره منها وقد زوجت
نغرا كدر في مدام غريس
ويتحدث عن الراهب المتبتل كيف يخدعه
من فصحه بعدما مل أكل السمك ؛ قال :

ونخدع القسيس عن فصحه
من بعد ما ملء بالأتقليس
أصبح مشتاقاً إلى لذة
معللاً بالصرف أو بالخفيس
أقسم لا يشرب إلا دوي

عن السكر ، والبازل تالى السديس
فلنا له ازداد قدما واحداً
ما أنت أن تزاده بالكيس
فعب فيها ، فومى له

وهو من آل العين الرجيس
حتى يفيض الفم منه على
نمرقته بالشراب القليس

فأبو هدرش يخدع هذا القسيس الراهب
بعد ما صام فصحه طاهراً متفصلاً ، معرضاً
عن اللحم الحرام إلى الأتقليس (الخوت)
الحلال ، وأصبح في شوق إلى الخمر صرفاً
أو بمزوجة ، ثم خدع نفسه فأقسم ألا ينال
منها إلا دون السكر ، ولكن كلما بالكف
أغراه الشيطان بالمزيد . قدح أحداً ما أنت

إذا ما السوارحات فظرن فيه
عجبن لها سرحن وما دهنه
ثم تحذره من خداع الدلالات
الدواهي اللاتي

يقطن : فلانة بنته خير قوم
شفاء للعيون إذا شفته

وأنها رزان رجاح مجدولة القد جمدل
الاهنة ... فأولئك يتجرن بالكذب .

أولئك ما أتبن بنصح خل
ولا دن المليك ولا يدنه

ولو طاوعتن لجثن يوما
بأخف الغول ، والنصف الضفنة (١)

فالحديث حديث نساء عن نساء ، ولذلك
التمس له أبو العلاء قافية تجمع القون
المشردة والهاء الساكنة : قافية نسوية
عشنة وجاء بها على زنة الوافر ، والوافر
يصلح للأداء العاطفي غضبا أم حماسا
أم رقة وحنينا .

وعندما عرض للأوصاف القبيحة استعان
عليها باللفظ المستفطع الذي يفيدك
القبح بمخارجه من قبل أن يكتمف عن
معناه فهي مقسنة ، وهي منهلة . والدلالات
يجن بالنصف الضفنة : ويزيد على ذلك أنه

إن زودده بالخاسر ، حتى عب ، ففدا واهي
الب ، من آل الشيطان الرجيس !
شرب القيس حتى تحبب ، وكل عاقبة ذلك
أن قاض فيه بالخمر القليس على نمرقته فياله
من منظر خجل ، ووارحما لبني آدم المساكين
من كيد الشياطين !

وكذلك يفعل أبو العلاء في موضع آخر
عندما يشهدك امرأة عجوزا همة توصى ولدها
الاي تزوج ، فإنها شاخت وبيس جنبها ،
وأصبح شعرها أبيض قصيرا متفرقا كأنه
العفام ... وهي تخشى أن تهزأ منها زوجها
الشابة بما فيها من طراوة الصبا ووفرة الشعر :

فحن إلى المكارم والمعالى

ولا تشغل مطاك بعبء حنة

فإني قد كبرت ، وما كذاب

ملائمة عجوزا مقسنة

تري تنومها وتري ثغامي

فتهزأ من منهلة مسنة (١)

ثم تذكر شبابها الدابر ، وما كان عليه
شعرها من وفرة وسواد .

فإن يبيض للجدنان فودی

فقد أغدو بفود كالجدنه

(١) المقسنة : اليابسة . والنهيلة : الضعيفة للعوى
والقنوم : شجر هزیز الفروع سابها .

(١) الضفنة : المترخية المترهلة للمستفيض البطن .

ولولا نهي الإله لكانت السلاف ثالثتهما
ثم يقول :

وإذا تضيفت النعام ضياءها
حمل الهيد لها مع الألفاظ
ماذا ؟ إذا جاءت النعام على ضوء النار تبغى
القرى ، وجدت ضياقتها هيبدا أى حنظلا ،
وأطافا أخرى ، من قطع الحديد والمروا
يحملها الغلمان على الصعاف ، يسمعون بها
بين يدي ضيوفهم من النعام .

ألا يذكرنا هذا بقوله في الشريف
الموسوى يذكر كرمه وهر في قبره :
إن زاره الموق كسام في الجلي

أكشفان أبلج مسكرم الأضياف
ونظير ذلك قوله في الحديث عن أمه :
لولا رجاء لقائها لما تبعت

عنسى دليلا كسر الغمد إصليتا
وصف الدليل بأنه بمشوق ضامر كالسيف
الماضى .

ثم قال .
ولا صحبت ذئاب الإنس طاولية

تراقب الجدى في الخضراء مسبوتا
جعل اللصوص ذئاب الإنس . ولما كانوا
ذئابا فإنهم يطعمون الجداء وهؤلاء اللصوص
الطاوون يترقبون جدى السماء وهو بوج

يمطى نوعا من الطرافة والتفكه لا تعطيه
الكلمات المكافئة لها في المعنى :

بينما تجده إذ يعرض للأوصاف الحسنة
يجمى بألفاظ حلوة بمشوقة (رزان الحلم
وجاح ، شفاء للعيون ، جدد لك كجدل
الاحنة ، كمعاب ، تنوم) .

واختيار الألفاظ ووضعها في المواضع
التي تشيع فيها الجوارى المناسب ، من أدق
المعايير التي يوزن بها الشاعر القادر ،
والشاعر العاجز .

وأبو العلاء دائما قادر على أن يخلط الجد
بالمهول ، وريح الفكاهة لا يفارق هذا الضمير
السوداوى المزاج .

فبينما تراه جاداً كل الجد ، إذ تراه يهتك
هذا الجد بفكاهة تدفعك إلى ضحك هزكيانك
هزا : وهذا مالا تظفر به إلا عند أمثال
الفردق من الفحول القروم . خذ مثلاً
لذلك قوله :

نار لها ضرمية كرمية
تأريثها إرث من الأسلاف
تسقيك والأرى الغيب ولو عدت

نهي الإله لثلاث بسلاف
وهنا نجد نارا متضمة ، شيت للقرى ،
يورثها الأنبا بعد الآباء ، ونجد بعد الطعلم
سقيا ، من اللبن المخلوط ، والعسل المصق ...

تركك وما تريد لم تنكس إلا ما يليق بها^(١).

وأنت تجد لأبي العلاء الحلو المقبول الذي يزيد في الترميم ويلذ في الأفواه ، وتجد منه الويل المستوخم ، الذي خزم من أفه ، ثم أنيخ على الصخر الأصم .

وتتبع الجناس عند أبي العلاء أمر يطول ولكنا نضرب أمثلة للحسن ، وأخرى للقبيح :

فأما الحسن فتجده في مثل قوله في حديثه عن الإبل :

أأبغى لها شراً ، ولم أر مثلاً
سفائن ليل ، أو سفائر آل
وقوله في شأن حنين الإبل :

لعل كراها قد أراها جذاباً
ذوائب طلع بالعقيق وضال
وقوله في شأن الحمام :

ترى كل خطباء الجناح كأنها
خطيب تنمى في الفضيض من الينع
إذا وطئت هوداً برجل حسبتها

ثقيلة جبل ، تلس العود ذا الشرع^(٢)
وقوله في شأن إحدى الأعرابيات :

ألفت الملا ، حتى تلمت بالفلا
رنو الطلا ، أو صنمة الآل بالحدع

(١) أسرار البلاغة .

(٢) العود الأول : النفس ، والثاني : هود الغناء الذي يضرب عليه والحجل : الخناخال .

من أبراجها ينتظرون نعاسه ليصيدوه
وبأكلوه .

وربما يكون في كلام الجنى السابق
وفي حديث العجوز ما يعزز إدعاءنا في مقدرة
أبي العلاء على إشاعة الفكاهة .

٤ - والقدرة اللغوية مكنت أبا العلاء
من الظفر بالتجنيس في عذوبة تارة ، وعلى
استكراه تارة ، ولقد يعد أبو العلاء أحد
من تماطى هذا النوع من المهارة اللفظية
في العربية .

وقد تماطاه أبو تمام قبله ، ولكنه كان
يقرح فيه جفنه ، فإذا ناله ناله وجبينه يتفصد
عرقاً .

وتماطاه الصني الحلبي ، وابن نباتة بعده ،
ولكنهما كانا يرصدانه ويعدانه إهداداً ،
فأما أبو العلاء فكان إذا أراد صاده ، لوفرة
محصوله ، وطواعية اللغة في يديه .

والتجنيس في ذاته قتب أشرس ، ذلك
بأنه لا يحس حتى يكون موقع الكلمتين
المتجانستين من العقل موقفاً حميداً .

والمعاني لا تدين في كل وضع لما يجتذبهما
التجنيس إليه ، إذا الالفاظ خدم المعاني
والمصرفة في حكمها ، ولن تجد حكماً أعدل من
أن ترسل المعاني على سجيتهما ، وتدعها تطلب
لأنفسها الالفاظ التي تناسبها ، فإنها إذا

ولكن عاد الموضوع عليه بالاستعجان ...
كما ترى في قول أبي العلاء يرقى :

خلو فوادى بالمودة إخلال
وإبلال جسمي في طلابك إبلال

ولي حاجة عند المنية ، فتسكها
بروحى ، والأهواء مذكن أهوال

فالجناس في هذا المقام خطيئة نكراء ،
فإن الطالب للجناس المتحرى له لا بد أن
يكون فارغ القلب بعيداً عن الانفعال ...
فإن المنهمل لا يمكن أن يغلب من انفعاله
ليتكف في دروب المحسنات ، وبخاصة هذا
النقط الصعب ...

وليت شعري من أبي جعفر المنصور ،
إذا قال في شأن أبي ذؤيب ، وقد استرسل من
رثاء أولاده إلى وصف حمر الوحش ... قال
أبو جعفر : (الآن سلا أبو ذؤيب) .

فإذا كان يقول لو سمع المعري يبتدىء
رثاء لأمه بالخلو والإخلال والإبلال
والإبلال والأهواء والأهوال ؟

— • —

وإد كان التزام ما لا يلزم ، من أبرز
مظاهر القدرة اللغوية ، وقد ذهب
أبو العلاء في هذا النوع بشهرة لا تنازع فقد
أعرضنا عن الإطالة بشرحها في هذا المجال ؟

لأم السيرة شاعبي

وأما الرذل المقيس ، فتجده في مثل قوله :
وهمر هند كأن الله صوره

عمرو بن هند ، يسوم الناس تعنيماً
فالمر الأول واحد العمور ، وهي خرزة
حمرأ كثيرة المساء تكون في القرطبة ،
وهمر بن هند أحد ملوك الحيرة ، كان
لصرامته وشدة سطوته يلقب (بمضطرط
الحجارة) .

فإذا يشق من أمر هذه الخرزة على
العاشرين فيمنعهم إهانات عمرو بن هند للناس ؟
وأشد منه عند الله والناس مقتاً قوله
في الخطايا :

مطاً يامطايأ وجدكن منازل
مضى زل هنا ليس عفى بمقطع
مطاً ، بمعنى مد ، يامطايأ : فداء ومنادى ،
ومنازل فاعل مطاً ، أى مد وجدكن ربوح
من ديار الحيلية .

بمعنى قدر ، وزل هنا أى أخطأها ، يريد
أن قدراً أخطأها فبقيت مائلة ، وأصابني
فبليت وما بقيت .

قال الخوارزمي : واقد أحسن في التجنيس
وأبدع ١ . وعجبي لهذا الأديب الفاضل كيف
يستحسن هذا النوع من التجنيس ، ورقى
العقارب أكثر منه وضوحاً ... على أن المعنى
بعد ذلك بالغ غاية السقم .

ومن الجناس الرذل ما هو حسن في ذاته ،

ما وراء المحسوس في فلسفته الجمال ومزاهب الفن للأستاذ فتحى عثمان

وقد خاض ديدرو محاولات دقيقة للتمييز والتفرقة في مجالات المعاني والمعنويات ، لقد فرق بين الجمال واللذة ، فأقام معنى الجمال على إدراك العلاقات بين الأشياء والأجزاء ، أما ما يصل عن طريق حاستي الذوق والشم كالطعمة والروائح فهو يوصف باللذة والطيب لا بالجمال كما فرق ديدرو بين الجمال والمنفعة فالإعجاب بالجمال ذاتي في مبدئه لا يعبا بالمنفعة أفلا يحدث في كثير من الأحيان أن يهجر المرء الشيء النافع من أجل شيء جميل ؟ على أن ديدرو يرى أن الحق والخير والجمال بينها وشائج وثيقة وإذا أضيفت إلى الحق والخير بعض الصفات النادرة الوضاعة فسيصير الحق جميلا والخير جميلا ، وهو يعرف الذوق بأنه قوة مكتسبة بالتجارب المتكررة ، بها يتيسر فهم الحق أو الخير في حالة بصيرهما كلاهما جميلا بحيث يفتج به التأثير السريع القوي ، بل إنه يرى أن واجب كل فنان كريم هو تصوير الفضيلة محبوبة ، والرذيلة بغضنة !

جولة استطلاع لآراء الفلاسفة ومذاهب الفن ، تولى في جلاء إلى إشعاعات ما وراء المحسوس التي تومض من خلال الكلمات والتعريفات والتحليلات ، مهما اختلفت المنازع والمذاهب والأفكار !!

إن ديدرو مثلاً Diderot (١٧١٣/١٧٨٤م) يرى أن الفن عملية فكرية حقا ، ولكنه لا يلبث أن يصرح في مواضع أنه : « لا بد من الحميا الفنية بما تستلزمه من رصف الإحساس وقوة العاطفة ، والدكتور غنيمي هلال يفسر ذلك بأن ديدرو ربما كان يريد من الفنان أن يكون قوى الذوق والعاطفة في أثناء الإحساس والالتقاط ، لكنه عندما يمارس التعبير الفني يجب أن يغلب عقله وإدراكه في نقل التجربة وفي تصويرها ، إذ أن العاطفة المشبوبة كالإحساسات الحادة عملية خرساء لا تبين عن نفسها ، وقد يكون هذا نواة لرأى بندتو كروتشي في ضرورة تمثيل العاطفة قبل محاولة التعبير الفني عنها .

يقارن بالأمر الخلقى فى صدوره عن الوعى الجمالى الفردى . فالشخص الذى يفكر فى شىء جميل ، يخضع له خضوعا قريبا من خضوعه للعقل حين يفكر فى الطبيعة ، وقريبا من خضوعه للبدا الخلقى فى ذاته . وتتضمن المثالية فى الجمال التعبير عما هو خلقى ، أى عما هو رمز لما فوق المحس من الحقائق ، وبدون هذا لا يمكن لموضوع الجمال أن يصل إلى درجة يكون فيها عالميا .

وجاء فيشته (١٧٦٢ : ١٨١٤ م) Fichte متأثرا بكانت ، وقد كان يرى فى الفن تحريرا للذات من حيث هى ، وفى هذا التحرير تمهيد للحرية الحقيقية . وأما شوبنهاور (١٧٨٨ : ١٨٦٠ م) Schopenhauer فقد ارتأى أن التأمل فى الجمال تأمل لروحيا خالصا يهيم للاعتناء إلى الزهد المطلق أو الخلق المؤسس على الرحمة ، وقد كان للشاعر الفرنسى بودلير (١٨٢١ : ١٨٦٧ م) Baudelaire وجهة نظر فى علاقة الفن بالمنفعة وبالأخلاق ، فالفن نافع لأنه الفن . وإذا كانت الرذيلة فائنة فيجب أن توصف بأنها فائنة ، على أن الرذيلة تهر وراءها أمراضا وآلاما خلقية فريدة يجب وصفها كذلك .

وهكذا يخوض الفلاسفة فى آفاق المثالية لاستجلاء مفهوم الجمال وخصائصه ، وتتردد

وجاء كانت (١٧٢٤ / ١٨٠٤ م) Kant ففرق بين الحكم الجمالى والحكم العقل أو الخلقى ... إن الحكم الجمالى يصدر عن الذوق والذوق يصدره عن رضا لا تدفع لإيئة منفعة فى حين أن اللذة الحسية تتطلب التملك والرضا الخلقى يتطلب تحقيق موضوعه ، إن الجمال هو الصورة الغائبة لموضوعه ١ .

ولذا كان الحكم تقريريا للحقيقة عن طريق التجربة ، أو برهنة نظرية على قضية علمية يسلم بها ضرورة ، أو مجرد احتمال منطقي ، فإن الجمال هو خاصة تقرير ما يدرك ضرورة إدراك ذاتيا ابتداء ، لكنه موضوعى من ناحية التصور بافتراض عموم الشعور به لدى ذوى الأذواق ، فالجميل هو ما يعترف له بهذه الصفة لأنه مصدر شعور ذاتى بالرضا به دون حاجة إلى أفكار وأقنسة يتطلبها الحكم الموضوعى .

على أن كانت ، يقرر صلة صريحة بين الجمال — طبيعيا كان أم فنيا — وبين الخلق فهو يقرر : أن الحكم الجمالى يصدر عن الذوق وفيه إرضاء للوعى الجمالى بأن يكون الشىء الجميل مصدر متعة جمالية ، والأمر الذى يكاد يحس المرء أنه خاضع له ومستجيب حين يصدر الحكم الجمالى ليس أمرا منطقيا أو تجريبييا — كما هو الحال فى القضايا الرياضية أو الطبيعية ، وإنما هو أمر

وتوحيده مع الوعى الفردى فهو نشاط الفكر فى مجال المنطق ، وفى الجانب العملى نجد : الإرادة ، فإذا تعلقت بما هو فردى فإنها تتناول مجال النشاط الاقتصادى ، وإذا تعلقت بما هو عالمى فإنها تتناول مجال الأخلاق .

والفكر يخلق الجمال بإتجاهه الفنى عن طريق الحدس ، وبراه كرونشيه فى ذلك مستقلا عن العالم الخارجى على أن العمل الفنى ليس نتيجة الشعور لحسب ، ولكنه نتيجة ذكاء وفكر وإرادة أيضا ، إنه قد يعتمد على الشعور والعاطفة ولكن على أن يتخذ الفنان من هذا موضوع تفكير ، فتفقد العاطفة بهذا التفكير والتأمل حدتها الذاتية التى كانت لها فى البدء ، ويفقد الشعور عنصر الاضطراب الذاتى ، إذ من خصائص الفن تحقيق موضوعية الشعور الذاتى (١) .

هذه النزعة المثالية فى فلسفة الجمال صار لها عنوانها المميز ومقوماتها الخاصة فهى النزعة التعبيرية Expressionism التى كان من آثارها فى النقد ظهور المدرسة الانطباعية أو usImpressioni ، أما فى الفن فقد برزت الرمزية بعد عام ١٨٨٠م ، إذ الرمز هو تعبير غير مباشر عن الأغوار النفسية المستمرة التى لا تنهض بتحليلها ألفاظ اللغة فى دلالاتها

فى كلماتهم نفثات تشير إلى العالم الذى يرتادونه وراء المحسوس ، سواء أكان هذا العالم هو الوجدان أو الفكر . وقد كان هيجل (١٧٧٠ : ١٨٣١ م) Hegel ذهنى المنزع ، وهذه أن فكرة الجمال قد مرت فى ثلاث مراحل : ففى المرحلة الأولى سيطرت المادة على الفكرة فكان الجمال يتجلى فى العمارة - وهذه هى المرحلة الرمزية ويمثلها عند هيجل الفن الشرقى والمصرى ، أما المرحلة الثانية ففيها يتعادل المضمون مع الشكل ويصور النحت فكرة الجمال فى هذه المرحلة - وهى المرحلة الكلاسيكية ، ويمثلها عند هيجل الفن الإغريقى ثم تغلب الفكرة على الصورة فى آخر المراحل ، وتبرز الفنون الذهنية كالموسيقى والشعر ، ويطلق هيجل على هذه المرحلة المرحلة المسيحية . على أن هيجل يرى أن الفن أصوله ووسائله ، وإذا كان لا ينبغي له أن يؤذى الإحساس فإنما يطلب الخلق ذلك منه باسم الجمال الذى يستهدفه الفن دون سواء .

وعن طريق التحليل الذهنى أيضا توصل ينديتو كرونشيه (١٨٦٦ : ١٩٥٢ م) Benedette Groce أن للفكر أربعة ألوان من النشاط : جانب منها نظرى أوله الحدس intuition أو التصور الصادق : وهو نشاط الفكر فى مجال الجمال ، وبجانب ذلك هناك الإدراك : وهو وقوف الفكر على ما هو كونه

١ - من المراجع الأساسية : د. ولفا هكتور غنيمى هلال : المدخل إلى النقد الأدب الحديث ، الأدب المقارن

المحدودة ، في حين يكون الرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاهير من طريق الإثارة النفسية لا عن طريق القسمة والتفريغ وللزوع إلى الرمز أصل وركيزة في فلسفة كانت ، وعلى القبيض تجد الزوع إلى التجسيم الذي يعز في (البرناسيه) قال شعر يحاول مثلا أن يلمح بالموصيق عند الرمزين بدل أن يرتبط بالتصوير من تحت أورسم . هل أن الرومانتيكية كانت هي التي جاءت لتضع في المقام الأول الحساسية والخيال والتعبير الشخصي وإثبات الذات وتمجيد الغريزة ، وتميل في تعبيراتها إلى المبالغة والتضخيم ، وكانت الحركة الرومانتيكية في التصوير أصبغ منها في الأدب ، يقول ديلا كروا (المتوفى عام ١٨٦٣ م) : « إذا كان المقصود من الرومانتيكية التعبير الحر من انطباعات الشخصية ، وابتعاد عن الأنماط والنماذج التي يعاد نسخها في المدارس دون أدنى تغيير ، ونفوري من الموصفات الأكاديمية ، فإنه من الواجب ألا أعترف فقط أنني رومانتيكي ، بل لأنني كنت رومانتيكيا منذ الخامسة عشرة ، وهكذا جاءت الرومانتيكية ثورة على القواعد والقوالب الكلاسيكية ، وانتصارا للزعة الفردية ، وإعلاء للحساسية والعواطف على العقل ، فإذا كان الناس جميعا يشتركون في التمتع بالعقل ، فإن ما يميز كل شخصية

في صميمها وذاتيتها هو الجانب الوجداني وبخاصة اللاشعوري منه ، وقد بلغت الرومانتيكية ذروتها سنة ١٨٣٠ م ، وترعها في الأدب (عوجو) وفي الموسيقى (برليوز) وفي التصوير (ديلا كروا) ، وكان جمهورها من الطبقة البورجوازية بعد أن كان جمهور الفن الكلاسيكي من الطبقة الارستقراطية ، وكان عصرها عصر الحركات القومية والوطنية والديستورية في أوربا ، والخيال عند أصحاب النزعة الرومانتيكية هو الذي يولد الصور ، وهو يستطيع أن يستقل بتكوين هذه الصور دون ضرورة لاستلها من الأشياء يوجد أمامه ، ومن هنا يكون كمال الشعر في لغته التصويرية لافي تقريراته العقلية ، حتى يرى (كوليردج) مثلا : أن الشعر الكلاسيكي قد ضحى بالمعاطفة المنطلقة المشوبة من أجل الدقائق الذهنية والوثبات الفكرية ، إن الفنان الرومانتيكي ينبغي أن يعبر عن الطبيعة والأشياء من خلال ذاته ، فتنفسه مرآة لما حوله ومن حوله ، والصور هي وسائل تجسيم المشاعر والأفكار

وإذا كانت النزعة الرومانتيكية قد دارت عليها الدورة ، فإن ما خلفها كان شأنه شأنها وشأن ما سبقها من منازع ومذاهب في فلسفة الجمال والفن ، لا يفتأ يومض بهريق الأشعة العجيبة الصادرة من عالم عجيب وراء المحسوس

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للاستاذ علي العمّاري

هـ - قضية المرأة :

تعالى في سورة البقرة : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » . وكما نهج القرآن الكريم لأتباعه طريقة سمحة كريمة في معاملة المرأة كان الرسول عليه الصلاة والسلام يكثر من الوصاة بالنساء خيرا ، حتى روي أن آخر ما أوصى به صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتسكمن بهن حتى لجلج لسانه ، وخفي كلامه ، وهو يحتضر ، وهذه الثلاث هي : الصلاة ، والرقيق ، والنساء وقد بدأ وصيته بالنساء بقوله : الله ، الله في النساء ، وهو أسلوب يشهر بمدى اهتمامه عليه السلام بهذه الوصية .

عرض الإسلام لكل شأن من شئون النساء في قضايا كلية واضحة ، ومسائل جزئية واضحة أيضا لجاء في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية المطهرة ، نصوص تبين ما للمرأة ، وما عليها . كل ذلك حق ، ولكن فريقا من المنحرفين ، والمنحرفات ، يتذكرون لنصوص الإسلام ، أو يحاولون التخلص منها ، أو تحريفها حين يخوضون في هذه القضية .

فخذ ما يقرب من عشرين عاما بلغت المرأة

لم تعرض نصوص الإسلام وشرائعه للزواية ، والتحريف ، والنهجم الحاقط ، في قضية من القضايا كما تعرضت في هذه القضية .

والمرأة - كما لا ينكر أحد من العقلاء - ذات رسالة سامية في الحياة ، لها مكانتها في نفوس الرجال ، ولها احترامها وتقديرها ، أما ، وزوجا ، وأختا ، وبنتا .

ولئن كانت القوانين الوضعية في مختلف العصور ، والأمم ، عنيت بالنص على ما ينبغي أن تعامل به المرأة ، من البر ، والإكرام ، والتقدير ، والاحترام ، وعنيت بإعطائها حقها ، وتمكينها من أداء رسالتها ، فإن الشرائع السماوية قد عنيت بكل ذلك على أتم وجه ، وأعدله . والإسلام - بخاصة - من بين هذه الشرائع بلغ في ذلك ما لم تبلغه شريعة سماوية ، ولا قانون وضعي .

وآية واحدة في كتاب الله تبين المدى الواسع ، والمزّل الكريم الذي وضع الله فيه بنات حواء ، وتشير - مع إيجازها - إلى غاية ما قطع له إليه كل امرأة عاقلة ، مؤمنة برّبها ، خبيرة برسالتها ، بصيرة بما يضرها وبما ينفعها ، تلك هي قوله

ما يشير إليه، ولكنهم يجهلون، أو يتجاهلون حقوق المرأة السياسية من شئون الدنيا، كأن المرأة حين تمارس هذه الحقوق تمارسها في معزل عن المجتمع، وتقوم بها بعيداً عن الرجال، وكأن الإسلام لم يحدد لظهور المرأة بين الرجال حدوداً، ولم يضع لتصرفاتها ووظيفتها في الحياة تعاليم، وشرائع، وكأن الرسول لم يقل في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: لن يفلح قوم ولوا أمورهم امرأة، وكأنه لم يقل: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة.

ولكن المؤلف لا يعترف إلا (بالتأويل) فكل ما وصفت إليه المرأة استجابة لقانون التطور، من تحدد السفور المعيب، والاختلاط المريب هو - عند المؤلف - (الفضيلة)، فهو يقول: (ليس هناك إثم أشد، ولا خطيئة أخش من مقاومة التطور)، هكذا بدون قيد ولا شرط، فلا بأس أن يكون التطور إلى أسوأ، وأن يكون مجافياً للتعاليم الإسلامية، وللفضائل الإسلامية. هذا في - الحقيقة - أنموذج فقط، للانحراف في هذه القضية، وإنما هنينا بهذا الانموذج - على قدمه نوحاً - لنمد على المدى الذي بلغه الكائدون للإسلام من بليلة الأفكار، وإشاعة الشك في نصوص الدين، فالمؤلف عالم، وعالم تخرج في الأزهر الشريف، فإذا صدر منه مثل هذا القول كان من الخطورة بمكان.

بعالم أزهري أن يطرح الدين بعيداً عن قضية المرأة، فأرسلها دون وهي أو استحياء، لأنه (ليستحي أن يقم الدين في مسألة نفوذ يده منها) هكذا جاء في كتاب (من هنا نبدأ) للأستاذ: خالد محمد خالد، وما نظن إلا أنه نادى الآن على كل ما قاله في فصله الغريب (الرثة المعطلة). الدين نفوذ يده من قضية المرأة، كأن الإسلام أنزل للرجال دون النساء، وكأنه - كبعض النظم الوضعية الفاسدة - لا يعترف للمرأة بوجود في هذه الحياة، وهذا شر ما يرمى به نظام من النظم سواء كان من وضع البشر، أو من وضع السماء، فكيف تنهم به الإسلام، وهو الدين الخالد الذي جاء من العلم الخبير، الحكيم العدل ١٢.

وهذا المؤلف الذي استعصى أن يقم الدين في قضية المرأة - بادي ذى بدء - عاد فتمسح بالدين في آخر الحديث، فقال: على أن هناك حجة حاسمة، تغنيها عن كل حجة ودليل، هي ذلك التفويض المطلق الذي منحه الدين للناس، حين قال الرسول: أقم أعلم بشئون دينكم، أليست هذه الحقوق السياسية من شئون الدنيا. وعجيب أمر هؤلاء الذين يفسرون الإسلام بأهوائهم كلها واجههم قائل في شأن من الشئون بنصوص تضيق بها صدورهم، فيلجئون إلى هذا الحديث: أقم أعلم بشئون دينكم، وهم يعرفون - إن أحسن الظن بهم - المناسبة التي قيل فيها هذا الحديث، والمدى الذي لا يمكن أن يتعداه.

ثالثاً : ماقيمة هذا الحق الذى يعطى ؛ لأن فريقاً من (النابجات) طلبنه ؟ أليس هناك - أيضاً - جماعات من (النابحين) ؟ ١

رابعاً : إذا كن (نابجات) وكلنا يعرف مدلول هذه الكلمة ، فلماذا نعى أنفسنا بإجابة رغباتهن ؟ .

أليس المثل العربى يقول : العكب ينبس ، والقافلة تسير ؟ ١

خامساً : لقد قيل : إن الدليل الذى استندت إليه اللجنة دايسل واهن ضعيف ، فإلى متى نلجأ إلى ثنيات الطريق ؟ .

ولا أظن أنه يذهب عن أكثر هؤلاء المشرعين فيما يتعلق بالأحوال الشخصية أن جماهير المسلمين تنفر من كل حكم يضعف مستنده من الدين . إنى أهدد قانون الأحوال الشخصية الذى تعمل به المحاكم الآن قانوناً ميتاً فى ضمائر المسلمين ، ولطالما استفتانى رجال ، وكان كل منهم يطب إلى مع توجيه سؤاله ألا أفتيه بما تسير عليه المحاكم الشرعية الآن ، فقلبه لا يطمئن به ، وقليل من الناس من يتقبل هذه الأحكام ربما للضرورة القصوى ، وربما لأنه يستهين بعامة أحكام الدين .

إن مسألة كسالة الطلاق يفغنى أن نلتزم فيها وأى جمهور الفقهاء ، فإن ذلك أصون للعلاقة الزوجية ، وأنظف لها فى ضمير الرجل والمرأة على السواء ، ولقد رأيت من الفناء من استبد بها القلق على حياتها الزوجية الطاهرة لأن

إذا جئنا إلى أيامنا هذه وجدنا عالماً آخر ، وهو رجل فاضل ، وعالم متمكن ، وباحث لانفك فى قدرته على البحث المفيد ، ولا ترتاب فى دينه ، ولا أخقه ، وجدناه مسوقاً بغير قصد - إن كان ما نقل عنه صحيحاً - إلى ما لا ينبغى أن يصدر عن مثله ، فى علمه ، وفضله .

جاء فى إحدى الصحف اليومية أن رئيس لجنة الأحوال الشخصية (وهو الشيخ فوج السنهورى) سئل : لماذا أعطيت المرأة حق طلب الطلاق إذا تزوج امرأة أخرى غيرها ؟ فأجاب أعطينا المرأة هذا الحق من أجل إسكات النابجات فقط .

فهذه الإجابة فى منتهى الغرابة ، والمحطورة ؛ أولاً : يقول (أعطينا) كأن من حقه أن يعطى ، وأن يمنع ، وكان عليه أن يقول : إننا رأينا أن نأخذ بهذا الحكم من أحكام الإسلام . ثانياً : هل يؤثر حكم على حكم آخر لمجرد الرغبة فى إسكات المطالبات بهذا الحكم الأول ؟ إننا لو سلكننا هذا المسلك للجبنا إلى الأخذ بالضعيف ، والحكم الذى لا مستند له ، ولكان إرضاء الناس أثر هندا من التزام ما يظهر لنا من قوة الدليل

ومتى كان إرضاء فريق من الناس باعثاً من براعت الأحكام ، فى أى نظام من العظم ، إلا أن يكون نظاماً لا يستهدف المصلحة العامة ، وإنما يستهدف إرضاء من لا يرضون بغير ما يوافق أهواءهم .

فالله سبحانه وتعالى يقول : « والرجال عليهم درجة » ، ويقول : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم » ، أجابت بأن (الميثاق) كفل المرأة هذه المساواة ، ونسيت أن (الميثاق) قرر مبدأ المساواة ، كما قرره الإسلام ، وأنه ما كان للميثاق ، وهو هل حكومة مسلمة لامة مسلمة أن يخرج عن أصول الدين .

والحق أن السكاتيات المتطرفات يسنن إلى الميثاق بمثل هذا المنطق حين يدعين أنه أعطى لمن ما لم يعطه الإسلام ، والميثاق يرى مما يعرف . فهل الميثاق أعطى المرأة حق أن تطلق زوجها متى أرادت ؟ وهل الميثاق أعطى لها حق أن تزوج من اثنين في آن واحد ؟ وهل الميثاق فوض عليها أن تقوم بنفقة زوجها وأولادها ؟ إن عيب السكاتيات المتطرفات ههنا - مع جهلهم بأحكام الدين - أنهم لا يتورعون أن يطوعن لرغباتهن كل القوانين ، وكل العظم ، وينسبن في هذه الحساسة الممدى الذي يستعملن أن يتساوين فيه مع الرجال لتصلح حياة الامرة ، وحياة المجتمع .

ونعود إلى قصة (ضرب المرأة) ، ذلك أن امرأة ضربت زوجها ، ورفع الأمر إلى القضاء ، فأدانها القاضي قائلاً : إن الزوج حقا في تأديب زوجته جسمانيا ، وضربها ، فثار أحد الكتاب لذلك ، واعتبره مظهراً من (مظاهر إهدار حقوق المرأة ، والتفني

زوجها يعاشرها بعد طلاق استند في الخلاص منه إلى رأى ضعيف من آراء بعض الفقهاء . ثم نرى الخلط ، والخلط ، والانحراف ، والجرأة ، والضلال ، والسفه .

فهذا مستشار يعجب لماذا لا تأخذ المرأة في الميراث نصيباً كنصيب الرجل ، وينادى بذلك ويدعو إليه ، وهو - بطبيعة عمله - يعرف تمام المعرفة النص الواضح الصريح الذي جاء في القرآن الكريم خاصاً بهذا الحكم ، كأنه يقول لنا : لا داعي للتمسك بنصوص القرآن . ولا بأس عليه فقد سمعنا عالماً كبيراً يذيع على الناس أنه من حقنا أن نهمل النص إذا اقتضت المصلحة إهماله .

وهذا عالم يرى أن ضرب الرجل امرأته للتأديب (وحشية) ، وينسى أو يتناسى أن القرآن الكريم جعل هذه العقوبة لإحدى الوسائل لإصلاح المرأة في نص لا يتحمل التأويل . وكان يرى أن قول الرسول الكريم في النساء لمنهن (ناقصات عقل ودين) من الأقوال (البشعة) .

وكاتبه ترى أن القرآن لم يفسر إلى الآن بمعانيه الحقيقية ، وينبغي أن ينشط علماء العصر ، وأن يفسروه بهذه المعاني ، حتى تأخذ المرأة كل حقوقها .

وكاتبه أخرى ترى وجوب المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، فإذا قيل لها : إن الطبيعة ، والنصوص الدينية تأبى كلها هذه المساواة ،

يحدد حياة الأسرة ، ثم ذكر الرجال بأن الله على كبير ، فإذا كان منهم من يخدعه سلطانه ، وقوامته على بيته ، ويظن في نفسه العلو ، والاستكبار فليتذكر أن الله أهل وأكبر وأنه محاسبه إذا بقي وتيجر .

على أن الضرب لم يشرع إلا في حالات خاصة ، ولنوع خاص من النساء ، وقد بين الرسول الكريم أن الضرب أمر توجبه الضرورة ، وأن على الإنسان أن يتفاداه ما استطاع ، فإذا لم يجد حيلة للإصلاح إلا الضرب فلا حيلة إلا اللجوء إليه .

ويبقى أن يعترف أنصار المرأة ، بل والمتطرفات من المناديات بمساواة المرأة للرجل بحقيقة مشاهدة ملموسة ، وهي أن من النساء من لا يصلحها إلا الضرب ، ولولا خوفها من بطش زوجها لفست ، وأفست وأن الإسلام لو حظر على الرجل هذا الحق لتعذر على رب الأسرة أن يقوم حقا على بيته على أن المؤسف أن هذا الأمر ليس خاصا بالجاهلات ، أو الساكنات في أجواف الصحارى ، وهى قم الجبال ، بل إن من النساء المتميزات المتحضرات من لا يقيمها على الجادة ، إلا الخوف من رجلها .

وصدق الله العظيم ، ورغم ألوف المكابرين والمكابرات ، والمنحرفين والمنحرفات .

على العمارة

في ظلها) وأن المرأة (لذلك تريد أن تمارس حقها السياسى لترفع الإصر والأغلال التي عليها وتضع على الفوارق الظالمة ، المتعسفة) .

وإذن ، فمن حق المرأة - عند هذا الكاتب وأمثاله ، ومثيلاته - أن تؤدب زوجها بالهجر ، والضرب ، حتى لا تكون هناك فوارق ظالمة متعسفة ، ونسب الكاتب ، أو تناسى أن القضاى الفاضل إنما استمد حكمه من قول الله تعالى : « واللاق تحافون نشوزهن فعظوهن ، وأهجروهن في المضامع ، واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا . »

ولو تأمل (المجاملون) للمرأة ، و(المتعلقون) لها ، و(الواقعون تحت سلطانها) هذه الآية جيدا ، ثم نظروا في نصوص الشريعة الأخرى لرأوا أن هذا (الضرب) لا بد منه في بعض الحالات ، وأنه في أضيق الحدود .

فالآية الكريمة بدئت بأمر يخشى منه على كيان الأسرة ، وهو (النهود) من المرأة طبعاً ، ثم ذكرت لهذا الداء الويل ألوانا من العلاج ، لا يلجأ إلى ثانيا إلا بعد إخفاق أولها ، قالهظ ، ثم الهجر في المضجع ، ثم الضرب ، وقد فسر العلماء بالضرب الخفيف ، ثم لم يقف النص عند هذا الحد ، بل نهى بل نهى الرجال أن يكون لهم سبيل إلى إيذاء متى أطعنهم ، وعدان عن هذا الشوز الذي

الحرية كما يريدّها الإسلام

للأستاذ عبد المنعم النمر

بالشفاء والبعد عن رحمة الله ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليلسلطن الله عليكم شراركم ، فيدهو خياركم فلا يستجاب لكم ، هذه هي منزلة الحرية ، واستعمالها في نظر الإسلام .. ومن أجل هذا عُنى هناء شديدة ، بغرسها في النفوس ، حتى تؤتى أكلها الطيب في الحياة ، ويعيش المسلمون كراماً أهواء ...

ولقد كان المبدأ الأول لهذه الحرية عقيدة التوحيد ، التي تربط الإنسان في خوفه ورجائه بالله الذي يملك وحده الضر والنفع ، فلا يذل الإنسان نفسه لمخلوق مثله ، لا يملك له ضراً ولا نفعاً ، وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله ، فالمرشد المؤمن الصادق يعيش حر النفس ، مهما تعرضه النكبات والأحوال ... حتى عقيدة التوحيد نفسها جعل الإسلام حرية التمكن ، أساس اعتناقها وقبولها ، حين دعا المولى إلى تدبر ماحولها من بدائع صنع الله ، لتصل في حرية واقتناع ،

الحرية روح هذه الحياة وربحاتها ، والنعمة الكبرى التي أكرم الله بها الإنسان دون غيره من المخلوقات ، ولقد خلق الله آدم في الجنة وميزه بحرية الإرادة والتفكير ، فكانت هذه الحرية ، هي الأساس لتعمير هذا السكون ، وكل ما قام ويقوم فيه من حضارات .

لذلك هي الإسلام بحرية الإنسان ، عنايته بتكريمه ، وإقام تكاليفه وتوجيهاته ، على أساس أن الإنسان حر الإرادة والتفكير والاختيار .. حتى وجدناه يرفع المؤاخذه والحساب ، عن كل إنسان سلب حريته ، لأنه في نظره ، يكون حينئذ قد سلب إنسانيته ومستوابعته .

والحرية في نظر الإسلام ؛ لا يحددها حد إلا قانون السماء ، ويتمتع بها الحاكم والمحكوم ، في ظل هذا القانون على سواء ، وقد جعل الإسلام أهم ميزة في المسلمين ، مباشرتهم لهذه الحرية ، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي التوجيه والتقويم ، وهدد كل جماعة منهم ، لا تبأشر هذه الحرية ،

إلى وحدة خالقها ، بل نجد القرآن يقرر هذه الحرية في صراحة حين قال : « لا إكراه في الدين » ، « أفأنت تسكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، وبذلك وضع الإسلام أساس حرية الإنسان فيما يعتقد ، وهذا هو الشيء الطبيعي ، الذي يتماشى مع تكريم الله له ، إذ ليس من تكريمه في شيء أن يجبر على أن يقول أو يفعل ما لا يعتقد ولا يقتنع به .

ومن أجل تدعيم هذه الحرية ، وفي سبيلها ، شرع الله القتال والجهاد ، واعتبر الذين يموتون في سبيل الدفاع عنها شهداء ، ولو كان دفاعهم ممثلاً في كلمة حق ، يقولونها لسلطان جائر ، واعتبر كل إنسان متهاون في حريته ، راض بذلك واستكاثته ، ظالماً لنفسه ، مستحقاً للعذاب في جهنم وبئس المصير يقول الله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم . قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، رهبب بالمسلمين إلى أن يناصروا للضعفاء المغلوبين على حريتهم ، ويقاتلوا من أجلهم ، فيقول : « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً » .

ثم نجد الإسلام يدعم هذه الحرية ، ويقيم حياة المسلمين العملية على أساسها ، حين يأمر نبيه أن يشاور أصحابه فيقول له : « وشاورهم في الأمر » ، ويمدح المؤمنين الذين يعيشون في ظل هذه الحرية فيقول : « وأسرهم شورى بينهم » ، ويجعل الشورى قرينة للصلاة والزكاة .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم المثال الأعلى للحاكم المسلم ، الذي يعتز بهذه الحرية ويقدرها ، ويعلمها أصحابه في دروس عملية واقعية ، وعرف صحابته رضوان الله عليهم منه هذا ، فكانوا يعلنون آراءهم المعارضة لرأيه أحياناً دون خوف ، وكان لا يجد غضاضة في أن ينزل عن رأيه في بعض الظروف ، يأخذ بآرائهم ، تقيراً منه لوجهات نظرهم ، كما حدث في مواطن متعددة معروفة ، قابل عمر ابن الخطاب مرة أبا هريرة ، مفصفاً من مجلس الرسول ، ليبلغ الناس حديثاً عنه صلى الله عليه وسلم يقول فيه : « من قال لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه دخل الجنة » ، غشى عمر أن يتكل الناس على ظاهر هذا الحديث ولا يعملون ، وعمر وراه ، فصد أبا هريرة وزجره ، ورجع أبا هريرة يبكي ويشكو لرسول الله ما فعل وعمر وراه ... فقال الرسول : « ما حلك يا عمر على ما فعلت » ، فقال عمر : « بأني أنت وأمي يا رسول الله ، لقد خشيت أن يتكل الناس عليها ، فغلهم

و على تقديرهم لها ، حتى مع الأمم التي فتحوها ،
و حتى مع الذين يخالفونهم في عقيدتهم ...
لأنهم كانوا واضحين ، حريصين دائماً على العدل
و على مصلحة شعوبهم .

ولعلنا نعرف بعد هذا ، أن الإسلام
لا يرضى عن أى إجراء يتخذه المسلم ،
يعتدى به على حرية الفرد أو الجماعة ، وأن
أية محاولة يتخذها حاكم مسلم لخنق حرية
المسلمين ، يبرأ منها الإسلام ، وأن الذين
يدهون الحكم بالإسلام ثم يسلبون شعوبهم
حرياتهم ، وينتكون بالأحرار المؤمنين ،
لا يمثلون رأى الإسلام فى شيء ، وإن أعلنوا
أنهم يحكمون بقوانينه .

إن الحرية فى نظر الإسلام ، تعادل حياة
الإنسان وكرامته ، ومن لحرية له فلا حياة
له ولا كرامة ، وإن طلاب الحرية وهاشقيها
لا يحدون فى قاموس الحرية أرواح ولا أهظم
بما سجله الرسول و خلفاؤه الراشدون ، من
تقديرهم للحرية ، واعتزازهم بها . وإلى الذين
يحاولون الاعتداء على حريات المسلمين باسم
الإسلام أسوق حكمة عمر بل صرخته الخالدة
من أجل الحرية : متى استعبدتم الناس وقد
ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

عبد المظفر النمر

يعملون . فإذا كان موقف الرسول من هذه
المعارضة ؟ هل غضب ؟ لا ... بل قدر وجهة
نظر عمر ، وأخذ بها ، وتنازل عن رأيه
فى التبليغ ، وقال : « نخلهم يعملون يا عمر ،
صلى عليك الله وسلم يا رسول الحرية
و معلم البشرية ... »

و على يد رسول الحرية ، وفى مدرسته
القرآنية الكبرى ، تعلم الصحابة معنى الحرية
و تقديرها ، فماشوا أحراراً ، وحرصوا على
الحرية حكماً و محكومين ، حتى وجدنا
الخليفة منهم ، يطلب من الناس أن يقوموه
و يرشدوه إذا أخطأ ، فيقف رجل من عامة
المسلمين ، يوجه كلامه لعمر ، الخليفة الخازم ،
و يقول له : « والله لو وجدنا فيك أهوجاً
لقومناه بمحمد سيفنا ، فلا يغضب عمر بل
يفرح ويقول : أحمد الله أن جعل فى أمة محمد
من يقوم عمر بمحمد سيفه ، ويرى فى هذه
الظاهرة مظهراً كريماً للأمة الرشيدة ... وفى
حلاً من الناس تنقده امرأة ، فيقبل انتقادها ،
و يملن أمامها و أمامهم ، فى صراحة المؤمن
الوائق من زمسه ، أصابت امرأة و أخطأ
عمر . »

و هناك أمثلة كثيرة وضاعة فى التاريخ
الإسلامى و هى كلها تؤكد حرص المسلمين
الصادقين ، على تقرير حق الإنسان فى الحرية ،

رسالة «إقبال» إلى شباب الإسلام

لدكتور محمد مصطفى الألوانى

الفلسفة ، وحيته الإسلامية من المنابع القرآنية ، وتدل كثرة اقتباسه من القرآن في شعره على أن القرآن كان على قلبه ولسانه وله فضل كبير في إيقاظ الحمم ، وتشجيع العزائم في قلوب المسلمين من المسلمين ، ودعوتهم إلى ينبوع التعاليم القرآنية ، في داخل الهند وخارجها ، وبمناسبة احتفاء العالم بذكرى العاطرة نرى من المناسب أن نقوم بتطواف سريع حول رسالته إلى شباب الإسلام الذى في يده مقاليد المستقبل ومفتاح الرقى والنهضة في العالم العربى والإسلامى بوجه خاص ، والعالم الإنسانى بوجه عام ، فيقول إقبال مخاطباً الشباب المسلم :

«المسلم المشالى هو الذى يمتاز بين أهل الشك والظن بإيمانه وعقيدته ، وبين أهل الجبن والخوف بشجاعته وقوته الروحية ، وبين مهبط الرجال والأموال والأصنام والملوك بتوحيده الخالص ، وبين الأوطان والألوان ، والشعوب بأفاقته وإنسانيته ،

إن الفيلسوف الهندى المسلم ، والشاعر الإسلامى الملهم ، «محمد إقبال» كان أحد الشخصيات البارزة التى جاد بها القرن العشرون للعالم الإسلامى خاصة ، والعالم الإنسانى عامة ، دعا قومه إلى الألفة والود ، والعالم الإسلامى كله إلى الأخوة والوحدة ، والعالم الإنسانى إلى النور والعرفان .

ولد «محمد إقبال» فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ١٢٨٩ هـ فى مدينة سيالكوت^(١) ، فى ولاية بنجاب فى شبه القارة الهندية ، وكانت عائلته منحدرة من «كشمير» ، فأما أبوه فكان متصوفاً عاملاً ، وتقياً ورعاً ، وقد تأثر إقبال منذ صباه بالأخلاق الصوفية ، التى تحلى بها والده الفاضل ، وقيل : إنه قال لإقبال حين رآه يكثُر قراءة القرآن : إن أردت أن تفقه القرآن فاقراء كأنه أنزل عليك .

واستمد إقبال آراءه الفكرية ، ومذاهبه

(١) الواقعة بالباكستان الغربية بعد تقسيم شبه القارة .

د المسلم الضعيف يعتذر دائماً بالقضاء والقدر ، أما المؤمن القوي بنفسه فهو قضاء الله الغالب ، وقدره الذي لا يرد ، (١) .

ويقول إقبال في بيان مقصد حياة المسلم ، وموقفه من مواجهة العاصف ، في سبيل إعلاء كلمة الله ، لأنه خليفة الله في الأرض :
 « إن المسلم القوي الذي نشأته الصحراء ، وأحكمته رياحها الهوجاء ، أضعفته رياح العجم فصار فيها كالنمل ، نحولا ونواحا ، وإن الذي كان يذبح الليث كالشاة مهاب وطء النملة رجلاه ، والذي كان تكبيره يذيب الأحجار ، انقلب وجها من صغير الأطيوار ، والذي هزى عزمه بشم الجبال غل يديه ورجليه بأوهام الاتكال ، والذي كان ضربه في رقاب الأعداء صار يضرب صدره في الأواء ، والذي نقش قدمه على الأرض ثورة كسرت رجلاه عكوفاً في الخلوة ، والذي كان يعضى على الدهر حكمه ، ويقف الملوك على بابه رضى من الهوى بالقنوع ، ولذلك الاستجداء والخفوع ، وأردب قوله في بيان فطرة المسلم المتخلق بالآداب المحمدية إذ قال على لسان والده له :

« إن فطرة المسلم الرحمة ، والرحمة يده ولسانه في هذه الدنيا ، وإن الرسول بعث رحمة للعالمين ، فإن بعدت عن سنته فلست منا

(١) رسالة . شاعر الإسلام د إقبال .

وبين عباد الشهوات والأهواء والمنافع بتجرده وتمرده على موازين المجتمع الزائفة ، وقيم الأشياء الحقيرة ، وبين أهل الأثرة والأنانية بزهده وإيثاره وكبح نفسه ، ويعيش برسالته ورسالته ، ذلك المسلم الحق ، الذي مهما اختلفت الأوضاع ، وتطورت الحياة لا يزال يؤمن بالحقيقة الثابتة التي لا تتغير ولا تتحول - هذا الشاب المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ، بل خلق ليوجه العالم ، ويملي عليه إرادته ، لأنه صاحب الرسالة ، وحامل العلم اليقين ، فليس مقامه مقام التقليد والاتباع ، بل مقام الإمامة والقيادة ، وإذا تنكر له الزمان ، وعصاه المجتمع ، لم يكن له أن يستسلم ويخضع ، ويضع أوزاره ، ويسالم الدهر ، بل عليه أن يشور عليه ، وينازله ، حتى يقضى الله في أمره وبذلك يرد الأمر إلى نصابه ، ويقم عوج الدهر الفشوم ، ويصلح الفاسد ، وفي هذا يقول الدكتور محمد إقبال ممثلاً :

« سألقى ربى هل ناسبك هذا العصر ، وانسجم مع عقيدتك ورسالتك ؟ قلت : لا ياربى ، قال : خطمه ، ولا تبال ، ، وأخيراً يرى إقبال أن الخضوع والاستكانة للأحوال الفاسدة ، والأوضاع القاهرة ، والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والأقزام ، وفي هذا يقول في بعض أشعاره :

الدوام ، وإن مرنا في الحرم ، وفيه بكاؤنا
وغناؤنا لا جرم : بستاننا من نداء زاهر
وزرعنا من زمزمه ناضر ، وبه علا في الدنيا
صوتنا ، ووصل قديمنا حديثنا إن التثام
الملة البيضاء من الطواف بالحرم به توحدت
كثرتنا ، واستحكمت بقيد الوحدة عزيمتنا :

يا شاكيا جور الزمان ،
ويا أسير الوهم والحساب
اجعل قيصك ثوب الإحرام ،

وأطلع الصبح في هذا الظلام (١)
وتسكلمة لرسالته في الحياة وتأدية لواجباته نحو
الامة وتبليها للشباب من غفلاته ، يبين مقاصد
الامة في الحياة ، في حروف واضحة وكلمات :
« إن مقصد الحياة سربقامها ، وبه يألف
ما تفرق من قواها ، وإذا تنبعت الحياة
لمقصدها وجهت أسباب العالم إليه وتوجهت
نحوه تجنى وتنتقى وترد ، فإن السكون
يعمل جاهداً حتى يبلغ مقصداً من مقاصده ،
فهو يغرس ألف مقصبة ليظفر بأنة من ندى ،
وكم صور ورعى وكسر حتى أثبت صورتك
في لوح الحياة ، وكم بث نواحا في النفس حتى
سعد صوت أذان ، وكم حارب الأحرار ،
ونصر الأشرار ، وبذر الإيمان في طين
الإنسان حتى قرأ على لسانك كلمة التوحيد ، (٢)

أنت طائر في بستاننا ، تفرد بتغريدنا ، فإن
تكن ذا نغمة في بستاننا فغن بها ، كل حي
تهلكه العناصر المضادة ، فإن تكن بلبلًا ،
ففي الروض طيرافك وتغريدك ، وإن تكن
هقبا ففى الصحارى مسرحك ومصيدك ،
وإن تكن كوكبا فأضئ في حبالك ، ولا تحدد
عن أفلاكك ، إن طينة المسلم الطاهرة أو لوة ،
من بحر النبي ماؤها ولألاؤها ، :

وكذلك تطرق إقبال إلى حياة الامة
التي تريد مركزاً مرموقاً ، وحياة شريفة ،
فقال : « إن الحياة طائر لا عش له ، إنما
ليسع إلا الطيران ، إنما طائر طليق ، وفي
القفس حبليس ، يخطط تغريده بنواحه ،
الحياة تعقد العقد في أمورهما ثم تحل ما انعقد
بتدبيرها ، إن الحياة السريعة تقيد قدمها
في الطين لتزيد لذة نعامها وسهرها كل حين ،
فإن في حرقها ألحانا لا تنفد ، وإن وليد
يومها الأمس والغد ، هي كالرائحة حركة
لا تفر ، ولكن تسكن الصدر ، فتصير نفسا
حيا فقد الحياة فيها ورق وثمر كالخبة ، تفتح
حينها على نفسها ، فإذا هي شجرة ، وتلبث
الحياة خلعة من الماء والطين ، فإذا هي
حواس مدركة ، كذلك سنة ميلاد الأمم أن
تجتمع الحياة في مركز ، المركز من الدائرة
كالروح من الجسد ، إن خطها مضمرة في نقطتها ،
بالمركز انتظام الأقوام . وبالمركز يقدر لها

(١) كتاب « إقبال » الدكتور عبد الوهاب عزام

(٢) « محمد إقبال » للدكتور عبد الوهاب عزام .

(البقية على الصفحة التالية)

مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

للأستاذ مصطفى عبد الواحد

- ٢ -

« ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ! »

يردد ذلك القول الكثير من المستشرقين ،
حق من نظهم علمانيين لا يدورون في فلك
النبشير ولا يخدمون أغراض الاستعمار
الصلبي ، مثل بروكلان في كتابه « تاريخ
الأدب العربي » (١) .

ولا بأس ! فلنقف أيضاً ههنا هذا الرأي ،
ليس معنا إلا نور العقل ، وبرهان التاريخ
وضياء الإنصاف ، ولنعارض مع ذلك الحماسة
والعاطفة !

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ الأدب العربي
لبروكلان ، ترجمة الدكتور عبد الحليم التجار ص ١٣٥ .

وإذا لم يكن في تراث الحنفاء من العرب
ما يصلح مصدراً لدعوة محمد ، فقد اتجهت
طائفة من المستشرقين ، بل يكادون يجمعون
على ذلك في حديثهم عن الإسلام ، إلى أن محمداً
قد أتت له الاتصال بالنصرانية ودراسة
مبادئها ، من طريق أتباع الكنيسة النسطورية ،
وأنه تلقى مبادئ الدين عن هؤلاء ،
وما كانت دعوة الإسلام - في نظرهم -
إلا اقتباساً من المسيحية لونه البيضة ،
وأثرت فيه الظروف . .

(البقية على الصفحة السابقة)

امتحان لقوة الإيمان ، فسخرها لئلا تسخر
إن فكر الإنسان يسبح في العالم ليسخر
قواه ويتصرف فيه فنون التصرف ، فاركب
الهواء واصدع الجبال ، واستخرج الثور
من البحار (١) .

هذا ما سمح به المقام ، ووسعه المقال ، من
ذكرى إقبال الفيلسوف المفضل .

محمد بن العربي

(١) نفس المرجع السابق .

وأفاض إقبال في بيان تبعه شباب الإسلام
في إهلاك الحق ونشر التوحيد ، وحفظ
كيان الأمة ، والعمل لرفاهية البشرية وأخيراً
وجه كلمته الحاسمة لأمتة بقوله :

« إن هذا العالم مسخر للإنسان وإن
للإنسان فيه جهادا ، وإن لذة الإنسان
وكماله في هذا الجهاد ، وإن الله جعل هذه
الدنيا نصيب الأخيار ، وجلا محاسنها لعين
المؤمن ، هذه الدنيا طريق للقافلة ، هذه الدنيا

غضب أبرهة ، فأقبل لهدم الكعبة ، فكان من أمره ما كان مما هو محفوظ مشهور . .
والذين تنصروا من العرب كانوا من الندرة بحيث حفظت أسماؤهم و دنت أخبارهم ، مما لم يجعل للتبشير بالمسيحية في الجزيرة العربية نشاطا قبل الإسلام .

الرحلة في حياة النبي :

واسكن المستشرقين يوفرون على أنفسهم مشقة الجواب ، ويبادرون إلى تحديد المصادر الذي درس الرسول من طريقه النصرانية . فهم يقرأون في مسيرة النبي - صلوات الله عليه - أنه سافر إلى الشام ، فيجدون في ذلك دليل رأيهم ، ويرون أنه في سفره إلى الشام لابد جالس الرهبان وتأثر بتوجيههم وعرف مبادئ الدين عنهم .

ذلك فرض ، يحتمل المناقشة ، ولكن المستشرقين يـقـون به إلى درجة الحقيقة الثابتة ، ويؤسسون على ذلك رأيهم في الإسلام .

وليس هكذا تناقش المبادئ أو تحاكم الأديان والدعوات !

أما أن الرسول قد رحل إلى الشام قبل نبوته ، فذلك أمر ثابت في سيرته ، لا ينكره الأصدقاء . ولكن دراسته للنصرانية عن هذا الطريق أمر طريف يشير السخرية ولا يتقرر عند العقلاء .

من أين له ذلك ؟

ونبادر إلى السؤال : كيف تسمى لمحمد أن يدرس النصرانية ويطلع على مصادرهما ؟ لأن يسمع بها مجرد السماع ، فذلك أمر شائع في كل البيئات لا يثمر علما ولا يؤدي إلى تأثير .

إنه ليستطيع الإنسان المحاكاة ويقدر على الاستعداد والتأثر ، لابد له من اتصال قريب يعمق المعرفة ويباشر الوجدان ، ولا بد له من ترديد النظر وإجالة الرأي واختيار الفكرة ، ليدرك دوره بعد ذلك وليخرج على الناس شيئا يستطيع الدعوة إليه . .

فن أين لمحمد الاتصال بالمسيحية ، بل ودراستها والتعمق في أصولها ، حتى خرج على الناس بهذا المزيج ، الجديد ؟ !

هل كان ذلك الاتصال في مكة ؟

ولا يمكن أحدا القول بأنه كان في مكة جالية مسيحية ، فضلا عن كنيسة أو مركز ديني يدعو ويؤثر ، بل إن الملاحظ أن المسيحية كانت لا تثير حماس العرب ، قبل الإسلام ، ولا تقع عندهم بموقع .

وقد كانت تهمرتهم القريبة مع دولة مسيحية قبل مولد الرسول عام الفيل ، عندما هرب أحد العرب عن سخطه على محاولة أبرهة أن يصرف العرب عن البيت الحرام إلى كنيسة بناها بصنعاء ، فأثارت فعلة العربي الساذج

قد يقولون : لا لم تكونا رحلتين إلى الشام فقط ؛ بل لأنها رحلات ورحلات ، ينقص منها الرواة عن عهد رغبة في إنكار هذا التأثر .
ونجيب : فليكن ! وتفرضوها رحلات عديدة ، مخالفين بذلك الحقيقة والتاريخ ، مضربين عن المقارنة بينه وبين الرحالة العرب فأى مسمى ترى ، تصل إليه تلك الرحلات في نفس محمد ؟ .

إلى إتقان النصرانية وإجادة شعائرها ، أو الاقتناع بها والولاء لها ؟
وعل مجاوز في ذلك أن يصير راهبا أو متنسكا لكن ذلك أو أقل منه لم يؤثر عن محمد في أولى ولا آخرة ، ولم ير في يوم مؤديا لطقوس أو مفيضا في عقيدة أو مجادلا في شأن من تلك الشؤون .

وكل ما أثار عنه في الجاهلية من أمر الدين نوع من التأمل والتفكير في خلوته السنوية لا يصل به البحث إلا إلى بقايا دين إبراهيم من أمر التوحيد والتغزيه .

فصلة محمد في الجاهلية بالنصرانية صلة مبتونة لا دلائل عليها ولا شاهد .

ويقول المستشرقون : لسنا نريد أنه دان بالنصرانية ، ولكن المقصود أن اتصاله برهبان الشام وجلسه إليهم قد لقنه مبادئ الدين ودنعه إلى التفكير في العقيدة مما كان حصيلة دعوة الإسلام ، التي خرج بها هلى الناس :

إذ أن الروايات تجمع على أن الرسول سافر إلى الشام مرتين فحسب ، كانت الأولى وهو في الثانية عشرة من عمره ، وكانت الثانية في تجارته الحديجة .

فكيف يستطيع محمد في زورتين للشام ، وكان في أحدهما غلاما ، أن يقبصر في النصرانية ويتعمق إلى حد أن « يؤلف » ديننا على أساس تلك الدراسة ، يحوى عقائد وعبادات وشرائع .

أما كان الأجدر بهذا « الاقتباس » رجل رحالة مثل « أبي سفيان » الذي كان يكثر الخروج إلى الشام ، ويتردد في تجارته بين الأقطار ١٩ .

ولماذا يتبنى ذلك محمد ولا يتبنى لا كثير العرب بحثا عن الدين وخروجا إلى الشام كذلك ، وهو أمية بن أبي الصلت ، .
وقد كان أمية من رجاء العقل بمحظو أفر ، وكان لفرط قشوقه إلى الحق وبجته في العقيدة ، يهتدى بالفطرة إلى الغرض السليم وهو وحدانية الإله وضرورة اليوم الآخر حتى قال فيه الرسول بعد البعثة : « كاد أمية أن يسلم » .

كما كان يكثر الجلوس إلى الرهبان في زوراته للشام ، وكان له منهم الأصدقاء الأوداء .

فلم أخطأه التوفيق ولم يقم بالدعوة التي قام بها محمد ، إذا كان الأمر استفادة من رحلات الشام في نظر المستشرقين ١٩

لقد كانت عقيدة التوحيد أهم مبادئ الإسلام وأخطرهما ، وكانت محور الخلاف بين محمد وقومه ...

د أجعل الآلهة إلها واحداً ، إن هذا لشيء عجاب ، .

وكل شيء عداها كان يمكن أن تقبله العرب أو تناقشه ...

د وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ، .

والذي يتبصر في القرآن يرى دعوة التوحيد قد شغلت منه جانبا كبيرا ، وأنها قضية العقيدة الإسلامية الأولى التي كافح الوحي من أجلها .

ولو كان أمر التوحيد في الإسلام هينا لوفر الإسلام على نفسه العناء الذي لقيه في دعوة العرب إليه ، ولقبل عرض الكفار حين قالوا للرسول : نعبد إلهك يوما وتعبد آلهتنا يوما ، ولكن القرآن يرفض ذلك بإصرار وحسم : د قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ولا أتم عابدون ما أعبد ، .

فلو أن الإسلام التقى مع المسيحية في العقيدة في الله ، ثم اختلف معها في فرع من الشريعة أو جانب من العبادة لكان الأمر في دعوة المستشرقين ، ولكن خلافا أصيلا

وعند هذا الحد نصل إلى نقطة حاسمة ، تتصل بمضمون الإسلام ، تقتضينا مزيدا من التأمل ومزيدا من الإنصاف والحق .

وهل هناك عناصر مسيحية في الإسلام ؟ إن كان المراد أن دهوة الإسلام ترديد لمبادئ النصرانية ^(١) ومحاكاة لها كما كانت في عهد الرسول ، فذلك قول زائف لا يثبت أمام النظر السطحي فضلا عن التفكير والتأمل إذ أن الخلاف بين الإسلام والمسيحية ، خلاف جذري يتصل بأسر العقيدة ، ويفترق عند حدود فاصلة ، لا يمكن معها ادعاء تأثر أو محاكاة .

فعند د لا إله إلا الله ، كان الافتراق الفاصل ، الذي ميز دعوة الإسلام ، وحدد لها غايتها وخط طريقها .

فشتان بين دين يأتي من أول يوم ليدعو إلى عقيدة التوحيد ، لا يهيد عنها ولا يسمح بمساومة حولها ولا إغضاء عن وضوحها ولا شائبة تشوب صفوها أو تغض من قدسيته واجلالها ، وبين دين مختلف أتباعه في العقيدة ويفترقون ، ويؤمن أكثرهم بتعدد الإله وتثليثه ...

(١) يذكر بروكلمان من مصادره في بحثه عن القرآن هذه الكتب : عناصر نصرانية في القرآن تأليف هرنز والمصادر الأصلية للقرآن تأليف ترذال طبع في لندن سنة ١٩٠٥ وطابع الإنجيل في القرآن ، تأليف ولكر طبع سنة ١٩٣١ ود رسالة محمد وأصالة ، لجرناوم .

الإصلاح لا بد أن تلتقي عند الجذور الأولى مع المذهب الأصيل ، ولا بد أن تتفق في أمر العقيدة ، ثم يفسح المجال بعد ذلك للزيادة والابتكار أو الخلاف والقسع .

ولكن محمداً في دعوته للإسلام لا يصدق عليه مقياس تأثر أو استفادة من النصرانية إذ أن نظريته إلى أمر العقيدة أهلى درجة وأفسح مجالاً ، وموقفه مما تقدم من الأديان موقف الحكم والهيمنة ، مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه .

وقد كان القرآن ، منذ العهد المبكى ، واضحاً في موقفه من النصرانية ، وحاسماً في أمر العقيدة ، وفاصلاً في حقيقة عيسى ابن مريم عليه السلام .

فأله واحد ، لا شك في ذلك ولا تردد . قل هو الله أحد ، « إن الحكم لواحد ، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ، وقال الله : لا تتخذوا إلجين اثنين إنما هو إله واحد .

كذلك كان موقف القرآن من عيسى عليه السلام ، وهو الجانب الخطير في العقيدة المسيحية واضحاً أشد الوضوح .

فمن البداية يؤكد القرآن أنه لا ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ، وأن ادعاء ذلك افتراء وجهتان . وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إداً ، تكاد السموات يتفطرن

في العقيدة ، لا يمكن معه القول باستفادة أو قائل ...

لقد كانت عقيدة التوحيد محور الخلاف بين الإسلام والنصرانية ، وبها يقف الإسلام من النصرانية موقف التقويم والإرشاد ، فقد كانت المسيحية في انتظار الإسلام : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة » .

ولذلك يتجه القرآن إلى أهل الكتاب في ثقة يحذرهم من الغلو والافتراء ، ويهديهم إلى جانب الرشاد في العقيدة :

« يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا باقوه ورحله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد .

فمن من العرب الأميين ، مما راحل إلى الشام وجالس الرهبان أو أقام معهم في صوامعهم كان يستطيع أن يتحدث إلى النصارى بهذه اللمجة ليهدي إلى جانب الحق ويكشف ما أصاب العقيدة من ضلال ويبين لهم استحالة الولد على الله ؟ ١٤ .

وهل يريد المستشرقون أن الإسلام نزعة إصلاح في المسيحية ؟

إن المذاهب المتفرعة أو محاولات

وحينئذ فلا غموض في أمر عيسى ولا اختلاف . إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، (١) بل إن آدم في ذلك أعجب وأغرب .

والقرآن يذكر أن عيسى دعا قومه إلى عبادة الله ربه وربهم ، وأن الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم ، (٢) .

ولكن الخلاف في أمره وغموض التصور في تلك العصور من التاريخ ، أدى بقومه إلى ألوان من الاتجاهات وعديد من الآراء جانبها الحق ونأى عنها الرشاد ... وفاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (٣) .

بهذا نطلق القرآن في مكة ، وبهذا حدد الإسلام موقفه من المسيحية ولم يلتق معها في العقيدة التي هي حجر الأساس في بناء الدين والتي يتفرع عليها الاتجاه والعمل .

فأين تقع معرفة محمد بالمدىحية من الدين الذي جاء به ، وأين هي الاستفادة من النصرانية التي يدعيها المستشرقون المنصفون ؟

معلقى عبد الواحد

(١) سورة آل عمران .

(٢) سورة مريم .

(٣) سورة مريم .

منه وتنفق الأرض وتخمر الجبال هذا ، أن دعوا للرحمن ولدا ، وما يبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ، إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ، (١) .

وكيف يكون له سبحانه ولد ، والولد يستلزم أن يكون له صاحبه ، تنزه عن ذلك وتقدس ، وأنه تعالى جدر بنا ما نتخذ صاحبة ولا ولدا ، (٢) . وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا (٣) ، فملاقة السكون كله بآلة علاقة الصنعة بالصانع ، لا فرق بين بشر وحجر .

د أنى يسكون له ولد ، ولم تمكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم (٤) .

وعلى هذا الأساس يفسر القرآن حقيقة عيسى ابن مريم ويكشف عن قصته اللبس والغموض . فريم ابنة عمران امرأة سالحة متعبدة أحصنت فرجها ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ، (٥) اختارها الله سبحانه لتسكون في ولادتها لعيسى من غير أب شاعدا على قدرته التي لا تحد ، وجعلناها وابنها آية للعالمين (٦) .

(١) سورة مريم .

(٢) سورة الجن .

(٣) سورة الإسراء .

(٤) سورة الأنعام .

(٥) سورة التحريم .

(٦) سورة الأنبياء .

الناحية العلمية من إعجاز القرآن

للأستاذ أحمد محمد الغراوي

— ٤ —

يعلم إلا الله ما هو ذلك الجاذب الهائل ، ليس يعلم إلا الله هل هو جرم واحد بالغ للعظم يجذبها فيكون مستقرها أن تصطدم ، وتستقر فيه ، أو هو عدة أجرام في مواقع مختلفة كل منها عظيم يجذبها في اتجاهه فيكون لمجموع قوى الجذب في الاتجاهات المختلفة تأثير قوة واحدة يجرى بها الله الشمس في مجراها الذي يعرفه العلم الآن بسرعة واتجاهها ، ويكون مستقرها الذي سوف تصير حتماً إليه واجعا : إما إلى تغيرات في ملك القوى تنشأ عن تغيرات في مواقع تلك الأجرام المتحركة تؤدي بها في النهاية إلى توازن تصير به الشمس إلى السكون ، وإما إلى تدخل جاذب جديد يعرض للشمس في مجراها في اتجاه مضاد بحيث تكون نتيجة تدخله استيقاف الشمس وسكونها في النهاية عند الموقف أو المستقر الذي قدره لها الله العزيز العليم ، من غير اصطدام بأحد تلك الأجرام . وعروض هذا الجاذب الجديد جائز في الحالة الأولى أيضا ، حالة احتمال أن يكون الجاذب

بعد أن أوردنا ما أثبتته علم الفلك الحديث الشمس من جرى حقيق قدره اثنا عشر ميلا في الثانية في الفضاء مسددا لقوله تعالى : « والشمس تجري » ، فكان ذلك مثلاً بامراً للإعجاز العلمي في القرآن ، لم نتعرض للشطر الثاني من الآية السكرية : « والشمس تجري لمستقرها » ، إذ من الواضح أن المستقر الذي ينتهي إليه الجري أمر من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله العزيز العليم ، الذي قدر ذلك الجري على هيئته ، لينتهي إلى غايته في الوقت الذي استأثر سبحانه بعلمه ، إذ هو فيما يبدو متعلق بالاضطرار الفلكية لقيام الساعة إن لم يكن هو وقت قيامها .

إن السنة الكونية التي يسميها العلم بقانون الجاذبية العام بين الأجرام والتي لا يدري العلماء لها تفسيراً ولا تعليلاً - هذه السنة تقضى بأن جرى الشمس بتلك السرعة لا بد أن يكون راجعاً إلى جاذب هائل يجذبها في الاتجاه الذي تجرى فيه كما تجذب هي سياراتها ، وكما تجذب السيارات ذرات الأقمار أقمارها ، وليس

الذى ينبغي أن تكون عليه ، أما الذى لا يمكن لأحد أن يعرفه قطعهما بلغ من العلم والفقه والبصر فهو الوقت الذى قدر لتلك الآثار والأشراط والأحداث أن تقع فيه على التتابع أو التجمع الذى قدره الله لها ، فإن الله سبحانه قد استأثر بعلم ذلك الوقت كما أخبر فى كتابه العزيز .

وتنكير المستقر فى قوله تعالى : (هظم المستقر لها) ، يشير إلى شأنه وهول آثاره التى ستكون ، كالذى نبه إليه الإمام عبد القاهر من دلالة التنكير فى قوله تعالى : (وأمطرنا عليهم مطراً) فى قصص قوم لوط ، والقرينة على هذه الدلالة فى إحدى الآيتين تختلف هنا فى الأخرى لاختلاف المقام فى كل ، كما يدل عليه السياق ، فالمقام فى آية قصة قوم لوط مقام تحذير من عاقبة الإصرار على الغواية وتكذيب الرسل ، فكانت القرينة قوله تعالى : (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ، فى آية (٨٤) من سورة الأعراف ، وقوله تعالى : (فساء مطر المنذرين ، فى آية (١٧٣) من الشعراء ، وآية (٥٨) من النحل ، وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) الأعراف .

• وأمطرنا عليهم مطراً ، فساء مطر المنذرين ، النحل والشعراء .

أما المقام فى آية يس فهو مقام تحذير لإجمالى

الهاائل جرماً واحداً بالغ العظم ، فاقه سبحانه أعلم أى هذه الاحتمالات يكون .

لكن مهما يمكن منها - أو من غيرها ، وهذا من باب الاحتياط - فلا بد أن يتم على الوجه الذى تتحقق به جميع الآثار التى جاءت فى القرآن المجيد وفى الحديث الصحيح من مقدمات الساعة ، كطلوع الشمس من مغربها فى حديث أبى ذر ، أو من أحداث قيام الساعة نفسها كجمع الشمس والقمر فى سورة القيامة .

فانظر إلى ذلك الجرى الذى أثبتته القرآن للشمس وحققه علم الفلك الحديث بعد نزول القرآن بقرون وقرون ، ثم إلى ذلك المستقر الذى أخبر القرآن ، فى أوجز لفظه وأفصح وأوضحه ، أنه غاية ذلك الجرى ونهايته ، وإن لم يعرف العلم عنه شيئاً بعد - انظر إليهما معا كيف إنهما فى ضوء سنة الجاذبية العامة قد استلزما أن تكون الساعة وأشراتها وأحداثها لا خرقاً ، ولكن طبقاً للسنة السكونية التى فطر الله عليها الكون ، ومن الممكن للفلكى الحديث المتمكن من العلم ومن فقه كونييات القرآن معاً أن يسترشد بتلك الأشرط والأحداث الفلكية ، كما جاءت فى كتاب الله وعلى لسان رسوله فيستنبط منها ومن الثابت اليقيني فى العلم ، كثيراً مما لا بد منه كي تتحقق الآثار بالترتيب

ما استقام لهم هذا لأنهم يقررون أن الشمس
إذ تبلغ أحد الموقعين تبدأ ترجع أدراجها
حتى تبلغ الموقع الآخر في ستة أشهر وليس هذا
باستقرار إلا على وجه مجازي يبيحه التنكير .

وفي المفسرين القدماء من قال : إنه
لا استقرار للشمس في حركتها حتى يجيء
يوم القيامة فتبطل حركتها وتستقر ، وهذا
أقرب تقصير إلى الصواب لولا أن أهله
قصدوا بحركة الشمس هذه الحركة اليومية
الظاهرة الراجعة في الحقيقة إلى دوران
الأرض حول محورها أمام الشمس والراجع
اختلاف المشرق والمغرب فيها إلى اختلاف
مواقع الأرض من الشمس في حركة
الأرض السنوية ودورانها حول الشمس
مرة في العام فهم طبعاً لم يقصدوا الحركة
الحقيقية العظيمة السرعة التي أنبتها العلم
للشمس وأنبأ بها القرآن قبل أن يولد علم
الفلك الحديث فكان ذلك للقرآن معجزة
علية كبرى ينبغي أن يتذكروها دائماً
كل مسلم مثقف ويجعلها نصب عينيه ليزداد بها
يقيناً : أن القرآن من عند الله حقاً ، ويعرف
عن اقتناع أن ليس هناك شطط ولا تكلف
في المطابقة الصحيحة الدقيقة بين يقينيات العلم
وكونيات القرآن .

فهذه المطابقة ، بالصورة التي وأبغى
هذا المقال والذي قبله ، قد بينت صنفها

من تكذيب الرسل ، وتفنيه تفصيلي إلى
بعض آيات الكونية الدالة عليه سبحانه
وعلى كمال قدرته وحكمته ، وجلال فضله
ونعمته على عباده ، فكانت القرينة قوله
قعالى : ذلك تقدير العزيز العليم ، في الآية
٣٨ : والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك
تقدير العزيز العليم .

والإشارة في ذلك ، هي طبعاً لتكون
الشمس تجري لمستقر ، أي تجري وغايته
معاً لا لاحدهما وحده ، وغريب أن يكون
غاب عن الفخر الرازي شمول التقدير
للأمرين جميعاً ، إذ جعل اسم الإشارة راجعاً
إلى الجري أو إلى المستقر على الاحتمال ،
كما تراء في موضعه من الجزء السابع
من تفسيره .

وكما دل التنكير على عظم شأن المستقر
الذي نتهى إليه الشمس في جريها الحقيقي
فإنه أيضاً قد سمح لأكثر المفسرين أن يذهبوا
في معنى المستقر إلى ما يتفق وجري الشمس
الظاهري وتخير مواقعها في الشروق
والغروب طوال العام ، وترددها في ذلك
كل عام بين أقصى موقعين تبلغهما في الشتاء
والصيف لا تتعداهما بحال ، فكل موقع
من هذين الاقصىين هو لها مستقر في الشتاء
مرة وفي الصيف أخرى ، هذا هو خبر ما قاله
الأكثر من ، ولولا تنكير « مستقر »

حركة الأرض في القرآن الكريم آية أخرى للناس تهدي إلى الله وتشهد للقرآن مرة أخرى : أنه حقا من عند الله ، فقد لبث الناس عامتهم وخاصتهم قرونا بعد نزول القرآن ، وهم يعتقدون أن الأرض ثابتة لا حراك بها . إن ليس للأرض حركة محسوسة في الظاهر كحركة الشمس النسبية من المشرق إلى المغرب التي فسرها فلاسفة اليونان تفسيرهم الذي خطأه علم الفلك الحديث من جميع الوجوه . وفي الحق أن هذا المعقول أن يكون قد كان فعلا في القرآن ، ففي القرآن الكريم دلالات متعددة على حركة الأرض بنوعها جاءت عن طريق الإشارة ، لا صريح العبارة مراعاة لمقتضى الحل في خفائها وهدم لإحساس الناس بها ، فلو أن القرآن العزيز صار حرم بمحركة الأرض وهم يحسونها ساكنة لمكذبوه وحيل بينهم وبين هدايته ، فكان من الحكمة البالغة ومن الإعجاز البلاغي في الأسلوب أن ينبه الناس في كتاب الله إلى آيته سبحانه في حركة الأرض حول محورها وفي حركتها حول الشمس بمختلف الإشارات إلى نتائج كل من الحركتين ، منا عليهم بها وحشا لهم على اكتساب أسباها .

ومن أعجب مظاهر المن والحث مجتمعين القسم : قسم الخالق سبحانه بخلقاته حين غفل الناس عن آياته فيها لما أعردوا وألقوا

من الإعجاز في آية يس لا يكاد الإنسان يقضى حقها عجا ، آية من أروع كلمات تحوى في كلمتين معجزة علمية : (والشمس تجري) ، وتحوى في كلمتين أخريين (لمستقر لها) نبوءة مذكاة مستحقة من غير شك لأنها قريبة المعجزة العلمية الصادرة عن فاطر الشمس سبحانه ؛ ثم تحوى في الكلمات الأربع إعجازا بلاغيا في مراعاة مقتضى الحال ، إذ تتحمل في كل من شطريها فأولا يتفق مع الظاهر للناس من حركة الشمس حتى يتهدى بها الناس جميعا ، من عرف سر هذه الحركة الذاتية ومن لم يعرف ، من عرف هذا السر اهتدى به وبالمعجزة العلمية التي حوتها الآية ، ومن لم يعرف اهتدى بموافقة الآية للحركة التي يرى .

• • •

ودوران الأرض حول محورها ودورانها حول الشمس : ما موقف القرآن منهما ؟ وهل فيه دلالة عليهما ؟

إن هذا التسأل ليس فيه إفتيات كما قد يظن بعض من يخشى أن نحمل آى القرآن ما لا تحتمل ، بل هو تسأل ينبغي أن يكون . إن الله قد أنبا بالحركة الذاتية للشمس ليكون فيها وفي الإنباء بها آية للناس ، فمن المعقول أن يدل الله في كتابه على الحركة الذاتية للأرض التي يخلق بها سبحانه هذه الحركة الظاهرة للشمس ، ليسكون في الدلالة على

الحركة وهي كناية عجيبة عن حركة الأرض اليومية لا تفهم على حقيقتها إلا إذا تذكرنا أن الظلمة هي الأصل في جو الأرض في النصف غير المقابل للشمس، وإذا تصورنا الأرض تدور حول محورها دورة في اليوم من المغرب إلى المشرق أمام الشمس ليتعاقب فيها الليل والنهار على كل مكان في الأرض على جانبي خط الاستواء إلى قريب من القطبين .

ومن عجيب أمر القسم بالصبح وبالنهار في القرآن الكريم أنهما لم يوصفا بإقبال ولا بإدبار ، لأن ذلك لو كان لما جاء بمعنى جديد إذ هو لازم حتما من إدبار الليل وإقباله ، ولكنهما وصفا بالوصف الخاص بهما ، الناشئ عن سلوك الضوء ، ضوء الشمس في الغلاف الهوائي المحيط بالأرض وولوجه فيه تدريجا عن طريق الانكسار في طبقات الهواء العليا الأخف إلى طبقات الهواء السفلى الأكثف ، من الفجر إلى الإسقار ، ثم انتشاره بهل طلوع الشمس تدريجا أيضا بالانكسار على الأخص وبالانكسار أيضا حتى يعم النهار ولولا الغلاف الهوائي ما كان هناك فجر ولا صبح ولا إسقار في أول النهار قبل طلوع الشمس ، ولا شفق في آخر النهار بعد غروبها ، فليس شيء من ذلك بكائن على القمر مثلا بعد أن فقد هواءه لضعف جاذبيته الناشئ

عنها حتى غطت العادة والافسة على مواقع النعمة ومواطن الحسنة ومواضع العبرة فيها خلق لعباده ، فإذا أقدم الله سبحانه في كتابه العزيز بالليل وبالصبح وبالضحى وبالنهار أفلا يكون في هذا أكبر داع لهم أن يتأملوها ويتساءلوا : ماذا أودع الله فيها من بحالي حكمته ومظاهر عظمتة وقدرته حتى استحققت أن يقسم لعباده بها وهو خالقهم وخالقها ؟ فإذا بحثوا وعرفوا أنها ناشئة عن حركة الأرض في كل يوم أمام الشمس ، أفلا يكون في ذلك القسم دليل إلى تلك الحركة .

هل أن الله سبحانه لم يجرد القسم من إشارة تدل على طبيعة السر الذي أودع في المقسم به . فقد وصف الليل عند القسم به بالإدبار نارة : (والليل إذا دبر) في قراءة نافع وحفص ومن إليهما ، (والليل إذا دبر) في قراءة أكثر القراء العشرة ^(١) ، ووصفه بالإقبال والإدبار كليهما في قوله تعالى (والليل إذا عسعس) لأن الفعل معناه : أقبل ظلامه أو أدبر كما في القاموس ، ووصفه بالسر في سورة الفجر : (والليل إذا يسر) في قراءة أكثر العشرة وقفاً ، (والليل إذا يسر) في قراءة ابن كثير ومن إليه . وكلها أوصاف تقتضي

(١) عن كتاب البدر الزاهرة في القراءات العشر للذوات الشيخ : عبد الفتاح القاضي شيخ معهد القراءات بالأزهر .

ومع ذلك فقد قات المفسرين دلالة هذه الإضافة ؛ وهم معذورون إذ صرفوها إلى ما يعرفون من هذا الليل ، وجعلوها من الجواز ولو لم يروا النص ودلالته لاهتدوا إلى حقيقة عجيبة غريبة أنبأ بها القرآن ولم يحققها الإنسان إلا منذ سنوات لما بدأ عصر الفضاء هذا ، فأثبت بذلك من حيث لا يدري معجزة هلمية أخرى للقرآن ليس إلى وجودها دليل .

فإذا ما تجاوزنا القسم وإشارته واستزدنا من الدلالة على حركة الأرض اليومية في القرآن وجدنا ما في قوله تعالى : (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) في الآية (٥٤) من سورة الأعراف . فالمغشى يصح أن يكون الليل أو النهار لأن التعبير يحتملهما كما يقول الزحخشري ، وإذن فهو يشملهما إذ لو كان أحدهما هو وحده المغشى لا الآخر لجاء التعبير القرآني نفا في ذلك لا يحتمل غيره ، لأنه كلام الخاق سبحانه لا كلام مخلوق يجوز أن يأتي لفظه أضيق أو أوسع من المعنى الذى قصد ، وإذن فكل من الليل والنهار يطلب الآخر طلباً حثيثاً بإذن الله كي يغشا حتى يغشا ، ثم يكون ذلك على وجه التجدد المستمر كما تفيد صيغة المضارعة في الفعلين مع الحالية في الفعل الثانى . فتأمل معنى جلال هذه الكلمات القرآنية الخمس كيف صورت أدق تصوير تلك الظاهرة الكونية العجيبة

من صغر كئلته مع سرعة حركة الجزئيات في أى غاز .

من أجل ذلك جاء القسم بالصبح إذا أسفر بعد القسم بالليل إذا أدبر في سورة المدثر ، وجاء القسم بالنهار إذا جلى الشمس في الآية الكريمة (والنهار إذا جلاها) من سورة الشمس ، وليس على القمر نهار كالذى نعرفه على الأرض تتجلى فيه الشمس ، فعناء القمر تظل مظلة في نهاره الطويل طول نصف شهره هندا ، كما هو الحال في نهارنا أيضا إذا علونا الغلاف الجوى بهوائه وسبحه كما استنتجه العلماء من أن الضوء لا يرى بذاته ولكن بالانعكاس عن المرئيات ، وكما شاهدته طيارو الفضاء حين دارت بهم القميرات الصناعية حول الأرض أهل من غلافها الجوى بكثير .

ومن عجب أن هذا الذى يستنتجه العلماء وشاهدته طيارو الفضاء من ظلمة السماء قاطبة بالنهار إذا علونا الأرض وبجوارنا غلافها الهوائى - هذه الحقيقة التى لم يكن ليصدق بها أحد من قبل قد دل عليها القرآن المجيد صراحة في كلمتين هما (وأغطش ليلها) في قوله تعالى : (أأنتم أشد خلقا أم السماء ؟ بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) فالضمير فى (ليلها) راجع إلى السماء التى تتكلم الآيات الكريمة عنها وحدها ، فافقه سبحانه يفبنا أنه أظلم ليل السماء لا ليل الأرض ،

(والارض بعد ذلك دحاهها) في الآية (٣٠) من سورة التازعات .

فإن احتجبت إلى مزيد من الدلالة في القرآن على الحركة اليومية الأرض فأنت واجد حاجتك بإذن الله في قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون) ومعنى الكلمات الأربع الأولى ظاهر بما تقدم ، فلا محل للإشكال الذي ذكره الفخر الرازي أما الشاهد فهو في الكلمات الأربع الأخرى : (وكل في فلك يسبحون) وقد جاءت في إثر الأربع الأولى كما ترى فهي تشمل الليل والنهار المذكورين فيها ، كما تشمل الشمس والقمر المذكورين في مفتتح الآية الكريمة : (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون) من سورة يس . فالليل والنهار يسبحان في فلك ، لكل فلك يدور فيه ألا وهو فلك الأرض أو بالأحرى فلك جوها الذي يدور بدورانها مرة حول محورها أمام الشمس كل يوم .

أما حركة الأرض السنوية حول الشمس ففي القرآن الكريم دلائل على أنها على الأقل : أحدهما عن طريق الإشارة إلى أثرها في الليل والنهار من حيث تداخل أحدهما في الآخر من جهة الطول والقصر على تتابع الفصول الناشئة عن تلك الحركة ، وذلك في مثل

ظاهرة زحف النهار إثر الليل حالا محله من طرف ، وزحف الليل إثر النهار حالا محله من الطرف الآخر في كل بقعة من بقاع الأرض أثناء دورتها اليومية حول نفسها أو حول محورها أمام الشمس نتيجة لذلك الدوران الذي يدل على عظم جلاله وجماله مرجع الضمير في قوله تعالى (ينشى الليل النهار) .

ثم هذا لدوران نفسه قد دل القرآن عليه بما يكاد يكون نصا صريحا في قوله تعالى : (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) في الآية (الخامسة) من سورة الزمر . والتكوير اللف واللى ، يقال : كور العمامة على رأسه وكورها ، كما يقول الزمخشري في تفسيره . إلا أنه جعل يلتبس لذلك معنى مجازيا لما غاب عنه ما ظل مجهولا للناس أجمعين لقرون بعده من أن الله سبحانه يلف الليل على النهار بلف محوري حقيق للأرض التي هي محل الليل ، ويلف النهار على الليل بلى حقيق لاشعة ضوء الشمس في خلاف الأرض الهوائي الذي تملأه الظلمة وهي تدور .

وفي الفعل (يكور) المكرر مرتين في الآية الكريمة معجزة علمية أخرى ، إذ قد دل بوضوح على كروية الأرض بكروية جوها الذي يشغله ويتعاوره الليل والنهار على التجدد في كل بقعة من بقاع الأرض . وفي هذا غناء عن الاستشهاد بكلمة (دحاهها) في قوله تعالى

قوله تعالى : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » في الآية (١٣) من سورة فاطر . وقوله تعالى : « ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » في الآية (٢٩) من سورة لقمان . وقوله تعالى : « ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » في الآية (٦١) من سورة الحج . وتكرار المعنى هكذا في آيات متعددة تؤكد له من ناحية ، وتنبئ به من الله لعباده أن يتطلبوا سر هذه الظاهرة الكونية التي يحسونها من ناحية أخرى . والمرهف في تلك الحركة كما عرفها الفلكيون والجغرافيون خاضعة للسفن الكونية الثلاث المعروفة بقوانين « كبلر » لدوران السيارات حول الشمس ، وقانون الجاذبية العامة التي كشفها وكشف قانونها « نيوتن » .

وليس عجيباً أن يفوت المفسرين جميعاً هذا المعنى على قرينه بأن يعرف ما أنبئت العلم الأرض من حركة حول الشمس ، لأنهم رحمهم الله - لم يكونوا يعرفون أن الأرض حركة ما ، لا يومية ولا سنوية . ومن هنا صرفوا المعنى عما يقتضيه المفعول المطلق في الآية الكريمة وما يستلزمه قوله تعالى : « صنع الله الذي أتقن كل شيء » ، من أن الظاهرة التي لفت الله إليها الإنسان في قوله : « وترى الجبال ... » الآية . هي ظاهرة كونية فيها من إتقان الصنع ما يدل على جلال حكمته وقدرته سبحانه ، وما ينافي ما سماه قدامى المفسرين نقضا لسنن الله في السكون يوم القيامة أو بين يدي يوم القيامة ، من نصف الجبال نصفاً إلى آخر

قوله تعالى : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » في الآية (١٣) من سورة فاطر . وقوله تعالى : « ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » في الآية (٢٩) من سورة لقمان . وقوله تعالى : « ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » في الآية (٦١) من سورة الحج . وتكرار المعنى هكذا في آيات متعددة تؤكد له من ناحية ، وتنبئ به من الله لعباده أن يتطلبوا سر هذه الظاهرة الكونية التي يحسونها من ناحية أخرى . والمرهف في تلك الحركة كما عرفها الفلكيون والجغرافيون خاضعة للسفن الكونية الثلاث المعروفة بقوانين « كبلر » لدوران السيارات حول الشمس ، وقانون الجاذبية العامة التي كشفها وكشف قانونها « نيوتن » .

أما الدلالة الثانية فهي أهم لأنها إشارية تكاد تكون في صراحة عبارة تنص على أن الأرض حركة غير حركتها اليومية . تلك هي دلالة قوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء » في الآية (٨٨) من سورة النمل .

والسحاب ، كما هو معروف لا ، يتحرك بذاته ولكن يتقلل بحولا على الرياح ، فيكذلك الجبال يراها الرائي فيظنها جامدة في مكانها

شأنها أن تهدي إليه سبحانه وهي قوله تعالى :
(ألم يروا أننا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار
مبصرًا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) .
والسياق ودلالته ينبغي على الأقل أن يشمل
هذه الآية ودلالاتها فيما يشمل ، وإذن تسقط
حجة المحتج بأن آية (ويوم ينفخ في الصور
ففزع من في السموات ومن في الأرض
إلا من شاء الله ، وكل أتوه داخرين)
في موضعها بين الآيتين ، تشهدان بمجعل آية
الجبال خاصة بما يتعلق بالجبال من أحداث
يوم القيامة .

وبعد ، فإن من لطيف المناسبة أن تشير
آية (ألم يروا أننا جعلنا الليل ليسكنوا
فيه والنهار مبصرًا) إلى ظاهرة فثناً عن
إحدى حركات الأرض ، وأن تشير آية
(وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر
مر السحاب) إلى الحركة الأخرى تلك
الإشارة الواضحة العجيبة : ومن حكمة الله
البالغة أن جعل بين الآيتين آية تتعلق بيوم
البعث لتصرف الأذهان بها عن المعنى الذي
لم تكن لتعقله قبل أن يأذن الله بالكشف
عن سنة الله في حركة الأرض حول الشمس
كسيار من السيارات التي أقسم الله بها ، تنبيها
إلى آياته فيها ، إذ يقول سبحانه : (فلا أقسم
بالخفس ، الجوارى الكنس) في الآيتين
(١٥ ، ١٦) من سورة التكويد ؟

محمد حمزة النمرود

ما نطق الآيات القرآنية المتعلقة بالساعة
وأشراطها والزخشرى وحده هو الذي أدرك
بذوقه البيناني عدم التلاؤم بين قوله تعالى
(صنع الله الذي أتقن كل شيء) وبين
ما سيحل بالجبال بين يدى الساعة ، فقد ر
مخدوفاً يليق في رأيه بذلك الصنع المتقن
إذ قال : والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان
كيف وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين
ثم قال (صنع الله) يريد به الإثابة والمعاقبة
وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها
وأتقنها على الحكمة والصواب ، إلى آخر
ما قال بما رفضه غيره مثل أبي حيان في تفسيره
وفسبه إلى مذهب الزخشرى في الاهتزال .
ولو صرف الزخشرى وأبو حيان ما نعرفه
اليوم من دوران الأرض حول الشمس بقلك
الكيفية الباهرة ، وما يحكمها من تلك السنن
الالهية الدقيقة القاهرة ، وما يترتب عليها
من المنافع للناس إذن لكبروا الله ولسارها
إلى المعنى المتبادر من الآية ومن تشبيهها
التمثيلي ومن القرائن الحسية والبلاغية فيها ،
وليفهموا الخطاب في (وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب) هل أنه
خطاب للإنسان الآن وفي كل عصر آت يذله
على آية من آيات الله الكبرى عله يهتدى بها
إلى الله ، كما دله في الآية التي قبلها بآيتين هل
مشيلة أو مشيلات لها تهتدى إلى الله أو من

آذان الفجر في بلاط الشهداء

لدؤسان محمد رجب البيومي

« تروى الأساطير التاريخية أن صوت الأذان الإسلامي قد طان
بسمع عند الفجر بساحة بلاط الشهداء مائة عام ، وأن حمام بيض كانت
تزفرف ساعته وبراها الناس » .

من الأرض ، يتلى أم لدى الخلد يذكر
وإلا فما هذا الأريج المعطر
كان شعاع الفجر صبح منور
لها قبل يوم الحشر في الفجر محشر
كأوسمة من سدة العرش تنثر
يرف مع الورقا روح مطهر
فتخضع لإجلالها حين تنظر
فصفحة الحراء ورد منظر
وروداً بها طهر الشهادة يهر
شداً كاذب منه الميت في القبر ينشر
هتاف بترداد الأذان مكرر
لها فن في الخلد ريان أنضر
تذكرها الأملس القريب فتذكر
فضلوا سيل الحق والنهج مسفر
ملايين في طلباتها تتحضر
وكاد دجاء فوقها يتحجر
مشاعل ضوء تلمس الليل يذهر
من الدين والأخلاق سفر مسطر
فأني بني الإسلام من يتحجر

بروح الحبا هذا الأذان المحير
تخلته من جنة الخلد صادحا
يضى به الفجر اتسلا على الربى
تردده الأرواح فسوى كأنما
تزل من عليا السماء وضئته
حمام ليست كالحمام وإنما
تراقبها في الفجر تهبط من عل
تري الأفق مزهواً بها متخايلا
وكانت دماً يوم الوغى فتفتحت
كان نسيم الفجر يحمل عطرها
حمام جنات النعيم مديلاً
أبت أن تمس الأرض مساءً وإنما
دنت ذات طوق في احتفاء لاختها
تسألها : ماذا أصاب هداتنا
أتيناها بالنور يهدي شعاعه
شعوباً بأوربا تكاتف جهلها
لقد ألقوا الليل البهيم فإن يروا
أتيناها كالأصدقاء وعندنا
لهم مالنا لا نفتنى أن ندلم

عليهم جميعا ما علينا ، وإنما
 إذا نزل اليك الروى فكلنا
 ألم يشرب الطغيان بغياً دعاهم
 شرازم أميون إلا قساوسا
 ترون قذارات الجسوم فضيلة
 معاذ الهدى أن نسلب النوم دينهم
 لديه طريق الحق ، إن يستجب له
 فيآيتهم قاموا لرشد يقودهم
 ثعابين في الاحراش يرشح سمها
 دعاها إلينا ، شارل مارتل ، فارتعت
 أنينا نحيط الشر عنها فصدما
 لهم صرخات بالعراء كأنهم
 تردوا جلود الوحش في الكون فاغتنى
 شعور تعم الجسم والوجه أرسلت
 إذا غمر الشعر الكشيف صدرهم
 ولما تلاقينا ودرى هتافنا
 ولما تراينا ولاحق سيوفنا
 تجلجت لجيش الغافقى مهابة
 وغاضت خيول الله في ساحة الوغى
 ولاح بريق النصر يومض فجره
 رأوا حثفهم يدنو فراموا مكيدة
 سرت صيحة أن الغنائم هوجت
 لئن حسبوا فقد النضار خطورة
 لقد كشفوا الإسلام ، لولا عصاة
 وأن لقاء الله أنفس مأرب
 ولم أر مثل الغافقى قد انبرى

مساواة دستور بطاع فيأمر
 سقتل منه إذ يفيض فينذر
 فهم في سطاء كالسوانم تنحر
 إذا استظفروا الإنجيل لم يتدبروا
 مقدسة ، يا ويل من يتظهر
 مراغمة ، بل راشد يتخير
 مضى قدما فيه ، وما ثم يجبر
 إلى حيث ينجو بالرشاد مفكر
 تحكم فيها أفعوان مسيطر
 كطوفان موج خلفه يتحدر
 عن الخبير شر في النفوس مقرر
 نمور بأدغال تصيح وتزأر
 لهم نسب عند الوحوش مؤصر
 عليهم ففما للقدارة مظهر
 تجلى من الإنسان ذنب مصور
 يشق عنان الأفق : الله أكبر
 تضىء مشار النفع والجو أكدر
 وتم له رأى بديع ومخير
 تجدل ما شاء الكفاح وتأمر
 وبعده هنيات يفيض فيهر
 تقوم مقام الحرب والكيده أقدار
 ففر من الميدان قوط وبربر
 لقد جلبوا العار الذى هو أخطر
 رأت أن وعده الموت حتم مقدر
 لمستشهد يلقى الجنان فيؤجر
 ومقلته من جاحم الغيظ تسحر

بما ظلمه استشهدنا فتأجج
تيوم هرت فيه الشواخ رهبة
ترين به الصرعى أكاليل عزة
مشوقا تصبته الشهادة فارتقى
وكان مرد الموت سهلا ، فلم يشأ
لئن كان في الدنيا أميرا فإنه

مواجهه ، وانقض غضبان يثار
فلا صريح إلا مائل يتبعثر
فيامصرعا فيه الأكاليل تضفر
لها ، وحياء من البشر يزهر
فرارا ، وأنى ، وهو في الروح قصور
كذلك أمير في الجمان مؤمر

تسامرها ، والطير في الحلد يسمر
فنحن هن الجانين نغفو ونغفر
وكل جهول لا بحالة يعذر
إلينا على شوق ، ولم يتأخروا
عن الناس ، وهو المستفيض المشهر
وم إخوة ، إن يسألوا الرأي أخبروا
يعيث بها الإقطاع ههرا فيفجر
مع الطين تشويها السباط فتصهر
فكل نبيل في التجبر قيصر
وما منهم إلا الدليل المـخـ

تسيل جراسا بالمكيدة تنفر
لقد أيقنت : أن المكنائس متجر
تلوا نص إنجيل به يتخدر
من الفاتحين الأريحيين عسكر
ترعرع فيها العالم المقحضر
وطوقاتها الجياش بالعلم يزخر
مساواة شرع بالعدالة يجهر
فيذئط لا يثنى خطاه مكدر

ورفت عليها من قريب حمامة
يهيب بها : كفى ملامك عنهمو
لقد جهلوا ما نفتديه من الهدى
ولو درسوا أخلاقنا لتقدموا

فصاحت بها : اختاه ، لم يخف ديننا
الم يسألوا الأسبان ، مما نرومه
الم تك أسبانيا مباداة فسق
أليس رقيق الأرض فيها شراذما
طغى النبلاء المتخمرون على الورى
يسير وأحراس الرقيق تحوطه
وأخرى من الكهان عز دواؤها
لقد شرعت سود العائى والحقى
إذا فاض بالشكوى أجبر معذب
شروع تلظت نارها فلولى بها
أحالوا ديار القوط فردوس جنة
مدارس لتثقيف فاضت حياضها
محاكم للحق النزيه تسودها
مصحات طب ينتجها أخو الضنى

خاتمة المطاف

للأستاذ على الخطيب

العفة هبة المرأة التي بها تعز، والحب مطلبها
الذي به تسعد، وجلال حياتها أن يتوج عفافها
بحب تنعم به، ويشيع فيها الثقة والاحترام
وإذا كان الرجل تقوده عيانه إلى الجمال
فإن عقله يدفعه إلى العفة، وتبلغ سعادته
القمة حين يطمئن لوجودها معاً في إنسانة
فيسكن إليها سعيداً، ويوهاها دواماً، والرجل
الشرقي — بخاصة — إذا فقد العفة في المرأة

لا يجذبه جمالها في الغالب، وإنما يبحث
من جديد، ويفضل العفة في النهاية، ويضحي
بالجمال، لما استقر في نفسه من «شرف»
البيت، والشغف بالولد والحرص على تربيته
فالعائلية عميقة الجذور في نفسه ... تنكامل
شخصيته بوجودها، ويرتاح بتحقيقها .
ولقد فتن الشرق من بعد الغرب ...
فتنته حرية المرأة ...

(البيقية حل الصفحة السابقة)

حدائق تكسوها الرياحين بهجة
ولو لم تمنح للناس أندلس لما
ولو لم تمنح للناس أندلس لما
تحرر شعب من براثن قيده
وعاد وقيق الأرض للأرض سيداً
ألم يسألوا الأسباب هنا فيعرفوا
مدنا ارتقا. بالملكيد للذرى
ومرت هنيات فطارت لأوجها
قضت ساحة الذكرى وخفت لأيكها
دعانا إلى الفردوس رضوان فاغتمت
وما زال في سمي، وقد غاب طيفها،

وأدواها اللغاء تزهو وتشر
غداً لجمال السكون في السكون منظر
غدا لسمو الفكر في الناس مظهر
وأعجب بوثب الشعب إذ يتحرر
له من نداها كوثر بتفجر
رسالتنا، إن صاح بالشك منك
فأمكن منهم نخسهم فتدهوروا
حائم، كانت نشوة تنمطر
وقد تسعد اللذات من يتذكر
لما قد صدق في ربي الخلد يؤثر
برن هتاف الفجر : الله أكبر

محمد ربيع البجورسي

ولم (يقوّم) هذا المظهر الجميل بمقدار ما طرح في بيت الزوجية من (سعادة) أو بنى من (خلق) ... أو قدم من (تربية) . ولكنه (قوم) في سطحية انطباعات مشاهره حين رؤياه هذا الجمال المشرق ... والملبس الفاتن .. والجرأة القاهرة .

وكان الشرق ورجاله - إلا من عصم الله - أول من همى فأخطأ التقويم ، واعتبر هذا المظهر ، عنوان التقدم ... فنادى به ... وصرخ في وجهه من تصدى الطريق ... وبعد جيل ... نادى بعضهم : الشرف شيء . والجنس شيء آخر .

وكانت المرأة في الشرق قد بهرت بهذا المظهر ، وكانت فنته على أعصابها قاهرة ، وزت منها الحسكة ، وأدت منها البصيرة ، وغالبا ما كان الرجل يجوارها يهوى ذلك ... فاندفعت ثقله ... وتبدع ... وسارت في الطريق . طريق ملء بالجمال ... فواح بالعطار ، اكفى أرضه سحر فوق بركان ، غامض بغير معالم ... متشعب الأنحاء ... ملتوى الاتجاهات ... تتكشف فيه السائرات ، وكم ضاهت فيه نساء بعد أن ضيعن كل شيء ... وذهبن دون دعة وداع ... أو رثاء حبيب ، تبق أو ذكرى في نفس زوج ... أو عطف تملأ به روح ولد ... وفطنت المرأة الغربية التي بدأت بفتح الطريق ... حين انتهت إلى آخره ... فارتدت منه بوجه حزين انساب

و ليس المهم أن نقسم ... عن فلسفة هذه الحرية ... وإنما نحن سنمر هنا بواقعها وواقعها المرير الذي ففرت منه ... أخيراً .. المرأة ... لقد بدت المرأة الغربية تملأ علينا خيالنا بحوريات الجنان .. حين خطرت في بلاد الشرق سائحة ... أو بدت على الشاشة ، مشخصة ... أو ماست بد الأزياء ، عارضة جميلة إذا صترت جسدها ، أو حشرت من جيد ، أو كشفت عن ساق ... تبدو في ذلك كله دحرة ، تختار ما تريد (وتهوى) من تشاء ، (وتسكن) إلى من تختار .

واستخدمت أدوات التزيين الغربية لجرت على وجهها ظلالا ، ورموشاً ، وألوانا . وجذب الفن شعرها ... وأبدع تشكيله ، وزوده بقلانس ذوات شعور مختلفة العقص والاسترسال ... تتوزع مع أوقات الليل والنهار يصاحبها ملابس أنيسق ، وعطر خلاب ... يتجدد بذلك كله مظهرها حتى كان الواحدة منهن سبع نساء ...

وخطرت من قبل ذلك وبعده إلى معاهد الرقص خفت حركتها ، وشرق هيكلها ... وفي معاهد التجميل ... ألفت بشحمها ، واختصرت سنّها ، واكفصت نصارة الوجه وجمال القوام علقي ، وضايها الثوب فأبرز هذا الجمال ، أو فضفض فجاج بلدانة جسدها وأثار الخيال .

واغتبط الرجل في كل أنحاء الدنيا ١

وزحفت المشكلة إلى آخر مكان يمكن أن يتصور إنسان أن تهبط فيه ؛ فدور العلم حصن الأخلاق ... استبدلت بدورها للإغراء .. وانقادت للشهوات ، وانهارت حياة سبعمائة طالبة بجامعة شيفيلد صرعى النزق ، فأصرع طبيب الجامعة يصرف لمن حبوب منع الحمل بعد أن ارتفع عدد الأطفال غير الشرعيين الذين تنجبهم الطالبات بمعدل اثني عشر طفلا سنويا (١) .

ولا يمكن أن يكون « علم النفس » هو سبب ذلك كله ، فالعلم ذو وقار ، وإذا كان علم النفس يعترف بضرر « الكبت » ، ويعترف بالآلام « المراهقة » ، ويعترف بمشاعر « النقص » فإنه أيضا غير عاجز عن وضع الحلول القيمة الضيقة التي تخفف الكبت ، وتساعد المراهق وتزيل مشاعر النقص ، وتقيم قواعد الأخلاق الكريمة .

في الحق إنه ليس العلم ... ولكنها .. فتنة العلماء ... !

تلك الفتنة التي واصلت سيرها حتى اقتحمت أدمغة المشرعين في مستوأم « الوطني » ، العالي فأعدوا في الدانمرك : « مشروع قانون ينص على اعتبار جريمة الزنا غير كافية للحصول على الطلاق » ، وقد تم وضع مشروع القانون بعد دراسة استمرت سبع سنوات قامت بها لجنة حكومية من خمسة أعضاء ، وتهدف

منه الدموع .. وعلته الغيرة ... وبدأ عليه الجهد والجدالة ... غاوية اليدين ... تفتتت إلى ماضٍ مظلم كئيب ... ولا تجد أمامها مستقبلا يشرق بأدنى أمل ، فالتفتت إلى أخواتها ... أخواتها الدليلات ... يطلبن محاولة أخيرة ، وقد كان ...

لقد كان أقصى شيء على نفسها أن تهون على المجتمع نفسه ... وتفقد فيه النصير ... فلا رجل أخلاق ... ولا مصلح اجتماع ... يمد يدا ... وقد نبذ الكل قضيتها ... وكان واضحاً لها ... أن الرجل قد استغلها حين ظنت هي أنها قادرة على كل شيء ... وأنها لن تكون غريرة بيد الرجال ... ونسيت أن أخواتها يدرن حول رجلها مشيرات ... وفيهن خير منها ... ولهن نفس الحرية ... وهن من نفس الثقة ... وينشدن نفس الطلب ... وكان العراعر وسقطت المرأة ، وملاّت المدرس أطفالاً غير شرعيين ، وأصبحت مدينة لندن بالذات يولد بها طفل غير شرعي بين كل سبعة أطفال شرعيين ، وتدفقت الفتيات الحوامل على المدينة حيث يمكنهن إخفاء الفضيحة في زحام العاصمة ، كما يقول دكتور ستقوارت مدير لإدانة الرعاية الطبية بلندن (١) .

(١) الأهرام ١٢/١٠/١٩٦٥ . وكالات الأنباء .

والأبناء ... والأحفاد ... في نزاعة وشرف لا ... ستمضى دون أن تضع لبنة ... حتى في الطبقة الأولى .

و ثارت ضيقة بهذا كله ، وحملت الصحف صباح ٢٤ / ٤ / ١٩٦٥ ثورتها . ونقلت أخبار اليوم عنوانها :

« مظاهرة نسائية احتجاجا على الحرية الجنسية في السويد » .

وقد شملت ثورة النساء السويديات أنحاء البلاد احتجاجا على إطلاق الحريات الجنسية في بلادهن . . وتقدمن باحتجاجهن إلى المسؤولين ، وبلغن في استكهن ولم وحدها نحو مائة ألف امرأة .

إن نساء السويد بالذات يتوقعن الكارثة ويحسبن بها أكثر من الأخريات . . لقد بلغن قمة الحضارة .. والمساواة .. ولم يعطين الوطن أطفالا . . . وتلك نكبة السويد التي يقنقص عددها عاما بعد عام ... فحق للمرأة أن تسترد من الذين سلبوها بالخداع كل شيء - حقها في حياة كريمة شيئا بعد شيء . . ونحن نقول لهذه المرأة بالغرب : سدد الله خطاك .. وربما قالها رجال في الشرق ... للمرأة الشرقية بعد مئات السنين ... حين يقتهى بها الطريق وتأتي خاتمة المطاف .

على الخطيب

بجمع البحوث الإسلامية

من ذلك إلى إجماع تشريع مشترك للزواج بين الدول الخمس : الدانمرك ، والنرويج ، والسويد ، وفنلندا ، وإيسلندا ، (١) .

فهل أعجب ذلك المرأة التي قطعت الطريق وذات ثماره ، ربما لو تخلت عن عقلماجانيا لصرخت مغتبطة بما حازته في هذا القانون ، ولكنها على العكس ، ضاقت بذلك كله ، وشعرت بالهوان ، ولم تستسلم للطعم ، ورفضت في شتم هذه النهاية ، التي تستوى فيها بالأنعام وأحست :

أنه لا يمكن بعد ذلك أن تجد رجلا يجعلها من إخلاص ، ويشاركها حياتها في غبطة ويمكن إليها في حب ، وهو يعلم يقينا : أن هذه المرأة يمكن أن تغرر بحبه ، وتهوى غيره ، وتستسلم لهذا الغير ، وتعطيه الجسد والفؤاد دون أن يكون لزوجها عليها حق الطاعة أو حق العفاف ... بله كرامة الشرف وصيانة القلب ... ويعنى هذا أن تفقد المرأة في طريق حياتها (الأمين) الذي يستقيم بجوارها بعد والديها ... إلى نهاية الحياة .

وأنه لا يمكن بعد ذلك أن تطمع في ولد تخصه بحبها ، وتطرح عليه من كرامتها ، وقد فر الزوج خروفا من ضياع الشرف ، ولوثة الولد ... ورأت المرأة الغربية الحديثة أنها صمضت وتختلف دنياها لا كجداتها - اللواتي بنين الأسرة من ثلاث طبقات : الوالدين .

(١) الأهرام ٢١/٢٢/١٩٦٤ ص ٤ ع ٢ .

دسائس اليهود

للأستاذ محمود محمد شبكة

يعظم ، والنفوذ الروحي يمتد ، لقد كان اليهود يؤملون الاستعانة بمحمد على النصارى ، وإذا بمحمد أقوى من هؤلاء وأولئك .

حينئذ تحرك داوود القديم ، وظهر حقدم الدفين ، وبخاصة حين أسلم عبد الله بن سلام وهو حبر من أحبارهم ، وبدوا يحاربون الرسول وصحبه بالجدل والفس والوقعة ، ويرجون من وراء ذلك أن تنحل الرابطة وينفطر العقيد ، وتتفرق الجماعة ، ولكن هيهات هيهات ، لقد أحكم الإسلام الرابطة ، ووثق الألفة ، وصنى النفوس .

مريهودى يدعى شاس بن قيس على نفر من الأوس والخزرج وهم مجتمعون ففاظله ما هم فيه من ألفة ومحبة فقال : قد اجتمع ملائكة قبيلة بهذه البلاد وما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم من قرار ، وجاء إلى شاب من اليهود فقال له : أغمد لإيهم ، فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعث ، وأنقدم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار ، فضلل الشاب ، فتكلم القوم عند ذلك ، وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة ، ونادى هؤلاء : يا آل الأوس ونادى هؤلاء : يا آل الخزرج ، ثم خرجوا

رحب اليهود في المدينة بالضيف القادم والنزيل الوافد ، ولم يكن هذا الترحيب ناتجا عن شعور بالكرم ، أو إحساس بالمرورة . وإنما كان مرده ومبعثه أن اليهود ظنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الرجل الذى يمكن أن يستمال ، والداوى الذى يمكن أن يستغل .

ظنوا أنه من الممكن أن يتحالفوا مع الرسول ضد النصرانية التى أجلتهم عن أرض الميعاد (فلسطين) ومن أجل ذلك هشوا لاستقباله وخفوا للترحيب به ، وقد بادهم الرسول تحية بتحية ، ووثق صلته بهم وتقرب إليه رؤسائهم وكبرائهم بوصف أنهم أهل كتاب موحدون ، وصعد معهم معاهدة صداقة وتحالف فيها تقرير الحرية العقيدة وحرية الرأى .

وقد كانت هذه المعاهدة الملزمة والمعاملة الحسنة كفيلة بأن تستل الاحقاد من نفوسهم وتنزع الضغينة من قلوبهم لو أن نفوسهم كانت صافية ، ولكن أنى لليهودى أن تصفو نفسه ، ويستريح ضميره ، وهذه دعوة محمد تفتح لها مغالق القلوب ، ويدخل فيها الفاس أقواجا ، وقد بدأت القلة تكثر ، والسلطان

ولقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يتحدث إلى يهودى يسمى فنحاص وبدهوه إلى الإسلام ، فرد عليه فنحاص هذا بقوله : والله يا أبا بكر ما لنا إلى الله من فقر وإنه لاينا الفقير وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه أغنياء ، وما هو عنا بغنى ، ولو كان غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ، ويعطيها ، ولو كان غنيا ما أعطانا ! يشير اليهودى ، إلى قوله تعالى : **وَمَنْ ذَا الَّذِي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة .**

لكن أبا بكر على ما كان عليه من دماثة خلق ، وطول أناة لم يطق صبراً على هذا الجواب فثارت حفيظته واشتد غضبه وضرب وجهه فنحاص ضرباً شديداً ، وقال : **والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت رأسك يا هدى الله ، وشكا فنحاص أمره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر ما قاله لأبي بكر فأنزل قوله تعالى : لقد سمع الله قول الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء . سنكتب ما قالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول : ذوقوا عذاب الحريق .**

ولقد بلغت باليهود الجرأة والوقاحة أن حاولوا قتل الرسول نفسه حينما ذهب إليه أحبارهم وصادتهم وقالوا له : إنك قد عرفت أمرنا ومنزلتنا ، ولما إن اتبعناك اتبعك اليهود

للحرب ، وقد أخذوا السلاح ، واصطفوا للقتل ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فيمن كان معه من المهاجرين فقال : **يا معشر المسلمين : الله الله . اتقوا الله أبدهوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم إلى الإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر ، وألف بين قلوبكم .** حينئذ أدرك القوم أن ما حدث كان دسيسة يهودى فبكروا ، وعاق الرجال من الأوس الرجال من الخوارج ، ونزل في شاس بن قيس وأمثاله قول الله تبارك وتعالى : **قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها هوجاء ، وأنتم شهداء ، وما الله بغافل عما تعملون .** ونزل في شأن الانصار قوله تعالى : **يا أيها الذين آمنوا إن طغيةوا فريقا من الذين أتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله ، وفيكم رسوله . ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .**

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .

استرحف منه ، وإن كان نبيا فمخبّر .
أما بشر فقد مات من أكلته هذه ، وكان
لهذه الفعلة أثرها العميق في نفوس المسلمين
إذ جعلتهم يخشون غدر اليهود فرادى بعد
أن تخلصوا منهم جماعات .

ويقول الأستاذ محمد خليفة التوانسى
في كتابه «الخطر اليهودى» : (اليهودى يهودى
قبل كل شئ . مهما تسكن جنسيته ومهما يعتنق
من مبادئ وعقائد في الظاهر ليخدم
باعثاتها نفسه وأمة فهو يتجنس بالجنسية
الأمريكية أو الإنجليزية أو الفرنسية ويؤيد
جنسيته طالما كان ذلك في مصلحته اليهودية
فإذا تعارضت المصلحتان لم يكن إلا يهوديا
فعصده يهوديته وضحي بجنسيته الأخرى ،
واليهودى ، يسلم أو يتنصر نفاقا ليفسد
الإسلام والمسيحية أو يوجه تعاليم هذا الدين
الجديد وتعاليد وجهه تعود بالخير على
اليهودية أو يبت روح المروءة لهم ، والعطف
عليهم) .

وهذا الكلام ينطبق تماما على شخصين
كلاهما كان له خطره الفاحش وضرره البالغ
فقد أسلما تظاهرا وخدعا أولهما : كعب
الأخبار ، وثانيهما : عبد الله بن صبأ ،
أما كعب فهو من يهود اليمن أظهر إسلامه
حينما تضاءلت اليهودية في بلاد اليمن ، ورأى
الإسلام ينمو ويزدهر وتغزو دعوته الآفاق

ولم يخالفونا ، ولما بيننا وبين قومه خصومة
فاحتكم إليك فتقضى لنا فتقبعك ونؤمن بك
فنزل فيهم قوله تعالى : « وأن احكم بينهم بما
أنزل الله ولا تدع أهواءهم واحذرهم
أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن
تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض
ذنوبهم . وإن كثيرا من الناس لفاسقون ،
أحكم الجاهلية يبغون ؟! ومن أحسن من الله
حكما لقوم يوقنون ؟ » .

ولم يقف الأمر باليهود عند هذا الحد
بل حاول بنو النضير اغتيال الرسول صلى الله
عليه وسلم حينما ذهب إليهم يستعينهم
في دية قتيلين ، ولكن الله سبحانه وتعالى
حفظه من كيدهم ونجاه من شرهم كذلك انضم
بنو قريظة إلى المشركين في غزوة الأحزاب
بغية القضاء على المسلمين كما حاولت زينب
بفت الحارث قتل الرسول بعد أن وقع الصلح
بينه وبين أهل خيبر بأن أهدت إليه شاة
مسمومة ، جلس أصحابه حولها لياكلوها
وتناول عليه السلام الذراع فلاك منها مضغة
فلم يسفها ، وكان بشر بن البراء قد تناول منها
مثل ما تناول الرسول ، فأما بشر فأساغها
وازدردها وأما الرسول فلفظها وهو يقول :
« إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ثم دعا
بزينب فاعترفت ، وقالت : لقد بلغت من
قومي ما لم يحلف عليك . فقلت : إن كان ملكا

متداولة وإيس لها شيء مما قاله كعب عن صفات عمر .

والتوراة كتاب أنزل ليعين للناس أحكام الدين وأصول الشريعة لا ليتحدث عن وفاة رجل لم يكن خرج إلى الحياة بعد .

ويقول الحضري رحمه الله : (لو كنت ممن يحقق في هذه القضية ما ترددت لحظة في أن لكعب يدأ في مقتل عمر ، أو أنه كان عالماً بما تم عليه الاتفاق بين المتآمرين) ، وقد استطاع كعب أن يفيض علينا ثروة واسعة من الأخبار الإسرائيلية التي هي في حقيقتها محض كذب وافتراء والدجى أن كثيراً من علماء المسلمين قبلوا هذه المفترقات بقبول حسن دون معرفة الحقيقة ودراية بمصادرها .

أما عبد بن سبأ فهو ابن أمة سوداء ولذلك لقب بابن السوداء ، وهو من يهود اليمن كذلك ، أسلم في أيام عثمان بن عفان ، ثم استغل الفتنة وصار يقتل في الأمصار يحرض على الخليفة ، ويغري به ، ويذيع عنه قالة السوء ، ذهب إلى البصرة فأخرجه منها هبداقه بن عامر حينما علم بحقيقة أمره ثم ذهب إلى الشام فأخرجه معارفة فاتجسه إلى مصر ، وفيها وجد من يساعده على بدهه ومكائده ، فكان يتحدث إلى الناس بأن النبي محمداً أحق بالرجعة من عيسى ويذكر قوله تعالى : « إن الذي فرض عليك القرآن »

أسلم ليجد لحقه منفساً ولسمومه مجالاً . والمحققون من الباحثين يؤكدون اشتراك كعب الأخبار في مقتل عمر ، أو على الأقل كان يعلم بالمؤامرة التي دبرت لاغتيال خليفة رسول الله ، ويستدلون على ذلك بالحديث الذي دار بينه وبين عمر بن الخطاب قبل وفاته حينما هدده أبو قوازة ، وقال له : أنت سلمت لأعمرن لك رحي يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ، ثم انصرف عنه ، فقال عمر : لقد توهديني العبد آتفاً .

فلما كان من الغد جاءه كعب الأخبار فقال : يا أمير المؤمنين . أهدي ، فإنك ميت في ثلاثة أيام ، فقال : وما يدريك ؟ قال : أجدته في كتاب الله التوراة ، فقال عمر : الله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ، فقال : اللهم لا ، ولكن أجد صفتك وحليتك وأنه قد فني أجلك وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً .

فلما كان من الغد جاءه كعب الأخبار وقال له : يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان ، ثم جاءه من غد الغد وقال : ذهب يومان وبقي يوم وليلة ، وهي لك إلى صبيحتها . فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة فطعن .

فهل يشك أحد بعد ذلك في أن لهذا الرجل علماً تاماً بالمؤامرة ، ومعرفة أكيدة بالوقت المحدد لاغتيال عمر ، إن التوراة مقروءة

بمساعدة الاستعمار الاعتماد على شعب مسلم وادع هو شعب فلسطين . وأخرجوه من بلده ظلماً وعدواناً ، وارتكبوا في سبيل ذلك من المخازي والفضائح ما يندى له الجبين ولم تقف أطلعهم عند هذا الحد بل امتدت أبصارهم إلى توسيع الرقعة وتشجيع الهجرة والتدكن في الأرض والإضرار بالصرب ففكروا في تحويل مجرى نهر الأردن علماً بأنه ليس لليهود أى حق سياسى أو قانونى في تحويل هذا النهر . فإن القانون الدولى ينص على أنه لا يحق لاية دولة من الدول المشتركة في مجرى نهر واحد أن تحول مجرى هذا النهر بحيث يتسبب عن هذا التحويل لإضرار بالدول الأخرى المشتركة فيه (١) .

ولكن متى اعرفت إسرائيل بالقانون ؟ ومتى أقرت المعاهدات واستجابات للنداء ؟ ولذلك جاءت قرارات العرب في مؤتمر القصة الاول والثاني ضربة قاضية واطمة قاسية أطاحت بأمل إسرائيل وأفسدت خططها وأحبطت مؤامرات اليهود ؛ بل وقربت من نهايتهم وعلى نفسها تجنى برائش ؟

محمود محمد شبكه

لرأى إلى معاد ، ، وكان يقول : إن لكل نبي وصياً وعلى وصي محمد ، وعلى خاتم الأوصياء ، كما أن محمداً خاتم الأنبياء ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصيه ، ومنعه حقه ، وتنازل أمر هذه الأمة بغير الحق .

ثم قال : إن عثمان اغتصب الأمر بغير الحق من صاحبه (على) فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدوا بالظلم على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تسميلوا الناس . ثم أخذ ينتقص من أقدار الأئمة ويذم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ولما بلغ ذلك علياً قال : مالى وما لهذا الخبيث الأسود الذى يكذب على الله ورسوله ، ثم يقوم إلى على وهو يخطف فيقول له : (أنت أنت) فيقول له على : ويلك من أنا . فيقول : أنت الله . ومن هنا بدأ فكرة تأليه على ، وقد أمر أمير المؤمنين بقتله بعد أن سمع منه هذا الكلام . ولكنه اكتفى بنفسه إلى المداخن .

هؤلاء هم اليهود في مؤامراتهم ودسائسهم وحقدهم على الإسلام وأمله ، وعلى الرسول ومحبيه . وما زالوا حتى يومنا هذا وحتى يرث الله الأرض ومن عليها يواصلون مؤامراتهم وهكائدهم . فقد استطاعوا

(١) نهر الأردن والمؤامرة الصهيونية ص ٢٠٧ .

تمبكتو

أقدم مراكز الإسلام في غرب إفريقيا

للأستاذ محمد جمال عباس

مقدمة :

على أحد المدرجات الجنوبية للصحراء الكبرى ، وعلى ارتفاع يبلغ نحو ٢٦٠ متراً فوق سطح البحر تقع مدينة « تمبكتو » ، على بعد بضعة كيلو مترات من رأس المنحنى الشمال لنهر النيجر (نيل السودان كما سماه الجغرافيون العرب) تحيط بها رمال الصحراء الكبرى من الشمال ، ويصلها ذراع من النهر يحف بجنوبها . يجرى بالمياه الدافقة في فصل الصيف وتستمر به المياه سائر فصول السنة ولذلك أصبحت تمبكتو توصف بأنها ميناء الصحراء ، وذلك لأنهم املتقوا الإبل بالقوارب .

كانت هذه المدينة هي أول مركز ازدهر بالثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا ، بدأت بالإسلام ، وازدهرت بثقافته ، وأصبحت مركزاً للنشر ، ومحط أنظار الراغبين في علومه ثم أسابها الاضمحلال ، ولكنها أخضعت بين جدرانها نورا أشعته في فترات مختلفة ، ثم أخذ الازدهار يعود إليها في ظل جمهورية « مالي » المستقلة .

وسوف نتناول في هذا المقال دراسة لنشأة المدينة وتاريخها وتطورها ونشير إلى أبعادها الإسلامية .
أسطورة حول تسمية المدينة :

اتخذ قوم من الطوارق موقع التقاء الرمال بماء نيل السودان مضرباً لحياهم في فصل الجفاف التام حيث كانوا يجدون السقاية لإبلهم وأغنامهم ، واعتادوا ذلك كل عام ، وظلوا هكذا عشرات السنين ، وحدثني بهذا الحديث بعض شيوخ المدينة ، وقد اتفق أكثرهم على أن زعيمهم من زعماء عشيرة الطوارق « المقشرون » (١) . رأى يوماً على شط النهر حسناء من قبائل « الصنغاي » شديدة السمرة جميلة الجسد ، كانت تمتاز بين بنات قبيلتها بأن موضع الحبل السرى مقطوع قطعاً سليماً لم يخلف بوزاً بل كان غائراً مثل « البكت » (٢) ، فأعجب الزعيم الطارقي بجمالها وأحبها ، وقرراً الإقامة

(١) تحريف لكلمة المقشرون أى البيض لأن الطوارق كانوا شديدي بياض البشرة .

(٢) بكت في لغة الصنغاي معناها الصحن الصغير

الشجيرات ثم تطورت إلى بيوت مبنية من
قوالب اللبن في أوائل القرن الثاني هجرى (١).
وجاء انتقال المدينة من مرحلة النشأة
الأولى إلى مرحلة النمو في عهد المرابطين الذين
أشاعوا في الصحراء وأطرافها بعض الاستقرار
ثم ازدادت أهميتها كمركز تجارى خلال القرن
الثالث عشر بازدياد حركة النقل على طرق
القوافل التي كانت تصلها بالشمال وأهمها طريق
مراكش الذي كان يعبر الصحراء شمالا مارا :
بأروان ، وتاودني ، وتغازا ، ثم يعبر جبال
الاطلس إلى مراكش . وطريق الشرق الذي
كان يتجه من تمبكتو إلى أجادس ، ثم شمالا
إلى واحة مرزوق في الصحراء الليبية حيث كان
يصل إلى مصر شرقا أو إلى طرابلس شمالا .
وكان فرع منه يتجه إلى دكانو ، ومنها إلى بداية
طريق الأربعين في الغاشي ثم إلى مصر أيضا (٢).
وعلى هذه الطرق كان ينقل إلى تمبكتو الملح
والأقمشة من الشمال ومن الصحراء ، ويصدر
منها الذهب الذي اشتهرت به بلاد السودان
وتعتبر تجارة الملح من العوامل الهامة التي
ساعدت على ازدهار مدينة تمبكتو في خلال
القرنين : الثاني عشر والثالث عشر ؛ وذلك
لأن منطقة النيجر كلها كانت تعتمد على الملح
الوارد من تغازا التي تبعد نحو ٦٠٠ ميلا
شمال غربى تمبكتو .

الدائمة هناك من أجلها ، وأقام له بالموقع أول
بناء ثابت من اللبن ليقلطه بجوارديار عشيقته .
وقد قال البعض : إن هذا الأمير الطارق
قد استرق هذه الفتاة ، وقال آخرون : إنه قد
تزوجها بعد أن دخل أهلها الإسلام ، وقالت
جماعة أخرى : إنه حاول خطفها فقتلت
في المعركة ، ولكن الذي أجمعوا عليه هو
أن صفة هذه الفتاة (ذات الصحن) أو بلغة
الصنغاي (سن بكت) قد أطلقت على المدينة
تذكارا لهذه الحسنة التي من أجلها بنى أول
بيت في المدينة ونما العمران من حوله .
وهذا هو الاسم الذي هرفت به المدينة لدى
الكتاب العرب الأوائل .

نشأة المدينة ونموها :

يتفق حديث تسمية المدينة ذلك مع ما ذكره
عبد الرحمن السعدى في تاريخه من أن الموقع
كان منزلا لبعض رعاة الصحراء يلجئون إليه
لرعى أغنامهم في فصل الجفاف ويرحلون عنه
في الخريف (فصل المطر) ولما أصبح الموقع
معروفا نشأت به سوق صغيرة . كان الطوارق
يقايضون فيها أغنامهم بالحبوب التي يحملها
الصنغاي في قواربهم الصغيرة ، ثم عرف الموقع
على مدى أبعد وكبرت المدينة ونمت وأضحت
سوقا هامة يفد عليها التجار بطريق البحر ليمتقوا
بقوافل الصحراء الآتية من السخال .

وقد تحولت الحيام التي كان يضربها الطوارق
في الموقع إلى أكواخ من الحشائش وفروع

(١) فيج ص ١١٦ .

(٢) فبترجيرالد (والتر) ص ٤١٥ .

إلى تمبكتو تدريجياً ، ذلك أن بعض العلماء والدعاة أقاموا فيها منذ نشأتها ، غير أن مركزها كمكتبة للعلوم الإسلامية لم تكتسبه إلا منذ القرن الرابع عشر ، ولقد مرت حركة انتقال مركز الثقافة العربية والإسلامية إلى تمبكتو بالمرحل التالية :

١ - نزل أبناء قبيلة جدالة الذين كانوا يعتبرون فقهاء الصحراء في منطقة د ادرار موريتانيا ، حيث اتخذوا كومي أو قبي مركزاً لهم ، وظلوا في كومي سنين طويلة يستقبلون الراغبين في دراسة الفقه وعلوم الدين ليتخرجوا على أيديهم مبشرين بالإسلام ومعلمين لقواعده الصحيحة في البلاد الأخرى وقد نزل بعض هؤلاء التلاميذ مع الطوارق المفسرين إلى تمبكتو منذ فجر نشأتها ، وكانوا من عشيرة تسمى الـوك توارثت علوم الدين والعربية حتى يومنا هذا في تمبكتو وجاد وغيرها من مدن شمال مالي

٢ - في خلال القرن الثالث عشر استولت ق. ثل د السوسو ، على د كومي ، فسادت بها الاضطرابات التي أدت إلى هجرة علماء وفقهاء جداله منها إلى المدن المجاورة ومنها والاته ، وتمبكتو ، ولكن نصيب والاته من العلماء فاق بكثير نصيب تمبكتو فظلت والاته تحتل مركز الصدارة والتفوق نحو نصف قرن من الزمان (١) .

وكادت أممية تمبكتو تضيق كركز تجارى حينما استولى ملوك سراكش على منطقة مناجم الملح في تغازا لولا أن اكتشفت مناجم جديدة للبح في د تاردي ، الأقرب إلى تمبكتو مما سهل نقله إليها وعوضتها بذلك تاردي خيراً من مناجم تغازا .

ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار تمبكتو كركز تجارى هو ضم منطقةها إلى مملكة مالي ثم إلى إمبراطورية الصنغاي حيث كانت غالبية صادرات هاتين المملكتين من الذهب والعاج والاختشاب الثمينة والجلود هي السلع المطلوبة في المغرب ، وكانت تمبكتو تصدر هذه السلع مقابل الملح والأقمشة المطرزة والجلود المصنعة والأواني الفضية وغيرها من السلع الثمينة التي كانت تستخدم في بلاط الملوك ، وكذلك الحبوب التي كانت من مظاهر الأبهة والعظمة في هاتين المملكتين .

اكتساب المركز الديني والعلمي

ولقد ارتبط ازدهار المدينة كركز تجارى باكتسابها مركزاً دينياً وعلماً هاماً ، إذ سرعان ما اقتنى العلماء أثر التجار فأخذوا بشخصون إليها من المغرب الأقصى والأندلس ؛ بل ومن مصر ، وغدامس ، وطوات ، وتافيلت وغيرها (١) .

وجاء انتقال مركز نشاط الثقافة الإسلامية

وعلماء جداله يجلسون فيه للدرس ، وقد كثر تلاميذهم الوافدين من كل فج : من دوعه ، وسوس ، وبجلماسه ، بل ومن فاس في المغرب الأقصى وطوات وغدامس وقزان .

وفي أوائل القرن الخامس عشر استطاع الطوارق بقيادة زعيمهم « عقيل مالوال » أن يستولوا بتمبكتو ، وعينوا عليها رجلاً من صنجاه يدعى عمر ، كان محباً للعلم والدين ، فأرسل سراً إلى سوني هلي أول ملوك السنغاي يدعوهُ إلى غزو تمبكتو لإعادة الاستقرار إليها ، فدخلها سوني على سنة ١٤٦٨ ، غير أن عقيل مالوال هرب بعد أن سحب معه عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء الذين عادوا واحداً تلو الآخر إلى تمبكتو فيما بعد لأن المقام لم يعط لهم وسط طوارق الصحراء (١) .

ولقد عاشت تمبكتو في ظل ملوك السنغاي فترة ازدهار علمي وديني لما كان يحمرزه علماء الدين فيها من مركز لدى الملوك ، وبني فيها « أسكيا داوود » ، مسجد كبيراً جديداً أتى له بالأخشاب من غابات الجنوب ، وأقام فيه صوامع للفقهاء للعبادة والدرس ، وأصبح هذا المسجد جامعة إسلامية مرموقة معروفة بعلمائها وفقهائها الذين كانوا يتلقون الرسائل من مصر والمغرب والحجاز الإفتاء في أمور الدين وكثير من المسائل الفقهية المشككة .

٣ - تعرضت والاته في أواخر القرن الثالث عشر إلى غزوات متعددة من طوارق الصحراء مما أشاع فيها الاضطراب فهجروا « الكوتتا » علماء جداله إلى تمبكتو حيث كان الحكم فيها قد استتب لملوك مالي في عهد « منسى موسى » (١٣٠٧ - ١٣٣٢) وهنا دخلت تمبكتو مرحلة الازدهار بالثقافة العربية والإسلامية ، وظلت كذلك حتى القرن السادس عشر حينما وصلها الغزو المغربي من الشمال .
العصر الذهبي لتبكتو

بلغت تمبكتو ذروة مجدها في عهد منسى موسى أشهر ملوك مالي بفضل عنايته الشخصية بالمدينة وتشجيعه للعلماء على الإقامة فيها ، وبعد عودته من الحج أحضر معه أيضاً هداً من علماء المدينة المنورة وكميات كبيرة من الكتب من مصر .

ويذكر عبد الرحمن السعدي أن فقها اسمه عبد الرحمن التميمي جاء من الحجاز بصحبة منسى موسى صاحب مالي ، فأقام بتبكتو زمناً ، ولما رأى رجالها يتفوقون عليه في معظم العلوم غادرها إلى فاس حيث درس مزيداً من علوم الشريعة وعاد ثانية لإقامة مجلس علم بتبكتو (١) . وكان أهم حدث في تاريخ تمبكتو الثقافي أن السلطان منسى موسى استدعى أبا إسحق الساحلي القرطبي الأصل من المغرب لبناء قصر الملك ومسجد كبير في تمبكتو ، ومنذ بناء هذا المسجد

علماء تمبكتو مراسلات عديدة، وعرف جلال الدين السيوطي هندم حيث كان يطلق عليه اسم بابا ساتتاو ويوصف بأنه العالم المصرى، وما يؤكد هذه الصلة أن أحمد بابا التمبكتي العالم الفقيه السودانى كان من بين رسائله رسالة فى الرد على المسألة المصرية تتضمن فتوى فى بعض أسئلة وصلته حول القرائض (أى الميراث) .

الغزو المراكشى وعهد الاضطراب

وئى أواسط القرن السادس عشر ظهرت لدى ملوك المغرب الأقصى أطماع توسعية فبدأ وراء الصحراء للسيطرة على تجارة الذهب والملح، وعلى مراكز التجارة فى بلاد السودان، وأدت هذه الأطماع إلى أن أرسل السلطان المنتصور محمد ملك مراكش حملة بقيادة قائده الأسباني الأصل : جوردرباشا بدأت سنة ١٥٨٥ بغزو تغازا مركز استخراج وتجارة الملح وطردت منها قوات الأسكيا استحق الثانى نهائيا، واستمر الغزو المراكشى بقيادة جوردرباشا بجيوش مرزقة من الأندلسيين المسلحين بأسلحة نارية، وانتهت الغزوات بهزيمة الصنغاي فى تاودنى وتعبقتهم جيوش جوردرباشا إلى النيجر حيث حاربوا على مشارق تمبكتو وجاو، وجنى وأنشعوا فيها القوضى والفساد .

وقد خلف جوردرباشا فى قيادة الجيوش المغربية قائد يسمى : احمد بن زرقون الذى

واشتهر فى عهد ملوك الصنغاي من علماء سنكورى والحاج جبر القاضى، ابن عبد الرحمن ابن أبى بكر، ود عمر السالك تندبع، الذى تولى القضاء فى عهد أسكيا محمد وأحمد بابا التمبكتي الذى ترك مئات الرسائل والكتب . وما ذكره أحمد كاتى فى كتابه تاريخ الفتاش أنه : فى ذلك العهد كانت المدينة مليئة بطلاب العلم من أبناء السودان الذين تملأ نفوسهم الرغبة فى التحصيل وتقصى الحقائق، وذكر أحمد كاتى فى موضع آخر من كتابه أن : أحد المعلمين مثل على زكريا (ناكارى) كان يجنى كل خميس قرابة ١٧٢٥ مثقالا من تلاميده البالغ عددهم ١٢٥ حيث كان كل منهم يقدم ما بين خمس وعشر، وكان هؤلاء التلاميذ يجمعون الخطاب الذى يسمعون فيه النار لتضى لهم أثناء دروس الليل (١) .

واهتم كل من أسكيا داوود وأسكيا محمد بكتب العلم والفقه والدين فكان أسكيا داوود يحتفظ فى بلاطه بألاف الكتب المخطوطة، وكان ينفق الكثير على الخطاطين الذين يفسخون من هذه الكتب نسخا ليوزعها على علماء تمبكتو (٢) .

وقد قامت بين علماء الأزهر فى مصر وبين

(١) محمد كاتى : كتاب تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ترجمة هو داس وديلانوس باريس سنة ١٩٥٣ ص ٧٨ ، ٣١٦٤ .

(٢) محمد كاتى ص ١٢٧ .

العلم والتبشير بالإسلام بين من لم يمتنقه من أبناء القبائل .

وخلف البامبارا في حكم تمبكتو ملوك الفولاني وأهمهم : سيكو أحمدو (١٨١٠ - ١٨٤٤) الذي استطاع أن يستولى على تمبكتو ، وشجع علماءها ، واعتمد عليهم في بعض الفتاوى ، وخاصة الشيخ أحمد البكاوي الذي كان يمينه وبين سيكو أحمد رسائل كثيرة وخلافات تقنية عديدة (١)

وفي سنة ١٨٣٣ استطاع الحاج عمر القوتي أن يكون أعباطورية أخذ يوسع أراضيها حتى شملت تمبكتو التي استولى عليها سنة ١٨٦٢ وشجع على إحياء علوم الدين فيها بل واستعان ببعض رجالها مثل : الحاج البكاوي اتقني في نشر الإسلام على الطريقة القادرية بين بعض القبائل الوثنية مثل الدوجون والتوكولور (٢) . ثم أتاهما الاستعمار :

في ذلك الوقت من القرن التاسع عشر كان الفرنسيون يتقدمون من الجنوب ومن الغرب إلى بلاد السودان ، وقد اتخذ الحاج عمر من تمبكتو قاعدة خلفية لهجومه المضاد على الفرنسيين الذين كانوا قد استولوا على مدينة كاي ، غير أن مقاومته هو وأبناؤه قد غارت أمام القوات الفرنسية خاصة وأنه

استطاع أن يخضع تمبكتو وينفذ أمر السلطان المنصور محمد بأن يأتيه بطلانها أسارى مكبلين ، وكان أن نقل علماء تمبكتو وعلى رأسهم أحمد بابا إلى البلاط المراكشي حيث أرغمهم السلطان على التفرع لكتابة ما يعلون ويحفظون من علوم ، وعاشوا هكذا في قس متفرغين لإحياء العلوم فيها . ونقل المغاربة أيضا ما كان في تمبكتو من كتب ورسائل مما وقعت في أيديهم .

وبذلك فقدت تمبكتو مركزها العلمي وعاشت قرنا كاملا من الفوضى والاضطراب في عهد باشوات مراكش ولكنها احتفقات بين جدرانها ببعض العلماء الذين كانوا يتابعون الدراسة والدرس سرا .

ومضات النور

وتتابع في بلاد السودان الغربي ظهور ممالك إسلامية نهض بها زعماء القبائل الكبيرة مثل : البامبارا ، الذين كونوا مملكة السيجو بزعامة كالاديان كوليبالي (١٦٥٠ - ١٦٨٢) الذي حاول ضم تمبكتو ولكنه لم يستطع فاكتمى بفرض الجزية على باشواتها ، ثم استطاع « إنجولو ديارا ، أحد أحفاده بعد نحو قرن من الزمان أن يستولى عليها سنة ١٧٧٠ (١) . وقد شجع ديارا وورثته العلماء على الظهور من غناهم للإفتاء في أمور الدين ، ونشر

(١) فينست موتني ص ٩٠

(٢) روبرت كورنيلان ص ٢٦١

(١) روبرت كورنيلان ص ٢٦١

من التعليم الدينى فى مجالس المساجد وخلوات
الفقهاء وبيوت العلماء (١) على أن مجالس
العلم الخاصة والرافين كانت تجذب كل أبناء
القرية فظلت المدرسة على نخامة بنائها
وضخامته لاتضم إلا عددا صغيراً من التلاميذ
من أبناء الموظفين الذين يعملون فى المدينة .
وأيضاً حاول الفرنسيون عزل تمبكتو
عن العالم الإسلامى ، ولكن لم يستطيعوا ،
فقد ظل علماء تمبكتو على اتصال دائم بعلماء
الجزائر ، بل وأصلوا بمصر أيضاً فى عهد
جمال الأفغانى ومحمد عبده وخلفهم السيد
رشيد رضا ، وكانوا على صلة أيضاً بجمعية
الشبان المسلمين ، وكان بعض أبناء المدينة
يأتون إلى مصر للدراسة سيرا على الأقدام
آلاف الكيلو مترات ويعودون حاملين
كتب السلفية والكتب الحديثة التى طورت
علوم الدين هناك .
اليوم والفسد :

بهذا الاستعراض لتاريخ تمبكتو نرى
أنها نشأت بالإسلام وازدهرت به وحافظت
عليه ، وهى اليوم أهم مركز للثقافة العربية
فى جمهورية مالى ، اتخذتها الحكومة بعد
الاستقلال مركزاً للنشر والثقافة العربية
فدعمت المدرسة العربية بها وجعلت اللغة

لم يكن قد استطاع تحقيق الاستقرار الكامل
فى أرض مملكته ، وظل الفرنسيون
يتقدمون فى أراضي السودان الغربى (مالى)
فاستولوا على باماكو سنة ١٨٨٣ ثم استولوا
على سيجو عاصمة مملكة الحاج مر سنة ١٨٩١
وهاجموا تمبكتو آخر قواعد الحاج مر
الخليفة سنة ١٨٩٤ ، ولكن المعركة أمامها
بين الفرنسيين وبين أحمد وبن الحاج مر
الذى كان أبوه قد عينه على هذه المدينة
استمرت سنة كاملة دخل الفرنسيون بعدها
المدينة بعد تخريبها وفرار الكثير من أهلها
إلى الصحراء .

ورغم المحاولات العديدة التى قام
بها الفرنسيون لقضاء على الشخصية الإسلامية
للمدينة إلا أن تمبكتو ظلت محتفظة بطابعها
الإسلامى ، ونجح العلماء والمشايخ فى أن
يحافظوا على العلم والدين بالمهادنة أحياناً
وبالتلويح بالثورة والتهديد أحياناً أخرى
وقد اضطر الفرنسيون أمام فشلهم فى
سياساتهم الصريحة أن يتبعوا طرق الخداع
فأنشأوا فيها مدرسة عربية سنة ١٩١٦
وادخلوا فيها الفرنسية تدريجياً حتى طغت
على العربية وأصبحت العربية فيها لغة
أجنبية ، وكان قصدهم من ذلك هو جذب
بعض أبناء القبائل من الحسانية والحرايين
والصنغاي إلى التعليم الحديث وإبعادهم

(١) فرجينيا تومسون وريتشارد أدولف ص ٢٩٤
(البقية على الصفحة التالية)

ما يقال عن الإسلام

العروبة والإسلام

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

١ - فرانيسكو جبريلي يعد عميد المستشرقين في إيطاليا في الوقت الحاضر ، وهو أستاذ الأدب العربي واللغة العربية بجامعة روما ، له عدة كتب وكثير من البحوث والمقالات في المجالات المتخصصة ، ومن هذه الكتب « الخليفة هشام » (صدر سنة ١٩٣٥) ، و « قصة الأدب العربي » (روما ١٩٥١) ، و « مظاهر من الحضارة العربية الإسلامية » : عبارة عن مجموعة محاضرات ألقيت براديو إيطاليا ١٩٥٧ ، وأخيراً كتابه عن « العرب » صدر باللغة الإيطالية سنة ١٩٥٧ ، وترجم إلى اللغة العربية -

الفرنسية ، وطبع سنة ١٩٦٣ في باريس ، وهو معجب بالعرب ، والمسلمين ، منصف لهم ، يحيد العربية ويعرفها كأحد أبنائها ، ويمثل بآيات من القرآن الكريم ، ويأبى أن يترجمها إذ يبدو أن رأيه في القرآن أنه لا يترجم ، ومن الآيات التي اسفشد بها في مقدمته ، فإن اقه لا يضيع أجر المحسنين ، كل ما في الأمر أنه كتبها بحروف لاتينية [لا بالرسم العثماني .

والقضية التي يعرض لها جبريلي في هذا الكتاب الصغير الحجم قضية خطيرة حقاً ، لم ينقطع الحديث عنها منذ ظهور الإسلام

(البقية على الصفحة السابقة)

العربية إجبارية في جميع مدارسها بل ومدارس الأقليم الشمال كله ، واتخذت منها في الصيف الماضي مركزاً لتدريب معلمي اللغة العربية من الوطنيين وتأهيلهم تأهيلاً تربوياً على أيدي أساتذة من مصر ، ليكونوا نواة لنشر اللغة العربية - لغة الإسلام الذي تدين به غالبية المعظمى من السكان .

وبذلك تخطو تمبكتو في عهد مالي المستقلة نحو استعادة بعض أبعادها الماضية كركز إشعاع الثقافة العربية والإسلامية في إفريقية الغربية .

فهى بحق كما وصفها عبد الرحمن السعدى المدينة الوحيدة في العالم التي « ما دنستها عبادة الأوثان ، ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن ، ؟

محمد مهول عباس

وبذلك تخطو تمبكتو في عهد مالي

أن نبسـط رأيه نقول : إن الكتاب يقع في ثمانية فصول الأول : عن العرب قبل الإسلام والثاني : محمد والإسلام والثالث : الخلفاء الراشدون والفتوحات الإسلامية ، والرابع : الأمبراطورية العربية ، والخامس : الأمبراطورية الإسلامية ، والسادس في العرب والمغرب ، والسابع : في العرب والترك ، والثامن : في تأخر العرب والهضة الحديثة ، ويتضح من تسلسل هذه الفصول على النحو المذكور أن العروبة فكرة ينظر إليها في هذا الكتاب في ضوء الأحداث التاريخية التي مرت عبر الزمان منذ الجاهلية إلى ظهور الإسلام وانتشاره وتسكون الأمبراطورية العربية الكبرى في العصر الأموي ، ثم في صدر الدولة العباسية وبعد ذلك أخذ الإسلام يستقر ويتشرب بعيداً بعض الشيء عن العروبة حتى أصبح السلطان الأخير للترك ، وأخيراً عادت القومية العربية إلى الظهور ، مما نعيش فيه بالفعل .

٢ - وليس ثمة نزاع في أن أي باحث يتعرض للعروبة من زوايتها التاريخية لا بد له أن ينظر في حال العرب في الجاهلية ، أي قبل الإسلام ، من جهة موطنهم الجغرافي والبيئة الصحراوية التي كانوا يعيشون فيها وظروفهم السياسية التي أوجبت عليهم الاتصال بالفرس من جهة والروم من جهة أخرى

حتى اليوم ، وهي قضية الصلة بين العروبة والإسلام ، أمّا شيء واحد أم شيان مختلفان ، وإن كانا مختلفين فاحقيقة الخلاف بينهما ؟ وما هي المواضع التي تلتقي فيها العروبة والإسلام .

وقد برزت هذه القضية في الأيام الأخيرة منذ ظهور نغمة القومية العربية ، تلك الموجة التي امتدت حتى شملت الناطقين بالضاد من الخليج إلى المحيط ، وبعبارة أخرى : الدول التي تضمها جامعة الدول العربية .

ونحن نعلم أن كثيراً من المفكرين وذوى الرأي وأصحاب القلم كتبوا في القومية العربية وانقسموا فريقين : أحدهما يقرر أن العروبة التي تنادى بها في الوقت الحاضر لا صلة لها بالدين ، إسلامياً كان أم مسيحياً ، والآخر يذهب إلى أن أهل هذه المنطقة لظروف تاريخية أصبح الإسلام جزءاً لا يتجزأ من كيانهم ، ولذلك امتزجت العروبة والإسلام في حضرتهم ، فأتخذوا من العربية لساناً ومن الإسلام ديناً .

وكاتب هذه السطور من هذا الفريق الثاني وله في هذا الموضوع كتاب بعنوان «القومية العربية» ، صدر منذ بضعة سنوات .

وقد أعجبنى الأستاذ : فرانسكو جبريل لأنه يلتقي معي في هذا الرأي ، ويدافع عن هذه الوجهة من النظر بأدلة راتمة ، وقبل

ومعنى ذلك أن الروح العربية سرت في شرايين الدين الجديد دون أن تفقد شخصيتها في هذا الدين ولكن الإسلام هو الذى علت كلته وارتفع صوته من فوق منبر التاريخ .

٣ - ولا ينفصل الحديث عن الإسلام في نشأته وظهوره عن التعرض لسيرة النبي عليه السلام ، ومن أجل ذلك عقد المؤلف فصلاً خاصاً عن محمد والإسلام ، ، بدأه بقوله : « إن الإسلام ظاهرة مع أنه يتجاوز تاريخ العرب إلا أنه يستمد جذوره منهم ، وقد وجد فيهم وقت ظهوره القوة المحركة لانتشاره ذلك الانتشار الذى لم يتمكن أحد من صده . وظل الإسلام والعروبة قرنين من الزمان - من السابع الميلادى إلى التاسع الميلادى - صغرين ، وامتدت العقيدة الإسلامية في قلب آسيا وعلى ضفاف حوض البحر الأبيض بسرعة سريعة ، حتى إذا اتضح أن ملكة الفتح وسلطان شعب واحد لا يتلاءمان مع انتشار الدين ، توقف هذا التلاقى بين الإسلام والعروبة ، ولو ظلت العروبة على الدوام إسلامية في شمولها ، لसार الإسلام بهد الشعوب بطرق أخرى ، واحتفظ بطابع من ذلك الجو العربى لا يحصى ، .

وليس لنا اعتراض على ما قرره المؤلف ، اللهم إلا في تقدير الزمن الذى بدأ الإسلام ينفصل فيه عن العروبة ، والرأى عندنا

وهما أعظم دولتين متصارعتين في ذلك الزمان ، وحياتهم الروحية وعبادتهم من وثنية منتشرة بين معظم قبائلهم ، يعبدون الأصنام ، إلى جانب فرق من النصارى واليهود ، وحياتهم الاقتصادية واشتغالهم بالتجارة بين اليمن والشام ومصر ووقوعهم على خط الطرق التجارية الوافدة من أقصى الشرق هذا إلى نمو لغتهم وشعرهم واحتفاظ هذه اللغة بالقيم الروحية والمثل العليا التى يمجدها العرب

وكل ذلك حسن ، إلا أنه كما يقول الأستاذ جبريل (صفحة ٣٢) : « إن أى حبر ومانسى لماضى العرب لا يمكن أن ينكر هذه الحقيقة ، وهى أنه : لو لارسلة محمد ودعوته إلى الإسلام ، فإنهم كانوا في أكبر الظن سيقبعون خلال عصور طويلة وسط صحرائهم تشغلهم الحروب القبلية ونفخى أبناءهم ، ويطلقون إلى بزنطة وفارس وكأتهما منارات بعيدة للحضارة لا يستطيعون بلوغها ، فلما جاء الإسلام إذا بهم يقرعون أبواب هاتين الدولتين قرعاً عنيفاً بصوت الآسر النافذ الكلمة والسلطان . وهذا لا يبنى أن عرب الجاهلية كانت لهم خصال أصيلة من عشق الحرية ، وحفظ الجوار وإكرام الضيف إلى ما عرف عنهم من نخوة وروية ، مما قبله الإسلام ودعا إليه وأجازه

باطل، والدليل على ذلك: أن المسلمين في صدر الإسلام لم يقبلوا الإسلام بغير العويصة، فكانت النتيجة أن هذه اللغة أصبحت لغة طائفة، يرددها المسلمون من حدود الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً، وكانت اللغة العربية إلى ذلك لغة الحضارة، ألفت بها العلوم المختلفة من طب ومهندسة وفلك وغير ذلك . .

ولكن الغيرة الشعوية، من الفرس تارة، ومن الترك تارة أخرى، ظلت تهاجم العربية هجوماً لا هوادة فيه طوال قرون وقرون، حتى أفلح الفرس في محو اللغة العربية من أرض إيران بحيث لا يتسكلمها اليوم إلا رجال الدين فقط، أما بقية الشعب فيجهلونها جهلاً تاماً، ونحن نخشى أنه على مر الزمن سيتحلل الشعب كذلك من إسلاميته، لأن الذي كان يربط المسلم بدينه هو القرآن العربي، ولم يعد القرآن بعد فقدانهم اللغة العربية هو القرآن الذي يؤثر في النفوس، لأن قراءته مترجماً لا تحدث نفس الأثر .

٤ - هذه هي الدعوى الأساسية التي يبسطها المؤلف في كتابه، نغنى المد العربي الإسلامي، ثم الجزر العربي على الرغم من انتشار الإسلام، إلى أن ينتهي إلى النهضة العربية الحديثة.

أن حركة المد العربي ظلت متوافقة مع حركة المد الإسلامي حتى القرن السادس الهجري على الأقل، ثم بدأت موجة أخرى من التراجع العربي، مع استمرار المد الإسلامي، ويكفي أن نقرأ لأبي الريحان البيروني - وهو فارسي - في القرن الخامس الهجري يقول ما خواه: إن الهجو بالعربية أحب إليه من المدح بالفارسية. لنعلم أن العربية كانت لا تزال صيطرة على العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري، ولعل هذا يجرنا إلى تحديد معنى العربية، فنقول: إنها لغة أولاً وقبل كل شيء، فكل من يصطنع اللغة العربية لساناً فهو عربي، مسلماً كان أم غير مسلم، ولكن الظروف التاريخية جعلت معظم سكان المنطقة العربية من المسلمين فالتق الإسلام بالعربية على أرض الإمبراطورية الإسلامية، ويمكن أن يضاف إلى اللغة العربية المميزة للعروبة: الحضارة والآمال والآلام المشتركة، بل والدين باعتبار أن لغة الإسلام وكتاب المسلمين هو القرآن الذي أنزل بلسان عربي مبين، والذي أنزل قرآننا عربياً، ولذلك ذهب أغلب المسلمين، - وهو الرأي الراجح الذي نأخذ به - إلى أنه لا يجوز ترجمة القرآن، وإن جازت ترجمة معانيه، وأنه لا يجوز الصلاة إلا بقراءة القرآن بالعربية، وإن أفتت قلة قليلة من الفقهاء بجواز قراءة الفاتحة مترجمة، وهذا أن هذا

وبذلك انتهى عهد الخلفاء الراشدين ، وأصبح الملك مع معاوية ملكاً عضوياً ، وتأسست الامبراطورية العربية وكانت عاصمتها دمشق .

ويذكر المؤلف أن تاريخ الأمويين غامض وأنه زيف على يد العباسيين الذين كان الفرس من ورائهم ، وأن لتاريخ الأموي يجب أن يكتب من جديد في ضوء العروبة ، حقا العباسيون عرب ، وخلفاؤهم يمتون بصلة إلى العباسي عم النبي عليه السلام ، إلا أن النفوذ الفارس بوجه خاص كان يحركهم ، إذ قامت الدهوة بخراسان ، وجند الفرس هم الذين انتصروا على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وكان الوزراء حتى خلافة الرشيد من البرامكة ، وهم أسرة من نبلاء الفرس ، مكثوا لأنفسهم في الأرض ، وأصبحت لهم دولة داخل الدولة ، حتى خشي الرشيد على سلطانه منهم ، فقتلهم وقضى عليهم . ولا كمن الخلفاء بعد أن اتخذوا جندا من الأتراك ، ومن الفرس ، أصبحوا هم أنفسهم العروبة في يد القواد العسكريين ، ومنذ القرن الرابع الهجري بدأ نفوذ الترك يستقرى ويتغلب على النفوذ العربي . وانقسمت الامبراطورية إلى دويلات وتفككت الامبراطورية ، على الرغم من ازدهار الحضارة الإسلامية .

هذا العرض الشامل التاريخي لا بد أن يتعرض للسياسة ، من جهة أن تفسير الحوادث التاريخية لا بد أن يتضمن تفسيراً سياسياً ، من قيام دول ، وسقوط أخرى ، ونشوب حروب وما إلى ذلك ، ولما كان الكتاب صغير الحجم لم يكن من الميسور أن يتبسط في التأويلات السياسية ، فضلاً عن أن السياسة ليست مقصودة عنده لذاتها ، وإنما غرض المؤلف أن يستعرض الحركة العربية ، منذ الجاهلية إلى الإسلام إلى العصر الحاضر ، في شتى مظاهرها الحضارية وبخاصة من جهة مظهرها الديني ، باعتبار أن الإسلام هو الذي صبغ العروبة وطبعها بطابع لا يمحي .

من أجل ذلك يجد القارئ هزواً سريعاً جداً لحياة الرسول ، ودهوته ، وهجرته ، وغزواته ، وفتح مكة ، ثم النزاع على الخلافة بين الأنصار والمهاجرين ، وتولى أبي بكر الصديق ، ثم عمر بن الخطاب من بعده ، ومع الشيخين استقرت دعائم الإسلام ، وتمت الفتوحات الكبرى ، وانتصار العرب على الفرس والروم ، فلما تولى عثمان حدثت الفتنة الكبرى ، وقتل الخليفة الثالث ، وتولى على بن أبي طالب فوجد أمامه مشاكل سياسية كعرب طليحة والزبير وعائشة ، ثم حرب معاوية وما انتهت إليه هذه الحرب من مقتل على بيد الخوارج ،

العالمية الأولى ، وانضمام الأتراك . وانفصال ولاياتها عنها ، وظهور النزعات الاستقلالية في البلاد العربية ، ويستمر المؤلف في عرضه حتى السبعينات من هذا القرن ، فيذكر ثورة عبد الناصر وتطورها حتى سنة ١٩٦١ .

٦ - وأحسب - وقد خصص للكتاب بما أرجو أن يكون تلخيصاً أميناً - أنه قد حان الوقت لتوجيه بعض الانتقادات للمؤلف ، واقفين عند أمور ثلاثة :

الأولى : أن العرض السياسي كان طامعاً على المؤلف ، وبخاصة في النصف الأخير من الكتاب ، مع أنه في النصف الأول منه لم يقف عند حدود السياسة فقط بل تجاوزها إلى ألوان الحضارة العربية كلها ، ثم إن المؤلف وقد فطن إلى أن العروبة لا يمكن أن تنفصل عن الإسلام ، كان جديراً به أن يمتد في هذا الطريق ، فيبين لنا كيف يمكن أن يتفاعل الإسلام مع العروبة مرة أخرى فتقوم النهضة العربية الحاضرة على أساس من تعاليم الإسلام .

الثاني : أنه أشاء إلى الوهابية باعتبار أنها الحركة العربية الخالصة من كل أثر أجنبي ، وحدثننا عن تاريخ هذا الداعية وصلته بالسهوديين أمراء نجد ، ولكنهم لم يحدثننا عن تيارات هريمية إسلامية بمثابة ظهرت في العالم العربي ، فذكر منها حركة الأفغان

• - يفتتح المؤلف الفصل الأخير من تدهور العرب ونهضتهم بقوله : إن سيطرة الترك التي استمرت على العرب منذ القرن السادس عشر الميلادي حتى العشرين ، والتي جاء الاستعمار الأوروبي في عقبتها ، تتميز ببلوغ التدهور العربي أوجهه ، ويبدو أن العرب انطوا على أنفسهم في أول الأمر ، ورضوا بهذا المصير ، وخضعوا للشعب الأجنبي عنهم جنساً ولغة ، ولكنهم شاركهم ديناً ، والذي استطاع أن يمتص حضارتهم ، ولم يأت أن ظهر في مصر والشام والحجاز تيارات وطنية عربية ، ثم يقول المؤلف - وهو هل حق - : إن التيار الانفصالي في مصر هل يد : محمدي على لم يكن تياراً هريماً ، أما التيار العربي الأصيل ، البعيد عن كل أثر أجنبي فهو الذي ظهر في الحجاز باسم الحركة الوهابية ، التي تعد إحياء للذهب الحنبلي ، وخلاصة الدعوة الوهابية الرجوع إلى الإسلام في فطرته الأولى . وإلغاء كل ما دخل على الإسلام من مظاهر مدنية بعيدة عن جوهر الدين ، ويمضي المؤلف بعد ذلك في استعراض الحوادث السياسية أثناء القرن التاسع عشر في مصر والحجاز والشام ، وحروب محمد علي مع السلطان ، وكيف وقف عند حدود مصر سنة ١٨٤٠ ، وكيف تطورت الحوادث به - ذلك حتى الحرب

الثالث : أن المؤلف لم يذكر الأزهر - وهو منارة الإسلام وراية العروبة وحصن العربية - بحرف واحد في كتابه ، قد يقول قائل : إنه يكتب عن العرب لاهن الإسلام ، ولا شأن للأزهر بالعرب ، ونحن نقول في الجواب : إن الإسلام والعروبة لا ينفصلان ، وإن الدفاع عن الإسلام ، دفاع عن العروبة وبخاصة إذا كان هذا النوع من الإسلام قائما على كتاب الله الكريم باللغة التي أنزل بها : ونعوذ بالمسلمين أن يفرطوا في كتابهم العربي أو يقبلوا ترجمته ، ونحن نعلم : أن المسلمين من شتى بقع العالم ، من أندونيسيا والهند والباكستان إلى مراكش والكونغو والصومال يحضرون دروس العلم بالأزهر فيتعلمون اللغة العربية كما يتعلمون الدين ، ويعودون إلى بلادهم أممة للمسلمين وهداة للدين ، فإذا كان العرب سائرين اليوم في طريق النهضة ، فلا جرم أن الأزهر قوة دافعة في طريق هذه النهضة .

وبعد ، فإن الأستاذ جبريل مشكور وحسن دفاعه عن العرب في قضيتهم التي يرى أنها لا تزال في بدايتها ، وأنها كما يقول في ختام كتابه : تنفجر عن طاقات جديدة تشهد بأن رسالة العرب في البحر الأبيض وفي الشرق الأدنى لم تتحقق بعد . ؟

أحمد فؤاد الأهواني

والشيخ محمد عبده في مصر ، والسنوسية في شمال إفريقيا .

وهذه الحركات الثلاث تعزف جميعاً على قيثارة واحدة ، وتصدر نغمة واحدة ، مع اختلاف التفاصيل ، فهي كلها حركات تجديد وإصلاح ، وهي كلها تبغى الرجوع بالإسلام إلى فطرته الأولى وتخلصه من الشوائب التي دخلت عليه وتسد غريبة عنه ، وهي كلها تدعو إلى الوقوف في وجه التقليد وفتح باب الاجتهاد ، غير أن الوهابية - لأنها كانت متطرفة في التمسك بالدين الإسلامي - كانت متزمتة غاية التزمته حتى لقد أمرت بهدم شواهد قبور الصحابة في المدينة .

أما السنوسية : فقد اتجهت وجهة تربية دنيئة ودعاهية ، فأنشأت الكتاتيب والمدارس والأربطة في شتى أنحاء ليبيا وتونس والجزائر ، وكان لها أثر لا نزاع فيه في التمسك بالإسلام في مواجهة النزعات الصليبية الوافدة على شمال أفريقيا ، وتعد حركة جمال الدين محمد عبده حركة إصلاح معتدلة ، تقوم على تفسير الدين تفسيراً اجتهادياً وفلسفياً يتلاءم مع روح العصر الحاضر ، وتبعه في ذلك الشيخ رشيد رضا أشهر من أن ينوبه ، والاتجاهات المعاصرة في التفسير التي تقرأها ونسمعها في المذيع إنما هي ثمرة هذا الاتجاه الجديد .

الكتاب

نقد وتعريف : محمد عبد الله السمر

الثاني : في ظلال العروبة ، فيه قصائد عن أمة العرب ، والدولة المزعومة ، وفرنسا الرهناء وبنزرت الباسلة ، وبطل الريف . وما إلى ذلك من القضايا التي تمس كيان العروبة تاريخيا وسياسيا .

والثالث : صور من الحياة ، فيه قصائد تناولت مأساة حسناء ، وتقاليع العم سام ، والشعبان العاشق ، وكلك العبد ، والسانقات الفاتكات ، وما إلى ذلك من صور الحياة الاجتماعية التي لمسها الشاعر بنفسه ، وأماجت فيه شاعريته .

والرابع : زفرات ، فيه قصائد تناولت انقلاب القيم ، والزمن الوغد والشعر قبل الثورة ، وغربة الحياة ، وشكوى الأديب ، وما إلى ذلك من الصور الحية المليئة بالأسى ، والتي أثارَت أُنْجَمَانِ للشاعر .

وبالباب الخامس . ذكريات الصبا أو بين أفنان الجمال ، فيه قصائد عن مصدر الحب والجمال ، والعابثة الغضبي ، والفتاة الحسنة والتوحيد في الحب ، وحرورية التليفزيون ،

تراثهم الليل :

الأستاذ على الجندي

ديوان جديد للمؤلف يقع في ثلاثمائة وأربعين صفحة من القطع الكبير ، قدم له الأديب الكبير الدكتور شوقي ضيف الأستاذ بكلية آداب القاهرة بمقدمة موجزة أشار فيها إلى أن المؤلف الشاعر يوقع ترانيمته وألحانه على أوتار قيثارتنا الشعرية الموروثة من الآباء والأسلاف ، والتي تمزنا وترونها بما تقدمه لنا من غذاء للعقول وشفاء للقلوب والنفوس ؛ لأنها تراث الأسلاف والآباء فحسب ، ولكن لأنها أيضا تحمل رحيقا موسيقيا صافيا ، يلد الأذان كما يلد الأفتدة ، فتصفي إليه مفتشية بألحانه وأنغامه . والديوان ستة أبواب :

الأول : تحت راية الوطن ، تضمن قصائد في فرحة وادي النيل بالثورة ، ومصر والسودان الشقيقتين ، وقسم التحرير ودولة الإقطاع ، وبور سعيد الخالدة ، ونهيد العمال ، وما إلى ذلك من القضايا السياسية .

وقد حتى هلى قصائد ديوانه مزيجاً من الآراء الفلسفية والنظريات الاجتماعية .
كنا نود أن لا يخلو الديوان من باب للإسلاميات ، يتناول فيه قضايا الإسلام ، وقضايا شعوبه ، فهو من أقدر شعرائنا هلى سد هذا الفراغ ، ومن يدري فربما كان شاعرنا الكبير فى طريقه إلى اخراج ديوان خاص بالإسلام الذى أصبح فى سبيل الحاجة إلى ثورة شعرية جديدة ، لا تتغنى بأجاده السالفة ؛ ولكن تفر بالآلامه ، وآلام شعوبه

كتب جديدة

النسوة والطوائف فى القرآن :

تأليف : أبو الحسن الندوى

الناشر : مكتبة وهبة - عابدين

المؤلف ايس فى حاجة إلى التعريف ، فهو رئيس ندوة العلماء بالهند ، وأحد علماء المسلمين القلائل فى العالم من عرفوا بغزارة العلم ، وسعة المعرفة ، والارتباط بقضايا الإسلام والمسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مجال التفكير الإسلامى الحصب .
فى هذا الكتاب عرض فضيلة المؤلف لحاجة الإنسان إلى الأنبياء ، وسمات النبوة وخصائص الأنبياء ، وللأنبياء كائمه الهدى وقادة الإنسانية .

والحب بين جمال الجسد وجمال الروح ، وما إلى ذلك من الصور الناطقة التى جاءت ترجمة عميقة لذكريات الصبا عند الشاعر .
والباب السادس الأخير : خواطر وأفكار فيه قصائد عن الروح الظمأى ، وموكب الريح ، وحواء المستأسدة ، والزمن الكافر وفلسفة النحل ، ودولة العصر بين الماضى والحاضر ، وما إلى ذلك من الصور المتفرقة التى تناولت شتى جوانب الحياة من فن وصياغة وأدب واجتماع .

من قصيدته : الدولة المزهومة ، :

أبناء اسرائيل قد أصبحوا

حاتما فرعها الأجـدل

فى كل يوم لهم صفة

بسود أقتانهم تزل

هم القروء مسخوا على الدنى

أتى بذاك الخبـر المنزل

أذل من ذل على أوضنا

أسفل من قيل له : أسفل

الحق أن ديوان الشاعر الكبير الأستاذ

على الجندى عميد كلية دار العلوم السابق ،

ديوان جميع فأوعى ، فهو بمثابة موسوعة

تقاولت جوانب هدية من الحياة ، فى مجالات

السياسة والمجتمع ، والنفس ، والعقل والجمال

الأستاذ خالد منذ عامين باحثاً عن جوانب العظيمة في أصحاب الرسول - صلوات الله عليه - وقد تضمن الجزء الأول والثاني بحثاً عن واحد وعشرين صحابياً ، أما هذا الجزء فتقرأ فيه عن اثني عشر صحابياً : منهم خالد بن الوليد الذي لا ينأى ولا يترك أحد ينأى ، ومنهم حمير بن وهب شيطان الجاهلية وحواري الإسلام ، ومنهم زيد بن ثابت جامع القرآن ، ثم خالد بن سعيد وهو فدائي من الرعيل الأول ، ثم قيس بن سعد بن عباد ، وأبو الدرداء ، وزيد بن الخطاب ، وطلحة والزبير وخبيب ، وعمر بن سعد ، وأبو أيوب الأنصاري ، كل صحابي أبرز المؤلف فيه جوانب عظيمة ، وخصه بسمعة مميزة .

الكتاب ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط

تطوير الخطابة المنبرية :

تأليف : علي رفاعي

الناشر : مكتبة صبيح بالأزهر :

المؤلف فضيلة الأستاذ الشيخ علي رفاعي مراقب عام الوعظ بالأزهر من خيرة العلماء الذين أسهموا بنصيب وافر في تطوير الخطابة المنبرية ، وله مؤلفات بلغت اثني عشر كتاباً ، وأعطت - ولم تزل تعين -

يذكر المؤلف في مقدمته أن البحث في النبوة والأنبياء من البحوث والدراسات التي تشهد بحاجة الطبقة المثقفة إليها ، وهو يعتقد أن أقوى سبب الانحراف هذه الطبقة ، هو بعدها عن منهج النبوة ، وجهلها بقيمتها وفضلها على الحياة المدنية والعقل الإنساني .

الفاروق عمر :

تأليف : اللواء الركن محمود شيه خطاب
الناشر : مطبعة العاني - بغداد

المؤلف أحد وزراء العراق ، ومن الأدباء المؤرخين ، له زهاء عشرين مؤلفاً في التاريخ الإسلامي ، وفي كتابه الأخير هذا ترجمة وافية شاملة لسيرة عملاق من عمالقة التاريخ في الإسلام ، عرض في هذه الترجمة للفتح الإسلامي قبل عمر ، ثم بقيادة عمر ، ثم تحليل دقيق لقيادة عمر نفسها ومعالمها وخصائصها ، ولمكانة عمر في التاريخ .

الكتاب : ١٩٢ صفحة من القطع الكبير

رجال حول الرسول :

تأليف : خالد محمد خالد

الناشر : دار المكتبة الحديثة - القاهرة
هذا هو الجزء الثالث من السلسلة التي بدأها

خطباء المنابر من العلماء وغير العلماء على
مهمتهم ، وهذا الكتاب الأخير - كما يشير
المؤلف إلى ذلك - على مستوى الفعوب
الإسلامية ، يسائر نهضاتها ويرسم طريق
الوصول إلى أهدافها .

وبعض النماذج التي عرض فيها للتحليل
العلمي والصوغ الخطابي لها ، ثم زهاء
أربعين خطبة منبرية في شتى جوانب الحياة
العلمية ، ثم بضعة نماذج لدروس التفسير .
الكتاب ٢٢٤ صفحة من القطع المتوسط

محمد عبد الله السمره

في الكتاب بحث عن أهمية الخطبة المنبرية

الصراع الأدبي

بين القديم والجديد

للأستاذ : علي محمد حسن العماري

يسر قراء هذه المجلة الأستاذ : علي محمد حسن العماري بما قدمه لإيهم فيها من بحوث
أدبية ودينية تعزز هذه المجلة بها وبما ينشره دائماً فيها لغزارة علمه وسعة اطلاعه وبقظة
ذهنه ووجدانه .

وقد ألف عدة كتب في البلاغة والأدب ، وكان آخر ما أصدره بجمهرة القراء والمثقفين
خاصة كتاب : « الصراع الأدبي بين القديم والجديد » ، وقد تباع هذا الصراع منذ نشأ
في العصر الجاهلي ، ثم في العصر العباسي . . ثم في هذا العصر الذي انحرفت فيه الاتجاهات
الأدبية هند بعض الكتاب والشعراء انحرفات ضارة بقوميتنا العربية وديننا الإسلامي ،
والقارئ لهذا الكتاب يجد الكاتب من خلاله عالماً بموضوع بحثه غنياً بالعواهد
والأسانيد التي يدعم بها قضاياه ، نافذاً البصر والبصيرة إلى الدوافع التي تمكن وراء
الاتجاهات التي يتناولها بحمه أو تعقيبه ، وقد كتب مقدمته الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات .

ونرجو أن نعرض لموضوع هذا الكتاب بالتفصيل في القريب العاجل إن شاء الله .

(المجلة)

في مخطط العالم الإسلامي

قصة مخزنة:

اختيار أعضاء المجلس الجمهوري ، ويقوم بوضع الدستور الدائم وعرضه على الاستفتاء العام خلال فترة الانتقال ومدتها سنتان .

• داكار : وافقت حكومة السنغال على انسحاب عشرة آلاف جندي فرنسي من بلادها من تلك القوات الفرنسية التي لم تزال بالسنغال بعد استقلالها ، ومن الجدير بالذكر أن السنغال كانت إحدى المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا .

• الخرطوم : رفضت حكومة السودان الموافقة على زيارة وفد حكومة تشومي للسودان لإجراء محادثات بشأن التوتر الذي يسود الحدود بين الكونغو والسودان ، بسبب الاعتداءات المتكررة من قوات حكومة تشومي على حدود السودان بدهوى مطاردة الثوار .

• القدس : بدأ العمل في المرحلة الثانية لإصلاح المسجد الأقصى ، ومن المقرر أن تنتهي هذه المرحلة خلال سنوات أربع .

• جاكرتا : رفضت حكومة أندونيسيا إجراء استفتاء في إيريان الغربية طبقاً للاتفاق الذي تم تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة ،

حدث أخيراً أن أصيبت دولة الصومال المسلحة بمهاجمة هزت كيان زهاء مليون مسلم والمؤلم في الخبر أن جمعية الصليب الأحمر هي التي أخذت على عاتقها الدعوة إلى إنقاذ الآلاف التي هزها الجوع وقتل بعدد منها ، بينما العالم الإسلامي بأسره لم يحس بهذه المأساة ، ويظهر أنه ليس مستعداً لأن يحس بها .

وإذا كانت العوامل السياسية الجائرة أصرت على أن لا تقوم لوحدة المسلمين قائمة فأى عقبة يمكن أن تقف في سبيل وحدة روحية تربط بين قلوب المسلمين وحوافهم لتؤدي واجبها - على الأقل في مثل هذه المأساة ١٩ .

• صنعاء : صدر قرار جمهوري بإقرار الدستور المؤقت لليمن وينص هذا الدستور على أن اليمن جمهورية عربية إسلامية ديمقراطية ، كما ينص على تكوين مجلس جمهوري يرأسه رئيس الجمهورية ، ومجلس لشورى يضم تسعة وستين عضواً ، يتولى

كما صدر كتاب جديد باللغة الإنجليزية للكتابة دورنا راسل عنوانه : القاهرة في الصور الوسطى ، وتبلغ صفحات هذا الكتاب ٣٤٩ صفحة .

القاهرة : من المنتظر أن يضاف إلى تلاوة القرآن . في حملة إذاعة القرآن برنامج لتفسير القرآن يقدمه كبار العلماء والمختصون بالدراسات الإسلامية .

في محيط الأزهر

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بعثة الحج اليوغسلافية برئاسة الحاج مصطفى شوا مدير المعهد الإسلامى بسراييفور وذلك بمناسبة مرور البعثة بالقاهرة في طريقها إلى الأراضي المقدسة لتأدية فريضة الحج ، وقد تنازل الحديث شتون الإسلام والمسلمين بيوغوسلافيا .

* تقرر لأول مرة قبول طلاب المنازل الحاصلين على الشهادة الإعدادية والابتدائية في امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية المعادلة هذا العام .

* أصدر السيد المهندس أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء لشئون الأوقاف والأزهر — قراراً بأن يكون امتحان القبول بالمعاهد الأزهرية والمعهد

وقد صرح الرئيس سوكرنو بأن العالم أجمع يعترف بأن إيران الغربية جزء لا يتجزأ من الأراضي الاندونيسية وليس لهولادة أى حق فيها .

* غزة : بدأ تجنيد الدفعة الأولى من الفلسطينيين بقطاع غزة من مواليد عامى ٢٧ ، ٤٤ ، تنفيذاً لقانون التجنيد الإجبارى للفلسطينيين ، الذى أقره المجلس التشريعى في أواخر فبراير الماضى ، ويقضى بأن تكون الخدمة العسكرية إجبارية لكل فلسطينى من سن ١٨ - ٣٠ سنة .

* القاهرة : أقيم في القاهرة المؤتمر الثالث لتنظيم الأسرة ، اشترك فيه عدد من المؤسسات والهيئات الأجنبية ، منها المجلس الأهلى للدواست السكانية بأمريكا ، ومؤسسة فورد ، وجامعة جرانز بالنسا ، والجمعية الدولية للأسرة .

* الفاتيكان : أنشأت الفاتيكان قسماً جديداً للشئون الإسلامية ، في سكرتارياتها المختصة بشئون الديانات غير المسيحية ، وقد عين رئيساً لهذا القسم القس الفرنسى الأب جوزيف كوك الخبير بالشئون الإسلامية .

* لندن : صدر في لندن مصور عن الفن الإسلامى أعده دافيد تاليوت رايس ،

* توفقت في أبريل الماضي بجامعة الأزهر الرسالة المقدمة من الأستاذ فتحي عبد القادر الدريني الأستاذ بكلية الشريعة بدمشق، والموفد إلى جامعة الأزهر في بعثة عليية لتحضير رسالة الأستاذية في الفقه والأصول. موضوع الرسالة : التعسف في استعمال الحق بين الشريعة والقانون ، بلغت صفحاتها ٥٢٣ من القطع الكبير ، ألفت اللجنة برئاسة الشيخ طه الديناري ، وعضوية الدكتورين : محمد مختار الفاضل ، وجاد الرب ومضان ، وقد قررت اللجنة منح الأستاذ الدريني درجة الامتياز مع مرتبة الشرف .

السماح

النموذجي للبين في القرآن الكريم تحريراً باعتباراً من العام الدراسي القادم .

* طلبت جامعة الأزهر إلى مجلس الدولة إبداء الرأي في التماس الذين لا يحملون أية مؤهلات دراسية ، وسبق لهم أن تقدموا للحصول على العالمية المؤقتة ورسبوا فيها ، ويرغبون في الالتحاق بالسنة الرابعة النظامية بالقسم العالي للدراسات مع الأزهر ، ومن المعروف أن قانون تنظيم جامعة الأزهر كان قد اشترط لها ضرورة الحصول على الشهادة الثانوية كأدنى مؤهل دراسي للالتحاق بالسنة الأولى الدراسية .

فهرس أبجدى عام

لموضوعات المجلد السادس والثلاثين

صفحة	الموضوع	صفحة
	(١)	
٥٠٩	الاباضية في موكب التاريخ (كتاب)	٧٦٩
٥٧٦	انجازات الثقافة في الشرق العربي ...	٥١٢
٢٦٨	أبو زكريا الفراء (كتاب)
٨١٢	أبو العلاء والصور الشعرية ...	٢٤٤
٨٨٠	أثر الأدب في ثورة العرب ...	١٥٥
٩٩٣	أثر الأديمة في أدب الأندلس ...	٧٣٣
٨٠٧	أحمد زكي الملقب بشيخ العمروبة (كتاب)	٩٤٨
٩٣٣	إخوان الصفا - أثرهم في تطوير	٩٩٠
١١٨	القصة على لسان الحيوان ...	٤٢٥
٢٩٢	الأدب المحرام ...	٥٢٢
٤٨٨	الأدب الصوفي ...	٦٦٦
٥٩٩	أزمة الإيمان ...	٨٤٤
١	الإسراء والمعراج ... (كتاب)	٩٤٤
١٠١	الإسلام بين الأمس واليوم ...	١٠٢٢
٢٦٦	الإسلام والحياة ...	٤٩٨
٦٣١	الإسلام وما يفتى عليه ...	٢٥٢
٦٢٤	حول مقال - الإسلام وما يفتى عليه	٨٠
٩٢٩	إشارات أبي العلاء ...	٩٧٣
٢٨٠	إلى رسول الله - قصيدة - ...	٦١٢
٧٢٠	إمامة الجاهل في الصلاة ...	٤٤٩
٩١٠	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٥٤٥
	الإنسان بين هوى النفس والفيضان	٩٨٦
	الإنسان والجمال ...	٩٠٢
	إنسانية الحضارة العربية وإبداعاتها	
	إن هذا هو القصص الحق ...	
	إيمان فرعون (كتاب) ...	
	آية فيها نور للأبصار والبصائر ...	

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٣٦	التكبير عند ختم القرآن ...	(ب)	
١٠٧٨	تمبكتو	٤١٦	البذل في سبيل الله يبع راج ...
٣٨٥	تمنى التبنى	٨٦٣	براعة التصوير في شعر الأندلسيين
٣٥٠	توضيح وتصحيح لتفسير آية ...	٥١٢	بسط سامع المسافر في أخبار مجنون
٤٨٤	تيارات منحرفة في التفكير	١٢٩	بنى عامر (كتاب)
٥٨٨	العقبي المحاصر	١٢٩	البلاغة بين الإيجاز والإطناب ...
٦٧١		٥١١	البناء الفني للقصيدة العربية (كتاب)
٨٢٥		(ت)	
٩١٦		١٢٤	تفنن المسيحي للطفل المسلم
(ج)		٨٩١	التعليق والصلب والقيامة والفداء
٧٩٦	جزاؤنا عند الله قائم على عدله وفضله	٤٥٨	التجديد الديني
٩٨٩	جمع القرآن	١١٥	تخريج الفروع على الأصول (كتاب)
٥٠٢	الجمعة عند تعدد المساجد	٩٩٧	تحية الإمام الأكبر للسلمين في عيد
٥١٦	الجهاد		الأضحى
(ح)		٧٢٧	التراث الإسلامي والحضارة الأوربية
٩٨٣	الحج ونفقة الأقارب	١٠٩٢	ترانيم الليل (كتاب)
٣٨٨	حديث هام لفضية الإمام الأكبر	٢٣٣	تصنيف العلوم عند الغزالي
٢٤٩	حروب الإسلام ... حروب فتح	٦	
١٠٩	الحرية السياسية والقيادة الجماعية	١٣٣	
١٨٥	في الإسلام	٢٦١	التطورات التشريعية في الطلاق
١٠٤٥	الحرية كما يريد الإسلام	٥١٩	
٥٠٨	حسان بن ثابت (كتاب) ...	٧٨٨	
٣٠٢	حق الفقراء في أموال الأغنياء	٨٩٧	
٢٢٣	الحقيقة الضائعة	١٤٠	تفاوت المنازل عند الله
٨٨٥	حكمة العبد وما شرع له	١٦٠	التفسير الباطني ، نشأته وأسبابه
		٨٦٨	التكافل الاجتماعي في الإسلام (كتاب)

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
	(غ)		(ص)
٢٦٩	الغزو الفكري، كتاب، ...	١٤٩	صداقة الفكرة بين ثلثوت والرسالة
٤٠	غزوة أحد بين القرآن والشعر	١٠٩٥	الصراع الأدبي (كتاب) ...
١٦٥		٥١١	صراع بين الحق والباطل ...
٢٢٧			(ض)
	(ف)	١٠١٧	ضجة مفتعلة ينكرها الدين والواقع
٧٠٣	لجزر الفكر الإسلامى فى مصر		(ط)
٨٥٦		٥٥٠	طاعة الرسل وطاعة الرسول ...
٥٤١	الفراغ النفسى عند الشباب ...	٧٧٤	طبائع وشرائع ...
٧١٣	فرق مسيحية تقول يوحدانية الله	٢٥١	طروء الأفكار والوسائل على
٦٥٧	فضائل النبي فى القرآن ...		المصلى أثناء الصلاة ...
٣٠	الفنون الإسلامية ...		(ع)
٩٧٧	فى الإيمان والإسلام، كتاب، ...	٢٣	العبرة من الهجرة ...
١١٦	فى صحبة العقاد، كتاب، ...	١٠٨٥	المروبة والإسلام ...
٢٧١		٥٥٦	عصمة الأنبياء بين اليهود والنصارى
	(ق)		والقرآن ...
٢٤٦	قاهر القطار، كتاب، ...	٩٦	العقاد والفكر الإسلامى ...
١٠٢٩	القدرة اللغوية عند أبى العلاء ...	٧٤	العقاد فى الدراسات اللغوية ...
٣٧٧	قراءة القرآن لدى القبر ...	٨٣٩	العلم بين السلام والخصام، قصيدة،
٨٧٦	قسم عائ للدراسات الإسلامية	٥١٠	علم القلوب للعلامة أبى طالب المكي
	والعربية بالأزهر ...		كتاب، ...
١٠٤٠	قضية المرأة ...	٤١١	عناية الإسلام بالشباب ...
٦٨٥	القوم الصوفية ...	٢٧٥	العهد مسئولية دينية والوفاء به غاية حتمية
٨٢٩		٢٣٨	العوامل الضرورية فى بناء الجماعات
٩٢٥	القيمة الأدبية فى الأدب الصوفى ...		وإقامة المدينيات ...
٦٥٩			

صفحة	للموضوع	صفحة	للموضوع
٢٨٨	المرونة في اللغة العربية ...	(ك)	
٦٧٧	مشاكل التربية الدينية والخلقية ...	٧٩٥	المعراج للفشيرى د كتاب ...
٤٠٧	مستويات الناقد المعاصر ...	٨١٨	كتب ظاهرو الرواية ...
٧٠٧	مستشرق من اليابان يكتب عن الله ...	٩٠٧	السكان الفلسطينى ...
٣٦٠	والإنسان في القرآن ...	٤٠١	(ل)
٩٨٨	مطلع النور د كتاب ...	٩٩٠	لماذا ... العرب وحدهم ؟ ...
٦٨٩	مباشرة أبي العلاء للنجاحة ...	٥٨٤	ليلة الإسمراء والمعراج ...
٥٣	معاهد التفتيش : رسالة السكتاب ...	٤٤٥	ليلة المباركة ...
	ومنهجه الأدبى ...	٢٠٦	ليلة الاخيلية - المثل الاعلى في الوفاء
٨٥٢	معركة عين جالوت ...	(م)	
٦٠٥	مع شوقى في مدائحه النبوية ...	٦١	ماذا تعرف عن بوذا وفلسفته ...
٤٣٨	مع الفكر المؤمن ...	١٠٣٦	ماوراء المحسوس في فلسفة الجبال والفن
٤٥٥	مفهوم التجديد الدينى ...	٧٠	
٥٣١	مفهوم الإيمان ...	٢٠٩	
٧٩٠	مقومات القيادة الناجحة في الإسلام ...	٣١٥	الاجتمع الاشتراكى في ظل الإسلام
٥١٣	مكانة المرأة في المجتمع ...	٤٢١	
٩٠	الملاحم والمطولات الإسلامية	٦٨١	
١٩٩	في الشعر العربى ...	٨٢١	
٣٥٤	ملكية الافراد الارض ومنافعها ...	٥١١	الاجتمع في شعر أحمد الزين د كتاب ...
١٧١	في الإسلام ...	٨٣٥	محمد رسول الله ...
٢٩٨	الملاكية الفردية وتحديداتها في الإسلام ...	١٠٥١	الشيخ محمد عباد طنطاوى ...
١٠٥		٩٥٣	محمد في مكة ...
١٧٧		٢٤٥	مختصر سياسة الحروب الهرثمى (كتاب)
٣٠٩		٢٥٧	المذاهب الأدبية المنحرفة ...
٤٧٣			

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
نقد ابن تيمية لمذاهب الاتحادية	٩٦٨	مناجاة الخالق	٣٣٦
والقائلين بوحدة الوجود ...	١٠١١	من أباطيل اليهود	٤٧١
النقود التاريخية في عهد المسلمين	٢٢٦	من روائع فردوسنا المفقود ...	٦٤١
في الهند	من شيم العلماء وشغفهم بالعلم	٥٩٥
نهضة العالم الإسلامي	٥٨٠	...	٩٤٠
النيل في مؤلف مصرى قديم ...	٨٦٠	مظاهر رائعة من عظمة الرسول	١٠٠١
(ه)		من موازفات القرآن بين المناقذين	٣٥
هجرات في سبيل الحرية	١٥	وأهل الإيمان
هدف الغزل الجاهلي	٦١٧	المنهج الإسلامى فى الأدب ونقده	٤٩٣
هذا واجب العرب فأين واجب المسلمين ؟	٣٩٨	من وحى الهدى (قصيدة) ...	٢٤٢
...	من وحى القرآن (قصيدة) ...	٣٦٦
هل للصلاة سورة خاصة ؟	٣٧٧	الموطأ للإمام مالك	٢٨
الهندوكية	٣٤٠	موقف الإسلام من نظائى : التبئى	١٤٤
هيا لى العيد الأكبر !	٨٨٧	والاعتراف بالولد
(و)		(مى) أدبية الشرق والعروبة ...	٣٧٢
الواد الزائدة . فى الأساليب العربية	٧١٦	(ن)	
وثنية بنى إسرائيل	٤٠٤	النهضة العلمية من إعجاز القرآن	٤٣٣
وحدة الوجود	٣٩٢	...	٦٤٦
الوراثة وقوانينها ومظاهرها ...	٥٦١	...	٩٦٠
(ى)		...	١٠٥٧
يسر الدين الإسلامى وصلاحته ...	١١٢	النبوة والانبياء (كتاب)	١٠٩٣
بغظة التفكير الأوربى على صوت	٥٦٨	فسمات الأندلس فى ربوع النيل	٦٩٣
ابن رشد	النظام الاقتصادى فى الإسلام ووضعه	٧٨٢
		بين النظم الاقتصادية الحاضرة

News From The Muslim World

By : Mohammad Abdullah El-Sammam

★ The Yemeni Republican Council has approved a provisional draft constitution of the Republic of Yemen. This Constitution bears a historical Significance as it means a landmark in the history of the Arab world. The new constitution declares that Yemen is an Islamic Democratic Arab Republic. The transition period is two years.

★ The Afghanistan Parliament ratified recently a new Constitution for the country. The constitution states that the religion of Afghanistan is the Sacred faith of Islam. The state disposes, of religious matters in accordance with the Hanafi Commandments'. Those members of the nation who do not follow the the Islamic faith are free to conduct their religious Ceremonies within the limits of the laws formulated to maintain the decorum and tranquillity of the public (chapter 1, Article 2.)

★ The Palestine Liberation Organisation observed this month the anniversary of the palestine tragedy. President Jamal Abdul Nasser Said in his message to the Palestine Day Conference that the Arabs would

exploit all their Sources of wealth to face the Israeli danger and that they would work hard to realize development.

★ The Prime Minister of Malaysia, Tunku Abdul Rahiman, Said, in Kuala Lumpar, that he would write to the leaders of the Arab Nations and tell them that Malaysia had no intention of establishing deplomatic relations with Israel.

★ The Vatican has announced the establishment of a Section for Islamic Affairs. This Section will be attached to its special Secrateriate which deals with the affairs of world religious other than christianity.

★ The Muslim students association of the United States and Canada has passed a resolution, at its Second Convention, which was held in Urbana, Illinois, about the necessity of promation of friendship among Muslim Organisations in the World. The resolution says : "Muslims Should be Urged to remember that they are the representatives of Islam and that their behaviour is regarded, by the non - Muslims, as Muslim behaviour."

Caliph : The matter stands quite clear then. We leave it to you to decide. You do not curse the Pharaoh a confirmed enemy of God. Do you think it is in any way lawful to curse those who keep up prayers and observe the month of Ramadan and give alms? Surely we can punish the transgressors, but can never curse.

Representatives : well and good. But better for you and us both if you cut off your connections with them.

Caliph : The Kufites and Basrites once led on army against your ancestors. They put to death many of them. Did you forsake those people ?

Representatives : No.

Caliph : If that is so, we do not understand why you compel us to do what you did not yourselves.

He who professes to believe in the oneness of God and the prophet hood of Muhammad, God and his Apostle are ready to take him under protection. And is it not a pity to find this, that it is only you who refuse to extend your sympathies to believers? Is it, then, the regeneration of Islam you are driving at ?

The proxies could make no reply.

They acknowledged in express words their satisfaction, and said : « we beg to be excused for our outspokenness. We are very much thankful to you for your leading a patient ear to so lengthy a talk ».

A woman accuses the son of caliph Mamun in open court Mamun was once holding court when there appeared a woman. A child was clinging to her breast. She cared not for the formal ceremonious etiquette of the court, and at once burst out into tears and cried aloud, saying : « O, Caliph ! the house of a widow has been seized for no fault.

Do Justice to my complaint and keep in view the Day of Judgment where I shall stand up and raise my voice amidst the crowd against you if you do not make good the wrong done to me ».

The courtiers were quite astonished to hear the woman speaking so loudly in the presence of the Caliph.

The Caliph, on hearing this complaint, was startled, as if taken aback by some unexpected calamity.

« Well, who has done such a glaring injury to you ? Tell us his name ».

The woman blushing said Prince Abbas, your son ».

(Continued on page 11)

Aspects of Socialism and Equality

- From the History of Early Muslims -

By

IBRAHIM M. EL-ASSIL
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY

On his ascending the throne of caliphate, Omar bin Abdul'Aziz had to face of a rebellion raised by Bistam, a Kharijite, due to some difference of opinion. The caliph wrote a short note to him, which ran as follows :

" We learn that your sole aim is to regenerate the faith of Islam.

We also, let it be known to you are bending our energies to the same end. Would not you, then, appreciate the idea of holding a debate between both the rival parties ? If we can advance convincing arguments, you will have to give allegiance to our authority. But if you get the better of us, we would consider the matter"

Upon this Bistam commissioned two proxies to the court of the Caliph.

The debate was convened, and the following words passed between the Caliph and the representatives :

Caliph : well, what reasons have

you to justify yourselves to disturb the peace of the country ?

Representatives : You have ridden rough-shod over the desires and wishes of the people in general and your relatives in particular. You have confiscated their landed properties. If they did a wrong thing, is it not quite justified, according to Islamic jurisprudence, to curse them ?

Caliph : You do not seem to catch the point. I have taken back only what they had received either through unlawful means or because they did not deserve it. I do not see any necessity of upbraiding the unbelievers and wrong-doers, nor is it supported by any verse or authority either of the Qur'an or the Traditions.

Did you ever curse Pharaoh ? Do you believe honestly that it is incumbent upon you to do so ?

Representatives : We never curse the Pharaoh, nor is this an article of faith with us.

pillar is the practise of the obligatory prayers five times during the day, but how many perform the farz let alone the sunnat or nafl prayers? the third pillar is Zakat or charity, while this primarily means to give a percentage of your income to the poor in a certain month of the year we should not forget charity in our daily lives as well. . . how many times has a suppliant been thrust aside with a curse given instead of a coin, even if we cannot give money surely we can give a kind word, little as it may be, for charity also means love, understanding, tolerance, kindness and mercy ; the fourth pillar is fasting during the month of Ramadan when all Muslims must fast from dawn to dusk, but do we also abstain from indulging in anger, lying and cheating ; the fifth and final pillar is the Hajj or pilgrimage to Mecca, this is indeed a difficult task which often causes great sacrifice but it is the envy of all the

other religions, for it is the bond that once a year brings thousands of Muslims together from all parts of the world to worship and pay homage to the One God, Allah.

All these things are the main roots of Islam and if we would only cultivate them in ourselves, then from these roots would spring forth the divine towering tree of our eternal faith whose green branches would give shade to our souls and whose fragrance would refresh our heart, it would give shelter from the storm of life and abundant sustenance to a hungry spirit. Water these roots with your tears of contrition, prune its branches with love and discrimination, fertilise it with your very being, adore and cherish it in truth, and you will then live as only a Muslim can live. . . in happiness and and contentment.

RASCHID AL-ANSARI

(ROBERT WELLESLEY)

FUNDAMENTALS OF ISLAM

BY : RASHID AL-ANSARI

Many of us seem to forget the fundamentals of Islam and become lost in the wandering pathways of useless speculation on the finer points of Islamic theology and thought until at last we are far from the basic teachings of Islam, finding ourselves living a life of petty restrictions that have very little meaning. Then, as we say, you cannot see the forest for the trees . . . in other words the whole becomes obscured by the part. It is a little like a carpenter who pays meticulous attention to the seat of a chair, carving it and polishing it, and in the process completely forgetting all about the legs of the chair ! And how can you have a chair without legs ? It is a ridiculous thought. Even so does Islam lose its dignity and simplicity when insistence is put on form and not on spirit. It is therefore important that we should keep in mind what are sometimes known as the Pillars of Faith and the Pillars of Wisdom.

In the Seven Pillars of Faith the first pillar is belief in Allah, the Eternal and One God who has no equal ; the second pillar is belief in His angels, of whom we are each said to have our Guardian Angel ;

the third pillar is belief in the Books sent from Allah for our guidance, of which it is a fact that the Qoran is the only one to retain its original purity ; the fourth pillar is belief in all the prophets of Allah, such as Moses, Abraham, Jesus and Muhammad (may peace be upon them), who brought the message of Allah to a wayward world ; the fifth pillar is belief in the Hereafter, of the continuation of life after the body dies, thus Allah bestows on us a certain immortality, for only Allah is truly immortal, the sixth pillar is belief in the ultimate will of Allah, that though we must strive and do our best in every possible way we must always remember to surrender ourselves to His will, it is the neglect of this that causes a lot of the evil present in this world today ; the seventh pillar is the belief in the Day of Judgement, when we will face the radiant and supreme wisdom of our Lord to beseech His mercy on our souls.

Then we come to the Five Pillars of Wisdom, the first pillar being the belief in the one God alone, Allah, and His last messenger Muhammad (may peace be upon him) who was yet the first ; the second

a painful punishment. On the day when it will be heated in the fire of Hell, then their foreheads and their sides and their backs will be branded with it : This is what you hoarded up for yourselves, to taste what you used to hoard.”)

And :

(And let not those who are niggardly in spending that which God has granted them out of his grace think that it is good for them. May, it is evil for them. They shall have a collar of niggardliness on their necks on the Day of Resurrection . . .)

And the Prophet said :

“Whomever God granted wealth and he withheld the poor-rate, his wealth shall be pictured for him on the Day Judgment as a big snake with two horns, and it will fold around his body and hold up his cheeks saying : I am your hoarded

money, I am your wealth.”

It is also reported through Abdullah ibn Omar that the Prophet said :

“ O immigrants and helpers ! There are five evils I take refuge in God not to befall you. If adultery appears among people, they will be stricken with such ills as not happened to their past generations. If they do not give right measure in their scales, they will be tried with poverty, scarcity of provisions, and injustice of their rulers. If they prevent the poor-rate, they will be denied rain from the sky, except for the sake of their animals. If they do not fulfil the Covenant of God and His Messenger, God will raise against them those take away some of what they possess. And if their rulers do not rule according to the Law of God, the fighting among them will be severe.”

(Continued from page 15)

The caliph had earned a good name for justice. The story told by the woman, by name Mughira, set the blood of Mamun boiling ; his face glowed with anger. He at once ordered ‘Abbas to stand by the side of the plaintiff, so that every distinction be wiped out.’ Abbas, being guilty, could not clear his position. But Mughira was so eloquent in giving vent to her com-

pelled right that her very eyes, sparkling with passionate anger, seemed to speak for the worth in her bosom.

The nobles could not reconcile the audacity of the woman with forbearance of the Caliph. One of them could not help saying :

« O, woman ! Such conduct does not become in the presence of the caliph. You are so rude ».

a due share for the beggar and for one who is a needy."

In the chapter of "Al-Qalam" the pen", the Holy Qur'an relates the story of the people who owned a garden and who intended to cut out its fruits to deny the rights of the poor in those fruits, and how they were doomed :

"But a visitation came from your lord, came out on it (the garden) while they slept. So it became as black, barren land."

The Holy Qur'an also says :

«أرايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع
اليتيم ولا يحض على طعام المسكين»

"Have you seen who belies religion? That is the one who is rough to the orphan. And urges not the feeding of the needy."

In another verse, the Holy Qur'an warns the disbelievers who are characterised by withholding the poor-rate in this way :

"... And woe to the disbelievers! Who give not the poor-rate, and who deny the Hereafter."

The Holy Book urges us to pay the poor-rate in this verse :

"... And keep up prayer and pay the poor-rate and offer to God a goodly gift..."

«Anas», the companion of the Prophet reported that a man came to the Prophet and saide : "O Messenger of God! I possess a good amount of wealth and I have a great number of relatives. Tell me how should I spend?" The Prophet said: "You have to pay the poor-rate out of your wealth, for it is a cleanliness for it, and keep your relation to your relatives, and know the right of the unfortunate, the neighbour, and the beggar."

"Aysha" also reported that the Prophet said : "I swear that there are three things, the performer of which is participating in three shares in Islam : Prayer, fasting, and almsgiving." It is reported in "Al-Bukhari" and "Muslim" that Garir ibn Abdullah said : "I paid the oath of allegiance to the Prophet that I will keep up prayer, pay the poor-rate, and give good council to every Muslim."

Those who withhold almsgiving are spoken of in they Holy Qur'an in this sharp language :

«والذين يكتنون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فيبشرهم بعباب آليم ، يوم يحمى عليها
في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
هذا ما كنتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون»

("... And those who hoard up gold and silver and spend it not in God's way, announce to them

"They ask you as to what they can spend. Say: What ever wealth you spend, it is for the parents and the near of Kin and the orphans and the needy and the wayfarer. And whatever good you do, God surely is Knower of it.")

When Muslims were settled and the circle of their life was expanded through immigration to Medina, the amount of Zakat was fixed regarding all kind of wealth. So the amount of almsgiving regarding the harvests that were irrigated by rain was the tenth of it, and those which were irrigated by mashines was half tenth. The fourth of the tenth was the amount prescribed on gold and silver, and the same was fixed regarding the articles of trade. Those amounts were payable yearly. As to the almsgiving on animals such as camels, sheep and cows, the amounts are fixed in a special manner.

The reason behind the difference of the amount of Zakat, regarding the different amounts of wealth, is due to the difference of effort which is paid toward the earning of wealth. The more one pays in his effort to earn wealth, the less he gives in the amount of Zakat, and vice versa.

QUESTION :

What are the proofs to evidence the prescription of Zakat (almsgiving) in the Holy Qur'an and the Sunna?

ANSWER :

We said before that there are eighty two verses in the Holy Qur'an in which almsgiving is mentioned together with prayer. Among these verses we read :

«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ»

"And the believers, men and women, are friends one of another. They enjoin good and forbid evil and keep up prayer and pay the poor-rate ... " and :

«الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ .»

"Those who, if we establish them in the earth, well keep up prayer and pay the poor-rate and enjoin good and forbid evil."

In the chapter of Al-Muddathir, the Holy Qur'an relates the profession of the people of Hell, and tells us about the reason of their miserable situation :

"... They ask one another - About the guilty : What has brought you into hell ? They will say : We were not of those who performed prayer. Nor we did feed the poor." God, the Almighty, praises the praises the believers in this way :

«وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»

"And in their wealth there was

you (alon) and seek your help, I say : To my servant what he a asked for. And when he says : Guide us 'o the right way, the way of those on whom you bestowed your favour, not those you are angry of them nor those who are stray, I say : Surely to My servant what he requested,

No wonder, then, to state that the Prayer supports the believer with big spiritual power. Dr. Alexis Carrel says in this respect : "The Prayer is a great sourse of vitality. As a physician I have seen many patients who were cured through prayer when the drugs failed to feal them.

Certainly the prayer is like the mineral of radium, a source of power and vitality."

Through prayer we are connected with the Originator of the universe, who help us over the difficulties of life. Our appeal to God in our Prayer is certainly a splritual force which help us and give us peace and happiness.

What is the second worship prescribed in Islam ?

The second worship prescribed in Islam is almsgiving "Zakat". It is one of the five pillars of Islamic faith. It is mentioned to gether with prayer in eighty two verses in the Holy Quran. It is prescribed in both the Holy Quran and the Sunna. It

is reported through "Ibn Abbas" that the Prophet (peace be upon him) said to his companion "Mu'adh ibn Jabal" when the Prophet sent him in a mission to Yemen : "You are going to reach a people who are followers of divine books. So call them to witness that there is no god but Allah and that I am the Messenger of God. If they accept, tell them that God has prescribed on them five prayers daily. If they obey, this, then tell them that God has preseribed on them a poor-rate in their wealth, to be taken from the rich among them and given back to the poor. If they accept to pay the poor-rate, do not follow the best and the dearest things of their wealth to take the poor-rate out of them. And guard against the call of the oppressed one, for the appeal of the oppressed supplicant is liable to reach God promptly."

Zakat was prescribed in Mecca undefined and unrestricted to a special amount. It was left to the personal feeling of the rich toward the poor. The Quran says :

« يسألونك ماذا ينفقون قل العفو »

("... An they ask you as to what they can spend. Say : What you can spare . . .") and :

« يسألونك ما ينفقون قل ما أنفقتم من خير فاللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم »

PILLARS OF ISLAM

(2)

By : Abdul Wadood Shalaby

What is the reason behind making the Prayer five times every a day ?

God prescribed the Prayer on the believers in a timely order for five times a day, in order to be a continuous spiritual exercise. This was illustrated by the Prophet when he asked some of his companions :

Suppose that you wash yourself up five times a day in a nearby river, would that leave out any dirt on you ? They answered : Certainly not. He said : This is like the five daily Prayers. They wash away all sins. The Prophet pictured that meaning in another time. He was sitting under a tree and beside him there was his companion "Salman Al-Farisi," and the Prophet picked up a dry branch out of the tree and shook it until all its leaves fell down, and said : O Salman ! You may be wondering why I do this ? Know then that if the Muslim makes a good ablution and performs the Five Prayers his sins will fall away from him just as the leaves of this branch. Then the Prophet recited this Verse :

« أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يزرهن السيئات ذاك ذكرى للذاكرين . »

("And keep up Prayer at the two ends of the day and in the first hours of the night. Surely good deeds take away evil deeds. This is a reminder for the mindful.")

Besides taking away sins, the Prayers transfer man from the world of hate and strife to the peaceful moments of humility and fear in the eyes of God. The Five Prayers are like five spiritual meals of appeal to God, which illumine his heart, and take the praying one from earth to heaven. They enable man to ask the Only Creator, the Self-Sufficient, who answers the applicant who appeals to Him Who said : I divided the Prayer between Myself and My servant. The portion of My servant is that I answer him. So when he says in his Prayer : Praise be to God, the lord of the Worlds, I say : My servant praised Me. When he says : The Beneficent, the Merciful, I say : My servant exalted Me. When he says : The Owner of the Day of Judgment, I say : My servant glorified Me. When he says : We worship

man kind as it embellished life by providing man with a brilliant and superior ideology which covers the entire field of human conditions. By this brilliant system of life the prophet Muhammad lifted up a nation sunk so low as were the Arabs and made of them, in a short period of time, torch-bearers of a high culture and a great civilization. This system could unify the discordant elements of a society into a harmonious nation.

The ideal life that Islam seeks man to pursue is an ideal of developing and growing of itself to satisfy his future needs. And it gives a new meaning to life and impels man to strive for the attainment of the highest spiritual values.

This ideal should link man's everyday life with the life hereafter. The Holy Quran states :

« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى ، وأن إلى ربك المنتهى ،
(سورة النجم - ٣٩)

« And that man can have nothing but what he strives for ; And that his striving will be seen ; Then he will be rewarded for it with the

fullest reward ; And that to your lord is the Goal ».

And :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »

« So he who does an atom's weight of good, will see it ; And he who does an atom's weight of evil, will see it »

The Cardinal principle of Islamic faith is to believe in the existence of God and His Oneness. This belief creates in Soul of man Courage, bravery, humanity, brotherhood and equality. This faith also creates in him will of power for he is not dismayed by misfortune nor despair. The believer in the oneness of God will have no fear from anybody and he knows that there is no harm and benefit except through Him, All authority and power are only to Him, He is the granter of mercy and prosperity, He is the owner of life and death. This belief, undoubtedly, will lead man to a stable, prosperous and happy life in this world and incite him to perfection and elevation, in order to attain the highest grade in the hereafter.

ISLAM AND LIFE

(1)

By : A. M. Mohiaddin Always

Islam is a complete System of life suited to all times and climes and acceptable to all those that dwell under the sun. It is but natural for such a universal message to adopt itself to the varying conditions of human life. Islam consists of faith to regulate man's relation with his Lord and Sustainer, as it consists of legislation to regulate human behaviour in the capacity of an individual, a society and a nation. Its legislation should take into consideration all the needs of the human society, individually and collectively and should regulate all kinds of human relations.

Islam calls man to follow his original nature as designed by God. The Quran mentions that the true religion is to follow the nature, in which Allah has created man.

The Quran Says :

« فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . »
(سورة اذروم : الآية ٢٠)

« So set thy purpose for religion as a man by nature upright, the

nature (framed) of Allah, in which He has created man. There is no altering (the law of) Allah's Creation. That is the right religion, but most man know not ». The Holy Quran stated that Islam is a perfect constitution and an excellent guidance to mankind in all walks of life :

« وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . »

« This is my way : leading straight ; follow it, and follow not other ways, they should scatter you from His - Straight - path ».

Islam sought to liberate the mind of man from doubt and superstition and it rid him of the fear and suspicion. It made plain to him that nature can be his friend and not his enemy. As it created new interests and avenues for man to exploit. In short, Islam is a progressive liberation movement which freed mankind from the ideological bankruptcy and the failure of equality. It offered spiritual food to a Spiritually starved

فلينظر الانسان الى طعامه . انا صينا الماء صبا .
ثم شققنا الأرض شقاً . فأنبثنا فيها حباً وعبثاً وقصباً .
وزيتوناً ونخلاً . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعاً
لكم ولأنعامكم .

“Let man consider his food (and how we provide it). We (first) pour forth water in abundance, then split the earth in clefts and cause to grow therein corn and grapes and nutritious plants and olives and dates and enclosed gardens of thick foliage and fodder, provision for you and for your cattle.” (LXXX: 24-32).

• وأن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ،
من بين فرث ، ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ،
ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ،
ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون : (الآية)

“And verily in the cattle (too) there is a lesson for you. From within their bodies, between excretions and blood, We produce milk which is pure and agreeable to drink. And from the fruits of the date-palm and the vine you obtain both strong drink and good nourishment. There-in also is a sign for the intelligent. And (consider again,) thy Lord inspired the bee to dwell in the hills and in the trees and in the structures (men) put up, and then to suck the juice of all kinds of flowers and to follow the directions of its Lord till there issues from within its body a drink of diverse hues, wherein is healing for men. Verily, herein is a sign for those who reflect” (XVI : 66 - 69).

The argument can go on into infinity, for His mercy and the signs of Truth are infinite.

From an all-pervading Providence, the Quran proceeds directly to the unity of God. To whom can man bow in adoration and submission but to the Lord, Who cherishes and sustains the entire Universe and Whose limitless bounty and mercy one acknowledges with every beat of one's heart.

• يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ، هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو ،

“O mankind, reflect upon Allah's grace. Is there a creator other than Allah who gives you sustenance from the heavens and the earth ? No, there is no God but He” (XXXV: 3).

The argument naturally leads also to the need, for man, of a moral code, of revelation and of a messenger from God. It is not possible that the Lord, Who has provided every necessary thing for man's material well-being, should not also have provided a discipline and order for his spiritual sustenance and progress. The spirit has needs just as much as the body, and it cannot be that God should provide all the wherewithal for the development of the body but nothing for that of the spirit.⁽¹⁾

(1) The Quintessence of Islam.

proposition; his reason revolts against it, his nature strives for constructive belief and faith and, in so doing, can pass through but cannot dwell in the barren regions of doubt and disbelief.

The Qur'an's approach in this matter is not dialectical; it does not propound metaphysical these and frame logical arguments for them so as to compel an adversary to submission; it addresses itself always to man's natural instinct. According to the Qur'an, the sentiment of God worship is ingrained in human nature. If a man is inclined to turn away from it, it is but a laps on his part, and it is necessary to redirect his attention. Arguments will no doubt have to be used for this purpose but they must be such as will not merely create a ferment in his intellect and reason but will knock at the inner recesses of his heart and awaken his natural instinct. Once his instinct is awake and active, he will need no argument or sermon to take him to his goal.

« بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره . »

“Man (‘s very existence) is witness against himself, however he may seek excuses.” (LXXV : 14-15)

« قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت

ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فيقولون الله ، هل أفلا تتقون . »

(Who provides you with nourishment from the sky and the earth? who has power over your hearing and sight? And who brings out a living being out of a lifeless one and a lifeless being out of a living one? And who rules and regulates every thing (with Such discipline and order)? (X : 31).

« أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم السماء ماء فأنبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون .
أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي . . . »

(Who created the heavnes and the earth? Who sends down for you rain from the sky, then causes to grow orchards, full of beauty and delight, whose trees it is not in your power to cause to grow? Is there another God (to be worshiped) besides Allah? (But alas,) there are people who stray from the right path. Say then, who fixed the earth as an abode and ran rivers in its folds and for (giving) it (balance), placed firm mountains and erected a barrier between two waters (i. e. between oceans or between an ocean and a river)? Can there be any God other than Allah? And yet (alas,) there are many that know not) (XXVII:60-61)

and reason and were based, instead, on irrational dogmas. The Quran offered a rational conception for the worship of God.

- 2— The call of the Quran is basically addressed to intelligent understanding and rational reflection; it particularly invites man to look carefully at everything in the universe and to reflect upon it.
- 3— If man will use his powers of understanding and reflection he will realise that everything in the universe has been created with a particular purpose and that it is related to the rest of the universe under a superior discipline and order.
- 4— Once man begins so to reflect on the purposefulness of creation, the scales will drop from his eyes, his mind will shed ignorance, and the path to Truth will unfold itself before him.

Of all the manifestations of nature, the Quran has drawn mostly, for its argument, on the spirit and power of a Supreme Nourisher and Sustainer, which is evident in the organisation of the universe as a whole, in every separate nook and corner and in every single being within it. That the universe should so function that everything in it assists in the fundamental function of sustaining

and continuing life, that everything that happens should prove to be a life giving force and, finally, that there should be evident an inherent organisation which takes into account every possible state and circumstance and makes every necessary adjustment cannot but instill in the instinct of man the assurance that there must be a Lord and Sustainer of the Universe. Otherwise such a perfect and flawless organisation for the sustenance and continuance of life in a wholly intelligent and ordered manner could not be possible.

Could such a universe come into existence by itself without any purpose, will or life force behind it? It is blind nature, lifeless matter and senseless electrons which have made this perfectly conceived and organised universe, without there being any intelligent will behind it? Can it be that the function of nourishment and sustenance is performed without anyone to perform it, that there is a vast, complicated edifice but no architect, that things damaged are set right again without a repairer, that there are manifestations of mercy but no merciful being, that there are evident signs of intelligence, and wisdom without there being a wise intelligence, that there is an organisation without an organiser, a drawing without an artist, a deed without a doer? Man's instinct refuses to accept such a

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYYAT

DHU'L-HIJAH
1384

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

A P R I L
1965

THE QUR'ANIC CONCEPTION OF GOD-IV

BY : MOULANA ABUL KALAM AZAD

This doctrine of purposeful creation is applied to, among others, the law of reward and Punishment. Everything carries with it a particular effect or result, and all such effects or results are immutable. So must it be with man's actions; they too lead to their due results, good or bad, which cannot be avoided. The law of nature which distinguishes between good and bad in everything else cannot ignore man's Conduct.

« أم حسب الذين أخرجوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ،
ساء ما يمحكون . وخلق الله السموات والأرض بالحق
وستجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » .

(Do they who do evil think that we shall make them as (equal to) those who believe and who do good, equal to them in life and

death ? (If So,) bad is their judgment. And God has created the heavens and the earth justly, So that every Soul Should be given a return according to what it has earned. And no injustice shall be done to any one.) (XL V : 21-22).

So it is with life after death. Everything in the universe has a purpose and an end, and it must necessarily be so with human existence also. It cannot be that man, "God's finest handiwork", was created just to live for a brief while and then be destroyed altogether.

The following, in brief, is the argument of the Quran :

1 — When the Quran was revealed, the current conceptions of God and systems of faith and worship were untouched by intellect

